الآثار الشعريَّة لأبي مُسْلِم البهلاني

ناصر بن سالم بن عُديِّمٍ الرَّواحي

شاعر زمانه وفريد أوانه

(١٨٦٠ - ١٩٢٠)



حقّقها ووضع حواشيها وقدّم لها

محمد الحارثي

منشورات الجمل

الآثار الشعريَّة لأبي مُسلِم البهلاني

ناصر بن سالم بن عُدَيِّم الرَّواحي

شاعر زمانه وفريد أوانه

الآثار الشعريَّة لأبي مُسْلِم البهلاني

ناصر بن سالم بن عُديِّم الرَّواحي

شاعر زمانه وفريد أوانه

(١٨٦٠ ـ ١٩٢٠)

حقّقها ووضع حواشيها وقدّم لها

محمد الحارثي

غُنِي بمُراجعتها وتدقيقها

ناصر بن إسحاق الكندي

منشورات الجمل

ابو مُسْلِم البهْلاني (١٨٦٠ ـ ١٩٢٠): وُلِدَ في بلدة مَحْرَم (عُمان). شاعِر، فقيه، مُتصَوِّف، إصلاحي وصُحُفيّ رائد، مُتكلِّم وحُرُوفِيّ. إثر تلقي عُلُومِه في الفقه واللغة والادب هاجر قبل بلوغ العشرين إلى زنجبار (شرق افريقيا) واقام فيها حتى وفاته. عمل في الصّحافة والتدريس والقضاء. تمكَّنَ من ارتقاء اعلى مراتب سِلك القضاء في زنجبار. اسَّسَ صحيفة النجاح (١٩١١) التي راس تحريرها فترة من الزمن. استفاد من إنشاء المطبعة السُّلطانية (١٨٧٩) لإصدار اول صحيفة عُمانية في زنجبار باللغة العربية، كما اشرف وعُنِي بطبع امّهات الكتب الدينية والادبية. له العديد من المؤلفات المفقودة والمخطوطة والمطبوعة؛ منها: العقيدة الوَهْبِيَّة؛ كتاب في العقيدة، مسقط ـ ٢٠٠٣، نِثار الجوهر؛ سِفْر في الفقه والتوحيد (٣ اجزاء)، مسقط ـ ٢٠٠١، كِتاب السُّؤالات؛ مخطوط مفقود، الواح الأنوار وأرواح الأسرار؛ مخطوط مفقود، الكنوز الصَّمَدية في التوسّل بالمَعَاجز المحمدية؛ مخطوط محفوظ بدار المخطوطات والوثائق ـ مسقط، النشاة المُحمَّدية في مولد خير البريّة، القاهرة ـ د. ت، اللوامع البرقيّة؛ رحلة في افريقيا الشرقية، ط١ ـ زنجبار ـ ١٨٩٨، ديوان ابي مُسْلِم البهلاني، ط١ ـ المطبعة العربيّة، القاهرة ـ ١٩٢٨.

محمد الحارثي: وُلد عام ١٩٦٢ في المُضَيرِب (عُمان). شاعِر، كاتب ورَحَّالة. نشر العديد من المجموعات الشعرية: عيون طوال النهار ـ الدار البيضاء، ١٩٩٢، كُلُّ ليلة وضُحاها ـ كولونيا، ١٩٩٤، ابعد من زنجبار ـ القاهرة، ١٩٩٧، فُسيفِساء حَوّاء، قصيدة ـ مسقط ٢٠٠٢، لُعبة لا تُمَلّ ـ كولونيا، ٢٠٠٥، حائز على جائزة ابن بطُوطة للادب الجغرافي عن كِتابه عين وجناح، رحلات ـ ط٢، كولونيا ٢٠٠٨. تُرْجِمَت بعض قصائده إلى الإنكليزية، الفرنسية والالمانية.

ناصر بن إسحاق الكندي: مواليد الكويت ١٩٦٨. باحث ومحقق لغوي. حقّق ونَشَرَ عدداً من المخطوطات: هداية الأخيار لأبي المنذر العذالي ـ بيروت ٢٠٠٤ ـ السر المصون لسيف الفرقاني ـ بيروت ٢٠٠٤.

الغلاف الأول: صورة نادرة للشاعر أبي مُسْلِم البهلاني في زنجبار

الغلاف الأخير: صفحة من نثار الجوهر بخط المؤلف

الآثار الشعريّة لأبي مُسْلِم البهلاني، ناصر بن سالم بن عُدَيِّم الرَّواحي، شاعر زمانه وفريد أوانه

حقّقها ووضع حواشيها وقدّم لها: محمد الحارثي

عُنِيَ بمُراجعتها وتدقيقها: ناصر بن إسحاق الكندي

الطبعة الأولى ٢٠١٠

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ـ ٠١ ـ ٣٥٣٣٠٤

ص.ب: ١١٣ ـ ٥٤٣٨ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany

www.al-kamel.de

E-Mail: info@al-kamel.de

المُقدمّة

حَياةُ شاعِرٍ مُغيَّب، شاعِرُ حَياةٍ مُغيَّبة

«من خِصامِنا مع الآخرين نَصْنعُ البَلاغة،
ومن خِصامِنا مع أَنفسِنا نَصنعُ الشعر».
[وِيليَم بَطْلَر ييتسْ]

«التشبيهُ صِفة الشيءِ بمَا قارَبَهُ وشاكَلَهُ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَة
أو مِنْ جهَاتٍ كثيرة لا مِنْ جَميعِ الجِهَات، لأَنَّهُ لو ناسَبَهُ كُلِّيَّةً لَكَانَ إِيَّاه».
[ابن رشيق القيرواني]

«أَمَا آن أَنْ تَستبقيَ المُهجَةَ التي | غفا رَسمُها وَجْداً، وطالَ هُيامُها».
[محمد بن شيخان السَّالمي]

[١]

أُبوَّةٌ شِعريَّةٌ خالِصَة

لطالما اعتقدتُ أنَّ أبا مُسْلِم البهلاني الرَّواحي أبٌ شِعْرِيٌّ خالِص الأبُوّة لِسَابِقِ اللاحق ولاحقِ السَّابق، ليس في بلادنا فحسب، بل في أقنوم شُعاعٍ مَعرفيٍّ امتدَّ من جزيرة زنجبار حتى اليَمَن وكافة بُلدان الخليج والجزيرة العربية، فضلًا عن مَراكز الثقافة العربية المُمَثلةِ، آنذاك، في قاهرةِ ودمشق نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. فهو يُنبُوعٌ شِعريّ ومَعْرِفيّ ثرّ؛ نَستحقُّ نهل شربته صَافيةً خالصة مِن خالص مُبتدعِهِ الشعريِّ المُنكَّه بلذعَةٍ من قَرْقَفِ وقُرُنفلِ أنوارِ رُوحه.

لطالما اعتقدتُ، في سَريرَتي، بتلك الأبوَّة التي استحقت ما فرَضَتهُ من استحقاقات سَتنهلُ منها الأجيالُ اللاحقة من المُثقفين والشعراء لتمْتحَ من يُنبُوعها زهرة الشِّعر، فيما تصقلُ جواهِرَهُ المَنثورة قبيل ارتكازها إلى بُؤبُؤ يَقينٍ شِعري راسخ النَّسَب والأَرُومَة؛ امتزاجاً في رائقِ مُستخلَب شعره المُنساب لغة، فصاحة، أسلوباً، بلاغةً، بياناً وطريقة حَياةٍ سَاحِرة في جَزيرة الحياة، تماماً كما كان نبضُ حَياته سَاحِراً كسَجَنجَلِ نهر غامض.

ولا غروَ، لا غرو. فالغوصُ في لُجَج مَوسُوعيَّتِهِ الضَّاربة بفجاج أفلاجها في عميق مَعرفته: جَدَلًا مَعرفياً، تَفقُّهاً، تَصوُّفاً، اسْتِنْهَاضاً وانْهِماماً مُنقطع النظير بالنَّاجِلِ والمَاجِلِ مِنْ أَحْوَالِ مُوَاطِنيهِ وَقضاياهم المَصِيريَّة - الغوصُ في تلك المَوسوعيَّةِ فريضةٌ وسُنَّةٌ واجبة على أحفاده بعد مرور نحو قرن ونصف

على ميلاده[1]. لأنهُ الشاعر الذي ـ على اغترابه ونأيهِ عن مَعَاهِدِ رُوحِهِ في رَوْحِ وَطَنِهِ الأُمّ وَرَيْحَانته التي حُرِمَت عليه، وحُرِمَتْ منه ـ كانَ ومازال مِثالاً مَثَّالاً لذلك السُّموِّ المُستبطِن مَغاورَ المُواطَنةِ الحَقَّةِ والتديُّن الحَقّ، مُناضِلاً ـ لله، وفي الله ـ ليسَ عَمَّا أراده وابتغاهُ من كَفَّتي الحَقِّ والعدالة لتراب وطنه ولمُواطنيه أرضاً وسَمَاءً فحسب؛ بل فيما ابتغاهُ لقومه عِزَّةً وكرامة، كما تَبدَّى ذلك في لُمُوعِ وشموليةِ وَعْيِهِ الاستنهاضي المُستنير.

لقد كنتُ أسِيرَ حُبِّهِ وشِعرهِ الأخاذ (طوال السَّنوات الثلاث التي اشتغلتُ فيها على مشروع تحقيق آثاره الشعرية)؛ لكنني ـ مع ذلك ـ اعتقدتُ بأنَّ ذلك الأَسْر اللذيذ لن يكون شفيعي للتمكُّنِ رُوحِيّاً من استلاب قُرَّائهِ وَمُحبِّيه؛ لسبب أبسط من البساطةِ ذاتها على البساط الشعريِّ الذي نتداولُهُ اليوم فيما نتناولُ تُراثه الشعري على بساط تجريد دون الإلمام الموضوعي بمجموع شعره، وطنياً كان، اجتماعياً، غزلاً، دينياً، إلهيّاً، مَدائحَ نبويَّة، إلى غير ذلك من الأغراض التي طرَقتها آثاره الشعريَّة المُشرَعةِ على أكثر مِن أفقٍ وسَمَاء.

مع ذلك، أستطيع القول، إنني رغم تأخُّر اعتقادي ذاك؛ سَبَق لي أنْ اعتقدتُ اسْتِبطَاناً، بأبُوَّتهِ الشعريّة المُتقدِّمة تلك، وحَللتُ عُقدة استبطاني فيما انحَلَّ من بَواطِنِ نهره الغامض، لأنَّ حَبْلَ تلك الأُبُوَّةِ المُستدِقَّ والمَتين، في آن لم يَنقطعْ لحُسن الحظ ـ على تقطُّع سُبُل الرِّحلة والرَّاحلة فيما أضْمَرَتهُ لي سَلفاً بَيضَةُ الوُجُود والعَدَم مِن فَرْقٍ لم أكُنْ لأسْلَمَ مِن نَزَوَاتِهِ المُضْمَرَةِ لي في «أرض السِّرِّ» و«جَوفِ الشِّعر» و«ضَعاضِعِهِ» التي لم يَتضَعْضَع رُسُوخها ـ لا كما تشيَّأتُها بل كما شاءتها نُبوءاته الشعريَّة الفارقة قبل ما يَربُو على المائة عام.

هكذا تَعُود الاستعارة الزمَكانيَّة ـ ولو بعدَ لأي ـ إلى زمانها ومكانها المُقدَّرَيْن لها؛ وإنْ تأخرنا في استنباطها واستبطانها، ناهيك عن مُحاولة تأويلها

(١) توافق هذه الطبعة لآثاره الشعرية مُرور ٩٠ عاماً على رحيله.

بحَصَافة وَقَّادَة إثر دَرْكِنا لمَجَاز بَرْزخِ شِعره الشاسع. فكما يقول الشاعرُ التّشِيكي ياروسْلاف سِيفِرْت ف**«إنَّ استعارةً مُدهشة تُسَاوي أكثر من خاتم ذهَبِيّ»**؛ لأنها استعارة ثمينة في العُمق المُمَجِّد للشِّعر في قيعان مَغارته، وإعلاء لمُستويات القول بعد إخضاعه لأنساقِها الجمالية المُستمِدَّة لتعقيدها التأويليّ المُصاحِب مِنْ تشعُّبِ تعقيدِها ذاته. نقولُ ذلك ونعتقده رُؤيَةً ورُؤيا؛ رغم استخفاف شيخنا الأرجنتيني الأعمى خورخي. ل. بورخيس(١) في مَقولته المُتواضِعَةِ في تَعامِيها حَدَّ الإبصار المُستثير لنا، ولدَهشة الاستعارة ذاتها، ليس في عُمان، ولا في زنجبار، بل في بوينس آيريس؛ حيث عاش أعمى مُسْتبصِراً بشجون الكتاب وأحواله المُتمَرئِيَةِ في ألف ليلةٍ وليلة:

«في نهاية المَطاف لستُ أستاذاً، والفرقُ بين الاستعارة والتشبيه يكادُ لا يهمّني».

ولِأنها استعارة مُستعارَةٌ، بدورها، من بورخيس؛ فهي قد لا تبدو ظاهِرياً مُناسِبَةً في مُستهلِّ مُقدِّمَةٍ تطمحُ لتقديم شاعِرٍ كأبي مُسْلِم، لكنَّ ما دعاني للاستشهاد بها هو أنني، بدوري، لستُ أستاذاً لحُسنِ الحظ.

مع ذلك، أستطيع القول أنَّ الفرقَ الفارِق الذي تَحدَّث عنهُ الشاعر التشيكيُّ ياروسْلاف سِيفِرْت؛ هو ما يُهمُّني، بالتأكيد، في هذه المُقدمة الطامحة لتقديم شاعر عُمانيٍّ فارقٍ ومُفارق كأبي مُسْلِم؛ لأنهُ كان في مَكنونِهِ **خاتماً ذهبياً** ثميناً طالما حَلمتُ بظِلالِ الفروق بين استعارَته وتشبيهه ومَجازه في بحر الأيام الخوالي، وإنْ عثرتُ عليه في بئر المعنى واللامعنى، مُتأخراً أكثر

(١) **إشارة**: لا بُدَّ من الإشارة، هنا، إلى استفادتنا من مصادر ومراجع عدَّة، لن نتمكّن من الإشارة التفصيلية إليها في حاشية هذه المُقدِّمَة؛ لأنَّ اشتغالنا عَمَلٌ أدبيٌّ مَحض غير مَعنيٍّ بما تُعنى به الدِّراسات الأكاديمية واشتراطاتها البَحثيَّة الشغولة بتفاصيل التفاصيل؛ لذلك ارتأينا إثبات كافة المواد التي استخدمناها وأفدنا منها ضمن **«المصادر والمراجع»**. والسبب الآخر لهذا الاكتفاء؛ هو كثرة الإحالات ـ لا سيما، في حواشي مُتون بعض القصائد ـ المُتخمَة أصلًا وتفريعاً بالشروح والتعليقات.

مما ينبغي خلال رحلتي المُتأخرة والسَّاذجة ـ بطبيعة الحال ـ لمحاولة اصطياد سَمَكةِ الشِّعر بِسِنَّارته.

أَتوَكَّأُ على هذا القول، لأنني لا أَتقوَّلُهُ اصطياداً مُتأخراً في بركة مَاءٍ عَكِرٍ قلما يَخطى الصَّيادُ العَجُول مِنها بسَمَكةِ الأُمثُولة، فكيف بالخاتم الذهبيِّ في بَطنِها؟ بالأحرى؛ أقوله انسِجاماً مع صَوتِ حُنجُرتي التي مَتحَتْ أَوتارَ حِبالها الشِّعرية من أبٍ خالص الأبوَّةِ لي، لِجِيلي، ولِأولئك الذين سَيتعَثَّرونَ، لاحِقاً، بتقدُّس صَوتِ إلهيَّاتهِ، ومَدائحِهِ النبويَّة المُثيرة لجَدَلِ العُلماء والفقهاء، ناهيك عما أدعوه ثورة استنهاضِهِ الشِّعريِّ القَمِين به وَحدَهُ دُون سِواه؛ فَقُدرَة النصِّ على الصُّمود في وَجهِ الزَّمَن وَوِجْهَتِه هِيَ ـ كما نعلم ـ كامِنةٌ في قُدرَتِهِ الاستعاريَّةِ، لِيناً وقسوَةً، فيما تَرُومُ إنفاذَ سَهْمِ دَيمُومَتِهِ في قلبِ الزَّمَن.

[٢]

زمنُ الشيخ وزمنُ الغُلام

ربما كان عَليَّ العودة بالزمنِ نحو رُبعِ قرنٍ إلى الوراء لتوضيح علاقتي بشِعر أبي مُسلم؛ ففي وقت مُبكِّر من حياتي، كُنتُ قد تَعَرَّفتُ على شِعره مَعرفةً أستطيع وَصفها اليوم بأنها، في العُمق، كانت مَعرفة «سَطحيَّةً»؛ إذ لم أكترث لأهميَّته آنئِذ، لأسبابٍ وأسباب تَدَاخلَ فيها الذاتيُّ بالمَوضُوعي، لا سِيَّما في مَرحلةِ انهمامي بتفحص طرائق الكِتابة الشعريَّةِ الحَديثة[١]، لأنقطعَ عن أثره الشعري اللافت في حياة الشعر ودُروبها المُتشعِّبة في شِعر الحياة.

وهي دُرُوبٌ جَرَفتني، حقيقةً، نحو مَضارب شعرية بعيدة عنه وعن

(١) أتحدث، هنا، عن بدايات تعرفي إلى تجارب رموز الشعر العربي الحديث: نزار قباني، أمل دنقل، بدر شاكر السياب، سعدي يوسف، محمود درويش، خليل حاوي.. وآخرين.

«بوارق» سُوحِهِ ومراتع فرائده وخرائده؛ لأكتشف مُتأخراً أنَّ ما غرَسَتهُ تجربته العَمِيقة من ظِلالٍ لم تَبهُتْ ـ كما اعتقدت ـ بفعل الزمن؛ بل انصَقلَتْ بِرَويَّة، ودأبتْ تشرئبُّ، كما لو بصبر الصَّيادِ واصطبارهِ على مُفاجأةِ الخاتم الخَبِيءِ ـ تلك التي تحدث عنها ياروسْلاف سِيفِرْت، كما أسْلَفت. فهي ظِلالٌ ظلَّت تحفرُ يَقينها في شُكُوكِ يَقينِي، ولم تَنِ تَنحتُ فيَّ زمنين تقاطعا وتَوَازِياً ليَتلازما فيما بعد: «زمنِ الشيخِ» و«زمن الغُلام»، تماماً كما كان دَأبُ حَادِي «بَوَارقهما المِزْنان» في صَدى الذاكرة التي تقاطعت في ذاكرة الصَّدى ونسياناتِها الدَّهريَّة؛ كأنما لأغفو وأصحو ذات غبشةٍ تُحاولُ أنْ تَدَّارَكَ «المفاجأة الذهبيَّة» وهي تحيط أصبع الصَّياد، بالنداء الكامن في بطن سمكته؛ سمكة الاستعارةِ السَّباقة إلى لعبةٍ وُثِّقَتْ في وَثائق الأصل المَنسيِّ وأصائله المُنتظِرَة لسُفور لحظة إشراقٍ مُلهِمَةٍ قادتني ـ اقتادتني، بالأحرى ـ إلى لقاءٍ حان وآن بعد نُضج التجربة واختمارها حَياةً وشِعراً وأفقاً ورؤيا، كما أراها اليوم بجَلاءٍ وَضَّاح.

هل أخلط الذاتي بالمَوضُوعِي في هذه المقدمة؟ بالأحرى، هل أُخلُّ ببعض شروط التقديم؟. . نعم. ولحُسن الحظ ـ مَرَةً أخرى ـ يبدو أنني أفعل ذلك، لأكثر من سبب:

تأخري ـ قبل سائر الأسباب ـ في الانتباه إلى أهمية مُنجز أَبي مُسْلِم الشعري، رغم حَسَنة فراري المُتأخر إليه قارئاً باستبصارٍ ثمرَةَ النُّضجِ وَظلَّتَها المُلازمة: المَسؤولية، لا سِيَّما بعد تأكُّدي مِنْ أن المُتاح وَالمُتداول من مُتُونِه الشعرية ـ ناهيك عن شواهد هَوامِشها وإضاءاتها الفكريَّة والعقديَّة ـ أقلُّ في مَرارَةِ الأمر مِن حقيقةٍ زائفةٍ كسمكةِ صَيَّادٍ نفقت قبل اصطيادها: ألا وهي شُيوع اسمه المَحبُوب وذيوعه في آذان مُواطنيهِ التي لم تُشنَّف إلّا بالسَّماع الطَّرِب إلى أقلِّ القليل من شعره (المُغيَّب زَكِيُّهُ وَنَفِيسُهُ) عَنْ فَرَائِدِ وَجَوَامِعِ ذاكِرَاتِهِم الجَمعية والفردية، على مِحَكِّ الحَديَّن: المُفارق والسَّواء.

فشعره ـ كما نعلم وكما يعلم مُحِبُّوه ـ حَظِيَ بالذيوع والانتشار، لكنهُ، رغم ذلك الامتياز، لم يَحْظَ «بحقيقة» انتشاره كما انبَغَى؛ أي كما تمنى هُو وأَراد، لا سِيَّما في هُنيْهات يُقلِّبُ فيها المَرءُ مَدَى صِحَّةِ قولٍ سَائِر، كان وما زال ذائع الصِّيتِ والتَّصْوِيتِ: (حول شيوع وذيوع أخبار شِعره، أكثر من العميق من مُتونِهِ الشعرية)، ليكتشف المرءُ أنها مقولة ـ بعد تفحُّصِها في مُختبر الشعر والحياة ـ تَنقضُ فحواها.

فحقيقة الأمر أنَّ شِعرَهُ لم يُقدَّم لمُحبِّيه بالطريقة الصَّحيحة؛ كي يصير جسراً ومَعْبَراً مُعبِّراً عن أبي مُسلم شاعراً كبيراً طرق كافة أغراض الشعر دون تخصيص. أقصد أنّ كُلَّ العُمانيين «يعرفون» أبا مُسلم «ويسمعون به»، بل يُردِّدون بعض أشعاره «أيقونة» شِعريَّة، لكنهم في غور القول ومَغارةِ ميزانه لم يتمكنوا ـ لأسباب سنوردها لاحقاً ـ من التعرُّف إلى مُتونِ شعره كاملة دون نقصان. وعَليه؛ فإنَّ اختياره أو عدم اختياره، لتشييئِهِ أُيقونة شعرية كلاسيكية يُحتذى بها ويُشار إليها بالبنان ـ كما قد يُشير العراقيُّ، مثلًا، إلى محمد مهدي الجواهري، والمصري إلى محمود سامي البارودي واللبناني إلى إلياس أبي شبكة أو مطران خليل مطران ـ ستسقط بمجَرَّد اختبارها في ميزان الاستحقاق التاريخي.

فالأمر في حقيقتِهِ المُرَّة ـ وبعد مرور نحو قرن على تاريخ وفاةِ أبي مُسلم ـ أفدحُ بكثير مِن مَرارتها، وطَلاوَتها المُتغنَّى بها. لأننا بالكاد نَتعرَّفُ إلى قسمات وجهه، ناهيك عن شِعره المُجَزَّأ والمُبَعثر أشلاء بين أكثرٍ من فريق ـ أحبُّوه، دون شك ـ أَعلى أَحَدُهُما جانباً أو غرضاً من أغراض شعره، فيما يَجهَدُ ويُجاهد ما استطاع لإخفاء ملامح وجهه الآخر، كما لو كان الفريقان في حرب يتنافسان فيها على شَقِّهِ نِصفين، ليُعيدا ابتكار مُنجزه اشتقاقاً مِنَ الوَعْيِ الجَمْعِي؛ ليتمكنا ـ وقد تمكّنا بالفعل ـ من تفريقنا عنه.

[٣]

أقانيمُ الظَّاهِرِ والبَاطِنِ

قد يبدو الأمرُ غريباً ولا مَنطقيّاً لكنه، في واقع الحال، حالٌ مُؤسِفٌ لا مندوحة لنا من التسليم به. صحيحٌ أنَّ المُقارنة مع شعراء استنهاضيين معروفين، قد تبدو فجَّةً، هنا، وربما في غير مَحلِّها، لكننا إذا ما تفحَّصْنا الظاهِرَ والمُغيَّب مِن نتاج أبي مُسلم (أي ما أريد له أن يظهر في فترة ما، وما أريد له أن يَنطمِس تلقائياً، في فترات لاحقة)، لأدركنا فداحة الأمر وهَوْلِهِ تغييباً مُتقصَّداً لجانب من شِعره، وإظهاراً لبعضه الآخر. والشواهد كثيرة ومؤلمة: فثمة طبعات مَحَليّة اجْتزأتْ من تُراثه بُعدَهُ التديُّنيَّ المَحْض (دونما اعتبار لشموليَّة تجربته الشعرية واتساع آفاقها الرُّؤيَويَّة)، لتجترئ على طبع[١] «النفس الرحماني في أذكار أبي مُسلم البهلاني» دون سِواه من مُنجَزه الشعري؛ وهو جُزء من أعماله الشعرية غير الكاملة. في المقابل فإن طبعاتٍ عُمانيَّةً رَسميَّةً (مَنحُولةً ومُجتزأةً، هي الأخرى) من ديوانه الشعري تَجرَّأتْ، بدورها، على تُراثه الشعري[٢] وغيَّبَت النقيض: مدائحه النبويَّة عدا نتفة صغيرة من

(١) نشير، هنا، إلى طبعات مكتبة مسقط للنفس الرحماني - راجع **المصادر والمراجع**.

(٢) رغم إثباتنا للمصادر التي اعتمدنا عليها - كما أشرنا في هامش سابق - في قسم **«المصادر والمراجع»** في نهاية الكتاب، لكننا نودُّ الإشارة إلى مَصادرنا (الأسَاسِيَّة والثانوية) التي اعتمدناها في تحقيقنا هذا وهي على التوالي؛ وِفقاً لأهميَّتها (أ): ديوان أبي مسلم، تحقيق: عبدالرحمن الخزندار، طبعة صالح بن عيسى الحارثي، مطابع دار المختار، ١٩٨٦، وهي ما سَيُشارُ إليه بـ«الأصل المُعتمد». (ب): ديوان أبي مسلم، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، روي (عُمان)، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، ١٩٨٧. (ج): ديوان أبي مسلم البهلاني، جمع وترتيب: سالم بن سليمان البهلاني، مخطوط، مكتبة أحمد بن عبدالله الفلاحي. (د): ديوان أبي مسلم البهلاني، تحقيق: راشد بن علي الدغيشي، الناشر شركة دار الفتح. (هـ): النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني، الطبعة الثانية، عُمان، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ٢٠٠٤. (ح): نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مخطوط، (صورة توزع من قبل عائلة المؤلف).

مديحه للنبيِّ مُحمَّد (ص)؛ مطلعها: «غوثَ الوُجُودِ أغِثني ضاقَ مُصطبَري | سِرَّ الوُجُودِ استلمني من يَدِ الخطَر»، تنتهي في نسخة وزارة التراث والثقافة[1] بهذا البيت: «إنْ كانَ حُبِّيَ مَعلولًا فأنتَ لها | أدرِكْ عَليلَكَ، قبلَ الأخذِ في الخطرِ»[2]. ناهيك عن إقصَاءِ كافةِ قصائده الاستنهاضية المُتمثلة في مدائحه لإمامة سالم بن راشد الخروصي[3] وحَثِّهِ الشيخ عيسى بن صالح الحارثي[4] على مُبايعة الإمام، لتنضح تلك «الطبعة الرَّسميَّة» بما أُبقِي في مَتنِها [المَنحُول، أصلًا] مدائح سلاطين زنجبار، فضلًا عن أغراض شعره الاجتماعي والغزلي العابر؛ ذاك الذي لا يَمسُّ وتراً «وطنياً» غابراً لم يعد ـ بالمعنى إيّاه ـ مثيراً لحَفيظة أو جدل سياسي[5].

أما آخر الفداحات والجَرائر المُرتكبة في مُتوالية ابتسار تراثه الشعري وتعويمه في بُورصَة التباهي بتقديم مُنجزه الشعري مبتوراً ومُجتزأ؛ فهي طبعة

---

(١) ديوان أبي مسلم، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، روي (عُمان)، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، ١٩٨٧.

(٢) مِن سُخريات القدر ملحوظة جديرة بالتأمُّل؛ وهي أنَّ المُستغاث به في القصيدة التي أثبتنا مطلعها في المَتن: [غوثَ الوُجود؛ مُحمد (ص)] لم يُغِث أبا مُسلم في هذه الدُّنيا الفانية، بعد أن تسلَّطت عليه وزارة التُّراث والثقافة العُمانيَّة، فيما (تنتحِلهُ ظاهِراً، وتُقصِيهِ باطناً) في طبعتها تلك، وربَّما كان مطلع القصيدة المُحرَّف أصلُها المنسوخ إثباتاً لبعضها، ونفياً أقصى شِقها الأكبر ـ ربما كانت تَعِلَّة وُجوديَّة يبدو أنَّ الزمن لم يُمهِل أبا مُسلم للوقوف عليها، لكنَّ إدانتُه لها صَارخةٌ في عَجُز المطلع: «سِرَّ الوُجُودِ استلمْني مِنْ يَدِ الخطَر»! فاستشرافه النُّبوئي والرُّؤيَوي لما سَيتعرَّض لهُ تراثه الشعري من إقصاءٍ وتزييف وتحريف واضحٌ في قصيدَتهِ التي لم تحترم فيها «وزارة التراث والثقافة» ثقافة وتُراث أبي مُسلِم، ناهيكَ عَمّا يَستوجبه احترامُ سَيِّدِ الأنبياءِ وخاتمِ الرُّسُل.

(٣) نشير، هنا، إلى النونيَّة.

(٤) ونشير، هنا، إلى المِيميَّة.

(٥) في حقيقة الأمر، فإنَّ طبعة وزارة التراث والثقافة لا تكتفي بذلك وحسب؛ بل تُغيِّبُ الفصل الثاني برُمَّته؛ أي القصائد الوطنية.

مُحققة لديوانه بذل فيها «مُحققها» جُهداً لا يُنكر، لكنه لم يَتخلَّ، هو الآخر - كما لم تتخلَّ الطبعات الرَّسمية والأهلية - عن التملُّص من إنكار موضوعيته في جمعه وتحقيقه للديوان اعتماداً على نسخة (القاهرة - كما دعاها -؛ وهي في الحقيقة طبعة دِمشق[1] إضافة لمخطوطة مكتبة السَّالمي)؛ لأنَّ «مُحقِّقَ» ديوانه - بضيق أفق تديُّني موغل في أُدْلوجَته وتأَدْلُجِه تساوى في «تحقيقه» مع ناشري ديوانه الآخرين في كُلٍّ مِن «المؤسسة الرَّسميَّة والأهليَّة»، ليتعادل - أمام القارئ - أفقهم الضَّيق المناوئ لاستنهاضيات أبي مُسلم ومدائحه النبويَّة ومدائحه لسلاطين زنجبار. والنتيجة المُؤلِمَة تلخصها العبارة التالية: كما حَذفت وزارة التراث والثقافة قصائده الاستنهاضيَّة، حَذفَ «مُحَقِّقُ» ديوان أبي مُسلم، بدوره، مدائحه في سلاطين زنجبار!

ورغم أننا لا نريد حشو مقدمتنا بتفاصيل سَقيمة عن تبادُل مُتوالية المُباهاة بأغراض من شعره وإقصاء أغراضه الأُخرى، إلّا أننا نجد أنفسنا مُكرَهين على الولوج في تفصيلها. فكما نشرت وزارة التراث القومي والثقافة نسخة مَنحولة (مُصوَّرة، بالأحرى) دونما إشارة إلى الأصل، من ديوان أبي مسلم البهلاني الذي عُني بطبعه ونشره عام ١٩٨٦م في دمشق الشيخ المجاهد صالح بن عيسى

(١) نشير، هنا، إلى طبعة ١٩٨٦ التي يُشارُ إليها في كثير من المراجع والكتب والدراسات بـ«طبعة القاهرة»؛ وذلك لعدم ورود مكان طبعها، واعتقد كثيرون (بحُكم إقامة الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى الحارثي في مَنفاه الاختياري بالقاهرة أنها طُبعت هناك)، لكنَّ ذلك غير صحيح البَتَّة؛ فقد طُبعت في مطبعة المختار في دِمشق، (كما أكَّد لنا الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الحارثي) الذي أحضر رُزماً من تلك الطبعة ووزعها باليد على القلة اللهوفة لاقتنائها. ولأنه لم يتمكَّن من توزيعها [رسمياً] في عُمان، فقد حظيَت بمزيَّة توزيعها في مكتبات دولة الإمارات العربيَّة المُتحدة، ومن هناك وجدت طريقها إلى الكثرة الكاثرة من العُمانيين. وشخصياً؛ حصلتُ على نسختي الخاصَّة من طبعة صالح بن عيسى [التي سَيُشار إليها بتعبير: «الأصل المُعتمَد» في هوامش هذا الكِتاب من إحدى المَكتبات في إمارة دُبي!].

الحارثي (١٩١٨ ـ ١٩٨٦م)، وُسِمَ بعُنوان آخر[١] بعد حذف قصائده الوطنية والاستنهاضية وبعض مدائحه النبوية من تلك الطبعة، كما أشرنا.

لكنَّ الطامَّة الكُبرى هي عثورنا مُؤخراً على نسخة مُصوَّرة من [ديوان أبي مُسلم البهلاني لشاعر العرب ناصر بن سالم بن عديم البهلاني ـ تحقيق راشد بن علي الدغيشي، الناشر: شركة دار الفتح] دون ذكر لمكان وتاريخ النشر (عدا إشارة وردت في خاتمة مقدِّمة المُحقق المؤرَّخة عام ٢٠٠٢، مما يَجعلنا نعتقد أنها طُبعت في ذلك العام؛ استنتاجاً وليس تأكيداً[٢]. وهي نسخة ما كنت لأحصل عليها؛ لولا حديث عابر مع أحد مُحبّي أبي مُسلم، ليعيرني نسخته المُصوَّرة من تحقيق الدغيشي بعد تمنع أول الأمر[٣]. والحقيقة أنني استفدتُ من تلك النسخة في مُقارنة اشتغالي على أبي مُسلم باشتغال مُحققها راشد الدغيشي الذي بدا واضحاً نهجه الديني المُتزمِّت في تأويل وحذف قصائد بعينها لأبي مُسلم، رغم تأكيده في مقدمته بأنه جمع في تحقيقه بين «المخطوط الذي كتبه ابن أخي الشاعر الشيخ سالم بن سليمان البهلاني

---

(١) ديوان أبي مسلم، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ـ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. **ملحوظة**: من يُراجع الأصل سيكتشف أن «النسخة الرَّسمية» منحولة تصويراً عن طبعة الأمير صالح بن عيسى الحارثي، دمشق ـ ١٩٨٦ بعد غربلتها لحذف ما لا يُرادُ له الظهور.

(٢) نلفت النظر، هنا، إلى أنهُ تحقيق جيد في مُجمَله ولا بأس به قياساً إلى الطبعات المحلية الأخرى، لكنه لا يخلو ـ كما أسلفنا ـ مِن غبار الأدلجة المَذهبيَّةِ والتحجيم المُبالغ فيه لقامَةِ أبي مُسلم، لولا إفساد صاحب التحقيق لتحقيقه بالحذوفات والتغييرات غير المُبرَّرة لبعض عناوين القصائد، ناهيك عن استخفافه بمقاصد الشاعر ليذهبَ في تأويلها وفقاً لقناعاته المَذهبيَّة الضيِّقة، ليَحشرَ فقيهاً وعَلَّامةً وشاعراً كبيراً كأبي مُسلم في أضيَق مسالك التأويل.

(٣) في حقيقة الأمر هي نسخة تداوُلها محدود بين المتدينين الجُدد من الإباضية، لذلك تُكُتِّمَ على مصدرها، ناهيك عن مكان نشرها. والغالب أنها نسخة «خاصة» يتداولون طبعتها الأصلية بينهم، أو مُصَوَّرة بـ«الفوتوكوبي» تحاشياً لمُساءلة قانونية أو سياسية، ورغم أنها مطبوعة في «شركة دار الفتح»، إلّا أنها غير مُترَّخة، فضلًا عن ذكر مكان طباعتها ـ راجع المصادر والمراجع.

(اعتماداً على مخطوطة مكتبة السالمي) وبين المطبوع في جمهورية مصر العربية» **[يقصد نسخة دمشق ١٩٨٦ التي اعتمدناها، بدورنا]**، «بحيث شرحتُ ـ والقول لراشد الدغيشي ـ كُلَّ القصائد الموجودة في الكتابين، وذلك لوجود إضافات في المطبوع لم تكن في المخطوط، ووجود نقص في المطبوع موجود في المخطوط». وهو تأكيد مُلزِم نجده في الفقرة رقم [٧] من مقدمة تحقيقه المُؤرَّخة عام ٢٠٠٢.

والحقيقة أنَّ ما قاله راشد بن علي الدغيشي من الإضافة والحذف يكاد يكون صحيحاً حدّ الدِّقة ذاتها، ومن خلال تفحصنا عمله واشتغاله الذي استفدنا منه في بعض المواضع (رغم وصوله إلينا ونحن في المراحل الأخيرة من إنجاز هذه الطبعة)، وجدنا ما قاله في مقدمته من جمعه كل المخطوط والمطبوع لم يكن، في الواقع، صحيحاً، بل مُحاولةً يائسةً لإقناعِ قارئ «تحقيقه» بدقته المنهجيَّة التي سنكتشف أنهُ تخلَّى عنها وضرب بها عرض الحائط في مَتنِ عَمَلِهِ، وبذلك أسقطَ عنه ورقة توت المِصداقيَّة التي تسربل بها «تحقيقه» الذي يَشفُّ عن غرَضٍ أقرَبَ للأدلَجَةِ الدِّينيَّة المُتمَسِّحَة بأبي مُسلم «الفقيه ونصير دولة الإمامةِ» الغابرة، أكثر مِنه «تحقيقاً» ينشد الينبوع الشعريَّ المَحض في تجربة الشاعر.

وفضلًا عمَّا وجدناه من تغيير بعض عناوين القصائد، وتأويل مُفردات الشاعر الواضحة في مقاصدها بمعانٍ أخرى تُناسِبُ غرضه المُضمَر[1] مِنْ «تحقيقه» ديوان أبي مُسلم، فإننا أجملنا خمس نقاط أساسيَّة تَنقُضُ ما ادَّعاهُ في مُقدِّمَته من أمانةٍ موضوعيَّة توسَّلها اشتغاله:

١ ـ حذفه عنوان قصيدة وردت بعنوان: (خمرة الله) ليستعيض بعنوان آخر

---

(١) نكتفي في هذه المُقدمة بإيراد النقاط الخمس، وسَيجدُ القارئ ملحوظاتنا وتعليقاتنا على قراءة شروحات الدغيشي في هوامش المَتنِ الشعري، ضمن شرحنا للأبيات مع إشارة تُحيلُ إلى [بعض الشرَّاح]، اكتفاءً من جانبنا برَمزيَّتها، دون تخصيصٍ في الإشارةِ إليه.

من عِنديّاتِه، كما لو كان حامل لواء استباق وسبقٍ إلى نيل الدَّرجات الفتَّاحَة لمَغاليق أبواب الجَنَّةِ، غفل عنهُ الشيخ العلامة وقاضي القضاة أبو مُسلم البهلاني، لا سمح اللهُ ولا سَمَحَت شاعريَّتُه. فكما يقول كيركيغارد: «معظم الناس يظنون حقاً أنَّ الوصايا المسيحية، مثل: (أحبب لجارك مثلما تحب لنفسك) صِيغت، عن عمد وبشيء من الشدَّة ـ مثل تقديم عقارب السَّاعة ثلاثين دقيقة، كي نضمن أن لا نستيقظ في الصَّباح مُتأخرين! لدرجة أنه بدا لي أنهُ لم يقرأ شاتوبريان، ولم يستوعب ـ فيما لو قرأه ـ أن لا شيء لا يفنى في عبارته: بالنسبة لي، لا شيء يتلاشى في الظل، كل شيء عرفته يوماً يعيش حولي. حسب العقيدة الهندية، حين يأتينا الموت، فإنه لا يفنينا؛ إنه يُصيِّرنا خفيِّين فحسب».

٢ ـ حذفه كافة مدائح أبي مُسلم في سلاطين زنجبار، رغم التعارض والتناقض الفادح في إشارته، آنفة الذكر، في الفقرة رقم [٧] من مقدمته: «**الجمع بين المخطوط والمطبوع**»، فمدائحه في سلاطين زنجبار موجودة بحذافيرها في طبعة ١٩٨٦ التي اعتمدها إلى جانب مخطوطة «مكتبة السَّالمي» المُعتمدة في تحقيقه.

٣ ـ حذفه قصيدة (إلى أبي الحارث) الفكاهيَّة برمزيَّتها في ظرافة تعبيرها عن الحياة الاجتماعية في زنجبار. وربَّما كان سَببُ حذف الدغيشي لها ورودَ مُفردَةِ «السِّيجار» في تلك القصيدة، وهو عُذرٌ أقبحُ من ذنب؛ لأنَّ أبا مُسلم يَعرفُ قبلَ غيره مَواضِعَ الكَلِم في قصائده، ولن يكون بحاجةٍ لشفعةِ أحدهم بحذف ما سَبَقَ لهُ أن قالهُ ونشرَهُ على المَلأ.

٤ ـ حذفه قصيدة (المقصورة)، وهي من القصائد الأساسية التي لم أتفهم أسباب حذفها، لا سيما أنها تتوافق وتنسجم مع «منهجيته الدينية المتزمتة» في محاولة «تأطير» أبي مُسلم في قالب هو الأحرص عليه مِنِّي، على سبيل المِثال، أو مِن «الجهة الرَّسمية» التي نشرت الدِّيوان مَنحولاً ومجزوءاً [عِيني

عينك!]. وإذا ما أردنا إيجاد عُذر له، فربَّتَما كان مَرَدّ ذلك صُعوبة شرحها الذي أَعْجَزَ عُلماء وشعراء وفقهاء عُمان[1] آنذاك، لكنَّ ذلك لا يُعطيه البتَّة حَقَّ حذفها تماماً ليُعطي قارئ «تحقيقه» انطباعاً وَاهِماً بأنها غير موجودة في المخطوطة والأصل المُعتمد، في حين أنها موجودة في كليهما، وهي قصيدة أساسيَّة في نتاج أبي مسلم الشعري.

٥ ـ حذفه قصيدة وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال بعد تاريخه لوفاة الفقيد المرحوم)[2]، وهي قصيدة رثاء للإمام سالم بن راشد الخروصي وترحيب بتنصيب الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، ومطلعها: «قد اهتزت الأكوان وارتعد المَلا | لقتلِ إمامٍ قام لله فيصلا»، وأيضاً لا ندري الأسباب الموضوعية (إن كانت ثمة أسباب) لحذفها، رغم ورودها في المخطوطة وطبعة دمشق ١٩٨٦.

وإذا ما تفهمنا ذرائعيَّته في حذفه المدائح السُّلطانية، وبعض القصائد الاجتماعية خفيفة النبر والنغمة كقصيدة: «إلى أبي الحارث»، وابتدعنا له أوهى الأعذار المُمكنة (وغير المُمكنة) مُسايَرَةً منا لمقاصده من «تحقيق ديوان أبي مُسلم»؛ لَسَلَّمنا بالأمر. لكن المُؤسف أننا لا نجد ـ في المقابل ـ حُجَّةً مُفسِّرَةً لحَذف كُلٍّ من (المقصُورة) ورثاء الإمام سالم بن راشد الخروصي (التي أدمج الشاعر في نهايتها ترحيبه بمُبايعة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي)[3].

والحقيقة أنَّ «تحقيق» الدغيشي جُهدٌ مَحمودٌ، له أفضليَّة السَّبق، لو قُدِّرَ له الانتشار والذيوع بين شرائح عريضة من قُرَّاءِ أبي مُسلم ومُحبِّيه، لكنهُ عَمَلٌ لم

(١) يُقال إنَّ العُلماء والفقهاء والشعراء أعْجَزَتهم لغة المقصورة ومراميها، ناهيك عن مُفرداتها العويصة على الفهم حين وصلتهم من زنجبار؛ لذلك كُلِّف الشيخ منصور بن ناصر الفارسي (الفنجاوي) بتبسيطها لغوياً ونحوياً، لتسهيل وتبسيط قراءة المقصورة الأُلغُوزة!

(٢) **ملحوظة**: غيرنا عنوانها، هنا، ليصير: رثاءُ إمَام وامتداحٌ لبيعَةِ إمَام.

(٣) راجع في المَتن قصيدة «رثاءُ إمَام وامتداحٌ لبَيعَةِ إمَام»، لفكِّ المُلتبسِ حولَها تاريخيا.

يُؤلَّف ـ كما بدا لنا ـ ليُتداول بين العامة، دون خاصَّة الخاصَّة مِنْ مُحبّي وَجهٍ وَاحِدٍ، لا غير من وجوهِ أبي مُسلم المُتعدِّدة، والمُتعذر إخفاؤها (لشموليَّة التجربة) خلف قناعٍ واحدٍ، لن يُقنِعَ أحداً، بالضَّرورة.

[٤]
الشاعرُ بين نفط القبيلةِ وإلِكْترُونِ المُستقبَل

وَعَوداً على بَدءِ القول؛ فنحن نعرف أبا مُسلم ـ [أقصد نَسمَعُ به، كما نسمع الرِّوايات عن أشعاره]، ولذلك نحبُّه ونُردِّدُ بعض أشعاره الكامِنة في الصُّدور، اعتزازاً به وبها في ذاكراتنا التي تحاولُ التعرُّف إليه بدشداشته وعمامته وتصوُّفه واستنهاضه ومدائحه وهجائيّاته وأسلوب عيشه في زنجبار وملحوظاته المَرويَّة نثراً وشعراً على أنساق الحياة الاجتماعية في زنجبار (نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين)؛ لكننا في حقيقة الأمر، ورغم تلك المعرفة المُدَّعاة؛ لم نطلع على نتاجه الشعري كاملًا في إضمامة واحدة تعيدُ لنا ـ قبل أن تعيد إليه ـ مكانته تلك. لأنها ليست مكانة «واقعية»؛ بل مكانة «مُفترضَة» على التخييل في وعينا الشقيّ به وبنا. وهو ما انتبهتُ إليه متأخراً للأسف خلال اشتغالي على تحقيق آثاره الشعرية، لأكتشف أنني سَأشهِمُ مَعَ [مُحبّيه] الآخرين في تكريس الالتباس؛ لو لم أبادر بتكريس وَعْيي الشقيّ لانتشالهِ من شتات التشظي المُسِيء إلى تجربته الرَّائدة. لذلك كانت محاولة الاشتغال على ديوانه الشعري وتقديمه لأول مرة كاملًا في كتاب واحد بعد فشل عقدنا الاجتماعي ـ إن وُجد في أدبياتنا عقد كذاك ـ في تقديمه واضحاً وضَّاحاً غير مُلتبس علينا وعليه.

فإذا ما كان «قرنُنا هو قرن النقد بأتم معنى الكلمة، النقد الذي ينبغي أن يخضع له كُلُّ شيء» ـ كما قال إيمانويل كانط ـ فإنَّ علينا الإعلاء، قبل كل

شيء، من نقد الذات في مراياها المُختلفة، بحيث نرى أنفسنا أولًا لنتمكن من رؤية الآخر الذي سبقنا..

الآخر الذي رُبَّما كان ذاتنا قبل تَمَزُّقِها في مِرآة نقدنا الشفاف لأنفسنا.

لذلك وَجَدتُ أنَّ مُحَاولة تقديم أبي مُسلم - على صعوبتها، حتى في مُواجهة الذات - واجبٌ نقدي صارم في مواجهة الذات قبل أن يكون اشتغالًا جَمَالياً و«وطنياً» أو تصالحياً بين الذات وذاتها الأخرى المقموعة.

أقولُ هذا؛ وأنا مُدركٌ طَوْدَ العوائق التي سألاقيها خلال اشتغالي على تجربته، ومحاولة تقديمها بالصُّورة اللائقة به شاعراً غُمِطَ حَقُّه، وكدت أتراجع عدة مرَّات عن الإجتراء على عالمه الشعري؛ لكنَّ حماستي قادتني لاستكمال أشواط العمل الصَّعبِ كـ«صَعَاضِعِه»، دون أن أُهوِّن من المسافة الفاصلة بيني على سفح جَبَل الشعر وبينه فوق ذروته. وكما قال الأستاذ أحمد الفلاحي في مُستهلِّ[1] مقال له عن أبي مسلم: «الحديث عن علم شامخ كأبي مُسْلِم يجعل من هو مثلي في حالة تهيب وحيرة، فماذا عساى أقول في شاعر ضخم له تلك المكانة العالية والشاعرية المتميزة، من أين أدخل في بحره الزخار وكيف اقترب من سواحله الممتدة والعميقة. إن الدخول إلى عالم أبي مُسلم مغامرة لا يرومها ويقدر عليها إلا الحاذق الفطن ذو الموهبة الراسخة المتمكن من أدواته وقدراته، وأنّى لصعلوك مثلي تلك الامكانات والمواهب، انه اجتراء غير سهل على اقتحام عالم أبي مسلم ذلك العالم الواسع الكبير».

فإذا ما كان الأستاذ أحمد الفلاحي يَستهلُّ مقاله بمُقدِّمَةٍ كهذه، فمن سَيكونُ محمد الحارثي ليَجترئ على أبي مُسلم؟.. وهو تساؤلٌ وجيه أوجِّهُهُ لنفسي في ثنايا مِرآتِها الناقِدَة لذاتها، قبلَ أن يقذف به الآخرون في وجهي.

---

(١) لمزيد من الإفادة؛ راجع العدد ٢٣ من فصلية نزوى الثقافية - يوليو، ٢٠٠٠م. **ملحوظة:** ستتكرَّر الإشارة والاقتباسات من مقال الأستاذ أحمد الفلاحي في هذه المقدمة، اعتماداً على تلك المقالة.

وعليه؛ فإذا ما كان لا بُدَّ من «تكييف» موضوعي للأسباب التي دعتني للاشتغال على مُنجزه الشعري، فإنني سأوجزها في النقاط التالية:

١. مَحبَّةٌ شِعريَّةٌ خالصة، قبل كُلِّ شيء، كي يَظهَرَ مُبتدَعُهُ الشِّعريُّ كاملًا مجموعاً في كتاب واحد دونما عناء لِكُلٍّ من المُهتم والباحث والدارس لشعره في شتات طبعات الدواوين التي غَمَطَ أَغلبُها قامَةً شِعريَّة؛ هي مَصدر فخر لنا ولبلادنا ستتذكره الأجيال اللاحقة، لا سيما إذا تيقَّنا بأنَّهُ أولُ شاعر عُمانيٍّ يَنشرُ ديواناً شعرياً «مطبوعاً» صدر عن المطبعة العربية[1] في القاهرة عام ١٩٢٨، أي بعد رحيله عن هذه الفانية بثماني سنوات، لتظهر طبعتان، فيما بعد، من ديوانه[2] في كلٍّ من القاهرة ودمشق.

٢. رغبتي العارمة في صدور آثاره الشعرية لتصير مرجعاً شعرياً يعود إليه مُحبُّو شعره ممن أحبوه ولم يجدوا سبيلًا إلى قراءته [كاملًا، غير مُبتسر في إضمامة واحدة] سواء كانوا طلبة جامعات أو باحثين أو قرّاء مُهتمِّين بمُنجزه الشعري، تماماً كما سبق لي أن قرأتُ الشعراء النهضويين الكبار في دواوينهم، كالجواهري والبردُّوني وأحمد شوقي وعمر أبي ريشة، على سبيل المثال.

٣. إنصافهُ شاعراً كبيراً، وإنصاف بلادي عُمان التي أنجبت خِيرَة الشعراء والعُلماء واللغويين والمُجتهدين والمُتصوِّفة والمُحققين، الذين نُفاخِرُ بماضيهم ذاك، دون ترسيخه مُعطى تاريخياً يُعوَّلُ عليه من قِبَلِ الأجيال اللاحقة، لأنَّها بالتأكيد لن تُسامِحَنا في ابتسار أعمالهم الفكرية والأدبية واللغوية (لصالح لحظة

---

(١) يُشير الدكتور محمد المحروقي في كتابه «الشعر العُماني الحديث؛ أبو مُسلم البهلاني رائداً»، إلى هذه الطبعة المُبكِّرَة في نهايات عشرينيات القرن العشرين، مُصحِّحاً ما جزم به الشاعر عبدالله الطائي في كتابه «الأدب المعاصر في الخليج» من أنَّ ديوان سعيد المجيزي هو أول ديوان عُماني يُطبع!

(٢) نقصد الطبعتين اللتين عُني بطباعتهما الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى الحارثي؛ (طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٧، وطبعة دمشق سنة ١٩٨٦)، والأخيرة هي الطبعة الأقرب إلى الكمال من كافة الطبعات السَّابقة واللاحقة لها آنذاك.

تاريخية وسياسية راهنة؛ تمحو (فيما تُضيفُ وتَستضيف) ما شاء لها من جَريرَتي المَحْوِ والإضافة.

٤ . تقديمُهُ تجربةً شِعريَّةً خلاقة، بمَحاسنها ومثالبها، دونما اجترار سَاذج «لتقديس» مُنجزها و«أسطرته»، أو «ابتسارها» في واحديَّةِ وَجهٍ واحدٍ من تعدُّدِ وُجوهها التي تُضفي على التجربة، في نهاية المطاف، ثراءها، لا عُقم حَصْرِها في وَاحديَّة مَضائق التأويل.

٥ . أما آخر أسباب اجترائي عليه؛ فهو إثبات قدرتي [لنفسي، قبل إثباتها للآخرين] على إنجاز هذا العَمل بأقلّ وأكثر خسارات الإنجاز كُلفةً قدر المُستطاع، وفي ذلك ضربٌ من ضروب العزاء النفسي والمعنوي لارتكاسات وانكسارات واقعنا الهش[1].

وإذا كان لا بُدَّ مِن استفاضةٍ في القول، فثمة مُلحوظة أخرى قمينة بالتأمُّل؛ تخصُّ أبا مُسلم قدر ما تخصُّني بذات القدر؛ وهي أنَّنِي واجهتُ صُعوبة ليس في تقديمه فحسب، بل في تقديم نفسي (مُشتغلًا على مُنجزه الشعريِّ ومُقدِّماً له). فالوَعْيُ الشقيُّ الذي أَدْرَجَ تُراثه الشعري في أكثر من خانة «إخلاصٍ» و«خيانة»؛ صَنَّفني، أنا الآخر، في رُزمَةٍ شِعريَّة [زمرة، بالأحرى] لا تتوافقُ في أدبيَّات «السَّائد» منهجاً وتأطيراً افترضَ، سَلفاً، عدم قدرتي على التعامل (أو التوافق) مع رمز شعري كلاسيكي سَبقَ الانتهاء (في نظر البعض) من إعادة مَوضعَتهِ شِعرياً، نقدياً وتاريخياً بحيثُ لا تسمح حتى شوارد التَّقيَة بتقبُّلِ مُجازفةٍ لا مَحَلَّ لها مِنَ الإعراب في «هَيكَلِهِ المقدَّس» ـ

---

(١) أودُّ الإشارة إلى حقيقة أنني إلى جانب النقاط السَّابقة لأسباب اشتغالي على هذا المشروع؛ هو تأكيد مُسلَّمة قد لا تبدو واضحة في أذهان البعض، وهي أنني لم أُعْنَ إطلاقاً بما صَار يُدعى في أدبيَّاتِ لَيِّ «المُنطلقات الوطنيَّة» التي قد تُسوِّغُ وتُشَرْعِنُ لي مثل هذه الوقفة مع أبي مُسلم؛ فالعكس هو الصحيح والصحيح؛ لأنني لم أشأ الاشتغال عليهِ «أيقونة وطنية وشعرية»، قدر ما أردت تقديمه كاسِياً وعارياً كما تكوَّن وكَوَّنَ ذاتهُ شاعراً رائداً كما يشي بذلك زخم تراثه الشعري.

ليس لدى «الأطراف» المُشار إلى تعاملها مع تُراثه آنفاً، فحسب ـ بل لدى شرائح عريضة مِن مُتذوِّقي شِعره التي قد لا تتقبَّل أقانيمُ وأنماطُ تفكيرها مسألة اجتراءِ «حَدَاثيٍّ» على رَمزٍ صُوفيٍّ دِينيّ، وَطَنِيٍّ واستنهاضِيٍّ كأبي مُسلم.

لا بأس، ولا ضرر من ذلك ولا ضرار.

وبالتأكيد لن يُدهشني شريط «السِّيناريو» المُتوقَّع لردود أفعالِ هؤلاء وأولئك؛ لأنَّها مُتوقعة سَلفاً؛ ولسبب إجرائيٍّ واضحٍ لا لُبسَ فيه؛ هو أنَّنِي عُرفتُ شاعراً «غير تقليدي»، (إنْ صَحَّ التخفُّف مِن ثقل «تعريفٍ» مُتداول). لكنني، في حقيقة الأمر، لم أَستنكف البَوح عَلَناً بأنَّ ولعي بأبي مُسلم قديمٌ قِدَمَ حُبي للشعر في رَعَوِيَّةِ مُتونه الأولى وعَفويَّتها التي رُبِّيتُ عليها بيتاً بيتاً، ناهيك عمّا أدعوه «تَمَدينُهُ وتَحَضُّرَهُ» الذي رَبَّيتُ صِفة ذاتي وذات صِفتي عليه بين أترابي وأقراني من الشعراء العُمانيين[1] الذين انتهجوا ـ على ما بدا من ظاهر اغترابِ وإغرابِ قصائدهم ـ ذات النَّهج الذي انتهجَتهُ يَنابيعُ أُبوَّتِهم الشعرية (المُتحَققة سَلفاً في مَهاجر أخرى، على غرار مَهْجَر أبي مُسلم) المُؤصِّل لريادة شعرية خالصة كانت طيَّ اللامُفكَّر فيه حتى بالنسبة له، تماماً

(١) في اعتقادي أن شرارة الإبداع الشعري وتوقده اللهَّاب في لغة شعرية مُغايرة تماماً للمعهود في تجربة أبي مُسلم الرياديَّة لم تتحقق في تجارب المُعاصرين واللاحقين له من الشعراء الكلاسيكيِّين، قدر تحقق ريادتها الشعرية في نقيضها [الشكلاني] المُتمثل في تجربة شعرية أخرى مَتحَت ظِلالَ عُصارَتها الشعرية من عُمقِ تجربته الرائدة، وإن تَمَرأتْ وتمَظهَرت في قالب شعريٍّ نقيضٍ لتجربته. فتجربة قصيدة النثر التي انطلقت في ثمانينيات وتسعينيات القرن المُنصرم وهي تجترح لغة تعبيريَّة صادِمَة لم تعهدها ذاكرة المكان، كانت وستظلُّ ـ في تواضُع اعتقادنا ـ أوفى حَفيدٍ شعري تَمَثلَّ تجربة أبي مُسلم في أبعادها الثلاثة: الرِّيادي والمهجري والتجديدي، على حَد سواء. لكنَّ المُفارق، بل المُحزن ـ في سياق كهذا ـ أنَّ تجربة قصيدة التفعيلة المُعاصرة (وهي الأقرب إليه مَناخاً ماتِحاً مِنْ أَردانِ تجرُبته)، لم يُقدَّر لها الاستفادة بما يكفي من إرثه الشعري، لتسبقها مُفارقة تراكم تراثه الشعري، كما قد يُلاحظ الناقد الشغولُ والمُدقِّق في المَرجعيّات الشعرية التي كوَّنت خصوصية وفرادة القاموس الشعري والتخييلي لشُعَراءِ قصيدة النثر المُؤسِّسين.

كما سَتكُون بالنسبة لثلة من أحفاده «العَقُوقِين» لتراثه عن قصد خَتَّمَته الضرورة الشعرية التي دعا إلى بَاطن مُواطنتِها الخالصَة هو نفسه، كيفما تمَظهَرت في «شكلانيَّةِ» تعبيرها الشِّعريِّ المُوازي تأصيلًا، والمُعارضِ تفريعاً اقتضته حُدودُ التجربة في تجليَّات ظهُوراتها، دونما مساس بأصيل المُؤصَّلِ والمُؤثَّلِ في الأعراقِ والإعراق، فيما لو استعرنا من «نُونيَّته» مُستنبَتاً رُوحيًّاً قد ترعى في تخومه انفرادات شمس الزمان، على حَدِّ تعبير المُتنبي.

بطبيعة الحال، لا أقول هذا القول مُحاولة لتماهٍ سَاذج ومَجَّانِي مع تجربته، بل أقوله تأكيداً لحتميةٍ موضوعيَّة وتاريخيَّة ظهرت بعض دلائلها في المُنجز الشعري العماني الحديث خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين وما تلاهما من سنين لم تُكمِل، بَعدُ، عُقدة انعقاد عُقودِها في الألفيَّةِ الثالثة.

فواحدة من البديهيات الباطنة (رغم ظهوراتها)، هي أنَّ الزخم المَعنوي والرُّوحِي لتراث أبي مُسلم سُلِبَ مِنْ بين أيدينا ونحن على غفلة مِنه ومن أنفسنا. وقُطّاعُ طرُقِنا إليه (وهُم ذاتهم قُطّاعُ طُرُقِهِ إلينا)، كانوا وما زالوا بين ظهرانينا. ومَرَامِيهم التي جَعَلت منه ظلًا باهتاً، للأسف (رغم مُحاولات إعلائه أيقونة مُتحَفيّة) لا تخفى على ذي لُبٍّ وبصيرة.

فنماذج شِعره الرَّفيع، في «جَوهَر الشِّعْرِيَّة» Substance du poétisme لم يَنلْ ما يَستحقه من الإعلاء والتقدير اللذين سيعودان ـ لو كان اتساع الرُّؤيةِ والرُّؤيا بقدر اتساع عِبارتهِ الوَسِيع في «النَّفَس الرَّحْماني» واستنهاضيَّاته لإمامةِ سالم بن راشد الخروصي، فضلًا عن مدائحه لسَلاطين زنجبار ـ سيعودان علينا بالنفع، كما سيعود بالتأكيد على مَنْ غيَّبوا تُراثه الشعري عن قصد وسُوء نِيَّة مُتدثِّر بِحُسْنِها، تماماً كما لا تخفى مراميهم لإعادة إحيائه على غير الصُّورة والهيئة التي صَوَّرَ وَشكَّلَ نفسه عليها طوال نضاله الشِّعري والرُّوحي، اختزالًا لتجربته وتحجيماً لاتساعها المعرفي لتُصْهَرَ دائماً في بَوتقةِ البُعْد الواحد، رغم أن تراثه الشعري من الزخم والاتساع بحيث لا يسمحان، جَدَلًا وضرورة،

باختزال تجربته في الواحِديَّة إقصاءً وتغييباً لمُطلَقها المفتوح على شتى المَطالق والمَغالق.

وفي اعتقادنا أن الإشارات لا حصر ولا عد لها في تراثه الشعري والنثري، لأنها ملموسة بالأصابع الخمس، وكافية لفهم اتساعه وتعدُّدِه وعدم حصره في وجهة نظر أو وجهتين أو ثلاث:

وجهة ارتأت تقديمه مبتوراً من وطنياته واستنهاضياته المحفوظة في الذاكرة الجمعية، بل حتى مدائحه النبوية التي شُكِّكَ في مراميها واعتُبِرَت مِن «كُفريَّاتِه»؛ ليَسُودَ النقيض: مدائحه التي قلَّلت من شأنه. ووجهة أخرى ارتأت، تقديمه مبتوراً من مدائحه التي تشكل جانباً هاماً من تجربته الشعرية، لتُظهِرَهُ لنا مُتعالياً في بُعدِهِ الأيْقُونيِّ المتمثل في تَصُوُّفِهِ واستنهاضيَّاته المُعلى من شأنهما دائماً وأبداً، دون أن تُتاح الفرصَةُ لأحفاده أن يتلقفوه «شاعراً واحداً أَحَداً» في مَصدَرٍ وَاحِدٍ في كُليَتِه التي دعا إليها، دون نقيصة نقصان سبَّبهما من آثروا تقديمه لنا شاعراً مَبتوراً عن هُويَّته، دون أن ننسى فئة ثالثة ارتأت السُّكون والارتكان إلى ما سَبَق اجتراحه تعويلًا على ما لا يُعوَّلُ عليه، ليُؤوَّلَ من جديد، كأنما ليتراكم المزيد من غبار الأحذية اللعَّاقة لغبارِ عَلَيا مكانته، فيما تُسيئ بأفاعيلها إلى تُراثه[١].

---

(١) من المؤسف والمُحزن أنَّ الباحثين الأكاديميين العُمانيين لم يَشغلوا أنفسهم ـ حتى بعد مُنقلب الألفية ـ بالتنقيب الحَذِق للاشتغالِ على تراثات أسلافهم؛ انصياعاً، فيما يبدو، لاستغراق [المُؤسَّسَة الأكاديميَّة الرَّسميَّة، **جامعة السُلطان قابوس** ـ مِثالًا ماثِلًا] في انتحالِها لِمُمَاهاةِ جَمهرَة صياغات قرينتِها: «المؤسسة السِّياسية الرسمية»، عوضاً عن إعلاءِ رصانتها وتعاليها الأكاديمي المُتوخَّى؛ والنتيجة الملموسة والمَطمُوسة، في آن هي عدم ظهور جيل من الباحثين الأكاديمِيِّين المُشتغلين على موضوعات كهذه في بلادنا. وقدر ما لا نلومهم (لعدم رسوخ بُنية بحث أكاديمي مُترفع منهجاً وضَرورة على طروحات السِّياسي العابر والزائل، قدر ما نلومُهم على تقاعسهم الذي حدا «بصُعَيلِيكٍ» على شاكلتي ـ لا ينتمي لعَرَاقة أُقنوم أكاديميّ ـ ليطرح نفسه مُشتغلًا على تُراث أبي مُسلم الشَعري، وهي مُفارقة خارِقة؛=

وإذا كان لا بد من الإشارة إلى استثناء جدير بالتنويه في هذه المقدمة، فإنَّنا نؤكد أنَّ الشاعر عبدالله الطائي في مجموعته الشعرية الأولى **«الفجر الزاحف»**[1] كان واحداً من الذين حَدَسوا مُبكِّراً بأهميَّةِ أبي مُسلم البهلاني شاعراً رائداً. لذلك فإن من المناسب، هنا (أرشفةً، لا تفريطاً أو تقريظاً) توثيق صَفحة إهداء الشاعر عبدالله الطائي لديوانه «الفجر الزاحف» بكامله لأبي مُسلم البهلاني.

ومما يُؤسَفُ له، أنَّ [هؤلاء وأولئك] لا يختلفون في شرط وُجودهم المجَّاني حقبة إثر حقبة، لأنهم لم يُحاولوا التَّوَاري (ولو خجلًا) عن اسْتشراف قول المُثقب العبدي لأنهم كما كانوا أبداً، في المَجاز والكنيَة والاستعارة، «مُستحقبي حَرْب» في مُنْهَمَك استشراس حُروبهم الشعواء على تُراث أبي مُسلم البهلاني:

فإنْ تُتْهِموا أُنْجِدْ خِلافاً عليكُمُ وإنْ تُعْمِنوا، مُسْتَحْقِبي الحَرِب، أُعْرِقِ

=قدر ما تستحقُّ التفكُّه، تدعو لسَيلانِ دمعة حُزنٍ استوجبتها سُنَنُ الحَياة وفرائضُها، لولا استثناء حَسَنة الاشتغال المُبكِّر على أبي مُسلم للدكتور **محمد المحروقي** الذي رفد تجربته بالدراسة في المملكة المُتحدة لاستكمال ما عجز عن تحقيقه في معقله الأكاديميِّ دارساً ومُدرِّساً فيه.

(١) نورد، هنا، إهداء ديوان **«الفجر الزاحف»** للشاعر عبدالله الطائي، كما ورد في ديوانه المطبوع في حَلَب عام ١٩٦٦: «إلى الشاعر الذي نادى بحُريَّةِ عُمان، منذ أن أدرك أهداف الاستعمار البريطاني، في مستهل القرن الميلادي العشرين، فحَذرَ وأنذر ونبَّهَ وبَصَّر، فأخذ يُرسل قصائده من مهجره في زنجبار، داعياً لتأييد الثورة ومُساندة زعيمها الإمام سالم بن راشد الخروصي، والشيخ عبدالله بن حميد السالمي رحمهما الله. إلى القدوة الذي نأملُ أن يسير على نهجه شعراء عُمان وكُتابها، فيؤدوا أمانتهم نحو وطنهم ومُقدَّساتهم. **إلى الشاعر المرحوم أبي مُسلم ناصر بن سالم الرواحي العبسي، أقدّمُ هذا الديوان** خطواتٍ أرجو أن تكون مُوفقة في الطريق الواضح الذي رسمه مُستلهماً الواقع الذي وصفه: نقعدُ يشكو بعضنا لبعضنا | وما مفاد من شكا ومن بكى * يا أيها الرَّاعي انتبه، فما بقي | على المراعي ما ثغا وما رغا. وإخالنا، يا شاعرنا الرَّائد، ما يزال ينطبق علينا وصفكَ حتى يمحوهُ الشعبُ الأبيُّ راعينا الأكبر، فلا عجبَ أن يتقدَّمَ إليكَ أحدُ قُرَّائكَ بهذا الديوان. رحم الله الشاعر، ولطف بشعبنا العربيِّ في عُمان».

لكنَّ أبا مُسلم سبق له وأن رأى في أُمَّته ما رآه سَلفه الذي استمرأ في خطابه الشعري المُخاطرة باستخدام ديمُومَة الحرب تعبيراً مُضاعفاً يُضاعِفُ عُنفها حقبة إثر حقبة، في قولِ المُثقب الثاقب: «وإنْ تُغمِنوا، مُسْتخقِبي الحَرِب، أغرِقِ». فالفكرة هي النَّأي عن تأويل مُستحقبي الحرب، كما رأتها رؤيا المثقب العبدي نُبؤءةً ما زالت ماثلةً بين ظهرانينا.

أقصدُ ذلك النَّأي الذي سيصبحُ، في جاهِليَّةٍ ثانيَة، صِنواً لكتابة أبي مُسلم الذي رأى من مَنفاه الزّنجباري بلده المُمزَّق كما رأى في بيته المُوغل في القدم، شاعرٌ مُمَزَّقٌ هَالهُ استِعبادُ الحربِ لقومِه.

لكنَّ الطامَّةَ الجَاهِليَّةَ المُفارِقَةَ؛ هِيَ أنَّ أبا مُسلم لن يعرف إطلاقاً أنَّ استحقابَ الحربِ مُتوارثٌ حتى يومنا هذا. فالحربُ لم تعد مُحقَّبة في التمييز والتفريق بين «تُراثات» أبي مُسلم الشعرية والتلاعب بها في مُحاولات حَجبِ بعضٍ منها عن بعض، لأنها لا تزالُ مُتوارثة، كما كانت في سالف الأيام، وكما هي اليوم في عصر نفط القبيلة وإلكترون المُستقبل.

[٥]

هَلْ كان شاعِراً مَلحَمياً؟

لقد أتاحتْ لي قراءته بتمَعُّن ـ خلال انهِمامي على إعداد آثاره الشعرية للطبع ـ أن أرى رمزيَّة شِعريَّتِهِ في تعددٌ وجُوهها الخلاق. تلك الرمزيَّة التي أتاحت لي (بعد أن جمعت مراياها وقابلتُها وَجْهاً لوَجْهٍ يُقابلُ المُهمَّش)، أن أعيد تثمين وتقدير ينابيع شِعريَّته وظِلالَ شاعريَّته لأرُوزَها ـ إن صَحَّ القول ـ في إضمامَةِ وُجُوهِها المُتعدِّدَة، تلك التي لم أتَفهَّمْهَا ولم أُحْسِنْ إدراكها حَقَّ الإدراك (بسبب تقديمها لي مُجتزأة)، قبل أن أعِي وَأتفهَّمَ أميالَ مَسَافة اختلافي المُسبَق مع بعض مفاهيمه وقيَمِه وطروحاته (التي قد أتفهمها بالتأكيد، لكنني قد لا أَتَّفِق مَعَها تكويناً بالضَّرورة).

لكنَّ مفاهِيمَهُ وقِيَمَهُ وطُروحَاته تلك لم ولن تكون عائقاً، في مُجْمَلِها، كما في سَجَنجَل الجَدَل، لرُؤيةِ وجُوهه الوَضِيئة تلك، رُغم تقديمها لي ـ كما أَسلفتُ ـ مُقنَّعَةً بقناع واحد لم أكُنْ أعرف أنهُ يُخفي أقنعة[1] متعددة قدر ما كان يُخفي وُجُوهَ أبي مُسلم المُتعدِّدَة، على اختلاف مشاربها ومطاعمها فيما لو تشرَّبتُ التجربة جرعة جرعة، وبالطريقة الصحيحة. لأن ما أشربَتْهُ الحياة وأطعمَتهُ، أشْرَبَتنا وأطعَمَتنا إياه بما أرضى وأرضى، هنا وهناك على حَدٍّ سواء.

لذلك أستطيع القول أن انهمامي به جَذَّرَ ـ ولو بَعدَ لأيٍ ولأيَيْن ـ إحساسي بالبُنُوَّةِ المُخلِصَةِ لِتراثه الشعري حتى تمكَّنتُ من التَّأقلُم مع تبعات تلك الأبوةِ في بُعدها الشعري والمَفاهيمي والأخلاقي. ولن يكون عَسيراً تفسير ذلك الانشطار في ذاكرة التكوين، على علّاته الكثيرة، فقد كانت له حسنة تراءت لي حُلماً لن أنساه: أن أرى، قدر المُستطاع، تراثه الشعري مَنشوراً ومُتاحاً لقرائه ودارسي شعره، دون تمييز بين الشاعر الاستنهاضي والمُتصوِّف والهجَّاء والمَدَّاح والرّثاء والمُتغزل فيه.

في شبابنا كُنا نقرأ الشعراء الجَاهِليّين وشعراء العَصرَيْن الأموي والعبَّاسي ومن بعدهم شعراء النهضة الذين تمكن حُضورهم (القريب والمُتزامِن في/ ومع وجدان مواطنيهم) أن يتملكهم: شوقي، البارودي، خليل مطران، وفيما بعد عمر أبو ريشة، محمد مهدي الجواهري، عبدالله البردُّوني إلى آخر القائمة التي بلغت ذروتها لاحقاً في المُعاصِرين آنذاك: بدر شاكر السَّياب، صلاح عبد الصبور، خليل حاوي، نزار قباني، أمل دنقل ومحمود درويش، لكن السؤال

---

(١) لقد بدا لي نتاج أبي مُسلم الشعري في تعدُّد وجوهه (المطموس منها، والمُعلى مِن شأنه) في الصورة التي وصل من خلالها نتاجه إلينا، قريباً مِن نتاجِ شاعر البرتغال الكبير فرناندو پيسّوا؛ الذي اختار عن وعيٍ حَيَّرَ دارسي شِعره اختيار «أنداد» شعريِّين له، كتبوا بأسمائهم الوهميَّة: ريكاردو ريِّش، ألبرتو دو كاييرو، برناردو سواريش، في حين أنَّ الكاتب الحَقيقي لتلك القصائد كان دائماً وأبداً هو الشاعر فرناندو پيسّوا، وإنْ اختلفَ حالُ المَقصد بين الشاعرين.

وظِلَّهُ في التسآل ظلّا خاليَي الوِفاض حين نُسألُ ونُجيب بفم مليئ بماء عن حقيقة وجود شاعرنا (المُوازي لهم والمُمثل لنا من عدم وجوده) في قلب تلك التجربة.

فهو موجود وغير موجود، «ظاهر» و«باطن»، بعيد وقريب، كبير وصغير، مُستخضَر ومُغيَّب[1]، مُدْرَكٌ وغير مُدْرَك؛ لدرجة أننا لم نستطع، حين نُسألُ، حتى إحياء هذه الجملة من مَواتها: **هذا شاعرنا!** لأننا بعد مرور ما يقل بأعوام قليلة على المائة عام من وفاته في ١٩٢٠ لم نُغلِ من شأن مَراتبه كما أعلى هو مِن شأونا ومراتبنا. والنتيجة؟..

سأترك الإجابة عنها، وسأتجاوزها حتى يأتي يوم يُعرَف فيه شعر أبي مُسلم أكثر من تلك المعرفة الساذجة؛ في عبارة ذيوعه الشهيرة لذاتها، دون ذاته وَصِفتِه، لأنني حاولتُ، قدر المُستطاع، كما قالَ **المريضُ الإنكليزي** لمُمرِّضته حَنّا؛ وهي تقرأ له على فراش المرض: «**اقرأيه ببطء. يَجب قراءة كيبلينغ ببطء. راقبي أين تقع الفواصل، بهذا ستتمكنين من اكتشاف الوقفات الطبيعية. إنه كاتبٌ يَستخدم المحبرة، لذا فهو يرفعُ بَصَرَهُ عن الصَّفحةِ مِراراً**» ـ كما ورد في رواية الكاتب مايكل أونْدَاتجي[2] الكَندِيِّ السّريلانكِيِّ الأصل.

وبدوري؛ حاولتُ أن أقرأ أبا مُسلم ببطء قد المُستطاع، كما قرأ المريض الإنكليزي قصائد الشاعر كيبلينغ، لأنني عثرتُ، لا سِيَّما في الإلهيَّات على تلك «الوقفات الطبيعية» التي كانت نتاجاً لأسلوب الكِتابة الذي يستوجب

(١) أتقصّدُ، هُنا، إيراد مُفردة «**المُغيَّب**» لا بمعناها القاموسي المُباشر فحسب؛ وإنما بظلال مَعانيها في الذاكرة الجمعية العُمانيّة حَول السّحر و«المغايبة»؛ وهُم المسحورون الذين يَهيمُون بأطيافهم حول الحارات والأفلاج في القرى التي عاشوا فيها حياتهم، قبل أن يَسحَرَهم سَاحِر البلدة، كما يَشاءُ التأويلُ الغامِضُ والسَّاحِرُ تفسير غيبتهم المُفاجئة والفاجعة.

(٢) رواية مايكل أونداتجي تحوَّلت إلى فيلم بعنوان «**المريض الإنكليزي**» The English Patient تدور أحداثه بين مصر، ليبيا وإيطاليا خلال الحرب العالميّة الثانية.

وقفات بين غمس الكاتب لريشته في المحبرة والعودة للكتابة بها. وهي مَزيَّة - استفاد منها كيبلينغ وأبو مسلم - لكن، لا يبدو أننا سنتمكن من الاستفادة منها على لوحة المفاتيح وشاشتها الكريستالية، بذات الشاكلة لنتمكّنَ من «اكتشاف الوقفاتِ الطبيعية»، على حَدِّ تعبير «المريض الإنكليزي».

كنتُ أقرأ خلال إعدادي لهذه المُقدِّمة كِتابَ **«صنعة الشعر»** للأرجنتيني خ. ل. بورخيس[1]، وهو عبارة عن محاضرات تتمحور حول فن الشعر. وقد لفت انتباهي اشتغاله على كتاب «ألف ليلة وليلة» وعلى الشاعر راوياً ملحمياً يُؤرخُ لأحداث عصره. لكن ما جال في خاطري (وهو يَسرد الأمثلة عن عدم انقطاع الناس عن شغفهم بالشعراء المَلحَميِّين)، هو أن لدينا في عُمان شاعراً مَلحَمِياً بامتياز، كففنا - نحنُ الذين لأجلنا صاغ ملاحمه الفردوسيَّة والجَحيميَّة - عن اعتباره شاعراً مَلحمياً، بسبب تفكيكنا المُمَنهج لنتاجه، تصنيفاً وتأويلاً، إضافةً وابتساراً، انتحالاً وإعلاءً بُولِغ فيه جَهلًا لا حُجَّة تُثبِتها سوى حَجَّتِها المُشَرْعِنَةِ لوُجُوبها فرْضاً أو سُنَّةً من سُنن جَاهليَّتنا الثانيَّة؛ بحيث لا يصير شاعراً يحتملُ في نتاجه «المجموع» رؤيتنا إليه شاعراً لن تخذله أساطير الملاحم مَجازاً مُتحققاً أو استعارةً في غير مَحَلِّها مِنْ تواتُرِ إعراباتنا الفجائعيَّة.

لذلك طاب لي أن أستعير هذا المفهوم «الملحمي للشاعر» من بورخيس، لأنني أدركتُ أننا لم نُعطِ الفرصة لأبي مُسلم كي يكون شاعرنا الملحمي بسبب تشظِيَتِنا المُمَنهَجة لتراثه الشعري إلى «تراثات شعرية»، رغم ادِّعاَء وعينا الجَمعيّ الكذاب انتشالاً يُلملم شمله شِعرياً وتاريخياً ومَلحَمياً، على حَدٍّ سَواء.

---

(١) خورخي لويس بورخيس، صنعة الشعر، ترجمة صالح علماني - منشورات المدى، دمشق، ٢٠٠٧.

حسناً. . .

لن يتسنى لي أن أورد، هنا، ما قاله بورخيس في واحدة من محاضراته السّت التي ألقاها خريف ١٩٦٧ في جامعة هارفرد، بل سأختصر اقتباساً من الخاتمة التي أنهى بها إحدى مُحاضراته تلك: (وكي أُنهي ـ يقولُ بورخيس ـ لديَّ عِبارة للقدِّيس أغوسطين، أظنها تتفق إلى حد الكمال مع ما أعنيه: **«ما هو الزمن. إذا لم تسألوني ما هو، فإنني أعرفه. وإذا ما سألتموني ما هو، فإنني لا أعرفه»**. وبدوري أعتقد الشيء ذاته في الشعر).

وهُنا، يَستعيد فِيَّ الغُلامُ ما قاله الشيخ الأعمى بورخيس؛ وأكاد أنْ أُسَلِّم، جدلًا، بما اعتقدته (بالأحرى ما تعاقدت مع نفسي عليه) عن أبي مُسلم البهلاني؛ وهو أننا جميعاً لم نعطه الفرصة [وصيغة الجمع مُتقصَّدَة، لأنها مُشتملة، بالضَّرورة، عَلى مثالب اشتغالي عليه]؛ ليكون الشاعر النِّحْرير فينا؛ اختلفنا أو اتفقنا في ضِياءِ وظلامات وجوهه المتعددة، لكننا يقيناً لم نعطه الفرصة لنحظى واحداً واحداً بوجههِ الواحِدِ الأحَد في أُيقونيَّة تعدُّديَّته ومُنفسَحِها. فعبارته صَمِيميَّة أستعيرها قصداً، هنا، من بورخيس الأعمى في تَبَصُّره، والبَصير في عَماهُ وتعامِيه.

[٦]

أساطيرُ المدائح النبويَّة

من اللافت في تجربة أبي مُسلم مدائحه النبوية وأساطير الخلق المُحمَّدي التي أفرد لها حيزاً ليس هيِّناً في مُنجزه الشعري. ففي اعتقادنا أنه ـ إثر اشتغاله في النفس الرَّحماني ـ وجد المُتنفس الخلّاق للتعبير بحُريَّةٍ بالغة عن حُبِّهِ لخاتم الانبياءِ وأسْطَرَته المُبالغ فيها شعراً واعتقاداً تماهى الشاعر في قَصَصِه التي أوردها عن فكرة خلق سيد الخلق محمد (ص)، لدرجة اعتقاده، بل محاولة إثبات اعتقاده ذاك عبر منظومة فلسفية ذات نسقٍ مُغرٍ بتتبُّعها كتتبُّع المرء

الملاحم والأساطير اليُونانية، عدا أنه سيكتشف، في آخر المطاف، مدى يقين الشاعر بصحة اعتقاده.

وهي لعَمري من أفضل ما كتبه شاعر ضمن ما يُصنَّفُ «مدائحَ نَبويَّة»، لأنها خارقة شعرياً وملحمياً - إن صحت الاستعارة - بل إنها مُستفِزَّة للذائقة الطروب إلى المُتعارف عليه آنذاك. والدليل المَاحِق على استفزازها البعض، هو قِلَّة انتشارها وترديدها بين مُعجبيه ومُريديه ومُحبِّيه. فنحن لم نسمع عن استخدامها مادة للترداد في الأناشيد النبوية، رغم أنها تحتوي كافة عناصر الأسطرة في خلق النبي محمد(ص).

وفي اعتقادي أن المُبالغة - المُدعَّمَة ببراهين شعرية - حول استعادة أبي مُسلم أساطير خلق خاتم الأنبياء واستدعائها واحدة بعد أخرى، لدرجة الإفصاح في إحدى قصائده أنَّ قضية خلقِ الكَونِ (بكافة عباد الخالق ومخلوقاته غير العاقلة بما في ذلك الأنبياء)، ليست إلّا تِعلّة مَنطِقيَّة للظهور الأرضي لسيِّد الخلق وخاتم الأنبياء!

فهو يقترح في قصيدته «النشأة المُحمَّديَة» المُرحِّبة بمقدم خاتم الأنبياء فكرة خلق الوُجود قاطبة لأجله، كما في هذا البيت:

أهلاً بِمَنْ خُلِقَ الوُجُودُ لأَجْلِهِ سِرُّ الوُجُودِ وَفاتِحُ الأَقْفَالِ

ولا يكتفي بذلك إلماحاً، بل إنه يُسبغ على شخص [المُصطفى] صفاتٍ اختُصَّ بها الخالق وحده، ليسترسل في مُغامَرَة ترحيبه بالرَّسُول الذي أغنى العالمين بكرمه دنيا وآخرة، فضلًا عن يقينه بأنَّ حُظوظهم مقسومة بيديه، قبل أن تكون قسمة الحُظوظ في يد بارئهِم:

أهلاً بِمُغْنِي العَالَمِينَ بِجُودِهِ دُنيا وَأُخرَى غُنيَةَ المِفْضَالِ

فَعَلَى يَدَيْهِ حُظُوظُهُم مَقْسُومَةٌ حتى السَّعَادَةُ قِسْمَةَ الأَنفالِ

وَعَطَاؤُهُم مِنهُ عَطاءُ مُبَرِّرٍ وَحُقُوقُهُم مِنهُ حُقوقُ عِيَالِ

وفي قصيدة أخرى يقول، فيما يقوله، عن سَبقِ خلق النبي محمد(ص) في سَرمديَّة الدار الآخرة قبل ظهوره الدُّنيَوي:

يـا مَـنْ بِـهِ بَـشَّـرَتْـنـا الأنـبـيـاءُ وَكَـمْ ... شَـدَتْ بِـهِ الـجِـنُّ فـي بَـدوٍ وفـي حَـضَـرِ

يـا مَـنْ بِـهِ أَخـبَـرَ الـكُـهَّـانُ وَهُـوَ عَـلَـى ... أَرَائِـكِ الـغَـيْـبِ لـم يَـبْـدُرْ مِـنَ الـسُّـتُـرِ

يـا مَـنْ تَـقـدَّمَ نُـوراً فـي حَـظـائِـرِ[1] نُـو ... رِ اللهِ حَـتـى تَـلَـقَّـاهُ أَبُـو الـبَـشَـرِ

ففي هذه الأبيات نَراه يُشيرُ بوضوح إلى الإشارات الدالة على ظهور النبي محمد كروايات كُهّان النصارى بقرب ظهوره، فيما يتقدَّمُ نُوراً في حضائر نور اللهِ حتى تلقاهُ أدم أبو البشر. واللافت، هنا، هو تعبيره الشعري البديع: (أرَائِك الغَيْب) التي كان الرَّسول(ص) مُستريحاً عليها قبل ظهوره الدُّنيوي.

وللتدليل على وُجود علامة استفهام تشكُّكِيَّة حول «مُبالغات» أبي مُسْلم في إعلاءِ ذاتِ النبي مُحمد (ص) ووصفهِ له، كما يرى البعض، بـ«صفات تأليهيَّة»؛ سيبتدر أمامنا سؤالٌ وُجِّه إلى مُفتي السلطنة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي[2] ألقاها في معهد العلوم الشرعية بعنوان: «أضواء على حياة العَلّامَة أبي مُسلم البهلاني»، قال فيها سَائِلُ المُفتي:

ـ وجدنا في الفترة الأخيرة من يُوجِّهُ بعض الانتقادات على أشعار الشيخ [أبي مُسلم] من حيث إنها تحتوي ـ على حد زعمهم ـ على بعض الشِركِيَّات كوصف النبي(ص) بصفات الله؟

---

(١) التزمنا بما ورد في الأصول المطبوعة والمخطوطة، لكننا نعتقد أن الشاعر قصد «حضائر» نور الله ـ من الحَضْرَة النورانيّة ـ وليسَ «حظائر» من الحَظر، والفرقُ بيِّنٌ رغم عدم ملاحظته لصعوبة تفريق بعض النسّاخ بين حرفي «الظاء» و«الضاد».

(٢) مُحاضرة ألقاها مُفتي السلطنة أحمد بن حمد الخليلي بمعهد العُلوم الشرعية في مسقط، يوم الأثنين ٤/٢/٢٠٠٢. راجع في **المصادر والمراجع**: مجموعة باحثين، قراءات في فكر البهلاني الرواحي، الطبعة الثانية، المنتدى الأدبي بسلطنة عمان، ٢٠٠٦. (حصاد الندوة التي أحياها المُنتدى الأدبي تكريماً للمرحوم أبي مُسلم البهلاني الرواحي في الفترة ١٧ ـ ١٨، ديسمبر ١٩٩٤م).

ـ **جوابُ المُفتي**: لم يَصفهُ بصفات الله، ولكن الشيخ أبو مُسلم لحبّهِ الزائد للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وتعلقه بشخص الرسول (ص) يصفه بصفات عالية، إلّا أن هذه الصفات لم تخرج عن كونها صفات بشرية، وليسَ منها ما هو من صفات الألوهيَّة.

وكما قد يُلاحظ المرء؛ فإنَّ رد مُفتي السلطنة لا يَقلُّ تِقيَّةً وتوريَةً عن ردٍّ أيِّ ديبلوماسيٍّ عتيد يَحسبُ لكُلِّ كلمة حسابَها. لأننا نَحسبُ أن المُفتي أدرى مِنْ سِواه بالمَنحى الذي انتحاهُ أبو مُسلم في مدائحه النبويَّة، لا سيَّما في مَتحِها الواضح مِن تُراث الشيعَة (إسماعيليَّة واثني عشريَّة)، خصوصاً في أخذه بمبدأ **«العِصمَة»** الذي يُؤمِنون به في النبي محمد (ص) والإمام علي بن أبي طالب وأحفاده[1]. فالحقيقة أن أبا مُسلم أسبَغ على النبي، ما يقترب به من صِفات الألوهة انطلاقاً من مبدأ العصمة المُشار إليه. بل أنه زاد على ذلك في اعتقاده بتحوير مشيئة الخالق وتراتب خلقه من آدم هُبُوطاً مُتسلسلًا إلى رسله وأنبيائه الذين يختتم بهم محمد الرسالات السماوية. فأبو مُسلم يَرَى أنَّ الخلق مجرَّد تِعِلَّة لخلق سيد الخلق، وأنه أول المخلوقين ـ بعبارة تتضح من سياق مدائحه النبوية ـ وعليه فإن رَدَّ المُفتي لا يعدو أن يكون استصغاراً للسَّائل، وتهرُّباً من تفاصيل هو الأعلم بها أكثر من غيره.

والحقيقة أنني قدر ما تقبَّلتُ استبعاد قصائده الاستنهاضية من قبل **«المُؤسَّسة الرَّسمية»**، كما تفهَّمتُ، فيما بعد، استبعاد مدائحه فيمَن رأى أبو مُسلِم اتصافهم بالعدل النسبي من سلاطين زنجبار؛ لم أستسغ مُتوالية إقصاء

(١) إضافة إلى مدائحه النبويَّة، راجع قصيدته «النهروانيَّة»، حيث يتجلى أبو مُسلم، بوجه آخر، في عِتابه الشفيف للإمام علي بن أبي طالب، ليؤكد في قصيدته تلك ما يذهب إليه الشيعة دون سواهم من المذاهب حول أحقية الإمام علي بالخلافة بعد النبي محمد (ص) دون انقطاع، اعتماداً على حديث الغدير الذي أشار إليه في أحد أبيات النهروانيَّة.

بعض مدائحه النبوية من كلا المُؤسَّستين: «الدينيَّة والرَّسميَّة»؛ لأنَّ الشاعر أبان عن موقف لا يلائمُ طبيعة المُؤسَّسَتين اللتين تريدان تطويعَ تراثه الشعري مع ما يَنسجمُ وأطروحاتهما السياسية والمذهبيَّة؛ وهو خللٌ أبانَ عن تواطؤ هذه وتلك في محاولة تجيير أعماله لصالح منافعهما الدُّنيَويَّة والأخرويَّة، على حَدٍّ سواء.

لكنَّ أبا مُسلم أحبط مُخططات كلا المُؤسَّستين اللتين أرادتا استغلاله في الموضع الذي لم يخطر في بال كليهما مقصداً ومأرباً مُحتمَلًا لفشل الخطة المُزدوجة؛ وهو **مدائحه النبويَّة** التي اتفقت على إقصائها من تراثه الشعريِّ كلا المُؤسَّستين. ورغم أنني لا أريد الشطح والذهاب بعيداً، لكنني أكاد أقول إنهُ استشرف، سَلَفاً مُخطط هؤلاءِ وأولئك فجعل فجَّيْهِما في مأزق شعريٍّ لم ينتبها له؛ فكُلٌّ من الفريقين عُني بحذفِ ما يخصُّهُ ويُؤذيه من تراث أبي مُسلم. وهي جريمة مُزدوجة، لا أبالغ إنْ قلتُ إنَّ بعض عُلماء الإباضيَّة الرَّسميِّين، وعلى رأسهم مُفتي السَّلطنة وحَواريِّوه وأتباعه شاركوا بتمويهها والصَّمت عليها، وهو ما تنضحُ به ردود الشيخ أحمد بن حمد الخليلي[1] على أسئلة

(١) عادةً ما تُسبغ على بعض الشخصيات السياسية والدينية صفات خارقة للعادة، تلميعاً لحضورها الطاغي في الحياة العامة. وهي صفات لا يمكن للعقل أن يُصدِّقها، لو تفكَّرَ المَرءُ فيها مَلياً بأدوات العقل المَحض. من ذلك ما ورد في كتاب: «زنجبار، شخصيات وأحداث»، لمؤلفه ناصر بن عبدالله الريامي، ص: ٢١٢، ٢١٣ في ترجمته للشيخ **أحمد بن حمد الخليلي**، متحدثاً عن الخوارق التي تجلت في شخصية «الطفل» أحمد بن حمد الخليلي وهو لم يتجاوز الأربع سنوات، ليروي (اعتماداً على رواية زايد بن سليمان الجهضمي في مؤلفه: من معالم الفكر التربوي، ٢٠٠٣) المؤلف موقفين يُحيِّران كلَّ ذي لُبٍّ وبصيرة. **الموقف الأول**: في يوم وفاة جَدِّهِ لأمه، كان الشيخ [أحمد بن حمد الخليلي] ابن ثلاث سنوات ونصف السنة، حيث بَدَت له حاجة مُلحَّة لأمه، التي كانت جالسة في قِسم من أقسام المنزل، فأخذ يناديها بإلحاح؛ فما كان من الأم إلا وأن ردَّت عليه بما معناه، أن يتقدم إليها ليخبرها بما يُريد؛ هنا ظهر رد الشيخ الفتى، الذي لا يمتري فيه اثنان، من كونه من وحي ربَّاني؛ حيث قال مُستغرباً: وكيف له أن يدخل عليها وهي جالسة مع النسوة. سبحان=

مُباشِرة عن «**كُفريَّات الشيخ أبي مُسلم**»، كان الأجدر به ـ وهو العَالِمُ العَلّامَة والفهيمُ الفهَّامَة ـ أنْ يَرُدَّ عليها بميزان عِلمِهِ، لا بميزانِ تِقيَتِه ومَظنَّتِه.

وبالنسبة للمسألة المُتعلقة **بمدائحه النبوية**؛ فإنني أجد نفسي مُنسجماً (على الصَّعيد الشعري، حَصراً وتحديداً) مع شطح أبي مُسلم وتفسيره الأسطوري لفكرة الخلق، لدرجة اقترابه من حواف الخرافة، لا سيما في اعتقاده بأن خلق الكون برمَّته ليس سِوى مقدمة وتهيئة ربَّانية لخلق سيد الخلائق وآخر النبيِّين محمد (ص). ومنبع انسجامي مع رُؤيته الشعرية هو اعتقادي بحُلولِ أبي مُسلم في حَلٍّ توافقيٍّ لأسئلته الوجودية المُستغلقة؛ تلك التي لم يجد لها أجوبة شافية في حُلول المتصوِّفة ينسجم ويتقاطع مع التزامه العقدي بالمذهب الإباضي فأطلق عنان مُخيلته الجامحة في موضوعة لا تشوبُها، ظاهرياً، شائبة: مديح المُصطفى المُختار. لكننا إذا ما نظرنا إلى تلك المدائح بعين ناقدة

=الخالق، فلقد وقر في نفس الشيخ، منذ نعومة أظفاره، بأنه لا يجوز له شرعاً اختراق مجلس النساء»! **الموقف الثاني**: «يُشيرُ بغرابة أكبر إلى نُبوغه المُبكر، بل وإلى عِلمه الفطري بأحكام الشريعة الإسلامية. فعندما ناهز عمره [أي عُمر الشيخ أحمد الخليلي] الأربعة أعوام تقريباً، اصطحبته أُمُّهُ إلى موقع في الخلاء، تحت ظلال الأشجار، لحظور [هكذا في الأصل، والصواب: لحضور] حفل كان قد أقيم بمناسبة المولد النبوي الشريف. جلس الرجال في جانب، والنساء في جانب آخر، كما هي عادة العُمانيين، المُستقاة من أحكام الشريعة. ونظراً لكون والد شيخنا لم يحضر معهما ذلك الاحتفال؛ لانشغاله في طلب الرزق، في مكان بعيد عن الحِلَّة؛ فقد تبادر إلى ذهن الغلام [أي الشيخ أحمد في عُمر أربع سنوات] ما إذا كانت والدته استأذنت والده بالخروج من عدمه. نقل الغلامُ التساؤلَ إلى والدته، فأجابته: بأنَّ بُعدَ والده عن الحِلَّة [حِلَّة Mfenesini في اللغة السَّواحِليَّة، أو **الفِنسَة**، كما يدعوها العرب]، حال دون الاستئذان؛ مُوضحةً له بأن أباه، ما كان ليمنعها عن الخروج لحضور مثل تلك المناسبة الدينية، لو كان موجوداً. لم يقتنع الغلام بهذا التبرير الافتراضي، فانفجر في بُكاءٍ مَرير، لم يُهديه ويعيد الإبتسامةَ والبشاشةَ إليه، سوى عندما قرَّرت أُمُّهُ الانصياع إليه وترك المناسبة فوراً، والعودة معه إلى المنزل». **ظِلالُ تعليق**: بالتأكيد لا تعليق لدينا على مثل هذه الخوارق التي اختصَّ الله بها بعضاً من أنبيائه، وليس جميعهم، ولأغراض إقناعية في مواجهة مُناوئيهم.

مُتفحِّصَة لاستطعنا استشفاف طبيعة الأسئلة الوُجُودية التي كانت تؤرِّقه، لنكتشف قيمتها الإبداعية، بل سرياليَّتِها المُكثفة في شطحِّها عالي الوتيرة على نفر من أهل المَذهب الذين تجاهلوا فيوض مدائحه النبوية إقصاءً أو بَتراً لها من مجموع قصائده التي أعلى فيها مِن شأن ذاتِ ممدوحه النبي محمد (ص)، لأنه أسقط في إهَابِهِم إضمَامَة الشُّكوك الفلسفيَّة التي سَاوَرَته، وإنْ تمظهرت مدائح نَبويَّة صادقة حتى في شطحها الذي لم يَستسِغهُ البعض ليُعتبر «كُفريَّات» لا تَليقُ بالشيخ وقاضي القضاة أبي مُسلم.

[٧]

تصوُّفه بين حَقيقةِ المَجَاز ومَجَاز الحقيقة

قبل التطرُّق إلى منهاج التصَّوف الذي انتهجه أبو مُسلم، سنفتتح هذا الفصل من المُقدمة بما أورده الناقد العِراقي د. ضِياء خضيِّر في كتابه: **«وردة الشعر وخنجر الأجداد**[١]: دراسة في الشعر العُماني الحديث»: **«ربما كان حريًا بأولئك الذين يتحدثون عن التجربة (الصوفية) و(السلوكية) في شعر أبي مُسلم أن يتحدثوا عن شعر ديني تعبُّدي لا عن تجربة صوفيّة أو سلوكيّة، لما نعرفه من خصوصية التجربة الصوفيّة والضرورات التي تجعل صاحبها منقطعاً عن العالم، مستعداً للتضحية بنفسه في بحر الذات الإلهية عن طريق الوجدان والكشف، وما يتصل بهما من تجارب وجوديّة حميمة لا تقبل المهادنة، ولا اللعبة الفنية والجمالية التي ينطوي عليها الشعر. صحيح أن أبا مسلم يمتلك مثل أي شاعر كبير رؤية وتكشف قصيدته، كما قدّمنا، عن بنية وجدانية عميقة، وأن بعض نصوصه قريبة فعلاً من المنحى الصوفي، ولكن ذلك يختلف عن محاولة**

(١) د. ضياء خضير، وردة الشعر وخنجر الأجداد: دراسة في الشعر العُماني الحديث، وزارة التراث والثقافة، مسقط ـ ٢٠٠٦م، ط١.

المتصوفة الدائمة الذوبان في بحر الذات الإلهية وحشد الطاقة الروحية من أجل الانجذاب نحو ما هو مطلق. في حين أن الرجل ينطلق في تجربته الدينية من جوهر إسلامه الحنيف وتقاليد مذهبه الإباضي خاصة، ومن شخصيته المتفرّدة بوصفه رجل دين وفقيها زاهدا ورعا. وبعض أشعاره في هذا الجانب مجرد أدعية وأوراد وتسبيحات لا تهمه فيها طريقة النظم ونوع الكتابة الشعرية قدر اهتمامه بهدفها ودلالتها التعبدية. لقد تأثر أبو مسلم بمصطلحات الصوفية ومناهجهم في الكتابة الشعرية، وكان مثاله في ذلك هو سعيد بن خلفان الخليلي المتأثر بدوره بحجة الإسلام أبي حامد الغزالي في هذا الجانب. غير أننا نعتقد أن أبا مسلم يتشبه بالصوفيين أكثر من كونه صوفيا، ليس فقط لأن ذلك يتناقض كما قلنا مع مذهبه الإباضي الذي لا يرتاح أصحابه إلى التصوف بمعناه الذي يتجاوز الزهد والنقاء الروحي، وإنما أيضا لأن أبا مسلم لم يكن رجلا منقطعا عن الدنيا بل كان قاضيا ورجل دولة فترة طويلة من حياته. وكتبه الفقهية العديدة التي ألفها أثناء ذلك وبعد خروجه من الوظيفة تشهد على التزامه بعقائد السلف الصالح والسنة المحمدية المطهرة التي لا مجال فيها للشطحات والمبالغات الخاصة بوحدة الوجود ومحاولة الاتصال بالذات الإلهية عن طريق الوجدان والكشف. لقد ورّطَ أبو مسلم، إذا صح التعبير، الألفاظَ والمصطلحاتِ الصُوفيةَ أكثر من السُلوك والموقف».

أوردنا هذه الفقرة، لأهميَّتها، من كتاب د. ضياء خضيّر المُشار إليه، لأنها تُمثلُ رؤية نقديَّة لافتة كادت تجعلنا نعتقد بأنه واعٍ بمسؤوليته النقديَّة والتاريخية. والحقيقة أنه لا بُدَّ لنا من التنويه والإشارة إلى أنَّ ما طرحه د. خضيّر، في كُلِّ الأحوال، مُتقدمٌ نقدياً (فيما لو قُورِنَ بسَابقيه) حول تقييم أبي مُسلم واعتباره مُتصوفاً أم لا؟

لكنَّ اتفاقي أو اختلافي حول طرحه لا ينطلقان، إطلاقاً، من أُقنومَي الاختلاف أو الاتفاق معه حول تجربة أبي مُسلم؛ بل من صَميم نُصوصِهِ التي

تُثبتُ خُروجاتهِ البيّنَة على مدرسة أشياخه: سعيد بن خلفان الخليلي، وجاعد بن خميس المتأثرة بدورها ـ كما أشار د. **خضيِّر** نفسه ـ بحُجَّة الإسلام أبي حامد الغزالي [وابن الفارض]، لكننا لن نتمكَّن من التَّرحُّل بعيداً مع د. خضيِّر في اعتقاده بأنَّهُ «**يتشبه بالصُّوفيين أكثر من كونه صُوفيا**»، لمُجرد الاتكاء على أنساق مقولات نقديَّة جَاهزة يُمكن استحلابُها مِن بَقرَةِ عَدَمٍ وَوُجُودٍ أُعدما لإثباتِ ما لا يَستحيلُ إثباته على الناقد المُتمرِّس في بحبوحة البَصِيرة والعَمَاء؛ بحُجَّةِ «**أنَّ ذلك يتناقض كما قلنا مع مذهبه الإباضي الذي لا يرتاح أصحابه إلى التصوف بمعناه الذي يتجاوز الزهد والنقاء الروحي، وإنما أيضا لأن أبا مسلم لم يكن رجلا منقطعا عن الدنيا بل كان قاضيا ورجل دولة فترة طويلة من حياته**» ـ كما يُؤكد خضيِّر في كتابه، آنف الذكر.

صَحيح أنَّ أبا مُسلم لم يَكُن ذلك المُتصوِّف المُنقطع عن الدُّنيا؛ لكنها خصيصة لصالحه فيما نحسب، ولا ينبغي لها أن تُضافَ جَريرَةً داعمة لما سبق لبعض الإباضية المُتحفظين قوله في هذا الشأن، دونما مُناقشة لفكر الشاعر ورؤيته وفلسفته التي دعته لتلك الخروجات عن صراط المذهب الذي تُقلِّلُ «كُفريَّات أبي مُسلم» من فرضيَّةِ استقامة المَذهب في عُيونِ أهله.

فالواضح من نصوص الشاعر أنها لا تُجاملُ أحداً؛ لأنها تنحو منحى آخر غير الذي أقحمَهُ د. ضياء خضيِّر في دراسته التي ـ على مَوازين مَنهجيَّتها النقديَّة ـ نعتقد بأنها جَامَلتْ ورَاعتْ وزارة التراث والثقافة التي نشرت كِتابَه ذاك. وهو مَسلكٌ نأخذه على الناقد الذي توخَّينا فيه حَدّاً أدنى من ظِلالِ صرامة نقديَّة؛ كان في اعتقادنا أنها لن تُلينَ قناتَها، لا سيَّما في مَوضوعَة أبي مُسلم، ناهيك وناهيه عمَّن تساءلوا عن إيغال مدائحه النبوية في إسباغ صفات إلهية على ذات المُصطفى محمد (ص)، رغم أنه كائن بشري مخلوق تنطبق عليه صفات البشر المُؤلَّه للإله لا صِفاتِه المُتعاليَة، لا سيما في نقضها، بل ونسفها لحُجَّته التي أوردها حولَ تناقض إيغاله التصوُّفي مع «مذهبه الإباضي

الذي لا يرتاح أصحابه إلى التصوف بمعناه الذي يتجاوز الزهد والنقاء الروحي»، كما تحَجَّجَ، للأسَف، د. خضير في كتابه عن الشعر، آنف الذكر والإشارة. والحقيقة أننا نذهبُ فيما ذهبنا إليه لأبعد من ذلك في فرضيَّتنا التي تدعمها نصوص أبي مُسلم الشعريَّة؛ انطلاقاً من مِعيار شِعريٍّ صِرف.

وللرد على د. ضياء خضيِّر، فإن أبا مُسلم ـ في نهاية المُنتهى ـ هُو صَفوَة خلاصة تجارب المُتصوِّفة العُمانيين، وعلى رأسهم الشيخ جاعد بن خميس وابنه ناصر بن جاعد، وبطبيعة الحال مُعلمه الأول العالم الربَّاني الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، وهي تجارب ماتِحَة من تجارب ابن الفارض وحُجَّةِ الإسلام الإمام الغزالي. لكنها، في رأينا المُتواضع ـ تجارب تُمَثِّلُ يَمِين تيَّار المُتصوِّفة، وبالتالي فهي مُختلفة عن تجارب يَسَار المُتصوِّفة الكبار بشطحهم الصوفي المُتمظهر في انسلاخ تجربتهم المُتعالية على هشاشة الواقع المحسوس تصعيداً لها إلى الماوراء، رُؤيَةً وسُلوكا وتنظيراً وكتابة واستشفافاً لتحتيَّات الواقع ولما وراءَ وراءِ الواقع، كما هو الحال لدى أبي يزيد البسطامي والشيخ الأكبر ابن عربي ومحمد بن عبدالجبار النِّفري والحسين بن منصور الحلّاج وسواهم من كبار المتصوفة المُمثلين لتيار اليَسَار الصُّوفي ـ إن صَحَّ التعبير والمُقابلة ـ أمام تيار التجربة المُحافظة بين الصُّوفيين العرب، التي مثلها كل من حُجة الإسلام أبي حامد الغزالي وابن الفارض، وهي التجربة التي، بدورها، أثرت على التجربة الصُّوفية العُمانية ابتداء من جاعد بن خميس الخروصي وابنه ناصر بن جاعد الخروصي والعلامة الرَّباني الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، لتصل ذروتها الحقيقية وانفتاحها الخلاق مع الشيخ ناصر بن جاعد وأبي مُسْلِم اللذين أفادا من إقامتهما في زنجبار، واطّلعا بالتأكيد على التراث الصُّوفي الواضح تأثيره في مناخات أعمالهما[١].

وللتدليل على فرضيَّتنا (التي لا يبلغ بنا اليقين المعرفي ولا التأويلي شأوَ

---

(١) لمزيد من التأكيد، راجع حواشي الإلهيات وشرح النونيَّة.

مُحاولة فرضها أو إثباتها) ـ طاب لنا التأكيد، في هذه المُقدمة، على أبيات شعرية تُحيلُ في أقاصي معانيها إلى ما ذهبنا إليه.

[٨]
ظواهر جَماليَّة وأسلوبيَّة

تستوقف قارئ شعر أبي مُسلم ظواهر جمالية وأسلوبية لافتة، بعضها يمثلُ خرقاً للسائد في الشعرية العربية الكلاسيكيَّة. والمؤسف أنها لا تظهر ولا تكشف عن أسرار جمالياتها للقارئ المُتعجِّل ـ لا سيما أنها مدسوسة في ثنايا مُطولاته الشعرية بحيث لا يلتفت إليها إلّا الباحث والدارس لشعره ـ ؛ لذلك لم يُعرها أحدٌ مقداراً ولو يسيراً ممّا استحقته تلك الضربات الشعرية من حُنُوٍّ شعريٍّ وجماليٍّ يُبرزها تحليلًا في موقف نقديٍّ خلّاق يُعيدُ إلى الشاعر «أنواتِهِ المُشتتة» في أكثر من دراسة مُفرطة في رَثاثةِ سَطحيَّتها الأكاديميَّة وإيقاعِها المَذهبيِّ الشغول بإظهار ولائه «للمُؤسَّسة الإباضيَّة الرَّسميَّة» في عُمان؛ إصراراً من أمثال هؤلاء الباحثين ـ كما بدا لنا ـ لبيع ماءٍ جِيءَ به مِنْ «وادي ميزاب» ليَروِي عَطشَ حَارَاتِ «الجَوفِ» التي سَبقَ لها أنْ ارتوتْ سَلفاً مِن «فلَج دارس» في «بيضة الإسلام»، لتَبْهتَ دِرَاسَةُ ذلك الباحث عن «حَسَّان عُمان»[١] في مَسيلةِ حِبرِها واصفِرارِ رُقعَتها، قبل التلويح، ولو مِن بعيد، بأنها لم تحفل بما هو عُضويٌّ وصَمِيميٌّ وخلّاقٌ في ثراءِ مَنحُوتة التَّجربةِ البهلانيَّة.

ولتوضيح المقصد، وعلى الرغم من عدم اهتمامي وانهمامي بالنقد وما تستدعيه الجَمَاليَّات النقدية المُوازية من إشارات تستحق الإلتفات؛ لكنَّني عثرتُ ـ خلال اشتغالي في هذا المشروع ـ على ما لفت نظري من أبيات

(١) نلمَحُ، هنا، قدر ما لا نُشيرُ إلى تهافُتِ التَّهافُت في كِتاب ناصر؛ محمد بن صالح، أبو مُسْلِم الرَّواحي: حَسَّان عُمان، الطبعة الأولى، مسقط، توزيع: مكتبة مسقط، ١٩٩٦.

استحثتني للتعليق عليها كهوامش مُحفِّزة للباحث والقارئ كي يُعيد النظر كرَّتين في مُنجز أبي مُسلم الشعريِّ الآسِر [مُبتَدَعه، إنْ تَفيَّقنا[1] لِنتَقفَّى قامُوسَه] تفحُّصاً له برَويَّةٍ وأناةٍ وشعاع استبصار.

مِن ذلك، على سبيل المِثال، انفِرادُهُ المُبكر باستخدام مُفردة [الأنا] مُعرَّفةً بلام التعريف السابقة لها، وهو اشتغالٌ لم يُعنَ به الشعر العربي الكلاسيكي، كما في هذا البيت الذي بدت فيه غير مُتكلِّفة؛ بل ومُتمِّمَة للسِّياق البلاغي المنشود:

مَــن أنــا؟ والأنــا فَـنــاءٌ وَمَـحْـوٌ فــي مَـقــامِ الـتَّـعـذيـبِ والإشْـهــادِ

فالتساؤلُ: «من أنا؟» تليه في الخطاب، مُباشرةً، «الأنا» التوكيديَّة إفصاحاً في دلالات الخطاب ودوالِّه عن [اللا ـ أنا] كينونةٌ مُغيَّبَةٌ عن قصد في ظِلال التوريَة أمام [أنا] الخالق التي تُفنِي وتمحو كُلَّ الأنوات يوم الدينونة. ليستمر توكيدُ الشاعر على امِّحاءِ [أناهُ] المُتحقِّقة في الدُّنيا لنكتشف معه التالي:

مَــن أنــا؟ والأنــا خَـيــالٌ وَوَهْــمٌ فــي مَـقــامِ الـخِـطــابِ والإرْشــادِ

ناهيك عن مَجاز مجازاته الاستعاريَّة في أقصى ضُروب ضرباتها الشعريَّة المُولِّدَةِ لأناها المُعرَّفة مَجازاً وظِلًا «مُؤتْمَتَيْن»[2] تماماً؛ كما في هذا البيت الصَّقيلِ بظِلالِ مَجازه:

مَــن أنــا؟ والأنــا مَــجَــازٌ وظِــلٌ فــي مَــقــامِ الإبــعــاد والإيــجــادِ

فكما نرى، هو بيتٌ مِلحاحٌ برمزيَّته فيما لو قُرِئ هذا الشطرُ قراءة فلسفيَّة/ شِعرية تحليليَة ـ بمَعزلٍ عن الخطاب الفكري المُهَيمِن في قصيدته التي يرد فيها البيت، جنباً إلى جنب مع جُلِّ قصائده المَاتِحَة مِنْ رحيق مَسعى تصوُّفيٍّ ـ

(١) التفيّق في لسان أهل عُمان الفسحة من الوقت، ومنه في التنزيل: «ما لها من فَوَاق» أي فسحة ونظِرَة من الزمن، وفي الفصحى المتأخرة هو وقت الاستراحة بين الحلبتين.

(٢) نقصدُ بنحتنا لتعبير «مُؤتمَتين في صيغة المُثنى: [الأوتوماتِيّة] اختصاراً لتعريب شاعَ لديمومة الحركة الأوتوماتيكيَّة قياساً لاشتقاقاتها في لُغةِ الضاد.

لاستنبط القارئ/ المُحَلّل ظِلالاً ومَجَازات شِعريَّة لن تتخلى عن إنصاف مُخيَّلة الشاعِر (بكلا المَعنيَيْن الشعري/ ظاهِراً والفلسفيّ/ باطناً) خارجَ الأُطُر التي كُرِّسَت قصائدُهُ ومَضامينُها لفهمِها ضِمْنَ حُدودِها الضَّيقة.

وكما سَيتجلَّى من الأبيات اللاحقة لمَخيّ تلك الأنا في ظِلال كينونة الخالق؛ سيتكشفُ ذلك الفعل عن أسباب موضوعيَّة تتعلقُ باتحاد [أنا] المخلوقِ في [ذات] الخالق اتحاداً صُوفياً لا مُفاضلة فيهِ بين الخالِق والمَخلوقِ المُتحدِ به، لدرجةِ استحقاق المخلوق طوعاً لماهيَّةِ صفاتِ الذات الإلهيَّة بعد أنْ تجلَّى فيها، كما تجلَّتْ فيه:

بَـلْ أنـا نِـسْـبَـةٌ إلـى أثـر الـ ـحَـقِّ شَـهـيـدٌ لـلـحَـقِّ بـالانـفـرادِ
وأنـا مِـن حَـيـثُ انـتِـسـابـي إلـيـهِ مَـلِـكُ الـحَـمْـدِ والـثـنـا والـمِـجَـادِ

وهي مرتبة من مَرَاتِب كِبار المُتصوِّفة يُعلنها أبو مُسلم في قصيدته هذه بكُلِّ شفافيَّةِ التجلِّي الصُّوفي وغِناه الماتِح من ينابيع بدت لنا أبعدُ غوراً من مدرسة أشياخه من المُتصوِّفة العُمانيين

وأنـا مِـن حَـيـثُ انـتِـسـابـي إلـيـهِ كُـلُّ نـقـصٍ وَوَضـمَـةٍ فـي عِـدادي
وأنـا مـن حَـيـثُ انـتِـسـابـي إلـيـهِ مُـنـعِـشُ الـرُّوحِ بـاعـثُ الأجْـسـادِ[1]

---

(١) يتجلّى في هذا البيت البُعد الفلسفي الصُّوفيّ الصِّرف الذي ينطلقُ منه أبو مُسلم في تَناوُلِهِ اللافِت لمَوضُوعَة اتحاد الخالق بالمخلوق. **تبيين الواحد والثلاثة**: في هذا السياق التصوُّفي المَحض حول «واحديَّةِ الأحد» يروي حَنّا فاخوري في كتابه: **«تاريخ الفلسفة العربية»** مقولة عن الشيخ الأكبر **ابن عربي**؛ قائلًا في الواحديَّة والتثليث [لدى المسيحيَّة]، ما يلي: السبب الميتافيزيائي للتثليث، أي القول بنوع من العلاقة الثلاثية في الوحدة الإلهية، أي التثليث في الأقانيم واستبعاده في الإله، من الحكمة **الفيثاغورية** ومن حكمة **القبَّالة Kabbalah** اللتين تشيران إلى أن **العدد ثلاثة** هو الأصل في **الأعداد الفردية**. وهكذا، تُعدُّ الثلاثية الأولى: الصدور أو الانبثاق الأول للفيض أو الإبداع الأول من **الألوهة**. وعلى الرغم من كونه فيضًا أولَ من الله، لكنه يعتبر الرُّوح القدس الأول الذي تكوّن على النحو الذي يكون فيه مضمونًا في الله ومُستبعدًا عنه في آن واحد، أما العدد «واحد» في نظر ابن عربي، فليس هو وحده بذاته عددًا أوَّلًا يُفسِّر الكثرة في العالم. فمن **«الواحد»** لا يصدر إلّا «الواحد». لذا، يكون=

=عدد «ثلاثة» أبسط الأعداد في داخل الكثرة. وهذا يعني أنّ العدد «ثلاثة» هو الشكل الأول لكُل الوجود، وما من شيء يتشكل إلا منه وفيه. ففي **الفتوحات** كتب ابن عربي ما يلي: «اعلم أن «**الواحد**» لا يكون عنه شيء البتة، وأن أول الأعداد إنما هو «الاثنان». ولا يكون من الاثنين شيء أصلًا ما لم يكن «ثالث» يُزوِّجهما ويربط بينهما. فالثلاثة أول الأفراد». وقد أضاف الشيخ الأكبر في الكتاب ذاته: «إنَّ الموجود الأول، وإن كان **واحد العين** من حيث ذاته، فإن له حكم نسبة إلى ما ظهر من العالم عنه؛ فهو **ذات وجودية ونسبة**. ولا بد من ربط معقولٍ بين **الذات والنسبة** حتى تقبل الذات هذه النسبة. فظهرت «الفردية» بمعقولية الرابط، وكانت «**الثلاثة**» أول الأفراد، ولا رابع في الأصل. «فالثلاثة» أول الأفراد في العدد إلى ما لا يتناهى». **ملحوظة**: كاتب هذا النصّ المُفسِّر لما أورده الشيخ الأكبر ابن عربي مسيحي، ومن الواضح أنه يُجيِّرُ ويُؤوِّلُ نَصَّ ابن عربي لصالح فكرة التثليث، لا من حيث هي «مسيحيَّة» الينبوع، بل لجذورها الموجودة في القبَّالة اليهوديَّة، كما تتجلى في **أنساق الأعداد**. ونحن نثبته، هنا، لا لنُجيِّرَهُ إسقاطاً على خطاب أبي مُسلم الصُوفي بكافة أبعاده الفلسفيَّة المُوازية، بل لإثبات ما ذهب إليه أبو مُسلم في أنساق (بواطن باطنه) التي لم يُظهرها في (الظاهر) من مُعتقده الذي ألزم به نفسه، وفاءً لإمامة سالم بن راشد الخروصي ومذهبه الإباضي، دون أن يمنعه البُعد العقدي (الظاهر) من الغوص بعيداً في ماورائيَّات المُتصوِّفة. ليس ذلك فحسب، بل أنه جَيَّرَ بذكاءٍ وقاد معرفته (الباطنيَّة) ليس في إلهياته، بل في استنهاضه لشعبه ولممدوحه الإمام سالم بن راشد الخروصي في «النونيَّة»، كما أشرنا آنفاً. **توضيح مُستضاف من** *دانييل بيرزنياك*: أصل القبَّالة من الجذر العبري ق-ب-ل، «قبل». فالأستاذ، «**العارف**»، يمنح، والمريد، السائل، «**يقبل**». **والقبَّالي** ينظر إلى نفسه بوصفه المريد السائل. **القبَّالة** [وهي مجموعة التفسيرات والتاويلات الباطنية والصوفيَّة عند اليهود] طريقة للنظر إلى العالم، بل للنظر إلى النفس وهي ترى العالم. وهذه «الطريقة» طريقة أصيلة لأنها تجمع ما بين انتظار كَشْفٍ ساطع (الطريقة الصوفية أو الكَشْفية) وبين الدراسة المتأنّية (الطريقة العقلية). بعبارة أخرى، فإن القبَّالي يُنمِّي في نفسه فنَّ المقارنة والنظر في مكتشفاته، فيما هو يستبطن خبرة الوحدة المستعادة. إنه يشغِّل، في آنٍ معًا، نِصْفَي كرته المخِّية. ومن شأن هذه الرياضات أن تقيم روابط بين العاقلة والحدس والمخيِّلة. فطريقته عقلية وروحية في آنٍ معًا. القبَّالي يرى في الخطاب المنطوق أو المكتوب معنًى يجب فك رموزه. فالسَّرد الكتابي، الواضح في نظر الذهن البسيط، يصير في نظره مبهمًا ومثقلًا بالمعنى. إنه يحدس وجود «بنية» خفية ما تبطِّنه، مفادها أن كلَّ ما هو متمايز وملموس ينبثق، فيضًا، من نبع أوَّلي قديم، غير متعيِّن، متجانس. في العبريّة، هناك كلمة واحدة تشير إلى الكلمة وإلى الشيء: دَوَر. فالأشياء غير=

فعلى سبيل المِثال نجده في هذه الأبيات، يَتعالى، بل يَجنحُ في الماوراء بعيداً عن مدرسةِ شيخه العالم الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي، أو الشيخ جاعد بن خميس، على سبيل المثال. فهو يرى نفسه في صُورة المُتصوِّف الحَقّ (مُنعش روح وباعث أجساد)؛ وتلك خصيصة، كما نعلم جميعاً، لا يختص بها سوى خالق مُؤلِّه، لكنها خصيصة صَرَّحَ أبو مُسلم بأنهُ واحد من القلَّة الذين أُتيحَت لهم، كما أُتيح له التعبير عنها بصراحة لافتة.

وكما نُلاحِظ، فهو لا يكتفي بإضفاءِ «نزعَةِ المُتصَوِّفة» التي أشار إليها في بيت آخر [لم يَرضَ أصحابُ المَذهب كثيراً عنه]؛ نراه في الأبيات الثلاثة السابقة يُؤكدُ أنهُ (من حيث انتسابه إلى الله) مُمثلٌ لكُلِّ نقص المُنتسِبِ (في

=موجَدة إلا بمقدار ما تتم تسميتُها. والتعليم القبَّالي يسلِّم بأن الكلمة تحمل الحقيقة، بأن الذبذبة اللانهائية للصوت تحمل الكون. قال الله: «ليكنْ نور»، فكان نور (سفر التكوين، الإصحاح ١: ٤). الكلمة، إذن، خالقة. هل لنا أن نستنتج مما سَبَقَ أنه «في البدء كان الكلمة» (إنجيل يوحنا، الإصحاح ١: ١)؟... ليس تمامًا. فالبدء (رِشِت) كان خاويًا وصامتًا. ولكن، كيف انبثق الكون، إذن، من هذا الفضاء الخاوي والصامت؟ تلك هي المسألة الكبرى التي تشغل بال القبّالي. بحسب اسحق لوريا (١٥٣٤ ـ ١٥٧٢)، لم يكن أول أفعال الله انتشارًا نحو الخارج ـ فهذه استحالة، بما أن الله هو الكل ـ ، بل طيٌّ، انقباض. في البدء، لا بدَّ أن الله انسحب، انطوى، ميسِّرًا بذلك ولادة العالم، بادئ ذي بدء، على هيئة حروف الأبجدية العبرية الاثنين والعشرين. وهذا الانطواء، هذا «النقصان في الكينونة»، وبعبارة أخرى، هذا الخواء الميسِّر لشيء آخر أن يكون، يسمَّى السَمْسَمَة (تسِمْتسُم) ـ وهو مفهوم جوهري في القبَّالة. **ملحوظة متمِّمَة**: جدير بالذكر أن **موشي القرطبي** (١٥٢٢ ـ ١٥٧٠م)، أهم أساتذة **إسحق لوريا**، كان، من جانبه، يقول باثني عشر مستوى من مستويات القراءة. والكتابات القبَّالية لا تطرح تعليمًا عَقَديًا؛ إنها، بالأحرى، تزوِّد بمفاتيح لفتح أقفال وأبواب. وعلى «الطالب» أن يجد الأقفال المقابلة للمفاتيح التي أُعطِيَها. ولهذا، ينبغي عليه أن يتدبَّر النصَّ ويتفكَّر فيه. كان البابليُّون والإغريق سَبَّاقين إلى دراسة معاني الكلمات بالنظر إلى القيم العدديَّة للحروف التي تتألَّف منها. وقد استدخل بنو إسرائيل هذا المنهج تحت اسم «جِمَطْرِيَة» [«حساب الجُمَّل»] في عهد الهيكل الثاني (الذي بُدِئ في بنائه حوالى العام ٢٠ ق م واستمر أكثر من ٤٠ عامًا). والجمطرية الأشيع عبارة عن عَزْو القيم العددية إلى الحروف.

جُزئيَّتهِ إلى كمال المُبدِعِ الكُلِّيّ)، دون تحاشي وصف ذاته بـ(الوصمَة) التي يعلم قبلَ غيره أنها تنالُ من انتسَبَ إليه؛ وهو الله دونما شكٍّ أو رَيْبِ تأويلٍ مُخاتِلٍ.

والمُدهش، بل العجيب أنك تجد أبا مُسلم في البيت المُوالي يُفصِحُ عن المغزى الذي أراده بعد (تمام انتسابه مخلوقاً إلى خالقه وتكامُل صفاتهما معاً)، بحيث لا يُعييه القول بعد بلوغه لتلك المرتبة الصُّوفيَّة المُتعالية هيأةً في اتحاد المخلوق بخالقه، كما يرى ابن عربي، صَرَاحةً ـ ودونما لبس قول مُحتمل؛ أنَّهُ أضحى [مُساوياً] للإله في الحُقوق والواجبات، لدرجة أنَّهُ يُنعِشُ الرُّوحَ ويبعثُ الأجساد!

وتساؤلنا الذي تعطينا هذه الأبيات الحَقّ في مسألة تصوُّف أبي مُسلم من عدمه، هو التالي: كيف أمكن لناقد من طراز ضياء خضيِّر أن يستنتج استنتاجه ذاك الذي نضحَت به أطروحَته؟ . . لينتهي في خُلاصَتها إلى مَقولَةٍ كهذه؛ لا تُنصِفُهُ ناقِداً، وبالتأكيدِ لن تُنصِفَ أبا مُسلم في خلاصة قوله: «لقد ورَّطَ أبو مُسلم، إذا صح التعبير، الألفاظ والمصطلحات الصوفية أكثر من السلوك والموقف».

فإذا ما سَلَّمنا بأنَّ بعض أشياخ الإباضية لم يقرؤوه كما يجب، وأوغلوا في استفتاءاتهم السَّطحيَّة حول نهج وموقف أكبر شُعرائهم وفُقهائهم ومُتصَوِّفيهم؛ فكيفَ سيتسنى لنا تبرير ذلك للدكتور ضياء خضير؟ في سقطته غير المُبرَّرَة، في كِتابٍ مَعنيٍّ، أساساً، بتجربة الشعر الحديث في عُمان[1]. ففي اعتقادنا أن أبا مُسلم بعد توسُّع مداركه المعرفية في زنجبار لم يَعُد وفياً لاشتراطات المَدرسَة الصُّوفية «المُحافظة» التي نشأ عليها، وإنْ حاول الإبقاء على بُعدها

(١) من المُفارقات الدَّاعية لتأمُّل الناقد والقارئ السَّطحي؛ أنَّ كتاب د. خضير يتطرَّق، أساساً، لتجربة الشعراء المُعاصرين، لا سيما شعراء قصيدة النثر وقصيدة التفعيلة، ولا ندري ما الذي جعله يُقحم ذلك الفصل حول نفيِهِ، جُملة وتفصيلًا، لتصوُّف أبي مُسلم البهلاني!

«المُحافظ» في أذكاره التي تضمنها «النفس الرَّحماني» مُسايَرَةً لشيخه سعيد بن خلفان الخليلي[1]. لكننا نكاد السُّقوط في الجَزْم بأنه اطلع عن كتب على تجارب كِبار المُتصوِّفة، وتأثر بهم، سَوَاء في أذكاره التي يلمحُ الدارسُ المُتفحِّص لأبياتها شطحه الصوفي «الماورائي» غير المُلتزم بتلك المدرسة الصُّوفيَّة المُحافظة، رغم محاولاته المتقصَّدَة لعدم إظهارها في «ظاهر» أذكاره تلك، لكنها تظهر وتفصحُ، بل تنضحُ بـ«باطنها» في أبيات مُتفرقة هنا وهناك.

وليس خفياً أن عُلماء الإباضية، لا سيما المُتأخرين منهم ـ كما أشرنا، آنفاً ـ لم تُرضِهِم صيغة الهيولى المُطلق في «شطح» مدائحه النبوية التي أطلق فيها لنفسه العنان قَصَصَاً مُمتعاً وآسِراً حول أساطير النشأة المُحمَّدِيَّة الماتحة من مذاهِب «الباطن».

لأنها أفكار مُستمَدَّة، في اعتقادنا، من جِذرين فِكريَّين: كِبار المُتصوِّفة الذين أشرنا إليهم، ورؤيَةِ المذهب الشيعي مُتمَثلًا في «ظاهره» المُفصَح عنه في أفكار (**الأئمة الإثني عشر**)، و«باطن» الفِرَق الشيعية المُوغلة في «شذوذ» تصَوِّراتِها الفلسفيَّةِ المُخالِفة للسَّائد عن نشأة الوُجود وأسباب وجوده. والحقيقة أن أبا مُسلم تأثر بتلك الأفكار وأفصح عنها نتاجُهُ الشعري، لا سيما أنه احتك بعُلماء وشيوخ من آل البيت (وإن كانوا شوافع تمذهُباً)، إلى جانب احتكاكه بالفرقة **الإسماعيلية** التي لها انغراس وسَيطرة ملحوظة في المحيط الفكري السائد في زنجبار آنذاك؛ وهي من الفرق الباطنية التي انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيُّع لآل البيت ـ كما يرى مُناوؤها ـ بعد أن تشعبت فرقها ومالت إلى الغلوّ والتصَوُّف، لدرجة أنَّ الشيعة الإثنى عشرية يكفرونها، ولا يرون في الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق

---

(١) نعتقد أنَّ أبا مُسلم اختلف مع طروحات شيخه العلامة الرَّباني سعيد بن خلفان، في مسألة التصوُّف، لكنه ظلَّ وفيّاً له ولأفكاره المُستنهضة لقيام إمامة عزان بن قيس، تماماً كما أضحى وفيّاً لإمامة سالم بن راشد الخروصي التي أشعل أُوارها الشيخ نور الدين السالمي.

عِصمَة سبق لوالده الصادق أن خلعها عنه، رغم أنه أكبر أبنائه، ليسلمها لأخيه مُوسى الكاظم بن جعفر الصادق، استمراراً لمذهب الشيعة الإثنى عشرية.

والحقيقة أنَّ أبا مُسلم عاش في زنجبار واحتكَّ بأشياخ وعُلماء الإباضيَّة، نتيجة لانصرافهم إلى التصُّوف، تماماً كما تعرَّف على مذاهب الفِرق الأخرى.

نقول هذا تحليلًا موضوعياً للمؤثرات التي تشبَّع بها أبو مُسلم، لكننا يَقيناً لا نعتقد بذهاب أبي مُسلم أبعد من ذلك في مَنحاه التصوُّفيِّ ذاك: لأنَّهُ عالمٌ أوصلته آفاقُ التصوُّف للأخذ والمَتحِ من كافة المَذاهب «ظاهرها» و«باطنها»، مع بقائه وفيّاً لمُعتقدِهِ الأباضي[1]، ولا أدلَّ على ذلك مِن مُناصرَتِهِ الصَّريحَة للإمام سالم بن راشد الخروصي، والدَّعوة المِلحاح إلى إمامته في نونيَّته الشهيرة، وإن ضمَّنها (في بعض الأبيات) خلاصات فِكْره التَّصَوُّفي، مُسقِطاً ذلك الفِكر على الإمام سالم بن راشد الخروصي وحوارِيِّيه وتابعيه، لا سيَّما في حديثه عن نزوى، بيضة الإسلام، واعتبارها مدينة مُقدَّسة لا تقلُّ أهميَّتها الرُّوحيَّة عن مكَّة المُكرَّمَة والنجف الأشرف ومدينتي قُمّ ومشهد في إيران، ناهيك عن قدس المسجد الأقصى، حيث تزور المَلائكة (كما جاءَ في النُّونية) رُفات أئمَّة الإباضية الرَّاحلين إدماناً منها على تلك المَشاهِد في حِلِّها وتعريجها، واصفاً ذلك بروح الشاعر المُتصوِّف:

حَيثُ المَلائِكَةُ اختلَّتْ مَشاهِدَهُم	لهَا عَلَى الحِلِّ وَالتَّعْرِيجِ إِدْمَانُ
أَرْضٌ مُقدَّسَةٌ قَدْ بُورِكَتْ وَزَكَتْ	تَنْصَبُّ فِيهَا مِنَ الأَنْوارِ مُغْنانُ
مـا طَارَ طَائِرُهـا لِلهِ مُحْتَسِباً	لَـهُ جَنَاحَانِ إِيقَانٌ وَعِرْفَانُ

[1] قدر ما نُشير، هنا، إلى انفتاح أبي مُسلم على أكثر من مذهب وطرح فكري عقديّ، نؤكد بأنَّهُ ظلَّ مُلتزماً بأصولِ وفروع مذهبه العقدي الذي تربى عليه؛ وهو الإباضيَّة. لكنَّ ذلك لا يمنع الباحث من تأويل، ومحاولة الوصول إلى أجوبة قد تُفصِحُ عن جوانب غامضة في مسيرته الفكريّة والعقديّة والشعريّة، تاركين السُّؤالَ وجوابَهُ مفتوحين على كافة مصاريعهما، ولا نستسيغ القول ـ ناهيك عن الاعتقاد ـ بأنَّهُ رُبَّما أخذ بمبدأ الأغيار لمذهبه؛ رغم تأكيدنا ـ والشواهد مُلقاةٌ على قارعَةِ تُراثه الشعري ـ على استفادته من كافة المذاهب تديُّناً وتصوُّفاً.

وتأكيداً لما سبق لنا قوله في المتن أو الهامش؛ فقد كان عالماً وشاعراً مُتصوِّفاً لم يَنغلق في «حُدود المَذهَب الإباضي»، وإنْ ظلَّ مُخلصَ الوَلاءِ والوفاء له، لكنه انفتح على ما ارتأى أنهُ إرث معرفيٌّ حُقَّ له الأخذ مِنه، وإنْ كانت مَصادره الفكريَّة أشتات مَذاهب مُناوئة لمذهبه.

وما دفعه لذلك، في اعتقادنا الأكثر تواضعاً من الاعتقاد ذاته، هو بُلوغه مرحلة تصوُّف لم يَصِلها أشياخهُ ليَستثمرها خير استثمار في قصائده الاستنهاضيَّة، كما أسلفنا. وليس غريباً أن نرى ذلك مُتجلِّياً في قصائد أخرى تحيلُ إلى عُلوِّ مَراتِب المُتصوِّفة على «سَائر خلق الله»، مِمَّا يُؤكِّد - ليس اطلاعه على - بل تأكيده وتوكيده الواضح على ما قاله الشيخ الأكبر في فتوحاته المكِّية التي نجزم بتأثر أبي مُسلم بها، كما يرد في هذين ا لبيتين:

سُبحَانَ مَنْ أوْرَدَ الأَرْوَاحَ أبْحُرَهُ ... وَهَيَّمَ الأنْفُسَ الوَلْهَى إلى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ خَصَّ بالعِرْفانِ طَائِفَةً ... أفْنَتْهُمُ كَلِمَاتُ اللهِ في اللهِ

وأيضاً في هذين البيتين، لا سيما البيت الثاني؛ فهو بيتٌ لافِت على الصَّعيد الشِّعري، في إيماءاته إلى يوم **العَرْض/ القيامة** حيث تمّحي الظِّلالُ [يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلّه]. فشاعِرُنا لا يَكتفي بمشهد امِّحَائها بلْ يُصَعِّدُهُ إلى مَشهَدٍ مُفارق تتعَرَّضُ فيه الظِّلالُ/ الأفياءُ أمام حَضرَة الخالِقِ ليكون التلاشي مَصيرها بعد انتساخها به، ولم يَبقَ مِن ضَوءٍ خَلا نورُهُ القُدسي:

تَجَلَّتْ على نَعْتِي نُعُوتُ جَلالِهِ ... كما أنَّهُ مِنها نُعُوتِي تَجَلَّتِ

تَعَرَّضَتِ الأَفيَاءُ فانْتَسَخَتْ بِهِ ... ولم يَبْقَ إلاّ نُورُ قُدْسٍ وَوَحْدَةِ

ولمزيد من التأكيد، نجد أنه في إلهيّاته يذهب إلى ما لم يذهب إليه المُتقدِّمون في التجربة الصُّوفية العُمانيَّة المَحليَّة، كما في هذه الأبيات التي نلاحظ أنه ينحو فيها نحو اللامُتوقع: أي الضِّد، تصعيداً للقصدِ في قَصِيده. إذ نراه عوضاً عن استخدام مفردة (العَدَم) للتعبير عن نقيض (الوُجود) يستخدم مفردة (الضِّدّ)، دونَ أن يَفوتَ نظرَتَه الكونية إشارته إلى أنَّ كُلّاً من الوجود والعدم ليسا، في حَقيقة الأمر، مُنتهى وُجُودِهِما وعَدَمِه، بل وحدتين زمنيتين

محكومتين بما يدعوه في أذكاره: الكَرَّة الزمنيّة؛ الوِحْدَة الأمّ ـ المُتكَوِّنَة، بِدَورِها، من دَورات زمنية لا حصر لها:

وَيَـا أَوَّلٌ قَـبْـلَ الـوُجُـودِ وَضِـدِّهِ وَقَـبْـلَ وُجُـودِ الـكَـرَّةِ الـزَّمَـنِـيَّـةِ
وَيَـا أَوَّلٌ لـم يَـنْـتَـسِـبْ لِـبِـدَايَـةٍ تَـنَـزَّهَ عَـنْ بَـدْئِـيَّـةِ الـقِـدَمِـيَّـةِ

أما في البيت التالي؛ فإننا نجد الشاعر وقد عَمَّقَ مَوقِفَهُ المَبدئي من موضوعة رؤيَةِ الخالق[1] على صعيدين: في الشطر الأول يُؤكِّدُ ظهورَ الخالق لـ«عَين الكَون» مِنْ غير رؤية، وفي هذا إعلاء شِعريٌّ وفلسفيٌّ من خلال اجتراحه المُوفَّق لمَنحوتته الأخاذة: «عين الكون» في دَحضِها لجُزئية العين البشرية ومحدوديَّة مجال رؤيَتها. فأحَدِيَّة الواحِد الأحد ظاهرة في ابتدائه وأحَدِيَّته المُتعاليتين على مَذاهب القائلين بالرُّؤية:

ظَـهَـرْتَ لِعَـيْـنِ الـكَـوْنِ مِـنْ غَـيـرِ رُؤيَـةٍ وَغَـيـرِ ابْـتِـدَاءٍ ظَـاهِـرِ الأَحَـدِيَّـةِ

إلى جانب تلك الجَماليّات الكلاسيكيَّة اللافتة في شِعريَّته، خصوصاً في إلهيَّاته ومدائحه النبويَّة، لا بُدَّ أنْ تلْحَظ عَينُ قارئه أسلوبيَّة فريدة في تطويعه لقافيته عبر استخدامه لـ«وَقَفات» غير مطروقة في غالبية الشعر العربي الكلاسيكي، كما هو الحال في هذه الإضمامة من الأبيَات التي أوْقفَ قافيتها على «ألْ» التعريف المُمَوضَعَة، عن قصد، في نهاية كُلِّ شطر، دافعاً المُفرَدة (المُفترض أن تنتهي بها تقفيَة البيت) إلى بداية الشَّطْر التالي. وهو أسلوبٌ طوَّرتهُ، لاحِقاً، تجربة الشاعر الفلسطيني الرَّاحل محمود درويش تخلُّصاً من القوافي النَّافِرة إدغاماً وإضماراً لها في متن البيت الشعري؛ فيما بدا تفريطاً مُتقصَّداً من الشاعر بعُلوِّ النَّبر في آخر البيت:

---

(١) في اعتقادي أنَّ موضوعة رُؤية الخالق بعد عُبور البرزخ، من عدمها موضوعة شيّقة، وأعتقد أن المذهب الإباضي رُؤيوياً وفلسفيّاً في مصادره القديمة؛ يتقدَّمُ طرحاً مُستنيراً على المذاهب المُناوئة له من مذاهب السُّنة، ربَّما لمَتحِ أسلاف أشياخ المَذهب المُبكِّر مِن فِكر المُعتزلة. وأعتقد أنَّ هذا الرُّكن العقدي في المذهب الإباضي ـ كما هو الحال لدى الشِّيعَة ـ خصيصة جذابة تستحقُّ التنويه والإعجاب؛ اتفاقاً مُضمَراً، وليس اختلافاً معها بالتأكيد.

إلى بَابِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ غَالِب الْـ |جَبَابرِ ذِي البَطْشِ الشَّدِيدِ المُرَاقِبِ الْـ

أُمُورِ ومَنْ يَقْصِدْهُ لِلأخْتِما قُبِلْ | إلى بَابِ وَهَّابِ المَمَالِكِ قَالِبِ الْـ

كَرَاسِيِّ قَهَّارٍ لِكُلِّ عَنِيدِ

والحقيقة أنَّه كان بإمكاننا الإتيان بشواهد مُماثلة لإثبات وجهة نظرنا التي ذهبنا إليها في تحليل رُؤيَته الشعريَّةِ الباذخة، ناهيك عن آرائه التصوُّفية العميقة ودلالاتها الجَماليَّةِ الطاغية، ليس على إلهيَّاته ومدائحه النبويَّة، وإنما في كثير من أغراض شِعرهِ الأخرى، لكننا نُؤثر الإكتفاء بهذا القدر.

[٩]

قاضٍ لسُلطان ونَصيرٌ لإمام

(Persona non grata)(*)

من المُفارقات المُثيرة لذهول المُفارقة (قبل إثارتها لحُدود الجَدَل) في شخصية أبي مُسلم وانفرادها الذي لم يَتأتَّ لكثيرين استيعابها وفهمها؛ هو أنه كان قاضياً لسُلطانٍ في زنجبار ونصيراً لإمام في نزوى؛ عاصِمَةِ الإمامة. أتحدثُ، هنا، عما بدا لي غموضاً تحقيبيّاً لفترة مُتأخرة من حياته، إثر

(*) Persona non grata تعبير لاتينيٌ الأصل شاع استخدامه في اللغة الإسبانية، ويعني حَرفيّاً: «شخص غير مرغوب فيه». وهو تعبير عادة ما يُستخدم في أروقة وزارات الخارجية، إشارة إلى الدِّبلوماسي الذي لم يَعد مرغوباً فيهِ لنشاطه التجَسُّسي في الدَّولة المُضيفة. وقد صَعَّدَ نطاق استخدامه الشاعر الفلسطيني سميح القاسم حين وَسَمَ بهِ إحدى مجموعاته الشعريَّة، تأكيداً منه على مُكابدة الفلسطيني (غير المرغوب فيه) من الأعداء مُغتصبي وطنه، ومن العرب؛ بَني جلدته! وبدورنا نستخدمه مُفتتحاً لهذا الفصل تعبيراً مُحزناً عَمَّا آلتْ إليه أحوالُ أبي مُسلم «شاعر العرب» في أواخر أيامه في زنجبار، ومحاولاته العودة إلى وطنه عُمان ليُدفن فيه، لكنهُ حُلمٌ لم يتحقق رغم توسُّلهِ للإمام محمد بن عبدالله الخليلي الذي لم يلتفت إلى توسُّله في قصيدتين مُثبتتين ضمن هذه الآثار.

مُناصَرَته للإمام سالم بن راشد الخروصي[1]، إمام المُسلمين الذي أسِف

---

(١) **إشارة تاريخية**: كان وَعْيُ أبي مُسلم بأهميَّة المُنجز التاريخي لثورة الإمام سالم بن راشد الخروصي ودورها في لم شتات الشعب العُماني بعد انقطاع الإمامة نحو نصف قرن (بعد إمامة عزان بن قيس)؛ ـ أقولُ كان وَعيُهُ لافتاً بحدَّته التي لم تتجَلَّ في مُنجز مدائحه المُؤسطرة لتلك الثورة ولذلك الإمام؛ بل في تصوُّره العميق لهيكل وأساس وعماد قيام دولة الإمامة، وفقاً لخلاصات توصَّلَ إليها أبو مسلم خلال إقامته في زنجبار واطلاعه على دساتير الأمم الناهضة لتوِّها من نير الإستعمار، فكتب رسالة مطولة إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي يحثه فيها على تخليص دولة الإمامة من معوقات الجهل بمعطيات العصر، والإتكاء على حذافير مقولات السلف الصالح، كما وصلت تعاليمها إلى عُلماء المذهب. وهي المُعوقات التي أطاحت ـ كما رأى أبو مسلم ـ بسابقاتها من تجارب إمامات الحق والشورى التي فشلت بسبب عدم فهمها للجدل التاريخي الذي أفرزته معطيات عصر الاستعمار، وما يستدعيه من تثوير جذري في بُنية الخطاب المُؤسِّسِ لتجربة الإمامة اليافعة، لذلك أرسل أبو مسلم رسالته المطولة آنفة الذكر، لتكون بمثابة ضوءٍ يهتدي به الإمام الجديد في ظلمات مسيرته الوعرة، لا سيما في بلد تحكمه عصبية القبيلة، أكثر من احتكام نُخَبِهِ على مبدأ الشورى المُستمَد من ناصع تجربة الخلافة الراشديَّة. **اقتباس**: يقول أبو مُسلم ضمن فقرة من رسالته المطولة إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي: «وعسى الله يَمُنُّ علينا بتوسيع الدَّولة، وقرار الأمور على قواعدها، فتتمكنوا إن شاء الله من اتخاذ مطبعة لبيت مال المُسلمين تُنشَرُ فيه كُتبُ المذهب، والنشرات العربية الدينية، وذلك يَسهُلُ عليكم، إن شاء الله، بمخابرة الشيخ الشمَّاخي، أيده الله، في مِصر. هذا وأحثكَ سيدي على فتح المدارس العلمية في بلادك، وحَثُّ أهل الخير على التبرُّعات في سبيل هذا المشروع العظيم، فإن مِصرَكَ لم يسقط هذه السقطة العظيمة إلَّا من جهة الجَهل، والجهلُ أمُّ المصائب في الدين والدُّنيا، وبودي لو ساعدني العُلماء هناك على الرَّأي الذي أراه، وهو جواز جَبر الأولاد على التعلُّم، وهي لعَمري مصلحة عظيمة في الأمَد، ثم تجعل نفقة الفقراءِ منهم على بيت المال، ونفقة أبناء الأغنياء على آبائهم، وهي طريقة سياسيَّة دينية تدلُّ عليها أصول من الكتاب والسُّنة. وبقاؤكُم على تعليم الجَهَلة على اختيار الآباء لأبنائهم مُضِرٌ جداً بالأمَّة لا يتقدَّمُ بها شبراً عن مركزها في الجُمود، ولو تركت الأُمَم الرَّاقية على جُمودها في الظلمة والجهل، ولم يزعها وازع قسريٌّ من جهةِ الحكومات؛ لما بلغت مبلغها من التقدُّم في العصر. وأحقّ ما يكون بالإيزاع والقسر هي العُلوم الإسلامية التي تخرج بها الأُمَّة من الظلمة إلى النور، ومن الرَّذالة والنقص إلى الفضيلة والكمال. فاجهد جهدك مولاي في هذه الخطة، واجمع خِيار المُسلمين وعلماءهم، وزعماء القُرى والبلاد، وألزمهم بالنهضة العِلميَّة، وأقِم لهم الخُطباء في الجُمَع والمحافل والمجتمعات يحثونهم على هذه النهضة». **ملحوظة**: راجع ملحق الصور والوثائق.

الشاعرُ كثيراً على تعثره في مُناصرته بالسَّيف كما ناصره بسيف القلم[١].

والحقيقة أنه عَبَّر عن أسَفه ذاك في مَتن شعره، وفي نونيَّتِهِ الفارقة[٢]؛ لأنَّهُ لم يتمكن من مُناصرته بالسَّيفِ إلى جانب القلم، مُتحسِّراً على ما اعتبره أقلَّ القليل مِمَّا جادت به يده، قلمه بالأحرى: قصائده[٣] التي أبقت الشاعِر حَيّاً في ذاكرة العُمانيِّين، وإنْ تناسوا إمامهم[٤] العادل ـ مَمدوحَهُ الاثير سالم بن راشد

(١) **أمثولة السيف والقلم**: «ميشيما بين «بُو» و«بُون» ـ «طالما سأموت لا بصفتي رجل أدب، وإنما بصفتي عسكرياً خالصاً، أُحبُّ أن تُضافَ كلمة السَّيف ـ بُو ـ إلى اسمي البوذيّ. وليس من المُهم أن تظهر كلمة قلم ـ بُون ـ»... (من وصايا الكاتب الياباني ميشيما، مؤلِّف «اعترافات قناع»، قبل انتحاره بالهاراكيري). ووصيَّة ميشيما هذه؛ كانت توطئة لقصيدة قصيرة جداً كتبها الشاعر العراقي سركون بولص، عنوانها: ميشيما بين «بُو» و«بُون»: «هذا ما اعترف به قناعُ يوكيو ميشيما: السَّيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتب / لكنَّ الشمس غداً / سَتشرِقُ كالمُعتاد / لتكتبَ كلمةً أخرى / في هذا الكتاب».

(٢) كلما قرأتُ نونيَّة أبي مُسلم، اعتقدتُ بأنها آخر مُعلَّقةٍ تليقُ، ظَعناً، بجاهليَّةِ القرن العشرين.

(٣) ورد في نهايات قصيدته النونية هذا البيت: «تِلْكُم وَصِيَّةُ حَسَّانٍ لَكُم ثَبَتَتْ | فَإنَّني اليَومَ للإسْلام حَسَّانُ». وهي إحالة من أبي مُسلم إلى الشاعر حسان بن ثابت، تتضمَّنُ ـ كما لاحظ مُراجعُ الآثار ومُدققها ـ لفتة عبقرية من أبي مُسلم؛ ذلك أنَّ حَسَاناً كان مُنافحاً عن الإسلام بلسانه وشعره، في حين كان باقي الصحابة يتبارون في تقديم دمائهم سخية في سبيل الله، فكأنَّ أبا مُسلم في عجزه عن نصرة الإمام بالفعل والجهد البدني، مُكتفياً بنظم الشعر، تماماً كحالة حَسَان ابن ثابت الذي اقتصر دوره على نظم الشعر. راجع شرح **النونيَّة**.

(٤) في مقاله آنف الذكر؛ يروي الأستاذ أحمد الفلاحي عن رسالة أبي مُسلم إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي ما يلي: «لقد اطلعنا على رسالة مخطوطة مطولة كان قد وجهها [أبو مُسلم] إلى الإمام سالم الخروصي تحمل أفكاراً حديثة ورؤى عصرية فيما يتعلق بإدارة الدولة وتنظيمها والدعوة إلى الاعتناء بالتعليم وإلى إنشاء مطبعة في عُمان، وفيها يذكر أنه نشر مقالة في جريدة الأهرام تتحدث عن تلك الدولة وعن الأوضاع العُمانية حينئذ؛ مما يدل على معرفته بمصر وصلته برجال صحافتها مما أتاح له النشر في **الأهرام**، وهي من أهم الصحف المصرية يومئذ، ولعل صلاته بمصر جاءت عن طريق صديقه الأستاذ عبدالباري العجيلي الذي استقدمته زنجبار من مصر ليكون مدرساً بالمدرسة الحكومية فيها بالإضافة إلى الشيخ الشمَّاخي الذي ذكره في رسالته إلى الإمام سالم، ولعل مصر عرفته أيضا من خلال جريدته «النجاح» التي صدرت عام ١٩١١ وكانت تصدر ثلاث مرات في الشهر».

الخروصي إثر اغتياله[1].

ولَعَمْري؛ إنْ هي إلّا مُفارقةٌ فارِقة في حَياة أبي مُسلم، كما في شعره، نستطيع تلمُّسَها، بل تشريحها النفسي - إن صَحَّ التشريحُ والمُبالغة - ليس بمِبضَع نقد ساد بأسئلته وأدواته، وإنما بكشوفات رائد علم النفس سيغموند فرويد Sigmund freud فيما تتناهى إلينا أصداءُ ديمومةِ إلحاحه على قراره (الذي لم يكن تنفيذه باختياره) كي يعود إلى عُمان (وقد أشرف على السِّتين) ليُناصِرَ إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي الذي كال له مديح العدالة والإنصاف في «النونية» و«الميميَّة» على وجه الخصوص، ضمن استنهاضه لشتات قبائل شعبه المُتناحرة في «هناويِّتِها وغافريَّتِها»، تماماً كما تناحرت قبائل «عبس وذبيان» في سالف الأزمان، التي لم ينسها الشاعرُ فيما يُشير إلى تلك الضَّغائنِ والحَزازاتِ، لا سيما في أبيات «نونيَّته» المُتعلقة بالصِّراع العَبْثِي بين «بني رواحة» و«بني جابر»:

وَأيـنَ حُلقُومُ ذَاكَ المُلْكِ، مِغْصَمُهُ ... «سَمَائلٌ»، فَهيَ لِلسُّلطَانِ سُلطَانُ
وَأيـنَ عَنْ أجْرَبَيْهَا مَنْعُ بَيضَتِهَا ... وَالأجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ

[١٠]

«المَنفى أفضلُ وسيلة لضمَانِ الوفاء للوَطَن»

لا نريد الإيغال، في هذه المُقدِّمة، لتوضيح وشرح ظروف الشاعر، لا سِيَّما بعد انكفاءِ كُلٍّ من حمد بن ثويني وعلي بن حمود (مَمدوحَيه الأثيرين، من سلاطين آل سعيد في زنجبار)، لكننا نستطيع التأكيد بأنه عانى الأمَرَّيْن - فيما كان يَقذفُ بحِمَمِ إشاراته وتلميحاته النافذة في قصائده الاستنهاضية - رغم

(١) **ملحوظة**: من المفارقات اللافتة، في هذا السِّياق، أنَّ ما أبقى الإمام سالم بن راشد الخروصي حَيّاً لا يُنسى في ذاكرة العُمانيِّين هو «نونيَّة» أبي مُسلم، أكثر مما فعله قومه الذين «ناضلوا» بسيوفهم ومكانتهم القبلية نُصرةً لإمامته بقُلوبِهم القُلَّب.

بقائه تحت سُلطة سلاطين زنجبار الأضعف من الضَّعف ذاته إثر رحيل مؤسِّس السَّلطَنَتيْن سعيد بن سلطان[1]، وانقطاعهم في جزيرة زنجبار، بل انفصالهم السِّياسي والاجتماعي عن الأحوال السِّياسية في كُلٍّ من **«سلطنة مسقط»** و**«إمامة عُمان»**، بسبب من التأثير المباشر وغير المُباشر لضغوط الإمبراطورية البريطانية التي تابعت أجهزتها النافذة نشاطهُ فقيهاً وقاضياً لدى سلاطين زنجبار المَغلوبين، حقيقةً، على أمرهم، تماماً كما لم يَخفَ على دوائر مُخابرات مُستعمراتها نشاطه المُوازي في مُؤازرته لإمامٍ لا تقع سُلطته في دائرة نفوذهم. فقصائده الاستنهاضية استدعت الحذر من شخصيته وتأثيرها العارم في كافة أرجاء عُمان.

لذلك عانى أبو مُسلم، كما يُشرِّحُ حالتهُ د. محمد المحروقي في دراسته: **«مِنَ الاغتراب الشديد أثناء وجوده في زنجبار. اغتراب مكاني واغتراب فكري، وقد تعمّق لديه هذا الشعور في أواخر عمره، لا سيما بعد مُبايعَة الإمام سالم**

---

(١) في كتابه **«عُمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً»** يروي جيرار روبرت لاندن ما يلي: «لقد مزقت وفاة السيد سعيد بن سلطان سنة ١٨٥٦ غلالة الاستقرار التي كانت تحجب مواطن الضعف في الامبراطورية العُمانية. فالدولة العريضة الشاسعة التي امتد نفوذها من بُحيرات إفريقيا الوسطى غرباً حتى مشارف شبه القارة شرقاً، كانت في حقيقتها انعكاساً لموهبة وشخصية رجل واحد هو السيد سعيد بن سلطان. وعلى الرغم من أن الشطر الإفريقي من هذه الامبراطورية قد بُعث من جديد، إلا أن الأعوام الخمسة التي أعقبت وفاته قد شهدت تداعي البناء السياسي الذي كان يستند عليه الحُكم المُعتدل في عُمان. وعلى أي حال، فلم يكن في مقدور أي إنسان حتى لو كان في مستوى السيِّد سعيد أن يحول دون الكوارث التي ألمّت بعُمان ما بين سنة ١٨٥٦م وسنة ١٨٧١م. كما لم يكن في مقدور أي حاكم عُماني أن يمنع تسرب النشاط الاقتصادي الحديث ووسائل المواصلات الحديثة إلى المنطقة الغربية من المحيط الهندي والخليج في السِّتينات من القرن التاسع عشر، أو أن يُغيّر من الاعتقاد بأن المؤسسات الملاحية القديمة في الخليج قد استنفدت أغراضها بعد ظهور السفن البخارية في المياه العربية. ومع ذلك فإن انتشار هذه التكنولوجيا الحديثة، كان السبب في تدهوُر النشاط التجاري والملاحي القديم في المنطقة، وتقويض الأسس الاقتصادية التي كان يعتمد عليها الجهاز السياسي الإباضي المعتدل».

الخروصي، فصار يَحنُّ إلى معاهده الأولى، حنين الإبل إلى مواطنها، ويتشوق إلى مُناصرة الإمام، غير أنه لا يستطيع أن يحقق شيئاً من ذلك فقد فُرض عليه القيام الإجباري بـ(زنجبار)»[1].

لكنَّ المؤسِف أنَّ أبا مُسلم لم يُشِر إلى ذلك الوَضع [صَراحَة]، رغم إشاراته المبثوثة بالشكوى في قصائده [تلميحاً] يُشيرُ بقوة إلى تلك الصَّراحة ولو مُواربة. وبدورنا، فنحن نعتقد أنهُ تقرَّبَ من سلاطين زنجبار (الخاضعين، بدرجات مُتفاوتة بين سُلطانٍ وآخر، لسُلطة النفوذ الإستعماري البريطاني في تلك الجزيرة) بُعيدَ انفصالها عن السلطنة الأم، لكنه تعهد على نفسه، كما يبدو، عدم العودة إلى عُمان مع اشتراط بقائه مُكرَّماً مُعزَّزاً في زنجبار من قِبل سلاطينها المُتعاقبين عليها، خصوصاً حمد بن ثويني وعلي بن حمود. وهو تَعهُّدٌ، كما يبدو، أُلزِمَ أو أُجبر على القبول به، ليُلزِم به نفسه تجاه من ارتأى في بعضهم ـ لا سيما السيد حمد بن ثويني وعلي[2] بن حمود ـ أهليَّتهم لحُكم

---

(١) راجع، بهذا الخصوص، في **المصادر والمراجع** كتاب م. المحروقي: أبو مُسلم البهلاني، رائداً.

(٢) يُؤكد ناصر بن عبدالله الريامي في مُؤلفه: «زنجبار، شخصيات وأحداث»، ص ٣٤١ على التالي: «الأخبار المتوارثة جيلًا بعد جيل، تشير إلى أن السَّيد علي بن حمود كان ذا بأس شديد على الإدارة الإنجليزية؛ لاستنكاره لحقيقة خُضوع بلاده لسلطة الاستعمار؛ فكان فظّاً في التعامل، ليس مع الموظفين الإنجليز العاديين فحسب، وإنما مع القنصل العام البريطاني أيضاً. ومن الروايات المتواترة حتى يومنا هذا، **أنه أمر القنصل، ذات مرة، في محفل من المحافل، أن يجثو أمامه ليربط له خيط حذائه، قاصداً إهانته**. ما كان لسلطة الاستعمار أن تقبل هذا الوضع، بطبيعة الحال؛ فأجبرته على التنازل عن العرش. ولتغطية هذا التصرف المُريب جماهيرياً؛ أصدرت بياناً، أوعزت فيه هذا التنازل، إلى «الظروف الصحية» التي ألمَّت بالسلطان. إلا أن العالمين بشخصية السيد علي بن حمود القوية، والواقفة موقف الندّ لسُلطة الاستعمار؛ وكذا المدركين ببواطن السياسة البريطانية، فطِنوا، منذ الوهلة الأولى، أن الأمرَ لا يخرج عن كونه سياسة من سياسات القهر والإجبار الاستعمارية؛ وممارسة الإدارة الإنجليزية لصلاحياتها في تعيين واستبقاء من يروقُ لهم لحكم البلاد؛ فقرَّرت تنصيب السيِّد خليفة بن حارب بن ثويني، زوج أخت السيِّد علي بن حمود، سُلطاناً على عرش زنجبار. =

الرَّعيَّة في زنجبار بعدالة[1] «افترضتها» مَوَازينُ تلك الأزمان. ورغم أنه عايش خمسة حكام، كما يُشير المحروقي[2] إلا أنَّ المديح لم يَكُن ديدنه، وكانت مدائحه تحديداً في السيد حمود بن علي تتفق ورؤية أبي مُسلم لصورة «الحاكم العادل»، كما كان يراه أو كما كان يختزل رؤيته لمثال الحاكم العادل[3] الذي

=وللأمانة، فإن الثابت التاريخي يشير لنا إلى أن السيد علي لم تكن صحته على كلّ حال؛ فتصفه السيدة سالمة بأنه كان ضعيف البنية، رقيق الصحة، مُصاباً بصرع خفيف، ولم يكن ميالًا إلى الأبَّهة أو العظمة».

(١) لا نرى مُسوِّغاً يدعونا لافتراض تلك «العدالة» التي افترضها الشاعر، لكننا نحاول تشريح وتوضيح موقف أبي مُسلم الصَّارخ بتناقضه؛ كما أفصحت عنه مُبالغاتُ مدائحه لسلاطين زنجبار الذين أكسب بعضهم صفات تأليهيّة لا تُنصِفُهُ شاعراً، كما لا تُنصِفهم سلاطين جُور أو سلاطين عدالةٍ نضحت بها مدائحه، خاضِعين خانعين كانوا لسُلطة الإمبراطورية البريطانية العُظمى، أم مُتمرِّدين عليها، كما هو الحال، وفقاً للرِّوايات التي تُروى، كالسيِّد علي بن حمود، ممدوح أبي مُسلم.

(٢) عايش أبو مُسلم خمسة من سلاطين زنجبار بعد انفصالها عن «السلطنة الأم» في مسقط؛ وهم على التوالي: ١ ـ برغش بن سعيد بن سلطان [١٨٣٧ ـ ١٨٨٨م]، ٢ ـ خليفة بن سعيد بن سلطان [١٨٥٢ ـ ١٨٩٠م]، ٣ ـ علي بن سعيد بن سلطان [١٨٥٤ ـ ١٨٩٣م]، ٤ ـ حمود بن محمد [١٨٥٣ ـ ١٩٠٢م]، ٥ ـ علي بن حمود [١٩٠٢ ـ ١٩١١م] ـ راجع: دراسة م. المحروقي في **المصادر والمراجع**، ص: ١٤٢. **ملحوظة**: لا نعرف لم أقصى د. **محمد المحروقي** من دراسته ذكر معايشة أبي مُسلم للسيد خليفة بن حارب بن ثويني (١٩١١ ـ ١٩٦٠م)، وإن كان أبو مُسلم قد تقاعد من عمله في القضاء حين آل عرش زنجبار إلى السيد خليفة بن حارب بعد إقصاءِ (أو تنحِّي علي بن حمود الطوعي عن الحُكم)، كما لا نفهم كيف استثنى مُعايشة أبي مُسلم للسيِّد حمد بن ثويني الذي حكم زنجبار في الفترة بين (١٨٩٣ ـ ١٨٩٦م)، لا سيما أنه أهم ممدوحي أبي مُسلم إلى جانب السيِّد علي بن حمود!

(٣) في الحقيقة أننا نختلف كُلياً مع ما أورده **محمد المحروقي** في دراسته تلك، لأنَّ أبا مُسلم وَرَّط نفسه في مدائحه لكُلٍّ من حمد بن ثويني وعلي بن حمود، لدرجة الإسفاف الذي لا يليق بمكانته شاعراً، قاضياً، مُتصوِّفاً ورائياً ما كان عليه استعارة قاموسه الذي استخدمه في إلهيَّاته ومقصورته ليسبغه، دون أدنى مُبرِّر على مَمدوحَيْه اللذين (مهما بلغت مكانة «عدلهما» المُتوخى)، لم يكُن أيٌّ مِنهما مُستحقّاً لمديح أبي مُسلم. وفي اعتقادنا أنَّها سَقطةُ الشاعر الكبير ومَثلبَته التي لا تُغتفر.

وجده لاحقاً في شخص وإمامة «العاصِم الكافي» سالم بن راشد الخروصي.

لكنه اعتقادٌ يَنتقِضُ، هو الآخر، بالنسبة للمُتتبِّع لأحوال أبي مُسلم بين «رخاءٍ» عاشه هناك، وبُؤس عَيشٍ وحَنينٍ للعَودةِ تشفُّ عنه قصائده المُستنهِضة لشعبه، بعد أن لم يستسغ عيشه هناك، لا سيَّما في أواخر أيامه، رغم مكانته الاعتباريَّة والمَعنويَّة قاضياً ورئيساً لقُضَاةِ زنجبار، سواء تفرَّغ (أو أُعفي مِن منصبه) ليُكرِّسَ أواخر أيامه للتأليف، كما تشير بعض المصادر بغموض لا يجعل المُتتبِّع تلك المرحلة المُتأخرة من حياته واضحة في ذهن الباحث ليقول فيها القول الفصل، لا سيَّما الفترة اللاحقة لرحيل [أو تنازل] السلطان علي بن حمود[1] إلى المنفى.

---

(١) كما يُؤكد الرَّيامي في مُؤلفه: «زنجبار، شخصيات وأحداث، ص ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤ على ما يلي من أسباب (عزل)، وليس اعتزال السيد علي بن حمود: «عدم تصديق العرب لاعتزال السيد علي بن حمود لم يأت من فراغ، فالمعروف أن السيد علي، وعلى الرغم من تأثره بمظاهر الحضارة الأوروبية الحديثة، وما بذله من جهد جهيد لتمتيع بلاده ورعيته بتلك المظاهر؛ إلّا أنه، في الوقت ذاته، أبدى تجاوباً شديداً مع حركة الجامعة الإسلامية التي أعلنها السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م) مما كان مثاراً لقلق سلطة الإدارة الإنجليزية، من أن تنتشر تلك الحركة في زنجبار. زاد هذا القلق تعمُّقاً عندما لوحظ عليه مُؤازرته للسلطان عبد الحميد في نشر أفكار الجامعة الإسلامية في فرنسا، حيث أوفد ابن تاجر قُمْريٍّ من أصل عربي، يُدعى سالم القُمْري ـ كان يعمل في خدمته ـ أوفده إلى فرنسا، بالتنسيق مع المُخابرات الفرنسية، لإصدار صحيفة إسلامية للدعاية لفكر الجامعة. ومما يُذكر، فإنَّ الزيارة التي قام بها السيد علي [بن حمود] إلى الآستانة في عام ١٩٠٧م، والاستقبال الحافل الذي لاقاه من السلطان عبد الحميد، والذي تُوِّجَ بتقليده أعلى وسام في الدولة، الوشاح العُثماني الأعظم؛ زاد من شكوك الإنجليز تجاه نوايا السيد علي وتوجُّهاته. ازداد هذا الوضع سوءاً في عام ١٩١١م، إذ لم يتجاوب للدعوة التي وُجِّهت إليه لحضور حفل تتويج جورج الخامس ملكاً على بريطانيا، واكتفى بإيفاد صهره، السيد خليفة بن حارب، لينوب عنه في ذلك الاحتفال العظيم. فكرة تعرُّض السيد علي للعزل، التي كانت مسيطرة على عقيدة عرب زنجبار، تأكَّدَ لنا صحتها، وذلك من خلال الإطلاع على وثيقة تاريخية نادرة، عبارة عن رسالة مُوجَّهة إلى السلطان السيد علي بن حمود، من السير إدوارد=

إلى جانب تلك الأسباب غير المُترَّخة، للأسف، من تتابع ضغوط الإنكليز إلى جانب تضاؤل مَصدر عيشه بعد تقاعده، فضلًا عن كرمه الذي اشتهر به، نستطيع استشفاف سبب مُوازٍ بإمكاننا تلقفه مِنْ مُتون قصائده:

كانتْ روحُهُ هنا في **غُبَيْرَاء الأئِمَّة**، وليس في زنجبار الوادعة باخضرار طبيعتها وسُكونها الآسِر. ورغم أنهُ لم يَكُنْ في منفى بالمعنى المعهود، لكنَّ مكانته فرضتْ عليه أن يكون ذلك المَنفيّ، شاءَ أم أبى ـ رغم أنه كان، آنذاكَ، في رُقعةٍ وبُقعة جغرافيةٍ لم تكُن لتتجزأ عن وطنه، فيما لو استعرنا مَفهوماً كُولونيالياً لجَريرة المُواطنةِ بمقاييسِ تلك الأزمان.

مع ذلك، نستطيع المُجازفة، في هذه المُقدِّمَة تعبيراً عن أسلوب حياة أبي مُسلم في جزيرة زنجبار، ونحن نستعيد مقولة الكاتب الأرجنتيني **خوليو كورتاثار** بعد رحيله من بوينس آيريس في ١٩٥١ إلى باريس: **«كان المنفى أفضل وسيلة لضمان الوفاء للوطن»**[(١)].

نُجازف بعبارة كورتاثار تلك، رغم أنَّ أبا مُسلم، آنذاك، لم يَكُن مَنفيّاً (بالمعنى التقليدي للمَنفى)، لأنهُ كان يَعيشُ في بحبوحة واحدة من «مُستعمرات» «وطنه»، إن صَحَّت المُجازفة بغُلوِّ التعبير في الأثافي الثلاث: **جزيرة زنجبار**، سلطنةٌ فُصِلَت عن توأمِها ٢سلطنة مسقط، **وعُمان إمامةٌ** حَاولَ

=جْري Sir Edward Grey وزير المُستعمرات البريطانية، بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٩١١م، وردت فيها إشارةٌ صريحة إلى السلطان تقضي بضرورة تقديم استقالته، وتتعهد الحكومة البريطانية في المُقابل بدفع أجر سنوي له مقداره ألفا جنيه إسترليني، لإعاشته وكذا عائلته، شريطة تقديم تعهد بعدم العودة إلى سلطنة زنجبار (جزيرتي زنجبار «أونجوجا» وبيمبا) دونما الحصول على إذن مسبق من حكومة جلالة ملك بريطانيا».

(١) **مُفارقة طريفة**: لقِيَ شاعرٌ بلاط لدى أحد السّلاطين فيلسُوفاً يلتقط الأعشاب ليأكُلها، فقال له الشاعر: **لو خدمتَ المُلوكَ لم تحتج إلى أكل الحشائش**، فردَّ عليه الفيلسوفُ قائلًا: **وأنتَ لو أكلتَ الحشائش لاستغنيتَ عن خدمة الملوك!** ويبدو أنَّ أبا مُسلم استطاع التوفيق، على نحو ما، بين المسألتين!

«أئِمَّتُها الرَّاشدون»، آنذاك، إعادة الحياة اليومية إليها، كما عُهِدَت في زمن كُلٍّ من أبي بكر الصدِّيق وعُمر بن الخطاب.

[١١]

إشارات حول شُروحَات المَقصُورة والنونيَّة

كان الهدف الأساس من إعادة تقديم **الآثار الشعريَّة** لأبي مُسلم البهلاني قبل نحو ثلاث سنوات هو إعادة تقديم طبعة دمشق، ١٩٨٦ مُنقحةً ومَضبُوطةً بالتشكيل في حُدُودِهِ الدُّنيا. والحقيقة أنها الطبعة، التي تُعتبر حتى ذلك الحين، أفضل الطبعات[١] المنشورة، لديوان أبي مُسلم.

وكانت رغبتي إعادة تقديمها مضبوطة ومُشكَّلة في حُدودها الدُّنيا. لكنني اكتشفتُ، خلال العمل على ديوانه، أنني أذهبُ بعيداً عن ذلك المطمح الصَّغير آنذاك؛ فوجدت نفسي أقضي وقتاً طويلًا في تشكيلِ المُستعصي من أبيات قصائده، لأجد نفسي شارحاً لبعض المُفردات التي جزمتُ أنها مُستغلقة على القارئ العادي غير المُتضلِّع في المُنقرض تداولًا من مُتون الفصحى، ليس ذلك فحسب؛ فقد وجدتُ نفسي أشرحُ، في بدايات اشتغالي على هذا المشروع، بعض الأبيات اللافتة على الصَّعيد الشعري والجمالي والفني. لأكتشف أن عالَمَ أبي مُسلم أبعد غوراً من منهج اشتغالي المُبسَّط على آثاره

---

(١) في الخلاصة التي انتهى إليها **محمد المحروقي** في دراسته عن مصادر شعر أبي مُسلم البهلاني المخطوطة منها والمطبوعة، توصَّلَ [ص ٥٩] إلى الملحوظات التالية بخصوص طبعة ١٩٨٦: « (أ): حققها عبد الرحمن الخزندار. (ب): أقرب الطبعات إلى صورة الأعمال الكاملة لإنتاج أبي مُسلم الشعري. (ج): يبدو أنها جاءت تحقيقاً للوعد الذي وجدناه في خاتمة طبعة ١٩٥٧م، وذلك ما تؤكده الأمور التالية: (١): تكرار المقدمة الدراسية ذاتها في الطبعتين، وكذلك الخاتمة. (٢): اعتناء الأمير صالح الحارثي بإخراج الطبعتين. وقد كان الوعد في طبعة ١٩٥٧م بتقديم مختارات من شعر أبي مُسلم، ويبدو أنه تم العُدول عن ذلك إلى محاولة إخراج أكبر كمٍّ من شعر أبي مُسلم».

كُلما تبحَّرتُ في مُبتَدَعِهِ الإبداعي، فعزمت على شرح **النونيَّة** كاملةً بحُكم أهميتها وذيوعها وانتشارها بين العُمانيِّين وغيرهم مِن مُحبِّي شِعره.

والحقيقة أنَّ النُّونيَّة تمكَّنت بذلك الذيوع أن تحجب كثيراً من شِعر أبي مُسلم، رغم ذيوع **المقصورة والميميَّة والعَينيَّة والنهروانيَّةِ** إلى جانب قصيدته الفارقة تلك؛ إلّا أنَّ اكتساح النُّونيَّة للذائقة والذاكرة الجَمعِيَّةِ لمُحِبِّي أبي مُسلم كافَّةً؛ لم تُتِحْ الفرصَةِ لظهور وتجلِّي انفراداتِ روائعه الأخرى. لذلك بدأتُ في شرح بعض أبيات النهروانيَّة[1]، دون استكمال شرحها بيتاً بيتاً، لأنها قصيدة من الوضوح بحيث لا تستدعي ذلك الجُهد، لولا بعض الإشارات التاريخية اللافتة حول موقعة النَّهروان. لكنَّ المُعضِلة التي واجهتني حقيقةً كحجرة صمَّاء هي قصيدته **المَقصورة**، لولا أنَّ أحد الأصدقاء أسعفني بنسخة مُصوَّرة من «الدُّرر المَنثورة في شرح المقصورة»، للشيخ القاضي منصور بن ناصر الفارسي الفنجاوي[2].

---

(١) **ملحوظة**: في مراحل العمل الأخيرة استعنت بالصديق ناصر بن إسحاق الكندي ليُراجع ويُدقِّقَ المتن والحواشي الشارحة، فأضاف، مشكوراً - إلى جانب شروحاتي - شروحات إضافية إلى القصيدة النهروانية. **راجع حواشي**: القصيدة النهروانيَّة.

(٢) صَدَرتْ مُؤخراً طبعة جديدة من كتاب **«الدُّرر المَنثورة في شرح المقصورة»** - دراسة لغوية للشيخ القاضي منصور بن ناصر الفارسي، تحقيق: عادل محمد علي الطنطاوي، تصحيح: إسحاق بن يحيى بن ناصر الراشدي، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة، مُنتصف عام ٢٠٠٩ على وجه التقريب. وقد علمنا بصدور هذه الطبعة، إثر مُطالعتنا لمقال بعنوان: **«أبو مُسلم في مقصورته**: الحنين الحارق إلى أول منزل» كتبهُ الصحفي محمد بن سليمان الحضرمي في ملحق شُرُفات بجريدة عُمان بتاريخ: ٢٩ يوليو، ٢٠٠٩م. لكننا للأسف لم نستفد من تلك الطبعة ولم نُضمِّنها في قسم المراجع والمصادر، لأنها حين صدرت منتصف العام ٢٠٠٩م تقريباً، كُنا قد انتهينا من شرح المقصورة نهايات عام ٢٠٠٧م، ومطلع عام ٢٠٠٨م؛ أي قبل نحو عام ونصف، اعتماداً على النسخة الأصلية (المرقونة على الآلة الكاتبة)، التي أعدها د. عادل الطنطاوي، وهي نسخة مليئة بالأخطاء الإملائية والمطبعية. **ملحوظة**: نُشيرُ، هنا، إلى أنَّ الطبعة الجَدِيدَة من شرح المقصورة مُنقحَة، وهي أفضلُ بكثير مِن نسخة الطنطاوي التي اعتمدناها، وربما كان الفضل عائداً لمُصحِّح الكِتاب: إسحاق بن يحيى بن ناصر الراشدي - **لمزيد من التفاصيل** راجع حواشي المقصورة.

نستطيع القول، وفق معطيات الوضع السياسي والاقتصادي المتدهور آنذاك في «عُمان الداخل»، وعدم قدرة (بالأحرى؛ عدم رغبة) الإمام الجَديد محمد بن عبدالله الخليلي على تحقيق رغبة الشاعر بالعودةِ لتحقيق حُلمه بالمَوتِ في مراتع وطنه الذي أخلص له، واعتقد ـ طوال رحلة منفاه ـ أنهُ سيكون مثالاً للخلاص الروحي والديني لمواطنيه، وفقاً لمبدأ «ديموقراطية» انتخاب الإمام من رَعيّتِه ـ كما تنصُّ على ذلك مفاهيم بناء الدولة، وفقاً للرُّؤية المُتفرِّدة التي كرَّسها المذهب الإباضي، في محاولاته الدَّؤوب لإقامة دولة الاستقامة والعدالة والمُساواة، المَنصوص عليها في مُتون الأصيل من أدبيّات المَذهَب.

لكنها، كما كان الواقع دائماً، لم تكُن سوى أحلام شاعر طوباويَّة اعتقد أبو مُسلم بإمكانيَّة تحققها في قلب الواقع الشرس، رغم تَضلُّعِهِ ومعرفته المُحيطة بكافة العَوامل التي فتكت بإمكانية استمرار تلك الدَّولة/ اليوتوبيا من عدمها، فيما كان يَحتطبُ في زنجبار قصائدهُ الوطنية المادحة لثورة الإمام سالم بن راشد الخروصي، قبل أن يَنكفئ في أواخر أيام حياته على المُتبقي لهُ في مرارة حلقه من نَفَسٍ تجلّى في **«النَّفَس الرَّحماني»** وانقطاعه إلى تأليف **«نثار الجوهر في عِلم الشرع الأزهر»**، وسِواهما من أعمال ظلَّ بعضها مخطوطاً مجهولاً، أو معروفاً أعيد طبع المُتاح منه قبل ضياعه.

لكنَّ حُلم الشاعر اليُوتوبيّ، في حقيقة الأمر، كان قد تلاشى أو بالكاد، لا سِيَّما بعد فاجعة اغتيال الإمام سالم بن راشد الخروصي، وإنْ بقيَ من ذلك الحُلم بَصيصٌ ضَوءٍ في إمامة محمد بن عبدالله الخليلي، لكنهُ ضَوءٌ ساهم كثيرون، كما أسهم الشاعر نفسه في مواته واضمحلاله، لذلك لم يُنَوِّر بَصيصُ ذلك الضوء، في نهاية المطاف، حُلمَ العودةِ المُتأخر إلى معاهد تذكاره في عُمان.

وعوداً على بدء؛ فإنَّ من يتأمَّلُ، بعين فاحصة، قصيدته **العَينيَّة** المكتوبة ـ كما نعتقد ـ في أواخر أيام حياته، سيُلاحظ أنها مُختلفة عن سابقاتها من

قصائده الاستنهاضيَّة كالنونية والميميَّة؛ فهي تُعبِّرُ بوضوح عن مبدأ جديد رَسَّخَهُ، كما بدا لنا، أبو مُسلم في المراحل المُتأخرة من حياته؛ لا ليدعو للإلتفاف حول إمام إباضيٍّ مُبايع كما كان شأنه في استنهاضيَّاته الأخرى، بل نراهُ في نهايات قصيدته العينيَّة يدعو إلى وحدة أُمَّةٍ إسلامية واحدة تكون مذاهبها المُتعدِّدة مصدراً لقوَّتها ومنعتها، عوضاً عن تفرُّقها أمام جحافل الكُفار المُتمثلة ـ وفقاً لما كان يراه، آنذاك ـ في الاستعمار الذي كان ديدنه تحطيم الأمتين العربية والإسلامية.

على صعيد آخر، فإنَّ قصيدته: «وطني» (أي الميميَّة) بها الكثير من الدلالات والشواهد على ولائه لشخص «**أمير المُؤمنين ابن راشد**»، و«أنف الخصم خزيان راغمُ». والميميَّة قصيدة استنهاض لا تقل مكانة عن النونيَّة، لكن القارئ يستشف في ثناياها ما يؤكد عدم قدرته على العودة إلى عُمان، وأنه وإنْ عمل، ضمنياً، في سلك القضاء مع سلاطين زنجبار، إلا أنَّ ولاءه وقلبه كامنان في قلب الإمام المُنتخب وإمامته[1]. وربما بسبب المواصلات وصعوبتها تلك الأيام كان يمارس التقية، فيرسل قصائده إلى عُمان ولم يكن يُظهرها في زنجبار. وفي اعتقادنا أن هذا أقرب تفسير لحالة ازدواجيَّة مدائحه للسلاطين[2]، وهي قليلة ـ عدا مدائحه للسلطان علي بن حمود «الورع»، في

(١) نعتقد أن هذه المرحلة ابتدأت عام ١٩١١م، حين أقصي (أو تنازل) السيد علي بن حمود عن العرش، ليخلفه السيد خليفة بن حارب بن ثويني. وفي استقرائنا لما آلت إليه أمور وأوضاع أبي مُسلم في حكم السيد خليفة بن حارب، لا سيما بعد موالاته الواضحة في استنهاضياته الداعية للوقوف إلى جانب الإمام سالم بن راشد الخروصي؛ نستخلصُ أنهما عاملان عَجَّلا بضغط الإنكليز والسُّلطان المُوالي لهم على أبي مُسلم.

(٢) **إضافة من مُراجع الآثار ومُدققها**: «فليسمح لي مُحقق الآثار وشارحها، الأستاذ محمد الحارثي بمُخالفته فيما مضى إليه في شرحه بخصوص «قسوة أبي مُسلم على بعض رجالات الدين»، لا سيما في النونيَّة [راجع حواشي النونيَّة]، ففي رأيي أنه أمر يجب أن نقلبه على أبي مُسلم نفسه؛ إذ إنني أشكُّ بما ذكره مُحقِّق الديوان حول «موقف جذري للشاعر يُحيلُ إلى أصالة فكره التنويري»، فقراءة هذا الديوان كاملًا كفيلة بهدم تلك الصورة الخيالية والوهمية=

نظره ـ فيما لو قورنت بالجامح والأصيل والنابع من بُوَيْضَاءِ القلب في استنهاضيَّاته الكبرى كالنونية و«وطني» والعينية.. إلخ.

فاستنهاضياته ومدائحه في الإمام سالم بن راشد الخروصي ظلت في الذاكرة الجمعية العُمانية ماتحةً منها أصالتها المفقودة والمُغيَّبة، عن قصد، بفعل تراكُم زمنٍ سياسيٍّ (على اختلاف مُعطياته)، كان همُّهُ الأول والأخيرُ، كما بدا لنا، هو تجيير تلك الذاكرةِ لما حَسِبَهُ إنجازه الفرديَّ، فيما يحذفُ،

=التي انطبعت في أذهان العُمانيين عن أبي مُسلم، والتي مَرَدُّها إلى عاملين، هما: (١): عدم نشر ديوانه كاملاً حتى اليوم. (٢): انتشار النُّونيّة الواسع الكاسح. فإن كانَ أبو مُسلم يعيب على الشيخ عبدالله الخليلي موقفاً ما؛ فإنَّ لأبي مُسلم مَوَاقِفَ تستحقُّ أن تُعابَ وتُذمّ؛ أعني مدائحَهُ البالغة الرِّياءِ والنفاقِ في سلاطين زنجبار، والتي لم يستنكف، في بعضها، من أن يتضرَّعَ ويستغفر، بل ويُؤلِّه سُلطانه ذاك، حتى أنَّ شَعْر جسمي وقف من هول ما قرأتُ، ولم أصدِّق نفسي: هل يبلغ أبو مُسلم هذا المبلغ؟ إذن أين إلهيّاته وأذكاره؟ وستجد ـ أيها القارئ ـ أمثلة كثيرة في باب المدائح. ولكن يبدو أنَّ العامِلَين اللذين ذكرتُهُما خَلَقا لأبي مُسلم صُورة وهميّة بلغت من القوة والتمكُّن أنَّ باحثاً رصيناً هو محمد المحروقي يؤكد في دراسته أن أبا مُسلم كان مُتحفظاً في مدائحه لسلاطين زنجبار! أما هجاؤه الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي، وبتلك الشاكلة المُعيبة، فهو مثلبة في حَقِّ أبي مُسلم؛ لا الخليلي، فحقيقة ما جرى لا يعدو كونه خلافاً سياسياً لم يكن المُتسبب فيه الشيخ عبدالله الخليلي، بل الطرف الآخر الذي نقض اتفاقاً مُبرماً على يد الشيخ، ثم صَعَّدَ الخِلاف إلى نقطة اللاعودة. ولمن لا يعرف فإن الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي كان أميراً شاعراً فارساً وأديباً، وله مواقف بطولية ناصعة في وجه الظَّلَمَة، إلّا أنهُ ذهب ضحية مؤامرة أجهزت على مكانته المنيفة لدى العُمانيين؛ وتلك الأبيات ـ تحديداً ـ شكَّلَتْ ضربةً قاصِمَةً لمكانة الشيخ الذي يستحقُّ منا وقفة تعاطف جَرَّاءَ ما تعرَّضَ له في حياته وبعد مماته بحوالي قرن كامل. العجيب في أمر أبي مُسلم أنهُ بعد هذه الشتائم المُقذعة في حَقِّ الرَّجُل لم يَرَ غضاضةً في استدرار عطف وكرم وَلَدِهِ الإمام محمد بن عبدالله الخليلي طالباً نَوَالَهُ وعَونَه». **ملحوظة المُحقق**: أوردنا، هنا، رأي مُراجع الآثار ومُدققها إثراءً لهذا العمل، وإن اختلف معنا في الرؤية. وبدورنا نؤكد أننا لم نكتفِ بشرح أبيات النونيّة كاملة، كما وصلتنا في مُتونها، بل أوردنا في إحدى الحواشي اقتباساً تخيَّرناه من الرَّد المطول للشاعر عبدالله بن علي الخليلي على أبي مُسلم، كما ورد في مخطوط كِتابه «الحقيقة».

ذاكرة شِعريَّةً أرادَ لها الزمنُ، قَبلَ إرادة أبي مُسلم، أن تبقى شاخصة وماثلة في حياة الأجيال اللاحقة، لأنهُ استبصرَ بوَرَعٍ وحِنكة استبصار لم تنتقص منه جدليَّة الأزمان في سيرورتها التي تجلت في ملاحظته الثاقبة لما سبق المتُنبِّي أن لاحظهُ في بيتٍ لن يتداعى بُنيانُهُ المَرصُوصُ، كما لن يفنى برحيلِ أبي مُسلمَ وسَلفه الشامِخ أبي الطيِّب المُتنبي:

أريـدُ مـن زمـنـي ذا أنْ يُـبـلِّـغـنـي ... ما ليسَ يَبلغهُ، من نفسِهِ، الزمنُ

[١٢]

أَثرُ النونيَّة على شُعراءِ الجَزيرة العربيَّة

لقد كان للنونيَّة تأثير عارم، ليس في وجدان العُمانييِّن في بلدهم عُمان وحسب؛ ـ كما يروي الأستاذ الأديب أحمد الفلاحي، في مقاله آنف الذكر والإشارة ـ بل في بلدان الخليج والجزيرة كافةً أنذاك؛ ليتأثر بأسلوبها الاستنهاضي الفريد شعراءُ ذلك العصر، ومنهم شاعر نجد المعروف «ابن عثيمين» الذي انتحل أسلوبية النونيَّة في نونيَّته التي امتدح بها الملك عبدالعزيز آل سعود، لذلك سنترك بقيَّة الرِّواية ليرويها علينا الأستاذ أحمد الفلاحي: «وقد اشتهرت قصيدته النونية شهرة كبيرة ليس في عُمان فحسب، بل في منطقة الخليج في البحرين وفي الكويت. وقد نشرها المؤرخ والصحفي الكويتي عبدالعزيز الرّشيد في مجلته «الكويت» على حلقات في أكثر من عدد، ويبدو أنها بسبب هذا النشر عُرفت لدى الكثيرين خارج عمان من متابعي تلك المجلة من الأدباء والشعراء في المنطقة، وقد لاحظت ـ والقول ما زال للفلاحي ـ تأثراً واضحا بهذه القصيدة لدى الشاعر النجدي المعروف ابن عثيمين الذي عاش في قطر وكانت له صِلة بسَاحِل عُمان حيث كان يزور أستاذه الشيخ أحمد الرَّجباني وهو عالم نجدي يقيم أنذاك في أم القيوين، كما يزور صديقه الشيخ مبارك العقيلي في دُبَيّ. والشيخ مبارك العقيلي هو الذي عن طريقه ذهبت

قصيدة أبي مسلم إلى الرّشيد في الكويت لنشرها في مجلته، وكان تأثر الشاعر ابن عثيمين[1] واضحاً جداً في قصيدةٍ نونيَّةٍ مُشابهة لقصيدة أبي مُسلم في الوزن والقافية قالها في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود في وقت لاحق:

مَـلِـكٌ تَـجـسَّـدَ فـي أثـنـاءِ بُـرْدَتِـه ... غـيـثٌ ولـيـثٌ وإعـطـاءٌ وحـرمـانُ

خـبـيـثـة الله فـي ذا الـوقـت أظـهـرهـا ... ولـلـمُـهـيـمِـنِ فـي تـأخـيـرهـا شـانُ

ودعـوة وجَـبَـتْ لـلـمُـسـلـمـيـن بـهِ ... أمـا تـرى عَـمَّـهُـم أمـنٌ وإيـمـانُ

---

(١) أبيات نونيّة الشاعر ابن عثيمين التي قالها في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود، نُثبتُها في المُقدِّمة (نقلًا عن مقال الأستاذ أحمد الفلاحي، آنف الذكر). لأن التأثر بنُونيّة أبي مُسلم واضحٌ في قصيدته التي امتدح فيها الملك عبدالعزيز آل سعود. وفي اعتقادنا أنَّ في ذلك أكثر من دلالة، ستسمح لنا شُقّة الزمن بمحاولة استنباطها على الرغم من المُفارقات التاريخيّة التي ستقف حاجزاً أمامنا في المُحاولة: إذ لا مُقارنة البتة بين حُكم عبدالعزيز آل سعود الذي (أقام حُكمه) ليس بالسيف وحده، بل بالسّيفين ونخلتهما المُخفّفة مِنَ بحر الدّماءِ المَسفوكَةِ في اخضرارِ رمزيّتها الداعية (والشاهد خفاق في علم المملكة العربية السعودية) لنوع من التوافق بعد استئثار آل سعود بمُلك الجزيرة قياساً إلى مديح أبي مُسلم لإمام المُسلمين الورع سالم بن راشد الخروصي الأقرب - ولو اعتُبِرَ الأمر اختزالًا في أدبيات الإباضيّة - لعدالة العُمرَيْن؛ عُمر بن عبدالعزيز وعُمر بن الخطاب، لكنَّ الخِطابَ في القصيدتين يُفصِحُ، بدوالِّهِ الخطابيّة، عن المُفارقة المُستعارَة للتعبير شِعراً عن وضعين سِياسيَّيْن، لا مُقارنة بينهما على الإطلاق؛ عدا ما بدا في بلاغة الشعر النبّاض بأحقيَّةِ المَمدوح في مدحته [أبو مُسلم وإمام المُسلمين؛ سالم بن راشد الخروصي]، قياساً إلى مُبالغات شاعر نجد ابن عثيمين المَنحُولةِ من نونيّة أبي مُسلم، لتُعبِّرَ في مِدْحَةِ [ابن عثيمين للمَلِك عبد العزيز آل سعود] عن خلاصات المَشهد التاريخي في الجزيرة آنذاك، وانعكاسها على اللاحق لها زمنياً. وهي، لعَمري، شاهِدٌ تاريخيٌّ، وشاهِدةٌ على مَقابر التاريخ، ناهيكَ عن المَفازة الفارِقة والمُفارِقة شِعرياً ورُوحِياً ووجدانياً بين المِدحَتيْن المَنحولة والمُنتحَلَة، لا على الصَّعيد الشعري المَحض، بل في صُلب مُعادلهما التاريخي في وتيرة انهمام العُمانيين و«السّعوديّين» بهما، لأنَّ الفرق جَليٌّ وضّاحٌ في مُنتهى المُغامَرة، على الصَّعيدين: الشعري والاستنهاضي. وفي اعتقادنا أنَّ ثمة درساً سياسياً وشِعرياً ورُؤيَويّاً، ستنصَبُّ أنوارهُ على قبري كُلٍّ من المَمدوح سالم بن راشد الخروصي، ومادحه أبي مُسلم البهلاني، لضرورةٍ قالتها ضَرورةُ الشِّعر قبلَ أن تتحَنَّكَ بها حِنكة السِّياسَة فشلًا وافتقاراً إلى نَديدِه في مَفازات النجاح (الظاهر) للسّياسي، كما في مَفازات (الباطن) للفشل الرُّوحي.

فجئتَ بالسَّيفِ والقُرآنِ مُعترفاً   تمضي بسَيفك ما أمضاهُ قرآنُ
حيث انجَلى الظلمُ والإظلامُ وارتفعتْ   للدِّين في الأرض أعلامٌ وأركانُ

فهو يستعير أبيات أبي مُسلم في مدح الإمام الخروصي مُتأثراً به في سياق القصيدة حتى أنه يورد بعض كلماته بنصِّها مع الفارق في مستوى الشاعرية؛ فقصيدة أبي مُسلم أكثر شاعرية وأقوى سَبكاً وصياغة بما لا يُقارن»، على حد تعبير الأستاذ أحمد الفلاحي.

[١٣]

في الإطالة والتكرار في مُتون الأذكار

قد تبدو موضوعة الإطالة والتكرار؛ مفردة ومضمونا وأسلوبا في قصائد الأذكار والابتهالات خصيصة غير مُحبذة في الشعر الذي يجب أن ينحو نحو الخالص منه، إلّا أن أبا مُسلم، في اعتقادي، كان واعياً لتلك المسألة؛ وبالتالي هي ليست غائبة عن باله، لكنه يتقصدُّها تديُّناً. فبالتكرار الدائم تكرُّ سبحة التسبيح، إنْ من خلال تأليفه لتلك المطولات، أو فيما بعد عبر تكرار قرَّائها لها، وبهذا ينال الأجر ليس مرَّتين فحسب، بل كُلَّما قرأ قارئٌ نَفسَهُ الرَّحماني. وهو بذلك قد يكون متأثراً بمن سبقه من الشعراء العُمانيين كالشاعر محمد بن مدَّاد في ديوانه المطبوع باسم: «الإعجاز والإشهاد في أشعار ابن مدّاد»، والشاعر محمد بن عبدالله بن سالم المعولي في ديوانه المعروف عند العُمانيين: «ديوان المعولي».

إذن؛ الغاية دينية صرف ولا علاقة لها بالحفاظ على مستوى رفيع من مستويات القول الشعري. والدليل ملحوظ في قصائده الاستنهاضية التي يستكمل فيها شروط الشعر وقوته وجزالته ونفحته الدفاقة في روح القارئ، تماماً كما هو حالُ المعلقات وقصائد كبار شعراء العصرين الأموي والعباسي وشعراء النهضة والاستنهاض القومي والديني في عصور سبقت أو زامنت عصره.

والحقيقة أننا نخلص، هنا، إلى نتيجة واضحة ليست في حاجة لإطالة أو تكرار مُوازٍ للتكرار في أذكاره؛ لأنَّ التكرار حبيس مقصد واحد من مقاصده، ألا وهو أذكاره، ومطولات قصائده التي رتبها وفق أسماء الله الحُسنى. والهدف واضح: مرضاة الله، لا مرضاة الشعر.

وهو ما يؤكِّدُهُ الشاعر مقصَداً في «الخاتمة الأولى» للأذكار حيث أبان بوضوح لا لبس فيه هدف تقرُّبه من الله:

بأسْمَائِكَ الحُسْنى تَقرَّبتُ سَيِّدي | إليكَ مُجِداً في هُتَافِي وقُرْبَتِي
جَعَلْتُ سَمِيرَ الطَّبعِ تَرْتِيلَ ذِكْرِها | لِوَجْهِكَ رَبِّي خَلْوَةً بَعدَ خَلْوَةِ
بحَقِّكَ أَمْطِرْني سَحَائِبَ سِرِّها | بما خَصَّ كُلاًّ مِنْ كَمَالٍ وقُوَّةِ
وَهَبْ لي بها مِنْ كُلِّ خيرٍ أَتَمَّهُ | إلهِيَ في الدُّنيا وفي الأُخْرَوِيَّةِ
إلهي فَتحتَ الفَتحَ لي وأقَمْتَني | بحُبِّكَ فاخْتِمْ لِي بِخَتْمِ المَحَبَّةِ

ففي هذه الأبيات ـ كما لو كان يحدس بما سيقوله مُنتقدوه ـ نراه يُفنِّدُ هدفه من «الأذكار» و«التقرُّب بالأسماء الحُسنى» إلى ذات الخالق، مُستبعداً أهميَّة بلاغتها، ناهيك عن جماليات الشعر، التي قد يكون التكرار أحد مكوناتها في الحدود الدُّنيا، ولكن ليس كما ورد في أذكار أبي مُسلم من إطالة كان لها ما يُبرِّرُها في بُعدها التديُّني تقرُّباً بها من صاحب العزة، دونما اعتبار لوظيفتها الجَماليَّة المَحض.

[١٤]

المدائح السُّلطانية

قدر ما انشغلت شرائح عريضة من الناس باستنهاضيات أبي مُسلم وإلهياته ومدائحه النبوية، وصرفت لُبَّهُم عن أغراضه الأخرى، نُشير ونلفتُ النظر إلى مدائحه في سلاطين زنجبار التي رأت فيها بعض النخب المُثقفة تناقضاً في توجهاته الفكرية والعقدية، لا لأنها مديح شاعر لحاكم، فقد فعل ذلك من

سبقوه من أساطين شُعراء العربية، وتكفي مدائح المتنبي في سيف الدولة مثالاً تجدر الإشارة إليه. لكنَّ شاعرنا في بعض قصائد مديحه لسلاطين زنجبار خرج عن مألوف المدائح بما فيها من إعلاءٍ لشخصية المَمدوح، لا سيما مدائحه في حمد بن ثويني وعلي بن حمود، وإسقاط خبرته ومعرفته الدينية ليسبغ عليهم صفات قرَّبَتهم مِنْ صِفات الألوهة، وقد رأت تلك النُّخب في ذلك سقوطاً مُذلًا ومُهيناً من أبي مُسلم لا غفران له.

والحقيقة أنَّ من يقرأ، على سبيل المِثال، قصيدته الاعتذارية المادحة للسيِّد حمد بن ثويني: «أيادي من عفى»، سيكتشف المبالغات والتهويل في هذه المقصورة، التي بدت لنا، تمريناً مبدئياً على مقصورته العظيمة المُعجِزة.

فهو يقول في بعض أبياتها:

أسْتَغفِرُ اللهَ تَكَادُ نَفسُهُ ... بِسَمْتِ هَذِي الأَنْبِياءِ تُجْتلَى

رِحَابُهُ مَشاعِرٌ قُدْسِيَّةٌ ... مَنْ فَرَضَ الحَجَّ إليهِنَّ اهْتَدَى

قد أفلحَ الدَّهرُ بِهِ والمُؤمِنو ... نَ وفَلاحُ الكَوْنِ فِي يُمْنِ الهُدَى

تَشَعْشَعَ النُّورُ بوَجْهِهِ فَمَا ... بالشَّمسِ مِنْ نُورٍ فَمِنْ ذَاكَ السَّنا

هُدَاهُ فُرقَانٌ وَحَدُّ سَيفِهِ الـ ... ـفاروقُ فِي مَخصِ الضَّلالِ وَالعَمَى

فكما نرى يُسبغ أبو مُسلم على ممدوحه صفات لا تليق به شاعراً، كما أنها لا تنطبق على ممدوحه. ففي البيت الثاني يصف بأن رحابه مشاعر قدسية، وأنَّ من فرض الحَجَّ اهتدى إليهِنَّ؛ أي إلى تلك المشاعر. والبيت برمَّته ينحو منحى الغلوّ والمُبالغة في إضفاء مثل هذه الصفات على ممدوحه، وكان بإمكان الشاعر ذكر ممدوحه بما يليق، مُوازنة، بمقام المِدْحَةِ ومقاماتِ الشيخ المدَّاحِ، قياساً إلى ممدوحه السلطان.

وفي أبيات أخرى من نفس المقصورة، يقول في حمد بن ثويني:

قامَ بِما جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ... لِلهِ وَاسْتَنَّ بِهِ فِيمَنْ رَعَى

نَادَاهُ عَونُ اللهِ وَهوَ أَهْلُهُ ... إنَّا فَتحنا لَكَ فَتحاً في العُلا

ولم يَزلْ فِي حُجُراتِ مَجْدِهِ ... أخوَطَ مَنْ قَدْ نَدَاهُ والسَّخا

فأنّى للسيد حمد بن ثويني أن يقوم بما جاءَ به مُحمد(ص)، مهما بلغت درجات عدله وورعه وتُقاه في نظر الشاعر؟

والحقيقة أننا نكتفي بهذا القدر من اللوم، ونترك الباقي للإستاذ أحمد الفلاحي الذي أبدى ملاحظات على قصائد مديحه في مقاله[1]، آنف الذكر والإشارة:

«أما شعر المديح عند أبي مسلم فجزء منه يدخل في قصائده الوطنية والاستنهاضية كما في مديحه للإمام سالم الخروصي وللعلامة نور الدين السالمي وله مدائح في بعض أعلام عصره أبرزها كانت في الفقيه الأكبر العلامة الجزائري محمد أطفيش الملقب «قطب الأئمة» وكذلك له قصائد مديح في السيد حمود بن محمد البوسعيدي ومدائح واعتذاريات في السلطان حمد بن ثويني سلطان زنجبار وقد جعل بعضها مرتبة علو سور القرآن وعلى أحرف آية الكرسي وهو فيها يتشفع [إليه] ويلتمس عفوه وقد كان غاضبا منه فيما يبدو وهي تدخل في باب الاعتذار وفيها مبالغات سيئة في المديح غير مقبولة من رجل في مكانة أبي مسلم وعلى الرغم من افتخارياته واعتزازه بنفسه في كثير من شعره إلا أننا نجده في اعتذارياته متذللا كسيرا في موقف لا يليق به:

عَبدٌ ببابكَ لمْ يُغادِرْ زَلَّةً ... إلاّ وقد عَلِقَتْ بهِ آثامُها

عَبدٌ ببابكَ مُستَجيرٌ عائِذٌ ... بجِبالِ حِلْمِكَ نفسُهُ اسْتِعْصَامُها

إلى أن يقول في أبيات كثيرة تسترحم وتتعطف في تذلل شديد:

وبعتُ فيهِ بشِراكِ نَعْلِهِ ... دَهرِيَ والدُّنيا ومَنْ فَوقَ الثَّرَى

أين هذا من تلك النفس الشامخة المتسامية في المقصورة ونظائرها. وفي بعض اعتذارياته كثيرا ما تكون مُخاطبته للمُعتَذر [إليه] مثل مخاطبته لله في الضَّراعة والتوسُّل.

---

(١) ما يرد ابتداءً من المزدوجتين التاليتين حتى المزدوجتين اللتين تُغلقان هذا الفصل، منقول حرفياً من مقال الأستاذ أحمد الفلاحي.

وعند ذكره لسُورة الرُّوم يقول:

إذا تَجَلّى فَارِساً تَحَشْرَجَتْ   مَمَالِكُ الرُّومِ بِغَصَّةِ الرَّدَى

ولا ندري أي مَمَالك الرُّوم تلك التي حَشْرَجَها ذلك الممدوح؛ أهي ألمانيا بصِيتها العظيم يومئذ؟ أم إيطاليا بمُستعمراتها المترامية في أقاصي الدنيا؟ أم إنجلترا التي كانت تُطبِقُ على العالم من شرقه إلى غربه؟.. وهذا الممدوح ومملكته تحت نفوذها وقهرها، وهي التي تأمر وتنهي، واذا جاءت لقمان فإن الممدوح حكمته كحكمة لقمان وهكذا بقية السُّور سُخِّرت معاني أسمائها لتكون صفات عظمة ومجد لا يطال لذلك الحاكم المُعتذَر إليه. وعلى الرغم من أن كلمة شُورى معروفة ومعناها واضح، إلا أن شاعرنا حين وصل إلى سُورة الشورى وهو يعرف أن صاحبه لا يُطبق الشورى في دولته، نراه يستخرج للشورى معنى جديداً؛ فهذا العظيم إنما يُشاورُ عقله وهِمَّتهُ وعَزيمَتهُ فقط. أي أنه يُشاور نفسه؛ ومع ذلك فما يقضي به هو الرُّشدُ بعينه:

لِعَقْلِهِ وَهَمِّهِ وَعَزْمِهِ   شُورَى فَعَينُ الرُّشدِ مَا بِهِ قَضَى

وهذه المقصورة كلها على هذا النحو، ويبدو أنه كتبها وهو في حالة حرجة وفي موقف صعب ولعل له عذره. وإن كنا نود لو أنه لم يصل في اعتذارياته إلى مثل هذا، بيد أنه بَشرٌ ولسنا ندري الأوضاع التي كتب فيها قصيدته، ولكنها ليست من روائعه ولا من جَيِّدِ شعره، فهي مليئة بالتكلُّفِ[1] والمبالغة، ليس فيها شيء من إبداع أبي مسلم وتدفقه العفوي مما يؤكد لنا أنها لم تنبعث من عاطفة صادقة، وأنها كانت من أجل حاجة في نفس يعقوب. وقد أنبأني أحد الإخوة، وهو باحث مُدقِّق، وله بعض الكتابات عن أبي

(١) ملحوظة مِن مُراجِعِ الآثار ومُدقِّقها: أختلفُ مع الأستاذ أحمد الفلاحي بخصوص مدائح أبي مُسلم. فمدائحه في سلاطين زنجبار جَزِلَةٌ ودفَّاقة كَدَيْدَنِهِ في جُلّ شِعره، ولا تكلُّفَ فيها إلّا بمقدارِ ما تتطلبه القصيدة العَمودَيَّة ـ عُموماً ـ مِنْ فَنّ صَنعَةٍ لا بُدَّ مِنه. ولا أرى داعياً للاتكاءِ على مقولة [التكلُّف] ضَنّاً بالصُّورَةِ الوَهمِيَّةِ أنْ تتساقط.

مُسلم؛ أنَّ هذه المدائح والاعتذاريات كانت في بدايته، وقبل قصائده الاستنهاضية والحَماسيَّة، وقبل نُضجه ولمَعان اسمه وظهور صِيتِهِ وتعمُّقِ شاعريَّته، وذلك واضح جليٌّ عند المُقارنة بين تلك القصائد الغُرَر وبين هذه المدائح المُتواضِعَة المُستوى».

[١٥]

أوراق مجهولة من الصَّحافة العُمانية في شرق إفريقيا(*)

(الجُذور، الرُّواد، النهضة الصَّحافية في زنجبار)

نُجحِفُ بحق الصَّحافة العمانية إذا قلنا بتأسيسها عام ١٩٧٠م، مع ظهور صحيفة «الوطن» التي هي، بالفعل، أول صحيفة تصدر في عُمان[١]. لكنَّ ميلاد الصحافة العمانية قد تم قبل ذلك التاريخ بـ ٥٩ عاماً، ليس في عُمان التي كانت تمر آنذاك بظروف لم تكن تسمح بإصدار صحيفة، بل في «السلطنة التوأم»، آنذاك: زنجبار. فكما هو معروف هاجرت قبل وبعد انفصال السَّلطنتين مُعظم النخب المثقفة من عُمان إلى زنجبار، بحثاً عن مناخ أفضل

(*) هذا الفصل مُنتخب، بتصرُّف، من مقالةٍ كتبتُها بُعيد مطلع الألفية الثالثة، وسبق لي أن نشرتها في صحيفة «القدس العربي» اللندنية، لكنني أعدتُ صياغة بعض فقراتها لتنسجم مع هذه المقدمة.

(١) **توثيق تاريخيٍ لأول صحيفة**: عَلِمنا مِن مَصدَرٍ مَوثوق؛ أنَّ أوَّلَ صَحيفةٍ تَصدُرُ على أرضِ عُمان، لم تكن صَحيفة «الوطن» الصَّادرة عام ١٩٧٠م ـ كما ذكرنا في مقالنا. فأوَّلُ صَحيفةٍ عُمانيَّة كان اسمُها: **«الشعبُ أقوى»**، ولم تصدر في مسقط، بل في سَمَائل بالمنطقة الدَّاخليَّة سنة ١٩٦٥م، إبَّان حُكم السُّلطانِ سعيد بن تيمور، إثر سُقوط إمامةِ عُمان. وقد صدر من تلك الصحيفة عَددٌ يتيمٌ ثُمَّ ألقت السُّلُطات القبضَ على ناشرها، كما صَادَرَتْ المطبعة التي هُرِّبَت من دُبي في بطن سَفينةٍ خشبيَّةٍ عبر بلدةِ السِّيب القريبة من مسقط. وقد ظَلَّ ذلك الناشِرُ مُعتقلًا حتى عام ١٩٧٠م، حيث أطلق سراحه في مجموع من أطلق سراحهم مع بداية العهد الجديد في ٢٣ يوليو ١٩٧٠م.

للتعبير عن تطلعاتها، بحكم الجُمود وتقلقل الأوضاع السّياسية والاقتصادية. لذا نستطيع القول، دونما مبالغة، إن عام ١٩١١م كان الميلاد الحقيقي للصَّحافة العُمانية بصدور جريدة «النجاح» في زنجبار. صحيح أنَّ تلك الصَّحافة لم تكن «صحافة مَهْجَر» ـ بالمعنى المعهود، والمُتعارف عليه ـ لكنها صحافة عُمانيَّة ظهرت في زنجبار لغياب شرط ظهورها في عُمان، لا سِيَّما وأنَّ الشاعر أبا مُسلم البهلاني[١] قد رأس تحريرها فترة من الزمن. أما أشهر تلك الصُّحف، وأكثرها مداومة على الصُّدور فقد كانت صحيفة **«الفلق»** التي تأسست عام ١٩٢٠ التي تناوب على رئاستها نخبة من الكتاب العمانيين. وقد كانت هذه الصحيفة صلة وصل بين العمانيين في عُمان وزنجبار، كما كانت صِلة وصل بهم، ناهيك عن أنها كانت يومها بمثابة «علوم وأخبار» هذا العالم.

تلك الصَّحافة المبتورة جَسداً، الموصولة روحاً، أناخت في جوزة هِند المناخ الليبرالي نسبياً في زنجبار. وهو مناخ أدى لنشوء جمعيات وأحزاب لم يجد بعض السَّلاطين غضاضة في ظهورها كـ «الجمعية العربية» و«الحزب الافرو. شيرازي». ليس هذا فحسب، بل إنَّ السُّفن الزنجباريّة حملت أعداد تلك الصحف، كما حملت قُبَّة الذكريات، إلى «داخليَّة عُمان»[٢]، وكانت تصل إلى المشتركين فيها على ظهور الجِمال التي تحملها من ميناء صُور في المنطقة الشرقية إلى سائر المناطق العمانية، لتواصل بها المسير الى مومبي[٣]

(١) في الحقيقة أنَّ أبا مُسلم أَسَّسَ صحيفة «النجاح» في زنجبار ورأس تحريرها فترة من الزمن، مُستفيداً من وجود المطبعة السلطانية، التي نشر فيها إلى جانب صحيفة «النجاح» كُتباً فقهية وأدبية انتشرت ليس في عُمان فحسب، وإنما في القاهرة ووادي ميزاب في الجزائر، لكنَّ هذه المعلومة لم تكن متوافرة خلال كتابتنا للمقال.

(٢) تعبير كان يُستخدم للتفريق بين ساحل «سلطنة مسقط» ومناطق نفوذ «إمامة عُمان» في المنطقة الداخلية وسواها من المناطق كالشرقية والظاهرة.

(٣) كانت تُعرف، آنذاك، باسمها الكولونيالي: بومبي Bombay، وقد استعادت مؤخراً اسمها الهندي القديم: مومبي Mombay.

في الهند التي كانت، آنذاك، حاضرة وواحة ثقافية وتجارية لكثير من أبناء الخليج ـ مثالا لا حصراً: الشاعر البحريني إبراهيم العريض (مُترجم عُمر الخيام)، والشاعر والتاجر الإماراتي سلطان العويس، وبعض النخب السياسية والثقافية في منطقة الخليج التي ضُويقت من أبناء جلدتها، ووجدت في مومبي ما يجده البعض في باريس ولندن اليوم!

تلك الصُحُف العُمانية (إلى جانب بعض المجلات والصُحف المصرية)، كانت تُتداول وتُقرأ وتُؤوَّل، لأنها كانت النافذة الوحيدة على العالم، والوحيدة التي تهتم بالشأن العُمانيّ المضطرب آنذاك. وفوق هذا لم تكن تلك الصحافة غريبة عما يحدث في بؤرة العالم العربي آنذاك، فقد كانت تصل إلى بعض الأقطار العربية وعواصم كـ اسطنبول وباريس، وتتابع من قبل السَّاسة والمُهتمين.

ومثالا على ذلك يورد أحدهم هذه الحكاية: فقد أرسل «مدير أشغال مجلة «العُروة الوثقى» في باريس إلى السُلطان علي بن حمود رسالة «يتعطفه» فيها تخصيص اشتراكات لـ«العروة الوثقى» في دوائر حكومة السلطان، على أن تنشر أخبار سلطنة زنجبار في «العروة الوثقى».

بطبيعة الحال توقف صدور بعض تلك الصحف، وتقطع بعضها، واستمر بعضها تحت أسماء أخرى. من أهمها: «الإصلاح، صدرت ١٩٢٣»، «النهضة، ١٩٤٩»، «المُرشد، ١٩٤٥، «الأمة ١٩٥٨»، وبالطبع «النجاح» و«الفلق» آنِفتا الذكر. وأسماء تلك الصحف، كما يبدو، تشفُّ وتُعبِّرُ عن اهتماماتها الوطنية ومتابعتها لأحوال الأمة العربية ـ بخطاب لا تخفى جُذور (أَسْلَمَتِهِ) التي لا بد منها في شتلة تلك الأقاصي ـ ، وقد ظل الاهتمام بأحوال عُمان[1] ـ التي انقسمت بعد انقسام واقتسام إرث الأسلاف إلى إمامة عاصمتها

(١) مِنْ غريب ما قرأتُ، حول هذا الموضوع، في عدد ١٠ يوليو، ١٩٩٩م من صحيفة=

(نزوى) وسلطنة عاصمتها «مسقط» ـ ديدن تلك الصحافة. بل أن الجُرأة بلغت منها مبلغاً لا تبلغه صحافة هذه الايام، من ذلك: أنَّ جريدة «النهضة» التي أسَّسها السيد سيف بن حمود بن فيصل عام ١٩٤٩م، نشرت خبراً عن «ناظر شؤون الداخلية» في مسقط الذي أصدر قراراً بمنع العُمانيين المقيمين في زنجبار من دخول وطنهم الأم. بل إنَّ تلك الصحيفة طالبت بمُحاكمة ذلك الناظر، ولذا أمر سُلطان عُمان السَّابق سعيد بن تيمور، بإلغاء «فرمان» ناظر داخليته.

كان هذا حال صحافة عربية مجهولة، لم تحظ بالدراسة والأرشفة وتقدير دورها، لإهمال ونسيان ليسا غريبين عنا وعن أحوالنا. ولا يهمني، في **«فتح البصاير»** هذا، تمجيد إشراقة عُمانيَّة ـ نسيت نفسها، زمنا فائضاً في مفصل العربة والحصان ـ ، وإنما الإلماح إلى لحظة عربية قديمة قليلًا، وساطعة كنجمة تستحق الالتفات إليها من العُمانيين أنفسهم، قبل سواهم من الباحثين والدارسين والمؤرشفين.

والحقيقة المُرَّة أنه لا أحد يعرف مصير كثير من الوثائق السّياسية والأدبية والفقهية التي ظلت في زنجبار بعد خروج العُمانيين منها، سواء ما استولى عليه أحفاد ثورة عبيد كرومي أو ما ظل حبيس أدراج بعض العُمانيين أو أحفادهم، هنا في عمان أو هناك في زنجبار.

=«الحياة» اللندنية مقالًا عن دورية عُمانية مناهضة للاستعمار البريطاني اسمها «فتح البصاير»، صدر عددها الاول في يناير ١٩٠٠م، وهي صحيفة مطبوعة بخط اليد. ولا ذكر، في صفحاتها، لصاحبها ولا لمكان صُدورها. وقد اهتمت بها بريطانيا العظمى آنذاك، ظناً منها أنها ربما كانت تصدر من قبو سِريٍّ في «مسكد» أو مسقط، لكن «تقريراً سِرياً للبريغادير من عَدَن الى الخارجية البريطانية بواسطة حُكومة بومباي البريطانية الاستعمارية، يُرجح صُدور الجريدة من باريس، ويستبعد صُدورها من بيروت. ويُعلل الاستبعاد بأنَّ أية مطبوعة تصدر في بيروت أو في أية مُتصرِّفيَّةٍ أو ولاية عُثمانية يَجب أن تحمل اسم صاحبها ورئيس تحريرها»!

[١٦]

تَقريظُ الكُتبِ وثِمَار المَطبَعة السُّلطانيَّة في زنجبار

أُنشِئتْ المطبعة السلطانية عام ١٨٧٩م في عهد السُّلطان برغش بن سعيد بن سلطان. وكان أبو مُسلم أول المُستفيدين من تلك الغنيمة غير المُتوقعة في ذلك الصّقع، فاهتم بها وثمَّن قيمتها العالية في الإسراع بنشر المعرفة؛ لذلك نشر فيها كُتباً فقهيَّة مختلفة لكبار عُلماءِ الإباضية، إضافة إلى أعماله التي نُشِرَ بعضها هناك خلال حياته، لكنها أعمال أدبية[1] أضاعت مُعظمها يد الدَّهر، ولم يبق لها ذكر.

والمدهش أن مُغامرة أبي مُسلم المَعرفيَّة ذهبت به إلى أقصى حدودها المُتاحة آنذاك، حين أسَّسَ صحيفة «النجاح» عام ١٩١١م. تلك الصحيفة التي رأس تحريرها فترة من الزمن، وظل يكتبُ فيها مُراوحاً في مقالاته بين الأحداث السياسية في العالم الإسلامي وبين اهتماماته الأدبية.

إلى جانب ذلك، فقد عُني عناية فائقة بنشر أُمَّهات كُتُب المذهب التي قرَّضها بقصائد اشتملت عليها آثاره هذه؛ منها:

---

(١) واحد من أعمال أبي مُسلم الرواحي التي لم أجد لها ذكراً في كافة المصادر التي أتيح لي الاطلاع عليها كتابه المفقود: «السياسة بالإيمان». وهو كتاب يرد ذكره في رسالة أبي مُسلم المُطولة إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي، في معرض إشارته التلميحية للإمام سالم قائلًا: «. . وقد أشبعنا الكلام في هذا المقام في كتابنا «السياسة بالإيمان»، فارجع إليه، وها هو مُوجَّهٌ إليك. كُنا قد ألفنا الكتاب على هذه الوتيرة ـ كما تراه قبل أن يمُنَّ الله علينا بظهور دولتك المؤيَّدَة ـ بمشورةٍ وطلبٍ من أعز الأصحاب وأحبِّ الأجناب الشيخ سليمان بن سيف اليعربي، فمَنَّ الله بتمامه، وعلى إثر تمامه بأيام جاءتنا البشائر ببزوغ شمس الحقِّ فكان الواقع هوعين موضوع الكِتاب، ولم يتيسَّر لنا إرساله قبل الأوان الحاضر، وما كان ذلك أنَّ بعض الأصحاب ممن نثق به وعدنا بطبعه على نفقته، ولرغبتنا الأكيدة في نشره بأقطارنا العُمانية وثقنا بالوعد الذي أصبح سَراباً بقيعة».

١ ـ منهل الوُرّاد، لـ أحمد بن أبي بكر العلوي.

٢ ـ هميان الزّاد إلى دار المَعَاد، لـ محمد بن يوسف أطفيش.

٣ ـ حاشية الترتيب، لـ محمد بن إبراهيم الورجلاني.

٤ ـ مدارج الكمال، لـ عبدالله بن حميد السالمي.

هذه الكُتب اهتمَّ بطبعها أبو مُسلم في المطبعة السلطانية في زنجبار وعُني بنشرها وتوزيعها في عُمان والجزائر والقاهرة ومكة المُكرَّمة لتعبر من حاج إلى آخر في موسم الحجّ؛ لتصل الباحثين عنها في تلك العواصم.

وكما نلاحظُ؛ فإنهُ لم يَكُن مُتعصِّباً لمذهبه بل مُنفتحاً على كافة المَذاهب الإسلاميَّةِ لاعتقاده بأنَّ قوة المُسلمين ومنعتهم تكمنُ في اتحادهم، وليس في تكفير المذاهب لبعضها البعض، فقد عُني بطباعة كتاب منهل الوُرّاد، للشيخ أحمد بن أبي بكر العلوي. وهو شيخ علويٌّ شافعي المذهب، يتصلُ نسبه بالرسول (ص)، وفي ذلك تدليل على عدم تعصُّب أبي مُسلم لمذهبه، كما أشار لذلك المحروقي في دراسته. والحقيقة أنَّ أبا مُسلم في تقريظه لكتاب منهل الوُرَّاد مدح مكانة الشيخ أحمد بن أبي بكر العلوي؛ قائلًا:

مَصْدَرُ الفضلِ أحْمَدُ بنُ أبي بَكْرِ	شَريفُ الآباءِ والأجْدادِ
عَلَوِيٌّ مُحَمَّدِيٌّ عَلَيهِ	مِن سَنا النُسْبَتينِ سِيما السَّدادِ
جَمَعَ العِلمَ في مَزادِ مِن التَّقـ	ـوى، ولِلهِ جَمْعُ ذاكَ المَزادِ
واقتنى الدُّرَّ من عُلومِ الإشاراتِ	فَحَلَّى بهِ صُدُورَ النَّوادي

جَرَّدَ النفسَ من كَثائِفِها فانهالَتْ عليها لَطائِفُ الإمْدادِ

وتلقَّى من رَبِّهِ كَلِماتِ	صَبُّها الفَيضُ في لِباسِ المِدادِ

وفي اعتقادنا أن ما دفعه إلى ذلك هو المَناخ المُنفتح في زنجبار بحكم تواجد طوائف دينية ومذهبية مختلفة؛ كالشيعة والإسماعيلية والإباضية وبعض مذاهب السُنة. كما أن انفتاح المناخ السياسي وليبراليَّته النسبيَّة في ظِلِّ وجود أحزاب تتنافسُ لمصلحة سُكَّان زنجبار بكافةِ طوائفهم، دون أن يُعوِّقَ بعضُ السلاطين المُتنوِّرين ذلك الاتجاه.

والحقيقة أنَّ أبا مُسلم لم يكتفِ بذلك الدَّور في طبع الكُتب ونشرها، بل أضحت مِفصلًا صميمياً اجترحته تجربته الشعرية إلى جانب إلهياته وقصائد التصوف والمديح النبوي واستنهاضياته وقصائده الاجتماعية، ليظهر غرض «تقريظ الكُتب» في صُلب عمله الشعري توازياً لا يقلّ في أهميَّته عن أغراضه الأخرى. وفي اعتقادنا أنَّ فرحه الغامر بطباعة تلك الكتب ونشرها، هو ما دعاه لإعطاءِ تقريظ الكُتب جانباً هاماً من تجربته الشعرية، وذلك إنجاز كبير بكافة المقاييس. فهو ـ كما يُشير المحروقي ـ من الأغراض الجديدة في الشعر العربي، ارتبط ظهوره بعصر المطبعة.

والحقيقة التي لا بُدَّ من التأكيد عليها، هي أن شهرة الشاعر الفقهية والأدبيَّة ذاعت في العالم الإسلامي كله. وبإمكاننا استنتاج ذلك من علاقاته بأعلام الإصلاح في عصره مثل الشيخ سليمان الباروني باشا، والشيخ محمد بن يوسف أطفيش الجزائري، ناهيك عن اطِّلاعه الواسع على مجريات الأحداث الإسلامية من حوله، كما تدل على ذلك جريدته «النجاح» التي أصدرها في زنجبار. فهي دليل آخر على عبقرية مؤلفاته القيمة، لاسيما في ميدان الأدب والشريعة بشهادة كل من قرأ ديوانه، أو اطلع على «نثار الجوهر»، ولا أحسب أن عالما يستطيع أن يتولى رئاسة القضاء في زنجبار لو لم يكن على ذلك النحو من التفوق والتبحُّر علماً، فقهاً وعلوم لغة، لا سيما أن جريدة النجاح تُعدُّ واحدة من أوائل الصُّحف العربية ظهوراً في ذلك المُنتأى، فهي ـ كما أشرنا ـ دليل دامغ على سعة أفق أبي مُسلم، وتفتحه على مجريات أحداث عصره، وانهمامه بالتعريف بالطاقة الكامنة في الفكر الإسلامي، ناهيك عما اجترحته الصحافة في ذلك العصر من تغيير في أنساق تفكير النخب الأدبية والدينية والسياسية، حتى أن الشاعر أحمد شوقي عد ظهور الصُّحف آية من آيات ذلك الزمان، كما ورد في بيته المعروف:

لِكُلِّ زَمَانٍ مَضَى آيَةٌ ... وآيَةُ هذا الزَّمانِ الصُّحُفْ

[١٧]

أبو مُسلم وحِسابُ الجُمَّل

حِسابُ الجُمَّل[١] هو حساب تقليديٌ مُزمِنٌ في عراقته. وقد استخدمه أبو مُسْلِم لتأريخ بعض الأحداث في قصائده، لا سيَّما تأريخ وفاة بعض الأشياخ والفقهاء والعُلماء الذين رثاهم، إلى جانب تواريخ طبع كُتب العلماء والفقهاء التي قام بتقريظها في قصائد مستقلة، كما أشرنا. والحقيقة أن تقريظ الكُتب والاعتناء بتواريخ طبعها، غرض جديد من أغراض الشعر التفت إليه الشاعر وأعطاه اهتماماً إلى جانب الأغراض الأخرى التي قاربها شعره كثرة وقلة.

أما حِسابُ الجُمَّل فهو حِسابٌ مُندثرٌ لم يعد أحد يَعتدُّ به في الوقت الحاضر، إلّا القِلَّة مِمَّن أبانوا عن ولع كبير به، وأنشأوا مَواقِع إلكترونيَّة على الشبكة أبرزت ولع نسبة يسيرة من أبناء هذا الجيل بهذه الحِيَل الحُروفيَّة، لذلك لا نرى بأساً من التذكير بأهميته القصوى في سالف الأيام لتأريخ الأحداث في القصائد والأراجيز التي تؤلف خصيصاً لتلك الغاية.

أما الطريقة المُستخدمة في الشعر العربي الكلاسيكي، فعادة ما تكون عبر اختيار جُملة بعينها (بالأحرى، تقصُّد تركيبها) في أحد أبيات القصيدة لتشير

---

(١) بخصوص الأصُول التاريخيَّة التي نشأ منها **حِساب الجُمَّل**، كما نعرفه في العربيَّة، أو «**جِمَطْرِيَة**»، كما يُعرَف في مذهب مُتصوِّفة **القبَّالة** اليهود. لمزيد من التوضيح والتوسُّع، راجع حاشية بيت أبي مُسلم الذي يرد في موضع آخر من هذه المقدمة: **وأنا من حَيثُ انتِسابي إليهِ | مُنعِشُ الرُّوحِ باعثُ الأجْسادِ**، إذ يرد في نهاية تلك الحاشية ما يلي: كان البَابليُّون والإغريق سَبَّاقين إلى دراسة معاني الكلمات بالنظر إلى القيم العدديَّة للحروف التي تتألَّف منها. وقد استدخل بنو إسرائيل هذا المنهج تحت اسم «جِمَطْرِيَة» [حِسَاب الجُمَّل] في عهد الهيكل الثاني، وهو حِسَابٌ تضلَّعَ فيه أبو مُسلم واستخدمه في أكثر من قصيدة من نتاجه الشعري.

عن طريق حِساب الجُمَّلِ[1] إلى تاريخ بعينه، سواء كان تاريخ طبع كتاب (كما فعل أبو مُسلم)، أو تاريخ وفاة أحد الأعيان، أو تاريخ ميلاد مولود جديد. وقد يكون التاريخ معنيًا بالسنة فقط، لكنَّ بعض المُتفقهين في ذلك الحساب يجعلون الجُملة ـ المفتاح قادرة على تحديد اليوم والشهر والسنة (الهجريَّة، عادة) بحيث يكون تأريخ الحدث في صُلب القصيدةِ لا يندثر باندثار الأيام.

والفكرة، في مُجملها، هي اعتبار كُل حرف من حروف الأبجدية، بمُعادل رقم معلوم يُجمع إلى رقم الحرف التالي له، لتكون مُحصلة الجملة ـ المفتاح تاريخ الحدث باليوم والشهر والسنة. نثبتُ، هنا، أحد نماذج حساب الجُمَّل الشائعة، حيث يظهر كُلُّ رقم (في الجدول أدناه) تحت الحرف المُوازي لقيمته العددية:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠
	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	
	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	
			ث	خ	ذ	ض	ظ	غ			
			٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠			

وكي لا نطيل سنوجز، هنا، طريقة الاشتغال المُبسَّط على الأسلوب المُتبع في تحويل الحروف إلى مُعادلها الرَّقمي، وفقاً لِحساب الجُمَّل. وسنكتفي بمثال بسيط، كي لا ندخل في تعقيدات الحِسبة. فمثلا، إذا ما أردنا تأريخ صدور هذه الطبعة من آثار أبي مسلم؛ فسيكون حاصل جمع: [غ + غ + ي = ٢٠١٠م]، على

(١) لا يفوتنا أنه حِسابٌ معروف لدى الأشياخ القدماء، وقد يبدو ذكره، هنا، تفسيراً للماءِ بعد الجُهد بالماء، لكننا نثبته كي تطلع عليه الأجيال الحديثة ممن لم تُتحْ لها معرفة هذه الآلية الفريدة في التأريخ للحوادث المفصلية في الأزمان، ناهيك عن تاريخها المُمتد منذ عصور البابليين والإغريق المُتقدِّمة.

اعتبار أن حرف [الغين] يُساوي ألفاً من الأرقام، وعليه فإنَّ [غينين مُزدوجتين] تُعادلان ألفين، فيما يُساوي حرف [الياء] الرقم عشرة، كما هو موضح في الجدول أعلاه. واللعبة الفنية التي اعتمدها أبو مُسلم (كما اعتمدها كثيرون قبله) تكمن في استخدامه الشعري لحساب الجُمَّل في ابتكار مفردات ذات معنى (ظاهر) ذي دلالة في خاتمة القصيدة، بمُوازاة معنى (باطن) هو التاريخ المُراد تأبيده في المَتن الشعري، سواءٌ كان جائحةً، أو مَحلًا مُزمِناً، أو تأريخ الانتهاء من تأليف كتاب يؤرخ له في أرجوزة، وهكذا دواليك.

[١٨]

ببليوغرافيا النَّشأة والحَيَاة(*)

[I]

اسمه ونسبه

هو ناصر بن سالم بن عُديِّم بن صالح بن محمد بن عبدالله بن محمد البهلاني الرَّواحي العُماني (المُكنّى: أبو مُسلم). ويبدو أنها كُنية كانت أثيرة لدى الشاعر لارتباط مدلولها بالاستقامة الدينية. وهي كُنية طغت على كُنيَته الأخرى الأقل شيوعاً: أبو المُهنّا، رغم أنَّ لها جذراً واقعياً محسوساً، لأنَّ

(*) اعتمدنا في كتابة هذه النبذة عن حياته ونشأته، على أكثر من مصدر؛ أهمها وأوثقها دراسة د. محمد المحروقي: «**أبو مسلم البهلاني، رائداً**»، إلى جانب ما اخترناه من: «النبذة المُختصرة من ترجمة سيدي العم المرحوم ناصر بن سالم بن عديّم البهلاني الرواحي»، التي كتبها جامع شعره ابن أخيه الشيخ سالم بن سليمان البهلاني الرواحي؛ وهي نبذة كتبها ابن أخيه (كما ورد في مُقدمتها) بناء على طلب الشيبة محمد بن عبدالله بن حميد السالمي، مؤلف «**نهضة الأعيان بحُريَّة أهل عُمان**»، إضافة إلى مصادر أخرى، أهمها مُقدِّمة المؤرخ الشيخ سالم بن حمود السيابي لكتابه: «نثار الجوهر»، إلى جانب مصادر ثانويَّة منها، على سبيل المثال، لا الحصر كتاب «**زنجبار: شخصيات وأحداث**» ـ راجع قسم **المصادر والمراجع**.

المُهنا هو اسم ابن الشاعر، الذي كرَّس له قصيدتين، إحداهما فرحاً بتعافيه من مرض ألم به.

أما نسبه: **البهلاني**، فهو عائد إلى قبيلة الشاعر التي هاجرت من موطنها إلى وادي مَحْرَم[1]، مِنْ أعمال ولاية سمائل في عُمان، لتنضوي تحت لواء قبيلة بني **رواحة**[2]، القبيلة المُتسلسلة نسباً في عَبس[3]، وقد دخلت عُمان منذ ألف وأربعمائة عام، كما يُشيرُ إلى ذلك مايلز Mails في كتابه: **الخليج**، بلدانه وقبائله.

[II]

تاريخ مَولده وتاريخ وفاته

وُلد في أحضان بيت علم وفضل في قرية (مَحْرَم)، أكبر قرى وادي مَحْرَم، مِنْ أعمال ولاية سمائل في عُمان. وهو وادٍ يقع في المنطقة الداخلية

(١) ثمة رواية أخرى، غير مُؤكدة، تقول بولادته في نزوى، عاصمة الإمامة حين كان والده الشيخ سالم بن عُديِّم الرواحي قاضياً لدى الإمام عزان بن قيس، لكنها رواية ضعيفة كما بدا لنا من تقفِّي تاريخ ومكان ميلاده، لكننا لم نر بأساً من إثباتها في هذه الحاشية، لا سيما أن العُمانيين لم يكونوا يُدوِّنون تواريخ الميلاد وغالباً ما يعتمدون على الذاكرة الشفاهية، أو ربط ميلاد أحدهم بحدث بارز، كجائحة خاطفة، أو مَحْلٍ أزمَنَ وأَعْمَن، أو فتحٍ مِن فتوحات أئمَّتهم، أو غزوةِ غاشم جاء مِن حُدود المِصْرِ أو خوارجه.

(٢) ترددتُ كثيراً قبل البتِّ في نسبة الشاعر إلى قبيلته الأصلية (**البهلاني**)، أو القبيلة التي انضوت تحت لوائها قبيلته المُهاجرة من بهلا إلى وادي محرم تحت كنف (**بني رواحة**)، وآثرت في نهاية المطاف إثبات النسبين في عُنوان الآثار، لسببين: شيوع اسمه الكاسح بصفته: أبو مسلم البهلاني، فضلًا عن عثوري على وثيقة صَكٍّ شرعيٍّ بخط يده، وتوقيعه الذي أثبت فيه اسمه كالتالي: كتبه شاهداً به العبد الفقير إلى عفو الله ورحمته **ناصر بن سالم بن عديِّم بن صالح الرَّواحي بيده**، في يوم ١٣ جمادى الأخرى سنة ١٣٣٧ من الهجرة النبويَّة على مهاجرها أفضل الصَّلوات والتسليم. راجع قسم **الوثائق والصُّوَر**.

(٣) راجع نسب الشاعر في الأبيات الخاصة بقبيلة بني رَوَاحة في شرح النونيَّة.

من عُمان، يمتاز بوعورته و«ضعاضعه» وتحصينه المُمتنع بين الجبال الشاهقة على جانبيه، كما بالأبراج والقلاع التي تَصُدُّ من يُحاول اقتحام ذاك الوادي «المُحَرَّمِ» على غير سُكَّانه في زمَن غابر.

أما بالنسبة لتاريخ ميلاده، فقد تضاربت الآراء، وثمة أكثر من رواية:

١. **الرواية الأولى**: لسالم بن سليمان البهلاني، وهي تذكر أن الشاعر وُلِدَ عام (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م).

٢. **الرواية الثانية**: لابن الشاعر المُهنا بن ناصر البهلاني، وهي تذكر أنَّ أبا مُسلم وُلِدَ عام (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م).

٣. **الرواية الثالثة**: لسالم بن سليمان، أيضاً، وهي تذكر أنه وُلِدَ عام (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م).

ومن الواضح تذبذب سالم البهلاني ـ كما يُشيرُ المحروقي في دراسته ـ في محاولات تحديد تاريخ ميلاد الشاعر، فوجود روايتين متناقضتين دليلٌ على عدم دقَّتِهِ، بسبب تغيُّر ذاكرته بمرور الزمن، ناهيك عن أن روايته الثانية لا تستقيم مع إشارة للشاعر نفسه حول تحديد سِنِّه. ففي قصيدته العَينيَّة يُشيرُ بوضوح إلى أنه قد بلغ الستين من العُمر:

وأيُّ رجاءٍ بعد سِتِّين حَجَّةً لعَيشٍ، وهَلْ ماضٍ من العُمْرِ راجِعُ

هذا البيت ـ الوارد في ختام الفقرة السابقة ـ يعني، فيما يعنيه، أنَّ الشاعر قد بلغ السِّتين من العمر. وبناء على رواية سالم بن سليمان البهلاني الثانية؛ فإنَّ وفاة الشاعر تكون قد حدثت وله من العمر خمسٌ وخمسون سنة، في حين أنَّ وفاته كانت بتاريخ (١ صفر ١٣٣٩هـ/ ١٥ أكتوبر ١٩٢٠م). ونحن نرجِّحُ ـ كما روى المحروقي في كتابه ـ رواية ولده المُهنّا لقربه من والده، ولقرينة تاريخيَّة تتصل بختان الشاعر، فكما يذكر الشيخ أحمد بن حمد الخليلي؛ أنَّ أبا مُسلم خُتِنَ في نزوى لما كان والده الشيخ سالم بن عديِّم والياً وقاضياً عليها زمن الإمام عزان بن قيس، وقد فُتِحَت نزوى عام (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م)، وذلك يُناسب السِّن الذي يُختَنُ فيه الولد.

[III]

تعليمه وتكوينه الثقافي والمعرفي

تعدَّدَت الرَّوافد التي شكَّلت ثقافة أبي مُسلم البهلاني، ووجَّهَت شاعريَّته، بين روافد دينية وأدبية ولغويَّة، إلى جانب ما اكتسبه بالمُمارسة طوال تجربته الحياتية الثرَّة. والحقيقة أن المحروقي يُشير إلى ندرة المصادر المكتوبة عن حياة الشاعر (وهو ما أتفق معه فيه)، لذا كان لزاماً علينا أن نتوجه إلى شعره مُباشرة، وأن نستعين بالمشايخ والعُلماء العُمانيين في محاولة نسجنا لصورة أقرب ما تكون إلى الكمال عن حياته المُغيَّبَة.

والحديث عن ثقافة الشاعر الدينيَّة يستتبع الحديث عن التعليم في عُمان قبل عام ١٩٤٠م، وهو العام الذي شهد ميلاد أول مدرسة نِظاميَّةٍ في مسقط، فقبل ذلك التاريخ كانت الكتاتيب والجوامع (لا سيما في المناطق الداخلية من عُمان) تستقبلُ أعداداً محدودة من تلاميذ العِلم الذين تسمح لهم ظروفهم المعيشية القاسية بتلقي قسط يسير من علوم اللغة والدِّين.

ووفقاً لما كان سائداً، يومها، فإنَّ الطالب في الكتاتيب في المرحلة الأولى يتلقى مبادئ القراءة والكتابة، وكذلك قراءة القرآن الكريم وحفظ ما تيسَّرَ منه وفقاً للقدرة الاستيعابيَّةِ لطالب العِلم، والكتاتيب عادة لا تكون في الجامع، وإنما في مبنى مُستقل قريب من سوق القرية في الحارة، وإن لم يتوافر ذلك فتحت ظل شجرة وارفة.

تنتهي هذه المرحلة حين يختم الطالبُ قراءة القرآن، فتعَدُّ له (حفلة تخرُّج)، كانت تُعرف بـ«التَّيمِينة»، حيث يطوفُ المُعلمُ ومعه الصِّبيان أزقة البلدة مُردِّدين مَنظومة التيمينة التي تُعلي مِنْ شأن الطالب الذي أتم ختم قراءة القرآن دون أخطاء فادحة، فيما تُعزِّزُ زملاءه الذين لم يتخرجوا بعد لتكثيف جهودهم لبلوغ ذلك اليوم القِياميِّ الصَّغير في حياتهم.

تلي ذلك المرحلة المُتقدِّمَة؛ وهي تنقسِمُ إلى قِسمَين:

* المرحلة المُتقدمة الأولى

* المرحلة المتقدمة الثانية

ففي المرحلة المُتقدمة الأولى يدرس الطالب كِتاباً في الفِقهِ يُقدم أساسيات المعرفة الدينية، وكتاباً آخر يرفده بمبادئ القواعد النحوية، التي كانت تُقدَّم في صُورتها النحوية المُبسَّطة، وفيما بعد تُقدَّمُ قواعدها على هيئة أراجيز شعريَّة[1] تُسهِّل حِفظ تلك القواعد النحوية، تماماً كما يحدث لاختصارات قوانين الكيمياء والفيزياء والرياضيات في العلوم الحديثة، إن صَحَّت المُقارنةُ قبل أن يخذلنا التشبيه.

بعد ذلك تأتي المرحلة المُتقدِّمة الثانية، حيث يدرس الطالب فيها بشكل مُوسَّع التوحيد والفقه وقواعد اللغة العربية نحواً وصَرْفاً، إلى جانب أساسيَّات عِلم العَروض. ولما كان عدد الطلاب محدوداً، لا سيَّما في المرحلتين الأولى والثانية؛ لم يكُن لِزاماً أنْ يُعطى الدَّرس في جامع بعينه، أو مسجد في إحدى الحَواري، وإنما حسب ظروف اللقاء سواء تمَّ في الجامع أو منزل الأستاذ أو في مجلس عام (سَبْلَة). والمُتعارف عليه أن يُلازم الطالبُ أستاذه فترة طويلة من الزمن؛ ليستفيد منه قدر استطاعته عِلماً وسُلوكاً.

إنَّ هذه الطريقة التعليميَّة (الكتاتيب/الجوامع) تأصَّلت في أدبيات المذهب ـ كما يُؤكِّدُ المَحروقي ـ مع مدرسة جابر بن زيد، وفيما بعد مدرسة أبي عُبَيدة الكبير مسلم بن أبي كريمة. وقد حافظ عليها حَمَلة العِلم إلى عُمان، ليُسْهِمَ بعدهم عُلماء أجلاء في هذا المجال؛ منهم: أبو محمد بن

(١) مثالان شائعان لما يُقدِّم فِقهاً وأراجيز نحويَّة: «جوهر النظام في عِلْمَي الأديان والأحكام» لنور الدين السالمي، و«ألفيَّة ابن مالِك» المُسهِّلة لطرائقَ حِفظ القواعد النحويَّة لدى التلاميذ المُبتدئين في اللغة، قبل إبحارهم في لُجَجِ الفُصحَى.

بركة، خميس بن سعيد الشقصي والعالم الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي، لتأتي بعده مَدرَسَتا كُلٍّ من الشيخين صالح بن علي الحارثي وعبدالله بن حميد السالمي[١] المُمَثلتان لمراحل نُضج تلك المَرْحَلة من التعليم العالي، الذي خرَّجَ فقهاءَ وعُلماءَ أجلاء وأئمَّة انتخبَتهُم عدالة الشورى التي تميَّز بها المذهب الأباضي.

إنَّ ما دفعني إلى هذا التفصيل - يؤكِّد محمد المحروقي[٢] - هو أنَّ الطريقة ذاتها هي التي تلقى بها أبو مُسلم تعليمه، إذ تتلمذ في بداية الأمر على والده سالم بن عديِّم البهلاني، وكان من الطبيعي أن يلتفت الوالد القاضي إلى فلذة كبده ويقوم بتعليمه في ظل غياب المؤسَّسات[٣] الرَّسمية التعليميَّة آنذاك. وفي

(١) كما أشرنا في إحدى حواشي قصائد هذه الآثار، فإنَّ المدرستين النزويَّة والرُّستاقيَّة، كانتا المُعادل الفِقهي واللغوي لمدرستي الكوفة والبصرة في العراق، مع حضور سياسي مهم تميزت به المدرستان العُمانيتان، كانتا تتناوبان فيه تداول الحكم والمعارضة، برز واضحاً في السِّيَر المتداولة بين المدرستين، وللأسف لم تحظ هذه السِّيَر بدراسة علمية، ولا حتى بتحقيق ونشر، إلا نزراً يسيراً نشرته وزارة التراث القومي والثقافة العمانية باسم «السير والجوابات» في جزئين مليئين بالأخطاء. ونودُّ أن نُضيفَ هنا إلى هاتين المدرستين، مدرسة الشيخ المُحتسب صالح بن علي الحارثي في ولاية القابل بالمنطقة الشرقية التي تخرَّج منها الشيخ نور الدين السالمي نفسه، ناهيك عن عُلماء أجلاء وَسَموا ذلك العصر بمَيسَم عِلمهم وتقاهم ونزاهتهم وعدلهم، لا سيَّما من مثل منهم عدالة دولة الإمامة من قضاةٍ أخذوا على عاتقهم تحقيق العدالة بين الناس سواسية، دون تمييز بين غنيٍّ وفقير، إلّا بالحدود التي تضفيها مسالك الورع والتقوى.

(٢) **إشارة**: نلفت نظر القارئ، إلى أننا اعتمدنا بصورة أساسية على ما أورده محمد المحروقي في دراسته [حَدِّ النقلِ الحرفي، أحياناً]، في هذا الفصل رقم: [III] من **بيليوغرافيا النَّشأة والحَيَاة**، رغم تغييرنا لمُنحَنى الصياغة وحَذفِنا أو إضافَتِنا ما ارتأينا حذفه أو إضافته أو استبداله بما استجد لدينا من معلومات أخذناها من مصادر أخرى، كما سبق لنا وأن أشرنا في حاشية سابقة.

(٣) السبب الذي لم يُشر إليه المحروقي في دراسته، ليس غياب المؤسسات الرسمية، بل غياب كيان الدولة في الفترة الفاصلة (نحو نصف قرن) بين إمامة عزان بن قيس وإمامة سالم بن راشد الخروصي.

المرحلة المُتقدمة تتلمذ أبو مُسلم على الشيخ حمد بن سليم الرَّواحي[1]، الذي كان على جانب من التواضع، عارفاً بإلقاء الدروس على المُبتدئ، وقد كان زميله في هذه المرحلة هو الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي، الذي أشار إليه الشاعر ومجد علاقتهما الرُّوحِيَّة، سواء في رثائه له، أو في نونيّته العصماء.

فيما يتصل بمصادر ثقافة أبي مُسلم الدينية، يتمظهر إعجابه بنماذج وسِيَر الشخصيات القيادية في المذهب الإباضي، فقد تمثَّلَ تجاربهم، فقد كان ملتزماً بها ومُدافعاً عنها، لا سيما في دفاعه المُستميت عن ثورة الإمام سالم بن راشد الخروصي، وإن تأثر ـ كما أسلفنا ـ في شعره وتصوفه واتساع أفق مُدركات معارفه بمذاهب شتى، لكنه (في الظاهر)، وغالباً في (الباطن) ظلَّ مُخلصاً وفيّاً لنسقه الفكري العقدي.

واحدة من الشخصيات المُؤثرة في تكوينه الفكري العالم الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي، والد صديقه الشيخ أحمد بن سعيد، فقد كان الشيخ سعيد بن خلفان عالماً مُجتهداً وشاعراً مُفوَّهاً وسياسياً مُناضِلًا أقام إمامة عزان بن قيس، ناهيك عن أبعاد التصوف في شخصيته، لذلك كان المثال الماثل أمام أبي مُسلم ليُعجب ويقتدي به. فقد قال في مُقدمة تخميسه لإحدى قصائد الشيخ سعيد بن خلفان: «إن شهرة سيدي القُطب الجليل العارف بالله سعيد بن خلفان الخليلي، طيَّبَ الله ثراه وأكرم مثواه شهرة الشمس في كبد السماء. وقد بلغ من عِلمي الظاهر والباطن[2] مبلغاً عظيماً دلَّت على قدم راسخ في الكمال

(١) في مقدمة النسَّابة والمؤرخ سالم بن حمود السيابي ورد اسمه، كما جاء أعلاه: حمد بن سليم الرواحي، في حين أن اسمه يرد لدى المحروقي: محمد بن سليم.

(٢) نلاحظ، هنا، أن السبب (الباطن) إلى جانب ما نضح من أسباب (الظاهر) في إعجاب أبي مُسلم بشخصية سعيد بن خلفان، هو البُعد الصوفي العميق الذي أكده أبو مسلم لاحقاً في تخميسه لقصيدتين من قصائد الشيخ سعيد، هما: «**درك المُنى في تخميس سموط الثنا**»، =

والتكميل، وعلى مقام عال من المعارف اللدُنيَّة، ودرجة سَنيَّةً من مراتب الذوق».

أما الرَّافد الثاني المُكوِّن والمُشكِّل لثقافة أبي مُسلم، فهو الرافد الأدبي. فقد اطلع الشاعر، كما تشي بذلك نصوصه الشعرية، اطلاعاً واسعاً على النتاج الشعري الكلاسيكي، واستطاع هضمه وامتصاصه والإفادة منه، وإدخاله، بل تكييفه ليوافق لُبَّ نتاجه الشعري.

[IV]
شُيوخُهُ وتَلامِيذُه

درس أبو مُسلم البهلاني مطلع حياته على عدد من الشيوخ الأجلاء، كما أسلفنا. أولهم والده سالم بن عديِّم والشيخ حمد بن سليم الرواحي، وحين وصل زنجبار وتسلم منصب القضاء، ثم منصب قاضي قضاة زنجبار فترة طويلة من الزمن، لكنه بعد تقاعده انهمك في التأليف، لا سيما انهماكه بتأليف كتابه «نثار الجوهر» الذي أنجز منه ثلاثة أجزاء. وكان المُؤمَّلُ أن تصير كاملة في ٢٢ جُزءاً، إلا أنه رحل عن هذه الفانية قبل إتمام مشروعه الأخير، لكنه رغم انشغاله بالتأليف فقد حمل عنه العلم كثيرون نذكر منهم : الشيخ الفاضل سالم بن محمد الرواحي، وعبدالله بن محمد الحبيشي، وبرهان مُكلّا القُمْري من جُزر القُمُر، وآخرون.

=و«ثمرات المعارف وطيبات العوارف»، ناهيك عن قصيدته: «خمرة الله»، التي يقتبس في نهايتها بيتاً من أبيات الشيخ العالم الرباني، سعيد بن خلفان، وهو ما لم ينتبه له بعض الشراح، فأقصوا أو غيروا عنوان تلك القصيدة، فضلًا عن استخدامه لمفردات لها مدلولاتها الصوفية؛ كالكمال والتكميل.

[V]

ترحُلهُ في شرق إفريقيا

(السِّياحة رُكنٌ من أَركان الحياة)

كانت الرِّحلات إحدى القنوات التي رفدت ثقافة أبي مُسلم، حيث أتيح له الاطلاع على الجديد والمُختلف كُليًاً عما خبره في عُمان قبل انتقاله ورحيله المُبكِّر إلى زنجبار، فقد حفزته تلك الرحلات على الاستفادة مما لدى الآخر من مكتسبات.

فقد كانت رحلته إلى زنجبار ينبوعاً أفاده وجعله يُغيِّر مفاهيمه التي ترسَّخت في عُمان، من خلال اطلاعه على أنماط ثقافة العصر في تلك البلاد، ببُعديها الإفريقي والكولونيالي، في مُفارقة ـ وعدم مُفارقة ـ نماذج التَّمَدْيُن إلى جانب بساطة وبراءة حياة الريف الإفريقي. وقد أشار أبو مسلم نفسه ـ كما يُشير المحروقي ـ إلى فوائد الرحلات لتنشيط مقدرات الذات، فيما نجده من كتاباته النثرية، حيث كتب: «السِّياحة رُكنٌ من أركان الحياة، وطورٌ من أطوار الحِكْمَة والسِّياسَة، تنشط لها النفوس الزكيَّة، وترتاحُ إليها الإدراكات العليَّة مرقاة العاجز الكيس ومصقلة النفوس من الدَّنس».

لقد رحل أبو مُسلم إلى زنجبار مرَّتين من عُمان:

* **الرِّحلة الأولى**: وكانت عام (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، لاحقاً بوالده سالم بن عديِّم الذي استقطبهُ، بعد سقوط إمامة عزان بن قيس، سُلطان زنجبار السيد برغش بن سعيد بن سُلطان، كما استقطب كثرة كاثرة من النُّخب العُمانيَّة المُستنيرة، آنذاك ليدعم بها نهضته في زنجبار. لكنَّ أبا مُسلم عاد من هذه الرِّحلة إلى عُمان عام (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م).

* **الرِّحلة الثانية**: وكانت عام (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م)، وهي الرِّحلة التي استمر فيها حتى وفاته في زنجبار، بعد أن صَعُبَت عليه العودة إلى عُمان بعد

اغتيال الإمام سالم بن راشد الخروصي، وعدم اهتمام الإمام محمد بن عبدالله الخليلي بتوسُّلاته وإلحاحه للعودة، كي يموت بين «ضَعَاضِعِ» وطنه.

في هذا السِّياق، يُشيرُ د. محمد المحروقي إلى أنَّ بعض الرِّوايات تُؤكِّد أنَّ الشاعر بعد عودته من زنجبار إلى عُمان ناله أذى من بعض قومه[1]، فلم تسمح له كبرياؤه بالبقاءِ في عُمان مع ذلك الأذى، فضلًا عن تمتُّعِهِ في زنجبار بما حَقَّقَ آماله العريضة وهِمَّته الطامحَة.

في أخريات عُمره، كان أبو مُسلم ينوي السفر إلى الديار المُقدَّسة، ثم العودة إلى عُمان، إلَّا أنَّ الأجل عاجله قبل إنفاذ ذلك العزم، كما يروي المحروقي[2].

اللافِت أنَّ أبا مُسلم رحل إلى عدة أقطار إفريقية بمعيَّة السُّلطان حمود[3] بن محمد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٨٥٣ ـ ١٩٠٢م)، وقد سجَّل مُشاهداته في كُتيِّبٍ رَحَليٍّ أسماه: «اللوامع البرقية». رحلته تلك أتاحت له

---

(١) وفقاً لتكهُّننا؛ رُبَّما كانت الإشارة إلى الأذى الذي نال الشاعر من صهره الشيخ سليمان بن عمير الرَّواحي، الذي عاتبه الشاعر في قصيدةٍ، هي أقرب للهجاءِ منها لعتاب الصِّهر، حيث قال في بعض أبياتها: **جَشَّمْتني خَرْطَ القَتا | دِ وَكانَ باقِعَةً وُقاخ * وَرَمَيتني مَعَ مَنْ رَمَى | بلْ زِدْتَ كَيَّاً في الجِراخ * أوَ لم تكُنْ ضَرَّجْتَني | بدَمِي على عَفرِ البِطاخ * وَرَمَيتَ لَحْمِي للكِلا | بِ السُّودِ تنهَشُهُ مُباخ * وَنثرْتَ عِرْضِي في نوا | دي القومِ تذرُوهُ الرِّياخ**. لا نريد التورُّط في مغبَّة تأكيد ذلك، فربما كانت هناك أسباب عائليَّة وموضوعيَّة أخرى، لم نتمكَّن من الإطلاع عليها بسبب شُحّ المَصادر في هذا الجانب من سيرة الشاعر.

(٢) تحديداً، في هذه **الجُزئية الرِّحلية من فصل ترجمة حياة الشاعر**، لم يذكر محمد المحروقي شيئاً عن زيارة أبي مُسلم للديار المُقدَّسة في وقت سابق، حيث التقى بالعلامة الجزائري الإباضي الشيخ القطب أمحمد بن يوسف أطفيش، لكننا سنجد أنَّ المحروقي سوف يشير إلى رحلة الحج تلك في القسم الذي وسمه بعنوان: (علاقاته)، حيث لا يُغفِلُ لقاء أبي مُسلم في مكة المُكرَّمة بـ(قطب الإئمة) الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش الذي أعجب أيما إعجاب بشخصية أبي مُسلم، ولقب أبا مُسلم بلقب: «شاعر العصر».

(٣) هو والد ممدوحه الأثير علي بن حمود (١٩٠٢ ـ ١٩١١م)، قبل اعتزاله، أو إجبار الإنكليز له ليعتزل الحكم. **ملحوظة**: راجع بعض الحواشي المُتقدمة بهذا الخصوص.

رؤية العالم بعين أخرى، لا سيما أنَّ أجزاء منها كانت في القطار البخاري الذي افتتن به أبو مُسلم.

استمرت تلك الرحلة طوال الفترة الممتدة من ١٨ نوفمبر ١٨٩٨م حتى ١٧ ديسمبر ١٨٩٨م. وقد كتب أبو مُسلم واصفاً القطار البخاري، قائلًا: «..فمَرَّ مَرَّ السَّحاب، وهوى هَويَّ الرِّيح بين تلك الفياض المُلتفة كأنها الهضاب الروابي، بحيث أطلقت له حركة تقطع في الساعة عشرين مِيلًا».

ولم يكتف أبو مُسلم بذلك الوصف الوارد في كتابه: «اللوامِع البَرقيَّة»، بل أنه كتب قصيدةً طريفة في وصف القطار، أعجوبة ذلك العصر، لم نعثر عليها لا في «الأصل المُعتمد»، ولا في «المخطوطة»، لكنَّ نُسخة[1] منها نُقلت من مصدر قديم (بخط الأستاذ أحمد الفلاحي) تكرَّم مشكوراً بإعطائنا صورة منها، خصِّيصاً لآثار أبي مُسلم الشعرية، حيث يقولُ في بعض أبياتها:

وَنِحَ القِطارِ جَرَى يَختالُ للسَّفرِ	شيءٌ يُحيِّرُ إذ مَا لاحَ للنَّظرِ
كالأفعُوانِ طويلٌ عِندَ زَخفتِهِ	لكنَّهُ كهبوبِ الرِّيحِ في السَّفرِ
يَنقضُّ في سَيرِهِ كالبَرْقِ مُندَفِعاً	وكالصَّواعِقِ تُنبي الأرضَ بالنُّذرِ

[VI]

غضبه من الاستعمار الإنكليزي في البُلدان العربية وإعجابه بإصلاحات الإنكليز في زنجبار

يُشير م. المحروقي أيضاً إلى أن أبا مُسلم لم يُخفِ إعجابه بما أدخله الاستعمار الإنكليزي من إصلاحات على بعض أقطار الدول الإفريقية، فقد لاحظ على مدينة «لامو» أنها: «ضيقة المسالك، قديمة البناء، غير مُستوية

---

(١) راجع قصيدة القطار كاملة في موضع آخر من هذا الكتاب.

المَناهِج». ويرى أنَّ دولة الإنكليز لن تترك هذه المدينة على ما هي عليه، وإنما ستجري بها إصلاحات كتعديل الطرق وإقامة المُستشفيات، فكتب أبو مُسلم قائلًا: «على أنني أجزم قطعاً أنَّ دولة الإنكليز[1] لا تُغادر هذه المدينة على هذه الخطة حتى تزرع فيها التَّمَدُّن الذي زخرفت به مُستعمراتها وزيَّنت به عواصمها».

وثناؤهُ على الإنكليز يتكرر في أكثر من موضع في كتابه: «اللوامع البرقية»، لدرجة أن المرء يُدهش من إعجاب أبي مُسلم بـ«إصلاحات» الإنكليز في زنجبار، في حين أنه لا يُوفِّرهم في قصائده الاستنهاضيَّة المُوجَّهة للعُمانيين، لا سيما في قصيدتيه «المقصورة» و«العينية». لكنك تراه في «اللوامع البرقية»، في معرض حديثه عن الحماية البريطانية لجزيرة زنجبار، يقول دون تردُّد: «ولا أزالُ أهتفُ بلسان الإنصاف، ما دُمتُ حُرّاً، أنَّ إنكلترا مَحطُّ نظرها العدل، ونسيج محور سياستها التمَديُن».

(١) نعتقد أنَّ أبا مُسلم كان مُخطئاً في حُسن ظنه بالاستعمار الإنكليزي، فما أقاموه من سكك حديد وبناء طرق ومساكن ومُستشفيات (إرساليَّة هدفها التنصير، لا حُبيبات الأسبيرين)، لم تكن لخدمة الأفارقة، بل لخدمة مشاريعهم في نهب ثروات تلك البلاد. والحقيقة العارية أن الاستعمار الإنكليزي، سواء في الهند أم في إفريقيا لم يلتفت إلى البُنية التحتية لتلك البلدان، عدا ما يفيد الإنكليز أنفسهم، لا الأفارقة ولا الهنود، عكس الاستعمار الفرنسي الذي عُني في شمال إفريقيا وبعض دول غرب إفريقيا بتعليم الناس اللغة الفرنسية وآدابها، إلى جانب البنية التحتيَّة الراسخة التي تتمتع بها، الآن، بلدان كالمغرب والجزائر. صحيح أن كِلا الاستعمارين كانت له أهدافه الخاصة، لكننا نستطيع القول، في المُحصِّلة النهائية، أنَّ الفرنسيين تركوا ثقافة ولغة ثريَّة وأدباً راقياً استفاد منه سُكان تلك البلاد، عكس الإنكليز الذين لم يعتنوا بنشر اللغة الإنكليزية وآدابها، ناهيك عن التعليم في مراحله الابتدائية والمُتوسطة.

[١٩]

شكر وامتِنان

أودُّ في خاتمة هذه المُقدِّمَة أن أشكر الكُتاب والباحثين والشعراء والأصدقاء والأقارب وكافة من عاونوني وساعدوني بسخاء شديد وكرم كبير، عبر مُختلف الطرائق، وبشتى السُّبُل على إنجاز هذا العمل الذي استغرقني نحو ثلاث سنوات كاملة، وهم على التوالي وفق ترتيب أسمائهم الخاضع لأقدمية وتراتبيَّةِ ما قدَّموهُ لي من عَونٍ ساهم في اكتمال إنجازي لهذا الاشتغال الذي لولا مَعونتهم ودعمهم وتشجيعهم ما كنتُ لأنجزه لتقديمه على الهيئة والصُّورة التي ظهر عليها، أياً كانت تلك المُساعدة والمُساهمة؛ سواء كانت وثيقة، مخطوطة نادرة، صورة فوتوغرافية، ترجمةً لمُصطلح إنكليزي أو فرنسي، إلماحَةً أو مَسْرَداً تاريخياً مُوثقاً، فضلًا عمَّن ساعدوني في رَقنِ القصائد المُضافة إلى العمل الأساس، تلك التي لم نجدها في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد، وهُم على التوالي: الأستاذ الأديب أحمد الفلاحي، الشاعر سماء عيسى، الكاتب خميس بن راشد العدوي[١]، الشاعر والصحفي محمد بن سليمان الحضرمي، الشيخ علي بن عبدالله بن خليفة الحارثي، الإعلامي والكاتب إبراهيم اليحمدي، الشاعر خالد المعالي، الكاتب عبدالله حبيب، الشاعر إسكندر حبش، الكاتب علي نصَّار، الأخ يوسف بن يعقوب الحارثي، الأستاذ مازن الطائي، شقيقي عبدالله بن أحمد الحارثي، الأستاذ سيف

(١) إلى جانب ما قدَّمهُ لي الكاتب خميس بن راشد العدوي من وثائق قيّمة، فضلًا عن ترتيبه العِلمي لفهرس آثار أبي مُسلم؛ فإنني أود شكره على جُهده ووقته الثمين الذي صرفه تدقيقاً مُضافاً من لدنه لهذه المُقدِّمة، سواء بإضافاته المُفيدة أو إسهامه بتنبيهي لبعض المُقترحات والصِّيغ الأسلوبية التي ارتآها في المَتنِ أو الحواشي، مما فاتنا الانتباه إليه أنا ومُراجع الآثار الأستاذ ناصر بن إسحاق الكندي.

اليحمدي، الشاعر إبراهيم سعيد، الآنسة وداد الحارثي[1]، ابتهاج الحارثي، وصال الحارثي، غول راقي باز خان[2]، أشيشْ شُودري[3] وفرانسيس كونسِيسًّاو[4] لما بذلوه من جُهد مُثمَّن ومُقدَّر في مقامات الشكر حول إسهاماتهم التي كانت خير مُعين لي في إنجاز تحقيق هذه الآثار.

---

(١) هي كريمة أخي عبدالله التي ساعدتني في رَقنٍ بعض قصائد أبي مُسلم، لا سيما تلك التي حَصلتُ عليها في لحظات اشتغالي الأخيرة من مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي ولم تكُن موجودة لا في الأصل المُعتمد ولا في المخطوطة، إلى جانب رَقنها للقصائد المخطوطة في «نثار الجوهر».

(٢) راقي غول باز: هو القيّم على واحة نهار السّياحية في ولاية إبرا؛ والذي قدم لي معونة لوجستية كبيرة طوال استضافة أخي عبدالله الحارثي لي في واحته نحو عام ونصف. فقد كان الباكستاني راقي يُقدِّمُ لي كُلّ ما كُنتُ أحتاجه طوال إقامتي، مُسهِّلًا عليَّ مَرْكَبَ الحياةِ والبحثِ في تلك الواحة المُنفتحة على مَضائقِ وادي نام، فيما يُحدثني، عن أحوال بيشاور وما جاورها من أقاليم شمال باكستان.

(٣) أشيش شودري: هو سائق العائلة الذي قدَّم لي معونات لا تُحصى طوال اشتغالي في المرحلة الأخيرة من إنجازي لهذا العمل، فقد كان بمثابة بريدي الزاجل الذي يَحمل أضابير المَخطوطات والنصوص المرقونة ليُصوِّرها قبل وصولها إلى مُراجع الكِتاب ومدققه؛ الأستاذ ناصر بن إسحاق الكندي، إلى جانب تكفله بكافة احتياجاتي الضرورية، آنذاك. جدير بالذكر أنه بنغالي هندوسي لهُ ولع بالغيبيات والتكهُّن بالغيب، واستقراء الأحداث التي لم تحدث بعد، كما أنه مُولع بشيخ الطريقة القادريّة؛ المُتصوِّف عبد القادر الجيلاني. والحقيقة أنَّ أشيش شودري كان مُتحمِّساً لمشروعي، مُنبهراً من الصُّورةِ الفوتوغرافية لهذا الشيخ العُماني المُتصوف في زنجبار، عاقداً ـ على طريقته ـ بين أبي مُسلم والشيخ عبدالقادر الجيلاني صِلة قرابة صوفيّة (مُتخيَّلة)، لم توجد أصلًا في مهمه الواقع، كما لم أعتقد بصوابها.

(٤) فرانسيس كونسيسًّاو: هو مُدير مُخيم ألف ليلة في رمال وهيبة، (وهو هندي مَسيحِي مُلتزم، من جُوا Goa لا يخفى رنين اسمه البرتغالي في اسمه العائلي)، حيث قضيت نحو أسبوعين لإنجاز الجزء النهائي من هذه المقدِّمة، ولم يَألُ فرانسيس جهداً لتسهيل آلية اشتغالي على مُقدِّمة آثار أبي مُسلم، رغم انشغاله الدائم باستقبال ووداع السُّياح المَحليين والقادمين من أوروبا لقضاءِ ليلة أو ليلتين في رمال وهيبة.

[٢٠]

خاتمَة

إن كان لا بُدَّ من كلمة أخيرةٍ في الخاتمة، كما يفعلون دائماً في مُقدِّمات الكُتب، فإنَّ اشتغالنا هذا مَدينٌ تحقُّقه لكافة من سَبقونا في مَحبَّةِ أبي مُسلم والإنهمام بشعره اللافت والأخَّاذ، وأخصُّ منهم بالذكر الشيخ سالم بن سليمان البهلاني (ابن أخي الشاعر) الذي عُني بجمع شتات شعره وتقديم ما توفر لديه في مخطوطة كانت مرجعاً أُسّاً لمن جاءَ بعده. كما أخصُّ بالذكر جدِّي الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى بن صالح الحارثي، الذي أَسهمت مَحبَّتهُ لشاعر العرب؛ أبي مُسلم البهلاني في تعريف العُمانيِّين والعرب قاطبة بنتاجه الذي أُتيح له جمعه على مرحلتين في طبعتين ظهرت أولاهما في القاهرة عام ١٩٥٧م، والثانية ظهرت في دمشق عام ١٩٨٦م، كما أشرنا سابقاً. وبالتأكيد لن تفوتني الإشارة إلى الجُهد المحمود الذي بذله مُحقِّقُ ديوانه راشد الدغيشي، فله حَقُّ فضل السَّبق، وإن اختلفتُ معه منهجاً ورؤيةً، كما أشرتُ في هذه المُقدمة. أما واجبُ الشكر لصديقي الدكتور محمد المحروقي فهو حَتميٌّ ولازمٌ بالتأكيد، فاستفادتي من دراسته القيِّمة: «**الشعر العُماني الحديث؛ أبو مُسلم البهلاني رائداً**» كانت رافداً أدبياً ونقدياً وتأريخياً أسهم في إنجازي لهذا المشروع.

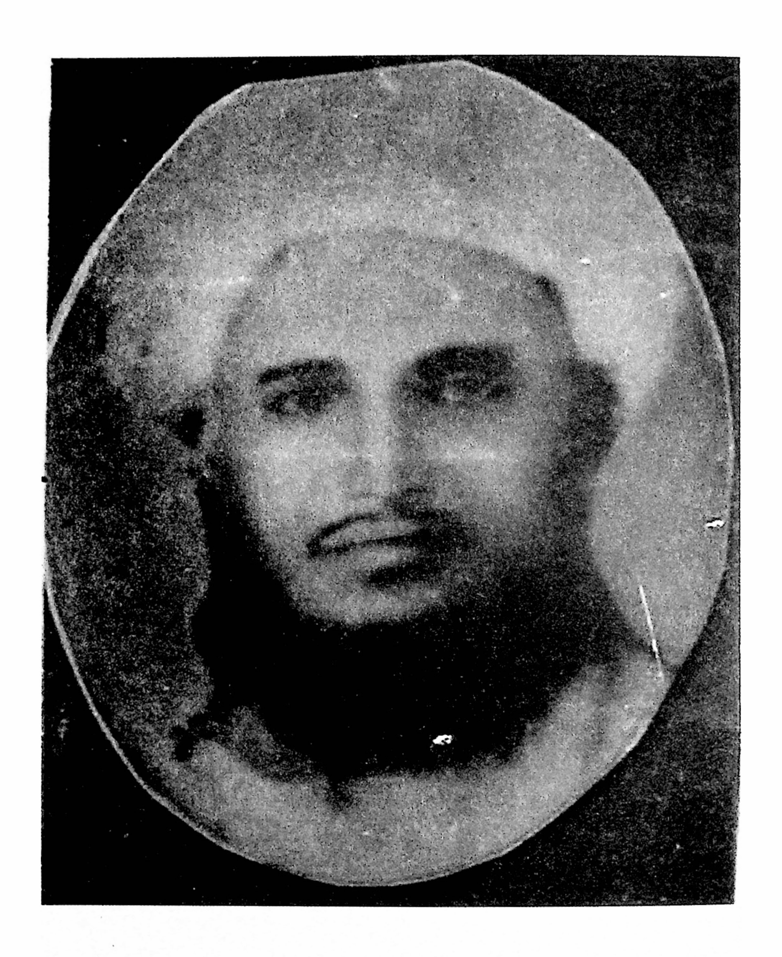
وإنْ كان لا بُدَّ من أُمنية؛ فإنَّ آخر أمنياتي، التي لن أخفيها في مُختتم هذه المُقدمة، هي أن يلقى هذا الاشتغال القبول مِنْ مُحبِّي الشاعر أبي مُسلم البهلاني، وعُشاقِ شعره ودارسيه؛ مِمَّن لم يُقدَّر لهم الحصول عليه كاملًا في إضمامة واحدة من قبل، لا سِيَّما أنَّ نتاجه الشعري لم يُقدَّر له ـ كما نعتقد ـ أنْ يَظهر بالصُّورة اللائقةِ التي نتمنى أننا أسهمنا بجُهدنا المُتواضع في إظهارِهِ، لأول مرة، مِن خوافي البواطن التي لم تُتِحْ لهُ أن يظهر في أزمنة سابقة على

الوجه والصِّبغة والصِّيغة التي حاولنا أن يظهر عليها هذا الاشتغال بالصُّورة والهيئة التي هُيِّئ لنا أنها لائقة وجديرة بمُبتدَعِهِ الشعري؛ بحيث نستطيع القول، في المُختَتَم، إنَّها بالكاد تَفِي بمَقامَاتِ شيخنا وشاعرنا أبي مُسلم الرَّواحِي.

محمد الحارثي

مسقط، ٣٠ ديسمبر، ٢٠٠٩

ملحق
الصُّور والوثائق



الشاعر أبو مُسلم البهلاني الرّواحي



العدد ٨ | جمادى محرم سنة ١٣٣٠ | ثمن النسخة الواحدة ثلاث آنات | موافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١١ | السنة الاولى

ان اريد الا الاصلاح ما استطعت | زنجبار بشارع البرتكيس | [illegible] على العمل ادرك النجاح

يدفع ثمن الاشتراك سلفا خمس ربيات في العاصمة لسنة وفي الخارج سبع ربيات

لا تقبل وصولات الاشتراك الا بختم الادارة وامضاء المستلم

اجرة نشر الاعلانات كل سطر بثلاث آنات الى غاية ستة عشر سطرا وما زاد عنها او ان تكرر الاعلان فباتفاق جديد مع المدير

النجاح ١٣٢٩

الرسائل خالصة اجرة البريد باسم مسؤول الجريدة جابر بن صالح

تقبل الرسائل ان خلصت من المطاعن الشخصية باسم صاحبها وامضائه الواضح

ولا ترد لصاحبها درجت ام لم تدرج

عنوان المراسلات والتلغرافات «النجاح»

محرر الجريدة ابو مسلم الرواحي

جريدة وطنية ادبية علمية اخبارية تاريخية تجارية تصدر في الشهر ثلاث مرات

الحمد لله

القيومية العظمى شؤون تظهر بمجد الالهية [illegible] على صفحات هذا الكون المشهود وماهو الا سياسة حكيم مبدع وتدبير لطيف مقتدر لا تنفذ فيها الافهام ولا تعبث بها الاوهام ولولا ما لم يثبت المصنوع وجود طرفة عين — يحب العبد ويكره وفوق حبه وكراهته تدبير يغايرهما وسياسة تناقضهما فلا يأبان الا بالخيرة التي حال بينها وبين العبد جهله بمقتضيات سياسة القيومية القاهرة ومن هنا تشرق انوار الآية الكريمة آية عسى وعسى ومن هذه الانوار يتمحض سر الحديث النبوي الشريف خيرة الله لعبده خير من خيرة العبد لنفسه

يدبر العبد لنفسه امرا فيرى انه قد احكم بناءه وذلل صعبه وسهل حزنه ويعتقد ان الخيرة حليفة تدبيره ولكن سياسة الله خلف ذلك كله تعقب ذلك الحكم بالنقض والابرام وفي النقض [illegible] لاينا ولماذير العبد ولو عاكسه وربما هلك العبد تحت انقاض تدبيره [illegible] بين حبائل سياسته [illegible] ولو تحرك ذرة من التدبير ولم يقدح شرارة من الفكر — ذلك للعلم ان الله لا تشاركه ذرة في الوجود وان الله هو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء

بينما هذه المملكة وادعة في ظلال السعادة تحت اكناف دولة سلطانها المجيد سيدنا علي بن حمود اذ خفقت الافئدة بخفوق البرق الذي وزعته شركة روتر عن نبأ متناول جلالته من عرش المملكة السلطانية ولكن لم يكد يسكن خفقان الجوانح حتى اشرقت علينا شمس السعادة وبشرتنا بهجة الهناء والحبور باستواء جلالة سيدنا ومولانا الهمام المظفر خليفة بن حارب بن ثويني بن سعيد بن سلطان بن الامام السيد القائم المعظم احمد بن سعيد بن محمد بن سعيد الازدي القحطاني سلطانا على عرش المملكة الزنجبارية فنسأل الله له ثبات التمكين ودوام العز

لقد حق على السياسيين ان يوقنوا عين اليقين ان المواقف قد اناطت السياسة بعبيرها الاريب المحنك وانها قد سقطت على الخبير المجرب ومثلت بين يدي الناقد البصير وان المملكة قد اخذت بحجزة الماجد الغيور

واذا كانت فلسفة السياسة واحكام التدبير وبغية العزم وسياج الحزم واصالة الرأي من رواسي السلطة وقواعد الايالة فقد ظفرت بالفئة الرابحة وبالنار [illegible] وتمكن من الاشراف على ادوائها الفيلسوف الذي لا توهنه الشبهات ولا يعيبه المضلل — ان [illegible] ليس سلما اصعد به الى الاغراض ولا حبالة لصيد الامال ولا كهانة ربما تخلفت عن الوقوع ولكنه نظرة الى الواقع وبرهان على الثابت وسوف تكشف الحوادث عما خلف ستار المستقبل

العدد الثامن من صحيفة النجاح التي أصدرها أبومسلم في زنجبار (عدد٢٢ ديسمبر ١٩١١). نعتقد أنَّ شعار Logo جريدة النجاح قد صممه أبو مُسلم البهلاني الذي اشتهر كخطاط بارع، وقد خط مزدوجاً تعلوه أكباش زهرة القرنفل. وهي جريدة كان يُصدرها حزب الإصلاح في زنجبار. ورد في ترويستها: «إنْ أُريدُ إلّا الإصلاح ما استطعت» || زنجبار بشارع البرتكيس؛ أي شارع البرتغاليين || ثمن النسخة: ثلاث آنات [|| مُحرر الجريدة: أبو مسلم الرواحي || جريدة وطنية أدبية علمية إخبارية تاريخية تصدر في الشهر ثلاث مرات || يُدفع ثمن الإشتراك سلفاً خمس رُبيّات [هنديّة] لسنة، وفي الخارج سبع رُبيّات.

المصدر: إبراهيم اليحمدي.

ديوان أبي مسلم

ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني

شاعر زمانه وفريد أوانه

الطبعة الأولى

١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م

عنى بطبعه وترتيبه أحد المتطوعين بأوقاته الثمينة فى خدمة أمته ووطنه طالبا بذلك رضا الله وعز الوطن والله ولى التوفيق

يطلب من مكتب أمامة عمان
٢٣ شارع حسن صبرى بالزمالك
القاهرة

والمجد لا يملك عن وراثة　　لكن بتحطيم الشبا على الشبا
ولو تقلدنا فعال أهلها　　لم يعبث الفار بهيصار الشرى

دار القاهرة للطباعة
٢٦ شارع منصور ـ القاهرة

غلاف ديوان أبي مُسلم (طبعة القاهرة، ١٩٥٧م)

المصدر: مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.



صورة نادرة للشيخ المجاهد صالح بن عيسى الحارثي في أحد المؤتمرات مُدافعاً عن قضية إمامة عُمان، وقد كان اهتمامه كبيراً بآثار أبي مُسلم البهلاني فطبعه مرتين: (القاهرة، ١٩٥٧م / دمشق، ١٩٨٦م).

المصدر: يوسف بن يعقوب الحارثي.

ديوان الشيخ أبي مسلم البهلاني

سيدي العلامة الجليل الناظم

الناثر الفصيح الشهير ناصر

بن سالم بن عديم بن صالح

بن سالم بن محمد بن

عبد الله بن

محمد البهلاني الرواحي من بني عيسى من غطفان من قيس عيلان

العماني

تغمده الله برحمته

القسم الأول في الأذكار

اعتنى بجمعه وترتيبه ابن أخي الناظم العبد الفقير سالم بن سليمان بن سالم البهلاني

إسعافاً لمطلب الشيخ الفاضل الدراكة الوجيه محمد بن عبد الله بن حميد السالمي

حفظه الله

الترتيب

جعلناه على ثلاثة أقسام

القسم الأول في الأذكار أي ما نظمه من الأذكار في أسماء الله الحسنى وقد سماه النفس الرحماني

في أذكار أبي مسلم البهلاني

القسم الثاني في القصائد المديحية والمقطعات الشعرية والمواعظ وغير ذلك

القسم الثالث فيما نظمه من المراثي في العلماء الذين كانوا بعصره

والله ولي الإعانة بعونه وتوفيقه

الصفحة الأولى من مخطوطة ديوان أبي مُسلم بخط ابن أخيه سالم بن سليمان البهلاني

المصدر: مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.

نأتي بنفثة وجيزة من كلامه الدر المنثور في الدولة السعيدية قبل الابيات

قال : سيما في دولة السلطان العظيم السيد سعيد بن سلطان فانه سماح في الاقطار طبق بالسياسة من اوطار وكاف الاخطار في اقتناء الاخطار وكابد كل خطب بخطوب وربما[1] كل شعب بشعوب ....

الى ان تنحى والمعالي مآتم ... عليه لحزن والزمان يتيم

عليه من الايام رنة مثكل ... وللحزن في احشائهن جحيم

وما كل شخص غيبته منية ... بباق يسوس الناس وهو رميم

كما سياسا هذا المليك بسعيه ... وفي رمسه ذاك المليك مقيم

تسير مسير البدر آيات فضله ... وبدر محياه الكريم غميم

فاعقبه اشبالا في سلوكه ... وفي اثر النجم الافيل نجوم

فكم تركوا من مرتقى المجد ذروة ... تلوح لهم فيها يد ورسوم

شموس اذا شاهدت نور ذواتهم ... ولكنهم في المعضلات رجوم

قال ابن اخي الناظم العبد الفقير سالم بن سليمان بن سالم بن عديم البهلاني العبسي هذا آخر ما تيسر الله لنا جمعه من منظومات عمنا المرحوم ابي مسلم مرتبا على الاقسام الثلاثة السابق ذكرها ونتأسف جدا على ذهاب ما تفرق من نظمه ولو تيسر جمع الكل لكان ديوانا ضخما ولكن ما فات لا يرجى حصوله فالامر لله جل وعلا ولقد هجمت على حال النسخ جنود الاشغال كادت تحول بيني وبين الآمال لولا مكافحتي لها بصوارم العزم فالحمد لله على عونه وتوفيقه ثم اني لم اتمكن من التصحيح لما عسى ان يكون قد طغى به القلم من غلط إما سهو وإما لقصور باع الفهم عن ادراك المعنى فاني من الجهل بمكان ومن البلادة راسف في قيود الاستهجان فمن عثر على مخل وكان على علم واسع وفكرة وقادة وقريحة نقادة فليصلح ما يرى وانا استغفر الله من خطأ ويزيل شوه الوجه الجميل بالخلل وهو الغفور الرحيم وكان امساك عنان جواد اليراع فراغا يوم ٢٢ رجب الاصب سنة ١٣٧٦ وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم ....

(١) لفظة هكذا وجدناها بالاصل في اللوامع البرقية «تأليفه».

الصفحة الأخيرة (رقم ٤٠٠) من المخطوطة، وبها أبيات في مديح السيد سعيد بن سلطان متبوعة بخاتمة الشيخ سالم بن سليمان البهلاني، وهي مؤرخة بتاريخ ٢٢ رجب ١٣٧٦ هـ (الموافق ٢٢ فبراير ١٩٥٧)



آثار المنزل الذي وُلد فيه الشاعر بوادي مَحْرَم

المصدر: الشاعر جابر الرواحي.

٥٩

القطار

الشيخ أبو مسلم ناصر بن سالم البهلاني الرواحي

(أبيات تتحدث عن القطار وهيأته وقدراته وما يحتوي عليه من الصنع العجيب مخبرة عن الدهشة والاستغراب التي كان عليها الإنسان العربي في تلك الفترة المبكرة من عمر الصناعات الحديثة غير المعروفة لديه)

ويح القطار جرى يختال للسفر ... من شيء يحير إذا ما لاح للنظر

كالأفعوان طويل عند زحفته ... لكنه كهبوب الريح في سفر

ينقض في سيره كالبرق مندفعاً ... وكالصواعق تنبي الأرض بالنذر

بدقة أتقنوا إحكام صنعته ... من الحديد كطود طال بالحجر

كم قطعة ركبوا في صلب هيكله ... وكم بأحشائه في البطن من حفر

من النحاس ومن أسلاك غائصة ... في جسمه كعروق الدم للبشر

وبالزجاج وأشياء مرفهة ... قد زينوه على ما شئت من صور

فيه الكراسي عليها الناس قد جلسوا ... تجري أحاديثهم في خلوة السمر

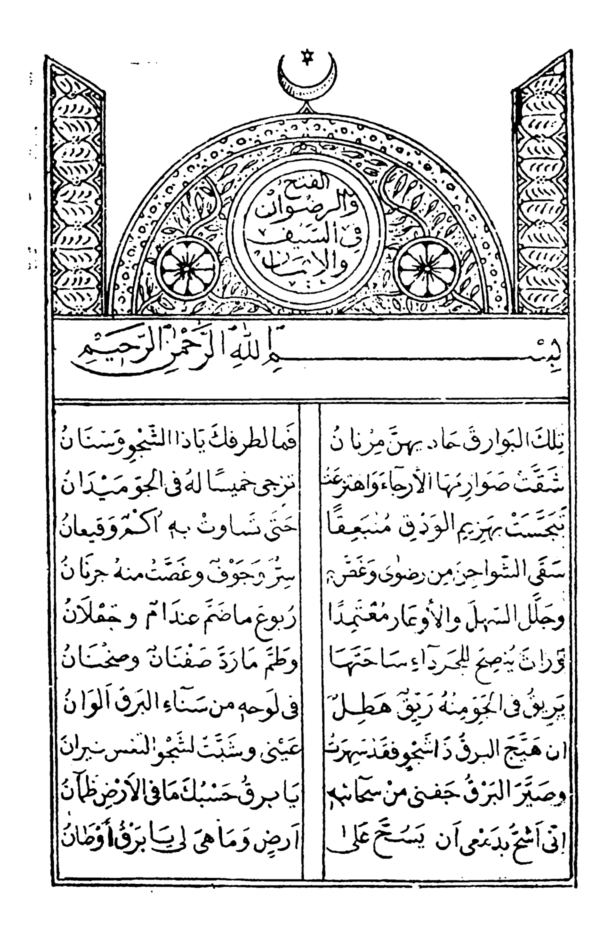
وفيه أحمالهم دست بداخله ... ثقيلة ضمن كالمارد الخطر

في أعمد من حديد ثبتت ورست ... تمضي خطاه إلى نجد ومنحدر

أعجوبة من أعاجيب الزمان بدت ... في عصرنا لم تنلها [illegible] بعد العصر

قصيدة «القطار» مكتوبة بخط الأستاذ أحمد الفلاحي مع مقدمة تعريفية بها، وقد نقلها عن دفتر قديم في أوراقه القديمة، ونثبتها بخطه لأهميتها التوثيقية أولًا، ولعدم عثورنا عليها، تالياً في كُلٍّ من المخطوطة والأصل المُعتمد.

المصدر: مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.



الفتح والرضوان في السيف والإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك البوارق حاديهن مرنان — فما لطرفك يا ذا الشجو وسنان

شقت صوارمها الأرجاء واهتزعت — ترجى خميسا له في الجو ميدان

تبجست بهزيم الودق منبعقا — حتى تساوت به أكم وقيعان

سقى الشواجن من رضوى وغض به — ستر وجوف وغصت منه جرنان

وجلل السهل والأوعار معتمدا — ربوع ما ضم عدنان وجملان

تورات يصبح للجرداء ساحتها — وطم ما رد صفنان وصحنان

يريق في الجو منه ريق هطل — في لوحه من سناء البرق ألوان

إن هيج البرق ذا شجو فقد سهرت — عيني وشبت لشجو النفس نيران

وصير البرق جفني من سحائبه — يا برق حسبك ما في الأرض ظمآن

إني أشح بدمعي أن يسح على — أرض وما هي لي يا برق أوطان

الصفحة الأولى من مخطوطة النونية **(الفتح والرضوان في السيف والإيمان)**،

وهي أقدم مخطوطة للقصيدة الشهيرة (١٩١٤م)،

ويظهر عنوانها مخطوطاً في نقوش رسمة المحراب.

المصدر: مكتبة الشاعر سماء عيسى.

(٣)

هبكَ استطرتَ فؤادي فاستطر رمقي … إلى معاهدَ لي فيهنّ أشجانُ

تلك المعاهدُ ما عهدي بها انتقلتْ … وهنّ وسطَ ضميري الآن سكّانُ

نأيتُ عنها ولكن لا أفارقُها … بلى كما افترقتْ روحٌ وجثمانُ

وكيف أنسى عهودي في مسارحِها … وهنّ بين جنانِ الخلدِ بُطنانُ

أم كيف يُمكن سلواني فضائلها … نعم لديّ لذا السلوانِ سلوانُ

معاهدٌ شاقني منها محاسنُها … إنْ شاقَ غيري آرامٌ وغزلانُ

لها على القلب ميثاقٌ يبوءُ به … ان باء بالحبّ في الأوطانِ إيمانُ

نزحتُ عنها بحكمٍ لا أغالبُهُ … لا يغلبُ القدرَ المحتومَ إنسانُ

كأنني واغترابي والغرام بها … حيّ قضى خلفتهُ بعدُ أحزانُ

هي النوى جعلتني في محاجرها … مثلَ الخيال وروحي ثَمّ جثمانُ

أعيشُ في غربةٍ عيشَ السليمِ على … رغمي وليس إلى الترياقِ إمكانُ

يا برقُ حرّكْ همومي ان تكنْ سكنتْ … فكلّ حظّي تحريكٌ وإسكانُ

يزالُ ينشطُ بي همّي وأصبرهُ … وما نشطُ الهمّ لا تزويه أرسانُ

يا برقُ هلْ والحنايا من ضعاضعَ فلا … ألتامَ فالطفَ حياهنّ هتّانُ

وهلْ ذرى القفصِ فالمقراةِ معشبةٌ … وهل قطينٌ بعليا قاعرٍ بانوا

عهدي بها ونضيرُ العيشِ يصحبها … والدهرُ في غفلةٍ والشهبُ إخوانُ

نشأتُ فيها وروضاني ومرتبعي … روحُ الفضيلةِ لا رندٌ وريحانُ

أرتاحُ فيها إلى خِلٍّ فيبهرني … صدقٌ وقصدٌ ومعروفٌ وعرفانُ

الصفحة الثالثة من مخطوطة النونية

أطلقتم السيف في أفراد ملتكم — وقيدته عن الأعداء أجفان

هب أن آسيا فكم غرثى بها قرم — ففي لحوم العدا أيمتاش غرثان

هانت عليكم تراث الكفر واشتعلت — فيكم على بعضكم للبعض أضغان

بألفة الدين قربى لم يكن معها — أعلى وأدنى وأحزاب وأديان

يا قوم هذا إمام الدين بينكم — مقصوده الحق لا ملك وسلطان

يدعو إلى الله قواما بملته — له حسامان إقساط وإحسان

يا قوم طاعته في مصركم وجبت — فرضا عليكم وما في الدين إدهان

يا قوم لا تدبروا عنه فإن لكم — ربا يحاسب والإدبار عصيان

يا قوم إن تدبروا يغضب إلهكم — وأين ملجاؤكم والله غضبان

إن تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا — فالكفر في المقت والإسلام رضوان

إن الإمام يمين الله بينكم — فبايعوه والاحل خسران

قامت عليكم بحكم الله حجته — إن كان فيكم لحكم الله إذعان

إن تتبعوه فعين الرشد خطتكم — أو تعرضوا عنه فالإعراض طغيان

فراقبوا الله فيه إن حجته — قد قام فيها بحكم الله برهان

تلكم وصية حسان لكم صدرت — فإنني اليوم للإسلام حسان

إن كنت أحسنت في نصحي فقد كتبت — وإنما يعقب الإحسان إحسان

الصفحة رقم ٢٣ من مخطوطة النونية

(٤٧)

لا يصدق الدين إلا من يناصحه	ولا يصح بغير النصح إيمان
فإن تمكن نصحي من بصائركم	بدا لكم من ضياء الحق فرقان

بعد حمد الله الملك المنان * والصلاة والسلام على نبيه عالي القدر والشان * قد تمت هذه القصيدة المباركة المسماة بالفتح والرضوان * في السيف والإيمان * تأليف العالم العلامه * والحبر البحر الفهامه * سيدي الشيخ أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي حفظه مولاه ووفقه لما يتمناه * آمين وكان تمام طبع هذه القصيدة في غرة جمادى الثاني سنة ١٣٣٢ هجرية * على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

آمين

م

الصفحة الأخيرة من مخطوطة النونية، ويظهر فيها بيتان إلى جانب تاريخ الانتهاء منها في غرة جمادى الثاني عام ١٣٣٢هـ، (الموافق ٢٧ إبريل ١٩١٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة للناشر

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى • ان ارجوزة الصايغي العلامة مولف الارشاد وغيره من الجوامع الفقهية رحمه الله • هي اجمع ارجوزة الى الآن في فقه المذهب للمعارف الشرعية • وناهيك ان النظم اعلق بالنفوس واضبط للجمل واسهل للحفظ واوفى بتلخيص المعاني الطويلة في الالفاظ الموجزة • والمعنى الجامع الجزل أوحى رسوخًا في القلب اذا طرقه باللفظ السهل الرايق • وفاجاءه بالعبارة الشاملة • فكان من الحكمة التي سلكها حكماء الفقهاء المتعطشين الى ذخر الزاد • ونفع العباد • تقريب البعيد ورد الشارد وجمع الشتيت • وتخليص المعاني المرتبكة بالالفاظ المسهبة • بان تسبك في القالب الشعري كصنيع عالم الشعراء وشاعر العلماء العلامة النابغة اللسن الفقيه احمد بن النضر السموئلي رحمه الله في دعايمه • والعلامة ابي نصر فتح بن نوح المغربي في علم الاعتقاد وفي ركن الصلاة • والعلامة محمد بن ابراهيم الكندي صاحب بيان الشرع في نظم كتابه النعمة في الفقه • وكالعلامة الرحيي في اراجيزه الفقهية • ومثل السيد الجليل العلامة الخليلي في زكاة النعم وفي اللغة وفي علم السلوك • وكالعلامة السيد العظيم ابي نبهان في علم السلوك • وجم غفير من فحول العلم وقادة الدين رضي الله عنهم كلهم حرصًا منهم على تسهيل الوصول وادراك الحصول على العلوم النافعة بادنى الوسائل • لاجرم لما كانت الصايغية لها القدح المعلى في الاحتواء على جمهرة الفقه سهلة التناول اكب عليها الخاص والعام • ولهذا ولما حشرته في جيبها من المهمات الشرعية الدثرة والمعارف الدينية النفيسة تعرض لها العلامة الدراكة خاتمة المحققين ناشر لواء المعقول والمنقول اسعد الدين الشيخ عبد الله بن حميد السالمي قدس الله مضجعه • فتناولها بيمين النصيحة والانصاف • فاستخرج الجوهر من بين تلك الاصداف • بان حذف التطويل • وابرز خلاصة الاجمال بالتفصيل • واسفر عن وجوه الاقاويل • وحقق آراءها الحصيفة العلية • وايدها بالدلايل الجلية • وفلس الاقوال الضعيفه • وكشف عن وجوهها السخيفة • وقدم واخر وهذب وزاد ونقص ورتب • ووضع المفصل على المفصل • وجلى وجه المجمل بالمفصل واصاب المحز في قصه • وجاء بمصاص الشرع بفصه ونصه • فظهر جوهر النثار متناجزلا • بليغًا فصلا • شاملا جامعة النفع حذ الكفاية • ساطعًا كالنير الاعظم

الصفحة الثانية من مخطوط «نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر» الذي أكمل منه الشاعر ثلاثة مجلدات في حياته، وكان المؤمل أن ينتهي منه في ٢٢ جزءاً.

المصدر: مكتبة الشاعر والصحفي محمد بن سليمان الحضرمي.

أجمله ٥ وقياماً بواجب الإتيان بما أهمله ٥ ولم اقتصر على الفاظ الاصلين في هذا
النثار ٥ ولكني اخلصت المعنى مجلواً في الفاظ أبهى من رابعة النهار ٥ وحشرت الى معاني
الاصل معانياً ناسبت المقام تنبسط لها نفس الاريب ٥ فتجلت في اسلوب بديع ورونق
عجيب ٥ وربما اسفرت عن وجوه بعض الأقوال ٥ غادرها الأصلان في زاوية الاهمال
وسلكت في التقريب جادة الايجاز للأفهام ٥ لانزواء حلى المدارك من مضامين الاسهاب في
الكلام ٥ وجمعت النظاير الى النظاير ٥ وعدلت عما جنح اليه الاصلان من حشو العباير ٥
ولهما العذر فلسان الناظم معكوم ٥ فهو تحت قهر الميزان الشعري محكوم ٥ واذا اعتبرت
كتابي وجدته شرحاً للأصلين ٥ وعلى المنصف أن لا يطلب أثراً بعد عين ٥ فيتيقض له فانه
كنز المعارف ٥ اذا اعتبرته ببصيرة المنصف العارف ٥ ووضعت له اصطلاحاً يفسر
عن منابع مواده ٥ ويسير بك على لواضحة من جواده ٥ فحيث رأيت حرف ص فهو رمز
الى أن العبارة بعدها هي نثري للاصل ٥ وإن مرت بك لفظة قلت فما بعدها من زيادتي
على الاصل ٥ وإن وجدت رمز اهـ فهو علامة انتهاء زيادتي ورجوعي الى نثري للاصل ٥
وان وجدت قال المص فالمراد به شيخنا العلامة السالمي رحمه الله ٥ وان رأيت كلاماً
معزواً الى القطب فالمراد سيدي العلامة القطب الولي محمد بن يوسف اطفيش اليسجني
رضي الله عنه فاذا انتهت عبارته رسمت اهـ كلامه وساير اقوال العلماء اعزوها الى قايلها
باسمه او باشهر ما يعرف به ٥ وان رأيت حرف ح المهملة فهي رمز الى حديث اذكره بعدها
وهكذا اذا كثرت الاحاديث رمزت بالحاء قبل كل حديث فاصلاً بها بين حديث وحديث
آخر حاذفاً للاسانيد واسماء الرجال مكتفياً بمتون الاحاديث الا حيث تقتضي حال بذكر
سند الحديث معه او ردته بسنده ٥ هذا بحمد الله ومنته ما انفقت فيه كنز صبري ٥
ونفضت لجرابه صدري ٥ وبعون الله وفتحه تم على ما انا فيه من ضيق العطن ٥
والغربة عن الوطن ٥ وترادف من المحن ٥ فان أصبت الرمية فبيد الله قوسي وسهمي
والا فلا غرابة في خطأ من له فهم كفهمي ٥ وانما الحق والصواب ٥ محظوظ من الكريم الوهاب ٥
واسأل الله ان يجعل هذا السعي وجهة لديه مرضية ٥ وكفارة للسيئات الوبية ٥ وان
يحقق انتفاعي وانتفاع المسلمين بهذا الكتاب في الدين والدنيا والدار الاخرة ٥
انه قريب مجيب ٥ وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ٥

مبدأ نثار الجوهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن حميد السالمي ٥ أحمدك اللهم كل الحمد الذي ينبغي أن تحمد به في حال
الرفد وغيره ٥ واشكرك على مطلق آلائك العظيمة اداء لحق الشكر المفترض

واسألك

الصفحة الرابعة من نثار الجوهر

يا فاخراً للسفاه بالسلف ... وتاركاً للعلاء والشرف
آباء أجسادنا هم سبب ... لأن جعلنا عرائض التلف
من علم الناس كان خير أب ... ذاك أبو الروح لا أبو النطف

وهذا غلو عظيم في هضم حق الوالد وقد ولع بهذا المذهب كثير ممن له ميل إلى الإلحاد والزندقة والاعتقاد على نفي الله في العالم كأحمد بن سليمان المعري وأضرابه أخزاهم الله والحقيقة أن الله لم يعظم حقاً بعد حقه وحق رسله مثل حق الوالدين مع أنه سبحانه قد بين موضع هدم حق الوالدين بقوله وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ٠ ومع ذلك فإنه أمر أن يصاحبهما في الدنيا معروفاً وقد ورد في الكتاب والسنة تعظيمهما وتوقيرهما ووجوب طاعتهما إلا في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٠ وما ذنب الوالد المسكين وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً إذا كان مصيره ولده جيفة ورفاتاً وذلك المصير مشترك بينهما ولو كان تناسل البشر معذوراً من أجل هذا المصير إذاً لتسلسلت الجناية وارتفعت الخطيئة إلى الأب الأول صفي الله ونبيه آدم عليه السلام وإذن سار التسلسل إلى الصانع الحكيم الخالق المبدئ المعيد فيقال لماذا خلق هذا العبد الضعيف وربطه بحبال المقادير بين شدائد هذا العالم ثم أصاره إلى غصة الموت ثم إلى القبر جيفة ثم يبلى ويستحيل تراباً ثم وثم وإذا افتكرت في مذهب هؤلاء الملاعين وجدته يرمي إلى هذه الغاية وسبحان الله عما يشركون وقد قلت في تعديل هذه المسألة

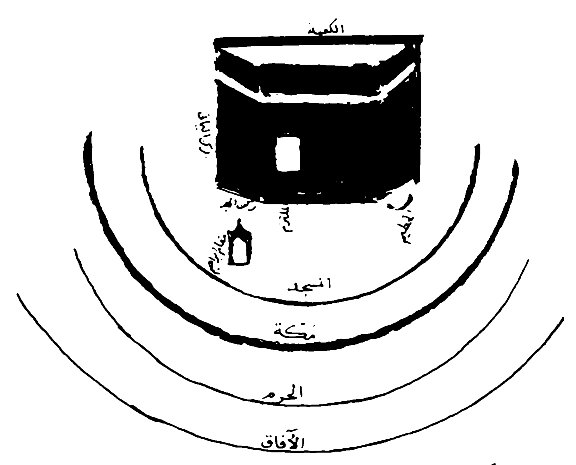
رب أب يشقى به ابنه ... إذ هو ذا المسكين أو نصره
وربما أسعده غيره ... فقاده للخير إذ بصره
وربما قصر في شأنه ... فطول الأبعد ما قصره
ما الوالد الراحم من عقه ... بالجهل لكن واهب التبصره
أحق هذين وأحفاهما ... بالبر من قاد إلى المبصره

ثم هنا محذور ومهلك انهمك فيه أغلب المتعلمين والأتباع غلب على عقولهم أنه من أركان واجبات التوقير لعلمائهم ٠ وهو أن يبعثهم الاعتراف بالحق للعالم على قبول الشبهة منه ويدعو تركه الإعنات له على التقليد فيما أخذ عنه فيعتقد قوله تعبيره دليلاً وإن لم يستدل ويعتقد رأيه حجة وإن لم يحتج فيفضي الأمر إلى التسليم لمجازفته فيما أخذ منه فيوشك بطلان تلك المقالة إما تفردت أو يخرج قائلها من عداد العلماء فيما شاركت إذ يتصور دان يبصر من يأخذ عنهم غيرها أخذ عنهم فيطالبهم بما قصروا فيه فيتوهموا بحالة العجز ويضعفوا دون الإبانة فيذهبوا ضياعاً وحين ينقلب الأمر يصير انتقاده عليها عظيماً أبواب برح به وملازمة لا دراك خطأ أستاذه أو قدحه عليه ٠ قال بعضهم رأيت من هذه الطبقة رجلاً

الصفحة رقم ١٣ من نثار الجوهر

٣٥٤

فحقيقته المرادة جملة بدن الانسان لان الواجب عليه استقبال الكعبة بجملته لا بخصوص الوجه الجارحة المعلومة فقط والوجه يذكر ويراد به نفس الشئ لان الوجه اشرف الاعضاء ولان به تمايز اشخاص الناس بعضهم من البعض فلهذا السبب قد يعبر عن كل الذات بالوجه • واما الجوارح فهي داخلة في حكم جملة البدن وذكرت عطف بيان على الوجه ليتمل البيان الوجه وغيره من جملة البدن الممكن الاستقبال بها والمراد بجملة البدن هي الجملة الموازية للوجه من كل ما امكن الاستقبال به مطلقا حتى اطراف الاصابع في حالات الصلاة كلها سيما اطراف اصابع الرجلين في سجوده فلا يجعلها مدبرة عن القبلة • وهل يجب قصد الاستقبال لكل صلاة او يجزيه المرة ما لم يتحول من مكانه او لمدة حياته اذا استقبلها بدينونته اسقفا اقوال • ثم ان الكعبة قبلة المسجد • وهو قبلة مكة وهي قبلة الحرم وهو قبلة الآفاق كما تراه في الشكل



ومعنى كون الحرم قبلة الافاق ان اهل الآفاق يستقبلون الى جهة الحرم لاجل الكعبة لعلهم يوافقونها فانما يستقبلون الحرم قصدا للكعبة ونية لها لا قصد الحرم لذاته وهكذا يقال في استقبال اهل الحرم مكة واستقبال اهلها المسجد فلو نوى

امر

الصفحة رقم ٣٥٤ من نثار الجوهر،
ويظهر فيها تخطيط رسمه أبو مُسلم للكعبة وصَحنِها

كتاب ورد من حضرة ابي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي الى
امام المسلمين بعمان سالم بن راشد بن سليمان الخروصي رحمهم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على رسولك سيدنا محمد وانفع عبادك بعبادك
من كاتبه العبد المذنب المفتقر الى رحمة ربه وعونه ابي مسلم ناصر بن سالم
بن عديم الرواحي (١) الى جناب امام المسلمين وامير المؤمنين وعصمة
المهتدين وخليفة رب العالمين العبد الصالح القائم بأمر الله سالم بن راشد
بن سليمان الخروصي المعتصم بربه المتوكل عليه الآمر بالمعروف الناهي عن
المنكر الناهض النهضة الصادقة في دعوة اهل الاستقامة الداعي الى الله
ورسوله المجاهد لاعلاء كلمة الله تدارك الله نصرك وسددك وثبت
قدمك واعلى مجدك وانفذ امرك وقوى شوكتك واعظم سطوتك ونصر
ظهور اعداء الله بدولتك وقطع دابر الظالمين بقهرك سلام عليك ورحمة
الله وبركاته وعلى من قبلك من اخواننا الشراة المسلمين وعلى اعوانك وانصارك
والقائمين بأمر الله معك والذابين عن حرمات الله تحت امامتك والجند
المجاهدين في سبيل الله حق جهاده بانفسهم واموالهم ايها العبد الصالح
ان الله نظر نظرة في عباده فرآك للوقت اصلبهم عودا وانقاهم قلبا

(١) من أشهر أئمة الهدى والعمل الصالح بعمان كانت إمامته ما بين (١٣٣٢ – ١٣٣٨هـ)

[illegible]

الصفحة الأولى من رسالة أبي مُسلم البهلاني المُطوَّلة إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي، وهي رسالة أورد فيها أبو مُسلم ما يرتأيه لدولة الإمامة كي تصبح في مصاف الدُّول المُعتبرة من خلال اعتبار التعليم ركيزة أساسية على الدولة أن توفرها للجميع، بحيث يُعلّم أبناء الفقراء من أوقاف بيت مال المسلمين، وحث الأغنياء والموسرين على دفع نفقات تعليم أبنائهم.

المصدر: مكتبة الشاعر سماء عيسى.

قدر الله انتفاعا من أي غيره فلا يعتبر ذلك لغير له فضل عليه صلى الله
عليه وسلم ثم [illegible] كالبحر عظم السخاء وماله .. من عليه لانه من مائه ثم وقد
اشبعنا الكلام على هذا المقام في كتابنا السياسة بالايمان * فارجع اليه
وها هو موجه اليك كذا الفنا الكتاب على هذه الوتيرة كما نراه قبل
ان من الله علينا بظهوره ولكن الموبرة [illegible] وطلب من اعز
الأصحاب واحب الاحباب الشيخ سليمان بن سيف [illegible] قدر الله تمامه
وعلى اثر تمامه بايام جاءتنا البشائر بطلوع شمس الحق فكان الواقع هو
غير موضوع الكتاب ولم يتيسر لنا ارساله قبل الاوان الحاضر وما
ذكر ان بعض الاصحاب من [illegible] وعدنا بطبعه على نفقته ولرغبتنا
الاكيدة في نشره باقطارنا العمانية ونقنا بالوعد الذي اصبح سرابا
بقيعة وهكذا الحرية ذهب اموالهم هينا في غير طائل واصعب الاشياء
عليهم انفاقها فيما يعود مصلحته على اهل الدعوة لاجرم الكتاب ارسلنا
اليكم وهو غير المسودة التي هي بخط يدي وعسى الله يمن علينا بتوسيع
الدولة وقرار الامور على قواعدها فتتمكنوا ان شاء الله من اتخاذ
مطبعة لبيت مال المسلمين تنشر فيه كتب المذهب والنشرات العربية
الدينية وذلك سهل عليكم ان شاء الله [illegible] ابن الشيخ الشماخي(١) ايده الله

* يشير هنا إلى كتاب له تحت عنوان (السياسة بالايمان) [illegible]
ولم نره مطبوعا، ولم نسمع عنه بخبر، ولعل الأيام ستكشف [illegible]
[illegible]

(١) لعله قاسم بن سعيد الشماخي مؤلف كتاب [illegible]

صفحة أخرى من نفس الرسالة، ويرد فيها ذكر ضرورة استيراد مطبعة لتعنى بطباعة أمهات كتب المذهب والكتب الأدبية، كما هو واضح من الوثيقة.

في مصر هذا وأحثك سيدي على فتح المدارس العلمية في بلادك وحث
أهل الخير على التبرعات في سبيل هذا المشروع العظيم فإن مصر ربما
لم يسقط هذه السقطة العظيمة إلا من جهة الجهل أو الجهل أم المصائب
في الدين والدنيا وبودي لو يساعدني العلماء هناك على رأي أراه
وهو جواز جبر الأولاد على التعلم وهي لعمري مصلحة عظيمة في الأمة
ثم تجعل نفقة الفقراء منهم على بيت المال ونفقة أبناء الأغنياء
على آبائهم وهي طريقة سياسية دينية تدل لها أصول من الكتاب
والسنة ونقاوكم على تعليم الجهلة على إجبار الآباء لأبنائهم
مضر جداً بالأمة لا ينقذهم بها شيء أعز من تركها في الجمود ولو تركت
الأمم الراقية على جمودها في الظلمة والجهل ولم يزعها وازع قسري
من جهة الحكومات لما بلغت مبلغها من التقدم في العصرية وأحق
ما يكون بالإلزام والقسر في العلوم الإسلامية التي تخرج بها
الأمة من الظلمة إلى النور ومن الرذالة والنقص إلى الفضيلة والكمال
فاجهد جهدك مولاي في هذه الخطة واجمع خيار المسلمين
وعلماءهم وزعماء القرى والبلاد وألزمهم بالنهضة العلمية وأقم لهم
الخطباء في الجمع والمحافل والمجتمعات يحثونهم على هذه النهضة (١)

(١) المطالبة بالتعليم المتطور اعتماداً على تبرعات المحسنين وإجبارية التعليم، آراء نيرة تسبق بها الشيخ ناصر عالم زمنه، وحدة عقلية نشيطة عن [illegible] في مجال الإصلاح والديانة.

حث الإمام على فتح المدارس وتكريس التعليم في دولته

ويبصرونهم بسوء المغبة في البقاء على هذه الحالة الراهنة وبحسن العاقبة للتقدم
إذا تنورت هذه الأمة بالمعارف الدينية والعلوم الإسلامية ويكشفون
عن وجه رداءة الجهل وأنه هو الداء الوحيد والسبب الأصيل للتوحش
والشراسة والتقاطع والعداوات والضغائن إلى غير ذلك مما تقع فيه الأمم
الجاهلة من الشرور والسقوط وموت الأمم موتاً أدبياً ودينياً وذلك ما لا
يختلف فيه اثنان ورأيناه بالعيان ولنعلم يقيناً أن هذه النهضة
لا تتمكن من التشكل شكلاً حسناً إلا بالصرامة التامة منكم إذ مرجع الأمر
إليكم. أما البحر الثاني فهو بحر السياسة أنت تعلم أن من لا يسوس الملك ينزعه (1)
ودونكم في السياسة النبوية المحمدية بحر لا ينزف وكنز لا يفنى فاغترفوا منه في
تدبير دينكم ودنياكم وأمر سلطانكم تجدوه الكفاية وفوق الكفاية ولقد
سئل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أين تعلمت السياسة فأجاب سائله من جمال الخطاب
الذي كنت أرعاها في شعاب مكة والله أعلم حيث يجعل رسالته حيث
يجعل سياسته عبارة لقد ساس عمر هذه الأمة سياسة أنصف فيها من
بعده من ساسة الأمة وتاريخ سيرته كافل طافح بذلك ومع هذا إنما
أحوجكم أن تزموا كل حادثة بخزمها وتداووا كل جرح بمرهمه ومعكم بحمد الله
من رجال الحنكة والتجارب والسياسة وذوي الأصالة في الرأي من لا يألوك

(1) نزع: بفتح وثني: يقال نزعه عن وجهه جهداً منعه
وتحليه. يقصد من لا يحسن سياسة الملك يفقده.

صفحة أخرى من نفس الرسالة / الوثيقة بها نصائح للإمام

جهدًا في المناصحة ومن لا تقصير بالبصيرة دون إدراك الحقيقة والحقائق
لا تفوت البصائر مع إمعان النظر واستثبات الأمور ومحض الرأي ومن
كلام سيدنا عبد الله بن وهب الراسبي ذي الثفنات رضي الله عنه
جميع الرأي خير وفطين ثم إن الحقائق التي يشتغل الفكر فيها الحد إصابة الرأي
فيها قسمان قسم محذور وقسم مطلوب فاستعن بالمحذور بالاحتياط
والتحفظ والحزم والتيقظ وكتمان الأسرار إلا عن خاصة أمرك ووزراء تدبير
سلطانك واستعن على القسم المطلوب بالصبر والثبات والعزيمة
والتثبت وعدم التسرع فيما يفتقر إلى الأناة والتؤدة وعدم التكاسل
والتثاقل والتثبط فيما تعوزه المبادرة والعجلة فهذه فذلكة أهديها
لك تذكرة والذكرى تنفع المؤمنين أكتبها وأنا أعلم أنك فوق ما أدعوك
إليه وأذكرك به دراية ورواية وسياسة وإيمانا ورغبة فيما عند الله
ورهبة من عقابه وفرارا مما يلهيك عنه فثبتك الله على ما أنت عليه
وزادك سلطانا في الذب عن حرماته والجهاد في سبيله وقطع دابر
أعدائه وجزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله أنت ومن ناصرك ووازرك
وقام بأمر الله معك ويا ليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما ولكن لله في
خليقته شؤون ولولا ما قضاه الله علي من وقوعي في حبائل الديون التي لا مخرج

تتمة للنصائح الواردة في الصفحة السابقة

لي منها إلا عز الله ونعمته وعلى كل حال فالتمس لكم الدعاء الصالح بتعجيل
الفرج وأنا أعلم أنكم إن شاء الله بمكان لكنه بمشيئة الله معكم في المكره
والمنشط حتى يقضي الله بإحدى الحسنيين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم سيدي هذه قصيدة(١) من جهتنا إليكم وضعتها وقصدت بها
الدعوة إلى الله وكان القصد طبعها لتنتشر في الأقطار العمانية وبكثرة إلا
أن المقادير حالت بيننا وبين طبعها لأن محسوبكم العبد العاجز أصبح رهين
ما صح الإسناد مفوتاً مع [illegible] السبب ولأني لكم ومنسوب
إليكم وتعلقي بأسبابكم وزاد في الحلق لنا ما كتبناه في جريدة الأهرام إحدى
المصرية(٢) [illegible] الشيخ النبهاني من نشر دعوة المسلمين لما
قامت دولتكم المؤيدة فكان ذلك داعياً إلى امتناعنا عن بيت الحكومة
وقطع جميع الأسباب التي يترتب عليها الضرورات الحيوية
وجعل الله [illegible] نعمة من الله أنعم بها علينا وما عند الله خير
وأبقى وبقينا معنا [illegible] خادمكم [illegible]
فيصل [illegible] ومصيبة سيدنا الشيخ السالمي قصمت الظهور(٣)
وأسالت المدامع [illegible] الآماق وقلنا لكم فيه حسن العزاء وفي الله من كل فائت
خلف والله يعوضكم ويعوض المسلمين إن شاء الله من يقوم بأمر المسلمين

(١) الإشارة هنا إلى قصيدته المشهورة [illegible] بالمعروفة بالنونية وهي دعوة حارة [illegible] لمؤازرة الإمام سالم بن راشد.
(٢) هكذا في الأصل [illegible] إحدى الجرائد المصرية.
(٣) الإشارة هنا واضحة في موت الإمام نور الدين السالمي سنة ١٣٣٢

صفحة أخرى من نفس الرسالة يُشير فيها إلى قصيدة كتبها في مديح الإمام ودولته، كما أن بها إشارة إلى رحيل نور الدين السالمي، مُضمنة في تعزية أبي مُسلم للإمام سالم بن راشد في فاجعة رحيل السالمي.

لكم بالنصر والتأييد وقد أجرى الله على لسان عبده العاجز الضعيف
مرثيتين لسيدنا الشيخ رحمه الله (١) وهما تحت الطبع وبعدما تم
طبعها سنوجه إليكم بعض النسخ إن شاء الله وهذه القصيدة النونية (٢)
أرجو منك تأمر بالإكثار من نسخها وانتشارها مع شيوخ القبائل عساها
أن تحرك من عواطفهم وتهز من أريحياتهم ولهذه الغاية وضعناها
على هذه الوتيرة سياسة منا للدين وتحريكا لعواطف المسلمين قد تم
الكتاب الوارد ولقد جزى الله منشيه وكاتبه عن الإسلام خيرا يوم
١٣ ربيع الثاني عام ١٣٣٣ هجرية (٤) وتحرير الكتاب يوم ١٤ ربيع
الثاني من صاحبه من زنجبار في العام المذكور تم بقلم الحقير زهران بن خلفان
بن سرور بن سليمان بن مهنا اليعربي
بيده

(١) يشير هنا إلى مرثيتيه في الشيخ السالمي، وهو منشورتان في ديوانه.
(٢) قصيدة الفتح والرضوان منشورة في ديوانه أيضا
(٣) نعتقد [illegible] الشاعر رسالة الشاعر [illegible] [illegible]
(٤) يوافق ١٩١٤ تقريبا.

الصفحة الأخيرة من الرسالة، وبها إشارة إلى قصيدته النونية، راجياً من الإمام: «الإكثار من نسخها ونشرها مع شيوخ القبائل عساها تحرك عواطفهم وتهز من أريحياتهم، ولهذه الغاية وضعناها على هذه الوتيرة، سِياسَةً منا للدِّين وتحريكاً لعواطف المُسلمين».

ملحوظة الخطاط: قد تم الكتاب الوارد ولقد جزى الله مُنشيه وكاتِبه عن الإسلام خيراً يوم ١٣ ربيع الثاني عام ١٣٣٣هـ (الموافق: ٢٨ فبراير، ١٩١٥م)، وتحرير الكتاب يوم ١٤ ربيع الثاني من صاحبه من زنجبار في العام المذكور. تم بقلم الحقير زهران بن خلفان بن سرور بن سليمان بن مهنا اليعربي، بيده.

بسم الله الرحمن الرحيم

أقرّ عندي سيف بن عزان بن هندي الحراصي أنه قد أقام الشيخ ربيعة بن ماجد بن سليمان الكندي وكيلاً له ونايباً عنه يقوم مقامه في قبض جميع أمواله من أروض ونخل ومياه وما يصدق عليه اسم مال من الأصول الكاينة له بقرية الهجار من وادي بني خروص بحدودها وحقوقها ومتعلقاتها كاينا ما كان من يد من هي في يده من الناس وفي محاكمة كل معترض عليه فيها وكل مدّع عليه فيها بدعوى إلى من شاء الله من حكام المسلمين وفي استماع الأيمان الشرعية له وإقامة البينات عنه مهما أوجب العدل حكماً من ذلك وبعد قبض تلك الأموال فقد وكّله في عمارها واستثمارها وبيع غللها نداءً أو سوماً وقبض القيم أو الأثمان من المشترين وفي دفع الأجرة منها في مصالحها حسب ما يراه في نظره أوفر مصلحة وأتم عمارة أقامه في كل هذا وكيلاً شرعياً مفوضاً قايماً عنه مقام نفسه فيما يجوز له التوكيل فيه بوكالة شرعية معتبرة الصحة والثبوت إقراراً منه على نفسه بذلك وكتبه شاهداً به العبد الفقير إلى عفو الله ورحمته ناصر بن سالم بن عديم بن صالح الرواحي بيده في يوم ١٣ جمادى الأخرى سنة ١٣٣٧ من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلوات والتسليم

اشهدني سيف بن عزان بن هندي فشهدت عليه بما كتب في صدر هذه القرطاسة والفقير موسى بن سالم [illegible]

صَكٌّ شرعي كتبه أبو مُسلم بخط يده، ويظهر في نهايته توقيعه وتاريخ كتابته

المصدر: دائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة العُمانية

الباب الأول

الإلهيَّاتُ والقصائدُ الدينيّةُ
(مُشتمِلةً على النَّفَسِ الرَّحماني)

في ذكر اللّه جل جلاله

الوادي المُقدَّس(*)

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ تسبيحُ فِطْرَتي ... هُوَ اللهُ إخْلاصِي وفي الله نزْعَتي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ ذاتي تَجَرَّدَتْ ... وهَامَتْ بِمَجْلى النُّورِ عَينُ حقيقتي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ ضَاءَتْ فأشْرَقتْ ... بأنوارِ نُورِ الله نَفسُ هُوِيَّتي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ في كُلِّ لَحْظةٍ ... بأسْرَارِ سِرِّ الجَمْعِ جَمعُ تشتُّتِي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ ذرَّاتُ عَالَمِي ... خَواتِمُها بَدْءٌ كعَالَمِ ذرَّتِي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ هَبَّتْ فشاهَدَتْ ... بُرُوقَ جَلالٍ مِنْ أنا الله غَيْبَتي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ شاهَدَتِ اسْمَهُ ... فتاهَتْ بأفْناءِ الفَناءِ أنِيَّتي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ فقري مُحَقَّقٌ ... غَنائي وَذُلِّي باسْمِهِ عَينُ عِزَّتي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ نُورُ جَلالِهِ ... به احْتَرَقتْ آفاتُ نفسِي ونشْأتِي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ أسْرَارُ إسْمِهِ ... بها صُعِقتْ عَنِّي شياطينُ شَهْوتي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ تزْكُو خَوَاطِري ... وتَصْدُقُ إلّا عَنْ مَرَاضِيهِ لفْتَتي

هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ جَرَّدتُ وَحْدَتي ... لوَحْدَتهِ؛ إذ مِنهُ لِي فِيهِ وَحْدَتي

(*) وردت القصيدة في الأصل المُعتمَد بعنوان: [هو الله جَلَّ جلالُه]، لكن عنوانها الأصلي: (الوادي المُقدَّس) ـ راجع: محمد المحروقي، الشعر العُماني الحديث (أبو مسلم البهلاني رائداً)، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء/ بيروت، ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠ م، والحقيقة أنها مُقدِّمَة لمطولته في أسماء الله الحُسنى، بل تُعتبر ضمن نسيجها ولُحْمَتها.

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ أُنْسِي شُهُودُهُ ولو غَيَّبَتهُ العَينُ مُتُّ بوَحْشتِي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ أوْقَفتُ رُؤيَتي عَليْهِ وَدِيني مُخْلِصاً نَفيُ رُؤْيَتي[1]
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ حَجِّي وعُمْرَتي إلى بَيتِهِ المَعْمُورِ إذ هُوَ بَضْعَتي[2]
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ نَفْسِي مَشَاعِري ونُسْكِي حَيَاتي والمَحبَّةُ وَقْفَتي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ لَوْلا صَلاتُهُ عَليَّ لعَزَّتْنِي صَلاتِي وسَجْدتِي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ ما صُمْتُ لحظَةً على أنَّني لم تعْهَدِ الفِطرَ فِطْرَتي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ وِتْرِي شَهَادَتي وتلك صَلاتي الوِتْرَ في جُنْحِ ظُلْمَتي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ جَاهَدْتُ شَوْكَتي فكانتْ لهُ فيهِ بهِ مِنهُ نُصْرَتي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ كَوْنُ إضَافتي إليهِ زَكَاتِي، وَهِيَ أفْخَرُ نِسْبَتي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ مَحْقُ إرَادَتي مُرادِي، وإثْبَاتِي لمَحْوِيَ بُغْيَتِي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ نَفْذُ مَشِيئَتِي ومالي بشَيءٍ جَزْءُ حَوْلِي وَقُوَّتي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ لو عَارَضَ الفَنا حَياتيَ لم تَذهَبْ حَياتِي بمَوْتتي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ في كُلِّ وَارِدٍ لهُ مِنْ يَقينِي فيهِ كُلُّ تَثَبُّتِ
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ في كُلِّ خَطْرَةٍ لهُ مَلَكٌ مِنِّي يَطِيرُ بسُبْحَتي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ أسْنَى مَعَارِجي إليهِ نُزولِي في مَدَارِك خَشْيَتي
هُو اللهُ بِسمِ اللهِ مُلْكُ عَوَالِمي بتدْبيرِ سِرِّ الاسْمِ في قَهْرِ قَبْضَتِي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ قَهْرِي مُسَخِّرٌ شياطينَ نفسِي تَحْتَ كُرْسِيِّ عِزَّتِي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والجِدُّ باسْمِهِ بجَدِّ اسْمِهِ أرْبَتْ على الجَدِّ خَطْوَتي
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والفَيْضُ باسْمِهِ تجَلَّى لِعَقلي كُنْهُ كُلِّ حَقِيقَةِ
هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والفتحُ باسْمِهِ فُتوحَاتُ عِرْفاني وكَشْفِي اسْتهَلَّتِ

(١) تلاعبٌ شِعريٌّ بالغ الدلالة حول دلالات «الرُّؤية». إذ يُوقِف الشاعر رؤيته على الله، لكنَّ دينهُ الذي أخلصَ له هو نفيُ رؤية الذات الإلهية.

(٢) البَضْعَة: القطعة. يُقال هو بَضعَة مني: أي هو في قرابته كالجُزءِ مِنّي. وفي الحديث النبوي عنه(ص): «فاطمة بَضْعَةٌ مني».

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والوَهْبُ باسْمِهِ ... أفاضَ عَليَّ الوَهْبُ كُلَّ خَفيَّةِ

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والنُّورُ باسْمِهِ ... تَشعْشعَ نُورُ اللهِ في بَشريَّتِي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والقُدْسُ باسْمِهِ ... تَقدَّسَ تَوْحِيدي وإيمانُ فِطْرَتي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والجَمْعُ باسْمِهِ ... تجَمَّعَ فُرْقاني وفَرَّقتُ جَمْعَتي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والرُّوحُ باسْمِهِ ... تَدارَكَني مِنْ رُوحِهِ كُلُّ مُنْيَتي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ واللطْفُ باسْمِهِ ... سَرَى لُطْفهُ في شقْوَتي فاضْمَحَلَّتِ

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والعِزُّ باسْمِهِ ... تَعَزَّزْتَ عِزاً قاهِراً كُلَّ عِزَّةِ

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ والقَهْرُ باسْمِهِ ... قَهَرْتُ عِداتِي تَحْتَ قَهْرِي وسَطْوَتي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ هَيْبَةُ إسْمِهِ ... كَسَتْنِيَ نُوراً مِن جَلالٍ وهَيْبَةِ

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ عِزَّةُ إسْمِهِ ... أقامَتْ مُحَالِي في رِضَاهُ وسُلْطَتِي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ سُلطانُ إسْمِهِ ... غَلَبْتُ بهِ مَن فاقَ أيْدِي وقُوَّتي[1]

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ سَطْوَةُ إسْمِهِ ... قصَمْتُ بها مَن شاءَ وَهْنِي وذِلَّتي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ ذي المُلكِ أذْعَنتْ ... وشَاهَتْ وُجُوهُ المُعتدِينَ وذَلَّتِ

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ ذي الجَبَرُوتِ كَمْ ... يَدَي جَبَرُوتٍ حَاوَلَتْنِي فَشُلَّتِ

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ ذي المَلَكُوتِ مَنْ ... خَزائِنُهُ وَفْرِي ويُسْرِي وغُنْيَتي[2]

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ ذِي المَجْدِ إنَّ لِي ... بتمْجيدِهِ مَجْداً عَلى المَلَكِيَّةِ

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ ذي الكِبْرياءِ لا ... أذِلُّ ولا أشقى وبالذِّكْرِ وَصْلَتي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ ذي النُّورِ أهْتَدِي ... وأهْدِي وأمْحُو باسْمِهِ آيَ ظُلْمَتي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ ذي الحَمدِ والثَّنا ... مَحَامِدُهُ مِنِّي اعترافي بِحَيرَتي

هُوَ اللهُ بِسمِ اللهِ ذي العَرْشِ لم أضِقْ ... وإمْدَادُهُ العَرْشِيُّ يُوسِعُ خَيطَتِي

(١) الأيْد: تعني القوّة. آدَ أيْداً: قوِيَ واشتدّ. في التنزيل العزيز: «والسَّماءَ بَنَيْناها بأيْدٍ». وفي المَثل: «الكَيْدُ أبلغُ من الأيْد».

(٢) بعض الشرّاح يقرأون البيت كالتالي: هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي المَلَكُوتِ مِنْ | خَزائِنِهِ وَفْرِي ويُسْرِي وغُنْيَتي.

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ ذي الـطَّـوْلِ والـغِـنـى غَـنـايَ وطَـوْلِي واتِّـسَـاعِـي وثَـرْوَتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ ذي الـمَـنِّ كُـلَّمـا مُـنيـتُ ببُؤسٍ وَسَّـعَ الـمَـنُّ بَسْـطَـتي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ ذي الرَّحْـمَـةِ انْـجَلَت لَوَازِبُ مِـن سُـوءِ الـقَـضَـا بِـيَ حَـلَّتِ

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ يـا رَبِّ لا تـدَعْ لأمَّـارَتـي بـالـسُّـوءِ نُـقْـطَـةَ خَـيـرَةِ

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ يـا رَبِّ لا تُـزِغْ جَنَانِي ولقِّني مَعَ العَرْضِ[1] حُجَّتِي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ سُـلَّ سَـخِـيـمَـتِـي[2] وثبِّتْ عَلى مَرْضَاةِ وجْهِك خِدْمَتي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ أَذْهِـبْ قـوَاطِـعِـي ولا تَـلْقِنِـي مُـسْـتـحْـسِـراً قـيـدَ لَمْـحَـةِ

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ هَـبْ لـيَ قـوةً تُـصَرِّفُ لي التصْرِيفَ في كُلِّ نُقطَةِ

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ يَسِّـرْ مَـقـاصِـدِي وَحُلَّ جُمُـودي وانحِسَاري وعُـقْـدَتي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ أفـرِغْ عَـلـيَّ فـي بَلائكَ صَبْراً، ولْيَكُ الشُّكْرُ لَهْجَتي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ حَـقِّـقْ إرَاثَـتِـي[3] وَصِـلْ نِـسْـبَـتِـي بـالـنِّـسْـبَـةِ الـرُّسُـلـيَّـةِ

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ ثَـبِّـتْ عَـزِيـمَـتـي على الرُّشْدِ، إنَّ الغَيَّ أصْلُ طبيعتي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ هَـبْ لي جَـوامِـعَ الـ ـسَّـعَـادَةِ في الـدُّنـيـا وعُـقـبَـى مَـنـيَّـتِـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ جُـدْ لِي بـنَـظْـرَةِ تَـدَارَكُ جَـذْبـي مِـنْ شـقـائِي وأَخْـذَتِـي

---

(١) العَرْض: يوم القيامة.

(٢) سَخِيمَتي: ضغينتي وحقدي.

(٣) إرَاثَتي: من الإرث؛ لكنه لا يقصد الإرث الدُّنيوي بل: «العُلماء وَرَثةُ الأنبياء».

أسماءُ اللَّه الحُسْنى

الله جلَّ جلاله

بـبَـابِـكَ يـا اللهُ عَـبـدُكَ مُـخـبِـتٌ[1] … تَـعَـلَّـقَـهُ بـالله مِـنْ كُـلِّ وِجْـهَـةِ
تَـعَـلَّـقْـتُ بـالله الـذي لا إلـهَ لِي … سِـواهُ، ولا ضَـاعَـتْ لَديـهِ عُـبـودَتـي
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـعَـليـمِ بـمَـوْقِـفـي … ومـا أنـا فِـيـهِ مِـنْ ضُـرُوب الـبَـلِـيَّـةِ
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـعـظـيـمِ الـذي جَـرَتْ … مَـقـاديـرُهُ دُونَ اخـتـيـار الـبَـرِيَّـةِ
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـلـطـيـفِ بِـخَـلْـقِـهِ … وهـذا هُـدًى مِـنـهُ لـنـفـعـي وخـيـرَتـي
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـكـريـمِ ولـم تَـخِـبْ … أَمَـانٍ عـلـى بـابِ الـكـريـمِ اسْـتَـقـرَّتِ
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـمُـبِـرِّ عِـبـادَهُ … بـلا سَـبَـبٍ مِـنـهُـم لِـدَرْكِ الـمَـبَـرَّةِ
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـحَـلـيـمِ وإنـنـي … لأعْـظَـمُ شـيءٍ فـي الـخـطـايا خَـطِـيـئَـتـي
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـمَـتـيـنِ وإنَّـهُ … لأمْـتَـنُ حَـبْـلٍ بـالـمَـتـيـنِ وَثِـيـقَـتـي
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـمَـجـيـدِ ومـا انْـثَـنـى … مُـؤَمِّـلُ مَـجْـدِ الله صِـدْقـاً بِـخَـيْـبَـةِ
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـحَـمِـيـدِ بِـحَـمْـدِهِ … وَسِـيـلَـةُ قَـصْـدِي حَـمْـدُهُ حَـسْـبَ قُـدرَتـي
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـجَـلـيـلِ تَـعَـلُّـقـاً … نَـسَـخْـتُ بِـهِ مِـنـي ضَـلالَ الـخَـلِـيـقَـةِ[2]
تَـعَـلَّـقـتُ بـالله الـوَلِـيِّ تَـعَـلُّـقـاً … أرَانِـي وَلاءَ الـحَـقِّ مِـنْ قـبـل نَـشْـأَتِـي

---

(١) مُخبِت: خاشع.

(٢) من أبيات أبي مُسلم الغريبة في مقاصدها وأبعاد غورها، بل انفلاتها عن مَرْبَط معهود التعبير في كافة المذاهب؛ فالشاعر المُتعلّق بالله الجليل نَسَخَ بالله ضَلالَ الخليقةِ مِن ذاته.

تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـعَـليّ تـعَـلُّقـاً | عَلوْتُ بـهِ عَـن مَرْكَـزي وطَـبيـعَـتـي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـوَكِيـلِ وَقَـدْ عَـدَتْ | عَـليَّ الـعَـوَادي الـمُـهْـلكـاتُ وَشَـدَّتِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـكَـفـيـلِ وَفَـضْـلُهُ | عَـظيـمٌ وَقَـدْ ضَـاقـتْ عَـليَّ مَعِيشتي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـحَـفـيِّ بـأهْـلِهِ | وأهْــلِيَّــتــي لله فَــقْــري وَذِلَّتــي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـوَهُـوبِ وإنَّ لِي | بفقري إلى الوَهَّاب فوزاً بغُنْيَتي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـحَـفـيـظِ وحِـفـظُـهُ | مِنَ الـسُّـوءِ فـي دِيـنِ ودُنـيـا مَـجَـنَّتِي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـحَسيبِ وَقَـدْ طَـغـتْ | أعَـادِيـهِ بَـغْـيـاً فـوقَ حَـوْلِي وقُـوَّتـي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـسَّـمِـيـعِ اسْتـغـاثـتـي | سَمِيعُ دَبيبِ النَّمْلِ مِن فوقِ صَخْرَةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـبَـصِـيـرِ بـحَـالَتـي | بَـصِـيـر خـفـايـا الـعَـالَمِـيـنَ الـدَّقـيـقـةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـخَـبـيـرِ بـوَهْـلَتـي | إلـيـهِ وإخْـبَـاتِـي وَرَهْـبـي وَرَغْـبَـتـي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـمُـقـيـتِ عِـبَـادَهُ | وسُبْحَانـهُ لـم تَخْـفَ عَـنـهُ ضَـرُورَتـي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـعَـزيـزِ وإنَّ لِي | بـذِي الـعِـزَّةِ الـقـهَّـارِ أمْـنـعَ عِـزَّةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـقـويِّ وإنَّ لـي | بـذي الـقُـوَّةِ الـقـهَّـارِ أعـظـمَ قُـوَّةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـمُـحـيـطِ بـعِـلْـمِـهِ | وقـدْرَتِـهِ سُـبْـحَـانـهُ بـالـخَـلـيـقـةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـسَّـلامِ وَقَـدْ جَـرَى | عَـليَّ الـقـضَـا مِـنـهُ ببُؤسِـي وَكُـرْبَـتـي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـذي أنـا مُـؤمِـنٌ | بـهِ، وهُـوَ رَبِّـي مُـؤمِـنٌ كُـلَّ خِـيـفَـةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـمُـهَـيْـمِـنِ سَـيِّـدي | عـلى كُـلِّ شـيءٍ مِـنْ صُـنـوفِ الـبَـرِيَّـةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـذي جَـبَـرَ الـنُّـهَـى | لـعِـرْفـانِـهِ الـجَـبَّـارِ صَـدْعُ الـرَّزِيَّـةِ
تَـعَـلَّقـتُ يـا الله يـا مُـتـكَـبِّـراً | عن الكُلِّ باسْمِ الذاتِ، اسْمِ الحَقيقةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـاللهِ الـكَـبـيـرِ جَـلالُهُ | بعِزِّ اسْمِكَ الذَّاتِيِّ في قيْدِ شِقوَتي
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـحَـكِـيـمِ بـصُـنْـعِـهِ | بمَجْدِ اسْمِكَ الأعْلَى عَلى كُلِّ حَضْرَةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـرَّؤوفِ بـخَـلْقِـهِ | بـمـا لاسْـمِـكَ الـذاتـيّ مِـنْ لُطْـفِ رَأفَـةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـرَّحِـيـمِ بـخَـلْقِـهِ | بـمـا وَسِـعَ اسْـمُ الذاتِ مِنْ وُسْعِ رَحْـمَـةِ
تَـعَـلَّقـتُ بـالله الـمَـلِيـكِ وحَـسْـبُ مَـنْ | تَـعَـلَّقَ بـاسْـمِ الله أفْـخَـرُ نِـسْـبَـةِ

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ يـا حَـيُّ ضَـارِعـاً … بـاسْـمِـكَ يـا قـيُّـومُ تَـضْـرَاعَ مُـخْـبِـتِ

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ يـا حَـقُّ قـانِـتـاً … لوَجْهِكَ فاقبَلْني على سُوءِ رَجْعَتي

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ يـا بَـرُّ بـائِـنـاً … وعِـنـدَكَ يا فـتَّاحُ فـتْـحِي ونِـعْـمَـتي

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ يـا وَاسِـعَ الـعَـطَـا … بجُودِكَ في فقرِي وَضَنْكِ مَعِيشتي

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ مِـنْ حَـيـثُ إنـنـي … عَـرَفـتـكَ يـا خَـلّاقُ مُـبـدِئ نَـشـأتـي

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ مِـنْ حَـيـثُ إنـنـي … رَأيـتُ لـكَ الآيـاتِ فـي كُـلِّ فِـطْـرَةِ

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ مِـنْ حَـيـثُ إنـنـي … عَـلِمْـتُـكَ بـالـتَّـكْـويـنِ والـمُـبْـدِعِـيَّـةِ

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ مِـنْ حَـيـثُ إنـه … بـتـدْبِـيـرِكَ الأشْـيَـاءَ مِـنْ غَـيـرِ شِـرْكَـةِ

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ مِـنْ حَـيـثُ إنـه … وُجُـودُكَ لـم يَـسْـبـقـهُ ذو قِـدَمِـيَّـةِ

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ مِـنْ حَـيـثُ إنـه … بَـقـاؤكَ لا يَـفـنَـى إلـى الأبَـدِيَّـةِ

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ مِـنْ حَـيـثُ إنـه … جَـلالُكَ والإكْـرَامُ مَـجْـدُ الألُوهَـةِ

تَـعَـلَّقـتُ يـا اللهُ مِـنْ حَـيـثُ إنـه … لاسْـمِـكَ اسْمُ الـذاتِ سُلطانُ وَحْدَةِ

فـيـا اللهُ يـا اللهُ هـذا تَـعَـلُّقِـي … وأنـتَ مُـرَادِي واسْـمُ ذاتِـكَ لَهْـجَـتـي

دَعَانِي: «قُلِ ادْعُوا اللهَ» والفقرُ مطلقاً … وإنـكَ يـا اللهُ أهْـلٌ لِدَعْـوَتـي

ونُـورُ جَـلالٍ مِـنْ «قُـلِ اللهُ» مُـشْـرِقٌ … سَـرَيْـتُ بـهِ حتى شُـهـودِ الـحَـقـيـقـةِ

وعِـزُّ كَـمَـالٍ مِـنْ «أنـا اللهُ» بَـاهِـرٌ … لـهُ اسْـتَـسْـلَمَ الأشـيـاءُ طَـوعـاً وَذلَّـتِ

وحُسْنُ جَمَالٍ مِنْ «هُو اللهُ» ظاهِرٌ … بـهِ نَـشْـوَةُ الأرْواحِ تَـحْـتَ الـهُـوِيَّـةِ

وَقـفـتُ لـكَ الـلهُـمَّ وِقْـفَـةَ حَـائِـرٍ … بـدَهْـشَـةِ عَـبـدٍ بَـيـنَ عِـزٍّ وهَـيْـبَـةِ

وَقـفـتُ لـكَ الـلهُـمَّ وِقـفَـةَ ذاكِـرٍ … بـإخْـلاءِ أرْكَـانِـي ومِـلْءِ طَـوِيَّـتـي

وَقـفـتُ لـكَ الـلهُـمَّ وِقـفَـةَ خَـاشِـعٍ … مَـلأتُ بـكَ الـلهُـمَّ سِـرَّ سَـرِيـرَتـي

وُقـوفـي لـكَ الـلهُـمَّ كَـوْنٌ أرَدْتَـهُ … فلا تَكُ خِلواً مِنْ مَرَاضِيكَ وَقْفَتي

وُقـوفـيَ بـاسْـمِ الـذاتِ يـا اللهُ خِـدْمَـةٌ … تُـحَـقِّـقُ كَـوْنِـي خَـادِمـاً كُـلَّ حَـضْـرَةِ

وما غَشِيَتْنِي حَضْرَةٌ لـم يَكُنْ لَهَا … إلـى الـقُـطـبِ يـا اللهُ وَصْـلَـةُ نِـسْـبَـةِ

فـمـا يَـسْـتَـمِـدُّ الـكُـلُّ إلّا بـبَـحْـرِهِ … لـهُ الـحُـكْـمُ فـي الأسـمـاءِ وَالـصِّـفـتِـيَّـةِ

إلـهي امْحَقِ الأغْيَارَ عَني بنُورِهِ ... وخُذْني بهِ مِنْ بَينِ أبْحُرِ غَفْلَتِي

وأشْرِقْ بهِ يا اللهُ نُورَ هِدَايتي ... إليكَ، وَوَسِّعْ في المَعارِفِ بَسْطَتي

ولا يَكُ ذِكْرُ الحَرْفِ حَظِّي ومَنصِبي ... ولكِنْ بذِكْرِ المُخْلِصِينَ تَثَبُّتِي

فذِكْرُكَ بالذِّكْرِ الحَقيقيِّ مَنصِبٌ ... يُنالُ بفَضْلٍ مِنكَ لا بِفَضِيلَتِي

الرحمن جلَّ جلاله

إلَهي افْتِقارِي لازِمٌ لحَقيقتي ... إلى رَحْمَةِ الرحمنِ في كُلِّ لَحْظَةِ

إلى نظْرَةِ الرحمنِ تَحتَ جَمَالِهِ ... أبُثُّ اضْطِراراً طَارِقاتِي وشِقْوَتي

إلهيَ يا رحمنُ أستعْطفُ الرِّضَا ... واستكشفُ البَلوى وغَمِّي وكُرْبَتي

إلهيَ يا رحمنُ أستوْهِبُ الغِنى ... ففي سَعَةِ الرُّحْمَى إلهيَ غُنْيَتي

إلهيَ يا رحمنُ أسألُ رَحْمَةً ... تلمُّ بها صَدْعِي وترْحَمُ غُرْبتي

بجُودك يا رحمنُ كُلُّ بَلِيَّةٍ ... وإنْ عَظُمَتْ، قَدْ آذنتْ بتشتُّتِ

إلهيَ يا رحمنُ كَمْ مِن مُصِيبَةٍ ... برَحْمَتكَ اللهُمَّ وَحياً تَجَلَّتِ

إلهيَ يا رحمنُ أسْألُ وَجْهَكَ الـ ... ـكريمَ شُمُولَ الرَّحْمَتين[1] لِفطْرَتي

إلهيَ يا رحمنُ ما أستَمِدُّهُ ... برُحْماكَ مَمْدُودٌ كأقربِ لَمْحَةِ

إلهيَ يا رحمنُ لاذَ بكَ الرَّجا ... فمُنَّ على ضَعْفي بأرْحَمِ نَظْرَةِ

بعاطفةِ الرحمنِ عَاذتْ حَقائقي ... وعُمْرِي وفَقْرِي وانْقِطَاعِي وذلَّتي

الرحيم جلَّ جلاله

عسى نفحاتُ اسْمِ الرَّحيمِ وَرَوْحُهُ ... تَهُبُّ على ضُرِّي برَوْحٍ ورَحْمَةِ

عسى نفحاتُ اسمِ الرَّحيمِ بسَبْقِها ... تُدارِكُ إنقاذي بمَحْوِ خَطِيئتي

(١) الرَّحْمَتين: رحمة الدنيا والآخرة.

عسى نفحاتُ اسم الرحيم حَنانُها قريبٌ على قَدْرِ العَنا والبَليَّةِ
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تحُفُّني لِطَائِفُها بالصَّالِحاتِ وبالَّتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم وَشِيكَةٌ تُعاجِلُ بالتفريجِ هَمِّي وغُمَّتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تَمُدُّنِي بفضلٍ وغُفرانٍ ولُطْفٍ وعِصْمَةِ
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تَوَارَدَتْ بعارفةِ الحُسنى على حَلِّ عُقدَتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تَكونُ لي على خُطَّةٍ أغيَتْ مِحَالي وَقُوَّتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تُنِيلُني بوسْعِ نَدىً يَجْتاحُ فقري وعُسْرَتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تَقومُ بي وَقَدْ قَعَدَتْ عَنِّي رِجَالِي وأُسْرَتي
عسى نفحات اسم الرحيم تُغِيثُني فَوَاللهِ ما ضَاقتْ بأيَّةِ فِطْرَةِ

المَلِك جل جلاله

إلى المَلِكِ الأعلى الذي أنا مُؤمِنٌ بتوحيدِهِ في عَالَمِيَّةِ ذرَّتي
إلى المَلِكِ الأعلى الذي أنا لاهِجٌ بتسبيحِهِ مِنْ قبلِ إظهَارِ نَشْأتي
إلى الملكِ الأعلى الذي أنا مُخلِصٌ لَهُ الدِّينَ حُباً، لا لنارٍ وجَنَّةِ
إلى الملكِ الأعلى الذي سَبَّحَتْ لَهُ بأسْمَائِهِ الأكْوَانُ تَسبيحَ فِطْرَةِ
إلى المَلِكِ الأعلى الذي سَجدَتْ لَهُ نَوَاصِي المُلُوكِ القاهِرِينَ وَخَرَّتِ
إلى المَلِكِ الغَلَّابِ ذِي السَّطْوَةِ التي تَصَاغَرَتِ الأمْلاكُ مِنها وذَلَّتِ
إلى الملكِ القهَّارِ مَنْ بجَلالِهِ وقُوَّتِهِ مُسْتَمْسِكٌ ضَعْفَ قُوَّتي
إلى الملكِ الجبَّار أُسْنِدُ خُلَّتي ليجْبُرَ وَهْني وانْكِساري وصَدْعَتي
إلى الملكِ المَنَّانِ أطلبُ مِنَّةً يُزكِّي بها عن مِنَّةِ الخلقِ عِيشتي
إلى الملكِ الوَهَّابِ أرْفَعُ فَاقتي فإنَّ فُيُوضَ الوَهْبِ كَنْزِي وغُنْيَتي
إلى المَلِكِ الكَافِي أبُثُّ شِكَايَتي لأُكْفى هُمُومَ الدِّينِ والدُّنيَوِيَّةِ

القُدّوس جلّ جلاله

تقدَّستَ يا قُدُّوسُ عَن جِنْسِ عِلَّةٍ ... وعن حَدٍّ مَعْلُولٍ ورَسْمِ طَبيعَةِ

لِوَجْهِكَ يا قُدُّوسُ كُلُّ قَداسَةٍ ... بلا شرطِ تقييدٍ ولا حَصْرِ نِسْبَةِ

وما مُدْرِكُ التقديسِ مِني وقدْرُهُ ... لدى سُبُحاتِ النُّورِ والقُدُسِيَّةِ

ومن هو يا قُدُّوسُ يَبلُغُ كُنْهَ ما ... لِوَجْهِكَ مِن قُدْسٍ ومَجْدٍ وعِزَّةِ

تَنزَّهْتَ عمّا شَكَّلَ الوَهْمُ مُطلقاً ... وعَن حِيطَةِ التَّعْقيلِ والنَّظَرِيَّةِ

تقدَّستَ عن مِثلٍ وضِدٍّ وشِرْكَةٍ ... وَفَصْلٍ وَوَصْلٍ واتِّحادٍ وخُلْطَةِ

تقدّستَ ذاتاً عَن وُجُودٍ مُعَلَّلٍ ... يُغايِرُ، يا قُدُّوسُ، نَفسَ الهُوِيَّةِ

غَنِيٌّ عَلى الإطْلاقِ عَنْ نَيلِ حادِثٍ ... لذاتكَ، لا عَن مُوجِبٍ فيكَ مُثبَتِ

بسِرِّ اسْمِكَ القُدُّوسِ قدِّسْ حَقيقتي ... وحَقِّقْ بتقدِيساتِ وَجْهِكَ هِمَّتي

وقدِّسْ مَقامَاتي وقدِّسْ مَشاهِدِي ... وقدِّسْ يَقيني فِيكَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةِ

وقدِّسْ صِفاتي كَيْ تَليقَ نَزاهَتي ... بتَسْبيحِ تقدِيساتِ نُورِ الألُوهَةِ

السّلام جلّ جلاله

تقدَّستَ قُدساً يا سَلامُ مُبَرَّءاً ... مِنَ النَّقصِ والآفاتِ مَحْضَ البَراءَةِ

سَلِمْتَ فما قُدْسُ السلامِ إضافةٌ ... لِحَدٍّ، ولا إسْلابُهُ لِشَرِيطَةِ

سَلامَةُ ذاتِ الحَقِّ قُدْسٌ لِذاتِهِ ... يُشارُ إليهِ دون دَرْكِ الحَقيقةِ

وما مَبلغُ الإدْراكِ إلّا سَلامَةٌ ... لوَجْهِ السَّلامِ الحَقِّ في كُلِّ حَضْرَةِ

وليسَتْ مَقاماتُ الثناءِ وإنْ عَلَتْ ... ببالِغَةٍ تَقْدِيسَهُ مِنْ طَرِيقَةِ

إلهِيَ سَلَّمتَ الخَلِيقَةَ مُبْدِءاً ... بإيْجادِكَ الإمْكانَ بالأبْدَعِيَّةِ

وسَلَّمْتَهُم مِنْ بَدْئِهِم لِمَعادِهِم ... مِنَ الظلم في أقْدارِكَ الأزَلِيَّةِ

وسَلَّمْتَهُم مِنْ مُطلَقِ الشَّرِّ غيرَ مَا ... تضَمَّنَ خَيراً وهُوَ عَنهُم بخُفْيَةِ

أجِرْني أجِرْني يا سَلامُ مِنَ الأذى ... بدِيني والدُّنيا بأيَّةِ وِجْهَةِ

فما يَسْلَمُ المَخلوقُ إنْ لم يَكُنْ لَهُ بيُمْنَى السَّلامِ الحَقِّ نَشرُ السَّلامَةِ
إلهيَ حَقِّقْنِي سَلاماً ولَقِّني سَلامَكَ في دَارِ السَّلامِ المُقيمَةِ

المؤمن جلَّ جلاله

ويا مُؤمِنُ امْنَحْني الأمَانَ وأمْنكَ الـ ـحَصِينَ فما في النَّقصِ أمْنٌ لِخِيفتي
وأمنُكَ للمَخْلُوقِ لا خَوفَ عِندَهُ لسُوءٍ بذي الدُّنيا وبالأُخْرَوِيَّةِ
وأمنُكَ حِصْنٌ مَانِعٌ لا يَؤُودُهُ عَدَاءُ الرَّزايا واقتِحَامُ البَلِيَّةِ
وأمنُكَ لي يا مُؤمِنَ الخَوفِ جُنَّةٌ[1] فما لي وشيطاني ونفسي الغَوِيَّةِ
وأمنُكَ لي من حيث أنكَ ذاكِري وذِكْري لَكَ اللهُمَّ بالتَّبَعِيَّةِ
وأمنُكَ لي مِنْ جَانِبِ الخَوفِ كالرَّجا أمَاني إذا ألهَمْتَنِيهِ وعِصْمَتي
وأمنُكَ لي من حيث خَلْقُ هِدَايتي لأسْبَابِ ما فيهِ نَجَاتي وهَلْكَتي
وأمنُكَ لي مِن خَوفِ مَكْرِكَ مَعْقِلٌ يَقِينِي ومِنْ حَيثُ التَّوَكُلُ مَنْعَتِي
وَهَبتَ لِيَ الإيمانَ وهو ذَرِيعَتي فيا مَنْ بهِ مِنهُ إلَيْهِ ذَرِيعَتي
أمِنْتُ بكَ اللهُمَّ كُلَّ مَخُوفَةٍ بإحْسَانِ ظَنِّي لا بإحْسَانِ سِيرَتي
إلهيَ مِنكَ الأمْنُ والخَوفُ كَائِنٌ وكُلُّ مَجَازٍ رَاجِعٌ للحَقِيقةِ

المُهيمِن جَلَّ جلاله

على كُلِّ شيءٍ رَبِّ أنتَ مُهَيمِنٌ على كُلِّ شيءٍ مِنكَ سُلطانُ حِسْبَةِ
شهِدْتَ خَفايا المُمْكِناتِ وجَهْرَها فما غابَ مِنها عَنكَ مِثقالُ ذرَّةِ
وقُمتَ عَلَيهِم بالذي يَعْمَلُونَهُ وآجَالُ كُلٍّ مِنْهُمُ والمَعِيشَةِ

---

(١) جُنَّةٌ: وقاية.

رَقيبٌ عَلَيهِم حَافِظٌ لِنِظامِهِم … أحَطْتَ بِهِم ما بَينَ عِلْمٍ وقُدْرَةِ

رَقيبٌ على الأسْرارِ كَيفَ تَلَوَّنَتْ … قَريبٌ مِن الأرْواحِ قُرْبَ مَحَبَّةِ

مُشاهِدُ مَكنونِ الخَواطِرِ كَاشفُ الـ … ـخَفايا بَصِيرُ القُوَّةِ الظَّاهِرِيَّةِ

إلهيَ أشْغِلْني بتَجْريدِ خَاطِري … مُرَاقَبَةً للحَقِّ في كُلِّ لَحْظَةِ

إلهي اكْشِفِ البَلوى فإنيَ رَاجِعٌ … إليكَ على سُوءٍ بِصِدْقِ الطَّوِيَّةِ

دُعَائي عَرِيضٌ والمُهَيمِنُ حَاكِمٌ … وجُلُّ بَلائي مِنْ أعَادِي الشَّرِيعَةِ

وهَيْمَنَةُ اللهِ احْتَوَتْ كُلَّ مُمْكِنٍ … فما قَدْرُ كَشْفِ الضُّرِّ عَن ذِي بَلِيَّةِ

تَدارَكْ بَلائي يا مُهَيمِنُ وازْعَنِي … بِظِلِّكَ واسْمَعْ يا مُهَيمِنُ صَرْخَتي

العزيز جلَّ جلاله

إلهي عَزيزَ الذاتِ لا لِمُعَزِّزٍ … لِذاتِكَ أو عَنْ مَنعَةٍ عَضُدِيَّةِ

إلهي عَزيزَ الوَصْفِ عَنْ دَرْكِ طَالِبٍ … وعَنْ فَوْتِ مَطْلوبٍ وعَنْ وَهْنِ عِزَّةِ

إلهي عَزيزَ الحَوْلِ والطَّوْلِ والبَقا … عَنِ الحَالِ والإكْدَاءِ[1] والحَوليَّةِ

إلهي عَزيزَ المُلْكِ والأمْرِ والغِنى … عَنِ الضِّدِّ والتَّعْكِيسِ والعَوَزِيَّةِ

إلهي عَزيزَ الحُكْمِ قَطْعاً عَنِ البَدَا … وجَرحٍ وعَن تَعْدِيلِ كُلِّ قَضِيَّةِ

إلهي عَزيزَ الرُّكْنِ والجَارِ والحِمَى … جَليلَ العُلى والقَدْرِ والكَنَفِيَّةِ

إلهي عَزيزَ القَهْرِ والغَلْبِ والسُّطَى … مَنيعَ الذُّرَى مَنْ عَاذَ مِنكَ بِمَنْعَةِ

أعُوذُ بِجَنبِ العِزِّ والضَّيمُ مُحْدِقٌ … بِذُلِّي فقُمْ لي يا عَزيزُ بِغَيرَةِ

أعُوذُ بِطَولِ العِزِّ والفَقرُ مُدْقِعٌ … لِوَجْهِي، فكُنْ لي يا عَزيزُ بِغُنْيَتي

أعُوذُ بِقَهْرِ العِزِّ والخَصْمُ غَالِبٌ … قُوايَ فأيِّدْ يا عَزيزُ لِعِزَّتي

بِعِزَّتِكَ العُظْمَى اكْسِنِي عِزَّ ذِلَّتي … إليكَ ولا تَجْعَلْ لِغَيرِكَ ذِلَّتي

---

(١) الإكْداء: التعب.

الجبار جلَّ جلاله

تَـجَـبَّـرْتَ يـا جَـبَّـارُ فـي جـبْـرِيَـائِهِ فـلا حَـظَّ لـلمَـقـهُـورِ فـي الـجَـبِـريَّـةِ
تـجَـبَّـرتَ يـا جَـبَّـارُ عَـن نَـيـلِ حَـادِثٍ وجَـدُّكَ[1] أعـلـى أنْ تُـنـالَ بـوَصْـمَـةِ
تـجَـبَّـرتَ جَـبَّـارَ الـسَّـمـواتِ غَـالِـبـاً على كُلِّ شيءٍ مِنْ صُنوفِ الخَليقةِ
تـجَـبَّـرتَ يـا جَـبَّـارُ قـهْـراً وسَـطْـوةً وعَـدلًا وتـصْـريـفـاً وتـقـديـرَ حِـكْـمَـةِ
تـجَـبَّـرتَ يـاجَـبَّـارَ كَـسْـرَ عِـبـادِهِ ومُـنـعِـشَ جَـدُّ الـعـاثِـرِ الـمُـتـشـتِّـتِ
تـجَـبَّـرتَ جَـبَّـارَ الـقُـلُـوبِ بـثَـبْـتِـهـا عـلـى الـفِـطْـرَةِ الأولـى إذا لـم تَـثَـبَّـتِ
تَـمَـزَّقَ يـا جَـبَّـارُ شَـمْـلِي وَعَـزَّنـي انـ ـجِـبارُ انـكِـسَـارِي فـي قـيـودِ بَـلِـيَّـتـي
وأفْـظَـعَ يـا جَـبَّـارُ صَـدْعِـي وبَـرَّحَـتْ بـضَـعْـفِـيَ يـا جَـبَّـارُ كُـلُّ رَزِيـئَـةِ
ومـا لـمَّ يـا جَـبَّـارُ شَـعْـثِـي وصَـدْعَـتِـي سِـواكَ، ولا أشْـكِـي سِـواكَ شَـكِـيَّـتـي
ولا قـامَ جَـبَّـارٌ عَـلـيَّ تـمَـرُّداً فـمـا عَـاجَـلْـتْـهُ مِـنـكَ أسْـرَعُ قـصْـمَـةِ
فقُمْ لي بجَبْرِ الوَهْنِ واكْسِرْ شَدَائِدِي وكُـلَّ مَـريـدٍ عَـارِمٍ مُـتـعَـفْـرِتِ

المتكبر جلَّ جلاله

تـكَـبَّـرْتَ فـوق الـكُـلِّ يـا مُـتـكـبِّـراً لِـذاتـكَ مُـمْـتـازاً بـعِـزِّ الأُلـوهَـةِ
لـكَ الـكِـبـرِيـاءُ الـبَـحْـتُ يـا مُـتـكَـبِّـراً عـن الـنـقـصِ فـي الـذاتِـيَّـة الأقـدَسِـيَّـةِ
تَـكَـبُّـرُكَ الأسْـمَـى عَـنِ الـنـقـصِ مُـطـلـقـاً تَـضَـاءَلَـتِ الأفـهَـامُ عَـنـهُ وَكَـلَّـتِ
وغـايـةُ إدْرَاكِ الـعُـقـولِ حُـسُـورُهـا وتَـشْـطِـيـنُـهـا بـالـعَـجْـزِ فـي بَـحْـرِ هَـيْـبَـةِ
ومـا حُـجـبَـتْ عَـنْ دَرْكِ مـا لا تُـطِـيـقُـهُ ولـكـنْ وَرَاءَ الـطُّـورِ أمـرُ الـحَـقِـيـقَـةِ
ومَـاهِـيَّـةُ الإدْرَاكِ نَـقْـصٌ عـلـى الـسَّـوَى فـكـيـفَ بِـهِ فـي كِـبْـرِيـاءِ الأُلُـوهَـةِ
وكيفَ يَخُوضُ الوَهْمُ في أبْحُرِ العَمَى ومُـنـقَـطِـعُ الأفـكـارِ دونَ الـهُـوِيَّـةِ

---

(١) جَدُّكَ: عظمتك.

وهَيهاتَ عَزَّ الأمرُ وانْطَمَسَ الصُّوَى[١] وغـابَ عَـنِ الألـبَـابِ كُـنْـهُ الـقَـضِـيَّـةِ
تَـدَانَـيـتَ لـي فـي كِـبْـرِيـائـكَ رَافِـعـاً لـقَـدْري ومـا أسْـلَـمْـتـنـي لـمَـضِـيـعَـةِ
وشَـدَّدْتَ أزْرِي حِـيـنَ حَـطَّـنِـيَ الـوَرَى بـحَـوْلِـكَ رَبِّـي لا بـحَـوْلِـي وقُـوَّتِـي
فـهَـبْ لـي عَـلـى مـا صَـدَّ عَـنـكَ تـكَـبُّـراً وَذُلَّ خُـضُـوعٍ فـي رِضَـاكَ وَخـشْـيَـةِ

الخالق جلَّ جلاله

ويـا خـالـقَ الـخـلقِ الـمُـقـدِّرِ كَـوْنَـهُـم نِـظـامـاً قَـويـمـاً كُـلُّ ذاتٍ لِـصُـورَةِ
إلـهـي ابـتـدَعْـتَ الـمُـمْـكِـنـاتِ سَـوِيَّـةً كـمـا شـئـتَ مِـنْ جِـنْـسٍ وطَـبْـعٍ وهَـيْـئـةِ
وأتـقـنْـتَـهَـا لـم تَـحْـكِ صِـنْـعَـةَ مُـتْـقِـنٍ ولـم تَـسْـتَـعِـنْ فـيـهـا بِـظُـهْـرَةِ قـوَّةِ[٢]
أرَدْتَ فـكَـانـتْ فـاسْـتـقـرَّتْ بَـدَائِـعـاً بـحُـكْـمِ اخْـتِـيـارٍ لا بـصُـنْـعٍ وعِـلَّـةِ
مَـظـاهِـرُ ذاتِ اللهِ مَـظْـهَـرُ فِـعْـلِـهِ مَـظـاهِـرُ فِـعْـلِ اللهِ مَـظْـهَـرُ حِـكْـمَـةِ
تـجَـلَّـتْ بـتـخْـصِـيـصِ الإرَادَةِ فـانْـجَـلـى عـلـيـهـا جَـمَـالُ اللهِ لـمَّـا تَـجَـلَّـتِ
وفي حِكْمَةِ التَّخْصِيصِ سِرٌّ مُخَصَّصٌ لـذاتِـكَ، لا يَـقْـوَاهُ إدْرَاكُ فِـطْـرَةِ
لـقَـدْ كُـنـتَ كَـنـزاً خَـافِـيـاً فـخَـلَـقْـتَـهُـم لـعِـرْفـانِـكَ الـلـهُـمَّ مِـنْ غَـيـرِ شُـبْـهَـةِ
نـصَـبْـتَ لَـهُـم مِـنْـهُـم عَـلَـيـكَ أدِلَّـةً فـمـا حِـيـلَـةُ الأبْـصَـارِ عِـنْـدَ الأدِلَّـةِ
فـهَـبْ لـيَ فـي الإبْـدَاعِ فِـكْـرَةَ نَـاظِـرٍ تُـرَقِّـي يَـقِـيـنِـي فـيـكَ أرْفَـعَ رُتْـبَـةِ
ويـا خـالِـقـي نَـوِّرْ جَـنَـانِـي وقـالَـبـي ويـا خـالِـقـي أوْجِـدْ رَغَـائِـبَ طِـلْـبَـتـي

البارىء جلَّ جلاله

ويـا بَـارِىءَ الـمَـوْجُـودِ مُـوْجِـدَهُ بـلا مِـثَـالٍ خَـلا مِـنْ غَـيْـرِهِ لـلـبَـرِيَّـةِ

---

(١) الصُّوَى: ما غلُظ وارتفع من الأرض ـ والحجارة مُكَوَّمَة ليُستدلَّ بها في القفر.
(٢) الظُّهْرَة: المُعِين؛ كالأسْرَةِ والفخذ والعشيرة.

بَـرَأتـهُـمُ[1] مِـنْ غَـيـرِ شَـيءٍ مُـعَـلَّلٍ … فـمـا الـحَـلُّ؟ والـتَّـوْلِـيـدُ فـي أيِّ نَـشْـأةٍ؟
ومـا الـحَـلُّ والـتَّـولِـيـدُ ـ إلّا تَـسَـلْـسُـلٌ … وَدَوْرٌ، وَإلّا لاخْـــتِـــيَـــارٍ وَقُـــدْرَةٍ
وفـي شَـاهِـدِ الـتَّـطْـويـرِ أنَّـكَ مُـوجِـدٌ … مُـجَـرَّدُ إيـجَـادٍ مِـنَ الـعَـدَمِـيَّـةِ
تَـعَـالَـيـتَ أنْـشَـأتَ الـوَسَـائِطَ حِـكْـمَـةً … فـمـا أثَّـرَ الـمَـوْسُـوطُ فِـعْـلَ الـوَسِـيـطَـةِ[2]
فـمـا الـفِـعْـلُ والـتَّـأثـيـرُ والأمْـرُ والـقـضَـا … تُـضَـافُ لِـغَـيـرِ الـحَـضْـرَةِ الـبَـارِئِيَّـةِ
وَذاتُ الـهَـيُـولـى فِـطْـرَةٌ بـابْـتِـدَاعِـهِ[3] … ولـيـسَ لـهـا فـي الـخَـلْـقِ ذَرَّةُ شِـرْكَـةِ
تـعَـالَـيـتَ تَـحْـتَـاجُ الـهَـيُـولـى لِـبَـارِئٍ … لَهُ وَاجِـبُ الـتَّـأثِـيـرِ والـقِـدَمِـيَّـةِ
وُجُـوبُ وُجُـودِ الـبَـارِئِ الـحَـقِّ مُـلْـزِمٌ … لَهُ الاقْـتِـدارَ الـمَـحْـضَ فـي الـفـاعِـلِـيَّـةِ
تَـبَـرَّأتُ مِـنْ حَـوْلِ الـحَـوادِثِ مُـطـلـقـاً … وأفـنَـيْـتُـهَـا فـي الـحَـضْـرَةِ الأحَـدِيَّـةِ
وَجَـرَّدْتُ أسْـرَاري لِـبـارِئِ عَـالَـمِـي … بـهِ مِـنْ عَـلاقـاتِـي وَآفـاتِ فِـطْـرَتـي

المُصوِّر جلَّ جلاله

مُـصَـوِّرَ أشْـكَـالِ الـوُجُـودِ مُـعـدِّلَ الـ … ـذَّوَاتِ عَـلى مـا شِـئـتَ فـي أيِّ صُـورَةِ
إلـهِـيَ زَيَّـنْـتَ الـظَّـوَاهِـرَ مُـطـلـقـاً … وأعْـطَـيـتَ بـالـتَّـخْـصِـيـصِ نُـورَ الـسَّـرِيـرَةِ
وَمَـيَّـزْتَ مِـنْ بَـيـنِ الـبَـهَـائِـمِ خَـلْـقَـنـا … وَزَكَّـيْـتَ بـالإخْـلاصِ نَـفْـسـاً تَـزَكَّـتِ
وصَـوَّرْتَ فـيـنـا الـغَـيَّ والـرُّشْـدَ والـهَـوَى … فـكُـلٌّ لـهُ مَـيـلٌ بـحُـكْـمِ الـمَـشِـيـئَـةِ
وصَـوَّرْتَ تـكْـمِـيـلَ الـقُـوى كُـلَّ قُـوَّةٍ … لـمـا خَـصَّـهـا فـي ذَاتِـهـا مِـنْ وَظِـيـفَـةِ
وصَـوَّرْتَ عِـرفـانَ الـنـفـوسِ لِرَبِّـهـا … فـجَـدَّتْ وقـامَـتْ واسْـتـقـامَـتْ وتَـمَّـتِ

---

(١) بَرَأتَهُم: خلَقتَهُم.
(٢) قراءة أخرى للشطر الثاني: فما أثرُ المَوسُوطِ فِعلُ الوسيطةِ
(٣) الهَيُولى: مادة الشيء التي يُصْنعُ منها؛ كالخشب للكُرسيّ، والحديد للمسمار، والقطن للملابس. وهي عند القُدماء: مادة ليس لها شكلٌ ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصُّور، وهي التي صنع الله تعالى منها أجزاء العالَم المادّيّة ـ (المُعجم الوسيط).

وصَوَّرْتَ فيها صُورَةَ الخَوفِ والرَّجا فذابَتْ وطَابَتْ واخْتفتْ وتَجلَّتِ
وصَوَّرْتَ أشْكَالَ المَقامَاتِ فانْتَهتْ إليكَ بِها سُلَّاكُها وَاسْتَعدَّتِ
وصَوَّرْتَ حُبَّ الحَقِّ في أنْفُسٍ صَفَتْ تَجلَّتْ لَهُ فيهِ بهِ وتَحلَّتِ
إلهي كَمَا أحْسَنتَ صُورةَ ظاهِري فأحْسِنْ بحُبِّ اللهِ باطِنَ صُورَتِي
فإنَّكَ لم تَنْظُرْ إلى حُسْنِ صُورَةٍ ولكنْ إلى حُسْنِ القُلوبِ المُضِيئةِ

الغفار جلَّ جلاله

إلهيَ أظْهَرْتَ الجَمِيلَ تَفَضُّلًا وسَتَّرْتَ يا غَفَّارُ كُلَّ قَبيحَةِ
إلهيَ ما في القُبْحِ كالذَّنْبِ بارَزَتْ بهِ نَفسُ مَخْلُوقٍ جَلالَ الأُلوهَةِ
إلهي يَعِيشُ العَبْدُ مَا عَاشَ عَاصِياً وأنتَ، إلهي، سَاتِرٌ للخَطِيئَةِ
يُبارِزُ بالعِصْيَانِ مَولاهُ عَالِماً بأنَّكَ مُحصِي جَهْرِهِ والخَفِيَّةِ
إلهيَ بئسَ النَّفسُ نَفسِي تَسُوقُني إلى غَيرِ ما تَرْضَاهُ غَيرَ حَيِيَّةِ[1]
تَخُوضُ غِمارَ الغَيِّ قدْ حَالَ بَينَها وبَينكَ مِنها غَمْرَةٌ فوقَ غَمْرَةِ
وأنتَ تُغذِّيها، وأنتَ تَبُزُّها بعَافِيَةٍ في كُلِّ حَالٍ ونِعْمَةِ
عَدَوْتُ إلى المَحظورِ حَتى اقتَرَفْتُهُ وأنتَ تَرَى يا رَبِّ سَيِّءَ خَطْوَتِي
إلهي اعْتَرَفْتُ الآنَ بالذنبِ تائِباً إليكَ فعَفواً يا إلهِيَ حَوْبَتِي[2]
«وإنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ» - رَدَّني إليكَ فلا تَرْدُدْ مَتابي بخَيبَةِ[3]
إلهي كَما أرْسَلْتَ سِتْرَكَ سَابغاً فجُدْ لي بمَحْوِ السَّيئاتِ العَظِيمَةِ

---

(١) حَيِيَّة: مُسْتحِيَة.

(٢) حَوْبَتي: خطيئتي.

(٣) رَدَّني أو رُدَّني - كما ورد لدى بعض الشرّاح؛ ونميلُ إلى الأولى على اعتبار أن تضمين الآية الكريمة، في جوهر السياق الشعري هو من رَدِّ الشاعرَ إلى بارئه، دونما حاجةٍ للتعويل على فعلِ أمرٍ مُبرَم: رُدَّني.

القهّار جلَّ جلاله

إلـهِـيَ لا مَـوجُـودَ غَـيـرَكَ لـم يَـكُـنْ
بـقَـهْـرِكَ يـا قَـهَّـارُ والـجَـبـرِيَّـةِ

إلـهـي قَـهَـرْتَ الـمُـمْـكِـنـاتِ فـكُـلُّـهـا
بـقَـهْـرِكَ فـي عَـجْـزٍ وَفَـقْـرٍ وَذِلَّةِ

فـمـا سَـاكِـنٌ فـي الـكَـوْنِ أو مُـتَـحَـرِّكٌ
بـمُـعْـتَـصِـمٍ مِـن قَـهْـرِ رَبِّـي بـمِـنْـعَـةِ

قَـصَـمْـتَ ظُـهُـورَ الـمُـعْـتَـدِيـنَ بـمـا طَـغَـوا
فـمـا رَدَّ بَـأْسَ الـقَـهْـرِ مِـنـكَ بِـعِـزَّةِ

إلـهـي جَـلالُ الـقَـهْـرِ فـي كُـنْـهِ ذاتِـهِ
عَـلا عَـنْ رُسُـومِ الـقَـهْـرِ والـنَّـظَـرِيَّـةِ

إلـهـي جَـلالُ الـقَـهْـرِ لَـيـسَ بـوَاهِـنٍ
وإنْ أمْـهَـلَ الـقَـهَّـارُ مَـكْـراً لـبُـرْهَـةِ

إلـهـي طَـغَـتْ فـوقَ الـعِـبـادِ عَـصَـائِـبٌ
فـعَـمَّـتْ سُـيـولُ الـظُّـلـمِ مِـنـهـا وَطَـمَّـتِ

طَـغَـامٌ طُـغـاةٌ تَـبَّـرُوا مَـا عَـلَـوْا ولا[1]
نَـصِـيـرَ سِـوى الـقَـهَّـارِ فـوقَ الـبَـرِيَّـةِ

ومـا غَـايَـةُ الـمَـقْـهُـورِ فـي جَـبَـرُوتِـهِ
سِوَى بَطْشَةِ القَهَّارِ رَبِّ الخَلِيقةِ[2]

إلـهـي تَـدَارَكْـهُـم بـقَـهْـرِ ذَوَاتِـهِـم
وعُـدَّتِـهِـم والـعَـدِّ والـمَـدَدِيَّـةِ

إلـهـي، وَمَـنْ حَـابَـاهُـمُ وَأعَـانَـهُـم
وَدَاهَـنَـهُـم بَـغْـيـاً لأجْـلِ الـبَـغِـيَّـةِ

الوَهَّاب جلَّ جلاله

بِـبَـابِـكَ يـا وَهَّـابُ أمْـلَـقْـتُ مُـخْـفِـقـاً
وأقْـوَيْـتُ مَـجْـهُـوداً بـأسْـرِ الـبَـلِـيَّـةِ

بِـبَـابِـكَ يـا وَهَّـابُ أخْـلَـصْـتُ رَغْـبَـتـي
وأوْرَدْتُ آمـالـي وأنْـزَلْـتُ بُـغْـيَـتِـي

عَـنـائِـي عَـنـاءُ الـمُـجْـهَـدِيـنَ وَحَـالـتـي
بعِلْمِكَ فاجْبُرْ عَيْلَتِي واشْفِ غُلَّتي

مَـواهِـبُـكَ الـلـهُـمَّ مِـنْ غَـيـرِ حِـيـلَـةٍ
تُـواصِـلُـهـا تَـتْـرَى وخَـيْـرُ وَسِـيـلَـتِـي

---

(١) طَغَام: أرَاذِل || تبَّروا: هَلَكوا.

(٢) **ملحوظة**: وما غَايَةُ المَقْهُورِ في جَبَرُوتِهِ | سِوَى بَطْشَةِ القهَّارِ رَبِّ الخَلِيقةِ: يتَمَظهَرُ، في هذا البيت، رُكْنٌ مِن أرْكانِ عِلْم النفس؛ وهو سيكولوجية الشخصية المقهورة حين تتمادى - إن أتيحت لها الفرصَة - في السُّلطة والجبروت، دون أن يردعها إلّا سُلطانٌ يُصبحُ رَدعُهُ غايةً خفيَّةً تُلازمُ سُلوكَها المأزوم.

وَوَهْبُكَ يا وَهَّابُ ليسَ لِعَارِضٍ ... وليسَ لأغْراضٍ ولا عِوَضِيَّةِ
وأنتَ الجَوَادُ الحَقُّ لا وَهْبَ مُطْلقاً ... مِنَ الخَلْقِ إلّا مِنكَ يا ذا العَطِيَّةِ
وكيف حُصُولُ الوَهْبِ مِمَّنْ مَلَكْتَهُ ... وليسَ لَهُ في المُلْكِ ذَرَّةُ شِرْكَةِ[1]
ولا يَنبَغي للوَهْبِ مِنْ غَيرِ مَالِكٍ ... ولا يَنبَغي للوَهْبِ بالسَّبَبِيَّةِ[2]
فما الوَهْبُ - في التَّحْقِيقِ - إلا لِوَاهِبٍ ... غَنيٍّ مَليٍّ مَالِكٍ كُلَّ فِطْرَةِ
إلهيَ هَبْ لي مِنْ مَوَاهِبكَ الغِنى ... عَنِ الخَلقِ، في نَفسِي وفي وَاجِدِيَّتي
إلهيَ هَبْ لي رَحْمَةً لَدُنِيَّةً ... فكُلُّ الغِنَى في الرَّحْمَةِ اللدُنِيَّةِ

الرّزاق جلّ جلاله

تَكَلَّفتَ يا رَزَّاقُ بالرِّزْقِ مُطْلقاً ... بغيرِ حِسابٍ بَينَ كُثْرٍ وقِلَّةِ
فما الجِدُّ في الأرزاقِ إلّا تَوَكُّلٌ ... وإلّا فما في الرِّزقِ تَبْدِيلُ قِسْمَةِ
ضَمِنتَ بهِ للخَلقِ حَسْبَ احتياجِهِم ... على سُبُلِ الأسبابِ كُلٌّ لِوِجْهَةِ
وهَيَّأتَ أسبابَ الحُصُولِ بأوْجُهٍ ... مُيسَّرَةٍ حَسبَ افتراقِ المَعِيشَةِ
ولم تَجْعلِ الأسبابَ عِلَّةَ رِزْقِهِم ... ولكنَّهُ تَدبيرُ لُطفٍ وحِكْمَةِ
إلهي يَقِيني في ضَمَانِكَ عُمْدَتي ... وفضْلُكَ، خَيْرَ الرَّازقينَ، ذخِيرَتي
وحَسْبيَ مِن رِزقي بأنكَ كَافِلٌ ... بهِ قَبلَ بَسْطِ الكَفِّ مِنِّي بِدَعْوَتي

---

(١) ذَرَّةُ شِرْكَةِ: وردت، في طَبْعَةِ مكتبة مسقط لـ «النَّفس الرَّحماني: مِثقالُ ذرَّة، لكنَّنا اعتمدنا ما ورد في الأصل المُعتمد، لاعتقادنا بقوَّتها البلاغية التأثيريَّة، قياساً إلى «مِثقالُ ذرَّة»، شائعة الوُرود والاستخدام.

(٢) في هذه المقطوعة الشيّقة يَسْترسِلُ الشاعر - ابتداء من البيت الرابع - في طُقُوس مُرافَعَة لمُحام مُتمَرّس يحاول إقناعِ القضاة والمُحلَّفين بحُجَّتِهِ في تعليل الوَهْب وتفنيده كخصيصة من خصائصِ الخالق وحده، دون سِواه من خلقه. فمن يَملكُ هو من يَهَب، فكيفَ لمخلوق (مَملوك لخالقه/ لا شراكة له في المُلك) أن يتمتع بتلك الخصيصة، حَدَّ تجاوز مُرافعته الرَّفيعَة للعلاقة بين السَّبَب والمُسَبَّب [السَّبَبيّة] بمَخرَج لافِت: ولا ينبغِي لِلوَهْبِ من غيرِ مَالِكٍ | ولا يَنبغي لِلوَهْبِ بالسَّبَبيّةِ | فما الوَهْبُ - في التَّحْقِيقِ - إلا لِوَاهِبٍ | غَنيٍّ مَليٍّ مَالِكٍ كُلَّ فِطْرَةٍ.. إلخ الأبيات.

وَفَرْضٌ سُؤالُ العَبدِ واللهُ فاعِلٌ ... لما اخْتارَهُ مِنْ يُسْرِ عَبْدٍ وَعُسْرَةِ
وَمَرزوقُ هذا الكَونِ يطلبُ رِزْقَهُ ... إليكَ وَيَستوفي ضَمانَ الرُّبُوبَةِ
وما حِيلَةُ المُضْطَرِّ في الرِّزْقِ غيرُ ما ... فتحتَ بهِ مِنْ دَعْوةٍ وَوَسِيلَةِ
فيا رَازقَ النَّعَّابِ[1] أدْعُوكَ بائساً ... بفيضِ اسْمِكَ الرَّزاقِ وَسِّعْ مَعِيشتي

الفتاح جلَّ جلاله

إلهيَ فتَّاحَ المَغالِقِ وَاهِبَ الـ ... ـفُتُوحاتِ مِنْ أبْوابِكَ اللدُنِيَّة
إلهيَ لا مَوْجُودَ فاتِحَ رَحْمَةٍ ... سِواكَ، ولا فتَّاحَ مُغلَقِ كُربَةِ
إلهيَ لا مَوجودَ غيرَكَ فاتِحٌ ... لخَيرِ أمُورِ الدينِ والدُّنيَوِيَّةِ
فتَحتَ قُلوبَ المُؤمِنينَ تَعَرُّفاً ... بعِرفانِكَ اللهُمَّ في كُلِّ ذَرَّةِ
فتَحتَ على العَاصِينَ باباً مُوصِّلا ... لعَفوِكَ يا فَتاحُ عَنْ كُلِّ كُربَةِ
فتَحتَ ليَ التوفيقَ باباً لأنفُسٍ ... فتَحتَ على الأسْرارِ بابَ الحَقيقةِ
أعَنْتَ على فَرحِ الشَّدائدِ كُلِّها ... أنَلْتَ وُجُوهاً مِنْ زَوائِدَ جَمَّةِ
فتَحتَ على أصْنافِ خَلْقِكَ مُنعِماً ... خَزائِنَ إحْسانٍ وبَرٍّ ورَحْمَةِ
بفتْحِكَ بالإنعامِ عجِّلْ كَرامَتي ... بفتْحكَ بالأحْكامِ عجِّل بنُصْرَتي
فما يَفتحُ الفتاحُ مِن رَحْمَةٍ على ... بَرَاياهُ لم تُمْسِكْهُ قُوَّةُ فِطْرَةِ
بفتْحِكَ خَيرَ الفاتِحينَ انْتَصِرْ لنا ... كَفَى فَتْحُكَ الفَتْحُ المُبينُ لِنجْدَتي

العليم جلَّ جلاله

أَزِلْ جَهْلَ نفسِي يا عَليمُ وَزَكِّهَا ... بسُلطانِ سِرِّ اسْمِ العَليمِ وَثبِّتِ

---

(١) النَّعَّاب: فرخ الغُراب.

أفِضْ لـيَ عِـلماً، يـا عَـليمُ، مُـقرِّباً إلـيكَ، وقَـدِّسْ يـا عَـليمُ أنِـيَّتِي

أفِضْ لي مِنَ العِلم اللدُنِّيِّ يا عَليـ ـمُ بَحْراً، وحَقِّقْ يا عَليمُ حَقيقتِي

وَهَبْ لـيَ نُـوراً يـا عَـليمُ مُـبصِّراً بأنوارِ سِرِّ اسْمِ العَليمِ بَصِيرَتي

وَكَشْفاً سَنِيّاً يا عَليمُ مُجَلِّياً بأنوارِ سِرِّ اسْمِ العَليمِ كَثِيفَتي

وَوَهْباً عَليمِيًّا فُيُوضُ انْبِسَاطِهِ تُزَحْزِحُ وَهْمِي يا عَليمُ وَظُلْمَتي

بأنوارِ ما أوْدَعْتَ مِن سِرِّ اسْمِكَ الـ ـعَليمِ بأسْرَارِ النفوسِ الزَّكِيَّةِ

بأرواحِ ما تُلقيهِ مِن لُطْفِ اسْمِكَ الـ ـعَليمِ بأجْسَامِ القُلُوبِ الجَلِيَّةِ

بعِلمِكَ والإمْدَادُ مِن فَيْضِ اسْمِكَ العَـ ـليمِ لأهْلِ القُرْبِ والصَّفَوِيَّةِ

بيُنْبُوعِ سِرِّ اسْمِ العَليمِ أمِدَّنِي وجَلِّ لعقلي كُنْهَ كُلِّ حَقيقةِ

إلهيَ حَقِّقنِي بتأثيرِ اسْمِكَ العَليـ ـمِ ونَوِّرْ ظاهِري وَطَوِيَّتي

القابض جلَّ جلاله

وَيَا قَابِضَ الأشياءِ قبْضَةَ قُوةٍ لها السَّلْبُ والتقديرُ في كُلِّ ذرَّةِ

ويا قابضَ الإبْدَاعِ في مُسْتقرِّهِ نِظاماً على غايَاتِهِ الحِكَمِيَّةِ

ويا قابضَ الأكوانِ فهيَ بحَمْدِهِ مُسبِّحَةٌ في القبْضِ تَسْبيحَ فِطْرَةِ

ويا قابضَ الألبَابِ مِن أهْلِ قُرْبِهِ عَنِ البَسْطِ في الأغْيَارِ والتَّبَعِيَّةِ

ويا قابضَ الأسْرارِ مِنْ حَيثُ عِلمُهُ بما يَقتضِي التَّطْويرُ في البَشَرِيَّةِ

ويا قابضَ الأرزاقِ قَبْضَ سِيَاسَةٍ وَمَصْلَحَةٍ مِنهُ لِنفسٍ مُقِلَّةِ

ويا قابضَ النَّعْماءِ مَقْتاً ونِقمَةً لِمَنْ قابَلَ النَّعْماءَ بالبَطَرِيَّةِ

ويا قابضَ الأعْمارِ عِندَ حُدُودِها وَمُسْتأثِراً بالبُعْدِ والسَّرْمَدِيَّةِ

ويا قابضَ الأرواحِ مِنْ مُودَعَاتِها لمُسْتَوْدَعَاتِ الغَيْبِ في البَرْزَخِيَّةِ

بقَبْضَتِكَ الكُلِّيَّةِ اقْبِضْ مُعَانِدِي مَقِيتاً شَقِياً بَينَ خِزْيٍ وَلَعْنَةِ

وَشَدِّدْ عَليهِ القَبْضَ في كُلِّ بَسْطةٍ أطَارَتْهُ بَغياً فَوقَ أهلِ البَسِيطَةِ

الباسط جلَّ جلاله

وَيَـا بَـاسِـطَ الأَرْزاقِ بَـسْـطـاً مُـقـدَّراً ... بِبَسْطِكَ رَبِّي كُلُّ خَيرٍ وَبَسْطَةِ[1]

ويا باسِطَ السُّحْبِ الثِّقالِ كَمَا يَشا ... لِيَبْسُطَ مِنهـا رِزْقَـهُ كُـلَّ نَسْمَةِ

ويـا بـاسِـطَ الأنـوارِ والـظِّـلِّ بـاسِـطـاً ... بِقُدْرَتِهِ العُظْمَى بِسَاطَ البَسِيطَةِ

ويا باسِطاً للرُّوحِ في الجِسْمِ باسِطَ الـ ... ـقُلُوبِ بِرُوحِ الأُنْسِ بالوَاحِدِيَّةِ

ويـا بـاسِـطَ الـمُـبْـقـى بِكَشْـفِ جَمَالِهِ ... ويا باسِطاً للعَفوِ عَن ذي الجَرِيرَةِ[2]

إلـهـي بِـسِـرِّ الـبَـسْـطِ يـا بـاسِـطَ الـعَـطَا ... أَفِضْ لِيَ فَيضَ البَسْطِ مِن كُلِّ نِعْمَةِ

أَفِضْ لي بِسِرِّ البَاسِطِ البَسْطَ في الذي ... يَقومُ بِما يُرْضِيكَ مِنْ وَجْهِ قَوْمَتي

أَفِضْ لي بِنُورِ البَسْطِ عِرفانَ كَامِلٍ ... وَهَبْ لي كَمَالًا مُطْلَقاً في عُبُودَتِي

أَفِضْ لِيَ عَينَ البَسْطِ مِنْ كُلِّ مَظْهَرٍ ... أَفِضْ لِيَ بَحْرَ البَسْطِ مِنْ كُلِّ حَضْرَةِ

وَيَسِّرْ جَمَالَ البَسْطِ وَسِّعْ مَعارِفي ... بِكَشْفِ حِجَابِ القَلْبِ والبَشَرِيَّةِ

بِلُطْفِ كَمَالِ البَسْطِ هَبْ لي رَقِيقَةً ... مِنَ البَسْطِ أَسْتَوْفِي بِها بَسْطَ حُجَّتِي

الخافض جلَّ جلاله

وَيَـا خَافِـضَ الكُـفَّـارِ خَفْضـاً مُقـدَّراً ... بِـإِشْقـائِهِـم فـي سَـابِقِ الأَزَلِيَّـةِ

وذلِـكَ سِـرٌّ بِـالـجَـلالِ مُـحَـجَّـبٌ ... ولا حُكْمَ إِلّا عَدْلُهُ في القَضِيَّةِ

ويـا خـافِـضـاً بِالبُعْدِ مَنْ شاءَ بُعْدَهُ ... كَمـا أَنَّ فـي تَقْرِيبِهِ كُلَّ رِفْعَةِ

ويا خافِضاً بالجَهْلِ والجَهْلُ مَنبَعٌ ... لِكُلِّ بَلاءٍ وانْحِطاطٍ وَخِسَّةِ

ويـا خـافِـضـاً بِـالـفَـقـرِ مَنْ كَانَ فَقرُهُ ... يُسَفِّلُهُ في دِينِهِ بِالدَّنِيَّةِ

ويـا خـافِـضـاً بِالذُّلِّ مَن كـان ذُلُّهُ ... لِغَيرِكَ حُبّاً أو لِقَهْرٍ وَخِيفَةِ

---

(١) بَسْطَة: سِعة من الرزق.

(٢) الجَريرة: الذنب.

ويا خافِضَ الجَبَّارِ بالقهرِ نَقْمَةً وخافِضَ أهْلِ العِلمِ بالطَّمَعيَّةِ
إلهيَ أشْكُو ظالِماً أنتَ حَسْبُهُ تَرَفَّعَ طُغياناً على ضَعْفِ قُوَّتي
تَراءَتْ لَهُ الدُّنيا كَأكْلَةِ جائِعٍ فَساغَتْ لَهُ أكْلًا ويا شَرَّ أكْلَةِ
فيا خَافِضُ أخْفِضْهُ بأسْفَلِ سَافِلٍ وَسَلِّطْ عَليهِ الرِّجْزَ[1] في كُلِّ وِجْهَةِ
وأرْكِسْهُ مَخفوضاً على أُمِّ رَأْسِهِ إلى دَرَكَاتِ المُهْلِكَاتِ الوَبِيلَةِ[2]

الرافع جلَّ جلاله

وَيَا رَافِعاً مَنْ شَاءَهُ بِرَشَادِهِ وبالقُرْبِ والإسْعادِ والصَّفَوِيَّةِ
وَرَفْعُكَ مَن تَختصُّ سَبْقُ مَشِيئَةٍ ولا بُدَّ مِنْ إنفاذِ حُكْمِ المَشِيئَةِ
ويا رافِعاً بالعِلم أهْلَ وَلائِهِ على دَرَجَاتٍ في الحُظوظِ رَفِيعَةِ
ويا رَافِعَ الأقدارِ بالعِزِّ والعُلى إذا كان تقوى اللهِ أُسُّ البَنِيَّةِ
ويا رافِعاً مَن نَالَ نُعْمَاهُ بالغِنى على شُكْرِهِ والشُّكْرُ أعْظَمُ نِعْمَةِ
ويا رافِعاً بالعَقلِ والعَقلُ حُجَّةٌ ولولاهُ كُنا في عِدَادِ البَهِيمَةِ
رَفعْتَ رَفِيعَ المَجْدِ والدَّرَجاتِ والـ ـشناءِ مَقامَ الرُّسْلِ والمَلَكِيَّةِ
ويا رافِعَ الأسْرَارِ فوق مَعَارِجِ الـ ـشُّهُودِ وَسَاقِيها كُؤوسَ المَحَبَّةِ
بِرِفْعَتِكَ ارْفعني ارتِفاعَ مُوَحِّدٍ مُحِبٍّ صَفيٍّ في المَحَبَّةِ مُخْبِتِ
بِرِفْعَتِكَ ارْفعني مَكَاناً مِنَ الهُدى عَلياً، وأيِّدْني بِرُوحِ الحَقيقةِ
بِرِفْعَتِكَ ارْفَعْ هَمَّ نفسِي مِنَ الهَوَى وسِرْ بي لِما تَرْضَى سَوَاءَ الطَّريقةِ

المعز جلَّ جلاله

إلهي مُعِزَّ الأوْلِياءِ بِعِصْمَةٍ وغُفْرانِهِ والرَّحْمَةِ الأبَدِيَّةِ

---

(١) الرِّجز: العذاب.
(٢) أرْكِسهُ: رُدَّهُ ذليلًا ـ دَرَكات: منازل جَهَنَّم.

إلهيَ تُؤتِي المُلْكَ والعِزَّ مَن تَشا
وهذا اخْتِصَاصٌ سِرُّهُ للأُلُوهَةِ

وعِزَّتُكَ اللهُمَّ لا عِزَّ فَوْقَها
وسُبْحانَ رَبِّ العِزَّةِ السَّرْمَدِيةِ

وعِزَّةُ مَن آتيتَهُ مِنكَ عِزَّةً
بِعِزَّتِكَ اللهُمَّ عَزَّتْ وَجَلَّتِ

وعِزَّةُ مَن أعْزَزْتَهُ يا مُعِزُّ لَنْ
تُضَامَ ولَنْ تَبْلى بِعِزَّةِ قُوَّةِ

وأعْزِزْ بِمَنْ ألَبِسْتَهُ العِزَّ رَاقِياً
بِذِلَّتِهِ للهِ أعْظَمَ رُتْبَةِ

وما العِزُّ كُلُّ العِزِّ إلّا بِذِلَّةٍ
لِوَجْهِكَ يَفْنَى كُلُّ حَظٍّ وَعِزَّةِ

ومَنْ لي بِدَرْكِ العِزِّ والنفسُ سَائِقِي
إلى الذلِّ والخُسْرانِ سَوقَ الذَّبيحَةِ

وعِزِّي وسُلطاني الحَقيقيُّ ثابتٌ
بِسَحْقِي ومَحْقِي عَالَمَ البَشَرِيَّةِ

ونفسيَ إنْ عَزَّتْ فأنتَ مُعِزُّها
إذا انْخَلَعَتْ عَن رِبْقَةِ الشَّهَوِيَّةِ

فهَبْ ليَ عِزَّ الرُّوحِ فيكَ مُؤيَّداً
بِعِزِّ ظُهورٍ يا مُعِزُّ ومُكْنَةِ

المُذِلّ جلَّ جلاله

إلهي مُذِلَّ الكَافِرينَ بِكُفْرِهِم
بِعِلْمِكَ فِعلَ الكُفرِ في القِدَمِيَّةِ

إلهي مُذلَّ المَارِدِينَ وإنْ جَرَوا
إلى أمَدٍ ما لم يَفِرُّوا لِمَنْعَةِ

أحَاطَ بِهِم سُلطانُ قَهْرٍ وعِزَّةٍ
فَهُم وإنِ اعْتَزُّوا غُرُوراً بِذِلَّةِ

إلهيَ ما أذلَلتَ نَفساً بِمِثْلِ ما
تَعَالَتْ بِدَعْوى حَظِّ قَدْرٍ وعِزَّةِ

وكيفَ صُعُودُ النفسِ عَنْ مُسْتَقَرِّها
ومِنْ حَيثُ ظَنَّتْ نَالَتِ العِزَّ ذَلَّتِ

إلهي تَعَدَّى خَصْمُكَ الحَدَّ واعْتَدَى
على حُرُماتِ اللهِ بالأغْلَبِيَّةِ

وعِلْمُكَ بالأعْداءِ رَبِّي مُسَيطِرٌ
وغِيرَتُكَ اللهُمَّ أعْظَمُ غِيرَةِ

وما عِزَّةُ الطَّاغِي وإنْ جَدَّ جَدُّها
بِصَائِرَةٍ إلّا لِخِزْيٍ وَذِلَّةِ

فأرْسِلْ عَليهِ يا مُذِلُّ قَوَاصِفَ الـ
ـنَّكِيرِ وَسَرْبِلْهُ سَرَابيلَ لَعْنَةِ

وَصُبَّ عَليهِ الذُّلَّ قَلباً وقالِباً
وفي جَاهِهِ والمَالِ والتَبَعِيَّةِ

مَصَائِبَ ذُلٍّ يَخْتَبِطْنَ حَيَاتَهُ
وَيَخطِمْنَهُ حَطْمَ الدَّرِيسِ المُفَتَّتِ

السّميع جلّ جلاله

إلهيَ لا مَسمُوع يَعزِبُ[1] عَنكَ يا
سَمِيعٌ بِجَهْرٍ كَائِنٍ أو بِخَفِيَّةِ

إلهيَ سَمْعُ اللهِ دَرْكٌ لِذاتِهِ
تَجلَّى لَهُ مَسْمُوعُهُ بالحَقيقةِ

إلهيَ سَمْعُ الحَقِّ ليسَ بآلَةٍ
ولا صِفَةٍ بالذَّاتِ قامَتْ وَحَلّتِ

ولكِنَّهُ عِلْمٌ قَديمٌ مُطابِقٌ
لِمَاهِيَّةِ المَعْلوم باللازِميَّةِ

سَمِعْتَ دَبيبَ النَّمْلِ يا سَامِعَ الدُّعا
على الصَّخرَةِ الصَّمَّاءِ في الحَنْدَسِيَّةِ[2]

وليسَ نِداءٌ عَنْ نِداءٍ بِمُشْغِلٍ
لِسَمْعِكَ حُكْمُ الفَرْدِ فيهِ كَكَثْرَةِ

سَمِعْتَ لِحَمْدِ الحَامِدِينَ وَصُنْتَهُم
بِحَمْدِكَ يا ذا الحَمدِ في كُلِّ نِعْمَةِ

سَمِعْتَ دُعَاءَ الخَلقِ حَالاً ولَهْجَةً
وسِرّاً وأزْواحاً بِسِرٍّ وَجَهْرَةِ

إلهي صُراخِي بالدُّعاءِ سَمِعْتَهُ
وليسَ دُعَاءً لافتِخارٍ وَسُمْعَةِ

ولكنْ أحاطَتْ بي بُحُورُ مَصَائِبٍ
وأعْظَمُها ذَنْبي وَتَسْوِيفُ تَوْبَتِي

سَمِعْتَ فَفَرِّجْها بِرَوْحٍ وَرَحْمَةٍ
وإنْ لَمْ أكُنْ مُسْتأهِلًا لِلمَثُوبَةِ

البصير جلّ جلاله

بَصُرْتَ بِكُلِّ الكائناتِ إحَاطَةً
بغيرِ انْطِبَاعٍ[3] يا بَصِيرُ وَمُقلَةِ

بَصُرْتَ بما لم يَبْصُرِ الخَلقُ كُلُّهُم
بِهِ مُطلقاً لِلذاتِ؛ لا بِوَسِيطَةِ

بَصُرْتَ البَصِيرُ الحَقُّ بالذاتِ، لا بما
يَقُولُونَ مِنْ حَلِّ الصِّفاتِ القَدِيمَةِ

وما الحَقُّ إلّا أنَّ ذاتَكَ مُدْرِكٌ
بَصِيرٌ بلا اسْتِئثارٍ بَاءِ اسْتِعَانَةِ

بَصُرْتَ بِحَالِي جَهْرِها وَخَفِيِّها
ومَرْمَى شُؤوني وافتقارِ أَنِيَّتِي[4]

---

(١) يَعْزِب: يَغيب.

(٢) الحَنْدَسِيّة: الظُّلمة.

(٣) بما أنهُ ذكر مُقلةَ العَين، فربما قصد بالإنطباع التصوُّر الذِّهني أو انعِكاس الصُّورة في العين، وفي ذلك تَشْبِيءٌ مرفوضٌ لذات الخالق.

(٤) أَنِيَّتِي: ذاتي.

وَكَيفَ عَنائي في المَواطِنِ كُلِّها وَظُلمَةُ قلبي وانْطِماسُ بَصِيرَتي

إلهيَ بَصِّرْنِي بنَفْسِي وَقَدْرِها فمُطْلَقُ خُسْراني بِجَهْلِي برُتْبَتي

إلهي بما أَبْصَرْتَهُ مِن نَقائصِي وسُوءِ اخْتِياري أنتَ تَسْتُرُ خُلَّتي

وأينَ مَفرِّي واخْتِفائي وأنتَ يا بَصِيرُ مُحِيطُ الكُلِّ والشَّاهِدِيَّةِ

إلهيَ مَحْجُوبُ الكَشائِفِ مُوثَقٌ بأنْشُوطَةٍ مِنْ جَهْلِهِ وأَخِيَّةِ

وفي بَصَرِ الرَّحمنِ بالحَقِّ نافِذٌ فما عَزَبَتْ يا رَبِّ عَنكَ بَلِيَّتي

الحَكَم جلَّ جلاله

إلى الحَكَمِ الحَقِّ الذي لا يُرَدُّ ما قَضَاهُ بسُلطانٍ دَفعتُ شَكِيَّتي

إلى الحَكَمِ الحَقِّ الذي ما لحُكْمِهِ مُعقِّبُ حُكْمٍ أو مُناقِضُ حِكْمَةِ

إلى الحَكَمِ الحَقِّ الذي ليسَ حُكْمُهُ بِرَيْبٍ ولا في فِعْلِهِ عَيْبُ ذرَّةِ

إلى الحَكَمِ الحَقِّ الذي عَزَّ جَارُهُ وقامَ بِقِسْطِ الحُكْمِ بَينَ البَرِيَّةِ

وَهَى جَلَدِي يا أحْكَمَ الحاكِمِينَ مِنْ مُرِيدٍ عَتيدٍ سَامَنِي شَرَّ خُطَّةِ

لكَ الحُكْمُ والرُّجْعَى إليكَ ورُكْنُكَ الـ ـشَّدِيدُ مَلاذي وانتِصَارُكَ عِزَّتي

فخُذهُ بمَثْوَى الأمْنِ سُنَّتُكَ التي خَلَتْ في القرُونِ الغابِرِينَ فأفْنَتِ

إلهيَ لا تجْعَلْ سَبِيلًا لكَافِرٍ على مُسْلِمٍ مُستمسِكٍ بالشريعَةِ

إلهيَ فاحْكُمْ لي عَليهِ وَرُدَّهُ بحُكْمِكَ عَني يا نَصِيرِي وعُدَّتي

إلهيَ ما هذا المُرِيدُ بمُعْجِزٍ وأنتَ غَيورٌ شَاهِدٌ صِدْقَ دَعْوَتي

وفي حُكْمِكَ القِسْطِ الذي أنتَ أهْلُهُ مُعَاجَلَةُ الطّاغي بأخْذِ العُقُوبَةِ

العدل جلَّ جلاله

وَيَا عَدْلُ في أحْكَامِهِ وقَضَائِهِ وفي خَلقِهِ والرِّزقِ والفاعِلِيَّةِ

إلهي كَتبتَ العَدلَ حَتماً وَسِرُّهُ إليكَ ولم يُدرِكْهُ عِلمُ الخَليقةِ

إلهيَ لم تُجبِرْ على الذنبِ مُذنباً
كما لم تُفوِّضْهُ لِخَلْقِ الخَطِيئةِ

إلهي فَطَرْتَ الكَائِناتِ بحِكمَةٍ
على العَدلِ في الأشْبَاحِ والصِّفتِيَّةِ

إلهيَ دَبَّرْتَ الأمُورَ قَويمَةً
على العَدلِ والإحْسَانِ تدْبيرَ حِكْمَةِ

إلهيَ ما في المُلكِ مِثقالُ ذرَّةٍ
من الجورِ حُكْماً مِن جَلالِ الألُوهَةِ

إلهيَ ظُلْمُ الكَونِ بَعضٌ لِبَعضِهِ
يُحَالُ على الإكْسَابِ مِن غيرِ شِرْكَةِ

إلهيَ عَبدٌ مِن عَبيدِكَ ظَالِمٌ
رَمَانِي بسَهْمِ الظُّلْمِ مِنهُ فأصْمَتِ

تخَطّى خُطَى العُدوانِ للمُكْرِ آمِناً
وعَينُكَ بالمِرْصَادِ مِن كُلِّ خُطْوَةِ

فيا عَدلُ أوْبِتْهُ بعَدلِكَ إنَّهُ
تمَادَى على الطُّغيانِ والأشَرِيَّةِ

تَعَالَيتَ ما في المُلْكِ إهْمَالُ ظالِمٍ
ولا رَدُّ مَظلُومٍ بِبَابِكَ مُخْبِتِ

اللطيف جلَّ جلاله

أحاطَ بيَ الكَرْبُ العَظِيمُ وأنتَ يا
لَطيفٌ عَظيمُ اللُّطْفِ في حَلِّ كُرْبَتي

لَطُفتَ فلم تُدْرَكْ تَقدَّسْتَ سَيِّدي
عنِ الدَّرْكِ في الدُّنيا وفي الأُخْرَوِيَّةِ

لَطُفتَ فأدْرَكتَ الكَوائِنَ مُطلقاً
وسِيَّانَ خَافِيها وَدَرْكُ الجَلِيَّةِ

لَطُفتَ فهَيَّأتَ المَصَالِحَ كُلَّها
بغيرِ احْتِسابٍ مَحْضَ بِرٍّ ورَحْمَةِ

وَلُطْفكَ في أفعَالِ ذاتِكَ خارِجٌ
عن الحَصْرِ رِفقاً سَيِّدي بالخليقةِ

لَطُفتَ بتيسيرِ العَسِيرِ وَجَبْرِكَ الـ
ـكَسِيرِ وَتفريجِ الهُمُومِ الجَسِيمَةِ

إلهي خَفِيَّ اللطْفِ أدرِكْ بلُطْفِكَ الـ
ـخَفيِّ بَلِيَّاتٍ بعَبْدِكَ حَلَّتِ

لَطُفْتَ خَفيَّ اللطْفِ بي فسَتَرْتَني
وَوَفَّقْتَني لُطفاً وأتْمَمْتَ نِعْمَتِي

تَوَارَدَتِ الأسْوَاءُ واسْتَحْصَدَ الشَّقا
عليَّ وَخَامَتْ دُونَ صَبْرِي عَزِيمَتِي

وَلُطْفُكَ أدنى يا لَطِيفُ مِنَ البَلا
ولو رَجَحَتْ بالخَافِقَينِ بَلِيَّتِي

بأسْرارِ لُطْفِ اللهِ في مَلَكُوتِهِ
وفي مُلْكِهِ الْطُفْ يا لَطِيفُ بِعَرْجَتِي

الخبير جلَّ جلاله

وَيَا مَن هو اللهُ الخَبيرُ لِذاتِهِ بِخِبْرَتِكَ اللهُمَّ كُلُّ حَقيقةِ
عَلِمتَ إلهي الكُنْهَ مِنْ كُلِّ مُمْكِنٍ كما شِئْتَهُ كَوناً مِنَ العَدَمِيَّةِ
ومهما يَكُنْ مِنْ خِبْرَةٍ فلِعِلَّةٍ تَجَدُّدُ غيرَ الخِبْرَةِ الأزَلِيَّةِ
فما سَاكِنٌ في الخَلْقِ أو مُتَحَرِّكٌ ولم يَكُ في الآزالِ مِنكَ بِخِبْرَةِ
وَمَالي وَعَرْضُ الحَالِ والحَالُ فِطْرَةٌ وأنتَ خَبيرٌ يا إلهي بِفِطْرَتي
نعَمْ عَرْضُ حَالي نُجْعَةٌ مِنْ مَقاصِدِي إليكَ وَفرضٌ مِن فُرُوضِ العُبودَةِ
دَعَوتُ مَعَ البَلوى إلى فُسْحَةِ الدُّعا فألجَأْتَنِي في كَرْبِ ضِيقي لِفُسْحَتي
فما ذرَّةٌ يا رَبِّ تخفى عَليكَ مِنْ بَلائي وَتَضْرَاعِي وَحلِّي وَنُجْعَتي
تُراقِبُ ضُرِّي يا خَبيرُ برَحْمَةٍ ولُطفٍ ولم أخْرُجْ مِنَ العَدَمِيَّةِ
وتَعْلَمُ ما آتِي وما أنا تارِكٌ وما كانَ في عِلْمِي وما فَاتَ خِبْرَتي
إلهيَ قَدْ أدْرَكْتَ كُنْهَ عَوالِمِي فكُنْ لي بما يُرْضِيكَ مِنْ تَبَعِيَّتي

الحليم جلَّ جلاله

تأنَّيتَ بي في مَوضِعِ العَدلِ حَالِماً وأعْظَمُ جُرْمٍ يا حَليمُ جَريمَتي
ومَنْ لا يخافُ الفَوْتَ لا يَسْتفِزُّهُ إلى سُرْعَةِ الأخْذِ انْتِهاكُ الجَريرَةِ
تأنَّيتَ إمْهَالاً بعَاصِيكَ رُبَّما يَتوبُ وإلّا فهو ليسَ بمُفلِتِ
وأينَ فَرَارُ العَبدِ مِن مُلْكِ رَبِّهِ وما عَزَبَتْ عَنهُ حَقيقَةُ ذرَّةٍ
وما غَرَّ مَن يَعْصِي الإلَهَ كَحِلْمِهِ كأنَّ الخَطايا جَلَّ عَنهُ بِخُفْيَةٍ
إلهيَ لو آخذْتَ في كُلِّ زَلَّةٍ لما تُركَتْ نَمْلٌ عَلى الأرضِ دَبَّتِ
ولكنْ لآجالٍ تُؤخِّرُ أخْذَها لعَلَّ ارْعِواءً مّا يُسَاقُ بنَفْحَةِ
إلامَ انْتِهَاكِي والحَليمُ مُسَتِّرٌ ولا بُدَّ يَوماً مِنْ ظُهُورِ فَضِيحَتي
تَقَاذَفُنِي الآثامُ مِن رَأسِ شاهِقٍ ونفسيَ في لهْوٍ وزَهْوٍ وغَفْلَةِ

إلـهـيَ نـفـسـي بـالـذنـوبِ رَهِـيـنَـةٌ فصَفحاً عَظيمَ الحِلمِ أَطْلِقْ رَهِينَتي
ولـو أنَّ وَزْنَ الـكَـوْنِ ذَنْـبـيَ لـم يـكـن إلـى جَـنــبِ حِـلـمِ اللهِ فـي وَزْنِ ذرَّةِ

العظيم جلَّ جلاله

عَـظُـمـتَ عَـظـيـمَ الـذاتِ لا لِـبِـدَايَـةٍ ولا أجَـلٍ يَـقـضِـي عـلى الـعِـظَـمِـيَّـةِ
عَظُمتَ عَظيمَ الشأنِ والجَدِّ والثنا فـلا مُـنـتَـهَـى كُـنْـهٍ ولا دَرْكَ نُـهْـيَـةِ
عَظُمتَ عَنِ المِقدارِ والحَدِّ والفَنا وتَــعْــظِــيــمِ أغْــيــارٍ وإدْراكِ رُؤيَــةِ
عَظُمتَ عَظيمَ القهرِ في عَظَمُوتِهِ تُـسَـبِّـحُـكَ الأشـيـاءُ تـسـبـيـحَ فِـطْـرَةِ
عَظُمتَ عَنِ التعظيمِ مِنْ ذاتِ كَائِنٍ فما قَدْرُ تعظيمي وما وُسْعُ لَهْجَتي
وُجُوبُ وُجُودِ الحَقِّ للذاتِ مُوجِبٌ لكَ العِظَمُ الباقي على السَّرْمَدِيةِ
وأمرُكَ بـالـتـعـظـيـمِ لـلعَـبـدِ مِـنَّـةٌ لِـيُـكْـسِـبَـهُ الـتـعـظـيـمُ أعْـظَـمَ رُتْـبَـةِ
ولـولا امْـتِـثـالِي الأمْـرَ نَزَّهْـتُ قَـدْرَ مـا لِحَقِّكَ مِنْ عُظمٍ عَنِ النَّاطِقِيَّةِ[1]
وكـانَ كَـفـى بـي يـا عَـظـيـمُ مُـعَـظَّـمـاً إذا تَـاهَ عَـقـلِي فـي مَـجَـاهِـلِ حَـيْـرَتـي
نـعَـمْ تـاهَ عَـقـلي فـهـو فـي الـتِّـيـهِ دَأبُـهُ وأوْقَـفَـهُ الإعْـظَـامُ دُونَ الـحَـقـيـقَـةِ
فـلا غَـيْـبَ مَـشـهُـودٌ ولا كُـنْـهَ مُـدْرَكٌ ولا عُـظْـمَ مَـحْـدُودٍ ولا وَهْـمَ فِـكْـرَةِ

الغفور جلَّ جلاله

إلـهـي إلـهـي يـا غَـفـورُ اسْـتِـغـاثَـةً بـغُـفـرانِكَ الـلهُـمَّ مِن كَـرْبِ حَـوْبَـتـي
إلـهـي اكْـتـسَـبْـتُ الإثْـمَ جَـهـلًا وَغِـرَّةً بـعـافـيَـةٍ مِـن فَـضـلِ رَبِّـي ونِـعْـمَـةِ
فـكـم نِـعـمَـةٍ أسْـبَـغـتَـهـا قـلَّ عِـنـدَهـا لِـحَـقِّـكَ شُـكْـري قـابَـلَـتـهـا خَـطِـيـئـتـي

---

(١) أي: النُّطق بتعظيمك.

تُبادِرُني مِن كُلِّ نُعْمَى بِخَيْرِها
فأقوى بهذا الخَيرِ في شَرِّ خَصْلَةِ

فيا وَيْلَتا مِمّا جَنيتُ ولَيْتَهُ
جَناءٌ زَكا مِنّي ونَفْسٌ تَزَكَّتِ

تَذرَّعْتُ بالنُّعْمَى إلى دَرْكِ كُفرِها
وأشْنِعْ بِها مِن خِسَّةٍ ودَنِيَّةِ

عُبَيدُكَ باسْتِغفارِهِ واعْتِرافِهِ
عَقيدَتُهُ في النفسِ نِيطَتْ بتُهْمَةِ

وأمْتَنُ أسْبابِ النَّجا أصْدَقُ الرَّجا
وإلّا فدُونَ الدَّرْكِ جِدُّ المَجَدَّةِ(1)

ومَنْ أرْسَلَ الآمالَ نحو مُبِرِّها
تعالى حَباهَا وَاجِباتِ المَبَرَّةِ

ولم تَرْبَحِ الغُفرانَ نَفسٌ بِكَسْبِها
ولكنَّهُ التوفيقُ فاضَ بمِنَّةِ

بما يَقتضِي الجُودُ الإلهِيُّ نَجِّنِي
فما الشأنُ إلّا مَحْضُ جُودِ الألُوهَةِ

الشكور جلَّ جلاله

إلهي شَكُورَ النَّزْرِ مِن كَسْبِ طَائِعٍ
بِخَيْرِ جَزَاءٍ لا يَبيدُ بِمُدَّةِ

ومهما يَكُنْ مِن صالحاتٍ شَكَرْتَها
فشُكرُكَ عَنها لي مُجرَّدُ نِعْمَةِ

وما ليَ مِمّا يُوجِبُ الشكرَ مِنكَ لي
ولو جِئتُ بالطّاعَاتِ مِثقالُ ذرَّةِ

وما الشُّكْرُ إلّا ما يُقابِلُ مِنَّةً
فأينَ، تَعالى اللهُ، فضْلي وَمِنَّتِي

ولو عِشْتُ أحْقاباً وجِئتُ بمِثْلِها
من الخَيرِ والطاعاتِ عَدَّ الخَليقةِ

وجِئتُ بجُهْدِ العالَمِينَ تَعَبُّداً
بتمْزِيقِ أوْصَالِي وإفْناءِ مُهْجَتي

وقَصَّرَ دُوني مَن خَلقتَ وكُلُّ مَنْ
سَتخْلُقُ رَبِّي في مَقاماتِ زُلْفَتِي

لما كانَ مِنْ قَدْرِي بأنَّكَ شاكِري
على نِعْمَةٍ خَوَّلْتَها ضَعْفَ قُوتي

ولم تقتصِرْ دُونَ الثناءِ على العَطا
لكَ الحَمدُ في إحْسانِ شُكرِ البَرِيَّةِ

لكَ الحَمدُ حَقُّ الشُّكرِ للحَقِّ وَحْدَهُ
وليسَ بمُسْطَاعٍ لنا في الحَقيقةِ

فهَبْ لي كَمالَ الشكرِ في كُلِّ نِعْمَةٍ
وإنْ كانَ شُكْرِي لا يَفِيءُ بنِعْمَةِ

---

(1) المَجَدَّة: الإجتهاد.

العليّ جلّ جلاله

بسُلطانِكَ الأعْلى بما لكَ مِنْ عُلا ومَجْدٍ وشأنٍ يا عَليُّ ورِفْعَةِ
بسُلطانكَ الأعلى على كُلِّ شامِخٍ بحُجَّتكَ العُليا على كُلِّ حُجَّةِ
بسُلطانكَ الأعلى على كُلِّ غالِبٍ وما قَدْرُ غُلْبٍ يا عَليُّ لِفطْرَةِ
بسُلطانكَ الأعلى بقَدْرِ جَلالِهِ وأخْذَتِهِ بالعَدْلِ أعْظَمَ أخْذةِ
بسُلطانكَ الأعلى الجَليلِ عُلُوُّهُ عَنِ الكَمِّ والتَّكْييفِ والمَتَويَّةِ[1]
بسُلطانكَ الأعلى المَنيعِ لِذاتهِ بتَصْريفهِ الآياتِ تَصْريفَ قُدرَةِ
بسُلطانكَ الأعلى المَجيدِ الذي عَنَتْ لِعِزَّتِهِ الأكْوانُ إذْعانَ هَيْبَةِ
بسُلطانكَ الأعلى الغَنِيِّ بنفسِهِ لتدبيرِ أمْرِ المُلكِ عَنْ ذي مَعُونةِ
بسُلطانِكَ الأعلى بنافِذِ حُكْمِهِ بكُنْهِ التَّعَالي بالصِّفاتِ الجَليلَةِ
أقِمْ لي حُظوظي في العُلى وأحِلّني بمِقعَدِ صِدقٍ من مَعالي الحقيقةِ
وَهَبْ لي عُلواً لا يُدَاحِضُهُ عُلًا على كُلِّ ضِدِّ الدِّينِ والدُّنيَويَّةِ

الكبير جلّ جلاله

ويا مَنْ لهُ الإكْبارُ في كِبرِيائِهِ لِغَيرِ انْتهاءٍ يا كَبيرُ لِمُدَّةِ
ومن تَحْسُرُ الألبابُ عَن وَصْفِ كِبْرِهِ فما ثَمَّ إدْرَاكٌ لكُنْهِ الحَقيقةِ
ومَن كِبْرُهُ كِبْرُ اقتدارِ ألوهَةٍ وشَأنٍ وتدْبيرٍ ومُلكٍ وعِزَّةِ
ومَن كِبْرُهُ حَيثُ الكَمالُ لِذاتِهِ فما هو مَنعُوتٌ على سَببيَّةِ
ومَن كِبْرُهُ لا كِبْرَ أجْرَامِ خَلْقِهِ تَكَبَّرَ عَنْ شِبْهٍ بأيَّةِ نِسْبَةِ
فلا حَظَّ للمَخلوقِ مِن كِبرِيائِهِ ولا حَظَّ إلّا العَجْزُ للوَاصِفيَّةِ
ولا ثَمَّ أبْعادٌ ولا ثَمَّ جَوْهَرٌ فيَلْزَمُ ذاتَ الحَقِّ نَقْصُ السَّويَّةِ

---

(١) الكَم: مقدار الشيء || التكييف: حالُ الشيء وصِفته || المَتَويّة: ما يُسأل عنه بـ مَتى، أي: الزمان.

تَـرَدَّى رِدَاءَ الـكِـبـرِيـاءِ وَحَـقَّـهُ ... تَـرَدَّى فـلا نِـدٌّ ولا جُـزْءُ شِـرْكَـةِ
إلـهي مَقامِي العَجْزُ والفقرُ والفَنا ... وكِبـرِي خُضُـوعِـي يـا كَـبـيـرُ وذِلَّتِـي
فـمـا أجْـدَرَ الـدَّعـوى لِمَـنْ تِـلكَ حَـالُهُ ... بِـرَدٌّ وَدَحْـضِ الـمُـدَّعِـي دُونَ حُـجَّـةِ
فكبِّرْ حُظوظي مِنكَ في كُلِّ مَطْلَبٍ ... وفي كُلِّ ما يُرْضِيكَ عَزْمِي وَهِمَّتِي

الحفيظ جلَّ جلاله

إلـهي بِقَيُّومِيَّةِ الحِفظِ باسْمِكَ الـ ... ـحَفيظِ عَلى ما تَحتَ قَهْرِ الرُّبُوبَةِ
حَفِظتَ نِظامَ المُبْدَعاتِ فلم يَضِعْ ... مِنَ الـحِـفـظ والإحْـصَـاءِ مِـثـقـالُ ذرَّةِ
ولـولا تـجَـلِّي الـحِـفـظِ زَالَ وُجُـودُهـا ... وصَـارَتْ إلـى حَـالاتِـهـا الـعَـدَمِـيَّـةِ
ولـولا دَوامُ الـحِـفـظ لـم تَـأتَـلِفْ عـلى ... نِـظَـامَـاتِـهـا الأضْـدادُ أحْـكَـمَ ألْفَـةِ
ولـولا كَـمَـالُ الـحِـفـظ زَاغَـتْ قُـلُوبُـنـا ... مَعَاذَكَ مِنْ بَعْدِ الهُدَى للطَّبيعَةِ[1]
ولولا جَلالُ الحِفظ والصَّوْنِ لم نَجِدْ ... وِقَـايَـتَـنـا مِـنْ هَـلْكَـةٍ غِـبَّ هَـلْكَـةِ[2]
ولـولا جَـمَـالُ الـحِـفـظ لـم يَـنـعَـمِ امْـرُؤٌ ... ولا صِينَ مِنْ شَكْواهُ في حَالِ مِحْنَةِ
هُـو اللهُ خَـيْـرٌ حَـافِـظـاً لِعِـبـادِهِ ... فـمـا مِـنـهُـمُ مِـنْ نـاشِـىءٍ بـمَـضِـيـعَـةِ
بَقِينا بحِفظِ الحَقِّ في الحَقِّ لم نَزِغْ ... يُـرَاقِـبُـنـا بـالـحِـفـظ فـي كُـلِّ شُـبْـهَـةِ
إلـهـيَ لا يَـغْـرُوكَ سَـهْـوٌ وغَـفْـلَـةٌ ... بـحِـفـظِـكَ ذرَّاتُ الـوُجُـودِ اسْـتَـقَـرَّتِ
تَـبَـارَكْـتَ شـأنِـي لا يَـؤُودُكَ حِـفـظُـهُ ... بِـعَـيْـنِـكَ مَـحْـذُورِي وَكَـيْـفَ تَـشَـتُّـتِي

المُقيت جلَّ جلاله

دَهَتْنِي الدَّوَاهِي يا مُقِيتُ وَحَالَتِي ... لـدَيـكَ إلـهـي بَـيـنَ عِـلْـمٍ وَقُـدْرَةِ

---

(١) تلميح: يقصد أنَّ القلوب بعد هُداها ـ لولا كمال الحفظ ـ لزاغت انجرافاً وراءَ ما يدعو إليهِ عُبّادُ الطبيعة.

(٢) غِبَّ هَلْكَة: بَعدَ هَلْكَة.

ومـالـيَ حَـولٌ يـا مُـقـيـتُ لِدَفـعِـهـا | ولا دَافِـعٌ دُونِـي يَـقـومُ بِـنُـصْـرَتِـي
رَمَتْنِي بـهـا قَوْسُ الـقَـضَـاءِ فـأثْبَتـتْ | وَرَمْـيَـتُـكَ الـلـهُـمَّ أثْـبَـتُ رَمْـيَـةِ
حَـنـانَـيْـكَ تَـقـضِـي مـا تَـشـاءُ فـحُـلَّـهَـا | بـقـدْرَتِـكَ الـلـهُـمَّ مِـنْ حَـيْـثُ حَـلَّـتِ
فَلِي مَخْـرَجٌ مِـنْـهـا بِلُطْفِكَ سَيِّدي | وَمُـنْـقَـلَبٌ مِـنْـهـا إلـى وُسْـعِ رَحْـمَـةِ
ومـا غَـلَـبَ الأقْـدَارَ مُـعْـظَـمُ رُزْئِـهـا | وإنْ جَـزَعَـتْ نـفـسـي لَهُ وَتَـضَـنَّـتِ
مُـقـدَّرَةٌ سِـيـقَـتْ بِـقُـدْرَةِ رَبِّـهـا | وأمْـرُكَ رَبِّـي فـوقَ تِـلـكَ الـمَـسُـوقَـةِ
وكم صَعُبتْ ضَرَّاءُ غَصَّتْ بها اللُّهَا | فَـحَـلَّ عَـلَـيْـهَـا لُطْـفُـهُ فَـتَـجَـلَّـتِ
إلـهِـيَ لـي رُوحٌ وَجِـسْـمٌ كِـلاهُـمـا | لَهُ مِـنـكَ قُـوتٌ يـا مُـقـيـتَ الـبَـرِيَّـةِ
فيسِّرْ لِرُوحِي قُوتَهَا خَيرَ حِكْمَةٍ | ويَسِّـرْ لِجسْمِي قُـوتَـهُ خَـيـرَ عِـيـشَـةِ
فـمـا ذرَّةٌ إلّا وَأنـتَ مُـقِـيـتُـهـا | كِـفـايَـتُـهـا كُـلٌّ لِوَجْـهِ ونِـسْـبَـةِ

الحسيب جلَّ جلاله

وَمَنْ يَا حَسِيبَ العَالَمِينَ لِفاقَتِي | وأنـتَ الـذي أحْـسَبْـتَ كُلَّ الـخَـلِـيقَـةِ
وَحَسْبِي اكْتفاءً يا حَسيبُ وَغُنْيَةً | بِـحِـسْـبَـتِـكَ الـلـهُـمَّ أكْـرَمُ حِـسْـبَـةِ
فـأيَّـةُ نَـفـسٍ رَبُّ لـم تَـحْـتَـسِـبْ لـهـا | بـبِـرِّكَ والإحْـسَـانِ فـي كُـلِّ لَـحْـظَـةِ
وأيَّـةُ نَـفـسٍ يـا حَـسِـيـبُ أضَـعْـتَـهـا | فَـنَـدَّتْ إلـى كَـافٍ سِـوَاكَ وَشَـدَّتِ
تَـعَـالَيـتَ لا مَـوجُـودَ غَـيـرَكَ مُـوجِـدٌ | كِـفـايَـاتِ مَنْ أوْجَـدْتَـهُ فـي الـحَـقـيـقـةِ
وما الجِدُّ في التحصِيلِ مُجْدٍ كُفاتَهُ | إذا لـم تُـدبِّـرْ أنـتَ عَـيْـنَ الـكِـفـايَـةِ
فـمَـنْ لـي وَعَـجْـزي شَـامِـلٌ وضَـرُورَتي | بـعَـيـنِـكَ مَـنْ يَـكْـفي لِدَفْـعِ ضَـرُورَتِي
وَهَـيـهَـاتَ كَـلّا مـا لِذا الـعَـبْـدِ حِـسْـبَـةٌ | سِـوَاكَ، ولا مَـنْ يُـرْتَـجَـى لِـمُـهِـمَّـةِ
إلـهِـيَ أشْـكُـو الـبَـثَّ والـحُـزنَ كُـلَّهُ | إلـيـكَ فـكُـنْ لـي رَاحِـمـاً لِـشَـكـيَّـتِي
ولا عَـهـدَ لـي بـالـرَّدِّ حَـيـثُ تَـوَجَّـهَـتْ | إلـيـكَ ظُـنـونـي يـا حَـسِـيـبُ بِـخَـيْـبَـةِ
ولا عَهدَ لي أنْ يُكْتفَى عَنكَ سَيِّدي | بشيءٍ فأحْسِبْ، يا حَسِيبُ، بِغُنْيَتِي

الجليل جلَّ جلاله

قَصَدْتُ جَلالَ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ ... وقَصْدُ الجَليلِ الحَقِّ مَجْدِي وعِزَّتي

شَهِدْتُ جَلالَ اللهِ حَيثُ صِفاتُهُ ... فأبْهَتَنِي مُسْتغْرِقاً لِبَصِيرَتي

ولما تَجَلَّتْ لي نُعُوتُ جَلالِهِ ... تَصَاعَدْتُ مِن نَفسِي إلى العَدَمِيَّةِ

تَجَلَّتْ على نَعْتِي نُعُوتُ جَلالِهِ ... كما أنَّهُ مِنها نُعُوتِي تَجَلَّتِ

تَعَرَّضَتِ الأفيَاءُ فانْتَسَخَتْ بِهِ ... ولم يَبْقَ إلّا نُورُ قُدْسٍ وَوَحْدَةٍ[1]

جَلالٌ قَدِيمٌ لا يُناسَبُ رُتْبَةً ... وليسَتْ تُضَاهِيهِ جَلالَةُ رُتْبَةِ

جلال تَذِلُّ الكَائِنَاتُ لِعِزِّهِ ... وأعْظَمُ عِزٍّ تَحْتَهُ مَحْضُ ذِلَّةِ

إلهي جَليلَ الشَّأنِ أيْنَ مَدَارِجي ... وَذِكْرِي وَفِكْرِي في الصِّفاتِ الجَلِيلَةِ

نِهَايَةُ ما آتي بِهِ حَمْدُ حائِرٍ ... ولَهْجَةُ مُضْطَرٍّ وإجْلالُ دَهْشَةِ

إلهيَ ألْبِسْنِي جَلالًا يَلِيقُ بي ... جَلالًا يُرَقِّينِي إلى كُلِّ حَضْرَةِ

بِهِ أرْتَقِي يا ذا الجَلالِ وأنْتَهِي ... إلى مَوْقِفٍ أنْهَى[2] رِجَالَ المَحَبَّةِ

الكريم جلَّ جلاله

إلى كَرَمِ اللهِ الكَرِيمِ وَجُودِهِ ... أُوَجِّهُ آمالي وأُوفِدُ رَغْبَتي

ببابِ الكَريمِ الأكْرَمِ المُكْرِمِ الذي ... لهُ مُطْلَقُ الإكْرَامِ أنْزَلْتُ بُغْيَتي

بِبَابِ كَرِيمِ الذاتِ قَدْراً ورِفْعَةً ... كَريمِ الصِّفاتِ الطَّاهِراتِ الزَّكِيَّةِ

بِبابِ كَريمِ العَفوِ عَنْ أيِّ مُذْنِبٍ ... بِبابِ كَريمِ الجُودِ قَبلَ الوَسِيلَةِ

---

(١) ملحوظة: بيتٌ لافِت على الصَّعيد الشِّعري، لا سِيّما في إيماءته إلى يوم العَرْض/ القيامة حيث تمّحي الظِّلالُ [يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلّه]، فالشاعِرُ لا يَكتفي بمشهد امِّحائها بلْ يُصَعِّدُهُ إلى مَشهَدٍ تُعْرَضُ فيه الظِّلالُ/ الأفياءُ أمام حَضرَة الخالِقِ ليكون مَصيرها التلاشي بعد انتساخها به، ولم يَبقَ مِن ضَوءٍ خَلا نُورُهُ القُدسيّ.

(٢) أَنْهَى: وَصَلَ إليه.

بِبابِ الكَريمِ المُطْلَقِ النفعِ والجِدَا[1] | بِبابِ الكَريمِ المُبتدِي بالعَطِيَّةِ
بِبابِ الكَريمِ المُجْزِلِ[2] الفَيْضَ والعَطَا | بِدُونِ سُؤالِ العَبدِ مِنْ غَيرِ مِنَّةِ
بِبابِ كَريمٍ لم يُقنِّطْ عَصِيَّهُ | بِبابِ كَريمٍ لا يُبَالي بِنِعْمَةِ
بِبابِ كَريمٍ لم يُضِعْ مُتوسِّلًا | ولا لاجِئاً سُبْحَانَهُ بِمَضِيعَةِ
بِبابِ كَريمِ الفِعلِ مِن غَيرِ حَاجَةٍ | بِبابِ كَريمٍ جَابِرٍ كُلَّ خُلَّةِ
بِبابِكَ يا مَنْ بَابُهُ وِجْهَةُ الرَّجَا | وإنْ قَبُحَتْ بيني وبَينَكَ سِيرَتي
فأكْرِمْ مَقامِي بالذي أنْتَ أهْلُهُ | وما أنْتَ أهْلٌ يا كَريمُ لخَيْبَتي

الرقيب جلَّ جلاله

إلهي رَقيبَ السِّرِّ واللحَظاتِ لا | تَزالُ بلا تَحْديدِ وَقْتٍ وَبُقْعَةِ
إلهي رَقيبَ الفِعلِ مِنِّيَ عَالِمَ الـ | ـضَّمِيرِ بَصِيرَ الحَالِ سَامِعَ دَعْوَتي
إلهيَ مَنْ سِرِّي قَريبٌ وحَيثُما | اضْطِرَاري مُجيبٌ شَاهِدٌ لِكَنِينَتِي[3]
إلهي عَلِمتَ الشيءَ قَبلَ حُدُوثِهِ | وَشَاهَدْتَهُ مِنْ قَبلِ كَوْنِ الحَقيقةِ
إلهيَ إنَّ الأيْنَ[4] مَوْضِعُ مُختَفٍ | ولا أيْنَ يَطْوِي عَنكَ مِثقالَ ذرَّةِ
إلهيَ ظَرْفُ الأيْنِ[5] أنتَ وَرَاءَهُ | مُحِيطٌ وظَرْفُ الكَرَّةِ الزَّمَنِيَّةِ
رَقيبٌ على الدُّنيا وَما قَبلَ قَبْلِها | رَقيبٌ على الأخْرَى إلى الأبَدِيَّةِ
رَقيبٌ حَفيظٌ دَائِمُ الرَّعْيِ عَالِمٌ | وَقائِعَ تَفصِيلِي إلهي وَجُمْلَتي
إلهي أقِمْنِي يا رَقيبُ مُراقِباً | بِفِعْلِي وَتَزكِي قُدْرَةَ الشَّاهِدِيَّةِ

---

(١) الجِدَا: العطاء.
(٢) المُجْزِل: المُعطي دون حِساب.
(٣) كَنِينتي: ما أكنّهُ وأخفيه في نفسي.
(٤) الأين: المكان.
(٥) أيْنَ: ظَرفُ مكان || أيّانَ: ظَرف للزمن المستقبَل، وهو يجمعهما إفصاحاً وتورية في هذا البيت: إحاطةُ الخالِق بالمكان والزَّمان وظَرفَيهما، وبالتالي تعاليهِ على لاحقٍ وسابق حُدُوثِهما.

فلا أقتضِي فِعْلًا وَتَرْكاً بِغَيرِ أنْ ... أحَقِّقَ أني تَحتَ عِلْمٍ وَقُدْرَةِ
فَكُنْ لي حَفِيظاً يا رَقيبُ وعَاصِماً ... لِنفسيَ مِنْ آفَاتِها البَشَرِيَّةِ

المُجيب جلَّ جلاله

عَلِمْتَ اضْطِراري سَيِّدي وَتَضَرُّعِي ... وَبَسْطَ لِسَاني يا مُجيبُ بِدَعْوَتي
ومـا جَـزَعُ الإنسـانِ إلّا جِبـلَّةٌ ... ومِنْ أصْعَبِ الأهْوَاءِ مَيلُ الجِبلَّة
وإلّا فَكَشْفُ السُّوءِ وَعْدٌ مُحَقَّقٌ ... وَعَدْتَ بِهِ يا رَبِّ صِدْقَ الضَّرُورَةِ
إلهي بما ألهَمْتَنِي وَفَتَحْتَ لي ... بِفَضْلِكَ رَبِّي مِنْ دُعَائي وسُبْحَتي[1]
رَأيتُ وَرَاءَ الفتحِ فَتْحاً قَدَرْتَهُ ... وإن أوْهَمَتْنِي النفسُ في حَبْسِ دَعْوَتي
وتأخيرُ ما أخَّرْتَهُ مِنْ إجَابَةٍ ... سِيَاسَةُ تَدْبيرٍ لما فيهِ خِيرَتي
وَعَينُ دُعَائي سَيِّدي مِنكَ رَحْمَةٌ ... تخَوِّلُنِيهَا بَلْ وَعَينُ ضَرُورَتي
وَكُلُّ بَلاءٍ غَيرِ عَذْلِكَ نِعْمَةٌ ... وإنْ سَئِمَتْ مِنهُ نُفوسُ البَرِيَّةِ
إلهيَ لم أيأسْ مِنَ الرَّوحِ وَالوَفا ... وإنْ ضَاعَفَ التقديرُ قَدْرَ بَلِيَّتي
إلهي نِدَائي ما لَهُ عَنكَ حَاجِزٌ ... وقبلَ نِدَائي أنتَ تَسْتُرُ خَلَّتِي
إلهيَ أحْسِنْ بالإجَابَةِ إنْ أكُنْ ... أسَأتُ دُعَائي واجْتِهادِي وَرَغْبَتي

الواسع جلَّ جلاله

وَيَا وَاسِعَ الأشياءِ عِلْماً وَرَحْمَةً ... فلا شيءَ إلّا بَينَ عِلمٍ وَرَحْمَةِ
وَيَا وَاسِعَ البُرْهانِ لا لِنِهَايَةٍ ... وَيَا واسِعَ السُّلْطَانِ للأبَدِيَّةِ
وَيَا وَاسِعَ الإكْرَامِ والفضْلِ والغِنى ... غَنَاءً بلا حَدٍّ ولا أمَدِيَّةِ

(١) سُبْحَتي: تسبيحي.

وَيَا وَاسِعَ الأشياءِ حُكْماً وقُدْرَةً وسَلباً وإيجاباً بِغيرِ وَسِيطَةِ
وَيَا وَاسِعَ المُلْكِ العَلِيِّ جَلالُهُ جَلالُكَ ضَاقتْ تَحْتَهُ كُلُّ عِزَّةِ
تَعَالَيتَ ضَاقَ الكَوْنُ بي فَوَقَعْتُ في مَضَائِقَ مِن ذَنْبي ومِنْ ضَنْكِ عِيشَتي
إلهيَ ضَاقتْ بي أمُورٌ عَلِمْتَها فضاق بِها صَدري وصَبْري وحِيلَتي
إلهيَ مالي مَخْرَجٌ مِن مَضِيقةٍ إذا لم يُوَسِّعْ رَوْحُ رَبِّي مَضِيقَتِي
إلهيَ أوْسِعْنِي مِنَ الخَيرِ خَيرَهُ ونَفِّسْ إلهي كُلَّ ضِيقي وكُرْبَتي
وَهَبْ ليَ وُسْعاً في يَقيني ومَسْلَكِي إليكَ وعِرْفاني وعِزِّي وغُنْيَتي
فما ضَاقَ ما وَسَّعْتَ يَا وَاسِعَ العَطا ولا قَلَّ مَا كَثَّرْتَهُ مِنْ عَطِيَّةِ

الحكيم جلَّ جلاله

إلهي بما أَظْهَرْتَ مِنْ سِرِّ اسْمِكَ الـ حَكِيمِ لِمَمْدُودِينَ مِنكَ بحِكْمَةِ
وما اغْتَرَفوا مِنْ بَحْرِ أسْرَارِ اسْمِكَ الـ حَكِيمِ مِنَ العِرْفانِ والحِكَمِيَّةِ
بما أَوْقَفَ الإبْدَاعُ مِن صُنعِ اسْمِكَ الـ حَكِيمِ عَلى غَايَاتِهِ الأبْدَعِيَّةِ
بما أفرَغَ الآثارَ مِن قُوةٍ لَهُ على قالَبِ الإتْقانِ مِن أيِّ ذرَّةِ
تقدَّستَ في الأفْعَالِ عَن فِعْلِ بَاطِلٍ لكَ المُلكُ ما للعَبدِ ذرَّةُ شِرْكَةِ
بأنَّكَ لم يَعْرِفكَ غَيرُكَ سَيِّدي فأنتَ الحَكِيمُ الحَقُّ في العالِمِيَّةِ
بأنَّكَ أثَّرتَ البَدائِعَ مُطْلَقاً على أحْسَنِ التدبيرِ للأصْلَحِيَّةِ
بأنَّكَ قَدَّرتَ الصَّنائِعَ فانْجَلَى عليها دَلِيلُ الحِكْمَةِ الأزلِيَّةِ
بِتَكْوِينِكَ الأشْيَاءَ رَبِّ جَمِيلَةً شُمُوسُ جَمَالِ الحَقِّ فيها تَجَلَّتِ
بِقُدْسِكَ في التَّكْوِينِ عَنْ سَبَبِيَّةٍ بِقُدْسِكَ في التَّكْوِينِ عَنْ غَرَضِيَّةِ
بِحِكْمَتِكَ افْتَحْ لي مِنَ الخَيرِ حِكْمَةً فإنَّ قَرارَ الخَيرِ حيثُ اسْتَقَرَّتِ

الودود جلَّ جلاله

إلـهـيَ بـالإنْـعَـامِ أنـتَ ابْـتَـدَأتَـنـا
وذاك، وَدُودَ الـخَـلْقِ، عَـيـنُ الـمَـوَدَّةِ

تَـحَـبَّـبْـتَ بـالـعِـرْفـانِ لـلأوْلِيـاءِ فـي
مَـقـامَـاتِـهِـم واخْـتَـرْتَـهُـم لـلمَـحَـبَّـةِ

تَـحَـبَّـبْـتَ بـالـغُـفـرانِ لـلمُـذْنِـبـيـن يـا
وَدُودُ ولـم تَـقْـطَـعْ رَجَـاءَ لـتَـوْبَـةِ

تَـحَـبَّـبْـتَ بـالأرْزاقِ لـلخَـلْقِ مُـطـلقـاً
فـكـانَ بِـوِفْـقِ الـعَـدْلِ قَـسْـمُ الـمَـعِـيشـةِ

وَأوْدَعْـتَ بَـعـضَ الـخَـلْقِ وُدّاً لِبَـغْـضِـهِـم
وذلــكَ مِــن ألْطَــافِ وُدِّ الألُــوهَــةِ

وَوُدُّكَ مِـمَّـنْ تَـجْـتَـبِـيـهِ عَـوَارِفٌ
تُـنَـزِّلُهـا دَلَّتْ لِسَـبْـقِ الـمَـوَدَّةِ

ولـولا عِـنـايـاتُ الـمَـوَدَّةِ والـرِّضَـا
لـمـا جَـاوَزُوا فـي سَـيْـرِهِـم قَـيـدَ لَمْـحَـةِ

وَمِـنْ وُدِّكَ الـعِـرْفـانُ نُـوراً قَـذَفْـتَـهُ
ولـولاهُ لـم يَـعْـرِفْـكَ جِـنْـسُ الـخَـلِيقـةِ

وَوُدُّكَ فـي الألـبـابِ حَـظٌّ مُـقَـسَّـمٌ
تُـوَصِّـلُ مِـنْـهُ كُـلَّ لُبٍّ لِرُتْـبَـةِ

فـهَـبْ لـي بِـفَـيْـضِ الـوُدِّ فـيـكَ مَـحَـبَّـةً
مُـجَـرَّدَةً مِـنْ أحْـرُفِـي وصَـحِـيـفَـتِـي

وهَـبْ لـيَ وُداً مِـنْ عِـبـادِكَ ثـابِـتـاً
وسَـدِّدْ لأهـلِ اللهِ فِـيـكَ مَـحَـبَّـتـي

المجيد جلَّ جلاله

إلـهـي الـمَـجـيـدُ الـحَـقُّ مَـجْـدُك قـائـمٌ
لـذاتِـكَ والأفـعـالِ والـصِّـفَـتِـيَّـةِ

إلـهـيَ لـم تَـسْـتَـفْـتِـحِ الـعِـزَّ لا، ولا
بـفِـعْـلِكَ يـا ذا الـمَـجْـدِ كَـوْنُ قَـبِـيـحَـةِ

إلـهـي حُـقـوقُ الـمَـجـدِ لـلحَـقِّ وَحْـدَهُ
مِـنَ الـوَاجِـبِ الـذاتـيِّ مَـجـدُ الألـوهَـةِ

إلـهـيَ مَـجـدُ اللهِ أسْـنَـى مَـكـارِمـاً
وأعـلـى كَـمـالًا لا يَـضـيـقُ بِـذِلَّتـي

إلـهـيَ مَـجـدُ اللهِ فـي وُسْـعِ عِـزِّهِ
مُـدَافَـعَـةُ الـبَـأْسَـاءِ حَـيـثُ ألَمَّـتِ

إلـهـيَ مـا مِـقـدارُ تَـمْـجـيـدِ عَـاجِـزٍ
لـدى قَـدْرِ مَـجـدِ اللهِ والـعِـظَـمِـيَّـةِ

إلـهـيَ لـولا خَـتْـمُـكَ الـذِّكْـرَ والـدُّعَـا
لـقَـدَّسْـتُ مَـجـدَ اللهِ عَـن ذِكْـرِ لَفْـظَـتـي

عُـقُـودُ بَـلِيَّـاتـي عَـلـيَّ تَـحَـكَّـمَـتْ
بـمَـجـدِكَ خَـلِّصْـنِـي وَحُـلَّ بَـلِيَّـتـي

فـأنـتَ جَـمِـيـلُ الـبِـرِّ مُـتـسِـعُ الـعَـطـا
حَـمـيـدٌ مَـجـيـدٌ لا تَـضـيـقُ بِـخَـلَّتِـي

وَلَسْتُ، وَقَدْ أَنْجَدْتُ مَجْدَكَ، خَائِباً وإنْ شَابَ إخْلاصِي هَوى بَشَرِيَّتي

وأشْبَهُ شيءٍ يا مَجيدُ بِمَجْدِكَ الـ ـجَليلِ على الإيقانِ تَحْقيقُ مُنْيَتِي

الباعث جلَّ جلاله

وَيَا بَاعِثَ الأجْسَامِ عَوْداً كَبَدْئِها وَقَدْ فَنِيَتْ في عَالَمِ البَرْزَخِيَّةِ

وَيَا بَاعِثَ الرُّسْلِ الهُداةِ بِدِينِهِ لِيُنْفِذَ حُكْمَ العَدْلِ مِنْ بَعدِ حُجَّةِ

وَيَا بَاعِثَ الأفْعَالِ كَسْباً مِنَ الوَرَى بِخَلْقِ الدَّوَاعِي فيهِمُ والإرَادَةِ

وَيَا بَاعِثاً في الذنبِ بالتَّوبِ عَبْدَهُ وَبَاعِثَهُ في عَجْزِهِ بالمَعُونَةِ

وَيَا بَاعِثَ الأرْواحِ بالعِلمِ والهُدى بِبَعْثِكَ سَارَتْ في هُدَاها وَحَلَّتِ

بِبَعْثِكَ في سَاحَاتِ تَوْحِيدِكَ ارْتَقَتْ لكَ الهِمَمُ العُليا وَتَاقَتْ وَحَنَّتِ

بِبَعْثِكَ صَفوَ السِّرِّ مِنْ هَوَسِ الهَوَى ببعثك صَفوَ الفِعْلِ عَنْ دَنَسِيَّةِ

أقِمْنِي بِسِرِّ البَعْثِ في غَفلَةِ الهَوَى وَرَقِّ بِبَعْثِ السِّرِّ في اللهِ هِمَّتي

أجِبْ دَعْوتي يا فارِجَ الحُزنِ مُطلقاً وَيَا بَاعِثَ الخَيرَاتِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

أفِضْ ليَ فَيضَ الجُود مِن بَعْثَةِ الرِّضَا وقَوِّمْ لِما فِيهِ مَرَاضِيكَ بَعْثَتِي

وَمَن لي بِدَرْكِ الفوزِ حَيث يَفُوتُني مِنَ البَاعِثِ القَيُّومِ بَعْثُ العِنايَةِ

الشهيد جلَّ جلاله

إلهي شَهِيدَ الكائناتِ شَهَادَةً وَغَيباً على تَفضِيلِ كُلٍّ وَجُمْلَةِ

إلهي شَهِيدٌ حَاضِرٌ غيرُ غَائِبٍ تَرَى لا تُرَى ما غَابَ مِثْقالَ ذرَّةِ

إلهي شَهيدٌ للأمورِ بأسْرِها كفى بكَ رَبِّي شَاهِداً للقَضِيَّةِ

شَهيدٌ بوضْعِ البَيِّناتِ وَنَصْبِها على العَدلِ والتَّوحِيدِ والصِّفَتِيَّةِ

شَهيدٌ لكَ المَوجُودُ مَولايَ شَاهِدٌ مُقِرٌّ بِشَأنِ الوَحْدَةِ الأزَلِيَّةِ

شَهيدٌ على توحِيدِ سِرِّي وعِلْمِهِ ... بأنك لا تَخفى عَليكَ أنِيَّتِي
شَهيدٌ بتَنويرِ القُلوبِ شُهودُهُ ... وَإِيْنَاسِهِ الأسْرار بالعَارِفيَّةِ
شَهيدٌ على سِرِّي ونَجْوَايَ مُطلقاً ... بدُنيا وأخْرَى لَسْتُ عَنكَ بِخُفْيَةِ
أعَزُّ جَلِيسٍ ما بِأُنْسِكَ وَحْشَةٌ ... شَهِيدِي وبُعْدِي عَنكَ أعْظَمُ وَحْشَةِ
بِسِرِّ الشَّهيدِ ارْزُقْنِيَ الصَّبرَ سَيِّدي ... لِحُكْمِكَ واجْعَلني شَهيدَ عُبُودَتي
لأعْبُدَكَ اللهُمَّ حَقاً كأنَّنِي ... أرَاكَ وَكُلُّ الكَوْنِ مِنْ خَلْفِ رُؤيَتِي

الحق جلَّ جلاله

تَعَالَيتَ يا حَقَّ الثُّبُوتِ لِذَاتِهِ ... تَحَقُّقَ حَقٌّ لا بِإحْقَاقِ مُثْبِتِ
تَعَالَيتَ يا حَقَّ الوُجُودِ بلا انْتِفا ... ولا أمَدٍ يَقْضِي على الثَّابِتِيَّةِ
تَمَجَّدتَ يا حَقَّ الألُوهَةِ وَاجِبٌ ... لِوَجْهِكَ مِنا وَاجِباتُ العُبُودَةِ
تَعَظَّمتَ يا حَقَّ الرُّبُوبِيةِ التي ... تَجَلَّتْ بقَهْرٍ واقْتِدارٍ ورَحْمَةِ
تَعَزَّزْتَ يا حَقَّ الجَلالِ بما لَهُ ... مِنَ الكِبْرِيا والمَجْدِ والسَّطْوِيَّةِ
تَكَبَّرْتَ يا حَقَّ الكَمَالِ بما لَهُ ... مِنَ العِزِّ والتسْبِيحِ والعِظَمِيَّةِ
تَمَجَّدْتَ يا حَقَّ الجَمَالِ بما لَهُ ... من الرَّحَمُوتِ المَحْضِ والعَاطِفِيَّةِ
تَجَلَّيتَ لي يا حَقُّ في الخَلْقِ ظَاهِراً ... فما ثَبَتَتْ عِندَ التَّجَلِّي حَقيقَتِي
وَمَحَّضْتَنِي[1] حَقاً بحَيثُ اخْتَرَعْتَنِي ... وَعَينُ مَجَازٍ في الوُجُودِ أنِيَّتِي
فيا حَقُّ بالحَقِّ اجْعَلِ الحَقَّ مَوْقِفِي[2] ... وفي الحَقِّ أطْواري وبالحَقِّ قُوَّتِي
وأيِّدْ بِنُورِ الحَقِّ يا حَقُّ سَطْوَتِي ... ومَجِّدْ لِنَفْيِ البُطْلِ سُلطَانَ حُجَّتِي

---

(١) مَحَّضْتَنِي حَقّاً: جعلتهُ لي خالِصاً.

(٢) كثيراً ما يتلاعب أبو مُسْلِم بالكلمات ومعانيها المتعددة لإثراءِ عِبارته، كما هي مُفردة (حَق) في هذا الشطر: فيا حَقُّ بالحَقِّ اجْعَلِ الحَقَّ مَوْقِفِي - حيثُ تعني الأولى: الخالِق، وهو مُنادى - والثانية: تعني الحَقّ، نقيض الباطِل - والثالِثة: حَمّالةُ مَعْنَيَين، حيث يندمِجُ فيها معنى الأولى والثانية.

الوكيل جلَّ جلاله

إلهي خَلَقتَ الخَلقَ والعَجزُ قَيدُهُم — وَكُنتَ وَكِيلًا كَافياً للخَليقَةِ
تَعالَيتَ مَوْكُولًا إليكَ مُفَوَّضاً — مَصَالِحُهُم في الدِّين والدُّنْيويَّةِ
كَفيْتَ وآوَيْتَ العِبادَ وصُنْتَهُم — وَكِيلًا رَحيماً حَافِظَ الأصْلَحِيَّةِ
وَقَيتَ ودَبَّرْتَ الأمُورَ كما تَشا — وَكِيلًا خَفِياً وَاقِياً لِلبَلِيَّةِ
وَقُمتَ بِتَصْرِيفِ العَوالِمِ حِسْبَةً — فَكُلٌّ لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظرِيَّةِ
كَفيْتَ ابْتِدَاءً ثم وَالَيتَ رَاعِياً — وَتَخْتِمُ وَهْباً مِنْ جَمِيلِ الوِلايَةِ
مَنَحتَ جَزيلًا ثم أثْنَيتَ سَيِّدي — جَميلًا، وهَذا غَايَةُ الكَرَمِيَّةِ
وَنِعْمَ الوَكِيلُ اللهُ لِلعَبْدِ ما انْثَنَى — تَوَكُّلُهُ عَنهُ بِخُسْرٍ وَخَيْبَةِ
وَنِعْمَ الوَكِيلُ اللهُ لِلعَبدِ إنَّما — تَوَكُّلُنا قَدْ ضَلَّ دُونَ الحَقيقَةِ
وَكِيلِيَ قَدْ فَوَّضْتُ أمْرِيَ مُطلقاً — إليكَ ولم أعْلَمْ سِواكَ لِخُطَّتِي
وَكِيلِيَ أشْهِدْنِي مَقامَ تَوَكُّلِي — عَليكَ وَحَقِّقْنِي بِهِ وَبِتَوْبَتِي

القويّ جلَّ جلاله

قَوِيٌّ على نَصْرِي وتَمْجيدِ هَيْبَتي — وَتَأيِيدِ أنْصَارِي وإعْلاءِ كِلْمَتي
قَوِيٌّ على تَذمِيرِ خَصْمِي وَقَصْمِهِ — وإلقائِهِ في هُوَّةِ العَدَمِيَّةِ
قَوِيٌّ على إنْهَاضِ جَدِّي وإنْ كَبَا — وإنعاشِ ضَعْفِي عِندَ وَهْنِي بِقُوَّةِ
قَوِيٌّ على إرْكَاسِ كُلِّ مُصَوِّبٍ — إلى حُرُمَاتِ اللهِ كُلَّ مُصِيبَةِ
قَوِيٌّ على التَّغْلِيبِ والفتحِ عَاجِلًا — لأهْلِكَ أهْلِ العَدْلِ في أيِّ بُقْعَةِ
فَجَرِّدْ لِنَصْرِ الاسْتِقَامَةِ قُوَّةً — تَصُولُ بسَيفٍ مِنْ سُيوفِكَ مُصْلَتِ
فلَيْسَتْ قُوَى الأعْدَا وإنْ جَدَّ جِدُّها — بِقَائِمَةٍ لِلقُوَّةِ الأزَلِيَّةِ
وما أثَرُ الأحْداثِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ — مُؤثِّرَةٌ لِلقُوةِ القَدَرِيَّةِ
ولَيسَ لَهَا مِنْ مُكْنَةٍ لِذَوَاتِها — ولكِنْ بِتَأثِيرِ القَضَا كُلُّ مُكْنَةِ

ضَـعـيـفٌ أُنَـادِي تَـحْـتَ قُـوةِ قَـادِرٍ قَـوِيٍّ ولا سُـلطَـانَ لِي غَـيـرُ ذِلَّتِـي

فـمَـا ظَالِمِي مِنْ قَبْضَةِ القَهْرِ خَارِجٌ ولا مِـنْ أَلِيـمِ الأَخْـذِ يَـومـاً بِـمُـفْـلِتِ

المَتين جلَّ جلاله

وَأيُّ ضَـعِـيـفٍ ثَـابِـتٌ يـا مَـتـيـنُ إنْ قَـضـيـتَ عـليـهِ يـا مَـتـيـنُ بِـنَـقْـمَـةِ

تَـمَـسَّـكَ وَهْـنِـي يـا مَـتـيـنُ مُـقَـذَّفـاً بـجَـهْـدِ البَلاءِ الـمُـسْـتـمِرِّ الـمُـشَـتـتِ

بـحَـبْـلِـكَ ذا الـحَـبْـلِ الـشَّـدِيـدِ وَمَـاسِـكٌ بـحَبْلِ الـمَتينِ الـحَقِّ فـي حِرزِ عِـصْـمَـةِ

وُرُودِي وَصَـدْرِي يـا مَـتـيـنُ مُـعَـوَّقٌ وَحَـظِّـيَ مَـقـرُونٌ بِـشُـئـومٍ وَخَـيْـبَـةِ

وَقَـدْرِي ضَـئـيـلٌ يـا مَـتـيـنُ وإنْ تُـقِـمْ مَـتَـانَـةَ قـدْرِي ، يـا مَـتـيـنُ ، اسْـتـقـلَّتِ

وَمِـنْ أمْـتَـنِ الأشْـيَـاءِ قَـدْرٌ تَـشُـدُّهُ يَـمِـيـنُـكَ تَـطـوِي عَـنـهُ كُـلَّ شَـدِيـدَةِ

وإنـكَ إنْ مَـتَّـنْـتَ حَـالِي تَـمَـتَّـنَـتْ وإنْ كُـنـتَ فـي إتْـمَـامِ حَـالـيَ تَـمَّـتِ

وإنـكَ إنْ تَـعْـقِـدْ حُـظـوظِـي بِـعُـرْوَةِ الـ ـمَـتِـيـنِـيَّـةِ الـعُـظـمَـى فـأمْـتِـنْ بِـعُـرْوَتِـي

وإنـكَ إنْ شَـدَّدْتَ أزْرِي تَـفَـصَّـمَـتْ أمـامَ قُـوى أيْـدِي عُـرَى أيِّ شِـدَّةِ

وإنــكَ إنْ تُـشْـدِدْ عـلـى ذِي جَـرَاءَةٍ عَـلـيـكَ بِـغَـيِّ الـسُّـوءِ أوْدَى بِـقَـصْـمَـةِ

وإنَّ سِـمَـاتِـي يـا مَـتـيـنُ بَـعَـثْـنَـنِـي إلـيـكَ وَقَـدْ أحْـصَـيـتَ مَـطْـلَـبَ وَفْـدَتِـي

الولي جلَّ جلاله

وَلِـيِّـيَ فِـي دُنْـيـا وأُخْـرَى تَـوَلَّـنِـي بِـمَـا تـتَـوَلَّـى الـصَّـالِـحِـيـنَ وَثَـبِّـتِ

تَـوَلَّ ، وَلِـيَّ الـمُـؤمِـنـيـنَ ، اسْـتِـقـامَـتـي وَنَـصْـرِي وحَـقِّـقْ يـا وَلـيُّ مَـحَـبَّـتـي

تَـولَّ وَلائِي فـي ثُـبُـوتِ وَلايَـتِـي بِـنُـقْـطَـةِ بَـاءٍ لا بِـسَـاذجِ نُـقْـطَـتِـي

تَـوَلَّ عُـرُوجِـي مِـنْ أفَـاحِـيـصِ مَـرْكَـزِي إلـيـكَ بِـلُـطْـفِ مِـنـكَ لا بِـكَـثِـيـفَـتـي

تَـوَلَّ وَلِيِّي بـاسْـمِـكَ اسْـمِـي مُـرَقِّـيـاً صِـفـاتِـي الـدَّنَـايَـا بـالـصِّـفـاتِ الـعَـلِـيَّـةِ

تَـوَلَّ وَلائـي مَـنْ تَـوَلَّيْـتَـهُ اهْـتَـدَى رَمَتْنِي حُظُوظِي بَينَ أعْماقِ ضِلَّتِي

تَـوَلَّ وَلِيِّ الـحَـمـدِ شَـأنـي بِـنَـظْـرَةٍ تُـرَافِـقُـنـي ألـطَـافُـهـا فـي طَـرِيـقَـتِـي

وَلِيِّي تَـوَلَّـنِـي شُـئـونٌ مِـنَ الـهَـوَى تَدَارَكْ خَلاصِي مِنْ هَوًى فيهِ شَقْوَتي

تَـدَارَكْ وَلِيِّـي هـذهِ الـنـفـسَ إنَّـهَـا بِـمَـهْـمَـا تَـوَلّاهَـا هَـواهَـا تَـوَلَّـتِ

ذَريـعَـةُ شَـيـطـانٍ لِمَـا فِـيـهِ وَيْـلُـهـا لهَا الوَيْـلُ إنْ أسْلَمْتَها مِنْ ذَرِيعَتِي

وَلاؤُكَ سُـلطـانِـي غَـلَبْـتُ بِـهِ الـهَـوَى ولاؤكَ مَـنْـجَـاتِـي وَلاؤُكَ عِـصْـمَـتـي

الحميد جلّ جلاله

حَمِيدَ الفِعالِ الوَاجِبَ الحَمدِ والثَّنا بحَمدِكَ حَقِّقنِي حَمِيدَ الطَّرِيقَةِ

حَميدَ الفِعالِ الفاتحَ الوَاهِبَ المُنَى بِحَمدِكَ أوْقِفْ مَوقِفَ الحَمدِ وِجْهَتِي

حَـمـيـدَ الـفِـعـالِ الـمُـسـتـحِـقَّ لِذاتِـهِ مَـحَـامِـدُهُ مِـنْ نَـفْـسِـهِ الأزَلِيَّـةِ

حَميدَ الفعالِ المُستحِقَّ لحَمْدِنا بلا مُقتضَى مُسْتَوجِبِ الحَامِدِيَّةِ

حَميدَ الفِعالِ الحَامِدَ الحَقَّ نَفْسُهُ وَمَحْضُ امْتِنانٍ مِنهُ حَمدُ الخَليقةِ

حَميدَ الفِعالِ القَائِمَ الحَمدِ وَجْهُهُ غَنِيَّ الكَمَالِ الحَقِّ عَنْ حَمدِ فِطْرَةِ

حَميدَ الفِعالِ المُعْجِزَ الحَصْرِ حَمدُهُ لما يَقتضِي مَجْدُ الصِّفاتِ العَلِيَّةِ

حَميدَ الفِعالِ ادْفَعْ بِحَمْدِكَ فَاقَتِي وأحْمِدْ مَقامَاتي وَكَمِّلْ نَقِيصَتِي

حَميدَ الفِعالِ اجْعَلْ شُؤونِي حَمِيدَةً بقبْضِي وبَسْطِي عِندَ أُنْسِي ووَحْشَتِي

حَميدَ الفِعالِ ابْسُطْ لِرُوحِي ارْتِياحَها بحَمدِكَ وابْسُطْ في ثَنائِكَ بَسْطَتِي

حَميدَ الفِعالِ ارْحَمْ مَقامِيَ بَائِساً لكَ الحَمْدُ حَمْداً طَيباً فُكَّ عُسْرَتِي

المُحْصِي جلّ جلاله

وَيَا مُحْصِيَ الأشياءِ عِلماً وحِيطةً وقهراً وتقديراً وتدبيرَ حِكْمَةِ

أحَطْتَ وأحْصَيتَ الوُجُودَ وما بِهِ فما أفْلَتَ الإحْصَاءُ مِثقالُ ذرَّةِ

بَصِيرٌ بما أظْهَرتَ مِنْ كُلِّ ظَاهِرٍ
خَبيرٌ بما أبطَنْتهُ مِنْ خَفِيَّةِ

وَأَحْصَيتَ حِفظاً طَاعَتي وَتَبتُّلي
وأحْصَيتَ حَالاتي وطَورِي وفِطْرَتي

وأحْصَيتَ ما يَأتي وما يَذرُ العِدَى
وما أضْمَرُوا مِنْ سَيِّئاتِ الطَّوِيَّةِ

وأحْصَيتَ ذرَّاتِ المَقاصِدِ مُطلقاً
وأحْصَيتَ أعْمَالي وقَوْلِي ونِيَّتِي

وأحْصَيتَ أرْزاقَ النفوسِ مُقَدِّراً
لِكُلٍّ بِوَفْقِ الحِكْمَةِ المَصْلَحِيَّةِ

وأحْصَيتَ أرْزاقَ القُلُوبِ تَنَزُّلاً
لها حَسبَ الاسْتِعْدَادِ والقَابِلِيَّةِ

وأحْصَيتَ أسْرَارَ الهِدَايَاتِ مُورِداً
لِهَائِمَةِ الأرْواحِ بَحْرَ الحَقيقَةِ

أقِمْنِيَ يَا مُحْصِي رَقِيباً وَمُحْصِياً
لِفِعْلِي وَتَزْكِي عِندَ جَهْرِي وَخَلْوَتي

وسَخِّرْ لِيَ الإمْكَانَ قَلباً وَقَالَباً
وَمَكِّنْ مَقامِي مِنْ نُفُوذِ مَشِيئَتِي

المُبدِىءُ جلَّ جلاله

وَيَا مُبْدِىءَ الأشياءِ مِنْ عَدَمٍ إلى
وُجُودٍ وَمِنْ غَيبٍ إلى الشَّاهِدِيَّةِ

وَيَا مُبدِىءَ التطْوِيرِ مُخْتَرِعاً لَهُ
بِغَيرِ مِثَالٍ سَابِقٍ لِلقَضِيَّةِ

ويا مُبدِىءَ المَوْجُودِ بَدْءاً مُهَيِّئاً
لِرَجْعَتِهِ بعد انْعِدَامِ الخَلِيقَةِ

ويا مُبدِىءَ الإيْجَادِ لا لِمُسَبِّبٍ
سِوَى كَوْنِهِ المُختَارَ لِلمَبْدَئِيَّةِ

ويا مُبدِىءَ الإبْدَاعِ كَوْناً مُنَظَّماً
بَدِيعاً حَكِيماً شَاهِداً لِلألُوهَةِ

ويا مُبدِىءَ الإمْكَانِ لا لِضَرُورَةٍ
ولكنْ لِسِرِّ الحِكْمَةِ القِدَمِيَّةِ

ويا مُبدِىءَ المَصْنوعِ وَجْهاً مُنوَّراً
بِنُورِ صِفَاتِ السَّلْبِ والوَاجِبِيَّةِ

ويا مُبدِىءَ الأسْرَارِ مِنْ مَلَكُوتِها
عَرَائِسُ تُهْدَى لِلنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ

ويا مُبدِىءَ الأنوارِ مِن حَضَرَاتِها
ومُبدِىءَ عِرْفَانِ العُقولِ المُنِيرَةِ

تَقَدَّسْتَ فَابْدَأْ لي حَيَاةَ سَرَائِرِي
ونُوراً بِهِ في الناسِ تَمْشِي اسْتِقامَتي

وبَدِّئْ لِيَ العِرْفانَ واجْعَلْهُ مَعْرَجِي
إلَيكَ وَأُنْسِي في عَوالِمِ وَحْشَتِي

المُعيد جلَّ جلاله

مُعِيدَ الذَّوَاتِ الفَانِيَاتِ كَبَدْئِها ... لِتُظْهِرَ مَجدَ القُدْرَةِ المُطْلَقِيَّةِ

وما العَوْدُ إلّا البَدْءُ مِنْ حَيثُ حُكْمِ كُنْ ... تَعَالَيتَ كِلْتا النَّشْأتَينِ بِقَبْضَةِ

وفي النشأةِ الأولى دَلائلُ تَقْتَضِي ... جَلالَ اقْتِدارِ الحَقِّ لا بِوَسِيطَةِ

ولَيسَ مَعَادُ الجِسْمِ أعْظَمَ رُتْبَةً ... لِمُبْدِئِهِ مِنْ رُتْبَةِ المَبْدَئِيَّةِ

إلهيَ سُلْطانُ اقْتِدَارِكَ قاهِرٌ ... لِنَشْأةِ إبْدَاءٍ وَنَشْأةِ عَوْدَةِ

فمَصْدَرُ خَلقِ العَودِ كَالبَدْءِ وَاحِدٌ ... وما حُكْمُنا إلّا كَنَفْسٍ وَحِيدَةِ

مُعِيدَ أيَادِي الفَضْلِ مِنْ غيرِ مُوجِبٍ ... سِوَى كَرَمٍ مَحْضٍ وَوَاسِعِ رَحْمَةِ

أعِذْ لِيَ خَطأً مَزَّقَتْهُ خَطِيئَتي ... وَحُلْ سَيِّدي بَينِي وبَينَ الخَطِيئَةِ

أعِذْ لِي مَتاباً مِنْ ذُنوبٍ رَكِبْتُها ... وثَبِّتْ إلى يَومِ اللِّقا فِيكَ رَجْعَتِي

أعِذْ لِي اعْتِصَامِي في الشَّدَائِدِ كُلِّها ... بجَاهِكَ يا مَنْ جَاهُهُ رُكْنُ عِصْمَتِي

فأنتَ المُعيدُ الحَقُّ والحَقُّ قائِمٌ ... بسُلْطانِكَ الأعلى على كُلِّ فِطْرَةِ

المُحيي جلَّ جلاله

وَيَا مُحْييَ الأرواحِ في مَلَكُوتِها ... كما شاءَ مِنْ ذَاتٍ وَكَيفٍ وحِلْيَةِ

ومُنشِئَهَا مِنْ بَحْرِ نُورِ مُحَمَّدٍ ... كَما شَاءَ مِنْ أشْكَالِهَا المَلَكِيَّةِ

وَيَا مُحْييَ الأرواحِ سِراً مُخَدَّراً ... لِسِرِّ حَياةِ الأنفُسِ الحَيَوِيَّةِ

وَيَا مُحْييَ الأجْسَادِ بَعدَ انْحِلالِها ... وإفْنَائِها مِنْ عَالَمِ البَرْزَخِيَّةِ

وَيَا مُحْييَ الأبْرَارِ في دَارِ قُدْسِهِ ... حَيَاةَ خُلودٍ لا تُحَدُّ بِمُدَّةِ

وَيَا مُحْييَ الفُجَّارِ في دَارِ عَدْلِهِ ... مَعَاذُكَ مِنْ تِلكَ الحَيَاةِ المُقِيمَةِ

وَيَا مُحْييَ الأسْرَارِ بالنُّورِ والهُدَى ... وبالعِلْمِ والعِرْفانِ والمَدَدِيَّةِ

وَيَا مُحْييَ الألْبَابِ مَنّاً بِذِكْرِهِ ... فَقَامَتْ بِحَقِّ الذِّكْرِ شَوْقاً وَحَطَّتِ

وَيَا مُحْييَ الأحْيَاءِ تَحتَ شُهُودِهِ ... وهُمْ في الهَوَى والمَحْقِ تَحتَ الهَوِيَّةِ

تَقدَّسْتَ أدْرِكْنِي بتَقدِيسِ بَاطِنِي
وإحْيـاءِ نَـفْسِـي بـالـحَـيَـاةِ الـزكِـيَّـةِ

حَيَاةً مَعَ الكَوْنَيْنِ أحْيَا بِحَظِّهَا
وأحْيِى بِهَا مَوْتَى العَمَى بِهِدَايَتِي

المُمِيت جلَّ جلاله

إلهي مُمِيتَ الحَيِّ مُسْتأثِرَ البَقا
عَـدُوُّكَ حَـزَّ الـحَـقِّ مِـنـهُ بِـشَـفْـرَةٍ

أمِتْهُ مُمِيتَ الحَيِّ مُفْنِيَ خَلْقِهِ
بِـدَامِـيَـةٍ تَـغْـتَـالُهُ ذَاتَ مِـرَّةٍ

أمِتْهُ مُمِيتَ الحَيِّ بالذلِّ مُوبِقاً
فقد عَاشَتِ الهُلّاكُ مِنهُ بِغُصَّةِ

أمِتْهُ مُمِيتَ الحَيِّ وَافْلُلْ حُدُودَهُ
فَـلـيـسَ عـلـى حَـدٍّ لَهُ جُـزْءُ قُـوَّةِ

وَخُذْ لِحُدُودِ اللهِ مِنهُ بِثأرِهَا
فكَمْ ضَامَها إذ عَزَّ حَامِي الحَقيقةِ

وَدَمْدِمْ على أنْصَارِهِ واصْطَلِمْهُمُ[1]
بما اصْطَلَمُوهُ مِنْ حُقوقِ الشَّرِيعَةِ

أمِتْهُم مُمِيتَ الحَيِّ بالخَسْفِ وَالوَبَا
وبالطَّعْنِ والطَّاعُونِ أشْنَعَ مَوْتَةِ

أمِتْهُمْ وأهْلِكْ نَسْلَهُم وبِلادَهُم
فمَا لَكَ في أمْثالِهِمْ مِنْ بَقِيَّةِ

أمِتْهُمْ مُمِيتَ الحَيِّ واحْصُدْ جُمُوعَهُم
بأخذ العَذابِ الهُونِ[2] في حِينِ غَفلَةِ

أمِتْهُمْ بِبَثِّ الشرِّ في ذَاتِ بَيْنِهِم
وَدَائِرَةٍ تَـطْـوِيـهِـمُ مُـدْلَهِـمَّـةِ

أمِتْهُمْ بِخَيْلِ اللهِ تَعْقُرُ عَقْرَهُم
وَكُـلُّ كَـمِـيٍّ نَـاصِـرِ اللهِ بُـهْـمَـةِ

الحيّ جلَّ جلاله

وَيَا حَيُّ قَبلَ الكُلِّ حَيٌّ لِذاتِهِ
بِـغَـيـرِ افْـتِـقـارٍ مِـنـهُ لـلـحَـيَـوِيَّـةِ

ويا حَيُّ لا شيئاً سِوَاهُ حَيَاتُهُ
فَـيَـلْزَمُ فَـقْـرُ الـذَّاتِ لِلمَـعْـنَـوِيَّـةِ

ويا حَيُّ مُعْطِ كُلِّ حَيٍّ حَيَاتَهُ
مَـجَـازاً وَحَـيٌّ نَـفْـسُـهُ بـالـحَـقِـيـقَـةِ

(١) اصْطَلِم: استأصِل.
(٢) الهُون: المُهين.

ويا حَيُّ لا عَنْ مَبْدَإٍ لِحَيَاتِهِ   ولا مُنْتَهَى يَأتِي على الأبَدِيَّةِ
ويا حَيُّ مِنْ قَبلِ الوُجُودِ وَضِدِّهِ   هُمَا نِسْبَتَا خَلقٍ وَتَرْكِ مَشِيئَةِ
ويا حَيُّ مُحْيِي النفسَ بَعدَ فَنَائِها   وباعِثَ عَينِ النَّشْأةِ الأوَّلِيَّةِ
ويا حَيُّ يُحْيِي الأرْضَ مِنْ بَعدِ مَوْتِها   بلا أثرٍ في خَلْقِهِ لِطَبيعَةِ
تَوَلَّتْ حياتِي في اغْتِرارٍ بِظَاهِرٍ   وفي نَكْبَةٍ أعْقَابُها ألفُ نَكْبَةِ
تَوَلَّتْ حياتي جَاهِلًا مُتَجَاهِلًا   أخُوضُ وألْهُو في مَقاصِدِ شَهْوَتي
افِضْ ليَ من فَيضِ اسْمِكَ الحَيِّ مُنْعِشاً   يُعجِّلُ مِنْ رَمْسِ الشَّقاوَةِ بَعْثتي
يَصُبُّ حَيَا الأسْرَارِ والنُّورِ والهُدى   وَيَنْفُخُ رُوحَ العِلمِ في بَشَرِيَّتي

القيوم جلَّ جلاله

إلهيَ يا قَيُّومُ ذَاتاً بِذاتِهِ   لِوَجْهِكَ قَيُّومِيَّةُ الأحَدِيَّةِ
وَمَنْ قامَ بالمَوْجُودِ حِفظاً وحِيطَةً   ولُطفاً وتَدْبيراً بأيَّةِ نِسْبَةِ
وَمَنْ قَامَتِ الدُّنيا والأُخْرَى بِأمْرِهِ   لَهُ فيهما تَدبيرُ حُكْمٍ وحِكْمَةِ
إلهيَ قَيُّومَ السَّمواتِ والفَضَا   وَالأرْضِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ حَادِثِيَّةِ
بسِرِّ اسْمِكَ القَيُّومِ عَرْشُكَ قَائِمٌ   وَمَنْ حَمَلَتْهُ أو بِعَرْشِكَ حَفَّتِ
بسِرِّ اسْمِكَ القيُّومِ كُرْسِيُّكَ احْتوَى   سَمَاواتِكَ العُليا وَجِرْمَ البَسِيطَةِ
بسِرِّ اسْمِكَ القَيُّومِ في مَلَكُوتِهِ   تَجَلَّى سَنا الإلهَامِ لِلمَلَكِيَّةِ
بسِرِّ اسْمِكَ القيُّومِ في المُلْكِ فَهْمُنا   خِطَابَكَ ما قَدْ تَقتَضِي كُلُّ آيَةِ
أقِمْنِي بِقَيُّومِيَّةِ الحَقِّ شَاهِداً   لِسِرِّ اسْمِكَ القيُّومِ في كُلِّ ذرَّةِ
وفي كُلِّ أطْوارِي أقِمْنِي بِسِرِّهِ   بحَقِّكَ قيُّوماً على بَشَرِيَّتي
وَهَبْ لِي بِقَيُّومِيَّةِ اللهِ مَقسَماً   بِهِ قَطْعُ إشْقائِي وَوَصْلُ سَعَادَتِي

الواجد جلّ جلاله

وَيَا وَاجِدَ الحَقِّ الإلهِيِّ لم يَفُتْ ... كَمَالُكَ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الألُوهَةِ

وَجَدْتَ الغِنَى الذاتيَّ يا مُطْلَقَ الغِنَى ... بلا سَبْقِ إعْوازٍ على الوَاجِدِيَّةِ

وأوْجَدْتَ آيَاتِ الوُجُودِ فَكُلُّها ... دَلِيلُ وُجُودِ اللهِ والمُوجِدِيَّةِ

وَجَدْتَ الذي لا بُدَّ مِنهُ لِذاتِهِ ... مِنَ الوَاجِبِ الذاتيِّ للصِّفَتِيَّةِ

وَجَدْتَ الكَمَالَ المُطلقَ السَّرْمَدِيَّ في ... صِفَاتِكَ والأسْمَاءِ مِنْ كُلِّ رُتْبَةِ

وُجُودُكَ وِجْدَانُ الحَقائقِ يَقتضِي ... على مُقْتضَى إيجَادِ عِلْمِ الحَقيقةِ

وفي أوْجُهِ الأسْمَاءِ مَا أنْتَ وَاجِدٌ ... بِهِ في مَقامَاتِ الشُّهُودِ تَجَلَّتِ

فَهَبْ لِي بأسْرَارِ الذي أنتَ وَاجِدٌ ... فَقِيدِيَ مِنْ كُلِّ الحُظوظِ العَلِيَّةِ

أنا الفَاقِدُ المُضْطَرُّ كُلَّ مَصَالِحِي ... لما تَقتضِيهِ فَاقَتِي وعُبُودَتِي

وَمِنْ حَيثُ وِجْدَانِي وُجُودُكَ وَاجِدٌ ... غَنِيٌّ بما أرْجُوهُ مِنْ بَابِ وِجْهَتِي

أَنِلْنِيَ وِجْدَاناً وَوَجْداً وَرُتْبَةً ... من الحَظِّ في دِينِي وفي دُنْيَوِيَّتِي

الماجد جلّ جلاله

وَيَا مَاجِدُ الأعْلَى الرَّفِيعُ جَلالُهُ ... لِمَجْدِكَ يَعْنُو كُلُّ مَجْدٍ ورِفعَةِ

تَعَطَّفْتَ بالمَجدِ العَظيمِ الذي بِهِ ... تَكَرَّمْتَ بالحُسْنَى إلى كُلِّ فِطْرَةِ

قَرَنْتَ بِعِزِّ الذاتِ فَضْلًا مُوَاصَلًا ... إلى الخَلقِ كُلٌّ مِنْهُمُ تَحتَ نِسْبَةِ

وذلكَ مَجدٌ لَيسَ يُقْدِرُ قَدْرَهُ ... وأنتَ الحَقيقُ الحَقُّ بالمَاجِدِيَّةِ

وَمَجدُكَ مَجدٌ لا يُمَاجَدُ شَأنُهُ ... ولا يُتَرَقَّى باكْتِسَابِ فَضِيلَةِ

وَعِزَّةُ مَجدِ الحَقِّ شَأنٌ لِذاتِهِ ... خُصُوصاً إلهياً بِعَينِ الحَقِيقةِ

وَعِزُّ جَلالِ المَجدِ غَيرُ مُؤثِّرٍ ... لِدَاعِيَةٍ إلّا حُقوقَ الألُوهَةِ

بِعِزَّةِ مَجدِ المَاجِدِ الحَقِّ سَيِّدي ... تَدَارَكْ بِأيْدٍ مِنكَ وَهْنِي وذِلَّتِي

وَمَجِّدْ شُؤونِي باتِّبَاعِكَ مُطلقاً ... فلا مَجدَ إلّا الصِّدقُ في تَبَعِيَّتِي

وَهَبْ لي مَقاماً صَادِقَ الحَالِ قَائِماً … بتَمْجِيدِكَ اللهُمَّ في بَحْرِ هَيْبَةِ
وَلا تَلْقَ يا ذا المَجْدِ حَالِي كَسِيرَةً … وَمَجْدُكَ يا ذا المَجْدِ أسْنَى ذَرِيعَتِي

الواحد جلَّ جلاله

وَيَا وَاحِدُ البَاقِي بِوَحْدَةِ ذَاتِهِ … كَما كَانَ قَبْلَ القَبْلِ والأزَلِيَّةِ
تَعَالَيتَ لَيسَتْ وَحْدَةُ الذاتِ وَحْدَةً … تَؤُولُ إلى التَّحْلِيلِ والجُزْئِيَّةِ
ولا وَحْدَةُ الأوصَافِ وَحْدَةُ فِطْرَةٍ … تَعالتْ عَنِ الأعْرَاضِ والجَوْهَرِيَّةِ
وأَنْتَ إلهِي الوَاحِدُ الحَقُّ والسِّوَى … مَجَازٌ إليهِ نِسْبَةُ الوَاحِدِيَّةِ
وُجُودُكِ قَبْلَ الجَوْهَرِ الفَرْدِ ثَابتٌ … وما يَقْبَلُ التركِيبَ لَيسَ بِوَحْدَةِ
فَهَبْنِي شُهُودَ الوَاحِدِيَّةِ فَانِياً … عَنِ الجَمْعِ في الفَرْدِيَّةِ السَّرْمَدِيَّةِ
وَأَوْجِدْ وُجُودِي عَنْ وُجُودٍ يَصُدُّنِي … عَنِ الوَاحِدِ البَاقِي وُجُودِ الحَقيقةِ
وَثَبِّتْ على التَّوحِيدِ قُدْسِيَّ وَحْدَتِي … فما زَاغَ عَنْ آيَاتِهَا مَنْ تَثَبَّتِ
إلهي ظُهُورُ الوَاحِدِيَّةِ مَحْضَةٌ … تُرِيهَا شُؤونَ الحَقِّ في كُلِّ ذرَّةِ
أَقَمْتَ مِنَ التكْوِينِ شَاهِدَ حِكْمَةٍ … على اللَّيْسَ فانْحَلَّتْ عُرَى كُلِّ شِرْكَةِ
فما ثَمَّ وحدَانِيةٌ بَعدَ مَبْدَإٍ … تُقْبَلَ في أوْصَافِهَا جُزْءُ وَحْدَةِ

الأحَد جلَّ جلاله

إلهي على الإخْلاصِ يَا أَحَدُ انْطَوَى … يَقِينِي فَخَلِّصْنِي وَأَخْلِصْ طَوِيَّتِي
إلهِيَ آحَادُ الوُجُودِ حَوَاسِرٌ … حَقَائِقُهَا عَنْ حَقَّةِ الأَحَدِيَّةِ
وَفي كَثْرَةِ الأعْيَانِ عَينٌ تَوَحَّدَتْ … تَرَاءَتْ على أشْخَاصِهَا وَتَجَلَّتِ
صِفاتُكَ والأسْمَاءُ في أيِّ مَظْهَرٍ … رَمَتْ كُلُّها في الكُلِّ عَنْ قَوْسِ وَحْدَةِ[1]

---

(١) (أي أن أسماءَ الله هي ذاتُ صفاته؛ وهذه من أبواب الجدل الواسع عند المتكلمين).

وَتَخْصِيصُ اسْمٍ دُونَ اسْمٍ بِمَظْهَرٍ ... يُحَقِّقُ حَقَّ الوَحْدَةِ الأزَلِيَّةِ
فَفِي كُلِّ اسْمٍ قُوَّةٌ أَحَدِيَّةٌ ... لِفِعْلٍ وَوَصْفٍ أو لِذاتِ الحَقِيقةِ
إلهِيَ ما التَّوحِيدُ شَيءٌ أَزِيدُهُ ... على حَقِّ نَفسِ الأمْرِ مِنْ لَدُنِيَّتِي
إذا كَانَ نَفسُ الأمْرِ حَقاً لِذاتِهِ ... غَنِيّاً عَنِ الإثْبَاتِ مِنْ جِنْسِ مُثْبِتِ
فما هُوَ تَوْحِيدِي سِوَى أنْ هَدَيْتَنِي ... فأبْصَرْتُ نَفْيَ النَّقصِ وَالمَتَوِيَّةِ[1]
فَزِدْنِيَ تَثبيتاً عَلَى ما هَدَيْتَنِي ... وَعَرَّفْتَنِي مِنْ وَاجِبِ الأَحَدِيَّةِ
أَذِقْنِي مِنَ التَّوحِيدِ كَأسَ مُوَفَّقٍ ... تَدُومُ بها في حَضْرَةِ القُرْبِ سَكْرَتِي

الصَّمد جلَّ جلاله

وَيَا صَمَدُ البَاقِي الجَلِيلُ لِذاتِهِ ... بِقُدْرَتِهِ تَدْبِيرَ أمْرِ البَرِيَّةِ
وَيَا صَمَدُ الكَافِي لأيةِ صَامِدٍ ... بِآمَالِهِ لِلحَيطَةِ الصَّمَدِيَّةِ
وَيَا صَمَدُ الأعْلى وَمَا ثَمَّ غَايَةٌ ... لِمَجْدِكَ أو حَدٌّ يُحِيطُ بِرُتْبَةِ
وَيَا صَمَدُ المُسْتَوجِبُ السُّؤْدَدَ الذي ... تَذِلُّ وَتَعْنُو تَحْتَهُ كُلُّ عِزَّةِ
وَيَا صَمَدُ المُعْطِي النفوسَ خَلاصَهَا ... وَتَجْرِيدَهَا مِنْ عَالَم البَشَرِيَّةِ
وَيَا صَمَدُ المُعْطِي القُلُوبَ زَكَاءَها ... وَتَعْرِيجَها في عَالَم المَلَكِيَّةِ
صَمَدْتُ بِأنْ وَفَّقْتَنِي لَكَ مُسْنِداً ... إلَيكَ مُهِمَّاتي وَفَاقَةَ ذِلَّتِي
صَمَدْتُ وما عِندِي مِنَ الخَيرِ ذَرَّةٌ ... سِوَى حُسْنِ ظَنِّي فِيكَ فهو ذَرِيعَتِي
صَمَدْتُ وما صَمْدِي بِحَولِي وَإنَّما ... بِحَمْدِكَ بالإخْلاصِ حَقَّقتُ نَهْضَتي
صَمَدْتُ وما تَخْفَى عَليكَ مَطالِبِي ... بِعَيْنِكَ إرْهَاقِي وَعَجْزِي وَمِحْنَتِي
وَما اضْطَرَّ مَنْ أَلْقَى مَقالِيدَ ضُرِّهِ ... إلى الصَّمَدِ المُعْطِي بلا قَيدِ عِلَّةِ

---

(١) المَتَوِيّة: ما يُسألُ عنه بـ مَتى؛ أي: الزمان.

القادر جلّ جلاله

وَيَا قادِراً بالذاتِ لا بِمُغايِرِ قَديمٍ يَحُلُّ الذاتَ يُدْعَى بِقُدْرَةِ
قَدَرْتَ بلا إيجابِ مَعْنًى لِقُدْرَةٍ يُغايِرُ سَلْبَ العَجْزِ في المَعْنَوِيَّةِ
وَكُلُّ صِفاتِ اللهِ لَيسَتْ مَزِيدَةً وَعَينُ التِزامِ الفَقْرِ قَبلَ المَزِيدَةِ
قَدَرْتَ على الأشياءِ لا بِشَرِيطَةٍ يُقَيِّدُها الإمْكانُ للحَدَثِيَّةِ
وَلَيسَ امْتناعُ السَّلبِ عَنْ ضِدِّ قُدرةٍ ولكنْ سِمَاتُ العَجزِ للمُستَحِيلَةِ
بِقُدرَتِكَ العُظمَى على كُلِّ حادِثٍ وتأثيرِها بالحِكْمَةِ الأزَلِيَّةِ
بإقْدَارِكَ المَخلوقَ مِنْ حَيثُ كَسْبُهُ بلا حَظِّ تَفويضٍ ولا جَبَرِيَّةِ
بِسِرِّكَ في الأقْدَارِ تَجْري كَما تَشا وَلاتَ مَجالٌ لاعْتِراضِ لِمِيَّةِ
تَكَنَّفَنِي عَجْزي الذي هُوَ مَرْكَزِي وكانَ اختِيالي سَلْبَ حَوْلِي وَقُوَّتِي
فَهَبْ لي على الشيطانِ والنفسِ قُدْرَةً وإنْ لَم تُقَدِّرْني فيا بُؤسَ هَلْكَتِي
وَهَبْ لي اقْتِداراً يُظْهِرُ العَدْلَ مُطلقاً تَقُومُ بِهِ في مَحْقِ ذِي الجُورِ دَوْلَتِي

المُقتدر جلّ جلاله

تَعَلَّقَ عَجْزي باسْمِ مُقتدِرٍ ولَم يَضِعْ عَجزُ مُلتاذٍ بِمُقْتدِرِيَّةِ
وَمالي اقْتدارٌ أنْ تَرانيَ ضارِعاً إليكَ ولكنْ أنتَ قَوَّمْتَ قُدْرَتي
وَمالِيَ تَدبيرٌ وأمْرٌ وخِيرَةٌ وَسَلْبٌ وإيجابٌ لِتَصْرِيفِ ذرَّةِ
بَلى مِنكَ إيجادِي وَإقْدَارُ نَشأتِي وَتَصْرِيفُ أطْوارِي وَإطْلاقُ مُكْنَتِي
وأكرَمْتَني بالأمرِ والنهْيِ مَظْهَراً لِعِلْمِكَ بي في سابِقِ الأزَلِيَّةِ
فَهَبْ لي اقْتداراً في مَرَاضِيكَ سَيِّدِي وَعَزِّزْ عَلى نَفسِي اقْتِدَاري وَسُلْطَتي
وَمالي ولِلأعْدَاءِ بَعدَ شِكايَتي إليكَ وَتَفويضِي إليكَ مَعِيَّتي
فَصُبَّ عَليهِم سَوطَ مُقتدِرٍ فما مَساعِيهُمُ في الأرْضِ عَنكَ بِخُفْيَةِ
فما رَجِمُوا تَحتَ اقْتِدارِكَ بائِساً ولا عايَنوا أقْدَارَهُم تَحتَ قُدْرَةِ

وَخُذهُمْ بِرِجْزٍ أَخْذَ مُقتدِرٍ كما أَخَذْتَ على الطُّغيانِ كُلَّ جِبِلَّةٍ
وَسَلِّطْ عَلَيهِم سَطْوَةَ اليَمِّ لا تَدَعْ لَهُمْ مَرْكَباً يَجْري عَلَى مَتْنِ لُجَّةِ

المُقدِّم جلَّ جلاله

أُقَدِّمُ نَفسِي حَشْوُها الخَوفُ والرَّجَا إليكَ فَقَدِّمْ يا مُقدِّمُ قُرْبَتِي
وَمَنْ لِي بِتَقدِيمِي وَمَنْ بِتَقدُّمِي إذا لم تُقَدِّمْ يا مُقَدِّمُ وَقْفَتِي
وَما نَهْضَتِي بالذِّكْرِ عَنْ حَوْلِ قُوَّةٍ ولكنْ بِتَقدِيمِ المُقَدِّمِ نَهْضَتِي
ولولا امْتنانٌ للمُقَدِّمِ لم تَزَلْ نُفوسٌ على التأخِيرِ عَنْ كُلِّ رُتْبَةٍ
وَسَابِقَةُ الحُسْنَى مَقامٌ لأَنْفُسٍ بِتَقدِيمِ مَولاها عَلَيهِ اسْتَقرَّتِ
وَمَا نَالَ مَنْ قَدَّمْتَ شَيئاً بِحَوْلِهِ ولكنَّها زُلْفَى مِنَ الأَزَلِيَّةِ
وفي دَرَجاتِ القُرْبِ أَسْرَارُ حِكْمَةٍ تُشيرُ لِفِعْلِ الاسْمِ في الرُّتَبِيَّةِ
فَمَا عَرَجَتْ تِلكَ المَعَارِجُ وَقْفَةً إذا لم تُقدِّمْها بِحَولٍ وقُوةِ
فَثَبِّتْنِيَ اللهُمَّ في كُلِّ طَاعَةٍ وفي كُلِّ إحْسَانٍ على الأَقْدَمِيَّةِ
وقَدِّمْنِيَ اللهُمَّ حَيثُ رَضِيتَنِي وَحَسْبي مَقاماً ما ارْتَضَيتَ لِخِيرَتي
فما أرْتَضِيهِ يا مُقَدِّمُ ما بِهِ غَنَاءٌ لِنَفسِي بَلْ رِضَاؤكَ غُنْيَتي

المؤخِّر جلَّ جلاله

تُؤخِّرُ مَنْ أَخَّرتَ عَنْ زُلَفِ[1] الرِّضَا لِعِلمٍ قَدِيمٍ واقْتِضَاءِ مَشِيئَةٍ
تَعَالَيتَ جَدّاً[2] مَا ظَلَمْتَ مُؤخَّراً على العَدلِ مَا تَقْضِي بِهِ في الخَليقةِ
وفي حِكْمَةِ التأخِيرِ عِزَّةُ قَاهِرٍ وَتَدبيرُ رَبٍّ وَاسْتحَالَةُ شِرْكَةِ

(١) زُلَف: قُرب.
(٢) جدَّ: عَظُم - جاء في الحديث: [تباركَ اسمُكَ، وتعالى جَدُّكَ].

تُـؤخِّـرُ مـا أَخَّـرْتَ فـي مُـسْـتَـقَـرِّهِ فـمـا يَـقـتـضِـي الـتَّـقـدِيـمَ فـيـهِ بِـحِـيـلَـةِ

وَمَنْ لَزَّهُ[1] التـأخـيرُ في قَيدِ حُكْمِهِ فـذاكَ أسِـيـرٌ لا يُـفـادَى بِـفِـدْيَـةِ

وَكَـيـفَ خُـرُوجُ الـعَـبـدِ عَنْ حَدِّ عَجْزِهِ إذا لـم تَـشـأْ تَـقـدِيـمَـهُ قَـيْـدَ خَـطْـوَةِ

وفـي نَـظْـرَةِ الاسْـمِ الـمُـؤخِّـرِ سُـلْـطَـةٌ تُـحِـيـلُ الـقُـوَى عَـنْ كُـلِّ حَـوْلٍ وَقُـوَّةِ

نَـظَـرْتَ إلـى خَـلْـقٍ فَـأخَّـرْتَ خَـطْـوَهُـم وَقَـدَّمْـتَ خَـلـقـاً رُتْـبَـةً قَـبـلَ رُتْـبَـةِ

كِلا النَّظْرَتَينِ الأمْرُ والحُكْمُ فِيهِما يُـسَـاوِقُ حُـكْـمَ الـنَّـظْـرَةِ الأزَلِـيَّـةِ

بِحَقِّ اسْمِكَ الأعْلى المُؤخِّرِ صُدَّنِي بِهِ عَنْ جِمَاحِي عَنْ هَوًى فِيهِ شَقْوَتي

وَرُدَّ عِـدَائِي عَـنْ مَـقـاصِـدِ سُـؤْلِـهِـم فـإنَّ لَهُـم سُـوءاً أحـاطَ بِـوَحْـدَتـي

الأوَّل جلَّ جلاله

وَيَـا أوَّلُ قَـبْـلَ الـوُجُـودِ وَضِـدِّهِ وَقَـبْـلَ وُجُـودِ الـكَـرَّةِ الـزَّمَـنِـيَّـةِ[2]

وَيَـا أوَّلُ لـم يَـنْـتَـسِـبْ لِبِـدَايَـةِ تَـنَـزَّهَ عَـنْ بَـدْئِيَّـةِ الـقِـدَمِـيَّـةِ

وَيَـا أوَّلُ لـم يَـفْـتَـقِـرْ لِمَـبَـادِئٍ تَـعَـالَى بِـعِـرْفـانِ الـقُـلُـوبِ الـمُـضِـيـئَـةِ

وَيَـا أوَّلُ قَـبْـلَ الـحَـقـائِقِ كُـلِّـهـا وَقَـبْـلَ وُجُـودِ الـشَّـيءِ وَالـعَـدَمِـيَّـةِ

وَيَـا أوَّلُ حَـالَ افْـتِـتَـاحِ وُجُـودِهِ تَـقَـدَّمَ ثَـبْـتُ الـسَّـبْـقِ فـي الأزَلِـيَّـةِ

وَيَـا أوَّلُ دُونَ اقْـتِـضَـاءِ مُـقَـدِّمٍ ولـكِـنْ وُجُـودٌ وَاجِـبُ الأوَّلِـيَّـةِ

وَيَـا أوَّلُ مِـنْ حَـيـثُ إيـجَـادِ خَـلْـقِـهِ وَتَـطْـوِيـرِهِـم مِـنْ بَـعْـدِ فَـقـرٍ لِعِـلَّـةِ

وَيَـا أوَّلُ بَـدْءُ الأوائِلِ صُـنْـعُـهُ فَـنِـسْـبَـتُـهـا فِـيـهِ إلـى الآخِـرِيَّـةِ

---

(١) لَزَّ: دَفَعَ.

(٢) عِوَضاً عن استخدام مُفرَدَة العَدَم للتعبير عن نقيض الوُجود ينحو أبو مُسْلم نحوَ اللامُتوَقع: الضِّد، تصعيداً للقصدِ في قصِيده، دونَ أن يفوتَ نظرَتَه الكونية تلميحه إلى أن الوجود والعدم ليسا (في الحقيقة) مُنتهى وُجُودِهِما وعَدَمِه، بل وحدتان زمنيتان محكومتان بما يدعوه في أذكاره: الكَرَّة الزمنيّة؛ الوِحْدَة الأمّ ـ المتكوِّنَة، بِدَورِها، من دَورات زمنية لا حصر لها.

وَيَـا أوَّلٌ مِـنْ حَـيـثُ ذاتـيٌّ عِـلْمِـهِ وإدْراكُـهُ الـمَـعْـلُومُ فـي الأزَلِيَّـةِ
وَيَـا أوَّلٌ بـالـذاتِ مِـنْ حَـيـثُ ذاتُـهُ بـدُونِ اعْـتِـبـارِ الـعِـلْمِ لِلصِّـفَـتِـيَّـةِ
ويـا أوَّلٌ مِـنْ حَـيـثُ وَاجِـبُ سَـبْـقِـهِ أَنِلْنِي حَياةَ السَّتْرِ واجْمَعْ تَشَتُّتِي

الآخِر جلَّ جلاله

إليكَ مَصِيرُ الكُلِّ يَا آخِرُ انْتَهَى كَـمَـا أنَّ بَـدْءَ الـكُـلِّ بـالأوَّلِيَّـةِ
وَعِـرْفَـانُـكَ الـلهُـمَّ آخِـرُ مَـنـزِلٍ إلَـيـكَ وَوَجْـهُ الـرُّتـبَـةِ الآخِـرِيَّـةِ
وَلَيـسَ بَـقَـاءُ الآخِـرِ الـحَـقِّ مُـنْـتَـهٍ وَيَـجْـرِي سِـواهُ فـي بَـقَـاءٍ مُـؤقَّـتِ
كَتبْتَ كِـتَـابَ الـحَـقِّ أنْ لَيـسَ آخِـراً سِـوَاكَ وَتَـبـقَـى أنـتَ لِلأبَـدِيَّـةِ
وَكُـنـتَ بِـلا تَـقْـدِيـمِ غَـيـرِكَ أوَّلا وَكُـنـتَ إلـهـي آخِـراً لا لِعِـلَّةِ
تَـعَـاقَـبَـتِ الأزْمَانُ بَـعـدَ حُـدُوثِـهـا وَأنـتَ إلـهـي آخِـرُ الـزَّمَـنِـيَّـةِ
بَـدَأتَ إلـهـي أوَّلِيَّـةَ نَـشْـأتِـي وَقَـدَّرْتَ تَـأخِـيـرِي بـحُـكْـمِ الـمَشِيئَةِ
وَتَـقْـديـمُ مَـنْ قَـدَّمْـتَ فَـرْعُ إرَادَةٍ وَتَـأخِـيـرُ مَـنْ أخَّـرْتَ تَـقـديـرُ حِكْـمَـةِ
إلـهي بِسِرِّ الآخِـرِ الـحَـقِّ صَـفِّـنِي[1] وَأَخْـرِجْ قَـذَى الأغْـيـارِ مِنْ بَـاطِـنِيَّـتِي
ولا يَـكُ تـأخِـيـرِي بِـذا الـكَـوْنِ عِـلَّةً بِـبُـعْـدِيَ عَـنْ عِـرْفـانِ حَـقِّ الألُوهَـةِ
وَقَـدِّرْهُ تَـأخِـيـراً رِضَـاكَ خِـتَـامُـهُ أُقَـضِّـيـهِ مَـعـصُـومـاً بِـحِـفْـظِ الـرُّبُـوبَـةِ

الظَّاهر جلَّ جلاله

ظَهَـرْتَ لِعَيْـنِ الكَـوْنِ مِنْ غَـيـرِ رُؤيَـةٍ وَغَـيـرِ ابْـتِـدَاءٍ ظَـاهِـرِ الأحَـدِيَّـةِ[2]
ظُـهُـورُكَ بـالإحْـسَانِ يَـا ظَـاهِـرُ انْـجَـلَى عـلى وَجْـهِ ذرَّاتِ الـوُجُـودِ الـبَـدِيـعَـةِ

---

(١) صَفِّني: اجعلني صافياً.
(٢) يُعمِّق الشاعرُ موقفه من الرؤية في هذا البيت على صعيدين: في الشطر الأول يؤكِّدُ ظهورَ الخالق لـ=

ظَـهَـرْتَ عَـيَـانـاً لا لإدْرَاكِ بَـاصِـرٍ ... ولكنْ بِتفْرِيجِ الكُرُوبِ العَظِيمَةِ[1]
وَبِالقُدْرَةِ المَخْصُوصِ رَبّي بِشَأْنِها ... على السَّلبِ وَالإيجَابِ وَالمُمْكِنِيَّةِ
وبـالـغَلْبِ والإجبَارِ والقَهْرِ سَيِّدي ... فـمـا ذرَّةٌ إلّا لِغَـلْبِـكَ ذَلَّتِ
وبـالـمَـظْـهَـرِ الأسْـنَـى بِـكُـلِّ دَلالَةٍ ... يَقِينِيَّةٍ لـم تَـخْـفَ عَـنْ ذِي بَـصِـيرَةِ
وبـالـعَوْنِ والتَّـزْزِيقِ يَـا ظَاهِرُ انْـجَلَى ... ظُـهُـورُكَ والألْطَـافِ والـمَـدَدِيَّـةِ
وَكَـوْنِكَ أظْـهَـرْتَ الـظَّـوَاهِـرَ مَـعْـلَـمَـاً ... يَـدُلُّ عَـلى الـسُّـلطـانِ لِلظَّـاهِـرِيَّـةِ
وَبالحُجَّةِ العُظْمَى التي أنْتَ أهْلُهَا ... عَلَى الخَلْقِ وَاسْتَوْلَتْ عَلى كُلِّ حُجَّةِ
وَبِـالـفِـعْـلِ والآيـاتِ يَـا رَبِّ والـغِـنَـى ... لِـذاتِـكَ والأحْـيَـاءِ والأحَـدِيَّـةِ
بِـسِـرِّ الظُّـهُـورِ الـحَـقِّ هَـبْ لِيَ قُـوةَ الـ ... ـظُّـهُـورِ بِـمَـا تَـرْضَـى عَـلى كُـلِّ ذرَّةِ

الباطِن جلّ جلاله

وَيَا بَاطِنَ الذاتِ اخْتَفَيْتَ بِلا اخْتِفا ... بُـطُـونـاً عَـنِ الأفْـكَـارِ وَالـنَّـظَـرِيَّـةِ
بَـطَـنـتَ بِـغُـفـرَانِ الـذنـوبِ وَعَـفْـوِهَـا ... وبـالـعِـلمِ إطْـلاقـاً بِـكُـلِّ حَـقـيـقـةِ
بَـطَـنـتَ بُـطُـونـاً أنْ تُـنَـاسِـبَ حَـادِثـاً ... بِـحَـدٍّ وَرَسْـمٍ أو بَـأيَّـةِ صُـورَةِ
بَـطَـنـتَ بـتـكْـوِيـنِ الـحَـقـائـقِ كُـلِّـهـا ... وإبْـطَـانِ مـا أوْدَعْـتَ فـي الـبَـاطِـنِـيَّـةِ
بَطَنتَ بقُدْسِ الذاتِ عَنْ غَيرِ شَأنِها ... مِـنَ الـحَـيْـثِ والـتَّـكْـيِـيـفِ والـمَـتَـوِيَّـةِ
بَطَنتَ عَنِ التَّخْييلِ والوَهْمِ سَيِّدي ... وعَـنْ شِـبـهِ مَـعْـقُـولٍ ومَـحْـسُـوسِ فِـطْـرَةِ
بَـطَـنـتَ إلـهـي بِـامْـتِـنـانِـكَ مُـطـلقـاً ... وإفْـنَـاءِ مَـا أوْجَـدْتَـهُ مِـنْ خَـلِـيـقَـةِ
بَطَنتَ بُطُوناً لا احْتِجَاباً بِحَاجِبٍ ... إلـهـي، بُـطُـونُ الـحَـقِّ بـالـصَّـمَـدِيَّـةِ

=«عين الكَون» من غير رؤية، وفي هذا إعلاء شِعريٌّ وفلسفيٌّ من خلال اجتراحه المُوفَّق لمنحوتته: «عين الكون» الداحضة لجزئية العين البشرية. فأحَدِيَّة الواحِد الأحد ظاهرة في ابتدائه وأحَدِيَّته المُتعاليتين على القائلين بالرُّؤية.

(١) رغم أن موقف أبي مُسْلم من الرُّؤية مُسَلَّمٌ به، إلّا أنَّ هذا البيت حُذِفَ من إحدى الطبعات الحديثة!

بَطَنتَ بِتَزْيينِ المَرَاشِدِ والهُدَى وبَعْثِ الحِجَا بالنَّظْرَةِ القُدُسِيَّةِ
بَطَنتَ فلا إدْرَاكَ للحِسِّ والنُّهى بدُنيا ولا أخْرَى لِعَيْنِ الحَقيقةِ
فقدِّسْ بِنُورِ البَاطِنِ الحَقِّ بَاطِنِي وَهَبْ لِيَ كَشْفَ البَاطِنَاتِ الخَفِيَّةِ

الوالي جلَّ جلاله

وَيَا وَالِيَ الأشياءِ مُلْكاً وَحَيْطَةً تُصَرِّفُها حُكْماً بحَسْبِ المَشيئةِ
تَوَلَّيْتَها بَسْطاً وقَبْضاً مُدبِّراً لها حَسْبَ ما تَختارُ، لا بِمَعُونَةِ
لأمْرِكَ سُلطانُ النفوذِ بِلا يَدٍ مُعارَضَةً أو شِرْكَةً في القضِيَّةِ
تَفرَّدْتَ بالتَّدْبيرِ في كُلِّ كَائِنٍ فما دَبَّرَ المَخلوقُ أمْراً لِشِرْكَةِ
وَكُنتَ مَلِيّاً بالوَلايَةِ قُدرةً وفِعلًا وتدبيراً بغيرِ وَسِيطَةِ
وما لي ولِلتَّدبيرِ والأمْرُ كُلُّهُ إليكَ وما لي مِنكَ مِثقالُ ذرَّةِ
وما قَدْرُ تَدْبيري وشَأنُ اسْتِطاعَتي وفي قَيدِ حُكْمٍ مِنكَ تَصْريفُ فِطْرَتي
وإسْقاطُ تَدبيرِي سُلُوكٌ مُحَقَّقٌ يُحَقِّقُهُ أمرِي لِوَالِي الحَقِيقَةِ
وما مَبْلَغُ التدبيرِ والأمْرُ مُنْتَهٍ إليكَ وأطْوَاري لِحَصْرٍ وَعِلَّةِ
إلهيَ سُلطَانُ الوَلايَةِ بَاهِرٌ لِكُليَّةِ الإمْكَانِ والجُزْئِيَّةِ
تَوَلَّ أمُوري كُلَّها وَادْفَعِ البَلا وآفَاتِ هذا الكَوْنِ وابْسُطْ وَلايَتِي

المُتعالي جلَّ جلاله

ويا مُتعَالي الذاتِ في جَبَرُوتِهِ عن النقصِ والآفَاتِ والأَشَرِيَّةِ[1]
ويا متعَالي الذاتِ حَيثُ وُجُودُهُ وَتَنزيهُهُ عن مُطلقِ الفِطَرِيَّةِ

---

(١) الأشَرِيَة: البَطَر والعُجْب.

ويـا مُـتـعَـالـي الـذاتِ حَـيـثُ عُـلُوُّهُ عـلى كُـلِّ شَـيءٍ بـاقْـتـدارٍ ورِفْـعَـةِ
ويـا مُـتـعَـالـي الـذاتِ لـلذاتِ نَـفْـسه فـأينَ إضَـافـاتـي ونَـعْـتِـي ومِـدْحَـتـي
ويا مُتعَالي الوَصْفِ عن دَرْكِ وَاصِفٍ كـمـا يـنـبـغـي لـلوَحْـدَةِ الـصِّـفـتـيَّـةِ
ويــا مُــتــعَــالٍ عــن عُــلُوٍّ مُــعَــلَّلٍ عن الـوَضْـعِ والتَّـرْكيـبِ والـجِـهَـتـيَّـةِ
عُــلوُّكَ مَــعــلومٌ كــمــا أنــتَ أهْــلُهُ عُــــلُوٌّ جَــــلالٍ وامْــــتـــلاكٍ وقُــــدْرَةِ
فـأعْـلِ عُـلُوِّي عــن تَـمَـلُّكِ فِـطْـرَةٍ وهَـمِّـي عَـنِ اسْـتِـصْـحَـابِ كُـلِّ دَنِـيَّـةِ
فـيـا مُـتـعَـالٍ كُـلَّ نَـقْـصٍ وخِـسَّـةٍ لـديَّ إذا ألْقَـيْـتـنـي تَـحْـتَ خِـسَّـتِـي
وعـن مَـرْكَـزِ الآفـاتِ لَسْـنِـيَ رَاقِـيـاً إذا أنـتَ لـم تـرْفَـعْ مَـقـامِـي ورُتْـبَـتـي
ونـفْـسِـيَ لـو جَـرَّدْتـهـا مِـنْ شُـؤونِـهـا سِـوَاكَ تَـعَـالَـتْ عَـنْ سَـوَاءِ الـنَّـقِـيـصَـةِ

البَرّ جلَّ جلاله

ويـا بَـرَّ أهْـلِ الـبِـرِّ يـا مُـحْـسِـنـاً عـلى خَـلـيـقـتِـهِ مَـنّـاً بِـكُـلِّ مَـبَـرَّةِ
تَـعَـرَّفْـتَ بـالـنَّـعْـمَـاءِ يـا بَـرُّ ظـاهِـراً وبـاطِـنَـةً فـي الـديـنِ والـدُّنـيَـويَّـةِ
ومِـنْ بَـرِّكَ الأعْـمـالُ يـا بَـرُّ والـجَـزا ومِـنْ بَـرِّكَ اسْـتِـدْعَـاؤنـا لـلعَـطِـيَّـةِ
ومِـنْ بَـرِّكَ الإحْـسَـانُ مُـتَّـصِـلاً بـمـن يُـبَـارِزُ بـالـعِـصْـيَـانِ والـبَـطَـرِيَّـةِ
وأعْـظَـمُ بِـرٍّ بِـرُّ مَـنْ سَـبَّـبَ الـرِّضَـا وأعْـطَـى الـرِّضَـا والـقُـرْبَ بـالـسَّـبَـبِـيَّـةِ
وألْـطَـفُ بِـرٍّ مَـنْ يُـلاطِـفُ عَـبْـدَهُ ويَـرْحَـمُـهُ قَـبـلَ احْـتـسـابِ الـعُـبُـودَةِ
وأكْــرَمُ بِــرٍّ مَــنْ يُــوَفِّــقُ عَــبْــدَهُ وَيَـحْـبُـو مُـرِيـدِيـهِ بـكَـشْـفِ الـطَّـرِيـقَـةِ
وبِـرُّكَ فـي الإعْـطـاءِ والـمَـنـعِ كَـامـلٌ إذا كـانَ مَـنـعـاً فـيـهِ تَـقـديـرُ خِـيـرَةِ
وفـي نَـظَـرِ الـبَـرِّ الـرَّحِـيـمِ كِـفـايَـةٌ لـمَـخْـلُوقِـهِ فـي مَـنْـعِـهِ والـعَـطِـيَّـةِ
تَـوَجَّـهْـتُ بـاسْـمِ الـبِـرِّ يـا بَـرُّ بَـائِـسـاً وأيـقـنـتُ مِـنْ بِـرِّ الـكَـريـمِ بِـبُـغْـيَـتـي
فـأسْـبِـغْ عَـليَّ الـبِـرَّ يـا بَـرُّ شَـامِـلاً لـعَـاجِـلَـتـي والـدِّيـنِ والأخْـرَوِيَّـةِ

التوّاب جلّ جلاله

أتـى عَـبْـدُكَ الـخـطّـاءُ جَـهْـلًا وغِـرَّةً ... مِـنَ الـذنـبِ يـا تـوَّابُ كُـلَّ عَـظِـيـمَـةِ

وَتَـوْبُـكَ بـالـتـيـسِـيـرِ لـلتَّـوْبِ شَـافِـعِـي ... بـأنـكَ يـا تَـوَّابُ قَـابِـلُ تَـوْبَـتـي

تَتُـوبُ بِـتَـوْفِـيـقِ الـمَـتـابِ لِـمَـنْ عَـصَـى ... لـيَـخْـرُجَ مِـن خُـذلانِـهِ فـي الـخَـطـيـئـةِ

وَتَـوْبُـكَ بـالإحْـسَـانِ لـلـعَـبـدِ مُـطـلـقـاً ... جَـمِـيـلُ اقْـتِـدارٍ وامْـتِـنـانُ أُلُـوهَـةِ

تَـجَـاوزتُ يـا تَـوَّابُ طَـورِي ولـم أَدَعْ ... سِوَى الشِّرْكِ ذنباً لـم تُقارِفْهُ خَيرَتِي

فـلـم تَـقْـطَـعِ الإحْـسَـانَ والـكَـرَمَ الـذي ... يَـلـيـقُ بـمَـجْـدِ اللهِ مِـنْ كُـلِّ وِجْـهَـةِ

ولـم تُـغْـلِـقِ الأسْـبـابَ دُونـي تَـأَنِّـيـاً ... ولُـطـفـاً وتَـوفِـيـقـاً لـتـحْـقـيـقِ تَـوْبَـتـي

وفــي كُــلٍّ هــذا لا أُزَائِلُ[1] سَــوْءَةً ... ولا أَتَّـقِـي مـا فـيـهِ وَيْـلِـي وشَـقْـوَتـي

وذاكَ عَــلـى عِــلْـمِـي بــأنِّــيَ رَاجِــعٌ ... إلـى كِـبْـرِيَـاءٍ لا تَـضِـيـقُ بِـعَـثْـرَتـي

لـيَ الـوَيْـلُ يـا تَـوَّابُ إنْ فَـاتَـنـي الـرِّضَـا ... وتَـوْبُـكَ يـا تَـوَّابُ يـا رَبُّ عِـصْـمَـتـي

إلـهـي تَـدَارَكْـنِـي بِـتَـثْـبـيـتِ تَـوْبَـةٍ ... نَـصُـوحٍ وَكَـوِّنْ حِـلْـيَـةَ الـتَّـوْبِ حِـلْـيَـتـي

المنتقم جلّ جلاله

إلـى اللهِ أشْـكُـو وهُـوَ مُـنـتـقِـمٌ يَـداً ... عَـتَـتْ وَبَـغَـتْ وَاسْـتَـعْـبَـدَتْ خَـيْـرَ أُمَّـةِ

يَـداً آسَـفَـتْ ذا الانـتـقـامَ ونَـازَعَـتْ ... لـهـا الـوَيْـلُ حَـقَّ الـكِـبْـرِيـاءِ فَـشُـلَّـتِ

إلـى اللهِ أشْـكُـو فِـعْـلَـهـا فـي عِـيَـالِـهِ ... وغِـيْـرَتُـهُ لـلـحَـقِّ أعْـظَـمُ غِـيـرَةِ

إلـهـيَ جُـهْـدُ الـعَـبـدِ أنْ يَـرفَـعَ الـدُّعَـا ... بـتـوفِـيـقِـكَ الـلـهُـمَّ عِـنـدَ الـبَـلِـيَّـةِ

وَقَـدْ حَـلَّ بـالإسْـلامِ مـا لَـسْـتَ رَاضِـيـاً ... مِـنَ الـفِـئـةِ الـبَـاغِـيـنَ فَـوقَ الـبَـسِـيـطَـةِ

وكِـلْـمَـتـك الـعُـلـيـا وأنـتَ بـأخْـذِهِـم ... قَـديـرٌ وفـي الإمْـلاءِ أعْـظَـمُ أخْـذَةِ

فـعَـاجِـلْـهُـمُ بـالأخْـذِ واقْـصِـمْ ظُـهُـورَهُـم ... فـقَـدْ أضْـبَـحَ الإسْـلامُ مِـنـهُـم بِـذِلَّـةِ

---

(١) لا أزائل: لا أفارق.

كما أمْعَنوا في الظُّلمِ واسْتَلأَمُوا لَهُ
ولم يَرْقُبُوا في مُؤمِنٍ حَقَّ ذِمَّةِ

فَعَيْنُكَ بالمِرْصَادِ واللهُ غَالِبٌ
وَحِزْبُكَ مَنصُورٌ وَحَزبُكَ نَجْدَتِي

تَجَلَّ عَلَيهِم باسْمِ مُنْتَقِمٍ وخُذْ
قُوَاهُم بِوَهْنٍ وابْتَدِرْهُم بِسَطْوَةِ

أَبِدْهُم شَدِيدَ الانْتِقَامِ وَرُدَّهُم
مَرَدّاً وَبِيلًا بَينَ خِزْيٍ وَلَعْنَةِ

العَفُوُّ جلَّ جلاله

إلهي عَظِيمَ العَفْوِ أوْقَرْتُ مَأثَماً
وَعَفْوُكَ يَمْحُو يا عَفُوُّ جَرِيرَتي

إلهي عَمِلْتُ السُّوءَ وانْقَدْتُ للهَوى
وبَاعَدَ ما بَيني وبَينكَ زَلَّتي

ولكنْ إذا قَارَنْتُ عِظْمَ خَطِيئَتِي
بعَفْوِكَ لم تَعْدِلْ بِمِثْقَالِ ذَرَّةِ

ولو أنَّ حَشْوَ الكَونِ وِزْراً حَمَلْتُهُ
لكانَ بِبَحْرِ العَفْوِ أحْقَرُ نُقْطَةِ

إلهي فَتَحْتَ البابَ للعَفْوِ فانْتَهتْ
إليهِ نِهَاياتُ العُصَاةِ وَآبَتِ

لقَدْ ضَاقَ بي مِنْ عِظْمِ زَلّاتِيَ الفَضَا
وحَقَّتْ إذا لم تَعْفُ عَنِّيَ شَقْوَتي

وعَفْوُكَ عَنِّي يا عَفُوُّ كَرَامَةٌ
ومَنٌّ ولا اسْتِحْقَاقَ لِي في الكَرَامَةِ

لَئِنْ نِلْتُ مِنكَ العَفْوَ مِنْ بَعدِ تَوْبَةٍ
فأنتَ بفضْلٍ مِنكَ يَسَّرْتَ تَوْبَتي

وَهَبْ أنني وَفَّيتُ ما أنتَ آمِرٌ
بهِ حَسْبَ إمْكَانِي وَغَايَةِ قُوَّتِي

فذلكَ إمْكَانٌ بِهِ أنتَ مُسْعِفِي
وإلّا فما أمْرِي وشَأني وقُدْرَتي

ففي كُلِّ حَالٍ يا عَفُوُّ عِنَايَةٌ
ولُطْفٌ بهذا العَبدِ في كُلِّ خَلَّةِ

الرَّؤوف جلَّ جلاله

إلهي تَعَطَّفْ يا رَؤوفُ بمَوْقِفي
وَمَنظَرُكَ الأعْلى مَقامِي وَوَقْفَتِي

إلهيَ يا مَنْ لا يُجَاوِزُهُ الرَّجَا
ولا تَتَعَدَّاهُ ظُنُونُ الخَلِيقَةِ

إلهيَ يا مَنْ لا يَضِيعُ مُلِظُّهُ[1] ... ويا مُنتَهى خَوفي وَغايَةَ وَحْشَتِي

تَداوَلَني[2] أيدِي الذنوبِ وَقادَني ... زِمَامُ الخَطايا في مَجاهِلِ ضَلَّتِي

قَدْ اسْتَحْوَذ الشيطانُ رَبِّ عَلَيَّ في ... مُناصَبَتي إيّاهُ مِنْ سُوءِ خِيرَتي

فَقصَّرْتُ تَفريطاً عَنِ الأمْرِ مُطْلَقاً ... وَقارَفْتُ تَغْريراً لنَهْيِ الشَّريعَةِ

كَمُنكِرِ إحْسانٍ وآمِنِ أخْذَةٍ ... ومُهْمِلِ إيعادٍ وجاهِلِ قُدْرَةِ

رَأيتُ بِفَتْحِ الجَفْنِ عَنْ بَصَرِ الهُدى ... فَظَاعَةَ عِصْياني وكُبْرَ جَريمَتي

فَأقْبَلتُ بالآمالِ مُسْتَحْيِياً إلى ... فِنائِكَ تَحتَ الرَّأفَةِ الأزليَّةِ

خَلا طَمَعِي إلّا مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ... وَأفْرَخَ إلّا مِنهُ رَوْعِي وَرَوْعَتِي

أبُثُّكَ مِنْ سِرِّي ضَميراً عَلِمْتَهُ ... خُشوعاً فآمِنْ يا رَؤوفُ مَخافَتِي

مالك المُلك جلّ جلاله

ويا مَالِكَ المُلْكِ الجَليلَ اقتِدارُهُ ... لَهُ في بَرَاياهُ نُفوذُ المَشِيئَةِ

ويا مَالِكَ المُلكِ الغَنِيَّ وَمَنْ لَهُ ... يَدُ السَّلبِ والإيجابِ مِنْ غَيرِ ظَهْرَةٍ[3]

ويا مَالِكَ المُلكِ العَزيزَ ومَنْ لَهُ ... كَمالُ التَّوَلِّي وافْتقارُ الخَليقَةِ

ويا مَالِكَ المُلكِ المُبِرَّ عِبادَهُ ... بِقِسْمَةِ عَدْلٍ بينَ كَثْرٍ وقِلَّةِ

ويا مَالِكَ المُلكِ الذي بِيَمِينِهِ ... مَفاتيحُ للاشْيا انْتَهَتْ واسْتَقرَّتِ

بحَولِكَ تُؤتِ المُلكَ يا رَبِّ مَنْ تَشأْ ... وَتَنْزِعُهُ مِمَّنْ تَشاءُ لِحِكْمَةِ

وأنتَ مُعِزٌّ مِنْ تَشا ومُذِلُّ مَنْ ... تَشاءُ بتَصْريفِ اقْتِضاءِ الألُوهَةِ

لَكَ المُلكُ لم يُنْقِصْ خَزائِنَكَ العَطَا ... لَكَ الحَمدُ لم تَسْأمْ بِعُظْمِ العَطِيَّةِ

وفي يَدِكَ الخَيرُ الذي أنتَ أهْلُهُ ... وخَيرُكَ رَبِّي عِدَّتي عندَ شِدَّتِي

---

(١) المُلَظّ: المِلْحاح في دعاء الخالق.

(٢) أي: تَتَداوَلُني.

(٣) ظَهْرَة: مُعين.

إلـيـكَ إلـهـي أَرْفَـعُ الـفَـقـرَ مُـطْـلَقـاً
فـإنَّ افْـتِـقـاري مُـطْـلَقٌ وَضَـرُورَتِـي

فـمـا خَـفِـيـتْ مِـنْ سُـوءِ حَـالـيَ ذرَّةٌ
عَـلـيـكَ ولا عَـزَّتْـكَ مَـولايَ حَـاجَـتـي

ذو الجلال والإكرام جلَّ جلاله

ويـا ذا الـجَـلالِ الـقـائـمَ الـدَّائِـمَ الـعُـلا
وذا الـبِـرِّ والإكْـرَامِ يـا ذا الـعَـطِـيَّـةِ

ويا ذا الـجَلالِ الغَالِبَ البَاهِرَ السُّطَى
وذا الـبِـرِّ فـي إكْـرَامِـهِ لِلبَـرِيَّـةِ

ويا ذا الجَلالِ العَاصِمَ المَانِعَ الحِمَى
وذا الـمَـنِّ والإكْـرَامِ قـبـلَ الـوَسِـيـلَةِ

ويا ذا الجَلالِ القَاسِرَ[1] الخَلقَ حَوْلَهُ
وذا الـبَـسْـطِ والإكْـرَامِ والـمَـدَدِيَّـةِ

ويا ذا الجَلالِ المُطْلَقَ الشأنِ والذي
تَـقـدَّسَ فـي الإكْـرَامِ عَـنْ غَـرَضِـيَّـةِ

ويا ذا الجَلالِ الكَانِفَ[2] الخَلقِ أمرَهُ
بِـقَـهْـرٍ وإكْـرَامٍ وعَـدلٍ ومِـنَّـةِ

جَلالُكَ سُلطانـي وعِـزِّي ومَـنْـعَـتـي
وإكْـرَامُـكَ الـمَـمْـدُودُ مَـفْـزَعُ عُـسْـرَتـي

جَلالُكَ مَجْدِي يا جَليلُ وعِصْـمَـتـي
وإكْـرَامُـكَ الـفَـيَّـاضُ مَـوئِلُ شَـقْـوَتـي

جَلالُكَ ذُو نَـصْـرِي وَقَـدْ عَـزَّ نـاصِـرِي
وإكْـرَامُـكَ الـفَـتـاحُ مُـشـبِـعُ نِـعْـمَـتـي

أَلَظَّ افْـتِـقـاري ذا الـجَـلالِ وَذِلَّتِـي
وَبِـاسْـمِـكَ ذا الإكْـرَامِ فـارْحَـمْ مَـلَظَّـتِـي

وَعَزِّزْ جَلالي ذا الجَلالِ على العِدَى
فَـعِـنْـدَكَ ذا الإكْـرامِ إكْـرَامُ وَقْـفَـتِـي

المُقْسِط جلَّ جلاله

وَيَا قَائِماً بالقِسْطِ يا مُقسِطَ القَضَا
ويـا عَـادِلاً فـي الـحُـكْـمِ أقسِطْ شَـكِـيَّتِي

أُنـادِيـكَ مَـظـلومـاً بـأحْـكَـامِ مُـقـسِـطٍ
وَطُـغْـيَـانِ ظَـلّامٍ طَـغَـى فـي الـبَـرِيَّـةِ

تَعَادَتْ عَلَى ضَعْفِي قُوَاهُم فأثْخَنَتْ
ومِنكَ وأنتَ المُقسِطُ العَدلُ نُصْرَتي

(١) القاسِر: القاهر المُسيطِر.

(٢) الكانِف: الساتِر، المُحيط، الضام ـ يُقال: فلانٌ مخذولٌ لا تَكْنُفُهُ من الله كَانِفَة.

وإنّي، وأنتَ المُقسِطُ العَدلُ، مُوقِنٌ
بِغيرَتِكَ اللهُمَّ مِنْ دُونِ غِيرَتِي

ولكنَّ صَبرَ العَبدِ دُونَ بَلائِهِ
وفي قِسْطِكَ اللهُمَّ فَصْلُ القَضِيَّةِ

وَأيْنَ تَعَالِيهِم وَأنتَ مُبِيرُهُم[1]
وَقَاصِمُهُم قِسْطاً وَلَو بَعدَ مُهْلَةِ

وإمْهَالُكَ الأعْدَاءَ مَقْتٌ يَلُفُّهُم
إلى نَقْمَةٍ مَوعُودَةٍ مُقسِطِيَّةِ[2]

مَحَالُ نَكِيرِ القِسْطِ فَوقَ مَحَالِهِم
وَعَدْلُكَ مَكْتُوبٌ على كُلِّ ذرَّةِ

وَعَدْلُكَ قَدْ قَامَتْ بِهِ الأرْضُ والسَّما
وَغَيْرُهُما مِنْ كَائِناتِ الخَلِيقَةِ

وحَسْبي بِقِسْطِ اللهِ بيني وبَينَهُم
وذلكَ حُكْمٌ لا يُرَدُّ بِعِلَّةِ

فيا قائماً بالقِسْطِ يا مُقْسِطُ انْتَصِفْ
بِعَدْلِكَ مِنهُم واكْفِنِيهِمْ بِقَصْمَةِ

الجامع جلَّ جلاله

ويا جَامِعَ الأجْزاءِ تَأليفَ مُتْقِنٍ
وَحِكْمَةَ مُخْتارٍ لِفِعْلِ الطَّبيعَةِ

ويا جَامِعَ الأجزاءِ بعد فَنائِها
مُعيداً لها عِندَ انْتِشارِ الخَليقةِ

ويا جَامعَ الأجْسادِ بَعدَ انْفِصالِها
وأزْواجِها عَوْداً لِمُبْتَدَئِيَّةِ

ويا جَامعَ الأضْدَادِ جَمْعاً مُوَفَّقاً
ويا جَامعَ الأمْثالِ بعد تَشَتُّتِي

ويا جَامعَ الألبَابِ جَمْعَ تَوَادُدٍ
لِيَلْطُفَ بالتَّأليفِ بَينَ الأحِبَّةِ

ويا جَامعَ الألبابِ مِنْ أوْلِيَائِهِ
لِتَشْهَدَ مِنهُ مَشْهَدَ العِظَمِيَّةِ

ويا جَامعَ المَظْلُومِ والظَّالِمِينَ في
مَقامِ الجَزا والفَصْلِ يَومَ القِيامَةِ

إلهيَ أكْرِمْنِي بِجَمْعِ الشَّرِيعَةِ
وَجَمْعِ طَرِيقِ اللهِ عند الحَقيقَةِ

إلهي بِسِرِّ الجَامِعِ الجَمْعَ ليَ الغِنى
عنِ الخَلقِ في نَفسِي وفي وَاجِدِيَّتي

وَهَبْ لي غِنًى مَوْلايَ بِالحَقِّ جَامِعاً
ليَ الخَيرَ في الدَّارَيْنِ واجْمَعْ تَشَتُّتي

ويا جَامِعَ الخَيرَاتِ كَيفَ أرَادَها
لِمَنْ شَاءهُ اجْمَعْ لِي جَوامِعَ خِيرَتِي

---

(١) مُبيرُهُم: مُهلِكُهُم.

(٢) مُقسِطِيَّة: عادِلَة.

الغنيُّ جلَّ جلاله

وُجُوبُ الغِنَى حَقُّ الغَنِيِّ لِذاتِهِ — تَقدَّسَ عَنْ نَقْصٍ وَعَنْ عارِضِيَّةِ

غِناكَ قَدِيمٌ في الصِّفاتِ وذَاتِكَ الـ — ـجَلِيلِ وفي أفْعالِكَ القُدُسِيَّةِ

غَنيٌّ غِناهُ مُطْلَقٌ وَاجِبُ البَقا — وَكُلُّ قُيودِ الفَقْرِ لِلْحَدَثِيَّةِ

غَنِيٌّ غِناهُ لا يَحُولُ بِمَانِعٍ — وما فَوْقَهُ مُغْنٍ ولا تَحْتَ عِلَّةِ

غنيٌّ تَجَلَّى بِالغِنَى في شُؤُونِهِ — غِناءً حَقيقياً عَنِ المُمْكِنِيَّةِ

غَنيٌّ غِناهُ لا يُساوى بِمِثْلِهِ — ولا يَتَخَطَّاهُ افْتِقارُ الخَلِيقَةِ

غنيٌّ غِناهُ لا يَبيدُ بِمُنْتَهَى — ولَم يَتَعَلَّقْ عَزَّ شَأناً بِنِسْبَةِ

إلهي غَنِيَّ الأغْنِياءِ مُمِدَّهُم — مَلِكْتَ افْتِقاري يَا مَليكُ وَغُنْيَتي

أفِضْ لِي غَنِيَّ الأغْنِياءِ غِنَايَةً — بِفَضْلِكَ يا ذا الرَّحْمَةِ الأوْسَعيَّةِ

إلهي غَناءُ العبدِ بالحَقِّ لا سِوَى — هنا انْتَصَبَتْ بِالفَقْرِ أيْدِي البَرِيَّةِ

وإغْنَاؤُكَ الفَاقاتِ لَيسَ يُحِيلُها — إلى مَرْكَزٍ عَنْ فَقْرِها بِالضَّرُورَةِ

المُغْني جلَّ جلاله

إلهيَ عَرْضِي لافْتِقارِي وَفَاقَتِي — إلى رَحْمَةِ المُغْنِي الكَريمِ ذَرِيعَتِي

بعَينِكَ يا مُغْنِي الفقيرِ ضَرَاعَتي — وفَقْرِي وإعْدَامِي وقِلَّةُ حِيلَتي

بفَضْلِكَ يا مُغنِي الفَقيرِ فَتَحْتَ لي — دُعَاءَكَ فافْتَحْ لي كُنوزَ الإجَابَةِ

إلهي جَعلتَ الكائناتِ فَقِيرَةً — إليكَ ضِعافاً في عِقالِ المَشِيئَةِ

فمَنْ لي بِإغْنَائي سِواكَ وكُلُّ ما — سِواكَ فَقيرٌ لا يَقومُ بِخَلَّتي

وَشِدَّةُ ضُرِّي في قَضائِكَ دَعْوَةٌ — ولَوْ لَمْ تَقُمْ بِالقَوْلِ مَولايَ دَعْوَتي

إلهي قَديمُ البِرِّ والذِّكْرِ مِنكَ لي — وتَرْبِيَتِي في كُلِّ طَوْرٍ بِنِعْمَةِ

وَتَيْسِيرُكَ الأسْبابَ لي مِنْ وُجُوهِها — وإغْناؤكَ اللهُمَّ لي فَوقَ مُنْيَتي

وهذا امْتِنانٌ مِنكَ لم أحْتَسِبْ لَهُ — بِأُمْنِيَةٍ تَعْدُوكَ رَبِّ وَنِيَّةِ

وأنتَ الذي تُغْنِي وتُقْنِي بِمِنَّةٍ[1] عَلَى غَيرِ ما اسْتِحْقاقِ عَبدٍ لِذرَّةٍ
حَنانَيْكَ يا مُغْنِي ابْسُطِ العِزَّ والغِنَى بِفَضْلِكَ لي لا تَبْتَذِلْنِي لِفِطْرَةٍ

المانع جلَّ جلاله

ويا مَانِعَ الأسْواءِ عَنْ أوْلِيَائِهِ وأَعْدَائِهِ حَسْبَ اخْتِصَاصِ المَشِيئةِ
ويا مَانِعَ الإعْطَاءِ يا مُعْطِيَ العَطَا لأمْرِكَ حَقُّ المَنْعِ مِثْلُ العَطِيَّةِ
ويا مَانِعَ الأشياءِ حِفظاً مُهَيِّئاً لأسْبابِ حُكْمِ الحِفْظِ والمَانِعيَّةِ
مَنَعتَ قُلُوبَ المُتَّقِينَ مِنَ الهَوَى وذاكَ عَطَاءٌ سَيِّدي في الحَقيقةِ
ومَنْعُكَ للكُفَّارِ عَنْ مَنْهَجِ الهُدى تَباركتَ مِنْ أسْرَارِكَ القَدَرِيَّةِ
لِتُظْهِرَ حُكْمَ العَدْلِ والقَهرِ، ما هُنا مِنَ الظُّلْمِ يا ذا العَدْلِ مِثقالُ ذرَّةٍ
وَمَنْعُكَ عَنِّي بَعضَ ما أنا طَالِبٌ تَيقَّنْتُ أنَّ المَنعَ فِيهِ لخِيرَتي
وَمَنعُكَ لي عَنْ بَعضِ ما هُو ضَائِري عِنايَةُ خَيرٍ بي وَمَحْضُ مَوَدَّةٍ
لكَ الحَمدُ لا أحْصِي ثَنَاءً عَليكَ في حُقوقكَ إنَّ العَجْزَ والحَصْرَ قُوَّتي
بسُلْطَانِكَ امْنَعْنِي إلهي مِنَ البَلا ءِ في الدينِ والدنيا ويوم القِيامَةِ
وَرُدَّ العِدَى عَنِّي بما شِئتَ إنَّنِي أحَاطَتْ بِيَ الأعْدَاءُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

الضَّار جلَّ جلاله

ويا ضَارُّ حَالَ النَّفعُ عَمَّنْ أرَدْتَهُ بِضُرٍّ وكَشْفُ الضُّرِّ مُلْكُ الألُوهَةِ
تَضُرُّ فلا يَغلُو عَليكَ مُغيِّرٌ ولا يَتَّقِي المَضْرُورُ عَنكَ بِمِنْعَةٍ
تَضُرُّ جَزاءً وابْتِلاءً كما تشا وذلكَ عَدلٌ سَابقٌ في القَضِيَّةِ

---

(١) تُقني: تُمَكِّنُ من الإقتناء.

وما لِسُؤالِ العَبدِ مِنْ فِعْلِ رَبِّهِ مُحالٌ ولكِنْ كِلْمَةُ اللهِ حَقَّتِ
وليسَ وُجودُ الضُّرِّ مِنا لِقُدْرَةٍ مُجَرَّدَةٍ للذاتِ عَنْ سَبْقِ قُدْرَةِ
تَبَرَّأْتُ مِنْ طَوْلٍ وَحَوْلٍ وَقُوَّةٍ سِوى اللهِ في نَفْعٍ وأيِّ مَضَرَّةِ
بِكَ الضُّرُّ مِنكَ النفعُ والحِكْمَةُ اقْتَضَتْ حُدوثَ القضايا في القُوَى السَّبَبِيَّةِ
وما لِقُوى الأسْبابِ فِعْلٌ لِذاتِها ولكِنَّها آثارُ فِعْلٍ وَقُوةِ
إلهي قد اسْتَسْلَمْتُ للحُكْمِ راضِياً قَضاءَكَ مُلْتاذاً بِرُكْنِ المَشِيئةِ
كَشَفتُ بِكَ الضُّرَّ الذي مَسَّنِي بِمَا تَيَقَّنْتُ أنَّ اللهَ كَاشِفُ كُرْبَتي
وَخُذْ بِعَظيمِ الضُّرِّ نَفساً جَريئةً على اللهِ رَجْعَ الطَّرْفِ أعْظَمَ أخْذَةِ

النافع جلَّ جلاله

ويا نَافِعُ انْفَعْنِي بِحُبِّكَ خَالِصاً بِحُبِّكَ لي يا مَنْ أحَبَّ مَحَبَّتِي(1)
ويا نَافعُ انفعني بِتحْقيقِ تَوْبَتي وتَثْبِيتِهَا يا رَبِّ عَنْ كُلِّ زَلَّةِ
ويا نَافعُ انفعني بِنُورِكَ إنني إذا لم تُنوِّرْني هَلَكْتُ بِظُلْمَتي
ويا نَافعُ انفعني بِتقْدِيسِ بَاطِني وتَزْكِيَتي مِنْ آفةِ البَشَرِيَّةِ
ويا نَافعُ انفعني بِعِرْفانِ خَالِقي وإحْيَاءِ سِرِّي واتِّقادِ بَصِيرَتي
ويا نَافعُ انفعني بأسْمَائِكَ التي بِها ظَهَرَتْ رَبِّي صِفاتُ الألُوهَةِ
ويا نَافعُ انفعني بأوْصَافِكَ التي تَقاصَرَ عَنها مُدْرِكُ الوَاصِفِيَّةِ
ويا نَافعُ انفعني بِوَحْيِكَ إنَّهُ شِفاءٌ، هُدًى، نُورٌ، جَلالٌ لِكُرْبَتي
ويا نَافعُ انفعني بِنُورِ مُحَمَّدٍ وبَارِكْني اللهُمَّ بالتَّبَعِيَّةِ
ويا نَافعُ انْفَعْنِي بأذْكَارِكَ التي صَرَفْتُ لَهَا حُباً لِوَجْهِكَ خِدْمَتي
ويا نَافعُ انفعني بِخَوْفِكَ والرَّجا وبالعَدْلِ والإحْسَانِ في كُلِّ خِصْلَةِ

---

(1) في نسخة أخرى ورد الشطر الثاني، هكذا: بِحُبِّكَ لي يا مَن هَواهُ فَريضَتي.

النور جلَّ جلاله

ويـا نُـورُ نُـورَ الـنُّـورِ يَـهْـدِي لِنُـورِهِ بـأَنْـوَارِ اسْـمِ الـنُّـورِ ذا الـسَّـابِـقِـيَّـةِ[1]

ويـا نُـورُ وَصْـفـاً مـنـك بـالـذاتِ لائـقـاً تَـقَـدَّسْـتَ عَـنْ جِـسْـمٍ وعَـنْ عَـرَضِـيَّـةِ

ويـا نُـورُ بـالـعَـدْلِ الـذي لَكَ مُـشْـرِقـاً على صَـفـحَـةِ الـتـكْـوِيـنِ فـي كُـلِّ ذرَّةِ

ويـا نُورُ مِنْ حَيثُ الظُّهُورِ الذي بَدَا بِـمُـنْـفَـعِـلِ الـتَّـأثـيـرِ والـفَـاعِـلِـيَّـةِ

ويـا نُـورُ مِـنْ حَـيـثُ الـظُّـهُـورُ لِغَـيْـرِهِ بـإِخْـرَاجِـهِ مِـنْ عَـالَـمِ الـعَـدَمِـيَّـةِ

ويـا نُـورُ مُـلْـقِـي الـنُّـورِ فـي كُـلِّ نـيِّـرٍ وَمَـشْـرِقِ أضْـواءِ الـقُـلُوبِ الـمُـضِـيـئةِ

ويـا نُـورُ رُوحُ الأمِـرِ مِـنْ حَـيـثُ أمْـرُهُ وإِصْـدَارُهُ بـالأمْـرِ عَـنْ عَـيْـنِ قُـدْرَةِ

ويـا نُورُ رُوحُ الـقُـدْسِ مِنْ حَيثُ نَفْـثُـهُ وإِلـهَـامُـهُ لـلرَّوْعِ نُـورُ الـحَـقـيـقْـةِ

ويـا نُـورُ جِـبْـرَائِـيـلُ مِـنْ حَـيـثُ وَحْـيُـهُ على ظَـاهِـرِ الألْـبَـابِ ظَـهْـرُ الـشَّـرِيـعَـةِ

بِـنُـورِكَ نـوِّرْنِـي وَهَـبْ لـي مَـرَاتِـبَ الـ ـيَـقِـينِ وَمَـزِّقْ حُـجْـبَ طَـبْـعِـي وَظُـلْـمَـتِـي

بِـنُـورِكَ أَوْقِـفْـنِـي عَـلـى جَـنْـبِ بَـاطِـنِـي فَـمَـعْـرِفَـتِـي إِيَّـاكَ عِـرْفَـانُ رُتْـبَـتِـي

الهادي جلَّ جلاله

ويـا هَـادِيـاً مَـنْ شَـاءَهُ مِـنْ عِـبَـادِهِ لـعِـرْفَـانِـهِ بـالـذاتِ لا بِـوَسِـيـطَـةِ

ويـا هَـادِيـاً مَـنْ شَـاءَهُ مِـنْ عِـبَـادِهِ إلـى ذاتِـهِ سُـبْـحَـانَـهُ بـالـخـلِـيـقـةِ

ويـا هَـادِيَ الأحْـيَـاءِ لُطْـفـاً ومِـنَّـةً إلـى جَـلْـبِـهَـا نَـفْـعـاً وَدَفْـعَ مَـضَـرَّةِ

ويـا هَـادِيـاً بـالـوَحْـيِ لـلخَـلْـقِ حُـجَّـةً لـئـلّا يَـكُـونَ الأَخْـذُ إلّا بِـحُـجَّـةِ

ويـا مَـنْ هَـدَى الـنَّـجْـدَيْـنِ كُـلَّ مُـكـلَّـفٍ تَـمَـامَ الـهُـدَى فَـضْـلًا بِـنَـصْـبِ الأدِلَّـةِ

---

(١) ملحوظة: تَرِدُ في هذا البيت، لا سيما في الشَّطرِ الأول مُفردة (نور) مُتتالِيَةً، دونَ فاصِلٍ، بحَرَكاتِ إعرابها الثلاث: نورُ/ نورَ/ نورِ، وهي واحدة من الخصائص الأسلوبية التي تتفرَّدُ وتمتاز بها الجُملَةَ الشعرية لدى أبي مُسْلِم.

ويا هَادِيَ الألبَابِ مِنْ حَيثُ أَنَّهُ تَكَرَّمَ هَادِيها بِخَلْقِ الهِدَايَةِ

ويا مَنْ هَدَى لِلقُربِ عَارِفَهُ وَمَنْ هَدَى لِنَصُوحِ التَّوْبِ أهْلَ الخَطِيئةِ

ويا مَنْ هَدَى قَلْبَ المُرِيدِ بِصِدْقِهِ مَعَ الحَقِّ حتى لَاتَ أَحْقَرُ لَفْتَةِ

ويا هَادِياً مِنْ حَيثُ قَدَّمَ أهْلَهُ إلى الرُّتَبِ العَلْيَاءِ والسَّابِقِيَّةِ

هَدَاكَ الهُدَى يا هَادِيَ الرُّشْدِ فاهْدِني إلى مُوجِبِ الرِّضْوانِ مِنْ كُلِّ قُرْبَةِ[1]

وَهَبْ لِيَ حَظاً مِنْ هُدًى يُهْتَدَى بِهِ إليكَ وَيَهْدِي الخَلْقَ لي بِالمَوَدَّةِ

البديع جلَّ جلاله

إلهي البَدِيعَ المُسْتَحِيلَ مِثالُهُ بذاتٍ وأوْصَافٍ وفي المُبْدِعِيَّةِ

إلهي البَدِيعَ المُبدِعَ الصُّنْعَ كُلَّهُ عَجَائِبُ لَمْ يُسْبَقْ إليها بِصَنْعَةِ

إلهي بَدِيعَ الكَائِناتِ ابْتَدَعْتَها ولم تَبْغِ في إنْشَائِها مِنْ مَعُونَةِ

إلهيَ ما أبْرَزْتَهُ مِنْ غَرَائِبِ شُهودٌ على الإبْداعِ في كُلِّ ذرَّةِ

شُهودٌ على الإبْداعِ مِنْ غَيرِ شِرْكَةٍ شُهودٌ على إبْداعِ سَابِقِ وَحْدَةِ

إلهي ابْتَدَعْتَ المُبْدَعَاتِ عَجَائِباً لِيَظْهَرَ فيها وَاجِبُ الأحَدِيَّةِ

بَدِيعَ السَّما والأرْضِ أبْدَعْتَ عَالَمِي كَمَا شِئْتَ مِنْ أطْوَارِهِ البَشَرِيَّةِ

وأَلْهَمْتَنِي الوِجْدَانَ والدَّرْكَ حِكْمَةً أسُوسُ بها في مَرْكَزِ العَجْزِ فِطْرَتي

وَمَا ذاكَ مِنْ حَوْلِي وَإدْرَاكِ طَاقَتِي ولكِنَّهُ إبْداعُ حَوْلِ الألُوهَةِ

وهَا قَدْ أحَاطَتْ بي وَأنْتَ مُحِيطُها بَدَائِعُ مَكْرُوهٍ عَلَتْ فَوقَ قُدْرَتي

تَفَسَّحَ عَنْ تَخوِيلِهِنَّ تَمَحُّلِي[2] فأبْدِعْ خَلاصِي يا بَدِيعَ العَجِيبَةِ

---

(١) قُرْبَة: دُنُوّ.

(٢) تَمَحُّلِي: قِلّة ما باليَد ـ والمَحْلُ قلّةُ الأمطار، ومنها: «فَلَجٌ مَاحِل» في الدّارج العُماني.

الباقي جلَّ جلاله

تَـعَـالَيْـتَ يـا بَـاقِـي بِـلا أَمَـدِيَّـةٍ كَـمَـا كُـنـتَ قَـبْـلَ الـقَـبْـلِ فـي الأَزَلِيَّـةِ

وُجُـودُكَ رَبِّـي وَاجِـبٌ لا لِمُـنْـتَـهـىً يُـقَــدَّرُ بِــالأزْمَــانِ والــعَــدَدِيَّــةِ

بَـقَـاؤُكَ يـا بَـاقِـي بَـقَـاءٌ لِذاتِـهِ وَكُـلُّ بَـقَـاءٍ تَـحْـتَـهُ تَـحْـتَ غَـايَـةِ

وبـالـحَـقِّ يُـفـنِـي الـخَـلْـقَ والـحَـقُّ قَـائِـمٌ تَـعَـالَـى بِـلا إبْـقَـاءِ شَـيءٍ مُـثَـبِّـتِ

وَتَـنْـصَـرِمُ الآبَـادُ[1] والـحَـقُّ ثَـابِـتٌ كَـمَـا كَـانَ قَـبْـلَ الـقَـبْـلِ لا لِنِـهَـايَـةِ

وَمَــنْ قَــدَّرَ الآبَــادَ كَــانَ بَـقَـاؤُهُ لِغَـايَـتِـهـا مِـنْ حَـالَـةٍ مُـسْـتَـحِـيـلَـةِ

ومـا الأبَـدُ الـفَـانِـي وَمـا هُـوَ دَائِرٌ عَـلـيـهِ سِـوى آثَـارِ بَـاقِـي الأُلُوهَـةِ

بَـقَـاءٌ قَـدِيـمٌ لا يُـجَـدِّدُهُ بَـقـا ولا تَـتَـقَـضَّـاهُ قَـضَـايَـا الـخَـلِـيـقَـةِ

بَـقَـاءٌ قَـدِيـمٌ يَـهْـلَـكُ الـكُـلُّ قَـبْـلَهُ وَيَـبْـقَـى بِـلا شَـرْطٍ ولا مَـتَـوِيَّـةِ

بِـسِـرِّ الـبَـقَـاءِ الـمُـسْـتَـمِـرِّ لِذاتِـهِ تَـدَارَكْ إلـهِـي كَـشْـفَ ضُـرِّي وَمِـحْـنـتـي

أنـا عَـبْـدُكَ الـفـانِـي الـقـلـيـلِ بَـقـاؤُهُ تَـولَّ حَـيـاتـي مـا بَـقِـيـتُ بِـنَـظْـرَةِ

الوارث جلَّ جلاله

إلـهِـيَ أنـتَ الـوَارِثُ الـمُـلْـكَ مُـطْـلَـقـاً بِـكَـوْنِـكَ تَـبـقَـى بَـعـدَ كُـلِّ الـخَـلِـيـقَـةِ

عـلـى أنَّـهُ لـم تَـنْـتَـقِـلْ عَـنْـكَ ذرَّةٌ مِـنَ الـمُـلْـكِ فـي الآزَالِ والأبَـدِيَّـةِ

وَعَـبْـدُكَ والـمُـلْـكُ الـذي أنـتَ مُـنـعِـمٌ عَـلـيـهِ بِـهِ فـي الـقَـبْـضَـةِ الـمَـالِـكِـيَّـةِ

لـكَ الـمِـلْـكُ والـمُـلْـكُ الـمُـدَبَّـرُ أمْـرُهُ بِـغَـيـرِ اعْـتِـبَـارٍ لانْـتِـقَـالٍ إرَاثَـةِ

وَكَـونُـكَ خَـيـرُ الـوَارِثِـيـنَ دَلالَـةُ الـــ ـبَـقَـاءِ وأنْ لا حَـدَّ لِـلـصَّـمَـدِيَّـةِ

---

(١) ملحوظة: الآبَاد: الدُّهُور؛ والبيتُ تأكيدٌ على ما يُكَرِّرُهُ الشاعِرُ في أذكارِه حولَ ديمومة الخالق وانحِسار الأزمان وبزوغها من جديد في دورات الوُجود والعَدَم، إذ تنصَرِمُ الدُّهورُ والخالق راسخٌ كما كانَ قَبْلَ القَبْلِ إلى ما لانهاية ـ؛ وعليهِ [البيت التالي] فإنَّهُ باقٍ مُتعالٍ على الآباد التي قَدَّرتها قُدرَتُه؛ وهي بكُلِّ ما هو دائرٌ عليها فانية، لأنها مُجرَّد أثرٍ من آثار باقي الألوهَة.

وَقـوْلُكَ: «نَـحْـنُ الـوَارِثُـونَ» جَـلالَةً تَـجِـلُّ عَـنِ الإعْـوَازِ والـمُـمْـكِـنِـيَّـةِ
وَإيْـرَاثُـكَ الـمَـخْـلُوقَ لـلمُـلْكِ نِـعْـمَـةٌ عَـلَى أنَّـهُ مَـا حَـالَ عَـنـكَ بِـلَحْـظَـةِ
ومـا الـمِـلْكُ لـلمَـخْـلُوقِ إلّا إضَـافَـةٌ مَـجَـازِيَّـةٌ فـي الـقَـبْـضَـةِ الـسَّـرْمَـدِيَّـةِ
وَمُـلْكٌ وَمِـلْكُ الـمَـالِكِـيـنَ مَـصِـيـرُهُ إلـيـكَ، وَهُـم لـم يَـمْـلُكُـوا قَـدْرَ نَـمْـلَةِ
فـلم يَـبْـقَ لـلدَّعْـوى بِـوَجْـهٍ تَـعَـلُّقٍ بِـمُـلْكِكَ، خَـابَـتْ كُـلُّ دَعْـوَى وَضَـلَّتِ
فـيَـا وَارِثُ أوْرِثْـنِـيَ الـعِـلْمَ وَالـصَّـفـا وَحِـلْيَـةَ أهْـلِ الـعِـلْمِ أهْـلِ الـحَـقـيـقـةِ

الرشيد جلَّ جلاله

إلهِي الرَّشِيدَ الوَاهِبَ الرُّشدَ لِلنُّهَى وَلَوْلاكَ لـم تَـرْشُـدْ ولـم تَـتَـثَـبَّـتِ
إلـهـيَ تَـدبـيـراتُ ذاتِـكَ سُـقـتَـهـا بــلا مُـرْشِــدٍ لــلغَــايَــةِ الأرْشَــدِيَّــةِ
إلــهــيَ مــا فــي قُــدْسِ فِـعْـلِكَ ذرَّةٌ تَـعُـودُ إلـى الـبُـطْـلانِ والـعَـبَـثِـيَّـةِ
إلـهـيَ بـالإرْشَـادِ أسْـعَـدْتَ مَـنْ تَـشَـا وأشْـقَـيْـتَ بـالإبْـعَـادِ وِفْـقَ الـمَـشِـيـئـةِ
إلــهــيَ مــا دَبَّــرْتَ أمْـرَكَ سَــاهِــيــاً ولا لَهْـوَ فــي تَـقْـديـرِ أيَّـةِ صَـنْـعَـةِ
تَـعَـالَـيـتَ فـي ذاتٍ وفـي صِـفـةٍ وفـي كَـمَـالِكَ والأفْـعَـالِ عَـنْ ذي نَـقِـيـصَـةِ
إلـهـيَ أرْشِـدْنـي بـرُشْـدِكَ واهْـدِنـي لـمـا فـيـهِ إسْـعـادِي ومَـحْـوُ شَـقـاوَتِـي
إلــهــيَ أرْشِــدْنــي لــحُــبِّــكَ إنــهُ بـرُشْـدِكَ لـلأحْـبـابِ نَـيْـلُ الـمَـحَـبَّـةِ
إلـهـيَ أرْشِـدْنـي لِكَـشْـفِ حَـقـيـقـتـي فـمَـعْـرِفـتـي بـاللهِ كَـشْـفُ حَـقِـيـقَـتـي
إلـهـيَ أرْشِـدْنـي الـمَـرَاشِـدَ كُـلَّهـا لأمْـرِ مَـعَـادِي أو لأمْـرِ مَـعِـيـشَـتِـي
إلـهـيَ مَـنْ تُـرْشِـدْهُ يَـرْشَـدْ وَمَـنْ غَـوَى فـفـي عِـلْمِـكَ الـلهُـمَّ سِـرُّ الـغِـوَايَـةِ

الصبور جلَّ جلاله

تَـأنَّـيـتَ حِـلْمـاً يـا صَـبُـورُ وإنَّـمَـا إلـى أجَـلٍ تَـأخِـيـرُ عَـدْلِ الـعُـقُـوبَـةِ

تـأنَّـيـتَ فـي أخْـذِ الـعُـصَـاةِ تَـلَطُّـفـاً | وَرِفْـقـاً ولـم تَـأخُـذْ عَـصِـيـاً بِـعَـجْـلَـةِ
وَبَـوَّأتَـهُــم فَــوقَ الـتَّـأنّــي مُــبَـوَّءاً | مِنَ الخَيرِ في الدنيا بِرغْمِ الخَطِيئةِ
كـأنَّ خَـطَـايَـاهُـمْ وَسَـائِلُ لـلرِّضَـا | تَـعَـالَيْـتَ هـذا غَـايَـةُ الـكَـرمِـيَّـةِ
وأنـتَ تَـرَى إسْـرَارَهُـم وجِـهَـارَهُـم | بِـعِـصْـيَـانِكَ الـلهُـمَّ مِـنْ دُونِ خَـشْـيَـةِ
تَـعَـاليـتَ هـذا الـصَّـبـرُ صَـبـرُ أنَـاءةٍ | يَـلـيـقُ بِـشَـأنِ الـرُّتْـبَـةِ الـصَّـمَـدِيَّـةِ
تَـعاليـتَ لـم تَـحـمِـلْكَ عَـجْلَةُ مُـسْرِعٍ | إلـى الـفِـعْـلِ مِـنْ قَـبـلِ الأوَانِ الـمُـوَقَّـتِ
بَـلِ الأمْـرُ مَـعْـلُومُ الـمَـقـادِيـرِ قَـدْ جَـرَى | عَــلـى سُــنَــنٍ مَــحْــدُودَةٍ لــلإرَادَةِ
فَـتَـأخِـيـرُ مـا أخَّـرتَ حِـلْـمٌ مُـؤَجَّـلٌ | وَتَـقـدِيـمُ مـا قَـدَّمـتَ لَيـسَ بِـعَـجْـلَـةِ
لِتُــودِعَ مَـا تَـقْـضِـي بِـهِ فـي أوَانِـهِ | عَــلـى مـا تَــراهُ يَـنْـبَـغِـي لِلقَـضِـيَّـةِ
بِــغَـيْــرِ مُـقَــاسَــاةٍ لِدَاعٍ مُـضَــادِدٍ | إرَادَتَـكَ الـعُـظْـمَـى ولا بِـمَـشَـقَّـةِ

الإله جلَّ جلاله

إلـهِـيَ قَـدْ أسْـلَمْـتُ وَجْـهِـيَ شَـاهِـداً | لِوَجْـهِـكَ إيـمَـانـاً بِـعِـزِّ الألُوهَـةِ
إلـهـي شَـهِـيـدٌ بـالـذي أنـتَ شَـاهِـدٌ | شَــهَــادَةُ أمْـلاكٍ وَذِي الـعَــالَمِـيَّـةِ
إلـهـي مِـنَ الآثـارِ لِلعَـيْـنِ شَـاهِـدٌ | وَمِـنْ لازِمِ الـمَـوْجُـودِ لِلمُـوجِـدِيَّـةِ
إلـهـيَ سُـلْطَـانُ الألُوهَـةِ ظَـاهِـرٌ | عَـلى وَلَهِ الـمَـألُوهِ[1] لـلرَّاحِـمِـيَّـةِ
إلـهـيَ سُـلطَـانُ الألُوهَـةِ آخِـذٌ | بِـحَـجْـزَتِـهِ الـمَـألُوهَ فـي أسْـرِ ذِلَّةِ
إلـهـيَ إعْـظَـامِـي الألُوهَـةَ سَـابِـقٌ | وَسَـبـقِـيَ مَـسْـبُـوقٌ بِـسَـابِـقِ وَحْـدَةِ
إلـهـيَ ثَـبِّـتـنِـي عَـلَى مـا هَـدَيْـتَـنِـي | وَخَــوَّلْتَـنِـيـهِ مِـنْ تَـألُّهِ فِـطْـرَتـي
إلـهـيَ مَـنْ يُـؤْلَهْ إلـيـكَ كَـوَلْهَـتِـي | تَـدَارَكْـتَـهُ وَحْـيـاً بِـشَـأنِ الألُوهَـةِ
إلـهـيَ مِـنْ شَـأنِ الألُوهَـةِ رَحْـمَـةٌ | وَحِـلْـمٌ وشَـأنٌ فَـوقَ إطْـرَاءِ مِـدْحَـتـي

---

(١) المَألُوه: العَبْدُ المُؤَلَّه لمولاه.

إلـهـيَ مِـنْ شَـأنِ الألُوهَـةِ أنْ تَـرَى ... لِوَجهِكَ إخْبَاتِي وَوَهْلِي[1] وَخَشْيَتي

إلـهـيَ عِـرْفـانـي بـأنْ لا إلَهَ لِي ... سِوَاكَ بِـهِ أرْجُـو خَـلاصِـي وَقُـرْبَـتـي

المُحيط جلّ جلاله

أَحَطْتَ بِخَطْبي يا مُحِيطُ وَمَا انْطَوَى ... عَـليـهِ عِـدَائِي مِـنْ حَـبَـائِلِ هَـلْكَـتِـي

أَحَاطَتْ بِضَعْفي يا مُحِيطُ شَدَائِدٌ ... وَهَـى جَـلَدِي مِـنْـهَـا وَجَـلَّتْ رَزِيـئـتـي

وَمَا عَرَضُ حَالِي يا مُحِيطُ يَزِيدُ في ... إحَـاطَـةِ عِـلـمِ اللهِ مِـثْـقَـالَ ذرَّةِ

ولـكِـنْ دُعَـائِي يـا مُـحِـيـطُ وَسِـيـطَـةٌ ... أمَـرْتَ بـهـا الـمُـضْـطَـرَّ عِـنـدَ الـبَـلِيَّةِ

ومـا لـيَ حَـوْلٌ يـا مُـحِـيـطُ وإنَّـنـي ... تَـبَـرَّأتُ مِـنْ حَـوْلِي لَدَيـكَ وَقُـوَّتـي

وَحَـوْلِيَ عَـجْـزِي يـا مُـحِـيـطُ وَذِلَّـتـي ... وَفَـقْـري وَسَـفْـحِـي عَـبْـرَةً بَـعـدَ عَـبْـرَةِ

وَبَثِّي وَحُـزْنـي يـا مُـحِـيـطُ وَكَـبْـوَتـي ... على حَرِّ وَجْـهِـي وارْتِـعَـادِ فَـرِيـصَـتِـي

أحِطْنِي حَيَاتِي يا مُحِيطُ مِنَ البَلا ... ءِ في الـديـنِ والـدنـيـا وَمِـنْ شُـؤمِ زَلَّـتي

وَلِي نَـفْـسُ سُـوءٍ يـا مُـحِـيـطُ جَـهُـولَـةٌ ... تُـجَـهِّـمُـنـي الأخْـطـارَ غَـيـرُ زَكِـيَّـةِ

مَـطِـيَّـةُ شَـرٍّ يـا مُـحِـيـطُ مَـقُـودَةٌ ... إلـى هَـلْـكِـهـا مِـنْ جَـهْـلِـهـا بِـأَزِمَّـةِ

قِنِي شَرَّ جَهْلِي يا مُحِيطُ وَزَكِّنِي ... بـأنْـوَارِ سِـرِّ اسْـمِ الـمُـحِـيـطِ الـجَـلِـيَّـةِ

القدير جلّ جلاله

لِعَـذْلِكَ أشْـكُـو يـا قَـدِيرُ مَـظَـالِمـاً ... عَـجِـزْتُ لَهَـا مِـنْ ظَـالِمٍ فَـاتَ قُـدْرَتـي

طَـغَـى وتَـوَلَّى يـا قَـدِيرُ فَـأكْـثَـرَ الـ ... ـفَـسَـادَ بِـمَـرْأى الـقُـدْرَةِ الأزَلِيَّـةِ

تَـشَـامَـخَ بَـغْـيـاً يـا قَـدِيـرُ وَدُونَـهُ ... مَـصَـارِعُ أهْـلِ الـبَـغْـيِ غَـيـرُ بَـطِـيـئَـةِ

---

(١) وَهْلِي: ضعفي.

وَأَخْـلَدَ أَمْـنـاً يـا قَـدِيـرُ وإنَّـمَـا   على المَكْرِ والإمْهَالِ حَمْلُ القَضِيَّةِ
تَـدَارَكْـهُ قَـصْـمـاً يـا قَـدِيـرُ فـإنَّـهُ   تَـصَـاعَـدَ عَـنْ أطْـوَارِهِ الـبَـشَـرِيَّـةِ
وَمَـزِّقْـهُ لا تُـمْـهِـلْهُ كُـلَّ مُـمَـزَّقٍ   وَعَـاجِـلْهُ وَحْـيـاً يـا قَـدِيرُ بِـنَـقْـمَـةِ
وَخُـذهُ وَشَـتِّـتْ جَـمْـعَـهُ يـا قَـدِيـرُ لا   تَدَعْ مِنهُمُ في الأرْضِ نَافِخَ ضَرْمَةِ[1]
وَأَنْزِلْ عَلَيهِم يا قَدِيرُ صَوَاعِقَ الـ   ـنَّـكِـيـرِ وبَـوِّئْهُـم بِـأَفْـظَـعِ بَـهْـلَةِ
وجَرِّدْ عليهم سَيفَ مَقْتِكَ يا قَدِيـ   ـرُ مُخْتَطِفاً أرْوَاحَهُم قيدَ خَطْفَةِ
وألِّبْ عَلَيهِم حِزْبَكَ الغالِبِينَ يا   قَـدِيـرُ وَخَـذِّلْهُـم بِـضَـعْـفٍ وذِلَّةِ
وَزَلْزِلْ بِـهِـم أرْكَـانَـهُـم وَعُـرُوشَـهُـم   بِـأَيَـةِ أرْضٍ يـا قَـدِيـرُ وَبُـقْـعَـةِ

الكافي جلَّ جلاله

إلهي بِكَ اسْتَكْفَيتُ عَنْ كُلِّ حَادِثٍ   كَفَى بِكَ يا كَافِي لِكَفْيِ مُهِمَّتِي
كِـفَـايَـتُـكَ الـلهُـمَّ لا شَـيءَ غَـيـرَهـا   تُـقَـوِّمُ طَـاعَـاتِـي وَأَمْـرَ مَـعِـيـشَـتِـي
إلهي وَقَيدُ الفَقْرِ في مَعْرَكِ الهَوَى   بِبابِكَ أسْتَكْفِيكَ رُزْءَ المُصِيبَةِ
إلـهـيَ يـا كَـافِـي الـكُـفَـاةِ تَـوَلَّـنِـي   بِـكَـافِـيَـةٍ مِـنْ نَـفْـحَـةٍ صَـمَـدِيَّـةِ
إلـهـي مَـنِ اسْـتَـكْـفَـاكَ ضُـرّاً أصَـابَـهُ   فَـلَـمْ تَـكْـفِـهِ يـا كَـافِـيـاً لِلبَـلِـيَّـةِ
إلـهـيَ مـا فـي الـحَـادِثَـاتِ كِـفَـايَـةٌ   إذا لم تَكُنْ عَونِي وكَافِيَ مِحْنَتِي
ومـالـي ولـلأحْـدَاثِ وهـي فَـقِـيـرَةٌ   إلَيكَ افْتِقارِي نَاظِرَاتٌ كَنَظْرَتي
ومـا قَـدْرُ مـا تَـأتِـي بِـهِ مِـنْ كِـفَـايَـةٍ   سِوَى عَينِ ما قَامَتْ بِهِ مِنْ ضَرُورَةِ
جَنابُكَ يا كَافِي جَنابُ كِفايَتي   وعِـنْـدَكَ يـا كَـافِي غَـنَـاءٌ لِعُـسْـرَتـي
إلـهـيَ قَـدْ أمْـلَقْـتُ إمْـلاقَ رَاغِـبٍ   وَقَـيَّـدَنِـي الإعْـدَامُ عَـنْ كُـلِّ خَـطْـوَةِ
وفي حِسْبَةِ الكَافِي الكَرِيمِ كِفايَتي   وفي طَوْلِهِ تَحْقِيقُ مُطْلَقِ رَغْبَتِي

---

(١) نافِخ ضَرْمَة: نافِخ جَرّة ـ ومُبتغَى المعنى: اقْطَعْ أنفاسَهُم

الشاكر جلَّ جلاله

تَـجَـلَّـيْـتَ بـالـجُـودِ الإلـهـيِّ سَـيِّـدي بِـشُـكْـرِكَ لِي يـا شَـاكِـراً مُـحْـسِـنِـيَّـتي
وَمَا هُو إحْسَانِي الذي أنتَ شَاكِرِي عَـلـيـهِ ومـا مِـقْـدارُ حَـوْلِي وَقُـوتِـي
وما هـو إحْسِانِي وما بي اسْتِطَاعَةٌ لـتَـحْـرِيـكَـةٍ فـي فِـعْـلِ شَـيءٍ وَسَـكْـنَـةٍ
إذا شِئتَ بي خَيراً خَلَقْتَ اسْتِطَاعَتي وأوْجَدْتَ مَولايَ اخْتِيارِي وَمُكْنَتِي
وَيَـسَّـرْتَ مـا تَـرْضَـاهُ مِـنِّـي مُـقَـدَّراً على حَسْبِ تَصْرِيفِ القَضَا والمَشِيئَةِ
وأنتَ عَلَى الفِعْلِ الرَّضِيِّ تُثِيبُني وَتُوسِعُنِي شُكْراً وَلَيْسَتَ صَنِيعَتي
كَـفَـى شَـرَفـاً لِلعَـبْـدِ شُـكْـرُكَ سَـعْـيَـهُ ولَو لَم يُـرَدْ لِلنِّـعْـمَـةِ الأبَـدِيَّـةِ
ومـا الـسَّـعْـيُ مِـنْ تِـلْـقـائِهِ واقْـتِـضَـائِهِ ولـكِـنَّـهُ جُـودٌ بِـلا سَـبَـبِـيَّـةِ
إلـهـي امْـتِـنـانُ الـشُّـكْـرِ لا عَـنْ مُـقـابِـلٍ يَـحِـقُّ بِـهِ فَـوْزِي بِـشُـكْـرِ الألُوهَـةِ
ولـكِـنَّ شُـكْـرَ اللهِ عَـبْـداً يَـسُـوقُـهُ إلـى شُـكْـرِ مَـولاهُ لَدَى كُـلِّ نِـعْـمَـةِ
فَهَبْ لي بِسِرِّ الشُّكْرِ شُكْراً تَزِيدُني بِـهِ الـخَـيْـرَ مِـنْ دِيـنِـي وَمِـنْ دُنْـيَـوِيَّـتي

القائم بالقسط جلَّ جلاله

وَيَـا قَـائِـمـاً بـالـقِـسْـطِ خَـصْـمُـكَ بَـاهِـرٌ لأهْـلِـكَ مُـنْـقَـضٌّ لِهَـدْمِ الـشَّـرِيـعَـةِ
ولا يَـشْـتـكِـي إلّا إلـيـكَ ولا حِـمَـى ولا نَـاصِـرٌ إلّا جَـلالُ الـرُّبُـوبَـةِ
لَـقَـدْ جَـدَّ هـذا الـخَـصْـمُ فـي حَـزْبِ رَبِّـهِ وأعْـيَـتْ قُـوَاهُ طَـاقَـةَ الـبَـشَـرِيَّـةِ
تَـعَـادَى إلـى الإسْـلامِ نَـقْـضـاً لِحَـبْـلِهِ وَسَـامَ عِـيَـالَ اللهِ[1] أسْـوَأَ خُـطَّـةِ
وَجَـاسَ بِـلادَ اللهِ بـالـخَـسْـفِ آمِـنـاً كـأنْ لـيـسَ بِـالـمِـرْصَـادِ رَبُّ الـبَـرِيَّـةِ
بَـلـى إنَّ لـلأكْـوَانِ رَبـاً مُـهَـيْـمِـنـاً غَـيُـوراً شَـهِـيـداً قَـائِـمَ الـمُـقْـسِـطِـيَّـةِ

---

(١) «عِيال الله» من التعابير التي تتكرّر في قصائده، وقد استوقفتني لطرافتها بمقياس الذائقة اللغوية السائدة بعد قرن على رحيل الشاعر.

بَلى إنَّ لِلأكْوَانِ رَبّاً يَسُوسُهَا ... بِتَدْبيرِهِ تَجْرِي أُمُورُ الخَلِيقَةِ
بَلى إنَّ بالمِرْصَادِ سُلْطَانُ قَائِمٍ ... بِقِسْطٍ وحُكْمٍ لا يُرَدُّ بِقُوَّةِ
رَعَى مُلْكَهُ عَدْلًا وَفَضْلًا بلا يَدٍ ... تُدَافِعُ ما يَقْضِي بِهِ مِنْ قَضِيَّةِ
إلهِيَ لم يَعْجَزْ نَكِيرُكَ عَنْهُمُ ... وإنْ أمْهَلَتْهُم حِكْمَةُ الأجَلِيَّةِ
أغِثْ عِزَّةَ التَّوْحِيدِ وَحْياً بِقَصْمِهِم ... كَسُنَّتِكَ اللهُمَّ في شَرِّ أُمَّةِ

سريع الحساب جلَّ جلاله

سَرِيعَ الحِسابِ امْحَقهُم وأبِدْهُمُ ... فقَدْ أمْعَنُوا في الكُفْرِ والبَطَرِيَّةِ
تَصَاعَدَ خَصْمُ اللهِ عَنْ طَورِ نَفسِهِ ... وَقَرَّرَ نَفْيَ المُنْتَهَى والأُلُوهَةِ
تَمَرَّدَ مَغْبُوطاً بإمْلاءِ رَبِّهِ ... لَهُ الوَيْلُ في الإمْلاءِ سُوءُ المَغَبَّةِ
يُسارِعُ في الطُّغيانِ إسْرَاعَ مُنكِرٍ ... لِوَاقِبَةٍ[1] أو عَاجِلٍ لِمَثُوبَةِ
وَسُرْعَةُ أخْذِ اللهِ مِنْ دُونِ سَعْيِهِ ... وَعَاقِبَةُ اسْتِدْرَاجِهِ عَيْنُ نَقْمَةِ
وَسُرْعَةُ أخْذِ اللهِ لَيسَ يُحِيلُها ... مُحَالٌ ولا يُختالُ عَنْها بِحِيلَةِ[2]
سَرِيعَ الحِسابِ اصْرِفهُ صَرفاً مُؤبَّداً ... وَخُذْ ثَأرَ نُورِ اللهِ مِنهُ بِسُرْعَةِ
أَيُلْغِي عَدُوُّ اللهِ شَرْعَ مُحَمَّدٍ ... وَقَهْرُ جَلالِ اللهِ حَامِي الحَقيقَةِ
ولله تَغْيِيرٌ ولله سَطْوَةٌ ... ولله غَارَاتٌ وَشِدَّةُ غَيْرَةِ
وَسَوْطُ عَذابِ اللهِ لا سَدَّ دُونَهُ ... وَتَأخِيرُهُ كَيْدٌ لِوَقْتِ المَشِيئةِ
بِغَيرَتِكَ اللهُمَّ أَسْرِعْ بِخِزْيِهِم ... وَتَشْتِيتِهِم بالذُّلِّ في كُلِّ وِجْهَةِ

---

(١) واقِبَة: عقوبة.

(٢) مثال آخر لولع استخدام أبي مُسْلِم لكلمات متشابهة اللفظ متباينة المعنى، لتحمل أوعيتها المعاني المُرادة، رغم ضَغْطِها في شطر أو بيت واحد: يُحيلُ: يُبعِد ـ مُحال: من الاستحالة ـ يُحتال: من الحيلة (الواردة، بدورها، في مُختتم البيت).

غافر الذنب جلَّ جلاله

وَيَا غَافِرَ الذَّنْبِ اغْتَفِرْ لِي قَبَائِحاً تَجَشَّمْتُهَا فِي جَهْرَتِي وَسَرِيرَتِي
تَعَوَّدْتُها لا عُذْرَ لي في اقْتِرَافِها سِوَى خِسَّتِي طَبْعاً، وَشِدَّةِ شَهْوَتِي
إلهي اكْتَسَبْتُ الإثْمَ عَمْداً كأنَّهُ لِكَثْرَةِ مَا آتِيهِ أَعْظَمُ قُرْبَةٍ[1]
جَرِيئاً عَلَيهِ لا بَصِيرَةَ أرْعَوِي[2] لَدَيها ولا أرْضَى بِحُكْمِ البَصِيرَةِ
يُنَبِّهُني القُرآنُ في غَفلَةِ الهَوَى فأَصْدِفُ[3] عَنهُ مُستمِراً بِغَفْلَتي
وما صَدَّني جَحْدٌ ولكِنَّهُ هَوَى دَهَانِي إلى أنْ صَارَ وَصْفِي وَحِلْيَتِي[4]
سَرِيعٌ إلى حَظِّ النفوسِ مِنَ الهَوَى بَطِيءٌ عَنِ الخَيرَاتِ شَيْنُ[5] الصَّحِيفةِ
إذا صَدَعَتْ لِي دَعْوَةُ الحَقِّ ألْتَوِي[6] كَأنَّ[7] إذا مَرَّتْ عَلى الأُذْنِ صُمَّتِ
وَذلِكَ دَأْبِي[8] غَيرَ أنِّي مُوحِّدٌ وَتَوْبِي وإيْمَانِي بِفَضْلِكَ حُجَّتي
أقِلْ عَثْرَتِي يا غَافِرَ الذنبِ إنَّ لي يَقِيناً بِغُفرانٍ وَجُودٍ وَرَحْمَةِ
إذا انْتَابَكَ المُسْتَغْفِرُونَ بِحُجَّةٍ فَجُودُكَ رَبِّي حُجَّتِي وَوَسِيلَتِي

قابل التوب جلَّ جلاله

إلهِيَ تَوْباً قَابِلَ التَّوْبِ إنني أُقَدِّمُ تَوْباً خَالِصاً مِنْ طَوِيَّتِي
أُقَدِّمُهُ عَمّا ارْتكَبْتُ مِنَ الخَطَا وأنتَ إلهِي عَالِمٌ صِدْقَ تَوْبَتِي

---

(١) قُرْبَة: دُنُوّ.
(٢) أرْعَوِي: أعود لطريق الرّشاد بعد ضَلال.
(٣) أَصْدِفُ: أصُدُّ عنه تجاهُلًا.
(٤) حِلْيَتِي: لباسي.
(٥) شين: عَكْس زين.
(٦) ألتوي: أعرض صدوداً.
(٧) كَأنّ: كَأنّها ـ أي دعوة الحَقّ، وَقَدْ حُذف اسْمُها.
(٨) دَأبي: عادتي التي اعتدتُها.

وإنْ كُنتُ لم أَصْدُقْ مَتابي فإنَّ لي
بِتَوْفِيقِكَ اللهُمَّ أَوْثَقُ عُرْوَةِ

أُقَدِّمُ تَوْبِي مُخْلِصاً غيرَ آمِنٍ
مَنَ النفسِ أنْ تَشتَاقَنِي للخَطِيئةِ

فكَمْ تَوْبَةٍ أَخْلَصْتُها بِتَثَبُّتٍ
وكَمْ نَقضَتْها النفسُ بَعْدَ التَّثبُّتِ

طَرِيقةُ مَخْذُولٍ مَعَاذَكَ سَيِّدي
إذا لم تَدَارِكْنِي بِثَبْتٍ وَعِصْمَةِ

وَمَنْ لي بأنْ تَرْضَى وَفَائِي بِتَوْبَةٍ
نَصُوحٍ إذا لم تَكْفِنِي شَرَّ خَيرَتِي

بَرِئْتُ إليكَ الآنَ مِمَّا ارْتَكَبْتُهُ
وأسْلَمْتُ وَجْهِي تَائِباً مِنْ جَرِيمَتي

ولم أَخْشَ طَرْدِي قَابِلَ التَّوْبِ خَائِباً
وأنتَ خَبيرٌ بِابْتِهَالِي وَأَوْبَتِي

ولم أرْجُ بَعدَ التَّوْبِ إلّا قَبُولَهُ
ولا بَعدَ صِدْقِ القَصْدِ غيرَ المَثُوبَةِ

وَمَنْ لي بِتَوْبٍ بَالِغٍ مَبلَغَ الرِّضَا
إذا لم تُجَرِّدْني لَهُ مِنْ كَثِيفَتِي

شديد العقاب جلَّ جلاله

شَدِيدَ العِقابِ المُهْلِكَ المُدْرِكَ اخْتَطِفْ
مُبِيراً عَصِياً مُفْسِداً في الخَليقةِ

شَديدَ العِقابِ الطَّالِبَ الغَالِبَ انْتَقِمْ
مِنَ الآفِكِ[1] الطَّاغُوتِ ضِدَّ الحَقيقةِ

شَديدَ العِقابِ المُقسِطَ العَدْلَ في القَضَا
أَبِدْهُ بِحُكْمِ العَدلِ والمُقْسِطِيَّةِ

شَديدَ العِقابِ المُنْزِلَ البَأْسَ أَخْزِهِ
بِفَاقِرَةٍ[2] لا يَتَّقِيها بِمَنْعَةِ

شَديدَ العِقابِ امْكُرْ بِهِ وأَحِقْ بِهِ
أَفَاعِيلَ مَكْرٍ سَيِّءٍ في الخَلِيقةِ

شَديدَ العِقابِ احْلُلْ مَعاقِدَ عِزِّهِ
وَقَطِّعْ بِهِ الأسْبابَ في كُلِّ وِجْهَةِ

شَديدَ العِقابِ ارْدُدْ عَلَيهِ نِبَالَهُ
وأَرْكِسْهُ في أَطْوَارِهِ المَارِدِيَّةِ

شَديدَ العِقابِ اسْدُدْ مَنافِذَ قَهْرِهِ
وَأَوْبِقْهُ مَغْلولاً بِأَسْرِ الرَّزِيئةِ

شَديدَ العِقابِ استأْصِلِ الشَّأْفَةَ التي
رَمَتْ بِعِيالِ اللهِ أَفْظَعَ رَمْيَةِ

---

(١) الآفِك: المُفتري الكذّاب.

(٢) فاقِرَة: داهِيَة ومصيبة.

شَديدَ العِقابِ اقْطَعْهُ واقْطَعْ نَصِيرَهُ بِـغَـاشِـيَـةٍ مَـقْـتِـيَّـةٍ غَـضَـبِـيَّـةِ
شَديدَ العِقابِ اشْدُدْ عَلَيهِم وَفُضَّهُم[1] بِكَشفِ العَذابِ الهُونِ في حِينِ غَفلَةِ

المُغيث جلَّ جلاله

إلـهِي مُغيثَ الـمُستغِيثِينَ هَـذِهِ سَبيلي وَكُـلُّ السُّبْلِ عَـنِّيَ سُـدَّتِ
إلـهي مُغيثَ المُستغِيثِينَ لـم أجد سِـواكَ وَقَـدْ ضَـاقَ الـخِنـاقُ بِكُـرْبَـتي
إلـهيَ مـا لـي وَصْـلَـةٌ أجـتَـدِي بـهـا غَـيَـاثَـكَ لـكـنْ غَـوْثُ لُطْفِكَ وَصْـلَتي
أَقِلْ عَـثـرَتِي يـا رَبِّ مِنْ كَـبْوَةِ الـهَـوَى فَـكُـلُّ حَـيَـاتـي كَـبْـوَةٌ إثـرَ كَـبْـوَةِ
إلـهـي أغِـثـنِـي بـالـذي أنـتَ أهْـلُـهُ فأنتَ جَمِيلُ الفِعْلِ غَوْثِي وَعُمْدَتي
إلـهـي أغِـثْـنِـي كَـمْ عَـثَـارٍ وَقَـيْـتَـهُ وَكَـمْ أزْمَـةٍ فَـرَّجْـتَـهـا بَـعْـدَ أزْمَـةِ
إلـهـي أغِـثْـنِـي فـي نَـوَائِبَ جَـمَّـةٍ قَـطَـعْـنَ عَـنِ اسْتِكْـمَـالِ أمْـرِكَ هِـمَّـتي
إلـهـيَ دَارَتْ بـي دَوَائِرُ فـانْـتَـحَـتْ فِـنَـاءَكَ يـا رَبِّـي وَبَـابَـكَ حَـلَّـتِ
إلهي مُغيثَ المُستغِيثِينَ لا تَكِلْ إلى نُصُبِ الحِرْمَان إخْبَاتُ وَقْفَتي
إلهي قَدِ اسْتَعْمَلْتَنِي بِاسْتِغَاثتِي وأكْرَمْتَ بِاسْتِزْفادِ يُمْناكَ نَصْبَتي
فَعَجِّلْ غِيَاثاً يَكْشِفُ الهَوْلَ مُطْلَقاً وَيَفتحُ بَابَ اللطْفِ بِي في بَلِيَّتِي

الفاطِر جلَّ جلاله

إلـهي فَـطَـرْتَ الـكَـوْنَ إبْـدَاعَ فَـاطِـرٍ بِـغَـيـرِ مِـثـالٍ تَـحْـتَـذِيـهِ وَصَـنْـعَـةِ
ولا ثَـمَّ قَـانُـونٌ تَـعَـالَيـتَ تَـنْـتَـحِـي إلَـيـهِ ولا عَـنْ فِـعْـلِ طَـبْـعٍ وَعِـلَّةِ
ويـا فَـاطِـراً رَتْـقَ الـسَّـمـوات مُـنْـزِلاً بـأمْـرِكَ جِـنْـسَ الـرُّوحِ والـمَـلَكِـيَّـةِ
ويـا فَـاطِـراً لـلأرضِ مُـخْـرِجَ نَـبْـتِـهـا وأجْـسَـامِـنـا مِـنْ عَـالَم الـبَـرْزَخِـيَّـةِ

(١) فضّهم: فرّقهم.

ويا فَاطِراً لم تَفطُرِ الكَونَ عَابثاً
ولكنَّهُ آيَاتُ حُكْمٍ وَحِكْمَةِ

ويا فَاطِرَ الأشياءِ فِطْرَةَ قَادِرٍ
تَقَدَّسَ في إنْشَائِها عَنْ مَعُونَةِ

ويا فَاطِراً للخيرِ والشَّرِّ قاضِياً
لكَسْبِهِما مِنَّا اتِّبَاعَ المَشِيئَةِ

ويا فَاطِرَ الأجسامِ كَيفَ أرَادَها
وَقَدَّرَهَا في قالَبِ الصُّورِيَّةِ

ويا فَاطِرَ الأعْرَاضِ حَسْبَ اخْتِلافِها
وَتَطْبيقَهَا في عالَمِ الجَسَدِيَّةِ

ويا فَاطِراً للفَقْرِ يا فَاطِرَ الغِنَى
ويا فَاطِراً للمَوْتِ والحَيَوِيَّةِ

تَدارَكْ بسِرِّ الفَاطِرِ الحَقِّ مُنيَتِي
بإخْرَاجِهَا لي مِنْ خَفَا العَدَمِيَّةِ

القاهر جلَّ جلاله

وَيَا قَاهِرُ القَهَّارُ فَوقَ عِبَادِهِ
إلى قَهْرِكَ الغَلَّابِ رَفْعُ شَكِيَّتِي

شَكِيَّةُ مَقهُورٍ بِسَطْوَةِ ظَالِمٍ
يَجُوسُ خِلالَ الدَّارِ في أمْنِ غِرَّةٍ[1]

شَكِيَّةُ مَظْلُومٍ مُضَامٍ مُذلَّلٍ
يَرَى الحَقَّ مَخْذُولًا ولا حِينَ نُصْرَةِ

مَعَاذَكَ مِنْ قَهْرِ الرِّجَالِ فَطَالَما
خُذِيْتُ[2] لَهُ والقَهْرُ قَهْرُكَ عِصْمَتِي

وما عَظُمَتْ يا قَاهِرَ الكُلِّ شَوكةٌ
لخَصْمٍ فلم تَكْسِرْ شَبَاهَا[3] بِشَوْكَةِ

وما قَهرُ مَقهُورٍ تَجَاوَزَ طَوْرَهُ
بِفَائِتِ قَهرِ اللهِ في جُزْءِ ذرَّةِ

تَحِقُّ صِفاتُ القَهْرِ للقَاهِرِ الذي
لسُلْطَانِهِ ذَلَّتْ صُنُوفُ الخَليقةِ

وَمَنْ قَامَتِ الأشياءُ تَعْنُو لأمرِهِ
يُعِيدُ وَيُبْدِي لا بِشَرْطٍ وَعِلَّةِ

فليسَ لها مِنْ قَبْضَةِ القَهْرِ فَلْتَةٌ
وأفعَالُها فَيْضٌ مِنَ الجَبَرِيَّةِ

تَجَلَّ بالاسْمِ القَاهِرِ الحَقِّ بَاطِشاً
على خُصَمَاءِ اللهِ أسْرَعَ بَطْشَةِ

وَهَبْ ليَ حَظِّي مِنهُ أنْ أقْهَرَ الهَوَى
وَنَفْسِيَ عَنْ آفاتِ شَأنِ جِبِلَّتِي

---

(١) أمْنِ غِرَّةِ: الآمِن المُطمَئن من أن يؤخذ على حين غِرَّة.

(٢) خُذِيْتُ: ضَعُفت.

(٣) شَبَاها: شَبَاة الشيءِ حدُّ طرَفِهِ المُذَبَّب. يُقالُ: شَباةُ السيف وشَباة العقرب؛ إبْرَتها الرفيعة السامة.

المَولى جلَّ جلاله

تَجلَّى اسْمُكَ المَوْلَى بِعِزِّ كَمَالِهِ فألهَمَني نَقْصِي وَذُلَّ عُبُودَتي

وألهَمَني أنْ أقْرَعَ البَابَ عَائِذاً بِمَجْدِ وَلاءِ العِزَّةِ المَوْلَوِيَّةِ

وألهَمَنِي أنْ أنْصِبَ الوَجْهَ عَانِياً لوَجْهِكَ رَبِّي في رَجَائي وخِيفَتِي

إليكَ وأنتَ المُسْتعانُ تَدَافَعتْ تَبَارَكْتَ، أطْمَاعِي وَبابَكَ حَلَّتِ

ولم يَعْتَدِدْ مَولايَ وَألْي[1] بِزُلْفَةٍ إليكَ ولكِنْ جُودُ مَولايَ زُلْفَتِي

كَفَى بِكَ مَوْلَى رَاحِماً لي مُدَبِّراً أمُورِيَ مُخْتاراً لما فيه خِيرَتي

تَوَلَّيْتَنِي مِنْ عَهدِ إنْشاءِ فِطْرَتي بِنِعْمَةِ إيْجَادِي وإبْقاءِ نِعْمَتي

وَصَرَّفتني ما شِئتَ مَولايَ تَابِعاً شُؤونَكَ مُعْطِيّاً مِنَ اللهِ قُدْرَتي

وَنِسْبَةُ ما يُلْقِي التَّضَايُفُ صُورَةٌ عُرِفْتُ بها لَيسَتْ بِتأثِيرِ صُورَتي

وما السَّلْبُ والإيْجَابُ لي فيهِ مَحْمَلٌ سِوَى أثَرٍ لم يَعْدُ فَقْرَ جِبِلَّتِي

تَنَازَعَتِ الأهْوالُ مَولايَ جَانِبي وفي يَدِكَ اللهُمَّ مِفْتَاحُ فَرْجَتِي

النصير جلَّ جلاله

وَنِعْمَ النَّصِيرُ النَّاصِرُ اللهُ لَمْ أعُذْ بِسُلْطَانِهِ إلّا تَجلّى بِنُصْرَتِي

وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ حَسْبي بِنَصْرِهِ على النفسِ والشيطانِ وَسْطَ العَرِيكَةِ

وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ يَسْمَعُ دَعْوَتي وَيُبْصِرُ أعْدَائي وَيُرْسِلُ نَجْدَتي

وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ حَارَبتُ باسْمِهِ عَزَائِمَ كُفْرٍ نَاصَبَتْنِي فَذلَّتِ

وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ سَلَّ حُسَامَهُ فَبَدَّدَ أعدائي وَأفْلَجَ حُجَّتي

وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ يَخْذُلُ ظَالِماً وَيَنصُرُ مَظْلُوماً وَلَو بَعدَ بُرْهَةٍ

وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ ما ضَاعَ مُحْتَمِي حِمَاهُ ولم يَخْذُلْ ضَرَاعَةَ مُخْبِتِ

---

(١) وَألْي: رجوعي.

وَنِعْمَ النَّصِيرُ اللهُ حُجَّته عَلَتْ | وَكِلْمَتُهُ تَعْلُو عَلَى كُلِّ كِلْمَةِ
نَصِيرُكَ يا نِعْمَ النَّصِيرِ بِغَارَةٍ | إلـهيَّةٍ مُوحِيَّةٍ غَضَبِيَّةِ
نَصيرُكَ خَيرَ الناصِرِينَ عَلَى العِدَى | يُثَبِّتُ خَيلَ اللهِ في كُلِّ بُقْعَةِ
سُيُوفُكَ يا ذا البَطْشِ والأخْذِ سُلَّها | على الخَصْمِ إنَّا بَيْنَهُم بِمَضِيعَةِ

القريب جلَّ جلاله

إلهي القَرِيبُ الحَقُّ بالعِلْمِ مُطْلَقاً | عن الخَلقِ لا قُرْبَ امْتِزاجٍ وخِلْطَةِ
إلهي القَرِيبُ الحَقُّ بالقُدْرَةِ التي | تُؤَثِّرُ بَدْءاً لا بِشَرْطٍ وَسِيطَةِ
إلهي قَرِيبٌ بالإجَابَةِ للدُّعَا | قَرِيبٌ مِنَ الأحْبَابِ قُرْبَ مَحَبَّةِ
إلهي قَرِيبٌ قُرْبَ لُطْفٍ مُقَدَّسٍ | إلهي عَنِ الأبْعَادِ والجَوْهَرِيَّةِ
إلهي قَرِيبُ الفَتْحِ مِنْ كُلِّ مُغْلَقٍ | إلهي قَرِيبُ الغَوْثِ مِنْ كُلِّ كُرْبَةِ
إلهي قَرِيبُ الفَتْحِ مِنْ كُلِّ بَائِسٍ | إلهي قَرِيبُ الرَّحْمَةِ الأبَدِيَّةِ
إلهيَ قُربي مِنكَ قُرْبُ تَعَبُّدٍ | وقُرْبُكَ مِنِّي قُرْبُ بِرٍّ وَرَحْمَةِ
وَكَيفَ ابْتِعَادِي عَنكَ قُرْبُكَ سَيِّدَا | هُ أَقْرَبُ مِنْ حَبلِ الوَرِيدِ لِفِطْرَتِي
لِقُرْبِكَ قَرِّبْنِي نَجِياً مُخَلَّصاً | مِنَ البُعدِ عَنْ رَبِّي لِسُوءِ طَرِيقَتِي
إلهيَ أكْرِمْنِي بِقُربِ إجَابَتي | فإنِّيَ مُضْطَرٌّ عَظِيمُ البَلِيَّةِ
وَعَدْتَ بِقُرْبٍ واسْتِجَابَةِ دَعْوَةٍ | إذا عَرَّجَتْ عَنْ ذِلَّةٍ وَضَرُورَةِ

الفعَّالُ لما يُريد جلَّ جلاله

إلى المَلِكِ الفعَّالِ في مُلْكِهِ لِمَا | يُرِيدُ تَنَاهَى رَهْبُ نَفسِي ورَغْبَتِي
هُوَ الفَاعِلُ المُخْتارُ ما شَاءَ كَائِنٌ | وما لم يَشَأْ لم يَأتِ ضِدَّ المَشِيئةِ
هو المُصْدِرُ الأفعَالَ خَلْقاً أَرَادَهُ | وإنْ صَدَرَتْ كَسْباً بِفِعْلِ الخَلِيقَةِ

يُؤثِّرُ ما يَختارُ فِعلًا مُقدَّساً … عَنِ العَبَثِ الفِطْريِّ وَالعِوَجِيَّةِ

وما فِعلُهُ تَأثِيرُهُ لِوُجُودِهِ … ولا فِعلُهُ تَأثِيرُهُ بِطَبيعَةِ

ولا فِعلُهُ إثْرَ اقتِفاءٍ لِفاعِلٍ … ولا أثَرٌ عَنْ شِرْكَةٍ أو مَعُونَةِ

ولا فِعلُهُ دَفعٌ وَنَفعٌ لِنفسِهِ … تَعالى ولا فِعلٌ على غَرَضِيَّةِ

تَأثَّرَتِ الأسبَابُ عَنهُ فَأثَّرَتْ … بِحِكْمَتِهِ التَّأثِيرَ بِالسَّبَبِيَّةِ

وما هَذهِ الأسبابُ آلاتُ فِعلِهِ … ولكنَّها مَأسُورَةٌ تَحتَ حِكْمَةِ

إلهيَ يا فَعَّالُ أشْكُو إليكَ ما … تَنَاوَبَنِي مِنْ نَكْبَةٍ غِبَّ نَكْبَةِ

إلهيَ فافْعَلْ بي الذي أنتَ أهْلُهُ … بحَقِّ اسْمِكَ الفعَّالِ واكْشِفْ مُلِمَّتِي

المَنَّان جلَّ جلاله

إلهيَ يا مَنَّانُ كَمْ لَكَ مِنَّةٌ … تَلُمُّ بها شَعْثِي وَتَشْعَبُ صَدْعَتِي

إلهيَ يا مَنَّانُ كم لَكَ مِنَّةٌ … جَبَرْتَ بها كَسْري وأغْنَيتَ عَيلَتِي

وكم مِنَناً أسبَغْتَ كَفَّتْ مَطَامِعِي … وسَدَّتْ وأغْنَتْ رَبِّ عَنْ كُلِّ مِنَّةِ

ولو لَمْ يَكُنْ إلّا امْتِنانُكَ بالهُدَى … وبالعِلمِ والعِرْفانِ والتَّبَعِيَّةِ

وعَافِيةِ المَحيا وعَافِيَةِ التُّقَى … وَوَقْفَةِ إيْقَانِي وَوَقْفَةِ دَعْوَتِي

وَتَوْفِيقِكَ اللهُمَّ لِي في مَسالِكِي … إليكَ وإحسَانِي وخَوفِي وَرَغْبَتِي

وَتَوْسِيعِكَ اللهُمَّ لِي مِنْ رَغَائِبٍ … سَعِدْتُ بها في غِبْطَةٍ مِنْ مَعِيشَتِي

وَرَدِّكَ أعْدَائِي وَقَطْعِكَ سُوءَهُم … وَنَصْرِكَ سُلْطاني عَلَيْهِم وَحُجَّتِي

وَمَنْ لِي بإحْصَاءِ امْتِنانِكَ سَيِّدي … وذلكَ شَأنٌ فَوقَ مِقْدَارِ قُوَّتِي

وَشَأنِيَ إعْرَاضٌ وَنَأيٌ بِجَانِبي … عَنِ الشُّكْرِ شَأنُ العَبْدِ والبَطَرِيَّةِ

دُعَائِي عَرِيضٌ وافْتِقارِيَ لازِمٌ … ومَنُّكَ يا مَنَّانُ طَوْلِي وَغُنْيَتِي

الخلاق جلَّ جلاله

إلـهـيَ يـا خَـلّاقُ أنـتَ خَـلَقْـتَـنِـي ... فسَـوَّيْـتَ أرْكَـانِـي وعَـدَّلْتَ خِلْقَتِـي

وَرَكَّـبْـتَـنِـي مـا شِـئـتَ فـي أيِّ صُـورَةٍ ... على وَضـعِ مُـخْـتـارٍ وتَـقـديرِ حِـكْـمَـةِ

وَأَوْجَـدْتَ أطْـوَارِي وَكَـسْبـي وَهَـيْـئَتِي ... وإدْرَاكَ وُجْـدَانـي وإحْـسَـاسَ نُـهْـيَـتِـي

وأشْـعَـرْتَـنِـي نَـفْـعِـي وَضُـرِّي مُـهَـيِّـئـاً ... مَـسَـالِكَ نَـفْـعِـي وابْـتِـعـادَ مَـضَـرَّتِـي

وَقَـدَّرْتَ مِـنِّـي الـخَـيـرَ والـشَّـرَّ فِـطْـرَةً ... وَقَـدَّرْتَ عُـقْـبَـى الـكَـسْـبِ مِـنْ بَـشـرِيَّـتِـي

ومـا لـيَ فـي خَـلْقِ اكْـتِـسَـابـيَ شِـرْكَـةٌ ... وَحَـاشَـاكَ لَـمْ تَـجْـبُـرْ عَـلى الـشَّـرِّ خِـيـرَتـي

وبـالـخَـلْقِ والأمْـرِ اخْـتَـصَـصْـتَ بِـغـيـرِ مـا ... اعْـتِـرَاضِ مَـثِـيـلٍ أو عَـنَـاءِ مَـشَـقَّـةِ

وَنَـوَّرْتَـنِـي بـالـعِـلْمِ مِـمّـا وَهَـبْـتَـنِـي ... وأخْـرَجْـتني مِـنْ بَـعضِ جَـهْـلِي وَضَـلَّتِي

وَبَـوَّأْتَـنِـي مِـمّـا خَـلَقْـتَ مُـبَـوَّءاً ... فـأحْـسَـبْـتَـنِـي مِـنْ صَـالِـحَـاتِ الـمَـبَـرَّةِ

وَحَـصَّـنْـتَـنِـي مِـنْ قَـومِ سُـوءٍ تَـحَـزَّبُـوا ... عِـزِينَ[1] عَـلَى ضَـعْـفِـي صِـلاباً لِـهَـلْكَـتي

بِـخَـلْقِـكَ يـا خَـلّاقُ كُـلَّ حَـقِـيـقَـةٍ ... فـأيِّـدْ بِـرُوحٍ مِـنـكَ رَبِّ حَـقِـيـقَـتِـي

ذو الطَّول جلَّ جلاله

إلـهـيَ يـا ذا الـطَّـوْلِ والـفَـضْـلِ هَـذِهِ ... خَـصَـاصَـةُ[2] نَـفـسِـي عِـنـدَ بَـابِـكَ حَـلَّتِ

إلـهـيَ يـا ذا الـطَّـوْلِ عَـبْـدُكَ بَـائِـسٌ ... أنـاديـكَ أرْجُـو فَـتـحَ بِـرٍّ وَرَحْـمَـةِ

إلـهيَ يا ذا الـطَّوْلِ طَالَتْ فـأحْـسَـنَـتْ ... أيَـادِيـكَ بـالإنْـعَـام كُـلَّ الـخَـلِـيـقَـةِ

بـحَـمْـدِكَ يـا ذا الـطَّـوْلِ لَـسْـنِـيَ قَـانِـطـاً ... عَـلَى العُـسْـرِ والأكْـدَاءِ مِـنْ رَوْحِ رَحْـمَـةِ

ومـا غَـمَّـنـي الإقْـتَـارُ إلّا تـفَـرَّجَـتْ ... غُـمُـومِـيَ يـا ذا الـطَّـوْلِ مِـنـكَ بِـنَـفْـحَـةِ

وفـي وُسْـعِ طَـولِ اللهِ ذي الطَّوْلِ مَوْضِعٌ ... لـتَـسْـهِـيـلِ أوْطَـارِي وَدَفْـعِ ضَـرُورَتـي

---

(١) عِزَة: الفِرْقَة مِنَ الناس ـ جَمْعُها عِزَى وعُزُون. جاء في التنزيل: «عَنِ اليَمينِ وعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ».

(٢) خَصَاصَة: حاجة.

مَتَى ضَايَقَتْنِي شِدَّةٌ لم تكُنْ لَهَا ... بِطَوْلِكَ يا ذا الطَّوْلِ حتى تَجَلَّتِ

أُبَشِّرُ آمَالِي وَقَدْ عَظُمَ البَلَا ... عَسَى مِنكَ يا ذا الطَّوْلِ يُسْرَى اسْتَهَلَّتِ

وَكَمْ لَكَ يا ذا الطَّوْلِ بُشْرَى تَنزَّلَتْ ... عَلَيَّ وتَبْرِيكَاتُ لُطْفٍ ونَظْرَةِ

خُلِقتُ جَزُوعاً عِندَ نَازِلَةِ البَلا ... وذلكَ دَأْبُ الفِطْرَةِ البَشَرِيَّةِ

وإلّا فعِندَ اللهِ رِزْقِي مُقَدَّرٌ ... وما ضَاقَ طَوْلُ اللهِ عَنْ سَدِّ خَلَّتِي

ذو القُوَّة جلَّ جلاله

مُفِيضُ قُوَى الأعْيانِ حَسْبَ ذَوَاتِها ... وتأثيرِها ذا القُوَّةِ المُطْلَقِيَّةِ

وذا القُوَّةِ الفعَّالَ حَسْبَ اخْتِيارِهِ ... بلا قَاسِرٍ أو قَيْدِ طَبْعٍ وعِلَّةِ

وذا القُوَّةِ المُمْتازَ في ذاتِ فِعْلِهِ ... وَقُوَّتِهِ عَنْ شِبْهِ فِعْلٍ وَقُوَّةِ

وذا القُوَّةِ الدَّرَّاكَ بالذات مُطْلَقاً ... لأجْزَاءِ مَقْضِيَّاتِهِ القَدَرِيَّةِ

وذا القُوَّةِ الدَّرَّاكَ لا بِوَسِيطَةٍ ... وَلَا لِانْتِهَا وَقْتٍ وَعَدٍّ وَشِدَّةِ

وذا القُوَّةِ الغَلّابَ ذا القُوَّةِ التي ... لها الثَّبْتُ والإثْبَاتُ في كُلِّ مُثْبَتِ

وذا القُوَّةِ القَهَّارَ قُوَّةَ ذَاتِهِ ... بحَسْبِ اتِّصَافِ الذاتِ بِالعِظَمِيَّةِ

بِقُوَّتِكَ العُظْمَى بِقَدْرِ نُفُوذِها ... عَنِ المَدَدِ المَاهِيِّ وَالحَيِّزِيَّةِ[1]

بِقُوَّتِكَ العُظْمَى بِقَدْرِ نُفُوذِها ... وَتَأْثِيرِها الأَشْيَاءَ وِفْقَ المَشِيئةِ

أَفِضْ لي قُوىً في القَلْبِ والنَّفسِ والحِجَا ... وفي الصَّالِحَاتِ العِلْمِ وَالعَمَلِيَّةِ

ولا تعْدُ يا ذا القُوةِ الخَصْمَ بَطْشَةً ... فأَنْتَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ وَبَطْشَةِ

المَليك جلَّ جلاله

وَثِقْتُ بِسُلطانِ المَلِيكِ وَعِزِّهِ ... وأرْكَانِهِ ذاتِ الجَلالِ الرَّفِيعَةِ

---

(١) الحَيِّزِيَّة: الحَيِّز المكاني.

وَثِقْتُ بِسُلطانِ المَليكِ لِنَازِلٍ مِنَ القَدَرِ المَحْتُومِ صَعْبِ الشَّكِيمَةِ
وَثِقْتُ بِسُلطانِ المَليكِ وَوَاثِقٌ بِسُلطانِهِ في حِصْنِ عِزٍّ وَمِنْعَةِ
وما وَاثِقٌ باللهِ فيما يَنُوبُهُ على حَرَجٍ مِنْ أمْرِهِ وَمَضِيعَةِ
تَمَلَّكَ نَفسِي يا مَليكُ اغْتِرَارُها فَفَرَّتْ إلى ما تَشْتَهِي وَتَولَّتِ
وَذلَّلَهَا الشَّيطانُ فيما تَرُومُهُ هُمَا مَلَكَا عَقْلِي وَسَاقا طَبيعَتِي
بِعِلْمِكَ ما لاقيتُ مَولايَ مِنْهُما وما سَبَّبَاهُ يا مَليكُ لِشَقْوَتِي
وفي النفسِ كَمْ مِنْ حُرْمَةٍ قَدْ تَوَثَّبَتْ عَلَيها وَكَمْ مِنْ وَرْطَةٍ بَعدَ وَرْطَةِ
وَكَمْ غَدْرَةٍ جَاءَتْ بِها وَشَنَائِعٍ أَتَتْهَا وعِصْيانٍ عَلَيهِ اسْتَمَرَّتِ
بِمُلْكِكَ رَبِّي هذه النَّفسُ زَكِّهَا وَقدِّسْ مَسَاعِيها بِنُورٍ وَحِكْمَةِ
إلهيَ في حَوْلِ المَليكِ وطَوْلِهِ بُلوغُ مَرامِي وانْتِفاءُ مَضَرَّتِي

الخاتمة الأولى

إلهيَ هذا مَوقفُ الخَوفِ والرَّجا وهذا مَقامُ العَائِذِ المُتَشبِّثِ
إلهيَ ما أوْقَفتنِي مَوقفَ الدُّعَا لِطَرْدٍ وإبْلاسٍ ويَأسٍ وخَيْبَةِ
إلهيَ لا يَشقى دُعَاتك بالدُّعَا ولا بَاءَ بالحِرْمَان إخْبَاتُ مُخْبِتِ
إلهيَ لولا نَظرَةٌ أزَلِيَّةٌ إليَّ لما أنْهَضْتَنِي نحو دَعْوَتي
إلهي بَشِيري بالإجَابَةِ دَعْوةٌ أُرَتِّلُها واللهُ حَاضِرُ حَضْرَتي
إلهي دُعَائِي ما لَهُ عَنكَ حَاجِزٌ وعَزْمُ إرَادَاتِي وثَبْتُ عَزيمَتي
إلهيَ أبْوابُ الدُّعَاءِ لِمَن دَعَا مُفتَّحةٌ فاسْمَعْ دُعَائي وصَرْخَتِي
وأنتَ تَرَى الأشْياءَ رَبٌّ ولا تُرَى وبالمَنْظَرِ الأعْلَى مَقامُ الأُلوهَةِ
وأنتَ إليكَ المُنتهَى وبِكَ القُوَى ومِنكَ الرَّجَا في دَفْعِ كُلِّ مُهِمَّةِ
إلهيَ أسْبَابُ الرِّضَاءِ تَرَكْتُها بِتسْوِيلِ شَيطانِي ونَفسِي الجَرِيئَةِ
ولم يَبقَ لي غيرُ التَّبتُّلِ والرَّجا إلى سَيِّدي مِنْ وُصْلَةٍ وَوَسِيلَةِ

وَحَسْبِيَ بالجُودِ الإلهِيِّ وُصْلَةٌ ... وإنْ قَبُحَتْ أعْمالُ نفسِي وسِيرَتي

ومالي إلى ما أبْتَغِي مِنكَ حِيلةٌ ... أنالُ بها سُؤْلِي سِوَى عُدْمِ حِيلَتِي

وأسْنَى مَقامَاتِي وأزْكَى تَصَرُّفِي ... مَعَ التَّوْبِ تَفويضِي إلَيكَ بَلِيَّتِي

وحُكْمُكَ إنْ فوَّضْتُ يَجْرِي كَمَا يَشا ... وإنْ لم أفوِّضْ فهو حَسْبَ المَشِيئَةِ

ولكنَّ تَفْويضِي أمُورِي ذَرِيعَةٌ ... إليكَ وتَحْقيقٌ لِقَدْرِ عُبُودَتي

وهذا مَقامٌ لِلعُبُودَةِ لازِمٌ ... تَقومُ بِهِ للحَقِّ في كُلِّ حَضْرَةِ

إلهِيَ إقْدامِي عَلَى ما كَرِهْتَهُ ... لَدَى جَنْبِ عَفْوِ اللهِ كالعَدَمِيَّةِ

ومُزْدَلفي للخَيرِ حَوْلٌ تَسُوقُهُ ... إلَيَّ وإلّا أينَ حَوْلِي وقُوَّتي

وما طَاعَتي مَنٌّ عَليكَ وإنَّما ... لِذاتِكَ رَبِّي كُلُّ مَجْدٍ ومِنَّةِ

وما صَاعِدٌ مِنْ طَيِّبٍ وصَوَالِحٍ ... رَفَعْتَ بِفَضْلِ رَبِّ مِنْ لَدُنِيَّتِي

ولكِنْ إذا وَفَّقْتَ عَبْداً هَدَيْتَهُ ... إلى طَيِّباتِ القَولِ والعَمَلِيَّةِ

تُسبِّبُ فِعلَ الصَّالِحَاتِ تكَرُّماً ... وتَجْزِي عَلَيها صَالِحَاتِ المَثُوبَةِ

تَجلَّيْتَ بالإكْرَامِ في كُلِّ شَاهِدٍ ... ورَشَّحْتَ للتَّقرِيبِ في كُلِّ وِجْهَةِ

ونَادَيتَ للرِّضْوَانِ والكَوْنُ مَسْمَعٌ ... ونوَّرْتَ بالعِرْفانِ أهْلَ الحَقيقةِ

تَعَرَّفتَ بالإحْسَانِ فيما شَرَعْتَهُ ... فَتكْلِيفُكَ اللهُمَّ إسْباغُ نِعْمَةِ

مَدَدْتُ يَدِي والفَقرُ حَشْوُ إهَابِهَا ... إلى يَدِ ذِي المَنِّ العَظِيمِ العَطِيَّةِ

وأوْفَدْتُ آمَالِي صَوارِخَ خُشَّعاً ... إلى بَابِهِ وهو البَصِيرُ بِوَفْدَتِي

إلهي قَدِ اشْتَدَّتْ إلى اللهِ فَاقَتِي ... وشَدَّتْ إلى مَعْرُوفِ جُودِكَ نُجْعَتي

إلهيَ حَاجَاتِي عَليكَ يَسِيرَةٌ ... وإنْ غَلَبَتْ قَدراً تَمَحُّلَ قُدرَتي

إلهيَ مِنْ حَاجَاتِ نَفسِيَ تَوْبَةٌ ... عَليَّ وغُفْرانٌ وعَفْوٌ لِزَلَّتي

وأكْبَرُها الرِّضْوانُ عَنِّي بِجَنَّةٍ ... أجَاوِرُ فيها خاتَمَ الرُّسُلِيَّةِ

ولا شيءَ مِمَّا أبْتَغِي مِنكَ سَيِّدي ... يُغايِرُ يا غَوْثَاهُ جُودَ الألُوهَةِ

وما في نَجَاتِي مِنْ عَذابِكَ ذرَّةٌ ... تُغايِرُ شأنَ الحِكْمَةِ الأحَدِيَّةِ

ولا في عَذابِي ذرَّةٌ تُنْقِصُ الغِنَى ... إلهي ولو عُوقِبْتُ كُلَّ عُقُوبَةِ

وما يَفعَلُ الرَّحمنُ والحِلمُ شَأْنُهُ بِتعذِيبِ عَبْدٍ بَعدَ تَحقِيقِ تَوْبَةِ
إلهيَ إنْ كَانتْ نَدَامَةُ مَنْ عَصَى مَتاباً فإنِّي نَادِمٌ مِنْ خَطِيئتي
نَدَامَةَ عَبدٍ يَبْتغي وَجْهَ رَبِّهِ بِتَوْبَتِهِ مُستبْصِراً بَعدَ غَفْلَةِ
نَدَامَةَ مُضْطَرٍّ نَدَامَةَ مُتَّقٍ نَدَامَةَ مَغرُورٍ بِدُنْيا دَنِيَّةِ
نَدَامَةَ مَنْ لا يَتَّقِي غيرَ رَبِّهِ ولا يَرتَجِي إلّا نَوالَ الرُّبُوبَةِ
نَدَامَةَ عَبدٍ فَارَقَ الكَوْنَ كُلَّهُ إليكَ، ولَمْ يَعبَأْ بِكُثْرٍ وقِلَّةِ
نَدَامَةَ عَبدٍ طَرَّدَتْهُ ذُنُوبُهُ كَمَالُكَ وَاغوْثاهُ كَهفُ الطَّرِيدَةِ
نَدَامَةَ عَبدٍ أخْجَلَتهُ عُيُوبُهُ فيا حَرَبا مما جَنيتُ وخَجْلَتِي
نَدَامَةَ عَبْدٍ أحرَقَ الخَوْفُ قَلْبَهُ بنفسٍ لإحسَانِ الرَّجَاءِ مَشُوقَةِ
حَدَانِي إلَيكَ الشَّوْقُ والذَّوْقُ سَيِّدي وأوْقَفتُ ذنْبي عِندَ عِزِّ المَشِيئَةِ
وقدَّمْتُ نَفسِي قَذَّرَتْها ذُنُوبُها لِتَغسِلَها بالرَّحمَةِ الأزَلِيَّةِ
وقَدَّمْتُ نَفسِي والمَصَائِبُ جَمَّةٌ لِتلْطُفَ بي في النَّازِلاتِ الوَبِيلَةِ
وإنِّي لَرَاجٍ بَعدَ تَقدِيمِها غِنًى بِرَبِّي وتَقدِيماً إلى خَيرِ زُلْفَةِ
وإنِّي لَرَاجٍ مِنكَ فَوزَةَ صَابِرٍ وإنقاذَ مَضْرُورٍ وإكْمَالَ نِعْمَةِ
وإنِّي لَرَاجٍ مِنكَ أنْ أُدرِكَ المُنَى بِصِدْقِ الرَّجَا مِنِّي وإلحَاحِ دَعْوَتي
وإنِّي لَرَاجٍ إذْ جَعَلْتُكَ مَقصَدِي بأنْ تَدْفَعَ الآفاتِ عَنْ بَشَرِيَّتِي
إلهي بِجَاهِ اللهِ أسألُكَ الرِّضَا وأسألُكَ اللهُمَّ صِدْقَ المَحَبَّةِ
وفَوْزاً بِدَارِ الخُلْدِ مَولايَ والنَّجَا مِنَ النَّارِ في النَّاجِينَ مِنْ خَيرِ أُمَّةِ
ويُمْناً وإيمَاناً وإيْقانَ مُخْلِصٍ وَعَدْلًا وإحسَاناً ونُورَ سَرِيرَةِ
وَخَاتِمَةً بالخَيرِ يا رَبِّ والهَنا وَدَفْعَ الشَّقا عَنِّي وَتَسهِيلَ مَوْتَتِي
وأسألُكَ اللهُمَّ وَفْراً مِنَ الغِنَى وأسألُكَ اللهُمَّ حُسْنَ مَعِيشَتي
وأسألُكَ اللهُمَّ كَشْفَ جَهَالَتِي وتَنوِيرَ عَقلِي واتِّبَاعَ الشَّرِيعَةِ
وأسألُكَ اللهُمَّ نَصْراً وقُوَّةً على خَصْمِكَ البَاغِي على ضَعْفِ قُوَّتِي
وأسألُكَ اللهُمَّ شُكْراً مُبَلِّغاً مَزِيدَكَ في الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ نِعْمَةِ

وأسألُكَ اللهُمَّ صَبراً على البَلا فإنِّي جَزُوعُ النَّفسِ رَخْوُ العَزِيمَةِ
فيَسِّرْ لِيَ اللهُمَّ ما قد سَألتُهُ وما قَصَّرَتْ عَنهُ لِسَانِي ودَعْوَتي
بأسْمَائِكَ الحُسْنى تَقرَّبتُ سَيِّدي إليكَ مُجِدّاً في هُتَافِي وقُرْبَتِي
جَعَلْتُ سَمِيرَ الطَّبعِ تَرْتِيلَ ذِكْرِها لوَجْهِكَ رَبِّي خَلْوَةً بَعدَ خَلْوَةِ
بحَقِّكَ أمْطِرْني سَحَائِبَ سِرِّها بما خَصَّ كُلًّا مِنْ كَمَالٍ وقُوَّةِ
وهَبْ لي بها مِنْ كُلِّ خَيرٍ أتَمَّهُ إلهيَ في الدُّنيا وفي الأُخْرَوِيَّةِ
إلهي فَتحتَ الفَتحَ لي وأقَمْتَني بحُبِّكَ فاخْتِمْ لِي بِخَتْمِ المَحَبَّةِ

الخاتمة الأخرى

وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَدَّ أسْرَارِ كُلِّ ما لِذاتِكَ مِنْ اسْمٍ بَدَا أو بِخَفِيَّةِ
وصَلِّ وسَلِّم عَدَّ أسْرَارِ جَاهِها ومِقْدَارِها في الشَّأنِ والعِظَمِيَّةِ
وصَلِّ وسَلِّم عَدَّ أسْرَارِ نُورِها وأضْوَائِها يا نُورُ في كُلِّ رُتْبَةِ
وصَلِّ وسلِّم عَدَّ ما في بِحَارِها من الجَوْهَرِ المَكْنُونِ عَنْ أيِّ فِطْرَةِ
وصَلِّ وسَلِّم مِثلَ عَدِّ شُؤُونِها وأكْوَانِ تَأثِيرَاتِها المُطْلقيَّةِ
وصَلِّ وسَلِّم مِثلَ سَيبِ فُيُوضِها وقُوةِ إدْرَاكَاتِها الأزَلِيَّةِ
وصَلِّ وسَلِّم مِثلَ بَحْرِ مِدَادِها وتَنْزِيلِ إمْدَاداتِها كُلَّ قُوةِ
وصَلِّ وسَلِّم عَدَّ ما تَحتَ دَرْكِها مِنَ الأثَرِ المَغْمُور بالقَادِرِيَّةِ
وصَلِّ وسلِّم عَدَّ ما تَحتَ مَجْدِها وسُلْطَانِها مِنْ مُتْقَنِ المُوجِدِيَّةِ
وصَلِّ وسَلِّم حسبَ تَصْرِيفِ قَهْرِها وتَدْبِيرِها الأحْكَامَ في كُلِّ ذرَّةِ
وصَلِّ وسَلِّم حسبَ أشْكالِ ما اقْتَضَتْ مِنَ القِدَمِ الأعْلَى عَلَى الأبَدِيَّةِ
وصَلِّ وسَلِّم حسبَ سُرْعَةِ لُطْفِها وتَفرِيجِها يا سَيِّدي كُلَّ كُرْبَةِ
وصَلِّ وسَلِّم حسبَ كُنْهِ جَمَالِها وحسبَ مَقاماتِ عَلَيهَا تَجَلَّتِ
وصَلِّ وسَلِّم حسبَ مَجْدِ جَلالِها وما لِتَعَالِيها مِنَ القَاهِرِيَّةِ

وصَلِّ وسَلِّم حَسبَ قُدْسِ كَمَالِها … وتكْمِيلِها الأسْرَارَ حَيثُ تَوَلَّتِ
وصَلِّ وسلِّم حَسبَ رِفْعَةِ عِزِّها … وإعْزازِهَا في حِصْنِها مَنْ أعَزَّتِ
وصَلِّ وسَلِّم حَسبَ ما تَقْتَضِيهِ في … مَظاهِرِها مِنْ وَاجِبَاتِ الأُلُوهَةِ
وصَلِّ وسَلِّم ما تَجَلَّى ظُهُورُها … بِمَطْلَعِ قَيُّومِيَّةِ الأحَدِيَّةِ
وصَلِّ وسَلِّم ما أفاضَتْ غُيُوثُها … على أنفُسٍ حَتى زَكَتْ وتَزَكَّتِ
وصَلِّ وسَلِّم ما اسْتَهَلَّ سَحَابُها … بفتحٍ وغُفرَانٍ ولُطْفٍ ورَحْمَةِ
وصَلِّ وسَلِّم ما تَوَصَّلَ وَاصِلٌ … إليكَ بها إذ هُنَّ أمْتَنُ وُصْلَةِ
وصَلِّ وسَلِّم مَا تَحَقَّقَ مُخْلِصٌ … بها فانْتَشَى مِنْ بَحْرِ عَينِ الحَقِيقَةِ
على المُصْطفى الهَادي إليكَ مُحَمَّدٍ … رَسُولِكَ خَتْمِ الرُّسْلِ خَيرِ البَرِيَّةِ
هو الجَامِعُ الأسماءَ جَمعَ تَحَقُّقٍ … وَمِشْكَاةُ مِصْباحِ الصِّفاتِ الجَلِيلَةِ
هو الجَامعُ الأسْرَارَ في جَيبِ سِرِّهِ … هو المُشْرِقُ الأنوارِ في أيِّ وُجْهَةِ
هو الكَاشِفُ الأسْتارَ عن نَيِّرِ الهُدى … هو البَاعِثُ المَبْعُوثُ بالحَنَفيَّةِ
هو الأولُ المَكْنونُ في أبْحُرِ الخَفا … هو الآخِرُ المَقصُودُ في كُلِّ رُتْبَةِ
هو الظَّاهِرُ المَعْلُومُ قَبلَ ظُهُورِهِ … هو البَاطِنُ الخَافِي بكُلِّ حَقِيقَةِ
هو السَّابقُ المَخْصُوصُ مَجْداً بِسَبْقِ: كُنْ … هو اللاحِقُ المَرْضِيُّ للأقْرَبيَّةِ
هو القَاهِرُ الغَلابُ سَيفاً وحُجَّةً … هو المُجْتَبى المُختارُ للأكْرَمِيَّةِ
هو البَاهِرُ البُرْهانِ نُوراً وكِلْمَةً … هو البيِّنُ الآياتِ رَوحُ الشَّرِيعَةِ
هو القَائِمُ السَّاطِي بعَزْمٍ مُؤيَّدٍ … هو الفَاتِحُ المَنْصُورُ في كُلِّ وُجْهَةِ
هو النَّاصِرُ الأمْرَ الإلهيَّ حَازِماً … مَنِيعاً عَلِيّاً في مَقامِ المَعِيَّةِ
تَوَلَّيتَهُ واخْتَرْتَهُ ومَلأْتَهُ … بنُورِكَ واسْتَخْلَصْتَهُ للمَحَبَّةِ
وبَوَّأتَهُ مِنْ كُلِّ خَيرٍ أتَمَّهُ … وأزْكَاهُ والأكْوَانُ في العَدَمِيَّةِ
فكُلُّ مَزايَا الرُّسْلِ والأنبياءِ في … بِحَارِ مَزايَا شَأنِهِ حُكْمُ نُقْطَةِ
وما طَمَعُ الأمْلاكِ والرُّسْلِ مُطْلَقاً … بأن يَبْلُغوا مِقْدَارَهُ قَدْرَ نِسْبَةِ
ولا جَنَحَ الأبْرَارُ أنْ يَتَزَلَّفُوا … إليكَ سِوَى مِنْ بَابِهِ عِنْدَ قُرْبَةِ

قَسَمْتَ حُظوظَ القُرْبِ بَينَ جَميعِهِم ... ولكِنَّها مِنْ حَظِّهِ فيَ الحَقِيقَةِ
وآثَرْتَهُ مِنْ بَينِ خَلْقِكَ كُلِّهِم ... بأنْ كانَ أَصْلَ الكائِناتِ البَدِيعَةِ
وآثَرْتَهُ مِنْ بَينِ خَلْقِكَ كُلِّهِم ... بأنْ كانَ عِندَ اللهِ خَيرَ وَسِيلَةِ
وآثَرْتَهُ مِنْ بَينِ رُسْلِكَ كُلِّهِم ... بأنْ جاءَ مَبْعُوثاً إلى خَيرِ أُمَّةِ
وآثَرْتَهُ بالنَّعْتِ مِنْ قَبلِ بَعْثِهِ ... على الصُّحُفِ الأولَى بكُلِّ نُبُوَّةِ
وآثَرْتَهُ مِنْ كُلِّ زُلْفى ومَفْخَرٍ ... بما قَصَّرَتْ عَنْ فَهْمِهِ كُلُّ نُهْيَةِ
فصَلِّ وسَلِّم بالذي أنتَ أهْلُهُ ... عَليهِ وبَارِكْ وارْضَ في كُلِّ لَحْظَةِ
صَلاةً وتسْليماً يُوازي مَقامَهُ ... ويَعْدلُ مَعلُوماتِكَ الفِطَرِيَّةِ
وأكْرِمْهُ بالزُّلْفى التي لَيسَ دُونَها ... قَريبٌ ولا مِنْ فَوقِها مِنْ فَضِيلَةِ
وضَاعِفْ لَهُ الفَضْلَ العَظيمَ مُشفَّعاً ... بأضْعافِ ما أحْصَاهُ عِلْمُ الألُوهَةِ
وبَوِّئْهُ مِنْ أسْنَى المَقاماتِ في الرِّضَا ... مُبَوَّءَ صِدقٍ دُونَهُ كُلُّ رِفْعَةِ
وبلِّغْهُ مِمّا يَرْتَجِيهِ لِنَفسِهِ ... مُضَاعَفَةَ الإكْرَامِ مِنْ كُلِّ خِيرَةِ
وبَلِّغْهُ مما يَرْتَجيهِ لِغَيرِهِ ... جَزِيلاً بهِ عَينَاهُ لَذَّتْ وقَرَّتِ
وشَفِّعْهُ يا ذا الجُودِ فِينا شَفاعةً ... نَنَالُ بها الغُفْرَانَ عَنْ كُلِّ زَلَّةِ
وشَفِّعْهُ فينا وارْضَ عنا بِجَاهِهِ ... رِضاً يَتلَقانِي بِفَوزٍ ورَحْمَةِ
وصَلِّ وسَلِّم مَا دَنا مِنكَ ذَاكِرٌ ... عَليهِ وخَصِّصْهُ بأسْنَى مَزِيَّةِ
صَلاةً وتَسْليماً عَليهِ وآلِهِ ... وأصْحَابِهِ مَعْ مُخْلِصِي التَّبَعِيَّةِ
وصَلِّ على الرُّسْلِ الكِرَامِ وآلِهِم ... وسَائِرِ مَنْ أكْرَمْتَهُم بالنُّبُوَّةِ
وصَلِّ على الأمْلاكِ في مَلَكُوتِهِم ... وجِبْريلَ مَخْصُوصاً بِأزْكَى تَحِيَّةِ
وأهْلِ سَبيلِ الاسْتِقَامَةِ في الهُدَى ... وصَلِّ عَلَينا عِندَهُم ذا العَطِيَّةِ
إلهي بِجَاهِ السَّيدِ الأكْرَمِ الذي ... هو الرَّحْمَةُ العُظْمَى لِكُلِّ الخَليقةِ
مُحَمَّدٌ البَرُّ الرَّحِيمُ الذي أتى ... حَرِيصاً عَلَينا بَينَ بِرٍّ ورأفَةِ
تَوَسَّلْتُ مُلتاذاً بسُلطَانِ قُرْبِهِ ... إليكَ، وحَسْبي أنْ يَكُونَ وَسِيلَتي
ومَنْ يَتوَسَّلْ بالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ... يُلاقِ المُنَى مِنْ عَينِ كُلِّ رَغِيبَةِ

إلهي قَرَعتُ البابَ مِنْ حَيثُ يَنبَغي ... ونَادَيتُ بالأسْمَاءِ في صَوتِ دَعْوَتي

ووَجّهْتُ وَجْهِي نحو وَجْهِكَ ضَارِعاً ... واسْمُك ذِكْرِي والحَبيبُ ذَرِيعَتي

إلهيَ هَبْ لِي نَظرَةً في مَطَالِبي ... فحَسْبِي غِنىً إنْ نَظْرَةٌ مِنكَ حَقَّتِ

وَخُذْ بِيدِي فِي كُلِّ أمْرٍ سِيَاسَةً ... وحُسْنَ خِتامٍ بالرِّضَا اجْعَلْ مَبَرَّتي

الناموس الأسنى
في أسماء اللَّه الحسنى

الأولى: الحَضْرَةُ الجامِعَة

باسمِكَ الأعظَمِ العَظِيمِ الأَجَلِّ ... العَلِيِّ الأعلى تَعَلَّقَ ذُلِّي
باسمِكَ الأعظَمِ المُقدَّسِ ذي النُّو ... رِ البَديعِ الرَّفِيعِ وَجَّهْتُ كُلِّي
باسمِكَ الأعظمِ الجَليلِ الكَبيرِ الـ ... ـقاهِرِ البَاهِرِ المُعِزِّ المُذِلِّ
باسمِكَ الأعظمِ الذي دَكَّ طَوْرِي ... وبإشْرَاقِ نُورِهِ نَسْخُ ظِلِّي
باسمِكَ الأعظمِ الذي تَرْجِعُ الأشْـ ... ـمَا إليهِ رُجُوعَ فَرْعٍ لأصْلِ
باسمِكَ الأعظمِ المُسَبَّحِ إيَّا ... كَ بِهِ الآزَالَ مِنْ قَبْلِ قَبْلِ
باسمِكَ الأعظمِ الذي سَبَّحَ العَر ... شُ بهِ وَجْهَكَ الكَرِيمَ بِوَهْلِ
باسمِكَ الأعظمِ الذي سَبَّحَ الرُّو ... حُ بهِ في شُهُودِهِ والتَّجلِّي
باسمِكَ الأعظمِ الذي سَبَّحَتْهُ ... سِدْرَةُ المُنْتَهَى وَمَنْ في المَحَلِّ
باسمِكَ الأعظمِ الذي غَشِيَ السِّدْ ... رَةَ مِنهُ ما فَوقَ فَهْمٍ وعَقْلِ
باسمِكَ الأعظمِ الذي حَمَلَ العَرْ ... شَ بِهِ حَامِلُوهُ مِنْ غَيرِ ثِقْلِ
باسمِكَ الأعظمِ الذي أَسْجَدَ العَرْ ... شَ على المَاءِ بِافْتِقَارٍ وَذُلِّ
باسمِكَ الأعظمِ الذي أَلْهَمَ الكُرْسِـ ... ـيَّ في تَسْبِيحِهِ وَكَيفَ يُصَلِّي
باسمِكَ الجَامِعِ الصِّفاتِ الإلهِيَّـ ... ـاتِ قُطْبِ الأذْكَارِ مِنْ أيِّ شَكْلِ

باسمِكَ الحَقِّ مُظهِرِ الحَقِّ اسْمِ الـ ... ـذاتِ سُلْطانِ كُلِّ اسْمٍ وَفِعْلِ

باسمِكَ المُصْعِقِ المَلائِكَ إجْلا ... لًا وَخَوفاً عَلى جَمالِ التَّوَلِّي

باسمِكَ الجاعِلِ السَّمواتِ والأرْ ... ضِ بِوَسْطِ الكُرْسِيِّ شَعْرَةَ عَلٍّ

باسمِكَ الغالِبِ المُدَبِّرِ للأمْـ ... ـرِ ولِلخَلْقِ تَحتَ عَقْدٍ وَحَلٍّ

باسمِكَ القابضِ القَوِيِّ القَدِيرِ الـ ... ـقائِمِ المُقْسِطِ القَضاءَ بِعَدْلِ

باسمِكَ الباسِطِ الكَريمِ المُرَبِّي ... كُلَّ ذِي نَسْمَةٍ بِرِزْقٍ وَفَضْلِ

باسمِكَ المُبْدِعِ البَدائِعَ والصُّنْـ ... ـعَ بلا شِرْكَةٍ ولا سَبْقِ مِثْلِ

هو أنتَ اللهُ الذي كُنْتَ والآزا ... لُ كانَتْ بـ «كُنْ» وبَعْدُ كَقَبْلِ

هو أنتَ اللهُ المُكَوِّنُ للكَيْـ ... ـفِ وَلِلْكَمِّ وَالمَتَى وَالمَحَلِّ

هو أنتَ اللهُ الإلَهُ القَدِيمُ الـ ... أحَدُ الفَرْدُ البَاطِنُ المُتَجَلِّي

هو أنتَ اللهُ الرَّفِيعُ الجَمالِ الصَّمَـ ... ـدُ الدَّائِمُ الجَلالِ الأجَلِّ

هو أنتَ اللهُ الذي لَمْ يَلِدْ، كَـ ... ـلّا وَلَمَّا يُولَدْ وَيُنْسَبْ لأصْلِ

هو أنتَ اللهُ المُقَدَّسُ عن كُفْـ ... ـءٍ وَضِدٍّ وَعَنْ شَرِيكٍ وَشَكْلِ

هو أنتَ اللهُ المُنَزَّهُ عَنْ إدْرا ... كِ حِسٍّ وَعَنْ تَوَهُّمِ عَقْلِ

هو أنتَ اللهُ المُنَزَّهُ عَنْ حَـ ... ـدٍّ ورَسْمٍ وَأيِّ فَصْلٍ وَوَصْلِ

هو أنتَ اللهُ الذي بَدَأ الخَلْـ ... ـقَ وأفْناهُ قَهْرُهُ المُتَوَلِّي

هو أنتَ اللهُ المُعِيدُ لما أفْنَيْـ ... ـتَ بَعْثاً إلى جَزاءٍ وفَضْلِ

هو أنتَ اللهُ الذي دانَ حَقّاً ... أنَّهُ لا إلَهَ غَيْرُكَ عَقْلي

هو أنتَ اللهُ الذي اسْمُكَ ... الحِسِّيُّ سَرَى سِرُّهُ بِجُزْءٍ وكُلِّ

هو أنتَ اللهُ اخْتَصَصْتَ بِقَيُّو ... مِيَّةٍ أحاطَتِ الوُجُودَ بِحَوْلِ

هو أنتَ اللهُ العَزِيزُ الثَّنا عن ... سِنَةٍ أو نَوْمٍ وَسَهْوٍ وَغُفْلِ

هو أنتَ اللهُ الذي مَلَكَ العَر ... شَ وما فيهِ مِنْ دَقِيقٍ وجَلِّ

هو أنتَ اللهُ المُهابُ فمَنْ يَشْـ ... ـفَعُ إلّا بالإذْنِ مِمَّنْ تُوَلِّي

هو أنتَ اللهُ العَلِيمُ قَدِيماً ... لا بِعِلْمٍ كَعِلْمِنا بَعدَ جَهْلِ

هو أنتَ اللهُ المُفِيضُ لِمَنْ شِـ ـئتَ بما شِئتَ مِنْ عُلُومٍ وَعَقْلِ

هو أنتَ اللهُ الذي وَسِعَ الكُرْ سيَّ والعرشَ عِزَّةُ المُتعلِّي

هو أنتَ اللهُ الحَفِيظُ فلا تَنْسَى ولا تَعْترِيكَ وَصْمَةُ كَلٍّ

هو أنت اللهُ العَليُّ العَظيمُ النـ ـافذُ الأمرِ بَينَ فَضْلٍ وَعَدْلِ

هو أنتَ اللهُ المُبِرُّ بإعْلا نٍ وسِرٍّ بِلُطْفِكَ المُشْتَهِلِّ

فاتحَ البِرِّ مَانِحَ السِّرِّ يا اللهُ يا اللهُ هَاكَ وَجْهِي وذُلِّي

دافعَ الشرِّ كَاشفَ الضُّرِّ يا اللهُ يا اللهُ قَدْ عَلِمْتَ، فَكُنْ لِي

جَامعَ النَّاسِ لِلقِيامَةِ يا اللهُ يا اللهُ اجْمَعْ شَتاتي وشَمْلي

دائمَ المُلْكِ ثَابتَ المَجْدِ يا اللهُ يا اللهُ انْظُرْ لِعَجْزِ الأذَلِّ

غَالبَ القَهْرِ شَامِخَ العِزِّ يا اللهُ يا اللهُ عَزَّ قَهْرُكَ حَبْلِي

مُلْقِيَ النُّورِ والمَعَارِفِ يا اللهُ يا اللهُ اكْشِفْ بِنُورِكَ جَهْلِي

مُوصِلَ الفَيْضِ باللطَائفِ يا اللهُ يا اللهُ صِلْ بِفَيْضِكَ وَصْلِي

وَاسِعَ اللطْفِ رَاحِمَ الكُلِّ يا اللهُ يا اللهُ الْطُفْ بِحَالِي وحَوْلِي

مُسْبِغَ النِّعْمَتَينِ ذا المَنِّ يا اللهُ يا اللهُ طَوْلُ مَنِّكَ طَوْلِي

قَاسِمَ الرِّزْقِ مُسْبِلَ الخَيرِ يا اللهُ يا اللهُ ضَاقَ بالعُسْرِ غُلِّي

سَامِعَ الحَمْدِ مُبصِرَ الجَهْدِ يا اللهُ يا اللهُ يَا مَلِيّاً بِنَيْلِي

فِطْرَةُ الافْتِقَارِ والعَجْزِ يا اللهُ يا اللهُ في قُيُودِ التَّوَلِّي

لا تَكِلْنِي إلى قُوَى العَجْزِ يا اللهُ يا اللهُ بَلْ تَوَلَّ مَحَلِّي

كُلُّ ما في الوُجُودِ غَيرُكَ يا اللهُ يا اللهُ لا يَقُومُ بِفِعْلِ

أمرُكَ النافذُ المُصَرِّفُ يا اللهُ يا اللهُ كُلَّ دِقٍّ وجِلِّ

قَدْ تَعَلَّقْتُ باسْمِ ذاتِكَ يا اللهُ يا اللهُ مُسْنِداً لَكَ وَأْلِي

واعْتِصَامِي باسْمِ ذاتِكَ يا اللهُ يا اللهُ عَيْنُ عِزِّي وحَوْلِي

مُدَّ لِي يا اللهُ يا اللهُ مَدّاً مِنْ تَصَارِيفِ سِرِّ الاسْمِ الأجَلِّ

يَجْعَلُ المُمْكِناتِ مُنفَعِلاتٍ مُلْقِياتٍ يا اللهُ يا اللهُ سُؤْلِي

وَاكْسُنِي مِنْ جَلالِ اسْمِكَ يا اللهُ   قَهْراً مُحَقِّقاً فِيكَ ذُلِّي
لَم يَخِبْ يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ   عَبْدٌ بالاسْمِ الأعْظَمِ يُدْلِي
وَبِهِ يا اللهُ حَمْدِي   وَبِهِ سَبَّحَتْ حَقِيقَةُ كُلِّي

الثانية: الحَضْرَةُ الأحَدِيَّة

يا إلهي وحَّدْتُ ذَاتكَ إيْمَا   ناً وصِدقاً وفِطْرَةً لا تُوَلِّي
صِبْغَةُ اللهِ صِبْغَتِي لَكَ يا وَا   جِدُ وَجْهِي وحَبْلُ الإسْلام حَبْلِي
مِنْ شَرَابِ التَّوحِيدِ يا أحَدُ الفَرْ   دُ اسْقِنِي شَرْبَةَ المُحِبِّ المُدِلِّ
فَاطِرَ الكَائِنَاتِ فِطْرَةَ تَوْحِيـ   ـدٍ عَلَيْها ثَبِّتْ يَقِينِي وعَقْلِي
ابْقِنِي يَا بَاقِي عَلَى العُرْوَةِ الـ   ـوُثْقَى إلى أنْ أَلْقَاكَ في يَومِ فَضْلِ

الثالثة: الحَضْرَةُ العِرْفانيَّة

عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادةِ عَلَّا   مَ الغُيُوبِ العَلِيمَ عِلْمَكَ هَبْ لي
وَاهِبَ الفَيْضِ أَوْعِ قَلْبي بالحِكْـ   ـمَةِ والعِلْمِ يا حَكِيمُ ومَلِّ
يا مُفِيضَ الأنوارِ نُورَ السَّمَوا   تِ والأرْضِ اجْلِ رَيْنَ ظُلْمَةِ جَهْلِي
مَنَعَتْنِي عَنِ الحَقائِقِ حُجُبٌ   مَزِّقِ الحُجْبَ يا مُبِينُ وجَلِّ
وَأَبِنْ لِي النُّورَ والمَعَارِفَ يا ظَا   هِرُ مِنْ بَحْرِ نُورِكَ المُتَجَلِّي
لا تُفِتْنِي عِلمَ الحَقِيقَةِ وَهْباً   بَاطِنُ الذاتِ في ظُهُورِ التَّجَلِّي
كيفَ تَبْقى كَثَائِفُ الجَهْلِ عِندِي   إنْ تَكُنْ يا خَبيرُ أنتَ المُجَلِّي
فاهْدِنِي يا هَادِي صِرَاطَكَ وأهْدِ الـ   ـخَلْقَ لي واهْدِ بي إلى خَيْرِ سُبْلِ
يا بَدِيعُ اكْشِفْ لِيَ البَدَائِعَ واقْذِفْ   شُعَلَ الفَهْمِ والذَّكَاءِ بِعَقْلِي
واسْقِنِي مِنْ عَينِ الحَيَاةِ بِسِرِّ اسْـ   ـمِكَ مُحْيِي واجْعَلْهُ عَلِّي ونَهْلِي

مُـدَّ لـي مِـنْ سِـرِّ الإحَـاطَـةِ مَـدّاً ... يـا مُـحِـيـطـاً عِـلْـمـاً بِـجُـزْءٍ وكُـلٍّ
يـا سَـمِـيـعُ اكْـشِـفْ لـي سَـتـائِرَ أسْـرا ... رِ الأسَـامِـي واسْـمَـعْ دُعَـائِي وَوَهْـلي
يـا بَـصِـيـرُ امْـنَـحْـنِـي يَـقـيـنـاً وإدْرَا ... كـاً وبَـصِّـرْ سِـرِّي بِـنُـورِكَ واجْـلِ
يا حَفِيظُ احْفَظْنِي وهَبْ ليَ حِفْظاً ... خَـازِنـاً مُـحْـصِـيـاً لـمَـا الـوَهْـبُ يُـمْـلي

الرابعة: الحَضْرَةُ القُدسِيَّة

سَـيِّـدي يـا تَـوَّابُ جَـلَّـتْ ذُنُـوبـي ... غَـرَّنِي حِـلْـمُـكَ الـعَـظِـيـمُ وجَـهْـلي
سَـيِّدي يـا غَـفـورُ قَـدْ تُـبْـتُ فـاغْـفِـرْ ... وتَـجَـاوَزْ عَـنْ قُـبْـحِ سَـوْءَةِ فِـعْـلي
سَـيِّدي يـا حَـلِـيـمُ عَـادَتُـكَ الـحِـلْـ ... ـمُ ومِـنْ عَـادَتِـي اقْـتِـرَافـي وبُـطْـلي
سَـيِّدي يـا عَـفُـوُّ إنْ تَـعْـفُ عَـنِّـي ... فَـبِـفَـضْـلٍ وإنْ تُـعَـذِّبْ بِـعَـدلِ
سَـيِّدي يـا رَؤُوفُ عَـطْـفـاً وصَـفْـحـاً ... حُـطَّ عَـنِّـي مِـنَ الـخَـطِـيـئـاتِ ثِـقْـلي
غَـافِـرَ الـذنـبِ إنْ غَـفَـرْتَ ذُنُـوبـي ... أنـتَ أهْـلٌ لـهَـا ولَـسْـتُ بـأهْـلِ
قَـابِـلَ الـتَّـوْبِ بَـاذِلَ الـعَـفْـوِ قَـدْ تُـبْـ ... ـتُ نَـصُـوحـاً مِـنْ أيِّ جِـدٍّ وهَـزْلِ

الخامسة: الحَضْرَةُ الرَّحَمُوتيَّة

مُسْتَغيثٌ قَدْ مَسَّني الضُّرُّ يا رَحْمـ ... ـن فـاكْـشِـفْ ضُـرِّي وبُـؤْسِـي وقُـلِّي
مُـسْـتَـمِـدٌّ فَـيْـضَ الـرَّحِـيم بِـفَـقْـرِي ... تَـحْتَ بَـابِ الرُّحْـمَـى بِـقَـوْلِي وفِـعْـلي
رَبِّ لا تُـلـقِـنـي إلـى حَـوْلِ نَـفْـسِـي ... إنَّـهُ لَـيـسَ حَـوْلُ نَـفْـسِـي بِـحَـوْلِ
أحْيِ يـا حَـيُّ فِـطْـرَتِـي فِـيـكَ واجْـعلْ ... لـيَ نُـوراً يَـمْـشِـي بِـهِ حَـالَ حَـظْـلي(١)
لـم يَـفُـتْ يـا قَـيُّـومُ عِـلـمَـكَ فَـقْـرِي ... وانـكِـسَـارِي وكَـيْـفَ سُـوءُ مَـحَـلِّي

---

(١) حَظْلي: مَنعي مِن المَشي، والحَظَلُ من قصّرَ في مشيته من ألم أو غضب.

يـا وَلِيِّـي تَـوَلَّ دَفـعَ خُـطُـوبٍ دَفـعَـتْـنِـي مـا بَـيـنَ ضُـرٍّ وذُلِّ
لَسْتُ أرجو لـهـا سِوَى وَعْـدِكَ الـحَـقِّ الـذي يَـرْتَـجـيـهِ يـا حَـقُّ مِـثْـلي
أوْلِنـي أوَّلِيَّـةَ الـسَّـبْـقِ يـا أوَّلُ والـقُـرْبَ مِـنـكَ لِي والـتَّـوَلِّي
ألـقِـنـي يـا قُـدُّوسُ فـي بَـحْـرِ تَـقْـدِيـسِكَ واغْسِلْ بالقُدْسِ نَفسِي وعَقْلِي
واكْـسُـنِـي يـا سَـلامُ عَـافِـيـةً تِـشْـمَـلُ طَـورِيَّ واكْـفِـنـي كُـلَّ هَـولِ
هَبْ لنَفسِي الإيمَانَ يا مُؤْمِنَ الرَّوْعَةِ واجْعَلْ خَوفِي لمَقْتِكَ شُغْلِي
عَـظُـمَ الـخَـطْـبُ يـا مُـهَـيـمِـنُ أدرِكْـنِـي وَحْـيـاً غَـوْثـاهُ غَـوْثـاهُ كُـنْ لي
مـزَّقَـتْ يـا جَـبَّـارُ شَـمْـلِي دَوَاهٍ فاجْبُرِ الصَّدْعَ واجْمَعِ اليَومَ شَمْلي
لا تَـذَرْنِـي يـا خَـالِـقِـي غَـرَضَ الـبَـلْـوَى أجِـطْـنِـي مِـنْ كُـلِّ كَـيْـدٍ وخَـتْـلِ
بَـارِىءَ الـكُـلِّ ابْـرِئِ الـنَّـفْـسَ مِـنْ دَاءِ عُـضَـالٍ سَـرَى بِـجُـزْئِي وكُـلِّي
صَـوِّرِ الـخَـوفَ مِـنكَ فـي قَـلْبِيَ القَـاسِي وحُسْنَ الرَّجَا مُصَوِّرَ شِكْلِي

السَّادسة: الحَضْرَةُ الفُتوحِيَّة

يـا غَنِيُّ المُغْنِي لَكَ المُلْكُ والسُّلْطَانُ أشْكُـو إلـيـكَ فَـقـرِي وذُلِّي
يـا حَـمِـيـدَ الـفِـعـالِ ذا الـمَـنِّ بـالـلُّطْـفِ عَلَى خَلقِهِ انْفِ عُسْرِي وقُلِّي
يـا كَـرِيـمُ الـرَّحِـيـمُ يـا مُـوسِـعُ الـمُـنْـعِـمُ ضَـاقَـتْ لِسُـوءِ رِزْقِـيَ سُـبْـلِي
يـا وَهُـوبُ الـبَـرُّ الـكَـفِـيـلُ الـحَـفِيُّ الـمُحسِنُ المُجَمِّلُ ابْتَدِرْني بِفَضْلِ
يـا قَـدِيـمَ الإحْـسَـانِ ذا الـطَّـوْلِ يـا مُـعْـطِي أغِـثْـنِـي وَحْـيـاً بِـيُـسْـرٍ وطَـوْلِ
يـا وَصُـولاً بـالـخَـيـرِ يـا مَـانِـحُ الـوَهَّابُ هَبْ لي مِنْ فَيضِ وَهْبِكَ سُؤْلِي
باسِطَ الرِّزْقِ ابْسُطْ لِيَ الرِّزْقَ مَوْفُوراً فـقَـدْ شَـدَّنِـي افـتـقـاري بِـغُـلِّ
ضَـاقَ صَـدْرِي وعِـيـلَ صَـبـرِيَ يـا واسِـعُ وَسِّـعْ عَـيْـشِـي بـأوْسَـعِ نَـيْـلِ
أُغْـلِـقَـتْ دُونِـيَ الـمَـسَـالِـكُ يـا فـتـاحُ فـافـتـحْ بـالـيُـسْـرِ لِي كُـلَّ قُـفْـلِ
سَـاوَرَتْـنِـي الـبَـأسَـاءُ والـفَـقـرُ يـا مَـنَّـانُ عَـجِّـل بـمَـنِّـكَ الـمُـسْـتَـهِـلِّ

يـا مُـنِـيـلُ الـجَـوَادُ يـا مُـفْـضِـلُ الـرَّ زَّاقُ يـا رَاحِـمَ الـمُـعِـيـلِ الـمُـقِـلُّ
يـا مُـقِـيـتُ الـمُـبِـرُّ يـا وَاجِـدُ الـمُـو جِـدُ رِزْقِـي بَـارِكْ عَـلَـيْـهِ وَزِدْ لِي
يـا خَـفِـيـاً بِـخَـلْقِـهِ يـا خَـفِـيَّ الـلطـ ـفِ أَدْرِكْ حَـالِي بِـلُطْـفٍ وَفَـضْـلِ
مُـبْـدِىءَ الـنَّـشْـأَةِ ابْـتَـدَأْتَ بِـنَـعْـمَـا ءَ ولـم أَسْـتَـحِـقَّ مـا أَنْـتَ مُـولِي
فـأعِـدْ يـا مُـعِـيـدُ مـا لَـيـسَ يُـغْـنِـيـ ـكَ بِـمَـنْـعٍ ولا يَـقِـلُّ بِـبَـذْلِ
يـا شَـكُـوراً مِـنْ عَـبْـدِهِ الـنَّـزْرَ أَشْـعِـرْ نِـي شُـكْـراً فـي أيِّ كُـثْـرٍ وقِـلِّ
وَقَـلِـيـلٌ شُـكْـرُ الـعِـبـادِ وأنـتَ الـشَّـا كِـرُ الـعَـبْـدَ لـلذي مِـنْـكَ تُـولِي

السابعة: الحَضْرَةُ الجَبَروتيَّة

مَـلِكَ الـنَّـاسِ مَـالِكَ الـمُـلْكِ تُـؤتِي الـ ـمُـلْكَ والـعِـزَّ مَـنْ تَـشَـاءُ وتُـعْـلِي
بِـجَـلالٍ يـا ذا الـجَـلالِ وذا الإكْـ ـرَامِ أَكْـرِمْ نَـفْـسَ الـمُـلِظِّ الأذَلِّ
يـا عَـزِيـزُ الـمُـعِـزُّ مَـنْ ذَلَّ فـي خِـد مَـتِـهِ ارْفَـعْ بِـعِـزِّ عِـزِّكَ ذُلِّي
واكْسُنِي مِنْ سِرِّ اسْمِكَ الـمُـتَـكَـبِّرِ خَـاضِـعـاً تَـحْـتَ كِـبْـرِيَـائِكَ كُـلِّي
يـا عَـلِيُّ الأعْـلَى يُـسَـبِّـحُـكَ الـعَـرْ شُ ومـا فِـيـهِ فِـيـكَ شَـأْنِـيَ أَعْـلِ
يـا عَـظِـيـمَ الـسُّـلـطـان يـا بَـاهِـرَ الـقُـدْ رَةِ غَـلِّبْ أَيْـدِي وَأَيِّـدْ مَـحَـلِّي
يـا مَـجِـيـدُ الـقَـهَّـارُ ذا العَرْشِ هَبْ لِي مَـجْـدَ قَـهْـرٍ يَـقْـتَـادُ أَنْـفَ الأجَـلِّ
يـا مَـلِـيـكُ الـدَّيَّـانُ يـا شَـامِـخَ الـعِـ ـزَّةِ ذُلَّ خَـصْـمِـي لِقَـوْلِي وفِـعْـلِي
يـا كَـبـيـرُ الـجَـلِـيـلُ عَـنْ كُـلِّ ضِـدٍّ أَعْـلِ فَـوقَ الأضْـدَادِ أَيْـدِي وحَـوْلِي
لَـيـسَ حَـظِّـي يَـنـبـتُّ يـا مُـتَـعَـالٍ والـجَـلالُ الأعْـلَى مَـعَـاذِي وحَـبْـلِي
لـم يَـعُـذْ بـالـجَـلالِ يـا صَـمَـدُ الـمَـحْـ ـمُـودُ مِـثْـلِي فـلـم يُـنَـفَّـحْ بِـوَصْـلِ
يـا وَدُودُ الـحَـنَّـانُ لِي أنْـتَ حَـسْـبِـي إنْ تَـوَلَّى عَـنِّـي قَـلَى مُـتَـوَلِّي

الثامنة: الحَضْرَة القُرْبِيَّة

نَجِّنِي يَا خَلَّاقُ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ   لَيسَ تَشْقَى عَلَيكَ لَهْجَةُ مِثْلِي
وَأتِحْ لِي نَجَاةَ ذِي النُّونِ وَحْياً   يَا قَرِيبُ الدَّانِي بِغَيرِ مَحَلٍّ
وَاسْتَجِبْ يَا مُجِيبُ دَعْوَةَ مَظْلُو   مِ غَرِيبٍ مُسْتَضْعَفٍ مُسْتَذِلٍّ
صَادِقَ الوَعْدِ هذه دَعَوَاتِي   أَنْجِزِ الوَعْدَ وابْتَدِرْنِي بِكَفْلِ

التاسعة: الحَضْرَةُ القاصِمَة

وَاكْفِ يَا آخِرُ الأعَادِيَ بِالتَّأْ   خِيرِ عَنْ قَصْدِهِم بِسِرِّ المُذِلِّ
يَا قَوِيَّ الأَخْذِ الشَّدِيدَ المِحَالِ الـ   ـقَاصِمُ ادْمَغْ فَوقَ الأَلَدِّ المُضِلِّ
اعْطِنِي يَا مَتِينُ أَيْداً[1] مَكِيناً   لا تُدِلْ مِنِّي العُدَاةَ وَدُلْ لِي
رَبِّ قَهْرَ الرِّجَالِ أَشْكُو فيَا قَا   هِرُ هَبْ لِي قَهْراً يُذِلُّ مُذِلِّي
يَا شَدِيدَ العِقَابِ ذا البَطْشِ وَالأَخْـ   ـذِ الأَلِيمِ الشَّدِيدِ خُذْهُم بِعَدْلِ
وَارِثَ الأَرْضِ خُذْهُمُ وَأَبِدْهُمْ   وَانْتَصِرْ لِي مِنهُم وَخُذْ لِي بِذخلي[2]
كَادَنِي الخَصْمُ يَا حَسِيبُ فَكِدْهُ   أَمْتَنَ الكَيْدِ لا تَدَعْهُ بِمَهْلِ
أَرِنِي العَدلَ فِيهِ يَا قَائِماً بِالْـ   ـقِسْطِ وَالعَدلُ مِنكَ لَيسَ بِسَهْلِ
رَبِّ أَنتَ الشَّهِيدُ وَالحَكَمُ العَدْ   لُ انْتَصِفْ لِي مِنْ ظَالِمِي وَاشْفِ غِلِّي
لَم تَغِبْ عَنكَ يَا رَقِيبُ مَسَاعِيـ   ـهِ وَأَنتَ المُحْصِي لِقَوْلٍ وَفِعْلِ
فَاصْطَلِمْهُ وَأَخْزِهِ وَأَمِتْهُ   يَا مُمِيتَ الأَحْيَاءِ مَوتَةَ ذُلِّ
لَيسَ يَنجُو وَأَنتَ مُقْتَدِرٌ مِن   غَضَبِ اللهِ ظَالِمٌ مُتَوَلِّي
أَرْدِهِ يَا قَدِيرُ وَادْمَغْهُ دَمْغاً   إِنَّهُ لِلإِمْهَالِ لَيسَ بِأَهْلِ

---

(١) أيداً: قُوَّةً وشِدّة ـ في المَثل: «الكيدُ أبلَغُ من الأيد». وفي مُحكَم التنزيل: «والسَّماءَ بَنَيناها بِأيْدٍ»؛ أي بقُوَّة.

(٢) ذخلي: حِقدي.

وَأَذِقْهُ الهَوَانَ وَالخِزْيَ يَا قَادِرُ وَاثْلُلْ عُرُوشَهُ كُلَّ ثَلٍّ
يَا سَرِيعَ الحِسَابِ يَا مُهْلِكُ المُدْرَكِ أَدْرِكْ خَصْمِي بِخِزْيٍ وَوَيْلِ
بِاسْمِكَ البَاعِثِ ابْعَثِ الشَّرَّ وَالبَلْوَى عَلَيهِ كَالوَابِلِ المُسْتَهَلِّ
يَا مُذِلَّ الجَبَّارِ ذا القُوةِ المُنْتَقِمُ الغَالِبُ انْتَقِمْ لِي وَكِدْ لِي
يَا مُبِيدَ القُرُونِ يَا قَابِضَ الأَرْوَاحِ خُذْ رُوحَهُ عَلَى غَيرِ مَهْلِ
خُذْهُ الأَخْذَ الوَبِيلَ فِعْلَكَ يَا فَعَّالُ في الغَابِرِينَ مِثْلاً بِمِثْلِ
أَنتَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ افْتَحْ وَعَجِّلْ نَصْراً عَزِيزاً لِحَوْلِي
وَاكْفِنِي يَا كَافِي بِمَا شِئْتَ عِدَائِي وَحياً وَكُلَّ صَعْبٍ وَهَوْلِ

خاتمة السعادة

سَيِّدي سَائِلٌ بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى على بَابِكَ العَظِيمِ الأَجَلِّ
سَيِّدي عَائِذٌ بِأَسْمَائِك الحُسْنَى دَؤُوبٌ بِحَبْلِهَا مُتَدَلِّي
سَيِّدي مُخْبِتٌ بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى وَأَذْكَارُهَا حَدِيثي وَشُغْلِي
سَيِّدي عَزَّنِي الوُجُودُ مَلاذاً وَتَعَمَّمْتُ أَمَامَ وَجْهِيَ سُبْلِي
سَيِّدي مَنْ يَحُلُّ حِمَاكَ يُصَادِفْ كَرَماً مُنْزَلاً بِرَحْبٍ وَأَهْلِ
سَيِّدي أَيُّ قَاصِدٍ طَوَّحَتْهُ في حِمَاكَ الخُطُوبُ بَاءَ بِحَظْلِ
سَيِّدي أَيُّ وَارِدٍ لَكَ لَم تَمْلأْ رَوَايَاهُ مِنْ نَدَاكَ بِسَجْلِ
سَيِّدي أَيُّ بَائِسٍ مَسَّهُ الضُّرُّ وَنَادَاكَ لَم تُغِثْهُ بِطَوْلِ
سَيِّدي أَيُّ مُحْسِنٍ فيكَ ظَناً لَم يَكُنْ ظَنُّهُ اليَقِينَ المُجَلِّي
سَيِّدي أَيُّ مُحْسِنٍ أو مُسِيءٍ وَكِلَتُهُ الأَلطَافُ إلّا لِفَضْلِ
سَيِّدي من يَصْرِفْ هَوَاهُ إِلى غَيرِكَ لَم يُلْفِ مِنكَ غَيرَ التوَلِّي
سَيِّدي كَيفَ بِي وَقَدْ بَرِحَ الشوقُ بِقَلبِي إِلَيكَ وَاشْتُلَّ عَقلِي
سَيِّدي لَو أَمَلْتُ عَنكَ هَوَى نَفْسِي تَلَطَّفْتَ بِي فَعَدَّلْتَ مَيلِي

سَيِّدي لو غَمَسْتُ نفسي في ظُلْـ ... ـمَةِ طَبْعِي أدْرَكْتَ جَذْبي وَنَشْلِي

سَيِّدي لو فَرَرْتُ عُمْري عَنْ با ... بِـكَ أَلْفَيْتُ مَنْ أَزَائِلُ حَوْلِي

سَيِّدي لم أجِدكَ إلّا جَمِيلًا ... تَتَدَانَى مِنِّي وَأَنْأى بِجَهْلِي

سَيِّدي مِنكَ ما يَلِيقُ بما أنـ ... ـتَ مَلِيٌّ بِهِ وَمِنِّيَ شَكْلِي

سَيِّدي أخْلَقَتْ ذُنُوبِيَ وَجْهِي ... وَرَمَتْنِي بالشُّؤمِ سَوْءَةُ فِعْلِي

سَيِّدي مَزَّقَتْ حَياتِي المَعَاصِي ... وَاقْتِرَافُ الخَطَّاءِ للخَيرِ يُبْلِي

سَيِّدي إنْ أسْرَفْتُ في الذَّنبِ لا آ ... تِي بخَيرٍ فتِلْكَ فَعْلاتُ مِثْلِي

سَيِّدي لا يَزْكُو الذي لَزَّهُ الطَّبْـ ... ـعُ إلى ما يُرضِي الرَّجِيمَ بِحَبْلِ

سَيِّدي لو قَامَرْتُ شَيطانَ نفسي ... بِقِدَاحِ الطَّاعَاتِ أحْرَزْتُ خَصْلِي

سَيِّدي إن يَكُ اقترافي عَظِيماً ... فهو في حِلْمِ اللهِ عَيْنُ الأقَلِّ

سَيِّدي ما فرَّطْتُ فِيكَ اجْتِراءً ... إنها فَلْتَةُ الغُرورِ بَدَتْ لِي

سَيِّدي إنْ تَحْمِلْ على العَذْلِ نفسي ... كانَ حَقاً عَلَى عَذابِكَ حَمْلِي

سَيِّدي لا تُطِيقُ سَطْوَتَكَ العُظْـ ... ـمَى عُبُودِيَّتِي وَفِطْرَةُ ذُلِّي

سَيِّدي لا يُجِيرُ شيءٌ عَلى اللهِ ... وَلا عَنكَ مَهْرَبٌ لِمَحَلِّ

سَيِّدي أيُّ مَلْجَأٍ غيرِ إحْسَا ... نِكَ لِلعَبْدِ مِنكَ أم أيُّ وَأْلِ

سَيِّدي إن طَرَدْتَنِي غيرَ مَقْبُو ... لٍ فوَيْلِي مما دَهَانِيَ وَيْلِي

سَيِّدي إن طَرَدْتَني خاسِرَ الصَّفْـ ... ـقَةِ لم أُلْفِ مَن يَقومُ بِكَلِّي

سَيِّدي إن يَكُنْ هَوَايَ حِجَابِي ... عَنكَ فاجْعَلْ هَوَايَ كالمُضْمَحِلِّ

سَيِّدي ما عَصَيتُ جَبْراً مِنَ القُدْ ... رَةِ بَلْ سَوَّلَتْ لِيَ النَّفسُ فِعْلِي

سَيِّدي ما عَصَيتُ شَكّاً بِوَعْدٍ ... وَوَعِيدٍ ولا اعْتِصَاماً بحَوْلِي

سَيِّدي ما زَايَلْتُ بَابَكَ عَنْ أمْـ ... ـنٍ وَيَأْسٍ وَلا اكْتِفاءً بِطَوْلِي

سَيِّدي كُلُّ ما عَدَاكَ مَجَازٌ ... وَدَلِيلٌ عَليكَ لِلمُستَدِلِّ

سَيِّدي لا أرَى المَجَازَ وَلا أشْـ ... ـهَدُ إلّا حَقِيقَةَ المُتَجَلِّي

سَيِّدي لا يَرُدُّ أمْرَكَ تَدبيرُ ... ضَعِيفٍ وَلا احْتِيالُ مُقِلِّ

سَيِّدي هَفْوَتي لِسُوءِ اخْتِيارِي ... وَاتِّبَاعِي خُطَا العَدوِّ المُضِلِّ

سَيِّدي هَلْ تُقِيلُني عَثْرَةُ الجَهْـ ... ـلِ فعُذري إليكَ غِرَّةُ جَهْلي

سَيِّدي لو عَصَاكَ ما خَاطَهُ العَرْ ... شُ تأَنَّيْتَهُم بِحِلْمٍ وَفَضْلِ

سَيِّدي لو عَصَاكَ ما خَاطَهُ العَرْ ... شُ لما أنْقصُوكَ حَبَّةَ بَقْلِ

سَيِّدي ما أغْنَى جَلالَكَ عَنْ طَا ... عَةِ وَجْهِي وَعَنْ فُرُوضِي وَنَفْلِي

سَيِّدي إن وَفَّقْتَنِي لمَرَاضِيـ ... ـكَ فأحْسَنْتُها فَنَفْعٌ لأَجْلِي

سَيِّدي إن ظَلَمْتُ نَفسِي فَهُلْكِي ... أنتَ رَبِّي العَزِيزُ عَنْ أَيِّ فِعْلِي

سَيِّدي قَدْ أجْرَمْتُ قاصِمَةَ الظَّهْـ ... ـرِ وَأَوْقَرْتُ النفسَ أثْقَلَ حِمْلِ

سَيِّدي حُبُّكَ المَتابُ إلى الرَّحْـ ... ـمَةِ يَحْدُو وَعَنْ جَمَالِكَ يُمْلِي

سَيِّدي تُبْتُ مُخلِصاً لَكَ وَجْهِي ... مِنْ ذُنُوبي بأَيِّ فِعْلٍ وَقَوْلِ

سَيِّدي تُبْتُ عَالِماً أنَّ مَنْ أمَّـ ... ـلَكَ عَاجَلْتَهُ بِصَفْحٍ وَطَوْلِ

ما أُبَالِي إنْ تَعْفُ عَني وَتَرْضَى ... سَخَّرَتْنِي الأكْوَانُ أو سُخِّرَتْ لِي

رَبِّ إنِّي مِنَ البَلاءِ جَزُوعٌ ... وَمُعَافاتُكَ المُقِيمَةُ سُؤْلِي

رَبِّ أشْكُو إليكَ فَقراً وَذُلّاً ... وَاحْتِياجاً لَبَيِّنِ الفَقْرِ مِثْلِي

رَبِّ أنتَ الغَنِيُّ ذو الرَّحْمَةِ الوا ... سِعَةِ املأْ كَفَّيْ رَجَائِي بِفَضْلِ

رَبِّ لم تَنْفَدِ الخَزَائِنُ وَالطَّوْ ... لُ وَلا ضَاقَتِ الأيَادِي بِطَوْلِ

رَبِّ تُعطِي لِحِكْمَةٍ بالمَقادِيـ ... ـرِ وَتُعْطِي بِغيرِ وَزْنٍ وَكَيْلِ

رَبِّ إنْ تُعْطِنِي فقد نَضَبَ المَا ... ءُ وَجَفَّ المَرْعَى لِشِدَّةِ مَحْلِي

رَبِّ أشْكُو إليكَ طَرْقَ الرَّزَايا ... جَلَبَتْ لي حَرْباً بِخَيْلٍ وَرَجْلِ[1]

رَبِّ أشْكُو إليكَ طَاغِيةً فاكْبِتْهُ ... كَبْتاً وَابْهَلْهُ أعْظَمَ بَهْلِ

رَبِّ نَكِّلْ بِهِ وَشَدِّدْ عَلَيهِ ... وَطْأةَ الانْتِقامِ في غَيرِ مَهْلِ

أعْطِنِي قُوَّةً عَليهِ وَحَوْلاً ... لَيسَ يَقْوَى بِغيرِ حَوْلِكَ حَوْلِي

---

(١) الرَّجْل: الماشي على رِجلَيه. واسمٌ لجمع الرَّاجل الماشي على رجليه.

مُدَّنِي مِنْ قُوَى سُطَاكَ بِقَهْرٍ — وَاقْتِدارٍ يَطْوِيهِ طَيَّ السِّجِلِّ

وَاكْسُنِي مِنْ جَلالِ عِزَّةِ أسْمَا — ئِكَ عِزّاً لا يُسْتَضَامُ بِذُلِّ

فالعَزِيزُ المَنِيعُ مَنْ أدْرَكَتْهُ — غِيرَةُ اللهِ بانْتِصَارٍ وَصَوْلِ

وَالعَزِيزُ المَنِيعُ مَنْ نُصْرَةُ اللهِ — أقَامَتْهُ في مَحَالِّ التَّوَلِّي

وَالعَزِيزُ المَنيعُ مَنْ مَتَّ ذا العِـ — ـزَّةِ وَالكِبْرِيَاءِ مِنكَ بِحَبْلِ

غَارَةَ اللهِ أدْرِكِي نُصْرَتِي إذ — عَزَّنِي النَّصْرُ مِنْ قَرِيبٍ وَخِلِّ

غَارَةَ اللهِ جَرِّدِي صَارِمَ المَقْـ — ـتِ على مَفرَقِ الظَّلُومِ المُضِلِّ

غَارَةَ اللهِ بَيِّتِي الكُفْرَ وَالطُّغْـ — ـيانَ أو صَبِّحِيهِ مِنكِ بِثُكْلِ

غَارَةَ اللهِ قَدْ ظُلِمْتُ وَشَكْوا — يَ إلى مَنْ يَرَى وَيَسْمَعُ قَوْلِي

غَارَةَ اللهِ بالصَّواعِقِ مِنْ نَقْـ — ـمَتِهِ فاخصِبي العِدَى وَاسْتَهِلِّي

رَبِّ سُلطانُكَ النَّصِيرُ نَصِيرِي — وَخُلُوصُ الدُّعَا سُيُوفِي وَنُبْلِي

وَجُنُودُ الأسْمَاءِ أنصَارُ قَهْرِي — وَكُنُوزُ الأسْمَاءِ كَنْزِي وَطَوْلِي

وَحُصُونُ الأسْمَاءِ مَعْقِلُ أَمْنِي — وَغُيُوثُ الأسْمَاءِ غَيْثِي لِمَحْلِي

وَبُرُوقُ الأسْمَاءِ تَخْطَفُ أبصَا — رَ المُرِيدِينَ سُوءَ حَالِي وَذُلِّي

وَفُيُوضُ الأسْمَاءِ قُوَّةُ تَصْرِيـ — ـفِي وفَضْلِي في الكَائِنَاتِ ووَصْلِي

فاكْسُنِي مِنْ لألاءِ أسْرَارِهَا نُو — راً وَهَبْ لِي بِفَيْضِهَا كُلَّ سُؤْلِي

وأعِشْنِي مُتَيَّماً مُولَعَ القَلْـ — ـبِ بأذْكَارِهَا نَهَارِي ولَيْلِي

وأغِثْنِي بِهَا وجَلِّ هُمُومِي — وغُمُومِي وحِلَّ قَيْدِي وغُلِّي

لستُ أخْشَى مِنَ الحَوادِثِ إنْ كُنْـ — ـتَ بأنْوَارِ سِرِّهَا مُتَجَلِّي

فَارِجَ الهَمِّ كاشِفَ الغَمِّ عَجِّلْ — فَرَجاً عَاجِلاً ولُطْفاً بِذُلِّي

يَا مُغِيثَ المَلْهُوفِ يَا رَاحِمَ العَبْـ — ـرَةِ يَا مُنْجِي الغَرِيقِ اسْتَجِبْ لِي

حَيْطَةُ العِلمِ بِي مَنَابُ سُؤَالِي — وسُؤَالِي فَقْرِي وذُلَّ مَحَلِّي

وسُؤَالُ اللسَانِ والقَلبِ تَشْرِيـ — ـفٌ وفَضْلٌ تَقْضِي عَلَيهِ بِفَضْلِ

وَسَبَانِي الجَمَالُ مِنْ قَوْلِكَ: «ادْعُو — نِي» وحُسْنُ الرَّجَاءِ هَيَّمَ عَقْلِي

وإلى وَجْهِكَ الكَرِيمِ تَجَلَّتْ ... مِدَحٌ مِنكَ فِيكَ والاسْمُ يُمْلِي

أشْرَقَتْ مِنْ سَتائِرِ اللطْفِ أنْوَا ... رُ سَناها لا مِنْ كَثِيفةِ جَهْلِي

كَلِمٌ طيِّبٌ ورَبٌّ رَحِيمٌ ... ومَقامِي مَقامُ شَاكٍ مُقِلُّ

هذه سَيِّدي الوَسِيلَةُ أَدْلُو ... هَا إلى وَجْهِكَ الكَرِيمِ الأَجَلِّ

لَيسَ لِي حُجَّةٌ ولا مِنْ شَفِيعٍ ... بِابْتِهَالي وَذِكْرِ اسْمِكَ أُدْلِي

ما أَرَانِي أَجِيبُ إذْ قُمْتُ أدْعُو ... كَ وأَلْقَيتُ عِنْدَ بَابِكَ رَحْلِي

ولِسَاني يَتْلُو وإخْلاصُ قلبي ... تَحْتَ مِيزَابِ سِرِّ الأسْمَاءِ يُمْلِي

فأجِزْنِي رِضَاكَ في جَنَّةِ الخُلْـ ... ـدِ مُلَقًّى بِوَالِدَيَّ ونَسْلِي

واجْزِنِي رِفْداً تَصُونُ بِهِ وَجْـ ... ـهِي عَنِ الخَلقِ عَاجِلًا فَوقَ سُؤلِي

رَبِّ أبْلِغْ ذاتَ النَّبِيِّ الذي أرْ ... سَلتَهُ رَحْمَةً وخَاتَمَ رُسْلِ

أحْمَدَ المُصْطَفى صَلاةً وتَسْلِيـ ... ـماً كما تَرْتَضِي لَهُ أنْ تُصَلِّي

وعلى الآلِ والصَّحَابةِ ما أخْـ ... ـلَصَ دَاعٍ وما أجَزْتَ بِفَضْلِ

واجْزِهِ خَيرَ ما جَزَيْتَ رَسُولًا ... من عَظِيمِ الرِّضَا وحُسْنِ التوَلِّي

وتَدَارَكْ بِحَقِّهِ دَعَوَاتِي ... بِقَبُولٍ ونَائِلٍ مِنكَ جَزْلِ

وأفِضْ رَحْمَةً بِإمْدَادِهِ تَكْـ ... ـشِفُ كَرْبي بها وتَجْمَعُ شَمْلي

أيُّ كَرْبٍ ما حَلَّهُ اللطْفُ عَنْ مُسْـ ... ـتَمْسِكٍ مِنْ حُبِّ النبِيِّ بِحَبْلِ

فَازَ دَاعِيكَ بالإجَابَةِ إنْ مَـ ... ـتَّ بِمَعْنى جَمَالِهِ المُتَجَلِّي

النفحة الفائحة
في التوسل بأسماء الفاتحة

الله

بِـاسْـمِـكَ يَـا اللهُ أَخْـلَـصْـتُ دَاعِـيـاً — أَزِلْ حَـظَّ نَـفـسِـي لا تَـدَعْ مِـنْـهُ بَـاقِـيَـا

وخُـذْنِـي بِـنُـورِ اللهِ عَـنْ بَـشَـرِيَّـتِـي — إلـى عَـالَـمِ الـتَّـقْـدِيـسِ مِـنْ شَـهَـوَاتِـيَـا

ومَزِّقْ حِجَابَ القَبْضِ بَيْنِي وبَيْنَ ما — تَـوَلَّـيْـتُ عَـنْـهُ مِـنْ بَـسِـيـطِ حَـيَـاتِـيَـا

وأشْعِلْ وُجُودِي مِنْ بَـوارِقِ فَـيْـضِـهِ — بِـلامِـعَـةٍ تَـمْـحُـو ظَـلامَ صِـفـاتِـيَـا

وحَـقِّـقْ بِـلاهُـوتِـيَّـةِ الاسْـمِ ذِلَّـتِـي — لِتَـلْبِـسَ نَـاسُـوتِـيَّـتـي الـعِـزَّ وَاقِـيَـا

وجَـرِّدْ وُجُـودِي حَـيْـثُ لا أَحَـدِيَّـتِـي — وجَـوِّد وُجُـوداً آمِـراً بِـكَ نَـاهِـيَـا

يَـفـيـضُ عَـلَـيـهِ اسْـمُ الـجَـلالَـةِ فَـيْـضَـةً — فـيَـسْـطُـو جَـلالِـي قَـاهِـراً مُـتَـعَـالِـيَـا

ومِنْ عَـالَـمِ الـتَّـقـدِيـسِ مَـكِّـنْ مَـآخِـذِي — بـتَـأْثِـيـرِهِ فـي عَـالَـمِـي حَـسْـبَ حَـالِـيَـا

ومِـنْ بَـسْـطَـةِ الأَلْـطَـافِ هَـبْ لِي بِـسِـرِّهِ — بَـسَـائِـطَ يَـفـنَـى الـكَـوْنُ وهِـيَ كَـمَـا هِـيَـا

وَقَـوِّ شُـهُـودِي بـعـد تَـحْـقِـيـقِ مَـا أَنَـا — بـمـا هُـوَ واكْـشِـفْ لِي بِـهِ جَـهْـلَ مـا بِـيَـا

وجَـلِّ بِـهِ ظُـلْـمَـاتِ جَـهْـلِـي وغَـفْـلَـتِـي — فَـتَـسْـطَـعَ بِـالأَنْـوارِ مِـشْـكَـاةُ ذَاتِـيَـا

الرَّب

وَيَـا رَبِّ يَـا رَبِّ اغْـتَـفِـرْ مـا تَـجَـشَّـمَـتْ — عُـبُـودِيَّـتِـي إِذْ لا تَـعَـافُ الـمَـسَـاوِيَـا

وخُذْ بِيَدِي يَا رَبِّ كي لا يَرُبَّنِي هَوَايَ فأرْدَى في المَهَالِكِ هَاوِيَا
ويَا رَبِّ إنْ جَاوَزْتُ طَورِي وغَرَّني بِكَ الجَهْلُ مَفتُوناً بما لَسْتَ رَاضِيَا
فما أسْلَمتُ وَجْهاً ولا أخْلَصَتْ دُعاً عُبُودِيَّتِي إلّا لِوَجْهِكَ صَافِيَا
ولا عَرَفتْ رَبّاً إذا أخْبَتتْ لَهُ سِوَاكَ ونَادَتْهُ أجَابَ المُنَادِيَا
وتلكَ خِلالُ العَبدِ يَبْطُرُ نَاعِماً ويَجْزَعُ إمّا مَسَّهُ الشَّرُّ عَانِيَا
أقِمْ لي كَمَالِي بالخُضُوعِ لِعِزَّةِ الـ ـرُّبُوبِيَّةِ العُظْمَى على نَقْصِ حَالِيَا
فكَونِيَ عَبْداً فِيكَ ذُلِّيَ خَالِصٌ وسَائِرُ أطْوَاري مَقَامُ فَخَارِيَا
وكَونِيَ عَبْداً قاهراً بِكَ شَهْوَتي خَلاصِي وإخْلاصِي وتَحْرِيرُ ذَاتِيَا
بحَوْلِكَ مَلِّكْنِي تَدابِيرَ عَالَمِي ولا تُلْقِ تَدبِيري لِسُوءِ اخْتِيَارِيَا
على أنّهُ لا حَوْلَ عِنْدِي لِذرَّةٍ لَكَ الحَوْلُ تَقضِي مَا عَلَيَّ ومَا لِيَا

الرَّحمن

إلهيَ يَا رَحْمَنُ ضَاقَ بيَ الفَضَا وعَزَّنِيَ المَلجَا وذَلَّ مَقامِيَا
وأنت وَسِعْتَ الكُلَّ عِلماً ورَحْمَةً ورَبَّيْتَ بالرُّحْمَى الخَلِيقَةَ كَافِيَا
برَحْمَتِكَ العُظْمَى تَمَسَّكْتُ ضَارِعاً أغُوثُ مَلْهُوفاً وأهْتِفُ عَانِيَا
وبي شِدَّةٌ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ما يَقومُ لَهَا صَبْرِي تَصُبُّ الدَّوَاهِيَا
فصُبَّ على ضَعْفِي شَآبيبَ رَحْمَةٍ فقد غَادَرَتْ أقوى التَّجَلُّدِ وَاهِيَا
إلهي تَدَارَكْنِي بِرَحْمَتِكَ التي اسـ ـتَقامَتْ بها الأكْوانُ بَدْءاً وتَالِيَا
أغِثْنِي بما نَجَّيْتَ ذا النُّونِ[1] بَعدَ إذْ تَعَمَّقَ في أحْشَائِهِ البَحْرُ ثَاوِيَا
أغِثْنِيَ يَا رَحْمَنُ بالرَّحْمَةِ التي رَحِمْتَ بها أيُّوبَ في الضُّرِّ بَالِيَا
حَنانَيكَ يَا رَحْمَنُ عَطفاً ورَحْمَةً فَغَيرُ خَفِيٍّ عَنكَ سُوءُ مَكَانِيَا

(١) ذا النُّون: النبي يونس.

بما تَرْحَمُ الطفلَ الصغيرَ وترْحَمُ الـ بَـهَـائِمَ أدْرِكْ ذِلَّتِـي وافْـتِـقَـارِيَـا
بـمـا تَـرْحَـمُ الأمْـلاكَ فـي رَهَـبُـوتِـهـا وتـسْبيحِـهـا ارْحَـمْ لَهْفتِي وابْتِهَالِيَا

الرَّحيم

لَقَـدْ طَـرَقَـتْـنِـي يَـا رَحِـيـمُ قَـوَارِعٌ غَـوَاشٍ كَـثِـيـفـاتٌ تَـبُـثُّ غَـوَاشِـيَـا
وَشُـؤمُ ذُنُـوبـي سَـامَـني خُـطَطَ الرَّدَى وَمَـزَّقَ أطْـوَارِي وأنْـأَى صَـلاحِـيَـا
لمن أرْفَعُ الشَّكْوَى فَيَكْشِفَ كُرْبَتي ويَـرْحَـمَ تَـضَـرَاعِـي سِـوَاكَ إلَهِـيَـا
وأنتَ الرَّحِيمُ الحَقُّ عَطْفُكَ شَامِلٌ مُـطِـيـعـاً وَلِـيّـاً أو عَـصِـيّـاً مُـعَـادِيَـا
وإنِّي وإنْ أُسْرِفْ عَلَى النفسِ جَانِياً فـإنِّـيَ مـا زَايَـلْـتُ حُـسْـنَ رَجَـائِـيَـا
وزَادَ رَجَـائِي أنـنـي بِـكَ مُـؤمِـنٌ وأنـيَ لـم أقْـنُـطْ وإنْ كُـنْـتُ عَـاصِـيَـا
تَـبَـارَكْـتَ فـرِّجْ كُـلَّ كَـرْبٍ وغُـمَّـةٍ وهَـمٍّ ونَـفِّـسْ كُـلَّ ضِـيـقٍ عَـرَانِـيَـا
تَعَـالَيتَ أنْعِشْنِي بِرُوحِكَ واكْفِنِي بِرَحْـمَـتِـكَ البَـأْسَـاءَ والْطُفْ بِـحَـالِـيَـا
وحَقِّكَ لـم أيْأَسْ مِنَ الرَّحْمَةِ التي رَزَقْـتَ بـهـا الـنعَّـابَ في الـوَكْرِ خَـاوِيَـا
ولا تَـقْـنَـطُـوا مِـنْ رَحْـمَـةِ اللهِ دَلَّـنِـي ولا تَـيْـأَسُـوا مِـنْ رَوحِـهِ مـا دَعَـانِـيَـا
وفي الرَّحَمُوتِ السَّابقِ الغَضَبَ انْتَهَتْ ظُـنُـونِـي فَـقَـابِـلْ يَـا رَحِـيـمُ انْـتِـهَـائِـيَـا

المَلِك

وَيَـا مَـالِكَ الـكَـونَـيْـنِ ذا الـعِـزِّ والـبَـقَـا ءِ والـمَـجْـدِ والآلاءِ والـحَـمْـدِ وَافِـيَـا
ومَـنْ يَـمـلُكِ الأمْـلاكَ فـي جَـبَـرُوتِـهـا ومـا مَـلَـكَـتْ مِـنْ مُـلْـكِـهِ لَـيـسَ فَـانِـيَـا
ومَنْ سَبَّحَ الـعَـرْشُ الـعَـظِـيـمُ بِـحَـمْـدِهِ ومـا فـيـهِ مِـنْ خَـلْـقٍ جِـهَـاراً وخَـافِـيَـا
ومَنْ حِكْمَةُ الأقْدَارِ تَجْرِي بِحُكْمِهِ فـمـا شَـاءَ مِـنْ مَـقْـدُورِهِ كَـانَ جَـارِيَـا
ومَـنْ حُـكْـمُـهُ عَـدْلٌ وفَـضْـلٌ مُـنَـزَّهٌ عَـنِ الـظُّـلْـمِ قَـطْـعـاً كُـلَّـمَـا كَـانَ قَـاضِـيَـا

وَمَنْ مُلْكُهُ لا يَنْقُصُ المَنُّ شَأنَهُ ولا تُدْرِكُ الأوْهَامُ مِنهُ تَنَاهِيَا

بِطَوْلِكَ مَلِّكْنِي غِنًى غَيرَ نَافِدٍ وَهَبْ لِيَ مُلْكاً مُدَّةَ العُمْرِ كَافِيَا

وَوَفِّرْ لِيَ النَّعْمَاءَ وافْتَحْ خَزائِنَ الـ ـمَوَاهِبِ وَابْسُطْ لِي وَوَسِّعْ ثَرائِيَا

وَصُنْ بالغِنَى يَا مَالِكَ المُلْكِ والرِّضَا صَحِيفَةَ وَجْهِي عَنْ ذَلِيلِ مِثالِيَا

وَلاتُلْقِ حَاجَاتِي إلى غَيرِ قَادِرٍ عَلَى النَّزْعِ والإيْتَاءِ مَا دُمْتُ بَاقِيَا

فلا خَيرَ إلّا مِنْ يَدَيكَ ولا غِنَى لَكَ المُلْكُ تُؤتِي الفَضْلَ تُولِي الأيَادِيَا

الخاتمة

دَهَتْنِي الرَّزايَا سَيِّدي وألَمَّ بِي بَلاءٌ عَفَى رَسْمِي وَآدَ احْتِمَالِيَا

وما أنا في شَكْوَايَ ما لا أُطِيقُهُ غَضُوبٌ عَلَى الأقْدَارِ أو لَسْتُ رَاضِيَا

رَضِيتُ بِمَا تَقْضِي وآمَنْتُ أنَّهُ قَضَاؤكَ عَدْلٌ أيَّ مَا كُنْتَ قَاضِيَا

ولكنْ قُصَارَى العَبْدِ شَكْوَى يَبُثُها إليكَ ودَمْعٌ يَسْتَهِلُّ المَآقِيَا

وتَمْزِيقُهُ في ظُلْمَةِ الليلِ قَلْبَهُ وتَرْجِيعُهُ غَوْثَاهُ غَوْثَاهُ فَانِيَا

فأسْرِ خَفِيَّ اللطْفِ بي في خَصَائِصِي وذرَّاتِ أطْوَارِي وحَالِي وحَاجِيَا

فلُطْفُكَ بي في عَالَمِ الذَّرِّ شَاهِدٌ لِلُطْفِكَ في أطْوارِ كَوْنِي وشَانِيَا

ولُطْفُكَ بالمُضْطَرِّ أوْحَى إغَاثَةً وأسْرَعُ إدْرَاكاً خَفِيّاً وبَادِيَا

ولُطْفُكَ بالمُضْطَرِّ مِنْ حَيثُ ضُرُّهُ إذا كَانَ تَمْحِيصاً كَلُطْفِكَ كَافِيَا

وما سَرَيانُ اللطْفِ إلّا لِحِكْمَةٍ بِمَهْمَا اقْتَضَتْ إيرَادَهُ كَانَ سَارِيَا

فإنْ يَكُ ما أَبْلَيتُ مِنكَ مَحَبَّةً فطُوبَى وبُشْرَى لِي رَضِيتُ مَقَامِيَا

عَلَى أنَّنِي عَنْ حَمْلِ مِثْقَالِ ذرَّةٍ بَلاءٌ بِعَجْزِي شَاهِدٌ وافْتِقَارِيَا

وإنْ يَكُ إبْلاساً فإنِّيَ عَائِذٌ بِوَجْهِكَ أنْ أشْقَى عَلَيكَ إلهِيَا

أعُوذُ بما عَاذَتْ بِهِ الرُّسْلُ مِنكَ في بَلائِكَ مِنْ أنْ لا تَرُدَّ بَلائِيَا

بِمَظْهَرِ اسْمِ الذاتِ عُذْتُ وَكَوْنِهِ بِفَرْدِيَّةِ التَّخْصِيصِ للجَمْعِ حَاوِيَا

وباسْمِكَ رَبِّ العَالَمِينَ ومَنْ يَعُذْ مُعَاذِيَ يُوقَ المُرْدِيَاتِ الهَوَادِيَا
وما عَاذ بالرَّحْمَنِ أَبْلَسُ عَائِذٍ فأبْلَسَهُ مِنهُ ولو عَاشَ عَاصِيَا
وما سَبَّحَتْ باسْمِ الرَّحِيمِ وعَوَّذَتْ لِسَانٌ بإخْلاصٍ فلم تُلْفَ كَافِيَا
ولا اعْتَصَمَتْ نَفسِي وعَاذَتْ حَقيقةً بِمَالِكِ يَومِ الدِّينِ إلّا كَفانِيَا
إلهي بِسِرِّ الحَمْدِ فَاتِحَةِ الكِتا ب والخَمْسَةِ الأَسْمَاءِ[1] عَجِّلْ خَلاصِيَا
وَهَيِّئ لَنا مِنْ أمْرِنا رَشَداً بِهَا وَنَجِّ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ حَيَاتِيَا
وَطَهِّرْ بها قلبي وَأوْدِعْهُ حِكْمَةً ونُوراً وعِلْماً نَافِعاً مِنكَ هَادِيَا
وأوْعِهِ إيماناً وخوفاً وهيبَةً وحُباً وشوقاً يَسْتَفِزُّ التَّرَاخِيَا
وَيَسِّرْ بها الأرزاقَ مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ وَلا تُبْقِ عُسْراً في المَعِيشَةِ كَالِيَا
وَرُدَّ بِهَا الأعْدَاءَ عَنِّي وَفُلَّهُم فلَسْتُ جَلِيداً[2] أنْ أَرُدَّ الأعَادِيَا
وَسَلِّطْ عَلَيهِم غَضْبَةً مِنكَ لا تَذَرْ على الدَّهْرِ مِنهُم في البَسِيطَةِ بَاقِيَا
وَجَرِّد عَليهِم مِنكَ صَمْصَامَ نَقْمَةٍ تَحُزُّ بِهِ أَكْبَادَهُم والتَّرَاقِيَا[3]
ولا تُلْقِ بالمَظْلُومِ فِيهِم مُذَلَّلا وَقَدْ مَدَّ بالشَّكْوَى إليكَ الأيَادِيَا
وَتِلكَ مَساعِيهِم عَلَى الحَقِّ غُصَّةٌ فَيَا قَاصِمُ اقْصِمْ مَنْ سَعَى والمَسَاعِيَا
ولا تُؤْيِسَنِّي مِنْ شُئونٍ عَلِمْتُها وإنْ سَكَتَتْ عَنْ ذِكْرِهِنَّ لِسَانِيَا
وإنِّي لَرَاجٍ بَعدَ كَوْنِ وَسِيلَتِي إلَيكَ اسْمَكَ الأعْلَى تَمامَ رَجَائِيَا
وَصَلِّ وسَلِّم حَسْبَ ما تَرْتَضِي عَلَى مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ لِلخَلْقِ هَادِيَا
صَلاةً أَنالُ الخَيرَ مِنْ بَرَكَاتِها تُفَتِّحُ أَبْوابَ السَّما لِدُعَائِيَا
وَأَطْهَارِ أَهْلِ البَيْتِ والصَّحْبِ واجْـ ـعَلِ السَّعَادَةَ خَتْماً لِي وَأسْنَى مَرَامِيَا

(١) الخمسة الأسماء: الله | الرّب | الرّحمن | الرّحيم | المَلِك.
(٢) جليداً: قادِراً.
(٣) التّرقوة: عَظمَة الجزء الأمامي من الكتف، وجمعُها تَراقي.

المَعْرَج الأسْنى
في نظمِ أسماءِ اللَّه الحُسْنى(*)

(مُقدِّمَة في شروط الذكر)

عَلَى المَعْرَجِ الأَسْنَى مِنَ الذِّكْرِ عَوِّلا ... فإشْرَاقُ شَمْسِ السِّرِّ فِيهِ تَهلَّلا

وَمَا هُوَ إلّا ذِكْرُ أَسْمَاءِ رَبِّنَا ... تَعَالَى ولكِنْ كُنْ عَلَى الشَّرْطِ أوَّلا

فأوَّلُهُ التَّطْهِيرُ لِلقلْبِ مِنْ أذى الـ ... ـمَعَاصِي وَثانِيهِ التَّفَرُّدُ في الخَلا

وَثالِثُهُ الإخْلاصُ للهِ وَحْدَهُ ... وهذا مَلاكُ الأمْرِ فَالْزَمْهُ مُقبِلا

وَرَابِعُهُ اسْتِقْبالُكَ البَيتَ في الدُّعَا ... وَخَامِسُهُ كَونُ الوُضُوءِ مُكَمَّلا

وَسَادِسُهُ صَومُ الخَمِيسِ مُحَبَّبٌ ... وَفي سَحَرِ الزَّهْرَاءِ[1] لِلذِّكْرِ فَاعْمَلا

وَفِيهَا عَلَى حَسْبِ التَّصَارِيفِ أُصِّلَتْ ... شُرُوطٌ وذا حَسبَ التَّبَرُّكِ أُصِّلا

تَنَلْ سِرَّهَا المَخْزُونَ في بَحْرِ نُورِهَا ... بِتَكْمِيلِ مَشْرُوطٍ وإنْ لَمْ يَكُنْ فَلا

فَمَنْ يَفتَحِ الفتَّاحُ مِنْ سِرِّها لَهُ ... يَكُنْ مَلِكاً في العَالَمِينَ مُبَجَّلا

فعَوِّلْ عَلَيهَا في المُهِمَّاتِ دَاعِياً ... بِيَاءِ النِّدَا مُسْتَهْدِياً مُتَوَكِّلا

(*) وردت القصيدة في الأصل المُعتمَد بعنوان: [في ذكر الله جَلَّ جلالُه]، لكنَّ عنوانها الأصلي: (الوادي المُقدَّس) ـ راجع: محمد المحروقي، الشعر العُماني الحديث (أبو مسلم البهلاني رائداً)، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء/ بيروت، ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠ م.

(١) الزَّهْرَاء: ليلة القدر.

الذِّكْــــــر

اللطيفة الأولى: (في سؤال تزكية النفس بواردات القدس)

فَتَلْهَجُ يَا اللهُ في القَصْدِ مُخْلِصاً ... بِسِرِّ اسْمِكَ الذاتيِّ قَدْرِيَ جَلِّلا

أَنِلْنِيَ يَا رَحْمَنُ أَوْسَعَ رَحْمَةٍ ... فقد جَلَّ خَطْبِي يَا رَحِيمُ وَأَعْضَلا

ويَا رَبِّ أَصْلِحْ لِي عُبُودِيَّتِي أَكُنْ ... مُطِيعاً خَضُوعاً خَاشِعاً مُتبتِّلا

ويَا مَالِكِي مَلِّكْنِيَ النَّفسَ والهَوَى ... فلا يَنْزِلا بِي مِنْ مَعَاصِيكَ مَنْزِلا

ويَا حَيُّ يَا قَيُّومُ أَحْيِ سَرِيرَتِي ... فَأَشْهَدُ قَيومِيَّةَ العِلْمِ وَالوَلا

تَوَلَّ أُمُورِي يَا وَلِيُّ مُسَدِّداً ... لَها نَحوَ ما تَرْضَاهُ لِي وَمُكَمِّلا

وَيَا حَقُّ ثَبِّتْنِي عَلَى الحَقِّ وَاهْدِنِي ... وَنَوِّرْ يَقِينِي وَاكْشِفِ البُطْلَ مُجْمَلا

ويَا ذا الجَلالِ ارْفعْ مَقامِيَ واكْسُنِي ... بِإِكْرَامِكَ العِزَّيْنِ[1] والنُّورَ والعُلَى

ويَا أَوَّلُ اجْعَلْنِي إلى الخَيرِ سَابِقاً ... وكُنْ لِي لِمَرْقَى السَّابِقينَ مُوَصِّلا

وَذاتِيَ يَا قُدُّوسُ قَدِّسْ بِوَارِدٍ ... مِنَ المَصْدَرِ الأعلى المَجِيدِ تَسَلْسَلا

وأَعْلِ إلى أَعْلَى المَرَاقِي بِمَعرَجِ الـ ... حَقيقَةِ قَدْرِي يَا عَلِيُّ وَوَصِّلا

وَعَظِّمْ مَقامِي يَا عَظِيمُ مُعَزِّزاً ... فحَسْبِي جَلالًا أَنْ تكُونَ المُجَلِّلا

ويَا هَادِيَ الخَلقِ اهْدِنِي الرُّشْدَ والتُّقى ... فلا أَسْلُكَنْ لِلغَيِّ ما عِشْتُ مَجْهَلا

ويَا فَاطِرُ اجْعَلْ فِطْرَتي أَبداً عَلَى ... سَبيلِكَ واعْصِمْنِي فلَنْ أَتحَوَّلا

اللطيفة الثانية: (في استمداد الأنوار العِلمِيَّة والأسْرَارِ الحِكَمِيَّة)

وَنَوِّرْ جَنَانِي يَا عَلِيمُ بِوَمْضَةٍ ... مِنَ العِلْمِ تُحْيِينِي بِهَا مُتَجَمِّلا

وَزَيِّنْ فِعَالِي يَا حَكِيمُ بِحِكْمَةٍ ... فَمَنْ تُؤْتِهَا فالخَيرَ قَدْ حَازَ مُجْمَلا

بِأَزْوَاحِ لُطْفٍ يَا لَطِيفُ رِيَاحُهَا ... لَدُنِيَّةٌ نَفْحٌ جَنَانِي وَعَلِّلا

---

(١) العِزَّيْن: الدنيا والآخرة.

ألا يَا خَبيرُ اكْشِفْ لِسِرِّي غَوَامِضَ الـ ـغُـيـوبِ وكُـنْ لـلسِّـرِّ سِـرِّي مُـؤهِّـلا
ويَـا مُـحْـيِـيَ الـمَـوْتـى فُـؤادِيَ أحْـيِـهِ بـأرْوَاحِ أسْـرَارٍ لأسْـمَـائِكَ الـعُـلَى
وَبـيِّـنْ لِسِـرِّي يَـا مُـبـيـنُ مَـعَـارِفـاً شَـوَارِقُـها مِـنْ مَـطْلَعِ اللطْفِ تُـجْتلَى
ويَـا نُـورُ نَـوِّرْ بَـاطِـنِـي وظَـوَاهِـري ضِـيَـاءً مِـنَ النُّـورِ الـمُـقـدَّسِ مُـشْـعَـلا
ويَـا ظَـاهِـرُ اجْـعَـلْنِي بِـنُـورِكَ ظَـاهِـراً عَلَى كُلِّ مَخْفِيِّ الظُّهُورِ وَمَا انْجَلَى
ويَـا بَـاطِـنَ الـذاتِ الـحَـمِـيـدَ ثَـنَـاؤُهُ أَمِطْ حُجْبَ مَجْهُولاتِ عَقلِي وَزَيِّلا
وَنَفْسِيَ سَلِّم مِنْ كُدُوراتِ وَصْفِها وَهَـبْـنِـيَ طَـبْـعـاً يَـا سَـلامُ مُـكَـمَّـلا
ويَـا بَـارِىءُ ابْـرَأْ نُـورَ قَـلْـبِـي وَزَكِّـهِ يـكُـنْ لِفُـيُـوضِ الـسِّـرِّ مِـنْـكَ مُـؤهَّـلا
مُصَوِّرَ نَفسِي اكْشِفْ لِسِرِّي حَقائقَ الـ ـمَـعَـارِفِ أحْـيَـا بـالـعُـلُومِ مُـسَـرْبَـلا
ويَـا مُـبْـدِىءَ الإبْـدَاعِ لـلسِّـرِّ مُـظْـهِـراً أفِـضْ لـيَ مِـنْ بَـحْـرِ الـعَـوَارِفِ جَـدْوَلا
أَعِـذْ لِيَ مِـنْ أَرْواحِ لُطْـفِـكَ نَـفْـحَـةً مُعِيدَ حَيَاةِ الجِسْمِ مِنْ عَالَمِ البِلَى
ويَـا أحَـدُ ارْزُقْـنِـي اتِّـحَـاداً وَنِـسْـبَـةً بِمَنْ عِلَّةُ التَّوحِيدِ كَأساً مُسَلْسَلا
بَدِيعَ السَّما والأرْضِ خُصَّ بَصِيرَتِي بِـأبْـدَعِ سِـرٍّ فـي خَـفـا سِـرِّكَ انْـجَلَى

اللطيفة الثالثة: (في الدُّعاء لدفع الآفات والكَلاءَةِ مِنْ طَوارِقِ المخَافات)

وَكَـيـفَ أَخَـافُ الـحَـادِثـاتِ وإنَّـمَـا أَمَـانُـكَ لِي يَـا خَـالِقِـي كَـانَ مَـعْـقِـلا
وحِفْظُكَ حِرْزِي يَا حَفيظُ ومَمْنَعِي فلَمْ أخْتَشِ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ مَوجَلا
أفـوِّضُ أمْـرِي واضْـطِـرَارِي وَمِـهْـنـتـي لِـمُـقـتـدِرٍ بَـاقٍ فـيَـكْـشِـفُ مُـعْـضِـلا
مُـحـيـطٌ بِـكُـلـيَّـاتِ عَـجْـزِي وَفَـاقـتِـي قَـدِيـرٌ أَزِلْ ضَـعْـفِـي وَوَهْـنـي مُـعَـجِّـلا
أَزِلْ ضَـعْـفَ حَـالِي يَـا قَـوِيُّ بِـقُـوةِ جَـلالِيَّـةٍ أبْـقَـى بِـهـا مُـتَـجَـلِّـلا
أَلُوذُ بِـجَـبَّـارِ الـسَّـمـواتِ رَاجِـيـاً لِجَـبْـرِ انْـكِـسَـارِي مُـخْـبِـتـاً مُـتَـذَلِّلا
فـيَـا قَـادِراً أبْـدِلْ بِـعَـجْـزِيَ قُـدرَةً إلـهِـيَّـةً أَظْـهِـرْ بـهـا الـعَـدْلَ فـي الـمَـلا

سَمِيعَ الدُّعَا اسْمَعْ دَعْوَتِي وشِكَايَتي ... ويَا كَافِيَ الهَمِّ اكْفِنِي الضُّرَّ والبَلا

دَعَوتُ دُعَاءَ المُسْتَجِيرِ وأنْتَ يَا ... قَرِيبُ تَرَى مَا مَسَّ جَنْبِي فأعْضَلا

أجِبْ دَعَواتٍ يَا مُجِيبُ بَثَثْتُها ... وفَرِّجْ على عَبْدٍ أتَاكَ مُعوِّلا

تَرَى سُوءَ حَظِّي يَا كَبِيرُ وذِلَّتي ... فيَا مُتعالِ خُذْ بِجَدِّي إلى العُلَى

ولَم أخْشَ إذلالاً وكَانَ تَعَزُّزِي ... بِرُكْنِكَ عِزّاً يَا عَزِيزُ ومَوْئِلا

أيُذْرِكُنِي ضَيْمٌ نَصِيرِي؟ وَمَنْ تَكُنْ ... لَهُ نَاصِراً مَولايَ كَانَ المُبَجَّلا

تَرَى ظُلْمَ قَوْمِي يَا مُهَيْمِنُ جَانِبي ... فَجرِّدْ عَلَيْهِم مِنْ مَواضِيكَ مَقْصَلا

بِعِزِّكَ مَجِّدْ يَا مَجِيدُ مَهَابَتي ... يَظَلُّ لَهَا خَصْمِي العَنِيدُ مُذلَّلا

وَكِدْ مَنْ رَمَانِي يَا وَدُودُ بِكَيْدِهِ ... فَكَيْدُكَ لِلأعْدَاءِ لا زَالَ أقْتَلا

بِسِرِّ اسْمِكَ الفعَّالِ في الكُلِّ آتِنِي ... نُفُوذَ القُوَى في الفِعْلِ والقَوْلِ مُجْمَلا

بِحَوْلِكَ يَا ذا القُوةِ ادْفَعْ نِكَايَتِي ... ومَتِّنْ حُظُوظِي يَا مَتِينُ وكَمِّلا

ويَا صَادِقاً في قَوْلِهِ حَقِّقِ الرَّجَا ... فمَا زِلْتُ في الإنْجَازِ مِنكَ مُؤمِّلا

اللطيفة الرابعة: (في تطهير النَّفسِ بالاسْتِغفارِ مِنْ مُوبقاتِ الأوْزار)

عُبَيْدُكَ يَا تَوَّابُ جَاءَكَ عَائِذاً ... تَحَمَّلَ ذنباً فَاعْفُ عَمَّا تَحَمَّلا

وَجُدْ بِمَتَابٍ يَا عَفُوُّ وَرَحْمَةٍ ... على عَبْدِ سُوءٍ طَالَما عَنكَ أغْفَلا

بِبَابِكَ يَدْعُو يَا بَصِيراً بِحَالِهِ ... فأوْسِعْ لَهُ يَا وَاسِعَ الفَضْلِ مُجْزِلا

أتَيتُ ذُنوباً يَا غَفُورُ فَكُنْ لَهَا ... وَقَدْ تُبتُ مِنْها، يَا حَلِيمُ، مُبَدِّلا

تَعَرَّضْتُ وَهْناً يَا رَؤُوفُ لِرَأْفَةٍ ... تَجُودُ بِها يَا شَاكِراً مُتَقَبِّلا

وإنْ أوْحَشَتْنِي يَا إلهِي خَطِيئتِي ... فَأُنْسُ رَجَائِي فِيكَ يَا وَاحِدُ انْجَلَى

فَكُنْ رَاضِياً لي يَا شَكُورُ تَنسُّكِي ... فَطُوبَى لِمَنْ تُولِي الرِّضَا والتقبُّلا

وَزِدْنِي خُضُوعاً فِيكَ يَا مُتَكَبِّراً ... إذا حطَّ قَدْرِي النَّاسُ أعْلاهُ فاعْتَلَى

ويَا غَافِرَ الذنبِ اغْفِرِ الذنبَ والخَطَا ... وإنْ كَانَ وِزْراً يَقْصِمُ الظَّهْرَ مُثقِلا

وَيَا قَابِلَ التَّوْبِ اقْبَلِ التَّوْبَةَ التي أَتَاكَ بِهَا عَبْدٌ جَنَى فَتَنَصَّلا
وَهَذا مَرَامِي يَا كَرِيمُ وَمَقْصَدِي وَمَا خَابَ مَنْ أَمَّ الكَرِيمَ وَأَمَّلا

اللطيفة الخامسة: (لفتحِ خَزَائِنِ النِّعَم وانْبِسَاطِ فُيُوضِ الكَرَم)

يَؤُوبُ احتِيَاجِي يَا غَنِيُّ وَفَاقَتِي إِلَيكَ فَبِالنَّعْمَاءِ بُؤْسِيَ بَدِّلا
وَيَا بَرُّ خَوِّلْنِي بِبِرِّكَ نِعْمَةً فَأَغْدُو بِنَعْمَاءِ المَلِيكِ مُخَوَّلا
وَيَا بَاسِطُ ابْسُطْ لي مِنَ المَالِ بَسْطَةً وَهَبْنِي انْبِسَاطاً في الشُّهُودِ مُكَمَّلا
وَيَا صَمَدُ امْنَحْنِي الغِنَى مِنكَ سَرْمَداً أَصُونُ بِهِ يَا رَبِّ وَجْهِي عَنِ المَلا
تَقَطَّعَتِ الأسبابُ عَنِّي فَكَانَ لِي نَوَالُكَ يَا مَنَّانُ أَوْفَى وَأَكْمَلا
وَلَوْ شِئتَ يَا خَلَّاقُ أَنْشَأتَ لِي غِنًى تَسُدُّ بِهِ مِنْ فَاقَتِي مَا تَخَلَّلا
بِفتحِكَ يَا فَتَّاحُ عَجِّل فما أرَى سِوَاكَ لِفَتْحِ المُغْلَقَاتِ مُؤَمَّلا
فَمَن تُغْنِ يَا ذا الطَّوْلِ دَامَ لَهُ الغِنَى وَفَقرُ الذي أَفْقَرْتَ لَنْ يَتَحَوَّلا
تُشَاهِدُ يَا رَزَّاقُ ضِيقَ مَعِيشَتِي فَيَسِّرْ لِيَ اللهُمَّ رِزْقاً وَسَهِّلا
حَمِيدَ الفِعَالِ الْطُفْ بِحَالِي وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ حَتى لا أَرَى عَنكَ مَعْدَلا
مَدَدْتُ يَدِي مُستَجْدِياً وَافِرَ العَطَا فَهَبْ لِيَ يَا وَهَّابُ نُعْمَاكَ مُجْزِلا

اللطيفة السادسة: (في كَسْرِ شَوْكَةِ ذوي الفسَادِ وحَسْمِ صَائلَةِ أهْلِ العِنَاد)

وَيَا قَاهِرُ اقْصِمْ دَوْلَةَ السُّوءِ وامْحُهَا وَشَرِّدْ بِهَا وَاشْدُدْ عَلَيهَا مُعَجِّلا
وَيَا وَارِثُ اصْرِفْ سَوْرَةَ البَغْيِ وَانْتقِمْ بِعَدْلِكَ مِمَّن بِالضَّلالِ تَسَرْبَلا
وَيَا بَاعِثُ ابْعَثْ رَايَةَ الحَقِّ حولَها جُنُودُكَ تَبْلُو في رِضَاكَ وتُبْتَلَى
وَيَا قَائِماً بِالقِسْطِ قَوِّمْ مُسَدِّداً قَوِيّاً عَلَى إِظْهَارِ دِينِكَ فَيصَلا

يَصُولُ سَرِيعاً يَا سَرِيعُ بِنقْمَةٍ ... على كُلِّ ضِلِّيلٍ عَنِ الحَقِّ أَجْفَلا
فأنت حَسِيبٌ فَوْقهُم وَرَقيبُهُم ... شَهيدٌ على مَنْ ضَلَّ مِنْهُم وَأَبْطَلا
وَيَا قابِضُ اقْبِضْ بَسْطَةَ الخَصْمِ وَانْتقِم ... كَفِعْلِكَ في عَادٍ وَمَدْيَنَ أَوَّلا
وَشدِّدْ عَلَيهِم يَا شَدِيداً عِقابُهُ ... ولا تُبْقِ مِنهُم يَا وَكِيلُ مُبَدِّلا
وَعَجِّلْ عَلَيهِم يَا مُقِيتُ بِوَطْئةٍ ... وَذَرْهُم حَصِيداً خَامِدِينَ كَمَنْ خَلا
وَعَجِّلْ لِخَصْمِي يَا مُمِيتُ فَناءَهُ ... وَهَبْ لِي إذا خُوصِمْتُ قَلْباً وَمِقْوَلا
ويَا آخِرَ الأَشْيَاءِ لا لِنِهَايَةٍ ... بِنَصْرِكَ أَيِّدْنِي وَخَصْمِيَ جَنْدِلا

الخاتمة

بأسْمَائِكَ الحُسنَى دَعَوتُكَ مُوقِناً ... بإنجَازِكَ الوَعْدَ الذي قُلْتَ فَافْعَلا
دَعَوتُ وما قَدَّمتَ لي مِنْ ذَرِيعَةٍ ... ولكِنْ بِحُسْنِ الظَّنِّ جِئْتُ مُؤَمِّلا
وَمَنْ ذا الذي ناجَاكَ يَا رَبِّ مُخْلِصاً ... فما بَاءَ بالحَظِّ الوَفِيِّ مُعَجَّلا
وأيُّ مُلِحٍّ بالأَسَامِي رَدَدْتَهُ ... وَقَدْ عَاشَ في أَذْكَارِهَا مُتبتِّلا
وَحَقِّكَ لَيسَ الحُجْبُ إلّا نُفُوسَنا ... وأَوْصَافُها تَستلْزِمُ المَنعَ والقِلَى
فما بَخِلَ المَسْؤُولُ جَلَّ ثناؤُهُ ... ولكِنَّ أَصْلَ المَنْعِ مِنَّا تأَصَّلا
أَزِلْ طَبْعَ نَفسِي واكْفِنِي شَهَواتِها ... وكُنْ لي بأَسْرَارِ الأَسَامِي مُكَمِّلا
وَنَجِّ وتُبْ واغْفِرْ خَطِيئةَ نَادِمٍ ... مُقِرٍّ وَجُدْ وَالْطُفْ بِهِ وَتقَبَّلا
وَيَسِّرْ لِيَ اللهُمَّ نَيلَ مَآرِبِي ... بأَسْرَارِهَا واحْلُلْ بها عُقْدَةَ البِلَى
إلهِيَ مَلِّكْنِي تَصَارِيفَ فِعْلِها ... وأَسْرَارَ تأْثِيرَاتِها أَمْلِكِ العُلَى
ولا يَكُ حَظاً عَاجِلًا لِيَ فَضْلُها ... ولكِنَّ حَظاً عَاجِلًا وَمُؤَجَّلا
وصَلِّ إلهي كُلَّ حِينٍ عَلَى الذي ... لَهُ مَدَحَ التَّنزِيلُ مِنكَ وبَجَّلا
مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ وآلِهِ ... وأَصْحَابِهِ والتَّابِعِينَ وَمَنْ تَلا
صَلاةً تَحُطُّ الوِزْرَ عَنِّي بِفَضْلِها ... وتُنجِحُ سُؤْلِي مُكْثِراً ومُقَلِّلا

وَتـرْحَـمُ تَـضْـرَاعِـي وطُـولَ تَـبـتُّـلي بـأسْـمَـائِكَ الـحُـسْنى لَدَيكَ وتُـقْـبَـلا

صَــلاةٌ تُــوَافِـي قَـدْرَهُ مِـنـكَ وَاجْـزِهِ كـأفْـضَـلِ مـا تَـجْـزِي نَـبـيـاً ومُـرْسَـلا

وَمُـذْ مَـدَّ قَـوْلِي مِـنْ قـلامِـسِ فَـيْـضِـهِ خِضَـماً مِنَ البَـحْرِ الـمُحِـيطِ تَسَلْسُلا

وأطْـلَعَ شَـمْـسـاً يَـهـتَـدِي بِـمَـنـارِهَـا إلى اللهِ مَـنْ ذاقَ الـرَّحِـيـقَ الـمُـسَـلْسَـلا

وكَـانَ بِـمَـكْـنـونِ الـعَـجَـائِب سُـلَّمـاً بِـهِ يَـرْتـقـي أهْـلُ الـسُّـلُوكِ إلى الـعُـلَى

تَـضَـمَّـنَ تـأرِيـخـاً لـحُـسْـنِ كَـمَـالِهِ ثَــلاثــةُ أسْــمَــاءٍ تُــحَــرَّرُ جُــمَّــلا

غَــنــيٌّ عَــلِيٌّ مَــعْ لَطِــيــفٍ وَعَــدُّهُ مَــلِيــكٌ وَوَهَّــابٌ فَــخُــذْهُ مُــفَــصَّــلا

دَرْكُ المُنى في تَخْمِيسِ سُمُوطِ الثَّنا[*]

أوجِّـــهُ بـــاسْـــمِ اللهِ وَجْـــهَ شُـــهُـــودِي

لِعِـــــزِّ جَـــــلالِ اللهِ رَبِّ وُجُـــــودِي

تَـسَـــابِـيــحُ إخْــلاصِــي لَهُ وصُـمُـــودِي

سُـمُــوطُ ثـنـاءٍ فـي سُـمُـوطِ فَـريـدِ بـكُــلِّ لِسَـانٍ قَـدْ بُـثِـثْـنَ وَجِـيـدِ

وحُـــبٌّ لَهُ فـــي لُبِّ قـــلْبـــي وقِـــشْـــرِهِ

وخَـــوفٌ يُـــوازيـــهِ رَجَـــاءُ لـــبِـــرِّهِ

وشُـــكْـــرٌ، ومَـــنْ لِي أنْ أقُـــومَ بِـشُـــكْـــرِهِ

وحَـمْـدٌ تَـغُـصُّ الـكـائِـنـاتُ بِـنَـشْـرِهِ إذا نُـــشِـــرَتْ مِـــنْـــهُ أَجَـــلُّ بُـــرُودِ

وشَـــوْقٌ يُـذِيـبُ الـنـفـسَ لاعِـجُ حَـرِّهِ

ووَقْـــفَـــةُ مُـــضْـــطَـــرٍّ أَسِـــيـــرِ بِـسِـفْـقْـرِهِ

وإخْـــلاصُ سِـــرٍّ نُـــورُهُ حَـــشْـــوُ سِـــرِّهِ

وذِكْـــرٌ لَهُ تَـحْـيَـا الـنـفُـوسُ بِـذِكْـرِهِ ويُـبْـعَـثُ قَبلَ البَعْثِ مَنْ هُوَ مُودِي[1]

صَـــرَفْـــتُ مُـــرادِي فِـــيـــهِ طَـــوْعـــاً لِصَـــرْفِـــهِ

حَـــقِـــيـــقَـــةُ ذِكْـــرِي أنَّـــنـــي عَـــيْـــنُ ظَـــرْفِـــهِ

(*) قصيدة سموط الثنا للشيخ العلّامة سعيد بن خلفان الخليلي والتخميس لأبي مُسْلم.

(1) مُودِي: هالِك.

حَبَانِي بِهِ طِيباً عَرَفْتُ بِعَرْفِهِ

تَعَطَّرَتِ الآفاقُ مِنْ طِيبِ عَرْفِهِ[1] فما مِسْكُ دَارِينِ يُشَابُ بِعُودِ

يُبَشِّرُ بالزُّلْفَى كَرِيمُ مَقَامِهِ

ويَستغرِقُ الأسْرَارَ سُكْرُ مُدَامِهِ[2]

يَصُبُّ حَيَا الأنوارِ صَوْبُ غَمَامِهِ[3]

ويُزْري بِنورِ الشَّمسِ نُورُ ابْتِسَامِهِ إذا ما تَجَلَّى في صَحَائِفَ سُودِ

تَجرَّدتُ مِنْ نَفسِي فلم يَبقَ لِي أنا

وطَارَتْ هَوىً رُوحِي بأجْنِحَةِ الفَنا

لِمَنْ هُو أهْلُ المَجْدِ والعِزِّ والغِنَى

لِمَنْ هُو أهْلُ الحَمْدِ والمَدْحِ والثَّنا لِذي الفَضْلِ والآلاءِ خَيرُ مُفِيدِ

لِمَنْ وَحَّدَتْهُ المُبدَعَاتُ سَوَاجِدَا

لِمَنْ عَرَفَتْهُ المُوجَدَاتُ حَوَامِدَا

لِمَن مَجَّدَتْهُ المُمْكِناتُ صَوَامِدَا

لِمَنْ سَبَّحَتْهُ الكَائِناتُ شَوَاهِدَا بتوحِيدِهِ واللهُ خَيرُ شَهِيدِ

لِمَنْ سَخَّرَ الأشياءَ في الأرضِ والسَّمَا

لِمَنْ كَانَ بالمَخْلُوقِ أحفَى وأرْحَمَا

لِمَنْ بَسَطَ النَّعْمَاءَ مَنّاً وتَمَّمَا

أعَادَ وأبْدَى مِنْ أيَادِيهِ أنْعُمَا فيَا أنْعَمَ المَوْلَى بَدَأْتِ فَعُودِي

---

(١) عَرْفِهِ: رائحته المُعطّرة || دارين: منطقة اشتهرت بإنتاج المِسك.

(٢) مُدامِه: خمْرَتِه.

(٣) صَوب: مطر.

القسم الأول: في اعترافِهِ بذنبه وسُؤاله التَّوْبَةَ من رَبِّه

ضَــرَعْــتُ لِوَجْــهِ اللهِ رَبِّــي ومَــوْئِلِي
وَقَـدْ ضَـاقَ بـي عَـنْ حَـاجَـتي كُـلُّ مَـنْـزِلِ
«وهَـلْ عِـنْـدَ رَسْـمٍ دَارِسٍ مِـنْ مُـعَـوَّلِ»(*)

ويَـا رَبِّ لُطْـفـاً مَـنْ لِعَـبْـدٍ مُـؤمِّـلٍ بَـسِـيـطِ لِسَـانٍ بـالـدُّعَـاءِ مَـدِيـدِ

حَـلِيـفِ الـمَـعَـاصِـي مُـغْـرِقٍ فـي عُـيُـوبِـهِ
قَـضَـى الـعُـمرَ يُـوعِـي[1] السُّـوءَ بَـيـنَ جُـيُـوبِـهِ
يَـذوبُ اعْـتِـرَافـاً مِـنْ كَـبَـائِرِ حُـوبِـهِ[2]

ويُـقْـصِـرُ مِـنـهُ الـقـولَ ذِكْـرُ ذُنُـوبِـهِ وقُـبْـحُ الـخَـطَـايَـا فـهـو أيُّ بَـلِـيـدِ

أتَـى مَـا أتَـى ثُـمَّ اسْـتَـقَـالَ اسْـتِـقَـامَـةً
لِـوَجْـهِـكَ تَـمْـجِـيـداً وحُـبـاً وطَـاعَـةً
يَـؤُمُّـكَ تَـوَّابـاً ويَـرْجُـو إجَـابَـةً

ويُـغْـضِـي حَـيَـاءً هَـيْـبَـةً ومَـخَـافَـةً لِـعِـزِّكَ إجْـلالاً بِـكُـلِّ شُـهُـودِ

لَقَـدْ هَـالَـنـي ذنـبـي بِـخَـطْـبٍ مُـبـرِّحِ
وبـارَزْتُ خَـلَّاقِـي بِـفِـعْـلٍ مُـجَـرَّحِ
أبُـوءُ بِـقَـلْـبٍ بـالـخَـطَـايَـا مُـقَـرَّحِ

فـجُـدْ بِـمَـتَـابٍ عـن مُـقِـرٍّ مُـصـرِّحِ بِـذنْـبٍ وتَـقْـصِـيـرٍ وطُـولِ صُـدُودِ

كَـئِـيـبٍ حَـزِيـنٍ خَـاشِـعٍ مُـتَـوَرِّعِ
يُـسِـرُّ ويُـبْـدِي مُـخْـلِـصـاً تَـوبَ مُـقْـلِـعِ

(*) تضمين من معلقة أمرئ القيس الكندي:
(وَإنَّ شِفَائي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فهل عند رسمِ دارسٍ من مُعَوَّلِ)

(١) يُوعِي: يَجمَع.

(٢) حُوبِه: ذهوبِه.

يَـقـومُ عَـلَى صِـدْقٍ بِـمَـا هُـو مُـدَّعِـي
مُنِيبٍ يُرَجِّي عِندَكَ العَفْوَ مُولَعٍ بِـــذِكْـــرِكَ لا ذِكـــرِ اللِوا وزَرَوَّدِ

القسم الثاني: في إخلاصِ دُعائه وابتهالِهِ وإيقانِهِ بحُصُولِ أمَانيهِ وآمَالِه

أَسِـيـرٍ بِـقَـيـدِ الـعَـجْـزِ عَـنْ كُـلِّ ذرَّةٍ
تُـصَـرِّفُـهُ الأقْـدارُ حَـسْـبَ الـمَـشِـيـئـةِ
غَـنـيٍّ عَـنِ الأكْـوَانِ مِـنـكَ بِـرَحْـمَـةٍ
فَـقـيرٍ لـمـا أَسْدَيتَ مِنْ كُـلِّ نِعْمَةٍ شَـكُـورٍ لـمـا أَوْلَـيـتَ غَـيـرِ جَـحُـودِ
لَقَـدْ كَـانَ لَـمّـا كَـانَ فـي حَـالِ ضُـرِّهِ
لَهُ مِـــنـــكَ تَـــدبـــيــرٌ لأطْـــوَارِ أَمْـــرِهِ
دَعَـــاكَ وَقَـــدْ ضَـــاقَ الـخِـنَـــاقُ بِـوِزْرِهِ
دَعَـاكَ ولا يَـرجُـو سِـواكَ لِفَـقْـرِهِ وأنـتَ الـذي تُـدْعَـى لِكُـلِّ شَـدِيـدِ
تَـدَارَكْ عَـظـيـمَ الـعَـفْـوِ مـا هُـو حَـامِـلُ
بِـــخَـــطٍ وَزَكِّ الآنَ مـــا هُـــو عَـــامِـــلُ
يُـؤَمِّـلُ هـذا الـعَـبْـدُ والـجُـودُ شَـامِـلُ
ومـا ظَـنَّ يَـومـاً أنْ يُـخَـيَّـبَ آمِـلُ بـبـابِ كَـرِيـمٍ فـي غِـنَـاهُ حَـمِـيـدِ
بِـبَـابِـكَ عَـبْـدُ الـسُّـوءِ يَـحْـمِـلُ إِصْـرَهُ[1]
يُـــغَـــوِّثُ إعْـــلانـــاً وتَـــعْـــلَمُ سِـــرَّهُ
مُـلِظٌّ[2] بِـمَـحْـبُـوبِ الـدُّعَـا لَكَ دَهْـرَهُ
ولَـم يَـكُ يَـشـقـى فـي دُعَـائِكَ عُـمْـرَهُ ومِـنـكَ يُـرَجِّـي الـيـومَ كُـلَّ مَـزِيـدِ

---

(١) إصْرَهُ: ثِقل ذنبه.
(٢) مُلِظ: مِلحاح في دُعائه.

عَـرَفْـتُـكَ رَبَّ الـعَـرْشِ عِـرْفـانَ مُـوقِـنٍ

بـمـا تَـتـلقَّـى الـمُـخْـلِصِـيـنَ تَـلقَّـنِـي

إلـهـي أقِـمْـنِـي فـي رِضَـاكَ وأبْـقِـنِـي

إلـهـي تَـدَارَكْـنِـي بِـلُطْـفٍ وأَغْـنِـنِـي   بـوَاسِـعِ رِزْقٍ مِـنْ نَـدَاكَ عَـتِـيـدِ

إلـهـي كَـأَنَّ الـكَـوْنَ فـي الـعَـدَمِ اسْـتَـكَـنْ[1]

فـأظْـهَـرْتَ مِـنـهُ مـا تَـحَـرَّكَ أو سَـكَـنْ

ولـم يَـكُ إلّا مـا تُـكَـوِّنُـهُ ولَـنْ

فمَهْمَا تُرِدْ شَيئاً يَكُنْ بمَقالِ: كُنْ[2]   فـهَـلّا بِـ كُـنْ تَـقـضِـي بـأوْسَـعِ جُـودِ

إلـهـيَ والـجُـودُ الإلـهـيُّ كَـامِـلُ

تـمُـنُّ بِـهِ لا تَـقْـتَـضِـيـهِ عَـوَامِـلُ

عـلى الـبَـرِّ والـفُـجَّـارِ جُـودُكَ هَـامِـلُ

يَـجُودُ بِـهِ مَنْ جُـودُهُ الـغَـمْـرُ شَـامِـلُ   عـلى كُـلِّ مَـوجُـودٍ بِـكُـلِّ وُجُـودِ

تَـوَجَّـهَـتِ الآمَـالُ للهِ أجْـمَـعُ

ولـم يَـبـقَ غَـيـرَ اللهِ مَـنْ فِـيـهِ أطْـمَـعُ

إلـهِـي تَـرَى ذُلِّي وفَـقْـرِي وتَـسْـمَـعُ

فمـا كَـانَ لِي فـي غَـيرِ جُودِكَ مَطْمَعُ   وَجُـودُكَ مِـنـهُ طَـارِفِـي وتَـلِـيـدِي

وَجُـودُكَ يَـا ذا الـجُـودِ أوْثَـقُ حِـيـلَةِ

وَجُـودُكَ يَـا ذا الـجُـودِ غَـيْـثُ مَـحِـيـلَتي

وَجُـودُكَ رَوْحِـي فـي الـكُـرُوبِ الـجَـلِيـلَةِ

وَجُـودُكَ إذْ عَـزَّ الـشَّـفِـيـعُ وَسِـيـلَتي   وَجُـودُكَ إذْ عَـزَّ الـبَـرِيـدُ بَـرِيـدِي

لَئِنْ حَـالَ مـا بَـيـنِـي وبَـيـنـكَ حَـائِلُ

---

(١) اسْتَكَنْ: ثبتَ واستقرّ.

(٢) الإحالة، هنا، إلى قوله تعالى: «إنّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ لَهُ كُنْ فيَكون».

مِنَ الذنبِ واستغصَتْ عَلَيَّ الوَسَائِلُ
فإني مُلِحٌّ بالدُّعَا لا أُزَائِلُ
وإني لوَقَّافٌ بِبَابِكَ سَائِلُ لِفَضْلِكَ رَاجٍ مِنكَ نُجْحَ وُعُودِي
إلهِيَ نَفسِي لا تَبُوءُ بِخُسْرِهَا
ولا قَنطَتْ مِنْ يُسْرِهَا بَعدَ عُسْرِهَا
ولا سَئِمَتْ مِنْ ضِيقِهَا تَحتَ أسْرِهَا
وَقَدْ دَفعَتْنِي الكَائِنَاتُ بأَسْرِهَا إليكَ ولم تَحفَظْ وَثِيقَ عُهُودِي
قَصَدْتُكَ رَبِّي إذْ عَرَفْتُكَ وَاحِدا
وَجَدْتُكَ رَبِّي إذْ عَلِمْتُكَ وَاجِدا
إلى مَنْ أَرُدُّ الوَجْهَ مَولايَ جَاهِدا
وإنِّيَ إنْ زَايَلْتُ بَابَكَ قاصِدا سِوَاكَ فقَدْ أبْرَمْتُ نَقْضَ عُقُودِي

القسم الثالث: في تَضرُّعِهِ إلى مَعْبُودِهِ لِشكايَةِ شُؤْمِ جُدُودِهِ وبَيَانِ قطْعِهِ الأسْبابَ واتِّصالِهِ برَبِّ الأرْبَاب طمَعاً في نَيْلِ جُودِه

رَفعْتُ إلَيكَ الكَفَّ يَا خَيرَ رَافِعِ
وأحْسَنتُ ظَنِّي فِيكَ بَينَ قَوَاطِعِي
وما مَعَكَ اللهُمَّ لَيسَ بِمَا مَعِي
وحَاشَاكَ عَنْ رَدِّي وقَطْعِ مَطَامِعِي لِشُؤْمِ جُدُودِي واتِّضَاحِ جُمُودِي
أحَاطَتْ بِهذا العَبْدِ سُودُ المَصَائِبِ
وجَدَّ ولَكِنْ سَهْمُهُ سَهْمُ خَائِبِ
وما السَّعْيُ؟ إنْ لَمْ يَتَّصِلْ بالمَوَاهِبِ
وإنْ كانَ سَعْيِي لا يَفِي بمَطَالِبِي وإنَّ حُظُوظِي عَنْ مُنَايَ قُيُودِي
مُعوَّقَةٌ قَصْدِي مَضِيقٌ رِحَابُهَا
تُنَاصِبُنِي رَغمَ الأمَانِي حِرَابُهَا

إذا فَتَحْتُ بَاباً فلِلْشرِّ بَابُها
فإنَّ بِقضْدِي اللهَ تَغْدُو صِعَابُها وإنْ عَظُمَتْ قَدْراً أذلَّ مَقُودِ
ومَنْ يَعْتَزِزْ باللهِ عَزَّ ومَنْ لَهُ
تَوَلَّى فَفِي الحَالاتِ يَرْفَعُ ذُلَّهُ
ومَنْ ذَلَّ في تَمْجِيدِهِ لم يُذِلَّهُ
ومَنْ يَتَمَسَّكْ بالإلَهِ تَكُنْ لَهُ إذا رَامَها العَنقا أذلَّ مَصِيدِ
رَأى اللهُ للإسْلامِ مِنِّيَ قَائِما
وسَلَّ عُزُومِي لو تَحَقَّقْنَ صَارِما
فأصْبَحْتُ بَينَ العَزْمِ والدَّرْكِ هَائِما
ولَمَّا رَأيتُ الحَظَّ عَنِّيَ نَائِما وكَانَ قِيامِي فِيهِ مِثْلَ قُعُودِي
وكَانَ اجْتِهَادِي كالتَّقَاعُدِ جَاثِما
وصِرْتُ لِمَا أبْنِي كَمَا كُنتُ هَادِما
تُرِينِي الأمَانِي شَكْلَ ما كُنتُ حَالِما
وأنَّ فِعَالِي مِثْلُ مَالِي كِلاهُما لِدَارِسِ دِينِ اللهِ غَيرُ مُعِيدِ
إذا تَمَّ أمْرٌ كُنتُ في المَاءِ رَاقِما[1]
وإنْ أُحْكِمَ التَّدْبيرُ حُكْماً تَصَارَما
كأنِّي لِحَزْمِي مِثْلَ عَزْمِي مُزَاحِما
وإنَّ لِسَانِي مِثْلَ كَفِّي كِلاهُما لإظْهَارِ دِينِ اللهِ غَيرُ مُفِيدِ
ومِنْ عَثَرَاتِ الجَدِّ أنِّيَ طَالَما
رَمَى الغَدرُ تَدْبِيري فأثْبَتَ ما رَمَى

---

(١) الرَّقْم والترقيم: تَعجيمُ الكتاب وتبيينه. وكِتابٌ مرقوم؛ أي بُيِّنَتْ حُروفه بعلاماتها من التنقيط. وقولهم: يَرقمُ في الماء؛ أي بلغ من حذقهِ بالأمور أن يَرْقُمَ حيثُ لا يثبتُ الرَّقْم. ومنه قول الشاعر:
سأرْقُمُ في الماءِ القراحِ إليكُمُ | على بُعْدِكُم، إنْ كانَ للماءِ راقِمُ.

وأنّـيَ لا آوي مِـنَ الـصِّـدْقِ عَـاصِـمـا

وأنَّ حُسَامِـي كـالـيَـرَاعِ كِـلاهُـمـا لأعْـدَاءِ دِيـنِ اللهِ غَـيـرُ مُـبِـيـدِ

أرَى نَـصْـرَ رَبِّـي مِـنْ أداءِ أمَـانَـتِـي

وهَـيـهَـات عَـزَّتْ مُـكْـنَـتِـي ومَـكَـانَـتِـي

وحَـالَتْ إلـى خَـرْطِ الـقَـتَـادِ إعَـانَـتِـي

ودَهْـرِيَ لـم يَـأذَنْ بِـغَـيـرِ إهَـانَـتِـي وإكْـرَامِ خَـصْـمٍ لِلإلَهِ عَـنِـيـدِ

أجَـاهِـدُ كَـيْـدَ الـدَّهْـرِ بـالـعَـزْمِ والـعَـنـا

وقَـضُّ الـحَـصَـا مِـنْ مَـطْـلَـبِي كَـانَ ألْـيَـنـا

كـأنَّ مُـحَـالاً كُـلُّ مـا كَـانَ مُـمْـكِـنـا

وغَايَةُ مَحْصُولِي المَوَاعِيدُ والمُنَى وإنَّ وُعُـودَ الـغَـدْرِ، أيُّ وُعُـودِ؟

أهُـمُّ بِـنَـصْـرِ اللهِ والـجَـدُّ مَـمْـسَـكِـي

ولـو خُـضْـتُ فِـيـهِ مَـهْـلَـكـاً بَـعـدَ مَـهْـلَـكِ

ومَـنْ لِي وَقَـدْ سَـدَّ الـتَّـخَـاذُلُ مَـسْـلَـكِـي

ولـم يَبْقَ عِـنْـدِي الـيَومَ إلّا تَـمَسُّكِـي بِـعُـرْوَةِ رُكْـنٍ لِلإلَهِ شَـدِيـدِ

وتَـفْـوِيـضُ أمْـرِي لِلمُـدَبِّـرِ خِـيـرَتِـي

وإسْـقَـاطُ تَـدْبِـيـرِي وتَـعْـطِـيـلُ حِـيـلَتِـي

وتَـرْكُ عُـرَى الأسْـبَـابِ مِـنْ كُـلِّ وُجْـهَـةِ

جَمَعْتُ هُمُومِي وانْتَجَعْتُ بِهِمَّتِي إلـى بَـابِ وَهَّـابِ الـجُـدُودِ مَـجِـيـدِ

إلـى بَـابِ مَـنْ أغْـنَـى وأقْـنَـى[1] وأنْـعَـمـا

إلـى بَـابِ قَـهَّـارٍ أهَـانَ وأكْـرَمـا

إلـى بَـابِ مَـنْ أفْـنَـى وأحْـيَـا وأعْـدَمـا

إلى بَابِ مَنْ يَدْعُوهُ في الأرْضِ والسَّمَا ومَـنْ فِـيـهِـمـا مِـنْ سَـيِّـدٍ ومَـسُـودِ

---

(١) أقْنَى: أرضَى.

إلــى بَــابِ مَــنْ جَــدِّي بِــذُلّي لِجِــدِّهِ
إلـى بَـابِ مَـنْ دَرْكُ الأمَـانِـي بِـقَـصْـدِهِ
إلـى بَـابِ مَـنْ تَـعْـنُـو الـوُجُـوهُ لِمَـجْـدِهِ
إلى بَابِ مَنْ في كُلِّ يَومٍ بِحَمْدِهِ　　لَهُ أَيُّ شَـأنٍ فـي الأَنَـامِ جَـدِيـدِ
إلـى بَـابِ رَبِّ الـعَـالَـمِـيـنَ ومُـكْـرِمِ الْـ
مُـطِـيعِـيـنَ خَـيرِ الرَّاحِـمِـيـنَ مُـقَسِّـمِ الْـ
مَـوَاهِـبِ شَـكَّـارٍ لِصَـالِحِ مـا عُـمِـلْ
إلى بَابِ خَيرِ النَّاصِرِينَ وأَكْرَمِ الْـ　　ـمُـفِـيدِينَ خَيرِ الفاتِـحِـيـنَ وَدُودِ[1]
إلـى بَـابِ جَـبَّـارِ الـسَّـمَـوَاتِ غَـالِبِ الْـ
جَـبَـابـرِ ذِي الـبَـطْـشِ الـشَّـدِيـدِ الـمُـرَاقِـبِ الْـ
أمُـورِ ومَـنْ يَـقْـصِـدْهُ لِلأخْـتِـمـا قُـبِـلْ
إلى بَابِ وَهَّابِ الـمَـمَـالِكِ قَـالِبِ الْـ　　ـكَـرَاسِـيِّ قَـهَّـارٍ لِكُـلِّ عَـنِـيـدِ
إلـى الـقـاهِـرِ الـمُـبْـدِي الـمُـعِـيـدِ اخْـتِـيَـارُهُ
إلـى الـحَـكَـمِ الـعَـدْلِ الـذي عَـزَّ جَـارُهُ
إلــى الــمُــتــوَلّي مَــنْ إلَيــهِ فِــرَارُهُ
إلى مَالِكِ الـمُـلْـكِ الـعَـظِـيـمِ اقْـتِـدَارُهُ　　إلـى مَـنْ لَهُ الأمْـلاكُ خَـيـرُ عَـبِـيـدِ
ضَـرَعْـتُ إلـيـهِ مُـخْـبِـتَ الـقَـلْـبِ عَـافِـيَـا
ذلـيـلًا ضَـعِـيـفـاً عَـاجِـزاً مُـتـفـانِـيَـا

(١) لا بُدَّ أنْ تلْحَظ عَينُ القارئ أسلوبية أبي مُسْلِم في تطويع قافيته عبر استخدامه لـ «وَقَفات» غير مطروقة في غالبية الشعر العربي الكلاسيكي، كما هو الحال في هذه الإضمامة من الأبيات التي أوْقفَ قافيتها على «ألْ» التعريف المُمَوضَعَة ـ عن قصد ـ في نهاية كُلِّ شطر، دافعاً المُفرَدة (المُفترض أن تنتهي بها تقفية البيت) إلى بداية الشَّطر التالي، وهو أسلوبٌ طوَّرتهُ، لاحِقاً، قصيدةُ محمود درويش تخلُّصاً من القوافي النَّافِرة إدغاماً وإضماراً لها في متن البيت الشعري؛ تفريطاً مُتقصَّداً بعُلوِّ النَّبر في آخر البيت.

بَـرِئـتُ إِلَيـهِ مِـنْ نُـفُـوذِ مَـحَـالِيَـا

وُقُـوفـاً عَـلَى أَبْـوابـهِ مِـنْـهُ رَاجِـيَـا قِيامَ حُظوظِي في العُلَى وَجُدُودِي

عَـسَـى رَحْـمَـةٌ مِـنْـهُ وعَـطْـفٌ ونَـظْـرَةٌ

ومَـوْهِـبَـةٌ تَـنْـهَـلُّ مِـنْـهُ مُـلِثَّـةٌ[1]

وعَـارِفَـةٌ مِـنْ جُـودِهِ ومَـوَدَّةٌ

فَتَخْرِقُ لي فِيهِ العَوائِدَ نَفْحَةٌ سَمَاوِيَّةٌ مِنْ مُبْدِىءٍ ومُعِيدِ

فَـتَـبْـرَأُ مِـنْ حَـقِّ الـجِـهَـادَيْـنِ ذِمَّـتـي

وتَـعْـلُو بِـهَـا فـي نُـصْـرَةِ اللهِ كِـلْـمَـتِـي

ويَـبْـسُـطَ لِي إِنْ شَـاءَ إِتْـمَـامَ نِـعْـمَـتِـي

حُظُوظاً يَقُومُ الدَّهْرُ فِيها بِخِدْمَتي ويَسْعَى بما لا يَشْتَهِيهِ حَسُودِي

عـلى قَـائِمٍ بـالـقِـسْـطِ إِرْسَـالُ أَيْـدِهِ

فـيُـطْـلِقَـنِـي مِـنْ غُـلِّ عَـجْـزِي وقَـيْـدِهِ

حُـظُـوظـاً كَـفَّـتْ عَـنْ عَـمْـرِو كَـوْن وزَيْـدِهِ

تَقُومُ بِتَدْبِيرِ الإِلَهِ وكَيْدِهِ لأَمْرِ عَلَيهِ لم أَكُنْ بِجَلِيدِ

مُـعَـاجِـلَةً خَـصْـمِـي بِـأَخْـذِ يَـمِـيـنِـهِ

وبَـعْـثِ بَـلايَـاهُ وقَـطْـعِ وَتِـيـنِـهِ[2]

تَـقَـرُّ لِشَـرْعِ اللهِ عَـيْـنُ أَمِـيـنِـهِ

وتَسْعَى بِمَا يَرْضَى الإِلَهُ لِدِينِهِ إذا ما أَمَاتَ الحَقُّ كُلَّ مُرِيدِ

إِلَهِـيَّـةٌ قَـدْ سَـاقَـهَـا اللهُ مُـنْـجِـدًا

مُـظَـفَّـرَةٌ لا يَـسْـتَـقِـرُّ لَهَـا الـعِـدَى

---

(١) مُلِثَّة: دائِمَة.

(٢) الوَتِين: الشّريَان الرّئيس المُغذّي جسم الإنسان بدم نقيّ خارج للتو من القلب.

يَـفُـلُّ بـهـا عَـرْشَ الـضَّـلالِ مَـنِ اهْـتَـدَى

بِـهَـا قَـامَ مِـنْ قـبـلِـي الأَئِمَّـةُ بـالـهُـدَى وكَـانَـتْ لِرُسْـلِ اللهِ قَـبـلَ وُجُـوُدِي

يَـخُـصُّ شُـؤُونـي فَـتْـحُـهـا ويَـعُـمُّـهَـا

يُـصَـرِّفُ لِي فـي الـكَـوْنِ قَـهْـراً أَتَـمَّـهَـا

وتَـجْـلَى بِـهَـا الـجُـلَّى ويُـفْـرَجُ هَـمُّـهَـا

يَـتِـمُّ بِـهَـا الـنَّـعْـمَـا عَـلَيَّ مُـتِـمُّـهـا قَـدِيـمـاً على خَيـرِ الـخَـلائِقِ صِـيـدِ

القسم الرابع: في شكايتِهِ إليه إضَاعَةَ سُنَنِ الإسْلامِ وتعْطِيلِ الأحْكَام

مَـتـى تـتـجَـلَّى بـالـفُـتُـوحَـاتِ سَـاعَـةٌ

مَـتـى لِعِـيَـالِ اللهِ تُـلْقَـى اسْـتِـطَـاعَـةٌ

مَـتـى يَـنْـصُـرُ الـقُـرْآنَ سَـمْـعٌ وطَـاعَـةٌ

ومَـنْ لِي بـهـذا فـي زَمَـانٍ مُـضَـاعَـةٌ بِـهِ سُـنَـنُ الإسْـلامِ بَـيـنَ قُـرُودِ[1]

ومَـنْ لِي وسَـيـفُ الـعَـدْلِ بَـيـنَ جُـفُـونـهِ

ولـلـجَـورِ سَـيـفٌ شَـاهِـرٌ فـي يَـمِـيـنِـهِ

ومَـنْ لـي وأَهْـلُ اللهِ تَـحـتَ مُـتُـونِـهِ

ومَـنْ لـي بـأنْ يَـرْضَـى الإلَهُ لِدِيـنِـهِ بِـتَـعْـطِـيـلِ أَحْـكَـامٍ ورَفْـضِ حُـدُودِ

ومَـنْ لـي بـأنْ يَـرْضَـى بِـسُـلْطَـانٍ مُـفْـسِـدِ

مُـغِـيـرٍ بِـحَـزْبِ الاسْـتِـقَـامَـةِ مُـنْـجِـدِ

مُـذِلٌّ لِعِـزِّ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ مُـعَـبِّـدِ

ومَـنْ لـي بـأنْ يَـرْضَـى لِأُمَّـةِ أَحْـمَـدِ وَقَـدْ سَـامَـهَـا بـالـخَـسْـفِ كُـلُّ كَـنُـودِ[2]

---

(١) ربما كان الإلماحُ الشعريّ إلى ظِلالِ الآية: «وجَعَلَ مِنهُم القِرَدَةَ والخنازير».

(٢) الكَنود: جاحِد النِّعَم ـ في التنزيل: «إنَّ الإنسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود».

وَمَـنْ لـي بِـحَـزْبِ اللهِ تَـصْـعِـقُ جُـنْـدَهُ
ومـا حَــوْلُ مَــخْــلُوقٍ إذا لــم يَــمُــدَّهُ
ومـا الـنَّـصْـرُ إنْ لـم يَـنْـصُـرِ اللهُ عَـبْـدَهُ
ومَـنْ لـي بـأَنْـصَـارٍ إلـى اللهِ وَحْـدَهُ أَشِـدَّاءِ بَـأْسٍ فـي الـحُـرُوبِ أُسُـودِ
كِــرَامٍ إذا شَــدُّوا وصُــبْــرٍ عَــلى الأذى
لـهُـم غـيـرَةٌ فـي اللهِ لـم يَـشْـرَبُـوا الـقَـذَى
إذا بَـرَقُـوا لـم يُـنْـفِـذِ الـخَـصْـمُ مَـنْـفَـذا
تُـبَـارِي الـنَّـعَـامَ الـرُّبْـدَ خَـيْـلُهُـمُ إذا بِـحَـيَّ عَـلَى نَـصْـرِ الـمُـهَـيْـمِـنِ نُـودِي
صَـنَـادِيـدُ يَـبْـغُـونَ الـمَـنِـيَّـةَ مَـفْـزَعَـا
ولا يَــرِدُونَ الــعَــيْــشَ إلّا تَــذَرُّعَــا
يَــبِــيــعُــونَ للهِ الــنُّــفُــوسَ تَـطَـوُّعَـا
يُـغَـاثُ بـهِـمْ دَاعٍ إلـى اللهِ قَـدْ دَعَـا وخُــوصِــمَ فــي ذاتِ الإلَهِ وَعُــودِي
ومَـنْ لـي بِـسَـهْـمٍ مِـنْ يَـدِ اللهِ مُـرْسَـلا
يُـفَـضْـفِـضُ حَـيـزُومَ الأَعَـادِي مُـجَـنْـدِلا
إذا انْـقَـضَّ هَـزَّ الـكَـوْنَ وارْتَـعَـدَ الـمَـلا
ومن لي بِسَهْمٍ يَقطعُ الهَامَ والطُّلَى ويَـفْــرِي مِـنَ الأَعْــدَاءِ كُــلَّ وَرِيـدِ
تُـسَـعِّـرُ نَـارَ الـحَـرْبِ مِـنْـهُ الـمَـضَـارِبُ
بَـوَارِقُـهُ تَـنْـهَـلُّ مِـنْـهـا الـمَـعَـاطِـبُ
لِهَـزَّتِـهِ الـفَـتْـحُ الـمُـبِـيـنُ مُـصَـاحِـبُ
حُــسَــامٌ لِدِيــنِ اللهِ واللهُ ضَــارِبُ بِــحَــدَّيْــهِ والـهَـيْـجَـاءُ ذاتُ وَقُــودِ
يُـسَـابِـقُ لَمْـحَ الـطَّـرْفِ فـي سَـلْـبِ مُـهْـجَـةٍ
ويَـفْـعَـلُ فِـعْـلَ الـلطْـفِ فـي كُـلِّ كُـرْبَـةٍ

يَـكَـادُ يَـبِـسُّ[1] الأَرضَ مِـنـهُ بِـلَمْـعَـةٍ
ولـو عَـارَضَ الـشُّـمَّ الـجِبَالَ بِـضَـرْبـةٍ   لَنـاحَـتْ عَـلَى طَـوْدٍ أَشَـمَّ فَـقِـيـدِ

القسم الخامس: في الدُّعاءِ على أعدائِهِ بقطْعِ دَابِرِهِم واسْتِئصَالِ أوَّلِهم وآخِرهم

إلــهــي عَــدُوُّ اللهِ يَـشْـفِـي غَـلِيـلَهُ
سَـبِـيـلَكَ يُـدْنِـيـهَـا ويُـغـلِي سَـبِـيـلَهُ
يُـغَـالِبُ أمْـرَ اللهِ حَـتـى يُـحِـيـلَهُ
فـيَـا غَـارَةَ اللهِ اغْـضَـبِـي وخُـيُـولَهُ   ازكَـبِي ومَـوَاضِـيـهِ انْـعَـمِي بِـوُرُودِ[2]
ودَائِرَةَ الـسَّـوءِ اسْـتَـمِـرِّي بِـدَوْرَةٍ
عَـلَيـهِ ومَـقْـتَ اللهِ خُـذْهُ بِـسَـوْرَةٍ
ويَـا بَـطْـشَـةَ اللهِ اسْـحَـقِـيـهِ بِـثَـوْرَةٍ
ومُـنِّـي عـلى الأَعْـدَاءِ مِـنـكِ بِـزَوْرَةٍ   تُـرِيـحُـهُـمُ مِـنْ كُـفْـرِهِـم بِـلُحُـودِ
ومَـزِّقْـهُـمُ الـلهُـمَّ كُـلَّ مُـمَـزَّقِ
بـأهْـلِكَ غَـلْبـاً فَـيـلَقـاً بَـعـدَ فَـيْـلَقِ
ونَـكِّـلْ بِـهِـم وامْـحَـقْـهُـمُ بـالـتَّـفَـرُّقِ
ويَـا رَبِّ مَـزِّقْ كُـلَّ سُـورٍ وخَـنْـدَقٍ   عَـلَيـهِـم وحِـصْـنٍ شَـامِـخٍ وَوَصِـيـدِ
طَـغَـوا فـي بِـلادِ اللهِ لَمَّـا تُـطِـقْـهُـمُ
وتَـغْـيِـيـرُكَ الـلهُـمَّ لـم يَـعْـتَـنِـقْـهُـمُ

(١) يَبِس: يُفتِّت.
(٢) أي: وُرُود المَواضي؛ وهي السُّيوف ساحات المعارك لترتوي بعد عطش.

وإنـكَ بـالـمِـرْصَـادِ خُـذْهُـم وبِـقْـهُـمُ[1]

وَقَـدْ مَـكَـرُوا فـامْـكُـرْ بـهِـمْ وأَذِقْـهُـمُ عَـوَاقِـبَ مَـكْـرٍ فـي الـبِـلادِ شَـدِيـدِ

لَقَـدْ وَطِـئُوا الـدُّنـيَـا بِـرِجْـسٍ مُـرَجَّـسِ

وعَـاثـوا بِـظُـلْـمٍ فـي الـعِـبَـادِ مُـضَـرَّسِ

شَـيَـاطِـيـنَ مَـلْعُـونـيـنَ مِـنْ كُـلِّ مُـبْـلِـسٍ[2]

فطَـهِّـرْ بِقـاعَ الأرْضِ مِـنْـهُـم بـأَنْـفُـسِ مِـنَ الـبَـغْـيِ تُـجْـرِيـهـا بِـكُـلِّ صَـعِـيـدِ

إلـهـي قَـبـيـلٌ[3] جَـاحِـدٌ لَكَ قَـدْ غَـوَى

يُـعَـادِيـكَ لا يَـأْلُو عَـلَى حَـزْبِـكَ انْـطَـوَى

أَبِـــدْهُ ومَـــنْ وَالَاهُ وَحْـــيـــاً ومـــا حَـــوَى

وشَـرِّدْ بـهِـم فـي كُـلِّ أَرْضٍ فـلا سِـوَى قَـتِـيـلٍ ومَـأْسُـورٍ يُـرَى وطَـرِيـدِ

بِـغِـيـرَتِـكَ الـلـهُـمَّ يَـا حَـامِـيَ الـحِـمَـى

بِـسَـطْـوَتِـكَ الـلـهُـمَّ يَـا رَافِـعَ الـسَّـمَـا

سَـمِـيـعَ دُعَـائِي كُـنْ عَـلَـيـهِـم مُـدَمْـدِمَـا

وصُـبَّ عَـلَـيـهِـم سَـوْطَ مُـنـتـقِـمٍ كَـمَـا لِعَـــادٍ وفِـــرْعَـــونٍ جَـــرَى وثَـــمُـــودِ

وعَـــذِّبْـــهُـــمُ نُـــكْـــرَ الـــعَـــذَابِ وَدِنْـــهُـــمُ

وشَـــدِّدْ عَـــلَـيـــهِـــم وَطْـــئَةً وأَهِـــنْـــهُـــمُ

وعَـــنْ كُـــلِّ خِـــزْيٍ رَبَّـــنـــا لا تَـــصُـــنْـــهُـــمُ

ولا تُـبْـقِ دَيَّـاراً[4] عـلى الأرضِ مِـنْـهُـمُ فَـمَـا قَـومُ نُـوحٍ مِـنْـهُـمُ بِـبَـعِـيـدِ

---

(١) بِقْهم: أهلِكهم.

(٢) مُبْلِس: مُشابه لإبليس.

(٣) قَبيل: جماعة من الناس.

(٤) دَيّار: قاطن الدّار ـ ومنه قولهم: ما بالدّارِ ديّار.

القسم السادس: في المَقصَدِ الأسْنَى وهو إظهارُ دِينِ اللهِ عَلى يَدِ قَائِمِ مُوَلاه

مَـتَـى تَـخْـفـقُ الـرَّايَـاتُ فَـوقَ مُـؤَزَّرِ
مُـظـفَّـرَةً تَـجْـرِي بِـجَـيْـشٍ مُـظَـفَّـرِ
إلـهـيَ أيِّـدْ قَـائِمَ الـحَـقِّ وانْـصُـرِ
وعَـجِّلْ بِنَـصْـرٍ مِنكَ لـلدِّيـنِ مُظْـهِرِ وعَـنْ كَـيْـدِ مَنْ عَـادَاكَ غَـيـرَ مَـكِـيـدِ

مَـتـى يَـتـجَـلَّى اللهُ بِـالـعَـدْلِ مُـشْـرِقـا
يُـقِـيـمُ بِـهِ بَـراً وَلِيّـاً مُـوَفَّـقـا
يُـرَافِـقُـهُ نَـصْـرٌ مِـنَ اللهِ أشْـرَقـا
يَـقُـومُ بَـأَرْبَـابِ الـدِّيَـانَـاتِ والـتُّـقى ويَـسْـطَـعُ نُـورُ الـحَـقِّ بَـعـدَ خُـمُـودِ

مَتى الـسَّـمْـحَـةُ الـبَـيْـضَـاءُ تَرقَى سَـمَـاءَهـا
مَـتـى عِـزَّةُ الإسْـلامِ تَـحْـمِـي فِـنَـاءَهـا
مَـتـى فِـطْـرَةُ الـتَّـوحِـيـدِ تَـلْـقى رَجَـاءَهـا
وَتَـنْـشُـرُ أَعْـلامُ الـعُـلُـومِ لِوَاءَهـا بِـأَسْـيَـافِ عَـدْلٍ لَمْ تَـلِقْ بِـغُـمُـودِ

سُـيُـوفُ اقْـتِـدَارٍ حَـاكِـمَـاتٌ بَـوَارِقُ
قَـوَاصِـلُ حُـكْـمٍ بِـالـرِّقَـابِ لَوَاصِـقُ
بِـأَنْـوَارِ عَـدْلِ اللهِ زُهْـرٌ شَـوَارِقُ
يُـدبِّـرُهـا مـاضِـي الـعَـزِيـمَـةِ حَـاذِقُ بِـإِنْـفَـاذِ أمـرِ اللهِ غَـيـرُ مَـؤُودِ

هُـمَـامٌ يَـعُـمُّ الـكَـونَ بِـالـقِـسْـطِ عَـادِلا
لَهُ عِـصْـمَـتـا جَـدٍّ وجِـدٍّ تَـعَـادَلا
بِـفَـارِقِ سُـلْطَـانٍ مِـنَ اللهِ صَـائِلا
تَـذِلُّ لَهُ الآسَـادُ حَـتَّـى الـنُّـقَـادُ[1] لا تُـذادُ عَـنِ الـمَـرْعَـى بِـأَطْـلَسِ جِـيـدِ

(١) النُّقاد: ضرب من الغنم قبيح الشكل قصير الأرجل || أطلس: ذنب.

تَـجَـسَّـمَ مِـنْ نُـورِ الـتُّـقـى حَـشْـوَ دِرْعِـهِ
حَـرِيـصٌ عَـلَى أَصْـلِ الـجِـهَـادِ وفَـرْعِـهِ
يُـــرَاقِـــبُ نُـــورَ اللهِ فـــي رَحْـــبِ ذَرْعِـــهِ
أَمِـيـنٌ عَـلَى دِيـنِ الإلـهِ وشَـرْعِـهِ خَـلِيـفَـتُـهُ الـمَـأْمُـونُ خَـيـرُ رَشِـيـدِ

يَـــذِلُّ لَهُ وَعْـــرُ الأَعَـــادِي وسَـــهْـــلُهَـــا
عـــلى خُـــطَّـــةِ عَـــدْلٍ وللهِ عَـــدْلُهَـــا
يُـجَـلِّى بـهـا عَـنْ فَـتْـرَةِ الـدَّهْـرِ جَـهْـلُهَـا
بِـهِ قَـرَّتِ الـدُّنـيـا عُـيُـونـاً وأَهْـلُهَـا على العَـدْلِ والإحْسَانِ مِنهُ شُهُودِي

القسم السابع: في دُعائِهِ لِنفسِهِ بكَوْنِهِ قُطْبَ المِلَّة الإسلاميَّةِ وإليهِ المَرْجِعُ في إقامَةِ الشريعَةِ المُحَمَّدَية

إلــهِــي أقِــمْــنِــي ذا الــجَــلالِ بــفِــطْــرَةِ
أُقِـــيــمُ بــهـــا الأحْـــكَـــامَ فـــي كُــلِّ ذرَّةِ
وحَـقِّـقْ بـلُطْـفِ مِـنـكَ لِلحَـقِّ نُـصْـرَتـي
ومُـنَّ عـلى عَـبْـدٍ دَعَـاكَ بِـنَـظْـرَةِ تُـجَلِّي على الآفـاقِ شَـمْـسَ سُـعُـودِي

بِـــدَعْـــوَتِـــكَ الـــلهُـــمَّ عَـــبْـــدُكَ قَـــائِمُ
وَقَـدْ دَرَسَـت مِـنْـهَـا إلـهِـي الـمَـعَـالِمُ
عَـسَاهـا كَـسَـيْـرِ الـشَّـمْـسِ تِـلكَ الـعَـزَائِمُ
فَتشْـمَـلَ مَنْ في الأرْضِ حَتى أرَاهُـمُ إلـى اللهِ أنْـصَـارِي وفِـيــهِ جُـنُـودِي

بـحَـوْلِكَ هـذا الـعَـبْـدُ ثَـبْـتُ يَـقِـيـنِـهِ
وسُـــلْطَـــانُـــكَ الأعْـــلَى أَجَـلُّ مـعِـيـنـهِ
أعِـــنِّـــيَ مِـــنْ تَـــأْيِـــيـــدِهِ بِـــمَـــكِـــيـــنِـــهِ
فــأحْــشُــدَ فــي نَـصْـرِ الإلَهِ ودِيـنِـهِ ومَنْ قَامَ بالدِّينِ الحَنيفِ حُشُودِي

أَقِـمْـنِـي بِـنُـورٍ مِـنـكَ قُـطْـبـاً مُـسَـدَّدَا
لِمِـلَّةِ خَـيـرِ الـرُّسْـلِ غَـوْثـاً مُـجَـدِّدَا
عـلى بَسْطَةٍ في الـعِلْمِ والـوُجْدِ والـهُدَى
فـأُصْـبِـحَ مَـنْـصُـوراً مُـطَـاعـاً مُـؤَيَّـدَا بِـفَـتْـحٍ وتَـمْـكِـيـنٍ وجَـاهٍ سَـعِـيـدِ
حَـمَـى اللهُ عَـبْـداً مُـخْـلِـصـاً أنْ يُـهِـيـنَـهُ
ومُـنْـتَـصِـراً للهِ أنْ لا يُـعِـيـنَـهُ
لَقَـدْ مَـدَّ إخْـلاصِـي إلـيـكَ يَـمِـيـنَـهُ
عَـسَـى ولَعَـلَّ اللهَ يُـظْـهِـرُ دِيـنَـهُ عـلى كُـلِّ دِيـنٍ لـم يَـكُـنْ بِـسَـدِيـدِ
عَـسَـى ولَعَـلَّ اللهَ يَـسْـمَـعُ دَعْـوَتِـي
ويَـسْرِي خَـفِـيُّ الـلطْـفِ فـي حَـلِّ كُـرْبَـتِـي
وتَـعْـظُـمُ فـي نَـصْـرِ الـمُـهَـيْـمِـنِ مُـكْـنَـتِـي
فَـتَـخْـضَـرُّ آمَـالِي وتُـورِقُ مُـنْـيَـتِـي ويُـثْـمِـرُ فـي دَوحِ الـمَـكَـارِمِ عُـودِي
إلــهِـيَ إمّـا عَـزَّنِـي مـا أُرِيـدُهُ
فـإنَّ بِـفَـتْـحِ اللهِ يَـدْنُـو بَـعِـيـدُهُ
وإنَّ بِـرَوحِ اللهِ يُـجْـلَـى شَـدِيـدُهُ
فـإنَّـكَ فَـعَّـالٌ لِمـا قَـدْ تُـرِيـدُهُ قَـدِيـرٌ عـلى مـا شِـئْـتَ خَـيـرُ مُـرِيـدِ

الخاتِمَة

إلــهِـيَ أَحْـزَانِـي إلَـيـكَ بَـثَـثْـتُـهـا
إلــهِـيَ آمـالِـي إلَـيـكَ حَـثَـثْـتُـهـا
إلــهِـيَ بَـارِكْ وَقْـفَـةً قَـدْ لَبِـثْـتُـهـا
إلهي اسْتَجِبْ دَعْوَى إليكَ بَعَثْتُها وَقَـدْ طَـالَ تَـرْجِـيعِـي بـهـا ونَـشِـيـدِي

عُـهُـودُ خَـلاصٍ أمْـجَـدَتْـنِـي مَـقـامَـهـا
جَـوَاهِـرُ ذِكْـرٍ أعْـصَـمَـتْـنِـي عِـصَـامَـهـا
مَـوَارِدُ صَـفْـوٍ أشْـرَبَـتْـنِـي أوَامَـهـا[1]

عُـقـودُ ثَـنَـاءٍ قَـدْ أَجَـدْتُ نِـظَـامَـهـا وإنْ كُـنـتُ لـلأشْـعَـارِ غَـيـرَ مُـجِـيـدِ

وَأَلَتُ بـهـا عَـزْمـاً وجَـهْـدُ الـبَـلا نَـزَلْ
إلـى بَـابِ حَـيٍّ لا يَـزَالُ ولـم يَـزَلْ
لَهُ الـمَـثَـلُ الأعْـلَى وجَـلَّ عَـنِ الـمَـثَـلْ

قَصَدْتُ بِهَا بَابَ المَلِيكِ ولم تَزَلْ عَـلَى بِـابِـهِ الآمَـالُ خَـيـرُ وُفُـودِ

وصَلٌ وسَلِّم مِثلَ مَعْلُومِ ما يَجْرِي بِهِ القَلَمُ الأَعْلَى مِنَ الخَلْقِ والأمْرِ
بلا أمَدٍ يَأتِي ولا مُنْتَهَى حَصْرِ على المُصْطَفى الهَادِي مُحَمَّدٍ البَرِّ
وأصْـحَـابِـهِ والآلِ خَـيـرِ شُـهُـودِ

---

(١) أوَامَها: عَطشَها.

مَقْدَسُ النُّفوس

أَصْبَحتُ لا أَمْلِكُ لِلنَّفسِ وَطَرْ ولا أَرُدُّ ذرَّةً مِنَ القَدَرْ
أحْمَدُ مَولايَ عَلى خَيرٍ وشَرْ مُسْتَسْلِماً لما قَضَى وما قَدَرْ
مُنتَهِياً عَمَّا نَهَى لِمَا أمَرْ

أَصْبحتُ والذنبُ عَظِيماً مُوبِقا أَوْقَعَني في أسْرِ أشْرَاكِ الشَّقا
إن لم يَكُنْ لي سَيِّدي مُوَفِّقا ولم يَكُنْ لِتوْبَتي مُحَقِّقا
فأينَ مَنْجاتِيَ كَلّا لا وَزَرْ

أَصْبَحتُ عَبْداً في مَقامِ الذلَّهْ قَضَيتُ عُمْري بَاطِلًا وضِلَّهْ
أُبَارِزُ اللهَ بِقُبحِ الخَلَّهْ أَنْتَهِكُ الزلَّةَ بَعدَ الزلَّهْ
كأَنَّنِي أَمِنتُ خِزْياً مُنتَظَرْ

أَصْبَحْتُ عَبْداً بِذنوبي مُعْتَقَلْ قَدْ غَرَّني الجَهْلُ وأرْدَاني الأمَلْ
يا وَيْلَتاهُ قَدْ دَنا مِنِّي الأجَلْ ولم أقدِّمْ صَالِحاً مِنَ العَمَلْ
أُجَاهِرُ النِّعْمَةَ مِنِّي بالبَطَرْ

تِلكَ صِفاتي بِئْسَ وَصْفُ المُتَّصِفْ عَنْ كُلِّ ما يُرْضِي إلَهِي مُنْحَرِفْ
أَوَّاهُ أَوَّاهُ عُبَيْدٌ مُقْتَرِفْ مُضَرَّجٌ عَمّا جَنَيتُ مُعْتَرِفْ
لا أرْعَوِي لِحِكْمَةٍ ومُزْدَجَرْ

ظَلَمتُ نفسِي وتَرَكْتُ رُشْدِي وكانَ هَزْلِي في الهَوَى وجِدِّي

وفي المَعَاصِي خَطَأي وعَمْدِي	وكُلُّ شَيْنٍ وقَبِيحٍ عِنْدِي

فاغْفِرْ إلهِي أنتَ أحْفَى مَنْ غَفَرْ

هَا قَدْ نَدِمتُ النَّدَمَ الصَّرِيحَا	على حَضِيضِ ذِلَّتي طَرِيحَا

تُبتُ إليكَ توبةً نَصُوحَا	عَلِمْتُكَ الحَليمَ والصَّفُوحَا

أقِلْ عِثَارِي يَا مُقِيلًا مَنْ عَثَرْ

تُبتُ إليكَ تَوبَةً أخْلَصْتُها	طَاهِرَةً على الهُدَى نَصَصْتُها

خَالِصَةً مِنَ الهَوَى مَحَّضْتُها	على الذي يُرْضِيكَ قَدْ خَصَّصْتُها

لا أبْتَغِي بها سِوَى العَفْوِ وَطَرْ

تُبتُ إليكَ حُطَّ عَنِّي إصْرِي	أنا الذي أخْلَقَ وَجْهِي وِزْرِي

أنا الذي أثْقَلَ ذَنْبِي ظَهْرِي	أنا الذي فَرَرْتُ عَنكَ عُمْرِي

وليسَ للعَبْدِ مِنَ اللهِ مَفَرْ

تُبتُ إليكَ عَائِذاً بِوَجْهِكَا	مِنَ الخَطَايَا المُوجِبَاتِ سُخْطَكَا

مَن ذا يَقومُ سَيِّدي لِمَقْتِكَا	أم مَنْ يُطِيقُ يَا إلهِي عَذْلَكَا

فاحْمِلْ على فَضْلِكَ عَبْداً ما أصَرْ

تُبتُ إليكَ تَوبَ مَنْ لا يَرْجِعُ	عَنْ كُلِّ ما يُسْخِطُ رَبِّي مُقلِعُ

ولَستُ إلّا في رِضَاكَ أنْزَعُ	إذْ لَيسَ لِي إلّا رِضَاكَ يَنْفَعُ

والوَيْلُ إنْ لم تَرْضَ وَيْلٌ مُستَمِرْ

تُبتُ إليكَ تَوبَ مَنْ لَنْ يَنقُضَا	عَهْدَكَ أو يَأتِيَ مَكْرُوهاً مَضَى

ما أعْظَمَ الفَوزَ إذا نِلْتُ الرِّضَا	والوَيْلُ لي إنْ تَكُ عَنِّي مُعْرِضَا

إعْرَاضُكَ اللهُمَّ أدْهَى وأمَرْ

تُبتُ إليكَ مِن ذُنوبِ السِّرِّ	تُبتُ إليكَ مِن ذُنوبِ الجَهْرِ

ومِن ذُنوبِ قَاصِمَاتِ العُمْرِ	ومِن ذُنوبِ مُوجِبَاتِ الفَقْرِ

ومِن ذُنوبِ غِبُّها مَسُّ سَقَرْ

تُبتُ إليكَ مِن خَوَاطِرِ اللَّمَمْ	وكُلِّ مَحْظُورٍ جَرَى بِهِ القَلَمْ

وكُلِّ ما عُدتُ لَهُ بَعدَ نَدَمْ　　وما انْتَهَكْتُ فِيكَ مِن أيِّ الحُرَمْ

ومِنْ صَغيرٍ وكَبيرٍ مُشتَطِرْ

تُبتُ إليكَ تَوبَةً تَأتي عَلَى　　قَولِي وفِعْلِي تَارِكاً وفَاعِلا

وما جَنَيتُ عَالِماً وجَاهِلا　　وما اقْتَرَفتُ ذَاكِراً وغَافِلا

في حَقِكَ اللهُمَّ أو حَقِّ البَشَرْ

تُبتُ مَتاباً جَامِعاً لِما جَرَى　　بالقَلبِ والقالَبِ مِمّا حُجِرا

إليكَ نَفسِي نَادِماً مُستغْفِرا　　عِندَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَومُ السُّرَى

إنْ يَكُنِ اللهُمَّ ذَنبِي مُغْتَفَرْ

تُبتُ مِن الجَورِ عَلى كُلِّ أحَدْ　　والكِبْرِ والعُجْبِ ومِنْ ذَنْبِ الحَسَدْ

ومِنْ عُقُوقِ الوَالِدَينِ والوَلَدْ　　ومِنْ حُقوقِ مَن دَنا ومَن بَعُدْ

في كُلِّ ما ضَيَّعتُ مِن نَفعٍ وضُرْ

أَستَغْفِرُ اللهَ مِنَ التَعَسُّفِ　　في الدينِ والغُلوِّ والتَّعَجْرُفِ

ومِنْ ذُنوبِ الشكِّ والشِّرْكِ الخَفِي　　وفِتنَةِ المُسْرِفِ والمُسَوِّفِ

ومِن قُنُوطٍ وإيَاسٍ وأشَرْ

أَستَغْفِرُ اللهَ لِلَغْوِ مِقْوَلِي　　وسَعْيِ رِجْلِي ويَدِي في خَطَلِ

ولاتِّبَاعِي الشهَواتِ الرُّذَّلِ　　ومُهْلِكِ التَّقْصِيرِ والتَّوَغُّلِ

ومِنْ ذُنوبِ المَسْمَعَينِ والنَّظَرْ

أَستَغْفِرُ اللهَ لِقَصْدٍ انْطَوَى　　على رِضَا اللهِ فَصَدَّهُ الهَوَى

ونِيَّةٍ تُمِيلُنِي لِمَنْ غَوَى　　وإنْ يَكُنْ لِكُلِّ عَبْدٍ مَا نَوَى

فَنِيَّتِي التَّقْوَى وإحْسَانُ الأثَرْ

أَستَغْفِرُ اللهَ مِنَ الكَبَائِرِ　　أَستَغْفِرُ اللهَ مِنَ الصَّغائِرِ

أَستَغْفِرُ اللهَ لِحَلْفِ فَاجِرِ　　وكُلِّ ما يَخْطُرُ في سَرَائِرِي

وكَانَ عِندَ اللهِ ذَنباً إنْ خَطَرْ

أَستَغْفِرُ اللهَ مِنَ المَلاهِي　　والبَذْلِ والتبذيرِ في المَنَاهِي

والحُبِّ والبُغضِ لِغيرِ اللهِ وخُلُقِ الفاخِرِ والمُباهِي

والخُيَلاءِ والرِّياءِ والبَطَرْ

يا غافِرَ الذنبِ اغْتفِرْ لي ذَنْبِيَهْ يا قابلَ التَّوبِ تَقبَّلْ تَوْبِيَهْ

عَلِمتَ هَوْدِي[1] وشَهِدْتَ لَبِّيَهْ لبَّيكَ سَعْدَيكَ حَنانَيكَ لِيَهْ

إنْ تَعْفُ فالعَفوُ جَميلُ مَن قَدَرْ

فَرَّطْتُ في جَنبكَ تَفريطاً جَلَلْ ولم أُغادِرْ ذرَّةً مِنَ الزَّلَلْ

آتي مَعاصِيكَ على غَيرِ وَجَلْ ثم أَلِحُّ في الدُّعا بلا خَجَلْ

أستعجِلُ البِرَّ بِإدْلالِ المُبِرّْ

ما أعظَمَ المُصابَ وَيْلِي مالِيَهْ وأَقبَحَ السَّوْءَةَ مِنْ أفعالِيَهْ

جَمَّلْتَ رُشْدِي ومَقامَ حالِيَهْ وفاتَني رُشْدِيَ مِنْ إغْفالِيَهْ

يا وَيْلَتا أَوْقَعْتُ نفسي في الخَطَرْ

يا مَنْ غِياثِي عِلْمُهُ ورَحْمَتُهْ ومَفْزَعِي إحْسانُهُ ومِنَّتُهْ

ومَنْ مَعاذِي لُطْفُهُ ورَأْفَتُهْ ومَنْ رَجائِي عَطْفُهُ ونَظْرَتُهْ

عَبْدُكَ بالذنبِ كَسِيرٌ مُعْتَقِرْ

عَبْدُكَ قَدْ باءَ بِنفسٍ ناكِصَهْ وقَدْ عَلِمتَ مُطلَقاً خَصائِصَهْ

ذا رَوْعَةٍ قَدْ أَرْعَدَتْ فَرائِصَهْ بِتَوبَةٍ مِنْ كُلِّ جُرْمٍ خالِصَهْ

يَنتظِرُ العَفوَ ونِعْمَ المُنْتَظَرْ

باسْمِكَ الأعْظَمِ اسْمِ الذَّاتِ مَجْمَعِ الأسْمَا مُنْتَهَى الغاياتِ

بِحَقِّ الاسْماءِ المُبارَكاتِ وبالكَمالاتِ وبالصِّفاتِ

بِما لأسْمائِكَ مِن نُورٍ وسِرّْ

---

(١) هَوْدِي: عودتي إليك.

بِوَصْفِكَ الذاتيّ والفِعليّ بِوَصْفِكَ المُضَافِ والسَّلْبيّ
لَسْتَ بِمَوْهُومٍ ولا مَرْئيّ مُغايِرُ الحِسّيّ والعَقْليّ
تِلكَ تَعالَيتَ سِمَاتُ المُفْتَقِرْ
بِقُدْسِكَ الأسْنى بِسُبْحَانِيَّتِكْ بالمَنظَرِ الأعْلَى بِرَحْمَانِيَّتِكْ
بِوَجْهِكَ البَاقِي بِرَبَّانِيَّتِكْ بالشَّاهِدِ القَاضِي بِوَحْدَانِيَّتِكْ
في كُلِّ مَصْنُوعٍ ولو مِثقالَ ذَرْ
بأنكَ الأوّلُ مِنْ قَبلِ الأوَلْ بأنكَ الآخِرُ مِنْ غيرِ أَجَلْ
بأنكَ الخَالِقُ تَعْليلَ العِلَلْ ولَنْ تَزَالَ وَاحِداً ولَمْ تَزَلْ
يَا بَاطِنَ الذاتِ وظَاهِرَ الأثَرْ
بِمَقعَدِ العِزِّ مِنَ العَرْشِ العَظِيمْ بمُنْتَهَى الرَّحْمَةِ في الوَحْيِ الكَرِيمْ
بكُلِّ اسْمٍ صَانَهُ العِلْمُ القَدِيمْ في السِّرِّ أو عَلَّمْتَهُ قَلْباً سَلِيمْ
أو نَزَلَ الوَحْيُ بِهِ عَلَى بَشَرْ
بمُلكِكَ البَاقِي بِقَدْرِ العَظَمَهْ بالقِسْطِ حُكْماً بِعُلوِّ الكَلِمَهْ
بمَوضِعِ السِّرِّ في الآيِ المُحكَمَهْ بالنِّعْمَةِ المُطْلَقَةِ المُتَمَّمَهْ
طَوْلاً إلَهِياً وإحْسَاناً وبِرْ
برُتبةِ الحَقِّ رَفِيعِ الدَّرَجَاتْ ذي العَرْشِ مُلْقِي الرُّوحِ بَاعِثِ الرُّفَاتْ
بما على وُجُودِهِ مِنْ بيِّنَاتْ بحَقِّ ما لِذاتِهِ مِنَ الثَّبَاتْ
تَبَارَكَ البَاقِي البَقَاءَ المُسْتَمِرْ
بِعِزَّةِ القَاهِرِ وَاجِبِ الوُجُودْ بالصَّمَدِ المَعْبُودِ بالحَقِّ الوَدُودْ
بالفاتِحِ البَاسِطِ وَهَّابِ الجُدُودْ بالوَارِثِ البَاعِثِ هَامِدِ اللحُودْ
بمَنْ إلَيهِ المُنْتَهَى والمُسْتَقَرْ
بمَجْدِكَ الأعْلَى بِقَهْرِ الجَبَرُوتْ بِعِزَّةِ المُلْكِ بِعِظَمِ المَلَكُوتْ
بِعِزِّ سُلْطَانِكَ حَيٌّ لا تَمُوتْ بلطْفِكَ السَّاري بعَطْفِ الرَّحَمُوتْ
بنُورِكَ السَّاطِعِ في وَجْهِ الأثَرْ

بِقَهْرِكَ الغَالِبِ بالجَلالِ   بالكَرَمِ الفَيَّاضِ بالجَمالِ

بِقَدْرِكَ الشامِخِ بالكَمالِ   بِحِكْمَةِ الشؤونِ في الأفْعَالِ

بِشَأْنِكَ البَاهِرِ أصْنافَ الفِطَرْ

بالوَحْدَةِ القَديمةِ المُكَوِّنَهْ   بالقُدرَةِ الغَالِبةِ المُهَيْمِنَهْ

بالقِدَمِ القَيُّومِ قَبْلَ الأزْمِنَهْ   وبالتعَالي عَنْ ظُرُوفِ الأمْكِنَهْ

بالقُرْبِ بالدُّنُوِّ عِلْماً ونَظَرْ

بسُبُحَاتِ النورِ للحَقِيقَهْ   بأبْحُرِ المَحَامِدِ العَمِيقَهْ

وبِنُعُوتِ ذَاتِكَ الحَقيقَهْ   ظَاهِرَةً تُذْكَرُ أو دَقِيقَهْ

في عِلْمِكَ المَكْنونِ عَنْ دَرْكِ الفِطَرْ

بحَقكَ الوَاجِبِ في طَوْعِ الذِّمَمْ   بِعَهْدِكَ الأشَدِّ بالوَعْدِ الأتَمْ

بنُورِكَ المُشْرِقِ كَاشِفِ الظُّلَمْ   بلوحِكَ المَحْفوظِ رَبِّي بالقَلَمْ

بأمْرِكَ المُجْرِي تَصَارِيفَ القَدَرْ

بالعِلْمِ بالحَياةِ بالكَلامِ   بِقُدْرَةِ القَادِرِ بالدَّوَامِ

وبِحِمَى الإرَادَةِ اعْتِصَامِي   وبِجَلالِ الحَقِّ والإكْرَامِ

بِسَمْعِ مَولانا الجَليلِ بالبَصَرْ

بحَوْلِ مَولانا بِحَبْلِهِ الشَّديدْ   بِقُوةِ اللهِ بأمْرِهِ الرَّشِيدْ

بِسَطْوَةِ اللهِ ولا عَنْهُ مَحِيدْ   بقُرْبِهِ الأقْرَبِ مِن حَبْلِ الوَريدْ

بما بِهِ العَرْشُ على المَاءِ اسْتَقَرْ

بِحِكْمَةِ اللهِ الحَكيمِ البَالِغَهْ   بِحُجَّةِ اللهِ الوَلِيِّ الدَّامِغَهْ

بنِعْمَةِ اللهِ الكَريمِ السَّابِغَهْ   بشَمْسِ بُرْهانِ الصِّفاتِ البَازِغَهْ

مِمَّا خَفِي مِنْ صِفَةٍ وما ظَهَرْ

بِحِكْمَةِ الإبداعِ والتَعَبُّدِ   وبِغِناكَ المُطْلَقِ المُجَرَّدِ

بلُطْفِكَ الخَافي بِفَيْضِ المَدَدِ   بِمَجْدِكَ القَائِمِ بَعدَ الأبَدِ

لَيسَ لِمَجْدِ الحَقِّ حَدٌّ يُنتَظَرْ

بِكِبْرِيَاءِ المَلِكِ الحَقِّ المُبِينْ بِعِزِّ سُلْطَانِ الأُلُوهَةِ المَتِينْ
بالقَبْضَةِ الأولى بقُوةِ اليَمِينْ بحِيطَةِ القَهْرِ لِكُلِّ العَالَمِينْ
سُبْحَانَ ذِي القَهْرِ المَلِيكِ المُقْتَدِرْ

بعِظَمِ الذاتِ بِذاتِ العِظَمِ بالجِبْرِيَاءِ بالعَلاءِ الأعْظَمِ
بالكَرَمِ الحَقِّ بِحَقِّ الكَرَمِ بِوَاسِعِ الرَّحْمَةِ للمُسْتَرْحِمِ
بِرُوحِكَ الأقْرَبِ مِنْ لَمْحِ البَصَرْ

بالوَاحِدِيَّةِ التي لا تَنْقَسِمْ بالأحَدِيَّةِ الحَقِيقِيَةِ القِدَمْ
بالعِلم مِن قبلِ الوُجُودِ والعَدَمْ بالبِرِّ بالرَّأفةِ في كُلِّ القِسَمْ
وقِسَمُ اللهِ تُسَاوِقُ الخِيَرْ

بسِرِّ كُنْ عِندَ مُرَاد الخَالِقِ بسِرِّ إحْصَائِكَ للخَلائِقِ
بحِفْظِكَ المُحِيطِ بالحَقائِقِ بِنَفَسِ الرَّحْمنِ في المَضَائِقِ
يَا نَفَسَ الرَّحْمَنِ ضَاقَ المُضْطَبِرْ

بِصَمَدَانِيَّتِكَ اللهُمَّا بجَاهِكَ الجَاهِ الأعَزِّ الأسْمَى
بوَهْبِكَ الطَّاهِرِ والمُعَمَّى بالمَنِّ مِنكَ عَطْفَةٌ ورُحْمَى
لا يَقتَضِيهِ سَبَبٌ ولا وَطَرْ

بالطَّوْلِ يَا ذا الطَّوْلِ والتَّطَوُّلِ بكَرَمِ الذاتِ بِلا مُعَلِّلِ
بالحِلمِ بالعَفْوِ بِغَفْرِ الزَّلَلِ بالفضْلِ بالعَدْلِ بأعْلَى المَثَلِ
المَثَلِ الأعْلَى لِفَاطِرِ الفِطَرْ

بحَمْدِكَ الوَاجِبِ للذَّاتِيَّةْ مُسْتَغْرِقِ المَحَامِدِ الكُلِّيَّةْ
بما حَمَدْتَ نَفسَكَ القُدْسِيَّةْ بِهِ مِنَ المَحَامِدِ الزَّكِيَّةْ
إذْ حَمْدُنا للحَمْدِ أيْضاً يَفْتَقِرْ

بما بِهِ أثْنَيتَ سَيِّدي عَلَى نَفسِكَ مِن أمْجَادِ قَدرِكَ العُلَى
لوَجْهِكَ المَجْدُ لِجَدِّكَ العَلا أنتَ كما أثْنَيتَ مِنْ نَفسِكَ لا
أُحْصِي ثَنَاءً لَكَ عَجْزِي قَدْ ظَهَرْ

بِحَقِّ قَيومِيَّةِ اللهِ عَلَى عَوالِمِ الحَادِثِ عِلْماً وَوَلَا
سَنَاءُ قَيومِيَّةِ اللهِ انْجَلَى بِكُلِّ ذرَّةٍ فَلا سَلْبَ وَلا
إيْجَابَ إلّا فِيهِ لِلقَيُّوم سِرْ

بِمُظْهِرِ الحَقِّ على الآثارِ بِمُشْهِدِ الحَقِّ على الأطْوَارِ
بِما لِوَجْهِ الحَقِّ مِنْ أَنْوارِ بِما لِذاتِ الحَقِّ مِنْ إكْبَارِ
يَا حَقُّ لِلذاتِ بِلا شَرْطِ أَثَرْ

بِسُلطَةِ الإبْدَاءِ والإعَادَةْ بِحُكْمِ الاخْتِيارِ والإرَادَةْ
بِشِدَّةِ المُحَالِ بالسِّيادَةْ بالمُلْكِ بالإنْشاءِ بالإبَادَةْ
بالأمْرِ بالخَلْقِ بأسْرَارِ القَدَرْ

باسْمِكَ اللهِ الجَلِيلِ البَاهرِ قُطْبِ الأَسَامِي جَامِعِ المَظَاهِرِ
مُشْرِقِ الاسْرَارِ عَلى السَّرَائِرِ مُقَدِّسِ البُطُونِ والظَّوَاهِرِ
ومَاحِقِ الأغْيَارِ مُخْرِقِ الكَدَرْ

بِمَظْهَرَيْ رَحْمَتِكَ الخَفِيَّةْ مِنَ اسْمِكَ الرَّحْمنِ لِلبَرِيَّةْ
واسْمِكَ الرَّحِيمِ بالكُلِيَّةْ حَيَاتَنَا الدُّنْيا والاخْرَوِيَّةْ
وَسِعَتْ مَوجُودَكَ رَحْمَةً وبِرْ

بِمَالِكِ المُلْكِ المَلِيكِ المَلِكِ مُدَبِّرِ الأمْرِ مُدِيرِ الفَلَكِ
غَيرِ مُمَاثَلٍ وغَيرِ مُدْرَكِ مُمَلِّكِ المُلُوكِ ما لم تَمْلُكِ
بِيَدِهِ الإيْتاءُ والنَّزْعُ اسْتَقَرْ

بالطَّاهِرِ القُدُّوسِ ذَاتاً وَصِفَةْ عَنْ صِفَةٍ حَادِثَةٍ مُكَيَّفَةْ
قَدَاسَةٌ تُدْرَكُ مِنها المَعْرِفَةْ وحْدَتُهُ البَاطِنَةُ المُنْكَشِفَةْ
تَمَحَّضَتْ لِلذاتِ عَنْ شِبْهِ الأثَرْ

باسْمِ السَّلامِ المُؤمِنِ المُهَيْمِنِ بِعِزِّ اسْمِكَ العَزِيزِ الأَمْكَنِ
بِقُوَّةِ الجَبَّارِ فَوقَ المُمْكِنِ بالمُتَكَبِّرِ الأَعَزِّ الأَمْتَنِ
الكِبْرِيَاءُ حَقُّهُ دُونَ الفِطَرْ

بـالـخَـالِقِ الـبَـارِىءِ لـلبَـدَائِعِ مُـصَـوِّرِ الأَشْـكَـالِ والـصَّـنـائِعِ

غَـفَّـارِ ذَنـبِ مُـشْـرِفٍ وطَـائِعِ قَـهَّـارِ الاشْـيـاءِ بـلا مُـنـازِعِ

قَـدْ بَـهَـرَ الـمَـوجُـودَ رَبِّـي وَقَـهَـرْ

بـحَـقِّ وَهَّـابِ الـعَـطَـا بِـلا غَـرَضْ رَزَّاقِ مَـخـلُوقـاتِـهِ بِـلا عِـوَضْ

فَـتَّـاحِ أَبْـوابِ الـنَّـدَى ومـا غَـمَـضْ عَـلِيـمِ مـا أَوْجَـدَ جِـسْـمـاً وعَـرَضْ

مِـمَّـا خَـفِـيَ أَحَـاطَ عِـلْمـاً وظَـهَـرْ

بالقَـابِضِ البَـاسِـطِ أَصْنافَ النِّعَمْ بـالـخَـافِـضِ الـرَّافِـعِ مَـنّـاً وكَـرَمْ

بـعِـزَّةِ الـمُـعِـزِّ مَـنْ شَـاءَ وكَـمْ أَذَلَّ بـاسْـمِـهِ الـمُـذِلِّ مِـنْ أُمَـمْ

سَـمِـيـعُ مـا يَـخْـفَـى بَـصِـيـرُ مـا يُـسَـرْ

بـالـحَـكَـمِ الـعَـدلِ الـلطِيـفِ بـالـعِـبَـادْ وبـالـخَـبِـيـرِ بـالـمُـرِيـدِ والـمُـرَادْ

وباسْمِـكَ الحَـلِيـمِ عَـن أَهْـلِ الـفَـسَـادْ وبـاسْـمِـكَ الـعَـظِـيـمِ قَـدْراً لا يُـنَـسَـادْ

عَـظُـمْـتَ شَـأنـاً حَـصِـرَتْ عَـنـهُ الـفِـكَـرْ

بـاسْـمِـكَ الـغَـفُـورِ بـالـشَّـكُـورِ بـاسْـمِـكَ الـعَـلِيِّ بـالـكَـبِـيـرِ

بـاسْمِـكَ الـحَـفِـيـظِ فـي الـمَـقْـدُورِ بـحِـفْـظِـكَ اسْـتِـقـامَـةَ الأُمُـورِ

بـحِـفْـظِـكَ انْـتِـظَـامُ الابْـدَاعِ اسْـتَـقَـرْ

بـاسْـمِـكَ الـمُـقِـيـتِ[1] لـلنُّـفُـوسِ والـرُّوحِ والـقُـلُوبِ بـالـنَّـامُـوسِ[2]

بـاسْـمِـكَ الـحَـسِـيـبِ يَـا أَنِـيـسِـي فـي وَحْـشَـةِ الـمَـعْـقُـولِ والـمَـحْـسُـوسِ

لـحِـسْـبَـةِ الـحَـسِـيـبِ كُـلُّ مُـفْـتَـقِـرْ

بـاسْـمِ الـجَـلِيـلِ مُـظْـهِـرِ الـجَـلالِ بـاسْـمِ الـكَـرِيـمِ مُـظْـهِـرِ الـجَـمَـالِ

وبـالـرَّقِـيـبِ شَـاهِـدِ الأَحْـوَالِ وبـالـمُـجِـيـبِ لَـهْـجَـةَ الـسُّـؤالِ

بـالـواسِـعِ الـحَـكِـيـمِ صُـنْـعـاً وخِـيَـرْ

---

(١) المُقيت: من أسماء الله الحُسنى؛ أي: المُعطي كلَّ شيء قُوْتَه.

(٢) النّامُوس: قابض الأسرار المُطّلع على بَواطن الأمور.

بِـــسِـــرِّ وُدِّ اسْـــمِــــكَ الـــوَدُودِ بـجَـاهِ مَـجْـدِ هَـيْـبَـةِ الـمَـجِـيـدِ

بـاسْـمِـكَ الـبَـاعِـثِ بـالـشَّـهِـيـدِ بـالـحَـقِّ بـالـوَكِـيـلِ لـلمَـوْجُـودِ

بـاسْـمِ الـقَـوِيِّ بـالـمَـتِـيـنِ الـمُـقْـتَـدِرْ

باسْمِ الوَلِيِّ بالحَمِيدِ المُحْصِي بـالـمُبْدِىءِ المُعِيـدِ ما لا نُحْصِي

وباسْمِكَ المُحْيِي المُمِيتِ نَصِّي إلَيـكَ فـي ضَـرَاعَـتِـي ونَـقْـصِـي

يَـا حَـيُّ يَـا قَـيُّـومُ مُـجْـمِـلُ الـنَّـظَـرْ

باسْـمِكَ الـمَاجِدِ باسْم الـوَاجِـدِ بـمَـظْـهَـرِ الـوِحْـدَةِ اسْـمُ الـوَاحِـدِ

بـالأَحَـدِ الـمَـشْـهُـودِ فـي الـمَـشَـاهِـدِ بـالـصَّـمَـدِ الـمُـغِـيـثِ كُـلَّ صَـامِـدِ

بـالـقَـادِرِ الـمُـقْـتَـدِرِ الـمُـنْـشِـي الـقَـدَرْ

بـاسْـمِـكَ الـمُـقَـدِّمِ الـمُـؤَخِّـرِ بـالأَوَّلِ الآخِـرِ بَـعْـدَ الـفِـطَـرِ

بـالـظَّـاهِـرِ الـنُّـورِ بِـوَجْـهِ الأَثَـرِ بـالـبَـاطِـنِ الـذاتِ عَـنِ الـمُـسْـتَـتِـرِ

جَـلَّ عَـنِ الـفِـكْـرِ وعَـنْ دَرْكِ الـبَـصَـرْ

بـاسْـمِـكَ الـوَالِي صُـنُـوفَ مـا خَـلَـقْ بـالـمُـتَـعَـالِي جَـدُّهُ رَبُّ الـفَـلَـقْ

بـاسْـمِـكَ الـبَرِّ الـمُـبِرِّ الـمُـرْتَـزَقْ[1] تَـوْبُـكَ يَـا تَـوَّابُ لـلتَـوَّابِ حَـقْ

وبـاسْـمِـكَ الـمُـنْـتَـقِـمِ الـطَّـاغِي انْـكَـسَرْ[2]

بـاسْـمِ الـعَـفُـوِّ بـالـرَّؤُوفِ الـمُـقْـسِـطِ بـاسْـمِـكَ الـغَـنِـيِّ مُـغْـنِـي الـمُـفْـرِطِ

فـي الـذَّنْـبِ والـصَّـالِـحِ والـمُـفَـرِّطِ بـالـمَـانِـعِ الـحَـافِـظِ فـي الـتَّـوَرُّطِ

بـالـضَّـارِّ بـالـنَّـافِـعِ كَـاشِـفِ الـضَّـرَرْ

بـالـنُّـورِ بـالـهَـادي الـبَـدِيـعِ الـبَـاقِـي بـالـوَارِثِ الـرَّشِـيـدِ بـالـخَـلَّاقِ

بـاسْـمِ الـصَّـبُـورِ صَـادِقِ الـمِـيـثَـاقِ يُـمْـهِـلُـنَـا ومَـا سِـواهُ الـوَاقِـي

سُـبْـحَـانَـهُ أَغْـنَـى وأَقْـنَـى وصَـبَـرْ

---

(١) المُرْتَزَقُ: مَن يُطلَبُ منه الرزق.

(٢) أي: بقوّة اسْمِكَ المُنتقِم انكسَرَتْ شَوْكَةُ الطّاغي.

بـاسـمِـكَ الأَعْـلَى إِلَهَ الآلِهَـةْ		بـاسْمِكَ هُو ذِكْرُ القُلُوبِ الوَالِهَةْ

باسْمِكَ أَنتَ لَهْجَةُ المُوَاجَهَةْ		بـاسْمِ أَنـا عَلَوْتَ عَنْ مُشـابَهَةْ

مُبْتَدَأُ الأَسْمَاءِ والبَاقِي خَبَرْ[1]

بحَقِّ تَوحِيدِكَ حَبْلِكَ المَتِينْ		بكِلْمَةِ الإِخْلاصِ حِصْنُكَ الحَصِينْ

بحَقِّ ذِكْرِ أَهْلِكَ المُقَرَّبِينْ		بكُلِّ سِرٍّ لَكَ فِي الغَيْبِ خَزِينْ

مِمَّنْ أَسَرَّ بِالدُّعَا وَمَنْ جَهَرْ

بحَقِّ ما أَفْهَمْتَ مِنْ إِلْهَامِكَا		بحَقِّ ما أَنْزَلْتَ مِنْ كَلامِكَا

بحَقِّ ما تَعْلَمُ مِنْ إِعْظَامِكَا		بحَقِّ ما دَلَّ عَلَى ثَنائِكَا

بحَقِّ أَحْزابِ المَيَامِينِ الغُرَرْ

بدَعَواتِ الأَوْلِياءِ الخَيِّرَه		بدَعَواتِ رُسْلِكَ المُطَهَّرَه

بكُلِّ ما تُجْزِي عَلَيهِ المَغْفِرَه		بحَقِّ أَذْكارِ الكِرَامِ البَرَرَه

وكُلِّ ذِكْرٍ لَكَ فِي اللوْحِ سُطِرْ

بالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ أَسْأَلُ		بالصَّلوَاتِ الطَّيِّباتِ أَوْأَلُ[2]

بكُلِّ ما تَرْضَاهُ مِنِّي أَمْثُلُ		بالكَلِمِ الطَّيِّبِ لِي مُعَوَّلُ

لَم يَفْتَقِرْ دَاعٍ لِوَجْهِكَ افْتَقَرْ

بِبَرَكَاتِ النَّفَسِ المُحَمَّدِي		بحَقِّ ذِكْرِ نُورِكَ المُحَمَّدِي

---

(١) في هذه القطعة المُخمّسة، وبعد حُسن استهلاله في شطر المطلع: (باسمِكَ الأعلى إلَهَ الآلِهَة)، يقرن الشاعرُ اسمَ المُكَوِّن بضَمائر: (هو)، (أنت)، و(أنا)، مُفرِغاً كلَّ ضمير من دلالته المُعتادة في الخطاب اليومي، تصعيداً لهُ إلى ما يليقُ بالمقام الرَّباني. فـ(هُو) تعني، في التَّصوُّف، الغَيْب الذي لا يصحُّ شهوده للغير، كغيب الهُويّة المُعبَّر عنهُ كُنْهاً باللّاتعيين، وهو أبْطنُ البَواطن. ومخاطبته بـ(أنتَ) عَلَّلها الشاعر ـ في سيَاق ترادُف الضَّمائر ـ بحتمية استخدامها في «لهجة المُواجَهة»، وهي لهجة الدُّعاء الفردي الخالص بين المُريد وربِّه. أما استخدامُهُ لضمير الـ(أنا) فهو إعلاءٌ وتخصيص لـ«أنا» الخالِق، لم يلبث أن اقترنَ باشتراط «تعالي» ذات الخالق عن أيِّ «مُشابَهَة» قد تسمحُ بتأويلٍ آخَر لم يلبث الشاعر أنْ سَدَّ سُبُلَهُ في الختام بقولٍ فَصْل: «مُبْتدَأُ الأَسْمَاءِ والبَاقِي خَبَرْ».

(٢) أَوْأَلُ: ألجأ.

بِسِرِّ فَيضِ المَدَدِ المُحَمَّدِي   بِنَفَحَاتِ رَوْحِكَ المُحَمَّدِي

يَا حَبَّذا مِنْ نَفَحَاتٍ وبِشَرْ

بِقُرُبَاتِ المُصْطَفى مُحَمَّدِ   بِسُبُحَاتِهِ لدى التَّهَجُّدِ

بِمَا لَهُ في مَصْدَرٍ ومَوْرِدِ   مِنْ رُتْبَةٍ ومَشْهَدٍ ومَدَدِ

بِنُورِ ما أَبْطَنَهُ وما ظَهَرْ

بِقَلْبِهِ بِرُوحِهِ بِنَفْسِهِ   بِعِلْمِهِ بِسِرِّهِ بِقُدْسِهِ

بِسَبْقِهِ لِيَومِهِ وأَمْسِهِ   بِنَجْمِهِ بِبَدْرِهِ بِشَمْسِهِ

بِأَصْلِهِ المَقْبُوضِ مِنْ قَبلِ الفِطَرْ

بالمَعْنوِيَّاتِ التي بِهَا انْطَوَى   وبالخُصُوصَاتِ التي لَهَا احْتَوَى

بِعَرْشِ زُلْفَاهُ الذي فِيهِ اسْتَوَى   يَا فَالِقَ الحَبِّ وفَالِقَ النَّوَى

صَلِّ عَلَيهِ عَدَداً لا يَنْحَصِرْ

بِجَاهِهِ بِقُرْبِهِ بِقَدْرِهِ   بِأَمْرِهِ بِفَتْحِهِ بِنَصْرِهِ

بِجِدِّهِ بِعَزْمِهِ بِصَبْرِهِ   بِحَوْلِهِ بِغَلْبِهِ بِقَهْرِهِ

قَامَ بِجِدٍّ واجْتِهَادٍ وقَهَرْ

بِحِرْصِهِ على جَمِيعِ الأُمَّه   بِكَشْفِهِ لِمُعْضِلاتِ الغُمَّه

كَمْ أَزْمَةٍ فَرَّجَ بَعدَ الأَزْمَه   مَا خَابَ مَنْ لاذَ بِهِ وَأَمَّه

الفَوزُ جَدْوَى وَافِدِيهِ والظَّفَرْ

بِشَرْعِهِ المُقَدَّسِ النُّورُ المُبِينْ   بِمَا تَلَقَّاهُ عَنِ الرُّوحِ الأَمِينْ

ومَنْ تَجَلَّى رَحْمَةً لِلعَالَمِينْ   فَعَمَّ بالرَّحْمَةِ في دُنيا ودِينْ

في كُلِّ مَوجُودٍ لِرُحْمَاهُ أَثَرْ

بِمَا اخْتَصَصْتَهُ بِهِ مِنَ الهِبَه   ومِن لَدُنيَّاتِكَ المُغَيَّبَه

ومِن كَمَالٍ لا يُوَازِيهِ شَبَه   ومِن مَقَامَاتٍ لَهُ ومَرْتَبَه

بِمَا بِهِ مِنَ المَعَارِفِ انْتَشَرْ

بِهَدْيِهِ بِسَمْتِهِ بِهَيْبَتِهْ   بِفَضْلِهِ بِوَصْلِهِ بِرَأْفَتِهْ

بِمُعْجِزَاتِهِ بِغَلْبِ حُجَّتِهْ بِحُبِّهِ وحِفْظِهِ لأُمَّتِهْ

ما سَامَهَا الضَّيمَ العِدَى إلّا انْتَصَرْ

بِنَسْلِهِ بِآلِهِ المُطَهَّرِينْ بِصَحْبِهِ بِالخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينْ

بِأهلِ بَدْرٍ سَادَةِ المُجَاهِدِينْ بِأهلِ أُحُدِ المُتَّقِينَ الصَّالِحِينْ

بِالشُّهَدَاءِ الصَّابِرِينَ في الغُمَرْ[1]

بِحَمْزَةَ الشَّهِيدِ عَمِّ المُصْطَفى بِعَمِّهِ العَبَّاسِ مَعْدِنِ الوَفا

بِجَعْفَرِ الطَّيَّارِ نُورِ الشُّرَفا بِابْنِ عَبَّاس إمامِ مَنْ صَفا

الحَبْرِ في العِلْمِ وتَأْوِيلِ السُّوَرْ

بِبَيعَةِ العَقَبَةِ المُوَزَّرَه بِبَيعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَه

ومَنْ وَفَى بِعَهْدِهِ ووَقَّرَه فَفَازَ مِنكَ بِالرِّضَا والمَغْفِرَه

مِنْ كُلِّ مَنْ هَاجَرَ مِنْهُم أو نَصَرْ

بِعَبْدِكَ الصِّدِّيقِ ذِي المَعِيَّةِ صَاحِبِهِ في الغَارِ يَومَ الهِجْرَةِ

بِعُمَرَ الفَارُوقِ عَدْلِ السِّيرَةِ مَنْ كَادَ أنْ يَفُوزَ بِالنُّبُوَّةِ

وأيْنَ فِي أُمَّتِهِ مِثْلُ عُمَرْ

بِكُلِّ مَنْ بَشَّرَهُ بِالجَنَّه بِكُلِّ مَنْ تَابَعَهُ في السُّنَّه

بِكُلِّ مَنْ لَمْ يَنْغمِسْ في الفِتْنَه ولم يُغَيِّرْهُ طُرُوقُ المِحْنَه

حَتى قَضَى الحَيَاةَ طَيِّبَ الأثَرْ

والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإحْسَانْ وكُلِّ مَنْ نَوَّرَتَهُ بِالإيمَانْ

وكُلِّ مَنْ أخْلَصْتَهُ بِالعِرْفَانْ وكُلِّ مَنْ أدَّبْتَهُ بِالقُرْآنْ

فلم يُجَاوِزْ مَا نَهَى ومَا أمَرْ

(١) الغُمَر: جمع غَمْرَة، وهي الشّدة ـ يُقال: وفي غمْرَة المعركة...

بـالأمَّـةِ الـخَـيْـرِ الـشَّـهِـيـدَةِ الـوَسَـطْ　　　بـمـا لـهـا عِـنـدَكَ مِـنْ خَـيـرِ الـخُـطَـطْ

بِـكَـوْنِـهـا لِكُـلِّ رَحْـمَـةٍ فَـرَطْ　　　كُـلُّ مُـكَـلَّـفٍ لِفَـضْـلِهـا غُـبِـطْ

مِـنْ مَـلِكٍ وجِـنَّـةٍ ومِـنْ بَـشَـرْ

بـالـسَّـادةِ الأبْـدَالِ بـالأقْـطَـابِ　　　بـالـسَّـادةِ الأفْـرَادِ بـالأحْـبَـابِ[1]

---

(١) البَدَل: في اللغة: هو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب. يُقال هذا بدل الشيء وبديله. في القرآن: ورد الأصل «بَدَل» بالمعنى اللغوي السابق، وذلك بصيغة الفعل، بدلنا، بدلو، يبدلوا. جاءَ في الذكر الحكيم: «فأولئكَ يُبدِّلُ اللهُ سيِّئاتِهِم حَسَنات» [٢٥/ ٧٠]. عند ابن عربي: إن الولاية «دولة» قائمة باطنة في مقابل دولة الظاهر، وهذه الدولة يترأسُها القُطب أو الغوث، يليه الإمامان ثم الأوتاد الأربعة، فالأبدال السَّبعة. إنَّ البَدَليَّة تطلق بالاشتراك على حال معيَّنة، وعلى مقام مُعيَّن: حال البَدَليَّة: تبدّل الصفات المحمودة بالصفات المذمومة. مقام البَدَليَّة: مقام ذو مواصفات معينة تنطبق على عدد محدود من «الرجال»: أربعون عند بعض، وسبعة عند آخرين. يقول ابن عربي: «الأبدال: وهم سبعة. لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ اللهُ بهم الأقاليم السَّبعة، لكلِّ بَدَلٍ إقليم فيه ولايته. الواحدُ منهم على قدم الخليل عليه السلام، والثاني على قدم الكليم عليه السلام، والثالث على قدم هارون، والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف، والسادس على قدم يس، والسابع على قدم آدم عليه السلام.. وسُمُّوا هؤلاء أبدالًا، لكونهم إذا فارقوا موضعاً ويريدون أن يخلفوا بدلًا منهم في ذلك الموضع، لأمرٍ يرونهُ مصلحةً وقربَة؛ يتركون به شخصاً على صورته، لا يشك أحد ممن أدرك رؤية ذلك الشخص أنه عين ذلك الرجل، وليس هو، بل هو شخص روحاني يتركه بَدَله بالقصد على علم منه، فكل من له هذه القوَّةِ فهُو البَدَل» [ف٢/٧] || (القُطْبُ والأقطاب راجع معناها الصُّوفي في شرح النُّونيَّة، حيث وردت مرتبة من مراتب الإمام سالم بن راشد الخروصي) || الأفراد: عند ابن عربي: الأفراد هم من «رجال المراتب» عند الشيخ الأكبر، فالسَّالِكُ يتقلبُ في المراتب: كالزهد والولاية.. فكل مرتبة من هذه المراتب، لا تخلو من رجال يحفظونها في كُلِّ زمان. وهم لا يتقيدون بعدد مخصوص في مُقابل رجال العدد. وتتوالى الأسماء عند ابن عربي على هذه الطائفة، فهم الأفراد: لأنه ليس لهُم حُكم العُموم.. وهم الأخفياء: لأنهم الذين لا يعرفهم الأبدال، ولا يشهدهم الأوتاد. وهم أفراد الوقت: لأنهم خارجون عن نظر القطب صاحب الوقت، فلا يحكمهم ولا يتصرف بهم، بل القطب منهم. وهم أعيان الأولياء: لأنهم الخاصَّة فيهم. وهم في جنس البشر كالملائكة المهيمين من جنس الملائكة. وهم الأبرياء: فلا يرى العالم عليهم من أثر التقريب شيئاً. (١) الأفراد = رجال المراتب: «ومنهم رضي عنهم الأفراد، لا عدد يحصرهم، وهم المقربون بلسان الشرع.. وهم رجال خارجون عن دائرة القطب، والخُضر منهم، ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة في جلال الله، وهم الكروبيُّون». (٢) الأفراد = العائمة: «ولذلك سموا أفراداً، أي ليس لهم حكم العُموم. ولكن من هذا مقامه له قوة التستر [= الأخفياء] عن أعيُن الخلق، حتى لا يتسلط الخلقُ على فساد بُنيته». (٣) الأفراد = الأخفياء: «وهم الأفراد الذين لا يعرفهم الأبدال، ولا=

وبِـرِجَـالِ الـغَـيْـبِ بـالأنـجَـابِ بـالـنُّـقـبَـاءِ الـطُّـهُـرِ الأطْـيَـابِ[1]

بـالـسَّـادةِ الأوْتـادِ بِـالـغَـوْثِ الابَـرْ

بِـدَرَجَـاتِ الأزْكِـيَـاءِ الـسَّـالِكِـيـنْ[2] وبِـمَـقـامـاتِ نُـفـوسِ الـعَـارفـيـنْ

وبِـقُـلُوبِ الأوْلِيـاءِ الـوَاصِـلِيـنْ بـالـخُـلَفـاءِ مِـنْـهُـمْ والـمُـرْشِـدِيـنْ

حَـقِـيـقَـةَ الـعَـيـنِ ابْـتَـغَـوا دُونَ الأثَـرْ

=يشهدهم الأوتاد، ولا يحكم عليهم الغوث والقطب والإمام». (٤) الأفراد = أفراد الوقت: «فجلال الله في قلوب الأفراد على مثل ذلك، فلا يشهدون سوى الحق، وهم خارجون عن حكم القُطب، الذي هو الإمام، وهو واحد منهم». (٥) الأفراد مع القُطب = المهيمون مع العقل الأول: «واعلم أن العالم المُهيم لا يستفيد من العقل الأول شيئاً، وليس له على المهيمين سُلطان، بل هو وإياه في مرتبة واحدة. كالأفراد منا الخارجين عن حُكم القطب، وإن كان القطب واحداً من الأفراد، لكن خصص العقل بالإفادة، كما خصص القطب من بين الأفراد بالتَّولية». (٦) الأفراد = الأبرياء: «والنفسُ مجبولة على حب الشفوف على أبناء الجنس، وإظهار قدرها عند الله، ولهذا أكابر الأولياءِ أخفياء أبرياء لا ترى عليهم من أثر المكانة والتقريب، بل لا نفرق بينهم وبين العامة».

(١) رجال الغيب: يضع ابن عربي الرجل في مقابل المرأة، ولكنه تقابل صِفاتي مَرْتَبي، لا تَقابُل جنسي: فالرَّجُل؛ هو من حصَّل صفة «الرجولة» وتحقق بمقامها ومرتبتها [الظهور بصورة الحق: التصرف، الفعل، العدل...] ذكراً كان أم أنثى. فبعدما صنف ابن عربي الرجولة تصنيفاً مَرْتبياً، يرسم بدقة حدود دولة أهل الله، داخلًا في أدق التفاصيل بإبداع جغرافي كوني. واختصاراً رجال المراتب عددهم عند ابن عربي ١٤: ١ ـ الملامية = رجال المطلع. ٢ ـ الفقراء. ٣ ـ الصوفيّة. ٤ ـ العُبّاد. ٥ ـ الزهّاد. ٦ ـ رجال الماء. ٧ ـ الأفراد. ٨ ـ الأمَناء. ٩ ـ القراء. ١٠ ـ الأحباب. ١١ ـ المحدثون. ١٢ ـ الأخِلّاء. ١٣ ـ السمراء. ١٤ ـ الوَرَثة. || النُّقباء: النقباء اثنا عشر في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، وهم من: رجال العدد، عند ابن عربي. يقول الشيخ الأكبر: «النقيب من استخرج كنز المعرفة بالله من نفسه لما سمع قوله عز وجلّ: سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسِهِم» [ف ـ ٤/٤١٦]

(٢) الأوتاد: وهم من رجال العدد (العدد = ٤)، ومن رجال العدد: الأبدال والنقباء السابق ذكرهم. [راجع: د. سعاد الحكيم، المُعجَم الصُّوفي، الحِكْمَة في حُدود الكَلِمَة]. تلميح: هذه المُصطلحات الصُّوفيّة، سواء في هذه الأبيات أو التي تليها، تُؤكّدُ اطلاع أبي مُسلم الغزير على تراث الشيخ الأكبر ابن عربي، خلافاً لاعتقاد البعض بأنه كان مُجرّد تابع مُقلّد لما أملته مدرسة شيخه سعيد بن خلفان الخليلي ومن سبقه من العُمانيين في التصوّف، وهو ما لاحظناه خلال اشتغالنا على هذا الكِتاب منذ البداية، وكَوّنا رُؤيةً حوله، إلّا أننا لم نتمكّن من إثباتها، حتى وَصَلت إلينا نسخة من «المُعجم الصُّوفي» [قبل تمامنا العمل بفترة وجيزة]، هَدَتنا وأرشدَتنا إلى ما كُنا نُحاولُ إثباته من ذهاب أبي مُسلم إلى أقصى باطنيّةِ التصوُّف، خلافاً لما اعتُقِدَ بأنّهُ يَمتَحُ مِنْ مدرسة سَلَفِهِ الخليلي.

بـعُـلَـمـاءِ الـذِّيـنِ أهْـلِ الـعَـمـلِ وبـالأئِمَّـةِ الـسُّـراةِ الـكُـمَّـلِ
بـكُـلِّ عَـبْـد لَكَ فـي الـغَـيْـبِ وَلِي مِـن أيِّ أمَّـةٍ لأيِّ الـرُّسُـلِ
مِـن سَـابِـقٍ أو لاحِـقٍ عـلى الأثَـرْ

بـالأنـبـيـاءِ بِـجَـمِـيـعِ رُسْـلِكْ بـالـمَلإِ الأعْـلَى مِنْ اصْـنَافِ الـمَلِكْ
بحَامِلي العَرْشِ بسَالِكِي الـفَـلَكْ بـالـعَـرْشِ بـالـكُـرْسِيِّ رَبِّي أسْأَلُكْ
سُـؤالَ مُـضْـطَـرٍّ إلَيـكَ مُـفْـتَـقِـرْ

أدْعُـوكَ يَـا رَبِّـي بـمـا دَعَـوتَ بِـهْ وكُـلِّ مـا تُـحِـبُّ أنْ تُـسْـأَلَ بِـهْ
وكُـلِّ مـا تُـجِـيـبُ مَـنْ دَعَـاكَ بِـهْ مُـعـتَـقِـداً لـكُـلِّ مـا أمَـرْتَ بِـهْ
ذَخِـيـرَتـي أنـتَ ونِـعْـمَ الـمُـدَّخَـرْ

مَـلأتُ قـلبـي مِـنـكَ خَـوفـاً ورَجَـا جَعلتُ حُسنَ الظَّنِّ فيكَ مَعْرَجَا
فـاجْعَلْ لنـا مِنْ كُلِّ أمْرٍ مَخْرَجَا وحَـاجَتِي رَبِّي النَّجَا فِيمَن نَجَا
وأنـتَ يَـا رَبِّ عَـلَـيْـهَـا مُـقْـتَـدِرْ

أهَـمُّ حَـاجَـاتـي إلـيـكَ الـمَـغْـفِـرَه وإنْ أكُـنْ ضَـيَّـعْـتُ فَـرْضَ الـمَـعْـذِرَه
صَـحِـيـفـتـي بـالـسَّـيِّـئـاتِ مُـوْقَـرَه ولـيـسَ لـي حَـسَـنَـةٌ مُـؤثِّـرَه
أنـتـظِـرُ الـرَّحْـمَـةَ فـيـمَـنْ يَـنْـتَـظِـرْ

نَـعَـمْ بِـتَـوْحِـيـدي إلَيـكَ أزْلُفُ وإنْ أكُـنْ فـي قَـيْـدِ ذَنْـبِـي أرْسُـفُ
بـتَـوْبَـتـي فـي حَـوْبَـتـي أُسَـوِّفُ أُسْـرِفُ فـي الـذنـبِ وأنـتَ تَـلْطُـفُ
مـا غَـيْـرُ تَـوْحِـيـدِكَ لي قَـطُّ وَزَرْ

غُـفـرَانَـكَ الـلهُـمَّ أهْـلَ الـمَـغْـفِـرَه لـيـسَـتْ ذُنُـوبـي عَـنـكَ بـالـمُـسْـتَـتِـرَه
عَـلِمْـتَ مِـنّـي تَـوْبَـةً مُـسْـتَـشْـعَـرَه فـاجْـعَـلْ إلـهـي تَـوْبَـتـي مُـكَـفِّـرَه
لـكُـلِّ ذنـبٍ سَـاقَـهُ سُـوءُ الـقَـدَرْ

غُـفـرَانَـكَ الـلهُـمَّ ذَنـبي كَـرَمـا وجَّـهْـتُـهُ وَجْـهِـي حَـنِـيـفـاً مُـسْلِمـا
قَـدْ اعْـتَـرَفْـتُ بـاكْـتِـسَـابي الـمَـأثَـمـا أُخْـفِـي وأُبْـدِي أوْبَـةً ونَـدَمـا
ولـي يَـقـيـنٌ بِـإلـهِـي مُـسْـتَـمِـرْ

أَغْـظَـمْـتُ فـي خِـلافِـكَ الـجَـرِيـرَه وسَـاءَتِ الـسِّـيـرَةُ والـسَّـرِيـرَه

وانـطَـمَـسَـتْ مِـنَ الـهَـوَى الـبَـصِـيـرَه مـا لـلـهَـوَى ونَـفْـسِـيَ الأسِـيـرَه

سَـطَـا عَـلَـيـهَـا فـتـعَـاطَـى فَـعَـقَـرْ

أَبُـوءُ بـالـخُـطَّـةِ مِـن إسْـرَافِـيَـهْ وأنـتَ بـالـنِّـعْـمَـةِ لِي والـعَـافِـيَـهْ

لا أَسْـتَـحِـي مِـنـكَ عَـلى خِـلافِـيَـهْ وأنـتَ لا تَـخْـفَـى عَـلَـيكَ الـخَـافِـيَـهْ

مَـعَـاذَكَ الـلـهُـمَّ مِـنْ هـذا الأَشَـرْ

نَـظْـرَتُـكَ الـلـهُـمَّ رَبِّـي نَـظْـرَتُـكْ عَـلِـمْـتَ دَحْـضِـي وعَـلِـمْـتُ حُـجَّـتَـكْ

لا وَجْـهَ لـي إلّا الْـتِـمَـاسِـي رَحْـمَـتَـكْ بِـرُوحِـهـا أَنَـالُ رَبِّـي تَـوْبَـتَـكْ

إنـكَ لا تُـبْـلِـسُ مـنـهـا مَـنْ أَقَـرْ

لَزَّتْـنـيَ الـوَرْطَـةُ مِـنْـهـا فـي قَـرَنْ[1] وحَـجَـبـتْـنِـي عَـنـكَ وَيْـلاتُ الـفِـتَـنْ

أَخْـبِـطُ فـي الـغَـيِّ عَـلى غَـيرِ سَـنَـنْ[2] وأنـتَ تَـدْعُـونـي وتُـدْنِـي لِي الـمِـنَـنْ

وكُـلُّ مـا تَـدْعُـو لَهُ مِـنـهُ أَفِـرْ

هـذا اعْـتِـرَافِـي واقْـتِـرَافـي أَعْـظَـمُ قَـدَّمْـتُـهُ وبِـئْـسَ مـا أُقَـدِّمُ

ومِـنْ خَـطِـيـئـاتِـيَ مـا لا أَعْـلَـمُ أحْـصَـاهُ فـي الـلـوْحِ عَـلَـيَّ الـقَـلَـمُ

ولَـسْـتُ أدْرِي مـا سَـآتِـي أو أَذَرْ

أَعْـرِضُ نـفـسِـي لِعَـظـيـمِ الـحِـلْـمِ مُـعْـتَـرِفـاً بـخِـسَّـتِـي وظُـلْـمِـي

عَـلى يَـقِـيـنٍ وثَـبَـاتِ عِـلْـمِ بـأنَّ حِـلْـمَ اللهِ فَـوقَ جُـرْمِـي

وأنَّـهُ بـصِـدْقِ تَـوْبـي مُـغْـتَـفِـرْ

حَـاشَـاكَ أنْ يَـقْـنُـطَ مِـنـكَ الـمُـسْـرِفُ وَقَـدْ أتـاكَ تـائِـبـاً يَـعْـتَـرِفُ

(١) قَرَن: قيد.

(٢) السَّنَن: الطريقةُ والمِثال. يُقال: بنوا بيوتَهم على سَنَنٍ واحد، ويُقال: تَنَحَّ عن سَنَنِ الخيل؛ أي طريقها.

مـا هُـوَ مِـقْـدَارُ الـذي أَقْـتـرِفُ فـي حِـلْمِـكَ الـذي بِـهِ تَـتَّـصِـفُ

مِـنْ شَـأْنِـكَ الـحِـلْمُ ورَأْفَـةُ الـنَّـظَـرْ

مِـنْ شَـأْنِـكَ الـعَـفْـوُ عَـنِ الـجَـرَائِمِ مِـنْ شَـأْنِكَ الـصَّـفـحُ عَـنِ الـمَـآثِـمِ

وَسِـعْـتَ كُـلَّ مُـحْـسِـنٍ وظَـالِمِ أيْـنَ مَـفَـرُّ مُـوقَـرِ الـمَـظَـالِمِ

إلّا إلـيـكَ لِيَـحُـطَّ مـا وَقَـرْ

قـدَّمـتُ نـفـسـي رَافِـعـاً كِـلْتـا يَـدَيْ مُـسْـتَـسْـلِمـاً للهِ لا أمْـلِكُ شَـيْ

فـإنْ تُـعَـذِّبْ فـلَكَ الـعَـدْلُ عَـليْ أو تَـعْـفُ عَـنِّـي فـلَكَ الـفَـضْـلُ عَـليْ

مـالي مِـنَ الأمْـرِ ولا مِـثْـقـالُ ذَرْ

اعْـتَـرَفَـتْ نَـفـسِـي بـعَـجْـزِ قَـدْرِهـا اعْـتَـرَفَـتْ نَـفـسِـي بـأَصْـلِ فَـقْـرِهـا

ولـي شُـئـونٌ أَسْـتَحِـي مِـنْ ذِكْـرِهـا لِمَـا جَـنَـتـهُ مِـنْ عَـظِـيـمِ وِزْرِهـا

بَـلْ كَـرَمُ الـوَهَّـابِ مَـضْـمُـودِ الـفِـطَـرْ

أحَـطْـتَ عِـلْمـاً بـشُـؤونـي كُـلِّهـا والـعَـجْـز بـي عَـنْ عَـقْـدِهـا وحَـلِّهـا

وحَـالَتـي وفَـقْـرِهـا وذُلِّهـا وأنـتَ حَـسْـبِـي وكَـفَـى لِنَـيْـلِهـا

وأنـتَ مُـؤتِـي الـخَـيـرِ كَـاشِـفُ الـضَّـرَرْ

أذْقَـعَـنـي الـفَـقْـرُ وأنـتَ الـشَّـاهِـدُ وأنـتَ ذو الـطَّـوْلِ الـغَـنِـيُّ الـوَاجِـدُ

بِـيَـدِكَ الـفَـضْـلُ ومِـنـكَ الـوَارِدُ وكُـلُّ مَـوجُـودٍ سِـوَاكَ نَـافِـدُ

وكُـلُّ مَـوجُـودٍ يَـدَيْـكَ يَـسْـتَـدِرْ

فَـتَـحْـتَ أَبْـوابَـكَ بـالـمَـوَاهِـبِ مَـنـاً عَـلَى الـخَـلْقِ بِـغَـيـرِ وَاجِـبِ

فـكُـلُّهـم فـي بَـسْـطَـةِ الـرَّغَـائِبِ كِـفَـايَـةٌ وحِـسْـبَـةٌ مِـنْ وَاهِـبِ

لا يَـهَـبُ الـوَهْـبَ بِـشَـرْطٍ أو وَطَـرْ

خَـزَنْـتَ بَـحْـرَ الـرِّزقِ فـي الأَسْـبـابِ وَقَـدْ عَـلِمـتَ حِـكْـمَـةَ الأَكْـسَـابِ

والـرِّزْقُ تَـحْـتَ قِـسْـمَـةِ الـوَهَّـابِ أخْـرَجَ كُـلَّ مَـدَدٍ مِـن بَـابِ

وفَـتَـحَ الـبَـابَ وأَعْـطَـى وشَـكَـرْ

أقـمْـتَـنِـي فـي سَـبَـبٍ مُـعَـوِّقِ أسْـتَـنـطِـقُ الـرِّزْقَ مِـنَ الـمُـرْتَـزِقِ

مـا تَـحْـتَ وُسْـعِ اللهِ مِـنْ مُـضَـيِّـقِ ما ضَاقَ بي فَـضْـلُ غِـنـاكَ الـمُـطْـلَقِ
رأفَـــتُـــكَ الـــلهُـــمَّ أخْـــفَـــى وأبَـــرْ

مـا نَـفَـدَتْ خَـزَائِنُ الـكَـريـمِ والـفَـيْـضُ مِـنْ إحْسَانِـهِ الـقَـدِيـمِ
مـا قَـلَّ وُجْـدُ الـمَـلِكِ الـقَـيُّـومِ يَـا مُـخـرِجَ الـمَـوجُـودِ مِـنْ مَـعْـدُومِ
أخْـرِجْـنِـيَ الـلهُـمَّ مِـنْ ضِـيـقِ الـعُـسـرْ

جَـمِـيـعُ الاسْـبـابِ تَـقَـطَّـعَـتْ بِـي والـسَّـبَـبُ الـمَـوصُـولُ فَـضْـلُ رَبِّـي
حُـسْـنُ افْـتِـقَـاري طَـيِّـبـاتُ كَـسْـبـي والـعَـمَـدُ الـفَـتَّـاحُ حَـسْـبـي حَـسْـبـي
كَـم نِـعْـمَـةٍ أسْـدَى وكَـم عَـيْـبٍ سَـتَـرْ

ذَرِيـعَـتـي جُـودُكَ وافْـتِـقـاري وتَـرْكُ تَـدْبـيـرِيَ واخْـتِـيَـاري
وخَـالِصُ الـتـفْـوِيـضِ فـي الأطْـوَارِ وعِـلْـمُـكَ الـمُـحِـيـطُ بـاضْـطِـرَاري
وأنَّـنِـي عَـبْـد بِـعَـجْـزِي مُـؤْتَـمَـرْ

حَـاشَـاكَ عَـنْ طَـرْدِي وقَـطْـعِ الأمَـلِ لِمَـا عَـلِمْـتَ مِـنْ قَـبِـيـحِ الـعَـمَـلِ
أنـتَ وَلِيُّ الـحَـمْـدِ والـتَّـفَـضُّـلِ جُـوداً إلـهِـيـاً ولُطْـفَ مُـجْـمِـلِ
ونِـــعْـــمَـــةٌ لِكُـــلِّ فَـــاجِـــرٍ وبَـــرْ

حَـاشَـاكَ عَـنْ طَـرْدِي وإنْ سَـاءَ الأدَبْ لأيِّ بَـابٍ أم إلـى أيـنَ الـهَـرَبْ
مِـنـكَ إلـيـكَ والـتَّـدَابـيـرُ نَـصَـبْ تُـدبِّـرُ الأمـرَ وتُـنْـشِـىءُ الـسَّـبَـبْ
وتَـقْـسِـمُ الـرِّزْقَ بِـمِـيـزَانِ الـخِـيَـرْ

لـو جَـدَّ جِـدُّ الـهِـمَـمِ الـمُـدَبِّـرَه رُدَّتْ إلـى قِـسْـمَـتِـكَ الـمُـقَـدَّرَه
كُـلُّ قُـوَى تَـدْبـيـرِنـا مُـنْـحَـصِـرَه فـي قَـبْـضَـةِ الـرَّبِ عَـلَى مـا قَـدَّرَه
هَـبَـاءَةٌ[1] الـخَـلْقِ بِـعَـاصِـفِ الـقَـدَرْ

(١) هَبَاءَة: القطعة من الهَباء، وهو التراب الذي تطيّره الريح ويلزق بالأشياء.

مـا قَـدرُ شَـكْـوَايَ ومـا تَـعَـلُّقِـي أيُّ مَـقـامٍ لِيَ فـي الـتَّـخَـلُّقِ
يَـبْـلُغُ مـا يَـبْـلُغُـهُ تَـحَـقُّـقِـي بِـرَحْـمَـةِ اللهِ الـغَـنِـيِّ الـمُـطْـلَقِ
لـكـنْ إلـهِـي بـالـدُّعَـاءِ قَـدْ أَمَـرْ

إنِّـيَ عَـنْ حَـقِّ الـدُّعَـاءِ أَعْـجَـزُ أَطْـنُـبُ[1] فـي تَـمَـلُّقِـي أو أُوْجِـزُ
لـكِـنَّـهـا خَـصَـاصَـةٌ تُـنـجَـزُ تَـعْـلَمُـهـا مِـنِّـي وأنْـتَ الـمُـنـجِـزُ
قَـدْ مَـسَّـنِـي الـضُّـرُّ وأنـتَ الـمُـنْـتَـظَـرْ

قَـدْ مَـسَّـنِـي الـضُّـرُّ وأنـتَ أَرْحَـمُ وأنـتَ بـالـضُّـرِّ إلـهِـي أَعْـلَـمُ
تُـهِـيـنُ مَـن تُـهِـيـنُـهُ وتُـكْـرِمُ مَـنْ يَـقـصِـدُ الـعَـبْـد ومَـنْ يَـسْـتَـرْحِـمُ
إنْ قَـرَعَ الـبـابَ فـأَخْـرِمَ الـنَّـظَـرْ

مـا لَكَ كُـفْـؤٌ وبِـكَ الـكِـفَـايَـه وَقَـدْ رَأيـتَ مَـوْضِـعَ الـشِّـكَـايَـه
فـانْـظُـرْ إلَيَّ نَـظَـرَ الـعِـنَـايَـه مِـنْ بَـدْءِ أَحْـوَالِي إلـى الـنِّـهَـايَـه
ولَسْـتَ تَـحْـتَـاجُ لَهَـا إلـى خَـبَـرْ

إنْ تَـنْـظِـرِ الـلهُـمَّ تَـنْـظُـرْ مُـسْـلِمـا أو تُـعْـطِـنِـي تُـعْـطِ فَـقِـيـراً مُـعْـدَمـا
لـم يُلْفِ فـي الـكَـوْنِ سِـوَاكَ مُـكْـرِمـا ولا مِـنَ الـخَـيْـرِ لَديـهِ مَـقْـسِـمـا
بَـلْ أنـتَ أنـتَ اللهُ والـكَـوْنُ أَثَـرْ

قَـدْ رَدَّنِـي الـكَـونُ إلـى الـمُـكَـوِّنِ لـم أرَ شَـيْـئـاً إذْ فَـتَـحْـتُ أَعْـيُـنِـي
ومِـثْـلُ مـا لَم أرَهُ لَم يَـرَنِـي وإنَّـمـا أَشْـهَـدُ مـا أَشْـهَـدْتَـنِـي
شَـهِـدْتُ أنَّ الـحَـقَّ يَـأتِـي ويَـذَرْ

شَـهِـدتُ أَطـواريَ فِـي كَـفِّ الـصِّـفَـه شَـهِـدتُ قَـيُّـومِـيَّـةً مُـصَـرِّفَـه
شَـهِـدتُ كُـلَّ الـحَـادِثـاتِ مُـوقَـفَـه شَـاهِـدَةً بِـعَـجْـزِهـا مُـعْـتَـرِفَـه
تـأثـيـرُهـا لِنَـفْـسِـهـا لا يُـعْـتَـبَـرْ

(١) أطنبُ: أبالغُ وأكثِر. يُقال: أطنبَ في الكلام أو الوصف.

شَـهِـدتُ مَـغْـبُـودِيَ بِـي حَـفـيًّـا أَوْجَـدَ نَـفْـسِـي بَـشَـراً سَـوِيَّـا
وأَسْـبَـغَ الـنِّـعْـمَـةَ لِي مَـلِيَّـا كَـم مَـلأَتْ يَـدَاهُ لِي يَـدَيَّـا
مـا شَـأْنُ فَـقْـرِي واضْـطِـرَارِي لـلفِـطَـرْ
انْـشِـلْنِـيَ الـلهُـمَّ مِـن هـذا الـدَّرَكْ أنْـقِـذْنِـيَ الـلهُـمَّ مِـن هـذا الـشَّـرَكْ
مـا فَـعَـلَ الـفَـقْـرُ تَـرَى ومَـا تَـرَكْ ولَسْـتُ أَشْـكُـو يَـا إلـهِـي قَـدَرَكْ
رَضِـيـتُ مَـولايَ الـقَـضَـاءَ والـقَـدَرْ
مـا حِـيـلَةُ الـبَـائِسِ إلّا الـمَـسْـأَلَه وأنْ تَـرَاهُ صَـادِقـاً تَـبَـتُّـلَه
بِـوَقْـفَـةٍ يُـصْـلِحُ فـيـهَـا عَـمَـلَه لِـوَجْـهِـكَ الـكَـرِيـمِ يُلْقِـي أَمَـلَه
وذاكَ بـالـتَّـوفِـيـقِ لِـلعَـبْـدِ وَزَرْ
مَـولايَ قَـدْ عَـلِمْـتَ صِـدْقَ الـمُـدَّعَى وحِـيـلَتِـي مَـولايَ لَهْـجَـةُ الـدُّعَـا
دَعَـوْتَـنِـي وأنـتَ خَـيـرُ مَـن دَعَـا فَـلا تَـدَعْـنِـي سَـيِّـدي مُـوَدَّعَـا
دَعَـوتَ لِـلخَـيْـرِ وكَـمْ وَقَـيْـتَ شَـرْ
إنْ كَـانـتِ الـلهْـجَـةُ مِـنِّـي كَـاذِبَـه وسَـيِّـئَـاتِـي لِمُـرَادِي حَـاجِـبَـه
فَـهَـذِهِ الـبَـأْسَـاءُ رَبِّـي لازِبَـه فَـالـطُّـفْ وأَلـطَـافُـكَ رَبِّـي جَـاذِبَـه
تَـجْـذِبُ مِـنْ سُـوءٍ وتُـدْرِكُ الـضَّـرَرْ
بَـأْسَـاءُ لا يَـقْـوَى لَهَـا تَـجَـلُّدِي وأنـتَ مِـن وَرَائِهـا بِـمَـرْصَـدِ
يَـا فَـاتِـحَ الـوَهْـبِ وبَـاسِـطَ الـيَـدِ يَـا قَـاسِـمَ الـرِّزْقِ مُـفِـيـضَ الـمَـدَدِ
أنـتَ لَهَـا فَـجَـلِّهَـا لَمْـحَ الـبَـصَـرْ
أنـتَ لَهَـا فَـجَـلِّهَـا بِـعَـارِفَـه لَـيسَ لَهـا مِـنْ دُونِ رَبِّـي كَـاشِـفَـه
كَـم نَـكَـبَـاتٍ أَصْـبَـحَـتْ بـي طَـائِفَـه أَرْسَـلَ فـيـهـا سَـيِّـدي لَطَـائِفَـه
مـا أَسْـرَعَ الـلُّطْـفَ إذا الـكَـرْبُ اعْـتَـكَـرْ
عُـقْـدَةُ سَـوءٍ أَذهَـشَـتْ مَـحَـالِي عِـيـلَ بِـهَـا صَـبْـرِي وضَـاقَـتْ حَـالِي
فَـأْذَنْ لَـهَـا يَـا رَبُّ بـانْـحِـلالِ وَأْذَنْ لأَلْـطَـافِـكَ فـي أَحْـوَالِي
دِيـنـاً ودُنْـيَـا واكْـفِـنِـي سُـوءَ الـقَـدَرْ

مَـشْـعَـرُ إحْـسَـانِـكَ رَبِّـي مُـزْدَلَفْ وفـيـكَ لِي مِـنْ كُـلِّ فَـائِتٍ خَـلَفْ
قَدْ انْتَهَيْتُ عَنْ جَمِيعِ الـمُقْتَرَفْ «إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفْ»
سُـبْـحَـانَـكَ الـلهُـمَّ وَعْـدَكَ الأبَـرّ

مَـكِّـنـيَ الـلهُـمَّ فـي خَـيـرِ مَـقـامْ في الـدِّيـنِ والـدُّنيَا وبَـلِّغْنِي الـمُرَامْ
وَرُدَّ أحْـزابَ أعَـادِيـكَ الـطَّـغَـامْ بِغَيْظِهِم عَنَّا وَجِذْهُم[1] بانْتِقَامْ
إنِّـيَ مَـغْـلُوبٌ إلـهِـي فـانْـتَـصِـرْ

ليسُوا بِمُعْجِزينَ في الأرضِ ومَا كَـانَ لَـهُـمْ مِـنْ دُونِ رَبِّـي أوْلِيَـا
ضَاعِفْ لهُمْ مِنَ العَذابِ والشَّقا مُـعَـجَّلًا مـا عَـجِـزَتْ عَـنـهُ الـقُـوَى
حـتـى يَـكُـونُـوا كَـهَـشِـيـمِ الـمُـحْـتَـظَـرْ

إلـيـكَ وَجْـهِـي يَـا عَـظـيـمَ الـمَـنِّ لا أعْـلَـمُ الـقَـاطِـعَ إلّا مِـنِّـي
خَـلـقُـكَ عَـنْ خَـلـقِـكَ لَيْسَ يُغْنِي لا يَـمْـلِـكُـونَ كَـشْـفَ ضُـرٍّ عَـنِّـي
ولا يُـجِـيـرُونَ عَـلـيـكَ فـي أثَـرْ

لا أحْـذرُ الـسُّـوءَ بـأيِّ مَـوْطِـنِ وَقَـدْ تَـقَـلَّدْتُ سِـلاحَ الـمُـؤْمِـنِ
يَـا حَـامِـي الـجَـارِ حَـمَـاكَ مَـأمَنِي مَـنْ تَـتَـوَلَّى نَـصْـرَهُ لـم يُـوْهَـنِ
لِبَـاسُـهُ الـعِـزُّ وشَـأنُـهُ الـظَّـفَـرْ

فَـوَّضْـتُ أمـري كُـلَّهُ إلَيْـكَـا مُـعْـتَـمِـداً فـي وُجْـهَـتِـي عَـلَيْـكَـا
أسْـتَـنْـجِـحُ الآمَـالَ مِـنْ لَدَيْـكَـا وأسْـتَـمِـدُّ الـخَـيْـرَ مِـنْ يَـدَيْـكَـا
إنَّـكَ لا يَـشْـقَـى عَـلَيـكَ الـمُـدَّكِـرْ
بَـارِكْ بِـيُـمْـنَـاكَ عَـلى حَـيَـاتِـي وخُـذْ إلَيْـكَ خَـالِصَ الْتِـفَـاتِـي
لا تُـلقِـيَـنِّـي بَـيـنَ مُـهْـلِكَـاتِـي مـا الـنَّـصْـرُ إلّا مِـنْ لَديـكَ آتِ
نَـصْـرُكَ أهْـلَ الـبَـيِّـنَـاتِ والـزُّبُـرْ

(١) جِذهُم: أَمِلْهُم.

وَهَبْتَنِي الذِّكْرَ كَمَا أجْرَيْتَهُ		هَبْ لي بِهِ نَجَاةَ مَنْ أنْجَيْتَهُ
وَوَقِّنِي النارَ كَمَنْ وَقَّيْتَهُ		«مَنْ تُدْخِلِ النارَ فقَدْ أخْزَيْتَهُ»

وما لِظَالِمٍ عَليكَ مُنْتَصِرْ

سَمِعْتُ مَنْ نَادَى لإيمَانٍ وَقَدْ		آمَنْتُ لا أعْدِلُ باللهِ أحَدْ
بحَقِّ الايمَانِ بِغفْرَانِكَ جُدْ		مَعَاذَكَ اللهُمَّ مِنْ خِزْيِ الأبَدْ

تَوَفَّنِي بَرّاً وأنتَ خَيرُ بَرْ

وآتِنَا وَعْداً على رُسْلِكَ تَمْ		لا تُخْزِنَا يوم القِيامِ في الأُمَمْ
لا تُخْلِفِ المِيعَادَ ما قُلْتَ انْحَتمْ		ولا تُضَيِّعْ عَمَلاً فِيكَ وَلَمْ

تَحْرِمْ إجَابَةَ الدُّعَا مَنِ افْتَقَرْ

وهَذِهِ إنَابَةُ افْتِقَارِي		جَامِعَةٌ لِمُنْتَهَى أوْطَارِي
وجُلُّ قَصْدِي يَا عَزِيزَ الجَارِ		رِضَاكَ والجَنَّةَ خَيرَ دَارِ

دُونَ رِضَاكَ كُلُّ شيءٍ مُحْتَقَرْ

إنْ وَقَعَ الدَّيْنُ وحَالِي مُبْلِسُ		وطُولِبَ الدَّيْنَ البَئِيسُ المُفلِسُ
لِسَانُ حُجَّتِي هُنَاكَ أخْرَسُ		نَعَمْ مِنَ الرَّحْمَةِ لَستُ أيْأسُ

مالي سِوَى رَحْمَةِ مَولايَ مَفَرْ

إن فَاتَنِي حَظِّيَ مِنْ حُسْنِ العَمَلْ		ما فاتَنِي حَظِّيَ مِنْ حُسْنِ الأمَلْ
والعَمَلُ الصَّالِحُ كَيفَما كَمُلْ		كَمَالُهُ بِفَضْلِهِ عَزَّ وَجَلْ

بِهِ لَهُ ذِكْرُ وَشُكْرُ مَنْ شَكَرْ

ما هو فَضْلُ العَبْد في أعْمَالِهِ		إلّا إذا نَظَرْتَ في كَمَالِهِ
بِكَ البَلاغُ الصِّرْفُ في آمَالِهِ		ماذا عَسَاهُ بَالِغاً بِحَالِهِ

مَنْ أصْلُهُ عَجْزٌ وجَهْلٌ وخَوَرْ

يَا رَبِّ لا تَتْرُكْ صَلاحاً يُبتَغَى		إلّا إلَيهِ كُنتَ لي مُبلِّغَا
واجْعَلْ مَعَاشِي خَالِصاً مُفرَّغَا		للهِ في طَاعَتِهِ مُستَفْرِغَا

في اللهِ ما آتي وفِيهِ ما أذَرْ

يَـا رَبِّ خُـذْ بـي فـي رِضَـاكَ مَـأْخَـذا يَـا رَبِّ واعْـصِـمْـنِـيَ مِـنْ كُـلِّ أذى

لا يَـجِـدُ الـشـيـطـانُ عِـنـدِي مَـنْـفَـذا لـسْـتُ أرَى إلّا إلَهِـي مُـنْـقِـذا

ولا إلـى غَـيـرِ إلـهِـي لِي وَطَـرْ

يَـا رَبِّ أسْـعِـدْنـا بـحُـسْـنِ الـخَـاتِـمَـه يَـا رَبِّ وارْزُقْـنِـيَ حُـسْـنَ الـخَـاتِـمَـه

يَـا رَبِّ وَفِّـقْـنـا لـحُـسْـنِ الـخَـاتِـمَـه تَـوَفَّـنِـي رَبِّ بـحُـسْـنِ الـخَـاتِـمَـه

لـي ولأهْـلِـي وجَـمِـيـعِ مَـنْ حَـضَـرْ

وصَـلِّ يَـا رَبِّ وسَـلِّـمْ أبَـدَا فَـوْقَ الـرِّضَـاءِ لَـيسَ يُـحْـصَـى عَـدَدَا

خُـصَّ بِـهِ رَسُـولَـنـا مُـحَـمَّـدَا والآلَ والـصَّـحْـبَ ومَـنْ بِـهِ اهْـتَـدَى

وَهَـبْ لَـنـا بِـجَـاهِـهِ مِـنْـكَ الـنَّـظَـر

الكَلِمُ الطيّب

غُفرانَكَ اللهُمَّ يَا رَبَّاهُ   يَا سَامِعاً دُعَاءَ مَنْ دَعَاهُ

عَبْدُكَ قَدْ بَاءَ بِمَا جَنَاهُ   فَاغْفِرْ لَهُ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَبْدُكَ لِلذنبِ العَظيمِ مُقترِفْ   عَبْدُكَ لِلْوِزْرِ الثقيلِ مُحترِفْ

عَبْدُكَ عَبْدُ السُّوءِ رَبِّي مُعترِفْ   حَقِّقْ لَهُ التَّوبَةَ عَنْ هَوَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَبْدُكَ يَا اللهُ عَبْدٌ آبِقُ   إلى الخَطَايا عَجِلٌ مُسَابِقُ

لِلصَّالِحَاتِ كُلِّها مُفَارِقُ   فَخُذ بِيُمْنَاهُ إلى هُدَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَتَيتُ في خِلافِكَ العَظائِما   لا أرْعَوِي عَنْ كَسْبِيَ الجَرَائِما

فَالآنَ قَدْ فَرَغتُ سِنِّي نَادِما   أَطْلُبُ رِضْوَانَكَ لا سِوَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَا غَرَّني بِرَبِّيَ الكَرِيمِ   مَا سَاقَني لِلمَآثِمِ العَظِيمِ

غَيرُ الهَوَى وَجَهْلِي الوَخِيمِ   فَاعْصِمْنِيَ اللهُمَّ مِنْ بَلْوَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

آتي الخَطَايا كُلَّها تَعَمُّدَا   أسْعَى إليها نَشِطاً مُجْتَهِدَا

وأنتَ بالمِرْصَادِ تُحْصِي العَدَدَا   أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمَا أَحْصَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

صَرَفْتُ عُمْرِي فِي هَوًى مُتَّبَعِ　　والحَقُّ يَدْعُونِي وأُذْنِي لا تَعِي
هَدَيْتَنِي النَّجْدَينِ والغَيُّ مَعِي　　فاغْتَفِرِ اللهُمَّ ما تَرَاهُ
بِحَقٌ لا إِلَهَ إلّا الله

في الفِعْلِ والتَّرْكِ خِلافِي وَاقِعُ　　وصُحُفِي مِنْ طَاعَتِي بَلاقِعُ
والوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ ما أُوَاقِعُ　　إلّا إذا لُطْفُكَ بِي كَفَاهُ
بِحَقٌ لا إِلَهَ إلّا الله

نَفسِي بما يُوبِقُها مُرتَهَنَه　　أجْتَرِحُ الحَوْبَ وعَقْلِي فِي سِنَه
كَأنَّمَا الحَوْبَةُ عِندِي حَسَنَه　　غَوْثَاهُ مِنها حَوْبَةٌ غَوْثَاهُ
بِحَقٌ لا إِلَهَ إلّا الله

لا أنْتَهِي لِزاجِرٍ عَنْ مَهْلَكَه　　وعَادِيَاتُ المَوتِ خَلْفِي مُدْرِكَه
ألْهُو ونَفسِي في غِمَارِ المَعْرَكَه　　يَا رَبِّ أوْزِعْنِي لِمَا تَرضَاهُ
بِحَقٌ لا إِلَهَ إلّا الله

سُوءُ اخْتِيارِي زَاغَ بِي عَنْ أمْرِكَا　　وقُوَّتِي في بَطَرِي بِبِرِّكَا
يَا خَجْلَتِي تَحْتَ جَلالِ قَدْرِكَا　　زَكِّ اخْتِيَارِي بالذِي تَرْضَاهُ
بِحَقٌ لا إِلَهَ إلّا الله

أَرَى ومَنْ يَحْلُلْ عَليهِ غَضَبِي　　فقَدْ هَوَى في مُوبِقاتِ العَطَبِ
ولا أرَى عَنِ الشَّقا مُنقَلَبِي　　إلّا إذا رَحِمْتَنِي وَيْلاهْ
بِحَقٌ لا إِلَهَ إلّا الله

مَنْ لِي بأنْ أخْلُصَ مِنْ أَسْرِ الهَوَى　　وأَزْعِوِي يَا رَبِّ فِيمَنِ ارْعَوَى
فَتُبْ عَلَى مَنْ تَابَ بَعدَ ما غَوَى　　شَيطَانُهُ وَجَهْلُهُ أغْوَاهُ
بِحَقٌ لا إِلَهَ إلّا الله

يَا ضَلَّةً تَاهَ بِهَا فُؤادِي　　بِغَيرِ رُشْدٍ وبِغَيرِ زَادِ
لَم أنْتَبِهْ لِزَجْرَةِ الإيعَادِ　　انظُرْ إلى عَبْدٍ رَجَا مَوْلاهْ
بِحَقٌ لا إِلَهَ إلّا الله

لا تَـثْـبُـتُ الـنَّـفْـسُ عَـلَى الإنَـابَـه لـكُـلِّ مـا تَـكْـرَهُـهُ كَـشَّـابَـه

وأنـتَ تَـدْعُـوهـا ولا إجَـابَـه الله لا يُـنـقِـذُنِـي سِـوَاهُ

بِـحَـقّ لا إلَهَ إلّا الله

شَـقِـيـتُ لَولا أَمَـلِي فـي حِـلْـمِـكَـا وأوْبَـتـي مِـنْ حَـوْبَـتـي بـعِـلْـمِـكَـا

حَـقِّـقْ مَـتـابـي خَـالِـصـاً بِـفَـضْـلِكَـا لا يَـطْـرُدُ الـكَـرِيـمُ مَـنْ رَجَـاهُ

بِـحَـقّ لا إلَهَ إلّا الله

لَسْـتُ بِـمَـتْـرُوكٍ سُـدَى وإنَّـمـا عـلى الـمَـعَـاصِـي تَـتَـأَنَّـى كَـرَمـا

مـا فَـاتـنِـي أنـكَ تُـحْـصِـي الـمَـآثِـمـا وَقَـدْ أثِـمْـتُ فَـاكْـفِـنِـي إيَّـاهُ

بِـحَـقّ لا إلَهَ إلّا الله

عَـمِـلْـتُ سُـوءاً وظَـلَـمْـتُ نَـفْـسِـي أُصْـبِـحُ فـي غِـوَايَـتـي وأُمْـسِـي

أوْحَـشَـنِـي ذَنْـبـي وأنـتَ أُنْـسِـي والأنْـسُ لِلْمُـذْنِـبِ يَـا رَبَّـاهُ

بِـحَـقّ لا إلَهَ إلّا الله

إنْ يَـنـفَـعِ الـعَـاصِـيَ حُـسْـنُ تَـوْبَـتِـهْ وَقَـرْحَـةٌ فـي قَـلْـبِـهِ مِـنْ حَـوْبَـتِـهْ

وَالـصِّـدقُ فـي إخْـلاصِـهِ وَأوْبَـتِـهْ فـاقْـبَـلْ مَـتـابـي الـصِّـدْقَ يَـا الله

بِـحَـقّ لا إلَهَ إلّا الله

بِسُوءِ مـا اكْـتَـسَـبْـتُ هَـلْ يُـنْـجِـيـنِـي لَكَ اعْـتِـرَافـي مُـخْـلِـصـاً لِدِيـنِـي

وإنَّـنِـي مِـنـكَ عَـلَى يَـقِـيـنِ بـأنَّ مُـنْـتَـابَـكَ لا تَـأْبَـاهُ

بِـحَـقّ لا إلَهَ إلّا الله

بِـبَـابِ عِـزِّ اللهِ أَوْقَـفْـتُ الأَمَـلْ أَخْـرَسَـنِـي الـحَـيَـاءُ مِـنْ سُوءِ الـعَـمَـلْ

وَلَيْـتَـهَـا سَـعَـادَةٌ مِـنَ الأزَلْ تَـسُـوقُـنِـي لـعَـمَـلٍ تَـرْضَـاهُ

بِـحَـقّ لا إلَهَ إلّا الله

هـذا مَـقـامُ الـمُـجْـرِمِ الـمُـسْـتَـبْـصِـرِ هـذا مَـقـامُ الـعَـائِذِ الـمُـسْـتَـغْـفِـرِ

بُـؤسـاً لَهُ مِـنْ أَشِـرٍ مُـشْـتَـهْـتِـرِ إنْ لَمْ يَـفُـزْ بِـتَـوْبَـةٍ مَـسْـعَـاهُ

بِـحَـقّ لا إلَهَ إلّا الله

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِي مُطْلَقَا ... فِعْلاً وتَرْكاً نِيَّةً وَمَنْطِقَا
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنبٍ سَبَقَا ... نَسِيتُهُ وَأَنتَ لا تَنْسَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِن التَّعَمُّدِ ... فِي أَيِّ مَصْدَرٍ وأَيِّ مَوْرِدِ
بِكَسْبِ جِسْمٍ أو بِقَصْدِ الخَلَدِ ... يَسْتَغْفِرُ العَامِدُ ما أَتَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمَا أَخْطَأْتُ بِهْ ... مُنْتَبِهاً كُنتُ وغَيرَ مُنْتَبِهْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنبِ المُشْتَبِهْ ... فَعَلْتُهُ وأنتَ لا تَرْضَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ المُحَرَّمِ ... مِنْ مَلْبَسٍ وَمَشْرَبٍ وَمَطْعَمِ
وأَيِّ شَهْوَةٍ دَعَتْ لِلمَأْثَمِ ... عَبْدُكَ يَسْتَغْفِيكَ ما جَنَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَرْكِ ما أَمَرْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِفِعْلِ ما حَظَرْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكِبْرٍ وبَطَرْ ... فِي كُلِّ ما مِنْ فَضْلِهِ آتَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لَهُ العُتْبَى عَلَيْ ... مِنْ سَيِّءٍ جَرَى بِحُكْمِهِ عَلَيْ
والضَّعْفُ عَنْ إِتْمَامِ تَوْبَتِي لَدَيْ ... يُبْقِي عَلَى تَوْفِيقِهِ تَقْوَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمَا قَدَّمْتُهُ ... ومَا تَرَكْتُهُ ومَا أَدَمْتُهُ
ومَا وَجَدْتُهُ ومَا أَعْدَمْتُهُ ... وكُلِّ ما تَقْدِيرُهُ أَجْرَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمَا عُدتُ لَهُ ... بَعدَ مَتَابِي مِنهُ فَانْقَدْتُ لَهُ
وكُلِّ ما كُنتُ تَجَرَّدْتُ لَهُ ... لِوَجْهِهِ لأَجْلِ ما سَوَّاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُفْرَانِ النِّعَمْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ لأسْبَابِ النِّقَمْ
وكُلُّ مَا جَاءَ بِلا أَوْ بِنَعَمْ وكُلُّ مَا يَطْرُدُ عَنْ حِمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِسَوْءَاتِ الخَفَا والجَهْرِ والسَّوْءَةِ في غَيرِ الوَفَا
يَا وَاسِعَ الحَقِّ أَحَقُّ مَنْ عَفَى هَلْ تَرْحَمُ المُسِيءَ في عُقْبَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ مَعْصِيَه عن رَحْمَةِ اللهِ الكَرِيم مُقْصِيَه
وكُلِّ ما أُحْصِيهِ أو لَنْ أُحْصِيَه واللهُ في كِتَابِهِ أَحْصَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَرْكِ الذِّكْرِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَرْكِ الشُّكْرِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَرْكِ الصَّبْرِ قَدْ طَالَمَا جَزِعْتُ في بَلْوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذنبِ الكَلِمَهْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ مَظْلَمَهْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ مَأْثَمَهْ في حَقِّهِ أو حَقِّ مَنْ سَوَّاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مُضِلَّاتِ الفِتَنْ مِنْ ظَاهِرٍ مِنهَا وما كَانَ بَطَنْ
وكُلِّ إثْمٍ بِيَقِينٍ أو بِظَنْ مَغْفِرَةً تُوجِبُهَا رُحْمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ اكْتَسَبْتُ الظُّلْمَا مَغْفِرَةً عَزْماً وَعَفْواً جَزْمَا
لا يَتْرُكَانِ مِنْ ذُنُوبِي إِثْمَا وأنتَ مَنْ أرْجُو وَمَن أخْشَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ولَسْتُ قَانِطَا أَمْسَتْ هُمُومِي تُنْشِطُ المَنَاشِطَا
عَصَيْتُ رَبِّي قَابِضاً وبَاسِطَا وَقُرْبَتِي وَقَدْ دَنَا لُقْيَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أَسْتغْفِرُ اللهَ لآفَاتِ اللسانْ		أَسْتغْفِرُ اللهَ لآفَاتِ الجَنَانْ
أَسْتغْفِرُ اللهَ لِمَا جَرَّ اليَدَانْ		وما جَنَى القَلْبُ وما نَوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتغْفِرُ اللهَ لِذنبِ النَّظَرِ		ولَستُ مِنْ ذُنُوبِ سَمْعِي بالبَرِي
واللمْسِ والذَّوْقِ وَشَمِّ المِنْخَرِ		وكُلٌّ ذا مُستَطِرٌ أَلقَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتغْفِرُ اللهَ لِذنبِ القَدَمَيْنْ		أَسْتغْفِرُ اللهَ لِذنبِ الشَّهْوَتَيْنْ(١)
واللهِ لا أَرْجِعُ في خُفَّي حُنَيْنْ		واللهُ لا يَرُدُّ مَنْ دَعَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتغْفِرُ اللهَ من المُكابَرَه		أَسْتغْفِرُ اللهَ من المُفاخَرَه
أَسْتغْفِرُ اللهَ لنَسْيِ الآخِرَه		يَا ظَفَرَ الكَيِّسِ في عُقْبَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتغْفِرُ اللهَ لِنفسٍ عَاتِيَه		لِكُلِّ ما تَكْرَهُهُ مُوَاتِيَه
وتلكَ يَا رَبِّ خِلالُ ذَاتِيَه		تَنْجُو إذا نَجَّيْتَها رَبَّاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتغْفِرُ اللهَ لِعِلمٍ ما نَفَعْ		أَسْتغْفِرُ اللهَ لِجَهْلٍ بي قَطَعْ
أَسْتغْفِرُ اللهَ لمَذمُومِ الطَّمَعْ		وَالشُّحِّ والبَذْلِ الذي تَأْبَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتغْفِرُ اللهَ لعَينٍ جَامِدَه		وَفِكْرَةٍ في الوَاجِباتِ خَامِدَه
وَنَهْضَةٍ في حَقِّ رَبِّي هَامِدَه		ونَهْضَةِ العَبْدِ إلى مَوْلاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) الشَّهوتان: البطْنُ والفَرْج.

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ التَّمَادِي   فِي غَمْرَةِ اللَّهْوِ بِلا اسْتِعْدَادِ
تَرَكْتُ تَقْوَى اللهِ خَيْرَ زَادِي   عَسَاهُ أَنْ يُقِيلَنِي عَسَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الفَسَادِ   أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ العِنَادِ
لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ فِي عِدَادِ   إِلّا إِذا وَفَّقَنِي الإِلَهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِرَادَةْ   إِنْ خَالَفَتْ أَوَامِرَ العِبَادَةْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ عَادَةْ   أَلِفْتُهَا خِلافَ مَا تَرْضَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِقَامَةْ   عَلَى مَقَامٍ غَيْرِ الاسْتِقَامَةْ
مَا صَلَحَتْ لِلعَبْدِ مِنْ مَقَامَةْ[1]   إِلّا بِإِصْلاحِ الَّذِي سَوَّاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِقْدَامِ   بِالعِلْمِ وَالجَهْلِ عَلَى الحَرَامِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الأَوْهَامِ   وَخَاطِرِ الشَّكِّ وَمَا ضَاهَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الآثَامِ   عَوْذاً بِهِ مِنْ خَشْيَةِ الأَنَامِ
إِنَّ العَزِيزَ حَافِظُ الذِّمَامِ   مَنِ احْتَمَى بِرُكْنِهِ حَمَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذُنُوباً مُفْرِطَةْ   مُخْلِقَةً مُوبِقَةً مُوَرِّطَةْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ الخَطَايَا المُسْخِطَةْ   خُذْ بِيَدِي يَا بَاسِطاً يُمْنَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

(١) مَقامَة: مؤنث مَقام وهو المجلس ومكان الإقامة.

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِقُبْحِ العَمَلِ — أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِطُولِ الأَمَلِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ الزَّلَلِ — إنْ وهَبَ العَفْوَ؛ فيَا بُشْرَاهْ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا الله

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ ما خَلَقْ — وَشَاءَ أنْ أُذْنِبَهُ عِلْماً سَبَقْ
والحَقُّ للهِ وَعَدْلُ اللهِ حَقْ — فَنَجَّ مِنْ عَدْلِكَ مَنْ يَخْشَاهْ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا الله

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِخْلالِ — بِطَاعَةِ اللهِ بِكُلِّ حَالِ
وَمُنْكَرِ الأَقْوالِ وَالأَفْعَالِ — أفلَحَ مَنْ غُفْرَانُهُ نَجَّاهْ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا الله

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمَا أَعْتَدُّ بِهْ — مِنْ طَاعَةٍ تَقْصُرُ عِندَ مَطْلَبِهْ
وَسَوْءَةٍ تَقْطَعُنِي عَنْ سَبَبِهْ — واللهُ لا يَقْطَعُ مَنْ رَجَاهْ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا الله

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِ اخْتَفَى — وكُلِّ ما أَذْنَبْتُهُ مُنْكَشِفَا
وكُلِّ ما تَرَكْتُهُ تَخَلُّفا — وكَسَلًا عَمَّا أَحَبَّ اللهْ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا الله

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذنبِ الارْتِيَابْ — أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَسْوِيفِ المَتَابْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مَتَابَ مَنْ أَنَابْ — مَبْدَؤُهُ الفَقْرُ وَمُنْتَهَاهْ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا الله

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَوْبَةِ الرِّيَا — وَتَوْبَةِ العُجْبِ وَقِلَّةِ الحَيَا
وَتَوْبَةٍ لَمْ تَنْبَعِثْ عَنِ اسْتِيَا — وَتَوْبَةِ الغَافِلِ عَنْ أُخْرَاهْ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا الله

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذنبِ الاغْتِرَارْ — أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِسُوءِ الاخْتِيَارْ
يَا حَسْرَتَا مِنْ مَعْقِبِ دَارَ البَوَارْ — إنْ خَسِرَ المُنِيبُ مُرْتَجَاهْ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا الله

أَستغفِرُ اللهَ مِنَ التَّوَانِي … فِي طَاعَةِ اللهِ بِحُبِّ الفَانِي

ولاتِّبَاعِي خُطْوَةَ الشَّيْطَانِ … يَا رَبِّ جَنِّبْنِي مُبْتَغَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَستَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِصْرَارِ … عَلَى الذِي اكْتَسَبْتُ مِنْ أَوْزَارِ

وَالذَّنْبُ لِي لا لِيَدِ المِقْدَارِ … تَحُوُبُ العَبْدِ وَمُشْتَكَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَستَغْفِرُ اللهَ مِنَ الفِكْرِ الرَّدِي … إِنْ تَابَعَتْهُ فَلَتَاتُ الخَلَدِ

وَنَزْعَةِ النَّفسِ لِسُوءِ المَقْصَدِ … يَنْتَابُهَا اللطْفُ بِمُقْتَضَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَستَغْفِرُ اللهَ تَهَوُّرَ الشُّنَعْ … أَستَغْفِرُ اللهَ عَزَائِمَ البِدَعْ

أَستَغْفِرُ اللهَ شَكَائِمَ الخُدَعْ … مَا أَخْدَعَ النَّفسَ لِمَا تَهْوَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَستَغْفِرُ اللهَ مُنِيباً تَائِبَا … أَستَغْفِرُ اللهَ مُطِيعاً آيِبَا

أَستَغْفِرُ اللهَ إِلَيهِ هَارِبَا … وَمَهْرَبُ العَبْدِ إِلَى مَوْلاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَستَغْفِرُ اللهَ تَقِيّاً سُخْطَهْ … مِنْ كُلِّ زَلَّةٍ وَكُلِّ فَرْطَهْ

إِنْ يَكُنِ اسْتِغْفَارُ رَبِّي حِطَّهْ … فَإِنَّنِي مُسْتَغْفِرٌ إِيَّاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَستَغْفِرُ اللهَ نُزُوعاً عَنْ خَطَا … وَفَيْئَةً إِلَيهِ عَمَّا فَرَطَا

حَاشَاهُ أَنْ يَطْرُدَنِي مُقَنَّطَا … بِالفَضْلِ والرَّحْمَةِ مَا أَحْفَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَستَغْفِرُ اللهَ تَعَرُّضاً لِمَا … أَوْجَبَهُ مِنْ عَفْوِهِ تَكَرُّمَا

أَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ عَمَّا عَلِمَا … مِنْ سَيِّئٍ بِحُكْمِهِ قَضَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ كَبَائِرَ الزَّلَلْ وَمِنْ صَغَائِرٍ بِهَا القَضَا نَزَلْ
مُسْتَوْهِباً مِنْ فَضْلِهِ حُسْنَ العَمَلْ وَكُلَّ مَا يُكْسِبُنِي زُلْفَاهُ
بِـــحَـــقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ الذنوبَ الفَادِحَهْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ العُيُوبَ الفَاضِحَهْ
نَفْسِي إلى اللهِ بِسُوءٍ كَادِحَهْ لَعَلَّنِي بِلُطْفِهِ أُكْفَاهُ
بِـــحَـــقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِوَهْنٍ في الثِّقَهْ ضَمَانَةُ اللهِ لنا مُحَقَّقَهْ
لِمَنْ يُخَلِّي خَالِقٌ مَنْ خَلَقَهْ ثَبِّتْ يَقِينِي فِيكَ يَا اللهُ
بِـــحَـــقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لأسْبَابِ الشَّقَا وَعَمَلٍ يُوجِبُ وَحْشَةَ اللِّقَا
لأجلِ أنْ يَطْلُبَنِي هذا البَقَا فَاخْتِمْ بِرِضْوَانِكَ مُنْتَهَاهُ
بِـــحَـــقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لَطِيفَ اللُّطَفَا ضَيَّعْتُ عُمْرِي في الخَطَايَا مُسْرِفا
مُنْتَهِكاً مُفَرِّطاً مُسَوِّفاً يَا نَظْرَةَ اللهِ وَيَا رُحْمَاهُ
بِـــحَـــقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِهَفْوَةِ اليَقِينْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِفَجْرَةِ اليَمِينْ[1]
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ المُؤمِنِينْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ كَمَا يَرْضَاهُ
بِـــحَـــقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِحُوبٍ لَزِمَا أَسْتَغْفِرُ اللهَ بِهِ مُعْتَصِمَا
مِنْ خُطْوَةٍ إلى المَعَاصِي قُدُمَا مَنْ يَعْتَصِمْ بِهِ فَقَدْ هَدَاهُ
بِـــحَـــقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

---

(١) أي: اليمين الفاجرة؛ الكاذبة.

أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ لإيـقـانٍ جَـنَـخ لِجَـانِـبِ الـيَـأْسِ وَمَـطْـمَـعٍ فَـضَـخ

أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ لِتِـيـهٍ وَمَـرَخ امـلأ جَـنَـانِـي بِـكَ مـا أَقْـسَـاهُ

بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ لِحِـرْصٍ وَشَـرَه أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ الأُمُـورَ الـمُـنْـكَـرَه

أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ إلـيـهِ الـمَـعْـذِرَه وَلَيْـسَ لِي عُـذْرٌ بِـهِ أَلْقَـاهُ

بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ الـعَـظِـيـمَ رَغَـبَـا أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ الـعَـظِـيـمَ رَهَـبَـا

يَـا سَـيِّـدي قَـدْ بَـلَغَ الـسَّـيْـلُ الـزُّبَـى لا يَـهْـلَكُ الـجَـانِـي بِـمَـا اشْـتَـهْـوَاهُ

بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ لِذنـبٍ أَتَّـقِـي بِـفِـعْـلِهِ مَـنْ لا يَـفِـي ولا يَـقِـي

وَزَلَّةِ الـغُـلوِّ والـتَّـعَـمُّـقِ وَكُـلِّ مـا مِـنْ عَـبْـدِهِ قَـلاهُ[1]

بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ لـمَـحْـظُـورِ الـكَـسَـلْ وَسُـخْـطِ مَـقْـدُورٍ وَأمْـنٍ وَفَـشَـلْ

أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ لِنِـسْـيَـانِ الأَجَـلْ يَـا رَبِّ غُـفْـرَانَـكَ فـي مَـدَاهُ

بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْـتـغْـفِـرُ اللهَ الـعـظـيـمَ كُـلَّ شَـيْ قَـارَفْـتُـهُ وَهْـوَ مُـحَـرَّمٌ عَـلَـيْ

وَيْـلاهُ قَـدْ أَوْقَـرْتُ مِـنْ كَـسْـبِ يَـدَيْ وِقْـرَ الـشَّـقـا إنْ لَمْ يُـجِـزْنِـي اللهُ

بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

يَـا أُنْـسَ مَـنْ أَوْحَـشَـهُ اقْـتِـرَافُـهُ يَـا رَوْحَ مَـنْ أَكْـرَبَـهُ إِسْـرَافُـهُ

هَـلْ نَـافِـعٌ لِعَـبْـدِكَ اعْـتِـرَافُـهُ فَـتُـوسِـعَ الـعَـفْـوَ لِمَـا جَـنَـاهُ

بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) قَلاه: كرِهَه.

لَيسَ بِشُكْرانٍ تُقيلُ عاثِرا وَلا بِبِدْعٍ عَفْوُكَ الجَرائِرا

أَصَبْتُ مِنْ ذُنُوبِيَ الفَواقِرا وَالعاصِمُ المُجيرُ أَنتَ اللهْ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

طَالِبُكَ اللهُمَّ لَنْ تُضِيعَهْ وَحَوْبَتِي وَإِنْ تَكُنْ فَظِيعَهْ

فَلَمْ أُرِدْ بِفِعْلِها قَطيعَهْ وَالأَمْنُ مِنْ بَأْسِكَ سَيِّداهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

عَفْوَكَ أَرْجُو وَذَرِيعَتِي الكَرَمْ حَلَلْتُ مِنْ حَوْلِكَ رَبِّي في حَرَمْ

فَضِيلَةُ الحَوْلِ وَسُلْطانُ العِظَمْ مَوْئِلُ مَنْ آتَيْتَهُ تَقْواهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِيَ نَكْثَ العَهْدِ وَالجِدَّ في السُّوءِ وَخُلْفَ الوَعْدِ

إِلّا إِذا قَوَّمْتَنِي بِجَدٍّ لا يُنْعِشُ المَجْدُودَ إِلّا اللهْ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

إِنْ كانَتِ التَّوْبَةُ بابَ المُذْنِبِ فَقَدْ عَلِمْتَ تَوْبَتِي وَمَطْلَبِي

لا تُجْبَهَنْ بِرَدِّها مُنْقَلَبِي وَبابُكَ البابُ الذي أَغْشاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

ما يَفْعَلُ اللهُ بِتَعْذِيبِ المُنيبْ رَحْمَتُهُ مِنْ كُلِّ مُحْسِنٍ قَرِيبْ

غُفْرانَكَ اللهُمَّ يا نِعْمَ المُجِيبْ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلّا اللهْ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

غُفْرانَكَ اللهُمَّ زَلَّةَ القَدَمْ عَلِمْتَ مِنْ إِنابَتِي صِدْقَ النَّدَمْ

وَيا لَها فَضِيحَةً بَيْنَ الأُمَمْ في الحَشْرِ إِنْ لَمْ يَسْتُرِ الإِلَهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

غُفْرانَكَ اللهُمَّ ما لي حُجَّةْ زُغْتُ عَلى عِلْمٍ عَنِ المَحَجَّةْ

غَرِقْتُ مِنْ خَطِيئَتِي في لُجَّةْ وَمُنْقِذِي مِنْ غَرَقِي رُحْماهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أَسْـرَفْـتُ فـي عَـظَـائِمِ الأُمُـورِ إذْ خَـدَعَـتْـنِـي خُـدْعَـةُ الـغُـرُورِ

أَدْعُـوكَ بِـالـوَيْـلِ وَبِـالـثُّـبُـورِ بِـتَـوْبَـةِ الـمُـخْـلِصِ يَـا غَـوْثَـاهُ

بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَـلِقْـتُ فـي حَـبَائِلِ الـخَـسَـارِ مِـنْ فِـتْـنَـةِ الـتَّـشْـوِيـفِ وَالإِصْـرَارِ

قَـدْ أَوْقَـفَـتْـنِـي بِـشَـفِـيـرِ الـنَّـارِ أَسْـأَلُكَ الـنَّـجَـاةَ يَـا اللهُ

بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَـعَـاذَكَ الـلهُـمَّ مِـنْ دَرْكِ الـشَّـقَـا أَعْـدَمْـتُ مـا يَـنـفَـعُ فـي دَارِ الـبَـقَـا

انْـظُـرْ حَـيَـاةً آذَنَـتْ أَنْ تُـزْهَـقَـا والْطُـفْ بِـبَـاقِـيـهَـا بِـمَـا تَـرْضَـاهُ

بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أيـنَ نَـجَـاتِـي مِـنْـكَ إِنْ لـم تَـرْحَـمِ مَـنْ نَـاصِـرِي مِـنكَ وَمَـنْ مُـعْـتَـصَـمِي

وَمَـنْ مَـعَـاذِي وَبِـمَـنْ ذَا أَحْـتَـمِـي أَنْـتَ لِهَـذا الـعَـبْـدِ مُـحْـتَـمَـاهُ

بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَوْدَعْـتُـكَ الـنَّـفْـسَ وَأَنـتَ الـمَـانِـعُ ولا تُـضِـيـعُ عِـنْـدَكَ الـوَدَائِعُ

شَـأْنِـي بِـلا حِـفْـظِـكَ شَـأْنٌ ضَـائِعُ يَـصْـلُحُ شَـأْنِـي حَـيْـثُـمَـا تَـرْعَـاهُ

بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَـبْـدُكَ فـي قَـهْـرِكَ يَـسْـتَـقِـيـلُ بَـيْـنَ يَـدَيْـكَ خَـاضِـعٌ ذَلِيـلُ

لَيْـسَ لَهُ وَجْـهٌ وَلا سَـبِـيـلُ وَإِنَّـمَـا بَـابُـكَ مُـنْـتَـحَـاهُ

بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

قَـدْ بَـهَـرَتْـنِـي كِـبَـرُ الـمَـعَـاصِـي وَيْـلاهُ يَـومَ الأَخْـذِ بِـالـنَّـوَاصِـي

إِنْ لَمْ تَـدَارَكْـنِـيَ بِـالـخَـلاصِ وَيَـحْـمَـدُ الـعَـبْـدُ إذاً مَـسْـرَاهُ

بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لَبِسْـتُ تَـقْـوَى اللهِ خَـوفَ الـمَـقْـتِ مَـنْ كَـانَ ذا بَـتٍّ فَـهَـذا بَـتِّـي

أَسْـتَـرْشِـدُ اللهَ لِحُـسْـنِ الـسَّـمْـتِ الـرُّشْـدُ وَالـتَّـوْفِـيـقُ مِـنْ جَـدْوَاهُ

بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أمَّارَتِي بالسُّوءِ ما بِهَا ثِقَهْ غَدَّارَةٌ فِي غَيِّهَا مُنْطَلِقَهْ
اغْطِ اقْتِدَارِي صَوْنَهَا عَنْ مُوبِقَهْ وَاللهُ فِي الْقُدْرَةِ حَيْثُ اللهْ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

صَدَقْتَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا إِنْ رَبُّهَا أَلْهَمَهَا تَقْوَاهَا[1]
وَحَلَّهَا مِنْ نُورِهِ هُدَاهَا خُذْ بِيَدِ الغَاوِي إِلى هُدَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

يَا قَاهِرُ امْنَعْ نَفْسِيَ الجَرِيئَةْ عَنْ وِرْدِهَا المَوَارِدَ الوَبِيئَةْ
خِيرَتُهَا لِذاتِهَا رَدِيئَةْ فَرَاعِهَا بِاللُّطْفِ يَا رَبَّاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

فَرَبِّهَا تَرْبِيَةَ السِّيَاسَةْ وَزَكِّهَا بِالنُّورِ وَالقَدَاسَةْ
لا تُلقِهَا فِي ذِلَّةِ الخَسَاسَةْ أَفْلَحَ مَنْ إِلَهُهُ رَبَّاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَنْ سَاسَهُ اللهُ اسْتَقَامَتْ حَالَتُهْ وَاللهُ مَنْ تُصْلِحُنَا إِيَالَتُهْ[2]
لِكُلِّ شَيءٍ قُوِّمَتْ كَفَالَتُهْ مَا ضَاعَ مَنْ بِلُطْفِهِ رَعَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

سُخْطُكَ رَبِّي دُونَهُ المَصَائِبُ أَيْنَ المَفَرُّ عَنْكَ وَالمَذاهِبُ
وَكُلُّ هَارِبٍ إِلَيْكَ ذَاهِبُ يَا رَبِّ لا أُخْزَى وأَنْتَ اللهْ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) لم يشتغل شاعرٌ على خَزِين الطّاقة الرُّوحيّة والجَمالية للآيات القرآنية كما فعل أبو مُسْلِم الذي لم يَكتفِ بتضمينها واستعارتها في شعره، بلْ جَعلَها في لُحمَة مِعْمَارِهِ الشِّعْري وسداه تماهِياً في بُنْيَةِ الخِطاب القرآني، لا اقتباساً مِنه أو إحالة إليه، كما في هذا البيت المُنْحَلّ في مَاءِ الآية: «وَنفسٍ وما سَوّاها فألْهَمَها فجُورَها وتقوَاهَا قد أفلحَ من زَكّاها وقد خابَ من دَسّاها».
(٢) الإِيَالَة: ترد، هنا، بمعنى السِّياسة، والأصْل: قطعة من أرض الدولة يحكُمها وَالٍ من قِبَلِ السُّلطان.

قِنِي مِنَ السُّخْطِ وَمُوجِبَاتِهْ ... طُوبَى لِمَنْ تَقِيهِ سَيِّئَاتِهْ
وَسَاقَهُ اللهُ إلى مَرْضَاتِهْ ... وَيَسَّرَ اللهُ لَهُ يُسْرَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أعُوذُ باللهِ مِنَ الخُذْلانِ ... وَالمَقْتِ والإبْعَادِ وَالحِرْمَانِ
وَسَقْطَةٍ مِنْ نَظَرِ الرَّحْمَنِ ... مَنْ يَسْتَعِذْ بِرَبِّهِ كَفَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْ ضِيقِ المَقَامْ ... دُنيا وفي الأُخْرَى وَمِنْ سُوءِ الخِتَامْ
وَسَلْبِ نِعْمَةٍ وَأَخْذِ وانْتِقَامْ ... بِحَوْلِهِ يَقِي مَنِ اسْتَوْقَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْ حَالِ الشَّتَاتْ ... وَفِتْنَةِ المَحْيَا وَفِتْنَةِ المَمَاتْ
وَسُوءِ مَا فَاتَ وَسُوءِ هُوَ آتْ ... وَسُوءِ مَا بِأمْرِهِ قَضَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِمَّا يُغْضِبُهْ ... أعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِمَّا أَكْسِبُهْ
مَنْ عَاذَ بِالرَّحْمَنِ لا يُعَذِّبُهْ ... بِعِزِّهِ عُذْتُ، وَحَسْبِي اللهْ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْ حَالِ الشَّقِي ... أعُوذُ باللهِ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِي
رَبِّي لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ حَفِي ... لا يُصْلِحُ القُلُوبَ إلّا اللهْ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْ سُوءِ القَضَا ... أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْ فَوْتِ الرِّضَا
أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْ عُمْرٍ مَضَى ... عِصْيَانُكَ اللهُمَّ مُحْتَوَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْ جَهْدِ البَلا ... وَكُلِّ دَاءٍ وَمَقَامٍ أعْضَلا
وَهَلَعٍ وَجَزَعٍ إنْ نَزَلا ... جِبِلَّةُ المَرْءِ إذا عَنَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أعُـوذُ بـالـرَّحْـمَـنِ مِـنْ كَـيْـدِ الـفِـتَـنْ		وَالـهَـمِّ وَالـغَـمِّ وَإزْهَـاقِ الـحَـزَنْ
وَالإثْـمِ وَالـبَـغْـيِ وَطـارِقِ الـمِـحَـنْ		سُـبْـحَـانَـهُ يَـكْـفِـي مَـنِ اسْـتَـكْـفـاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أعُـوذُ بـالله مِـنَ الـرِّجْـسِ الـلَّعِـيـنْ		وَهَـمْـزِهِ وَكَـيْـدِهِ فـي كُـلِّ حِـيـنْ
أنـتَ عَـلَى جِـهَـادِهِ نِـعْـمَ الـمُـعِـيـنْ		احْـفَـظْـنِـيَ الـلهُـمَّ مـن بَـلْـوَاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أعُـــوذُ بـــالله الــرَّشِـيــدِ الأمْــرِ		مِـنْ وَطْـأةِ الـشَّـرِّ وَحَـمْـلِ الإصْـرِ
وَالـكُـفْـرِ وَالـفَـقْـرِ وَضِـيـقِ الـصَّـدْرِ		وَمِـــنْ عَـــذابِ الــقَــبْــرِ يَــا اللهْ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أعُـــوذُ بـــالله جَـمِـيــلِ الــسَّــتْــرِ		مِـنْ مَـسَّـةِ الـضُّـرِّ وَحَـالِ الـخُـسْـرِ
وَمَـوقِـفِ الـخِـزْيِ وَعُـقْـبَـى الـمَـكْـرِ		وَدَعْـــوَةِ الــمَــظْــلُومِ يَــا غَــوْثَــاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أعُـــوذُ بـــالله مِـــنَ الـــتَّـــعَـــدِّي		حُـــدُودَهُ وَالـــزَّيْـــغِ والـــتَّـــرَدِّي
وَالـــرَّدِّ عَـــنْ أبْـــوابِـــهِ وَالـــطَّـــرْدِ		مَـــصَـــائِـبٌ يَـــصْـــرِفُـــهـــا الإلَـــهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أعُـــوذُ بـــالله مِـــنَ الـــمُـــدَاهَـــنَـــهْ		فِـيـهِ وَحَـالٍ فـي الـمَـعَـاصِـي رَاهِـنَـهْ
وَقَـــوْمَـــةٍ فـــي قُـــرُبَـــاتِـــي وَاهِـــنَـــهْ		مـــا أوْهَـــنَ الـــعَـــبْـــدَ بِـــمَـــا عَـــنَـــاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أعُـوذُ بـالـرَّحْـمَـنِ مِـنْ سُـوءِ الأدَبْ		وَالاتِّـــكَـــالِ دُونَـــهُ عَـــلَى سَـــبَـــبْ
أعُـوذُ بـالـرَّحْـمَـنِ مِـنْ طَـرْقِ الـرِّيَـبْ		لا شَـــكَّ فِـــي اللهِ، تَـــعَـــالَى اللهْ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أعُـــوذُ بـــالله مِـــنَ الـــسَّـــآمَـــهْ		فـي الـخَـيْـرِ وَالـحَـسْـرَةِ وَالـنَّـدَامَـهْ
وَمُـعْـقِـبَـاتِ الـخِـزْيِ فـي الـقِـيَـامَـهْ		لا تُـخْـزِ هـذا الـعَـبْـدَ فـي عُـقْـبَـاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إلّا اللهْ

أعُـــوذُ بـــاللهِ مِـــنَ الـــشَّـــنـــارِ[1] وَالـعَـارِ وَالـنَّـارِ وَهَـضْـمِ الـجَـارِ
وَالـمُـنْـتَـهِـي لِغَـضَـبِ الـجَـبَّـارِ أَجَـارَنَـا اللهُ حَـمَـانَـا اللهُ
بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أعُـــوذُ بـــاللهِ مِـــنَ الـــقَـــرَارِ بِـلَحْـظَـةٍ فـي الـلـيـلِ وَالـنَّـهَـارِ
فـي كُـلِّ أَطْـوَارِي إلـى الآثـارِ مُـعْـتَـرِفٌ للهِ مَـا سِـوَاهُ
بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أعُـــوذُ بـــاللهِ مِـــنَ الـــرُّكُـــونِ لِغَـيْـرِهِ فـي سَـائِرِ الـشُّـؤُونِ
تِـلْكَ لـعَـمْـرِي صَـفْـقَـةُ الـمَـغْـبُـونِ مَـنْ عَـرَفَ اللهَ كَـفَـاهُ اللهُ
بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـنَ الـشُّـحِّ الـمُـطَـاعْ وَالـحِـرْصِ وَالـجُـبْـنِ وَخِـبٍّ وَخِـدَاعْ
وَالـكِـبْـرِ وَالـبُـهْـتِ وَمَـذمُـومِ الـطِّـبَاعْ وَحَـسَـدِ الـخَـلْـقِ بِـمَـا أَعْـطَـاهُ
بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـن أَبْـوابِ الـجَـفَـا وَكُـلِّ مـا اسْـتَـعَـاذَ مِـنْـهُ الـمُـصْـطَـفـى
أعُـوذُ بـاللهِ وَحَـسْـبِـي وَكَـفَـى عَـوْذَ فَـقِـيـرٍ تَـرِبَـتْ يَـدَاهُ
بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

تِـلْكَ خِـلالٌ فِـي الـنُّـفُـوسِ جَـاثِـمَـةْ أَيـنَ الـصَّـفـا مِـنَ الـنُّـفُـوسِ الآثِـمَـةْ
جِـبِـلَّـةٌ بِـكُـلِّ نَـفْـسٍ قَـائِـمَـةْ إِلّا الـذي بِـلُطْـفِـهِ صَـفَّـاهُ
بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

مـا أَثْـخَـنَ الـنـفـسَ وَمـا أَكْـدَرَهـا مـا أَكْـذَبَ الـنـفـسَ ومـا أَغْـدَرَهـا
مـا أَرْذَلَ الـنـفـسَ ومـا أَقْـذَرَهـا وإنـمـا يَـزْكُـو الـذي زَكَّـاهُ
بِـــحَـــقٍّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

---

(١) الشَّنار: القبحُ والشُّنعَةُ والتفضِيح.

قَدْ غَلَبَتْنِي النَّفسُ في جِمَاحِها — قَدْ وَهَنَتْ قُوَايَ في طِمَاحِها

يَئِسْتُ مِنْ حَوْلِي عَلَى إصْلاحِها — إلّا إذا أَصْلَحَتَهَا رَبَّاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا الله

مَعْذِرَةٌ قَدْ خَلَعَتْ عِذَارَها[1] — كم أُنْذِرَتْ لو حَذِرَتْ إنْذارَها

فالآنَ إذْ تَمَحَّلَتْ[2] أَعْذارَها — تَلَقَّهَا بِالعَفْوِ يَا الله

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا الله

أَذْنَبْتُ إكْبَاراً وَعُذْرِي مُنْقَطِعْ — وَعَفْوُكَ الأعْظَمُ غَيرُ مُمْتَنِعْ

نَادَاكَ بِالتَّوْبَةِ عَبْدٌ مُنْتَجِعْ[3] — مُعْتَرِفاً بِقَدْرِ مَنْ نَادَاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا الله

سُبْحَانَ رَبِّي عَزَّ في أَمْجَادِهِ — يَعْفُو عَنِ العَبْدِ عَلَى عِنَادِهِ

وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ — حَاشَاهُ عَنْ تَقْنِيطِ مَنْ دَعَاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا الله

مولايَ لَسْتَ لِعَذابِي مُفْتَقِرْ — غَفَرْتَ لِي يَا رَبِّ أو لم تَغْتَفِرْ

إنْفَاذُكَ الوَعِيدَ أَمْرٌ قَدْ قُدِرْ — وَمَفْزَعِي حِلْمُكَ يَا الله

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا الله

وَثِقْتُ بِالحِلْمِ وَعُمْدَتِي بِهِ — ما قَدْرُ ذَنْبِي سَيِّدي في جَنْبِهِ

ما وَثِقَ العَبْدُ بِحِلْمِ رَبِّهِ — فلم يَجِدْهُ مُكْرِماً مَثْوَاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا الله

بِحُسْنِ ظَنِّي خِلْتُنِي مَرْحُوما — لم أنقَلِبْ بِخَيْبَةٍ مَحْرُوما

هَبْنِي إلهِي لَسْتُ مُسْتَقِيما — فَحِلْمُ رَبِّي حَانَ مُنْتَهَاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا الله

---

(1) العِذار: في الأصل؛ جانِب لِحْيَةِ الغُلام ـ وما سَالَ من اللجام على خَدِّ الفَرَس. خلَعَ فُلانٌ عِذارَه: انهمك في الغيّ ولم يَنْتحِ مِن ذلك. وقوة الصورة الشعرية، هنا، هي في خلع المَعْذِرة لِعِذارِها!

(2) تَمَحَّلَتْ: يَبِسَت وجفّت؛ ويقصد النفس المُكنّى عنها بـ المَعْذِرة خالعة العِذار.

(3) مُنْتَجِعٌ: قاصِد.

عَـفْـوُكَ أَغْـلَى سَيِّـدِي مِـنْ عَـمَـلِي   بِـجُـودِكَ الـلـهُـمَّ بَـسْـطُ الأَمَـلِ
يَـا حَـيُّ يَـا قَـيُّـومُ أيـنَ مَـوْئِلِي   إِنْ سَـيِّـدِي أَخْـرَمَـنِـي حِـبَـاهُ

بِـــــحَـــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

تَـقَـاعَـدَتْ فـي سَـكْـرَةِ الـمُـبَـاعَـدَهْ   وَشِـرَّةِ الـسَّـهْـوِ حَـيَـاتِـي الـنَّـافِـدَهْ
حَـتـى إذا مـا أيْـقَـظَـتْـنِـي الـوَارِدَهْ   تُـبْـتُ إِلَـيْـهِ طَـالِـبـاً رِضَـاهُ

بِـــــحَـــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

حَـاشَـاهُ أَنْ يَـطْـرُدَنِـي عَـنِ الـحِـمَـى   مُـنْـقَـطِـعـاً لِـبَـابِـهِ مُـلْـتَـزِمَـا
إِنْ كُـنـتُ قَـدْ أَجْـرَمْـتُ فِـيـمَـنْ أَجْـرَمَـا   فَـفِـي اعْـتِـرَافِـي سَـلَـفٌ أَوْفَـاهُ[1]

بِـــــحَـــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

فَـقْـرِي وَذُلِّي وَغِـنَـاهُ عَـنِّـي   وَعِـزُّهُ مِـنْ مُـوجِـبَـاتِ الـمَـنِّ
مَـنْ يَـقْـتَـرِبْ مِـنَ الـكَـرِيـمِ الـمُـغْـنِـي   تَـنَـاوَلَـتْـهُ بِـالْـمُـنَـى يَـدَاهُ

بِـــــحَـــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَبْـوَابُـهُ مَـفْـتُـوحَـةٌ بِـالْـكَـرَمِ   أَسْـبَـابُـهُ مَـمْـدُودَةٌ بِـالـنِّـعَـمِ
أَلْـطَـافُـهُ سَـارِيَـةٌ بِـالْـحِـكَـمِ   أَسْـأَلُهُ الـلُّـطْـفَ بِـمَـا أَجْـرَاهُ

بِـــــحَـــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

إِنْ أَنْـجُ لـم أَنْـجُ عَـلَى اسْـتِـيـجَـابِ   لا تُـقْـتَـضَـى الـنَّـجَـاةُ بِـالأَسْـبَـابِ
لَـكِـنَّـهَـا بِـمِـنَّـةِ الـوَهَّـابِ   هَـبْ لِي الـنَّـجَـا وَالـفَـوْزَ يَـا رَبَّـاهُ

بِـــــحَـــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) يغترف التصوير الشعري في هذا البيت من التراث الصوفي الذي اطلع عليه أبو مُسْلِم في أفضل نماذجه، وإن لم يتماهَ معه حد اعتباره مُتصوفاً خالصاً وصاحب سُلوك وطريقة، رغم استخدامه الكثيف للقاموس الصُوفي في أذكاره ومدائحه النبوية. فمع إقراره بجرمه في حق الباري، إلا أنه - في البيت أعلاه - لا يعتبر اعترافه وسيلة ناجعة لتخفيف عقوبة مرتقبة، بل يُحقر مزية الإعتراف ذاته، لأنه قرضٌ وسلفٌ وهَبَتُهُ إيّاه الذات الإلهية ليتخفف من جُرمه.

جَرَتْ مَقَادِيرُكَ بِاقْتِرَافِيَهْ   كَمَا جَرَتْ مَوْلايَ بِاعْتِرَافِيَهْ

أسْأَلُكَ الفَوْزَ وَثَبْتَ العَافِيَهْ   فِي مُدَّةِ العُمْرِ وَفِي عُقْبَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعْيَتْنِيَ الحِيلَةُ وَالمَذَاهِبُ   وَأَكْدَتِ الأَسْبَابُ وَالمَطَالِبُ

وَدَرَسَتْ آمَالِيَ النَّوَاصِبُ   إلّا مِنَ اللهِ وَقَصْدِي اللهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَنَاهِلُ الرَّجَا إِلَيهِ مُتْرَعَهْ   وَسُبُلُ السُّؤْلِ إِلَيهِ مُشْرَعَهْ

فِي يَدِهِ المَوَاهِبُ المُوَزَّعَهْ   وَمَوْقِفِي بِبَابِهِ يَرَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لِدَعْوَتِي بِمَوْضِعِ الإِجَابَةِ   لَصَرْخَتِي بِمَرْصَدِ الإِغَاثَةِ

يَسْمَعُ حَمْدِي وَصَدَى شِكَايَتِي   رَبٌّ تَدَارَكْ مَنْ تَرَى شَكْوَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

فِي لَهَفِي إِلَى الضَّمَانِ بِالعِدَهْ   لِي عَوَضٌ مِنْ كَفٍّ مَانِحِ الجِدَهْ

وَفِي عَطَايَاهُ إِلَى مَنْ أَوْجَدَهْ   مَنْدُوحَةٌ عَنْ كُلِّ مَنْ عَدَاهُ

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

إن حَجَبَتْنِي دُونَهُ أَعْمَالِي   لَمْ يَحْتَجِبْ عَنِّي بِكُلِّ حَالِ

يَطْلُبُنِي بِاللُّطْفِ وَالنَّوَالِ   وَأمَلِي المَزِيدُ مِنْ يَدَاهُ[1]

بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) يوحي الشطر في ظاهره بأن المقصود هو أمل في المزيد من عطاء يديه، لكن ذلك يستوجب جَرَّ «يَدَيْه»، وفي ذلك مخالَفة للرَّوِيِّ. والحقيقة أن الشاعرَ لم يذهب بعيداً، لأنه قصد الفعل: «يَدَاه» ويعني: أصابَ يده. ويَدِيَ فلانٌ يَدًى: أعطى وأسدى معروفاً. قال الأعشى: فَلَنْ أذكُرَ النُّعْمانَ إلّا بصَالحٍ | فإنَّ لهُ عندي يَدِيّاً وأنْعُما. وقد تهرَّب منها بعض شُرّاح أبي مُسْلم فكتبوا شطر البيت: وأمَلي المَزيدُ من نَدَاهُ.

أَفْضَلُ زَادٍ رَاحِلٍ إِلَيْهِ عَزْمُ إِرَادَةٍ لِمَا لَدَيْهِ
عَزِيمَةُ الرَّاجِي نَدَى يَدَيْهِ لا تَنْثَنِي بِالرَّدِّ عَنْ حِمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

لَيسَ لِدَعْوَةٍ عَلَيهِ حَقُّ لَكِنَّهُ رَحْمَتُهُ وَالرِّفْقُ
تَحَقَّقَ الوُسْعُ لَهَا وَالسَّبْقُ يَا وَاسِعَ الرَّحْمَةِ يَا اللهْ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

لا تُخْزِنِي يَا رَبِّ بِالغِوَايَهْ واغْمُرْ جَنَانِي رَبِّ بِالهِدَايَهْ
وَحُفَّنِي بِاللُّطْفِ وَالعِنَايَهْ في الدِّينِ وَالدُّنيَا كَمَا تَرْضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

عَجِزْتُ عَنْ تَتَبُّعِ المَرَاضِي وعُمْرِي يَجْرِي عَلَى أَوْفَاضِ(1)
وَمِنْ أَمَامِي وَقْفَةُ التَّقَاضِي وَعُدَّتِي الرَّجَاءُ في رُحْمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

أَحْيَيْتَنِي تَحْتَ ظِلالِ نِعْمَتِكْ وَالعَدْلُ يَقْضِي بِحُلُولِ نَقْمَتِكْ
وَإِنَّمَا أَرْجُو النَّجَا بِمِنَّتِكْ جُوداً وَفَضْلاً لُطْفُكَ اقْتَضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

آهاً لِنَفْسِي لم أَجِدْهَا شَاكِرَهْ لِنِعَمٍ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَهْ
إِلّا إذا أَوْزَعْتَهَا المُبَادَرَهْ وَشُكْرُكَ الحَقِيقُ لا أَقْوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

ضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ سَيِّدي بِمَا رَحُبَتِ الأَرْضُ وَنَفْسِي مَأْثَمَا
إِلَيكَ أَلْجَأْتُ اضْطِرَارِي مُسْلِمَا أَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ يَا اللهْ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

(1) من الفعل: وَفضَ؛ عَدَا وأسْرَعَ. يُقال: نعامَةٌ ميفاض، أي: مسرعة.

فَتُبْ عَلَيَّ تَوْبَةً عَمَّا غَبَرْ ... وَذرَّةٌ مِنْ زَلَلِي إحْدَى الكِبَرْ

وَأنتَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ بِالفِطَرْ ... تَعْلَمُ مِنْ سِرِّيَ مَا أخْفَاهُ

بِحَقٍّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

عَلِمْتَ مِنْ سِرِّيَ تَوْباً جَازِمَا ... عَنْ كُلِّ مَحْظُورٍ وَأوْباً لازِمَا

أوّاهُ لو كُنتُ لَبِيباً حَازِمَا ... لَزِمْتُ بَابَ الحَقِّ فِي رِضَاهُ

بِحَقٍّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

لَكِنَّنِي بِوَجْهِهِ أعُوذُ ... وَبِجَلالِ مَجْدِهِ ألُوذُ

مَسْألَتِي رِضَاهُ وَالتَّعْوِيذُ ... مِنْ سُخْطِهِ وَكُلِّ مَا اقْتَضَاهُ

بِحَقٍّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

إنِّي وَإنْ عَزَّتْنِيَ الوَسَائِلُ ... فَاللهُ لا تُبْرِمُهُ المَسَائِلُ

كَمْ عَاذَ بِاللهِ كَمِثْلِي سَائِلُ ... أكْرَمَهُ اللهُ بِمُبْتَغَاهُ

بِحَقٍّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

لم يَفْتَقِرْ في جُودِهِ إلى سَبَبْ ... يَمْنَعُ مَنْ شَاءَ وَمَنْ شَاءَ وَهَبْ

بِحِكْمَةِ التَّدْبِيرِ عَلَّقَ النَّسَبْ ... وَجُودُهُ لِلعَبْدِ مُنْتَمَاهُ

بِحَقٍّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

ذَرَّةَ خَيْرٍ مِنكَ لا أسْتَوْجِبُ ... بِمَحْضِ جُودِ اللهِ مَا أطَّلِبُ

أنتَ المُغِيثُ وَإليكَ المَرْغَبُ ... صِلْ رَغْبَتِي مِنكَ بِمَا تَرْضَاهُ

بِحَقٍّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

وَاخْتِمْ لِيَ اللهُمَّ بِالسَّعَادَةْ ... وَمُنَّ بِالحُسْنَى وَبِالزِّيَادَةْ

وانْظُرْ إليَّ نَظْرَةَ الإرَادَةْ ... تُدْخِلُنِي فِيمَنْ أحَبَّ اللهُ

بِحَقٍّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

بِجَاهِ نُورِ اللهِ مَولانَا الشَّفِيعْ ... مَنْ لم يُزَاحَمْ فِي مَقَامِهِ الرَّفِيعْ

مُحَمَّدٌ خَيرُ مُطَاعٍ وَمُطِيعْ ... مَنِ اسْتَمَدَّ النُّورَ مِنْ هُدَاهُ

بِحَقٍّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

مَـنِ اسْـتُـضِـيءَ الـنُّـورُ مِـنْ عِـرْفَـانِـهِ مَـنِ اسْـتُـفِـيضَ الـخَـيـرُ مِـنْ إحْـسَـانِـهِ
مَـنْ ثِـقـتِـي بـالـفَـوْزِ فـي ضَـمَـانِـهِ مَـنْ لا يَـضِـيـعُ مُـحْـتَـمِـي حِـمَـاهُ

بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

بِـجَـاهِـهِ وَجَـاهِ كُـلِّ الأنْـبِـيَـا وَجَـاهِ آلِهِ الـكِـرَامِ الأتْـقِـيَـا
وَصَـحْـبِـهِ وَالـشُّـهَـدَا وَالأوْلِيَـا والـعُـلَمَـا وَمَـنْ لَدَيـهِ جَـاهُ

بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

صَـلِّ عَـلَيـهِ وَعَـلَيْـهِـم أجْـمَـعِـيـنْ مُـسَـلِّمـاً عَـلَيـهِـمُ فـي كُـلِّ حِـيـنْ
أعْـدَادَ مَـعـلُومَـاتِ رَبِّ الـعـالَمِـيـنْ وَضِـعْـفَ أضْـعَـافِ الـذي أحْـصَـاهُ

بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

صَـلِّ عَـلَيـهِ الـصَّـلَوَاتِ الـكَـامِـلَةْ وسَـلِّمِ الـتَّـسْـلِيـمَ لا يُـقَـامُ لَهْ
مَـشْـفُـوعَـةً بِـالـبَـرَكَـاتِ الـهَـاطِـلَةْ بِـحَـسْـبِ مـا تَـرْضَـى وَمـا يَـرْضَـاهُ

بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

وارفَـعْ لَهُ فـي دَرَجَـاتِ الـزُّلْفَـى وَلَقِّـهِ الـحَـظَّ الـعَـظِـيـمَ الأوْفَـى
وَرَوِّهِ مِـنْ كَـأْسِـكَ الـمُـصَـفَّـى وَارْزُقْـهُ فِـي أُمَّـتِـهِ مُـنَـاهُ

بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

وَاجْـمَـعْـنِـيَ الـلهُـمَّ فـي جَـمَـاعَـتِـهْ جَـمْـعـاً عَـلَى سُـنَّـتِـهِ وَطَـاعَـتِـهْ
وَلَـقِّـنِـي فـي الـحَـشْـرِ مِـنْ شَـفَـاعَـتِـهْ مُـزْدَلِفـاً رِضَـاكَ مُـنْـتَـهَـاهُ

بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

وَاجْـعَـلْ نَـصِـيـبَ الـفَـوْزِ لِي وَوَالِدَيّ وَوَلَدِي وَكُـلِّ مَـنْ عَـزَّ عَـلَيّ
وَالـمُـؤْمِـنِـيـنَ كُـلِّهِـم مَـيْـتٍ وَحَـيّ وَكُـلِّ أهْـلِ الـذِّكْـرِ يَـا اللهُ

بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

وأيِّـدِ الإسْـلامَ بِـالـكَـرَامَـةْ وَالـمَـجْـدِ وَالـعِـزِّ وَالاسْـتِـقَـامَـةْ
وَارْفَـعْ عَـلَى أضْـدَادِهِ أعْـلامَـهْ وَنَـكِّـسِ الـشِّـرْكَ وَمَـنْ وَالاهُ

بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهْ

وَاكْسِرْ قُوَى أَعْدَائِهِ مُعَجِّلا   مُسْتَأْصِلًا شَأْفَتَهُم مُذَلِّلا
حَتَّى مَتَى الإِسْلامُ مِنْهُم مُبْتَلَى   نَصْرَكَ يَا غَوْثَاهُ يَا غَوْثَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

الباقيَات الصالحات

الصَّباحيّات

الباقية الأولى: (في التسبيح)

سُبْحَانَ ذِي الـلُّطْفِ بِسْمِ اللهِ بِاللهِ — كَمْ كُرْبَةٍ حَلَّهَا لُطْفٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الْمَنِّ لم أَرْفَعْ إِلَيهِ يَدِي — فقراً فَلَمْ يُغْنِنِي مَنٌّ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الفَتحِ لا يَنْفكُّ يُذْرِكُنِي — فِي كُلِّ مُنغَلِقٍ فَتْحٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي النَّصْرِ كَمْ ظُلْمٍ مُنِيتُ بِهِ — فَقَامَ بِالعَدْلِ لِي نَصْرٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الوَهْبِ وَهَّابٌ بلا سَبَبٍ — فِي السِّرِّ وَالجَهْرِ لِي وَهْبٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ تَغْشَانِي فَوَاضِلُهُ — مِنْ أَوْجُهٍ كُلُّهَا فَضْلٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي البِرِّ وَالإِحْسَانُ مُتَّصِلٌ — على الخَصَائِصِ بي بِرٌّ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي البَسْطِ لم أَبْسُطْ إِلَيهِ يَدِي — إِلَّا انْبَسَطْتُ عَلَى بَسْطٍ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الفَيْضِ وَالآلاءِ ما نَضَبَتْ — مِيَاهُ وَفْرِي عَلَى فَيْضٍ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الطَّوْلِ كَمْ ضَرَّاءَ بَدَّلَها — نَعْمَاءَ قَبْلَ الدُّعَا طَوْلٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الجُودِ ما أَوْفَدْتُ لي أَمَلًا — أَلَّا تَخَوَّلَهُ جُودٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الوُسْعِ ما ضَاقَتْ بِنا سُبُلٌ — إِلَّا وَوَسَّعَهَا وُسْعٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي العِزِّ لا أَخْشَى بِعِزَّتِهِ — ذُلًّا وَيَشْمَلُنِي عِزٌّ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الجَدِّ مُعْطِي الجَدِّ ما اسْتَنَدَتْ — نَفْسِي فَخَابَتْ إِلى جَدٍّ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي المَجْدِ مَنْ تَعْنُو الوُجُوهُ لَهُ — أَشْكُو هَوَانِي لِعِزِّ المَجْدِ للهِ

سُبْحَانَ ذِي المُلْكِ يُؤْتِيهِ وَيَنْزِعُهُ ... مَا يَمْلِكُ الخَلْقُ تَمْلِيكٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الحَوْلِ كم ضَيْمٍ تَنَاوَبَنِي ... فَحَالَ إذ مَدَّنِي حَوْلٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي اليُسْرِ كم عُسْرٍ تَكَنَّفَنِي ... فَحَلَّ عُقْدَتَهُ يُسْرٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الرَّوْحِ لم أَقْنَطْ لِنَازِلَةٍ ... لِكُلِّ نَازِلَةٍ رَوْحٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي النُّورِ ما أَضْلَلْتُ حِكْمَتَهُ ... مَا ضَلَّ عَقْلٌ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي العِلْمِ يُعْطِيهِ وَيَسْلُبُهُ ... فَكُلُّ عِلْمٍ إلى عِلْمٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الشَّأْنِ لم تَقْصِدْهُ مَسْكَنَتِي ... فما اسْتَقَلَّتْ على شَأْنٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي القِسْطِ ما في المُلْكِ مَظْلَمَةٌ ... تَجْرِي القَضَايَا على قِسْطٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي العَدْلِ ما قَدَّمْتُ مَظْلَمَتِي ... إلّا تَنَاوَلَهَا عَدْلٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الحِلْمِ كم أَعْصِي فَيَغْفِرُ لي ... فإنْ أُعَذْ بَاءَ لِي حِلْمٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي العَفْوِ كم أَهْفُو فَيُوسِعُنِي ... صَفْحاً وَيَشْمَلُنِي عَفْوٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي القَهْرِ ما قَهْرِي بِمُنْفَصِمٍ ... حَيْثُ اعْتَمَدْتُ عَلَى قَهْرٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي البَطْشِ كم أَرْدَى عِدَايَ وَمَا ... يَقُومُ شَيْءٌ عَلَى بَطْشٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الأَمْرِ أَمْرٌ لا مَرَدَّ لَهُ ... وَلا مَحَالَةَ عَنْ أَمْرٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الحُكْمِ لا مَيْلٌ وَلا شَطَطٌ ... وَلا مُعَقِّبَ فِي حُكْمٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الخَيرِ ما اسْتَرْفَدْتُهُ[1] حَرَجاً ... إلّا وَعَاجَلَنِي خَيرٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي القُدْسِ عَنْ آفَاتِ فِطْرَتِنا ... لِي ذِكْرُ تَقْدِيسِهِ قُدْسٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الحَمْدِ في ذَاتٍ وَفِي صِفَةٍ ... حَمْداً يَقُومُ بِهِ حَمْدٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الرَّحْمَةِ العُظْمَى التي وَسِعَتْ ... يَا رَاحِمُ ارْحَمْ مُرَجِّي رَحْمَةِ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي المِنَّةِ الكُبْرَى التي شَمِلَتْ ... بِمِنَّةِ اللهِ أَرْجُو مِنَّةَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي النِّعْمَةِ المُحْصِي مَطَالِبَنا ... وَلَيسَ تُحْصَى بِعَدٍّ نِعْمَةُ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي العِزَّةِ البَاقِي القَدِيمِ بِلا ... بَدْءٍ وَلا لانْتِهَاءٍ عِزَّةُ اللهِ

---

(١) استرفدْتُه: طلبت عطاءه.

سُبْحَانَ ذِي الْقُدْرَةِ الأَعْلَى فلا أَحَدٌ   بِـفَـائِتٍ قُـدْرُهُ عَـنْ قُـدْرَةِ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي السَّطْوَةِ الغَلّابِ كم قَصَمَتْ   مَنْ شَاءَ قَصْمِيَ وَحْياً سَطْوَةُ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي القُوَّةِ الحَقِّ المَتِينِ فلَنْ   أُسَامَ ضَيْماً وَرُكْنِي قوةُ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي السُّبحُاتِ الطَّاهِرَاتِ وما   عَسَاهُ يَبْلُغُ نَعْتِي سُبْحَةَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الكِبْرِ في ذَاتٍ وَفي صِفَةٍ   الله أكْبَرُ، كُلُّ الكِبْرِ للهِ
سُبْحَانَ ذِي الحُرْمَةِ الحَامِي لحُرْمَتِهِ   لم تَنْأَ عَنْ ذِي انْتِهَاكٍ غَيْرَةُ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي النَّقْمَةِ المَخْشِيِّ صَوْلَتُها   حُلِّي بِسُوحِ عِدَائِي نَقْمَةَ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَ العَرْشُ العَظِيمُ لَهُ   وما أحَاطَ بِهِ مِنْ صَنْعَةِ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ حَمَدَتْهُ كُلُّ حَادِثَةٍ   وَحَمْدُهَا دُونَ حَقِّ الحَمْدِ للهِ
سُبْحَانَ ذِي الوَحْدَةِ الحَقِّ الأُلُوهَةِ لا   إلَهَ بِالحَقِّ غَيْرُ الوَاحِدِ اللهِ
سُبْحَانَ مُبْدِىءِ الاشْيَاءِ المُعِيدِ لِما   أفْنَى وَما أَسْرَعَ التَّكْوِينَ للهِ
سُبْحَانَ مَنْ سَاسَنا فَضْلًا بِحِكْمَتِهِ   وَالخَيْرُ ما تَقْتَضِيهِ حِكْمَةُ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ تُصْلِحُ الأشياءَ خِيرَتُهُ   أَسْعِدْ بِمَنْ دَبَّرَتْهُ خِيرَةُ اللهِ
سُبْحَانَ مُبْدِعِ إبْدَاعِ العَجَائِبِ يَا   عَجَائِبَ اللهِ سُوقِي نَفْحَةَ اللهِ
سُبْحَانَ مُسْتَوْدَعِ المَأْلُوهِ[1] رَأْفَتُهُ   تَعَهَّدَتْ كُلَّ طَورٍ رَأْفَةُ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ فرَّجَتْ هَمِّي لَطَائِفُهُ   كَمْ زَحْزَحَ الضِّيقَ تَفْرِيجٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ كَشَفَتْ غَمِّي إغَاثَتُهُ   وَعَادَةُ اللهِ عِنْدِي عَادَةُ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ جَبَرَتْ كَسْرِي مَعُونَتُهُ   ما انْفَكَّ عَنْ حَالَتِي عَوْنٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ عَوَّدَتْ فَقْرِي عَوَارِفُهُ   أنْ تَسْتَهِلَّ بِإغْنَائي يَدُ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ وَسِعَتْ سُؤْلِي خَزَائِنُهُ   ما شَأْنُ سُؤْلِ امْرِئٍ فِي أَنْعُمِ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ عِصْمَتِي فيما يُقَدِّرُهُ   بِهِ وَأَمْنَعُ شَيءٍ عِصْمَةُ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ النَّجْوَى فَيَرْفَعُها   ما فَاتَ سِرٌّ وَجَهْرٌ حِيطَةَ اللهِ

---

(١) المَأْلُوه: العبد.

سُبْحَانَ مَنْ يَسْمَعُ الشَّكْوَى فَيَرْحَمُها ... قَدْ قَارَنَتْ كُلَّ ضَيْرٍ عَطْفَةُ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ يُبْصِرُ البَلْوَى فَيَكْشِفَها ... وَحْياً، وَمَنْ يَكْشِفُ البَلْوَى سِوَى اللهِ؟

سُبْحَانَ مَنْ يَقْبَلُ الدَّعْوَى فَيُكْرِمُها ... تَطَوُّلًا لَيسَ مِنْ حَقٍّ عَلَى اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ نَظْرَةٌ مِنْ عِنْدِهِ نَظَرِي ... سَعِدْتُ إنْ أَسْعَدَتْنِي نَظْرَةُ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ لُطْفُهُ أَوْحَى إلى كُرَبي ... لَطَائِفُ اللهِ تَجْلُو شِدَّةَ اللهِ

سُبْحَانَ سُبْحَانَ لا أُحْصِي الثَّنَاءَ لَهُ ... حَقُّ الثَّنَاءِ ثَنَاءُ اللهِ للهِ

سُبْحَانَ سُبْحَانَ أَدْرِكْنِي وَصَلِّ على ... مُحَمَّدٍ غَوْثِنا مَعْ صَفْوَةِ اللهِ

الباقية الثانية: (في التحميد)

الحَمْدُ للهِ حَقُّ الحَمْدِ للهِ ... بِمَا بِهِ قَامَ حَقُّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ إطْلاقاً بلا أَمَدٍ ... قَبلَ الوُجُودِ وُجُوبُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَهْلُ الحَمْدِ في أَزَلٍ ... قَبلَ الإضَافاتِ مِنا الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ لا حَصْرٌ ولا عَددٌ ... ولا حُدُودَ لِعُظْمِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ لا عَدْلٌ ولا مِثْلٌ ... ولا نَظِيرٌ لِقَدْرِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ لا بَدْءٌ ولا أَجَلٌ ... ولا فَنَاءٌ لِبَاقي الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الرَّضِيِّ لَهُ ... وفَوقَ ما يَرْتَضِيهِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي عَجِزَتْ ... عَنْهُ القُوَى في مَقامِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المُنيرِ عَلَى ... أَسْمَائِهِ قَائِماً بالحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي وُصِفَتْ ... صِفَاتُهُ مِنْ نُعُوتِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المَصُونِ لَدَى ... خَزَائِنِ الوَحْيِ بَحْرِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الأَخَصِّ بِه ... مُسْتَغْرِقاً لِكَمَالِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المَلِيِّ بِهِ ... يَفْنَى الوُجُودُ ويَبْقَى الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي هَدَرَ الـ ... ـعَرْشُ العَظِيمُ به في الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المُلِظِّ بِهِ الـ   ـكُرسِيُّ في سُبُحَاتِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي زَجَلَتْ   بِهِ المَلائِكُ أهْلُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْدَ الأنْبِيَاءِ لَهُ   على مَقامَاتِها في الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المُحِيطِ بِهِ   مُحَمَّدُ المُتَلَقِّي الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي خُزِنَتْ   أسْرَارُهُ في مُحِيطِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْدَ المُخْلِصِينَ لَهُ   حَمْداً يُكَافِىءُ فَضْلَ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً طَيِّباً جَلَلاً   مُبَارَكاً فِيهِ أسْنَى الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً زَاكِياً قُدُساً   مُسْتَوْفِياً طَيِّبَاتِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائِقاً بِجَلا   لِ اللهِ مُسْتَوعِباً لِلحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً يَسْتَمِرُّ بِلا   طَرْفٍ شَمُولاً لِجِنْسِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مَقْرُوناً بِنِعْمَتِهِ   حَمْداً يُطَابِقُ شَأنَ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مَوْصُولاً تَتِمُّ بِهِ   مَرَاتِبُ الشُّكْرِ لِي والحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي لا وُقُوفَ لَهُ   دُونَ الرِّضَا وتَمَامِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَزِيدُ بِهِ   مِنْ نِعْمَةِ اللهِ حُسْنَ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَفِيضُ بِهِ   مِنْ فَيْضِهِ فَيْضَ وَهْبِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَمِدُّ بِهِ   مِدَادَ أسْرَارِ سِرِّ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَرِدُّ بِهِ   فَوَائِتَ الخَيرِ حَيثُ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَهِلُّ بِهِ   لَطَائِفَ اللهِ لِي في الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَدِرُّ بِهِ   يَدَيْهِ مِنْ بَرَكَاتِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَغِيثُ بِهِ   أوْحَى الإغَاثَاتِ غَوْثُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَفِزُّ بِهِ   كَرْبِي ولا كَرْبَ عِنْدَ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَعِينُ بِهِ   وأعْظَمُ العَونِ عَوْنُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَعِيذُ بِهِ   إن المَعَاذَ مَعَاذُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَجِيرُ بِهِ   مِنْ كُلِّ سُوءٍ يُجِيرُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أستَقِيلُ بِهِ ... كُلَّ الخَطَايَا وتَرْكَ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أستَجِيزُ بِهِ ... حَسْبِي جَوَائِزُهُ بالحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أستَكْفِي البَلاءَ بِهِ ... يُكْفَى البَلاءُ بِفَضْلِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أستَعْطِي الجَزَاءَ بِهِ ... في مَقْعَدِ الصِّدْقِ مَجْلَى الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَسْتَوْفِي التُّقَاةَ بِهِ ... أوْقَى التُّقَاةِ وَفَاءُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَسْتَوْقِي الوَعِيدَ بِهِ ... لم يَشْقَ مُسْتَسْعِدٌ بالحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أحْيَانِي وعَلَّمَنِي ... وسَاسَنِي وهَدَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أغْنَانِي وآثَرَنِي ... وقَامَ بِي ورَعَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ عَافَانِي وأكْرَمَنِي ... وخَصَّنِي وحَبَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أعْطَانِي وخَوَّلَنِي ... وسَدَّ أبْوابَ فَقْرِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ زَكَّانِي وسَدَّدَنِي ... وحَاطَنِي وكَفَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أوْلانِي وأتْحَفَنِي ... في السِّرِّ والجَهْرِ نُعْمَى الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ آوَانِي وأيَّدَنِي ... بِنَصْرِهِ وحَمَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ رَبَّانِي وبَوَّأَنِي ... مُبَوَّءاً مِنْ لَدُنْهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ نَجَّانِي وأنْقَذَنِي ... بِنُورِهِ مِنْ ضَلالِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَلَّانِي ومَيَّزَنِي ... بالعَقْلِ والعِلْمِ مِنْهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالإحْسَانِ ألْهَمَنِي ... رُشْدِي وَعَرَّفَنِيهِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أدْنَانِي وَأحْسَنَ بِي ... ولَمَّ شَعْثِي وأمْرِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ بالحِلْمِ سَتَّرَنِي ... في مُوبِقَاتِ المَعَاصِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ خَطْبٍ أنُوءُ بِهِ ... مما قَضَاهُ كَفَاهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ نَعْمَاءَ أسْبَغَها ... ولَمْ أقُمْ بِحُقُوقِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ سَرَّاءَ جَدَّدَها ... لُطْفاً ومَنّاً عَلَيَّ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ ضَرَّاءَ بَعَّدها ... بِحَوْلِهِ لا بِحَوْلِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ أعْدَاءَ مَزَّقَهم ... بِكَيْدِهِ لا بِكَيْدِي الحَمْدُ للهِ

الـحَـمْـدُ للهِ تَـمْـجِـيـداً لِعِـزَّتِـهِ وَجَـهْـدَ عَـبْـدٍ يَـبُـثُّ الـحَـمْـدَ للهِ
الحَمْدُ للهِ ذي الحَمْدِ الحَمِيدِ وما عَـسَـاهُ أبْـلُغُـهُ فـي الـحَـمْـدِ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ أنْـعِـشْـنِـي وَصَـلِّ عـلـى مُـحَـمَّـدٍ مَـعَ أهْـلِ الـحَـمْـدِ للهِ

الباقية الثالثة: (في التهليل)

إلَهِـيَ الـحَـقُّ لـم أشْـهَـدْ سِـوَى اللهِ وَلا إلَهَ عَـلَـى حَـقٍّ سِـوَى اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ وَحْـدَانِـيَّـةٌ سَـبَـقَـتْ أُلُوهَـةٌ وَجَـبَـتْ لِلْوَاحِـدِ اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ لَيسَ الأمْـرُ مُـشْـتَـرَكـاً بَـلْ أنْـتَ أنْـتَ، وَجَـلَّتْ وَحْـدَةُ اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ لا نِـدٌّ وَلا ضُـدُدٌ وَلا نَـظِـيـرَ وَلا أَمْـثَـالَ للهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ لا بَـدْءٌ وَلا أَمَـدٌ الـبَـدْءُ وَالإنْـتِـهَـا صُـنْـعَـانِ للهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ ذاتٌ غَـايَـرَتْ عَـرَضـاً وَجَـوْهَـراً وَالـكَـمَـالُ الـمَـحْـضُ للهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ مُـلْـكٌ لا شَـرِيـكَ بِـهِ حَـالَ الـشَّـرِيـكُ وَحَـقَّ الـمُـلْـكُ للهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ أمْـرٌ لا تُـنَـازِعُـهُ الأمْـرُ للهِ وَالـتَّـدْبِـيـرُ للهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ حُـكْـمٌ لا مَـرَدَّ لَهُ الـحُـكْـمُ للهِ وَالـتَّـصْـرِيـفُ للهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ عِـزٌّ قَـاهِـرٌ أبَـداً وَقُـدْرَةٌ ظَـهَـرَتْ فـي صَـنْـعَـةِ اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ مَـجْـدٌ لا حُـسُـورَ لَهُ مَـجْـدُ الألُوهَـةِ وَالـسُّـلْطَـانُ للهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ عِـلْـمٌ لا حُـدُوثَ لَهُ الـشَّـيءُ فـي عَـدَمٍ وَالـعِـلْـمُ للهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ إيـجَـادٌ بِـلا سَـبَـبٍ وَحِـكْـمَـةٌ حَـجَـبَـتْـهَـا حَـيْـطَـةُ اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ قَـيُّـومِـيَّـةٌ كَـنَـفَـتْ خَـلِـيـقَـةً قَـهَـرَتْـهـا قَـبْـضَـةُ اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ حَـوْلٌ مَـالَـهُ حِـوَلٌ وَقُـوَّةٌ لا تُـسَـامَـى قُـوَّةُ اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ مـا قَـهْـرٌ بِـمُـعْـتَـرِضٍ وَلا مُـحَـالٌ بِـمَـرْهُـونٍ مِـنَ اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ مـا أمْـرٌ بِـمُـلْـتَـبِـسٍ عـلى الـحَـقِـيـقَـةِ آيَـاتٌ مِـنَ اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقُّ ذا الـشَّـأنِ الـعَـظِـيـمِ شُـؤُو نُ الـحَـقِّ دَانَـتْ لِوَحْـدَانِـيَّـةِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ شَأْنٌ لا حُدُودَ لَهُ   شَأْنُ الجَلالِ وَشَأْنُ الكِبْرِ لله
إِلَهِيَ الحَقُّ فَرْدَانِيَّةٌ وَلِهَتْ   ذُلًّا وَفَقْراً إِلَيْهَا فِطْرَةُ الله
إِلَهِيَ الحَقُّ ذَرَّاتُ الوُجُودِ بِهَا   شَوَاهِدُ الصُّنْعِ وَالتَّكْوِينُ لله
إِلَهِيَ الحَقُّ بِالآثَارِ مُبْصِرَةٌ   مِنَ اليَقِينِ على التَّأْثِيرِ لله
إِلَهِيَ الحَقُّ أَقْدَارٌ وَأَقْضِيَةٌ   مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ مِنْ حِكْمَةِ الله
إِلَهِيَ الحَقُّ ذا الإِبْدَاعُ مُنْتَظِمٌ   على كَمَالاتِهِ مِنْ وَحْدَةِ الله
إِلَهِيَ الحَقُّ لو شُورِكْتَ لاخْتَلَفَتْ   تِلْكَ الإِرَادَاتُ بَيْنَ الشِّرْكِ بالله
إِلَهِيَ الحَقُّ سُلْطَانٌ بِلا غَرَضٍ   يَقْضِي عَلَيْهِ وَجَلَّت حُجَّةُ الله
إِلَهِيَ الحَقُّ مَتْرُوكُ الإِرَادَةِ وَالـ   ـمُخْتَارُ إِيجَادُهُ حُكْمَانِ لله
إِلَهِيَ الحَقُّ تَقْضِي ما تَشَاءُ وَلا   يُقْضَى بِشَيءٍ مِنَ الأَشْيَا عَلَى الله
إِلَهِيَ الحَقُّ ما أَوْجَدْتَ مِنْ حَدَثٍ   إِلّا عَلَيْهِ سِمَاتُ الذُّلِّ لله
إِلَهِيَ الحَقُّ حَالَ الأَيْنُ مِثْلُ مَتَى   وَالكَيْفُ وَالكَمُّ عَنْ وَصْفِيَّةِ الله[1]
إِلَهِيَ الحَقُّ فَرْدٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ   في الذاتِ وَالفِعْلِ وَالأَوصَافِ لله
إِلَهِيَ الحَقُّ حَيٌّ أَوَّلٌ صَمَدٌ   كَذَاكَ كُنْتَ وَلا أَزْمَانَ لله
إِلَهِيَ الحَقُّ لم تُولَدْ وَلم تَلِدِ الـ   أَشْيَاءُ خَلْقٌ وَلا أَكْفَاءَ لله
إِلَهِيَ الحَقُّ قَيُّومٌ بِمَا خَلَقَتْ   يَدَاكَ حِفْظاً وَتَدْبِيراً مِنَ الله
إِلَهِيَ الحَقُّ لا نَوْمٌ وَلا سِنَةٌ   إِنَّ النَّقَائِصَ لا تُفْضِي عَلَى الله
إِلَهِيَ الحَقُّ لامُ المِلْكِ[2] جَامِعَةٌ   ما غَادَرَتْ ثِقْلَ ذَرٍّ لَيسَ لله
إِلَهِيَ الحَقُّ أَهْلُ الكِبْرِيَاءِ فَمَنْ   هُوَ الشَّفِيعُ بِلا إِذْنٍ مِنَ الله

---

(1) حَالَ: ترد، هنا، بمعنى حَجَز ومَنَعَ - الأين: المكان، المتى: الزمان، الكيف: حَالُ الشيء وصِفَتُه، الكَمّ: في البيت رُوحٌ فلسفيّ؛ فكُلٌّ من: الأين، المَتى، الكَيْف والكَمّ - وهي من أدوات المعرفة - أعْجَزُ عن الإحاطة بِوَصْفِ الخالق المُكوِّن.

(2) لامُ المِلْك: سُمِّيت لام المِلك؛ لأنك إذا قلتَ هذا لزيد عُلِمَ أنهُ مِلْكُه، تمييزاً لها عن لام القَسَم ولام الإضافة وغيرهنّ من اللامات.

إِلَهِيَ الحَقُّ ذا العِلْمِ المُحِيطِ وَعَنْ … مَشِيئَةٍ ما عَلِمْنَاهُ مِنَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ مَنْ كُرْسِيُّهُ وَسِعَ الـ … ـسَّمَاءَ وَالأَرْضَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ لا تَحْوِي عُلُوَّكَ أَوْ … هَامٌ وَلا العِظَمُ المَنْسُوبُ للهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ مُلْكٌ ما لَهُ وَزَرٌ … مَنْ مَالِكُ المُلْكِ إِلّا رَحْمَةُ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ تُؤْتِيهِ وَتَنْزَعُهُ … وَالعِزُّ وَالذُّلُّ فِي المَخْلُوقِ للهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ إِيلاجُ النَّهَارِ بِلَيْـ … ـلٍ، مَنْ إِلَهٌ بِهِ يَأْتِي سِوَى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ إِخْرَاجُ الحَيَاةِ مِنَ الـ … ـمَمَاتِ وَالعَكْسُ هَلْ إِلّا إِلَى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ أَرْزَاقٌ بِغَيْرِ حِسَا … بٍ، مَنْ إِلَهٌ يُوَفِّيهَا سِوَى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ آجَالٌ مُقَدَّرَةٌ … هَلِ المَقَادِيرُ إِلّا فِي يَدِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ تَقْدِيرٌ وَتَقْدِمَةٌ … تَجْرِي بِحُكْمِ خَفَايَا حِكْمَةِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ أَسْبَابٌ مُسَبَّبَةٌ … بِلا ازْدِيَادٍ وَلا نَقْصٍ مِنَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ حَاطَتْ مِنكَ هَيْمَنَةٌ … فَالسِّرُّ وَالغَيْبُ كَالإِعْلانِ للهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ مِنِّي الرُّوحُ قَائِمَةٌ … وَالسِّرُّ وَالقَلْبُ بِالتَّوْحِيدِ للهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ إِيمَانِي وَمَعْرِفَتِي … فِي عَالَمِ الذِّكْرِ إِكْرَامٌ مِنَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ أَخْلِصْنِي مُخَالَصَةً … بِاللهِ فِي اللهِ عِنْدَ اللهِ للهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ نَوِّرْنِي بِمَعْرِفَةٍ … وَهَبْ لِيَ القُرْبَ بِالعِرْفَانِ للهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ أَخْلِصْنِي بِاسْمِكَ مِنْ … اسْمِي وَخُذْ بِي إِلَى الإِخْلاصِ للهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ لِي نَفْسٌ عَلِمْتَ بِهَا … أَشْكُو جِبِلَّتَهَا السُّوءَى إِلَى اللهِ(١)

إِلَهِيَ الحَقُّ تَدْعُوهَا لِتُصْلِحَهَا … فَتَنْزَوِي لِلْهَوَى عَنْ طَاعَةِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ صَدَّتْهَا عَلائِقُهَا … وَأَقْعَدَتْهَا طَوَايَاهَا عَنِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ مَحِّضْهَا مُقَدَّسَةً … مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ تُقْصِي عَنِ اللهِ

---

(١) السُّوءَى: نقيض الحسنى، قال أبو الغول النَّهْشَلِيُّ: «ولا يَجْزُوْنَ من حَسَنٍ بسُوءَى | ولا يَجْزُوْنَ من غِلَظٍ بِلِينِ».

إِلَهِيَ الحَقُّ لو جَدَّتْ وَلو هَزُلَتْ ... بِغيرِ حَوْلِكَ لم تَبلُغْ إلى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ عَزَّتْنِي سِيَاسَتُها ... إلّا إذا وَفَّقَتْنِي نَظْرَةُ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ لي ذَنْبٌ تَعَاظَمَنِي ... وَلَيس يَعْظُمُ مِنْ شَيءٍ عَلَى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ وَيْلي حيثُ تَقْذِفُنِي ... في هُوَّةِ المَقْتِ مَطْرُوداً عَنِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ أَدْرِكْنِي بِمَغْفِرَةٍ ... وَرَحْمَةٍ وَأَدِمْ لِي عِصْمَةَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقُّ أَسْعِدْنِي وَصَلِّ على ... مُحَمَّدٍ مَدَدِي مَعْ خِيرَةِ اللهِ

الباقية الرابعة: (في التكبير)

اللهُ أَكْبَرُ حَقَّ الكِبْرُ للهِ ... وَالقَهْرُ وَالجَبَرِيَا وَالعِزُّ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ ذو القَدْرِ العَلِيِّ رَفِيـ ... ـعِ المَجْدِ لا مَجْدَ إلّا وَهُوَ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ أَهْلُ الكِبْرِيَاءِ عَظِيـ ... ـمُ المُلْكِ حَقِّيَّةُ الإِكْبَارِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ ذو العَرْشِ المَجِيدِ مَنِيـ ... ـعُ العِزِّ لا عِزَّ إلّا وَهُوَ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ ذو البَطْشِ الشَّدِيدِ عَزِيـ ... ـزٌ ذو انتِقامٍ مِنَ العَاصِينَ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ رَبٌّ لا شَرِيكَ لَهُ ... وَلا ظَهِيرَ وَلا أَشْبَاهَ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَدْلٌ قَائِمٌ مَلِكٌ ... حَقٌّ كَمَا يَجِبُ التَّكْبِيرُ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ حَقاً ذو الجَلالِ وَذو الـ ... إِكْرَامِ تَكْبِيرُ ذَاتِ اللهِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَكْبِيراً لِعِزَّتِهِ ... كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى اللهُ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَكْبِيراً بِمَا جَمَعَتْ ... صِفَاتُهُ مِنْ سِمَاتِ الكِبْرِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَكْبِيراً بِمَا سَفَرَتْ ... أَسْمَاؤُهُ مِنْ عَظِيمِ القَدْرِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَكْبِيراً بِمَا نَطَقَتْ ... أَفْعَالُهُ مِنْ كَمَالِ الكِبْرِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ إِيمَاناً بِوَحْدَتِهِ ... في الذَّاتِ وَالنِّسَبُ العُلْيَا إِلَى اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ إِعْظَاماً لِرُتْبَتِهِ ... تَعَاظَمَتْ كُلَّ شَيءٍ رُتْبَةُ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ تَكْبِيرِ صَنْعَتِهِ ... فَوْقَ العِبَارَاتِ كِبْراً عِزَّةُ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ إِطْرَاءِ مِدْحَتِنَا أَصْغِرْ بِإِطْرَائِنَا فِي جَانِبِ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ وَهْمٍ وَعَنْ فِكَرٍ حَسْبُ النُّهَى دَرْكُ أَنْ لا دَرْكَ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ عِلْمٍ يُحِيطُ بِهِ العِلْمُ بِالكُنْهِ مِمَّا اخْتَصَّ بِاللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ كُنْهٍ يَحِلُّ وَعَنْ حُلُولِ أَغْيَارِ عَينِ الذَّاتِ بِاللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ فَقرٍ إلى صِفَةٍ سِوَاهُ في السَّلْبِ وَالإِيجَابِ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ كَيفٍ وَهَلْ وَلِمَا تَقَدَّسَ اللهُ لا تَعْلِيلَ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ حَدٍّ وَعَنْ جِهَةٍ وَعَنْ مُقَابَلَةِ الأَشْيَاءِ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ نَقصٍ يُؤَثِّرُهُ دَرْكُ العُيُونِ وَدَرْكُ العَقْلِ في اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ عِلْمٍ يُجَزِّئُهُ تَغَايُرُ الحَدَثِ المَصْنُوعِ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ عِلْمٍ عَلَى حَدَثٍ تَرْكُ الإِرَادَةِ عَنْ عِلْمٍ مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ جَهْلٍ بِذِي عَدَمٍ وَمُسْتَحِيلٍ تَعَالَتْ غَيْرَةُ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ حَالٍ وَعَنْ غِيَرٍ إِنَّ البِلَى عَرَضٌ في مُحْدَثِ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ خُلْفِ الوَعِيدِ وَعَنْ تَبَدُّلِ القَوْلِ في وَعْدٍ مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ شُغْلٍ يُضَايِقُهُ بِشَأْنٍ آخَرَ عَنْ شَأْنٍ مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ أَمْرٍ يُعَارِضُهُ أَمْرٌ يَدُ الغُلْبِ وَالتَّنْفِيذِ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ فَوْتٍ لِثِقْلٍ هَبَا ءٍ عَزَّ عَنْ حَصْرِ قَيُّومِيَّةِ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ وُلْدٍ[1] وَصَاحِبَةٍ وَوَالِدٍ وَعَنِ التَّقْسِيمِ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ إِيجَابِ مُوجِبَةٍ ذَاتُ الوُجُوبِ وُجُوبُ الذَّاتِ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَنْ فَصْلٍ وَعَنْ صِلَةٍ خَصَائِصُ الدَّرْكِ نَافَتْ عِزَّةَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ جَدّاً أَنْ يُمَانِعَهُ جَدٌّ فَمَا عَزَّ ذو جَدٍّ عَلَى اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ جَدّاً أَنْ يُقَيِّدَهُ فَقْرٌ لِشَيءٍ تَعَالَتْ غُنْيَةُ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ جَدّاً أَنْ يُغَالَبَ في سُلْطَانِهِ بِقَضَاءٍ لَيسَ للهِ

(١) وُلْد: وَلَد؛ في المثل: «وُلْدُكِ من دَمَّى عَقِبَيكِ»: أي مَنْ نُفِسْتِ به؛ فهو ابنُكِ.

اللهُ أكْبَرُ جِدّاً أنْ أذلَّ وَلي   مِنْ عِزِّ تَكْبِيرِهِ حِصْنٌ مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ مُلْكاً أنْ أَمُدَّ إلى   غِنَاهُ كَفِّي فَلا أَحْظَى مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ وَهْباً أنْ أُقِلَّ على   مَوَاهِبِ اللهِ وَالحُسْنَى مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ وُسْعاً أنْ يُضَايِقَنِي   سُوءٌ وَأَوْسَعُ شَيءٍ رَحْمَةُ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ جُوداً أنْ يُحَمِّلَنِي   فَقْراً إلى الخَلْقِ وَالإعْطَاءُ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ لُطفاً أنْ يُقَيِّدَنِي   سُوءُ الجُدُودِ وَآفَاتِي عَنْ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ قَهْراً أنْ تُعَبِّدَنِي   نَفسِي لِسُلْطَانِها عَنْ خِدْمَةِ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ حِفظاً أنْ يُغَادِرَنِي   مُسْتَرْسِلاً لِلهَوَى عَنْ خَشْيَةِ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ إحْسَاناً وَتَرْبِيَةً   مِنْ أنْ أُزَايِلَ طَوْراً صِبْغَةَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ بِرّاً أنْ أَقُومَ لَهُ   فَلا تُبَارِكُ إخْلاصِي يَدُ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ مَنّاً أنْ يَرَى وَلَهِي   فَأَنْثَنِي عَنْهُ مَطْرُوداً عَنِ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ حِلْماً أنْ يُؤَاخِذَنِي   بِمَا اقْتَرَفْتُ وَقَدْ أخْلَصْتُ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَفْواً أنْ يُعَذِّبَنِي   وَقَدْ تَنَصَّلْتُ مِنْ ذَنْبِي إلى اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ صَفْحاً أنْ أَخِرَّ لَهُ   مُسْتَصْغِراً فَأَرَى مَقْتاً مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ فَضْلاً أنْ يُبَاعِدَنِي   وَقَدْ تَدَانَيْتُ بِالتَّقْوَى مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ مَعْرُوفاً وَفَاضِلَةً   أنْ يُوحِشَ العَبْدَ بَعْدَ الأُنْسِ بِاللهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَكْرِيماً لِمُقْتَرِبٍ   تَقَرُّبُ العَبْدِ تَقْرِيبٌ مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ ما أَخْفَى عَوَاطِفَهُ   بِعَائِذٍ بَائِسٍ رَاجٍ مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ ما أَوْحَى إغَاثَتَهُ   لِلمُسْتَغِيثِ مِنَ الأَسْوَاءِ بِاللهِ

اللهُ أَكْبَرُ ما أَدْنَى لَطَائِفَهُ   مِنْ لاجِئٍ في بَلايَاهُ إلى اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ ما أَوْلَى مَرَاحِمَهُ   بِحَلِّ عُقْدَةِ مُضْطَرٍّ إلى اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ ما أَسْنَى جَوَائِزَهُ   لِمَادِحِ اللهِ لا يَرْجُو سِوَى اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ ما أَجْدَى عَوَارِفَهُ   لِبَاسِطِ القَوْلِ بِالتَّمْجِيدِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ ما أَوْفَى مَكَارِمَهُ   لِتَارِكِ الخَلْقِ مُعْطِي الحَقِّ للهِ

اللهُ أَكْـبَـرُ مـا أَحْـرَى عِـنـايَـتَـهُ لِمـنْ تَـمَـسَّـكَ فـي الأَطْـوَارِ بـالله

اللهُ أَكْـبَـرُ مـا أَعْـلَى أَيَـادِيَـهُ تَـبَـارَكَ اللهُ تَـمَّـتْ نِـعْـمَـةُ الله

اللهُ أَكْـبَـرُ أَصْلِحْـنِـي وَصَـلِّ عـلى مُـحَـمَّـدٍ وَأَجِـزْنِـي الـحُـبَّ بـالله

المَسائيَّـات

الباقية الأولى: (في التسبيح)

سُـبْـحَـانَ رَبِّـي رَبِّ الـعِـزَّةِ الله عَـنْ كُـلِّ مـا غـايَـرَتْـهُ رُتْـبَـةُ الله

سُبحَانَ رَبِّيَ الأعْلَى المَالِك المَلِكِ الـ ـقُـدُّوسِ أَعْـدَادَ مَـعْـلُومِـيَّـةِ الله

سُبحَانَ رَبِّي العَظِيمِ الوَاحِدِ الأَحَدِ الـ ـرَّبِّ الـجَـلِـيـلِ الـعَـلِيِّ الـقَـائِمِ الله

سُبحَانَ رَبِّي الحَلِيمِ الغَافِرِ الصَّمَدِ الـ ـمُحْيِي المُمِتِ القَوِيِّ القَادِرِ الله

سُبحَانَ رَبِّيَ غَفَّارِ الذُّنُوبِ وَسَتَّـ ـارِ الـغُـيُـوبِ الـرَّؤُوفِ الـرَّاحِـمِ الله

سُبحَانَ رَبِّي الكَرِيمِ البَاسِطِ النِّعَمِ الـ ـبَرِّ الـرَّحِـيـمِ الـكَـفِـيـلِ الـوَاجِـدِ الله

سُبحَانَ رَبِّي اللطِيفِ المُوْسِعِ المِنَنِ الـ ـكَافِي الحَفِيِّ المُقِيتِ المُحْسِنِ الله

سُبحَانَ رَبِّي البَدِيعِ المُتْقِنِ الفِطَرِ الـ ـحَيِّ الحَكِيمِ العَلِيمِ الوَاسِعِ الله

سُبحَانَ رَبِّي العَزِيزِ القَاهِرِ المُتَعَا لِي الغَالِبِ المُسْتَعَانِ النَّاصِرِ الله

سُبحَانَ رَبِّي المَجِيدِ المَاجِدِ المُتو لِّي المُسْتَجَارِ الوَلِيِّ المُقْسِطِ الله

سُبحَانَ رَبِّيَ قَيُّومِ الخَلائِقِ فَتَّـ ـاحِ المَضَائِقِ مُحْصِي الحَادِثِ الله

سُبحَانَ رَبِّي وَهَّابِ المَوَاهِبِ رَزَّ اقِ البَـرَايَـا بـلا حَـقٍّ عـلى الله

سُبحَانَ رَبِّيَ جَبَّارِ الكَسِيرِ رَحِيـ ـمِ البَائِسِينَ عَظِيمِ المِنَّةِ الله

سُبحَانَ رَبِّيَ رَحْمَنِ البَرِيَّةِ غَفَّـ ـارِ الخَطِيئَةِ رَبِّ النِّعْمَةِ الله

سُبحَانَ رَبِّي المُبِينِ النُّورِ عَالِمِ ما نُخْفِي وَنُعْلِنُ هَادِي الفِطْرَةِ الله

سُبحَانَ رَبِّي البَصِيرِ المُدْرِكِ الحَرَكا تِ وَالسُّكُونِ السَّمِيعِ الشَّاهِدِ الله

سُبحَانَ رَبِّيَ عَلَّامِ الغُيُوبِ رَقِيـ ـبِ الكَائِنَاتِ المُحِيطِ الفَاطِرِ الله

سُبحَانَ رَبِّيَ مُعْطِي الخَيْرِ فَاتِحِهِ لا أَعْرِفُ الخَيرَ إلّا مِنْ يَدِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الشَّهِيدِ المُبدِئِ الفِطَرِ الـ ـمُعِيدِ بَاعِثِ أَهْلِ المَحْشَرِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الحَمِيدِ الوَاهِبِ المَدَدِ الـ ـمُغْنِي الغَنِيِّ الوَهُوبِ المُنْعِمِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الوَدُودِ الفَاتِحِ الخَيرِ الـ ـبَرِّ المُبِرِّ الوَصُولِ المُجْمِلِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي غَفُورِ السَّيئَاتِ مُحِـ ـبِّ التَائِبِينَ العَفُوِّ السَّاتِرِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي مُعِزِّ المُؤمِنِينَ مُذِ لِّ الكَافِرِينَ القَدِيرِ القَابِضِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي النَّصِيرِ المَانِعِ المُتدَا نِي في الجَلالِ الحَفِيظِ المُؤمِنِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي سَرِيعِ الإنْتِقامِ شَدِيـ ـدِ البَطْشِ بالمُعْتَدِينَ القَاصِمِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي المُقِيتِ الخَلْقِ قَاسِمِ مِقْـ ـدَارِ المَعِيشَةِ وِفْقَ الحِكْمَةِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الجَلِيلِ ذِي الجَلالِ وَذِي الـ إِكْرَامِ حَسْبِي الشَّكُورِ الشَّاكِرِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الرَّشِيدِ المُرْشِدِ المُتأَ نِّي بِالعِبَادِ الصَّبُورِ العَاصِمِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي إِلَهِي سَيِّدِي أَمَلِي الـ ـتَّوَّابِ ذِي اللطْفِ في مِقْدَارِهِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي المَتِينِ الحَقِّ مُبْدِعِ آ يَاتِ العَجَائِبِ مُؤْتِي البَسْطَةِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الرَّفِيعِ المَجْدِ وَالدَّرَجَا تِ الخَافِضِ الرَّافِعِ الأحبابِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ مُفْنِي الكَوْنِ وَارِثِهِ لَهُ البَقَاءُ وَلا بَاقٍ سِوَى اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ يَقْضِي ما يَشاءُ بِفَضْـ ـلٍ أو بِعَدْلٍ ولا يُقْضَى على اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي القَدِيمِ الأوَّلِ الأَزَلِـ ـيِّ الآخِرِ الأَبَدِيِّ المُوجِدِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الوَكِيلِ الظَّاهِرِ المُتَجَـ ـلِّي البَاطِنِ المُسْتَمَدِّ الكَاشِفِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ خَلَّاقِي المُقدِّمِ مَنْ شَاءَ المُؤَخِّرِ في أَحكَامِهِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الحَسِيبِ القَيِّمِ المُتكَـ ـبِّرِ المُهَيمِنِ غَلَّابِ القُوَى اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ ذِي الحَبْلِ الشَّدِيدِ وَذِي الـ أَمْرِ الرَّشِيدِ المُقِيتِ المُكْرِمِ اللهِ
سُبحَانَ مَنْ لَبِسَ العِزَّ الخَفِيَّ بِهِ وَقَالَ بِالعِزِّ في سُلْطَانِهِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي خُضُوعاً مَنْ تَعَطَّفَ بالـ ـمَجْدِ العَظِيمِ وَكُلُّ المَجْدِ للهِ
سُبحَانَ مَنْ قَهَرَ الأَكْوَانَ هَيْبَتُهُ تَسْبِيحَ مَنْ لا يَرَى حَقاً سِوَى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ تُعْجِزُ المَخْلُوقَ سُبحَتُهُ ... ما أَعْجَزَ المُنْتَهَى عَنْ سُبْحَةِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ بِيَدَيهِ المُلْكُ وَالمَلَكُو ... تُ الجَامِعُ الناسِ يَومَ المَحْشَرِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ فَاتَتِ الإحْصَاءَ نِعْمَتُهُ ... والشُّكْرَ مِنْ شَاكِرٍ مِنْ أَنْعُمِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ قَدَّرَ المَوجُودَ مُبْتَدِئاً ... بلا مِثَالٍ خَلا مِمَّنْ سِوَى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ عَظُمَتْ جِدّاً مَوَاهِبُهُ ... بِقِسْمَةٍ قَدَّرَتْها حِكْمَةُ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ قَامَ بالحُسْنَى وَجَدَّدَها ... تَكَرُّماً وَبِها وَعْدٌ مِنَ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ فَرَضَ الإحْسَانَ كَيْ يَهَبَ الـ ... إحْسَانَ وَالكُلُّ إحْسَانٌ مِنْ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ أَثَّرَ الآثَارَ مُتَّصِفاً ... فيها بِنُورٍ تَجَلَّى الظَّاهِرُ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ بَصَّرَ الألْبَابَ فانْكَشَفَتْ ... لها حَقِيقَةُ حَقِّ البَاطِنِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ فَاضَ مِنْهُ النُّورُ فامْتَزَجَتْ ... بِنُورِهِ أَنْفُسُ الأَحْبَابِ للهِ

سُبحَانَ مَنْ فَاضَ مِنْهُ الفَيْضُ فامْتَلأَتْ ... بِهِ القُلُوبُ هُدًى مِنْ صَفْوَةِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ ذِكْرُهُ عِزٌّ وَطَاعَتُهُ ... فَوزٌ وَشِرْعَتُهُ نُورٌ مِنَ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ حُبُّهُ ما فَوْقَهُ شَرَفٌ ... فَازَ المُحِبُّونَ بِالزُّلْفَى إلى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ مَلأَتْ قَلْبِي مَحَاسِنُهُ ... شَوقاً وَذَوقاً وَتَولِيهاً إلى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ مَلأَتْ نَفْسِي مَخَافَتُهُ ... ناراً تَذُوبُ بِهَا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ رَوَّحَتْ رُوحِي بَشَائِرُهُ ... بِمُسْتَهِلِّ الرَّجَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ أَوْرَدَ الأَرْوَاحَ أَبْحُرَهُ ... وَهَيَّمَ الأَنْفُسَ الوَلْهَى إلى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ خَصَّ بالعِرْفَانِ طَائِفَةً ... أَفْنَتْهُمُ كَلِمَاتُ اللهِ في اللهِ

سُبحَانَ مَنْ سَاقَ لِليُسْرَى لِمَا خُلِقَتْ ... لَهُ النُّفُوسُ وَسِرُّ الأَمْرِ للهِ

سُبحَانَ مَنْ جَنَّبَ العُسْرَى وَيَسَّرَ لِلـ ... ـيُسْرَى وَأَعْطَى الهُدَى جُوداً مِنَ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ جَعَلَ التَّسْبِيحَ مُزْدَلَفاً ... مَنْ سَبَّحَ اللهَ لم يَبْعُدْ مِنَ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ جَعَلَ التَّوْحِيدَ جُنَّتَنا ... مَنْ وَحَّدَ اللهَ حَقّاً فَازَ بِاللهِ

سُبْحَانَ سُبْحَانَ رَبِّي رَبِّ صَلِّ على ... مُحَمَّدٍ وَبِهِ امْدُدْنِي مِنَ اللهِ

الباقية الثانية: (في التحميد)

الحَمْدُ للهِ حَقُّ الحَمْدِ للهِ ... بما يَقُومُ بِحَقِّ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً طَيِّباً جَلَلا ... مُبَارَكاً فِيهِ وفَوقَ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا نَظيرَ لَهُ ... ولا كِفاءَ لِعُظْمِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُقامُ بِهِ ... مَنْ ذا يَقُومُ بِحَقِّ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُمَاثِلُهُ ... حَمْدٌ ولا حَمْدَ مِثلُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُعَادِلُهُ ... حَمْدٌ وَأينَ عَدِيلُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً ظاهِراً أبداً ... كما يَكُونُ لِحَقِّ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً كُفْءَ نِعْمَتِهِ ... كما يَحِقُّ لِفَرْضِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً فَوقَ وَاجِبِهِ ... وَضِعْفَ أَضْعَافِ عَينِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً فَوقَ مَقْدِرَتي ... وَلَيسَ يُقْدَرُ قَدْرُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بِكَمَا ... لِ اللهِ حَسْبَ كَمَالِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بِجَلا ... لِ اللهِ فَوقَ رِضَاهُ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بجما ... لِ اللهِ مِنْهُ إِليهِ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بشؤو ... نِ اللهِ مِنْهُ إِليهِ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بصِفا ... تِ اللهِ وَهوَ مَقامُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بِأسَا ... مِي اللهِ أنَّى تَجَلَّى الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْدَ الذاتِ مِنْهُ لَهُ ... حَمْداً يُعَادِلُ كُنْهَ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا نَفَادَ لَهُ ... يَفنَى الوُجودُ وَيَبْقى الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً ليسَ يَحْصُرُهُ ... حَدٌّ ولا حَدَّ يَحْوِي الحَمْدَ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُحِيطُ بِهِ ... عَدٌّ تَنَزَّهَ عَنْهُ ألحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُقامُ بِهِ ... كَيفَ القِيامُ بِحَقِّ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً يَرتَضِيهِ لَهُ ... حَمْداً يُحَقِّقُ حَقَّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مَحْمُوداً بلا سَبَبٍ ... قَضَتْ أُلوهَتُهُ بالحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً زَاكِياً وَجَبَتْ ... بِهِ قَضَاءُ حُقُوق الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ لا تُقْضَى حَقِيقَتُهُ ... إذ كُلُّ حَمْدٍ قَضَى بالحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ قَيُّوماً بِفِطْرَتِهِ ... وَكُلُّهَا شَاهِدٌ بالحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً بَاقِياً فَلَهُ ... حَسْبَ البَقاءِ بَقاءُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ فتَّاحِ المَوَاهِبِ وَهَّـ ... ـابِ الفُتُوحِ بِسِرِّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ خَيرِ الرَّازِقينَ مُقِيـ ... ـتِ العَالَمِينَ كِفاءَ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ خَيرِ النَّاصِرِينَ وَخَيـ ... ـرِ الفَاتِحِينَ الكَرِيمِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ خَيرِ الرَّاحِمِينَ وَخَيـ ... ـرِ الغافِرِينَ الحَلِيمِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ بَراً مُحْسِناً صَمَداً ... أعْطَى وَأغْنَى وَأَقْنَى الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ رَزَّاقِ العِبادِ لَطِيـ ... ـفاً بالعِبادِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ جَمِيـ ... ـلِ الصُّنْعِ مُولي العَطَايا الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَهْلِ الجُودِ كُلُّ يَدٍ ... وَنِعْمَةٍ هِيَ مِنهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ مَحْمُودِ الفِعالِ حَمِيـ ... ـدِ الذاتِ وَالوَصْفِ أَسْنى الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَهْلِ الحَمْدِ ما حَمِدَتْ ... ذاتٌ بِحَقٍّ سِواهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ لا تُحْصَى مَحَامِدُهُ ... لَم يَأْتِ خَلْقٌ بِحَقِّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ إخلاصاً أُحَقِّقُهُ ... لِوَجْهِ رَبِّيَ الأعْلَى الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ مَرْضَاةً أُجَرِّدُها ... لِحَقِّهِ مِنْ شُؤُونِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ إيماناً بِوَحْدَتِهِ ... وَوَعْدِهِ وَالوَعِيدِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ شُكْراً وَافِراً وَيَقِيـ ... ـناً بالمَزِيدِ عَلَيهِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ طَوْعَ المُخْلِصِينَ لَهُ ... في الحَمْدِ وَالشُّكْرِ أَعَلَى الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ إقراراً وَمَعْرِفَةً ... بالعَجْزِ بي عَنْ أَدَاءِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ عِرفاناً بِعِزَّتِهِ ... وَذِلَّتِي وَافْتِقاري الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ إذعاناً لِرُتْبَتِهِ ... وَجْهُ ابْتِهَالِي إِلَيهِ الحَمْدُ للهِ

الـحَـمْـدُ للهِ مِـنْ حَـقِّ الـثَّـنَـاءِ لَهُ إدْرَاكُ عَـجْـزِيَ عَـنْـهُ الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ قَـدْ أبْـصَـرْتُ حُـجَّـتَـهُ بِـنُـورِهِ وَهُـدَاهُ الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ حَـمْـداً حَـيْـثُ عَـرَّفَـنِي مَـرَاتِـبِـي وَمَـقَـامِـي الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ فـي عُـسْـرٍ وَمَـيْـسَـرَةٍ أقَـامَـنِـي فـي مَـقَـامِ الـحَـمْـدِ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ فـيـمـا اخْـتَـارَ مِـنْ خِـيَرٍ رَضِـيـتُ خِـيـرَتَـهُ وَالـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ فـي تَـدْبـيـرِ مَـصْـلَحَـتِي وَلـو بِـضِـدٍّ اخْـتِـيَـارِي الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ فـي تَـجْـدِيـدِ نِـعْـمَـتِـهِ مَـنّـاً وَطَـوْلاً عَـلَـيَّ الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ فـي ضَـرَّاءَ كَـشَّـفَـهَـا وَكُـرْبَـةٍ قَـدْ جَـلاهَـا الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ كـم أهْـفُـو فـيُـوسِـعُـنِي حِـلْـمـاً وَيَـصْـفَـحُ عَـنِّـي الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ فـي خَـوْفِـي أمِـنْـتُ بِـهِ وفـي رَجَـائِي حَـبَـانِـي الـحَـمْـدَ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ أغْـنَـتْـنِـي جَـوَائِزُهُ بِـالافْـتِـقَـارِ إلَـيْـهِ الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ كـم أكْـدَى فَـيُـنْـعِـشُـنِـي وَحْـيـاً بِـرَحْـمَـتِـهِ وَالـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ كـم مِـنْ عُـقْـدَةٍ لَزِبَـتْ فَـحَـلَّـهَـا لُطْـفُـهُ وَالـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ آوَانِـي وَأيَّـدَنِـي بِـنَـصْـرِهِ وَكَـفَـانِـي الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ أغْـنَـانِـي وَبَـوَّأنِـي مُـبَـوَّءاً حَـسَـنـاً وَالـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ سَـوَّانِـي وَفَـضَّـلَنِـي عـلـى كَـثِـيـرٍ غِـنـىً وَالـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ أعْـطَـانِـي وَنَـوَّرَنِـي مِـنْ عِـلْـمِـهِ وَهَـدَانِـي الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ أوْلانِـي الـيَـقِـيـنَ بِـهِ فـي الـعُـسْـرِ وَالـيُـسْـرِ مِـنـهُ الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ كـم فَـتْـحٍ وَخَـاتِـمَـةٍ مِـنْ وَهْـبِـهِ سَـاقَـهُ لِي الـحَـمْـدُ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ أسْـعَـدَنِـي وَصَـلِّ عـلـى مُـحَـمَّـدٍ مَـنْ هَـدَى لِلحَـمْـدِ للهِ

الباقية الثالثة: (في التهليل)

بِـسْـمِ الإلَهِ إلَهِـي الـحَـقِّ بِـاللهِ للهِ فـي اللهِ إخْـلاصِـي إلـى اللهِ
إلَهِـيَ الـحَـقَّ لـم أشْـهَـدْ سِـوَاكَ ولا إلَهَ بِـالـحَـقِّ غَـيْـرُ الـوَاحِـدِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ قَدْ أسْلَمتُ وَجْهِيَ لا ... إلَهَ غَيْرُكَ إذْعَاناً إلى اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ قَدْ وَجَّهتُ وَجْهِيَ لا ... إلَهَ غَيْرُكَ إخْبَاتاً إلى اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ إيماناً خَضَعْتُ بِهِ ... إنَّ الألُوهَةَ وَالسُّلطانَ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ وَحْدَانِيَّةٌ سَطَعَتْ ... أنْوَارُ شاهِدِهَا فِي فِطْرَةِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ بُرْهَانُ الألُوهَةِ مَعْـ ... ـلُومُ الثُّبُوتِ لِذاتِ الوَاجِبِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ ذرّاتُ الوُجُودِ وَتَصْـ ... ـرِيفُ الأمُورِ أبَانتْ حُجَّةَ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ عَيْنُ الكَوْنِ مُبْصِرَةٌ ... حَقِيقَةَ الأمْرِ إنَّ الأمْرَ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ هذا الكَوْنُ مُنْتَظِمٌ ... قاضٍ بِأنَّ يَدَ الإبْدَاعِ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ رَبَّانِيَّةٌ وَجَبَتْ ... قامَ الوُجُودُ بِرَبَّانِيَّةِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ رَبَّانِيَّةٌ قَهَرَتْ ... القَهْرُ للهِ وَالتَّدْبِيرُ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ رَبَّانِيَّةٌ ظَهَرَتْ ... لا شكَّ في اللهِ جَلَّتْ عِزَّةُ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ أمْجَادُ الألُوهَةِ وَالْـ ... ـفَرْدِيَّةُ المَحْضُ حَقُّ المَالِكِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ عِزُّ المُلْكِ حَقُّكَ لا ... شَرِيكَ، لا ضِدَّ لا أنْدَادَ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ ذا الوَصْفِ القَدِيمِ وَإيـ ... ـجَابِي وَسَلْبِيَ إنْعَامٌ مِنَ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ نَفْيِي مَا نَفَيتَ وَإثْـ ... ـبَاتِي لِمَا أثْبَتَتْهُ كِلْمَةُ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ أنْفِي كُلَّ مَا عَبَدُوا ... شِرْكاً، وَأُثْبِتُ حَقَّ اللهِ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ مَعْبُودِي اعْتَرَفْتُ لَهُ ... بِوَاجِبَاتِ اعْتِرَافِ العَبْدِ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ تَوْحِيدٌ وَلِهْتُ بِهِ ... لِوَجْهِهِ كَمُرَادِ اللهِ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ تَطْوِيرُ العِبَادِ وَتَدْ ... بِيرُ الأمُورِ اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ تَنْوِيرُ العُقُولِ وَإلْـ ... ـهَامُ النُفُوسِ دَلالاتٌ على اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ ضَلَّتْ بَعْدَما عَلِمَتْ ... لِسَابِقِ العِلْمِ ألْبَابٌ عَنِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ لم يَعْرِفْكَ مُفْتَتِنٌ ... بالاخْتِيارِ عَنِ التَّفْوِيضِ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ مَنْ يَعْرِفْكَ لم يَرَ مَو ... جُوداً وَلا اسْماً لِمَوْجُودٍ سِوَى اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ ما فِي الكَوْنِ ذو أثَرٍ ... لِذاتِهِ إنَّمَا التَّأثِيرُ للهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أَبْطَنْتَ الحَقِيقَةَ في الـ ... ـتَّجَلِّيَاتِ عـلى مَصْنُوعَةِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ غَيْبٌ بَاطِنٌ وَتَجَـ ... ـلٍّ ظَاهِرٌ صِفَتَا ذاتِيَّةِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ ما غَيْبٌ بِمُنْكَشِفٍ ... وَلا ظُهُورٌ بِغَيْرِ الاسْمِ للهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ عَجْزُ الحَادِثَاتِ عَنِ الـ ... إِدْرَاكِ دَرْكٌ وَدَرْكُ اللهِ للهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ ما ظَنُّوا وَما وَهِمُوا ... مِنَ النَّقَائِصِ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ ما أَوْجَدْتَنِي عَبَثاً ... قَضَتْ بِإِيْجَادِ نَفْسِي حِكْمَةُ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ إذ سَوَّيْتَنِي بَشَراً ... نَصَبْتَ لِي عَلَماً يَهْدِي إِلى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ إِنْ ضَلَّ البَصِيرُ فباخْـ ... ـتِيَارِهِ وَعَلَيْهِ حُجَّةُ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ لم تُجْبِرْ عَلَى عَمَلٍ ... ولا غَلَبْتَ عَلَى مَكْرُوهَةِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ كَسْبٌ أَنْتَ خَالِقُهُ ... وَلا اعْتِرَاضَ لِمَخْلُوقٍ عَلَى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ لم تَأْخُذْ بِلا حُجَجٍ ... أَخْذٌ بِعَدْلٍ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ ما في المُلْكِ مَظْلَمَةٌ ... فِعْلٌ وَتَرْكٌ عَلَى قِسْطٍ مِنَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ وَلا ... إِلَهَ غَيْرُكَ قَدْ أَخْلَصْتُ للهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ فأخْـ ... ـلِصْنِي بِخَالِصَةٍ في طَاعَةِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ فخَـ ... ـلِّصْ مِنْ كَثَائِفِهَا نَفْسِي إِلى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أَشْغِلْنِي بِحُبِّكَ عَنْ ... عَلائِقِي إِنَّهَا حُجُبٌ عَنِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ فقِـ ... ـدِّسْنِي بِذِكْرِكَ عَنْ ذِكْرِي سِوَى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ فبَا ... رِكْنِي سَعِيداً وَأَوْصِلْنِي إِلى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ فقَـ ... ـرِّبْنِي نَجِيّاً وَهَبْ لِي نَظْرَةَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ فهَبْ ... لِي مِنْ لَدُنْكَ فُتُوحَ العِلْمِ بِاللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ فنَـ ... ـوِّرْنِي بِأَنْوَارِ نُورَانِيَّةِ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ عَظِيـ ... ـمُ المَجْدِ مَجْدُ مَقَامِي بِاسْمِكَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ تَدَا ... رَاكْنِي بِلُطْفٍ وَإِمْدَادٍ مِنَ اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ أنتَ اللهُ أنتَ وَقَدْ ... جَدَّ البَلاءُ فَأَرْسِلْ نَفْحَةَ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ شَدَّ الكَرْبُ وَاتَّسَعَتْ ضَرُورَتِي لَقِّنِي رَوْحاً مِنَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ لا أخْشَى البَلِيَّةَ في دِينٍ وَدُنْيا وَحِصْنِي عِصْمَةُ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ مَنْ تَعْصِمْهُ قَارَنَهُ جَدٌّ وَنُورٌ وَإعْزازٌ مِنَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ حَبْلُ اللهِ مُعْتَصَمِي وَطَوْدُ تَوْحِيدِ قَلْبِي وَحْدَةُ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ تَوْحِيدِي لِذاتِكَ لا أبْغِي بِهِ عَرَضاً يُلْهِي عَنِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ تَنْزِيهِي صِفاتِكَ وَالـ أسْمَاءِ أبْغِي بِهِ الزُّلْفَى مِنَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ مِنْ حَقِّ الألُوهَةِ تَنْـ ـزِيهٌ عَلَى غَيْرِ خَوْفٍ لَيسَ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ عَرْضُ العَبْدِ فَاقَتَهُ عَلَيْكَ مِنْ وَاجِباتِ العَبْدِ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ قَدَّرْتَ الخَصَاصَةَ بي أرْجُو لَهَا يَا إلَهِي مِنَّةَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ما جَدِّي وَمَكْسَبَتِي إلّا إذا أكْسَبَتْنِي نِعْمَةَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أوْقَرْتُ الذُّنُوبَ وَقَدْ أوْفَى اللقاءُ وَحَشْوِي خَشْيَةُ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ صِلْنِي بالنَّجَاةِ وَغُفْـ ـرانِ الذُّنُوبِ فَذا تَوْبِي إلى اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ بالتوحِيدِ خُذْ بِيَدِي إلَى مَقَرِّ الرِّضَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ما لي قُرْبَةٌ وَيَدٌ إلا بِتَوْحِيدِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ هَبْ أزْكَى الصَّلاةِ رَسُو لَ اللهِ أحْمَدَ هَادِينَا إلى اللهِ

الباقية الرابعة: (في التكبير)

اللهُ أكْبَرُ بِسْمِ اللهِ باللهِ اللهُ أكْبَرُ حَقُّ الكِبْرِ للهِ
اللهُ أكْبَرُ تَكْبِيراً لِعِزَّتِهِ العِزُّ للهِ وَالتَّكْبِيرُ للهِ
اللهُ أكْبَرُ تَعْظِيماً لِهَيْبَتِهِ المُلْكُ للهِ وَالتَّعْظِيمُ للهِ
اللهُ أكْبَرُ تَمْجِيداً لِقُدْرَتِهِ القَهْرُ للهِ وَالتَّمْجِيدُ للهِ
اللهُ أكْبَرُ تَقْدِيساً لِرُتْبَتِهِ القُدْسُ للهِ وَالتَّنْزِيهُ للهِ
اللهُ أكْبَرُ تَحْمِيداً يَحِقُّ لَهُ الشُّكْرُ للهِ وَالتَّحْمِيدُ للهِ

اللهُ أكْبَرُ جَلَّ اللهُ عَنْ شَبَهٍ ... فِي الذاتِ وَالنَّعْتِ، لا أشْبَاهَ للهِ

اللهُ أكْبَرُ لَيسَ الأمْرُ مُشتَرَكاً ... لا يَقْتَضِي الأمْرُ إلّا وَحْدَةَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ حَالَ البَدْءُ عَنهُ وَحَا ... لَ الانتهاءُ؛ هُما صُنعانِ للهِ

اللهُ أكْبَرُ حَقَّتْ أوَّلِيَّتُهُ ... وَآخِرِيَّتُهُ لا حَدَّ للهِ

اللهُ أكْبَرُ ضَاءَتْ ظَاهِرِيَّتُهُ ... آثارُهُ كُلُّها دَلَّتْ على اللهِ

اللهُ أكْبَرُ تَعْلُو البَاطِنِيَّةُ عَنْ ... دَرْكِ الحَقِيقَةِ، لا إدْرَاكَ للهِ

اللهُ أكْبَرُ جَلَّتْ قَادِرِيَّتُهُ ... عَنْ مُعْجِزٍ خَارِجٍ عَنْ قُدْرَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ ما ضَاقَتْ إحَاطَتُهُ ... تَكَنَّفَتْ كُلَّ شَيءٍ حِيطَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ حَيّاً لا فَنَاءَ لَهُ ... ثَبْتَ البَقا تَقْتَضِي ذاتِيَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ قَيُّومُ الوُجُودِ على ... كُلِّ الحَوَادِثِ قَيُّومِيَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ ذو العِلْمِ القَدِيمِ بما ... قَدْ كانَ أو سَيَكُونُ العِلْمُ للهِ

اللهُ أكْبَرُ ما عِلْمٌ بِمُكْتَسَبٍ ... وَلا بِشَرْطِ وُجُودِ خِيرَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مُختاراً إرَادَتُهُ ... شَرْطُ المُكَوَّنِ وَالتَّكْوِينُ للهِ

اللهُ أكْبَرُ لم يُنْشِىءْ بَدَائِعَهُ ... على مِثالٍ لَهُ سَبْقٌ على اللهِ

اللهُ أكْبَرُ لم يُبْدِىءْ خَلِيقَتَهُ ... وَلَم يُعِدْها بِعَوْنٍ ما سِوَى اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عِزُّ الجِبْرِياءِ لَهُ ... الجِبْرِياءُ على التَّحْقِيقِ للهِ

اللهُ أكْبَرُ مَجْدُ الكِبْرِياءِ لَهُ ... على المُنازِعِ فيها قَصْمَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عِزٌّ قائِمٌ وَجَلا ... لٌ دائِمٌ حَقٌّ فَرْدَانِيَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ جَبَّارٌ لِقُوَّتِهِ الـ ... إيجابُ وَالسَّلْبُ عَزَّتْ قُوَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عَدْلٌ نافِذٌ وَيَدٌ ... بالقِسْطِ آخِذَةٌ جَلَّتْ يَدُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مُلْكٌ لا نَظِيرَ بِهِ ... وَلا وَزِيرَ وَلا أضْدَادَ للهِ

اللهُ أكْبَرُ جَدٌّ شَأنُهُ عِظَمٌ ... الجَدُّ وَالعِظَمُ الذاتِيُّ للهِ

اللهُ أكْبَرُ أمْجادُ العَلاءِ لَهُ ... القَهْرُ وَالغَلْبُ وَالسُّلطانُ للهِ

اللهُ أكْبَرُ أمْجادٌ مُقَدَّسَةٌ ... وَفَوقَ نِسْبَتِنا مَجْدِيَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ إنْعَامٌ وَطَوْلُ يَدٍ ... سِيقَتْ إلى خَلْقِهِ عَنْ قِسْمَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ تَفْضِيلًا بِرَحْمَتِهِ ... وَقِلَّةً قَدَّرَتْهَا حِكْمَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ ألطَافٌ وَفَضْلُ يَدٍ ... لِلطَّائِعِينَ وَلِلعَاصِينَ للهِ

اللهُ أكْبَرُ ما أعْلَى سِيَاسَتَهُ ... يُعْطِي وَيَمْنَعُ تَدْبِيراً مِنَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مَنْ أعْطَى فَعَنْ كَرَمٍ ... أعْطَاهُ وَالمَنْعُ فِيهِ خِيرَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ تِلْكَ الحَالَتَينِ على ... كَرَامَتَينِ لنا مِنْ نِعْمَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ قَدْراً ذو الجَلالِ وَذو الـ ... إكْرَامِ مِنْ بَسْطَتِي في مِدْحَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ شَأنٌ لَيسَ يَبْلُغُهُ ... حَمْدِي وَذِكْرِي وَلكِنْ دَعْوَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عُظْماً أنْ يَقومَ لَهُ ... شيءٌ، عَلَتْ كُلَّ شيءٍ هَيْبَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ قَهْراً أنْ يُضَادِدَهُ ... شيءٌ، على كُلِّ شيءٍ سَطْوَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مُلْكاً عَنْ مُنَادَدَةٍ ... النِّدُّ للهِ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ شأناً عَنْ مُعَادَلَةٍ ... قَدِ اسْتَحَالَتْ بلا شَكٍّ عَنِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عِزّاً عَنْ مُقَاوَمَةٍ ... مِنْ أينَ لِلعَجْزِ أنْ يَقوَى على اللهِ

اللهُ أكْبَرُ رَزَّاقٌ بِغَيرِ حِسَا ... بٍ قَبْلَ عَرْضِ الدَّعَاوَى مِنَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ وَهَّابٌ مَوَاهِبَهُ ... سِرّاً وَجَهْراً قَضَايَا رَحْمَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ جُودٌ مُطْلَقٌ وَأيَا ... دٍ سَابِغَاتٌ وَألْطَافٌ مِنَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مَوجُودٌ لِطَالِبِهِ ... لا يَحْجُبُ اللهُ قَطْعاً طَالِبَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ يَدْعُونِي إلى كَرَمٍ ... وهو الغَنِيُّ وَبِي فَقْرٌ إلى اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مَنّاً قَبْلَ مَسْألَتِي ... وَنَفْسُ مَسْألَتِي مَنٌّ مِنَ اللهِ[1]

اللهُ أكْبَرُ يَدْعُونِي لِمَغْفِرَةٍ ... وَرَحْمَةٍ وَأُعَاصِي دَعْوَةَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ أنْسَاهُ فَيَذْكُرُنِي ... وَقُوَّتِي في المَعَاصِي نِعْمَةُ اللهِ

---

(١) يُلاحظ البُعد الفلسفي المُغترف من ينبوع المُتصوِّفة؛ كما في هذا البيت: فالمسألةُ، في حد ذاتها، مَنٌّ مِنَ الذات الإلهية.

اللهُ أكْـبَـرُ إيـجَـادِي وَمَـصْـلَحَـتـي دُنـيَـا وَأُخْـرَى بِـقَـيُّـومِـيَّـةِ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ مـا لـي غَـيـرُ نَـظْـرَتِـهِ هَـلَكْـتُ لـو فَـارَقـتْـنِـي نَـظْـرَةُ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ غَـيـرُ اللهِ مُـفْـتَـقِـرٌ مِـثْـلِي إلـيـهِ وَمَـنْـظُـورٌ مِـنَ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ لـو حَـاقـتْ ذُنُـوبِـيَ بِـي فـلَيـسَ لـي عَـاصِـمٌ يُـغْـنِـي مِـنَ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ لـولا رَحْـمَـةٌ كُـتِـبَـتْ مِـنْـهُ عَـلَيـهِ لَحَـلَّـتْ نَـقـمَـةُ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ عَـيْـنُ اللهِ نَـاظِـرَةٌ قُـبْـحِـي وَلـكِـنْ وَقَـى حِـلْمٌ مِـنَ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ لـولا أنْ يُـقَـابِـلَنِـي جَـمَـالُ رَبِّـي سَـبَـتْـنِـي أَخْـذَةُ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ آمَـالِـي يُـحَـقِّـقُـهـا فِـيـهِ يَـقِـيـنِـي وَحُـسْـنُ الـظَّـنِّ بـاللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ أَخْـشَـاهُ لِرُتْـبَـتِـهِ وَالـذَّنْـبُ يُـوجِـبُ أَيْـضـاً خَـشْـيَـةَ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ نَـفْـسِـي فـي أوَامِـرِهـا بـالـسُّـوءِ، أرْجُـو عَـلَيـهـا نُـصْـرَةَ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ شَـيْـطَـانِـي غُـلِـبـتُ بِـهِ مـا مُـنْـقِـذِي مِـنْـهُ إلّا عِـصْـمَـةُ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ حَـسْـبِـي اللهُ مِـنْـهُ وَمِـنْ مُـرَادِهِ بِـي عَـلَيْـهِ لَعْـنَـةُ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ سُـلْطَـانِـي كَـمَـالُكَ أيِّـ ـدْنِـي بِـتَـقْـوَى وَرِضْـوانٍ مِـنَ اللهِ
اللهُ أكْـبَـرُ حُـسْـنٌ بـالـصَّـلاةِ عـلى مُـحَـمَّـدٍ خَـتْـمُ قُـرْبَـانِـي إلـى اللهِ

دُعاء أحْرُف النُّور

بِكَافِ الكَمَالِ وَكَوْنِ الكَرِيـ ... ـمِ كَفِيلَ الكَلاءَةِ[1] لِي وَالكِفَايَهْ

بِهَاءِ الهُوِيَّةِ وَالهَوْرِ[2] مِنَّا ... وَهَيْبَتِهِ وَالهَوَى وَالهِدَايَهْ

بِيَاءِ اليَقِينِ وَأَنْوَارِهِ ... وَيُمْنِ يَمِينِكَ يَا مُشْتَكَايَهْ

بِعَيْنِ العُلُومِ وَأَعْيَانِهَا ... وَعَيْنِ العَلِيمِ وَعَوْنِ العِنَايَهْ

بِصَادِ الصَّفَاءِ بِصَيْمُودِيِّهِ ... بِصِدقِكَ فِي مُقْتَضَى كُلِّ آيَهْ

بِحَاءِ المَحَبَّةِ وَالحَقِّ وَالحُكْـ ... ـمِ وَالحَمْدِ مِنَّا وَحُجْبِ الحِمَايَهْ

بِمِيمِ مَعَارِفِكَ المُشْرِقَا ... تِ وأَسْرَارِ مَبْدَئِهَا وَالنِّهَايَهْ

بِعَيْنِ أَعِنَّا بِهَا يَا مُعِينُ ... بِعَطْفِكَ لِلْمُعْتَنِي بِالرِّعَايَهْ

بِسِينِ السَّلامِ وَسُبْحَانِهِ ... سَرِيعِ العَطَاءِ سَمِيعِ الشِّكَايَهْ

بِقَافِ القَوِيِّ بِقَهْرِ القَدِيرِ ... بِقَيُّومِ قَلْبِي بِقَدْرِ الوِقَايَهْ

سَأَلْتُكَ صَلِّ على المُصْطَفَى ... إِلَهِي وَسَهِّلْ وَيَسِّرْ مُنَايَهْ

---

(١) الكَلاءَة: الحِفظ. كَلَأَ فلانٌ القومَ: حَفِظَهُم. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُم بالليلِ والنهارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾.

(٢) الهَوْر: بُحَيرَة غير عميقة ترفدها الأنهار. وأشهر مثالٍ لها: أهوار في العراق.

مفاتيح المَدَد(*)

اللهُ اللهُ هُوَ اللهُ أَحَدْ ... اللهُ اللهُ هُوَ اللهُ الصَّمَدْ
سُبْحَانَهُ عَنْ وَالِدٍ وَعَنْ وَلَدْ ... وَلَمْ يَكُنْ لِذاتِهِ كُفْواً أَحَدْ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا الله ... وَحَقِّ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ العَزِيزُ القَاهِرُ ... اللهُ اللهُ المُحِيطُ الفاطِرُ
سُبْحَانَهُ لا مِثْلُ لا نَظَائِرُ ... لا ضِدُّ لا أَنْدَادُ لا مُظَاهِرُ[1]
بِسِرِّ لا إِلَهَ إِلّا الله ... وَسِرِّ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الكَبِيرُ المُتَعَالْ ... اللهُ اللهُ الجَلِيلُ ذو الجَلالْ
سُبْحَانَهُ لَهُ الجَمَالُ وَالكَمَالْ ... وَالمَجْدُ وَالعِزُّ وَشِدَّةُ المِحَالْ
بِعِزِّ لا إِلَهَ إِلّا الله ... وَعِزِّ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ القَدِيرُ القادرُ ... الأَوَّلُ المُحْيِي المُمِيتُ الآخِرُ
سُبْحَانَهُ النُّورُ البَدِيعُ الظَّاهِرُ ... البَاطِنُ الحَقُّ الغفورُ الغَافِرُ
بِمَجْدِ لا إِلَهَ إِلّا الله ... وَمَجْدِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

(*) ورد الذِّكر في الأصل المُعتمد بعنوان: فاتحة الدعوة المباركة.

(١) مُظاهِر: مُعين.

اللهُ اللهُ المَلِيكُ المُقتَدِرْ اللهُ اللهُ الوَلِيُّ المُنتَصِرْ
سُبحَانَهُ في شَأنِهِ أنْ يَفتَقِرْ لَهُ الوُجُودُ الأبَديُّ المُستَمِرْ
بِقُدْسِ لا إلَهَ إلّا الله وَقُدْسِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ العَلِيُّ قَدرُهُ اللهُ اللهُ العَظِيمُ أمْرُهُ
سُبحَانَهُ القُدُّوسُ جَلَّ ذِكْرُهُ أغْنَى وَأقْنَى وَكَفَانَا سِرُّهُ
بِنُورِ لا إلَهَ إلّا الله وَنُورِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ المَجِيدُ المَاجِدُ اللهُ اللهُ الشَّهِيدُ الشَّاهِدُ
سُبحَانَهُ البَرُّ الغَنِيُّ الوَاجِدُ البَاسِطُ المُعْطِي الحَمِيدُ الوَاجِدُ
بِفَضْلِ لا إلَهَ إلّا الله وَفَضْلِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللطِيفُ بِالعِبَادْ المُنْعِمُ المُحْسِنُ ذو الفضْلِ الجوَادْ
سُبحَانَهُ عَنِ الفَنَاءِ وَالنَّفَادْ كَمْ أبدأ النِّعْمَةَ لِي وَكَمْ أعَادْ
بِبَسْطِ لا إلَهَ إلّا الله وَبَسْطِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ القَدِيمُ القَائِمْ الأزَلِيُّ الأبَدِيُّ الدَّائِمُ
سُبحَانَهُ لَيسَ لَهُ مُقَاوِمُ وَلَيس مِنهُ لِلعِبَادِ عَاصِمُ
بِقَهْرِ لا إلَهَ إلّا الله وَقَهْرِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الحَلِيمُ المُجْمِلُ اللهُ اللهُ الرَّؤوفُ المُفْضِلُ
سُبحَانَهُ في حِلْمِهِ لا يَعْجِلُ مِنْ شَأنِهِ الغُفْرَانُ وَالتَّفَضُّلُ
بِأُنْسِ لا إلَهَ إلّا الله وَأُنْسِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الـعَـفُـوُّ الـسَّـاتِـرُ ... اللهُ اللهُ الـشَّـكُـورُ الـشَّـاكِـرُ
سُـبـحَـانَـهُ يَـعْـفُـو وَلا يُـكَـاثِـرُ ... تُـمْـحَـى بِـجَـنْـبِ عَـفْـوِهِ الـجَـرَائِرُ
بِـجُـودِ لا إِلَهَ إِلَّا الـلـه ... وَجُـودِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـكَـرِيـمُ الـمُـبْـتَـدِعْ ... اللهُ اللهُ الـعَـلِيُّ الـمُـخْـتَـرِعْ
سُبـحَـانَـهُ لا شَـيءَ عَـنْـهُ مُـمْـتَـنِعْ ... لَم يَـتْـرُكِ الـخَـلْقَ سُدًى وَلَـم يُـضِـعْ
بِـحُـكْـمِ لا إِلَهَ إِلَّا الـلـه ... وَحُـكْـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـمُـبِـيـنُ الـهَـادِي ... اللهُ مَـنْ أَلْهَـمَ لِـلرَّشَـادِ
سُـبـحَـانَـهُ الـرَّشِـيـدُ لِـلعِـبَادِ ... مُـنَـوِّرُ الـمُـرِيـدِ وَالـمُـرَادِ
بِـفَـيْـضِ لا إِلَهَ إِلَّا الـلـه ... وَفَـيْـضِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـمُـعِـزُّ نَـاصِـرَهْ ... اللهُ اللهُ الـمُـذِلُّ كَـافِـرَهْ
سُـبـحَـانَـهُ عَـنْ شِـرْكَـةِ الـمُـوَازَرَهْ ... أَلا إِلَـى اللهِ الأُمُـورُ صَـائِرَهْ
بِـعَـوْنِ لا إِلَهَ إِلَّا الـلـه ... وَعَـوْنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـقَـوِيُّ الأَقْـدَرُ ... الـخَـالِـقُ الـبَـارِىءُ وَالـمُـصَـوِّرُ
سُـبـحَـانَـهُ الـمُـقَـدِّمُ الـمُـؤَخِّـرُ ... مَـا لِـلوُجُـودِ غَـيْـرُهُ مُـدَبِّـرُ
بِـقَـدْرِ لا إِلَهَ إِلَّا الـلـه ... وَقَـدْرِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـمُـكَـوِّنُ الـمَـدِيـدْ ... الـحَـيُّ وَالـقَـيُّـومُ بَـاقٍ لا يَـبِـيـدْ
سُـبـحَـانَـهُ ذو الـطَّـوْلِ مُـبْـدٍ وَمُـعِـيـدْ ... لَيـسَ بِـظَـلَّامٍ ـ تَـعَـالَى ـ لِـلعَـبِـيـدْ
بِـمَـنِّ لا إِلَهَ إِلَّا الـلـه ... وَمَـنِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـمُـبِـينُ الـمَـانِـعُ | اللهُ اللهُ الـمُـقِـيـتُ الـوَاسِـعُ
سُبحَانَهُ وَهُوَ الحَمِيدُ النافِعُ | الخافِضُ المَوْلَى النَّصِيرُ الدَّافِعُ
بِـيُـمْـنِ لا إلَهَ إلّا اللـه | وَيُمْنِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الحَفِيظُ البَاعِثُ | اللهُ اللهُ الصَّبُورُ الوَارِثُ
سُبحَانَهُ دَلَّ عَلَيهِ الحَادِثُ | لم يَخْلُقِ الأشياءَ وَهُوَ عَابِثُ
بِـلُطْـفِ لا إلَهَ إلّا اللـه | وَلُطْفِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ السَّمِيعُ وَالبَصِيرْ | اللهُ اللهُ مُجِيرُ المُسْتَجِيرْ
سُبحَانَهُ جَابِرُ ذي القلْبِ الكَسِيرْ | إلَهنا الرَّحِيمُ رَاحِمُ الفَقِيرْ
بِـعَـطْـفِ لا إلَهَ إلّا اللـه | وَعَطْفِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الحَبِيبُ المُنْتَقِمْ | الضَّارُّ وَالمُدْرِكُ مُلْهِمُ الأمَمْ
سُبحَانَهُ الغَيُورُ مِنْ هَتكِ الحُرُمْ | وَلا يُرَدُّ بَأسُهُ عَمَّنْ ظَلَمْ
بِـنَـصْـرِ لا إلَهَ إلّا اللـه | وَنَصْرِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الرقيبُ الأعْلَى | اللهُ اللهُ القَرِيبُ المَوْلَى
سُبحَانَهُ المُجِيبُ كَمْ تَجَلَّى | على قلوبِ مَنْ لَهُ تَخَلَّى
بِـغَـوْثِ لا إلَهَ إلّا اللـه | وَغَوْثِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ هُوَ المُحْصِي الوَكِيلْ | اللهُ عَلّامُ الغُيُوبِ وَالكَفِيلْ
سُبحَانَهُ عَنِ الشَّبِيهِ وَالبَدِيلْ | في صُنْعِهِ على وُجُودِهِ دَلِيلْ
بِـعُـظْـمِ لا إلَهَ إلّا اللـه | وَعُظْمِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتْ   مُصرِّفُ الآيَاتِ مُوجِدُ الذَّواتْ
سُبحَانَهُ ذو الشأنِ أحيا وأمَاتْ   مُقدِّرُ الأوْقاتِ جَامِعُ الشَّتاتْ
بِحَوْلِ لا إلَهَ إلّا اللَّه   وَحَوْلِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ
اللهُ اللهُ هُوَ الفَتَّاحْ   بِفَتْحِهِ تَنْبَسِطُ الأرْوَاحْ
سُبحَانَهُ وَفَالِقُ الأصْبَاحْ   مِنْ نُورِهِ المِشْكَاةُ وَالمِصْبَاحْ
بِضَوْءِ لا إلَهَ إلّا اللَّه   وَنُورِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ
اللهُ اللهُ هُوَ الوَهَّابْ   بِفَتْحِهِ تَنْفتِحُ الأبْوَابْ
سُبحَانَهُ وَأمْرُهُ المُجَابْ   وَكُنْهُهُ يُحَيِّرُ الألْبَابْ
بِوَهْبِ لا إلَهَ إلّا اللَّه   وَوَهْبِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ
اللهُ اللهُ الوَهُوبُ الكَافِي   اللهُ اللهُ الوَصُولُ الوَافِي
سُبحَانَهُ اللطِيفُ وَالمُعَافِي   كم أدْرَكَ المَلْهُوفَ بالألطَافِ
بِوَصْلِ لا إلَهَ إلّا اللَّه   وَوَصْلِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ
اللهُ اللهُ الخَبِيرُ في القِدَمْ   بالكُلِّ مِنْ قَبلِ الوُجُودِ وَالعَدَمْ
سُبحَانَهُ كَشَّافُ أسْتارِ الظُّلَمْ   وَوَاهِبُ الأسْرَارِ أسْرَارِ الحِكَمْ
بِكَشْفِ لا إلَهَ إلّا اللَّه   وَكَشْفِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ
اللهُ اللهُ السَّلامُ المُؤمِنُ   المَلِكُ القدُّوسُ وَالمُهَيمِنُ
سُبحَانَهُ الجَبَّارُ لَيسَ يُوهَنُ   المُتَكبِّرُ الوَدُودُ المُحْسِنُ
بِمُلْكِ لا إلَهَ إلّا اللَّه   وَمُلْكِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ هـــوَ الـــغـــفَّـــارُ اللهُ اللهُ هـــوَ الـــقـــهَّـــارُ
سُـبـحَـانَـهُ الـقـابـضُ مـا يَـخـتـارُ وَالـحَـاكِـمُ الـعَـدْلُ لَهُ الإكْـبَـارُ
بـــحُـــكْـــمِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَحُـكْـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ لا إِلَهَ إِلّا هُـــــوَ عَـــــنْ مُـرَادِهِ مَـا كَـانَ أو مَـا لَمْ يَـكُـنْ
سُبحَانَهُ أحْصَى الخفايا وَالعَلَنْ يَـكُـونُ مـا يُـريـدُهُ بـقَـوْلِ: كُـنْ
بـــغَـــلْبِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَغَـلْبِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

الـــلـه لا إِلَهَ إِلّا هُـــوَ فِـــي قُـدْرَتِـهِ سَـيْـطَـرَةُ الـتَّـصـرُّفِ
سُـبـحَـانَـهُ بـالـعُـسْـرِ لـم يُـكـلِّفِ الـخَـلْقَ فـي مَـرَاحِـمِ الـتَّـلَطُّـفِ
بـــرُحـــمِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَرُحـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

الـــلـه لا إِلَهَ إِلّا هُـــوَ لا تُـدْرِكُـهُ الأبْـصَـارُ جَـلَّ وَعَـلا
سُـبـحَـانَـهُ عَـنِ الـتَّـصَـوُّرِ اعْـتـلَى لا كَـيْـفَ، لا حَـدَّ ولا جِـنْـسَ خَـلا
بـــكِـــبْـــرِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَكِـبْـرِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

الـــلـه لا إِلَهَ إِلّا هُـــوَ لـــمْ يُـدْرِكْ سِـوَاهُ الـكِـبـرِيـاءَ وَالـعِـظَـمْ
سُـبـحَـانَـهُ عَـنْ جِـهَـةٍ وَمَـنْ وَكَـمْ وَعَـنْ مَـتَـى وَمَـا وَرَدْ مَـا حَـكَـمْ
بـــجَـــدِّ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَجَـدِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

الـــلـه لا إِلَهَ إِلّا هُـــوَ بِـــهِ قَـامَ الـوُجُـودُ فـي صُـنُـوفِ رُتَـبِـهْ
سُـبـحَـانَـهُ مَـنْ يَـعْـتَـصِـمْ بـسَـبَـبِـهْ نَـجَـا بِـهِ مِـنْ مُـوبِـقَـاتِ غَـضَـبِـهْ
بـــفَـــوْزِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَفَـوْزِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللـــه لا إلَهَ إلّا هُـــوَ مـــا   فـاتـتْـهُ ذرَّةٌ بـأرْضٍ وَسَـمـا
سُبحَانَـهُ وَالحَمْـدُ للهِ كَـمـا   أحْصَى وَسَوَّى وَقضَى وَعَلَّما
بـمَـدٍّ لا إلَهَ إلّا الـلـه   وَمَدِّ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللـــه لا إلَهَ إلّا هُـــوَ عَـمْ   عِـبادَهُ كـمـا أرَادَ بـالـنِّـعَـمْ
سُبحَانَـهُ جَفَّ بمـا شَاءَ القلَمْ   لَيسَ لَهُ مُعقِّبٌ فيمـا حَكَـمْ
بـكُـنْـهِ لا إلَهَ إلّا الـلـه   وَكُنْـهِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ لَهُ الحَمْـدُ عـلى   مـا مَرَّ مِنْ مُرِّ القَضَا وَما حَلا
سُبحَانَـهُ أحْمَـدُهُ عـلى البَلا   حَمْداً بآبادِ البَقا مُتَّصِلا
بـرَوحِ لا إلَهَ إلّا الـلـه   وَرَوحِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ وَلِيُّ الحَمْـدِ   اللهُ اللهُ عَلِيُّ المَجْـدُ
سُبحَانَـهُ إليه وَجْـيُ قَصْدِي   حَاشَاهُ أنْ يَجْبَهَنِي بالطَّرْدِ
بـجَـاهِ لا إلَهَ إلّا الـلـه   وَجَاهِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ جَمِيلُ السِّتْرِ   اللهُ اللهُ جَلِيلُ الذِّكْرِ
سُبحَانَـهُ جَلَّ عَظِيمُ القَدْرِ   اللـه ذُخْرِي يا لَنِعْمَ الذُّخْرِ
بـكـثْـرِ لا إلَهَ إلّا الـلـه   وَكثْرِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ وَلِيُّ المَغْفِرَه   اللهُ رَبِّي قَابِلٌ لِلمَعْذِرَه
سُبحَانَـهُ كـم فَاضِحٍ قَدْ سَتَرَه   بذِكْرِ مَنْ يَشَاهُ أو مَنْ ذكَرَه
بـذِكْـرِ لا إلَهَ إلّا الـلـه   وَذِكْرِ أسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ المَلِيُّ بالكَرَمْ اللهُ اللهُ الحَفِيُّ بالنِّعَمْ
سُبحانَهُ قدَّرَ أَقْدارَ القِسَمْ في الرِّزْقِ وَالحِرمانِ عَدْلُهُ انْحَتمْ
بِشأنِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَشأنِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ عليه أعْتمِدْ اللهُ اللهُ إليه أسْتنِدْ
سُبحانَهُ البَرُّ أبَرُّ مَنْ قُصِدْ وَخَيرُ مَنْ إليهِ في شَأنٍ صُمِدْ
بِحِصْنِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَحِصْنِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ مُقيمُ شِرْعَتِهْ وَحِفْظُهُ تَامٌّ نِظامِ فِطْرَتِهْ
سُبحانَهُ تَحتَ جَلالِ عِزَّتِهْ مُعْتصِمٌ بحَوْلِهِ وَقُوَّتِهْ
بِحِفْظِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَحِفْظِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ مُسبِّبُ السَّبَبْ بِحِكْمَةٍ أجْرَى بَدَائِعَ النِّسَبْ
سُبحانَهُ لِكُلٍّ خَلْقِهِ احتسَبْ ما ضَاعَ مَنْ إلى طَرِيقِهِ انْتسَبْ
بِحَبْلِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَحَبْلِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ لَهُ إخْلاصِي ليس لِعَبْدٍ مِنهُ مِنْ مَناصِ
سُبحانَهُ أرْجُو بِهِ خَلاصِي بالجُودِ يَومَ الأَخْذِ بالنَّواصِي
بِرُكْنِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَرُكْنِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ إليهِ مَهْرَعِي ظَلمْتُ نَفسِي وَإليهِ مَفْزَعِي
سُبحانَهُ بِعَيْنِهِ تَضَرُّعِي حَاشاهُ رَبِّي أنْ يَخيبَ مَطْمَعِي
بِنَفْحِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَنَفْحِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ إلـــيــهِ رَغْــبَــتــي وَنُـسْـكِـي وَأَوْبَـتـي وَتَـوْبَـتـي

سُـبـحَـانَـهُ يَـرَى مَـقـامَ لَهْـفَـتِـي يَـمِـيـنُـهُ تَـنْـشُـلُنِـي مِـنْ كَـبْـوَتِـي

بِـــأمْـــنِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَأمْـنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ لَهُ وَجْــهِــي عَــنـــا أشْـكُـو إِلـيـهِ مـا أُقـاسِـي مِـنْ عَـنـا

سُـبـحَـانَـهُ أحْـصَـى الـخَـفـا وَالـعَـلَنـا بَـيـنَ يَـدَيـهِ مَـنْ أنـا حَـيـثُ أنـا

بِـــجَـــبْـــرِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَجَـبْـرِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ إِلـــيــهِ أَنْـــظُـــرُ لِقَـــدْرِهِ وَشَـــأْنِـــهِ أَسْـــتَـــشْـــعِـــرُ

سُـبـحَـانَـهُ لـم يُـغْـنِ عَـنـهُ الأثـرُ أسْـعِـدْ بِـمَـنْ إِلـيـهِ رَبِّـي يَـنْـظُـرُ

بِـــبَـــابِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَبَـابِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ بِـــــه أَسْـــعَـــدُ حُـبِّـي لَهُ بِـحُـبِّـهِ مُـجَـرَّدُ

سُـبـحَـانَـهُ قـاصِـدُهُ لا يُـطْـرَدُ حَـاشَـاهُ أنْ يَـشْـقَـى بِـهِ مُـوَحِّـدُ

بِـــحُـــبِّ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَحُـبِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ مَـــقَـــامِـــي يَـــعْـــلَمُـــهْ مـا لِـمَـقـامِـي غَـيـرُهُ مِـنْ يُـكْـرِمُـهْ

سُـبـحَـانَـهُ يَـقـومُ مَـنْ يُـقَـوِّمُـهْ لا يَـنْـقُـضُ الـتَّـدْبِـيـرَ أَمْـرٌ يُـبْـرِمُـهْ

بِـــعَـــهْـــدِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَعَـهْـدِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ مُـــنَـــوِّرُ الـــقُـــلُوبْ اللهُ اللهُ مُـــفَـــرِّجُ الـــكُـــرُوبْ

سُـبـحَـانَـهُ عَـلّامُ مَـطْـوِيِّ الـغُـيُـوبْ لَهُ كَـمَـالاتُ الـسُّـلُوبِ وَالـوُجُـوبْ

بِـــحَـــمْـــدِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَحَـمْـدِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ شَـديـدُ الـبَـطْـشِ لَمْ يُـهْـمِلْ وَإنْ أَمْـهَـلَ حِيـناً مَنْ ظَلَمْ
سُبحانَـهُ أشكُـو إلَيـهِ ما عَـلِمْ مِـنْ بَـغْـيِ ظَـالِمٍ بِـشَـرِّهِ احْـتَـدَمْ
بِـقَـضـمِ لا إلَهَ إلّا الـلـه وَقَـضـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالنَّـصْـرَ وَالتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـذي تَـوَحَّـدا أشْكُـو إلـيـهِ ظَـالِـمـاً تَـمَـرَّدا
سُبحانَـهُ بِعِلْمِهِ كَيفَ عَدا قَـبْـضَـتُـكَ الـلـهُـمَّ بَـسْطَـةُ الـعِـدا
بِسَيفِ لا إلَهَ إلّا الـلـه وَسَيفِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالنَّـصْـرَ وَالتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ هُـوَ الـشَّـديـدُ اللهُ فَـعَّـالٌ لِمـا يُـرِيـدُ
سُبحانَـهُ الـكُـلُّ بِـهِ مَـسُـودُ أيْـنَ الـمَـفَـرُّ عَـنْـهُ وَالـمَـحِـيـدُ
بِـدَرْكِ لا إلَهَ إلّا الـلـه وَدَرْكِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالنَّـصْـرَ وَالتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ إلَيـهِ الـشَّـلْوَى وَالـسِّـرُّ فـي حِيـطَـتِـهِ وَالـنَّـجْـوَى
سُبحانَـهُ قَـدَّرَ قَـدْرَ الـبَـلْوَى وَألْـهَـمَ الـعَـبْـدَ عَـرِيـضَ الـدَّعْـوَى
بِـوَحْـيِ لا إلَهَ إلّا الـلـه وَوَحْـيِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالنَّـصْـرَ وَالتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ عَـلَى الـعَـرْشِ اسْـتَـوَى مُـلْـكـاً وَقَـهْـراً وَعُـلوّاً لا سِـوى
سُبحانَـهُ مَنْ عِلْمُـهُ قَـدْ احْـتَـوَى عـلى جَـهـارِ خَـلْقِـهِ وَمـا انْـطَـوَى
بِـعَـيـنِ لا إلَهَ إلّا الـلـه وَعَـيـنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالنَّـصْـرَ وَالتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ هُـوَ الـمُـنْـتَـقِـمْ مـا خَـشْـيَـتِـي مِـنْـهُـمْ وَمَـا كَـيْـدُهُـمْ
سُبحانَ رَبِّي حَسْبُ رَبِّي مِنْهُمْ قَـدْ مَـكَـرَ الـذيـن مِـنْ قَـبْـلِهِـمْ
بِـحِـرْزِ لا إلَهَ إلّا الـلـه وَحِـرْزِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالنَّـصْـرَ وَالتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ هُوَ المُعَايِنُ ... عَجْزِيَ مِنْ خَصْمٍ لَهُ ضَغَائِنُ
سُبْحَانَهُ بِاللهِ خَصْمِي وَاهِنُ ... يُثَبِّتُ اللهُ الذينَ آمَنُوا
بِدَفْعِ لا إِلَهَ إِلّا اللَه ... وَدَفْعِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ مَعَاذِي بَابُهُ ... إِنَّ العَزِيزَ مَنْ حَوَى جَنَابُهُ
سُبْحَانَهُ مُوْرِدُ مَنْ يَنَابُهُ ... عَذْبَ فُرَاتٍ سَائِغٍ شَرَابُهُ
بِوِرْدِ[1] لا إِلَهَ إِلّا اللَه ... وَوِرْدِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِهِ الخَصْمُ يَهُونْ ... كم حَلَّ بِالخَصْمِ عَذابٌ مِنْهُ هُونْ
سُبْحَانَهُ وَعِيدُهُ حَتماً يَكُونْ ... هذا الذي كُنتُمْ بِهِ تَستَعْجِلُونْ
بِقَمْعِ لا إِلَهَ إِلّا اللَه ... وَقَمْعِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ دُعَانَا سَمِعَا ... وَسَمِعَ الدُّعَاءَ مِنْ حَيثُ الدُّعا
سُبْحَانَهُ عَنْ مَنْعِ مُضْطَرٍّ دَعا ... أَنْ لَيسَ لِلإِنْسَانِ إِلّا ما سَعَى
بِضَمْنِ لا إِلَهَ إِلّا اللَه ... وَضَمْنِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ المُبِرُّ المُنْعِمُ ... يَرزُقُ مَنْ يَشَاءُ لَيسَ يَسْأَمُ
سُبْحَانَهُ نِعْمَتُهُ تُتَمِّمُ ... وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ
بِحِفْظِ لا إِلَهَ إِلّا اللَه ... وَحِفْظِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِهِ أَسْتَفْتِحُ ... بِغَيرِ فَتْحٍ مِنهُ لا يُفْتَتَحُ

---

(١) وِرْد: الماءُ الذي يُورَد؛ ويُقصَدُ بِهِ، هنا، ما يُرَدِّدُهُ المُريدُ من تسابيح وأدعيَة خلال نهاره وليله.

سُبحَانَهُ مِنْ مُمْسِكٍ ما يُفْتَحُ ... بِفَتْحِهِ يَفوزُ قَومٌ أَصْلَحُوا
بِمَنْحِ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ ... وَمَنْحِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ إِلَيهِ أَصْرِفُ ... وَجهِيَ وَهُوَ المُصْلِحُ المُصَرِّفُ
سُبحَانَهُ ما خَابَ مِنهُ المُشرِفُ ... قُلْ يا عِبَادِيَ الذينَ أَسْرَفُوا
بِمَدْحِ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ ... وَمَدْحِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ وَمِنْ مِنَّتِهِ ... أُفَوِّضُ الأَمْرَ إِلى خِيَرَتِهِ
سُبحَانَهُ لا ضِيقَ في رَأْفَتِهِ ... يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ في رَحْمَتِهِ
بِعِضَمِ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ ... وَعِضَمِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِهِ الكَونُ نَشا ... بِنُورِهِ مَشى إِلَيهِ مَنْ مَشى
سُبحَانَهُ كَمْ آنَسَ المُستَوحِشا ... اللهُ يَجْتَبِي إِلَيهِ مَنْ يَشا
بِذاتِ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ ... وَذاتِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ إِلَيهِ أَنْصَبُ ... اللهُ اللهُ إِلَيهِ أَرْغَبُ
سُبحَانَهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ أَقْرَبُ ... مُطَّلِعٌ لا شَيءَ عَنهُ يَعْزُبُ
بِسَبْقِ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ ... وَسَبْقِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ إِلَيهِ أَبْتَهِلْ ... أَعِلُّ مِنْ مَشْرَبِهِ وَأَنْتَهِلْ
سُبحَانَهُ مِنْ بَطْشِهِ الكُلُّ وَهِلْ ... أَدْعُوهُ وَالعُمْرُ مُوَلٍّ مُكْتَهِلْ
بِرَوْحِ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ ... وَرَوْحِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ عَلَيهِ أَتَّكِلْ ... تَوَكُّلًا بِكُلِّ طَوْرٍ مُتَّصِلْ

سُبحَانَهُ يَرْعَى حُقُوقَ المُتَّكِلْ		مـا اتَّـكَـلَ الـعَـبْـدُ عـلى اللهِ وَذَلّْ
بـــــرَغْـــــيِ لا إِلَهَ إِلّا الـــــله		وَرَغْـيِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِـــهِ أَغْـــتَـــصِـــمْ		اللهُ اللهُ لَهُ أَسْـــتَـــسْـــلِمُ
سُـبـحَـانَـهُ لِعِـزِّهِ الـتَّـكَـرُّمُ		لِـبَـابِ رَبِّـي مُـقْـدِمٌ لا أُحْـجِـمُ
بـــــحُـــــبِّ لا إِلَهَ إِلّا الـــــله		وَحُـبِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِـجَـاهِـهِ الـعَـظِـيـمْ		اللهُ اللهُ بِـوَجْـهِـهِ الـكَـرِيـمْ
سُبحَانَهُ اهْدِنا الصِّرَاطَ المُستَقِيمْ		وَنَـجِّـنـا رَبِّ مِـنَ الكَرْبِ الـعَـظِـيـمْ
بـــطِـــيـــبِ لا إِلَهَ إِلّا الـــله		وَطِـيـبِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِـكُـلِّ مـا تُـحِـبْ		مِـنْ صِـفَـةِ الرَّبِّ وَكُـلِّ مـا يَـجِـبْ
سُبْحَانَكَ الْطُفْ بِيَ وَاغْفِرْ وَاسْتَجِبْ		وَنَـجِّـنِـي وَعَـافِـنِـي وَارْحَـمْ وَتُـبْ
بـــــوَزْنِ لا إِلَهَ إِلّا الـــــله		وَوَزْنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِـــنُـــورِ ذاتِـــكْ		بِـقُـدْسِـكَ الـلـهُـمَّ فِـي صِـفَـاتِـكْ
سُـبْـحَـانَـكَ ارْحَـمْ وَقْـفَـتِـي بِـبَـابِـكْ		وَزَكِّـنـي بِـالـنُّـورِ مِـنْ أَسْـمَـائِكْ
بـــبَـــرْقِ لا إِلَهَ إِلّا الـــله		وَبَـرْقِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِـشَـاهِـدِ الـوُجُـودْ		اللهُ اللهُ بِـأَنْـوَارِ الـشُّـهُـودْ
سُـبـحَـانَـكَ اقْـبَـلْـنِي بِـأَسْرَارِ الـوُرودْ		وَهَـبْ لِيَ الـرَّحْـمَـةَ فِـي دَارِ الـخُـلُودْ
بـــــوُدِّ لا إِلَهَ إِلّا الـــــله		وَوُدِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِـوَهْـبِـيَّـاتِـكَـا		وَالـمُـشْـرِقَـاتِ مِـنْ تَـجَـلِّـيَـاتِـكَـا

سُبحَانكَ اعْرُجْ بي إلى مَرْضَاتِكَا وَهَبْ لِيَ العِصْمَةَ مِنْ خِلافِكَا

بِعَفْوِ لا إلَهَ إلّا الله وَعَفْوِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِعِزِّ السَّلْطَنَهْ اللهُ اللهُ بِمَجْدِ الهَيْمَنَهْ

سُبحَانَكَ اللهُمَّ قَدرَ الأزْمِنَهْ وَبَعْدَهَا انظُرْنا بأهْلِ المَيْمَنَهْ

بِفَضْلِ لا إلَهَ إلّا الله وَفضْلِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِسَبْقِ الكَلِمَهْ بالصُّحُفِ الطَّاهِرَةِ المُكَرَّمَهْ

سُبحَانكَ اللهُمَّ أهْلَ المَرْحَمَهْ نَفسِيَ إنْ قَوَّمْتَهَا مُقَوَّمَهْ

بِجَذْبِ لا إلَهَ إلّا الله وَجَذْبِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ إليهِ أَصْعَدُ بِكَلِمَاتِكَ التي لا تَنْفَدُ

سُبحَانكَ المُوَفِّقُ المُسَدِّدُ إيَّاكَ أَدْعُو سَيِّدي وَأَحْمَدُ

بِخَيرِ لا إلَهَ إلّا الله وَخَيرِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِذِكْرِكَ الحَمِيدْ بِحُبِّكَ المَكْنُونُ في قلبي العَمِيدْ

سُبحَانكَ اللهُمَّ ذا الأمْرِ الشَّدِيدْ خُذْ بيَدِي وَارْحَمْ مَقامِي يَا مَجِيدْ

بِوَثْقِ لا إلَهَ إلّا الله وَوَثْقِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِحَقِّ رَحْمَتِكْ رَبِّي اهْدِنِي لِقُرْبَةٍ مِنْ قُربِكْ

سُبحَانكَ انْعِشْنِي بفَضْلِ العِلْمِ بكْ وَاخْتِمْ بِرِضْوَانِكَ كَيْ أَفُوزَ بكْ

بِبَحْرِ لا إلَهَ إلّا الله وَبَحْرِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ إليكَ المُنْتَهَى هَبْنِيَ في هَوَاكَ رَبِّي وَلِهَا

سُبحانكَ اللهُمَّ عَبدُكَ انتهى إذ لم أكُنْ أُصدِقُكَ التوَجُّها
بذوْقِ لا إلَهَ إلّا الله وذوْقِ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصرَ وَالتَّفرِيجَ وَالفتحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ دَنا مِنِّي الأجَلْ وَلم يُقدِّرْ لِيَ صالِحُ العَمَلْ
سُبحانكَ اللهُمَّ حَقِّقِ الأمَلْ إنَّ اعتِرافي مِنْ وَسائِلِ العِلَلْ
بصَفحِ لا إلَهَ إلّا الله وَصَفحِ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصرَ وَالتَّفرِيجَ وَالفتحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ رَجائِي وَالثِّقَةْ بَينَ طِباقِ السَّيِّئاتِ المُوبِقَةْ
سُبحانكَ ارْحَمْ مَنْ جَداهُ عَلَقَةْ[1] وَاجعَلْ ظُنُونِي كُلَّها مُحَقَّقَةْ
بنُجحِ لا إلَهَ إلّا الله وَنُجحِ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصرَ وَالتَّفرِيجَ وَالفتحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الجَوادُ المُسعِفُ الله يا مَنْ ذاتُهُ لا تُوصَفُ
سُبحانكَ العَدْلُ العَزِيزُ المُنصِفُ تَولَّني يا صادِقاً لا يُخلِفُ
بسِترِ لا إلَهَ إلّا الله وَسِترِ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصرَ وَالتَّفرِيجَ وَالفتحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الحَبِيبُ المُجمِلُ المُكْرِمُ المَوْلَى الذي لا يَبخَلُ
سُبحانكَ اللهُمَّ أنتَ المُوكَلُ كُنْ يا مُعِينِي حافِظاً لا يَغفَلُ
بكَفِّ لا إلَهَ إلّا الله وَكَفِّ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصرَ وَالتَّفرِيجَ وَالفتحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ المُثِيبُ المُجزِلُ اللهُ اللهُ العَطُوفُ المُنزِلُ
سُبحانَهُ لِخَلقِهِ مُعَوَّلُ سُبحانَهُ لِكُلِّ شَرٍّ مُبطِلُ

---

(١) جَداه: أصلُه || عَلَقة: إحدى مراحل نُموّ الجنين.

بـــــنَــــــفْــــعِ لا إلَهَ إلّا الــــله وَنَـفْـعِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ رَجَـــاءُ الــــسَّـــائِلِيـــنْ اللهُ اللهُ أَنِـيـسُ الـعَـارِفِـيـنْ
سُـبـحَـانَـهُ قُـرَّةُ عَـيـنِ الـعَـابـدِيـنْ مُـنـفِّـسُ الـكُـرْبَـةِ رُكْـنُ الـلاجـئِـيـنْ
بـــــكَـــــفْـــلِ لا إلَهَ إلّا الــــله وَكَـفْـلِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ بـــالاسْــــمِ الأعْـــظَـــمِ صَـــلِّ عـــلــى مُـــحَـــمَّـــدٍ وَسَـــلِّمِ
فَـضْـلِ الـوُجُـودِ الـفـاتِـحِ الـمُـخْـتَـتِـمِ وَآلِهِ وَالـــصَّـــحْـــبِ أَهْـــلِ الـــكَـــرَمِ
بـــــعِـــــلْـــمِ لا إلَهَ إلّا الــــله وَعِـلْـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ وَحُـــلَّ عُـــقْـــدَتـــي بِـجَـاهِـهِ الأعْـظَـمِ وَاجْـبُـرْ عِـلَّـتِـي
وَعَـافِـنـي يَـا رَبِّ وَاشْـفِ كُـرْبَـتِـي فـي الـدِّيـنِ وَالـدُّنـيَـا وَيَـسِّـرْ عُـسْـرَتـي
بـــــسَـــــيْـــبِ لا إلَهَ إلّا الــــله وَسَـيْـبِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

وَافْـتَـحْ لِـيَ الـلـهُـمَّ مِـنْ آمَـالِـي أَنْـفَـعَـهَـا فـي الـحَـالِ وَالـمَـآلِ
وَالـــوَالِدَيـــنِ وَجَـــمِـــيـــعِ الآلِ وَاخْـتِـمْ لَـنـا بِـصَـالِحِ الأعْـمَـالِ
بـــــعَـــــرْشِ لا إلَهَ إلّا الــــله وَعَـرْشِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

وقال أيضاً:

اللهُ بِـــسْـــمِ اللهِ يَـــا اللهُ الأَجَـــلْ بِـكَ أَسْـتَـجِـيـرُ مِـنَ الـخَـطَـايَـا وَالـزَّلَـلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا رَحْـمَـنُ هَـبْ لـي رَحْـمَـةً إنـي عـلـى خَـطْـبٍ جَـلَـلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ سَـعْـنِـي رَحْـمَـةً أنـا يَـا رَحِـيـمُ لِوَاسِـعِ الرُّحْـمَـى مَـحَـلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا مَـلِكُ احْـمِـنـي مِـنْ كُـلِّ سُـوءٍ، إنَّ مَـن لـم تَـحْـمِ زَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا قُـدُّوسُ حُـلْ بَـيـنِـي وَآفَـاتِـي الـرَّوَاسِـخِ كَـالـجَـبَـلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ سَلِّمْ طَاعَتي لك يَا سَلامُ إنَّنِي رَهْنُ العِلَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ أمِنَكَ إننِي يَا مُؤمِنَ المَذْعُورِ مِنكَ على وَجَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ أشْكُو ظَالِماً طَالتْ قُواهُ يا مُهَيْمِنُ وَاهْتبَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ عِزِّي ثَابِتٌ بكَ يَا عَزِيزاً عَزَّ وَالخَصْمُ الأذلُّ
اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا جَبَّارُ خُذْ خصْمِي وَمَزِّقْهُ فقد غَلَبَ الحِيَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا مُتكَبِّراً فلْتُمْحِقِ المُتكبِّرِينَ على عَجَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ جُدْ يَا خالِقَ الـ أشياءِ مِنْ عَدَمٍ بإيجَادِ الأمَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ كَوِّنْ مَطْلَبِي يَا بارِئُ المُخْتارِ جَلَّ عَنِ العِلَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ صَوِّرْ في جَنا نِي يَا مُصَوِّرُ حُبَّكَ الأعْلَى الأجَلُّ
اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا غَفَّارُ قَدْ أسْرَفتُ فاغْفِرْ ما أسَأْتُ مِنَ العَمَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا قَهَّارُ خُذْ خصْمِي العَنِيدَ فأنتَ تَعْلَمُ ما فَعَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا وَهَّابُ هَبْ لي رَحْمَةً دُنيَا وَأُخْرَى تَشْتمِلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا رَزَّاقُ قَدْ أقلَلْتُ فارْزِقْنِي وَرِزْقُكَ لا يَقِلّ
اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا فتَّاحَ أبْـ واب الفُتُوحِ افْتحْ لِعَبْدِكَ ما انْقفَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ كَشْفُ جَهَالَتِي بكَ يَا عَلِيمُ اكْشِفْ لِعَقلِي ما جَهِلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ خُذْ يَا قابِضَ الـ أرْوَاحِ رُوحَ الظَّالِمِ الطَّاغِي المُضِلُّ
اللهُ بِسْمِ اللهِ جُدْ لي بَسْطَةً يَا باسِطَ الخَيْراتِ للعَبْدِ المُقِلُّ
اللهُ بِسْمِ اللهِ خَافِضَ مَنْ طَغَى بكَ أسْتجِيرُ مِنَ العِدَى اخْفِضْهُم بِذُلّْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ رَافِعُ أهْلِهِ ارْ فعْنِي مِنَ الدَّرَجَاتِ في أسْنى مَحَلُّ
اللهُ بِسْمِ اللهِ ثبِّتْ عِمْرَتِي لك يَامُعِزُّ وَذلَّ خَصْمِي يَا مُذِلُّ
اللهُ بِسْمِ اللهِ سَامِعَ دَعْوَتِي لك يَا سَمِيعُ وَأنتَ تَسْمَعُ مَنْ وَألْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ قَوِّ بَصِيرَتِي بك يَا بَصِيرُ إلى المَرَاشِدِ أسْتدِلُّ
اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا حَكَمُ انْتقِمْ مِنْ ظَالِمِي أشْكُوهُ خُذْهُ بلا مَهَلْ
اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا عَدْلُ اجْترَى هذا الظَّلُومُ وَأنتَ أعْدَلُ مَنْ عَدَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ لُطْفاً فِي النَّوَا　　زِلِ يَا لَطِيفُ الطُفْ بنا فيما نَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَظْهِرْ لِي الحَقَا　　ئِقَ يَا خَبِيرُ لا يَزَالُ ولم يَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ عَبْدُكَ مُشرِفٌ　　وَعَظِيمُ حِلْمِكَ يَا حَلِيمُ هُوَ الأَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَعْظِمْ بُغْيَتي　　فَوْزاً عَظِيماً، يَا عَظيمُ، تَلا الأَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ بالغُفرَانِ جُدْ　　لي يَا غَفُورُ فما بعَذْلِكَ لي قِبَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ هَبْ لِي الشُّكْرَ في الـ　　ـنِّعَمِ الدَّقِيقةِ يَا شَكُورُ وَفِي الجَلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَعْلِ مَكَانَتِي　　بِعُلُوِّ عِلْمِكَ يَا عَلِيُّ وَبالعِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ جَلَّتْ كِبْرِيَا　　ؤكَ يَا كَبيرُ فلا نَدِيدُ وَلا مَثَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حِفظاً شَامِلًا　　أنا يَا حَفيظُ بما تَرَاهُ مُعْتَقَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أنتَ المُنعِمُ الـ　　ـمُعْطِي المُقِيتُ افْتَحْ وَبارِكْ ما حَصَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَسْبي اللهُ في الـ　　ـتفصِيلِ مِنْ قَدْرِ الحَسِيبِ وَفي الجُمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ　　بك يَا جَلِيلُ أجلُّ عَنْ شَيْنِ الخَلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَكْرِمْ مَوقِفي　　أنتَ الكَرِيمُ وَأنتَ أحفى مَنْ كَفَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَسْبي أنَّ عِلْـ　　ـمَكَ يَا رَقِيبُ بسُوءِ حَالِي لم يَحِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ كَاشِفُ سُوءِ مُضْـ　　ـطرٍّ دَعَاهُ مُجيبُ دَعْوَةِ مَنْ سَأَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ دَافِعُ كُلِّ ضُـ　　ـرٍّ، يَا حَكِيمُ ادْفَعْ بحِكْمَتِكَ العِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ ذي العَرْشِ المَجِـ　　ـيدِ بحَقِّ وُدِّكَ يَا وَدُودُ أَغِثْ وصِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ مَجْدُكَ مَوْئِلي　　بك يَا مَجِيدَ الوُدِّ باسْمِكَ أَبْتَهِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ فابْعَثْ باعِثَ الـ　　ـمَوتى بلُطْفِك يَا لَطِيفٌ لم يَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أشْهِدْ لي غُيُو　　بي مُخْلِصاً لَكَ يَا شَهِيد بالعَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا حَقُّ اكْفِنِي　　أسْواءَ نفسِي وَالمَعَالِي وَالقَبَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ كُنْ لِي في أُمُو　　ري يَا وَكِيلُ وَيَا حَسِيبُ مَنِ اتَّكَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَوِّ عَزائِمي　　في مُرْضِيَاتِكَ يَا قويُّ مِنَ العَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ مَتِّنْ حَبْلَ حَـ　　ـظِّي يَا مَتِينُ فإنَّ حَظِّي مُنْبَتِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ رَبٌّ تَوَلَّنِي / بِك يَا وَلِيُّ أَلُوذُ فِي ضِيقِ الحِيَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أنتَ المُنعِمُ الـ / ـمَلِكُ الحَمِيدُ وَحَمْدُكَ الحَمْدُ الأَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ سَخِّرْ لِي الكَوَا / ئِنَ أنتَ مُحْصِي كُلَّ شَيءٍ فِي الأَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أوْجِدْ مَطْلَبِي / يَا مُوجِدَ الأشيَاءِ لا تَحْكِي مَثَلْ[1]

اللهُ بِسْمِ اللهِ عُدْ لِي عَوْدَةً / أنتَ المُعِيدُ وَأنتَ أخفى مَنْ بَذَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أحْيِ سَرِيرَتِي / بِالذِّكْرِ يَا مُحْيِي وَصِنْعَةَ مَنْ وَصَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أهْلِكْ ظَالِمِي / وَبِعَيْنِ عَدْلِكَ، يَا مُمِيتُ، بَغى وَضَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قلبِي أحْيِهِ / يَا حَيُّ إذ بحَيَاتِكَ الحَيُّ اشتَغَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا قَيُّومُ يَا / مَنْ جَلَّ عَنْ دَرْكِ السَّآمَةِ وَالمَلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أوْجِدْ لِي الغِنَى / يَا وَاجِداً حَقَّ الكَمَالِ بِلا مَثَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ مَجْدُكَ عِصْمَتِي / يَا مَاجِدُ اكْفِ الفَقرَ مِنْ كُلِّ السُّبُلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ وَحْدَتُكَ انْجَلَتْ / يَا وَاحِدُ الأَحَدُ الوُجُودُ عَلَيكَ دَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا صَمَدُ اكْفِنِي الـ / ـعُسْرَى وَصُنْ وَجْهِي بِيُسْرٍ مُنْهَمِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حُلَّ شَدَائِدِي / يَا قَادِرُ امْحَقْهَا فقَدْ ضَاقَ الكَبَلْ[2]

اللهُ بِسْمِ اللهِ تَذهَبُ عَاجِلاً / واللهُ مُقْتَدِرٌ عَلَى نَسْفِ الجَلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَدِّمْ زُلْفَتِي / لَكَ يَا مُقَدِّمُ فِي مَرَاتِبِ مَنْ قُبِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أبْعِدْ ظَالِمِي / عَنْ كُلِّ خَيرٍ يَا مُؤَخِّرُ وَاعْتَقِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أسْبِقْ فِي الرِّضَا / يَا أوَّلاً دُونَ ابْتِدَاءٍ لَمْ يَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ صَفِّ سَرِيرَتِي / يَا آخِرَ الأشْيَاءِ لَيسَ إلى أجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أظْهِرْ حُجَّتِي / يَا ظَاهِراً لِظُهُورِهِ المَصْنُوعُ دَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ آنِسْ وَحْشَتِي / يَا بَاطِنَ الذاتِ المُقَدَّسِ مِنْ عِلَلْ

---

(١) لا تحكي مثل: لا تشابه شبيهاً.

(٢) الكَبَل: القيد.

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا وَالِي احْمِنِي — مِن كُلِّ سُوءٍ وَاصِلٍ أو لم يَصِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا مُتَعَالِياً — عَنْ أيِّ نَقْصٍ أعْلِنِي عَمَّا سَفَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ بِرَّكَ أَغْنِنِي — يَا بَرُّ إِذْ بِرُّ الخَلِيقَةِ مُنْبَتِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا تَوَّابُ تُبْ — إني أَنِبْتُ مِنَ الخَطَايَا وَالزَّلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قِسْطُكَ قَائِمٌ — فتَجَلَّ مُنْتَقِماً مِنَ الطاغِي الأَضَلّْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ عَفْواً مَاحِياً — ذنبي وَعَفْوُكَ يَا عَفُوُّ هُوَ الأَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَسْأَلُ رَأْفَةً — إني ببابكَ يَا رَؤُوفُ عَلَى وَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَوْسِعْنِي الغِنَى — يَا مَالِكَ المُلْكِ المُدَبِّرِ لِلدُّوَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ هَبْ يَا ذا الجَلا — لِ لنا، وَذا الإِكْرَام عِزاً لا يُذَلّْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ مُقْسِط حُكْمِهِ — إني ظَلَمْتُ وَلَيسَ عِندِي مُحْتَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ جَامِعُ خَلْقِهِ — لِلِقائِهِ اجْمَعْنِي وَعَجِّلْ بالشَّمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ فَقْرِي زَائِلٌ — طَوْلُ الغَنِيِّ الحَقِّ طَوْلٌ لا يُغَلّْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا مُغْنِي اكْفِنِي — عَمَّنْ سِوَاكَ فَإِنَّ جُودَكَ لا يَقِلّْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَمْتَنِعُ الشَّقَا — يَا مَانِعُ امْنَعْ كُلَّ سُوءٍ بِي نَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ضَارُّ انْتَقِمْ — مِنْ ظَالِمٍ لِصَوَارِمِ العُدْوَانِ سَلّْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ نَافِعَ خَلْقِهِ انـ — ـفعْنِي بِمَا أَمَّلْتُ نَفْعاً مُشْتَمِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ نَوِّرْ بَاطِنِي — يَا نُورُ وَاجْعَلْنِي بِنُورِكَ أَشْتَعِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا هَادِي اهْدِنِي — واهْدِ القُلُوبَ إِلَيَّ وَاهْدِ بِيَ السُّبُلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ نَفْحَةَ رَحْمَةٍ — تَذرُ المَصَاعِب يَا بَدِيعُ كَلَم تَنَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا بَاقِي اكْفِنِي — ضُراً يُلازِمُنِي كَمَا لَزِبَ الجَبَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ وَارِثُ خَلْقِهِ — يَا وَارِثُ امْنَحْنِي خَصَائصَ مَنْ كَمُلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَرْشِدْ فِي المَرَا — شِدِ يَا رَشِيدُ مِنَ الخَلائِقِ وَالعَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ هَبْ لِي الصَّبْرَ فِي — كُلِّ الأُمُورِ بِغَيرِ ضُرٍّ قَدْ حَصَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ذا الطَّوْلِ عَبْـ — ـدُكَ يَسْتَقِيلُكَ فاعْفُ عَنهُ ما جَهِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ فَقْرِي عَاقِلِي ... بيَدِ الإلَهِ الحَقِّ فكُّ المُعْتَقَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَنْقَلِبُ البَلا ... بكَ يَا مُحِيطُ وَيَنْطَوِي نَشْرُ العِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَظِّي باقْتِدَا ... رِكَ يَا قَدِيرُ يَنالُ ما عَزَّ الحِيَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ وَفْرُ كِفايَتِي ... بِكِفايَةِ الكَافِي الكَرِيمِ لِمَنْ كَفَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَقِّقْنِي شَكُو ... راً حَامِداً يَا شَاكِرَ العَبْدِ المُقِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَضْماً ظَالِمِي ... يَا قائماً بالقِسْطِ قِسْطُكَ لم يَحُلْ[1]

اللهُ بِسْمِ اللهِ غَارَتَكَ السَّرِيعَةَ ... يَا سَرِيعُ عَلَيهِ أَرْسِلْها العَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ صَفْحُكَ سَيِّدِي ... يَمْحُو الخَطايَا غَافِرَ الذَّنْبِ الجَلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ تَعْلَمُ تَوْبَتِي ... يَا قابلَ التَّوْبِ ارْضَهَا فِيما قُبِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ نَكِّلْ بالعِدَى ... أنتَ الشَّدِيدُ عِقابُهُ، أنتَ الأَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ غَوْثاً مُسْرِعاً ... يَا مُسْتَغاثُ وَيَا مُغِيثاً مَنْ وَأَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَسْبِي فَاطِرَ الـ ... أشيَاءِ في سُلْطانِهِ كَنَفٌ وَظِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ رَبٌّ تَوَلَّنِي ... عِظَمُ الرُّبُوبَةِ لا تَضِيقُ بذي أَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَهْراً خَصْمَنا ... يَا قَاهِرَ الغُلَّابِ صَيِّرْهُم مَثَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ مَوْلايَ انْتَصِرْ ... ولَنِعْمَ مَوْلَى لا تُنازِعُكَ العِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَدْ مَرَدَ[2] العِدَى ... نِعْمَ النَّصِيرُ فَأَيِّدِ الحِزْبَ الأَقَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ دَعْوَةُ مُخْلِصٍ ... أنتَ القريبُ تُجيبُ دَعْوَةَ مَنْ سَأَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا فَعَّالُ تَفْـ ... ـعَلُ ما تُرِيدُ وَكُلُّ ما شِئْتَ انْفَعَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا مَنَّانُ مَنُّـ ... ـكَ لَيسَ يَنْفَدُ بالعَطَاءِ وَلا يَقِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ خَلَّاقُ البَرِ ... يَّةِ ما تَشاءُ عَلَى اخْتِيارِكَ يَسْتَقِلْ[3]

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ذا القُوَّةِ ادْ ... فَعْ كَيدَ خَصْمِي وَلْيَكُ النِّكْسَ الأَذَلْ

---

(١) لم يَحُل: لم ينزل.

(٢) مَرَدَ: تمرّد.

(٣) يستقلّ: يختص.

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ذا العِزَّةِ انـ ـظُرنا وَأَوْجِبْ في أَعَادِينا الفشَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ذا البَطْشِ أَخْـ ـزِهِمُ بِبَطْشِكَ في أَعَادِيكَ الأُوَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ عَجِّلْ هُلْكَهُم ذا الانتقامِ فإنَّ جُورَهُمُ اشْتَعَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا خَلَّاقَنا يَا ذا المَعَارِجِ هَبْ لنا العِزَّ الأَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ذا العَرْشِ لا تنصُرْ عَلَينا باغِياً نَسِيَ الأَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ذا الفَضْلِ قَدْ بَسَطَ اليَمِينَ إِلَيكَ عَبْدُكَ وَابْتَهَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ذا الرَّحْمَةِ ارْحَمْنِي فإنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ الجَلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ عَبْدُكَ ضَارِعٌ لكَ يَا مَلِيكُ شُؤُونَ مَطْلَبِهِ وَكِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَدْعُو مُخْبِتاً أَرْجُو التَّجَاوُزَ مِنكَ عَنْ سُوءِ الفِعَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أُثْقِلَ كَاهِلي وَعَظِيمُ فَضْلِكَ وَاسِعٌ حَطَّ الثِّقَلْ

مَوْلايَ في أَسْمَائِكَ الحُسْنى لنا حَبْلٌ مَتِينٌ لا يُرَامُ وَلا يُحَلْ

مَوْلايَ في أَسْمَائِكَ الحُسْنى لنا غَوْثٌ سَرِيعٌ بِانْتِصَارِكَ يُسْتَهَلْ

مَوْلايَ فَرِّجْ هَمَّنا وَغُمُومَنا بِفُيُوضِهَا وَافْتَحْ بها بَابَ الأَمَلْ

مَوْلايَ بِالأَسْمَاءِ وَالأَسْرَارِ وَالـ أَنْوَارِ وَالآثَارِ مِنْهَا أَبْتَهِلْ

أَدْعُو بِكُلِّ اسْمٍ لِذاتِكَ بِالصِّفَا تِ الطَّاهِرَاتِ وَكُلِّ مَوْحِيٍّ نَزَلْ

أَدْعُو بِكُلِّ وَسِيلَةٍ أَحْبَبْتَهَا مِنْ سَائِلِيكَ فَتستجِيبُ لِمَنْ سَأَلْ

بِمُحَمَّدٍ وَالطَّيِّبِينَ وَمَنْ إذا ذُكِرُوا؛ بِهِمْ بَرَكَاتُ فَضْلِكَ تَستهِلْ

يَا رَبِّ صَلِّ مُسَلِّماً أَبَداً عَلَيهِ وآلِهِ وَعَلَى المَلائِكِ وَالرُّسُلْ

القصيدة الهَمزيَّة[*]

إلـهِـيَ لاسْـمِـكَ الأعْـلَى الـعَـلاءُ ... لَهُ الـتَّـسْـبـيـحُ مِـنِّـي وَالـثَّـنـاءُ

أَقَـمْـتُ لـعِـزِّ وَجْـهِـكَ ذُلَّ نَـفْـسِـي ... فَـأَفْـنِ الـنَّـفْـسَ فِـيـكَ لَكَ الـبَـقـاءُ

إلَيْـكَ يَـسُـوقُـهَـا شَـوْقٌ مُـلِـحٌّ ... وَأَصْـوَاتُ الـصِّـفـاتِ لَهَـا حُـدَاءُ

أُجَشِّـمُـهـا الـعَـزَائِمَ وَهـيَ نَـضْـوٌ[1] ... وتَـحْـتَ عَـزَائِمِ الـنَّـفْـسِ الـعَـلاءُ

أُجَـرِّدُهـا مِـنَ الأهْـوَاءِ حَـتَّـى ... يُـبَـاشِـرَهَـا بِـمِـنَّـتِـكَ الـصَّـفـاءُ

أمَـزِّقُ بـاسْـمِـكَ الأعْـلَى صِـفـاتِـي ... وَأَلْبِـسُ مِـنْ صِـفـاتِـكَ مـا أَشَـاءُ

أَبَـيْـتُ سِـوَى جَـلالِكَ لـي جَـلالًا ... وَلَيْـسَ كَـنُـورِ وَجْـهِـكَ لِي سَـنـاءُ

أَنُـصُّ[2] إلـيـكَ بـالإخْـلاصِ سَـيْـرِي ... تَـسَـاوَى الـخَـوفُ عِـنْـدِي وَالـرَّجَـاءُ

أُمَـنِّـي الـنَّـفْـسَ مِـنْ لُقْـيَـاكَ خَـيـراً ... فَـهَـلْ لِسَـعَـادَتِـي ذاكَ الـلِّقـاءُ

إلـهـي بُـلْغَـتِـي[3] لَيْـسَـتْ بِـزَادٍ ... وَفِـيـكَ لِكُـلِّ ذِي أَمَـلٍ كِـفـاءُ

أَقُـومُ بـمـا أَقُـومُ بِـهِ وَلـكِـنْ ... حَـقِـيـقَـةُ مـا أَقُـومُ بِـهِ خَـلاءُ

أَمَـا وَجَـلالِ وَجْـهِـكَ لَيْـسَ إلّا ... مُـجَـرَّدَ فَـضْـلِكَ الـعَـمَـلُ الـوَفـاءُ

(*) وردت القصيدة الهمزية في الأصل المُعتمد بعنوان: وقال عفى الله عنه.

(1) نَضو: الهزيل من الحيوانات.

(2) نصَّ الدّابّة: استحثها للإسراع في مشيها.

(3) البُلْغَة: ما يكفي لسَدِّ الحاجة ولا يَفضُلُ عنها.

أَمِنتُ بِنُورِ وَجْهِكَ في طَرِيقي وإلّا فالضَّلالَةُ وَالشَّقاءُ
أَسَأتُ صِناعَتِي وَالسُّوءُ طَبْعِي وَأَنتَ مِنَ الإِسَاءَةِ لِي بَراءُ
أسِيرٌ تَحتَ بَابِكَ بالخَطايَا وَعَدْلُكَ في الحَقِيقَةِ لِي جَزاءُ
أَشَدُّ مَصَائِبِي ذَنْبِي وَلكِنْ بِرَحْمَتِكَ التَأَسِّي وَالعَزَاءُ
أَقِلْ لِي عَثرَتِي وَاغفِرْ ذُنُوبِي فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ ما يَشَاءُ[1]
أَتَطْرُدُنِي وَقَدْ حَقَّقْتُ تَوْبِي وَأَنتَ البَرُّ عَادَتُكَ الوَفاءُ
إذا أَخْلَصْتُ إِيمَانِي وَتَوْبِي إليكَ فما بَقِي إلّا الرِّضَاءُ
أَقَمْتَ لِيَ الدَّلِيلَ عَلَيكَ حَتى تَجَلَّى الأمْرُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ[2]
إلهِي كُنْتَ كَنْزاً في خَفاءٍ فحِينَ فَطَرْتَنا بَرِحَ الخَفَاءُ
أَحَقُّ الاعْتِرَافِ بِأَنَّ عَبْداً إذا عَرَفَ اسْتَقامَ لَهُ الوَلاءُ
أَعِرْفانٌ وَمَعْصِيَةٌ وَجَهْلٌ؟ مَعاذَ اللهِ ذاكَ هُوَ البَلاءُ
أَقِمْ لِي عِصْمَةً وَاحفَظْ سُلُوكِي فَإِنَّ الحَقَّ عِصْمَتُهُ وِقَاءُ
أَمَا وَجَلالِ وَجْهِكَ لَنْ تَرَانِي سَلِيماً حِينَ يُسْلِمُنِي القَضَاءُ
أَأَشْقَى سَيِّدِي وَالذِّكْرُ كَسْبِي وَأَنْفَاسِي التَّبَتُّلُ وَالدُّعَاءُ

---

(١) من تقنيات الخطاب الشعري المُوجَّه للذات الإلهية عودة الشاعر (وغالباً في نفس البيت) لاستخدام ضمير الغائب في تقرُّبه من الخالق بآيةٍ من آيات القرآن الكريم، وهي وسيلة هدفها التأكيد على مطلبه باستخدام أكثر من ضمير، كما في هذا البيت الذي يتخلى في شطره الثاني عن خطابه المُباشر: (أقِلْ لي عثرتي..) إلى التوسُّلِ بمُسَلَّمَة: (فإنَّ الله يفعل ما يَشاءُ). والحقيقة أن خروجاته ودخولاته بين الضمائر أسلوبيَّة يَنضحُ بها خطابُهُ الشعري تناظُراً وتقابُلاً.

(٢) بعد معاتبته للخالق في البيتين السابقين على عدم قبوله بين الأبرار (أتطردني؟ رغم تحقيقي لكل شروط التوبة المُستوجِبَة لرضاك...)، يعود لتعليل حُجَّة تماديه في خطاب الذات الإلهية في هذا البيت: (أقمتَ ليَ الدّليل عليك..) كسراً لمَسار خطابه في الشطر الثاني من البيت، فالتتمة ليست كما يُوحي ظاهرها بقيام دليل المخلوق في مُحاجَجَته (وهو دَليلٌ أقامه الخالق)، بل للتخفيف من جِدَّة خطابه بالعودة لاستخدام مثل يُضرَبُ لحظة انكشاف الحقيقة (وهي حقيقة الخالق): تجلّى الأمرُ وانكشفَ الغطاء، وهو ما يتمهَّلُ في إيضاحه عن قصد حتى البيت التالي: إلهي كُنتَ كنزاً في خفاءٍ | فحِينَ فطَرْتنا برح الخفاءُ.

أَجِـزْنِـي نَـظْـرَةً فـي الـحَـالِ وَالـطُـفْ بِـهِ أنـتَ الـلطِـيـفُ بـمـا تَـشَـاءُ
أَجِـبْ بِـمُـحَـمَّـدٍ كَـلِمَـاتِ ذِكْـرِي وَصَـلِّ عَـلَيـهِ مـا نُـشِـرَ الـثَّـنـاءُ[1]

(١) على قِصَرِها بين مُطوّلاته، لكنّ هذه القصيدة ذات فرادة خاصّة في الخطاب والمعنى والتأويل والتركيب، فأبياتها تبدأ بألِفٍ مَهمُوزة لتنتهي قوافيها بألِفٍ متبوعة بهمزةٍ مرفوعة.

القصيدة البائيَّة[*]

بِاسْمِكَ سَيِّدي تُجلَى الكُرُوبُ ... وَذِكْرُكَ تَطْمَئِنُّ بِهِ القُلُوبُ[1]

بِحَمْدِكَ سَبَّحَتْ رُوحِي وَنَفْسِي ... وَقَلْبِي فِيكَ مُنْكَسِرٌ قَطِيبُ[2]

بَثَثْتُ إِلَيكَ أَحزانِي وَكَرْبِي ... وَحَالِي عَنكَ رَبِّي لا تَغِيبُ

بِرَحْمَتِكَ اسْتَغَثْتُ وَلِي يَقِينٌ ... بِأَنَّ مَنِ اسْتَغَاثَكَ لا يَخِيبُ

بِلُطْفِكَ سَيِّدي فَرَجٌ وَبُشْرَى ... وَإِنْ عَقَدَتْ شَدَائِدَها الخُطُوبُ

بِمَنْظَرِكَ العَلِيِّ صِفاتُ نَفْسِي ... وَما جَرَّتْ عَلَيَّ بِهِ الذُّنُوبُ

بِسُوءِ الاخْتِيارِ عَصَيْتُ رَبِّي ... وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ مِنها أَتُوبُ

بَصُرْتَ بِزَلَّتِي سِراً وَجَهْراً ... وَسِرُّكَ لَيسَ تَهْتِكُهُ العُيُوبُ

بَعِيدٌ مِنْ عَبِيدِكَ كُلُّ خَيرٍ ... وَلٰكِنْ أَنتَ بِالحُسْنى قَرِيبُ

بِرَأْفَتِكَ اسْتَجَرْتُ مِنَ الخَطايَا ... فَكُلُّ مَكَاسِبِي إِثْمٌ وَحُوبُ[3]

بَرِئْتُ إِلَيكَ مِمَّا لَسْتَ تَرْضَى ... وَأَنْتَ عَلَى بَرَاءَتِيَ الرَّقِيبُ

بِأَوْبَةِ مُخْلِصٍ لم يَبْقَ شَيءٌ ... سِواكَ على الوُجُودِ لَهُ حَبِيبُ

بَعَثْتُ إِلَيكَ مِنْ سِرِّي رَجاءً ... وَأَنتَ عَلِيمُ ما تُخْفِي الغُيُوبُ

(*) القصيدة البائية وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال).

(1) كسابقتها، تبدأ جميع أبيات هذه القصيدة بحرف باءٍ مجرور أو منصوب لتنتهي بنفسِ الحرف مرفوعاً، كما لو أرادها بائيَّةً مُزدَوَجة.

(2) القَطِيب: هو الممزوجُ من الشراب، والقصد امتزاجُ الخوف والرَّجاء في القلب.

(3) حُوب: ذنب.

بَصِيرٌ بي وَما أُخْفِي وَأُبْدِي ... وَما يَأْتِي بِهِ الزَّمَنُ العَصِيبُ

بِما نَجَّيتَ نُوحاً حِينَ نادى ... وَأَنتَ لِكُلِّ مَنْ نادى مُجِيبُ

بِما نَجَّيتَ يُونُسَ حِينَ نادى ... وَسَبَّحَ فانْجَلَتْ عَنهُ الكُرُوبُ

بِما نَجَّيتَ أَيُّوبَ المُنادِي ... ونِعْمَ العَبْدُ أَوَّابٌ مُنِيبُ[1]

بَدِيعَ الكائِناتِ الْطُفْ بِعَبْدٍ ... لَهُ مِنْ كُلِّ سَيِّئَةٍ نَصِيبُ

بِرَحْمَتِكَ التي وَسِعَتْ أَصِبْنِي ... فإنكَ مَنْ تَشاءُ بِهَا تُصِيبُ

بَلِيَّاتِي أَحاطَتْ بي وَمَالي ... عَلَيها سَيِّدي صَبْرٌ رَحِيبُ

بِنَصْرِكَ أَسْتَعِدُّ لِكُلِّ هَوْلٍ ... بِحَوْلِكَ كُلُّ هَوْلٍ لا يَنُوبُ

بِحَوْلِكَ رَبِّ لي نَصْرٌ عَزِيزٌ ... بِحَوْلِك رَبِّ لي فَتْحٌ قَرِيبُ

بَدَا لي مِنْ جَلالِكَ قَهْرُ خَصْمِي ... فَأَسْهُمُهُم إلَيَّ لَهُم تُصِيبُ

بَغَوا بي السُّوءَ فَانْجَدَلُوا وَخابُوا ... كَذلِكَ كُلُّ جَبَّارٍ يَخِيبُ

بِعِزَّتِكَ اعْتَصَمْتُ فَلا أُبالي ... وَإنْ نَصَبَتْ مَكائِدَهَا الخُطُوبُ

بِعِزِّ اللهِ سُلْطَانِي عَلَيهِم ... وَعَدْلُ اللهِ سُلْطَانٌ مَهِيبُ

بِقُدْرَتِكَ اسْتَجَرْتُ مِنَ الأَعادِي ... فأنتَ القَاهِرُ الحَكَمُ الحَسِيبُ

بِنُورِ مُحَمَّدٍ نَوِّرْ يَقِينِي ... وَصَلِّ عَلَيهِ ما نارَتْ قُلُوبُ

---

(١) الإشارات في هذا البيت والبيتين السّابقين له إلى الأنبياء: نوح، يونس وأيّوب.

الشجرة المُباركة[*]

سُبْحَانَ مَنْ وَجَبَ الوُجُودُ لِذاتِهِ ... لِلذاتِ، لا لِوُجُودِ مَخْلُوقَاتِهِ[1]

وَجَبَ الوُجُودُ لَهُ بِما هُوَ أَهْلُهُ ... مِنْ مُقْتَضَى أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لذي الجَلالِ بشَرْطِ لا ... وَلَو انْجَلَى بِوُجُودِ مَوْجُودَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لِذِي الجَلالِ مُقَدَّساً ... عَنْ شَائِبَاتِ النَّقْصِ فِي سُبُحَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لَهُ بِغَيرِ مُعَلِّلِ ... لِوُجُودِهِ أَوْ مُوجِبٍ لِثَبَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لِذِي الأُلُوهَةِ مُطْلَقاً ... فِي قُدْسِهِ عَنْ كُلِّ تَقْيِيدَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لَهُ غَنِيّاً نَفْسُهُ ... مِنْ حَيثُ وَحْدَتِهِ وَرُتْبَةِ ذاتِهِ

وَجَبَ الإلَهُ وَلا تَعَيَّنَ مُمْكِنٌ ... إلّا تَعَيُّنُهُ بِمَعْلُومَاتِهِ

ما زالَ حَقٌّ وُجُوبِهِ مُتَعَيِّنٌ ... بِوُجُوبِهِ مِنْ جِنسِ مَصْنُوعَاتِهِ

لَم تَصْدُرِ الآثارُ حَقَّ وُجُوبِهِ ... إلّا دَلالَتُهَا لِتَأْثِيرَاتِهِ

إيجَابُها حَدَثٌ وَلا تَأْثِيرَ فِي ... ثَبْتِ الوُجُوبِ الحَقِّ مِنْ إثْبَاتِهِ

آثارُ إمْكَانِ الوُجُوبِ لِغَيْرِهِ ... جَلَّ الوُجُوبُ الحَقُّ عَنْ عِلّاتِهِ

(*) وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال أيضا).

(1) وجب الوُجودُ لذاته: أي أن تحقق شرط وجود الوجود (والعدم، بالضرورة) عائد لا لوجوب وجوده، بل للذات الإلهية دونما اعتبار لوجود المخلوقات من عدمه. وهي مُحاججة فلسفية رفيعة تمتد في متن الأبيات اللاحقة لتفنيد موجبات وجود الوجود وعِلّتِهِ المعلولة حصراً بإرادة الذات الإلهية.

أعْطَى الوُجُودَ لِمُمْكِنٍ مُخْتَارُهُ   فِي حَدِّ عِلَّتِهِ وَمَعْلُولاتِهِ[1]

حَقَّتْ لَهُ أَحَدِيَّةٌ فِي ذَاتِهِ   وَثُبُوتِهِ وَوَجُوبِهِ وَصِفَاتِهِ

بَحْتُ[2] القَدَاسَةِ فِي مَقامِ وُجُودِهِ   عَمّا يَحِدُّ وُجُودَ مُخْتَرَعَاتِهِ

فَوُجُودُهُ لِلذَّاتِ لَيسَ لِمُقْتَضٍ   وَوُجُودُهُنَّ يُعَدُّ مِن آيَاتِهِ

وَوُجُودُهُ صِفَةٌ لِعِزِّ كَمَالِهِ   يُنهِي إلَيهَا ما يَلِيقُ بِذَاتِهِ

وَوُجُودُه سَلْبٌ لِضِدِّ وُجُودِهِ   والشَّيءُ مُعْتَبَرٌ بِضِدِّيَّاتِهِ

وَوُجُودُهُ سَلْبُ انْتِهَاءِ وُجُودِهِ   يَقْضِي الوُجُوبُ مُحَالَ نَفْيِ ثَبَاتِهِ

وَوُجُودُ مُبْدِعِهِ وَتَرْكُ وُجُودِهِ   فِعْلٌ وَتَرْكٌ مِنْ تَجَلِّيَّاتِهِ[3]

وَبِفَيْضِ مَرْتَبَةِ الوُجُودِ تَقَيَّدَ الـ   إمْكَانُ فِي إيجَادِ مَاهِيَّاتِهِ

فَيْضِ اخْتِيارٍ لَيسَ غُلْباً، لا ولا   طَبْعاً يُؤثِّرُ فِي طَبِيعِيَّاتِهِ

ما حِيلَةُ الإمْكَانِ حَيثُ كُمُونُهُ   وَبُرُوزُهُ مِنْ بَعْضِ مُقْتَضَيَاتِهِ

فِي فَقْرِهِ الإمْكَانُ تَحْتَ وُجُوبِهِ   مُتَقَيِّداً بِقُيُودِ مُحْتَمَلاتِهِ

وَوُجُودُ مُحْتَمَلِ الوُجُودِ بِخَلْقِهِ   وَبِأمْرِهِ أثَرُ اخْتِيَارِيَّاتِهِ

وَالفَيْضُ بالتَّعْلِيلِ يُوجِبُ كَثْرَةَ   القُدَمَاءِ فِي نَفْسِ القَدِيمِ بِذاتِهِ

والتَّرْكُ دُونَ الاخْتِيَارِ لِعَاجِزٍ   فِي ذاتِهِ مِنْ فِعْلِ مَقْدُورَاتِهِ

وَقَضِيَّةُ الإمْكَانِ شَاهِدَةٌ على   إتْقَانِ مُخْتَارٍ لِمَصْنُوعَاتِهِ

ظَهَرَ اخْتِيارُ الحَقِّ فِي وَجْهِ التَّنا   قُضِ وَالتَّضَادُدِ بَيْنَ مُخْتَرَعَاتِهِ

---

(١) مُمْكِن: مخلوق || مُختاره: من اصطفته الذات الإلهية ليكون مُمْكناً/ مخلوقاً. أي أن إعطاء حق الوجود لمخلوق ما مُرتبط، أساساً، بحق الاصطفاء في تعيين العِلّة والمعلول الإلهيين، لأنه ـ أي الخالق ـ هو الوحيد الذي حقّت له الأحَدية (وحْدة ذاته وصِفاته)، كما يرد في البيت التالي.

(٢) البَحْت: الصِّرْف الخالِص.

(٣) في الأبيات الأربعة السابقة، كما في هذا البيت إثباتٌ لوجود الخالق، وتفريق لعلّة وجوده (المعلولة بوجُوده) عما يقتضي وجود مخلوقاته الذي لا يعدو أن يكون واحدة من آياته، في حين أن وجود الخالق سَلبٌ للعَدَم = (ضد وجوده)، بدليل قاعدة الأضداد: فالأشياء تعتبر وتقاس ويُراز تحققها بأضدادها، قبل وبعد أي اعتبار آخر: وبضدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ.

وَتَـغَـايُـرِ الإِبْـدَاعِ تَـحْـتَ شُـؤُونِـهِ في حَـضْـرِ «كُنْ» طَـوْعـاً لِتَـقْـدِيـرَاتِـهِ
لا قَـابِـلِيَّـةَ فـي وُجُـودِ مُـمْـكِـنٍ لِـسِوَى اخْـتِـيَـارِ الـحَـقِّ كَـيْـنُـونَـاتِـهِ
وَمُـعَـلَّلٌ فَـرْدٌ يُـعَـلِّلُ مُـفْـرَداً لا يَـقْـتَـضِـي تَـعْـلِـيلَ مَـعْـلُولاتِـهِ[1]
وَالنَّـقْـضُ وَالإِبْـرَامُ وَالتَّـصْـرِيـفُ وَالـ تَّـدْبِـيـرُ لِلمُـخْـتَـارِ، مِـنْ آيَـاتِـهِ
وَتَـبَـايُـنُ الأَقْـدَارِ حَـسْـبَ شُـؤُونِـهِ مِـنْ عَـالَـمِ الـجَـبَـرُوتِ فـي حَـضَـرَاتِـهِ
لِلوَاجِـبِ الـمُـخْـتَـارِ مَـظْـهَـرُ حِـكْـمَـةٍ عَـنْ قُـدْرَةٍ وَجَـبَـتْ لِوَحْـدَةِ ذاتِـهِ
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى بِـالـوُجُـوبِ وُجُـودُهُ فـي نُـورِ حِـكْـمَـتِـهِ وَظِـلِّ صِـفـاتِـهِ[2]
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى بِـالأُلُوهَـةِ وَاجِـبـاً مِـنْ حَـيْـثُ مَـظْـهَـرِهِ عـلى كَـلِمَـاتِـهِ
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى بِـالـوُجُـوبِ مُـدَبِّـراً جُـزْئِيَّ مُـبْـدَعِـهِ وَكُـلِّـيَّـاتِـهِ
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى مِـنْ سَـنـا أَخْـلاقِـهِ وَعَـظِـيـمِ رَحْـمَـتِـهِ وَتَـبْـرِيـكَـاتِـهِ
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى فـي سِـيَـاسَـةِ مُـلْـكِـهِ وَالـلُّـطْـفِ بِـالـمَـخْـلُوقِ فـي حَـالاتِـهِ
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى فـي مَـشَـاهِـدِ حُـبِّـهِ بِـبَـلائِهِ فـي أَهْـلِ تَـقْـرِيـبَـاتِـهِ[3]
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى فـي نَـعِـيـمِ عُـدَاتِهِ[4] بِـوُجُـوبِ حِـكْـمَـتِـهِ بِـمَـقْـتَـضَـيَّـاتِـهِ
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى فـي بَـدَائِـعِ صُـنْـعِـهِ بِـعَـجَـائِـبِ الإِتْـقَـانِ فـي ذرَّاتِـهِ
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى وَاحِـداً فـي ذاتِـهِ وَصِـفَـاتِـهِ فـي أَيِّ تَـعْـرِيـفَـاتِـهِ
يَـا مَـنْ تَـجَـلَّى بِـالـكَـمَـالِ وُجُـوبُـهُ فـي فِـعْـلِـهِ وَلِذاتِـهِ وَصِـفَـاتِـهِ

---

(١) توضيح: ومُعلَّلٌ فرْدٌ [أي المخلوق] حين يُعلِّلُ المُفرَد [أي الخالق]، لا يَقتضي، بداهةً تعليلَ المَعلول بتِعِلَّةٍ مُبتَدَعَة. وهو ما يتكشفُ في الأبيات التالية، وسنقتصر على ما ورد في البيت التالي لهذا البيت، ليكون في مقام الشرح المُوفِّي: فكُلٌّ من النقضِ والإبرام وتصريفُ شؤون الكَون وتدبيره للمُختار، وهي ليست مُجرَّد صِفاتٍ دالَّةٍ على قدرته اللامُتناهِية، بلْ آيَةٌ من آياته.

(٢) في هذا البيت إعْلاءٌ شِعريٌّ (خارج تفلسُف الحُجّة) لوُجُوب وُجود الخالق المُتجلّي في نُور الحِكْمَة وَظِلِّ الصِّفة الإلهيتين، كما لو كانت الحِكْمَة نُوراً والصِّفةُ ظِلَّها المُلازم.

(٣) أهل تقريباته: المُقرّبين الذين تولاهم الخالق بابتلائه لهم حُباً، والإشارة صُوفيّةٌ بامتياز وتمايُز لها مُعتاد القول.

(٤) عُداته: أعدائه المُتجلّي، لحِكْمَة ومُقتضى، في قلب النعيم الذي يَرْفلون فيه.

يَا مَنْ تَجَلَّى بِالجَلالِ وُجُوبُهُ — مِنْ حَيثُ هَيْبَتُهُ وَعِزَّةُ ذاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى بِالجَمَالِ وُجُوبُهُ — مِنْ حَيثُ رَأْفَتُهُ بِمَرْبُوبَاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى بِانْتِفاءِ مَثِيلِهِ — في السَّلْبِ عَنهُ وَفي إضَافِيَّاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى بِانْتِفاءِ شَرِيكِهِ — مِنْ وَجْهِ قُدْرَتِهِ وَتَقْدِيرَاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى في مَوَاجِدِ أَهْلِهِ — بِمَسَابِحِ الأَذْوَاقِ في سُبُحَاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى لِلنُّهَى بِفُتُوحِهِ — وَشَوَارِقُ العِرْفانِ مِنْ فَيضَاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى لِلسَّرَائِرِ بَاطِناً — بِمَوَاهِبِ الإِمْدَادِ مِنْ نَفَحَاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى في قُلُوبِ شُهُودِهِ — بِشُهُودِ عِزَّتِهِ وَتَمْجِيدَاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى في مَظَاهِرِ قُدْسِهِ — عَنْ دَرْكِهِ لِذَوِي خُصُوصِيَّاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى في قُلُوبِ العَارِفِيـ — ـنَ بِما حَبَاهُم مِنْ لَدُنيَّاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى لِلعُقُولِ بِنُورِهِ — مِنْ حَيثُ أَغْرَقَها بِبَحْرِ صِفاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى لِلفُهُوم فأدْرَكَتْ — أنْ لَيسَ تُدْرِكُ غَيرَ تَسْبِيحَاتِهِ
يَا مَنْ تَجَلَّى بِالمَحَامِدِ مُطْلقاً — في جُودِهِ وَشُمُولِ تَكْرِيمَاتِهِ
أَوْجَدْتَنِي بَشَراً سَوِياً عَاقِلاً — وَوَهَبْتَ عَقْلي كُلَّ إدْرَاكَاتِهِ
عَبْداً تُقَيِّدُهُ الضَّرُورَةُ عَاجِزاً — في أَيِّ طَورٍ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ
عَبْداً يُصَرِّفُهُ اقْتِدارُ إلَهِهِ — بِسُكُونِهِ فَقْرٌ وَفي حَرَكَاتِهِ
أَوْجَدْتَ عَبْدَكَ وَاقْتَضَيْتَ نَصِيبَهُ — بِحَيَاتِهِ الدُّنيا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ
حَسْبِي وُجُودُكَ مِنْ وُجُودٍ قَائِمٍ — بِوُجُودِ ذاتِكَ أَصْلُهُ في ذاتِهِ
لا يَقْتَضِي ضُراً وَنَفعاً دُونَ مَا — تَقْضِي بِهِ في دَفْعِهِ وَثَبَاتِهِ
أَوْجِدْ بِجَاهِ وُجُودِكَ الأَنْوَارَ في — قَلْبِي وَأَسْعِدْنِي بِرُوحِ حَيَاتِهِ
يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ عَبْدُكَ مُعْدَمٌ — مِنْ حُسْنِ عِيشَتِهِ وَمِنْ حَسَناتِهِ[1]

---

(١) إشارة مُختتِمَة: القصيدةُ برُمّتِها حول وُجُوب وُجُودِ الذّات الإلهية، فضلًا عن الشواهد التي ساقها الشاعر لتأكيد إثبات ذلك الوجود. لكنه في البيت الأخير يتوسّلُ بأنه مُعْدَم (مُشتقة من العَدَم، ضِدّ الوُجُود) مِن حُسن العيش في الدُّنيا الفانية ومن حسناته/ مَنجاته في الآخرة، وهو توسُّلٌ ختامي.

نفحات النّشر(*)

إلهي اسمَعِ الذِّكرَ الذي أنتَ مُنعِمٌ | عليَّ بهِ والذِّكرُ مِنْ أسبَغِ النِّعَمْ
أرَدتَ فكانَ الذِّكرُ قولًا جَرَى على | لساني ونُوراً مِنْ فؤاديَ مُنسَجِمْ
وإنْ هِيَ إلّا نَظرَةٌ مِنكَ أوْجَبَتْ | قِيامِي بهذا الذِّكرِ كاليَدِ والقَلَمْ
وما ليَ فَضلٌ فِيهِ مِنْ لَدُنيَّتِي | ولكنْ يَدُ التَّوفِيقِ حَاكَتْهُ فالْتَحَمْ
بذكركَ بَدْءاً حَيثُ سَدَّدَتُ لهجتِي | لذكركَ فاذكُرنِي بعائِدَةِ الكَرَمْ
بنظرَتِكَ الأولى أجِزْنِي بِنَظرَةٍ | بها الخَيرُ في دِيني ودُنيايَ لي يَعُمْ
وليسَ وُقُوفِي وابتِهالِيَ مُجدِياً | إذا لم تُجزِنِي أنتَ نَظرَةَ مَنْ رَحِمْ
بنظرَتِكَ استَخْلِصْ لِذِكْرِكَ وِجهَتِي | لتنظُرَ مِنّي الذّاكِرَ المُحسِنَ المُتِمْ
هِيَ الأصْلُ والفرْعُ اختياري فَسُقْهُ فِي | مَرَاضِيكَ ذِكراً مُستمِرّاً بلا سَأمْ
أَنَلْ مِنْ حُظوظِ الذِّكرِ مَرْضاةَ خَالِقِي | وأقمَعُ شيطانِي وأُجلِي بِهِ الغُمَمْ
ويَحيَى بهِ قلبي ويُشرِقُ نُورُهُ | ويَحظى بحُبِّ اللهِ مِنهُ ويَغتَنِمْ

(*) هذه القصيدة غير موجودة في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد؛ فأضفناها من مخطوطة كتابه «نثار الجوهر» الذي خطه بقلمه؛ حيث وردت بذات العنوان مع مقدمة كتبها الشاعر مُوضحاً: «أضعُ، هنا، ما نظمتُهُ في خاتمة دعوةٍ من دعواتي سمَّيتُها نفحات النشر، وضمَّنتُ تلك الخاتمة فوائد الذكر وأسراره ومنافعه الدينيّة والدنيويّة والأخروية، فأذكر بمناسبة هذا الحديث الرفيع منها خصوصَ هذا الأسلوب البديع، وإن كان ليس مما نحن بصدده ولكن ذكر منافع الذكر في جانب ذكر حقوق المساجد مما يُناسب المَقام سيّما والمساجد رياض الله، وقد أمرنا الشارعُ أن نرتع فيها ونرتعي منها، وقد فسَّرَ صلى الله عليه وسلم ذلك الرَّعي بأنهُ ذِكر الله والرغبة إليه. فمن الهداية إلى العلم النافع أنْ نذكر، هنا، منافعَ ذلك الرَّعي في هذه الرِّياض المُباركة في الدين والدُّنيا».

فذكرُكَ بَابُ القُرْبِ والحُبِّ والرِّضَى وفاتحةُ الإحسانِ، والفتحُ مِنهُ طَمّْ
وَذِكْرُكَ مِفتاحِي لِصدقِ إنابَتِي وحُسنِ رُجُوعِي عِندَ نَازِلَةٍ تُلِمّْ
وَذِكْرُكَ إنْ أَحسنتُ فِيهِ حَقيقةٌ بِهِ انفجَرَ العِرْفانُ باللهِ وانْسَجَمْ
وَذِكْرُكَ سُلطانٌ غلَبتُ به الهَوَى بإذنِكَ والحُصنُ الذي فِيهِ أَعْتصِمْ
وَذِكْرُكَ ذِكرٌ مِنكَ لِي فهي نِعْمَةٌ لكَ الحَمدُ؛ لا أَقوَى على شُكْرِها وَلَمْ[1]
وَذِكْرُكَ قُوتُ القلبِ والرُّوحِ؛ فَقْدُهُ يَصيرُ بِهِ قلبي وَرُوحِيَ فِي الرَّحَمْ
وَذِكْرُكَ مَجْلاةٌ لِقلبي مِنَ الصَّدَى فكَمْ غَفلةٍ جَلَّى وكَمْ مُشغِلٍ صَدَمْ
وَذِكْرُكَ حَطٌّ للخطايا ومُوجِبٌ مِنَ الحَسَناتِ الأعظَمَ الأوفرَ الأتمّْ
وَذِكْرُكَ عَينُ الأُنسِ بَينِي وسَيِّدِي وفي وَحْشةٍ عَبدٌ بغفلَتِهِ ارْتَطمْ
وَذِكْرُكَ إجلالاً بحالي مُذكِّرٌ إذا ناصَبَتْني بالقضَا أَزْمَةُ الأَزَمْ
وَذِكْرُكَ إنْ لازَمْتُهُ حَالَةَ الرَّخا عَرَفتُ بهِ غوثاً إذا البُؤسُ بي أَلَمّْ
وَذِكْرُكَ أَنْجا مِنْ عَذابِكَ والشَّقا وأَرْجا لِسُكنى الخُلدِ بُحبوحَةِ الكَرَمْ
وَذِكْرُكَ تغشاني بهِ الرَّحمَةُ التي رَجَوتُ ويُغشِيني السَّكِينةَ إنْ سَلِمْ
وَذِكْرُكَ صَونُ الُّلسْنِ عَمَّا يَشِينُها وخازنُها في الحَقِّ عَنْ بَاطِلِ الكَلِمْ
وَذِكْرُكَ إنْ أَجلِسْ لَهُ حَفَّني بِهِ مَلائِكَةُ الرَّحمنِ بالنُّورِ والرُّحُمْ
وَذِكْرُكَ يا مَولايَ فِيهِ سَعَادَتِي وحَظُّ جَليسِي مِنْ سَعَادتِهِ قُسِمْ
وَذِكْرُكَ ظِلِّي يَومَ لا ظِلَّ نافِعٌ سِوى ظِلِّكَ الوَافِي وَنَارُكَ تَحتطِمْ
وَذِكْرُكَ أَسْبَابٌ لأَمْنِيَ حَسْرَتِي بسَاعَةِ لا يُجدِي التَّحسُّرُ والنَّدَمْ
وَذِكْرُكَ إنْ تُشغِلْ بِهِ النَّفسَ تُعطِنِي بهِ فَوقَ سُؤْلِ السَّائِلينَ مِنَ النِّعَمْ
وَذِكْرُكَ مَولانا أَخفُّ وَظِيفَةٌ ولكنَّ فضلَ الذِّكرِ للذاكِرينَ جَمّْ
وَذِكْرُكَ في جَناتِ عَدْنٍ غَرَاسُها حَنانيكَ؛ هَلْ غَرْسِي على سُوحِها نَجَمْ

(١) المعنى: وذكرُكَ ذكرٌ مِنكَ لي؛ فهي من نعمكَ التي ـ لك الحمدُ ـ أنعمتَ عليَّ بها، لا أقوى على شُكرها كما لَم أقوَ على شُكرِها من قبل.

وَذِكْرُكَ ما تُعطِي عَليهِ مِنَ العَطا ... يَفوقُ سِواهُ في الأُجورِ وَفِي القِسَمْ
يَقينيَ من نَسْيَانِ رَبِّي وسِرُّهُ ... شِفاءُ مَعَاشِي وَالمَعَادُ بِهِ يُعَمْ
أَسِيرُ بِهِ وَالرَّكبُ خلفي وَإنْ أَكُنْ ... بقاعَةِ بَيتِي حَابساً خُطوةَ القَدَمْ
ولي مِنهُ مَنشورُ الوِلايَةِ خَارِجٌ ... «إذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفتحُ» والسَّلَمْ
وَإنَّ بِقلبي خِلةً لا يَسُدُّها ... سِواهُ؛ إذا أَضْحَى شِعاراً وَمُلْتَزَمْ
يُخامِرُ قلبي النَّومُ وَالذِّكْرُ مُيْقِظٌ ... يَرُدُّ لَهُ فَوتاً كَمَا كانَ لَمْ يَنَمْ
وَمِنْ ثمَرِ الذِّكْرِ المَقامَاتُ كُلُّهَا ... مِنَ اليَقْظةِ الأُولى لِغايَةِ مَا قَسَمْ
وَذِكْرُكَ في قلبي وَقَبْرِيَ نُورُهُ ... ويَسْعَى أَمَامِي سَاعَةَ البَعْثِ للأُمَمْ
أَنالُ بِهِ الزُّلفى وَعَينَ مَعِيَّةٍ ... كما هِيَ شأنُ اللهِ بالحِفظِ وَالعِصَمْ
وَذِكْرُكَ رَأسُ الشُّكرِ إذ كُلُّ نِعْمَةٍ ... ذَكَرتُكَ فِيهَا؛ فَهْوَ شُكْرٌ عَلى النِّعَمْ
وَأَكْرَمُ خَلقِ اللهِ أَتقاهُمُ لَهُ ... وَأَسْبَقُ مِنهُمْ دَائِمُ الذِّكرِ فِي الكَرَمْ
وَلَوْلاهُ مَا ذابَتْ مِنَ القلبِ قَسْوَةٌ ... وَلا احترَقتْ أَمَّارَةُ السُّوءِ كالحِمَمْ
وَلَوْلاهُ ما نالتْ قُلوبٌ سَقِيمَةٌ ... بِغفلَتِهَا عَنهُ شِفاءً مِنَ السَّقَمْ
وَلَوْلاهُ ما وَالَيتَ عَبداً وَلا غَدَا ... لحُبِّكَ قَلْبٌ صَادِقَ الحُبِّ يَغتنِمْ
وَلَوْلاهُ لم يَستَجلِب العَبدُ نِعْمَةً ... وَلَوْلاهُ لم يَستدفِع السُّوءَ وَالنِّقَمْ
وَلَوْلاهُ ما صَلَّى عَلَينا إلهُنا ... وأخرَجَنا للنورِ مِنْ سُدَفِ الظُّلَمْ
وَلَوْلاهُ لَم نَرتعْ بِرَوْضَاتِ عَدْنِهِ ... وَقَدْ ضُرِبَتْ للذَّاكِرِينَ بِهَا خِيَمْ
وَلَوْلاهُ ما زَارَ المَلائِكُ مَجلِساً ... لَنا، وَتنادَوا للحُضُورِ ألا هَلُمْ
وَلَوْلاهُ ما بَاهَيْتَ - رَبِّ - بِأَهْلِهِ ... مَلائِكَةَ الرَّحمنِ فِي الفَضْلِ وَالهِمَمْ
ولم تُشْرِعِ الأعْمَالَ إلّا إقامَةً ... لِذِكْرِكَ؛ وَالمَقصُودُ ذِكْرُكَ بالأَعَمْ
وَمُدمِنُ ذِكرِ اللهِ يَدْخُلُ ضَاحِكاً ... بِعَدْنٍ، وَإلّا نَاضِرَ الوَجْهِ مُبتسِمْ
وَأفضَلُ خلقِ اللهِ فِي أيِّ قُربَةٍ ... إذا كانَ فِيهَا الذِّكر مِنْ غَيرِهِ أَتَمْ
وَمَنْ أَعْجَزتْهُ حَالُهُ عَنْ تَطَوُّعٍ ... أقامَ بِذِكرِ اللهِ مِنهُ الذي انْهَدَمْ
وَأَكْبَرُ عَوْنِ العَبْدِ فِي فِعْلِ طَاعَةٍ ... إذا أَكْثَرَ الذِّكْرَ الحَقيقِيَّ فِي الخِدَمْ

وَمَا سَهَّلَ الصَّعْبَ العَسِيرَ وَخفَّفَ الـ ... ـمَشقَّةَ مِثلُ الذِّكْرِ أَوْ فَرَّجَ الغُمَمْ
يُؤَثِّرُ أَمْنَ القلبِ وَالخَوْفُ شَاغِبٌ ... كأنَّ شَدِيدَ الخَوْفِ أَمْنٌ إذا ادْلَهَمْ
وَذِكْرُكَ يُعْطِي الجسمَ وَالرُّوحَ قُوَّةً ... ولو بَلغَ الجسمُ النِّهَايَةَ فِي الهَرَمْ
وبالذِّكر سَبْقُ المُفرِدِين وَهُمْ هُمُ ... إذا أهْتَرُوا ذِكراً كمَنْ مَسَّهُ لَمَمْ[1]
وبالذِّكرِ تُبْنَى دُورُ عَدْنٍ لأَهْلِهِ ... وَمِنهُ لَهُم سَدٌّ عَنِ النَّارِ قَدْ رُدِمْ
ويُكرَمُ باستغفارِ أَهْلِ السَّمَاءِ مَنْ ... بذِكْرِكَ أَفنَى عُمْرَهُ وبِهِ احْتَزَمْ
ويَسْتَشْعِرُ البُشْرَى الجَمَادُ لِذاكِرٍ ... ولا غَرْوَ أَنْ يَسْتَبْشِرَ الحَجَرُ الأَصَمْ
وَيَأمَنُ قَطْعاً ذاكِرٌ مِنْ نِفاقِهِ ... وَلَذَّةُ ذِكرِ اللهِ مِنْ دُونِها النِّعَمْ
وَأَوجُهُ أَهْلِ الذِّكْرِ يُكْسِبُ نَضْرَةً ... وَيَأتونَ يَومَ النَّشْرِ وَالوَجْهُ بَدرُ تَمْ
وَفِي الذِّكْرِ شَغلُ النَّفسِ عَنْ كُلِّ بَاطِلٍ ... وَصَرْفٌ لهَا عَمَّا يَسُوءُ وَمَا يُذَمْ
وَيَشهَدُ عِندَ اللهِ بالذِّكْرِ خَلْقُهُ ... فيَا لَشَهَادَاتٍ بِفَضْلِكَ تَزْدَحِمْ
وَذِكْرُكَ طَرْدٌ للشياطِينِ مَانِعٌ ... لِعَبْدِكَ مِنهم عِندَهُ قطُّ لَمْ تَحُمْ
إِلهِي بِفَضْلِ الذِّكْرِ هَبْ لِي عِنايَةً ... بِذِكْرِكَ أَو يُقضَى وُجُودِي إلى العَدَمْ
وَصُنْ قالِبِي وَالقلبَ مِنِّي بِسُورِهِ ... فذا طَايفُ الشَّيطانِ حَوْلِيَ قَدْ هَجَمْ
وكُنْ لِي إذا شَدَّ العَدوُّ مُؤَيِّداً ... بِذِكْرِكَ مَحْصُوناً بِهِ ثابتَ القَدَمْ
وهَبْ لي بِهِ شَوْقاً وَذَوْقاً وَرَغْبَةً ... إليكَ وَرَهْباً مِنكَ فِي القلبِ يَضْطَرِمْ
وَهَبْ لِي يَقِيناً يَملأُ القلبَ نُورُهُ ... بأنَّ ضَمَانَ اللهِ لا بُدَّ مُنحَتِمْ

---

(١) هامش الشاعر بخط يده: «قولي سَبْقُ المُفرِدِين أصله من حديث أبي هُريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلك طريق مكّة فمَرَّ على جبل يقال له جمدان؛ فقال: هذا جمد إن سبق المُفرِّدون، قالوا: وما المُفرِّد؟.. [ثمة سقط في تصوير النسخة، ونعتقد أنها المُفرِّد أو المُفرِّدون] يا رسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيراً و..[سقط آخر]... الترمذي، قالوا يا رسول الله وما المُفرد [سقط آخر].. الْمُسْتَهْتِرُوْنَ بذكر الله يضع الذك..[سقط آخر] فيأتون يوم القيامة خفافاً [سقط آخر!]... هم المولعون بالذكر المُداومون عَلَيهِ [أو عليها؛ سقط آخر] ما قيل فيهم ولا فُعِلَ بِهِم».

اقتِناء الشريعة(*)

أَفرِغْ الجُهدَ في اقتِناءِ الشريعه	هِيَ للفوزِ والنجَاةِ ذريعه
أنتَ في مجهَلِ التكاليفِ أعمى	وبغيرِ الدَّليلِ لنْ تَستطِيعَه
هلْ تؤدِّي التكليفَ جَهلًا وخبطاً	صِلَةُ القُربِ دونَ عِلم قَطِيعَه
أيّ فِعلٍ وأيّ تركٍ صحيحٌ	لستَ تدري أُصُولَهُ وفُروعَه
فامْتَلِئ مِنْ شَريعَةِ اللهِ عِلماً	أنتَ مِنْ دُون عِلمِها بمَضيعَه

(*) العنوان من اختيارنا. وهذه الأبيات كتبها الشاعر كمقدمة للجزء الثاني من كتابه: «نثار الجوهر»، مشفوعة بتعليق: أبيات من كلام المؤلف لطف الله به.

أصلُ الشَّرعِ وفرعُه(*)

تَجَرَّدْ لِعِلمِ الشرعِ في الفرعِ والأصْلِ ... فما صَالحُ الأعمالِ يُدرَكُ بالجهلِ

تَعَلَّمْ، هَدَاكَ اللهُ، عِلماً مُوصِّلًا ... إلى اللهِ في التكليفِ بالتركِ والفعلِ

وَجَاهِدْ على إدراكِهِ النَّفسَ إنها ... عَن الخيرِ في قيد وبالسُّوءِ في غِلّ

صَحَابَةُ كُلِّ العِلْمِ بالمَوتِ تَنتهِي ... وَصُحْبَةُ عِلمِ الشَّرْعِ فِي مَوقِفِ الفَضْلِ

ألا تَقْتنِي عِلْماً تَكُونُ خليفةً ... بهِ عَنْ جَمِيعِ الأنبياءِ على الكُلّ

ألا تَقتنِي عِلماً تَسيرُ بنورِهِ ... إلى السُّعداءِ الأصفياءِ من الرُّسْلِ

تَعَنَّ لَهُ وانْصَبْ لَهُ واحتفِظ بهِ ... وَصُنْهُ لوجهِ اللهِ عن مَطمَعٍ نَذلِ

وَأَخلِصْ لَهُ مِنْ نَفسِكَ الجَدَّ دائباً ... لتحصيلهِ؛ فالعُمرُ ضاقَ عن الهَزلِ

أَتُنْفِقُ هذا العُمرَ في الجَهْلِ خاسِراً ... وَدُونَكَ يَومٌ فيهِ خُسْرُكَ بالجهلِ

أترغبُ عن علمٍ تزالُ مُرَكَّباً ... بهِ لكَ، بَلْ والخلقِ عَقلًا على عَقلِ

فَجَلِّ بهِ العَينينِ تدركْ بنورهِ ... بصيرة فرق الحُزمِ في الدينِ والحِلّ

لشتان ما بين البصير وذي العمى ... وشتان ما بين السلوكين في السُّبْلِ

متى يُدركُ الأعمى حقيقة مَقصَدٍ ... وغايةُ ما يأتي به زَلَّةُ الرِّجلِ

قيامُكَ بالتكليفِ سَهْلٌ مع الهُدى ... ولكنْ على جهلٍ بهِ ليسَ بالسَّهْلِ

وعُنْقُكَ من طوق الأمانة مُشغَلٌ ... فكُنْ في فكاكِ الطوقِ، ويحَكَ، في شُغْلِ

ولستَ تؤدّيها كما هي جاهلًا ... ولا عالِماً؛ إنْ كُنتَ بالعِلمِ تَشتَغلي

(*) العنوان من اختيارنا. وهذه الأبيات مقدمة عثرنا عليها في السفر الثالث من كتاب «نثار الجوهر».

في ذاتِ واجب الوجُود

قِدَمُ العَلِيمِ لِذاتِهِ مُسْتَوْجِبٌ ... عِلماً مُحِيطاً بالوُجُودِ وبالعَدَمْ
كانَ العَلِيمُ فكانَ مِنْ إيجَادِهِ ... طَرَفاهُمَا بَعدَ الإرَادَةِ والقِدَمْ
لِوجُوبِهِ وَجَبَتْ إحَاطَةُ عِلمِهِ ... والشيءُ واللاشيءُ جَفَّ بهِ القلَمْ

عَلِمَ الحَقّ

عَلِمَ الحَقُّ بِذاتِهْ	لا بأسْبَابِ صِفاتهْ
حِكمَةُ المَعْدومِ والمَو	جُودِ مِنْ قَبلِ ثَبَاتهْ
كَيفَ لا يَعْلَمُ شَيئاً	وَهوَ مِنْ مُبتَدَعَاتِهْ

كل فِعلٍ لخالقِ الاخْتيار

لَيسَ لِلاخْتِيارِ ذَرَّةُ فِعلٍ ... كُلُّ فِعلٍ لِخَالِقِ الاخْتِيَارِ

لو وُكِلْنا إلى النفوسِ وَمَا تَخْـ ... ـتارُ، كانَ اخْتِيارُنا لِلبَوَارِ

خِيرَةُ اللهِ بي أبَرُّ وَأخفَى ... وإلى خِيرَتِي انْتِسَابُ خَسَارِي

لو تَلَمَّحْتَ حِكْمَةَ الله فيما ... تقتضِيهِ الأقدارُ في الأطْوارِ

وتأملتَ لُطْفَهُ في قضايا ... بَرَزتْ في قَوالِبِ الأضْرَارِ

شُمْتَ دُونَ الحِجَابِ أبْهَى جَمالٍ ... يَتَجَلّى بأوْجُهِ الآثارِ

لَيسَ لِلعَجْزِ ذَرَّةٌ مِن مَحَالٍ ... أينَ تَدْبيرُ وَصْمَةِ الإفتِقارِ

كيفَ يَمشي تَدبيرُ فِطْرَةِ ذلٍّ ... إنْ يَكُنْ ضِدَّ مُبْرَمِ الأقدارِ

أتَرَانِي أقْضِي وَقَدْ قُضِيَ الأمـ ... ـرُ كَمَا شَاءَهُ خِلافَ اخْتِيَاري

أم ترَى لي حَوْلًا يُقرِّرُ حُكْماً ... وهو في عِلْمِهِ مُحَالُ القَرَارِ

أم تَرَاني مُقدِّماً ما اقتضى تأ ... خِيرَهُ حُكْمُهُ مِنَ الأوْطَارِ

أم تَرَاني إذا سَخِطْتُ بَلاءً ... شاءَهُ لي صَرَفْتُهُ باخْتِياري

أم تَرَى لِلوُجُودِ ذَرَّةَ تأثيـ ... ـرٍ، وَهَلْ لِلوُجُودِ مِن مِقدارِ

إنْ تَحَقَّقْتَهُ رُسُوماً وآثا ... راً فمَا لِلرُّسُومِ والآثارِ

أو تَيَقَّنتَهُ فَنَاءً وَمَحْواً ... مُحِيتْ عَنكَ ظُلْمَةُ الأغْيارِ

أو تَمَثَّلْتَهُ قَوِياً قَويماً ... فَهَبَاءٌ في عَاصِفَاتِ الذَّوَاري

مَن رَأى اللَّيْسَ لم يُعَايِنْ سِوَاهُ ... في ضُرُوبِ الإيرَادِ والإصْدَارِ

دَعْـهُ يَـرْمِـيـكَ بـالـبَـلايـا فـمـا أقـ ـرَبَ رُحْـمـاهُ مِـنْ مَـقـامِ اضْـطِـرارِ

دَعْ حَـبـيـبـي يَـسُـوقُ لـي مِـن بَـلايـا هُ، فـمـا ضَـاقَ عِـلْمُـهُ بـانـكِـسَـاري

دَعْ حَـبـيـبـي يُـمَـوِّهُ الـحُـبَّ بـالـصَّـ ـدِّ ويُـخـفِـي الـصَّـفـاءَ فـي الأكْـدارِ

عِـلـمُـهُ سَـابـقٌ وأقـدارهُ تَـجْـ ـري وألـطَـافُـهُ بـهِـنّ سَـوَاري

فـإلـى أيـنَ نَـزْوَةٌ لاعْـتِـرَاضٍ وإلـى أيـنَ وِجْـهَـةٌ لِفَـرارِ

العقل طريق الحق

خَـلَقَ اللهُ لـلـمُـكَـلَّفِ عَـقـلًا ... فـلـمـاذا يَـهـيـمُ فـي كُـلِّ وَادِي

شَـرَكُ النـفـسِ لا يَـغيـبُ عَـنِ العَـقـ ... ـلِ فـكـيـفَ الـوُقـوعُ فـي الأضْـفـادِ

يَـنفُـذُ العَـقـلُ حَـيـثُ لا يَـنفُـذُ الرُّمـ ... ـحُ، ويَـجْـرِي أمَـامَ حَـضْـرِ الجَـوَادِ

لا يَـرُدُّ الـعُـقـولَ بـابٌ عَـنِ الـحَـ ... ـقِّ، ولا تَـنْـطَـوي بـقَـرْعِ الـعَـوَادي

كَـيـفَ تَـكْـبُـو بَـصَـائِرٌ مُـشـرِقـاتٌ ... دُونَ إدْرَاكِ مُـشـرِقـاتِ الـرَّشَـادِ

يَـعْـجَـزُ الـجَـيـشُ عَـن مُـهِـمٍّ وَكَـمْ فَـضْـ ... ـفَـضَ ذُو نُـهْـيَـةٍ صُـدُورَ الـهَـوَادي

نَـحـنُ لا نُـدْرِكُ الـعَـواقِـبَ إلّا ... أنَّ لِلعَـقـلِ مَـنْـفَـذاً فـي الـدَّآدِي[1]

---

(١) الدَّآدِي: الليالي المُعتِمَة.

حِكمةُ اللّهِ جَلَّ جلالُه

سَبَقَ الإِرَادَةِ سُلَّمُ المُرتَادِ ... فارتَدْ لَعلَّكَ سَابِقُ الرُّوادِ
نادَتْكَ أَلسِنَةُ الحَقيقَةِ فَالْتَفِتْ ... نَحوَ النداءِ وَنحوَ ذاكَ النَّادِي
أَرْحِلْ طَليحَكَ للنفيرِ فرُبما ... سَبَقَ الطَّلِيحُ وَكُلُّ ظَهْرِ القَادِي
قَدْ رَشَّحَتْكَ لِشَأنِها بشَوَاهِدٍ ... أَبْدَى كَوَاكِبَها الجَمالُ البَادِي
أَتَرَاهُ يَدعُوكَ الحَبيبُ لِقربِهِ ... فإذا اقتَرَبْتَ رَمَاكَ بالإبْعَادِ؟
لو تهْتَ مِن نُورِ الجَمَالِ بمَشهَدٍ ... لرأيتَ سِرَّ اللُّطْفِ بالأَشْهَادِ
نُورُ الجَمَالِ عَلى المَظاهِرِ لائحٌ ... فالحَظْهُ مُرْتَسِماً على الإيجَادِ
لولاهُ لاحترَقَتْ بنُورِ جَلالِهِ ... وَجَهِلتَ حِكْمَةَ عَالَمِ الأَضْدَادِ
ألقاكَ في دَارِ الفَناءِ لِحِكْمَةٍ ... خَفِيَتْ حَقَائِقُها عَنِ الأَفرَادِ
وَدَعَاكَ أنْ أَقبِلْ إليَّ ولا تَخَفْ ... في المُدْلِجِينَ إليَّ مِن أَجْنادِي
أنتَ الأَمِينُ عَلَى أَمَانَتِنا التي ... ثَقُلَتْ على الأفلاكِ وَالأَطْوادِ
أَتَرَى تُؤدِّيها بغَيْرِ إعَانَتِي ... أو كُنتَ تَحمِلُها بغيرِ مُرادي
أَلبَسْتُكَ السَّبعَ المَثانِي[1] خُلْعَةً ... في هَيكَلٍ مِن عَالَم الأَجْسَادِ
فاخلَعْ كَثِيفَتَكَ التي لا تنْبَغِي ... لِشُهُودِ حَضْرَتِنا مَعَ الأَشْهَادِ
واغسِلْ بمَاءِ القُدْسِ عَشرَ لَطَائِفٍ ... هيَ أنتَ مِنْ دَنَسِ الطِّبَاعِ الكَادِي
أَشرِبْتَ خَمْسَةَ أبحُرٍ لِتَعِيشَ في ... ظَمَأٍ، فَرِدْ فَرَطاً مَعَ الوُرَّادِ
فَجَزتُها لكَ مِنْ صِفاتِ الذاتِ في ... عَينِ الظُّهُورِ وَمَبدَأ الآحَادِ

---

(١) السَّبع المَثاني: الفاتِحة.

ثَمرات المَعَارف وطيّبات العَوارف(*)

هُـوَ اللهُ فـاعْـرِفْـهُ وَدَعْ فِـيـهِ مَـنْ وَمَـا[1]
دَعَـاكَ وَلَم يَـتـرُكْ طَـرِيـقَـكَ مُـظـلِمـا
عَنِ الـحَـقِّ نَحوَ الـخَـلْقِ يَدْفعُكَ الـعَمَى
تَـقـدَّمْ إلـى بَـابِ الـكَـريـمِ مُـقـدِّمـاً   لـهُ مِـنـكَ نَـفـسـاً قـبـلَ أنْ تَـتـقـدَّمـا
تَـجنَّـبْ قُـيـودَ الـحَـظِّ فـالـحَـظُّ مُرْتَـهَـنْ
وَأزهِـقْ جُـنـودَ الـنـفـسِ حَـزبـاً ولا تَـهِـنْ
وفـي ظُـلُـمـاتِ الـطـبـعِ بـالـحَـقِّ فـاسْـتَـبِـنْ
وعَـرِّجْ عـلـى بـابِ الـعَـلـيـمِ فَـسَـلْهُ مِـنْ   مَـوَاهِـبِ نـورِ الـعِـلـم بَـحْـراً قَـلَـيْـذَمـا[2]
أتَـرْضَـى مَـقـامَ الـجَـهـلِ تَـخـبطُ فـي الـسُّـرَى
بِـطَـامِـسَـةٍ أعْـلامُـهـا مُـتـحـيِّـرا
تَـطَـلَّـعْ لِـنـورِ الـعِـلـمِ وَاطْـلُـبْ مُـشَـمِّـرا
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ بالعِلمِ في الناسِ مُبصِرا   فـلا عَـاشَ إلّا فـي الـضَّـلالَـةِ وَالـعَـمَـى
ذوو الـعِـلْـمِ بَـيـنَ الـعَـالَـمِـيـنَ أعِـزَّةٌ

(*) القصيدة تخميس لقصيدة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي. وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (هو الله فاعرفه).

(1) مَن [للعاقل]، ما [لغير العاقل] - ويقصد دع كُلَّ ما دعاك إلى غير الله، عاقلًا كان أم غير عاقل.

(2) قَلَيْذَم: البئر الغزيرة وافرة الماء.

علـى دَرَجَـاتِ الـمُـصْـطَـفِـيـنَ أدِلَّةٌ
وفــي مَـلَكـوتِ الله لـلقـوم شُـهْـرَةٌ
ومَـنْ لا لَهُ مِـنْ عِـزَّةِ الـعِلْمِ نِسْبَـةٌ فـليـسَ لَهُ إلّا إلـى الـذُّلَّةِ انـتِـمَـا
تَـرَقَّ بـهِ فـالـعِـلمُ عِـزٌّ وَذرْوَةٌ
وحَـبـلٌ مَـتـيـنٌ لـلتُّـقـاةِ وَعُـرْوَةٌ
وَوَفرُ الغِنى في الجَهلِ عُدْمٌ وَشَـقْـوَةٌ
ومَـنْ لا لَهُ مِـنْ ثَـرْوَةِ الـعِـلم ثَـرْوَةٌ فمِنْ ثَرْوَةِ الدَّارَيْنِ قدْ صَارَ مُعدَمَا
قـضَـى الله أنَّ الـعِـلمَ نُـورٌ وَحِـكْـمَـةٌ
كـمـا أنَّ أصْـلَ الـجَـهـلِ شُـؤمٌ وَظُـلْمَـةٌ
وأنَّ رِجَـالَ الـعِـلم لـلنـاسِ عِـصْـمَـةٌ
نعَمْ عُلمَاءُ الدينِ في الأرْضِ نِعْمَةٌ على الثَّقَلينِ عَمَّتِ الكُلَّ مِنهُما
بـه أصْـفِـيـاءُ الله هَـامُـوا بـحُـبِّـهِ
بـهِ أدْرَكـوا حَـسْـبَ الـحُـظُـوظ لِقُـرْبـهِ
وهُـم أوْصَـلوا الـسُّـلاكَ أسْـرَارَ غَـيْـبِـهِ
بـهِـمْ شَـرَفُ الـدَّارَيـنِ تَـمَّ فـهُـمْ بِـهِ مَـلائِكـةٌ بَـاهَـتْ مَـلائِكـةَ الـسَّـمـا
مـلائـكـةٌ ألـبـابُـهُـم وَسَـنـاؤهُـم
أقـامَـهَـمُ هـذا الـمَـقـامَ صَـفـاؤهُـم
عـلى الـمَـلأ الأعْـلَى يَـحِـقُّ وَلاؤهُـم
ألـم تَـرَ فـي الـقـرآنِ أنْ أوْليـاؤهُـم مَـلائـكـةُ الـرَّحْـمَـن فـالله أعْـلَمَـا
لـقَـدْ نَـطـقَ الـوَحْـيُ الـعـزيـزُ بـنُـبـلِهِـمْ
ولا حَـبـلَ لـلمُـسْـتـمْـسِـكِـيـنَ كـحَـبـلِهِـمْ
بـقَـولِهِـمْ نُـورُ الـهُـدى وَبِـفِـعْـلِهِـمْ
أقـرَّتْ جَمِيعُ الكَائِناتِ بفَضْلِهِـمْ عليها، فحُوتُ البَحْرِ في البَحْرِ هَيْنَما
إلـى رَبِّـهـا اسْـتِـغْـفـارُهـا وَخُـشُـوعُـهـا

لـهُـم إذ هُــمُ أمْـطَــارُهــا وَرَبــيــعُــهــا

وَخَـالِقـهـا فـي الـمُـهْـتَـدَيـنَ سَـمِـيـعُـهـا

ولِمْ لا، وَلَولاهُـمْ تَـلاشتْ جَـمِيعُـهـا ولـم يَبقَ مِنها في الوُجُودِ لها سُمَا[1]

مَـصَـابـيـحُ أرضِ اللهِ مَـهْـبِـطُ فَـيْـضِـهِ

هُــداةٌ لــمَــشْـــنُـــونِ الإلــهِ وَفَــرْضِـــهِ

هُـمُ شُـفَـعَـاءُ الـعَـبـدِ فـي يَـوم عَـرْضِـهِ

هُـمُ خُـلفـاءُ الله فــي أهــلِ أرضِــهِ بِـهَـدْيِـهِـمُ أَمْـتُ[2] البَـسِـيـطَـةِ قُـوِّمـا

لأمْــرِهِــمُ كُــلُّ الــكَـــوَائِنِ أذْعَــنـــتْ

لـسُـلطـانِـهِـم بـالـعِـلم بـالله سَـلَّمَـتْ

لــعِــزِّهِــمُ ذَلَّتْ بــنُـــورِهِـــمُ اهْــتَــدَتْ

لحُكْـمِهِـمُ الدُّنيـا تَـدِينُ وَقَـدْ عَنَـتْ سَلاطِيـنُ أهلِ الأرضِ أعْظَـمَ أعْظَـمـا

عـلى الأرضِ والألـبـابِ فـي عَـالَمِ الـقُـدُسْ

يَــرَونَ بــنـــورِ اللهِ مــا غَــابَ كــالــقَــبَـس

لأفـهَـامِـهِـمْ كـالأنْـجُـمِ الزُّهْـرِ مـا الـتـبَـسْ

وآرَاؤهُـمْ تَـقـضِـي بِـهِـنَّ مَلائـكُ السَّـ ـمَـواتِ فـيـمَـا قَـدْ أَحَـلَّ وَحَـرَّمـا

تَـجَـلَّت لَهُـم كـالـشـمـسِ خَـلْفَ حِـجَـابِـهـا

فــجَــاءوا بــهــا بَـرَّاقــةً فــي صَــوابِــهــا

حَـقـائـقُ شَـرْعٍ فـي غَـوَاشِـي غِـيـابِـهـا

ولـوْ لَمْ يَـكُـنْ نَـصُّ الكِـتـابِ أتـى بـهـا صَرِيحـاً، ولا الـهَـادِي بـهـا قَـدْ تَـكَـلَّما

هَــدَوا إذْ هُــمُ نُــورٌ إلــى اللهِ وَاهْـــتَـــدَوا

إذِ اتَّـــزَرُوا بـــالـــعِـــلْمِ بـــالله وارْتَـــدَوا

---

(١) سُمَا: علامة.

(٢) أمْت: اعوجاج.

حَـدَاهُـم مِـنَ الـعِـرفـانِ ذَوقٌ بِـهِ حَـدَوا
غَـدَا قُـدْوَةَ الأمْـلاكِ لَمَّـا هُـمُ اقْـتَـدَوا بِـمَـا لَـهُـمُ رَبُّ الـمَـلائِكِ أَلْهَـمـا
سَـمـا بِـهِـمُ الـعِـرفـانُ أعـلـى الـمَـراتـبِ
ونـالـوا مَـقـامـاً فـيـهِ فَـتـحُ الـمَـواهِـبِ
وفَـهْـمُ خِـطـابِ الـحَـقِّ مـن كُـلِّ جَـانـبِ
وذلـكَ مِـنْ أدْنَـى رَفـيـعِ مَـنَـاقِـبِ لَهُـم لَمْ يَـعُـدُّوهـا فـخـاراً وَمَـكْـرَمـا
تـجَـلَّى لَهُـم بـاسْـمِ الـمُـبـيـنِ بِـمَـنِّـهِ
فـفـازوا بِـظَـهْـرِ الـوَحْـيِ كَـشـفـاً وبَـطْـنِـهِ
وحَـازوا بـفـتـحِ اللهِ مَـكـنـونَ ضِـمْـنِـهِ
فما اسْتَحْسَنوا، فاللهُ يَقضِي بِحُسْنِهِ وما اسْتَقبَحُوا إلّا قَـبـيـحـاً مُـذمَّـمـا
لَـهُـمْ مِـن مَـقـامِ الاجْـتِـبـاءِ عَـلِيُّـهُ
وَمِـنْ قَـدَمِ الـصِّـدقِ الـزَّكـيِّ رَضِـيُّـهُ
ومِـن مَـورِدِ الإِحْـسَـانِ مـا طَـابَ رَيُّـهُ
وَرَبُّـكَ مَـنْ وَالَوْهُ فَـهُـوَ وَلِيُّـهُ ومَـنْ خَـاصَـمُـوهُ كـانَ للهِ أخْـصَـمـا
مُـلُوكٌ عـلـى مَـنْ يَـمْـلِكُ الأرْضَ حَـولُهُ
لَـدَى طَـوْلِهِـمْ أدْنَـى مِـنَ الـذَّرِّ طَـوْلُهُ
فَـقـيـرٌ عَـدِيـمٌ مَـنْ تَـوَلاهُ جَـهْـلُهُ
هُـمُ أغـنـيـاءُ الـعَـصْرِ وَالـعَـصْرُ أهْـلُهُ قَـدْ افـتـقـرُوا والـمَـالُ بَـيـنَـهُـمُ نَـمَـا
ومـا لـكُـنـوزِ الـتِّـبـرِ شَـأنٌ لِمَـنْ فَـهِـمْ
إذا وُزِنَـتْ فـي جَـانِـبِ الـعِـلمِ وَالـحِـكَـمْ
كُـنـوزُ رِجـالِ اللهِ أبـقـى وَوَفـرُهُـمْ
يَـرُومُ كُـنـوزَ الأرضِ غَـيْـرُهُـم وهُـمْ أصَـابـوا كُـنـوزَ الـعَـرْشِ وَفْـراً وَمَـغْـنَـمـا
رَقـوا بـكَـمَـالاتِ الـهُـدى مُـنـتـهـى الـعُـلى
وأنـزلَهَـم مِـن قُـربِـهِ الـحَـقُّ مَـنـزِلا

وأوْرَدَهُم مِن مَوردِ الوُدِّ مَنهَلا

وهُم في الثرى قاموا وأرواحُهم إلى سَما العَرشِ والكُرسِي، أَدُونُهَما سَما؟

تَوَلّاهُمُ قَهرُ الشُّهُودِ بحَولِهِ

وأفناهُمُ عَن كُلِّ شيءٍ بِوَصْلِهِ

فغابوا عَنِ الأكْوَانِ في غَيبِ ظِلِّهِ

وما قَنِعُوا بالعَرْشِ وَالفَرْشِ كُلِّهِ فجَازُوا إلى أعْلى مَقامٍ وَأَعْظَما

رَمَى بِهِمُ المَحْبوبُ في المَحْوِ رَمْيَةً

فما أبصَرُوا مِقدارَ ذا الكَوْنِ ذَرَّةً

ولا وَقَفوا عند الحَوادِثِ لَمْحَةً

ولو وَقفوا بالعَرْشِ والفَرْشِ لَحْظةً لعَدُّوهُ تقصِيراً وَجُرماً وَمَأثما

إلى الحَقِّ إخلاصاً وأخذاً بحَبلِهِ

قد انصَرَفوا عَنْ فَضلِ كَونٍ وَوَصْلِهِ

مَقاصِدُهُم مَقصُورةٌ تَحتَ حَولِهِ

تَقدَّمَ في ذاكَ الخليلُ بقولِهِ لِجبريلَ دَعْنِي مِنكَ للهِ مُسْلِما

نُفُوسهُمُ في اللهِ للهِ جاهَدَتْ

فلم يَنثنوا عَن وَجهِهِ كيفَ كابَدَتْ

على نُقطَةِ الإخلاصِ للهِ عَاهَدَتْ

لمِلَّةِ إبراهِيمَ شادوا فشاهدوا التـ ـلفُّتَ للشِّرْكِ الخَفيِّ مُتمِّما

تَوَلّاهُمُ القَيُّومُ في أيِّ وِجْهَةِ

وَزكّاهُمُ بالمَدِّ والتَّبَعِيَّةِ

وَلقَّاهُمُ التوحِيدَ في كُلِّ ذَرَّةِ

فقاموا بتجريدٍ وَدَاموا بوَحْدةٍ عن الإنسِ رَوْمَ[1] الأُنْسِ فِيها تَنعُّما

(١) رَوْم: طَلَب.

مُحِبُّونَ لاقى الكُلُّ في الحُبِّ حَينَهُ
نفوسُهُمُ ذابَتْ بِهِ واصْطُلِينَهُ
فلم يَبْقَ مِنها الحُبُّ بل صِرْنَ عَينَهُ
بخَلْوَةِ لي عَبدي وَسِرِّيَ بَيْنَهُ وَبَينِي عَنِ الأَمْلاكِ وَالرُّسْلُ كُتَّما
وَأَوْرَثَهُم للحُبِّ إرْثَ النُّبُوةِ
فكانوا دُعَاةَ اللهِ في خَيرِ دَعْوةِ
تَرَقُّوا بِفَيْضِ اللهِ أَرْفَعَ ذَرْوَةِ
وما بَلَغوا ذاكَ المَقامَ بقُوَّةِ ولكنْ بنُورِ العِلم قَدْ بَلَغوا الحِمَى
حَباهُم بِمِنهَاجِ السُّلوكِ اسْتِطاعَةً
فلم يَترُكوا فيهِ الحُقوقَ مُضاعَةً
ونالوا أمَامَ اللهِ مِنهُ شَفاعَةً
عَشيَّةَ أعْطَوهُ عُهُوداً مُطاعَةً على طَاعةٍ مِنهُم غَدَاةَ تَحَكَّما
قَدِ اتَّخَذوا العِرفانَ باللهِ جُنَّةً
وَثارُوا إليهِ مُطْلِقِينَ أعِنَّةً
وَمُذ أدْرَكُوا مِنهُ المَقامَاتِ مِنَّةً
وَقَدْ بَايَعُوه أنفُساً مُطمَئِنَةً بِبَيعَتِهِ وَالعَقدُ بالعَهْدِ أُحْكِمَا
هَدَاهُمْ سَنا العِرفانِ والليلُ قَدْ سَجَى
فما جَهِلوا، وَهوَ الدليلُ، المَنَاهِجَا
بِهِ عَرَجُوا مُستبصِرِينَ المَعَارِجَا
فَجَدَّ بهِم في السَّيرِ للخيرِ وَاللَّجَا[1] بهِمْ أَخْطَرَ الأهْوَالِ حِينَ تَقحَّما
فَنَزَّهَهُم عَنْ قَيدِ أيِّ إرَادَةِ
وَأفرَغَ مَجْهُودَاتِهِم في العِبادَةِ

---

(١) اللجا: المعقل والملاذ.

وَمَيَّزَهُم عَن غيرِهِم بالسِّيادَةِ

فأبعَدَهُم عَن كُلِّ إلْفٍ وَعَادَةِ　　　وعَوَّدَهُم شُرْبَ الشَّدائِدِ عَلْقما

فجَدُّوا وَشَدُّوا وَانْتَوَوا شِقَّةَ النَّوى

وَخَيرٌ لهُم في الجُهْدِ وَالعُرْيِ وَالطَّوَى

وفي النَّوحِ والتذكارِ والكَرْبِ والجَوى

فمِنْ بَعدِ عَهْدِ النَّومِ وَالشِّبْعِ وَالرِّوَى　　　غَدَوا حِلْفَ إلْفِ السُّهْدِ والجُوعِ وَالظَّما

جَرَوا في مَيادِينِ الشُّهُودِ تَقَدُّما

وَصِدْقُ الرَّجَا وَالخَوفُ فيهِم تَحَكَّما

فلم يَبْقَ كَونٌ مِنْهِمُ ما تَهَدَّما

فنُدْمَانُهُم عَادَ البُكَاءَ تَنَدُّما　　　وَأزمَانُهُم بالنَّوْحِ قَدْ غُدْنَ مَأتَما

فسَاروا على تَغريدِ حَادٍ مُزَغْزِعِ

بشَوقٍ مُلِحٍّ وَالْتِياعٍ مُرَوِّعِ

وَغابُوا عَنِ الأكْوانِ في مُنْتَهَى مَعِي

وَأوْرَدَهُم بالحُزنِ لُجَّةَ أدْمُعِ　　　وَأوْرَى بِهِمْ لِلخَوفِ نارَ جَهَنَّما

تَبدَّتْ لَهُم أكْوانُهُم فَتَبَدَّدَتْ

نُفوسُهُمُ في السَّحْقِ وَالمَحْقِ أنْفَذَتْ

إذا فَارَقَتْ غَوْراً مِنَ الدَّمْعِ أنْجَدَتْ

شَدَائدَ عَدُّوها فَوَائِدَ فاغْتَدَتْ　　　عَوائِدَ أعْيادِ السُّرُورِ تَنَعُّما

مَصَائبُ عَامُوا في بُحُورِ صِعَابِها

وقَرُّوا على آسَادِها وذِئابِها

وطَابَ لَدَيْهِم حَسْوُ كاسَاتِ صَابِها

ولو جَانَبُوها رَوْمَ غَيرِ جَنَابِها　　　لعَدُّوا بحُكْمِ العَذْلِ ذا العَذْلَ مَأثَما

وتلكَ بفَضْلِ العِلْمِ أهْنى المَوارِدِ

وأكْرَمُ مَوهُوبٍ وأسْنَى المَشاهِدِ

أتعلمُ مِثلَ العِلمِ مَجداً لِمَاجِدِ

هُمُ صَدَّقوهُ وهو أصْدَقُ وَاعِدِ   وأوفى ذِمَامٍ حَبلُهُ لَيسَ أفصَما

بهِ قَطَعُوا أصْلَ العَلائقِ والهَوَى

بهِ أخلَصُوا في طَاعَةِ الحَقِّ لا سِوَى

بهِ رَوْضُ هذا الكَونِ في عَينِهِم ذَوَى

بهِ نَهَجُوا في كُلِّ مُنطَمِسِ الصُّوَى[1]   فكَانَ لهُم في كُلِّ يَهْمَاءَ مَعْلَما

تُبِينُ لهُم أسْرَارُهُ كُلَّ كَائنِ

ويُخلِصُهُم للحَقِّ مِن كُلِّ شَائنِ

فطُوبَى لهُم يَجْرِي بِهِمْ في المَآمِنِ

ويُمْلِي لهُم في السَّيرِ عَن كُلِّ كامِنِ   وحَالَ إلى أسْوَى طَرِيقٍ وأقْوَما

مَقَامَاتُ أهلِ اللهِ مِنهُ مَصَابحُ

وكُلُّ مَقَامٍ حَلَّهُ القَومُ رَابحُ

وكُلُّ مَقَامِ العَارِفِينَ مَدَائحُ

وقاسَمَهُم باللهِ إنِّيَ نَاصِحُ   فأُنْهَى إلى أبْهَى مَقَامٍ وَأكْرَما

لقَدْ قَامَ عِلمُ القومِ للحَقِّ مَعْلَما

وجَلَّى لهُم بالكَشفِ سِراً مُختَّما

وفَتَّحَ أقفالاً وأطْلَعَ أنجُما

وحَلَّ لهُم رَمْزاً وكَنزاً مُكَتَّما   مِن السِّر قَدْ كَانَ الرَّحِيقَ المُخَتَّما

بهِ سَلكوا في حُبِّهِ مَسْلَكاً جُهِلْ

وكُلُّهُمُ بَينَ المَشاهِدِ قَدْ ذَهِلْ

وكُلُّهُمُ مِن مَوردِ الحُبِّ مُنتَهِلْ

وقالَ لَهُم هذا المَقَامُ وهَذِهِ الْـ   ـخيامُ وذا بَابُ المَليكِ وذا الحِمَى

---

(١) الصُّوى: جمعُ صُوَّة وهي الأرض الوعرة || يَهماء: الفَلاةُ لا يُهتدى فيها إلى طريق.

هـنـا مَـوقِـفـي وهـو الـمَـقـامُ الـمُـحَـدَّدُ
فـغَـنُّـوا عـلـى هـذا الـمَـقـامِ وغَـرِّدُوا
ومـا بَـعـدَ هـذا لـلـمَـدَارِكِ مَـشـهَـدُ
فـمـا لـيَ فـيـمـا بَـعـدَ ذلـكَ مَـصْـعَـدُ ولا مَـوعِـدٌ مِـن بَـعـدِ ذلـك أُلْزَمـا
هُـنـالـكَ فـهْـمُ الـعَـقـلِ والـدَّرْكِ مُـنـدَرِسْ
هُـنـاكَ لِسَـانُ الـعِـلمِ فـي الـشَّـأنِ قَـدْ خَرِسْ
هُـنـالـكَ حَـدُّ الـسَّـيـرِ مَـنْ يَـعْـدُهُ افْـتُـرِسْ
هُنالكَ قَدْ تُطْوَى الصِّحَافُ وتُنْشَرُ السِّـ ـجَافُ فـلا يُـطْـوَى بِـحَـدِّكَ فَـافْـهَـمـا
فـمـا بَـعـدَ هـذا لـلـمَـدَارِكِ غَـايَـةٌ
فـنُـقـطَـةُ هـذا الـحَـدِّ فـيـهـا نِـهَـايَـةٌ
ولا بـابَ إلّا أنْ تـكُـونَ رِعَـايَـةٌ
ولا تَـفـتَـحُ الأبـوابَ إلّا عِـنـايَـةٌ لِـمَـنْ شـاءَهُ ذاكَ الـمَـلِـيـكُ تَـكَـرُّمـا
تَـجَـرَّدْ مِـنَ الـدَّعْـوَى فـقَـدْ كَـمُـلَ الـسُّرى
وَرَاءَكَ لا تُـقْـدِمْ فـحَـظُّـكَ مُـدْبِـرا
فـلَـسْـتَ بِـلاقٍ فـوقَ ذلـكَ مَـصْـدَرا
فـسَـلِّم إلـيـهِ الأمْـرَ واطَّـرِحِ الـمِـرَا ولا تـكُ فـي شـيءٍ مِـنَ الأمْـرِ مُـبْـرِمـا
وقِـفْ وَقْـفَـةَ الـمُـنْـدَكِّ مَـا لَـكَ حِـيـلَـةٌ
فـحـالُكَ فـي هـذا الـمَـقـام جَـلِـيـلَـةٌ
ونـفـسُـكَ فـي عِـزِّ الـجَـلالِ وَذِيـلَـةٌ
وقُـلْ بـلِـسَـانِ الـحَـالِ مَـالـي وَسِـيـلَـةٌ ولا حِـيـلَـةٌ، وَالْـهَـجْ بـقـولِـكَ: مَـا وَمَـا
وعَـرِّجْ عـلـى الـتَّـقـديـسِ تـسْـتَـخْـلِـصَـنَّـهُ
وَنَـفْـسُـكَ نُـسْـكٌ لازِمٌ فـاذْبَـحَـنَّـهُ
وَشَـأنُـكَ إنْ أخْـلَـصْـتَ لا تَـحْـقِـرَنَّـهُ

فإنْ تَكُ لا شَيئاً هُناكَ فإنَّهُ رَناكَ[1] لِما أدْناكَ إذ لَكَ قَدْ رَمَى

أرَادَكَ حَتى قُمتَ فيهِ مُجالِداً

يُميتكَ مَشهُوداً ويُحييكَ شاهِداً

وإنْ ساعَةً أحْياكَ أبْقاكَ بائِداً

وإنْ ساعَةً أفناكَ أبقاكَ خالِداً بوَصْفٍ لَهُ باقٍ صِفاتَكَ أعْدَما

تَفَرَّدْ ولا تَشتَشنِ في سُبُحَاتِهِ

ووَحِّدْ صِفاتِ الحَقِّ توحِيدَ ذاتِهِ

وسَافِرْ بعَينِ الحَقِّ في حَضَراتِهِ

فإنْ هُو جَلّى فيكَ بَعضَ صِفاتِهِ فما كُنتَ أنتَ الآنَ أنتَ المُقدَّما

تَفاوَتَ حَسْبَ الفَيضِ ذوقُ مُلُوكِها

فهُم بَينَ مُثرِيها وَبينَ ضَريكِها[2]

مَراتِبُهُم شتَّى بمَرقى سُمُوكِها[3]

وفيها مَقاماتٌ لأهْلِ سُلُوكِها شُمُوساً وأقماراً تُنيرُ وَأنجُما

تَفَاوَتُ أذواقُ المُحبِّينَ رَغْبَةً

مَرَاتِبُهُم حَسْبَ المَقاماتِ رِفْعَةً

هُيَامَى إلى «إنَّا فتَحنا» مُلِظَّةً[4]

فمَنْ ذاقَ مِنها نَغْبَةً مَاتَ رَغْبَةً ومَنْ لم يَذقْهَا مَاتَ بالغَمِّ مُسْقَما

ومَا فَاضَ حَسبَ الفتحِ مِن شِبْهِ وَحْيِها

وَعَيَّنَهُ سِرُّ الحَكِيمِ بِطَيِّها

بإثباتِها ما أثبَتَتْ أو بِنَفْيِها

---

(١) رَناك: أبصَرَك.

(٢) الضَّريك: الفقير البائس.

(٣) سُمُوكِها: جمع سَمْك وهو السقف العالي المُرتفع.

(٤) مُلِظَّة: مُلِحّة.

مَعَالِمُ تشتهْدِي الحُلُومُ بهَدْيِها عُلُوماً بها كَانَ العَلِيمُ المُعَلِّما

أقامَ لهُم فيها حُظُوظاً مُقامَةً

وأنزلَهُم حَسبَ الحُظوظِ مَقامَةً

وقلَّدَهُم في العَالَمِين إمَامَةً

فعَرَّفَهُم إيَّاهُ مِنهُ كَرَامَةً وأشهَدَهُم إيَّاهُ مِنهُ تَكَرُّما

تَوَلّاهُمُ باسْمِ البَدِيعِ تَنَزُّلا

وفي حَضْرَةِ الفتاحِ لِلقَوْمِ أنْزَلا

وَنَوَّرَهُم نُورُ السَّمواتِ وانْجَلَى

وَخَلْقُهُمُ باسْمِ العَلِيمِ تَفَضُّلا وكانَ لَهُم باسْمِ المُبينِ مُسَوِّما

فجَرَّدَهُم عَنهُم لِخالِصِ حُبِّهِ

فما هَمَّهُم إلّا وَسَائِلُ قُربِهِ

عُرُوجاً بهِ عَنهُم إليهِ بغَيْبِهِ

وكانَ لَهُم عَنهُ فكَانُوا لهُ بِهِ وقامَ بهِم عَنْهُم إليهِم مُكلِّما

تحَكَّمَ فيهِم حُبُّهُ وَتَصَرَّفا

وأوْقفهُم في القَبْضِ والبَسْطِ مَوقِفا

وأرْسَلَ في أسْرَارِهِم نفحَةَ الصَّفا

فمُذ عَرَفوهُ لم يَرُومُوا تَعرُّفا إلى غَيرِهِ والغَيرُ ثَمَّ تَعَدَّما

تَشَعْشَعَ فيهِم صُبْحُهُ فانجَلَى المَسَا

فهُم في ضِياءٍ مِنهُ والليلُ عَسْعَسَا

بآيَةِ طُورٍ صُبحُهُم قَدْ تَنفَّسَا

وليسَ لهُم جَهْلٌ هُناكَ وما عَسَى لهُم أنْ يَرَوا مِن بعدِ ذلكِ مُبْهَما

تَعَهَّدَهُم إذ زَايَلوا الخَلْقَ بالمَدَدْ

فهُم في بسَاطِ الأنسِ بالوَاحِدِ الأحَدْ

وكُلٌّ بفتحِ اللهِ فازَ بما وَجَدْ

وما عَلِموا شيئاً بعِلْمِهِمُ وَقَدْ أحَاطُوا بعِلمِ الكُلِّ واللهُ أعْلَما

فصَارَتْ شَهادَاتٍ لَدَيْهِم غُيُوبُهُم

قَدْ امْتَلأتْ بالكَشْفِ مِنهُ جُيُوبُهُم

هُمُ العَالَمُ الأعْلى احْتَوَتْهُ جُنُوبُهُم

هُمُ لَوحُهُ المَحفوظُ كَانتْ قُلوبُهُم بِهِمْ قلَمُ الأنْوارِ لِلسِّر رَقَّما

لهُم دَرَجاتٌ مِن لَدَيهِ تَحَقَّقتْ

عليهِم بها شَمسُ الحَقيقةِ أشرَقَتْ

وألطافُ وَهْبٍ مِنْ لَدُنْهُ تَدَفَّقتْ

مَوَاهِبُ قَدْ دَقَّتْ عَنِ الفهْمِ وارْتَقتْ عَنِ الوَهْمِ رَقَّتْ عَنْ نَسِيمٍ تَنَسَّما

حَوَى نُسْخَةَ الإمْكَانِ إدْرَاكُ فهْمِهِم

فلا كُنهَ إلّا تَحتَ حِيطَةِ عَقلِهِم

لهُم حَضرَةُ القيُّومِ تُمْلَى لِسِرِّهِم

بها انْطَوَتِ الأكْوَانُ في طَيِّ عِلمِهِم مِنَ العَرْشِ والكُرْسِيِّ والأرضِ والسَّما

فما السِّرُّ والإعْلانُ ما الجَهْرُ ما الخَفا

وحَسبُهُم نُورُ المُبينِ مُكَشَّفا

هَدَاهُم وصَفَّاهُم وجَلَّى الكَشائِفا

فكَانتْ جَمِيعُ الكائناتِ مَصَاحِفا لهُم تَهَبُ السِّرَّ المَصُونَ المُكتَّما

بَدائعُ فيضٍ أُبْدِعَتْ بعَجائبِ

يُنوِّعُها فتّاحُ بَابِ المَوَاهِبِ

تُبَادِيهِمُ بالفتحِ مِنْ كُلِّ جَانبِ

لطائفُ لم تُودَعْ صَحَائِفَ كَاتِبِ تُطَالِعُها الأفهَامُ، واللهُ ألْهَما

أُرِيدُوا لها فاستنسَخُوها عَلَى النُّهَى

لقَدْ فكَّكُوا، والحَمدُ للهِ، رَمزَهَا

وكَمْ أدْرَكوا بالعَقلِ أمراً مُنزَّهاً عَنِ النَّقلِ في الألْواحِ لَنْ يُترَسَّما

لـقَـدْ كـانَ تَـحْـتَ الـخَـتْـمِ مِـنْ قَـبـلِ فَـضِّـهِ
فـصَـارَ ظُـهُـورُ الـبَـرْقِ فـي وَشْـكِ وَمْـضِـهِ
ومـا انـفـتـحَ الـمَـخـتـومُ إلّا بـفَـيـضِـهِ
يَضيقُ فَضَا الأكْوَانِ عَن شرْحِ بَعضِهِ وكُـلُّ لسانٍ كَلَّ، بل ظلَّ مُـفـحَـمـا

عُـلـومٌ تـجَـلّى مِـنْ «لـدُنّـا» ظُـهُـورُهـا
ولـم يَـتـعَـلَّقْ بـاكْـتِـسـابٍ سُـفُـورُهـا
تَـجَـلَّتْ بـأسْـرَارِ الـرِّجـالِ بُـدُورُهـا
بـهِ صُـحُـفُ الأرْواحِ أشْـرَقَ نُـورُهـا وصِـيـنَ عَـنِ الأرواحِ إذْ كُـنَّ أظْـلَـمـا

تَـجَـرّدْ لـهـا إنْ كـنـتَ فـي الـقـربِ تـرْغَـبُ
ولا تَـغْـلُوَنْ فـالـشَّـأنُ مِـنْ ذاكَ أقْـرَبُ
فـلَسْـتَ بـقـرْعِ الـبَـابِ بـالـصِّـدْقِ تُـحْـجَـبُ
لذلكَ فاطْلُبْ إنْ يَكُنْ لكَ مَطْلَبُ تَـرَى كُلَّ مَطلوبٍ سِوَى ذاكَ مَغْرَما

خُـذِ الـحَـزْمَ واجْـعَـلْهُ إلـى الـحَـقِّ مَـقـصَـدا
وأخـلِـصْ مَـتـيـنَ الـعَـزمِ صِـدْقـاً مُـجَـرَّدا
ومَـنْ قَـصَـدَ الـحَـقَّ اسْـتَـقـامَ وسَـدَّدا
ففي قصْدِهِ قصْدُ السَّبيلِ ومَنْ عَدا سبيلَ الهُدى نحْوَ الرَّدَى قَدْ تَيَمَّما

مُـلابَـسَـةُ الأغْـيـارِ عَـيـنُ إضَـاعَـةٍ
وقَـصْـدٌ عَـلـى حَـرْفٍ نَـقـيـضٍ لِطَـاعَـةٍ
فـأخـلِـصْ تَـرَى الإخـلاصَ أزْكَـى بِـضَـاعَـةٍ
فـكُـنْ وَاقِـفـاً بـالـبـابِ فـي كُلِّ سَـاعَـةٍ تَـرَى الـذلَّ فـيـهِ عِـزَّةً وَتَـكَـرُّمـا

أتـعـلَـمُ أنَّ الأمـرَ لـيـسَ كَـمَـا هُـنـا
فـدَعْ دَعْـوَةَ الـشـيـطـانِ والـنـفـسَ أوْهِـنـا
وخَـلِّ حُـظُـوظَ الـنـفـسِ يَـسْـحَـقـهـا الـفَـنـا
وجانِبْ رِيَاشَ الجَاهِ والعِزِّ والغِنى وكُـنْ بـاضْـطِـرَارٍ وافْـتِـقـارٍ مُـؤمِّـمـا

وإنْ شِئتَ قُربَ اللهِ فالعِلْمُ قُربَةٌ[1]

وإنْ شِئتَ جاهاً فهوَ جاهٌ ورِفعَةٌ

وإنْ شِئتَ وَفْراً فهوَ وَفْرٌ ودَوْلَةٌ

وإنْ شِئتَ عِزَّ العِلْمِ فالعِلمُ عِزَّةٌ لِباسُ لَبُوسِ الذلِّ للهِ مُسْلِما

طَريقانِ فاخْتَرْ ما تَرَى لكَ أحْسَنا

إذا كنتَ تبغِي الحَقَّ فاهْجُرْ لَهُ «أنا»

فإنَّ «أنا» حَظٌّ عَواقِبُهُ العَنا

وإنْ كنتَ تبغِي العِزَّ والجَاهَ في الدُّنا فدَعْ عَنكَ دَاعِي العِلمِ وارْحَلْ مُسَلِّما

وعِشْ لِحُظوظِ النفسِ نَدْباً مُكافِحاً

وعَنْ كُلِّ مَرْغوبٍ سِوَى الحَقِّ جامِحاً

إليهِ انْطَرِحْ لِلكَائِناتِ مُبَارِحاً

ودَعْ عَنكَ أدْناسَ المَطَامِعِ طَامِحاً لِمَولاكَ فيهِ طَائِعاً جَلَّ مُنْعِما

تَوَجَّهْ إليهِ وَاجْعَلِ الفقرَ دَيْدَنا

يَعُدُّكَ بالفقرِ الحَقيقيِّ مُحْسِنا

فخذ بطريقِ الفقرِ بالحَقِّ مُوقِنا

ففِيهِ الغِنى والفقرُ إذ رُؤيَةُ الغِنى هناكَ الغِنى، بَلْ مِنهُما اقصِدْهُ مُغْدَما

تعَنَّ ولا تَستَبْقِ لِلنفسِ عَادةً

أتلقَى إذا لمْ تَشْقَ فيهِ سَعَادةً

أذِبْها وأضْبِرْها وَسُقْها مُقادةً

فلا رَاحَةٌ تُرْجَى لِمَنْ رَامَ رَاحَةً ومهما بَذلْتَ الرُّوحَ صَادَفتَ مَغْنَما

تَلفَّتْ لَها مِنْ حَيثُ وَلَّتْ وَأقبَلَتْ

فإنَّ لها كَيداً وإنْ هِيَ أجْمَلَتْ

---

(١) قُرْبَة: دُنُوّ.

عَـلَيـكَ بـهـا انْـحَـزهَـا وإنْ هِـيَ وَلْوَلَتْ

فـفـي بَـذلِهـا صَـونٌ لَهـا إنْ تَـقـبَّلتْ وإلّا فـقَـدْ سِيقتْ إلى ذلكَ الحِمَى

فـإنْ هِـيَ عَـمّـا يُـوجِـبُ البُـعـدَ أعـرَضَـتْ

وسَـلَّمَـتِ الأطْـوَارَ فـيـهِ وفـوَّضَـتْ

وشَـدَّتْ بـعَـزمٍ فـي الـسُّلُوكِ وقَـوَّضَـتْ

هَنِيئاً لـهـا فَـخـراً بـمـا قَـدْ تَـعَرَّضَتْ لذاكَ الحِمَى لو كانَ مَطْلَبُها اختمَى

ذرِ الـكَـونَ فـي أثـوابـهِ يَـتـغـوَّلُ

يَـرُوقُ لِوَهْـنِ الـرَّأيِ حُـسْـنـاً ويَـجْـمُـلُ

فـمـا لَـكَ دُونَ الـحَـق فـيـهِ مُـعـوَّلُ

وإنْ أمَّ أبْـوابَ الـمُـلُوكِ مُـؤمِّـلُ فـيَـمِّـمْ إلـى أبْـوابـهِ مُـتـقـدِّمـاً

كَـريـمٌ لـضَـرَّاءِ الـفـقـيـرِ مُـرَاقِـبُ

لـطـيـفٌ إذا ضَـاقـتْ بـعَـبْـدٍ كَـوَارِبُ

لـهُ فـي الـقـضَـايَـا نَـظْـرةٌ وَمَـوَاهِـبُ

وأبْـوابُـهُ فَـتْـحٌ ومَـا ثَـمَّ حَـاجِـبُ وأفـضَـالُهُ شَـرْحٌ ومَـا ثَـمَّ مُـحْـتَـمَـى

تَـخـلّى لِـرَبِّـي ظـاهِـرِي والـذي بَـطَـنْ

وخَـلَّيـتُـهُـم والـكَـونَ والأهْـلَ والـوَطَـنْ

كَـفـانـيَ عَـنْ زيـدٍ وعَـمْـرو وعَـنْ وعَـنْ

لأبْـوابـهِ مـا عِـشـتُ أغْـشـى ولَمْ أكُـنْ لأخْـشـى رَقـيـبـاً أو عَـذولاً مُـلوِّمـا

رَفَـضْـتُ لَهُ الأكْـوانَ مِـنْ ذِي سَـرَائـرِي

وصُـنـتُ عَـنِ الـتَّـغْـلـيـلِ مَرمَـى بَـصَـائِري

وسِـيَّـانَ فـيـهِ نـافِـعِـي مِـثـلُ ضَـائِري

فـعِـنـدِيَ فـيـهِ عَـاذِلِي مِـثـلُ عَـاذِري ومَـنْ فـيـهِ عَـادَانِي كَـمَـنْ بي تَـرَحَّـمـا

فـلَسْـتُ بـذي طَـرْفٍ بـفُـرْقَـتِـهِـم قُـذِي

بـمَـذْهَـبِ إنّـي ذاهِـبٌ أنـا مُـحْـتـذِي

طَـرِيـقـةَ ذِي صِـدْقٍ مَـعَ الـحَـقِّ أحْـوَذِي

سَـأرْحَـلُ عَـنـهُـم أجْـمَـعِـينَ إلى الـذي بـِهِ لـذَّ لِي ذُلِّي وعِـزِّي تَـهَـجَّـمـا

أرَانِـي خَـلِيـلُ اللهِ وَشْـكَ ذَهَـابِـهِ

وعَـلَّلَنـي مِـنْ نَـغْـبَـةٍ مِـنْ شَـرَابِـهِ

وسِـرْتُ مـع الـمُـخْـتـارِ تَـحْـتَ رِكَـابِـهِ

عَـسَـى أنَّـنِـي أُدْعَـى دَعِـيـاً بِـبَـابِـهِ إذا لـم أكُـنْ بـاسْـمِ الـخَـدِيـمِ مُـوَسَّـمـا

فـصِـرْتُ بـعَـيـنِ الـحَـقِّ أرْفَـعَ مَـنـزِلا

بـأيِّ مَـقـام شـاءَهُ لِي وَأنْـزَلا

دُعِـيـتُ دَعِـيـاً أو وَلِـيـاً مُـكَـمِّـلا

وإلّا فـإنْ أُدْعَـى بـهِ مُـتَـطَـفِّـلا فـقَـدْرِي بـهـذا الاسْـمِ يَـخْـتـرِقُ الـسَّـمـا

كَـفـانِـي اخْـتـيـارُ الـحَـقِّ فـي كُـلِّ مَـوطِـنِ

بـأيَّـةِ حَـالٍ أو بـأيِّ تـعَـيُّـنِ

فـلَـسْـتُ لِمَـا يَـخْـتـارُهُ عَـبـدَ دَيْـدَنـي

وإنْ أُدْعَ لا شـيـئـاً هُـنـاك فـإنَّـنـي بـذاكَ لـقَـدْ أصْـبَـحْـتُ في الـنَّـاسِ مُـغـرَمـا

فـلَـسْـتُ سِـوى مَـا اخْـتـارَهُ مُـتـخـيِّـرا

ولا وَاقِـفـاً خَـلْـفَ الـدَّلِـيـلِ تَـحَـيُّـرا

ونِـسْـبَـةُ مـا يَـخْـتـارُهُ صَـارَ مَـفْـخَـرا

ومـاذا عَـسَـى أُدْعَـى، ومـاذا عَـسَـى أُرَى فـمـا كُـنـتُ فـيـمـا يَـرْتَـضِـيـهِ لأسْـأمـا

دَعَـا دَعْـوَةً فـيـهـا الـسَّـنـا والـمَـنـاصِـبُ

وأطْـلَـعَ نَـجْـمـاً دَلَّ والـنَّـجْـمُ ثـاقِـبُ

وذلـكَ إحْـسَـانٌ لَهُ ومَـوَاهِـبُ

وإنْ كـانَ لـي مِـنْ لُـؤْمِ نَـفـسِـيَ حَـاجِـبُ جَـعَـلْـتُ الـرَّجَـا مِـنِّـي بـهِ لِيَ سُـلَّـمـا

ويُـطْـمِـعُـنـي مِـنـهُ بـأنِّـي عَـرَفْـتُـهُ

وإنِّـيَ فـي أمْـرٍ وَنَـهْـيٍ أَطَـعْـتُـهُ

وإنِّـي عَـلَى الـعَـهْـدِ الـذي قَـدْ قَـطَـعْـتُـهُ
وبَـيـنَ يَـدَي نَـجْـوَايَ لـمّـا قـصَـدْتُـهُ جَـعَـلْـتُ الرَّجَـا أَرْجَـى شـفِـيـعٍ وَأَكْـرَمـا

أقـــدِّمُ ذلِّي وانْـــكِـــسَـــارِيَ لاجِـــيـــاً
وأخْـلَـصْـتُ إعْـلانِـي وسِـرِّي مُـنـاجِـيـاً
ولَـولا رَجَـائِي لَـم أكُـنْ مِـنـهُ نـاجِـيـاً
ومـا كُـنـتُ أرْجُـو أنْ يُـخـيِّـبَ رَاجِـيـاً ولـو لـم يَـكُـنْ أهـلًا لـيُـدْنـي ويُـكْـرَمـا

عَـرَفْـتُ اضْـطِـرَاري وافـتِـقـارِي وحَـوْلَهُ
وتَـــدْبِـــيـــرَهُ مَـــالـــم أكُـــنْ أنـــا أهْـــلَهُ
فـلـيـسَ بـكَـسْـبـي ذرَّةٌ لـم تـكُـنْ لَهُ
ومـا أنـا أرْجُـو بـاجْـتِـهـادِيَ وَصْـلَهُ ومـا لاجـتِـهـادِي أنْ يَـكُـونَ الـمُـقـوِّمـا

تَـطـارَحـتُ فـي عَـجْـزي حَـسِـيـراً مُـبَـلَّدَا
يَـقـيـنـاً بـأنَّ الأمْـرَ لِلحَـقِّ مـا عَـدَا
ومُـنْـذُ كَـانَ لِي هـذا الـيَـقـيـنُ تَـجَـدَّدَا
تـرَكْـتُ اجْـتِـهـادِي واعْـتِـيـادِيَ إذْ غَـدَا مُـرادِي اعْـتِـمَـادِي مُـسْـلِـمـاً ومُـسَـلِّـمـا

وحِـكْـمَـتُـهُ نُـورٌ أرَاهُ شَـهَـادَةً
ولَـولا شُـهُـودِي لـم أُصَـحِّـحْ عِـبَـادَةً
وحِـكْـمَـتُـهُ مـا اخْـتـارَهُ لـيَ عَـادَةً
وحِـكْـمَـتُـهُ فـي كُـلِّ أمْـرِي إرَادَةً وفِـعْـلًا ومَـلْـبُـوسـاً وشُـرْبـاً ومَـطْـعَـمـا

بِـهِ لا بـحَـوْلِي كَـانَ لِي مَـا أُرِيـدُهُ
أُثَـبِّـتُ أرْكَـانِـي وَسِـرِّي قُـيُـودُهُ
وقَـامَـتْ حُـقُـوقُ الـحَـقِّ لِي وَحُـدُودُهُ
وأجْـرَيـتُ مِـنـي النفسَ فيما يُـرِيـدُهُ بـأمْـرٍ وزَجْـرٍ إنْ أَحَـلَّ وحَـرَّمـا

وَضَـعْـتُ لَهُ كُـلِّي ولا حَـرْفَ ألـمَـحُ
وَوَضْـعٌ عَـلى حَـرْفٍ شَـهِـيـدٌ مُـجَـرَّحُ

أنـا الـعَـبْـدُ مـا لِي دُونَ مَـولايَ مَـبْـرَحُ

فمَالي إلى مَا صَدَّنِي عَنكَ مَطْمَحُ وإنْ حَدَّ لـي أمْـراً فـلَنْ أتـلَعْـثَمـا

دَعَـا دَعْـوَةً لـلقُـرْبِ مِـنـهُ فـأسْـمَـعَـا

وَعَـرَّفَـنِـي نَـهْـجَ الـسُّـلوكِ فـوَسَّـعَـا

فـمـاليَ لا أسْـعَـى اتِّـبَـاعـاً لِمَـنْ سَـعَـى

ومـاليَ لا أسْـعَـى إلـى مَـا لَهُ دَعَـى ومـاليَ لا أرْضَـى إذا مـا تَـحَـكَّـمـا

ومـالـيَ أنْ أُدْعَـى لأمـرٍ فَـأنْـهَـضَـا

ومـالـيَ أنْ آتِـي الأمُـورَ مُـفَـوِّضَـا

ومـالـي لِـمـا يَـرْضَـاهُ أنْ أتَـعَـرَّضَـا

ومـاليَ مِـنْ سَـعْـيٍ ومـاليَ مِـنْ رِضَـا سِـوَى نِـسْـبَـةٍ مِـنـهُ بـمـا قَـدْ تَـكَـرَّمـا

بَـدا لِي مُـرَادِي فـاخْـتـرَمْـتُ سَـوَادَهُ[1]

وكَـوْنِـي مُـرَادِي الـحَـقِّ صُـنـعٌ أجَـادَهُ

فـمـا لـيَ تَـحْـقـيـقـاً سِـوَى مـا أرَادَهُ

ولا قُـدْرَةٌ لِي أنْ أُرِيـدَ مُـرَادَهُ فكَيفَ مُرَادِي؟ إنْ أُرِدْ كُنتُ أظْلَما

عَـوَالِمُ نـفْـسِـي قـارَنَـتْـنِـي مُـرَادَةً

أُرِيـدُ ولا عِـنْـدِي أُرِيـدُ أصَـالَةً

ظِـلالُ إرَادَاتِـي أرَاهَـا مُـبَـادَةً

مُـرادِيَ لـي أنْ لا أرَى لي إرَادَةً وتـلكَ لَهُ عَـيْـنُ الإرَادَةِ فِـي الـعَـمَـى

يَـرَى الـحَـقُّ مِـنِّـي قُـرْبَـةً كُـلَّ أحْـرُفِـي

وكُـلُّ حُـرُوفِـي حُـسْـنُـهـا حُـسْـنُ يُـوسُـفِ

لأنِـيَ لـم أرْقُـمْ حُـرُوفِـي بِـمُـصْـحَـفِـي

(١) فاخْترَمْتُ سَوَادَه: أخذتُ مُعظمه.

فـصَـمْـتـيَ ذِكْـرَى والـسُّـكُـونُ تَـصَـرُّفِـي ونَـومِـيَ وِرْدِي حَـيـثُ كَـانَ الـمُـنَـوِّمـا

مِنَ الفرْشِ[1] حتى العَرْشِ سِرْتُ ولا خُطى

ويُـشْـرِبُـنِـي بَـخـراً صُـعُـوداً وَمَـهْـبِـطـا

سَـألْـتُ فـجَـاءَ الـمَـنـعُ فـي صُـورَةِ الـعَـطـا

وأَشْـهَـدُ مِـنـهُ الـمَـنـعَ صَـرْفـاً مِـنَ الـعَـطـا وفي الفضْلِ مَغنى الوَصْلِ بالأَصْلِ قَيِّما

لـقَـدْ سِـمْـتُ مَـشـيـاً مَـا أَشَـاءُ فـمـا مَـشـى

ونُـودِيـتُ بـالـتَّـأدِيـبِ عَـبْـدِيَ لا تَـشـا[2]

ولُقِّـنْـتُ تَـفْـوِيـضَ الأمُـورِ كَـمَـا يَـشـا

فـمـا شـاءَ فـلْـيَـفْـعَـلْـهُ، مَـا شـاءَهُ أَشـا ومـا أنـا مِـمَّـنْ بـالـمَـشِـيـئَـةِ آثِـمـا

أُقـدِّسُ عَـن قَـصْـدِي حَـقَـائـقَ خَـلْـوَتِـي

ولا، لا يَـرَى نَـفْـسِـي بـقَـصْـدٍ تَـحَـلَّـتِ

نَـعَـمْ قَـصْـدُهُ قَـصْـدِي وَرُوحِـي وَمُـنْـيـتـي

فلا قصْدَ لِي، والقصْدُ لِي تَرْكُ رُؤيَتي بقصْدِي، وَلَيسَ التَّرْكُ عِندِي مُحَرَّما

مُـحِـيـطُ الـتـوَلِّـي جَـزْرُهُ مِـثْـلُ مَـدِّهِ

إذا كَـانَ فـي الـحَـالَـيـنِ ألـطَـافُ وُدِّهِ

قَـصَـدْتُ إلـيـهِ مِـنْ مَـشَـارِقِ مَـجْـدِهِ

وإنْ كـانَ قَـدْرِي حَـطَّ عَـنْ دُونِ قَـصْـدِهِ فقصْدِي لهذا القصْدِ لِي شَرَفٌ نَمَا

وإنْ لَـم يَـكُـنْ إلّا اغـتِـبَـاطِـي بـحَـمْـدِهِ

فَـإنَّ مَـقَـامَ الـحَـمْـدِ بَـسْـطٌ لِعَـبْـدِهِ

أَقَـلُّ مَـزَايَـا الـحَـمْـدِ إنْـجَـازُ وَعْـدِهِ

(١) الفرش: الأرض.

(٢) سِمْتُ: أردتُ || عبديَ لا تشأ: إشارة إلى الآيةِ الكريمة [وما تشاؤونَ إلّا أن يشاءَ الله].

وإنْ لـم يَـكُـنْ إلّا أمَـانِـيَ قـصْـدِهِ فلا عِشتُ مِنْ تلكَ الأمَـانـيَ مُـعْـدَما

وإنْ لَم يَـكُـنْ إلّا الـتـمَـاسِـي لِرَفْـدِهِ

وعِـزفـانُ أنْ لا فـتْـحَ فـي حُـكْـمِ سَـدِّهِ

وتـحـقـيـقُ ذلّي تَـحْـتَ عِـزَّةِ مَـجْـدِهِ

وإنْ لَم يَـكُـنْ إلّا مَـحَـبَّـةَ قـصْـدِهِ فعُذتُ وَلِي في ذلكَ الحُبِّ مُنْتمَى

وإنْ لـم يَـكُـنْ إلّا انـطِـرَاحِـي مُـفَـوِّضَـا

وإنْ لـم يَـكُـنْ إلّا بـمـا اخْـتـارَهُ الـرِّضَـا

وإنْ لـم يَـكُـنْ إلّا الـرِّضَـاءُ بـمَـا قـضَـى

وإن لـم تـكُـنْ إلّا مَـحَبَّةُ مَـنْ مَـضَـى إلـى قـصْـدِهِ، ذرْنِـي بـهـا مُـتـنـعِّـمـا

وإنْ لـم يَـكُـنْ مِـنْ ذوْقِـهِـم لِي رَقِـيـقَـةٌ

ومِـنْ خَـطْـرَةٍ فـي سِـرِّهِـم لِي دَقِـيـقَـةٌ

ومِـنْ حُـبِّـهِـم فـي قـصْـدِهِـم لِي طَـرِيـقَـةٌ

وإنْ لم يَكُنْ لِي في هَوَاهُم حَقِيقَةٌ فـدَعْنِي أعِشْ فِي حُبِّهِم مُتوَهِّـما

إلـهِـي وإنْ لاقـى الـعَـرَاءَ سَـقِـيـمُـهُ

فـأنْـبِـتْ عَـلـيـهِ مِـنْ مَـقـامٍ يَـقـومُـهُ

لأمْـسَـيْـتُ لَيْـلِي غَـائِرَاتٍ نُـجُـومُـهُ

وإنْ لـم يَـكُـنْ لِي ثَـمَّ حَـظٌّ أرُومُـهُ إليكَ، فـأبْلِغْنِي الـمَقـامَ الـمُـعَظَّـما

نَـزِيـلُكَ مـا تَـخْـتـارُهُ لِي نَـزَلْتُـهُ

لـكَ الأمْـرُ إبْـرَامِـي وَنَـقْـضِـي حَـلَلتُـهُ

ولـي ولَكَ الـحَـقُّ الـذي مَـا جَـهِـلْتُـهُ

وإنْ لـم أكُـنْ أهْـلًا لِمَـا قَـدْ سَـألْتُـهُ فـإنّـكَ أهْـلٌ مِـنَّـةً وَتَـكَـرُّمـا

مَـتـى تَـبْـلُغـنِّـي حِـيلَتِـي مَـا فَـقَـدْتُـهُ

ولا حَـوْلَ لِي فـي دَرْكِ شـيءٍ وَجَـدْتُـهُ

لـتـدْبـيـرِكَ الـلـهُـمَّ شـأنِـي تَـرَكْـتُـهُ

وإنْ لـم يَـكُـنْ لِي مُـبْـلِغـاً مـا أَرَدْتُـهُ فـحُـبِّي لـمـا تَـرْضَـى أَرَى لـيَ أحْـزَمـا

وعِـرْفـانُـكَ الـلهُـمَّ كَـنـزٌ حَـوَيْـتُـهُ

وتـوحِـيـدُكَ الـبَـحْـرُ الـمُـحِـيـطُ شَـرِبْـتُـهُ

وتـسْـبـيـحُ طَـيِّـاتِـي ومَـا قَـدْ نَـشـرْتُـهُ

وحَمْدَيْكَ[1] لِي في كُلِّ حَالٍ حَمَدْتُهُ فـلا زلـتُ قـوَّالًا بـهِ مُـتَـكَـلِّـمـا

بـحَـمْـدِكَ إذ مَـلَّـكْـتَـنِـي كُـلَّ مَـغْـدَنِ

وأيـنَ مُـلُوكُ الأرْضِ عَـمّـا تـمُـدُّنـي

وإنِّـي بـهـذا الـمُـلْكِ لَو لـم تـوَدُّنِـي

فـهذا بفـضْـلٍ مِـنـكَ قَـدْ صَـارَ دَيـدَنِي فلا عِشتُ يَوماً حُلْتُ عَنهُ مُصمِّما

---

(١) حَمْدَيْك: حَمْدكَ سَرّاءَ وضَرّاء.

فرعُ الحَيَاة المُقدَّسة

اللهُ حَيٌّ لا يَزَالُ وَلَم يَزَلْ ... في ذاتِهِ وَبِذاتِهِ وَلِذاتِهِ[1]

لا شَيءَ غَيرَ اللهِ حَيٌّ كَائِنٌ ... للذّاتِ قَامَ لَهُ وُجُودُ حَيَاتِهِ

وَحَقائِقُ الأسْمَاءِ في اسْمِ الحَيِّ إذ ... هُوَ أَوَّلُ الأسْمَاءِ في مَزقاتِهِ[2]

رَجَعتْ إليهِ عَينُ كُلِّ حَقِيقَةٍ ... مِنْ بَعْدِ جَامِعِ اسْمِهِ وَصِفاتِهِ

وَمِنَ المُحَالِ وُجُودُ ذاتِ حَقِيقَةٍ ... لاسْمٍ وَغَيرُ الحَيِّ أَصْلُ ثَبَاتِهِ

وَالحَيُّ مَنْ تَجِبُ الحَيَاةُ لِذاتِهِ ... للذاتِ لَيسَ لِخارجٍ عن ذاتِهِ

والحَيُّ مَنْ لَيسَتْ حَيَاةٌ عَينُهُ ... كَلّا، وَلا هِيَ بَعضُ غَيرِيَّاتِهِ

الله حَيٌّ لا بِمَعْنًى زَائِدٍ ... فيهِ، قَدِيمٌ غَيرَ نَفْيِ مَمَاتِهِ

يَكْفِي وُجُوبُ حَيَاتِهِ للذاتِ عَنْ ... فَوزِ الحَيَاةِ مُسَبِّباً لِثَبَاتِهِ

حَيّاً وُجُوباً لا لِمُوجِبِ عَارِضٍ ... فَيَكُونُ مُفْتَقِراً لِمُفْتَقَرَاتِهِ[3]

حَيّاً وُجُوباً لا لِكَوْنِ حَيَاتِهِ ... سَبَباً أَقَامَ لَه وُجُودَ حَيَاتِهِ

هذا وُقُوعُ الشَّيءِ عِلَّةَ ذاتِهِ ... وَمِنَ المُحَالِ الشَّيءُ عِلَّةُ ذاتِهِ[4]

---

(١) في ذاته: في كينونته || بذاته: مستقلًا دون صفة زائدة تُضفى عليه كالحياة التي تستلزم الفناء || لِذاته: دونما اعتبار لشواهد مخلوقاته على وُجودِه، لأن وُجودها [في حدّ ذاته] آيةٌ من آياته.

(٢) مَزقاته: سموه وعلوه وصعوده.

(٣) تنويع وتوكيد لما سبق طرحه في القصيدتين السابقتين حول وجوب وجود ذات الخالق، لا لـ «مُوجِبِ عَارِض»، و«لا لكَوْنِ حَيَاته [البيت التالي] سَبَباً أقام له وجود حياته».

(٤) توضيح لما ذهب إليه في البيت السابق؛ إذ من المُحال أن تكون الأشياءُ في ذاتها عِلّة ذاتها، وفقاً لمبدأ العِلّة ومَعْلُولِها.

لَيسَ اعْتِدالًا في المَزاجِ وَلا قُوَى | حِسٌّ لِجِنْسِ حَياةِ مُبْتَدَعاتِهِ
الذاتُ كافٍ صِحَّةُ اسْتِلْزامِها | دُونَ الوَسِيطَةِ مِنْ قَدِيمِ صِفاتِهِ
الواجِبُ الحَقُّ القَدِيمُ يَجِلُّ عَنْ | إيجابِ واسِطَةٍ خُصُوصِيَّاتِهِ
تَجِبُ الصِّفاتُ لَهُ وَلَيستْ غَيرَهُ | وَثُبُوتُها في نَفْيِ سَلْبِيَّاتِهِ
وَتَجاذُبُ الأسْماءِ مَوْجُودَاتِها | لِحَقِيقَةِ اسْمِ الحَيِّ جَمْعِ شَتاتِهِ
لِلحَيِّ هَيْمَنَةٌ على الأسْماءِ مِنْ | حَيثُ الظُّهُورُ وَمَجْدُ قَيُّوماتِهِ
وَعَلَى كَمالاتِ الحَياةِ تَوَقَّفَتْ | آثارُ كُلِّ اسْمٍ بِمَأْثُوراتِهِ
وَظُهُورُ كُلِّ اسْمٍ بِنُورٍ خَصَّهُ | فَشُعاعُهُ الوَقَّادُ مِنْ مِشْكاتِهِ
وَظُهُورُ كُلِّ اسْمٍ بِقُوَّةِ فِعْلِهِ | لِلحَيِّ سُلْطانٌ على قُوَّاتِهِ
بَرَزَتْ ظُهُوراتُ الصِّفاتِ وَكُلُّها | مَمْدُودَةٌ مِنْ ماءِ عَيْنِ حَياتِهِ[1]

(١) اللافت، على الصعيد الشعري، في بيته الأخير تصويره لتمظهُرات الصِّفات المَمْدُودة أفلاجاً يُنبوعُها الصَّافي عَينُ ماءِ حياة الذات الإلهية.

طمْسُ الأبصار
عن إدراك رُؤية ذات الجبّار(*)

نَـزِّهْ إِلَهَـكَ أَنْ يُـرَى كَـيْ تَـعْـرِفَـهْ ... أَتُـرَاكَ تَـعْـرِفُـهُ وَتُـثْـبِـتُ ذِي الـصِّـفَـهْ

وَاعْـرِفْ مَـقَـامَـكَ دُونَ مـا حَـاوَلْـتَـهُ ... إِنَّ الـتـي حَـاوَلْـتَـهَـا لَكَ مُـتْـلِفَـهْ

أَتْـعَـبْـتَ نَـفْـسَـكَ فـي ظُـنُـونٍ قُـلَّبٍ ... وَالـحَـقُّ إِنَّ ظنـونَ وَهْـمِـكَ مُـخْـلِفَـهْ(1)

فِـيـهـا تُـوَحِّـدُهُ وَتَـجْـعَـلُـهُ لأغْـ ... ـرَاضِ الـطَّـبـيـعَـةِ عُـرْضَـةً مُـسْـتَـهْـدَفـهْ(2)

رَمَّـزْتَ عَـنْ تَـجْـسِـيـمِـهِ وَنَـصَـبْـتَـهُ ... غَـرَضـاً لِـعَـيْـنِـكَ مِـنْ وَرَاءِ الـبَـلْـكَـفَـهْ(3)

وَأَحَـلْـتَ كَـيْـفَ، وَمَـا، وَأَيْـنَ وَشِـبْـهَـهَـا ... وَعَـبَـدْتَ ذاتـاً بـالـحِـجَـابِ مُـكَـنَّـفَـهْ(4)

(*) هذه القصيدة، في جَدَلِها البُرْهاني، رَدٌّ دامِغ على القائلين بإمكانية رُؤيَة الخالق يوم القيامة.

(1) قُلَّب: متقلبة وغير ثابتة || مُخلِفة: من الخُلْف، وهو في العلوم الفلسفية، المُحالُ الذي يُنافي المنطق ويُخالف العقل.

(2) فيها: عائدة إلى ظنون الوهم الواردة في البيت السابق. وفي البيت صيغة تَعَجُّب مِمَّنْ يُوحِّدون ويُؤمِنون برُؤية الخالق بالعين المجردة، لأن في ذلك تَشيِّئاً لذاته المتعالية، وهبوطها إلى أغراض الطبيعة.

(3) البَلْكَفة: لفظ مُرَكَّب: (بلا - كيفيّة)، وترد في مَجال رُؤيَة الخالق من عَدَمِها. والشاعر يعيب المُرمِّزين عن التجسيم، في الوقت الذي يؤمنون برؤيته؛ أو - وفق تعبيره: يَتحاشون تَجْسِيمَهُ ويَنصبونه هدفاً لأعينهم الناظرة إليه من وراء البلكفة، أي القول برؤيته بلا كيفية تحاشياً للتجسيم. [جدير بالذكر أنَّ لأبي مُسلم كتاباً كاملًا بعنوان: شرح القصيدة البَلْكَفيَّة، وهي مَنظومَة للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي توسَّعَ فيها أبو مُسْلِم تنظيراً للقصيدة والمُصطلَح].

(4) المعنى: في الوقت الذي تجعل اتصافه بحدود المَاهِيَّة والهَيْئة والحَال والمَكان مُستحيلًا، تَعْبُدُ ذاتاً مُستترة بحجاب، وفي ذلك التناقض - كما ينصُّ البيت التالي - في الاعتقاد شاهد على تديُّن متعجرف.

هذا التَّناقُضُ في اعْتِقادِكَ شاهِدٌ ... يَقضِي عَلَيكَ بأنَّ دِينكَ عَجْرَفَهْ

إنْ كُنتَ تَعْقِلُ ما تَراهُ، فهذه ... ماهِيَّةٌ مَحْدُودَةٌ مُتَوقِّفَهْ

أوَ لَسْتَ تَعْقِلُهُ؟ فأنْتَ مُخلِّطٌ ... دَرْكٌ وَلا دَرْكٌ، فأينَ المَعْرِفَهْ؟

إنْ قُلتَ: مَعْلُوماً، أحَطْتَ بذاتِهِ ... وَجَعَلتَ عَجْزَكَ قُدْرَةً مُتَصَرِّفَهْ

أو قلتَ: مَجْمُولاً فأنتَ مُعَطِّلٌ ... أعَبدتَ مَجْمُولاً وَعَطَّلْتَ الصِّفهْ[1]

أثْبَتَّ إدْراكَ العَوارِضِ ذاتَهُ ... إنْ كُنتَ دَرْكَ العَينِ لَنْ تَستَنْكِفهْ

يَستلزِمُ الإدْراكُ، وَتِلْكَ، مُدْرَكاً ... مُتحَيِّزاً ذا صُورَةٍ مُتكيِّفهْ[2]

تَنفِي التَّحَيُّزَ وَالحُلُولَ وَتُثبِتُ ... المُستلْزِمَ المَنفِيَّ، ما هذا السَّفهْ

إنْ قُلْتَ أمْرٌ خارِجٌ عَنْ فَهْمِنا ... وَأتَيتَنا بقَضِيَّةٍ مُتكلِّفهْ

فإلَيكَ لو جَرَّدْتَها عَقْلِيَّةً ... لرَأَيتَ نَفْسَكَ في الهَوَى مُتعَسِّفهْ

إنْ كُنتَ تُدْرِكُهُ بِغَيرِ وَسِيطَةٍ ... فالفِعْلُ لَيسَ لِفاعِلٍ لَنْ نَعْرِفَهْ

أوْ لا، فَأيُّ وَسِيطَةٍ تَسْطُو بها ... فَتَرَى عَياناً ذاتَهُ مُتكَشِّفَهْ

وَحَدِيثُكُم يَقضِي بِرُؤيَتِكُم لَهُ ... بالعَينِ لا حِسٌّ سِواها عَرَّفَهْ

رِدْفاً لِقَولِ اللهِ ناظِرَةٌ وَما ... في حُجَّتَيكَ عَلَى ادِّعائِكَ مَعْرِفَهْ[3]

هَبْ أنَّنِي سَلَّمْتُ فَهْمَكَ مِنْهُما ... أينَ اسْتقرَّتْ مِنهُما تِلكَ الصِّفهْ

هَلْ أُوتِيَتْ إلّا لِعَينِكَ رُؤيةً ... حملا على بُهْتانِ أهْلِ السَّفْسَفهْ

تَرَكُوا المَجازَ عَلَى هَواهُم ها هُنا ... وَتَقلَّدُوهُ في أُمُورٍ مُتلِفَهْ

أتَرَى مَجازاً في الجَوارِحِ سالِماً ... إنْ كُنتَ في هذا المَقامِ مُعَنِّفَهْ

---

(١) مَجْمول: دون صِفة || المُعطِّل: الذي لا يُثبت الصِّفة، والبيت كسابقه ـ وما سيليه ـ حُجّة لإثبات تناقض القائل بالرُّؤية.

(٢) توضيح: أي أن الإدراك بالعوارض الزائلة، كالبصر، يَستلزم أن يَكُونَ المُدْرَكُ مُحتوى في حَيِّز وصُورة في حال يسمح بحدوث ذلك الإدراك.

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى: «وُجُوهٌ يومئذ ناضِرَة إلى ربِّها ناظِرَة»، وهي حُجّة القائلين بالرُّؤية، لكنَّ الرُّؤية لا تتمّ إلّا بجارحة النظر.

تأبى حقيقةُ الاستواءِ لِذاتِهِ ... إلّا هُنا، لِلُزُومِها مُتألِّفَهْ
أوجبتَ رُؤيَتَهُ فأوجَبَ سَمْعَهُ ... وَعلَيهِما؛ فلَهُ الذي لَكَ مِنْ صِفَهْ[1]
إنْ قُلْتَ قد سَمِعَ الكَليمُ[2] كَلامَهُ ... أترى حَقِيقةُ ذاكَ: صَوتاً عَنْ شَفَهْ
كَلّا لَقَدْ خَلَقَ الإلَهُ لأُذْنِهِ ... صَوتاً فَعَرَّفَهُ بِهِ ما عَرَّفَهْ
إنْ قِسْتَ رُؤيَتَهُ على تَكْلِيمِهِ ... لَزِمَ الحُدُوثُ لِمُدْرَكِ المُتَشَوِّفَهْ
فَيَكُونُ مَخْلُوقاً، وَتَزْعُمُ خَالِقاً ... بالحِسِّ تُدْرِكُهُ وَتُدْرِكُ مَوْقِفَهْ[3]
أم غَيرُهُ؟ جَرَّدْتَهُ مِنْ نَفْسِهِ ... أم غَيرُهُ هُوَ ذاتُهُ؟ أمْ ما الصِّفَهْ؟[4]
هذا هُوَ التَّجْدِيدُ وَالتَّحْدِيدُ وَالـ ... ـتَّقْسِيمُ وَالتَّعْدِيدُ يا مُتَعَسِّفَهْ
فإذا نَصَبْتَ سُؤالَ مُوسَى حُجَّةً ... وَنَبَذْتَ أحكَامَ العُقُولِ مُزَيِّفَهْ
قلْ لي: أمُوسَى كَانَ يَجْهَلُ مَنْعَها ... مِنْ قَبلِ صَاعِقَةِ النَّكِيرِ المُرْجِفَهْ
فَتَسُومُهُ النُّقصَانَ في تَوْحِيدِهِ ... وَتكُونُ أكْمَلَ في الحِجَى وَالمَعْرِفَهْ
أم كَانَ يَعْلَمُ مَنْعَها فَأرَادَها ... عَدْواً، فَتَنْسِبَ لِلرِّسَالَةِ عَجْرَفَهْ
أم كَانَ يَعْلَمُ مَنْعَها بِحَيَاتِهِ الـ ... ـدُّنيا فأعْجَلَ رَبَّهُ لِيُشَرِّفَهْ
وَعلى الثَّلاثةِ فالنَّقِيصَةُ عِندَهُ ... بِسُؤالِها أو لا، فلَيْسَكَ[5] مُنصِفَهْ
بَلْ كَانَ يَعْلَمُ مَنْعَها دُنيا وَأُخْـ ... ـرَى، وَالسُّؤالُ جَرَى لأجْلِ ذوِي السَّفَهْ
كَفَرُوا بِهِ، أوْ يَنْظُرُوهُ جَهْرَةً ... فَنَهَاهُمُ فَعَتوا عُتواً خَوَّفَهْ
فأرادَ مِنْ حِرْصٍ على إيمانِهِم ... إقْناعَهُم بالزَّجْرِ عَنْ تِلكَ الصِّفَهْ

---

(١) المعنى: بما أنكم تركتم المَجاز في الرؤية، فعليكم تركُهُ، إذنْ، في باقي الصفات كالسّمع وسواه، وفي هذه الحالة تتساوى صفة الخالق ـ تعالى عن ذلك ـ والمخلوق.

(٢) الكليم: النبي موسى عليه السلام.

(٣) إن قِستم الرؤية على التكليم، فقد لزمت ضرورة الإدراك بالحواس، وعليه يكون المُدرَكُ مخلوقاً لا خالقاً.

(٤) في البيت سخرية واضحة من الموقف؛ هل تتحدثون عن غيره مجردين إياه من نفسه؟ أم أن غيره هو نفسه؟ أم ماذا؟

(٥) ليسَكَ: لستَ.

أَتُـرَاهُ يَـسْـأَلُهـا الـكَـلِيـمُ لِنـفْـسِـهِ   طَـمَـعـاً بـهـا، وَلَهَـا الـيَـهُـودُ مُـعَـنِّفـهْ
وَاللهِ مـا جَـهِـلَ الـمَـقـامَ وَلا نَـسِـي   عِـزَّ الـجَـلالِ وَلا تَـخـطَّـى مَـوْقِـفَـهْ
لـكِـنْ لِكَـبْـحِ عِـنـادِهِـم وَعُـتـوِّهِـم   عَـرَضَ الـسُّؤالَ، وَقَـلْبُـهُ في الـمَـعْـرِفـهْ
أوَ لـمْ يُـصَـرِّحْ أَنَّـهُـم سُـفَـهَـاءُ مَـفْـ   ـتُـونُـونَ عِـنـدَ الـتَّـوْبِ مِـمَّـا أَسْـلَفـهْ
وَمَـتـابُـهُ مِـنْ جَـرْيِـهـا بِـلِسَـانِـهِ   مِـنْ دُونِ إِذْنٍ أَوْ لِصَـعْـقٍ خَـوَّفَـهْ
أَعَـمِـيتَ عَـنْ تَـأْبِـيـدِ «لَنْ» مَـنْـفِـيَّـهـا   وَجَـعَـلْتَ في التَّأْكِيدِ: «لَنْ» مُتَوَقِّفهْ[1]
مـا بَـالُ تَـحْـصُـرُهـا عَـلَى تـأْكِـيـدِهـا   لـولا الـتَّـجَـاهُـلُ فـي مَـقـامِ الـمَـعْـرِفـهْ
هَـبْ أنَّ بُـرْهَـانَ الـعُـقـولِ رَفَـضْـتَـهُ   فـالـنـصُّ تَـسْـتُـرُ شَـمْـسَـهُ مُـتَـكَـشِّـفـهْ
أيـقـولُ رَبُّـكَ: «لـنْ تَـرَانـي» فـازْتَـدِعْ   وتـقـولُ: سَـوفَ أَرَاكَ خَـلْفَ الـبَـلْكَـفَـهْ
أَوَ لَيْـسَـهُ هـذا عِـنـادٌ ظَـاهِـرٌ   فـاذْهَـبْ؛ أَمَـامَـكَ مَـوْعِـدٌ لَنْ تُـخْـلِفـهْ
أَبِـآيَـةِ الأَنْـعَـامِ أَدْنَـى شُـبْـهَـةٍ   أم آيَـةُ الأَعْـرَافِ، وَيْـكَ، مُـحَـرَّفـهْ[2]
هَلْ فِيهِـمـا بَـعْـضُ الـتَّـشَـابُـهِ مُـوهِـمـاً   إيـجَـابَ سَـلْـبِـهِـمَـا لِمَـنْ لَمْ يَـأْنَـفَـهْ
كـلَّا، وَلكِـنَّ الـهَـوَى سَـلَبَ الـنُّـهَـى   وَأَضَـلَّهَـا فَـتَـهَـوَّكَـتْ[3] فـي الـزَّخْـرَفَـهْ
ومِـنَ الـمُـصِـيـبَـةِ ضَـلَّ سَـعْـيُ مَـعَـاشِـرٍ   قَـلَّدْتَـهُـم تَـخِـذوا هَـوَاهُـم مَـزْلَفَـهْ
أَلَمَـحْـتَ مِـنْ نُـورِ الـتَّـجَـلِّي لَمْـحَـةً   فَـجَـعَـلْتَ ذاتَ الـحَـقِّ تِـلْكَ مُـكَـشَّـفَـهْ
سُـبْـحَـانَـهُ جَـلَّتْ صِـفَـاتُ كَـمَـالِهِ   عَـنْ كُلِّ ما لَحِقَ الحُدُوثَ مِنَ الصِّفَهْ
الـطُّورُ أَتْـحَـفـهُ الـتَّـجَـلِّي عَـنْ حَـقِيـ   ـقَـتِـهِ، وَمُـوسَـى مُـصْـعَـقٌ ما أَتْـحَـفَـهْ
أَجَـهِـلْتَ أَنَّ تَـجَـلِّيَـاتِ جَـلالِهِ   ظَـهَـرَتْ لِسَـائِلَةِ الـمُـحَـالِ مُـخَـوِّفَـهْ

---

(١) الإشارة، هنا، إلى منطوق الآية: «لَن تراني» ـ ولن حرف نصب ونفي واستقبال، نحو: لن أفعل هذا أبداً ـ ومُحاجَجَتُه: نسيانُ المُخاطَب لتأبيدها النفي، وعدم اعتداده بأنها تفيد التوكيد فحسب، حصراً لمعناها (البيت التالي) تجاهلًا في مقام معرفة.

(٢) *آيةُ الأنعام: «لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ وهو اللطِيفُ الخبير» ـ آيةُ الأعراف: «قالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إلى الجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ للجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صعقاً فلَمَّا أفاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنا أَوَّلُ المُؤمِنين».*

(٣) تَهَوَّكَت: حَمُقَتْ، وإنْ كان فيها بَقِيَّة من عَقل.

طَلَبَ التي نَافَتْ خَصَائِصَ ذاتِهِ ... فاستخْطَفتْهُمْ غَضْبَةٌ مُستخْطِفَهْ

أَنْكَرْتَ دَكَّ الطُّورِ مِنْهُ بآيَةٍ ... زَجْراً لِعَاتِيَةِ اليَهُودِ المُسْرِفَهْ

فَهَبِ التَّجَلِّي ما تَقُولُ، فأينَ في ... أَثْنَاءِ آيَتِهِ مَقَامُ البَلْكَفَهْ؟[1]

وَإِذا أَنِفْتَ تَجَلِّياً بالآيَةِ الـ ... ـكُبْرى، فَحَسْبُكَ ضِلَّةً أَنْ تَأْنَفَهْ[2]

فَجَلالُهُ وَجَمَالُهُ وَكَمَالُهُ ... شَاهَدْتَهُ في الذاتِ؟ أم فِعْلِ الصِّفَهْ[3]

أَعَلِمْتَ رَبَّكَ قَادِراً إلّا بِمَـ ... ـظْهَرِ الاقْتِدَارِ لِذاتِهِ المُتَصَرِّفَهْ

ماذا تَرَى في «جَاءَ رَبُّكَ»، هَلْ عَنَى ... بالذَّاتِ؟ أم أَمْرَ القِيَامَةِ كَشَّفَهْ؟[4]

مَا جَاءَ إلّا أَمْرُهُ وَعَظِيمُ قُدْ ... رَتِهِ، وَأجْنَاسُ الخَلِيقَةِ مُوقَفَهْ

أَتَرَاهُ جَاءَ مَعَ المَلائِكِ نَفْسُهُ ... بالذَّاتِ في ظُلَلِ الغَمَامِ مُكَنِّفَهْ[5]

هَلْ جَاءَ إلّا أَخْذُهُ وَأَلِيمُ بَطْـ ... ـشتِهِ بِجَاحِدَةٍ لَهُ مُستَنْكِفَهْ

أَظَنَنْتَ مَحْجُوبِينَ عَنْ جَنَّاتِهِ ... وَشُهُودِ عَيْنِ الرَّحْمَةِ المُتَعَطِّفَهْ

مَنعَ الحِجَابُ عُيُونَهُم عَنْ ذاتِهِ؟ ... أَخْطَأتَ ـ أَوْ فاعْبُدْ حِجَاباً كَنَّفَهْ

هَلْ زَادَ أم نَقَصَ الحِجَابُ أم اسْتَوَى ... وَتَرَاهُ مِنْ أَيِّ الجِهَاتِ تَكَنَّفَهْ

مَزِّقْ حِجَابَكَ يا مُجَسِّمَ رَبِّهِ ... وَحِجَابَ جَهْلِكَ، إنَّهُ ما أَكْنَفَهْ

وَاعْرُجْ إلى تَقْدِيسِ ذاتِ الحَقِّ بالـ ... ـنُّورِ الذي أَوْحَى، وَحَسْبُكَ مَعْرِفَهْ

قَدِّسْ نُعُوتَ اللهِ عَنْ مَخْلُوقِهِ ... وَانْبِذْ نُعُوتَ البِدْعَةِ المُتَحَرِّفَهْ

---

(١) **توضيح**: بعد حُجَجه التي ساقها في الأبيات السابقة نافياً فيها تَجَلِّي الله بذاته في جَبَلِ الطُّور، يَعُود مُتسائلًا مَعَ المُخاطَب: هَبْ أنَّ تَجَلِّيه حدث (كما تدَّعِي) في الجبل. فأين قولك السابق بـ البَلْكَفه = (بلا ـ كَيفية) وأنتَ تُكَيِّفُ تجلِّيه في جَبَل الطُّور؟... أيُّ تناقُضٍ هذا؟

(٢) **المعنى**: وإنْ كَرِهْتَ تقبُّلَ تَجَلِّيهِ نُوراً (الآية الكُبرى) فحسبك ضَلال إنكار تَجلِّي نوره.

(٣) **توضيح**: وعليه؛ هل شاهدت جلال الخالق وجماله وكماله في ذاته أم في صِفته؟.. فهي نقطة الخلاف.

(٤) **مُحَاجَجَة**: وما تأويلك لقوله: «وجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً» ـ بذاته؟ أم كان أمراً بقيام السّاعة؟

(٥) **مُكَنِّفة**: مُحَاطة، والمقصود ظُلَل الغمام كما تشير إليها الآية: «أم يَنظُرُونَ إلّا أنْ يَأتِيهِم اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلائِكَة».

وإذا نَزَعْتَ إلى الهُدَى عَنْ غَيرِهِ — فالاسْتِقامَةُ نَزْعَةُ المُتَصَوِّفَهْ[1]

للهِ نِحْلَتُنا وَنِعْمَ سَبيلُها — أَصْلًا وَفَرْعاً لا تُخالِفُ مُصْحَفَهْ

هيَ عَينُ ما نَزَلَ الأمِينُ بِهِ على الـ — ـهَادِي الأمِينِ، وَما سِوَاها زَخْرَفَهْ

لا نَعْبُدُ المَحْسُوسَ ذاتاً، كُلُّ مَحْـ — ـسُوسٍ حُدُوثٌ ذاتُهُ مُتَألِّفَهْ

بَلْ نَعْبُدُ الرَّبَّ الذي عِرْفانُنا — إيّاهُ، عِرْفانٌ بأنْ لَنْ نَعْرِفَهْ

أي: عَجْزُنا عَنْ دَرْكِهِ هُوَ دَرْكُهُ — لا دَرْكَ مَاهِيّاتِنا المُتَكَيِّفَهْ

تَجْرِيدُنا لِصِفاتِهِ وَلِذاتِهِ — تَجْرِيدُهُ هُوَ نَفْسُهُ لَنْ نَعْرِفَهْ

تَوْحِيدُنا إيّاهُ تَوْحِيدُ القُرآ — نِ بِذاتِهِ، وَالفِعْلِ مِنْهُ المَعْرِفَهْ

وَنُجِلُّهُ عَنْ رُؤْيَةٍ بِالعَيْنِ أو — بِالقَلْبِ في الدُّنيا وَأُخْرَى مُزْلِفَهْ

وَالدِّينُ نأبَى أنْ نُقَلِّدَهُ رِجا — لًا غَيرَ مَعْصُومِينَ عَمَّا حَرَّفَهْ

وَنُقَلِّدُ الرَّأيَ المُطابِقَ أَصْلَهُ — لِمُحَقِّقٍ اسْتِنْبَاطِهِ عَنْ مَعْرِفَهْ

أَفْلَتَّ سَانِحَةَ الهُدَى فارْبَعْ على — ضِلَعِ العَمَى وَابْغِ الضَّلالَةَ مَزْلَفَهْ

أَضَللتَ صِدِّيقِيَّةً عُمَرِيَّةً — وَهْبِيَّةً تَهَبُ الهِدَايَةَ مُنْصِفَهْ[2]

بَدْرِيَّةً أُحُدِيَّةً ما حَكَّمَتْ — عَمْرواً عَلَى قُرآنِها لِيُحَرِّفَهْ[3]

شَرِبَتْ بِمَاءِ النَّهْرِ[4] كَأْسَ نَبِيِّها — كَأْساً بِأَمْزِجَةِ الرَّحِيقِ مُقَرْقَفَهْ[5]

---

(١) مُلحوظة توضيحية: رغم أن هذه القصيدة كُتبت لتوضيح موقف أتباع المذهب الأباضي من مسألة الرُؤية، والرّد على مُخالِفيهم إلّا أنّ مَنحى التصوُّف المُتجرّد - وهذا رأيٌ شخصيٌّ - يَغلبُ على الشاعر ويُغالبُه؛ كما في هذا البيت المُؤكّد صَراحَةً بوضُوحه الخاص استقلاليته عن المَنحى العام للقصيدة: في تأكيده الواضح: أنَّ الاستقامة نزعة المُتصوِّفة.

(٢) صِدّيقيّة: طريقة أبي بكر الصّديق || عُمريّة: طريقة عمر بن الخطاب || وَهْبيّة: طريقة عبدالله بن وَهب الراسبي.

(٣) الإشارة لغزوتي بَدر وأُحُد || عمرو: هو عمرو بن العاص.

(٤) الإشارة، هنا، لمعركة النَّهْرَوان.

(٥) القَرْقَفُ: الخمرة، وتعني أيضاً: الماء البارد الصافي، وهي تسمية مَنحُوتة مِن أدبيّات الخمر. قال ابن الأعرابي: سُميّت بذلك لأنها تُرْعِدُ شاربها، وأنكر ذلك عليه أبو عبيد، وقال السُّكري: القَرْقَفُ: التي يُرْعد عنها صاحبها من إدمانه إيّاها، وقال الليث: القَرْقَفُ: التي يُرعد عنها صاحبها من إدمانه=

لا تــدَّعِــي هَــتْــكَ الــجَــلالِ بِــرُؤيَــةٍ   حَسْبَ العُقُولِ مِنَ المَقامِ المَعْرِفَهْ

أَقْـصِـرْ مَـطَـامِـعَـكَ الـتـي طَـوَّلْتَـهـا   إنَّ الـمَـطَـامِـعَ فـي مُـحَـالٍ مُـخْـلِفَـهْ

أنصِفْ حَقِيقةَ «لَنْ تَرَاني»، تلْقَها   نَـفْـيـاً يُـؤيِّـدُ قـاطِـعَ الـمُـتَـشـرِّفَـهْ

وَانْـظُـرْ إلـى الـشَّـأنِ الـمُـحَـالِ وُقُـوعُـهُ   إذ بـالـمُـحَـالِ ثُـبُـوتُـهُ قَـدْ أَوْقَـفَـهْ

لـو جَازَ، لـمْ يَـكُ بـالـمُـحَـالِ مُـعَـلّقـاً   كـلّا، وَلا صُـعِـقَـتْ يَـهُـودُ بِـمُـرْجِـفَـهْ

قـد كَـانَ فـي الـعِـلْـمِ الـقَـدِيـمِ بـأنّـهُ   لا يَـسْـتَـقِـرُّ الـطُّـورُ سَـاعَـةَ أَرْجَـفَـهْ[1]

=إياها، وقال الليث: القَرْقَفُ: تُوصف به الخمر ويوصفُ به الماء البارد: قال الفرزدَق في وصف ما بدا أنهُ الماء: «ولا زادَ إلّا فُضْلَتانِ سُلافَةٌ | وأبْيَضُ من ماءِ الغَمَامَةِ قَرْقَفُ». فقال الأزهري [مُوضِّحاً مقصد الفرزدق]: هذا وَهْم، في البيت تأخير أُريد به التقديم، فـالمعنى: سُلافةٌ قَرْقَفٌ وأبيض من ماء الغمامة. وقال ابن عبّاد: القُرْقُوْفُ: الخمر. وقال الليث: يُسَمَّى الدِّرْهَمُ قُرْقُوْفاً، فقال السّاجع: أبيض قُرْقُوفْ؛ لا شَعْر ولا صُوفْ؛ بكُلِّ بَلَدٍ يَطوفْ! وعَنى به الدِّرْهَمَ الأبيض ||توضيح: استعارة الشاعر في هذا البيت لوصف شهداء معركة النهروان مأخوذة من قاموس الخمريّات في التراث الشعري العربي إلى جانب الأبعاد الرُّوحيّة للمُصطلح في أدبيّات المُتصوِّفة، ناهيك عن وُرود مُفردة: «أمزجة»، فهي، بدورها، مُستعارة من تمازج الماء بالصَّهْباء، ومُفردة: «الرَّحيق» بدلالتها التي لا تخفى. [تفضيح: للأسف حُرِّفَ هذا البيت، واستُبدِلت: «مُقرقفة» بـ «مُقرَّفة»، ضرباً بمقصد الشاعر العميق، ونُسِبَت إلى (القِرْفة) التي شُرِحَت في [حَوَاشِي بعض شُرّاحِ أبي مُسْلم] على «أنها مادّة يُستخرج منها العِطر»!، رغم أنها، في الحقيقة، بَهَارٌ يُنكَّهُ به الطعام!... والتحريف نابعٌ، كما يَبدو، مِنْ تخوُّفِ شبيبةِ الأباضيّةِ الجُدُد على استقامة أبي مُسلم، كما تراها ذائقتُهُم وأخْيِلَتهم، لا كما يَرَاها - رحمه الله - عِلمُ أبي مُسلم الفيّاض ومَعْرِفَتُهُ الأوسع بحدود اللغة ومَجَازات وموانع استخدامها. نقول هذا، فيما نتجاوز (كي لا نُطيلَ)، عن وُضُوح وتلازم المَقصد في مُفرَداتٍ بعينها وردت في البيت: كأس، أمْزِجَة وقرقف التي قَرفوا، كما يبدو، من اقتراف أبي مُسْلِم لها. لكنَّ المُفارقة المُثيرة لِكَوَامِنِ سُخرية سوداء، هي أنَّ موضع التحريف وقع في قصيدة يُدافع فيها أبو مُسلِم عن قيمة «المَجَاز» وطاقته اللغوية والرُّوحيّة الخلاقة في ردِّهِ على القائلين بإمكان رُؤية الذات الإلهية بالعَين المُجرّدة، كما في تأويله المُنطلق مِنْ رُؤية نُورَانيّة ذات بُعد مَجَازي مُطلق، تسامياً على أنساقِ تفكير «الإنسان ذي البُعْد الواحد»؛ كما فصَّلَ ذلك في كتابه الموسوم بنفس الاسم؛ الفيلسوف الألماني هربرت ماركوز [وهو مُناضل ذو اتجاهات يَساريّة ويُعتبر أحد أهم المُمَثلين الكبار لمدرسة فرانكفورت والفرويديّة المَاركسيّة].

(١) تلميح: يشيرُ الشاعر، هنا، إلى ما جاءَ في العِلم القديم، وهي إشارة توراتيّة جليّة لها ما يُؤكّدُها في القرآن الكريم. ولتوضيح البيت نستعير ما أورده الباحث فِراس سوّاح، حول كُلٍّ من الرِّوايتين القرآنيّة والتوراتيّة؛ حيث يقول: «أعطى القرآن الكريم لأخبار موسى وقومه حيزاً في الكتاب لم يُعطه لأي=

وَإِنِ ادَّعَيتَ بأنَّ هذا المَنعَ في الـ ـدُّنيا وَبالأُخرَى حُقُوقٌ مُوقَفَهْ

=شخصية دينية أخرى: ١ ـ التجَلِّي على الجبل: **الرواية القرآنيّة**: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشرٍ، فتمّ مِيقات ربِّهِ أربعين ليلة. وقال مُوسى لأخيه هرون: اخلفني في قومي وأصلِحْ ولا تتبع سبيل المفسدين. ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمَهُ ربُّهُ، قال: ربِّ أرني أنظر إليك. قال: لن تراني، ولكن أُنظر إلى الجبل فإنْ استقرَّ مكانه (٧) فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً، وخرّ موسى صعقاً. فلما أفاق قال: سبحانك تبتُ إليك وأنا أول المؤمنين) [٧ الأعراف: ١٤٢ ـ ١٤٣]. **الرواية التوراتيّة**: في الرّواية القرآنية عن التجلي لدينا عُنصران، العُنصر الأول هو طلب موسى رؤية الرَّب، والعُنصر الثاني هو تَجَلِّي الربّ على الجبل ليجعله دَكّاً. وهذان العُنصران موجودان في الرّواية التوراتية في موضعين منفصلين: أ ـ طلب الرُّؤية: (فقال موسى: أرني مَجْدَكَ. فقال: أجيز كل جودتي قُدَّامك، وأنادي باسم الرَّب قدامك، وأتراءف على من أتراءف، وأرحم من أرحم. وقال: لا تقدر أن ترى وجهي، لأنَّ الإنسان لا يراني ويَعيش. وقال الرب: هو ذا عندي مكان، فتقف على الصخرة، ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأسْتُرك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأما وَجهي فلا يُرى) [الخُروج ٣٣: ١٨ ـ ٢٣]. ب ـ التَّجَلِّي على الجبل: (وفي الشهر الثالث بعد خروج بَني إسرائيل من أرض مصر، في ذلك اليوم جاؤوا إلى بريَّة سيناء مقابل الجبل.) [الخروج ١٩ : ١ ـ ٢]. (وقال الربُّ لموسى: اصعد إلى الجبل وكُنْ هناك فأعطيك لوحَيْ الحِجَارة (٨) والشريعة والوصيَّة التي كتبتها لتعليمهم. فقام موسى ويشوع خادمه، وصعد موسى إلى جبل الله. وأما الشيوخ فقال لهم: اجلسوا لنا هنا حتى نرجع إليكم، وهو ذا هرون وحور معكم، فمن كان صاحب دعوى فليتقدم إليهما. فصعد موسى إلى الجبل وحَلَّ مجد الربِّ على جبل سيناء وغطاه بالسحاب مدة سبعة أيام. وفي اليوم السَّابع دُعي موسى من وسط السحاب. وكان مَنظرُ مَجدِ الربِّ كنار آكلةٍ أمام عُيون جميع بني إسرائيل. ودخل موسى في وسط السَّحاب وصعد إلى الجبل. وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة) [الخروج ٢٤: ١٢ ـ ١٨]. (وكان جبل سيناء كُلُّهُ يُدخن مِن أجل أنَّ الرَّبَّ نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كُلُّ الجَبَلِ جداً. فكان البرق يزداد اشتداداً وموسى يتكلم والله يجيبه) [الخروج ١٩: ٨ ـ ١٩]. ٢ ـ الرسالة: **الرواية القرآنيّة**: (قال يا موسى إنِّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، فخذ ما آتيتك وكُنْ من الشاكرين. وكتبنا له في الألواح مِنْ كُلِّ شَيء مَوعِظةً، وَتفصِيلاً لِكُلِّ شيء، فخُذها بقُوَّةٍ وأمُرْ قومَكَ يَأخُذُوها بأحسنِها، سَأورِيكُم دار الفاسِقين (٩)، سأصرفُ عن آياتي الذين يَتكبَّرُونَ في الأرضِ بغيرِ حَقٍّ، وإنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنوا بها) [٧ الأعراف: ١٤٤ ـ ١٤٦]. **الرواية التوراتيّة**: على قمة جَبَلِ سِيناء الذي كان يُدَخِّنُ ويَرتَجِفُ لأنَّ الله نزلَ عليهِ بالنارِ (الخروج ١٩). يتلقى مُوسَى من رَبِّهِ الوَصَايا العشر: لا تكُن لك آلهة أخرى أمامي، أكرم أباك وأمك، لا تقتل، لا تسرق... الخ [الخروج ٢٠]. وبعد ذلك يأخذ الرب بتفصيل الأحكام الشرعية [الخروج: ٢١ ـ ٣١]. وفي النهاية يعطي الربُّ مُوسى لَوْحَينِ مِنْ حَجَرٍ نُقِشَتْ عَليهِما وَصيَّتُهُ وشَريعَته: (ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوْحَيْ الشَّهادة، لوحي حجر مَكتوبَين بإصبع الله) [الخروج ٣١: ١٨]».=

قُلْنا: حَكَمْتَ بأنَّهُ مُتَغَيِّرٌ ... لمّا فَرَضْتَ: هُناكَ تَغْييرَ الصِّفَهْ

وَكَمالُهُ بالذّاتِ لَيسَ مُؤقتاً ... كلّا، وَلَيسَ صِفاتُهُ مُتَطرِّفَهْ

ما يَسْتحِيلُ عَلَيْهِ فيما لم يَزَلْ ... قدَّرْتُموهُ لِغايَةِ المُتَشوِّفَهْ

لا تَسْتَحِيلُ صِفاتُ خالِقِنا الـ ... ـقَدِيمِ، وَلا تُغيِّرُهُ الدُّهُورُ المُرْدِفَهْ

سُبْحانَهُ! لا مُنْتَهى لِكَمالِهِ ... إذْ لم يَكُنْ لِبدَايَةٍ مُسْتأنَفَهْ

عُدْ عَنْ طَرِيقِكَ، ما لِعَيْنِكَ مَنْفذٌ ... إلّا إلى كَيْفِيَّةٍ مُسْتَهْدِفَهْ

إلّا إلى جِهَةٍ تُحدِّدُ جَوْهَراً ... مُتلبِّساً عَرَضاً تُحَقِّقُ مَوْقِفَهْ

أوْلا، فَلَيْسَتْ رُؤْيَةٌ معقولةٌ ... فَنَرَى حَدِيثَكُمُ إلَيْها مَصْرَفَهْ

بَيني وَبَينكُمُ الكِتابُ؛ فَقدْ قَضى ... أنّا عَلَى رُشْدٍ وَأنّ بِكُمْ سَفَهْ

لا تَجْعَلُوا التَّوحِيدَ عُرْضَةَ وَهْمِكُم ... غَرَضُ الحَقِيقةِ مِنهُ عَينُ المَعْرِفَهْ

ما أبْعدَ العِرْفانَ عَنْ ألْبابِكُم ... إنْ كانَ تَقْدِيسُ المُهَيْمِنِ بَلْكَفَهْ

=توضيح: أوردنا كلا الرّوايتين القرآنية والتوراتيّة للإشارة إلى غور مَقصد أبي مُسلم من تلمحيه: «وقد جاءَ في العِلم القديم...»، اتساقاً مع الرّوايات المرويّة، حول رَجْفةِ الجَبلِ، في الكُتب السماويّة المُقدّسة.

قصيدة الوادي المُقدَّس(*)

(إطناب)

طَنَّبْتُ في الوَادِي المُقدَّسِ خَيْمَتي وَرَعَيْتُ بَيـنَ شُعُوبِـهِ أَغْنـامِـي[1]

قُلْ لـلذِّئابِ الكَاسِرَاتِ تَفسَّحِي عَـزَّ الـحِـمَـى وَأَعَـزُّ مِـنـهُ الـحَـامِـي

فَلَقَدْ نَـزَلْتُ عـلى عَـظـيـمٍ قَـادِرٍ عِــزُّ الــجَــلالِ إلــيـه والإكــرامِ

يَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيهِ، نَزِيلُهُ لـو كَـادَهُ الـثَّـقـلانِ غَـيـرُ مُـضَـامِ

مِـنْ بَـعـدِ مـا طُـرِدْتُ كُـلَّ مُـطَـرَّدٍ وَنُـشِـبْـتُ بَـيـنَ أَظَـافِـرِ الأيـامِ

سَتَرَتْنِيَ الأَسْمَاءُ في مَلَكُوتِـها فحُجِبتُ عَنْ فَهْمِي وَعَنْ أَوْهَامِي[2]

وَسَقَتْنِيَ الأَسْرَارُ شَرْبَةَ ذَوْقِـها فَعَجِزْتُ عَـنْ تَـعْـبـيـرِهِ بِـكَـلامِـي

وَذكَرْتُ مَنْ هُوَ في الحَقِيقَةِ ذاكِرِي وَحَقِيقَتي لا شيءَ، وَهِيَ مَقامِي

وَحَقِيقَتي أنِّي مَحَوْتُ حَقِيقَتي إذْ ثَبْتُها صَنَمٌ مِنَ الأصْنامِ

(*) توضيح: وردت هذه القصيدة في الأصل المعتمد بهذا العنوان، كما وردت مُطوَّلتهُ الأخرى «الوادي المقدس» بعنوان: هو الله بسم الله تسبيح فطرتي، لكننا أعدناه كما ورد في المخطوطة ـ [في موضع آخر، راجع هامش قصيدة الوادي المقدس]. وكي لا يقع لبس، وتمييزاً بينهما أضفنا مفردة [قصيدة] الوادي المُقدَّس إلى هذه القصيدة، إلى جانب عنوان فرعيّ مُمَيِّز لها: إطناب، لأنها استعادة لأسماء الله الحسنى المُكنى عنها بـ الوادي المقدس الذي يزوره الشاعر من جديد راكزاً خيمته وراعياً أغنامه الصُّوفيَّة بين شعابه.

(1) طنَّب: أقام بالمكان، وطنب الخيمة: جعل لها أطنابا ليشدها بها.

(2) يُشير إلى أسماء الله الحُسنى.

لـمّـا مَـحَـوتُ اسْـمِـي بـاسْـم مُـحَـقِّـقِـي   مَـكَّـنـتُ فـوقَ رُؤُوسِـهِـم أَقْـدَامِـي
أَنْـفَـقْـتُ وِجْـدَانِـي لِـوَحْـدَةِ مُـوجِـدِي   وَعَـلـى سِـواهُ حَـقـائِـقُ الإِعْـدَام
وَإِرَادَتِـي إِيّـاهُ ظِـلُّ إرادةٍ   سَـبَـقَـتْ لَـهُ فِـي الـنَّـقْـضِ وَالإِبْـرَامِ[1]

(١) ملحوظة: نستشف بجلاء في هذه القصيدة موقف الشاعر المُتماهي مع مواقف المُتصوِّفة الكبار، حيث يتعالى على الإطار المذهبي لصالح الحقيقة الكُبرى، حقيقةِ مُوجِدِ الوجود. لذلك تظلُّ إرادةُ الشاعر في مُوجِدِه الأعلى «ظلّ إرادة» حُسِمَ أمرُها سَلفاً في سيرورة النقض والإبرام الإلهي.

خَمْرَةُ اللّه(*)

نَصَبْتُ لَهُمْ مِنْ نَيِّرِ الذِّكْرِ مَعْلَماً ... وَبَوَّأْتُهُم مِنْ أَنْفَعِ الذُّخْرِ مَغْنَما

وَصَيَّرْتُ نَفْسِي خَادِماً لِطَرِيقَةٍ ... بها هَامَ أَهْلُ اللهِ في الأَرْضِ وَالسَّما

فَيَا لَرِجَالِ الحُبِّ وَالكَأْسُ مُفْعَمٌ ... هَلُمَّ اشْرَبُوا هذا المُغَنَّى تَرَنُّما

عَصَرْتُ لَكُم مِنْ خَمْرَةِ اللهِ صَفْوَهَا ... فمُوتُوا بها سُكْراً؛ فما السُّكْر مَأْثَما

لَقَدْ هَامَ أَهْلُ الاسْتِقَامَةِ قَبْلَنَا ... بها، فانْتَشَوا بَينَ الخَلِيقَةِ هُيَّما(1)

تَرَاهُم سُكَارَى يَنْشُرُ الجَمْعُ فَهْمَهُم ... وَيَطْوِيهِ نُورُ الفَرْقِ في أَبْحُرِ العَمَى(2)

(*) توضيح: تحاشى بعض المُجتهدين في تحقيق أعمال أبي مُسْلِم عنوان القصيدة الأصلي: «خمرة الله»، ليَصِير العنوان وِفْقَ اجتهادهم: نَيِّر الذِّكْر، رغم ورودها في كافة المَصَادِر بعُنوان: خمرة الله.

(1) رغم أن أبا مُسْلِم لم يُصَعِّد في العلن تجربته الرُّوحية لبلوغ شطحات وإشراقات المُتصوِّفة الكبار مكتفياً في انهماكه بالأذكار والدوران في فلكها، لكننا نكاد نجزم باطلاعه على تراثهم وتطلعه لبلوغ مراحل الإمِّحاء الكُلِّي في الذات الإلهية على طريقة أبي يزيد البسطامي وابن عربي والنفّري، لكنه آثرَ، ظاهِراً، اتباع التيّار المُحافظ بين المُتصَوِّفة لدَواعٍ عقدية ومذهبية لم تمنعه ـ مع ذلك ـ من اختراق التابو Tabu في إشارات يُمكن للمتتبع تلمُّسها في عدة مواقع من تراثه الشعري، وما ساعده على إخفائها تضلعه في اللغة وقدرته على استخدام عبارات حَمّالة أوجُه. وإشارته لأهل الاستقامة في هذا البيت تُومِئ إلى تلك الفئة مِن المُتصوِّفة، لا أتباع المَذهب المُنتمي إليه سُلوكاً واعتقاداً ومُمارسة في العَلَن؛ فالقصيدة تنضحُ بالمُفردات ذات الأبعاد الصُّوفيَّة في دلالاتِها، خارج سياقاتِها اللغويَّة والمُعجميَّة المعهودة.

(2) ينشر: النَّشْر: الرِّيح الطيِّبة؛ يَنْشُره نَشْراً ونُشُوراً وأَنْشره فَنَشَر الميتُ لا غير: أَحياه؛ قال الأعشى: حتى يقولَ الناسُ مما رَأَوْا | يا عَجَباً للميّت النّاشِرِ. وفي التنزيل العزيز: وانْظُرْ إلى العظام كيف ننشرها؛ قرأها ابن عباس: كيف نُنْشِزُها، وقرأها الحسن: نَنْشُرها. والنَّشْر: القوم المتفرِّقون الذين لا يجمعهم رئيس. تلميح: في هذا البيت نراه يُطنِبُ في مدح المُتصوِّفة، السُّكارى بالله، الذين يَنشرُ=

مَـلأْتُ لَكُـم دَنِّـي شَـرَابـاً مُـرَوّقـاً ... وَحَـرَّكْـتُ أَوْتـاري، فـأَنْطَقْـتُ أَعْـجَـمـا

وَغَنَّيْتُ في شَرْبٍ[1] هُمُ الرُّسْلُ كُلُّهُم ... «تـقـدَّمْ إلـى بَـابِ الـمَـلِيـكِ مُـقـدَّمـا»[2]

=الجمعُ فهمَهُم، لكنَّ نور الفرق يطويه في أبحُر العَمى؛ وقصد به عامَّةَ الناسِ مِمَّن لا يصَّاعَدون لتلك المَرتبَة.

(١) الشَّرْب (بِفتح الشين): القوم يَشربون مُجتمعين على شراب.

(٢) تلميح: مِن الواضح أنَّ قصيدته هذه كُتبَت وفي خياله طيفُ شيخه العلاَّمَة الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي الذي خمَّسَ لهُ الشاعر قصيدته المَعروفة، ومنها شطر هذا البيت الذي يختتم به قصيدة خمرة الله: تقدَّم إلى بابِ المَليكِ مُقدَّماً | لهُ مِنكَ نَفساً قبلَ أن تتقدَّما؛ والبيت الذي يختتم به قصيدة خمرة الله شطر مُقتبس من أصل قصيدة الشيخ سعيد بن خلفان، ويبدو أنَّ المُخاطَب رُوحيّاً برؤيا تصوُّفيَّة في قصيدة «خمرة الله»، هو شيخه الجليل بعد رحيله الفاجع.

النَّبيُّون كلُّهم نُدماني[*]

مَنْ كَمِثْلي، وَذا الشَّرَابُ شَرَابي ... وَالنبيُّونَ كُلُّهُم نُدْمَانِي

هَامَ، قبْلي، بِهِ الخَلِيلُ وَمُوسَى ... ثم عِيسَى وَصَاحِبُ القُرْآنِ[1]

هَذِهِ حَالَتِي وَهَذا مَقَامِي ... فاعْرِفوني وَأنْكِرُوا عِرْفَانِي

(*) العنوان من اختيارنا؛ إذ لم نعثر على عنوان لهذه القصيدة في الأصل المُعتمد.

(1) ينحو في هذه القصيدة القصيرة ذات المنحى الإشراقي المُفصَح عنه في قصيدة «خمرة الله»، وتأكيداً لما ذهبنا إليه في حاشية تلك القصيدة نجده يُسمِّي ندمانه الأنبياء بأسمائهم: إبراهيم، موسى وعيسى دون اقتراب مباشر من حُرْمَة اسم النبي محمد، مُفضلًا ـ لا لضرورة شعرية ـ تعبير: صاحب القرآن، رغم أنه أقرب مقامات الأنبياء المذكورين إليه، وفي ذلك تمييز وإعلاء لمكانة آخر الرُّسُل.

مَصابيح العِرْفان(*)

بِنُورِ وَجْهِكَ يَا نُورَ السَّمَواتِ أَشْعِلْ مَصَابيحَ عِرْفاني بِمِشْكَاتِي

وَامْلأ بِحُبِّكَ قَلْبِي وَاجْتَذِبْ رَمَقِي مِنْ بَينِ أَبْحُرِ أَوْهَامِي وَغَفْلاتِي

(*) العنوان من اختيارنا؛ إذ لم نعثر على عنوان لهذه القصيدة في الأصل المُعتمد، وهي تنحو ذات المنحى الإشراقي العِرفاني في القصائد السّابقة.

اخلع النعلين(*)

هَـذِهِ الـنـارُ وَذا الـوَادِي الـمُـقـدَّسْ | فَـاخْـلَعِ الـنَّـعْـلَيـنِ وَالـذِّلَّةَ فَـالْبَـسْ
وَاجِــدٌ أَنْــتَ هُــدًى أو قَــبَــســاً | لا تُـجَـاوِزْ إِنَّ هَـذا الـليـلَ عَـسْـعَـسْ(١)

(*) العنوان من اختيارنا؛ إذ لم نعثر على عنوان لهذه القصيدة في الأصل المُعتمد.

(١) يمزج في هذه القطعة الشعرية بين دخوله في لحظات الإشراق الصوفي الخالص (المُرَمَّز عنهُ بـ الوادي المُقدّس) مُقتبساً، في الآن ذاته، قصة النبي موسى حين قال لأهله: «إني آنستُ ناراً لعلّي آتيكُم منها بقبَسٍ أو أجدُ على النّارِ هُدَى»، كما جاء في الآي الكريم.

طُرُق اللّه(*)

طُرُقُ اللهِ نُصْبَ عَيْنِي وَأَسْرَا ... رُ أَسَامِيهِ أَبْحُرِي وَسَفِينِي

مَا الَّذِي صَدَّنِي عَنِ اللهِ إِلَّا ... سُوءُ أَمَّارَتِي وَسُوءُ يَقِينِي

رَبِّ غَوْثَاهُ جَلَّهَا ظُلُمَاتٌ ... بُؤْتُ فِيهَا بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ

أَنْتَ نُورُ الأَنْوَارِ نَوِّرْ يَقِينِي ... فِي حَيَاتِي الدُّنْيَا بِنُورٍ مُبِينِ(١)

(*) العنوان من اختيارنا؛ إذ لم نعثر على عُنوان لهذه القصيدة في الأصل المُعتمد.

(١) إن صَحَّ اجتِهادي المتواضع، فإن الشاعر بعد كتابته لقصيدته المطوَّلة «الوادي المقدس» الأولى وقصائد الأسماء الحسنى اصَاعَدَ إلى مرتبة عليا من مراتب الإشراق جعلته يكتب قصيدته الثانية عن الوادي المقدس، لتتلوها قصائده الخمس الأخيرة: خمرة الله، النبيون كلهم ندماني، مصابيح العرفان، اخلع النعلين وطُرُق الله.

القصِيدَة النَّهْرَوانيَّة(*)

سَمِيرِي وَهَلْ لِلمُشتهَامِ سَمِيرُ ... تَنامُ وبَرقُ الأبرَقَينِ سَهِيرُ

تُمزِّقُ أَحشاءَ الرَّبابِ نِصالُهُ ... وقلْبي بهاتيكَ النِّصالِ فَطيرُ[1]

تَطَايرَ مُرفَضٌّ الصَّحائفِ في المَلا ... لهُنَّ انطِواءٌ دَائبٌ وَنُشُورُ

يُهَلْهِلُ في الآفاق رَيْطاً مُورَّداً ... طِوالَ الحَواشي مُكْثهُنَّ قَصِيرُ[2]

بِمُنتَجِباتٍ مُرزِمَاتٍ يَحُثُّها ... حُداءُ النَّعَامى دَمْعُهُنَّ غَزيرُ

تَنبَّهْ سَمِيري نَسْألِ البَرقَ سَقيَهُ ... لِرَبْعٍ عَفتْهُ شَمْألٌ وَدَبُورُ

ذكَرتُ بهِ عَهداً حَميداً قَضَيتُهُ ... وذو الحُزنِ بالتَّذكَارِ، وَيْكَ، أسِيرُ

عُهوداً على عينِ الرّقيب اختلستها ... ذَوَتْ رَوْضَةٌ مِنها وَجَفَّ غَديرُ

مَتاعيَ رَجْعُ الطَّرْفِ مِنها، وكلُّ ما ... يَسرُّك مِن عَيشِ الزَّمانِ قَصيرُ

وبي مِن تَباريحِ الجَوى مَا شَجَا الهَوَى ... وذلكَ ما لا يَدَّعيهِ ضَميرُ

وَفتْ لرَسِيسِ الحُبِّ بالصَّبرِ مُهْجَتي ... وما كُلُّ مَنْ شَفَّ الغرامُ صَبورُ

وإلّا فما بالي وَغورُ مَدَامِعي ... ودَمعُ التصابي لا يكادُ يَغورُ

أَدَهْرِي عَمِيدُ الحُبِّ؟ والعُودُ ذابلٌ ... فَهَلّا وَأمْلُودِ الشَّبابِ نَضِيرُ

(*) قال هذه القصيدة في ذكرى شهداء معركة النّهروان بعد رفضهم التحكيم، يلوم فيها الإمام عليّ بن أبي طالب على القبول به. إشارة توضيحية: اشترك في وضع حواشي القصيدة النهروانية كُلٌّ مِن المُحقِّق والمُدقِّق.

(١) الرَّباب: السحاب الأبيض، واحدته: ربابة.

(٢) الرَّيْط: جمع ومفردها الرّائطة، وهي المُلاءة كلّها نسج واحد وقطعة واحدة.

عَذيرُ غِوايات الغرَام مِن الصِّبا … وما لغِواياتِ المَشِيبِ عَذيرُ

وكُلُّ غرامٍ قارَن الشَّيبَ سَوءةٌ … وكُلُّ غَريرٍ في المَشيبِ غرورُ

أبَعدَ تَباشير المَشيبِ غِوَايَةٌ؟ … ولِلعَقلِ مِنها زَاجرٌ وَنَذيرُ

تَنَاقلَني عُمرانِ: عُمرٌ قَدْ انحنى … بشيبٍ، وعُمرٌ للشبابِ كَسيرُ

تناهت حَياتي غَيرَ نزرٍ على شَفا … وذلك قدْرٌ، لو نَظرتَ، يَسيرُ

صَبابةُ عُمْرٍ حَشوُها الغيُّ والهَوَى … وهذا مقام بالتُّقاةِ جَديرُ؟!

تَقضَّى ثَمِينُ العُمرِ في نَشوةِ الهَوَى … وحَشوُ مَزادي باطلٌ وغُرورُ

أألهو؟ وَقَدْ نادى المُنادي لِمُنْتَهى … إليهِ، وإنْ طالَ المَطالُ أَصِيرُ

وَصُبْحَانِ مِن عَقلٍ وَشيبٍ تَنفَّسا … فذا مُشفِرٌ هادٍ وذاكَ سَفيرُ

أأترُكُ نفسي بعدَ ذا بيَدِ الهَوَى … تُسامُ، كَمَا جَرَّ الحِمارَ جَريرُ

وَأُوقِرُها شراً؟ وفيها استطاعَةٌ … إلى الخَيرِ، والنَّاهِي الرَّقيبُ غَيورُ

وإني وإنْ سَوَّمْتُ نفسي بمَسرَحٍ … مَراعِيهِ: سُمٌّ ناقعٌ وَشُرورُ

يُطَوِّرُ لي الشيطانُ أطوارَ كَيْدِهِ … ونفسي لَهُ فيما يَشاءُ نَصِيرُ

فَلَسْتُ بمَترُوكٍ سُدًى دُونَ مَوقِفي … على الغَيِّ، عُقبَى أَشْرَفتْ وَمَصِيرُ

سَيُوقِفُني مِن رَقْدَةِ اللهوِ نَاعِبٌ … يَحُطُّ بمَحتومِ الرَّدَى وَيَطيرُ

تَقَضّى بيَ المَحيا، وَجَهْلي مَطِيَّتي … وَقَائِدُها دُنيَايَ، وهيَ غَدُورُ

أَمَانٍ وَأوهَامٌ وَزُخْرُفُ بَاطِلٍ … سَرَابٌ بِقِيعَانِ الفَلاةِ يَمُورُ

مُحَصِّلُها بالكَدِّ وَالكَدْحِ رَاقِبٌ … لِفَوتٍ وتَفريقٍ إليهِ تَحُورُ(1)

فليسَ سَدِيداً جَمعُ هَمٍّ لجَمعِها … ودَائِرَةُ التَّفريقِ سَوفَ تَدورُ

سَتَتْرُكُها بالرَّغمِ وَهيَ حَبيبَةٌ … وَرُبَّ حَبيبٍ للنفوسِ مُبيرُ(2)

وَمِنْ عَجَبٍ مَيلُ النفوسِ لِعَاجِلٍ … يَحُولُ عَلَى أكْدارِهِ ويَبورُ

---

(١) تَحُور: ترجع؛ حارَ حَوْراً، وحُئوراً. وفي التنزيل العزيز: «إنهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُور».

(٢) مُبير: مُهلِك.

وإسْـرَاعُـهـا فـي الـغَـيِّ إسْـرَاعَ آمِـنٍ ... ونـاقِـدُ أعْـمَـالِ الـعِـبـادِ بَـصِـيـرُ

متى أقلَعَتْ عَنا المَنونُ؟ وَهَلْ لنا ... بـغـيـرِ طَـريـقِ الـغَـابـرِيـنَ عُـبُـورُ

أمِ الأمَـلُ الـمُـلهِـي بَـرَاءَةُ غَـافِـلٍ ... مِنَ الـمَـوتِ؟ أمْ يَـومُ الـمَـعَـادِ يَـسِـيرُ

أتـمْـرَحُ إنْ شَـاهَـدتَ نَـعشـاً لِهـالـكٍ؟ ... إلـيـكَ أكُـفُّ الـحَـامِـلِـيـن تُـشِـيـرُ

سَتـرْكَـبُ ذاكَ الـمَـرْكَـبَ الـوَعْـرَ سَـاعَـةً ... إلـى حَـيـثُ سَـارَ الأوّلـونَ تَـسِـيـرُ

نَقِي[1] مِن غُبـارِ الأرْضِ بِيضَ ثِيابِنا ... وتـلـكَ رُفـاتُ الـهَـالِكـيـن تَـطِـيـرُ[2]

ليَ الويلُ، هَلّا أرْعَوِي عَن مَهالِكي ... أمـا فـي الـمَـنـايـا وَاعِـظٌ وَنَـذيـرُ

أمـا فـي عَـويـلِ الـنَّـائِحَـاتِ مُـذكِّـرٌ ... أمِ الـنَّـوْحُ حَـولِي وَالـبُـكـاءُ صَـفِـيـرُ

أمِ الـغَـارَةُ الـشَّـعْـواءُ مِـن أمِّ قَـشْـعَـمٍ[3] ... يَـشُـنُّ أصِـيـلٌ هَـولَهَـا وَبُـكُـورُ

عـلى كُـلِّ نَـفـسٍ غَـيـرَ نَـفـسِـيَ رُزْؤهـا ... ويَـمـنـعُـنـي مِـنـهـا حِـمـىً وسُـتـورُ

بَلى؛ سَوفَ تَغشَانِي مَتى حَانَ حَيْنُها[4] ... فَـيـعْـجَـزُ عَـنـهـا نـاصِـرٌ وَعَـشِـيـرُ

وَتَـفْـجَـأُنِـي يَـومـاً، وَزادِي خَـطِـيـئـةٌ ... وإثْـمٌ وَحُـوبٌ[5] في الكِـتـابِ كَـبيرُ

أرَى الخَطْبَ صَعباً والنفوسَ شَحِيحَةً ... عـلى زُخْـرُفٍ فَـانٍ مَـدَاهُ قَـصِـيـرُ

---

(١) نَقِي: نَصُون.

(٢) المَجْد البلاغي الفارِق والمُؤسِّس لشِعريَّة هذا البيت أكثر رُسُوخاً وديمومة من الحِكْمَة التقليدية المُتوَسِّلة في سِياقه الظاهري (المُتوقع في بُنية الخِطاب ومَقاصِده)؛ لكننا لو تأملنا المشهد من زاويةٍ ومَنظُورٍ زَمَنيّ في اللحظة التي فيها نقِي من غُبار الأرض ثيابنا البيضاء (وهيَ، بامتياز ساخِر، مُعادلٌ موضوعيٌّ للكَفن) سنكتشف أن رُفاتَ الهالكين قد حلَّقتْ منذ زمن بعيد نحو مصيرها في غياهب السَّماء، كما في غياهب الصُّورة الشعرية القابضة على حركة التحليق في لقطتها السينمائية التي تشفّ عن بُعدٍ فلسفيّ مُبطَّن في تضاعيف الصُّورة التي لا تلتفِت (كما لو عَن قصد) إلى مَصير الرُّوح الأخفّ والأجدر رمزياً بالتحليق والرّفرفة إلى مَثوَاها الأزلي؛ بمُوازاة لحظة بَصَريَّة خاطفة لوقاية الدشاديش في طريقٍ مُترَب، غالباً ما يَقودُ أجسادها الملبوسة (أرواحَها؟) إلى ذات المصير. [جدير بالذكر أن ثمة قراءة ثانية لهذا البيت: نَقَىَ مِنْ غُبارِ الأرضِ بِيضُ ثِيابِنا | وتلكَ رُفاتُ الهالكين تطيرُ].

(٣) أمّ قَشْعَم: المَوت.

(٤) الحَيْنُ: الهلاك.

(٥) حُوب: ذنب.

وتلكَ ثِمارُ الجَهلِ، والجَهلُ مَرْتَعٌ ... وَخِيمٌ وداءٌ للنفوسِ عَقورُ[1]

ولو حاوَلَتْ نَفسٌ عَنِ الشَّرِّ نَزْعَةً ... تَنازَعَها طَبعٌ هُناكَ خَؤُورُ[2]

فَزَجَّتْ بها الآمالُ في غَمَراتِها ... إلى أنْ دَهاها مُنكِرٌ وَنَكِيرُ

فَثَبَّطَها تسويفُها وهو قارِضٌ ... لِرِمَّةِ آجالِ النفوسِ هَصُورُ[3]

ودَأْبُ النفوسِ السُّوءُ مِن حَيث طَبعِها ... إذا لم يَصُنها للبصائرِ نُورُ

بها ترتَمِي في الخُسْرِ آفاتُ طَبعِها ... خَلائِقُ تُوحِيها الجِبِلَّةُ بُورُ

تَدارَكْ وَصايا الحَقِّ والصَّبرِ إنما ... يَفوزُ مُحِقٌّ بالفلاحِ صَبُورُ

وَخُذْ بكتابِ اللهِ حَسْبُكَ إنهُ ... دَليلٌ مُبينٌ للطريقِ خَفيرُ

فما ضَلَّ مَن كان القُرانُ دَليلَهُ ... وما خابَ مَن سَيرَ القرآن يَسيرُ[4]

تَمسّكْ به في حالَةِ السُّخْطِ والرِّضا ... وَطَهِّرْ بِهِ الآفاتِ فهو طَهُورُ

وحارِبْ به الشَّيطانَ والنفسَ تَنتصِرْ ... فَكافِيكَ مِنهُ عاصِمٌ وَنَصِيرُ

---

(١) عَقور: قاتِل.

(٢) الخَؤور: الضعيف المُنكسر؛ وهو خائِرٌ وخوَّار.

(٣) قارض: القَرْضُ: القَطْعُ. قَرَضه يَقْرِضُه، بالكسر، قَرْضاً وقرَّضَه: قطَعه، والقُراضةُ: ما سقَط بالقَرْضِ، ومنه قُراضةُ الذَّهب || رِمّة: الرِّمَّةُ، بالكسر: العظام البالية، والرِّمَّةُ والرُّمَّةُ: قطعة من الحبْل بالية، والجمع رِمَمٌ ورِمام؛ وبه سمي غَيْلانُ العدوي الشاعر ذا الرُّمَّةِ لقوله في أُرجوزته يعني وَتِداً: «لم يَبْقَ منها، أَبَدَ الأَبِيدِ | غيرُ ثلاثٍ ماثلاتٍ سُودِ * وغيرُ مَشْجوجِ القَفا مَوتُودِ | فيه بَقايا رُمَّةِ التَّقْليدِ»؛ يعني ما بقي في رأس الوَتِدِ من رُمَّةِ الطُّنُبِ المعقود فيه، ومن هذا يقال: أَعطيته الشيء برُمَّتِه أي بجماعته || هَصور: الهَصْرُ: الجَذْبُ، والإمالَةُ، والكسْرُ، والدَّفْعُ، والإدْناءُ، وعَطْفُ شيءٍ رَطْبٍ كالغُصْنِ ونحوِه، وكسْرُهُ من غيرِ بَيْنونَةٍ، أو عَطْفُ أيِّ شيءٍ كان. هَصَرَهُ وبه يَهْصِرُهُ فانْهَصَرَ واهْتَصَرَهُ فاهْتَصَرَ. والهَيْصورُ والهَيْصَرُ والهَيْصارُ والهَصَّارُ والمِهْصَرُ والهُصَرَةُ، كهُمَزَةٍ، والهاصِرُ والهَصْوَرَةُ والهَصْوَرُ والمِهْصَارُ والمِهْصِيرُ والهَصِرُ، ككتفٍ وصُرَدٍ، والمُهْتَصِرُ: الأَسَدُ. تلميح: هذا البيت واحد من الأبيات اللافتة في شِعريَّةِ أبي مُسلم: يُشيرُ فيه إلى النفس التي ثبَّطها التسويف؛ القارض لرِمَّةِ آجال نفوسهم؛ فنراه صيَّر التسويف مقرضاً ليس لآجال تلك النفوس، بل لرِمَّتها؛ أي عظامها، فمزج بين آجال تلك النفوس وبين ما تبقى منها في الأرض وهو رميمُها. وهي صورة بلاغية مُركَّبة نادرة بتصويرها البليغ والمُفارق.

(٤) القُرَان: قصد القُرْآن، وخففتْ للضرورة الشعرية.

دُعيتَ لأمرٍ ليسَ بالسّهل فاجتهِدْ وسَدِّدْ وقارِبْ، والطريقُ مُنيرُ
وأسِّسْ على تقوى مِن الله توبةً نَصُوحاً على قُطبِ الكَمَالِ تَدورُ
وزِنْ صَالحَ الأعمالِ بالخوفِ والرَّجا هُما جُنّةٌ للصَّالِحاتِ وَسُورُ
وبالعَدلِ والإحْسَان قُمْ واسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ، وبَادرْ فالمَعاشُ قَصيرُ
وراقبْ وَصَايا الله سِرّاً وجَهْرَةً ففي كُلِّ نَفسٍ غَفلةٌ وَفُتورُ
وجَرِّدْ على الإخلاصِ جِدَّكَ في التُّقى فَفوقكَ بالشِّرْكِ الخَفيِّ خَبيرُ
وَثابرْ على المَعروفِ كَيفَ اسْتطَعْتَهُ وَدَعْ مُنكَرَاتِ الأمر فهيَ ثُبُورُ(١)
ومِلْ حيثُ مَالَ الحَقُّ والصِّدقُ واسْتَبِقْ مَليّاً إلى الخَيرَاتِ حَيثُ تَصيرُ
وأخلصْ مَعَ الجِدِّ اليقينَ فإنهُ بهِ تَنْضُرُ الأعْمَالُ وهي بُذورُ
وبالرُّتْبَةِ القُصْوى مِنَ الوَرَعِ التَبِسْ فلِلْوَرَعِ الدِّينُ الحَنيفُ يَحورُ
وكُنْ في طريقِ الإسْتقامَة حاذراً كَمينَ الأعَادِي، فالشُّجاعُ حَذورُ
يَجُوزُ طَريقَ الإستقامةِ حَازمٌ على حَربِ قُطّاعِ الطريقِ قَديرُ
مَراصِدُها شتى وفي كُلِّ مَرصدٍ لخَصْمِكَ حَربٌ بالبَوارِ تَفورُ
فلا تخشَ إزهاقاً وَسَاوِرْ لُيُوثَها بعَزمٍ يَفُضُّ الخَطبَ وهو حَسيرُ
ورافقْ دَليلَ العِلم يَهْدِكَ إنهُ طريقٌ يَحارُ العقلُ فيه وَعِيرُ
وَفِعلُكَ حَدَّ المُستطاعِ مِن التُّقى على غيرِ عِلمٍ؛ ضَيعَةٌ وَغُرورُ
فما زَكَتِ الطَّاعَاتُ إلّا لمُبصِرٍ على نُورِ عِلمٍ في الطريقِ يَسيرُ
أتدَّخِرُ الأعْمالَ جَهلًا بوَجْهِهَا؟ وأنتَ إلى عِلمٍ هُناكَ فَقيرُ
فيا طالبَ اللهِ ائتِهِ مِن طَريقِهِ وإلّا فبالحِرْمَانِ أنتَ جديرُ
فلستَ إذا لم تَهتدِ الدَّرْبَ وَاصِلًا قَبيلُكَ في جَهلِ السُّلوكِ دَبيرُ(٢)
وما العِلمُ إلّا ما أرَدتَ بهِ التُّقى وإلا فخِطْءٌ ما حَملتَ كَبيرُ

---

(١) ثبور: الثُّبور الهلاك والخسران.

(٢) دَبير وقبيل: القُبل عكس الدُّبر؛ أي أمامك وخلفك كلاهما سواء؛ في حالة جهلك الطريقة والسلوك.

فكَم حَامِلٍ عِلماً وفي الجَهلِ لوْ دَرَى ... سَلامَتُهُ مِمّا إليهِ يَصيرُ

وما أنتَ بالعِلم الغزيرِ بمُفْلِحٍ ... وَمَالَكَ جَدٌّ في التُّقاةِ غَزيرُ

وحَسبُكَ عِلماً نافعاً فَرْدُ حِكْمَةٍ ... بها السرُّ حَيٌّ والجَوارحُ نُورُ

تَعلّمْ لوَجْهِ الله واعْمَلْ لوَجْهِهِ ... وثِقْ مِنهُ بالمَوعُودِ، فهو جَديرُ

تَعَرَّضْ لتوفيقِ الإلهِ بحُبِّهِ ... ودَعْ ما سِواهُ فالجَميعُ قُشُورُ

هو الشَّأنُ بالتوفيقِ تَزْكُو ثِمَارُهُ ... وَمَتْجَرُهُ، وَاللهِ، لَيسَ يَبورُ

كَأيٍّ رَأيْنا عَالِماً ضَلَّ سَعيُهُ ... وضَلَّ بهِ جَمٌّ هُناكَ غَفيرُ

مَعارفهُ بَحرٌ ويَصرِفُ وَجْهَهُ ... إلى الباطلِ الخَذلانِ وهو بَصيرُ

وأفلحَ بالتوفيقِ قَومٌ نَصيبُهُم ... من العِلمِ، في رَأيِ العُيونِ، حَقيرُ

وتلكَ حُظوظٌ للإرَادَة قَسْمُها ... وحِكْمَةُ مَن يَختارُنا وَيخِيرُ[1]

تحَزّبَتِ الأحزابُ بعدَ مُحمَّدٍ ... فكُلٌّ إلى نهجٍ رَآهُ يَصيرُ

وقَرَّتْ على الحَقِّ المُبينِ عِصَابَةٌ ... قليلٌ وَقِلُّ الأكرَمينَ كَثيرُ

هُمُ الوارثونَ المُصطفى خَيرُ أُمَّةٍ ... لمَذْحِجِهِمُ آيُ الكِتابِ تُشيرُ

أولئكَ قومٌ لا يَزالُ ظُهورُهُم ... على الحقِّ ما دَامَ السَّماءُ تَدُورُ

على هَضَبَاتِ الاستقامَةِ خَيَّمُوا ... إذا أعْوَجَّ أقوامٌ وَضَلَّ نَفيرُ

تَنافَرَ عَنهُم رُفَّضٌ وَخَوارِجٌ ... وَحَشوِيَّةٌ حَشوَ البلاد تَمُورُ[2]

رأوا طُرُقاً غيرَ الهُدى فتنافروا ... إليها وبِئسَتْ ضِلَّةٌ وَنُفورُ

---

(١) ملحوظة: كُلّ الأبيات السّابقة تُشكّلُ مُقدمة ومدخلًا لموضوع القصيدة الذي سوف يبتدئ مُباشرة من البيت التالي.

(٢) رُفَّض: الرّافِضَة، اسم يطلقه مخالفو الشيعة عليهم تشنيعاً || الخوارج: هم الخوارج || الحَشويّة: هم الآخذون بظواهر الآيات ولا يُثبتون المَجاز في القرآن. تلميح: لا يخفى ما في البيت من لغزٍ من قناةِ المُخالفين؛ فالشّيعة أطلق عليهم: «الرّوافض»، كما هو الشائع لدى مُخالفيهم. أما لقب: «الخوارج» المشهور والذي يُقدَح به في الأباضية، مذهب الشاعر نفسه؛ فإنهُ يُجيّرُهُ لحزب مُعاوية، ثم ثنّى على الحشويّة موطئاً لنصرة مذهبه.

لَهُم نُصُبٌ مِن بِدْعَةٍ وَزَخَارِفٍ ... بها عَكَفوا، ما للعُقولِ شُعُورُ[1]

تَدُعُّهُمُ[2] أهْوَاؤهُم في هَلاكِهِم ... كما دُعَّ في ذُلِّ الإسَارِ أسِيرُ

لأقوَالِهِم صَدْعٌ وفيهِم شَقَاشِقٌ ... لَهُنَّ ولا جدوى هناك هديرُ[3]

دَليلُهُمُ يَهوي بِهِم في مَضَلَّةٍ ... وهُم خَلفَهُ عُمْشُ العُيونِ وَعُورُ

فيا أسفاً للعِلم يطمِسُهُ الهَوَى ... ويا أسَفا للقومِ كَيفَ أبيرُوا

أرَى القَومَ ضَلُّوا والدَّليلُ بِحَيرةٍ ... ولِلحَقِّ نُورٌ والصِّرَاطُ مُنيرُ

سَرَوا يَخْبِطُونَ الليلَ عُمْياً تلفُّهُم ... شَمَائِلُ مِن أهْوَائِهِم وَدَبُورُ[4]

يَتيهُونَ سُكْعاً في المَجَاهِلِ ما بهِم ... بمَوْطِىءِ أخفافِ المَطِيِّ بَصيرُ

يقولونَ ما لا يَعلمُون، ورُبَّما ... على عِلْمِهِ بالشَّيءِ ضَلَّ خَبيرُ

ولو كانَ عَينَ الحَقِّ مَنشودُ جُهْدِهِم ... لما حَالَ سَدٌّ أو طَوَتْهُ سُتورُ

نعم أبصَرُوهُ حَيثُ غَرَّهُمُ الهَوَى ... فَصَدَّهُمُ عَنهُ هَوى وَغُرورُ

أقاموا لَهُم مِنْ زُخْرُفِ القولِ ظُهْرَةً[5] ... وللبُطْلِ فيما اسْتَظْهَرُوهُ ظهُورُ

وفي زُخْرُفِ القولِ ازْدِهَاءٌ لمَنْ غَوَى ... وألهَتهُ عَن لُبِّ الصَّوَابِ قُشورُ

وفي البِدَعِ الخُضْرِ ابْتِهَاجٌ لأنفُسٍ ... تَدُورُ بها الأهْوَاءُ حَيثُ تَدورُ

نَشَاوَى مِن الدَّعْوَى التي يَعْصِرُونها ... وليسَ لبُرهانٍ هُناك عَصيرُ[6]

---

(١) النُّصُب: الأوثان والأصنام التي تُنصَبُ للعبادة.

(٢) تَدُعُّهُم: تدفعهم.

(٣) شقاشق: الشقشقة، في الأصل، شيءٌ كالرِّئة يُخرجهُ الجَمل من فِيه إذا هاج وهدر. والشِّقْشِقة هي ضجَّةُ الفِتنة وهديرها، تُجمَعُ على شقاشق.

(٤) شمائل: جمع شَمْأل، وهي ريحٌ شمالية - دَبُور: ريحٌ غربية.

(٥) ظُهَرَة: مُعين.

(٦) المعنى: الصورة الشعرية في هذا البيت عجيبة وغريبة، لا سيَّما في تشبيهها الذي لا يقلُّ غرابة عن خصوبة المُخيِّلة التي أفرزتها؛ فالبيت يصف الذين أقاموا لأنفسهم من زخرف الحق مُعيناً ونصيراً؛ تراهُم نَشاوَى من الدَّعوى التي يعصرونها كرحيق الخمرة تُعتصَرُ من العِنب، لكنْ ليسَ ثمة عَصيرُ بُرهانٍ يُؤخذ به حُجَّةً يقينيَّةً لدعواهم التي انتشوا بها.

وما رَوَّقُوهُ[1] من رَحِيقٍ مُفَوَّهٍ فذلكَ سُمٌّ في الإناءِ خَثِيرُ

يَدُرُّونَ أنواءَ الكَلامِ ومَا بها رُواءٌ ولا يُطْفى بهِنَّ هَجيرُ

وما كُلُّ طُولٍ في الكَلامِ بطائلٍ ولا كُلُّ مَقصُورِ الكَلامِ قَصيرُ

وما كُلُّ مَنطوقٍ بليغُ هِدايةٍ ولا كُلُّ زَخَّارِ[2] المِياهِ نَميرُ

وما كُلُّ مَوهُومِ الظُّنونِ حقائقٌ ولا كُلُّ مَفهُومِ التَّعَقُّلِ نُورُ

وما كُلُّ مَرئيِّ البصَائِرِ حُجَّةٌ ولا كُلُّ عَقلٍ بالصَّوابِ بَصِيرُ

وما كُلُّ مَعلومٍ بحَقٍّ ولا الذي تُقبِّلَ عِلْماً بالأحَقِّ جَديرُ

ولكنّ نورَ اللهِ وَهبٌ لحِكْمَةٍ يَصيرُ مَع التوفيقِ حَيثُ يَصيرُ

هُدَى اللهِ حَظٌّ والحُظوظُ مَقاسِمٌ إلى مُقتضَى العِلمِ القدِيمِ تَحُورُ

وليسَ اختيارُ اللهِ في فَيضِ نُورهِ بمُكتسَبٍ أو تقتضيهِ أمُورُ

وفي ظَاهِرِ الأقدَارِ أسْرَارُ حِكْمَةٍ طَوَاهُنَّ من عِلْمِ الغُيُوبِ ضَميرُ

أرَتني هُدَى زَيدٍ وفي العِلْمِ قِلَّةٌ وَضَلَّةَ عَمرٍو والعُلُومُ بُحُورُ[3]

وذاكَ دَليلٌ أنَّ للهِ أنفُساً عليها مِنَ اللطْفِ الخَفِيِّ سُتورُ

ظَواهِرُها بُلهٌ وتَحوِي بَوَاطِناً لدى عِلمِها جِنسُ الوُجُودِ حَقيرُ

عليها خُدُورٌ مِن غُبارِ غَبَاوَةٍ ولكنها تَحتَ الخُدُورِ بُدُورُ

تَجَرَّدْنَ من لُبْسِ الخيالاتِ وانطَوَى عَلَيهِنَّ رِيشٌ مِن هُدَى وَشَكِيرُ[4]

---

(١) رَوَّقُوه: صَفَّوْه، مِن: رائق، صاف || مُفوّه، أو مُفوَّه: يُقال رجلٌ مُفَوَّه إذا أجادَ القولَ، لكنه يُضفي الصفة، هنا، على الرَّحيقِ مُفوَّهاً أو مُفوَّها؛ وهو من التراكيب العجيبة الداعية للتأمُّل. تلميح مُضاف: يُكمل في هذا البيت ما ذهبت إليه الصورة الشعرية في البيت السابق؛ فعصير دعوتهم التي انتشوا بها لم يُصفَّ [كالخمرة الجيّدة]، ذات الرَّحيق المُفوَّه؛ والدليل الدامغ هو أنَّ نتاج الدَّعوى التي اعتصروها (ليتتشوا بها نشوة الخمر الرَّديئة)؛ هي سُمٌّ تختثر في إناءِ تلك الدَّعوى.

(٢) زخّار: صيغة مبالغة من زاخر، وهو الماء الفائض.

(٣) المعنى: أرَتني بَواطنُ الأقدار لا ظواهرُها أسرارَ حِكمةٍ (من البيت السابق) تتجلى في هُدى زيد على قِلّة عِلمه وضلال عمرو رغم تبحُّرِه في العِلم.

(٤) شَكِير: زَغَبُ الطّائر.

سَـرَيْـنَ ريـاحُ اللهِ تَـحْـدُو رِكَـابَـهـا ... إلـيـهِ وأنـوارُ الـيَـقـيـنِ خَـفـيـرُ

يُـغـادِرنَ فـيـهِ مَـنـزلًا بـعـد مَـنـزِلٍ ... يَـكـادُ بـهـا الـشَّـوقُ الـمُـلِـحُّ يَـطـيـرُ

تـدَثَّـرْنَ خَـيـلَ اللهِ حـتـى بَـلغْـنَـهُ ... وَوَاجِـدُهـا فـي الـعَـالَـمِـيـنَ دُثُـورُ

وَرَدْنَ مـيـاهَ الـنَّـهـرِ[1] غَـرْثـى صَـوادِئـاً ... ولـيـسَ لـهـا حـتـى الـلقـاءِ صُـدُورُ

أوَانـسُ فـي مَـرْجِ الـرَّجَـاءِ رَوَاتِـعٌ ... ولـلـخـوفِ فـي أحْـشـائِـهِـنَّ زَفـيـرُ

غَـسَـلنَ بـهِ أحْـكَـامَ سَـهـمٍ وأشـعـرٍ ... ودُرْنَ مـع الـقـرآنِ حَـيـثُ يَـدُورُ

نـحَـرْنَ عُـقَـيـبَ الـدَّارِ بـازِلَ نَـاكِـثٍ ... وأمْـسَـى بـصِـفِّـيـنٍ لـهُـنَّ هَـريـرُ[2]

فـلو قـدَّرَتْـهـا هَـاشِـمٌ حَـقَّ قَـدْرِهـا ... هَشَمْنَ ابنَ صَخْرٍ[3] للحُرُوبِ صُخورُ

ولـكـنْ وَهَـى رَأيٌ وَخَـامَـتْ عَـزيـمـةٌ ... فـحُـكِّـمَ خَـصْـمٌ واستُـبيـحَ نَـصيـرُ[4]

بـنـي هـاشـمٍ عَـمـداً ثـلَلتُـمْ عُـروشَـكُـم ... وفـي عَـبـدِ شَـمـسٍ نَـجْـدَةٌ وَظُـهُـورُ

على غَيرِ ذَنـبٍ غَيرَ إنْكَارِ قِسْطِهِم ... ولـلجُـورِ مِـن نفـسِ الـمُـحِـقّ نكِـيرُ[5]

قَـتلتُـم جُـنـوداً حَـكَّـمُـوا اللهَ لا سِـوى ... وقـالـوا: عَـلـيٌّ، لا سِـواهُ، أمـيـرُ

فـيـا لَدِمَـاءٍ فـي حـرُورَاءَ غُـودِرَتْ ... تَـمُـورُ وأطْـبَـاقُ الـسَّـمـاءِ تَـمُـورُ

وأنـفُـسِ صِـدِّيـقِـيـن أزْهَـقَـهـا الـرَّدَى ... وشُـقَّـتْ عَـنِ الـتَّـقـوى لَهُـنَّ نُـحُـورُ

مُـخَرْدَلَةُ الأشْـلاءِ لـلطَّـيـرِ فـي الـفَـلا ... وهُـنَّ بـجَـنَّـاتِ الـنَّـعـيـمِ طُـيـورُ

عـلى جَـنـبَـاتِ الـنَّـهْـرَوانِ عَـقـائـرٌ ... كـمـا وُفِّـيـتْ بـالـمَـشْـعَـرَيـنِ[6] نُـذورُ

---

(١) النهر: يقصد موقعة النهروان ـ غَرْثى: جائعة ـ صَوادئ: عطاش.

(٢) عُقيب الدار: يقصد بها معركة الجَمل التي أعقبت يوم الدار، وهو يوم مقتل عثمان بن عفان || بازل: جَمَل || صِفّين: المعركة المعروفة || هَرير: صوت الكلاب ويُقصد به، كنايةً، صَوتُ جِمَالِ الفريق المُعادي.

(٣) ابن صخر: معاوية بن أبي سفيان.

(٤) حُكِّمَ خصم: يُقصَدُ به عمرو بن العاص || استُبيحَ نصير: المقصود أهل النهروان؛ أنصار عليٍّ قبل قبوله بالتحكيم.

(٥) قِسْطِهِم: حِصَّتهم ونصيبهم.

(٦) المَشعَرَين: الصّفا والمَرْوَة.

أُبِيدَ خِيارُ المُسلِمينَ بِضَحوةٍ كَمَا نُحِرَتْ لِلمَيْسِرَيْنِ جَزُورُ[1]
يَعُجُّونَ بالتَّحكِيمِ للهِ وَحْدَهُ وَهَامُهُمُ تَحتَ العَجَاجِ تَطيرُ
فيا أُمَّةَ المُختارِ هَلْ فِيكِ غِيرَةٌ فَإنَّ مُحِبَّ اللهِ فيهِ غَيورُ
ويا طُهرَةَ الإيمانِ هل فيكِ مَنْعَةٌ وهيهاتَ عَزَّتْ مَنْعَةٌ وظَهيرُ
ويا لَرِجَالِ اللهِ أينَ مُحَمَّدٌ وناصِرُهُ بالنَّهْرَوانِ عَقيرُ
ولو وَقْعَةٌ كانتْ بعَينِ مُحمَّدٍ لما قَرَّ عَيناً أو يَزُولُ ثَبيرُ[2]
فمَن لِصُدُورِ الخَيلِ فوقَ صُدُورِهِم ولله في تلكَ الصُّدُورِ بُحُورُ
تُطَلُّ دِمَاءُ المُؤمِنينَ على الهُدى وخَيلُ ابنِ صَخرٍ في البلادِ تُغيرُ
ويُعصَى ابنُ عَبَّاسٍ[3] إذا لَمَّ شعْثَهَا ويُسمَعُ فيها أشْعَثٌ وَجَرِيرُ[4]
على أنْ عَلَتْ فوقَ الرِّمَاحِ مَصَاحِفٌ ونادوا: إلى حُكْمِ الكِتاب نَصِيرُ
مَكِيدَةُ عَمرٍو حَيثُ رَثَّتْ حِبَالُهُ وكَادَتْ بُحُورُ القاسِطِينَ تَغورُ[5]
أبا حَسَنٍ ذَرْها حُكُومَةَ فاسِقٍ جِرَاحَاتُ بَدْرٍ في حَشَاهُ تَفورُ[6]
أبا حَسَنٍ أقدِمْ فأنتَ على هُدَى وأنتَ بغاياتِ الغَوِيِّ بَصيرُ

---

(١) جَزُور: بعير || المَيسِرَين: طقسٌ من طقوسِ عرب الجاهلية تُنحرُ فيه البُعران.
(٢) ثبير: جَبَلٌ في مكّة.
(٣) ابن عباس: عبدالله بن عباس بن عبدالمُطّلب.
(٤) أشعث: هو الأشعث بن قيس الكندي؛ أحد قادة جيش الإمام علي بن أبي طالب، وهو مِمَّنْ حرفوا مسار الأحداث حتى أُلزِمَ الإمامُ علي على قبول التحكيم.
(٥) القاسطين: قَسَطَ فُلان ـ قِسْطاً: جار وعدل عن الحق، فهو قاسط، وتُجمع على قُسّاط وقاسِطون. ملحوظة: القاسطون والناكثون لفظتان ستردان مراراً في هذه القصيدة، وهما مصطلحان يُطلقان على الفريقين اللذين نازعا الإمام علياً: فريق الجَمَل: (الناكثون)، وفريق: صِفِّين: (القاسطون)، وكل فريق يستند في دعواه إلى أحاديث؛ فقد جاء في مجمع الزوائد للهيثمي [ج٥، ص ١٧٦] رواية عن علي بن ربيعة قال: سمعتُ علياً على منبركم هذا يقول: عهد إليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. ومما يُلاحظ أن الشاعر تجاهل المُصطلح الثالث: (المارقين)!
(٦) ملحوظة: الفاسق والغويّ في هذه الأبيات هو عمرو بن العاص؛ صاحب خدعة التحكيم التي أذهبت ريح جيش الإمام علي، وتجوز الإشارة في الأبيات إلى مُعاوية الذي قُتِل عدد من أقاربه، ومنهم جدُّه لأمه وخاله يوم بدر.

أبـا حَـسَـنٍ لا تُـعـطِـيَـنَّ دَنـيَّـةً ... وأنـت بـسُـلطـانِ الـقَـدِيـرِ قَـدِيـرُ

أبـا حَسَنٍ لا تـنْـسَ أُحْـداً وَخَـنـدَقـاً ... ومـا جَـرَّ عِـيـرٌ قـبـلهـا ونـفـيـرُ

أبـا حَـسَـنٍ أيـنَ الـسَّـوَابـقُ غُـودِرَتْ ... وأنـتَ أخُـوهُ والـغَـدِيـرُ غَـدِيـرُ[1]

أبـا حَـسَـنٍ إنْ تُـعْـطِـهـا الـيـومَ لـمْ تَـزَلْ ... يَـحُـلُّ عُـراهـا فـاجـرٌ ومُـبـيـرُ

أبـا حَـسَـنٍ طَـلَّـقـتَـهـا لِطَـلـيـقِـهـا ... وأنـتَ بـقَـيـدِ الأشْـعَـرِيِّ أسِـيـرُ[2]

أتَـحْـبِسُ خَـيلَ اللهِ عَـن خَـيلِ خَـصْـمِهِ ... وسَـبْـعُـونَ ألـفـاً فَـوقَـهُـنَّ هَـصُـورُ

أثِـرْهـا رِعَـالاً تـنـسِـفُ الـشّـامَ نَـسْـفَـةً ... بـشـاراتِ عَـمَّـارٍ[3] لَهُـنَّ زَفـيـرُ

وصُـكَّ ثُـغـورَ الـقـاسِـطـيـن بـفـيْـلَقٍ ... لـهُ مَـدَدٌ مِـنْ رَبِّـهِ وَظَـهِـيـرُ

فـلـم يَـبْـقَ إلّا غـلـوَةٌ أو تَـحُـشُّـهُـم ... ويَـبْـكِـي ابـنَ صَـخْـرٍ قُـبَّـةٌ وَسَـرِيـرُ[4]

فـمـا لـكَ والـتـحْـكِـيمَ والـحُـكْـمُ ظَـاهِـرٌ ... وأنـتَ عَـلـيٌّ والـشّـآمُ تَـمُـورُ

أفـي الـدِّيـن شـكٌّ؟ أم هَـوَادَةُ عَـاجِـزٍ ... تَـجَـوَّزْتَـهـا، أمْ ذو الـفِـقـارِ[5] كَـسِـيـرُ

---

(١) ملحوظة: الضمير في «أخوهُ» تعود للنبي محمد (ص)، والغدير هو غدير خُمّ؛ والإشارة واضحة لحادثة الغدير التي يستند إليها الشيعة في إثبات أحقيّة الإمام علي بالخلافة بعد النبي (ص). والمُسلمون ينقسمون حول هذه الحادثة إلى فريق يُثبتها بشدة، ويستند إليها في دعواه؛ وهم عُموم الشيعة، وفريق آخر ينفيها، وفريق ثالث يُثبتها؛ لكنهُ يُؤوّلها تأويلًا مُختلفاً عمّا يذهب إليه الشيعة. والشاعر، هنا، يُثبتُ هذه الحادثة، ولا يخرج في تأويلها كثيراً عن تأويل الشيعة لها، ولكنه لاحقاً ينقلبُ على هذا التأويل ويتخذ مساراً مُختلفاً.

(٢) في الأبيات السابقة يُعاتب الشاعرُ الإمام عليًا (مُخاطباً إياه، تودداً، بـ أبا الحسن) على قبوله التحكيم؛ مُذكِّراً (في هذا البيت) بمَغبّة ذلك القبول حين جعل أبا موسى الأشعري مُمثلا له أمام داهية كعَمرو بن العاص، وكانت النتيجة خلعُهُ من خِلافته | الطليق: هو من دخل الإسلام بعد الفتح وكان مُكرَهاً على ذلك، والمقصود بـ «أطلقتها لطليقها» ـ في سياق البيت ـ مُعاوية بن أبي سفيان.

(٣) يستنهض الشاعرُ الإمام عليّ بن أبي طالب ليطالب بثأر عمّار بن ياسر القتيل في صِفّين، لا سيما أن النبي (ص) رُوي عنه قوله: «ويحَ عَمّار؛ تقتلُهُ الفِئةُ الباغية»، والمقصود ـ تخصيصاً في السياق ـ مُعاويَة بن أبي سفيان ومَن وَالاه.

(٤) ابن صخر: مُعاوية بن أبي سفيان.

(٥) ذو الفقار: سيف عليّ بن أبي طالب، وكان غنيمة من الوليد بن عُتبة في معركة بدر.

يَبيتُ قَريرَ الجَفنِ بالجَفنِ لاصِقاً[1] ... وَجَفنُ حُسامِ ابنِ اللعِينِ سَهِيرُ

فلا جَبُرَتْ حَدَّاهُ إنْ ظَلَّ مُغمَداً ... وهِنديُّ هِندٍ مُنجِدٌ وَمُغِيرُ[2]

ولا جَبُرَتْ حَدَّاهُ يَومَ سَلَلْتَهُ ... لهُ في رِقابِ المُؤمِنينَ صَريرُ

أتَغمِدُهُ عَنْ عَبدِ شَمسٍ وحِزْبِها ... وَيَلْفَحُ حِزبَ اللهِ مِنهُ سَعيرُ

فمالكَ والأبرارَ تَنثُرُ هامَهَمْ ... كأنَّكَ زَرَّاعٌ وَهُنَّ بُذورُ

ذَرَوْتَهُمُ عَصفاً وتبكِي عَلَيهِمُ ... بَلى فابْكِ، خَطْبٌ بالبكاء جديرُ

فما هيَ إلا جَذعَةُ الأنفِ ما شَفَتْ ... غَليلاً وَجُرحٌ لا يَزالُ يَغورُ

سَتحْصُدُ هذا الزَّرْعَ مَهما تَقصَّدَتْ ... عِرَاقُكَ، لا يَلوي عليكَ ضَمِيرُ[3]

تُنازِعُها سَلَّ السُّيوفِ فَتلْتَوِي ... وَتَخْطُبُ فيها والقلُوبُ صُخورُ

قتلتَ نَفيرَ اللهِ والرِّيحُ فيهُمُ ... وأصْبَحْتَ فذاً والنَّفِيرُ نَفُورُ

نَشَدْتَ دَوِيَّ النَّحْلِ[4] لمَّا فَقدْتَهُم ... وَيُعْسُوبُ ذاكَ النَّحْلِ عَنهُ خَبيرُ

أرَقْتَ دِمَاءَ المُؤمِنينَ بَريئَةً ... لهُنّ بِزَيْزاءِ الحَرارِ خَريرُ

عَليّاً أمِيرَ المُؤمنينَ بَقِيَّةً ... كأنَّ دِمَاءَ المُؤمِنينَ خُمُورُ

سَمِعْناكَ تنفي شِرْكَهُم وَنِفاقَهُم ... فأنتَ على أيِّ الذنوبِ نَكِيرُ

وما النَّاسُ إلا مُؤمِنٌ أو مُنافِقٌ ... ومِنهم جَحُودٌ بالإلهِ كَفُورُ

وَقَدْ قلتَ ما فيهِم نِفاقٌ ولا بِهِم ... جُحُودٌ، وهذا الحُكمُ مِنكَ شَهيرُ

فِهِلْ أوْجَبَ الإيمانُ سَفْكَ دِمَائِهِم ... وأنتَ بأحْكَامِ الدِّمَاءِ بَصيرُ

تَرَكْتَهُمُ جَزْرَ السِّباعِ عَلَيهِمُ ... لَفائفُ مِن إيمَانِهِم وَسُتورُ

---

(١) أي سيف عليّ النائم قرير الجفن في جفنه (جرابه)، في حين أن جفنَ سيفِ مروان بن الحكم ساهر مُتربِّص بذي الفقار. دُعي ابن اللعين لأن أباه لعَنَ الرسول فطرده من المدينة، ولم يعُد إليها إلّا في خلافة عثمان.

(٢) هِنديُّ هِند: قصد به سيف مُعاوية بن هند بنت أبي عُتبة؛ لائكة الأكباد.

(٣) تقصَّدَ: تَقصَّدَ العُودُ؛ تكسَّر. يُقال: تقصَّدَت الرِّماح؛ أي تكسَّرت وصارت قِصَداً قِصَداً.

(٤) يذكُرُ مناقب القتلى من الصحابة في النهروان، وافتقاد الإمام عليّ لدَوِيّ النحل [قراءتِهم للقرآن]، رغم أنه هو يُعسُوبُه [مَلِك النحل] الخبير بذاك الدّويّ.

مَصَاحِفُهُمْ مَصْبُوغَةٌ بِدِمَائِهِم … عَلَيْهِنَّ مِن كُتْبِ السِّهامِ سُطورُ

وَكُنتَ حَفِيّاً يا ابنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ … بِحِفْظِ دِمَاءٍ ما لَهُنَّ خَطِيرُ

وكنتَ حَفِيّاً أن يَكُونُوا بَقِيَّةً … لِنَصْرِكَ حَيثُ الدَّائِرَاتُ تَدورُ

تَناسَيتَ يَومَ الدَّارِ إذ جَدَّ مُلْكُها … فَلِلعَاصِ فيها دَولَةٌ وَظُهُورُ[1]

ويَومَ جِبالُ النَّاكِثينَ تَدَكْدَكَتْ … وَطلحَةُ والعُودُ الطَّليحُ عَقيرُ[2]

وَحَرباً تَؤُزُّ الشَّامَ أزاً قِرَاعُها … لهُ في جُموعِ القاسِطِينَ سَعيرُ[3]

تَعوَّذَ مِنها القاسِطونَ بِخُدْعَةٍ … بِجَدْعَةِ تلكَ الأنفِ فازَ قَصيرُ[4]

مَوَاطِنُ أهْوَالٍ تَبَوَّأتَ فَلْجَها … إلى أنْ دَهَتْها فَلْتَةٌ وَفُتُورُ

تفانتْ ضَحَايا النَّهرِ في غَمَرَاتِها … وأنتَ شَهِيدٌ وَالعَدوُّ وَتيرُ

تُنادِي أعِيرُونِي الجَمَاجِمَ كَرَّةً … فقَدْ قَدَّمُوها وَالوَطِيسُ سَعيرُ

أمَا والذي لا حُكْمَ مِن فوقِ حُكْمِهِ … على خَلْقِهِ وِرْدٌ بِهِ وَصُدُورُ

لَقِدْماً أعَارُوكَ الجَمَاجِمَ خُشَّعاً … عَلَيهِنَّ مِن قَرْعِ الصِّفاحِ فُطورُ

فقَصَّعْتَهَا إذ حَكَّمَتْ حُكْمَ رَبِّها … فما بَقِيَتْ عَارِيَةٌ وَمُعِيرُ[5]

فيا أسَفاً مِن سَيفِ آلِ مُحَمَّدٍ … على المُؤمِنينَ الصَّالِحِينَ شَهِيرُ

نَبَا عَنْ رُؤوسِ الشَّامِ في الحَقِّ وَانْثَنَى … إلى ثَفِناتِ العَابِدينَ يَجُورُ[6]

---

(١) يوم الدّار: هو يوم الإنقلاب على الخليفة عثمان بن عفان، عندما اقتحم الثائرون عليه داره وقتلوه.

(٢) ملحوظة: الناكثون هُم حزب الزبير وطلحة وعائشة أمّ المؤمنين؛ أصحاب حرب الجَمَل، وذلك أنَّ الزبير وطلحة كانا من أوائل من بايعَ الإمام علياً ثم نكثا عندما لم يُولِّهما، فخرجا عليه وحارباه في الوقعة المشهورة.

(٣) تَؤزُّ: أَزَّ، أزيزاً، وأزازاً: تحرك واضطرب، وهو صوت ينتج عن شدة الحركة والغليان، وفي الذكر الحكيم: «ألم تَرَ أنّا أرسَلْنا الشّياطينَ على الكافِرينَ تَؤزُّهُمْ أزّاً».

(٤) قصير: وزير جُذيمَة الأبرش الذي أخذ بثأره بعد أن جدع أنفهُ وادّعى أمام الزّباء أنه طَريد. وهي خدعة لا تختلف، في نظر الشاعر، عن خدعة رفع المصاحف على أسِنّة الرماح.

(٥) قصّعَ: صَغَّرَ وحَقَّر.

(٦) ثَفنات: مِن ثَفِنَتْ يده ثَفْناً: غَلُظَتْ ويبست من العمل. تلميح: ذو الثفنات المُشار إليه في البيت هو عبدالله بن وهب الراسبي الذي اختاره النهروانيُّون إماماً لهُم، من بعد قبول الإمام علي للتحكيم؛ لُقِّبَ بذلك لغلظة وتيبس يديه ورُكبتيه من طول العبادة ومُداومَة الصلاة.

أحَيْدَرَةُ الكَرَّارُ[1] إنَّ خِيارَكُم / وقُرَّاءَكُم تَحتَ السُّيوفِ شُطُورُ

أحَيْدَرَةُ الكَرَّارُ تابَعتَ أشْعَثاً / وأشْعَثُ شَيطانٌ ألَدُّ كَفُورُ[2]

أعِشرُونَ ألفاً قلبُهُم قلبُ مُؤمِنٍ / بأوْجُهِهِم نُورُ اليَقينِ يَنُورُ

بَهالِيلُ أفنَوا في العِبادَةِ أنفُساً / لهُم أثرٌ في الصَّالِحاتِ أثِيرُ

أسُودٌ لدَى الهَيْجا رَهابِينُ في الدُّجى / أناجِيلُهُم وَسْطَ الصُّدُورِ سُطُورُ

وفي القَومِ حُرْقُوصٌ وَزَيْدٌ وَفِيهِمُ / أُوَيْسٌ ومِنْ بَدرٍ هُناكَ بُدورُ[3]

وَمِن بَيْعَةِ الرِّضوانِ فِيهم بقيةٌ / بأيْدِيهُمُ مِنها نَدَى وَعَبيرُ

أكَلْتَهُمُ في النَّهْرِ فِطْرَةَ صائِمٍ / فَكَيفَ أبَا السِّبْطَيْنِ سَاغَ فُطُورُ[4]

فيَا فِتْنَةً في الدِّينِ ثارَ دُخانُها / وذاكَ إلى يومِ النُّشُورِ يَثُورُ

نَجَوْنا، بحَمْدِ اللهِ، مِنها على هُدى / فنحْنُ على سَيرِ النَّبيِّ نَسِيرُ

بَصائِرُنا مِن رَبِّنا مُستَمدةٌ / إذا اشتَبَهَتْ للمَارِقِينَ أُمُورُ

وَثِقْنا بأنَّ الدِّينَ عُروَةُ أمرِنا / وما شَذَّ عَنهُ فِتنَةٌ وَغُرورُ

وإنَّ رِجالاً حَكَّمُوا اللهَ حُجَّةٌ / على مَنْ بتحْكِيمِ الرِّجالِ يَصُورُ[5]

ببَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِم وَبَصِيرَةٍ / تَجاهَلَ فِيها عَسْكَرٌ وَأَمِيرُ

وأنَّهُمُ حَجُّوا[6] عَلِيّاً وَأعْذَرُوا / وَمَا فَاتَهُم مِمَّنْ لَدَيْهِ عَذِيرُ

على أنَّهُ مِنْ أبْصَرِ النَّاسِ للهُدَى / وَكَمْ بقَضاءِ اللهِ ضَلَّ بَصِيرُ

تَنَوَّرَها الحَبْرُ ابنُ عَبَّاسَ مِنهُمُ / فحَجَّ عَلِيّاً وَالحَجِيجُ نَصِيرُ

جَزَى اللهُ أهلَ النَّهْرَوانِ رِضاءَهُ / وما فَوقَ مَرْضَاةِ الإلهِ أُجُورُ

---

(١) حيدرة الكرّار: لقب الإمام عليّ بن أبي طالب.

(٢) أشعثاً: قصد به الأشعث بن قيس الكندي، وقد سبق ذكره.

(٣) حُرقوص بن زهير السعدي، صحابي قُتِلَ في النهروان || زيد بن حصن، من أصحاب الرسول وقتل في النهروان || أُوَيْس القرني، تابعي قتل في صفين.

(٤) السِّبطان: الحَسن والحُسين، ولدا عليّ وبنت الرَّسول.

(٥) يَصُور: يَميلُ ويَعْوَجُّ: مِن صَورَ صَوْراً.

(٦) غلبوه في الحُجّة.

كما جَاهَدُوا في اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ... وقاموا بما يَرْضَى وَفِيهِ أُبِيرُوا

وَمَاتوا كِرَاماً قانِتينَ وَكُلُّهُمْ ... على المَوتِ صَبَّارٌ هُناكَ شَكُورُ

شُراةٌ سُراةٌ لا يُخَطُّ غُبارُهُم ... وإن أبْلَجَتْ فوقَ الأمُورِ أمُورُ

إذا انتُهِكَتْ مِن دِينِ الاسْلامِ حُرمَةٌ ... فليسَ لهُم عَيشٌ هُناكَ قَريرُ

كِرامٌ شِدادُ الغارِ في ذاتِ رَبِّهِم ... على كُلِّ حَالٍ، والمُحِبُّ غَيُورُ

نفوسُهُمُ حَيثُ ابْتُلُوا وَجهَ رَبِّهِم ... قَرابينُ مِنهُم قُدِّمَت وَنُذورُ

نَدِينُ لِوَجْهِ اللهِ طَوعاً بِحُبِّهِم ... وما شَنآنُ المُلحِدِينَ مُضِيرُ

هُمُ القومُ بَلَّتْهُم مَخافَةُ رَبِّهِم ... وَدَارَتْ عليهِم أبْطُنٌ وَظُهُورُ

فلا بَارَحَ الرَّوْحُ الإلهِيُّ رَبْعَهم ... ولا فارَقَتْهُم رَحْمَةٌ وَحُبورُ

وإخوانُهم أهْلُ النَّخيلَةِ بَعدَهُم ... وأتْباعُهُم حَتى يَقومَ نُشورُ[1]

ولا زَالَ مُنهَلُّ السَّلامِ عَلَيهِمُ ... تَرادَفُ آصَالٌ بِهِ وَبُكُورُ

وَأَدْخَلَهُم دَارَ السَّلامِ إلهُهُم ... جَميعاً عَلَيهِم نَضْرَةٌ وَسُرُورُ

---

(١) ملحوظة: أهل النخيلة: هم جماعة من الحروريّة، أتباع عبدالله بن وهب الراسبي، فارقوا إخوانهم في النهروان؛ اجتمعوا وتواصَوا فيما بينهم، وتأسفوا على خذلانهم إخوانهم يوم النهروان، وخرجوا إلى مكان يُقال له النخيلة يريدون الحرب، فوجّه إليهم الإمامُ عليّ ابنَ عَمِّهِ عبدالله بن عباس ليُفاوضَهم، فما انثنوا عن رأيهم حتى حاربهم عليّ وغلبَهُم. وفيهم يقولُ شاعر الخوارج عمران بن حطان: «إني أدينُ بما دانَ الشُّراةُ بهِ | يَومَ النخيلةِ عند الجوسقِ الخَرِبِ»، وقد عارضه السيد الحميري قائلًا: «إني أدينُ بما دانَ الوصِيُّ به | يومَ النخيلةِ مِنْ قتلِ المُحِلِّينا».

أشِعَّة الحَقّ(*)

أشِعَّةُ الحَقِّ لا تَخْفَى عَنِ النَّظَرِ ... وإنما خَفِيَتْ عن فاقدِ البصرِ

وكِلْمَةُ اللهِ لم تُنْزَلْ مُحَجَّبَةً ... عن البَصَائِرِ بينَ الوَهْمِ وَالفِكَرِ

نادى المُنادِي بها بَيْضاءَ نيِّرَةً ... حَنيفةً سَمْحَةً لم تَغْيَ بالفِطَرِ[1]

أقامَها اللهُ دِيناً غيرَ ذِي عِوَجٍ ... جاءَ البَشيرُ بها للجنِّ والبَشَرِ

والجاهِليَّةُ في غَلْوَاءَ عارِضَةٍ ... مِن جهلِها ومِنَ الإشْرَاكِ في غَمَرِ

فقامَ مُضطَلِعاً ثِقلَ الرِّسالَةِ مَجْـ ... ـدُودَ العَزائِمِ فَرْداً خِيرَةَ الخِيَرِ

والوَحْيُ يَأتي نُجُوماً مُعجِزاً قِيَماً ... والشِّرْكُ يُكبَتُ والإسلامُ في ظَفَرِ[2]

وَكِلْمَةُ اللهِ تَعلو فوقَ جاحِدِها ... وآيةُ الحِجْرِ تمحُو آيةَ الحَجَرِ

حتى تجلّى مَنارُ الدينِ مُنبَلِجاً ... بصَادِعِ الذِّكْرِ والصَّمْصامَةِ الذَّكَرِ

وَآمَنَتْ برَسُولِ اللهِ طائِفَةٌ ... أعطاهُمُ السَّبقَ فيه سابقُ القَدَرِ

زكّى قلوبَهُمُ النورُ المُبينُ كما ... يَزْكُو النباتُ بما يَلقَى مِن المَطرِ

لاقى صُدُورَهُم الإيمانُ فانشرَحَت ... لهُ وقاموا به في عَزمِ مُنتصِرِ

تأزَّرُوا شُعَبَ الإيمانِ وانتبهوا ... بَينَ الجِهادَيْنِ مِنهُم أنْفَسَ العُمُرِ[3]

(*) كافة هوامش قصيدة «أشعّة الحقّ» من وَضعِ مُراجعِ ومُدقّق الكِتاب.

(١) الفِطَر: جمعُ فطرة، وهيَ السَّجيّة التي فُطِرَ عليها الناس.

(٢) نُجوماً: أي مُنجَّماً؛ بمعنى مُتفرقاً على مراحل زمنية.

(٣) انتبهوا: أي أخذوا واستولوا، والمعنى: أنهم بين الجهادين؛ الأصغر والأكبر قدّموا خيرة أيام أعمارهم في سبيل الله.

أحَاطَهُم وَأمِينُ الله فانْتَشَئوا … بينَ الأمِينَيْنِ والقرآنُ في وَزَرِ[1]
غذّاهُمُ الوَحْيُ في مَهدِ الرِّسَالَةِ مِن … طَورٍ إلى آخَرٍ كالمَاءِ في الشَّجَرِ
نُورٌ بَواطِنُهُم، نُورٌ ظَوَاهِرُهُم … نُورٌ خَلائِقُهُم في الفِعْلِ والخَيَرِ
تُضَايِقُ المَلأَ الأعْلَى مَكَانَتُهُم … في فِطْرَةِ الله لا في فِطْرَةِ البَشَرِ
كم جَاءَ جبريلُ في أحزابِهِ مَدَداً … مِنَ السماءِ على المِعْتَاقَةِ الضُّمُرِ
خَيرُ القرُونِ قَرِينُ المُصطفى وَكَذا … حُكْمُ القَرِينَيْنِ لا يَنفكُّ مِنْ أثَرِ[2]
فمَاتَ عَنهُم رَسُولُ الله عِدَّتُهُم … كالأنبياءِ عُدولُ الحُكْمِ والسِّيَرِ
وكُلُّهُم أوْلِياءٌ غَيرُ مُقتَرِفٍ … كَبيرةً لم يَتُبْ مِنها، فمِنهُ بَرِي
ومِنْ مُصَوِّبِ ذِي بُطْلٍ لدى فِتَنٍ … لا واقفاً جَاهِلًا مَنْ بالصَّوَابِ حَرِي
وَعالِمُ الحَقِّ في حُزنٍ تَوقَّفَ عَن … عِلم فذاكَ وُقُوفٌ غَيرُ مُغتَفَرِ
تَشهِّياً أو رُجُوعاً عَن بَصِيرتهِ … فالحُكْمُ يَبْرَأُ مِن هذا بلا حَذرِ
وهُم وإنْ شَرُفُوا مِنْ أجْلِ صُحْبَتِهِ … فحُكْمُ تكْليفِهِم كالحُكْمِ في البَشرِ
ومَدْحُهُ لهُمُ فَرْعُ استِقامَتِهِم … في طَاعةِ الله، لا مَدْحاً على الغِيَرِ
ولِلمُوَفِّينَ في الإيمان مُتَّجِهٌ … ما جاءَ مِن مَدحِهِم في مُحْكَمِ السُّورِ
وفي البَرَاءَةِ مَن أبقى وَلايَةَ ذِي … بُطْلٍ لِمَحْضِ عُمُومِ المَدْحِ في الزُّبُرِ
والحُبُّ والبُغضُ فَرضَانِ اسْتحَقَّهُما … خَصْمانِ في الله مِنْ بَرٍّ وَمِنْ فَجِرِ
والأمرُ يُبنى على الأعمال كَيفَ جَرَتْ … والمَدحُ والذَّمُّ بَحتاً غَيرُ مُعْتَبَرِ
وأكْرَمُ الخَلقِ أتْقاهُم فليس إذاً … لِلمَدْحِ والذمِّ بالأهواءِ مِن أثَرِ
فِيمَ المُحَابَاةُ مَا قُربي بِمُزْلِفةٍ … من دُون تقوى ولا بُعدِي على خَطَرِ
لا نَسْلَ، لا أهْلَ، لا أصْحَابَ يَفرُقُهُم … دِيناً على الخَلقِ حُكْمٌ مَا مِنَ الصُّوَرِ[3]

---

(١) الوَزَر: الملجأ، وأصلها الجبل المنيع.
(٢) القرينين: هما الخليفتان الرَّضيَّان أبو بكر وعُمر بن الخطاب.
(٣) ملحوظة: هذه واحدة من أوجه التمايز التي اختصّ بها الإباضيَّة بين موقفين مختلفين لكلٍّ من الشيعة الذين يُعلون من شأن آل بيت النبي (ص) حدَّ العِصْمَة، والسُّنة الذين يُجلُّون الصحابة حدَّ القداسَةِ؛ حتى أنهم يروون عن النبي (ص): أصحابي كالنجوم، بأيِّهم اقتدَيْتُم اهتدَيْتُم.

نادَى العَشيرَةَ في رَأسِ الصَّفا عَلناً ... وَصاحَ فيهم رَسُولُ اللهِ بالنُّذُرِ

فانظرْ إلى حِكْمَةِ التخْصِيصِ كَيفَ أتتْ ... للأقرَبينَ مِنَ أَهْلِ البَدْوِ والحَضَرِ

ليَعلَمُوا أنَّهُ التكْليفُ لا نَسَبٌ ... يُغني ولا فيهِ دُونَ اللهِ مِنْ وَزَرِ

لو كانَ بالشَّرَفِ التَّكْليفُ مُرتفِعاً ... إذاً تَعَطَّلَ عَدلُ اللهِ في الفِطَرِ

وَحُجَّةُ اللهِ بالتَّكْليفِ لازِمَةٌ ... سيَّانَ في الأمر مَفضُولٌ وَذُو الخَطَرِ

للرُّسْلِ والمَلأ الأعلَى وَأشْرَفِهِم ... بالاستقامَةِ تَكْليفٌ بلا عُذُرِ

الكُلُّ في قَرَنِ التكليفِ مُؤتسِرٌ ... ما بالُ مَن ليسَ مَعصُوماً مِنَ الغِيَرِ

لا نَبْخَسُ الناسَ بالأهَواءِ حَقَّهُمُ ... ولا نُبالي بقَدْحِ الخاتِرِ الأشِرِ

قَدْ جاءَنا اللهُ بالقرآن بَيِّنَةً ... وسُنَّةِ الحَقِّ والإجْماعِ والأثَرِ

فما وَجَدْنا بحُكْمِ اللهِ عاصِيَةً ... لِمَحْضِ قُرْباهُ مَغْدُوداً مِنَ البَرَرِ

ولا تَقِيّاً لأمْرِ اللهِ مُتَّبِعاً ... بالحُبِّ حُكْماً لأجْلِ البُعدِ غَيرَ حَرِي

كَمالُ تَوحِيدِ رَبِّي حُبُّ طَائِعِهِ ... وبُغضُ أعْدائِهِ في السِّرِ والجَهَرِ

يا مَنْ أعابَ على الأبْرارِ نِحْلَتَهُم ... أعَبْتَ وَيْلَكَ دِينَ اللهِ عَنْ بَصَرِ[1]

هُمْ حُجَّةُ اللهِ أهْلُ الاستِقامَةِ ما ... خَامَتْ عَزائِمُهُم عَنْ آيَةِ الزُّمَرِ[2]

مُحَكِّمِينَ بَراءٌ مِنْ مُعَاوِيَةٍ ... وَمِنْ عَلِيٍّ،[3] وَيَا لَيتَ الأخِيرَ بَرِي

والقاسِطِينَ أبي مُوسَى وَصَاحِبِهِ ... عَمْرِو اللَّعِينِ فَتَى قَطَّاعَةِ البَظَرِ[4]

---

(١) إشارة إلى أهل النهروان.

(٢) آية الزُّمَر؛ هي الآية ٧٣ مِن سُورة الزمَر: ﴿وسِيقَ الذين اتَّقَوا رَبَّهم إلى الجَنَّة زُمَراً، حتى إذا جاؤوها وفُتِحَتْ أبوابُها وقالَ لهُم خَزَنَتُها سَلامٌ عليكُم فادخُلوها خالدِين﴾.

(٣) أي: يا ليت علياً كان بريئاً من تلك الدِّماء.

(٤) يقصد أبا مُوسى الأشعري (مُمَثل عليّ في التحكيم)، وعمرو بن العاص (مُمَثل مُعاويَة). ملحوظة: الإشارة، هنا، جليّة إلى أُمّ عمرو بن العاص، وكان اسمُها النابغة وهي أمَة لرجل من عنزة، فسُبِيَتْ فاشتراها عبدالله بن جدعان التميمي بمكَّة، فكانت بَغياً، ثم أعتقها. فوقع عليها أبو لهب بن عبدالمطلب، وأُمَيَّة بن خلف الجمحي، وهشام بن المُغيرة المخزومي، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمي، في طُهْرٍ واحد، فولدت عَمْراً، فادَّعاهُ كُلُّهم، فحُكِّمَتْ أُمُّهُ فيه، فقالت: هو من العاص بن وائل، وذلك لأنهُ كان يُنفقُ عليها كثيراً. قالوا: وكان كثير الشَّبه بأبي سفيان!=

وَقاسِطِي الشَّام والرَّاضِي حُكُومَتَهُم مِنْ أَهْلِ صِفِّينَ والرَّاضِي على أَثَرِ
ليتَ الحُكُومَةَ مَا قامَتْ قِيامَتُها وليتَها مِنْ أبي السِّبْطَينِ لم تَصِرِ
مَلعُونةٌ جَعَلَتها الشَّامُ جُنَّتَها مِنْ ذي الفِقارِ وَقَدْ أشفَتْ على الخَطَرِ
عَجَّتْ بتَحْكِيمِ عَمْرٍو بَعدَما حَكَمَتْ هَمْدَانُ فيها بحُكْمِ البِيضِ وَالسُّمُرِ
تباً لها رَفَعَتْ كَيداً مَصَاحِفَها وَمُقتضَاهُنَّ مَنبُوذٌ على العَفَرِ
مَهلًا أبا حَسَنٍ إنَّ التي عَرَضَتْ زَوْرَاءُ في الدِّينِ كُنْ مِنها عَلى حَذَرِ[1]
ضَغائنُ اللاتِ والعُزَّى رَقلْنَ بها تَحتَ الطَّلِيقِ وَعُثمَانِيَّةِ الأشِرِ[2]
لا تَلْبِسَنَّ أبا السِّبْطَينِ مُخْزِيةً فذلكَ الثوبُ مَطْوِيٌّ عَلى غَرَرِ
لم تَنْتَقِلْ عَبدُ شمْسٍ مِنْ نَكَارَتِهَا دَمُ الكُبُودِ على أنْيابِهَا القُذُرِ[3]
فما صَحِيفةُ صِفِّينَ التي رُقِمَتْ إلّا صَحِيفةُ بَينَ الرُّكْنِ والحَجَرِ
نَسِيتَ بَدْراً وَأُحُداً يا أبا حَسَنٍ وَنَدْوَةَ الكُفرِ ذاتِ المَكْرِ وَالغُدُرِ
ويومَ جَاءَكَ بالأحزابِ صَخْرُهُمُ فاندَكَّ بالرِّيحِ صَخرُ القومِ والذُّعُرِ[4]
وَفتحَ مَكَّةَ وَالأغياضُ كاسِفةٌ وأنتَ حَيدَرَةُ الإسْلامِ كالقَمَرِ
والقومُ ما أسْلَمُوا إلّا مؤلَّفَةٌ والرَّأيُ في اللاتِ بينَ السمعِ والبَصَرِ
مَتى ترَى هَاشِمٌ صِدْقَ الطَّلِيقِ بها وَثغرَةُ الجُرْحِ بَينَ النَّحْرِ والفِقَرِ
ما لابنِ هِندٍ بثأرِ الدَّارِ مِن غَرَضٍ لهُ مَرَامٌ وَلَيتَ الدَّارَ في سَقرِ[5]

=[المصدر: ابن أبي حديد المُعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج٦/ ص٢٨٣]... وجاءَ في نفس المصدر: وقال أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب: كان اسمها سلمى وتلقبت بالنابغة بنت حرملة من بني جَلّان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وفي نفس المصدر: وقال المُبرّد في كتاب الكامل: اسمها ليلى، وجاءَ أيضاً أن حسان بن ثابت هجا عَمْراً في أبيات وذكر نسَبَه.

(١) زوراء: الزَّوْر؛ وسط الصَّدر، والزَّوَرُ عِوَج، والزوراء: العَوجاء.
(٢) رَقَلْنَ: أسْرَعْنَ || الطَّليق: هو معاوية بن أبي سفيان الذي أطلقه النبي (ص) غِبَّ فتح مكّة فدخل الإسلام انتهازاً، لا قناعة.
(٣) إشارة إلى هند بنت عُتبة أم معاوية التي مَثَّلَتْ بجُثة حمزة بن عبدالمطلب ولاكَتْ كَبدَه يوم أُحُد.
(٤) إشارة إلى أبي سفيان، واسمه صخر بن حرب، وكان قائد جيش الأحزاب.
(٥) قصد بثأر الدَّار: عثمان بن عفان قتيل داره.

لَقَدْ تَقاعَدَ عَنها وَهِي مُخرِجَةٌ حتى قَضَتْ فقضَى مَا شَاءَ مِنْ وَطَرِ[1]
تَرَبَّصَ الوَغدُ من عُثمانَ قَتلَتَهُ فقامَ يَنْهَقُ بَينَ الحُمْرِ وَالبَقرِ
يَنوحُ في الشام ثكلى ناشراً لهُمُ قميصَ عثمَانَ نَوْحَ الوُرْقِ بالسَّحَرِ
حَتى إذا لَفَّ أُولاها بآخِرِها بِشُبْهَةٍ ما تُغطِّي نَقرَةَ الظُّفُرِ
أتاكَ يَقرَعُ ظُنْبُوبَ الشِّقاقِ لَهُ رَوْقانِ في الكُفرِ مِنْ جَهلٍ ومِن بَطَرِ[2]
تَعُكُّ عَكَّ نِفاقاً خلفَ خُطْوَتِهِ كأنَّها ذَنَبٌ في عَجْمِهِ الوَضِرِ
يُديرُ بَينَ وَزِيرَيْهِ سِياسَتَهُ عَمْرٍو وَإبليسَ في وُزْدٍ وفي صَدَرِ
مَتى جَهِلتَ أبا السِّبطَينِ خِطَّتَهُ وأنتَ أعلَمُ أهلِ الطِّينِ وَالوَبَرِ
حاكَمْتَهُ بَعدما ألحَمْتَهُ قَرِماً بعَقرِ سَبْعِينَ ألفاً عَقرَةَ الجُزُرِ
حاكَمْتَهُ بَعدَ عَمَّارٍ وَرَوحَتِهِ إلى الجنانِ وَبَعدَ السَّادَةِ الطُّهُرِ
حاكَمْتَهُ بَعدَ حُكْمِ الله فيهِ بِمَا يشفِي الغَلِيلَ وَقَدْ أيْقنتَ بالظَّفَرِ
أقمْتَ في البَغْي حَدَّ اللهِ أوَّلَها ففيمَ تَسْتَنُّ بالتحْكِيمِ في الأُخَرِ
أصَبْتَ في حَزبِكَ البَاغِينَ ثغرَتَها بحُكْمِ رَبِّكَ لم تَضْلِلْ وَلم تَجُرِ
قَبِلْتَ عَوراءَ مِن عَمرٍو يَفُتُّ بها سَواعِدَ الدين فَتَّ العَصْفِ بالحَجَرِ
ولم تُعِزْ نُصَحَاءَ الدينِ وَاعِيَةً وَلَيتَ للأشعَثِ المَلعُونِ لَم تُعِرِ[3]
فاصْرِفْ أعِنَّتَها صَوبَ العِرَاقِ فقَدْ شُدَّتْ عَلَيكَ ثُغورُ الشامِ بالبِدَرِ
فطالِبُو الدين قَدْ نابَذتَ عِصْمَتَهُم والأمرُ مِن طَالِبِي الدنيا على ضَرَرِ
فيمَ الحُكُومَةُ أخزى الله ناصِبَها لم يَترُكِ اللهُ هذا الحُكْمَ للبَشَرِ[4]

(١) ملحوظة: يُشير إلى معاوية الذي تخاذل عن نصرة الخليفة عثمان بن عفان وهو مُحاصَر في داره حتى قُتِل، وكان عثمان قد استصرخه أكثر من مرة، ولكن كانت لمعاوية حسابات أخرى.

(٢) الظُّنبوب: هو حَرفُ السّاقِ اليابس من العَظم لشدة الهُزال، وقرع الظنبوب تعبير عن سرعة الإجابة. قال سلامة بن جندل: «كُنا، إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ | كانَ الصُّراخُ لهُ قَرْعَ الظَّنابِيبِ».

(٣) هو الأشعث بن قيس الكندي؛ أحد قادة جيش الإمام علي بن أبي طالب، وهو مِمَّنْ حرفوا مسار الأحداث حتى أُلزِمَ الإمامُ عليٌّ على قبول التحكيم.

(٤) ثمة إشارة، هنا، إلى شعار الخوارج الشهير الذي سُمُّوا به لاحقاً: «لا حُكْمَ إلّا لله».

ولستَ في ريبَةٍ ممّا عُنِيتَ بهِ ... ولا القضاءُ قِيَاسِيٌّ على صُوَرِ
فما قتالُكَ بَعدَ الحُكمِ راضِيَةً ... وما قتالكَ مَن لم يَرْضَ بالنَّهَرِ
قدِ ارْتكَبتَ أبا السِّبْطَينِ في جَلَلٍ ... وَفاتكَ الحَزمُ وَاستأسَرتَ للحَذَرِ
وما قتالُ ابنِ صَخْرٍ بَعدمَا انسَكَبَتْ ... خِلافَةُ اللهِ في بُلْعُومِهِ البَجِرِ
حَكَّمْتَهُ في حُدودِ اللهِ يَنسِفُها ... نَسْفَ العَواصِفِ مَندُوفاً مِنَ الوَبَرِ
بأيِّ أمْرَيكَ نرضَى يا أبا حَسَنٍ ... تحكِيمَ قاسِطِهِم أمْ قَتلَةِ البَرَرِ
أم بانقِيادِكَ عَزماً خلفَ أشعَثِها ... يَفري أدِيمَكَ لا يَألو بلا ظُفُرِ
أرْضَعْتَهُ دُرَّةَ الدُّنيا فما مَصَحَتْ ... وأنتَ مِن دَمِها رَيَّانُ في غَمَرِ
مَا زَالَ ينقُبُ خَيلَ اللهِ مُشئِمَةً ... فأغرَقتْ صَهَواتُ الخَيلِ بالدُّبُرِ
ألم تقاتلهُ مُرتداً فمُذ عَلَقتْ ... بهِ البَرَاثِنُ ألقى سِلْمَ مُحتَضَرِ[1]
يُلقي شَرَاشِرَهُ مَكْراً عَليكَ ومَا ... يَنْضَمُّ مِن حَنَقٍ إلّا على سُعُرِ
أصْبَحتَ في أُمَّةٍ أوْتَرَتَ مُعظَمَها ... بَهِيمَةُ اللهِ بَينَ الذِّيبِ وَالنَّمِرِ
تُسدِّدُ الرأيَ مَعصُوماً فَتَنْقُضُهُ ... بِطَانَةُ السُّوءِ مَرْكُوساً إلى الحُفَرِ
تَنافَرَتْ عَنكَ أوْشابُ النِّفاقِ إلى ... دُنيا بني عَبْدِ شَمْسٍ نَفْرَةَ الحُمُرِ
وَعَزَّكَ الجِدُّ والتوفيقُ فانصَدَعَتْ ... سِيَاسَةُ الدينِ صَدْعاً سَيِءَ الأثرِ
قَدْ كُنتَ في وَزَرٍ مِمَّنْ فتَكتَ بهم ... أحسِنْ عَزاءَكَ لَستَ اليومَ في وَزَرِ[2]
ما ذنبُ عِيبَةِ نُصْحِ الدين إذ عَصفتْ ... بهم رياحُكَ لا تُبقي ولم تَذَرِ
بَقيَّةَ اللهِ قَدْ هَاضَتْ عِظَامَهُمُ ... عَرَارَةُ الحَرْبِ أوّاهُونَ في السَّحَرِ
أقْعَضْتَهُمْ في صَلاةٍ لا بُواءَ لَهُم ... هَلّا مُشابَرَةٌ والقومُ في حَذرِ[3]
قَدْ حَكَّمُوا اللهَ لم يَفْلُلْ عَزيمَتَهُم ... عن نُصْرَةِ اللهِ قَرْعُ الصَّارِمِ الذَّكَرِ

(١) كان الأشعث بن قيس الكندي ضمن المُرتدِّين بعد وفاة النبي (ص).
(٢) تلميح: أي أنكَ كُنتَ في مَنعةٍ ممن قتلتهم، لكنكَ لم تعُد كذلك بعد قتلك لهم.
(٣) المَشابِرُ: حُزُورٌ في ذِراعٍ يُتَبايَعُ بها، وأنهارٌ تَنْخَفِضُ فيَتأدى إليها الماءُ من مَواضِعَ، جَمْعُ مَشْبَرٍ ومَشْبَرَةٍ.

رَمَيتَ سَهمك عن كَبْدَاءَ في كَبدٍ ... حَرَّى مِنَ الذِّكْرِ والتسبيحِ والسُّوَرِ

إنَّ القلوبَ التي تَرْمِي تَطِيرُ بها ... مَصَاحِفُ الذِّكْرِ، والإيمانُ لم يَطِرِ

ما عَلَّقُوها على أعْناقِهِم غَرَضاً ... فاكْفُفْ سِهامَكَ وَاكْسِرْها عَنِ الزُّبُرِ

أعْظَمْتَها يومَ أهْلُ الدَّارِ تَرْفعُها ... واليومَ تُرْمَى كَرَمْيِ العُفْرِ وَالبَقرِ

هَانتْ عَليكَ جِباهٌ ظَلْتَ تَرْضَخُها ... لَطَالَما رَضَخَتْها سَجْدَةُ السَّحرِ

لم تَقتلِ القومَ عَنْ سُوءٍ بدِينِهِمُ ... وإنما الأمرُ مَبْنِيٌّ عَلى القَدَرِ

قتلتَهُم بِرِوَايَاتٍ تُقِيمُ بها ... عُذرَ القِتالِ وَلَيسَتْ عُذْرَ مُعْتَذِرِ

ما ذو الثُّدَيَّةِ إلا خُدْعَةٌ نُصِبَت ... للحَزْبِ تُوهِمُ فيها صِحَّةَ الخَبَرِ[1]

وما حَدِيثُ مُروقِ القومِ مُعْتَبَراً ... فيهِم لِمَنْ سَلَكَ الإنصَافَ في النَّظَرِ

خَلَّصْتَ نَفسَكَ بالتَّحْكِيمِ مُنْخَدِعاً ... وأنتَ أوْلَى بها مِنْ سَائِرِ الفِطَرِ[2]

فَحَكَّمُوا الله واختارُوكَ أنتَ لها ... فكانَ قَولُهُمُ نَوعاً مِنَ الهَذَرِ

وقلتَ قَدْ مَرَقوا إذ هُمْ عَلى قَدَمٍ ... صِدْقٍ مِنَ الحَقِّ لَم يَبْطَرْ وَلم يَجُرِ

مَضَوا بهِ قِدَماً جَرْياً عَلى سُنَنٍ ... للمُصْطفى وَأبي بَكْرٍ إلى عُمَرِ

مَا بَدَّلَ القومُ في دَارٍ ولا جَمَلٍ ... وهُم على العَهْدِ ما حَالُوهُ بالغِيَرِ

شَفيتَ نفسَكَ مِنْ غَيظٍ بها بدَمٍ ... مِنْ مُهْجَةِ الدينِ والإيمانِ مُنفَجِرِ

دَمِ ابنِ وَهْبٍ وَحُرقُوصٍ وَحَبْرِهِمُ ... زَيدِ ابنِ حُصْنٍ خِيارِ الأمَّةِ الطُّهُرِ[3]

دِماءِ عِشرينَ ألفاً وَقتَ جُمْعَتِهِم ... وَسْطَ الصَّلاةِ هَمَتْ كالوَابلِ الهَمِرِ

لِيَهْنَكَ الدَّمُ يا مَنصُورُ قَدْ رَجَفتْ ... مِنهُ السَّمواتُ والأرضُونَ مِنْ حَذَرِ

---

(١) إشارة إلى حرقوص بن زهير، وقد وُضعَت أحاديث بهذا الاسم تبريراً لقتله يوم النهر.

(٢) ملحوظة: كما في قصيدته النهروانيّة، نرى تتابع الإشارات إلى غدير خُمّ، وأحقيّة الخلافة للإمام عليّ بعد النبي (ص)، وفي هذا دلالة على ميلٍ باطنيّ، في الأقلّ، وإن لم يُفصح عنهُ في ظاهر مُعتقد الشاعر إلى مذهب الشيعة، فالإشارات في شعره جليّةٌ في هذا الشأن، لكنّ دفاعه عن المذهب الإباضي (لا سيّما في قصائده الوطنية، كالنونية والميميّة وسواهُما) جَليٌّ أيضاً.

(٣) ابن وهب: عبدالله بن وهب الراسبي || حرقوص بن زُهَير: أحد قادة المُحكّمة البارزين، قضى يوم النهر || زيد بن حصن: صحابي، كان فيمن قضى يوم النهر.

لو أنَّ رُمْحَكَ في حُرْقُوصٍ اشْتَرَكَتْ فيهِ الخَليقةُ أرْدَاهُم إلى سَقَرِ

يا فِتْنةً فتكَتْ بالدينِ جمَّتُها تذوبُ مِن هَولِها مَلْمُومَةُ الحَجَرِ

ما سَاءَنِي أنْ أقولَ الحَقَّ إنَّهُمُ قومٌ قتلتَهُمُ بَغياً بلا عُذُرِ

وإنَّهُم أوْلِياءُ اللهِ حُبُّهُمُ فَرْضٌ وَبُغْضُهُمُ مِن أفظَعِ النُّكُرِ

صَلّى الإلهُ على أرْواحِهِم وَسَقى أجْدَاثَهُم رَوْحَهُ بالأُصُلِ وَالبُكُرِ

برهان الاستقامة

عَلِمتُ رَبِّي وَلا عَينٌ وَلا أثرُ … ولا ظُروفٌ ولا شرطٌ ولا صُوَرُ

ما فاتَ عِلمَكَ مَوجودٌ ولا عَدَمٌ … جَارٍ بِعِلمِكَ مَا تأتي وَما تَذَرُ

وليسَ عِلمُكَ مَوقوفاً على حَدَثٍ … ما كانَ أو لم يَكُنْ يَجري به قَدَرُ

والاستحَالَةُ والإمكانُ حُكْمُهُما … وِفقَ المَشيئةِ أنّى شِئتَ مُقتصِرُ

قدَّرتَ شيئاً مُحالًا ثم تجهَلُهُ … سُبحانَ سُبحانَ حَقّ القَدْرِ ما قَدِرُوا

ما للطبيعَةِ تَنْزو فوقَ مَرْكَزِها … وما لها في الذي تنزو لَهُ أثرُ

أليسَ نفسُ الهَيُولى لا يُحَرِّكُها … إلا المُعَلِّلُ وَالمَعلُول مُقتسِرُ

والحَدُّ والرَّسْمُ والأشكالُ والصّورُ … والحَلُّ والعَقدُ والإبْرَامُ والغِيَرُ

والكُلُّ والجُزءُ مما كان مُمتنِعاً … وغيرَ مُمْتنِعٍ في اللوحِ مُسْتَطَرُ

وكُلُّ ما كان مَوجُوداً وَمُنعَدِماً … فمِن إرادَتِهِ، لا شكَّ، مُؤتَمِرُ

أيَجهَلُ اللهُ أمراً نحنُ نَعلَمُهُ … أنْ ليسَ تحصُرهُ مِنْ جِنسِهِ صُوَرُ

مِن أمْرِهِ اللَّمْ يَكُنْ واللايَكُونُ وكُنْ … فكيفَ يَجهَلُ ما يَستخصِلُ البَشرُ

من ذا أفاضَ عَلَينا مَا نُحَصِّلُهُ … من العُلوم، وما تَستدرِكُ الفِكَرُ

هَبِ القُوَى أدرَكَتْ، فالمُدرَكَاتُ لها … قُيُودُها العِلمُ والإدْرَاكُ والنَّظَرُ

ومَنْ أمَدَّ القُوى حتى تُحَصِّلَ في … مَنْ كانَ هَيَّأها حتى بَدَا الأثرُ

وهَلْ مَعارِفُنا إلّا مَواهِبُهُ … والكَسْبُ في ضَغطَةِ التّكوينِ مُنحَصِرُ

أنحنُ نَعلَمُ بالتَّعقِيلِ مُنعَدِماً … وَخالقُ العَقلِ عَنهُ الأمرُ مُستَتِرُ؟

إنْ شاءَ شيئاً فذاكَ الشّيءُ يَعْلَمُهُ ... أو لمْ يَشأْهُ انطوى عَن عِلمِهِ الخبَرُ

مَنْ أوجَدَ الشيءَ مِن لا شيءَ يَجهَلهُ؟ ... كيفَ استقامَ لهُ الإيجادُ والأثرُ

والجَهلُ بالصُّنعِ عَجزٌ لا تَقومُ بهِ ... على كَمالاتِها الأكْوَانُ وَالفِطَرُ

إن كانَ يَجهلُ شيئاً قبلَ مَوقعِهِ ... فإنَّهُ قبلَ ذاكَ الشيءِ مُفتقِرُ

ما الشأنُ في الذَّاتِ قبلَ الخَلْقِ في أزَلٍ ... قَدْ عَزَّها العِلمُ، لا سَمعٌ ولا بَصَرُ

أَستغفِرُ اللهَ هذا الكَونُ عِلّةُ عِلـ ... ـمِ اللهِ أم كيفَ هذا العِلمُ يُعتَبَرُ

قَدْ قَفَّ شَعْريَ مِنْ خَطبٍ حُذيتُ لهُ ... تكادُ مِنهُ السّما والأرضُ تَنفطِرُ

آهاً على فلْتَةٍ جَاءَ البَصيرُ بها ... قَدْ خاصَمَتْهُ عليها الآيُ والسُّوَرُ

أقولُ للعَقلِ والبُرهانُ في يَدهِ ... هَلّا حَكَمْتَ وأنتَ الفيْصَلُ الذَّمِرُ

سَلَبتهُ صِفةٌ ذاتيّةٌ وَجَبتْ ... لِذاتهِ، حيثُ لا كَونٌ ولا فِطَرُ

فحينَ أوجَدَها صُنعاً أضفتَ لهُ ... عِلماً يُساوقُ ما يَجري بهُ القدَرُ

هَلّا حكَمْتَ بأنَّ الذاتَ عَالِمَةٌ ... بنَفيِ أضْدَادِها مِن قبلِ أنْ ذَكَرُوا

هَلّا حَكَمْتَ بأنّ الذاتَ فاعِلَةٌ ... بالاختيارِ لِما تأتي وَمَا تَذَرُ

لو لمْ يَكُنْ عِلمُهُ بالشيءِ يَسبقُهُ ... لكان بالطبعِ أو بالجَبْرِ يَقتدِرُ

لو كانَ يَختارُ أمراً ليسَ يَعلمُهُ انـ ... ـحَلَّ الوجودُ لما تأتي به الخِيرُ

يُدبِّرُ الأمرَ مَطْوياً على غَرَرٍ ... إنْ كانَ يَغرُبُ عن إدراكه الغَرَرُ

ما كانَ أغناهُ عَن تدبيرِ صَنعَتِهِ ... إن كانَ يَجهلُ، قبلَ الصُّنع، ما الخَبَرُ

سُبحانَ ربِّيَ تقديساً لِعِزّتِهِ ... في عِلمِهِ النَّفيُ والإثباتُ مُنحَصِرُ

بالذاتِ للذاتِ مَعلومَاتُهُ انْكَشفتْ ... ما ثَمَّ وَاسِطَةٌ في الذاتِ تُعتَبَرُ

وَكَوْنُهُ النفيُ والإثباتُ حِكْمَتُهُ ... يَقضي بإدراكِهِ المَنفيَّ لو نَظَروا

أَلْوَجَبتْ عِلمَهُ آثارُ قُدرَتِهِ ... فيلزمُ الجَهلُ لو لمْ يَظهَرِ الأثرُ

لو كانَ ذاكَ لمَسَّتْ ذاتَهُ عِلَلٌ ... إذِ الصِّفاتُ إلى الأحْدَاثِ تَفتقرُ

أو يَلزَمُ الدَّورُ فيها أو مُرادِفُهُ ... أو ليسَ يَعلمُ إلّا حِينَ يَقتدِرُ

هَبْ أنهُ لم يَشأْ شيئاً فأعدَمَهُ ... أكانَ مَا شاءَ نَفياً عَنهُ يَستَتِرُ

أم كانَ مَا لَمْ يَشَأْهُ الحَقُّ مُنفعِلًا ... لذاتهِ قادِرٌ في نَفسِهِ قَدَرُ

أو كَونُ مَا كَانَ مَعْدُوماً تَقَدَّمَهُ ... أم ضِدُّهُ جَلَّ عنهُ العَجزُ والخَوَرُ

ما للعُقولِ على أَقْوَى بَساطَتِها ... ضَلَّتْ فلم تُغنِها الآياتُ والنُّذُرُ

تحكَّمتْ في صِفاتِ اللهِ جاعِلةً ... حَقيقةَ الذاتِ للعِلَّاتِ تَأتَمِرُ

قضِيَّةٌ أثْمَرَتْ تَعطِيلَ مُنشِئِها ... ليتَ القضِيَّةَ ما كَانتْ ولا الثمَرُ

ليتَ التَّنوُّرَ بالإسلام يَنبُذُها ... إلى الذين برُسْلِ اللهِ قَدْ كَفَرُوا

كمْ في القرآنِ «ولو شئنا» تَدُلُّ على ... أنَّ الذي لم يَشأْ في العِلْمِ مُنحَصِرُ

لو شاءَ إذهابَ ما أوْحَى لأذهَبَهُ ... أو شاءَ جَمْعَهُم بالحَقِّ لابْتَدَرُوا

أكانَ يَجهلُ ما لو شاءَ أوْجَدَهُ ... قبْلَ الوُجُودِ وَعَنهُ تُنبِىءُ السُّوَرُ

لو كانَ ما يَلزمُ المَشرُوطُ يَجهَلُهُ ... فعَنْ حَقيقةِ ماذا يَصدُقُ الخَبَرُ

ماذا دَهَى الزَّيْغَ مِن خَطْبِ الكَلِيمِ لَوَ ... أنَّ العُقولَ إلى الإنْصَافِ تَبتدِرُ

انْظُرْ فسَوفَ تَرَانِي[1] كَيفَ أبْرَزَها الـ ... ـعِلمُ الحَقيقيُّ إنْ لَمْ يُخْطِىء النَّظَرُ

تَرَى التَّعَلقَ بالحَالِ التي فَرَضَت ... على المُحَالِ بصِدقِ الحَالِ تَعْتَبِرُ

أكانَ يَجهلُ دَكَّ الطُّورِ وَهوَ عَلى ... مَرْسَاهُ لم يَنتقِضْ مِن بَينِهِ حَجَرُ

أم لم يُحِطْ قبلَ تكْلِيمِ الكَلِيمِ لَهُ ... أن ليسَ يُدْرِكُهُ عَقلٌ ولا بَصَرُ

المُسْتَحِيلُ وَمَترُوكُ الإرَادَةِ والـ ... ـمَخصُوصُ بالفعلِ مِمّا رَجَّحَ القَدَرُ

مَعلُومَةٌ حَسْبَ مَاهِيَّاتِها وَعَلى ... ما اختارَها مَالَها في نَفسِها خِيَرُ

وَعِلْمُهُ ذاتُهُ، والذَّاتُ سَابِقَةٌ ... والمَا سِوَى مُطْلَقاً لِلعِلمِ مُختَظَرُ

هذا هو الحَقُّ لا أبغِي بهِ بَدَلًا ... بأيِّ حَالٍ ولو عَادَتْنِيَ العُصَرُ

إني لأنصُرُ ذا حَقٍّ يَقومُ بهِ ... والمُؤمِنُ الحَقُّ للإيمانِ يَنتصِرُ

---

(١) يُشيرُ إلى قوله جلَّ وَعَلا لنبيِّهِ مُوسى: «لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربُّهُ إلى الجبل جعله دكّاً وخرَّ موسى صعقاً».

الباب الثاني

المَدَائح النبويَّة

الغوثُ السَّريع بالحَبيب الشفيع(*)

غَوْثَ الوُجودِ أَغِثْني ضَاقَ مُضطَبَري ... سِرَّ الوُجُودِ اسْتلِمني مِن يَدِ الخَطَرِ

نُورَ الوُجودِ تَدَارَكْني فَقدْ عَمِيَتْ ... بَصِيرتي في ظَلامِ العَينِ وَالأثرِ

رُوحَ الوُجودِ، حَيَاتِي إنَّها ذَهبَتْ ... مِنْ جَهْلِها بَينَ سَمعِ الكونِ والبَصَرِ

رَوْحَ الوُجودِ دَهَى الكَرْبُ العَظِيمُ وَفي ... أَنْفَاسِ رَوْحِكَ رُوحُ المُخرَجِ الحَصِرِ

أُنْسَ الوُجودِ قَدِ اسْتوْحَشْتُ مِنْ زَلَلِي ... وَأَنتَ أُنسِيَ في وِرْدِي وَفِي صَدْرِي

أَمْنَ الوُجودِ أَجِرني مِنْ مَخَاوِف ما ... أَحرَزْتُ نَفسِيَ مِنْها في حِمَى الحَذَرِ

عَينَ الوُجودِ تَرَى بُؤسِي وَنَازِلَتي ... وَفِي مَحَالِكَ إنقاذِي مِنَ الضَّرَرِ

عِزَّ الوُجودِ بِعِزِّ اللهِ أنتَ لها ... فَوَاقِرٌ دَرَسَتْ أَعْيانُها أثري

وَجَّهتُ نَحوَ رَسُولِ اللهِ نَازِلَتِي ... وَقُلْتُ يا نَفْسُ حُمَّ النَّصْرُ فانْتظِري

أُمْنيَةُ الفَوزِ مِنهُ غَيرُ خَائِبَةٍ ... وَمَطمَعُ النُّجحِ مِنهُ غَيرُ مُنحَسِرِ

وَنائِلُ الخَيرِ مِنهُ غَيرُ مُنقطِعٍ ... وَفَائِضُ البِرِّ مِنهُ غَيرُ مُنحَصِرِ

بَسَطتُ كَفِّي إلى فيَّاضِ رَحْمَتِهِ ... على يَقينِ بدَرْكِ السُّؤلِ وَالظَّفَرِ

وَقُمْتُ أَلْهَجُ وَالآمَالُ صَادِقَةٌ ... يا عِصْمَتِي، يا حَبيبَ اللهِ يا وَزَرِي

حَقِيقةُ الصَّبْرِ أستغطِي الثوَابَ بها ... وَالفَقرُ يَلْزَمُنِي ما عَزَّ مُقتَدَرِي

وَلَسْتُ أَعْذُرُ هذا الدَّهرَ في شَظَفٍ ... ما دَامَ فَضْلُكَ عِندِي غَيرَ مُعْتذِرِ

وَلا أزيدُكَ بالأيامِ تَبْصِرَةً ... لأَنْتَ أَبْصَرُ بالدُّنْيا مِنَ البَصَرِ

(*) وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (في مدح الرسول).

أنتَ الحَياةُ التي نَفسُ البَقاءِ بها بَلْ أنتَ مَكْنُونُ سِرِّ اللهِ في البَشرِ
مَولايَ مَنْ كُنتَ في الأزْمَاتِ نَاصِرَهُ فليسَ يَغلِبُهُ شَيءٌ سِوَى القَدَرِ
تلقَّنِي في مَهَاوِي حَوْبَتِي فلقد أوْقعْتُ نَفسِي بِبُعْدِي عَنكَ في الخَطَرِ
يا مُصْطَفى اللهِ يا مُخْتارَ نَظْرَتِهِ يا أصْلَ ما أظْهَرَ الإبْدَاعُ مِنْ فِطَرِ
يا رَحْمَةَ اللهِ يا مَبْعُوثَ رَأفَتِهِ يا مُظْهِرَ اللطْفِ في الأرْوَاحِ وَالصُّورِ
يا أوَّلَ الكُلِّ بَعْدَ اللهِ مُبْتَدَعاً وَأوَّلَ الكُلِّ عِندَ اللهِ في الخَطَرِ
يا آخِرَ الرُّسْلِ، لا تَأخِيرَ مَرْتَبَةٍ وَإنما السِّرُّ مَطْوِيٌّ عَنِ الفِكَرِ
يا ظَاهِراً بكَمَالاتِ الظُّهُورِ على كُلِّ الظَّوَاهِرِ في سُلطانِ مُقْتَهِرِ
يا باطِناً لم تفُتْهُ الباطِناتُ ولم يُدرِكْ مَقاماتِهِ عِلمٌ مِنَ الفِطَرِ
أنوارُ حُبِّكَ في قَلْبِي قَدِ انْطَبَعَتْ جِبِلَّةً كانْطِباعِ الشَّمْسِ في القَمَرِ[1]
ما زَالَ حُبُّكَ في رُوحِي يُخَامِرُها حتى تَجَرَّدْتُ عَنْ عَيْنِي وَعَنْ أثَرِي
ما للمَحَبَّةِ مِقْدَارٌ إذا اقْتَصَرَتْ الحَقُّ حُبُّكَ حُبٌّ غَيرُ مُقْتَصِرِ
تَجَرُّداً مِنْ هِناتٍ كُلُّها حُجُبٌ لا وَصْلَ، وَالحُبُّ مَحْجُوبٌ بذي السُّتُرِ
أدْعُوكَ خَلْفَ حِجَابِ الكَوْنِ مُنبَسِطاً في بَسْطِ حُبِّكَ لم أخْلُصْ مِنَ الأثَرِ
ذُهِلْتُ عَنْ كُلِّ شَيءٍ مُذْ عَلِقتُ بهِ فلا أفرِّقُ بَينَ الصَّفْوِ وَالكَدَرِ
لا أحْسَبُ الرُّوحَ إلّا أنها خُلِقَتْ مِنَ الهَوَى فَاخْتَفتْ عَنْ عَالَمِ الصُّوَرِ
فلا عِلاجَ لها مِنْ أصْلِ فِطْرَتِها إذا أُصِيبَتْ بِسَهْمِ الحُبِّ عَنْ قَدَرِ
وَجَدْتُ رُوحِي صَرِيعاً في مَصَارِعِهِ يا حُبُّ لا تُبْقِ مِنْ رُوحِي وَلا تَذَرِ

---

(١) ملحوظة: إشارته في هذا البيت إلى ظاهرة فلكية هي انغمار سطح القمر بضوء الشمس ليُعاد انعكاسُه خافتاً إلى كوكب الأرض وفق منازل القمر. اللافت أنه سمى انعكاس ضوء الشمس انطباعاً على القمر، وفي ذلك دِقَّة عِلْمِية. فضوء الشمس يغمره كما يغمر الأرض، وإن امْتحَقَ في آخر ليلتين من الشهر القمري، كما أن ما يصلنا منه هو انعكاس انطباعه المُصَفى. وتحديده في القول: «كانطباع الشمس في القمر»، دقيق أيضاً. فالشمس، كما نعلم، كُتلة ضَوء نارية.

نَارُ المَحَبَّةِ نَارٌ لا يُقَامُ لَهَا ... لَوَّاحَةٌ، قَسَماً بِالحُبِّ، لِلبَشرِ[1]

طَارَحْتُ أَهْلَ الهَوَى حَتَّى بُلِيتُ بِهِ ... فَفُقْتُهُم وَمَشَوا خَلْفِي عَلَى أَثَرِي

لا يُصْدِقِ الحُبَّ إلّا مَنْ يَمُوتُ بِهِ ... ما لِلهَوَى دُونَ حَسْوِ المَوْتِ مِنْ قَدَرِ

وَلَيْتَها مَوْتَةٌ فِي الحُبِّ مُوصَلَةٌ ... بِوَصْلَةٍ مِنْ حَبِيبِ اللهِ فِي العُمُرِ

وَلَسْتُ في الحُبِّ مِنْ نَفسِي على ثِقَةٍ ... مِنْ نَصْبِها لِلهَوَى طَوْراً عَلَى وَطَرِ

إنْ كَانَ حُبِّيَ مَغْلُولاً فَأَنتَ لَها ... أَدْرِكْ عَلِيلَكَ قَبْلَ الأَخْذِ في الخَطَرِ[2]

بِقُدْسِ نُورِكَ أَسْتَشْفِي وَقَد ضَنِيتُ ... نَفسِي بِآفَاتِ هَذا العَالَمِ القَذِرِ

وَأَنتَ طِبٌّ بَصِيرٌ قَد بُعِثتَ بِما ... يَشفِي العُضَالَ؛ فَأَنْقِذْنِي مِنَ الضَّرَرِ

فِداً لَكَ الكَوْنُ لا أَسْلُو بِزَهْرَتِهِ ... عَنْ فَرْطِ حُبِّكَ يا مَنْ حُبُّهُ وَزَرِي

وَكَيفَ تُفدَى بِكَوْنٍ أَنتَ عِلَّتُهُ ... لَولاكَ ما أُوْجِدَتْ مَوجُودَةُ الفِطَرِ

لو كُنتُ أَعْلَمُ غَيرَ الحُبِّ مَنْزِلَةً ... تُدْنِي إِليكَ لَكَانَتْ مُنْتَهَى خِيَرِي

لَكِنَّنِي بِغَرَامِي فِيكَ لِي أَمَلٌ ... مِنَ اليَقِينِ بِأَنِّي مِنكَ بِالنَّظَرِ

كَم نَالَ مِنكَ العِدَى عَفواً وَنَائِلَةً ... ما شَأْنُ مَنْ رُوحُهُ بِالحُبِّ في سُعُرِ

صِدقُ الهَوَى فِيكَ يَنْتاطُ[3] الفَلاحُ بِهِ ... فَاقْبَلْ مُحِبَّكَ يا سَمْعِي وَيا بَصَرِي

مُضْناكَ، مُضْناكَ لا تُرْجِيءْ رَجَاوَتَهُ ... أَطْلَقتُ فِيكَ رَجَاءً غَيرَ مُقتَصِرِ

وَما أُنَادِيكَ عَنْ عُذْرٍ أُحَقِّقُهُ ... أَبُوءُ، وَيْلِي، بِذَنْبٍ غَيرِ مُنحَصِرِ

---

(1) يُقسِم بالحُبِّ في هذا البيت وصفا لقوة نار المحبة التي يُذكي شعلتها الحارقة بمنطوق الآية: «وما أدرَاكَ ما سَقر لَوّاحَةٌ لِلبَشَرِ».

(2) ملحوظة: تتوقف القصيدة وتنتهي عند هذا البيت في نسخة وزارة التراث والثقافة، ١٩٨٧م = [المنحولة، بدورها، من نسخة الشيخ صالح بن عيسى الحارثي، بعد حذف القصائد الوطنية، وكافة المدائح النبويّة الأخرى، مما يُدَلِّل على وجود موقف رسمي من مدائحه النبوية واستنهاضيّاته]، ويَبدو أن حذف كافة مدائحه النبوية (عدا أبيات هذه القصيدة التي انتهت بهذا البيت) ربما كانت أسبابه هي مُخالفته للرَّأي الإباضي الرَّسمي، لا سيّما أنَّ القصيدة تنحو في بقيّةِ الأبيات مَسلكَ المُتصوِّفة في التوسُّل بالنبي محمد (ص)، أما حذف الاستنهاضيات الوطنية فهو نتيجة موقف سياسي.

(3) ينتاط: يتعلق.

أوقرتُ[1] وِقْرَ الشَّقا حَتَّى خُذِيتُ لَهُ[2] ... والنفسُ مِنْ أَبحُرِ الغَفلاتِ في غَمَرِ

في شِرَّةِ السَّهوِ أجْرِي سَادِراً نَزِقاً ... لا أرْعَوِي عَن غِوَايَاتي لِمُزْدَجِرِ

تَسُوقُنِي نَزغةُ الشَّيطانِ مُنغمِساً ... في وَرْطَةٍ مِنْ غُرُورِ الزُّخْرُفِ الوَضِرِ[3]

يا سَائِقاً حُطَماً رِفْقاً بِسَائِمَةٍ[4] ... عَشْوَاءَ تَخْبِطُ مِنْ جَهْلٍ بمُعْتَكِرِ

نِضْوٍ بَرَاها الوَنَى نَدَّتْ بِمَقْفَرَةٍ[5] ... بَينَ السِّبَاعِ بلا مَاءٍ وَلا شَجَرِ

هَيهَاتَ لا يُقلعُ السَّوَّاقُ مِنْ مَلَلٍ ... وَلا المَسُوقُ عَنِ اسْتِرْسَالِ مُؤتَسِرِ

إلّا إذا عَصَمتْنِي مِنكَ عَاصِمَةٌ ... تُحِلُّنِي مِنكَ في أَمْنٍ وَفي وَزَرِ

يا مَنْ بِهِ سَلوَتي في كُلِّ وَاقِعَةٍ ... عَنْ كُلِّ كَائِنَةٍ في الوِرْدِ وَالصَّدَرِ

أدنى حُقُوقِكَ تَشْقِيقُ القُلُوبِ وَإِزْ ... هَاقُ النُّفوسِ مَتى تَخْطُرْ لِمُدَّكِرِ

يا مَنْ وَقَتْهُ السَّحَابَ الحُرَّ تابعةٌ ... لِذاتِهِ في حُلُولِ الرَّكْبِ وَالسَّفَرِ

يا مَنْ بِهِ بَشَّرَتْنا الأنبياءُ وَكَمْ ... شَدَتْ بِهِ الجِنُّ في بَدوٍ وفي حَضَرِ

يا مَنْ بِهِ أَخبَرَ الكُهَّانُ وَهْوَ عَلَى ... أَرَائِكِ الغَيْبِ لم يَبْدُرْ مِنَ السُّتُرِ[6]

يا مَنْ تَقَدَّمَ نُوراً في حَظَائِرِ نُو ... رِ اللهِ حَتَى تَلَقَّاهُ أَبُو البَشَرِ

فلم يَزلْ تَتَلَقَّاهُ الكِرَامُ على ... طَهَارَةِ الشَّرْعِ حتى حَلَّ في مُضَرِ

وَمِنهُ في صُلْبِ إلْيَاسٍ فَأَسْمَعَهُ ... في الصُّلْبِ لَبَّيكَ بَينَ الرُّكْنِ وَالحَجَرِ

حتى تَهَلَّلَ في مِشْكَاةِ آمِنَةٍ ... يا أُخْتَ زُهْرَةَ حِزْتِ النُّورَ فازْدَهِرِي[7]

---

(١) أوْقرت: حمَلْت حِملا ثقيلا || في الدّارج العُماني: وَقْر حطَب؛ أي: وِقْر = حِمْل.

(٢) خُذِيتُ لَه: خضعت وانقدت له.

(٣) الوَضِر: الوَسِخ.

(٤) الحُطَم: راعي الدابة الشديد العَسُوف || السّائمة: الدابّة المتروكة للرعي دون أن تُعْلَف.

(٥) نِضْو: الدابة الهزيلة || الوَنى: الضعف والتعب.

(٦) أرائك: جمع أريكة؛ وهي المقعد المُنجّد المُريح للنوم والجلوس. ملحوظة: حديثه في هذا البيت والأبيات السابقة عن الإشارات الدالة على ظهور النبي محمد كروايات كُهّان النصارى بقرب ظهوره، والمُلفت هو تعبيره الشعري البديع: (أرَائِك الغَيْب) التي كان الرسول مُستريحاً عليها قبل ظهوره الدُّنيوي.

(٧) آمنة: أم الرسول، آمنة بنت وهب بن عبد مناف. ملحوظة: ورد في الذكر الحكيم من سُورة=

وَزَارَهـا أَنْـبِـيـاءُ اللهِ قَـاطِـبـةً فَبَشَّرُوها بِهِ في نَوْمَةِ السَّحَرِ
وَكَمْ لها مِنْ خُصُوصَاتٍ وَخَارِقَةٍ في حَمْلِهِ شَاهَدَتْهَا رُؤيَةُ البَصَرِ
وَلِلخَوَارِق في لَوْحِ الوُجُودِ لَهُ في بُرْهَةِ الحَمْلِ شَأنٌ غَيرُ مُسْتَتِرِ
ما صَدْعُ إيْوَانِ كِسْرَى في تَزلْزُلِهِ إلّا لِنازِلَةٍ مِنْ مُعْجِزِ القَدَرِ
وهيَ التي طَيَّرَتْ إِكْليلَ مَفْرِقِهِ يا طَيرُ قَدْ عِشْتَ دَهْراً قَبْلُ لمْ تَطِرِ
وَما لِسَاوَةَ غَاضَتْ هَلْ تَقَيَّلَهـا وَادِي سَمَاوَةَ حَتى فَاضَ بالقَفَرِ[1]
وَما دَهَى النارَ مِنْ خَطْبٍ إذ انْطَفأتْ يا نارُ في كَبِدِ الإِشْرَاكِ فَاسْتعِري[2]
حتى إذا آنَ إتْحَافُ الوُجُودِ بِهِ وَأن يُبَاشِرَهُ بِالفَوزِ وَالظَّفَرِ
تهلّلَ العَرْشُ وَالكُرْسِيُّ وَالمَلأُ الـ أعلى وَزُخْرِفَتِ الجَنَّاتُ بالبُشَرِ
وَجاءَ جِبْرِيلُ بالتَّمْجِيدِ مُبْتَدِراً مَشَاعِرَ اللهِ وَالأمْلاكِ في زُمَرِ
وَحَفَّتِ الحُورُ وَالعَذْرَاءُ مَرْيَمَ وَالـ غَرَّاءُ آسِيَةٌ في الدَّلِّ وَالخَفَرِ[3]
بِبِنْتِ وَهْبٍ وَرَوحُ اللهِ يَمْسَحُها بالرُّوحِ وَالنُّورِ مِنْ أنْفاسِهِ العُطُرِ
وَالبَيتُ يَهْتَزُّ وَالأَمْلاكُ خَافِقَةٌ شرقاً وَغرباً وَكَوْنُ اللهِ في حَبَرِ[4]
تنزَّلتْ في غَوَاشِي الرُّوحِ لائِحَةُ الـ إِذْنِ الإِلَهِيِّ بَينَ الفَجْرِ وَالسَّحَرِ
فَأبْرِزَتْ دُرَّةُ الأكْوَانِ ذاتُ صَفِـ ـيِّ اللهِ سَاجِدةً للهِ في العَفَرِ
فليتني ذرَّةٌ مِنْ تُرْبَةٍ لَمَسَتْ آرَابَهُ[5] في سُجُودٍ غَيرِ مُبْتَكَرِ

=الشُّعَراء: الذي يَرَاكَ حِينَ تقوم [٢١٨] وتَقَلُّبَكَ في السَّاجِدِين [٢١٩]، وهي آية أخذها بعضُ المُتصَوِّفة إلى المأخذ الذي يسيرُ عليه الشاعر في هذه الأبيات حذو النعلِ بالنعل.

(١) ساوة: بحيرة كثيرة الماء في العراق غاضت/ جفت لدى مولد الرسول ـ سَمَاوة: واد في جزيرة العرب قليل المياه فاض ساعة المولد النبوي. وتساؤل البيت: هل انتقلت المياه من بحيرة ساوة إلى وادي سماوة القاحل؟

(٢) الإشارة إلى نار المجوس التي لا تنطفئ في معابدهم، لكنها خمدت، على غير عادتها، عند ميلاد الرسول.

(٣) آسية بنت مزاحم، زوجة فرعون موسى، وفقاً للروايات الإسلامية.

(٤) حَبَر: من الحُبُور؛ وهو البشاشة والابتهاج.

(٥) آراب: جمع إرْب، وهو العُضو من الإنسان والحيوان ـ يُقالُ: قطّعه إرْباً إرْباً؛ أي عُضواً عُضواً.

فـي عَـالَـم الـنُّـورِ لـم تَـفْـتُـرْ مَـسَـاجِـدُهُ مِـنـهُ، فَـلا تَـفْـتَـكِـرْ فـي عَـالَـمِ الـصُّـوَرِ[1]

بـالـقَـولِ مُـجْـدَ عِـيـسَـى وَالـحَـبِـيـبُ أتـى بـالـقَـولِ وَالـفِـعْـلِ فـي الـتَّـمْـجِـيـدِ بِـالـصِّـغَـرِ

مَـوَاهِـبُ اللهِ فـي تَـمْـجِـيـدِهِ حَـصَـرَتْ لَـهُ الـكَـمَـالاتِ فـي أَطْـوَارِهِ الـزُّهُـرِ

فـلا كَـمَـالَ لِـمَـخْـلُـوقٍ وَلَـيـسِ بِـهِ وَإنـمـا فَـاضَ مِـنـهُ الـفَـيْـضُ لِـلـفِـطَـرِ

لا عَـرْشَ لا فـرَشَ لا كُـرْسِـيَّ لا مَـلَـكـاً لا إنـسَ لا جِـنَّ لـم يَـمْـدُدْهُ بِـالـخِـيَـرِ

أَبٌ لِـكُـلِّ وُجُـودٍ أَصْـلُ مَـبْـدَئـهِ مِـنـهُ، وَمِـنـهُ مِـدَادُ الأنـفُـسِ الـطُّـهُـرِ

لا بِـدْعَ أنْ تَـغْـمُـرَ الأكْـوانَ رَحْـمَـتُـهُ لأنـهـا مِـنـهُ كـالأَغْـصَـانِ لِـلـثَّـمَـرِ

مـاذا عَـسَـى بـالِـغـاً إِطْـرَاءُ مِـدْحَـتِـهِ دَقِـيـقَـةُ الأمْـرِ لـم تَـخْـطُـرْ عَـلَـى الـفِـكَـرِ

أَقْـصَـى الـمَـدَائِـحِ فـي تَـمْـجِـيـدِهِ حَـسَـرَتْ وَشَـأْنُـهُ فـي الـمَـعَـالِـي غَـيـرُ مُـنـحَـسِـرِ

وَإنـمـا يُـؤخَـذُ الـتَّـوْصِـيـفُ مِـنـهُ كـمـا يَـشـتَـفُّـهُ الـطَّـيـرُ وَسْـطَ الـبَـحْـرِ مِـنْ قِـطَـرِ[2]

مـا لـلـمَـعَـاجِـزِ قَـدْرٌ فـي مَـرَاتِـبِـهِ الـشَّـأْنُ أَغْـنَـى عَـنِ الـتَّـذْلِـيـلِ وَالـنَّـظَـرِ

مَـجْـدُ الـرِّسَـالَـةِ وَالـشـأنُ الـمُـضَـافُ لَـهُ شَـهَـادَةُ اللهِ أَغْـنَـتـهُ عَـنِ الـعِـبَـرِ

عِـزُّ الـمَـكَـانَـةِ عِـنـدَ اللهِ مُـتَّـصِـلٌ بِـحُـجَّـةِ اللهِ لا تَـسْـبِـيـحَـةِ الـحَـجَـرِ[3]

وَإنَّـمـا سِـيـقَـتِ الآيَـاتُ تَـكْـرِمَـةً لَـهُ وَتَـبْـصِـرَةً لِـلـسَّـيءِ الـبَـصَـرِ

بَـصَـائِـرٌ جَـهَـرَتْ[4] أَبْـصَـارَ جَـاحِـدِهـا يَـخْـفَـى لَـدَيـهِـنَّ ضَـوءُ الـشَّـمْـسِ وَالـقَـمَـرِ

---

(١) مساجده: أماكن سجوده. أي أنَّ أماكن سُجوده في عالم النور قبل ولادته لم تتوقف، فما بالك بمساجده في الصُّور، أي بعد خلقه وولادته.

(٢) ما يشتفُّهُ الطير: ما يرتشفه منقاره || قِطَر: جمع قطرة.

(٣) ملحوظة: ورد البيت في الأصل المُعتمد كما أثبتناه، وبه استصغار للأقوام التي تعبد أطياف آلهتها الحجرية المسبحة مقارنة بعز مكانة الرسول المتصل بحجة الله. لكن البيت ورد في أحد المصادر كالتالي: «عِزُّ المكانة عند الله متَّصِلٌ | بحُجَة الله في تسْبيحة الحَجر»، متبوعاً بشرح يفيد أن تسبيحة الحجر بين يديه واحدة من معجزات الرسول، وفي ذلك إيغال لا نعتقد أن الشاعر قصده. لذلك اعتمدنا الصِّيغة الأصْل، والهدف من ثبتنا للصيغة الأخرى، في الهامش، هو إتاحة الفرصة كي يطلع عليها مَنْ تستهويه ويَمِيلُ إلى صِياغتها.

(٤) بحُسن نيَّةٍ بيِّن، حُرِّفت «بَصائرٌ جَهَرَت» في المصدر المُشار إليه في الهامش أعلاه، لتصِيرَ «بَصائرٌ بَهَرَت»، كما حُرِّفت في مصدر آخر لتصير: «بصائرٌ جحدت»؛ والحقيقة أن أبا مُسْلم دقيق في=

لو لم يَكُنْ غَيرَ إعْجَازِ البَلاغَةِ في الـ | ـذِّكْرِ الحَكِيمِ لِطَوعِ الجِنِّ وَالبَشَرِ
أَتَى وَلِلبُلَغَاءِ اللُّسْنِ عَارِضَةٌ | فَصَكَّ ثَغْرَ بَيَانِ القَوْمِ بالحَجَرِ [1]
وَاسْتَيْقَنوا أنَّ خَلْقاً لا يَجِيءُ بِهِ | وَأَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ طَاقَةِ الفِطَرِ
وَحِينَ أَبْهَتَهُم حَادَتْ شَكَائِمُهُم | بَغْياً وَعَدْواً إلى الإِلْحَادِ وَالأَشَرِ
فقال بَعْضُهُمُ سِحْرٌ وَبَعْضُهُمُ | سَجْعٌ وَبَعض أَسَاطِيرِ مِنَ الزُّبُرِ
تَنَافَرُوا عَنْ هُدَى مَولاهُمُ وَهُمُ | على بَصِيرَةِ عِلْمٍ نَفْرَةَ الحُمُرِ [2]
وَعَانَدُوا إذْ تَحَدَّاهُم بِهِ حَسَداً | مِنْ عِندِ أنفُسِهِم رَمْياً بلا وَتَرِ
فكانَ جَهْدُ تَحَدِّيَاهُمْ مُسَاوَرَةَ الـ | ـبِيضِ القَوَاضِبِ إذ خَامُوا عَنِ السُّوَرِ
فَصَكَّهُم سَيفُ جَبَّارٍ بِكِلْمَةِ جَـ | ـبَّارِ السَّمَاءِ عَلى الأَجْيالِ مُنْتَصِرِ
فَاجْتثَّ أَثْلَتَهُمْ سُلطَانُ سَطْوَتِهِ | بِصَوْلَةٍ مِنْ جَلالِ اللهِ فِي وَزَرِ [3]
بِصَارِمٍ فِي يَمِينِ اللهِ قَائِمُهُ | كأَنَّما صِيغَ حَدَّاهُ مِنَ القَدَرِ [4]
كم فَيلَقٍ جَرَّهُ مِنْ تَحتِ رَايَتِهِ | جُيُوشُ جِبريلَ فَوقَ الشُّزَّبِ الضُّمُرِ [5]
مُسَوَّمِينَ بنورِ اللهِ يَقْدُمُهُم | حَيزُومُ وَالمَلأُ الأَعْلَى على الأثَرِ
يُبَاشِرُونَ الوَغَى بُلْقاً خُيُولُهُمُ | صُفراً عَمَائِمُهُم في قَالبِ البَشرِ

=تعبيره مهما بدا في مِجْهَر المُحَقِّق المُتسرّع من أوَابِدِ الكلام التي لا تستقيم إلّا بفرقة إنقاذ نحويّة لتقويمها. جَهَر الشيءَ: رآه بلا حِجاب. وجَهَرَ الجيشَ والقومَ: كثروا في عينه. وجَهَرَتِ الشمسُ فلاناً: حَيّرت بصره منها فلم يُبصِر. وفي حديث عليٍّ في صِفته صلى الله عليه وسلم: «لم يكن قصيراً ولا طويلًا، وهو إلى الطول أقرب. مَنْ رَآهُ جَهَرَه».

(١) اللُّسن: الفصَحَاء || صَكَّ ثغرَ بَيان القوم بالحَجر: ألْقمَ أفواهَهُم المُتفاصِحَة ببيانها وبلاغتها حَجَراً ثقيلا مِن بيان وبلاغة وفصاحة القرآن.
(٢) نفرة الحُمُر: خوف وجزع قطيع من الحمير في فلاة.
(٣) الأثلة: الأصل والمجد والثراء والمتاع والأهبة والعُدّة ـ لامرئ القيس: ولكِنَّما أسعى لمَجْدٍ مُؤثَّلٍ | وقد يُدركُ المَجْدَ المُؤثَّلَ أمثالي.
(٤) ملحوظة: البيت تتمة لسابقه، وهو من النماذج الرّفيعة في شعر أبي مُسْلم الذي اجْتثَّ أثلة الكفار بسيفٍ مِقبَضُهُ في يَدِ الله وحَدَّاهُ القاطعان صِيغا من قَدَرِهِ.
(٥) الشُّزَّب الضُّمُر: الأحصنة السريعة المُضَمَّرة المُروَّضة.

نِعْمَ الكَتائِبُ رُوحُ الحَقِّ سَيِّدُها … وَالرُّوحُ جِبريلُ مِنْ فُرْسَانِها الزُّمُرِ

أجلَتْ وَغاها وَخَيْلُ اللّاتِ ضَاحِيَةٌ … على الظَّوَاهِرِ وَالقِيعانِ كالجُزُرِ

أشلاءُ دَفَّتْ عليها الفُتْخُ وَانْتَهَبَتْ … أوْصَالَها السِّيدُ بَعدَ البِيضِ وَالسُّمُرِ (1)

يا نَخوةَ اللاتِ وَالعُزَّى خُزِيتِ وَيا … جَبْرِيَّةَ الشِّرْكِ جَاءَ اللهُ فانْكَسِري

وَيا بَني الجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ حَسْبُكُمُ … مِنْ رَمْيَةِ اللهِ في الدُّنيا وَفي سَقَرِ

ويا مُثَلَّثَةَ اللاهُوتِ قد كَسَرَ اللهُ … الصَّلِيبَ بِهَذا الصَّارِمِ الذَّكَرِ

وَيا مُعَطِّلَةَ التَّكْوِينِ قَدْ بَهَرَتْ … قَضِيَةُ اللهِ شَأنَ الدَّهْرِ فانْدَحِري

بالهَاشِمِيِّ الذي نَادَتْ بِهِ الصُّحُفُ … الأولى مُبَشِّرَةً في سَالِفِ العُصُرِ

جَاءَ المُشَفَّعُ وَالأجْيَالُ تَعْرِفُهُ … بِنَعْتِهِ عَنْ لِسَانِ الرُّسْلِ وَالزُّبُرِ

جَاءَ المُشَفَّعُ جَاءَ النُّورُ مُبتَدِراً … لم يَأتِ إلّا لِمَولاهُ وَلم يَذَرِ

جَاءَ البَشيرُ النَّذِيرُ السَّيدُ الصَّمَدُ الـ … ـبَرُّ الكَرِيمُ المُرَجَّى خِيرَةُ الخِيَرِ

يَهْدِي إلى اللهِ لا تَثْنِيهِ كَارِثَةٌ … عَنْ أمْرِهِ مِنْ غُمُومِ الأزْمَةِ النُّكُرِ

يَدعُو إلى اللهِ فرداً في عَوَالِمِهِ … بِعَزْمِ مُضْطَلِعٍ للهِ مُصْطَبِرِ

أتى على فَترَةٍ وَالدِّينُ مُشْتَرَكٌ … بَينَ الكَوَاكِبِ وَالأمْلاكِ وَالحَجَرِ (2)

فَقَامَ للهِ لا يَألُو مُجَاهَدَةً … فيهِ حَنِيفاً على السَّراءِ وَالضَّرَرِ

حتى اسْتقامَتْ لَهُ في الكَوْنِ سَيطَرَةٌ … مِنْ فِطْرَةِ اللهِ بينَ العِزِّ وَالظَّفَرِ

حَنيفَةٌ سَمْحَةٌ بَيْضَاءُ نَيِّرَةٌ … إلى القيامة في أمْنٍ مِنَ الغِيَرِ

يَحْمِي حِمَاها مَليكُ الأنبياءِ أبِـ … ـيُّ الضَّيْمِ حَياً وَمَيتاً مِنهُ في وَزَرِ

لَيثُ الرِّسَالةِ صِنْدِيدُ المَلاحِمِ سُلْـ … ـطانُ العَوَالِمِ مَولى سَائِرِ الفِطَرِ

شَمسُ النُّبُوَّةِ إجْلالاً وَمَرْتَبَةً … لولاهُ قِندِيلُ جِنْسِ النُّورِ لَم يُنِرِ

---

(1) الفُتْخ: العُقبان الجارحة || السِّيد: الآساد والسباع || البيض والسُّمر: السيوف والرماح، على التوالي.

(2) فحوى البيت: ظهور النبي محمد بدينه الجديد في فترة كان الناس يعبدون فيها الشموس والأحجار وما إليها من آلهة لا تُسمِنُ ولا تُغني.

مُحَمَّدٌ عَاصِمُ الكَوْنَيْنِ فَاتِحُ كُـ ـلِّ الخَيرِ قَائِدُ كُلِّ البِرِّ وَالخِيَرِ

فَتحُ السعادةِ في الدَّارَيْنِ مَوْهِبَةٌ مِنهُ، وَإنعاشُ جَدِّ العَاثِرِ الذَّعِرِ

مُبارَكٌ رَحْمَةٌ لِلعَالَمِينَ بِهِ دَرْكُ الفلاحِ وَكَشفُ البُؤسِ وَالضَّرَرِ

مُهَيِّىءٌ لاخْتِصَاصٍ لا مَقامَ لَهُ في غَيرِهِ وَكَمَالٍ غَيرِ مُنْحَصِرِ

شَمسُ الكَمالاتِ الاسْمَائِيَّةِ انْبَسَطَتْ مِنهُ الكَمَالاتُ في كُنْهِيَّةِ الأَثَرِ

حَقِيقَةٌ عَكَفتْ فيها المَحَاسِنُ فالإِ بْدَاعُ مُنْدَهِشٌ مِنْ حُسْنِهَا النَّضِرِ

عِزٌّ تَرَقَّى بِعِلِّيِّينَ رِفْعَتُهُ بِمُشْرِقِ المَجْدِ وَالأَدْوَارُ لم تَدُرِ

وَلا يَزالُ تَرَقِّيهِ لِغَيرِ مَدَى يَسْمُو المَرَاتِبَ مِنْ أُولَى إلى أُخَرِ

وَلَنْ تَزَالَ على الأَعْيَانِ فَائِضَةً فُيُوضُ رُحْمَاهُ بالآصَالِ وَالبُكُرِ (١)

مُحَمَّدِيَّتُهُ البَحْرُ المُحِيطُ فَمِنْ فِيَاضِهِ رَحْمَةُ الدَّارَيْنِ لِلفِطَرِ

إنْ غَابَ شَخْصاً، فَمَا غَابَتْ شَهَادَتُهُ الكَوْنُ مِنهُ مَحَلُّ السَّمْعِ وَالبَصَرِ

سَرَتْ عِنَايَتُهُ في كُلِّ نَاشِئَةٍ وَرُوحُهُ سَرَيَانَ المَاءِ في الشَّجَرِ

مِهَادُ رَأْفَتِهِ عَدْنٌ وَنَحْنُ بِهَا في مِقْعَدِ الصِّدْقِ نَحيا عِنْدَ مُقْتَدِرِ

مُحَصَّنِينَ بِحِصْنٍ مِنْ رِعَايَتِهِ مُستَعْصِمِينَ بِهِ في الصَّفْوِ وَالكَدَرِ

مُخَلَّصِينَ بِهِ في عِزِّ مِلَّتِهِ مِمَّا نُحَاذِرُ في الدَّارَيْنِ مِنْ خَطَرِ

نَصِيرُ دَعْوَتِهِ يَحْمِي حَفَائِظَنَا فَنَحْنُ مِنْ عِزَّةِ الإيمانِ في وَزَرِ

طُوبَى لَنا، قَدْ جُعِلْنَا أُمَّةً وَسَطاً خَيْراً شُهُوداً لِمَولانا عَلَى البَشَرِ (٢)

مُبارَكِينَ بِنُورِ الخَتْمِ تَنْفَحُنَا أَنْفاسُ أَحْمَدَ حَمَّادِينَ في الزُّبُرِ

نَمْشِي عَلَى سُنَّةِ الصَّدْرِ المُبَارَكِ مِنْ أَصْحَابِهِ المُهْتَدِينَ السَّادَةِ الطُّهُرِ

شَعْبٌ كَرِيمٌ قَدِيمُ الذِّكْرِ بَارَكَهُ نُورُ الرِّسَالَةِ في الأَسْرَارِ وَالسِّيَرِ

---

(١) في هذا البيت، يهمل الشاعر ويتحاشى استخدام التعبير المألوف: (ولا تزال..) مستعيضاً عنه بـ (ولن تزال) مُبالغةً منه في التعبير عن ديمومة فُيُوض رحمة الرّسول على الناس.

(٢) البيت ترجيعٌ للآية الكريمة: «وَكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً».

عِنايَةُ اللهِ خَصَّتْهُم بما سَبَقوا بِهِ البَرِيَّةَ مِنْ زُلْفى وَمِنْ خِيَرِ

في اللهِ جَدُّوا فَجَدُّوا في مَفاخِرِهِم وَمِدْحَةُ اللهِ فِيهِم حَسْبُ مُفْتَخِرِ

فَرُّوا إلى اللهِ وَاسْتَبَقوا بِجُهْدِهِمُ بَقِيَّةَ اللهِ ذُخْراً خَيرَ مُدَّخَرِ

وَجَرَّدوا النَّفسَ تَجْرِيدَ السُّيُوفِ فَلِلهِ النُّفُوسُ وَحَدُّ السَّيفِ لِلكُفْرِ

هَبُّوا لِدَاعِي الهُدَى وَالنُّورُ حَشْوُهُمُ ما بَينَ ذِي هِجْرَةٍ فِيهِ وَمُنْتَصِرِ

أُسْدٌ صَنادِيدُ في أَيْدِي عَزائِمِهِم طَيُّ الخُطُوبِ وَنَشْرُ الفَوزِ وَالظَّفَرِ

غُرٌّ أَيامِنُ أَنْضاءُ العِبَادَةِ في وُجُوهِهِم مِنْ سُجُودٍ نَيِّرُ الأَثَرِ

حَتَّى مَضَى المُصْطَفَى وَاللهُ يَمْدَحُهُم وَهُمْ لنا قَادَةٌ، وَالحَقُّ في وَزَرِ

نِهَايَةُ القَولِ فِيهِم أَنَّهُم بَشَرٌ فَازوا بما لم يَنَلْهُ سَائِرُ البَشَرِ

يا صَحْبَ أَحْمَدَ، يا أَنْصارَ حُجَّتِهِ وَالحَائِزِينَ مَقامَ القُرْبِ وَالنَّظَرِ

أَنْتُم شَفِيعِي إلى مَنْ لَيسَ يَحْجُبُكُم بَحْرِ الكَمَالِ عَظِيمِ الشَّأنِ وَالخَطَرِ

ما قَدْرُ مَدْحِي وَقَولُ اللهِ يَمْدَحُكُم لولا المَحَبَّةُ وَاسْتِمْدَادُ مُفتَقِرِ

عَسَاهُ يَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ لي، فَلَهُ شَفاعَةٌ وَسِعَتْ ما كَانَ مِنْ وَطَرِي

يا سَيِّدِي، يا رَسُولَ اللهِ قد وَصَلَتْ إليكَ حَالِي، فَصِلْهَا مِنكَ بالنَّظَرِ

فنظرَةٌ مِنكَ في حَالِي يَكُونُ بها فوزي بِرَبِّي وَإنقاذِي مِنَ الضَّرَرِ

يا سيدَ الرُّسلِ ضاقتْ كلُّ كائنةٍ «بناصِرٍ»[1] فلتكُنْ لِي خَيرَ مُنتصِرِ

وَإنْ يَضِقْ بِيَ أَمْرِي فهو مُتَّسِعٌ بِوُسْعِ جَاهِكَ في وِرْدِي وَفي صَدَرِي

هذا الرَّجاءُ، حَبيبَ الله، مُنبسِطٌ فابْسُطْ يَمِينكَ بالحُسْنَى إلى ضَرَرِي

يا رَبِّ صَلِّ وسلِّم عَدَّ ما وَهَبَتْ يَدَاكَ مِنْ نِعْمَةٍ في السِّرِّ وَالجَهَرِ

وَمِثْلَ نُورِكَ مِلءَ العَرْشِ مُنْبَسِطاً وَمِلءَ ما حَاطَهُ المَقْدُورُ مِنْ أَثَرِ

وَمِثْلَ حُبِّكَ أَقْوَاماً رَضِيتَهُمُ بِمُقتَضَى أَزَلِيِّ العِلْمِ وَالقَدَرِ

وَمِثْلَ حُبِّهِمُ إِيَّاكَ إذ خَلَصُوا فما لَهُم غَيرُ حُبِّ اللهِ مِنْ وَطَرِ

(١) يُشيرُ الشاعر إلى اسمه الأول: ناصر، مُستغلًا إمكان تفسيره المُزدوج: أي: «ناصِرٌ» النبي.

وَمِثْلَ أَضْعَافِ نُورِ المُصْطَفى رُتَباً وَمَجْدِهِ وَمَعَالِيهِ على البَشَرِ

على رَسُولِكَ مَولانا الحَفيِّ بنا مُحَمَّدٍ وَعلى أَوْلادِهِ الطُّهُرِ

وَآلِهِ وَجَمِيعِ الصَّحْبِ مَنْ شَهِدَتْ بفضْلِهِم أَبَدِياً أَلْسُنُ السُّوَرِ

أَنْمَى صَلاةٍ وَأَزْكَاها وَأَوْفَرَها مَوصُولَةَ الفَيْضِ وَالإِمْدَادِ في العُصُرِ

تَرْضَى بها سَيِّدي عَنِّي وَتُلْهِمُني رُشْدِي وَتَغْفِرُ لِي يا خَيرَ مُغتَفِرِ

وَتَجْعلُ الفَوزَ بالجَنَّاتِ جَائِزَتي بِفَضْلِها وَنَجَاتِي، رَبِّ، مِنْ سَقرِ

وَوَالِدَيَّ وَأَوْلادِي وَمَقْرَبَتِي وَالمُؤمِنينَ وَأَنْصَارِي وَمُؤْتَزِرِي

وَكُلٌّ مَاضٍ وَآتٍ وَالمُعَاصِرِ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَالقُوَّامِ بِالبَشَرِ

وَاجْعَلْ صَلاتِي لَهُ يا رَبِّ مُتَّصِلًا بِرُوحِهِ نُورُها كالنُّورِ بِالبَصَرِ

وَاجْعَلْ مَدِيحِي لَهُ ضَيفاً يَلُمُّ بِهِ يَعُودُ لِي عَنهُ بِالإِكْرَامِ وَالخِيَرِ

ما خَابَ رَاجِي رَسُولِ اللهِ في أَمَلٍ وَلا انْثنى عَنهُ إلّا قَاضِيَ الوَطَرِ

النشأة المُحمَّدية[*]

بَـلَغَ الـمَـدَى سَـفَـرٌ مِـنَ الآزَالِ ... بِـمَـوَاكِـبِ الأَعْـظَـامِ وَالأَجْـلالِ[1]

حَلَّ الـمُسَافِرُ بعد أَحقابٍ خَلَتْ ... مِـنْ سِيـرَةٍ سَبَقَتْ على جِبْرَالِ[2]

فـي طَـوْرِهِ بَـشَـراً لِيَـكْـمُـلَ أَمْـرُهُ ... وَتَـكُـونَ عَـنـهُ مَـرَاتِـبُ الإِكْـمَـالِ

بعد السُّرى بِمَجَامِعِ القُدْسِ التي ... طَابت بِـهِ فـي الـحِـلِّ وَالـتَّـرْحَـالِ

بَدَأَ الـمَسِيرَ، وَلَاتَ سِدْرَةَ مُنتهَى ... بَلْ قَـبْـلَ خَلْقِ الـعَـرْشِ بـالإِجْـمَـالِ

مـا زَالَ مِـنْ طَـوْرٍ لآخَـرَ يَـرْتَـقِـي ... حتى استَوَى بـالـهَيْكَلِ الصَّلْصَالِ

فَجَرَى تَـنَـاقَـلُهُ الـطَّـهَارَةُ وَالـصَّـفَا ... مِـنْ آدَمٍ وَإِلـى الـذَّبِـيـحِ الـتَّـالِي

حتى تَجلَّى مِنْ عُصَيْمَةِ عِصْمَةٍ ... مَـلِكُ الـوُجُـودِ وَصَفْوَةُ الـمُـتـعَـالِي

فَـتَـقَـبَّـلَتْ أُمُّ الـقُـرَى مِـنْ أُمِّـهِ ... أُمَّ الـكِـتَـابِ وَنـسْـخَـةَ الأَشْـكَـالِ

أَهْـلًا بـأكْـرَمِ نَـازِلٍ نَـزَلَتْ بِـهِ الـ ... ـبَـرَكَـاتُ فَـوقَ رَغَـائِبِ الآمَـالِ

أَهْـلًا بِـمَـحْـبُـوبِ الإِلَهِ وَمَـرْحَـبـاً ... بِـمُـبَـارَكِ الأَعْـمَـارِ وَالأَعْـمَـالِ

أَهْـلًا بِأَحْـمَـدَ حَيْثُ كَانَ مُحَمَّداً ... خَـلْقـاً وَخُـلْقـاً فـي هُـدىً وَكَـمَـالِ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت القصيدة في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال فيه صلى الله عليه وسلم)، وقد حُذفت بكاملها من طبعة وزارة التراث والثقافة.

(1) الأعظام: العُظماء || الأجلال: الأجلّاء.

(2) جبرال: جبريل؛ وأصلُها عبراني.

أهْلًا بِمَنْ خُلِقَ الوُجُودُ لأجْلِهِ ... سِرُّ الوُجُودِ وَفاتحُ الأقْفَالِ[1]

أهْلًا بِمُغْنِي العَالَمِينَ[2] بِجُودِهِ ... دُنْيا وَأُخْرَى غُنْيَةَ المِفْضَالِ

فَعَلَى يَدَيْهِ حُظُوظُهُم مَقْسُومَةٌ ... حتى السَّعَادَةُ قِسْمَةَ الأنْفَالِ

وَعَطَاؤُهُم مِنْهُ عَطَاءُ مُبَرِّرٍ[3] ... وَحُقُوقُهُم مِنْهُ حُقوقُ عِيَالِ

أهْلًا بِمَنْ نَزَلَ البَسِيطَةَ رَحْمَةً ... فالكُلُّ مِنْهُ على يَدٍ وَنَوَالِ

أهْلًا بِمَنْ رَقِبَ الوُجُودُ ظُهُورَهُ ... فَقْراً إلى مَعْرُوفِهِ الهَطَّالِ

وَافى مِنَ السَّفَرِ البَعِيدِ فَحَلَّ في الـ ... ـبَيْتِ الحَرامِ وَجَاءَ بالإهْلالِ[4]

إنْ حَجَّ مُعْتَمِراً فقد لبَّى لها ... في صُلْبِ إلْياسٍ بِصَوتٍ عَالِ

أهْلًا بِمَنْ لَمَسَ الوُجُودَ بِلُطْفِهِ ... وَشَفاهُ مِنْ مُتَكَاثِفِ الأعْلالِ[5]

أهلًا بِمَنْ مَسَحَ القُلُوبَ بِنُورِهِ ... فَتَقَدَّسَتْ مِنْ قَسْوَةٍ وَضَلالِ

أهْلًا بِمَنْ جَمَعَ المَعَاجِزَ كُلَّها ... في نَفْسِ مُعْجِزَةِ الكَلامِ العَالي[6]

بَلْهَ[7] المَعَاجِزَ مِنْ كَلامِ حِجَارةٍ ... وَحَيَاةِ أَجْزَاءِ الرُّفَاتِ البَالي

بَلْهَ المَعَاجِزَ مِنْ خَرِيرِ المَاءِ مِنْ ... بَيْنِ الأصَابِعِ أو زَكَاءِ المَالِ

---

(١) بالإمكان قراءة هذا البيت بطريقة أخرى، لكننا اعتمدنا القراءة التقليدية. وقراءتُهُ، اتِّباعاً لاختيار بعض المُتصَوِّفة، كالتالي:
أهْلًا بِمَنْ خَلَقَ الوُجُودَ لأجْلِهِ || سِرُّ الوُجُودِ وَفاتِحَ الأقْفَالِ.

(٢) وكذلك هذا البيت، إنْ استُبدِلَت قراءة: العَالَمِينَ بـ «العَالَمَيْنِ». مُلاحظات كهذه نضعها للتنبيه والتوكيد على انفتاح نَصِّ أبي مُسْلِم على عِدَّةِ قِراءات، وانطِوَائِهِ، في ذات الوقت، على أكثر مِنْ تأويل.

(٣) مُبَرِّر: بمعنى صاحب بِرّ.

(٤) الإهْلال: رفع الصوت بالتلبية للإحرام حجّاً أو عُمْرَة.

(٥) مُتكاثِف الأعلال: المتراكم من العِلل والأمراض - وردت (شَفاهُ) في الأصل المعتمد: (شكاهُ)، واعْتقدنا بتغييرها لتنسجم مع لُطْفِ اللمْسَةِ التي حَظي بها الوُجُود في صَدْرِ البيت. ومع ذلك، لا نعتقد بخُلوّ (شَكاهُ) مِنَ الصِّحَة.

(٦) المَعَاجز: المُعجزات على اختلاف أنواعها ومصادرها || الكلام العالي: القرآن الكريم.

(٧) بَلْهَ: اسمُ فعل بمعنى: دَعْ. يكون ما بعدها منصوباً. ومصدر، ويكون ما بعدها مجروراً. وتأتي بمعنى: كيف، ويكون ما بعدها مرفوعاً.

بَلْهَ المَعَاجِزَ مِنْ كَلامِ الوَحْشِ[1] وَالأ ... نْـعَـامِ وَالأشْـجَـارِ وَالأَطْـفَـالِ
بَلْهَ الـمَعَـاجِزَ لَيسَ يُحْصِي عَدَّهـا ... ذِكْـرٌ عَـلَى الإِطْـنَـابِ وَالإِيْـغَـالِ
بَـلْهَ الـمَـعَـاجِـزَ يَـومَ أَشْبَعَ جَيْشَـهُ ... صَـاعٌ[2] وَأَرْوَتْ رَكْـوَةُ الـسَّـلْسَـالِ
بَـلْهَ الـمَـعَـاجِـزَ سَـابِـقَـاتٍ قَـبْـلَهُ ... مِـنْ غَـيـرِهِ أو أَعْـقَـبَـتْ فـي الـتـالـي
فَـالـكُـلُّ مُـنْـتَـسِـبٌ إلـيـهِ أَصَـالَةً ... وَالحُكْمُ على التَّفْصِيلِ وَالإجْمَالِ
وَمَـنِ اسْـتَـقَـرَّ لَهُ الأمُـورُ كَـمَـا يَـشـا ... لا بِـدْعَ مِـنْـهُ خَـوَارِقُ الأحْـوَالِ
أَمْضَـى عـلى الـمَـنْفُـوذِ قُـدْرَةَ حَـاكِـمٍ ... مـا شَـاءَ كَـانَ بِـقُـدْرَةِ الـمُـتَـعَـالـي
في السَّلبِ وَالإِيجَابِ وَالإِعْدَامِ وَالإِ ... يْـجَـادِ وَالإِيْـثَـارِ وَالإِقْـلالِ
قُـلْ مـا تَـشَـاءُ وَحَـاشَ مَـجْـدُ اللهِ فـي ... تَـمْـجِـيـدِهِ لا تَـقْـتَـصِـرْ فـي الـقَـالِ
يـا سَـيِّـدَ الـرُّسْـلِ اسْـتَـقَـرَّ بـك الـرَّجَـا ... فـانْـزِلْ، فَـدَيـتُـكَ، رَاحِـمَ الـنُّـزَّالِ
انْـزِلْ، فَـديـتُـكَ، مُـرْتَـضَـى مُـتَـقَـبَّـلًا ... بِـكَ، مِـنْـكَ، فِـيـكَ بَـشـائـرُ الإقْـبَـالِ
انْـزِلْ، فَـديـتُـكَ، قـيِّـمـاً بـالـكـائـنـا ... تِ مُـسَـلَّـطـاً فـي الـقَـبْـضِ وَالإِيـصَـالِ
انْـزِلْ عـلى نُـزُلِ الـمَـحَـبَّـةِ وَالـصَّـفـا ... وَالـخُـلَّةِ[3] الـعُـظْـمَـى وَعَـرْشِ جَـلالِ
انْـزِلْ إِمَـامَ الاسْـتِـقَـامَـةِ وَالـهُـدى ... لِتُـقِـيـمَ شَـأْنَ الـمُـعْـوَجِ الـمـيَّـالِ
انْـزِلْ أَبـا الأَكْـوَانِ حَـافِـظَ شَـأْنِـهـا ... بِـمَـقَـامِ حِـفْـظِ الـلـيْـثِ لـلأشْـبَـالِ
مـا اخْـتِـيـرَ نُـورُكَ أن يَـكُـونَ مُـجَـسَّـداً ... إلّا لِمَـظْـهَـرِ رَحْـمَـةٍ وَجَـمَـالِ
سَبَقَتْ على غَضَبِ الكَرِيمِ الرَّحْمَةُ الـ ... ـعُـظْـمـى، فَـكُـنْـتَ وَكُـلُّ شَـيءٍ تَـالِ
مـا زِلْتَ فـي مَـلَكُـوتِـهِ مُـسْـتَـرْسِـلًا ... حـتـى ظَـهَـرْتَ لِرُتْـبَـةِ الإِرْسَـالِ
فَـمَـعَـاهِـدُ الـمَـلَكُـوتِ مُـذ فَـارَقْـتَـهـا ... أَلِفَـتْ حَـنـيـنَ الإِلْفِ كـالـمِـطْـفَـالِ

---

(١) الوَحش: ما لا يُستأنس من دَوابّ البَرّ.
(٢) الصّاع: مِكيالٌ تكال به الحُبوب كالبُرّ والقمح والأرز ـ الرَّكْوة: الدَّلْو الصغيرة، والإناء الصغير من الجلد يُشرَبُ فيه الماء/ السلسال.
(٣) الخُلَّة: الصُّحبة الصافية، ومنها: الخليل.

مـا فـي حَـنـيـنِ الـجِـذْعِ أَيُّ غَـرَابَـةٍ	إنْ حَنَّ مِثْلَ الـمُشْكَلِ المِغْوَالِ[1]

يـــا نُـــورَ أَوَّلِ قَـــبْـــضَـــةٍ أَزَلِيَّـــةٍ	مـا بِنتَ عَنـهُ وَلا الـرُّبُـوعُ خَـوَالِ[2]

لـكِـنْ نُـقِـلْتَ إلـى مَـقـام جُـمِّـعَـتْ	لَكَ فِـيـهِ فَـوقَ الـمُـرْسَـلِـيـنَ مَـعَـالِ

لَكَ حَـيـثُ كُـنـتَ وَكـيـفَ كُـنـتَ مَـزِيَّـةٌ	أَنْـــوَارُهـــا لـــلأنْـــبِـــيـــاءِ مَـــجَـــالِ

يـا لـيـلةَ الـمِـيـلادِ مـا أَظْـهَـرْتِ مِـنْ	مَــجْــدٍ وَمَــا أَبْــرَزْتِ مِــنْ إجْــلالِ

أسْـفَـرْتِ مِـنْ نُـورِ الـنَّـبِـي مُـحَـمَّـدٍ	وَمَــحَــوتِ آيَــةَ لِـيـلِ كُـلِّ ضَـلالِ

فَـفَـضُـلْتِ حـتـى لَيـلَةَ الـقَـدْرِ الـتـي	هـي لـلـكـتـابِ مَـظِـنَّـةُ[3] الإنْـزَالِ

وكُـسِـيـتِ مِـنْ حُـلَلِ الـبَـهَـاءِ كَـرَامَـةً	لـلـمُـصْـطَـفـى مـا لَـمْ تَـنـلْهُ بِـحَـالِ

سُـدْتِ الـزَّمَـانَ وَكُـنـتِ فِـيـهِ غُـرَّةً	حـتـى الـلـيـالـي سَـادَهُـنَّ لَيَـالِ[4]

بُـشْـرَى لأُمَّـتِـهِ حَـبَـاهـا جَـاهُـهُ	شَــرفـاً عـلـى مُـتـقَـدِّمِ الأجْـيَـالِ

وَبِذِكْـرِهـا الـمَـحْـمودِ في كُتُـبِ السَّـما	وَطَــهَــارَةِ الأخــلاقِ وَالأعــمَــالِ

وبِدِيـنـهـا الـسَّـهـلِ الـحَـنـيـفِ وَكَـوْنِـهـا	مـا حُـمِّـلَتْ إصْـراً مِـنَ الأحْـمَـالِ

وَبِـبَـعْـثِـهِـم بِـوُضُـوئِـهِـم أَنْـوَارُهُـم	غُـرَرٌ وَفـوقَ مَـواضِـعِ الأحْـجَـالِ

وَبأنَّـهـا الـوَسطُ الـسَّـوَاءُ الـعَـدْلُ فـي الـ	ـنِّـيـات وَالأقــوالِ وَالأفــعــالِ

وَلـهـا الـخَـصَـائِـصُ كـالـشَّـهَـادَةِ وَالـشَّـفـا	عَــةِ بَـعــدَهُ وَالــفَــيءِ والأنــفـالِ

وَبــأنَّ عَــالِـمَـهـا الـتَّـقِـي مُـشَـبَّـهٌ	بـالأنـبـيـا فـي الـهَـدْيِ وَالإيـصَـالِ

(١) يُروى أن الرسول كان يخطب خطبة الجمعة متكئاً على جذع نخلة، فلما بُني المنبر بكى الجذع لفراقه فنزل الرسول من منبره وضم الجذع مهدهداً إياه كالطفل.

(٢) بِنْتَ: فارقتَ، ويقصد الجذع سابق الذكر والرُّبوع التي لم تخلُ منه رغم ارتفاعه إلى [البيت التالي] مقام جُمعت له فيه المعالي، دون المرسلين الآخرين، لأنه وحده نور القبضة الأزلية، وفي هذا تصوير شعري أخاذ في الإعلاء من مقام ممدوحه محمد (ص).

(٣) مَظِنَّةُ الشيء: موضعه ومألَفُهُ الذي يُظنُّ كونُهُ فيه، جمعها: مَظَانّ.

(٤) في هذا البيت تصوير شعري جماله مُضمر، فالشاعر لا يقصد أن اليالي سادتهن ليال لشدة سطوع ليلة الميلاد التي كانت غُرّة الزمان؛ بل قصد انتشاء الليالي الأخرى بليلة الميلاد، وليال ـ إن راق لنا التأويل حسب مرجعيات المُتصَوِّفة ـ جمعٌ لـ (ليلى الخمرِ): وهي نشوتها وبدء سُكرها.

وبـأنـهـا مَـرْحُـومَـةٌ بِـنَـبِـيِّـهـا مِـنْ أَخْـذِهـا بـالـخَـسْـفِ وَالـزِّلْزالِ

يا وِجْهةَ الأكْوَانِ جاهُك عِصْمَتي وَبِـهِ الـتِيَاذِي حِـينَ ضَـاقَ مَـجَـالـي

يا مُصْطفى اللهِ العَظيمِ انْظُرْ إلى أمَـلِي، وَلا تَـنْـظُـرْ إلـى أعْـمَـالـي

وَافيتُ بَابَكَ بالخَطايا رَاجِياً حَـطَّ الـذي أوْعَـيـتُ مِـنْ أثـقـالـي

مُسْتشْعِراً حَقَّ اليَقينِ بأنَّ مَنْ وَافـاكَ لـم يَـرْجِـعْ بـغـيـر نَـوَالِ

مَـوْلاي: آمَـالي إلـيـكَ جَـلِيـلـةٌ وَشَـكِـيَّـتِـي ذَنْـبـي وَرِقَّـةُ حَـالي

مَوْلاي: مـالـي غَـيـرُ بَابكَ وِجْـهَـةٌ فإليكَ في حَاجِي[1] أحُطُّ رِحَالي

مولاي: أوْحَشَنِي اقْتِرَافٌ هائلٌ وَعَـظـيـمُ جَـاهِـكَ دَافِـعُ الأهْـوَالِ

مَوْلاي: ضَاقَ بيَ الفَسِيحُ خَصَاصةً وَإلـيـكَ رَفْـعُ يَـدِي وَبَـسْـطُ سُؤالـي

مَوْلاي: عَفْوُ اللهِ أسْنَى مَقْصِدِي وَبِـكَ الـوَسِـيـلَةُ لا حَـمِـيـدُ فِـعَـالـي

مَـوْلاي: لـم أحْـمَـدْ لِنَفسِـي خَـلَّةً لا شَـيءَ إلّا مـا يَـشِـيـنُ خِـلالِي

مَوْلاي: عِشتُ على المَعَاصِي غافلاً بِـيَـدِ الـهَـوَى عَـمَّـا إلـيـهِ مَـآلِي

مَـوْلاي: إنْ أحْـمَـدْ لِسَـعْـيِـي ذرَّةً فـهـو الـرَّجَـاءُ بِـهِ عَـقَـدْتُ حِـبَـالـي

مَوْلاي: لَستُ على حِقيقةِ صَالحٍ إنْ عِشتُ بَينَ هَوَايَ في اسْتِرْسَالِ

مَـوْلاي: تُـبْـتُ مَـتـابَ عَـزْمِ إنَـابَـةٍ بِـنَـدَامَـةٍ قَـطَـعَـتْ عُـرَى أوْصَـالـي

مَوْلاي: قَدْرُكَ لا يَضِيقُ بِحَالتي وَعَـظـيـمُ جَـاهِـكَ طَـالَ كُـلَّ مَـطَـالِ

مَوْلاي: فاشْفعْ لي وَأنتَ زَعِيمُها قَـبـلَ الـنَّـكَـالِ، وَلاتَ حِـيـنَ مَـزَالِ

مَوْلاي: وَانْظُرْ في خَصَائِصِ فَاقتِي إنِّـي اعْـتَـمَـدْتُ عَـلـيكَ فـي أحْـوَالـي

مَـوْلاي: أغْـيَـتـنِـي حَـوَادِثُ جَـمَّـةٌ مـا لـلـحَـوَادِثِ، مـا لَـهُـنَّ وَمَـالـي

مَـوْلاي أدْرِكْـنِـي وَحُـلَّ عُـقـودَهـا إنِّـي عـلـى دَاءٍ بِـهِـنَّ عُـضَـالِ

أيْـقَـنْـتُ أنَّـكَ يـا رَسُـولَ اللهِ إنْ تَـفْـرُغْ لَهَا ذَهَـبَـتْ كَـطَـيـفِ خَـيَـالِ

وَمِـنَ الـحَـقـائِقِ أنَّ جَـاهَـكَ شَـامِـلٌ دُنْـيـا وَأُخْـرَى مُـطْـلَقَ الآمَـالِ

---

(١) حَاجِي: حَاجَتي.

وَمِنَ الحَقائقِ أنَّ جُودَكَ كافلٌ بِجَوامِعِ الخَيراتِ وَالأفضالِ

وَمِنَ الحَقائقِ أنَّ بَعْثَكَ رَحْمَةٌ لِلعَالَمِينَ مُحبِّهِم وَالقالِي

ألِفتْ حَبيبَ اللهِ نحو مَطالِبي نَظَرَ الرَّحِيمِ وَرَأفةَ المِفْضَالِ

وَاسْألْ ليَ الغُفْرانَ مِنْ رَبِّي فقد أذْنبتُ في الأفعالِ وَالأقوالِ

وَانْظُرْ لأمَّتِكَ الضَّعِيفةِ إنها أضْحَتْ مَصِيدَ الذِّيبِ وَالرِّيبَالِ

دَامَتْ عَلَيكَ صَلاةُ رَبِّكَ، وَالسَّلا مُ مُبَارَكاً أبَداً وَكُلُّ الآلِ[1]

---

(١) في هذا المقام اختص النبي بصلاة الرَّبّ، إذ لم يقل كعادته في مواضع أخرى: دامت عليك صَلاةُ رَبِّي، بل: دامت عليك صَلاةُ رَبِّكَ.

القلائد الدُّريَّة
في مدح خير البَريَّة[*]

أشَمسٌ أضَاءَتْ أمْ سَنا وَجهِ عَزَّةٍ ... وَلَيلٌ سَجى أم حَالِكَ الفودِ أبْدَتِ
بَريقُ الثنايا لاحَ أم بَرْقُ عَارِضٍ ... فَهيَّجَ بَلْبَالي وَشَوقِي وَلَوْعَتي
تَمَنيتُ مِنْ دَهرِي أفوزُ بِنَظْرةٍ ... إليها، فَهَلْ لِي أنْ أفُوزَ بِمُنيَتي
ثَبتُّ على صِدقِ الوِدَادِ فما انْثنتْ ... وَلَكِنَّها شحَّتْ عَلَيَّ بمُهْجَتِي
جَرَى جُودُ دَمْعِي يَومَ جدَّتْ[1] جِمَالُها ... فَجدَّدتُ صَبْراً عِندَ ذاكَ لِمِحْنتِي
حَلا حَيُّهَا فِي خَاطِرِي مِثل ما حلا ... ضَرِيبٌ لِظَمْآنٍ، وَإنْ هِيَ وَلَّتِ[2]
خَرُودٌ مَيُودٌ طَرْفُها طَرْفُ جُؤذَرٍ ... بِهِ سَلَبَت قَلْبَ الحَلِيمِ وَتبَّتِ[3]
دَمِي سَفَكَتْ هَذراً وَفي حُكْمِ وُدِّها ... حَلالٌ لها سَفْكُ الدِّمَا إنْ تجلَّتِ

(*) وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال فيه صلى الله عليه وسلم)، وكسابقتها حُذفت من طبعة وزارة التراث والثقافة. إشارة: يُلاحَظ أن أبيات هذه القصيدة من الأول حتى السابع والثلاثين قد رتبت تسلسلًا وفق حروف المعجم: ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر إلخ

(١) جدّت: أسرعت في مسيرها.

(٢) في الأصل المُعتمد، وردت: حلا حَيُّها، أي الحَيّ الذي أقامت به؛ وهو ما نميلُ إليه رغم أن بعض الشرّاح اعتبروها خطأً مطبعياً وصَوَّبوا الجُملة لتصير: «حلا حُبُّها» || ضَرِيب: اللبن المَخلوب من نُوق مختلفة في إناء واحد.

(٣) الخرود: البِكْر العذراء ذات الحياء || الميود: المتثنية المتمايلة كالخيزران في مشيتها || الجُؤذر: وليد المَها أو البقر الوحشي ـ تبّت: قطعت.

ذَهَبتُ بها عُجْباً وَتِيهاً كَمَا بِها
شَذا جِسْمِها يزْرِي عَلَى مِسْكِ تُبَّتِ[1]

رَعَى اللهُ أيام الغَضَارَةِ[2] وَالصِّبَا
رَعَيْتُ بها وَصْلًا إلى أنْ تَقضَّتِ

زَمانٌ زَهَتْ فِيهِ أَزَاهِيرُ زَهْرَةِ الـ
ـشَّبَابِ، وَحُبِّي لا يَعِزُّ بِزَوْرَةِ

سَلامٌ على دَهْرٍ مَضَى بِسُلافَةِ[3] الـ
ـسُّرُورِ، وَسَهْلًا بَعدَ ذَاكَ بِشِدَّةِ[4]

شَدَائِدُ مِثلُ الشَّرْيِ[5] طَعْماً تَتابَعتْ
عَليَّ، وَشَأنِي الصَّبْرُ في كُلِّ نَوْبَةِ

صُرُوفُ الليالي صَيَّرَتْ في حَشاشتِي
قَصِيرَ قِبَالٍ؛ فانبصُرُوا أيَّ صِرْفَةِ[6]

ضَنِيتُ ضَنىً لمّا ضَرِيتُ[7] بِحبِّهِم
وَضَنُّوا بِوَصْلٍ وَاقْتتلْتُ بِعَضَّةِ

---

(١) مِسك تبّتْ: يُنتجُ طِيبَ المسك أيّلُ المِسك، وهو حيوان شبيه بالغزال خوّافٌ سريع الهرب يسعى لطلب طعامه ليلًا ولذلك يصعب اصطياده. يقطن جبال الهيمالايا وتمتد مساكنه من سيبيريا إلى الشمال الغربي من الصين وأواسط آسيا. أجود أنواع المسك هو الوارد من الصّين والتّيبت TIBET ويليه في الجودة ذلك المستورد من مملكة النيبال. ويبدو أن العرب القدامى كانوا يستوردون أجوده عبر طريق الحرير من أعالي التّيبت. وهو يتواجد في كيس جلدي يبلغ حجم البرتقالة في بطن الأيّل يُسمى بما فيه من مسك: فأرَة المسك. والجيد منه قاتم اللون مُرُّ المذاق لا تُحمَدُ رائحة المُركّز منه، لكنه إذا خُفِّفَ تركيزه فاحَ برائحته الزكيّة.

(٢) الغضارة: النعمة وَسِعَة العَيش. ولسبب نجهله؛ حُرِّفت في مصدر آخر لتصير: النضارة، رغم أن في إتْباع الغضارة [النعمة] بمفردة (الصِّبا) بيّنة ودليل لعدم حاجة الشاعر لاستخدام مفردتين تذهبان إلى ذات المعنى، فالصبا والنضارة أقرب إلى الترادف في المعنى من التنافر، في حين أنه أراد جمع الحُسنيين: سِعَة العَيش وَشَبابه.

(٣) السُّلافة: من الخمر أَخْلَصُها وأَفْضَلُها، وذلك إذا تَحَلَّب من العنب بلا عَصْرٍ ولا مَرْثٍ، وكذلك من التمر والزبيب ما لم يُعَدْ عليه الماء بعد تَحَلُّب أوّله. [لسبب لا نجهله؛ حُرِّفَ معناها في المصدر المشار إليه، ليصير معنى السُّلافة: المَذاق الحُلو!].

(٤) بعد أن سلم على دهر مضى بسُلافة السرور، يُضمِر لازمة التحية الأولى: أهلًا، لتستمرَّ تحيّته الواجبة (ولكن المَنقوصة) في النصف الثاني من مُتلازِمَتي التحية: وسَهلًا بعد ذاك بشِدّةٍ لم تلبث أن تضَاعفت بمجرد انتقال القارئ إلى شدائد في البيت التالي. واللافت هو انتقاله من شدة واحدة في نهاية بيته هذا إلى شدائد مُرّة يفتتح بحنظلها بيته اللاحق تعبيراً عن تعاظمها في فترة أقصر من قصر انتقال عين القارئ من نهاية بيت إلى بداية الذي يليه.

(٥) الشَّرْي: الحنظل، وهو نبات معروف بشدة مرارته.

(٦) قَصِيرَ قِبَال: سَيّئ رَأي.

(٧) ضريت: تعوّدت وتولّعت، وهي مفردة شائعة الاستخدام في الدارج العُماني.

طَبيبي وَمَطْلُوبي وَطِبِّي وَطِيبَتِي وَمُعْتَمَدِي في الأَمْرِ سَاكِنُ طِيْبَةِ[1]

ظَمِئتُ إلى ما بَينَ أَطْلالِ يَثرِبِ فيا لَيتها كانَتْ مَدَى الدَّهْرِ ظَلَّتِي[2]

عَليلٌ وَمَا بي عِلَّةٌ غَيرَ أَنَّني سُلوكِيَ حُبَّ المُصْطَفى صَارَ عِلَّتي

غَليلٌ غَليلٌ غَالَني حُبُّ أَحْمَدٍ فما حِيلَتي أنْ لا أَمُوتَ بِغُلَّتِي

فليتَ فَنائي كَانَ فِي فَيءِ طِيبَةٍ إذا فَاهَ فُوهُ القَبْرِ فُهْتُ بِلَهْفَتِي

قَتلتُ قَتيلَ العَذْلِ في دَارِ حُبِّهِ وَقُلْتُ لِقلْبي: اقْبَلْ، وَكِبْدِي: تَفتَّتِ

كَمالُ جَمالِ المُصْطفى وَبَهَاؤهُ إليهِ دَنَتْ شُهْبُ السَّمَا وَتَدلَّتِ

لهُ مِنْ خَفيَّاتِ العُلُومِ جَليَّةٌ خَبَتْ دُونَها أَفْكَارُ أَهْلِ الحَقِيقَةِ

مَلائِكَةُ المَوْلى حَمَتهُ، وَفَخْرُهُ مَلا وَاعْتلى فَوقَ الطِّباقِ الرَّفِيعةِ

نَفى دِينَ أهلِ الشِّرْكِ نُورُ مُحَمَّدٍ وَأَصْبَحَ دِينُ اللهِ في أَيِّ بَهْجَةِ

وَأَشْبَعَ يَومَ الخَنْدَقِ النَاسَ كُلَّهُم مِنَ البُرْمَةِ الصَّفْرَاءِ لَحْماً بِتَفْلَةِ[3]

هَمَتْ يَومَ حَلَّ الغِلُّ في الصَّحْبِ كَفُّهُ يَنابيعَ سَلْسَالٍ مِنَ المَاءِ أَرْوَتِ[4]

لآلىءُ دُرٌّ وَسْطَ فِيهِ تَلألأتْ وَمِنْ ضَرَبٍ تِلكَ المَنَاسِمُ عَلَّتِ[5]

يَلُوحُ مُحيَّاهُ البَهِيُّ فَتَسْتَحِي لَهُ الشَّمْسُ مِنْ نُورٍ بِأَنوارِ غُرَّةِ

أَتتْ نَخوَةُ الأملاكُ[6] مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ وَمَا كَانَ أَمْرُ اللهِ إلّا لِرَحْمَةِ

---

(١) بعد استهلاله الغزلي البديع في الأبيات السابقة يبدأ في ذكر طبه وطبيبه ومطلوبه وطِيبته ـ محبوبه ساكن طِيبة؛ وهو لقب للمدينة المُنورة.

(٢) ظَلَّتي: من الظُّلَة/الظُّل؛ وهي مفردة صميمة في اللهجة العمانية، وأبو مُسلم يتسقط هكذا مفردات عن وَعْي، ويُعيد إنتاج فصاحتها المنسيّة في مَتنِ المَتنِ من قاموسه الشعري.

(٣) تلميح: يُشير إلى المجاعة التي أصابت المسلمين وقت الخندق جرّاء الحصار، حين أخذ النبي (ص) قليل طعام وتَفَلَ فيه، فجعل الله البركة تحلُّ فيه، فكفى المسلمين وأشبعهم، حسبما ورد في السِّيَر.

(٤) تلميح: ومن معاجزه أيضاً (ص)، إرواء جيش المُسلمين في إحدى غزواتهم وقد شحَّ خزينُهُم من الماء المتوافر.

(٥) الضَّرَب: العسل الأبيض الغليظ، القطعة منه: ضَرَبَة || عَلَّت: شربت وارتوت.

(٦) الأملاك: الملائكة.

بِطَسْتٍ مُلِي حِكْماً وَنُوراً فَأَبْقَرَتْ عَنِ القَلْبِ حتى أَفْعَمَتْهُ بِحِكْمَةٍ[١]

تَبَاهَتْ بِذاك النُّورِ مِشْكَاةُ قَلْبِهِ فَأَشْرَقَ مِنهُ ظَاهِرُ البَشَرِيَّةِ

ثَمَالُ اليَتَامَى وَالأَرَامِلِ مُشْمِلٌ إذا عَضَّ نَابُ الدَّهرِ وَالقَومُ ثُلَّتِ

جَبابِرَةُ الأمْصَارِ خَرَّتْ وَنُكِّسَتْ لِطَلْعَتِهِ الأَصْنامُ تَحْتَ الأَسِرَّةِ

حَليمٌ عَنِ الزَّلاتِ غَيرُ مُعَاقِبٍ على الحَوبِ إلّا بالتَّرَفُّقِ وَالتي . .

خَلائِقُهُ مَعْشُوقَةٌ وفِعالُهُ الـ ـحَميدَةُ عَزَّتْ أنْ تُدَانى وَجَلَّتِ

وَقد كانَ في مَبدَاهُ يَعْتَزِلُ الوَرَى وَيَطْوِي ثلاثاً لا يَهُمُّ بِشَهْوَةٍ[٢]

وَكانَ أمِيناً في قُرَيشَ مُحَبَّباً إليها بِصِدقِ الوَعْدِ قَبلَ النُّبوَّةِ

إلى أنْ أتى جِبْريلُ بالحَقِّ مِنْ لَدَى الإلهِ وَنَالَ الجهدُ مِنهُ بِغَطَّةٍ[٣]

فقالَ له: «اقرَأْ» قال: ما أنا قَارِئٌ فقال له: «اقرأ باسْمِ رَبِّكَ» وَأثْبُتِ

وقمْ وادْعُ واصْدَعْ بالذي جَاءَ في الوَرَى وَلا تَبْتَئِسْ وَاصْبِرْ على كُلِّ نَكْبَةِ

فلما دَعَاها للإلَهِ وَأُزْهِقَتْ أَباطِيلُها وَابْلَوْلَجَ الحَقُّ وَلَّتِ

وَأَغْرَتْ بِهِ صِبْيانَها وَعَبيدَها فكم خَضَّبُوهُ بالدِّما فَوقَ وَجْنَةِ

وَقالَتْ: أَمَجْنُونٌ يُريدُ يَصُدَّنا[٤] عَنِ اللاتِ وَالعُزَّى وَلم تَتَلَفَّتِ

فلما أرادَ اللهُ إبْرَازَ شَمْسِهِ أتى الوَحْيُ: أنْ قُمْ وَاشْحَذِ السَّيفَ وَاصْلِتِ

وَجَاهِدْهُمُ تُنصَرْ عَلَيهِم بحَوْلِنا وَبَدِّدْهُمُ في كُلِّ صَحْرَاءَ أَصْمَتِ

فَكَمْ أذْهَمَتْهُم غَارَةٌ أحْمَدِيَّةٌ فَجُندِلَ فيها مِنهُمُ كُلُّ عُتعُتِ[٥]

كأنَّ عَلَيهِم في العَرِيكَةِ بَعْدَما سَقاهُم كُؤوسَ المَوتِ مِنْ صَبْغِ قُوَّةِ[٦]

---

(١) طشت: إناء || أبقرت: شقت || أفعمته: مَلَأهُ وأتمّ مَلْأه. يشير، هنا، إلى حادثة شق الصَّدر والملكين اللذين شقا صدر النبي صغيراً في البادية وملآهُ معرفة وحِكْمة.

(٢) يطوي ثلاثاً: يجوع ثلاثة أيام.

(٣) إشارة: أي ضَمَّهُ إلى صدره حتى أجْهَدَه.

(٤) يُريدُ يَصُدَّنا: أنْ محذوفة، فالأصل: يُريدُ أن يَصُدَّنا، وتُقرأ أيضاً: يَصُدُّنا.

(٥) عتعت: طويل القامة شديد البأس.

(٦) صبغ قوة: صبغة الدم.

مُخَرْدَلَةٌ أَشْلاؤُهُم بِسُيُوفِهِ | أُتيحُوا قِرَى للوَحْشِ في كُلِّ عِضمَةِ
فأضحَى رَسولُ اللهِ في أيِّ عِزةٍ | عَلَيهِم، وَأَهْلُ الشِّرْكِ في أيِّ مَحْوَةِ
وَعُصْبَةُ سُوءٍ كَذَّبُوهُ وَقد أَتَى | بِكُتْبِهِمُ في كُلِّ آيٍ وَسُورَةِ[1]
وَبَشَّرَهُم عِيسَى المَسِيحُ وَقَبلَهُ | بِتَوْرَاتِهِ مُوسَى، فَحَادَتْ وَضَلَّتِ
وَما تُنْكَرُ الخُفَّاشُ إنْ هِيَ أَغْمَضَتْ | عَنِ الشَّمْسِ، في وَسْطِ النَّهَارِ، وَغَضَّتِ
وَكَم مُعْجِزاتٍ لِلنَّبِيِّ عَظِيمَةٍ | لها تَسْجُدُ الأَذْقانُ فِي كُلِّ بُقعَةِ
وَما أعظَمَ القرآنَ مُعجِزَةً لَهُ | شَوَاهِدُهُ في كُلِّ آيٍ جَلِيَّةِ
ضِياءٌ إذا ما دَلْهَمَتْ كُلُّ ظُلْمَةٍ | شِفاءٌ إذا ما أعْضَلَتْ كُلُّ عِلَّةِ
وَما أَحْمَدٌ في الرُّسْلِ إلّا يَتيمَةٌ | بِعِقْدٍ فما في العَيْنِ غَيرُ اليَتيمَةِ
وَما الرُّسْلُ إلّا كَالكَوَاكِبِ في السَّما | وَأَحْمَدُ شَمْسٌ حِينَ جَاءَ اسْتَسَرَّتِ
لَهُ الشَّرَفُ الأعلى وَجُلِّيَّةُ العُلَى | وَرُتْبَتُهُ تَعْلُو عَلى كُلِّ رُتْبَةِ
وَكَم قد أتَى مِنْ خَارِقَاتِ عَوَائِدٍ | وَبَاهِرِ آيَاتٍ وَرَدِّ بَلِيَّةِ
أتَى نَحْوَهُ آتٍ بِسَاقٍ كَسِيرَةٍ | فَأَبْرَأَهَا مِنهُ بِأَكْرَمِ مَسْحَةِ
وَرَدَّ على بَعضِ الصَّحَابَةِ عَينَهُ | وَقد دُخِشَتْ بالرُّمْحِ أَعْظَمَ دَخْشَةِ
تَوَضَّأَ في بِئرٍ فَأَغْزَرَ مَاؤُهَا | وَلَم تَكُ، قَبلًا، قَطُّ تَنْدَى بِقَطْرَةِ
وَجَاءَ بَعِيرٌ نَحْوَهُ يَشْتَكِي لَهُ | العَيَاءَ وَتَنْكِيداً لَهُ في العُلُوفَةِ
وَمَرَّ على بَعضِ المِياهِ بِمَرْأَةٍ | لَدَيْهَا صَبِيٌّ ذُو اعْتِرَاءٍ بِجِنَّةِ
فَألقى على المَجْنونِ كَفاً كَرِيمَةً | بِها خَرَجَ الجِنِّيُّ مِنْ بَعدِ ثَعَّةِ[2]
وَكَم شَجَرَاتٍ قد أَتَتْهُ فَسَلَّمتْ | عَلَيهِ، وَحَيَّتهُ بِأَزْكَى تَحِيَّةِ
وَفِيما رَآهُ الناسُ في الزِّبْرِقانِ مِنْ | تَشَقُّقِهِ مِنْ أَكْبَرِيَّةِ حُجَّةِ
وَظَلَّلَتِ الصَّهْبا عَلَيهِ وَبَرَّدَتْ | لَهِيبَ هَجيرٍ عِندَ وَقْتِ الظَّهِيرَةِ

---

(١) إشارة إلى اليهود.

(٢) الثَّعَّة: القيء.

وَرَاوَدَهُ شُمُّ الجِبَالِ فَآنَسَتْ ... نِفاراً بِتَحْوِيلٍ لِتِبرٍ وَفِضَّةِ
وَسَمَّتْ لَهُ لَحْمَ الذِّراعِ عَدُوَّةٌ ... فَأخْبَرَهُ نُطْقاً بِمَا فِيهِ دَسَّتِ
وَما لَيلَةُ الإسْرَاءِ عَنكَ خَفِيَّةٌ ... أَتَاهُ أَمِينُ اللهِ في بَطْنِ مَكَّةِ
فَأرْكَبَهُ ظَهْرَ البُرَاقِ وَلم تَكُنْ ... لِغَيرِ رَسُولِ اللهِ أَوْطَى رَكُوبَةِ
فأعْلَى بِهِ السَّبعَ الطِّبَاقَ فَمَا انْتَهَى ... سُرَاهُ بِهِ حَتى انْتَهَى تَحتَ سِدْرَةِ
وَشَاهَدَ أَنْوَارَ الجَلالِ بِعَينِهِ ... وَأثْبَتَ جِبرَائِيلُ أَوْضَحَ رُؤْيَةِ
فَمَا زَاغَ مِنْ تِلكَ البَوَاهِرِ جَأشُهُ ... وَلَكِنَّهُ مُسْتَوْطِنٌ لِلألُوكَةِ
وَأَوْعَبَهُ الرَّحمَنُ فَيضَ مَعارِفٍ ... وَأَوْحَى إليهِ ما أَرَادَ بِقُدْرَةِ
وَطِيفَ بِهِ الجَنَّاتِ بَينَ قُصُورِها ... فَشَاهَدَ ما في الخُلْدِ مِنْ كُلِّ لَذَّةِ
وَطَافَ بِأقْطَارِ السَّمواتِ كُلِّها ... وَأبْصَرَ ما في الكَوْنِ مِنْ كُلِّ آيَةِ
وَمَنْ لِي بِأنْ أُحْصِي مَعَاجِزَ أَحْمَدٍ ... تَقَاصَرَتِ الأَفْهَامُ عَنْها وَكَلَّتِ
وَما يَأخُذُ المَدَّاحُ مِنْ وَصْفِ أَحْمَدٍ ... كما يَأخُذُ المِنقارُ مِنْ وَسْطِ لُجَّةِ
تَأدَّبْ بِجَنْبِ اللهِ عَنْ قَولِ رُؤْيَةٍ ... وَقُلْ ما تَشا مِنْ مَدْحِ خَيرِ البَرِيَّةِ
فَذاكَ اعْتِقادُ المُبْطِلِينَ بِرَبِّهِم ... وَما قَولُهُم في ذلِكُم غَيرِ رِيبَةِ
تَنزَّهَ مَولانا، وَلَيسَ اعْتِقَادُنا ... اعْتِقَادَ افْتِرَاءٍ مِن حُلُولٍ وَرُؤْيَةِ
فَما في كِتابِ اللهِ أنَّ مُحَمَّداً ... رَأى رَبَّهُ بِالعَينِ أكْمَلَ نَظْرَةِ
وَلِكنَّ آياتِ القُرانِ بِغَيرِ ذا ... شَوَاهِدُهُ طُراً على الأفْضَلِيَّةِ
فما مِنْ خَليلِ اللهِ يُرجَى وَلا مِنَ ... الكَلِيمِ وَلا عِيسَى قُبُولُ الوَسِيلَةِ
بِيَومٍ يَقُومُ النَاسُ فِيهِ لِرَبِّهِم ... وَلكنها مِنْ ذِي الخِلالِ الكَرِيمَةِ
وَلَيسَ لَهُم حَوضٌ وَلَيسَ لَهُم لِوَا ... وَلَيسَ بِأيدِيهِم مَفاتيحُ جَنَّةِ
وَما أُرْسِلوا إلّا إلى الإنْسِ وَحْدَهُم ... وَأَحْمَدُ مَبْعُوثٌ لإنسٍ وَجِنَّةِ
شَرَائِعُهُم مُسْتَصْعَبَاتٌ عَظِيمَةٌ ... وَأَحْمَدُ مَبْعُوثٌ بِسَهْلِ شَرِيعَةِ
وَما قومُهُم بالشَّاهِدِينَ على الوَرَى ... وَلكنَّ قَومَ المُصْطَفى خَيرُ أُمَّةِ
لَهُمْ شَهِدَ القُرآنُ فاعْظِم بِشَاهِدٍ ... بِأنهُمُ أشْهَادُ يَومٍ عَظِيمَةِ

تَـرَاهُــم إذا مــا الـلـيـلُ أظـلـمَ رُكَّـعـاً | وَأَكْبَـادُهُـم مِـنْ خَـشْـيـةٍ فـي تَـفـتُّـتِ
إذا بَـرَزوا بِـالـسِّـلْمِ عِـنْـدَ نَـبـيِّـهِـم | تَـخَـالُ شُـمُـوسـاً أو بُـدُورَ تَـتِـمَّـةِ
وَإنْ كَشَّرُوا لـلـحَـرْبِ خِلتَ عَـوابِسـاً | مِـنَ الأُسْـدِ وَالأعْـدَا أذلَّ فَـرِيـسَـةِ
وَإنْ وُهِـبُـوا مَـنّـا أَنَـالُوا بِـمَـا بِـهِ | غِـنَـى لِجَـمِـيـعِ الـنـاسِ مِـنْ جُـودِ مُـزْنَـةِ
وِضَـاءُ[1] وُجُـوهٍ كَـالـبُرُوقِ ابْـتِـسَـامُـهُـم | أُنُـوفُـهُـمْ مِـثْـلُ الـسُّـيُـوفِ الـصَّـقِـيـلَـةِ
وَلـو طَـفِـقَ الـمُدَّاحُ فـي نَـشْـرِ وَصْـفِـهِـم | لـمـا بَـلـغُـوا مِـعْـشَـارَ عُـشْـرِ الـمَـدِيـحَـةِ[2]
أَتَـيْـتُ رَسُـولَ اللهِ مَـدْحـاً لِشَـأْنِـكُـم | وَجُـهْـدِيَ هَـذا، فَـاعْـذُرُوا فَـوْقَ قُـدْرَةِ
وإنِّـيَ قَـدْ أَقْـرَرْتُ أنِّـي مُـقَـصِّـرٌ | بِـشَـأْنِـكَ مَـدْحـاً فـاعْـفُ عَـنِّـي لِزَلَّـتـي
أَتَـيْـتُ ذُنُـوبـاً أَبْـعَـدَتْـنِـي بِـفِـعْـلِـهـا | عَـنِ اللهِ فَـاسْـتَـوْحَـشْـتُ عَـنْـهُ بِـنُـفْـرَةِ
فَـضَـاقَـتْ بـيَ الـدنـيـا وَضَـاقَـتْ مَـسَـالِـكِـي | بِـهَـا فَـجَـفـانِـي، عِـنْـدَ ذاكَ، أَخِـلَّـتـي
وَأنْـتَ رَسُـولُ اللهِ خَـيْـرُ مُـشَـفَّـعٍ | جَـعَـلْـتُـكَ فـي دَفْـعِ الـبَـلاءِ ذرِيـعَـتِـي
وَيَـا رَبِّ عَـبْـدٌ آبِـقٌ هُـوَ رَاجِـعٌ | إلَـيْـكَ، فَـخُـذْ بـالـعَـفْـوِ لِي عَـنْ جَـرِيـرَتـي
بِـحُـرْمَـةِ مَـنْ أَسْـهَـرْتُ عَـيْـنـي لِشَـأْنِـهِ | فَـأَبْـدَيْـتُ مـا قَـدَّرْتَـهُ مِـنْ قَـصِـيـدَتِـي[3]
وَصَـلِّ عَـلَـيْـهِ يـا إلَـهِـيَ مـا شَـدَا | هَـزَارٌ بِـتَـغْـرِيـدٍ عَـلَـى غُـصْـنِ أيْـكَـةِ[4]
وَسَـلِّـم عَـلَـيْـهِ ثـم بَـارِكْ وَآلِهِ | وَصَـحْـبِ أُوْلِـي بِـرٍّ وَأَتْـبَـاعِ سُـنَّـةِ

---

(١) وِضَاء وأوضِياء: جمعٌ لـ وَضِيء؛ حَسُنَ وجَمُلَ وجهه.

(٢) إشارة توضيحية: لا يترك أبو مُسْلم شاردة عِلم أو واردة، ففي تعبيره: مِعشار العُشر مُبالغة رقمية في تصغير مِقدار المِدحَة قياساً إلى مقام المَمْدُوح!

(٣) استِملاح: في البيت السابق يطلب العفو عن آثامه، وفي هذا البيت يستنجد بحُرمة النبي الذي أسهر عينيه لشأنه ليُبدي ويُظهر ما قدَّرَهُ الله من إبداع في قصيدته؛ وفي هذا اعترافٌ ضمني بإعلائه الشخصي من شأن مُبتَدَعِه ـ إن استعرنا قاموسه ـ لكنهُ، في آخر المطاف، يُحِيلُ تمتُّعَهُ بمَلَكَةِ الإبداع إلى قدرة الخالق عز وجل.

(٤) الهَزار: طائر حسن الصوت. [فارسِيٌّ مُعَرَّب]، ويقالُ له: هَزارْ دَسْتانْ؛ لقدرته على غناء عدة ألحان.

نَسَبُ الرَّسُول(*)

نَسَبٌ صَانَهُ الجَمَالُ الإلـ ـهِيُّ لِسِرٍّ بِهِ عَلَيْهِ انْطِوَاءُ

مَسَحَتْ بالزَّكَا عَلَيْهِ يَدُ اللهِ فَلا بِدْعَ مِنْهُ ذاكَ الزَّكَاءُ

لم تُشَنَّعْ أُمٌّ بِلؤمٍ وَفُحْشٍ لا، وَلا شُنِّعَتْ بِهِ الآبَاءُ

لَنْ تَرَى المِسْكَ في إناءٍ فلا يَعْـ ـبَقُ إلّا بِالمِسْكِ ذاكَ الإنَاءُ

تَتَجلَّى الأنْوَارُ في غُرَرِ القَو مِ، وَللهِ في التَّجلِّي خَفَاءُ

أودَعَ اللهُ في شَمَائِلِهِم سِـ ـراً فَأخْلاقُهُم سَناً وَسَناءُ

يُكْسِبُ الوَالِدُ الوَلِيدَ الذي تُكْسِـ ـبُهُ البَدْرَ في السَّمَاءِ ذُكَاءُ[1]

(*) وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال فيه أيضاً)، والعنوان من وضعنا |إشارة: هذه القصيدة واحدة من مدائحه النبوية التي أقْصَتها واستبعدتها طبعات غالبية طبعات ديوانه؛ لما فيها من إعلاء مُبالغ فيه ـ كما يَرَى المُتزمِّتون ـ حول كيفية خلق النبي، وابتداء الخلق به قبلَ آدم ومن جاء بعده من الأنبياء والرُّسُل. والملاحظة ذاتها تنسحب بدورها على القصيدتين السابقتين: «النشأة المُحمَّدية» و«القلائد الدُّرية في مدح خير البَريَّة». والسبب، في اعتقادنا تعارض الفكر التصوُّفيّ المُفصَح عنهُ في هذه المدائح مع عقيدة المذهب المُنتمي إليه أبو مُسلم، والحقيقة أن هذه المدائح النبويَّة تفتح السؤال على أكثر من مَدار حولَ ما جاهر به أبو مُسلم من اعتقاد تربَّى عليه وأخلص له في مُعظم اشتغاله الشعري ـ وبين ما آثرَ الإبقاءَ عليهِ في طويَّتِهِ تأثراً بالفكر الفلسفي والتصوفي لمذاهب أخرى وجد فيها ضالته الرُّوحيَّة المُعبِّرَة عنه وعن وعيهِ بوجُودِهِ كائناً مُتصوِّفاً لا تحُدُّهُ المذهبيَّة من الاستفادة الرُّوحيَّة العميقة لمَذاهب أخرى.

(١) ذُكَاء: الشمس، وهذا هو المقصود الحرفي للبيت، لكن تضاعيف دلالاته تشمل أيضاً، الذَّكاء: لهب النار، اشتداد حرارة الشمس، الجمرة الملتهبة وقدرة المرء على التحليل والتركيب والتميز والاختيار، فضلاً عن التكيُّف إزاء المواقف المختلفة.

أيُّ نُورٍ تَقيَّلَتْ أمُّ وَهْبٍ كانَ مِنهُ الأمْلاكُ وَالأنْبِياءُ
غَبَطَتْها السَّمَاءُ فِيهِ فَكَادَتْ غِبْطَةً فِيهِ أنْ تَمُورَ السَّماءُ
حَضَنَتْهُ حَوَاضِنُ اللطْفِ في الغَيْبِ، وَلا آدَمٌ وَلا حَوَّاءُ[1]
فـي شُهُودٍ يُسَبِّحُ اللهَ وَالأمْلاكُ والرُّسْلُ، وَالوُجُودُ خَلاءُ
لا تَسَلْ عَنْ تأخُّرِ الشَّكْلِ عَنهُ هُوَ كُلٌّ وَهُم لَهُ أجْزَاءُ[2]
سَبَقوا في الدُّنيا، وفي عَالَم الغَيبِ لَهُ السَّبقُ دُونَهُم وَالجَلاءُ
فَهُوَ السَّابِقُ الأخِيرُ لِيَمْتَازَ لَهُ بَينَ حَالَتيهِ العَلاءُ
قَذَفتْهُ فِي قَالَبِ البَشَرِ الحِكْمَةُ نُوراً تَصُونُهُ الأحْشاءُ
مِنْ مَجيدٍ إلى مَجيدٍ إلى أنْ أمْجَدَتْهُ زُهْرِيَّةٌ زَهْرَاءُ[3]
فأضَاءَتْ نُوراً وَبَشَّرَها الحُورُ وَزَارَتْ مَكَانَها الأنبياءُ
وَتَنادتْ بِقِصَّةِ الحَمْلِ أمْلاكُ السَّمواتِ، وَالسُّرُورُ النِّدَاءُ
كَبَيَانِ العَجْمَاءِ نُطْقاً عَنِ الحَمْلِ وَبِدْعٌ أنْ تَنْطِقَ العَجْمَاءُ
وَتَحلَّت بالزُّخْرُفِ الأرضُ إذ زُفَّتْ إليها عَرُوسُها السَّرَّاءُ
وَسَقَتْهَا المُبشِّرَاتُ بما فِيهِ لِبُشْرَى بَشِيرِها إيمَاءُ
وَتَهَاوَتْ أسِرَّةُ المُلكِ وَالأصْنامِ وَاسْتَوحَشَتْ بِهِ الأهْواءُ
رَفَعَتْ حُجْبَها الغُيُوبُ عن النورِ الذي أشْرَقت بِهِ الأضْواءُ
وَتجلَّى السِّرُّ الذي خُلِقتْ مِنْ أجْلِ إكْرامِ شَأنِهِ الأشْيَاءُ

---

(١) إشارة: وفقاً لرؤية الشاعر، فإن تقدير خلق الرسول سابق على خلق الخلق، وعليه فإن حواضن اللطف الإلهي في الغيب هي من حضنه قبل أن يولد لأبويه في هيئته البشرية، بل قبل خلق آدم وحواء.

(٢) إشارة: ولأن خلقه سابق للخلق، فلا تَسَلْ عَنْ تأخر خلقه الدنيوي وإكسابه الشكل/الصورة لأنه كُلٌّ ومن عداه أجزاء منه وإن سبقوا تكوينه الدنيوي، فالسبق والظهور له وحده في عالم الغيب - البيت التالي.

(٣) إشارة: بعد أن قذفته الحكمة نوراً في قالبه البشري لتصونه الأحشاء، وتنقله من مجيد إلى مجيد ظهر في صلب آمنة بنت وهب المنسوبة إلى بني زهرة.

وَأتـى اللهُ بـالـضَّـمِـيـرِ[1] الـذي كـا ... نَ بِـثَـنْـيِ الـزُّلْفَـى عَـلـيـهِ انْـطِـواءُ

وَبَـدا لـلـوُجُـودِ مِـنْ مَـصْـدَرِ الـقـد ... سِ سُـفُـورٌ جَـاءَتْ بِـهِ الـسُّـفَـرَاءُ

سَـدَّ مـا ازَّيَّـنَـتْ بـه جَـبْـهَـةُ الـعَـرْ ... شِ، فَـفِـيـهـا مِـنْ رَشْـمِـهِ لألآءُ[2]

فَـسَـرَى مِـنْ لَطَـائِـفِ الـبِـشْـرِ فِـي الـكَـو ... نِ بِـــهِ أَرْيَـــحِـــيَّـــةٌ وَازْدِهَـــاءُ

أيْـنَ بِـشْـرُ الأكْـوَانِ مِـنْ بِـشْـرِ جِـبْـ ... ـرِيـلَ وَمَـرْأى مُـحَـمَّـدٍ وَالـلقـاءُ

خَـاطِـبـاً فـي مَـلائِـكِ اللهِ وَالـنـو ... رِ بِـهِ مِـنْ مُـحَـمَّـدٍ وَالـبَـهَـاءُ

ثـم طَـافـوا بِـهِ الـعَـوَالِـمَ وَالأر ... ضُـونَ تَـهْـتَـزُّ فَـرْحَـةً وَالـسَّـمَـاءُ

وَتَـسَـابِـيـحُ اللهِ تُـتـلى مِـنَ الإيـجَـا ... دِ شُـكْـراً، إذْ جَـلَّـتِ الـنَّـعْـمَـاءُ

وَعَـرَى الـكَـعْـبَـةَ الـحَـرامَ انْـتِـشَـاءٌ ... وَاهْـتِـزَازٌ كَـأنَّـهُ الـعَـزْوَاءُ

وَاسْـتَـطَـالَـتْ لِحَـضْـنِـهِ الـوَحْـشُ وَالـ ... ـطَّـيـرُ، وَفِـي عَـيـنِ اللهِ عَـنْـهـا غِـنَـاءُ

وَتَـمَـنَّـتْ حَـظَـائِـرُ الـقُـدْسِ مَـجْـلا ... هُ، فَـفَـازَتْ بِـيُـمْـنِـهِ الـبَـطْـحَـاءُ

رُبَّـمـا اسْـتَـشْـرَفَـتْ لَهُ أشـرف الأشْـيـا ... ءِ، وَحَـازَتْـهُ دُونَـهَـا أشْـيَـاءُ

عَـادَةُ اللهِ فـي الـحُـظُـوظِ لِمَـنْ تُـهْـ ... ـدَى إلـيـهِ، وَمـا الـحُـظُـوظُ سَـوَاءُ

حَـرَّمَ اللهُ أيَّ حَـظٍّ تَـقَـيَّــ ... ـلْتَ ثَـواً لا يَـمَـلُّ مِـنْـهُ الـثُّـوَاءُ

لَيـلةُ الـمَـوْلِدِ الـتـي هِـيَ فـي سِـلْكِ ... الـلـيـالـي الـفـريـدةُ الـزَّهْـراءُ

فَـذَهَـى الـكُـفْـرَ مِـنْـهُ قَـاصِـمَـةُ الـ ... ـظَّـهْـرِ وَألْفَـتْ ظَـهِـيـرَهَـا الـحُـنَـفـاءُ

فَـالـهَـنَـاءُ الـهَـنَـاءُ يـا مِـلَّةَ ... اللهِ بِـمُـخْـتَـارِهِ الـهَـنَـاءُ الـهَـنَـاءُ

حَـصَـرَ الآيَ وَالـمَـعَـاجِـزَ فـي الـ ... ـمَـهْـدِ، فَـهَـلْ بَـعْـدَهُ لَهَـا إحْـصَـاءُ

جَـمَـعَ الأنـبـيـاءَ وَالـرُّسْـلَ وَالأمْـ ... ـلاكَ فـي ذاتِـهِ، فَـمَـا الأكْـفَـاءُ

وَاحْـتـوى فـي الـقِـمَـاطِ جَـامِـعَـةَ الـ ... ـكُـلِّ، فَـمَـا الـجَـمْـعُ بَـعـدُ وَالاحْـتِـوَاءُ

مُـعـجِـزُ الـرُّسْـلِ مُـعـجِـزٌ مِـنـهُ، فَـهُـوَ الـ ... ـبَـحْـرُ وَالـمُـعْـجِـزَاتُ فِـيـهِ الـدِّلاءُ

---

(١) الضمير: كناية عن الظهور الدنيوي للرسول.

(٢) سَدَّ الشيء: استقام وأصاب، وتعني أيضاً: إغلاق خلله وردم ثلمه، ومنها سد الباب || الرشم: الرسم والكتابة والوشم.

فَـاتَـهُـم قُـرْبَ أَحْـمَـدٍ وَتَـدَا ... نِـيـهِ رَضِـيـعـاً، وَلَمْ يَـفُـتْـهُ اجْـتِـبَـاءُ

وَظُـهُـورُ الآيَـاتِ فـي لَيـلَةِ الـمَـو ... لِـدِ بِـرٌّ بِـأَحْـمَـدٍ وَاحْـتِـفَـاءُ

وَلَهُ الـقَـدْرُ وَالـجَـلالـةُ عِـنـدَ ... اللهِ مِـنْ دُونِـهِـنَّ وَالاصْـطِـفَـاءُ

أَنْـذَرَتْ غَـافِـلَ الـعَـوَالِمِ بِـالـ ... ـخَـطْـبِ الـذي بَشَّـرَتْ بِـهِ الأَنْـبِـيَاءُ

وَأَمَـاطَـتْ قَـذَى الـبَـصَـائِرِ لِـلأَبْـ ... ـصَـارِ، إِنْ كَـانَ لِـلعُـقُـولِ ارْتِـيَـاءُ

حَيِّ سَعْـدٍ[1] لَقَـدْ ظَـفِـرْتُـم بِـكَـنـزٍ ... صُـرِّفَـتْ عَـنْ أَبْـوَابِـهِ الأَحْـيَـاءُ

أَخَـذَ الـحِـلْمَ مِـنْ حَـلِيـمَـةَ بِـالـحَـزْ ... مِ وَلِـلجَـدِّ يُـرْشَـدُ الـحُـلَمَـاءُ

سَـبَـقَـتْـهَـا مَـرَاضِـعُ الـبَـذْوِ لِـلوَ ... جْدِ، وَفـي عُـذْمِـهـا اسْـتَـكَـنَّ الـثـراءُ

رُبَّ مَـالٍ فـي طَـيِّـهِ الـفَـقْـرُ وَالـ ... ـذلُّ وَفَـقْـرٍ هُـوَ الـغِـنَـى وَالـغَـنَـاءُ

وَازدَرَاهَـا لِسُـوءِ حَـالٍ غَـنِـيٌّ ... وَبِـهَـا عَـنْ غَـيـرِ الـغَـنِـيِّ إِبَـاءُ

فَـهَـدَاهَـا لِسَـابِـقِ الـعِـلمِ، لِـلخَـيْـرَا ... تِ وَالـيُـمْـنِ ذلِـكَ الازْدِرَاءُ

فَاشْمَعَلَّتْ[2] فـي الرَّكْبِ تَحْمِلُ فَرْداً ... مِـنْ مَـعَـانِـيـهِ الـرُّسْـلُ وَالأَنْـبِـيَـاءُ

أُخْتَ سَعْدٍ حَمَلْتِ ذاتاً على الكُر ... سِيِّ وَالـعَـرْشِ كَـانَ مِـنْـهَـا انْـطِـوَاءُ

أُخْـتَ سَـعْـدٍ ذَاتُ الـكَـرِيـمِ عـلى ... اللهِ أَقَـلَّتْ أَتَـانَـكِ[3] الـقَـمْـرَاءُ

رَحْـمَـةُ الـعَـالَمِـيـنَ وَالأَوَّلُ الآ ... خِـرُ الـمُـقْـتَـضَـى لَهُ الإِنْـشَـاءُ

قَـلَمُ اللهِ حُـجَّـةُ اللهِ فـي الـلو ... حِ الـذي فِـيـهِ الـثَّـبْـتُ وَالانْـمِـحَـاءُ

نُـقْـطَـةُ الاخْـتِـيَـارِ وَالأَلِفُ الـ ... ـقَـائِمُ قَـبْـلَ الـظُّـهُـورِ، بَـلْ وَالـبَـاءُ

مَـظْـهَـرُ الـعَـيـنِ وَالـذي ظَـهَـرَتْ ... مِـنْـهُ وَفِـيـهِ الـصِّـفَـاتُ وَالأَسْـمَـاءُ

هَلْ كَشفْتِ الخِباءَ في الغَيْبِ عَن ... أَحْـمَـدَ حَتى اسْتَدْعَاهُ مِنكِ الخِبَاءُ

فَـاسْـتَـهِـلِّي الـسَّـعَـادَتَـيـنِ فَـمَـا ... يَـسْـعَـدُ إِلّا بِـيُـمْـنِـهِ الـسُّـعَـدَاءُ

---

(١) حيّ سعد: هم القبيلة المنتمية لها حليمة السعدية التي أرضعت الرسول.
(٢) اشمعلّت: أسرعت.
(٣) الأتان: الحِمَارة، لا الحِمَار.

وَاسْتـهِـلِّي الـسَّـعَـادَتَـيـنِ فـمـا جَـدْ ... وَاهُ إلّا الـسَّـحَـابـةُ الـوَطْـفَـاءُ[1]

غَـيـرُ بِـذْعٍ أنْ تَـحْـفِـلَ الـشَّـارِفُ الـ ... ـعَـجْـفـاءُ مِـنْ يُـمْـنِـهِ وَتَـسْـمَـنَ شَـاءُ

فـهـو عَـيـنُ الـوُجُـودِ بَـلْ رُوحُـهُ الـ ... ـمُـحْـيِي، وَبـالـرُّوحِ قَـامَـتِ الأَحْـيـاءُ

صَـادَرَتْ صَـدرَهُ الـمَـلائـكُ بـالـ ... ـشَّـقِّ وَحَـالَـتْ مَـشَـقَّـةٌ وَعَـنَـاءُ

ثـم ألـقـوا فـي الـقَـلْـبِ جَـامِـعَـةَ الـ ... ـحِـكْـمَـةِ وَالـقَـلْـبُ قَـبْـلَـهَـا لألاءُ

---

(١) الوَطْفاء: كثيرة الماء.

شفيع المُذنِبين(*)

إلَيكَ رَسُولَ اللهِ بَثُّ شِكَايَتِي ... وأنتَ عَلَى دَفْعِ الشّكَاةِ قَدِيرُ
تُذكِّرُني الحُسنَى وَيَقصُرُني الحَيَا ... وَأَنتَ شَفِيعُ المُذنِبينَ بَصِيرُ
وَإِنِّي قَصِيرُ البَاعِ عَنْ شُكْرِ نِعْمَةٍ ... وَمَا هُوَ في كَسْبِ الذُّنُوبِ قَصِيرُ
أَغِثْ لَهْفَتِي وَحْياً بما أنتَ أَهْلُهُ ... فَأنتَ بِفِعْلِ المُحْسِنينَ جَديرُ
وَخُذْنِي بِيُمْنَاكَ الكَرِيمَةِ أَخْذَةً ... بِهَا في مَقامِ المُخْلِصِينَ أَصِيرُ
وَمَن لي إذا أَعْرَضْتَ عَنِّي لِزَلَّتي ... وَبَابُكَ بَابٌ وَاسِعٌ وَمَصِيرُ
وَقدْ ضَاقَتِ الدُّنْيا عَلَى العَبْدِ نَاصِرٍ[1] ... وأنتَ إمَامُ المُرْسَلِينَ نَصِيرُ
وَذِكْرُكَ مِفتَاحٌ لِكُلِّ مَضِيقَةٍ ... وَنُورُ الهُدَى، بَلْ عَنْبَرٌ وَعَبِيرُ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال فيه صلى الله عليه وسلم).

(١) مرّة أخرى يشير الشاعر إلى اسمه: ناصر.

ذكرُكَ في الغيب القديم(*)

ظُهُورُكَ فِي أُفْقِ الوُجُودِ كَرِيمُ ... وَذِكْرُكَ فِي الغَيْبِ القَدِيمِ قَدِيمُ

وَسِرُّكَ قَبلَ الكَوْنِ في الكُلِّ رَحْمَةٌ ... تَمَنَّى مَسِيحٌ حَظَّهَا وَكَلِيمُ(١)

وَطَورُ التَّجَلِّي طَوْرُ أَنَّكَ مُرْسَلٌ ... رَؤوفٌ بِكُلِّ المُؤْمِنِينَ رَحِيمُ

تَرَبَّعتَ في مُسْتَوْدَعِ القُدْسِ قَبْلَهُم ... وَأَنتَ بِكُرسِيِّ الجَلالِ عَظِيمُ

وَجِئتَ وَأَرْوَاحُ الوُجُودِ صَدِيَّةٌ(٢) ... إِلَيكَ، وَرَوضُ الصَّالِحَاتِ هَشِيمُ

فَآنَسَتِ الأرْواحُ مِنكَ رُوَاءَهَا ... وَفَاحَ لِهَاتِيكَ الرِّيَاضِ شَمِيمُ

فيا مَدَدَ الأَمْدَادِ يا مُصْطَفى أَفِضْ ... لَنَا مَدَداً نَحْيَا بِهِ وَنَقُومُ

فَأَنتَ لَنَا فِي كُلِّ قَصْدٍ وَسِيلَةٌ ... وَأَنتَ بِنَجْحِ الآمِلِينَ زَعِيمُ

(*) العنوان من اختيارنا؛ فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وله فيه صلى الله عليه وسلم).

(١) مسيح، كليم: النبي عيسى، النبي موسى. إشارة: نجده في هذه القصيدة، كما في مدائحه السابقة، يشير إلى أن سِرَّ خاتم الأنبياء موجود قبل نشوء الكون، وهو رحمة تمناها أنبياءُ الرِّسالات السابقة لرسالته؛ عيسى وموسى.

(٢) صَدِيَّة: عطشى.

الباب الثالث

القصائد الوطنية والاستنهاضيَّة

المَقْصُوْرَةُ(*)

(مُذَيَّلَةً بِتَقْدِيْمٍ وَحَوَاشٍ شَارِحَةٍ)(**)

(*) خِلافاً لأسلوبه في النونيّة، نجد أن أبا مُسلم في المقصُورة شاعر يَستخلِبُ، ببصيرة وقَّادَة، ضِرعَ بلاغةٍ أسلوبيّةٍ مُلغِزة؛ لغةً واستعارةً وكنايةً لبلوغ القصد الذي لا يُعبَّرُ عنه باستنهاضيَّةٍ مُباشرة ـ كما لو كان، هنا، يخاطب نُخبة النُّخبة في عصره ـ مثلما تقصَّد عن وَعْي جارح مُخاطبة الشرائح العريضة بلغة استنهاضِهِ الشامخ في نُونيّته المِرْنان. والمقصُورة واحدة من أهم قصائده، رغم ذيوعِ النونية التي حَجَبَتْ ـ بانتشارها الواسع بين القاصِي والدَّاني ـ فرَادَة فريدته المَقصُورة التي تضاءلَ الإلتفات لها بسبب لغتها المُستعصية حتى على النُّخبِ المُثقفة التي لم تُفكِّك إلماحاتِ بَيانها. وهي قصيدة يفتتحها بمطلع طللي يَنحَتُ جِدَّة أسلوبه مع الإبقاء ـ عن سَبْقٍ ترصُّدٍ جَماليّ ـ على نفحَةٍ من شميم عُيون مطالع الشعر الجاهليّ الرفيع. فمَمْدُوحَتُهُ الرَّاحِلة [وهي ناقةٌ ستتحولُ، فيما بعد، إلى فرس وفارسه الذي يقطع أعناق الأعداء بسيف بَرْقِه] ـ ممدوحته تلك، وفضاءات ترحُّلها بين الأطلال تنتحي عن أفقيّة مسعاها لترتفع ظلال تمجيدها الشعري بلوغاً بها ـ بحنين صاحبها الشاعر، بالأحرى ـ بُعداً أسطورياً لافتاً بمُعجمه الفريد والمُستعصي على القبض، لِتترحّل به ويَترحّلَ بها إلى نواحي مقاصده في حِقب المقصورة. وهي مَقاصد لا يُفصِحُ عنها، بل يُلمِّحُ إليها مازجاً مِلْحَ قضيّته الخاصة بفلفل عامِّها المُتمثلِ في حُرقته على حال الأمّتين العربية والإسلامية وتدهوُرها المُشين؛ لتكالب الأعداء عليهما مِن استعمار وَوُلاة أمر صاغرين له رغم وثائق «استقلالهم»، مُستثمِراً في بنائها أقصى ما أتاح لهُ الزمن من تخمُّر لقصيدته في غربال جماليّات المُعلّقات الشاهقة بحنينها وظعْنِها واستيحاش أناشيدها الطلليّة المُضمَّخة بنوستالجيا فجائعيّة؛ تعالجها المقصورة بمبضع جرّاح حاذق وقادر على خلق توازن يُخفي المسافة الهائلة بين أسلوبيّته المُجترحَة والمُمَجَّدة ـ إن صح التعبير ـ لحُقبة جاهليّة تمكّن من ترميم قدَامَتِها شعرياً اجتراحاً لشعريّتها المُوازية في بدايات القرن العشرين، تعبيراً مُفارِقاً عن ضحالة واقع مُستلَب. والمقصورة ـ قَصْراً للقول ـ مُعلّقة حِكمَةٍ مُحكمَة جَمَع فيها تالدَ القول بآبِدِه لتستولِد، قرناً بعد قرن، وضُوحَها المُنحَلّ أبداً في غمُوضِها العَصِيّ بظِلالها وتعدُّد مُستويات التأويل، كأنما لإبانة اقتداره، إلى جانب قدرتها على مواجهة حُكم الزمن في دَيمُومتها التي تعالت عليه وعلى صُروفه.

(**) في توضيح وتفسير ما استعصَى من غريب مُفردات المقصورة ومعانيها استأنسنا واسترشدنا بكتاب: «الدُّرَر المَنثورة في شرح المقصورة» للشيخ العلامة منصور بن ناصر الفارسي الفنجاوي الذي عثرنا=

تِـلكَ رُبُـوعُ الـحَـيِّ فِـي سَـفْـحِ الـنَّـقَـا تَـلُوحُ كَـالأَخْـلالِ مِـنْ جَـدِّ الـبِـلَى[1]

=عليه ضمن دراسة لغوية أعدّها د. عادل محمد علي الطنطاوي، كلية الشريعة والقانون، مسقط ـ ٢٠٠٥. والدراسة بحث أكاديمي وجدناه في نسخة طبعت على الآلة الكاتبة، ولا يبدو ـ حسب علمنا ـ أنه نشر في كتاب صادر عن دار نشر، أو عن كلية الشريعة والقانون. ورغم استفادتنا مِنهُ عوناً ومَرجعاً مُعيناً في تبسيط شرحنا للمقصورة، إلّا أننا لم نعتمد كُلياً على ما ورد في شرح الشيخ الجليل ولا فيما وافقه ـ أو لم يوافقه فيه ـ مُحقِّقُ «الدُّرر المنثورة»؛ بل اخترنا منهجاً وسطاً يُقرِّبُ المقصورة من ذائقةِ جيلٍ لم تسعفه لغته المُتداولة على تذوُّقِها، دون الإخلال برصانة وكثافة ومَرجعيات وإحالات تلك اللغة؛ دون تبسيطها إخلالاً بمتنِ القصدِ والقصيد، وأيضاً؛ دون توغلٍ مُنفِّرٍ في استفاضاتها النحوية واللغوية التي ستبدو لقارئ اليوم لُغزاً مُلغزاً؛ قد يجعله يَنكفئ ويَكفُّ عن مُحاولة تذوق النَّص. لذلك وافقنا مُحقق «الدُّرر المنثورة في شرح المقصورة» في بعض المواضع وخالفناه في مواضع شتى؛ لا سيما فيما ارتأيناه خطأ أوتعجُلا أو قصُوراً في فهم مراميها؛ لأسباب أملَتها طبيعة الاشتغال الأكاديمي وانهمام الباحث في دراسته اللغوية بمعاني الكلمات والإفاضة في شروحها القاموسية أكثر من الحفر والاشتغال على بُنية النَّص الشعرية في كُلِّيتها، كما في ترميزها الإيحائي الذي مَيَّز مقصورة أبي مُسلم. وهو الأمر الذي لمسه بتفطُّن وتواضع لمّاح الشيخ منصور بن ناصر الفارسي في شروحاته المُقتضبة. [يُعرِّفه الطنطاوي في التعليق على الشرح بصفته الفنجاوي، نسبة إلى بلده، فغيَّرنا النسبة إلى قبيلته: الفارسي، حيثما وردت إشارة إليه]، مع ذلك، فإن الدراسة اللغوية لشرح المقصورة كانت عَوناً لنا في اجترائنا على مُحاولة تقديمها مُبسَّطة قدر الإمكان، لا سيما أن الطبعات السَّابقة ـ بما فيها الأصل المعتمد، على دِقَّتِهِ ـ لم تُعْنَ بتشكيلِ المَقصورة وشرح مغاليق مفرداتها التي تستغلق على القارئ في تتبُّعها دون اليسير من التمهيد الشارح للجُزئيّ من المفردات والكُلّي مما ترمي إليه أبياتها. وقد اعتمدتُ فرش شرحي طبقة دهان مُضافة ـ إن صح التعبير ـ على دُرر الشيخ منصور الفارسي، لكنني عدَّلت و ـ أو أضفت واسترسلتُ جَمالياً في بعض الشروحات، بموازاة إهمالي للزوائد اللغوية الزائدة لشارح «الدُّرَر المنثورة»، اكتفاءً باعتماد ما بدا صَواباً وتصحيح ما بدا خطأً في نظرنا، وإهمالِ شرح الأبيات التي بدت لنا شارحة لذاتها، كما أنني خالفتُ الشيخ الفارسي في بعض المواضع وبيَّنتها في مواضعها، وبطبيعة الحال خالفتُ مُحقق الدُّرر المنثورة الذي لم ينتبه لها (قياساً إلى تصيُّداته اللغوية لهفوات الشيخ الفارسي، دون أن يُسبغ على «تحقيقه» بصيرة الأكاديميّ المُتفحص لمقاصد النصِّ ومَرامِي شارحه) ـ كُلُّ ذلك لم ألتفت إليهِ قدر التفاتي للمقارنة بن مفردات «الأصل المُعتمد» وأصلِ «الدُّرر المنثورة» واختلافاتهما في بعض المواضع وتبيان تلك الاختلافات، لتكون هذه النسخة المشروحة من المقصورة أقرب ما تكون إلى نسخة الشاعر الأم، قدر المُستطاع، وتقديمها مشروحةً ومُوثقةً بتبسيط يُقرِّبُها من القارئ المُعاصر؛ ليتمكَّنَ مَن اطّلع عليها وأعيتهُ بمُعْجَمِها سَهلًا مُمتنعاً أن يتقرب منها شميمَ ذائقة لم يُستنفد، بعد، في هواء المَقاصِير. ||ملحوظة: وردت المقصورة في الأصل المعتمد بعُنوان: «المجد لا يُملك عن وُرَّاثِهِ»، واستبدلناه بعنوانها الشائع: المقصورة.

(١) رُبوع: جَمعُ رَبْع، وهي المنازل والبيوت والوطن متى كان وبأيِّ مكان كان || الحَيّ: البَطنُ من=

أخْنَى عَلَيْهَا المِرْزَمَانِ حِقْبَةً | وَعَاثَتْ الشَّمْأَلُ فِيهَا وَالصَّبَا[1]
مُوحِشَةٌ إلّا كِنَاسَ يَعْفُرٍ | ومِجْثَمَ الرَّأْلِ وأُفْحُوصَ القَطَا[2]
عَرِّجْ عَلَيْهَا وَالِهاً؛ لَعَلَّهَا | تُرِيحُ شَيْئاً مِنْ تَبَارِيحِ الجَوَى[3]

=العَرب والقوم، وقصد بالحَيّ الأحباب الذين تشبَّب بهم || السَّفح: عَرض الجَبل أو أصله || النَّقا: القطعة من الرَّمل وموضع بين المدينة وجبل أُحُد || تلوح: تظهر وتبين || الأخلال: جمع خلَل، ويُجمعُ على أخيلة وهو ما يعرض للرَّائي بين نومه ويقظته؛ والقصد أنها صورة ذهنية مُتخيَّلة غير حقيقية أقرب إلى الوهم مِنها إلى الواقع || الجَدّ: التعجيل والإسراع || البِلى: القِدم والفناء. **المعنى**: تلك منازل القوم والأحباب في السُّفوح تبين للناظر إليها كأنها صُورة، وهي ليست كذلك من شدة الفناء وسرعته؛ حتى يظن أنه لم يرها إلا توهُّماً ـ إيغالاً في القِدَم والاضمحلال اللذين يُفصِحُ عنهما المطلع، تسريباً ـ لقارئ المَقصورة ـ أسلوبيّاً مُبكِّراً عَمَّا ستشِفُّ عنه مَناخات القصيدة.

(١) أخنى عليها: أهلكها || المِرزَمَان: مِرزما الشِّعرَيَيْن، وهما نجمان أحدهما في الشِّعرى والآخر في الذراع || حِقبة: المُدَّة من الدهر لا وقت مُحدَّد لها، [تستخدم حالياً في تحقيب العُصور الجيولوجية القديمة]، وجاء في التنزيل العزيز «لابثين فيها أحقابا» || الشَّمأل: ريح الشمال | الصَّبا: ريح مهبُّها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. **المعنى**: لقد طال الدهر وأهلك تعاقب نجمي المِرزمان تلك الرّبوع كما أفسدتها الصَّبا ورياح الشمال حتى لاحت كئيبة كالأطلال لناظرها.

(٢) موحشة: مقفرة خالية. يجوز قراءتها بالرفع: هي مُوحِشَةٌ وبالنصب على الحال من الرّبوع || الكِناس: موضع استتار ذوات الأظلاف كالظباء والأوعال في الرمال أو تحت الأشجار || اليَعفُر: الظبي الذي بلون التراب، أو أنه أراد مُطلق الظباء. (وردت في الأصل المُعتمد: أغفر: وتعني الظبي العربي؛ وهو الغزال الأعفر) || المِجثم: موضع جثوم الرَّأل ومكان لزومه كالكِناس لليعفر || الرَّأل: فرخ النَّعام || الأفحوص: مَجْثَمُ القَطاة لأنها تَفْحَصُ الموضع ثم تبيض فيه، وكذلك هو للدجاجة؛ قال الممزَّق العبدي: «وقد تَخِذَتْ رِجْلي إلى جَنْبِ غَرْزِها | نَسِيفاً كأُفْحُوصِ القَطاةِ المُطَرِّقِ» [وردت في الأصل المُعتمد ولدى الشيخ الفارسي: «أحفوص»، فصحَّحناها من النسخة الواردة في كتاب «نهضة الأعيان»] || القطا: طائر معروف، سمي بذلك لثِقَل مَشيه، واحدته قَطاة، والجمع قَطَوات وقَطَياتٌ. **المعنى**: إن تلك الرّبوع أضحت مقفرة موحشة بعدما كانت آنسة عامرة بسُكانها، ولم يبق فيها سوى آثار مراقد الظباء وولدان النعام والقطا. **تلميح**: يتمظهر، هنا، حنين الشاعر الشفيف رغم قسوة ظعنه الجاهليّ صُورة وتركيباً في هذا البيت الذي يملأ شاشة العين بأطياف الذكرى الموغلة في قدمها حَدَّ طَفِوها من جديد في مياه الذاكرة بموتها وحياتها المُستعادة فيه؛ كما لو في حُداءٍ يُبحرُ ليسَ في رمالِ الذكرى بل في تَرَمُّلها ويُتمِها الفائض من يُنبوع التفجُّع، كما في هذا البيت وما يليه من أبيات المطلع.

(٣) عرِّج عليها: مِلْ واعطِف عليها، وأيضاً ترد بمعنى: قِف والبَثْ، ومنها تعرَّج على المكان: أي حَبسَ مَطيّته عليه || والهاً: حزينا كئيبا || تباريح الجوى: شدة الوجد والشوق من عشق أو حزن. **المعنى**: =

نَسألُها ما فَعَلتْ قُطّانُها	مُذ بَايَنُوها ارتَبَعُوا أيَّ الحَشا[1]
هَيْهَاتَ أقوَتْ لا مُبينَ عَنهُمُ	لِمُحتَفٍ بشأنِهِم غيرُ الصَّدى[2]
تَربَّعَ الآنِسُ مِنْ أرْجَائِها	واسْتأنسَتْ بها الظِّباءُ والمُهَا[3]
فَقِفْ بنا عِندَ غُصُونِ بَانِها	نُشاطِرِ الوُرْقَ البكاءَ والأسَى[4]

=أيها القاصد إلى تلك الربوع عرج عليها براحلتك واعطف وأظهِرْ عندها الحزن والوله، علّ وقوفك بها يخفف حدة الشوق وتوهجه. تلميح: رغم وحشتها تلك، يطالبُ المُحدِّث ـ يُطالبُ حنينه، بالأحرى ـ التعريج على تلك الرُّبوع الموحشة، علّها ـ وإن لم تتيقن ـ تريحك من شدة توهج الشوق، فربّما تحصل لدى تلك الربوع، على إجابة شافية للسؤال.

(١) نسألها: أي نسأل الربوع || قطّانها: المقيمون الساكنون في المنازل || باينوها: فارقوها || ارتبعوا: سكنوا وأقاموا ونزلوا || الحشا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كلّه من الكبد والطحال والكرش. المعنى: نسألُ منازل تلك الربوع الموحشة عما فعله سكانها منذ فراقهم لها. وأين سكنوا؟ لأنهم، في حقيقة الأمر، لم يُفارقوا مَرابعهم تلك، بل سكنوا في الحَشا. تلميح: والبيت تأكيد على استمراريّة صيرورة الظعن والحنين بين الراحل والمُترحَّل عنه في تبادُل أدوارهما التي لا تنتهي بنهاية التسآل.

(٢) هيهات: فعل ماض بمعنى: بعد || أقوت: فنِيَت || المُحتفي: السائل بإلحاح || الصَّدى: طائر يصيح بالليل. والصَّدى: العطش وما يردُّه الجبل على المُصوِّت فيه، وجمعيها تناسب تفسير الصَّدى. المعنى: لقد فنيت تلك الطلول ولا أحد يخبر السائل بإلحاح عن سكانها غير الصدى. وامتزاجُ معاني الصدى الثلاثة: الطائر النواح ليلًا، العطش وترجيع الجبل على المصوِّت فيه إيغالُ مُبالغة لوحشة تلك الربوع.

(٣) تربَّع: خلا وفني، وأيضاً الإقامة المؤقتة في المكان وقت الرّبيع ثم الرحيل عنه || الآنِس: من الأنس؛ ومنها الأنيس: وهو وصف بمعنى الأنيس؛ أي الجليس. والمُؤانِس: كلُّ مَأنوسٍ به. يُقال: ما بالدار أنيس، وهم سُكّانها || الأرجاء: الجِهات || استانست: استقرّت ورتعت || المُها: جمع مهاة وهي بقر الوحش: (بن سُولع بالدّارج العُماني). المعنى: لقد رحل سكان تلك الربوع من كافة نواحيها، وما بها من أنيس يُستأنس بوجوده بعد أن رتعت فيها الظباء وبقر الوحش واستأنستها لدرجة أنها لم تعد متوحشة. من اللافت في هذا البيت أن الشيخ الفارسي لم ينتبه لِمُفردة «الآنِس»، كما لم يتنبّه لها دارس شرحه واعتُبرت: «الأنس» في الشرح. فـ«الآنِس» هو الأنيس المُستأنِس والمُستأنَسُ به في أرجاء مكانه ـ وفي استقامة البيت الشعري دليلٌ وعلامة ـ وهو ما يُحيلُ بداهة إلى قول الشاعر في الشطر الثاني من البيت: «واستأنسَت بها الظباءُ والمُها»، فالظباءُ وبقر الوحش لا تَستأنسُ بقعة آنَستها إنسان.

(٤) البان: شجر له أغصان ميّاسة يتشبب بها الشعراء || الورْق: الطيور ذوات الأسماع كالحمام والبلابل وغيرهما || الأسى: الحزن || أهَرِيق: فعل مضارع من أهَراق الماء يهريقه إهراقةً، وأهرقه يهريقه: أي صَبّهُ وسَكبَه || البقايا: جَمعُ بُقية وهي بعض الشيء؛ أي آخر ما تبقّى منه، ويقصد ما تبقى من=

بِـحَـيْـثُ أُهْـرِيـقُ بـقـايـا دَمْـعـتِـي	وأُتْـبِـعُ الـنَّـفْـسَ إذا الـدَّمـعُ انـقـضَـى
إنَّ مِـنَ الـحَـقِّ عـلى مَـدامِـعـي	أن تَـسْبِـقَ السُّـحْـبَ على رَبْـعٍ عَـفـا(1)
عَـهْـدِي بـدَمْـعِـي طـاعَـةُ ادِّكـارِهِـم	وَبـفُـؤادِي إنْ دَعَـا الـعَـذْلُ عَـصَـا(2)
وَمَـا وُقُـوفِـي عِـنْـدَ بَـانٍ نَـبَـتَـتْ	غُـصُـونُـهُ بـيـنَ الـضُّـلوعِ وَالـحَـشا(3)
لـولا عـلاقـاتُ هَـوىً تـحَـكَّـمَـتْ	فـي رَمَـقٍ عـاشَ عـلى مِـثـلِ الـصَّـلا(4)

=مُهجته || أُتبِعُ: أُلحِقُ || النَّفس: الرُّوح والدم والجسد || انقضى: فنِيَ ونفذ وكَمُل. معنى البيتين، تِباعاً: أيها العاطف نحو تلك الربوع إذا وصلتها فقف بنا عند أشجارها كي نتقاسم مع حماماتها الحزن والبكاء. فحالها كحالنا في الحُزن، ليستطرد في البيت التالي إمعاناً في تشخيص ما تستوجبه حاله انفراداً وتفرُّداً عن سواه من العابرين في القافلة: بحيث أسكب بقايا مهجتي وألحِقها بالنفس إن لم أجد ما أجودُ به بعد انقضاء الدمع ونضوبه في مَحاجر عينيّ.

(1) إن من الحق: أي من الواجب || المدامع: جَمعُ مَدْمَع وهو مخرج الدمع في العينين، ولكل عين مدمعان. وربما أراد بالمدامع الدموع ذاتها || تسبق: تتقدَّم || السُّحب: جَمعُ سَحَابة || الرَّبع: المنازل || عفا: فنِيَ وذهب. المعنى: إن من الواجب على دموعي أن تستبق السَّحاب في انسكابها حُزناً على ذهاب وفناء تلك الرّبوع. في هذا البيت يبلغ أبو مُسلم الذروة في إيغال تصويره لأرض يباب لا حياة بها تعوي بها ريحُ العدَميَّةِ والموت؛ ولذلك سيحتاج بعدها إلى راحلة أسطورية تسوقها البُروق مُحلِّقةً بها إلى السماوات العُلا حتى يخرج من ذلك المَوات.

(2) عهدي: عِلمي ومعرفتي || الطاعة: الانقياد || الادّكار: التذكُّر || العذل: اللوم || عَصَى: خالف الأمر. وعَصَى الطائرُ يعصِي: بمعنى طار. المعنى: ما تعودته وعهدته من دمعي هو الانقياد لتذكرهم انسِكاباً، وما علمته من فؤادي أنه مُنقاد طائع لذكرهم مخالف أبداً لدعوة لائمه، أو طائراً عنه. (ورد في «الدُّرر المنثورة» شرحُ المعنى الأول لـ عَصَى، وقد وجدنا المعنى الثاني: «طار» في لسان العرب، فأضفناه، لأننا اعتقدنا بصوابه أيضاً: فالأفئدة ـ كما تُخالف لوم العاذل الدَّاعِي ـ فهي تطير كالطيور، وإحكام بلاغة البيت وجماليته الشعرية قائمة على ثنائية المعنى).

(3) ما: استفهامية تعني التعجُّب || وقوفي: قيامي. المعنى: وما فائدة وقوفي على غصون البان النابتة داخل جسمي بين الضلوع والحشا، فهو وقوف لا يخفف همِّي، بل يزيدني حزناً وشوقاً مُضاعفاً إلى الأحباب.

(4) لولا: أداة شرط رُكِّبت من «لو» و«لا» النافية || العلاقات: جمع علاقة، وهي السبب، والعلقة: تعني الدّم || الهوى: الحب || تحكمت: تغلبت وجازت || الرَّمَق: بقية الحياة. وبكسر الميم: رَمِق، تعني ضعيفُ العيش، وأيضاً الفقير المُتبلّغ بما يترمّق به من العيش القليل|| عاش: حَيِيَ ضد مات، وأيضاً: الطعام الذي يعيش به || الصَّلا: الشواء، بكسر الصّاد، وأيضاً تعني المقاساة بفتحها، مِن صَلِي بالنار. المعنى: لولا وجود أسباب الحب والشوق التي تحكمت وتغلبت على المتبقي في بقية=

دَعْــنــيَ أبْــكِــي دِمَــنــاً تــغــيَّــرَت وأُطْبقَ الـجَـفـنَ بـهـا عـلى الـقَـذى[1]

وَأذْكُــرُ الإلْفَ الــذي كــان بــهَــا وَكَـيـفَ شَـطَّـتْ بِـهِـمُ عَـنـهـا الـنُّوى[2]

لـم يَـبـقَ فـيـهـا أثـرٌ لـهُـم سِـوى عَـيَـارَةِ الـخَـيْـلِ ومَـرْكَـزِ الـقَـنَـا[3]

لِتَـسْـرَحِ الـبُـرْحَـةُ فـي بَـرَاحِـهـا فـإنَّـهـا قـد بَـلغـتْ رَأسَ الـمَـدَى[4]

لـطَـالـمَـا أطْـلَحْـتُـهَـا سَـارِيـةً تَـمْـزعُ فـي الـدَّوّ وَلا مَـزْعَ الـطَّـلا[5]

يَـعْـمَـلةٌ قـد أخـذتْ سُـلاحَـهـا مِـنْ حَـقَـبٍ يَـزِيـنُـهـا عـلى الـوَنَـى[6]

=قليلة من الحياة؛ لعاش قلبي كالشواء لا حياة فيه قط، لكن تحكم الشوق هو ما أبقى الحياة في ذلك الرّمق، ولولاه لانقطعت أسباب وجود حياته قلباً ينبض بالحياة.

(١) الدِّمَن: جمعُ دِمْنَة وهي آثار الديار وآثار الناس، وربما أراد بها الدار من باب تسمية الأعم بالأخص || التغيُّر: التبدل من حالة الحُسن إلى حالة القبح || أطبق: ألصق || الجفن: غطاء العين أعلى وأسفل، جَمعُهُ: جفون || القذى: ما يتكون في العين من رمَص وغمَص وغيرهما ليتراكم حول المدامع. المعنى: دعني أيها اللائم أبكي تلك الدِّمَن المُتغيرة، دعني أبكيها حتى يلتصق الجفن بالجفن من شدة البكاء على قذى العين.

(٢) الإلْف: الأليف الذي يألفك وتألفه || شطّت: بَعُدَت || النُّوى: الخيام. المعنى: ودعني أيها اللائم أبكي وأذكر الإلف الذي كان في هذه الدِّمن وأسألها عنه بعد أن بعدت به الخيامُ عن معاهده التي عهدته فيها.

(٣) عَيَارَة الخيل: موضِع رباطها || مركز: موضع الرماح || القنا: جمع قناة وهن الرماح. المعنى: لقد فنيت تلك الرُّبوع والدِّمن ولم يبق من أثر لسكانها سوى مواضع رباط الخيل ومواضع غرز الرماح.

(٤) البُرحة: الناقة الشريفة المنتمية إلى خِيار الإبل || البَرَاح: المُتسع من الأرض || رأس المَدى: أعلاه وغايته || المَدى: الحَدّ الذي تنتهي إليه الغاية. المعنى: فلتسرح ولتنطلق بي هذه الناقة انطلاقاً في المتسع من الأرض، فقد بلغت أعلى وأقصى المدى المقصود. وما نلاحظه، هنا، إعلان الشاعر/ الراحل بأن رحلته قد وصلت نهايتها، وأنه سيحتاج بعدها إلى «براق» يحلّقُ به بعيداً عن هذا اليباب.

(٥) أطلحتها: أتعبْتُها || سارية: مسيرها في الليل || تمزع: تسرع، والمَزع: هو الإسراع أوّلَ العَدْو وآخره|| الدَّو: الفلاة الواسعة والمستوي من الأرض [وردت في الشرح: الدّق، وفُسّر أيضاً بالفلاة]|| الطلا: ولد الظبية. المعنى: لطالما أتعبت هذه الناقة لكثرة السُّرى في الليل بتسارع يفوقُ في شدته حتى تسارع وليد الظبي خفيف الحركة. وفي البيت امتداح لراحلته بصفاتها الغرائبية التي تتفوق من خلالها على كافة النجائب في ترحُّلها الطلليّ.

(٦) يَعْمَلة: الناقة النجيبة || سُلاح: النجو (بالضم)، أي نجاتها. وناقة سَالِح: سَلحت من البقل وغيره، وسلح الحشيشُ الإبل. وسِلاح: بالكسر، اسم جامع لآلة الحرب، وأيضاً أخذت الإبل سِلاحَها:=

رَوْعَـاءُ تَـرْمِـي مُـقْـلَتَـيْـهَـا حَـذَراً بَـيْـنَ عَـزِيـفٍ وَعُـوَاءٍ وَصَـدَى[١]

زَيَّـافَـةٌ تَـخْـوِذُ فِـي تَـجْـلِـيـحِـهَـا لا فَرقَ مَا بَيْنَ الدُّماثِ والكُدَى[٢]

تُـخَـلِّفُ الـرِّيـحَ تـكُـوسُ خَـلفَـهَـا كـأنَّـهـا أَعَـارَتِ الـرِّيـحَ الـحَـفـا[٣]

كـأنَّـهـا مِـنْ حَـقَـبٍ مُـنـحَّـبٍ في سُدْفَةِ الليلِ هِلالٌ قد خَوَى[٤]

=أي سَمِنت. وكلٌّ تلك المعاني مُتضافرة في المعنى المُراد || الحَقب: ما تشد به الناقة من حبل وغيره في البطن || يزينها: ضد يشينها [أيضاً، يقترح الشيخ الفارسي ورودها: يزبُنها؛ أي يحميها ويدفعها] || الوَنَى: الإعياء والتعب. المعنى: وهذه الناقة النجيبة قد نالت نجاتها وقوتها واستمرارها في قطع المفاوز بسبب حقبها المشدود إليها (حقبها الذي يزيُّنها) إضافة إلى حمايته لها من تعب المسير. نلاحظ أن أبا مُسلم يسبغ، في هذا البيت، على راحلته الموصوفة بتمعن شاعر ضليع مُتمكِّن من موضوعه، كما لو كان من شعراء الجاهلية أو الشعراء الصعاليك أو شعراء صدر الإسلام، رغم أنه لم يعش في عُمان، بل قضى جُلّ حياته في شرق أفريقيا. ملحوظة: يبدو أن لأبي مُسلم هدفاً آخر من هذا الإطناب في وصف راحِلته (وهو أمر لا داعي له في زمَكان الشاعر)؛ فهو وصف يتصاعد من راحِلة قوية جلدة تقطع مفاوز الصحراء بثقة وقوة حتى تنتهي إلى كائن أسطوري مُجنح بوميض البرق اللامع مُحلِّقةً بفارسها عبر مجرات الكون.

(١) روعاء: ذكية || ترمي مقلتيها: تلقيهما || العزيف: أصوات الجِنّ || عواء: أصوات الكلاب والذئاب أو أصوات السباع على إطلاق || الصَّدى: أصوات الطير وما يرجِّعُهُ الجبل للمُصوِّت. المعنى: هذه الناقة شديدة الجري ذكية شهمة في جريها الليلي تلقي بنظرتها يميناً وشمالاً في حذر احترازاً مما يخيف من عزيف الجن وعواء السباع وصدى الطيور الليلية وترجيع صدى الجبال.

(٢) زيّافة: نعت للناقة، والتزيُّف هو التبختر في المشي || تَخوِذ: تسرع || التجليح: الإقدام والتصميم || الدُّماث: الأراضي المستوية || الكُدى: الأراضي الصلبة. المعنى: ومن صفات هذه الراحلة المتبخترة في سيرها أنها ذات إسراع شديد وعزم قوي وإقدام لا يُضاهى غير مُفرِّقة في سيرها الحثيث بين الصلب من الأرض واللّيِّن.

(٣) تكُوسُ خلفها: تعيا وراءها || الحفا: ضدّ المُنتعل. المعنى: ولشدة سُرعتها تسبق الريح ذاتها، بل تورثها الإعياء كما لو أنها أعارتها الحَفا؛ لتسبقها بأخفافها التي لا تبلى. والمفارقة الشعرية اللافتة في البيت هي إسباغ صفات النوق على الريح لإظهار مدى وقدرة استباق الراحلة السبوق لريحٍ عيّانةٍ حافية لا تستطيع مُجاراة راحلته.

(٤) حَقَب: الحزام الذي يلي حَقوَ البعير. والحَقبُ في النَّجائب: لطافةُ الحَقْوَين وشدة صِفاقهما، وهي مِذْحَة || مُنحَّب: نعت لحَقب وتعني شديد قوي. والمُنحِّب: القاصد في سيره لا يريد غيره، كأنه جعل ذلك نذراً على نفسه، والنَّحب: السير السريع || السُّدْفة: ظلمة الليل، وطائفة منه، وظلمة فيها ضوء من أول الليل وآخره؛ ما بين الظلمة إلى الشفق، وما بين الفجر إلى الصلاة || الهلال: غُرّة القمر أو لليلتين أو لثلاث ليال أو سبع || خَوَى: خَفِيَ ودَقّ. المعنى: ومن صفاتها المُميزة خلال=

كـأنَّـمَـا تُـطِـيـرُ مِـنْ لُغـامِـهـا سِرْبَ ثَغَامٍ فوقَ خِيطانِ الغَضَى[1]
يَـلُبُّـهـا الـبَـرْقُ كـأنَّ سَـائِقـاً يَـحْـزَؤهَـا نَـخّـاً بـأسْـوَاطِ الـسَّـنـا[2]
إذا اسْـتَـطَـارَ أرْزَمَـتْ وَازِفَـةً تُـوَاضِـخُ الـخَـالَ بـأجْـوازِ الـفَـلا[3]
كـأنَّـمـا الـبَـرْقُ لـهَـا أجْـنِـحَـةٌ إذا رَأتْـهُ حَـلَّقَـتْ إلـى الـسُّـهَـا[4]

=سيرها وامتدادها في السير خَفاؤها، فهي تكاد لا تبين، وإن بانت بدت للناظر إليها كهلال مطلع الشهر؛ لرشاقتها البالغة، بسبب اشتداد حزامها ولطافة حقويها اللذين يساعدانها على الإسراع حتى تكاد لا تُرى في ظلمة الليل.

(١) تُطِير: تقذف || اللُّغام: الزَّبد الذي يخرج من فم البعير عند هيجانه || السِّرب: القطيع من كُل شيء || الثغام: نبت أبيض الثمر والزهر يُشبّه ببياض الشيب، وأيضاً هو البياض من كل شيء || خيطان: جمع خائط || الغضى: شجر من نباتات الرمال. المعنى: ولشدة سيرها فهي تقذف من فمها الزبد في كل الاتجاهات، كما لو كانت تقذف سرباً من الزهر الأبيض على أعواد شجيرات الغضى الكثيفة. ولنا أن نتخيل ناقة لشدة سرعتها في المشي تقذف زبدها الأبيض سرباً من الزهور البيضاء على أعواد الغضى، فالصُّورة الشعرية مُتفجرة من ينبوع لم يُعهد له مثيل في الشعر الكلاسيكي، وهو مِثال جليّ على قوة التخييل الشعري لدى أبي مُسلم.

(٢) اللَّبّ: الحَادِي اللازم لسَوق الإبل لا يفتر عنها ولا يُفارقها إقامَة وتسريعاً لسيرها || يَحزَؤها: يحزأ الإبل؛ أي يجمعها ويسوقها || نخّاً: سيراً عنيفاً، وهو مفعول لأجله: أي لأجل السير سيراً عنيفاً || أسواط: جَمعُ سَوط، وهو ما يستخدمه الحادي لتوجيه ناقته وحثها على الإسراع || السَّنا: ضوء البرق. المعنى: هذه الناقة العجيبة لا يسوقها الحادي المُعتاد لتسرع في سيرها، لأن من يلبُّها هو البرق لتسرع في مشيها بأسواط السّنا لا الخيزران. وهو بيت يُبين عن مخيّلة جامحة لا تكتفي بالأنساق المُتعارف عليها في صنعة الشعر ولا تتكلف مُجاراتها، فالحادي هو البرق الذي يسوقها ببريق لمعانه السريع المتقطع في البيداء.

(٣) استطار: سَطَع؛ والفاعل ضمير عائد إلى البرق || أرزمَت: ثبتت في سيرها || وازفة: مُسرعة تُقارب خطوها || تُوَاضِخ: تواضخت الإبل: تبارت في السير [وردت في الشرح: تواضح، فصحّحناها] || الخال: السحاب الذي إذا رأيته حسبته ماطراً ولا مطر فيه || الأجْواز: جمعُ جوز وهي الطرق || الفلا: الأرض الواسعة؛ حُذفت اكتفاءً، وأصلُها: الفلاة. المعنى: فإذا ما سطع نور البرق اشتد سيرها بتأثير سياطه، لتثبت في سَيرها قبل أن تستمر في وتيرة إسراعها بخطو متقارب، لا لتباري مثيلاتها من الإبل، بل لتباري مَشيَ السُّحب التي تعلوها، كأنما اهتداء بها في طريقها التي تشقها في الفلوات.

(٤) حَلَّقت: علَت وارتفعت || السُّها: كُوَيكبٌ صغير خفيُّ الضَّوء في بنات نعش الكُبرى، يمتحن الناسُ به قوّة إبصارهم. المعنى: وللبرق أكثر من فعل، فكما كان الحادي بعصاه الضوئيّة في البيت السابق، يتحوّلُ ليُصبح أجنحة لتلك الناقة الأسطورية؛ نراه يتحوّل إلى طائر من ذوات الأجنحة يُحلّق بها=

أقــــولُ لــــلبـــرقِ وقـــد أرَّقـــنِـــي	لَهِـيـبُـهُ أعْـلَى ثَـنـيَّـاتِ الـحِـمَـى[(١)]
سَـقَـيْـتَ أجْـرَازَ الـبـلادِ فـارْتَـوَتْ	وحَظُّ قلبي مِنكَ إلْهَابُ الجَذى[(٢)]
خَـلِّ نُـعَـامَـاكَ تُـدَاجِـي مُـهْـجَـتـي	فـإنَّـهَـا مَـجْـرُوحَـةٌ مِـنَ الـجَـوَى[(٣)]
أهْـفُـو إلـى رَوحِ الـنَّـسِـيـمِ راجِـيـاً	إطفاءَ ما بالقلبِ مِنْ حَرِّ الصِّلا[(٤)]
أعَـلِّلُ الـشــوقَ يُـصَـادِي كَـبِـدِي	نفحُ شَمِيمِ الزَّهْرِ مِنْ تِلكَ الرُّبَا[(٥)]

=البرق (أو تُحلِّقُ بأجنحته) إلى كُوَيكب السُّها البعيد في نجوم نَعْش، ذاك الكُويكب الذي اعتاد الناس امتحان قدرتهم على الإبصار برُؤيته. لكنَّ الرّحلة لم تكتمِل، إذ أن شدة وميض البرق قد أعاد الشاعر إلى أرض الواقع، ملتفتاً أكثر إلى أساهُ الداخلي، وعجزه، وحيرته، كما سَيظهر في الأبيات اللاحقة. [في الدرر المنثورة، ورد البيت كالتالي، خلافاً لِما ورد في الأصل المُعتمد: «كأنما البرقُ لها أجنحَةٌ | إذا رأتهُ حَلَّقتْ إلى السَّما»، لكننا فضَّلنا ما ورد في الأصل المُعتمد اعتقاداً بدقَّتِهِ وصَوابه، ولا بأس به معنى مُرادِفاً].

(١) أرّقني: أسهرني || لهيبه: تأجُّج حَرّه واشتعاله || ثَنيّات: جَمعُ ثَنِيّة، وهي العقبة في الجبل أو العقبة تتلو العقبة. ومنه قولهم: فلان طلّاعُ الثّنايا || الحِمَى: الذي يُحْمَى أن يُنالَ بالضّيم من مكانٍ وغيره. المعنى: بعد أن غَذَّتْ راحلته في سيرها وجَنَّحت إلى نجم السُّها [أو إلى السَّماء، في شرح الشيخ الفارسي] يعود ليخاطِبَ البرق بعد أن أنجزت راحِلَتهُ مَجازيها الإستعاري والوظيفي، قائلًا له بعد أن أرّقه بسناه ولهيبه الساطع أعلى ثنِيّات المنازل التي يتشبب بسكانها الراحلين.

(٢) سقيت: أمطرت، والتسقي للبرق مجاز استعاري || أجراز: الأرض الملحة التي لا نبت فيها || ارتوت: أخصبت || الإلهاب واللهب واللهيب والتلهب: الحَرّ والاشتعال || الجَذى: جمعُ جذوة، القبس من النار أو الجذوة الشديدة. المعنى: أمطرتَ حتى الأراضي المالحة التي لا نبت فيها من أرجاء البلاد، وحظ قلبي منكَ، يا برق، إلهابُ جذوته المشتعلة أصلًا عوضاً عن تبريدك لحَرّهِ بالقليل الفائض من مطرك الهاطل.

(٣) خلِّ: فعل أمر من خلا يخليه، أي: دع واترك || النُّعامى: من أسماء ريح الجنوب؛ لأنها أبَلُّ الرياح وأرطبُها || تُداجي: تُعَلِّلُ وتُداري || المُهجة: دم القلب، ولا بقاء للنفس بعدما تُراق مُهجتها، وقيل هي الدم، وخالصُ النَّفس || مَقروحة: مجروحة، والقرحة هي الجرح المتآكل || الجَوى: الحزن والشوق. المعنى: يخاطب البرق: فإن لم تمطرني، فدَعْ ريحك الباردة تداري مُهجتي المجروحة من الحزن والشوق.

(٤) أهفو: أحِنُّ وأشتاق || الرَّوح: الراحة ونسيم الرّيح الباردة || الصِّلا: النار. المعنى: فكم اشتقت إلى النسيم البارد عله يطفئ نيران قلبي.

(٥) أعلِّل: ألهِي || يُصادي: يداجي ويُداري (أيضاً، وردت بصادي: أي الكبد العطشى) || نفح الشميم: رائحة الزهر وحس الأنف بريح الطيب || الرُّبا: جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض، وأراد بها=

فكَانَ مِنْ حَيثُ الشِّفاءِ عِلَّتي : وَرْيُ زنادِ الشَّوقِ مِنْ ذاكَ النَّثا[١]

ورُبَّما مَنَّيتُ نفسِي طَيفَهُم وهو حَلالٌ ليَ إنْ حَلَّ الكَرَى[٢]

ولو قَصَدْتُ هَفوَةً بحُبِّهِم أو كُنتُ مَنْ عَاهَدَهُم فمَا وَفَى

أرْسَلتُ طَرْفي رَائِداً لدَهْشَةٍ بِرَبْعِهِم تُذْهِلُني عَنِ الأسَى[٣]

هَيهَاتَ لا تَمنحُني طُلُولُهُم وسَانِحاتُ ذِكْرِهِم إلّا الضَّنى[٤]

=منازل الأحباب. المعنى: أعلل شوقي (وهو يداري كبدي) أو أعلله بكبد عطشى لتنفحني رائحة زكية من زهر تلك الرُّبا. (تُقرأ نفح بالكسر، بَدَل اشتِمال في حالة: بصادي).

(١) حيث: اسم مكان مُبهم || الوَرَى: الاتقاد والاشتعال، بالنصب مفعول لأجله، أو وُرَى - بالضم - بدل اشتمال من علَّتي || الزناد: الحجر تنقدح منه النار || النَّثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء، ويكون للخير والشر [هكذا في الأصل المعتمد، وترد لدى الفارسي: النشا: أي الرائحة الطيبة]. المعنى: فثبت عندي أن وجود علتي ومرضي الذي أقاسيه واقع من حيث أظنه شفاء لأجل ورى نار الحب واشتعاله بسبب تلك الريح الطيبة التي أظنها شفاء لما بي - وفقاً لشرح الشيخ - ونحن نعتقد بصحة ما ورد في الأصل المُعتمد: النَّثا، وعليه يكون المعنى: بعد أن علَّلت الشوق بعطش كبدي بأريج من شميم تلك الرُّبا - كانت علَّتي من حيث شفائي، فاتقدت نار الشوق مما حسبته شفاء بسبب ذاك النَّثا؛ أي اختلاط الخير والشر دون تمييز وتفريق بين الروائح؛ وذلك - في اعتقادنا - أنه أراد مقابلة ضدِّية العلة والشفاء في الشطر الأول، تأكيداً على تبادل دوريهما من حيث هما علّة وشفاء في الوقت نفسه.

(٢) المعنى: وربما منيت نفسي برؤية طيفهم بعد استحالة رؤيته في اليقظة، فهو - حسب علمي - حَلالٌ وليس حراماً في أحلام النائم.

(٣) أرسلت طرفي: أطلقته وبسطته || رائداً: من الرَّوْد، أي طالباً. والرود: طلبٌ للشيء والذهاب إليه || الدَّهَش: التحيُّر وذهاب العقل. معنى البيتين: ولو قصدت هفوة بحبهم، أو كنتُ - لا سمح الله - مُعاهداً لم يَفِ بما عاهد به، لأرسلتُ طرفي وبَسَطته في ربوعهم طالباً لدهشة تحيِّرني وتطيِّبُ نفسي مما أنا فيه من ألم وحزن وأسى.

(٤) تمنحني: تهبُني [وردت في الأصل المعتمد: «تمنعُني»، ووردت في شرح الشيخ الفارسي: «تُمتِعُني»، ولم نعتقد بصحة كليهما، وفي اجتهادنا المُتواضع أنها كانت في الأصل: «تمنحني»، فانقلبت الحاءُ عَيناً لدى تداولها ونقلها من المخطوطة] الطلول: ما بقي شاخصاً من آثار الديار || الضَّنى: المرض، والسقيم الذي طال مرضه وثبت فيه || السَّانحات: جمع سانحة؛ وتعني اليُمْن، وأصلها مرور الطائر أو الظبي من ميسرتك إلى ميمنتك ليولِّيكَ مَيمَنته، والعرب يتيمَّنون به ويتباركون|| الضَّنى: المرض. المعنى: ولكن هيهات، لا تهبني رؤية تلك الطلول، ولا التبرُّك بذكرهم وهم يمرون في خيالي كالطيور من ميسرتي إلى ميمنتي، لأنَّ النتيجة في حالتي، ليست سوى المزيد والمزيد من الحُزن والسَّقم الذي لا يَبرأ.

ولــو تَــرَكْــتُ واجِــبَــاتِ حُــبِّــهِــم   أو صَــدَفَ الــهَــجْــرُ غَــرَامِــي والــقِــلى
أو تَــرَكَــتْ لِي كَــبِــداً صَــحِــيــحَــةً   أو جَــلَــدَ الــحُــرُّ عَــلى قَــرْعِ الــنَّــوَىٰ
لــكَــانَ لِي عَــلى الــطُّــلولِ وَقْــفَــةٌ   أُبَــرِّىءُ الــنَّــفــسَ بــهَــا مِــنَ الــهَــوَى(١)
لــكــنَّ لِي قَــلبــاً عَــرَتْــهُ سَــكْــرَةٌ   مَــا ضَــلَّ فــي غِــمَــارِهــا ولا غَــوَى(٢)
وعَــاشَ فِــي صَــبَــابَــةٍ تَــعْــمِــدُهُ   مَــالَ إلــيــهــا عَــامِــداً فــمَــا ارْعَــوى(٣)
أسْــلُو بِــمَــن أهْــواهُــمْ وإنْ نَــأَوا   وكَــيــفَ يَــسْــلو دَنِــفٌ بِــمَــنْ نَــأى(٤)
وكَــيــفَــمَــا خَــامَــرَنــي الــحُــبُّ فــمَــا   قلتُ: رَشَادي، يا تُرى، أينَ وَخَى(٥)

---

(١) صدف: أعرض ومال | الهجر: الترك والقطع || القِلى: البغض || جلَدَ: اسم مصدر بمعنى التَّجلُّد || الحُرّ: ضد العبد || القرع: التعنيف أو الذهاب؛ قرعه يقرعه؛ أي أذهَبَه || النَّوَىٰ: البُعْد || الطلول: آثار الديار || أبرّئ: أنزه || الهَوى: العشق وإرادة النفس. **معنى الأبيات الثلاثة**: ولو كان قصدي أن أترك وأدع الواجب اللازم عليَّ في حُبّهم، أو مال قلبي عن حُبّهم أو قصدت هجرهم واعتزالهم، أو أبقت لي واجبات حبّهم كبداً صحيحة أو تجلُّداً على حُبّهم ـ لو كان الأمر كذلك؛ لوقفت على آثارهم لأشفي نفسي مما اعتراها لأبرّئ نفسي عن الهَوى، لكن الأمر لم يكُن كما حسبته.

(٢) عَرَتْهُ: غشيته || سَكْرَة: ضدُّ الصحو؛ أي ذهابُ العقل بمُسكِر ما || ضلَّ: عكس اهتدى || غِمَارِها: من الغمْرَة؛ أي مُنهَمَك الباطل، يقال: هو في غَمرة من اللهو والتسكع [وردت لدى الشيخ الفارسي: خِمارها: بمعنى السُّكر نفسه مُشتق من الخمرة، ولا بأس بالمعنيين معاً] || غَوَى: من الغِواية. **المعنى**: لكنَّ لي قلباً غشيتهُ سكرة الحُبّ، ورغم السَّكرة لكنه ما ضلَّ انهماكاً فيها ولا غوى. وكما نلاحظ؛ أهميَّة ورود الخِمار إلى جانب الغِمار؛ فقد سبق وذكَرَ قلبَهُ الذي عَرَتهُ سَكْرَة، والضمير في خِمارها أو غِمارها يعود إلى السَّكْرَةِ ذاتِها.

(٣) صبابة: شوق || تعمده: توجعه وتمرضه وتضنيه || عامداً: قاصداً || ارعوى: كَفَّ وارتدع وانتهى. **المعنى**: وهذا القلب عاش في اشتياق يوجعه ويضنيه قاصداً عامداً متعمداً في ميله دون أن يكفَّ أو يرتدع عن الشوق المُمِض المُمرِض.

(٤) أسلو: أنسى، والسُّلوان والسُّلوانة: خرزة تُسحقُ ويُشرب ماؤها، فيسلو شاربه عن حُب من ابتُلي بحُبّه || نأوا: بعُدوا || دَنِف: مريض. **المعنى**: لقد ابتليت بحبّهم، ولا أسلو عنهم إلا بهم وإن بَعُدوا، فكيف يسلو المُدنف عمَّن بَعُد عنه به؟ فسُلواني عنهم ما هو في الحقيقة إلا سُلوانٌ بهم.

(٥) خامَرَ: قارب الشيء وخالطه. مِثاله قولُ ذي الرّمة: || هامَ الفؤادُ بذكراها وخامَرَهُ || منها، على عُدَواءِ الدَّارِ، تَسْقِيمُ» || رشادي: هُداي || وَخَى: قصد. يُقال: وخى وخيَه، أي قصد قصده. **المعنى**: وكيفما خالطني الحب، وبأية طريقة كانت، لن أتساءلَ عن طريق رشادي ومقصده.

لـيَـعْـمَـلَ الـحُـبُّ بـنـفـسِـي مـا يَـرَى إنَّ ضَـلالِي بـهَـوى الـقَـومِ هُـدَى[١]

مـا زالَ بـي مـع الـهَـوى تَـبَـصُّـرٌ يَـنـتـقِـدُ الـحُـبَّ على شَرطِ الـحِـجَا[٢]

لـيـتَ الـنُّـهَـى مَـعَ الـهَـوَى تَـثـبَّـنَـتْ راسِـخـةً فـيـهـا عَـزائـمُ الـتُّـقـى[٣]

لـو ارْعَـوَتْ مَـعَ الـغَـرَامِ نُـهْـيَـةٌ لـم يَـعْـبَـثِ الـحُـبُّ بـأحْـلامِ الـنُّـهَـى[٤]

أعْـمَـدُ مِـمَّـنْ ضَـلَّـلـتـهُ صَـبْـوَةٌ وبَـيـنَ فُـودَيْـهِ ضِـيـاءُ ابْـنِ جَـلا[٥]

لـرُبَّـمـا يَـهْـفـو الـتَّـصَـابـي بـالـفـتـى ومَـالَـهُ وَهَـفْـوةٌ إذا عَـتـا[٦]

---

(١) الضلال: الزيغ، ضد الهوى || القوم: الأحباب. المعنى: أيها الحب افعل بنفسي ما تراه، فإنني لا أنتهي عن قصدي أبداً في حُبّهم. وإن زعم أحدهم أني ضالّ فضلالي في حُبّهم هو حقيقة الهُدى.

(٢) التبصُّر: الفطنة || ينتقد: يميز || الحِجا: العقل. المعنى: رغم حبي وولهي الشديدين، لكنني ما زلت مُتبصِّراً أستطيع التمييز بين الخالص من المُزيَّفِ في الهوى باشتراط العقل، رغم أن عاطفة الحب وخصيصته لا تبقي، عادة، على ما يجعل المرء قادراً على التمييز مع اشتراط العقل والذكاء.

(٣) النُّهى: العقل || تثبَّنت: من الثُّبان، وهو الموضع تحمل فيه من الثوب إذا تلحفت بالثوب أو توشحت به وثنيته بين يديك لتضع فيه شيئاً. والثبان: وعاء نحو أن تعطف ذيل قميصك فتجعل فيه شيئاً، والقصد هو تثبُّن النُّهى مما وضع فيها [أوردها الفارسي: تثبَّتت، وما ورد في الأصل المُعتمد هو ما نرجِّح صحته] || راسخة: شديدة الثبات || التُّقى: الورع والإيمان الخالص. المعنى: ليت العقل يحفظ ما في ثبانه رغم تأثره بالهوى المُصاحِب كي ترسخ عزائم إيمانه وورعه.

(٤) ارعوت: كفّت وارتدعت || نُهْيَة: مفرد النُّهى، وهي العقل || يعبث: يلعب || أحلام: جمع حِلم، وهو الأناة والصفحُ والإعفاء. المعنى: لو كان ينتهي ويرتدع عقل ويثبت مع شدة الغرام لما تلاعب وعبث الحب بعقول العقلاء التي تتميز بالصفح والأناة في حُكمها على الأمور، لكن الحُب وحده القادر على قلب المُعادلة.

(٥) أعمد: أفعل تفضيل خبر مبتدأ محذوف، أي: أنا أعمد، بمعنى العمد؛ عمد على كذا أي: فعله عامداً || ضللته: صيّرته ضالًا || صبوة: جهالة الفتوّة || فودَيه: الشعر من الرأس مما يلي الأذنين من الجهتين || ضياء: النور، وقصد به هنا بياض الشعر || ابن جَلا: الواضح بعد خفاءٍ من الأمر. وابن جلا مثل يُضرب به فيما ظهر من الأمور الخفية، كقول الحجاج حين قدم الكوفة معتمّاً بعمامة سوداء متلثماً بها وقد أنكروه واحتقروه فسمع ذلك وأنشد: «أنا ابن جلا وطلاعُ الثنايا | متى أضع العمامة تعرفوني». [د. عادل محمد الطنطاوي يُصحِّحُ نسبة الشيخ منصور الفارسي هذا البيت للحجاج، وينسبه لسحيم بن وثيل الرياحي]. المعنى: أنا أشد عمداً في هوى من أحببتهم ممن صَيَّرتهُ صبوة الضلالة وبين فوديه مشيبُ شعره واضح ظاهر للعيان.

(٦) يهفو: يُحرّك؛ من هفا الريح بالشجر || التصابي: ما يفعله الإنسان في صِباه بتأثير من جذوة الحب=

إذا تَـبَـاشِـيـرُ مَـشـيـبٍ وَضَـحَـتْ | لـم تَـغْـذُرِ الـمَـرْءَ: مَتى ولا عَسَـى[1]
وفـي الـصِّـبـا مَـعْـتـبَـةٌ وزاجِـرٌ | فكيفَ في الشَّيبِ إذا العُودُ انْحَنَى[2]
وَكـيـفَ فـي الـشَّـيـبِ إذا تَـقـارَبَـتْ | خُطاهُ أنْ يَقصُرَ في الجِدِّ الخُطا[3]
يُـبـادِرُ الـكَـيِّـسُ أخـرى عُـمْـرِهِ | فـيَـرْقـعُ الـخَـرْقَ ويُـوثِـقُ الـعُـرى[4]
إذا تَـــولّى أمَـــدٌ مُـــوقَّـــتٌ | لـم يَـبـقَ لـلرَّجْـعـةِ مِـنـهُ مُـرْتـجَـى[5]
وكُـــلُّ مـــا تَـــلـبَـــسُـــهُ مِـــنْ جِـــدَّةٍ | يَـعْـرُوهُ مِـنْ كَـرِّ الـجَـدِيـدَيْـنِ الـبِـلَى[6]

=والهوى || الفتى: أراد به الشاب || هفوة: منصوبة بواو المَعيّة، وتعني: السقطة والزلة || عتا: تقال للشيخ إذا كبُر وولى. المعنى: ربما يحرك التصابي الفتى في حال صِباه زمن الولوع والهوى، فماله وسقطة كتلك إذا شاب بعد أن ولّى زمن شبابه.

(١) تباشير: بوادر || وضحت: لاحت || متى: اسم استفهام || عسى: حرف يدل على الترجّي، وبعض النحاة يرى أنها فعل يدل على الرجاء. المعنى: إذا لاح نذير الشيب لم ينفع المرء قول: «متى» مَرُّ الشباب، ولا «عسى» أن يعود ثانيةً، فقد فاته الأمر.

(٢) الصِّبا: الفتوة والصغر || مَعتبَة: مَلامَة || الزاجر: المانع || العود: جسد المرء وقد صار نحيلًا بسبب الشيب || انحنى: اعوجّ. المعنى: المرء حقيق بالملامة والزجر في صباه وحداثة سنه، فكيف لا يُلام ولا يزجر إذا اعوج عوده ودق عظمه من الشيب.

(٣) تقاربت: تدانت، ضد تباعدت || يقصر: يقارب خطاه، وربما أراد بالقصر التركَ مطلقاً || الجِدّ: ضد الهزل || الخُطا: جمع خطوة. المعنى: وما حالة المرء في شيبه وقد تقاربت خطوات قدميه في مشيه، إلّا أن يقصر ويترك اتباع الهوى ويعود عما كان عليه في شبابه.

(٤) يبادر: يستدرك ويعاجل || الكيّس: اللبيب العاقل || عَمْرِه ـ بفتح العين وسُكون الميم ـ وعُمْره ـ بضم العَين وسُكون الميم: جمع أعمار || يرقع: إضافة رقعة إلى الثوب البالي [لدى الشيخ الفارسي وردت: يرتق: بمعنى يلئمه ويصلحه] || الخرق: شق وخرق الثوب || يوثق: يشده ويحكِمه || العُرى: جمع عُروة، وهي المقبض من الدلو والكوز، وما يُسدُّ به الثوب عند زرّه. المعنى: إن العاقل واللبيب يستدرك أواخر عمره ندماً على ما فات، فيصلح ما تبقى منه ويُحكم أيامه إحكاماً حتى لا يفوته منها ما يتحسر عليه ويندم.

(٥) تولّى: مضى || الأمد: الغاية || مُوقَّت: محدد، وهو المقدر من الدهر، وأكثر ما يُستعمل فيما مضى من الزمان || الرجعة: بمعنى الرجوع || مُرتجى: رجاء، ضد اليأس. المعنى: إذا مضى من عمر الإنسان وقت محدد لم يبق منه مُرتجى لعودته.

(٦) الجدّة: بمعنى الجديد من كل شيء || يعروه: يصيبه ويناله || الكَرّ: مصدر كرَّ يكرُّ كرّاً وكروراً وكريراً وتكراراً، أي: رجع || الجديدين: الليل والنهار || البِلى: القِدم والفناء. المعنى: إن كل جديد من لباس وغيره سيفنى ويبلى بسبب تعاقب الليل والنهار عليه.

لَيسَ الجَدِيدَانِ وَقَد تَبارَيا في حَرْبِنا يُرْضِيهِما مِنَّا الفِدَا(١)

حَتى يَتُلَّا مَعْهَداً ومَعْهَداً ويَمْضِيا ثُمَّ عَلى الدُّنيَا العَفا(٢)

لَقَد بَلَوتُ الدَّهرَ فِي عَفوَتِهِ فكَدَّرَ الصَّفوَ وجَدَّ مَا عَقى(٣)

وكانَ مَا اجْتَبَيتُ في صُرُوفِهِ بالصَّبرِ أجْدَى مِنْ تَفاريقِ العَصَا(٤)

ما سَاءنِي الفائِتُ إذ أكْسَبَني كَنزاً مِنَ الصَّبرِ وفَوزاً بالرِّضا(٥)

جِبِلَّةُ الدَّهرِ خَؤُونٌ حُوَّلٌ ما رَاشَ في عَافيَةٍ إلّا بَرَى(٦)

---

(١) الجديدان: الليل والنهار || تباريا: تقاطعا || الفداء: جمع فدية وهي ما بذل من مال لتخليص أحدهم وافتدائه. المعنى: لا يرتضي تقادم الزمن في توالي أيامه ولياليه التي تتبارى في حربنا، ولا يردُّهما عن صيرورتهما افتداءٌ أو فدية نتقي بها تواليهما القاتل.

(٢) يتلّا: يهلكا، والضمير عائد إلى الجديدين في البيت السابق || معهد: المنزل المعهود كالمسكن. وأراد بقوله: معهداً ومعهداً، عموم المعاهد || ويمضيا: للتراخي وللمصاحبة بأن يكون ذهابهما مع فناء آخر معهد من الدنيا || ثم على الدنيا العفا: دعاء عليهما، والعفا: الزوال والامّحاء. المعنى: لم يزل الجديدان متبارين على حربنا ولن يتوقفا حتى يُهلكا آخر المعاهد في الدنيا حتى لا يبقى فيها أثر، وبعدها على الدنيا السلام.

(٣) بلوت: جربت || العفوة: فضله ومعروفه الظاهر || جَدَّ: بمعنى جدَّد || عقى: يَعْقو واعتقى في كلامه: استوفاه. ويعتقي: أي يحبس ويرد أمر من علا عليه، ولها معاني أخرى [وردت لدى الشيخ الفارسي: عفا: بمعنى أهلك، لكننا فضلنا ما ورد في الأصل المُعتمَد]. المعنى: إني اختبرت الدهر والزمان حتى فيما بدا معروفاً وفضلًا منه، لكنني وجدته قد كدَّرَ الصافي وجدد استيفاء كلامه راداً حابساً وعوده، وهكذا شأنه عاكِساً منقلباً على من وثق به.

(٤) اجتبيت: اخترت || الصُروف: نوائب الدهر وحَدَثانه، وتعني أيضاً الليل والنهار فهما صَرْفان || أجدى: أفعل تفضيل من الجدوى بمعنى العطاء || تفاريق العصا: مثل يُضرب لمن صلح حاله بعد فقر وإساءة. المعنى: إني صبرت على إساءة الدهر حتى صار ما اخترته لمواجهة نوائبه فكان أجدى وأعظم نفعاً لي من تفاريق العصا على كثرتها، فالصبر على المصائب عاقبته السرور الدائم، وسروره وفرحه، أراد به وجود أحبابه بعد تعدمهم.

(٥) ما ساءني: ما أحزنني || الفائت: الذاهب والماضي عنك لم تدركه. المعنى: إني لم أحزن على ما فاتني وذهب عني مما مضى في حياتي، بل سررت به سروراً عظيماً لأني أصبتُ كنزاً عظيماً ونجاة مما أخاف بسبب صبري ورضاي.

(٦) جبلّة الدهر: خلقته وطبيعته || خؤون حُوَّل: كثير الخيانة لا يثبت على حال || راشَ: روشاً: أكل كثيراً، وراش المرضُ فلاناً: أعياه وأضعفه || العافية: الصحة || برى: بمعنى قطع. وبرى السفرُ والجوعُ المرء: هزله. المعنى: خُلق الدهر وطُبع على الخيانة والتقلب في أحواله وعدم ثباته. وإن تمكن المرء وعاش في عافية وصحة من النوائب قطع ديمومتها بالنكد والسَّقم.

مُـحَـافِـظُ الـثَّـبْـتِ عَـلى طِـبَـاعِـهِ	حَتى يَحُولَ الآلُ بَحراً في المَلا[1]
لا يَـسْـتـقِـيـلُ عَـثـرَةً مِـنْ نَـدَمٍ	ولا يُـقـيـلُ مَـنْ بـهِ الـحَـظُّ كَـبَـا[2]
فـاصْـحَـبْـهُ ذا عَـزمٍ عَـلى عِـلَّاتِـهِ	تُزْجِي الهُمومَ للعُلا على الوَجَا[3]
مُـسْـتـحِـقـبَ الـصَّـبـرِ عَـلى مِـرَاسِـهِ	حُرّاً سَليمَ العِرْضِ مِنْ سُوءِ النَّثا[4]
تُـبـلَّدُ الـخَـطْـبَ إذا جَـالَـدْتَـهُ	بِـمِـرَّةٍ تَـبْـشُـهُ بَـسَّ الـسَّـفَـا[5]
مُـحَـجَّـبَ الـبَـثِّ رَحِـيـبـاً شـامِـخـاً	مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى وَسَوْرَةِ الجَفا[6]

(١) المحافظة: المواظبة على الشيء والاحتراس || الثبت: الثبات والدوام على الشيء || الطباع: جمع طبع، وهي السجيّة || يحُول: يصير || الآل: السراب || المَلا: الصحراء. المعنى: إن الدهر لا يرجع عن طباعه التي جُبل عليها ولا ينثني عن حالته إلى أن يصير السراب بحراً حقيقياً في موضعه. وبديهي أن انقلاب السراب بحراً لا يصح عقلاً وعادة، لكن مُراد الشاعر أن يكون يرى سراباً في البحر مُبالغة لتأبيد ثبات الدهر ومواظبته على طباعه التي اعتادها.

(٢) المعنى: ومن شأن الدهر أنه لا يعذر عاثراً إن عثر ولو كان كثير الندم، كما لا يعذر من سقط حظه وانكبّ به زمانه.

(٣) علاته: نوائب الدهر || تُزجي: تدفع || العُلا: الارتفاع والشرف || الوَجَا: الحَفا، وقيل شدة الحَفا [وردت لدى الشيخ الفارسي: الوَحَى: بمعنى الإسراع والعجلة، خلاف ما وردت في الأصل المُعتمد]. المعنى: عاشر الدهر ما عشت فيه حال كونك ذا عزم قوي على نوائبه ومصائبه غير مُبال به تدفعُ همومك وإرادتك لما يرفعك ويعزك على الحَفا الشديد. [وفقاً للشيخ الفارسي: تزجي همومك وكلية إرادتك لما يرفعك ويعزك مسرعاً غير مُتأنٍّ].

(٤) مُستحْقِبَ الصَّبر: مُدَّخِرَ الصبر، بنصب مُستحقب؛ فهي حال معطوفة لقوله: ذا عزم - في البيت المُتقدم || المِراس: الشدة || حُراً: ضد العبد || سليم العِرض: سالم النفس || النّثا: كلمة ذم، ضد الثنا. المعنى: ويا من ادّخرت الصبر حقبة بعد حقبة اتخذه عدّة على مِراسه ومواجهة شدائده، وأنت حُرٌّ سالم النفس والشرف مما يشينهما، مُجتنباً الخصال الذميمة.

(٥) تبلد: تحيّر || الخطب: الأمر العظيم || جالدته: ضاربته وقارعته || المِرَّة: القوة. قال تعالى: «ذو مِرَّةٍ فاستوى» || تبسُّه: تقطعه || السَّفا: ذرْوُ الريح للتراب. المعنى: هكذا تُحيّر الأمر الجليل إذا قارعته بقوة منك تقطع خطوبه العظيمة ليغدو أمرها وحالها كحال الرمال تذروها الرياح.

(٦) مُحجَّبَ البثّ: مستتره || البثّ: نشر الخبر || رحيباً: واسعاً || شامخاً: مرتفعاً متعززاً || سَوْرَة الجفا: شدة البعد، كسورة الخمر: شدة تأثيرها على العاقل الرزين. المعنى: وكُن في مقارعتك للدهر صابراً واسع القلب كتوماً لا تنشر وتذيع ما أصابك منه، متعززاً بنفسك عزة عظيمة ترفعاً عن ذلة الشكوى في رقة أو في سورة غضب وجفوة لمن تشكو إليه أمرك.

إنْ هَــزَّكَ الــمُــمِــضُّ هُــزَّ طــودَه	أو هَـزَّكَ الـهَـولُ فـسَـيـفاً مُـنـتـضَـى[(١)]
تُـــوسِـــعُـــهُ مَـــريـــرَةً ويَـــتَّـــقـــي	مِـنْ جَـدِّهَـا مـا يُـتَّـقـى مِـنَ الـرَّدَى[(٢)]
لا تَـعـرِفُ الـنَّـكْـبَـةُ مِـنـكَ جَـولَةً	تَـخْـذُو لـهَـا خَـذْوَ مَـقـودَاتِ الـبُـرَا[(٣)]
تُـصَـارِعُ الأخْـطَـارَ غَـيـرَ ضَـارِعٍ	لِطَـوْدِهَـا الأعْـصَـمِ سَـاخَ أو رَسَـا[(٤)]
تَـحُـسُّ كُـلَّ حَـادِثٍ بـسَـيـفِـهِ	فـإنْ نَـبَـا حِـيـنـاً فـأحـيَـانـاً مَـضَـى[(٥)]

---

(١) هزك: حرّكك || المُمِضّ: الحُزن الذي بلغ سويداء القلب || طوده: الجبل مُطلقاً أو عظيم الأمر || الهَول: الفزع والخوف || فسيفاً مُنتضى: سيفاً مسلولاً. المعنى: إن حركك المحزن والمُمِضّ من نوائب الدهر فهُزَّ أمره العظيم ولا تتراجع عن مقارعته ومقارعة الهول فهزَّهُ، هو الآخر، وكن له سيفاً مسلولاً.

(٢) توسِعُهُ: تحيط به وتعمّه || مَريرَة: قوة وشدة. والمريرة عزة النفس والعزيمة || يَتَّقي: يُحذر ويُتحاشى|| جَدُّها: عِظمها || الرَّدى: الموت: المعنى: وبعد أن تنتضي نفسك سيفاً لمواجهة هوله أوسِعهُ قوة وشدة وعزيمة من نفسك ليحذر ويتقي من عِظم شأنها ما يُتقى من الموت.

(٣) النكبة: المصيبة || جولة: الكرُّ والفرُّ في الحرب، وأيضاً لعب الفارس بسيفه وإدارته على جوانبه || تخذو: تسترخي، وأصلها استرخاء الأذن في الناس والخيل والحُمُر خلقة أو حَدَثاً. وأُذُنٌ خذواء: خفيفة السمع [هكذا وجدناها في الأصل المُعتمد، لكنها ترد في تفسير الشيخ الفارسي: تحذو حذو مَقودات البُرا] || مقودات البُرا: جمع مَقودَة، ويقصد بهن النياق. المعنى: قارع نكبات دهرك بحيث لا تعلم منك انكشافاً متى تكون جولتك التالية، وكن هادئاً مسترخياً في مواجهتك وانقضاضك عليها جولة إثر جولة كاسترخاء آذان النوق المَقودة على مهل، لتقضي عليها في الجولة القادمة. [إذا ما اعتبرناها تحذو حذو مقودات البُرا؛ فإن التفسير، وفقاً للشيخ الفارسي، سيكون: قارع الأهوال مقارعة عظيمة حتى لا تعلم منك انكشافاً عن مقارعتها تحاذيها يميناً وشمالاً كما تحاذى الناقة ذات السير الشديد، ويصحُّ تضافُر المَعنيين فكلاهما صورة فنية سائغة تستوفي المعنى].

(٤) المصارعة: المدافعة، وصرعه: دفعه وطرحه || الأخطار: جمع خطر، وهو الإشراف على الهلاك || الطود: الجبل || الأعصم: العالي المرتفع || ساخ: رسخ || رَسَا: ثبت ووقف. المعنى: ولتكن طوال حياتك مدافعاً للأخطار مطارحاً لها، حال كونك غير متذلل لأعظمها خطرا؛ ناهيك أن تتذلل لأدناها ثبت عليك عظيمها أو أقام فاثبت لها.

(٥) تحُسُّ: تقطع || الحادث: ما تحدثه الأيام من البلايا والمصائب || نبا: ما لم يستو في مكانه المناسب، ونبا السيف عن الضريبة: لم يُصبها؛ يُقال: «لكلِّ سيف نبْوَة» || مضى: يمضي مُضاء: قطع. المعنى: اقطع كلَّ حادث من حوادث الدهر بسيفه، أي آلة قطعه المناسبة. فلكل شيء آلة تناسبه، فإذا كلَّت عنه حيناً فلا بد أنها ستقطعه في أحايين أخرى. والمُراد: أن يقابل كل ما يناله من الشدائد بآلته المناسبة التي بفضلها سينال الظفر وإن عجزت في مهمتها أحياناً.

لا تُـعْـجِـلِ الأمْـرَ أمَـامَ وَقْـتِـهِ ولا تُـفِـتْـهُ حَـيْـثُ آنَ بـالـوَنَـى[1]
وإنْ تُـعَـارِضْـكَ اثْـنَـتَـانِ فـاتَّـخِـذْ أوْلاهُـمَـا بـالـحَـقِّ وَانْـبُـذِ الـهَـوَى[2]
إنَّ الـقَـوِيَّ مَـنْ ثَـنَـا شِـرَّتَـهُ ومَـنْ إذا مَـالَ إلـى النَّـفْـسِ انْـتَـهَـى[3]
والـعَـقْـلُ والـحَـقُّ يُـحَـرِّرَانِ مِـنْ رِقِّ الـهَـوَى ويَـدْعُـوَانِ لـلـعُـلا[4]
وَشَـرُّ مَـا صَـاحَـبَ مَـرْءٌ جَـهْـلَـهُ مَـطِـيَّـةٌ فـارِهَـةٌ إلـى الـرَّدَى[5]
ومَـنْ تـكُـنْ عَـادَتُـهُ طَـادِيَـةً بـالـسُّـوءِ هَـدَّ مَـجْـدَهُ بِـمَـا طَـدَا[6]
إنِّـي أصُـونُ صَـفْـحَـتِـي مُـقْـتَـنِـعـاً بِـمَـا يَـطُـفُّ مِـنْ عُـلالاتِ الـحَـسَـى[7]
أنْـبُـو وَأُلْـهُـوبُ أُوَارِي سَـاعِـرٌ عَـنْ مَـشْـرَبٍ أشْـرَبُـهُ عَـلـى الـقَـذَى[8]

---

(١) لا تعجل: لا تستعجل ما أردته من الأمور قبل أوانه || لا تُفِته: لا تفوِّته تاركاً || آن: بمعنى حضر، وفاعلها ضمير مستتر يعود للأمر || بالونى: جار ومجرور تعني التأخير والتأني. المعنى: إذا حاولت أمراً من الأمور يستوجب فعلًا أو تركا له، فلا تستعجله قبل أوان وقته، وإن حضر في حينه المناسب فلا تتركه يفوتك بتأخير ما يستوجب منك المبادرة والحسم.

(٢) المعنى: إن قابلتك خصلتان فانظر فيهما وتدبر في أمرهما، فما رأيته أحق بالحق فخذه، واترك ما تراه بعيداً عن الحق وأقرب لهوى النفس ورغائبها.

(٣) ثنا: رد الشيء بعضه إلى بعض، أو تراجع عنه رغم تمكنه منه || الشِّرَّة: نشاط الشباب وفورانه || انتهى: انزجر وتراجع. المعنى: القويّ والشجاع من الناس من استطاع أن يكبح نشاط الشباب وفورانه مفضلًا الاحتكام إلى النفس بعد أن يميل إليها لتثنيه عن عزمه وينثني مُنزجراً ولو ملك القوة.

(٤) المعنى: اجتماع العقل مع الحق يعتقان المرء من أهواء الباطل ويدعوانه للمجد.

(٥) شرّ: بمعنى أشرّ، من أوزان أفعل التفضيل المحذوفة الهمزة || مَرْء: أصلُها امرؤ || مطية فارهة: ناقة مسرعة نشطة. المعنى: إن أشرّ صاحب صحبه الإنسان في حياته جهله؛ لأنه يقوده إلى الهلاك بسرعة.

(٦) عادته: ديدنه || طادية: ثابتة، وطاد يطود: ثبت، فقد سُمي الجبل طوداً لثبوته || هدّ: هدم. المعنى: ومن تكن عادته في الناس ثابتة على الشر والباطل فقد هدم شرفه ومجده بسبب ما اعتاد عليه.

(٧) أصون: أحفظ || صفحتي: وجهي || يطف: يقلّ، ومنه الطفيف || عُلالات: جمع عُلالة، وهي ما يتعلل به من القوت عن الهلاك جوعاً || الحسى: ما يحتسيه الجائع من قليل الطعام. المعنى: إني أحفظ وجهي وعرضي عن الشكوى راضياً بقليل القوت أعلل به النفس وأتحسّى به عن الجوع.

(٨) أنبو: أبعد وأجتنب || الألهوب: شدة حر النار ولهبها || ساعر: متوقد، وسعر النار والحرب: أوقدهما || القذا: ما يقع في الشراب من الغثاء الذي تكرهه النفس. المعنى: إني أبعد نفسي وأتجنب مشرب ماء أصابه غث ولو كنت عطشاً في حاجة ماسة إليه.

يَحْمِي الكَرِيمُ عِرْضَهُ ويَحْتَمِي أنْ يَرِدَ الآجِنَ في كُلِّ الرُّكَى[1]

لِمَ التَّفَانِي في بُرَاضٍ آسِنٍ لا يُرْتَجَى مِنْ نَبْضِهِ بَلٌّ الصَّدَى[2]

ولا أُقَامِي طَمِعاً مُقَارِداً ولستُ وَلّاجاً بِأسْوَاءِ القُمَى[3]

كَيْ لا تَرَى عَينُ خَسِيسٍ مَوقِفِي بِبابِهِ مُنْتَظِراً مِنهُ الجَدَا[4]

في ظَلَفِ العَيشِ عَلى قَناعَةٍ تَظَلُّفُ لِلعِرْضِ عَنِ السُّوءِ غِنَى[5]

ومَطْعَمٍ تَهَافَتَتْ ذِبّانُهُ قَضْمُ الهَبيدِ مِنهُ أحلَى فِي اللَّهَا[6]

---

(١) يحمي: يمنع || العِرض: جانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه || الآجن: الماء المتغير اللون والطعم كالآسِن || الرُّكى: جمع رُكية ـ كمُدى، جمع مُدية ـ وهي البئر الصغيرة قليلة الماء. **المعنى:** الكريم من الناس من يصون عرضه ويحميه بامتناعه عن ورود الماء المُنتن رغم حاجته إليه، والبيت عطف وإضافة على معنى البيت السابق.

(٢) التفاني: قضاء المرء لحياته في أمر دون سواه || بُراض: الماء القليل || آسِن: الماء لا يتحرك فسد طعمه ولونه || نبضه: جريانه وسيلانه || بَلّ: الرطوبة وما يتبلل به الحلق || الصدى: العطش. **المعنى:** لأي شيء نقضي حياتنا في غير شيء، كالماء المُنتن لا يأمل العطشان حتى أن يُبلل به عطشه فضلاً عن ورده.

(٣) لا أقامي: لا أوافق || طمِعاً: طامعاً || مُقارداً: ذليلاً [كما أوردها الشيخ الشيخ الفارسي]، وأقرب ما وجدته لها في لسان العرب فعل قرَدَ لعياله قرداً: جمع وكسب، وربما هي صيغة تحقيرية مضاعفة لجامع المال الطماع || ولّاجاً: كثير الدخول والولوج، وهي صيغة من أبنية التكثير || أسواء: جمع سوء وهو المكروه والقبيح || القمى: الدخول من باب الدار، أو هي مطلق الكوى. في الحديث: كان النبي يقمُو إلى منزل عائشة كثيراً، أي يدخل. **المعنى:** ولا أوافق صاحب غنى طماع تذللا له ولغناه، ولست ممن يدخلون من أسوأ المداخل، لأنني قانع بفقري راضٍ بما قسم الله لي.

(٤) العين: عين الباصرة || الجَدَا: العطاء. **المعنى:** واحد من أسباب عدم موافقتي لأصحاب الغنى وعدم ولوج أبوابهم، هو كي لا يراني خسيس واقفاً موقف الذل على بابه انتظاراً لعطاء يسلب كرامة المرء.

(٥) في ظلف العيش: شدة المعيشة || قناعة: الرضا بما قسم الله || تظلف: تصون وتمنع. **المعنى:** أحيا في شدة عيش عن قناعة ورضى، صوناً لعِرضي عن السّوء، ففي صيانةُ العرض غنى.

(٦) تهافتت: تساقطت || ذِبّانه: جمع ذباب || قضم: الأكل بالأطراف || الهبيد: الحنظل، وقيل حَبُّه وبعضهم قال شحمه. ومنه قول بعض الأعراب: فخرجتُ لا أتلفع بوَصِيدة ولا أتقوَّتُ بهَبيدَة || اللّها: جمع لهَاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق أعلى منبت اللسان. **المعنى:** إن كل مطعم يطعمه الإنسان بسقوط شرف مُرٌّ غير سائغ لدرجة أن قظم الحنظل أحلى منه ليس في اللسان فحسب، بل في اللهاة، وهي مبالغة توكيدية للمعنى المُراد.

مَــا أَضْـيَــعَ الــنُّـبْـلَ إذا تَـطَــاوَلَتْ خَـسَـاسَـةُ الـعِـرْقِ عَـليـهِ بـالـجِبَـا[1]

حَـسْـبُـكَ عَـيشُ مَـاجِـدٍ عَـلى الـرِّضَـا بِـمَــا مَـنَـى اللهُ بِـهِ مِـنَ الـمُـنـى[2]

مَــا أقــذرَ الــعِــرْضَ يَــلُـبُّ عَــاذِيــاً بِـرَأْسِـهِ إلـى لـئيـمِ الـمُـنْـتَـحَـى[3]

حَـتـى بُـغـاثُ الـطَّـيـرِ تَـسْـمُـو أَنِـفـاً عَـنْ مَـسرَحٍ تُـخْـزَى بِـهِ لِمُـنْـتَـضَـى[4]

آلَــيــتُ لا تَــعــلُـو يَــدِي يَــدَ امْــرِءٍ يُـسْـفِـلُـهَـا الـلـؤمُ ويُـطْـغِـيـهـا الـغِـنَـى[5]

ولا أَرَى وَجْــهِــيَ نَــاظِــراً إلــى وَجْـهٍ يُـحَـقُّ أنْ يُـحَـيَّـا بـالـحَـثَـى[6]

---

(١) النبل: النجابة والزكاء || الخساسة: الدناءة والسقوط || العِرق: الأصل والمنبت || الجِباء: الدناءة ـ بكسر الحاء ممدوداً ـ، وبفتحها مع القصر؛ تعني المُحاباة، ولها أوجه ومعان أخرى. **المعنى**: ما أقبح بالإنسان الشريف إذا استحكمت عليه خساسة الأصل واستبدل الشرف بالدناءة ومال إليها طبعُه.

(٢) حسبك: يكفيك || عيش: ما يُعتاش به من القوت || ماجد: من مَجَدَ الناقة، وأمجدها إذا أطعمها نصف بطنها || مَنى: قدرة الله على الابتلاء || المُنى: جمع منية، وهي ما يتمناه الإنسان، وربما أراد نفس العطاء من الله بمعنى: المنّة. **المعنى**: يكفيك أيها الإنسان من دنياك هذه عيش قليل تتروق به نصف بطنك مع القناعة والرّضا بما قدر لك من رزق، فإن ذلك منة من الله عليك، وذلك خير لك مما تتمناه من الكثرة والسعة، لأنك ربما تتمنى شيئا لا تؤدي حقوقه ولا تقوم بها، فتكون كمن تمنى هلاك نفسه.

(٣) يلبُّ: يقيم || عاذياً: مُلتجئاً إليه ومعتصماً به. تقولُ: *(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أي أعتصم بالله منه)*|| الرأس: الأعلى من كل شيء، ورأس الإنسان أعلاه || اللئيم: ضد الكريم || المُنتحى: النسب. **المعنى**: ما أقذر العِرض يقيم ويلتجئ برأسه الشامخ إلى لئيم دنيئ وضيع النسب يطلب ما عنده.

(٤) بغاث الطير: أراذلها || يسمو: يعلو ويتسامق || آنِفاً: متعززاً. أنف الرجل عن كذا إذا أظهر عزة وأنفة || المسرح: مكان سرحه ورعيه || تُخزى: مبني لما لم يُسمّ فاعله؛ تذلّ وتفضح || المُنتضى: المَسْكَن. **المعنى**: حتى أرذل أنواع الطير تأبى أن تسرح وترعى في المواضع التي تُذلّ فيها، وتنتقل منها إلى موضع لا تذل فيه تعززاً ورفعة، وهي طير وضيع؛ فكيف بالإنسان الذي تملي عليه إنسانيته وكرامته أن لا يستقر في موضع يُخزى ويُهان فيه.

(٥) آليت: حلفت || تعلو: ترتفع || اليد: تطلق على العضو المعروف من الكتف إلى الأصابع، والكف وحدها، وأيضاً النعمة سُميت كذلك لأن المُعطي يعطي بيده والمُعطى يأخذ بيد تسافلها توضُّعاً ومقاماً || يُسفلها: يُنزلها ويحقرها، ضد يُعليها || اللؤم: الخساسة || الإطغاء: مجاوزة الحدّ والقدر. [قال تعالى: كلّا إن الإنسان ليطغى أنْ رآهُ استغنى]، أي جاوز حدّه وطوره. **المعنى**: إني حلفت يمينا بالله أن لا تكون لرجل خسيس أسفلَهُ لؤمُه وأطغاهُ مالُه مِنّة عليَّ أبداً.

(٦) لا: حرف نفي معطوف على قوله: «لا تعلو» عطف جملة منفية على مثلها || أرى: بصريّة || وجهي:=

وعِيشَةٌ تَمُنُّهَا خَسَاسَةٌ	أَشَدُّ عِنْدِي قَذراً مِنَ الوَغَى(۱)
قَنَاعَةُ المَرْءِ بِمَا يُمْنَى لَهُ	مِنْ حَظِّهِ فِي عِيشَةٍ خَيرُ المُنى(۲)
ولا أذودُ الحَظَّ عَنْ طَرِيقِهِ	فالسَّيلُ حَظٌّ للوِهَادِ لا الرُّبَى(۳)
ولا أبَاتُ شاكِعاً مِنْ حَسَدِ	قد هَيَّأ اللهُ لِكُلٍّ مَا كَفَى(٤)
في قِسْمَةِ اللهِ وفِي ضَمَانِهِ	وفي اقتِنَاعِ الرِّزقِ غَايَاتُ الرِّضَا(٥)
إذا سَنَا اللهُ لِعَبدٍ نِعْمَةً	فواجبُ العَبدِ الرِّضَا بمَا سَنَا(٦)

=مفعول أرى؛ فهو كقولك: لا أراني أفعل كذا تأكيداً لعدم الفعل، وأسند النظر إلى الوجه مجازاً استعارياً لعلاقة إطلاق الأخص بالأعمّ. والوجه [في الشطر الثاني] أراد به عموم جنس الإنسان || يُحقُّ: مبني لما لم يُسم فاعله، بمعنى: يلزم، أو بمعنى: يستحق || يُحيّا: مشتق من التحية || الحثا: التراب. المعنى: وحلفت أيضاً أن لا أراني باشا مُنطلقاً أبداً لرجل من لازمِهِ وحقه أن يُحثا عليه التراب، ولا تخفى، هنا، الصيغة التهكمية اللاذعة باستخدامه يُحيّا بالحثا، أي: التراب، عوضاً عن الصيغة المُباشرة التي لا تقل إهانة واستصغاراً.

(١) تمنُّها: تنعمها، والمَنّ: الإنعام || الخساسة: الدناءة وسوء الخلق || أشد: صيغة أفعل تفضيل || قذراً: تمييز، وهو ما يستقذره الإنسان || الوَغَى: القيء والمدّ والقيح. المعنى: إن العيشة في ظل مَنٍّ من رجل خسيس دنيء أكثر قذارة في نظري من القيء والقيح. [ملحوظة: وردت (الوغى، في الأصل المُعتمد عوضاً عن الوَغَى)، واعتمدنا ما أورده الشيخ الفارسي لاعتقادنا بصوابه]

(٢) القناعة: الرضى بالمقسوم || يُمنى له: ما يُقدّر له، [مبنيّ لما لمْ يُسم فاعله] || الحظ: النصيب || عِيشة: مطلق ما يُعاش به من الرزق || المُنى: جمع مُنية، وهي ما يتمناه الإنسان. المعنى: إن رضى العبد بما قسم الله له من الرزق والنصيب في كل ما آتاه من سعة وضيق، وعسرة ويسرة أخيَرُ له من جميع ما يتمناه، لأن القناعة أصل الغنى وأسُّ العافية.

(٣) لا أذود الحظ: لا أدفعه ولا أطرده || السيل: المطر الكثير || الوهاد: الأراضي المنخفضة || الرُّبى: جمع ربوة، وهي المكان المرتفع من الأرض. المعنى: إني لا أطرد الحظ عن طريقه المقصودة، فالسيل ينزل حظاً مقدراً للأرض الواطئة وللنبات، لا الأرض المرتفعة، والمراد: أنني لا أطلب الحظ وأوجه طريقه، فكل مُيسر لما خلق له، وليس غريباً أن يكون السيل من حظ الأراضي الواطئة وليس المرتفعة.

(٤) شاكعاً: متوجعاً. المعنى: إني لا أحسد أحداً على ما أتاه الله من فضله، ولا أبات متوجعاً حسداً، فالله قدر لكلٍّ كفايته من الرزق لا يفوته منه شيء.

(٥) المعنى: في قسمة الله وفي كفالته أرزاق الخلق، وفي قناعة العبد بما قسم له من رزق نهاية الرضى.

(٦) سَنا: فتح وسهّل وأعطى. المعنى: إذا فتح الله لعبده نعمة ويسرها له، فعلى العبد الشكر لنعمة ربه.

ففيمَ يُصْلِي حَاسِدٌ ضَمِيرَهُ ... والحَظُّ والأرزاقُ تَقديرٌ مَضَى[1]

فافطِنْ لأقسَامِ الحُظوظِ إنَّهَا ... قَضِيَّةٌ عَادِلَةٌ بَينَ الوَرَى

سَوِيَّةٌ وإنْ تَكُنْ تَمَايَزتْ ... حَالَةُ ذي عُدْمٍ وحَالُ مَنْ ثَرَا[2]

لم يَظلِمِ القَاسِمُ مَحْرُوماً ولا ... كُلَّ سَعِيدٍ بالثَرَاءِ مُحتظَى[3]

ما سَرَّنِي مِنَ الثَرَاءِ وَفْرُهُ ... إنْ كانَ بَينَ اللؤمِ والحِرْصِ نَمَا[4]

إذا نَفَثْتُهُ هَكَذا وهَكَذا ... صَنَائِعٌ في أهلِها فقد زَكَا[5]

فأنْهِبِ المَالَ حَقَائقَ العُلا ... وَفُكَّ مِنْ أسْرِ الزَّمَانِ المُهْتدَى[6]

ما بَلِيَتْ مُوهَبَةٌ في حَقِّهَا ... وَوَعْدُ مَا ضَنَّ بهِ الحِرْصُ البِلَى[7]

---

(١) يُصلي: يحرق ويُعذب || الضمير: الخاطر والقلب || مَضى: ثبتَ في حُكم الله وقدره. المعنى: لأي شيء يُعذبُ الحاسد نفسه، فالأرزاق والنعم ثابتة وأمرها محسوم سلفاً بيد الله عز وجل، ولا تتحولُ أو تنتقل عما ثبت في حُكم القدير بحسد حاسد ولا بأمنية مُتمنٍّ.

(٢) ثرا: يثرو ثرواً وثروة وثراء: أي غني، والثراء: المال والغنى، مطلقاً. معنى البيتين: تدبر في قسمة الأرزاق، تجدها مقسومة بعدل بين العباد وإن تفاضلت بين فقير وغنيٍّ، فالتفاضل والتمايز لحكمة شاءها الرازق.

(٣) مُحتظى: من الاحتظاء، وهو المكانة من الشيء والإعطاء.

(٤) المعنى: ما سرني وسع المال وكثرته أبداً، إذا كان نماؤه، أي زيادته ناشئة بين البخل والجشع، فلا فائدة لبخيل فيما يجمعه من مال.

(٥) المعنى: لا يُحمد المال ولا فائدة فيه لصاحبه إلا إذا نفاه، أي: فرّقه يميناً وشمالاً سجية منه، ليزكو ويزداد المال، وقد أراد بذلك إخراج حقوقه بالزكاة.

(٦) النهب: الغنيمة والإعطاء والبذل || الحقائق: جمع حقيقة، ضد المجاز والواجب، كحققته عليك؛ أي: أوجبته وألزمته إياك || العُلا: الارتفاع والعلو || فُكَّ: فعل أمر من فكّهُ يفكّه، أي: خلِّص وأطلق || الأسر: الشدة والضيق والحبس || المُهتدى: مفعول فُكَّ، أي: الذي يُهتدى به. المعنى: ابذل المال بذلا كثيراً، فيما تعلو وترتفع به على غيرك، وخلِّص به من أهانه الزمان بالدفع وإنفاقه على من اهتدى.

(٧) ما بليت: ما فنيت || مُوهَبَة: موهوبة، والوهب: العطاء || في حقها: أي في واجبها وفي موضعها || الوعد: بمعنى الموعود به || ضنَّ: بخلَ بخلا شديداً || البلى: الفناء. المعنى: لن تضيع ولن تفنى عطية أو هبة وهبها صاحبها في موضع مستحق، بل هي باقية ينتفع بها حيا وميتاً، في حين أن وعد الحريص يضيع ويفنى.

فَرُبَّمَا تَحْسَبُهُ وَضِيعَةً في مَتجَرِ الفَضْلِ بِهِ الرِّبْحُ نَمَا[١]

عَقَائِلُ المَالِ إذا أَطْلَقْتَهَا خَلَّدَتِ الذِّكْرَى وأنتَ فِي الثَّرَى[٢]

مَا أَلحَقَ اللهُ بِنَفْسٍ حَوْبَةً تَحَوَّبَتْ مِنْ شُحِّهَا بالمُقتَنَى[٣]

أَذلَّ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ حِرْصُهُم لا تَسْتَقِيمُ عِزَّةٌ عَلى الكَدَى[٤]

حَتَّى مَتَى كَأسِيَ رِيقُ حَيَّةٍ ومَطْعَمِي مِنْ زَمَنِي مُرُّ الجَنَى[٥]

أُطالِبُ الدَّهرَ حُقوقاً كُلَّهَا كبَارِحِ الأَرْوَى مَنِيعَاتِ الذُّرَى[٦]

---

(١) وَضِيعةً: ضائعاً أو بمعنى قليل || متجر: بمعنى التجارة || الفضل: الشرف والرفعة || الربح: زيادة الفائدة || نما: كثر وزاد. **المعنى**: لا تحتقر ما تتصدق به وتهبه وتحسبه ضائعاً على قلته، لأنه يزيدك ربحاً ونماء وكثرة في متجر الرفعة والشرف.

(٢) عقائل المال: كرائمه || أطلقتها: بذلتها || الذكرى: الصيت والشرف || الثرى: التراب. **المعنى**: إذا بذلت كرائم مالك وأحسنه غير باخل به أصبت طريقه، وستبقى لك الذكرى صيتاً وشرفاً حتى بعد رحيلك عن هذه الفانية.

(٣) الحَوْبَة: الهم والحزن والحاجة والمسكنة والتوجع والمرض والهلاك والبلاء || تحوَّبتْ: تجمعت وعظُمت || الشحّ: البخل والحرص || المُقتنى: المُكتسب، وقناه يقنيه قنى وقناء كسبه فجمعه. [ملحوظة]: [ورد الشطر الثاني في شرح الشيخ الفارسي هكذا: تحوَّبتْ من شحِّهِ لمُقتنى]. **المعنى**: ما أصاب الله بعبد من عباده مرضا وهما يتعاظم عليه خطره وبلاؤه بأشد من بخله وحرصه على ما يجمعه من مال، فهو الداء العضال الذي لا دواء معه، فإذا استحكم الشحُّ بالمرء صعب عليه التخلص من خصاله الذميمة.

(٤) الكَدى: البخل والمنع، وجمع المال كداه يكديه كدى، أي: جمعه شيئاً فشيئا. **المعنى**: إن البخل يهين الرجال ويذل رقابهم ويسلبهم عزتهم، فلا عزة تبقى مع خصيصة الحرص، ولذلك لا ترى بخيلًا إلا ذليلًا مُهاناً، ولا تجد كريماً إلا عزيزاً متعالياً.

(٥) [ملحوظة]: ورد الشطر الأول في شرح الشيخ الفارسي مقلوباً هكذا: [حتى متى كأسيَ ريقُ حيَّةٍ]، والمعنى واضح من سياق البيت في الحالتين: كأسُهُ المسمومة وطعامُهُ مُرُّ المُقتطف.

(٦) [ملحوظة]: في شرح الشيخ ورد البيت: أطالب الدهر حقوقاً كلها | كطالب الأروى منيعات الذرى]، ونستصوب ما ورد في الأصل المعتمد: بارح، عوضاً عن طالب]. بارح: برح بروحاً: زال، وبرح الظبي والطائر: مرَّ من يمين الرّائي إلى يساره، والعرب تتشاءم به || الأروى: بضم الهمزة وفتحها، جمع أرويَة وهي أنثى الوعول || الذرى: العلو والارتفاع. **المعنى**: إني أطالب الدهر وأسأله حقوقاً كثيرة ثبتت لي عليه، لكنه لا يذعن لمطلبي، وصار طلبي كمن يرى الوعل المتمنع في ذروات الجبال وهي تمر من يمينه إلى يساره، إمعاناً في التشاؤم باستحالة صيدها.

أقـطـعُ آمَـالـي بـمَـا فـي بَـعـضِـهِ	أكـبـرُ مِـنْ كـافٍ لِـدَرْكِ الـمُـبـتـغَـى[1]
كـأنَّ تَـطـلابـيَ أمـراً مُـمْـكِـنـاً	أصَـعَـبُ مِنْ أمرٍ مُحَالِ الـمُرْتَـجَى[2]
لـسـتُ عَـلى الـحَـمـدِ مِـنَ الأمـرِ إذا	غـالَطْـتُـهُ خِـلابَـةٌ فـيـمَـا أَتـى[3]
آتـيـهِ نَـصّـاً فـإذا خَـادَعَـنِـي	فـوَّضْـتُـهـا للهِ يَـقـضِـي مَـا قَـضَـى[4]
والـخَـبُّ لا تَـصْـحَـبُـهُ فَـضِـيـلَـةٌ	ولـو إلـى الـنَّـجْـمِ بِـدَهْـيِـهِ عَـلا[5]
إنْ وَسِـعَ الـدَّهـرُ احْـتِـمَـالَ عَـاجـزٍ	فـهـو سِـلاحِـي وتِـلادِي الـمُـجْـتَـبَى[6]

---

(١) أقطع آمالي: أسرعها وأقربها تحققا || بما في بعضه: الضمير عائد إلى الدهر في البيت السابق || أكبر: أعظم || كاف: جبل عظيم || المبتغى: المراد والمُتمنى. المعنى: لقد رأيت أن أسرع وأقرب آمالي إلى التحقق في بعض أيام الدهر أعظم صعوبة من صعود جبل «كاف» صعب المنال.

(٢) التطلاب: مصدر تطلب تطلاباً، بمعنى: طلب، لكن التطلب يكون بإلحاح || أمراً: مفعول «تطلابي»، وهو الشأن المطلوب || محال: مستحيل || المُرتجى: بمعنى الرجاء. المعنى: كأنّ إلحاحي وترددي في طلب ما أردته من الدهر، وهو مُمكن، أشد صعوبة من أمر مستحيل رجاؤه.

(٣) الحمد: الثناء التام || الأمر: بمعنى الشأن || المغالطة: الاحتجاج وإعياء الخصم بالحجة، وغالطه في الأمر: خالفه || الخِلابة: الخداع. المعنى: إن الدهر لا يستقيم على طريقة ولا يدوم على حال، فأنا عنده محمود ما لم أخالفه في شيء مما يأتيه، فإذاخالفته في أدنى شيء فلست عنده على الحمد، كما لو لم أكن ممن صحبه يوماً.

(٤) نصّاً: بمعنى الإظهار، واستخراج الشيء تأصيلًا، ونص الحديث نصاً: استخرجه ورافقه لرواية من غير تبديل ولا تغيير لوضعه || التفويض: رد الأمر لمالكه كالتوكل || القضاء: الحكم الجازم النافذ. المعنى: إنني لا أبالي بما يصيبني من الدهر من نكبات، بل أفعل الأمور وآتيها نصّاً كما هي دون مبالاة بحدثانه وتقلباته عليّ، فإن خادعني الدهر وأرادني بسوء رددت أمري إلى الله يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد.

(٥) الخبّ: البخيل والجبان والخدّاع || الدَّهْي: العقل وجودة الرأي [وردت لدى الشيخ الفارسي بَدِيَهَةٌ؛ وفسَّرها: أول كل شيء وما يفجأ به وابتداء الأمر]. المعنى: إن البخيل والخداع والجبان لا تعاشره خصلة حميدة ولا تقوم له فضيلة ولو علا وارتفع إلى الثريا بجودة رأيه أول الأمر، فلا بد من انحطاطه وسقوطه.

(٦) وسع: اتسع وصار ذا وسع، ضد ضاق || العاجز: المثبط، ضد الكيّس || السلاح: آلة الحرب || التلاد: المال || المُجتبى: المُختار. المعنى: إني أقر بعجزي وقصوري عن مقاومة الدهر، لكنْ إن وسعه احتمالي له على مكارهه وتكلُّفي مشاقه، فذلك الاحتمال هو سلاحي الذي أحارب به، ومالي المغني عن احتياجي إليه.

يُـنـفِـقُ فِـي إهَـانـتِـي صُـرُوفَـهُ وأُنْـفِـقُ الـعَـزْمَ وإنْـفـاقِـي زَكَـا[1]

ذنـبـي إلـيـهِ جَـنـفِـي عَـنْ لُؤمِـهِ وقُـدْرَتِـي عَـلى احْـتِـمَـالِ مَـا جَـنَـى[2]

وإنَّـنِـي الـحَـتـفُ عَـلى لِـئـامِـهِ أَنْـكَـأُ فِـي حُـلوقِـهِـم مِـنَ الـشَّـجَـا[3]

أَذودُ عَـنْ حُـرِّيـتِـي بـحَـقِّـهَـا وأُجْـهِـدُ الـنَّـصْـرَ لِحُـرٍّ مُـبْـتـلَا[4]

وإنَّـنِـي لا أعـرِفُ الـحَـدَّ لِمَـا أسْـطِـيـعُ أنْ أُنْـجِـزهُ مِـنَ الـعُـلا[5]

وإنَّـنِـي لا أُبْـطِـلُ الـجُـهْـدَ إلـى حَـدِّ سُكُـونِـي بَـيـنَ أَطْـبَـاقِ الـثَّـرَى[6]

وإنَّـنِـي أُدْرِكُ أنَّ عَـازِمـاً مُـثـابـراً يُـدْرِكُ غـايَـاتِ الـمُـنـى[7]

وإنَّـنِـي فـي مِـحَـنٍ سَـاوَرْتُـهـا عَـلِمْـتُ مَـا جَـهِـلتُـهُ مِـنَ الـوَرَى[8]

وإنَّ فـي حُـسْـنِ الـتَّـدَابـيـرِ غِـنـىً عِـنْ خِـدعٍ وَهُـوَ عِـمَـادُ مَـنْ وَهَـى

---

(١) زكا: نما وكثر وثبت. المعنى: إن الدهر لم يزل يبذل صروفه في إهانتي، وبدوري أبذل عزمي وثباتي على ما أنا عليه، والخلاصة أن عزمي نما وثبت وقويَ على صروفه.

(٢) جَنفي: المَيل || جنى: بمعنى فعل. المعنى: ليس لي عند الدهر ذنب أستحق بموجبه الإهانة والذل، عدا مجانبتي وميلي عن سوء فعله في أهله لؤماً مع قدرتي على احتمال ما يفعله ويجنيه.

(٣) الحتف: الموت والهلاك || أنكأ: أفعل تفضيل مهموز الآخر، بمعنى: أقتل، أي أشد قتلًا وفتكاً || الشَّجا: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. المعنى: أنا الموت القاطع على لئام الزمان وبخلائه، لذلك تراني أشد فتكاً وضرراً بهم مما ينشب في حلوقهم.

(٤) أذود: أدفع || حرية الإنسان: عزته وشرفه || بحقها: بما لها من الحق الثابت. المعنى: أدافع عن حريتي، كما أنصر كل حُرٍّ ابتليَ من الدهر بكل ما أوتيت من قوة.

(٥) الحدّ: الحاجز بين شيئين، ومنتهى كلّ شيء || أسطيع: أستطيع، قلبت تاء الافتعال طاء لاجتماعها بالطاء فأدغمت التاء في الطاء || العُلا: الرفعة. المعنى: إنني أدافع عن حريتي قدر استطاعتي، ومثلي منشغل بإمضاء المدافعة إنجازاً للرفعة.

(٦) أبطل: أضيع || الجهد: الاجتهاد والبذل في طلب المراد || سكوني: حلولي وإقامتي || أطباق: جمع طبق، وهن الأغطية واحداً فوق آخر، وقصد بها طبقات تراب القبر || الثرى: التراب. المعنى: ولا أضيع اجتهادي ما دمت حياً حتى تنعدم حيلتي بعد سكناي في مثواي الأخير.

(٧) المعنى: إنني علمت يقيناً أن من أراد فعل أمر وقطع عليه همته وواظب على فعله وطلبه يدرك ما أراده من الغايات.

(٨) المُساورة: المُواثبة. المعنى: كما أنني في البلايا والمحن استطعت مقارعتها وواثبتها بتجلد، وعرفت ما جهلته من الخلق.

وإنَّنِي لا أَسْتَثِيرُ سَيِّئاً ولا أُسِيءُ دَفْعَهُ إذا عَنَى[1]

ولا أُداجِي مَالِئاً وذامُهُ عَليَّ غَيْظاً بِفَقاعَاتِ النَّثا[2]

ولا أُحَابِي مَلِقاً ذا ظاهِرٍ يَشِفُّ لِي ظاهِرُهُ عَمَّا انْطَوَى

مَالِي وَجْهَانِ ولا ثلاثةٌ إنْ لم أكُنْ حُلواً أكُنْ مُرَّ الجَنَى[3]

تِلكَ ومَا يَفضُلُها خصَائِصِي ولَيْسَها عِندَ الزَّمانِ تُرْتَضَى[4]

أرَى الحَيَاةَ كُلَّها ذمِيمَةً وخَيرَها وشَرَّها إلى مَدَى[5]

يُحِبُّها المَرْءُ عَلى آفاتِها وتَظْهَرُ الآفةُ عِندَ المُنْتَهَى

يَعِيشُ لا تَنْدَى صَفاةُ كَفِّهِ يَخزُنُ لِلوَارِثِ كُلَّ مَا اصْطَفَى[6]

لا تُرْبِحِ الدُّنيَا بِشُحٍّ وَافْتَقِدْ مَا أوضَعَ الجَامِعَ مِنْ خُلْدِ الغِنَى

نَهُبُّ فِيهَا هَبَّةً فَتَنْسَرِي وكُلُّنا مُرْتَهَنٌ بِمَا أتَى[7]

---

(١) المعنى: لا أستثير ولا أطلب قيام لئيم أو جلادا على عداوة، ولا أقصر في رده عني إذا قصد الأمر.

(٢) المالئ: الواسع الممتلئ من المال || ذامُه: مُحقره؛ وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره: كائن أو ثابت || غيظاً: حقداً || فقاعات: جمع فقاعة، وهي الخبث، والفقيع: الرجل الخبيث || النثا: الذم والشتم، نقيض الثناء. المعنى: لا أداري غنياً لأجل غناه، وذمه حقداً عليّ بخبيث الشتم من غيظ وحسد.

(٣) الجنى: التمر المُجتنى وسواه من الثمار. المعنى: تلك صفاتي، ولست صاحب ثلاثة وجوه، فوجهي دائماً واحد؛ إن لم أكن حُلواً فالمُجتنى من وجهي مُرٌّ علقم.

(٤) ليسها: بمعنى ليس هي. المعنى: في إشارة للأبيات السابقة من عدم محاباته وعدم امتلاكه لأكثر من وجه كالمنافقين، يؤكد على خصائصه وفضائلها التي ـ مع ذلك ـ لا يرضى الزمان بها.

(٥) إلى مَدَى: إلى أجل.

(٦) بعد توضيحه لرؤيته للحياة بصفتها ذميمة رغم معرفة المرء بآفاتها التي لا تظهر إلا ساعة حضور الأجل؛ يتحدث عن نقيصة البُخل البشريّ لدى الثريّ الذي لا تندى صَفاة كفِّه لأنه يخزن لمن سيرثه كلَّ ما اصطفاه من غنى وجاه دون أن يستمتع به أو يعطي منه حقوق الآخرين. والصَّفاة: هي حجارة الوادي الملساء استعارها الشاعر تشبيها بها لعدم إنداء كفِّ الشحيح، لأن الصَّفاة تقبض ما عليها ولا تنديه. وفي الصورة الشعرية تلاعب على مفارقة ندى الكفِّ وتعوُّقها الطبيعي والكرم المُؤمَّل منها يداً إنسانية، لذلك شبه يد البخيل بالصَّفاةِ الصَّلدة التي لا تُعتصر.

(٧) الهَبّ: الإسراع والنشاط || تنسري: تنكشف وتزول. المعنى: إننا نسرع في طلب الدنيا بنشاط ورغبة إسراعاً شديداً، وحين تنكشف نبقى مرتهنين بأعمالنا تحت اللحود لا ينفعنا إسراعنا ولا رغبتنا فيها.

يَفُوزُ فِيهَا كَيِّسٌ بِرَبِّهِ ... إِمَامُهُ الرُّشْدُ بِمِنْهَاجِ الهُدَى

فاسْتَخْلِصِ المَجْهُودَ في تَخلِيصِهَا ... مِنْ وَرْطَةِ الذنبِ وَأَشْرَاكِ الهَوَى

وانْتَهِزِ الفُرْصَةَ فِي اسْتِدْرَاكِهَا ... أَوَامِرَ اللهِ ومَا عَنهُ نَهَى

إنَّ لَهَا عَدْواً إلى غَايَاتِهَا ... والحَدُّ وَافَاكَ وَدَرْبُكَ انْقَضَى

لا تُهْمِلَنَّ ذَرَّةً فِي عَبَثٍ ... فلَسْتَ مَتْرُوكاً كَمَا شِئتَ سُدَى

تُوَدِّعُ الأنفَاسَ لا تَبكِي لهَا ... وَرَجْعُ مَا وَدَّعْتَهُ لا يُرْتَجَى

والكُلُّ مِنهَا رَاحِلٌ بِبِضْعَةٍ ... مِنْ أَجَلٍ مُقَدَّرٍ عَلى شَفَا

وآخِرُ الأنفَاسِ يَرجُو وَقْتَهُ ... فهَلْ تَرَى تَأخِيرَهُ إذا دَنَا؟

وَرُبَّمَا فكَّرْتَ فِي تَأخِيرِهِ ... يَكُونُ أَدْنَى لكَ مِنْ فِكْرِ الحِجَا

فَوَدِّعِ البَاقِيَ مِنْهَا مُخلِصاً ... بالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ فِي اللِقا

دَرَاكِهَا مُبَادِراً دَرَاكِهَا ... فالأجَلُ المَعْدُودُ للعُمْرِ خَلا[1]

أمَا تَرِقُّ لِحَيَاةٍ أُوذِنَتْ ... بغُصَّةِ المَوتِ وَهَولِ المُلتقى[2]

ارْحَمْ حَيَاةً طَلُحَتْ بِوِزْرِهَا ... في حَمْلِ ذَرٍّ مِنهُ إيهَانُ القُوَى[3]

لو قَرَصَتْهَا ذَرَّةٌ تألَّمَتْ ... فكَيفَ بالنَّارِ إلى غَيرِ مَدَى

حَتى مَتى تُنصِبُنِي أُمْنِيَةٌ ... في نُصْرَةِ اللهِ فَتَغدُونِي المَنَى[4]

كأنَّنِي مُكَبَّلٌ فِي شَرَكٍ ... يَزْدادُ فِي الشَّدِّ إذا قُلتُ وَهَى[5]

---

(١) دراكِها دراكِها: اسما فعل مبنيان على الكسر، بمعنى أدرك أدرك || خلا: مَضى. المعنى: أدرك وتدارك ما بقي لك من أنفاس قليلة، فقد مضى واكتمل أجلك المعدود.

(٢) أوذِنَت: مبنيٌ لما لم يُسَمَّ فاعله؛ أي: وعدت.

(٣) طلحت: تعبت || ذرّ: أقل القليل || القوى: شدّة النفس. المعنى: ارحم نفسك واشفق لها وأنقذها من حمل الآثام والأوزار، فقليل الإثم يهين النفس ويذلها ولو كان مقدار ذرّة.

(٤) تنصبني: تتعبني || المَنى: بفتح الميم، تعني البلا، ومَناهُ يمنوه، أي: بَلاه. المعنى: إلى متى أقعد عن نصرة الله؟ فكلّما أقامتني أمنية في نصرته صرفتني البلايا عما تمنيته.

(٥) المعنى: كأنني مُكبّلٌ في مصيدة لا أفلت منها للقيام بنصرة الله، حبالها تشتدُّ كلما اعتقدت أنها ضعفت.

أُشـاطِـرُ الـنَّـجْـمَ الـسُّـهَـادَ سَـارِيـاً فـيَـغـرُبُ النَّجْمُ وَعَينِي فِي السُّرَى[1]

كـأنَّ أفـعَـى نَـهَـشـتْ حُـشَـاشَـتِـي مِنْ لازِب الهَمِّ وتِلْهَابِ الحَشى[2]

أذكَـى مِـنَ الـنـارِ بـقَـلـبـي زَفْـرَةٌ يُخرِجُهَا المَظلومُ مِنْ حَرِّ الأسَى[3]

مُـخْـتَـرِقُ الأكْـبَـادِ مِـنْ حَـسْـرَتِـهِ لا غَوْثَ، لا مُنصِفَ، لا يَلوِي إلى. .

أنـفـاسُـهُ تَـطْـرُقُ بَـابَ الـعَـرْشِ لا تَـطْـرُقُ بَـابـاً غَـيـرَهُ ولا ذَرَى[4]

وعَـبْـرَةٌ تَـسْـفَـحُـهَـا أرْمَـلَـةٌ كالخَلِقِ السَّحْقِ أَصَارَهَا الضُّوَى[5]

شَـعْـثَـاءُ غَـبْـرَاءُ عَـلـيـهَـا ذِلَّـةٌ مَـهْـضُـومَـةُ الـحَـقِّ عَـدِيـمَـةُ الـحِـمَـى

وصُـفْـرَةٌ عَـلـى يَـتِـيـمٍ شَـاحِـبٍ أَذقَـعَـهُ الـفَـقْـرُ وَأَشْـوَاهُ الـضَّـنَـى

مُـفْـتَـرِشـاً عَـلـى الـعَـفَـا أَدِيـمَـهُ وهَـلْ لَهُ عَـافِـيَـةٌ عَـلى الـعَـفَـا؟[6]

يَغدُو ويُمْسِي ضَاحِياً تَحتَ السَّمَا كـأنَّـهُ عُـودُ خِـلالٍ أو خَـلا[7]

---

(١) المعنى: أتابع النجم في مسراه ليصل موضع قصده، في حين أظل ساهراً بعد أفوله لا أبلغ المقصد.

(٢) لازب الهم: ثابته. المعنى: ولشدة الهمّ الثابت والمُلازم، صرت من السهر وقلة النوم، كما لو أن حيّة خبيثة نهشت روحي.

(٣) أذكى: أفعل تفضيل؛ أي أشد ذكاء || حَرّ الأسى: شدة اشتعاله. المعنى: وبقلبي زفرة أشد من النار كتلهب زفرة المظلوم الذي ناصر له ولا معين على إخراج حقه من شدة الحُزن.

(٤) الذَّرَى: (بفتح الذال): المُلتجأ؛ ذراهُ يذريه ذرىً، أي حماه واحتمى به ولجأ إليه، وهي مفردة من صميم اللهجة العُمانية استخداماً، ومعنى البيت واضح ومفهوم.

(٥) العَبرة: جمعها عَبَرات، وهي الدمعة قبل أن تفيض من العين، أو ترددها في الصدر بكاء وحُزنا || الخَلق: الثوب البالي المتغير لونه || السَّحق: من الثياب؛ الخَلَق البالي، وقد يُضاف للبيان فيقال: سَحقُ ثوب || أصارها: صيّرها وتركها || الضُّوى: الهزال ودقة العظم. المعنى: من ذلك الهم المُلازم عَبرة تسكبها الأرامل من النساء والضعفاء من الرجال الذين صيَّرهم ضعفهم وهزال أجسامهم كالأثواب البالية.

(٦) العفى: التراب السبخ || الأديم: الجلد، والمراد به الجسم. المعنى: ذلك اليتيم يفترش السبخة لسوء حاله. . فهل ستبقى له صحة وعافية وهو على تلك الحال.

(٧) ضاحياً: بارزاً غير مُستتر || خِلال: الشيء الدقيق يُنظر من بعيد يكاد يُبصر ولا يكاد، لدقته وبعده عن الرائي || خلا: قصره للضرورة الشعرية، وأراد به الخلاء. المعنى: ويصبح ذلك اليتيم ويمسي بارزاً كعود خِلال في الخلاء تكاد تراه ولا تراه لشدة نحوله، بل كأنك تشاهد خلاء خالياً لشدة اضمحلاله ونحوله.

وَضَـرْبَـةٌ مِـنْ سَـيـفِ بَـاغٍ نَـهَـكَـتْ وَجْـهَ تَـقِـيٍّ مِـثْـلَ تَـشْـهَـاقِ الـعَـفَـا[1]

وسَـطْـوَةٌ مِـنْ ظَـالِـمٍ شَـبَـاتُـهُ أقْـتَـلُ لـلإسْـلامِ مِـنْ حَـدِّ الـظُّـبَـى[2]

يَـنْـتَـهِـكُ الـحُـرْمَـةَ لا تُـرِيـعُـهُ ضَـرِيـبَـةٌ مِـنْ كَـرَمٍ وَلا تُـقَـى[3]

يَـرَى عِـيَـالَ اللهِ صَـيْـدَ قَـوسِـهِ يَـتْـرُكُ مَـا شَـاءَ ومَـا شَـاءَ رَمَـى[4]

جَـاسَ الـبِـلادَ بِـالـبَـلاءِ طَـامِـيـاً فـبَـزَّ حَـتـى بَـلَـغَ الـسَّـيْـلُ الـزُّبَـى[5]

---

(١) تشهاق: تردد البكاء في الصدر كالشهيق || العَفا: الجَحْش. المعنى: ومن الهم العظيم الذي بقلبي ضربة باطلة من باغ ظالم أهلكت عبداً تقياً طائعاً لربه بغير وجه حق، يشهق كتشهاق الجحش الصغير المغلوب على أمره لا ناصر له على عدوه. والحقيقة أنني لم أجد وجه مُناسبة في تشبيه ضربة سيف الباغي على وجه التَّقيّ بتشهاق الجحش، وبدت لي غرابة المُماثلة بين تشهاق التقيّ وتشهاق الجحش، لكنني وجدتُ الشاهد ـ على غرابة التشبيه ونفور الذائقة منه ـ فيما أنشده ابن السكيت والمُفَضَّل لأبي الطِّمحان حَنْظَلة بن شَرْقيّ: «بضَرْبٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكِناتِهِ || وطَعْنٍ كتَشْهاقِ العَفَا هَمَّ بالنَّهْقِ»!

(٢) السطوة: الصولة والقهر || الشباة: النعل، وأراد بها وطأته. وخففه من باب تسمية الموصوف بصفته، وأصلها شباة النعل: أي جانباه || أقتلُ: أفعل تفضيل، أي أشد قتلًا || الظُّبى: حدُّ السيف والسنان والخنجر. [وردت في شرح الفارسي «الضبا»، وقد عجز عن معناها محقق الدُّرر المنثورة د. عادل محمد علي الطنطاوي، فعلّق: «بحثت في كثير من المعاجم فلم أجد ما ذكره الشيخ»... والحقيقة لو أنه بحث ـ وهو المُحقِّق ـ في باب «الظاء» عوضاً عن «الضاد» لوجدها في لسان العرب. وأصلها: الظُّبَة. قال بشامة بن حرى النهشلي: إذا الكُماةُ تنحَّوا أن ينالهم || حَدُّ الظُّباتِ، وصلناها بأيدينا. وفي حديث علي بن أبي طالب: نافحوا بالظُّبى؛ هي جمع ظُبَة السيف، وهو طرفه وحدُّه. المعنى: وصولة وقهر من ظالم متعد، ووطأة قدمه أشد قتلا وهلاكاً للمسلمين من حد السيف.

(٣) لا تُريعُهُ: لا ترده ولا تمنعه || الضريبة: الطبيعة والسجية من الإنسان. المعنى: إن ذلك الظالم دائماً ينتهك محارم الله ويتعدى حدوده بظلم العباد والبغي عليهم لا يرده ولا يمنعه عن ذلك سجية كرم وتعزز في نفسه ولا تُقىً رادع له.

(٤) المعنى: ومن شدة ظلمه وتكبره يرى عباد الله [عياله] وأهل طاعته مُلك قوسه يختار اصطياد من شاء منهم ليرميه بقوسه تاركاً من لم يَشأ.

(٥) جاس: طلب الشيء باستقصاء متردداً على البيوت والدور بغاراته || طامياً: عالياً متكبراً || بزَّ: غلب|| الزُّبى: مقصور جمع زبية، وهي ما ارتفع من الأرض، وهو مثل يُضرب في شدة الأمور حين تبلغ مبلغاً فظيعاً. المعنى: لقد تردد هذا الظالم الباغي في بلاد المسلمين متعالياً متكبراً عليهم بالغلبة والقهر حتى بلغ جوره مبلغاً فظيعاً.

وغِـيـرَةُ الـمُـؤمِـنِ فِـي ضَـمِـيـرِهِ يُطْفِئهَا الخَوفُ ويُورِيهَا الأسَى[1]

يُـهَـانُ فِـي حَـرِيـمِـهِ وعِـرْضِـهِ، وَدِيْـنُـهُ وَمَـالُهُ مِـثْـلُ الـلَّقَـا[2]

حَـامِـي الـحُـمَـيَّـا مَـرِسٌ لـكِـنَّـهُ شَـرَارَةٌ فِـي ضَـرَمٍ لا مَـا عَـدَا[3]

مـا تَـنـفـعُ الـغِـيـرَةُ فِـي مَـكْـمَـنِـهـا والـسَّـيـفُ فِي قِرَابِهِ لا يُنْـتـضَـى[4]

حَـتـى تـكِـرَّ الـخَـيـلُ كِـسْـفـاً سَـاقِـطـاً تَهْوِي هَوِيَّ العَاصِفاتِ في الوَغَى[5]

تَـجْـمِـزُ جَـمْـزاً بِـالـكُـمَـاةِ شُـزَّبـاً عَوابساً شُـمْـساً كسِيدَانِ الغَضَى[6]

هَـوَازِجـاً غُـرْبـاً لُجَـاجـاً ضُـبَّـعـاً غُمْرَ الأجَارِيِّ بَعِيدَاتِ الشُّحى[7]

---

(١) المعنى: ينتقل ابتداء من هذا البيت لوصف حالة المؤمن الضعيف الذي تتذبذب غيرته على الدين بين خوف يطفئها وحزن يوقد أوارها.

(٢) اللَّقا: ما طرح على وجه الأرض لحقارته. المعنى: والمؤمن الذليل الضعيف مُهان في هتك حريمه وعرضه واستباحة دينه وماله، حاله حال ما استُغني عنه لحقارته وطرح على الأرض.

(٣) الحامي: المانع والمدافع عن نفسه || الحُميّا: الحوزة وما وليه الإنسان || مَرِس: أي شديد المراس، على وزن فَعِل || الضرَم: الحطب || لا: نافيه || ما عدا: أداة استثناء والمُستثنى محذوف، أي: لا ما عدا ذلك، كقولك: الأمر كذا وكذا، ليس إلّا. المعنى: إن هذا المؤمن في حقيقة أمره مدافع عن حوزته وحَرَمه ذو شدة وشهامة، لكنه مخذول بعدم المُعين له، فهو كشرارة نار ضعيفة واهية في حطب رقيق ليِّن بالكاد تتقد النار فيه ـ لا أكثر ولا أقل من ذلك.

(٤) المكمن: مكان الاستخفاء والاستتار || القِراب: غمد السيف || لا يُنتضى: لا يُسَلُّ من غمده. المعنى: لا فائدة من غيرة المؤمن الكامنة دون ظهورها وتجليها فعلًا، ولا فائدة من سيف مغمد لا يُسلُّ وقت الحاجة والضرورة.

(٥) تكرّ: تحمل، والكرّة: الحملة في الحرب || كسفاً: قطعاً، وربما أراد به جمع كَسفة ـ بفتح السين ـ وهي القطعة || ساقطاً: واقعاً من أعلى إلى أسفل || العاصفات: جمع عاصفة وهي الريح الشديدة || الوغى: الحرب والفلاة. المعنى: لا غيرة تنفع ولا سيف مغمد، إلّا خيلٌ فرسانها أسود الله تهوي على الأعداء قطعاً ساقطات في انقضاضها العاصف.

(٦) تجمز: تثبت || جمزاً: الوثوب وشدة العدو || الكُماة: الشجعان || شزَّباً: ضامرة || عوابساً: جمع عابس || شُمساً: جمع شامس، وهو المانع لظهره القوي الصعب، وجميعها نصبت على الحال || السِّيدان: جمع أسود، والحية العظيمة || الغضى: شجر الأثل، واحدته غضاة ـ وتعني أيضاً الليل المظلم. المعنى: البيت في وصف الخيل وهي تهجم على الأعداء بفرسانها تثب وتعدو عدواً شديداً لضمورها وخشونتها في آن، كالحة في وجوه الأعداء تشبه الأسُود أو الحيّات في الليل البهيم.

(٧) هوازجاً: جمع هازج، وهو المتدارك والمتقارب والصوت الواقع الشديد || غُربا: جمع غريب وهو الحال النشط || لجاجاً: جمع لجوج، واللجاجة التردد في الشيء من شدة الخصومة || ضُبّعاً: =

فِــي فَــيْــلَقٍ حَــالِكَـــةٍ أَرْكَــانُـــهُ ... يُجَلِّلُ الأرضَ الدُّجى رَادَ الضُّحَى[1]

مَـــجْـــرٍ لُهَـــامٍ أَرْعَـــنٍ هَـــطَـــلَّعٍ ... غَـمْرٍ دِحَاسٍ لَجِبٍ صَعْبِ الذُّرَى[2]

يُـقِلُّ فـي الـجَـوِّ عِـجَاجـاً لـو هَـوَى ... عَـليهِ رَضْوَى لـم يَـصِـلْ إلى الـثرَى[3]

تُـعَـشِّـشُ الـعُـقـبَـانُ فـي أَحْـضَـانِـهِ ... وتَـنـشَـطُ الـوحـشُ إلـيـهِ لـلـخَـلا[4]

=جمع ضابع، وهو الضابح المُصوِّت ساعة جريه || غُمر: جمع غامر، وهو الجواد من الخيل || الأجاريّ: شديد السير || الشّحى: الواسع من كل شيء. وخيل شواحي: أي فاتحات أفواههن. وأيضاً تعني ما بين الخطوتين، جمع شحوة. وانتصاب هوازجاً إلى آخر البيت أحوال مؤكدة في تفوق الخيل. المعنى: ولتلك الخيل هزج، أي أصوات متقاربة ذوات بأس واسعة الخطوات والأفواه، والبيت بمجمله يجري في وصف الخيل الشريفة.

(١) الفيلق: الجيش العظيم || حالكة: مسودّة || أركان الجيش: جهاته || يجلل: يكسو || الدجى: سواد الليل || رَادَ الضحى: ظرف زمان من ارتفاع الشمس نحو باع إلى زوالها. المعنى: البيت في وصف الخيل حين تكون في جيش عظيم أركانه حالكة من الجهات الأربع، لكثرته يكسو الأرض حتى يصير النهار ليلًا لشدة قتامه.

(٢) مَجْر: نعت لفيلق، أي جيش عظيم || اللهام: العدد الكثير، وربما أراد بلهام: ذا لُهَام: أي ذا قتل وأسر، ولهمه: ابتلعه مرة واحدة || الأرعن: الجيش الواسع الذي يغشى الأرض، وجيش أرعن: له فضول وقوافي، أي: أتباع من غير انقطاع || الهَطلّع: الجيش الذي له طول وعرض || الدِّحاس: الجيش الذي يملأ الأرض || اللجب: المضطرب || صعب: الشديد المخشوشن || الذُّرى: جمع ذروة، وهي أعلى الشيء، كذروة الجبل. المعنى: ينتقل الشاعر من الجزء إلى الكل. فبعد وصف الخيل في فيلق واحد من الجيش يبدأ في وصف الجيش ذاته، باتساعه وعرضه وطوله يغشى الأرض قاطبة ويملأها سهلًا وجبلًا مُبتلعاً كل ما لاقاه مرة واحدة، مضطرب كاضطراب البحر عند هيجانه لا يُدرك منتهاه.

(٣) يُقلّ: يثير ويقيم || الجوّ: الهواء بين السماء والأرض || العِجاج: الغبار الذي يثيره الجيش || هوى: وقع وسقط || رضوى: اسم جبل بالمدينة، [لكنه وفق تفسير الشيخ الفارسي: اسم للجبل الأخضر]، وسُمّي رضوى باسم نبي دفن في سفح من سفوحه || الثرى: الأرض. المعنى: وهو جيش يثير في الجو غباراً كثيفاً ثخينا، لو سقط عليه الجبل الأخضر بأسره لم ينته إلى الأرض بل حمله غبار الجيش الكثيف مانعاً إياه من السقوط أرضاً، وثمّة مُبالغة طاغية في البيت الذي يصف كثافة غبار الجيش الذي يستطيع حمل جبل بأسره.

(٤) المعنى: ولشدة كثافة ذلك العجاج والغبار الكثيف الذي يثيره الجيش تحسبه العقبان جبلًا فتعشش فيه وتخرج الوحوش إليه من جميع الأماكن لترعى، وذلك لشدة صلابته وقوة تراكمه، رغم أنه غبار تبدّى لها كالأرض والمراعي. وهذا واحد من أبيات أبي مسلم التي تشطح فيها مخيلته الشعرية،=

لــولا بُــرُوقُ الــمَــشْــرَفِــيَّــاتِ بــهِ لم يَـهْـتـدِ الـجَيشُ الأَمَامَ والقَفَى[1]

تَـضْـطَـرِمُ الأَرضُ بـمَـا تَـقـدَحُـهُ سَـنـابِـكُ الـجُـرْدِ وَتَـقْـرَاعُ الـشَّـبَـا[2]

يَـخـلِطُ غَـوْراً بِـيَـفـاعٍ وَقْـعُـهُ فـالأرضُ فـي بَـطْـنِ رَحَـاهُ كـالـلَّـهَـا[3]

تَـلـتـحِـمُ الـشِّـكَّـةُ فِـي رِعَـالِهِ فـالجَيشُ فِي بَحْرِ حَديدٍ قد طَغَى[4]

مُـزمْـجِـرُ الـوَغْـرِ لَهُ زَمَـازِمٌ زَهَـاؤُهُ الـليـلُ إذا الـليـلُ عَـسَـى[5]

بِـكُـلِّ صِـنـدِيـدٍ عَـتـيـكٍ دَاغِـرٍ مُـهَـوِّلِ الـكُـبَّـةِ شَـدَّادِ الـسَّـطَـا[6]

=فرغم أن التقنية واللغة مماثلة لما قاله الشعراء القدامى في وصف الخيل والجيش العرمرم، إلا أنه يتفرد بمثل هذا الوصف للغبار الذي يثيره الجيش، لدرجة أن العقبان تعشش فيه.

(١) البروق: جمع برق || المشرفيات: جمع مشرفية، وهي السيوف المنسوبة إلى المشارف من قرى ارض العرب. المعنى: وذلك العجاج الذي يثيره الجيش لشدة ظلمته لما اهتدى الجيش إلى طريقه ولم يعرف ميمنته من ميسرته ولا قدامه من قفاه، لولا وميض السيوف في الظلمة الحالكة ترشد الفرسان إلى طريقها الصحيح.

(٢) الجُرد: جمع أجرد، وهي الخيل || التَّقراع: مصدر قرَّعه تقراعاً، وهو شدة الدق والضرب || الشبا: حدُّ السيف. المعنى: وهو جيش يُشعل الأرض نارا متوقدة لكثرة قدح حوافر الخيل في مشيها وتكسر النصال على النصال.

(٣) يخلط: يُسوّي. وخلطت الأرض بعضها على بعض: سوَّيتها || الغور: الأرض المنخفضة || اليفاع: التلال والكثبان، أي ما ارتفع من الأرض || وقعه: مشيه وانطلاقه || الرَّحى: صدر الجيش || اللَّها: جمع لهاة، وهي اللحمة المشرفة على باطن الحلق. المعنى: وهو جيش يسوِّي فوق الأرض بتحتها لشدة وقعه عليها، فترى جميع من عليها لعظم صدر ذلك الجيش يبدو صغيراً كاللهاة في حلق الإنسان لم تأخذ من رحاه إلّا قليلًا، فكأنه أوسع من الأرض ذاتها بأضعاف مضاعفة.

(٤) تلتحم: تجتمع وتلتئم || الشِّكة: السلاح || رعاله: أي في سعته ونشاطه، والضمير عائد إلى الجيش - وأراد بالبحر: السلاح ذاته، مشبهاً أسلحة ذلك الجيش بالبحر المتلاطمة أمواجه وترادفها واحدة فوق أخرى، فحذف المشبه به؛ وهو الأسلحة وذكر من لوازمه الحديد، فالمحذوف استعارة تخييلية تمثيلية || طغى: علا وارتفع. المعنى: ومن صفات ذلك الجيش أن أسلحته تجتمع ويلتم بعضها على بعض في سيره على سعته، فتصير شيئاً واحداً مترادفا بعضه يتبع بعضاً، يعلو ويرسب كبحر متلاطم، لولا أنه بحر من حديد يعلو الجيش ويرتفع في مسيره على صفحته.

(٥) الوغر: شدة العداوة والغيض || زمازم: الهدير والزجل، وزمزم الجملُ إذا هدر || زَهاؤه: يماثله ويشابهه || عسى الليل: أظلم كعَسْعَسَ. المعنى: ومن صفاته أيضاً أن له زجلًا في مشيه وسيره شديد الصخب متوقداً غيضاً وعداوة على الأعداء، مظلم لكثرته كظلمة الليل.

(٦) الصنديد: السيد الشجاع والحليم والكريم من الناس || العتيك: الكرّار في القتال || الداغر:=

يَسْتَحْقِبُ الحَتفَ وَيَشهَى حَيْنَهُ ... إنْ يَكُنِ الحَتفُ انْتِصَاراً لِلهُدَى[1]

تَهْوَى النُّسُورُ سَيفَهُ ورُمْحَهُ ... لِمَا يُتِيحَانِ لَهَا مِنَ القِرَى[2]

يَصْدَعُ قلبَ الرَّوْعِ فِي عَزِيمَةٍ ... أسْرَعُ مِنْ بَرقٍ وأوْرَى مِنْ لَظَى[3]

كأنَّمَا جُرَازُهُ مِنْ قَلبِهِ ... لا يَنتَحِي ضَرِيبَةً إلّا فَرَى[4]

مُجَرِّسٌ مُضَرِّسٌ مُمَارِسٌ ... يَمْتَرِسُ الخَطْبَ إذا الخَطْبُ شَحَا[5]

عَلى سَرَاةِ شَامِسٍ مُطَهَّمٍ ... مُغتَرِقٍ فِي جَرْيِهِ عَبْلِ الشَّوَى[6]

=المُدافع والمهول والمرعب || الكبّة: الحملة في الحرب || شدّاد السّطا: كثير البطش والصَّولة.
المعنى: يصحب ذلك الجيش كل شهم شجاع كريم كثير الكرّ في القتال مفزع لأعدائه بحملته عليهم.

(١) يستحقب الحتف: يطلب الموت ـ وقد سبقه إلى مقاربة المعنى المُمزق العبدي: «فإني يُتْهموا أُنجِدْ خلافاً عليكمُ | وإن تُغمِنوا مُستحقبي الحرب أعْرِقِ»، لكن تجديد أبي مُسلم هو في استخدامه للحتف استحقاباً، عوضاً عن الحرب || يشهى: يتشهّى || حَينه: وقت حلول الموت، وأيضاً تعني الانتصار.
المعنى: كل شجاع في ذلك الجيش يطلب الموت ويرغب فيه، بل يتشهاهُ انتصاراً ومماتاً، إن كان الحتف آخر طريق لنصرة الهدى والهداية.

(٢) المعنى: تهوى النسور سيف ذلك الشجاع ورمحه، لأنهما يهبانها الطعام؛ يقصد أشلاء الأعداء بعد تقتيلهم.

(٣) يصدع: يشق ويفرق || الرّوع: الفزع. المعنى: ذلك الشجاع يشق قلب الفزع مفرّقاً مهولات الحرب بعزيمة أسرع من البرق وأشد أوراً من لظى النار.

(٤) جُرازه: سيفه القاطع || لا ينتحي: لا يقصد || ضريبة: المضروب بالسيف || فرى: قطع. المعنى: لشدة بسالة وشجاعة ذلك المحارب كما لو أن سيفه قُدَّ من قلبه لا يضرب أحداً بسيفه إلّا قطعه.

(٥) المُجرّس: المُجرّب للأمور الذي أصابته البلايا [وردت في شرح الشيخ الفارسي: مُحرّس، أي محافظ، ونعتقد بخطأه وخطأ محقق الدُرر المنثورة، لأن معنى البيت لا يستقيم مع الصفات الأخرى، فضلًا عن ورودها في الأصل المُعتمد: مُجرّس] || المُضرّس: من ضرّسته الحروب والخطوب؛ أي جرّبتهُ وأحكمته || المُمارس: الداهية || يمترس: يحتكّ || الخطب: الأمر العظيم || شحا: وسع وانفتح. المعنى: إن ذلك الشجاع المُجرّب الذي خبرته الخطوب ببلاياها، ومن ضرّسته الحروب داهية يمترس الأمر الجلل إذا انفتح على مصراعيه.

(٦) على سَراة: على ظهر المركوب، وهو الجواد || شامس: المانع لظهره || مُطهّم: السمين الممتلئ والدقيق الجسم || عبل الشوى: ضخمه وغليظه || الشوى: اليدان والرجلان وقحف الرأس، أو الرأس كله. المعنى: وذلك الشجاع راكب على فرس كريم مانع لظهره ممتلئ سمنا شديد الجري غليظ الرأس والرجلين واليدين. نلاحظ أن الشاعر يمتدح الفارس وفرسه، دون تفريق، كما لو كانا معاً آلة حرب واحدة لشدة التحامهما في المعركة، وهو ما سنلاحظه في البيت اللاحق.

يَـخـتـرِقُ الـحَـوْمَـةَ فِـي وَطِـيـسِـهَـا	يُـعَـارِضُ الـهَـوْلَ وَيَـعْـتَـامُ الـرَّدَى(١)
كـأنـهُ صَـاعِـقَـةٌ مُـنْـقَـضَّـةٌ	لـوصَـكَّ فِـي خَـطْـفتِـهِ الـطَّـوْدَ ثَـوَى(٢)
مُـحْـتَـمِـشـاً مُـضْـطَـغِـنـاً صَـمْـصَـامَـةً	يَـحُـوشُ أكْـدَاسَ الـرِّعَـالِ كـالـقَـطَـا(٣)
أخْـلَـصَـهُ الـصَّـقْـلُ شِـهَـابـاً قَـبَـسـاً	وَكَـمِـنَ الـمَـوتُ بِـهِ عَـلى الـشَّـبَـا(٤)
يُـفَـضْـفِـضُ الـجَـحْـفَـلَ بـاهْـتِـزازةٍ	مِـنْـهُ وَيَـجْـتَـزُّ الأشَـمَّ إنْ هَـوَى(٥)

(١) الحومة: شدة القتال || الوطيس: الحرب || يعارض الهول: يتلقى الخوف والفزع || يعتام الرَّدى: يخوِّض في الموت. المعنى: وهو يخترق شدة القتال في الحرب يتلقى أهوالها يخوضُ في الموت دونما مبالاة.

(٢) صَكَّ: دفع الشيء بقوة، واصطكَّ الشيئان: صَكّ أحدهما الآخر || خطفته: سرعته الخاطفة || الطود: الجبل || ثوى: اندكّ. المعنى: كما لو كان صاعقة منقضة، لو دفع جبلًا مِنْ سُرعته الخاطفة لاندكّ تماماً.

(٣) محتمشاً: مُغضباً || مُضطغناً: الحقد الشديد، والضغون: الذي يجري كأنه يرجع القهقرى، وضغنت الدابة؛ أي استصعبت على القياد، والخيل لا يجري ولا يعدو إلا إذا ضُرب [وردت في الدرر المنثورة: مضطفناً: بمعنى آخذا] || صمصامة: المُصمِّم على الأمر، وأيضاً تعني السيف الصارم الذي لا ينثني || يحوش: يسوق || أكداس: هنا بمعنى الخيل ازدحمت في سيرها || الرِّعال: القطعة من الخيل قدر عشرين أو أكثر || القطا: طائر معروف. المعنى: كما أشرت أعلاه فإن أبا مسلم يجمع بين السيف والفارس وفرسه في صورة شعرية واحدة، بحيث تمحي الفوارق بين الثلاثة في وصف الهجوم وأرض المعركة، لكنه أقرب في هذا البيت إلى دمجه لروح السيف والجواد معاً يسوسهما الفارس الغضب بحيث يسوق أكداس خيول الأعداء أمامه كقطيع من القطا، وعلى بساطة إمكانية تأويل الصورة الشعرية، فهي أكثر تعقيداً مما تبدو عليه حين يقارنها المرء مع سابقها من الأبيات التي تبين عن خوض أبي مسلم نفسه لمعارك على تلك الشاكلة مكنته من الإيغال في وصف المعركة للإمساك على لقطاتها الصعبة حتى على مخرج سينمائي محترف.

(٤) أخلصهُ الصقل: تركه خالصاً؛ أي صافياً مُجَوهراً || الصقل: الجلاء صقلًا || كمِنَ: رصد || الشَّبا: حدّ السيف. المعنى: وهو سيف تجوهر بالصقل فصار كالشهاب الذي كمن الموتُ فيه على حدِّ شفرتيه.

(٥) يُفضفض: يُفرِّق || الجحفل: الجيش الواسع || باهتزازةٍ: معناها معروف [وردت في الدرر المنثورة «باهتزازه»، وذاك خطأ أوقع محقق المقصورة نفسه فيه، لا سيما أنها متبوعة في عجز البيت بـ «منهُ»، أي باهتزازةٍ من السيف!] || يحتزُّ: يقطع || الأشمّ: المرتفع، ولا تعني هنا الجبل المرتفع [كما ورد لدى الشيخ ومحققه]، بل تعني الرجل الذي يمر رافعاً رأسه تكبُّراً، ومنها الشَّمَم: ارتفاع قصبة الأنف في استواء || هوى: وقع. المعنى: وهو سيف يفرِّق جحفل الجيش باهتزازة واحدة منه لا غير=

يُشفِعُهُ بِلَهْذَمٍ سِطَامُهُ … أعْصَلُ رَقشاءُ عَلى الحَتفِ انْطَوَى(1)

فـي مَـأزِقٍ بَـيـنَ كَـمِـيٍّ قـد ذَمَـى … يُحَشرِجُ الرُّوحَ وَضِرغامٍ شَصَا(2)

يَسُوطُ فِيهِ فَيلقاً بِفَيلَقٍ … كمَا يَسُوطُ البُهْمَ تَقراعُ الشَّبا(3)

=(إمعاناً ومبالغة في صفة سيف يفرّقُ جيشاً كاملًا باهتزازة منه، كما يقطعُ جسد الفارس الرافع رأسه تكبراً في المعركة أثناء سقوطه عن فرسه، والصورة الشعرية بليغة، فهو يفترض أنه سيف يفرق جيشاً بأكمله، ويحز جسد أفضل فرسانه بحزة ثانية خلال سقوطه.

(1) يشفعه: يشفع الشيء شفعاً؛ أي يضم مثله إليه، وأيضاً: يجعله زوجاً [يشفعه وردت في نسخة الشيخ: «يُسعفه»، لكننا نميل، لأسباب جماليّة صِرف، إلى ما ورد في الأصل المُعتمد ـ على صِحّة يُسعفه] || اللهذم: السيف القاطع || سِطامُهُ: حدُّه || الأعصل: السيف المعوج في صلابة || الرقشاء: الحَيةُ لرقشة جلدها || على الحتف انطوى: اشتملَ على الموت. المعنى: ولأنه سيف يفرّقُ جيشاً كاملًا باهتزازة منه، كما يقطعُ جسد الفارس الرافع رأسه تكبراً في المعركة؛ فإنه لا يكتفي بذلك بل يشفعه بفارس آخر يضمه إليه مُجندلًا بضربة واحدة من حدِّ سيفه المُتموج على صلابته كالحيَّة الرقشاء لشدةِ انطوائه صلابةً وتموجاً على الحتف الأكيد، ومرة أخرى نلاحظ أن الشاعر ضم إلى صلابة سيف الفارس الممدوح أثناء الضرب وقدرته على التموج والانثناء كالأفعى، تأكيداً لعمق الصورة الشعرية، ولذلك فضلنا «يشفعه» عوضاً عن «يسعفه»، لأنه انتهى في لحظته الخاطفة من قتل فارس ليلقي على جثته فارساً آخر في ذات اللحظة.

(2) المأزق: المَضيق الحرج، وأراد به هنا موضع القتال || الكَميّ: الشجاع || ذمَى: من الذماء؛ وهي بقية الروح في المذبوح. قال الأصمعي (في اللسان): ذمِي العليلُ يذمي ذمياً إذا أخذه النزع فطال عليه الموت. [في الأصل المعتمد وردت دَمَى، ولم نعتقد بصحتها، وفي الدرر المنثورة وردت ذمَا: أي وقع على الأرض، ولم نعتقد بصحتها أيضاً ـ واستنتاجنا أنها ذَمَى، كما أوردناها مع تفسيرها، سابق الذكر في اللسان] || يُحشرج: يغرغر الموت ولما تزل الروح فيه || ضرغام: بطل || شصا: الميت يشصو شصوّاً؛ انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه، فهو شاصٍ [وبالتأكيد نخالف الشيخ في الدرر المنثورة، حيث فسرها: شصا يشصو شصى: أي شخص بصره]. المعنى: وهو سيف يخوض في موضع القتال بين شجاع جُندل قبل لحظات ما زالت روحه في النزع الأخير تغرغر بالموت وبطل آخر تحقق موته في المعركة وانتفخت جثته كجثث الماشية وقد ارتفعت يداه ورجلاه.

(3) يسوط: يخلط شيئين في موضع واحد ثم يضرب بعضهما ببعض، والضمير عائد إلى المأزق في البيت السابق || البُهم: جمع بهيمة || تقراع: مصدر قرعه، بمعنى ضربه || الشَّبا: السَّوط [تقراع الشبا، وردت في الأصل المُعتمد: ضرغام الشرى، لكننا استصوبنا ما أورده الفارسي في الدُّرر المنثورة، لا سيما أن مفردة «ضرغام» وردت في البيت السابق لهذا البيت، ونعتقد أن شاعراً كأبي مسلم (وفي قصيدة كالمقصورة بالذات) لن يكرّر مفردة في بيتين متتابعين]. المعنى: وفي مضيق المعركة الحرج تراه يخلط فيلقاً بفيلق يقلبهما كيفما شاء بيُسر خاطف، كما يضرب الراعي أغنامه بطرف عصاه.

بِـهَـذِهِ الـخُـطَّـةِ نُـشـفِـي غَـيْـظَـنـا إنْ كانَ بالسَّيفِ أَخُو الغَيْظِ اشْتَفَى[1]

بِـهَـذِهِ الـخُـطَّـةِ نُـرْضِـي رَبَّـنـا إنْ كـانَ فِـيـنـا طَـالِبٌ مِـنـهُ الـرِّضَـا

بِـهَـذِهِ الـخُـطَّـةِ نَـبْـتـاعُ الـعُـلا في الدِّينِ والدُّنيَا وَنَستوفِي المُنى

بِـهَـذِهِ الـخُـطَّـةِ نَـرقـى سُـلَّماً لِغَـايَـةٍ حَـضَّ عَـلـيـهَـا وَدَعَـا

أيـنَ رِجَـالُ اللهِ مَـا شَـأنُـكُـمُ إلى مَتى في دِينِنا نَرْضَى الدُّنا[2]

إلـى مَـتـى نَـعْـجَـزُ عَـنْ حُـقـوقِـنـا إلـى مَـتـى يَـسُـومُـنـا الـضَّـيـمَ الـعِـدَا

كُـنـا أُبَـاةَ الـضَّـيـمِ لا يَـقـدَحُ فـي صَـفـاتِـنـا الـذُّلُّ ونَـقـدَحُ الـصَّـفـا[3]

كُـنـا حُـمَـاةَ الأنْـفِ لا يَـطـمَـعُ فـي ذُرْوَتِـنـا الـطَّـامِـعُ فـي نَـيـلِ الـذُّرَى

لا يَـطـرُقُ الـوَهْـنُ عِـمَـادَ مَـجْـدِنـا وكَـمْ ثَـلَـلْنَـا عَـرْشَ مَـجـدٍ فـكَـبَـا

عَـلامَ صِـرْنـا سُـوقَـةً إمَّـعَـةً أتـبَـعَ مِـنْ ظِـلٍّ وأَقْـتَـى مِـنْ عَـصَـا[4]

مَـا أفْـظَـعَ الـشَّـنـارَ أو يُـزِيـلهُ ضَرْبٌ يُزيلَ الهَامَ مِنْ فَوقِ الطُّلَى[5]

إلـى مَـتـى نُـخْـزَى ولا يُـؤلِمُـنـا كـالـمَـيْـتِ لا يُـؤلِمُـهُ حَـزُّ الـشَّـبَـا

أذلُّ مِـنْ وَتْـدِ حِـمَـارٍ فِـيـهِـمُ وَقَـدْرُنـا أَقْـصَـرُ مِـنْ ظِـفـرِ الـقَـطَـا

---

(١) المعنى: بهذه الطريقة التي ذكرتها ـ يستخلص الشاعر نتائج معركة المقصورة ـ نبري ما بقلوبنا من الغيض والحقد على أعدائنا، إن اشتفينا بسيوف فرساننا لنزيح عن صدورنا الغيض، وهو يستمر في تعداد أوجه تلك الخطة في الأبيات التالية لهذا البيت، وهي من الوضوح للقارئ بمكان.

(٢) ابتداء من هذا البيت، وبعد وقفته على مسار المعركة ووصفه لها، يبدأ في استنهاض رجال معركته الذين دعاهم الشيخ الفارسي «حزب الله وأهل طاعته»، قائلًا لهم في شرحه لتوبيخ الشاعر لتراجع هممهم: ما الذي ثبطكم عن قتال عدوكم وإظهار دينكم؟ وإلى متى ترضون الذل والهوان في دينكم الحق؟ . . . إلخ الأبيات.

(٣) الصَّفا: جمعُ صَفاة، وهي الحصاة الملساء، وكنى بها، هنا، عن شرف الإنسان وعزته نقيضاً للذلّ.

(٤) أقتى: أطوع. المعنى: وكيف صرنا سَوَقة كالعوام في استسلامنا للمصير الذي فرضه علينا الأعداء، لدرجة أننا صرنا أتبعَ لهم ولمبتغاهم من ظِلٍّ وأكثر طاعةً من عصيّهم. كما نرى، ورغم تخفف أبيات المقصورة من فخامة لغتها وجزالة القول فيها، نجد الشاعر في هذا الجزء المراد به التبسيط والإفصاح لعموم قرائه، إلّا أن بيته هذا لا يسلم من التوظيفات البلاغية التي امتاز بها أبو مُسلم، لا سيما في تعبيره: أطوعَ من ظِلٍّ وأقتى من عصى!

(٥) الشنار: العار والعيب || الهام: جمع هامة، وهي جبين الرأس || الطُّلا: العنق.

إلى مَتى نَهْطَعُ فِي طَاعَتِهِم | ونَتَّقِي، وَلَيتَهَا تُجْدِي التُّقى[1]
إلى مَتى نَهْرَعُ فِي أذنابِهِم | لا مُلْتَجَى، لا مُنْتَهَى، لا مُنْتَحَى
إلى مَتى يَعْرِقُنا نَكِيرُهُم | وجَورُهُم وكُفرُهُم عَرْقَ المُدَى[2]
إلى مَتى تَقْضِمُنا أَضْرَاسُهُم | إلى مَتى نَحنُ لهُم عَبدُ العَصَا[3]
إلى مَتى تَعْرِكُنا أَحْكامُهُم | إلى مَتى إلى مَتى إلى مَتى؟
أينَ مُحِبُّ اللهِ فِينا صَادِقاً | لو صَدَقَ الحُبُّ لهَانَ المُخْتَشى[4]
لا يَنْتَهِي إذ نَفَشَتْ قَزوَانَهَا | مَحَارِمُ الليلِ إلى العَزْمِ اللقا[5]

---

(١) نهطع: نسرع في طاعتهم.

(٢) يَعرقنا: عرَقه يعرقه عرقا: أكل لحمه حتى تركه عظاماً بالية لا لحم عليها، وعرقه تعني أيضاً: حمّله من المشاق ما لا يطيق || نكيرُهم: مُنكرهم، وربما أراد بالنكير إنكارهم عليه إظهار ما يدينون به من العبادات || الجَور: الحيف والظلم والتعدي || المُدى: السكاكين. المعنى: إلى متى نحتملُ عَرْقَ منكرهم وتعدِّيهم وإظهار كفرهم فينا عَرْقَ السكاكين التي تسلخ اللحم من عظام الذبيحة. **ملحوظة:** ورد البيت في نهضة الأعيان كالتالي: «إلى متى يعركُنا إنكليزهُم | وجورهم وكفرهم عرق المُدى»، لكننا لم نَعْتدّ بما ورد فيها، لاعتقادنا أن التحريف الطفيف في الصياغة مَردُّهُ أهداف سياسية أملَتها على الشيخ أبي بشير مقامات تلك الأزمنة. ومع ذلك أثبتنا في هذه الملحوظة ما ورد في نهضة الأعيان، لمزيد من الفائدة.

(٣) عبد العصا: تعبير عن الإشارة بالعصا، كما يشيرُ السيد لمملوكه تكبُّراً وعتوّاً في تحكُّمه به سكوناً وحركة.

(٤) **المعنى**: أين فينا مُحبُّ الله الصادق بالفعل؟.. فلو صدق الحُبُّ لهان وسهل علينا ما نخافه ونحذره من ظلم الأعداء.

(٥) نفشت: مزَّقت، والنفشُ: تشعيث الصُّوف وتفريقه || القزوان: شجرة القرع، كما ورد في شرح الشيخ الفارسي، إلا أنني لم أجدها بنفس المعنى المُطابق تماماً في اللسان، فبحثت عنها لأجد أصلها في تاج العروس من جواهر القاموس: [عن اللحياني والجمع اقراء وقروان، قال مالك الهذلي يصف الضبع: «إذا نفشت قروانها وتلفتت | أشب بها الشعر الصدور القراهب»، (كالقِروان) بالكسر والجمع قروانات نقله الصاغاني، والقرا (القرع) الذى يؤكل، عن ابن الاعرابي كأن عينه مبدلة من الالف، (وناقة قرواء طويلة) القرا وهو الظهر وفي الصحاح طويلة (السنام) ويُقال الشديدة الظهر بينة القرا، هذا نص الجوهرى]، ويبدو أن أبا مُسلم استل المعنى من بيت مالك الهذلي في وصف الضَّبع. وتأتي قريناتها في المعنى بغرابات يصعب على المرء التكهن بأيِّها قصد أبو مُسلم معنى هذا البيت، [لذلك سأورد في شرح المعنى حرفياً ما أورده الشيخ الفارسي] || محارم الليل: مخاوفه || العزم: الإرادة||=

أيــنَ ذوُو الــغِــيــرَةِ مَــنْ لِي بــهِــمُ قــد حَـزَبَ الأمـرُ قـد انْـقـدَّ الـسَّـلا[1]

اتَّـــسَـــعَ الـــخَـــرقُ عَـــلى رَاقِـــعِـــهِ مَـنْ يُـشعِـبُ الـوَهَـى ويَـرْتـقُ الـثَّـأى[2]

أمَـــا شَـــعَـــرْتُـــم أنَّـــهَـــا دَاهِـــيَـــةٌ شَـعْـوَاءُ لا فَـضْـيَـةَ مِـنـهـا بـالـوَنَـى[3]

هُـــبُّـــوا مِـــنَ الـــنَّـــوْمَـــاتِ إنَّ حَـــيَّـــةً تَـنْـبَـاعُ مَـا بَـيـنَ شَـرَاسِـيـفِ الـحَـشـا[4]

حَـتـى عَـلى الـمَـوتِ الـزُّؤامِ نَـوْمُـكُـم ولَـيـتَـهُ مَـوتٌ عَـلى حِـفـظ الـحِـمَـى[5]

قـد اسْـتـبَـاحُـوا حُـرُمَـاتِ دِيـنِـكُـم ومَـنـعُـوا الأرْضَ الـحَـيَـاةَ والـحَـيَـا[6]

=اللقا: الملاقاة، وإضافته إلى العزم، معرّفين من باب إضافة: «كالجعد الشعر»، وجاز هنا لتنزيله العزم في جزم الإرادة في النفس باللقاء نفسه. المعنى، وفقاً للدرر المنثورة: يقول: لا ينتهي بغيُهم ولا غاية له في ذلك حين أصابوا مطلوبهم فينا وفرقوا جمعنا وفرقونا بظلمهم إلى أن نعزم عزماً قوياً لملاقاتهم وقتالهم: شبه المسلمين في تعاضدهم وتحاميهم بعضهم ببعض بشجر القرع عضد بعضه بعضاً حتى حشى على الأرض، وشبه الكفار بغنم عدت عليه فأكلته ومزقته، والله أعلم.

(١) حزبَ الأمر: اشتدّ [وردت خرب الأمر في الدُّرر المنثورة] || انقدَّ: انشق وانقطع || السَّلا: الجلدة التي يتكوَّنُ فيها الوليد في البطن، إذا بلغ الأمر أقصاه؛ كقولك: بلغ السكين العظم. المعنى: أسائلُ عن أصحاب الغيرة الذين يغارون على دينهم، أين هم؟ لأن الأمر قد اشتدَّ وبلغ غايته وأقصاه.

(٢) الخرق: الشق || الرّاقع: من يرقع الثوب ويشد خرقه || يُشعب: يُصلح || الوَهَى: الشق والخرق || الثأى: أثر الجرح المتآكل المفتوح. المعنى: عظم الأمرُ فاتسع الخرق على راقعه، فهل يوجد من يصلح الفاسد ويجمع المتفرق ويلئم الجروح الفاسدة فينا؟

(٣) لا فَضْيَةَ: لا خلاص || الونى: البطء والتواني [وردت في الأصل المُعتمد: «الوَلَى»، لكننا أثبتنا ما أورده الشيخ الفارسي]. المعنى: أما علمتم أن تسلط الأعداء عليكم داهية عظيمة، ولا خلاص لكم منها بقعودكم وتوانيكم عن قتالهم.

(٤) حيّة: أفعى، وهي اسم إنَّ ونكّرها للتهويل قاصداً بها الأعداء || تنباع: تنبسط || شراسيف: جمع شرسوف؛ وهو غضروف معلق بكل ضِلع مثل غضروف الكتف، وأيضاً تعني: البعير المُقيد والأسير المكتوف || الحَشا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كُلُّهُ مِنَ الكبد والطحال والكرش، والمعنى واضح من سياق البيت.

(٥) الزُّؤام: الكريه. المعنى: حتى على الموت الكريه تكون غفلتكم ونومكم؟.. وليته كان موتاً أو أن تدافعون عن حِماكم ومحارمكم.

(٦) أوردنا ما وجدناه في الأصل المُعتمد اعتقاداً بصحة صيغته [فهو يرد لدى الشيخ الفارسي بصيغة تساؤل: هل استباحُوا حُرمات دينكم | هل منعوا الأرضَ الحياةَ والحَيا؟]، والمعنى واضح من السياق في صيغته الحالية، وليس بصيغته سؤالًا مَبتوراً من سياق الأبيات السابقة واللاحقة له.

تَحَكَّمُوا في مُلْكِكُم وَرِزْقِكُم ... وكَبَسُوا البِئرَ وقَطَّعُوا الرِّشا[١]

مَنُّوا عَلَيكُم بِغِذاءِ طِفْلِكُم ... وحَسْوَةِ المَاءِ ونَفْحَةِ الصَّبَا

وأزعَجُوكُمْ مِنْ ظِلالِ رِيفِكُم ... ولَيتكُم لَنْ تُزْعَجُوا مِنَ الفَلا

وضَايَقُوكُم في بِلادِ رَبِّكُم ... حَتى عَلى مَدْفَنِ مَيْتٍ في الثرَى

لا يَرقُبُونَ فِيكُمُ إلًّا وَلَا ... ذِمَّةَ دِينٍ أو ذِمَامَ مَنْ رَعَا[٢]

قَدْ سُفِكَتْ دِمَاؤكُم وَانْتُهِكَتْ ... حُرْمَتكُم ولا حَشا ولا خَلا[٣]

نَقعُدُ يَشكُو بَعْضُنا لِبَعْضِنا ... ومَا مَفادُ مَنْ شَكَى وَمَنْ بَكَى؟

فِي بَعضِ هذا غُصَّةٌ لِعَاقِلٍ ... لو رَجَعَتْ أفكارُنا إلَى النُّهَى

يَسُومُنا الخَسْفَ خَسِيسٌ نَاقِصٌ ... لا دِينَ، لا حِكْمَةَ، لا فَضلَ وَلا . .

ألَيسَ مِمَّا يَذهلُ اللُّبُّ لَهُ ... عَسْفُ الطَّوَاغِيتِ بِشَرْعِ المُصْطَفى

وحَمْلُنا عَلى اتِّبَاعِ غَيِّهِم ... مُصِيبَةٌ لِحَرِّها ذابَ الحَصَى

هَبْ مُلْكَنا ورِزْقَنا فَيْءٌ لهُم ... فَدِينُنا الأقْدَسُ فَيْءٌ وجِزَى[٤]

للهِ مَا أفظَعَهَا دَاهِيَةً ... لو عُوفِيَتْ قُلُوبُنا مِنَ العَمَى

فَيَا صَبَاحَاهُ وَهَلْ مِنْ سَامِعٍ ... لِصَرْخَتِي وَهَلْ يُجيبُ مَنْ دَعَا[٥]

---

(١) الرِّشا: حبلُ دلو البئر.

(٢) لا يرقبون: لا يحفظون || إلًّا: الإلّ ـ بكسر الهمزة ـ العهد واليمين || رعا: رعواً كفَّ وارتدع، ورعا الشيء رعياً ورعايةً: حفظه. وفي التنزيل العزيز: «فما رَعَوها حقَّ رعايتها» ـ وأيضاً تردُ بمعنى: رَعَا له عهده أو حرمته [وردت لدى الشيخ الفارسي: وَعَا]. المعنى: وهم لا يراعون فيكم عهداً ولا يميناً أعطوكم إياه ولا حُرمة دينكم ولا حُرمة من أوفى لهم بعهده منكم.

(٣) ولا حَشا ولا خَلا: أدوات استثناء.

(٤) جِزى: جمعُ جِزية ـ كفِرى، جمعُ فِريَة ـ وهو الخراج الذي يؤخذ من أهل الذّمة، وظِلالُ المعنى واضحة في لُبّهِ ولُبابه.

(٥) يا صباحاه: كلمة يُشدى بها لاجتماع الناس عند نزول حادث ودُهُوم أمر. المعنى: بعد ابتداء صيحته بالتنبيه: يا صباحاه! وحين لم يرد عليه أحد لدعوته من قومه، يتساءل الشاعر مُستنكراً: أنا من دعى، فهل أجيب نفسي؟ . . تلك غريبة الغرائب وعجيبة العجائب. [يرد المعنى في شرح الفارسي هكذا: إني أصيح صيحة عظيمة لأجل اجتماع الناس إليّ فأخبرهم بحالهم، والحالة ليس أحد بسامع صيحتي فيجيب دعائي أبداً. والله أعلم].

قَــدْ ذُبِـــحَ الـــمُـــلْكُ وهـــذا دَمُـــهُ وَمُـدْيَـةُ الـذَّابِـحِ فِـي نَـحْـرِ الـهُـدَى

وأَصْـبَـحَ اسْـتِـقْـلالُكُـم فَـرِيـسَـةً بَـيـنَ كِـلابِ الـنَّـارِ يَـا أُسْـدَ الـشَّـرَى[1]

أَلَيْـسَ عَـاراً أَنْ نَـعِـيـشَ أُمَّـةً مِـثْـلَ الـلَّـقَـا أو غَـرَضـاً لِـمَـنْ رَمَـى

يَـلـفُّـنـا الـخِـزْيُ إِلـى أَوْكَـارِهِ ويَـحْـكُـمُ الـنَّـذلُ عَـلـيـنـا مَـا يَـرَى

أَنـشـرَبُ الـمَـاءَ الـقَـرَاحَ مَـا بِـنَـا مِنْ مَضَضٍ وَلَيسَ بالحَلقِ شَجَا[2]

وَنَـهْـنَـأُ الـعَـيْـشَ عَـلى أَكْـدَارِهِ ونُطْعِمُ الأجفانَ لذَّاتِ الكَرَى[3]

وجَـنْـبُـنـا جَـنـبُ صَـدِيٍّ صَـاغِـرِ والسَّيفُ حَرَّانُ الحَشا مِنَ الصَّدَى[4]

كـم نَـظْـلِمُ الـسَّـيـفَ بِـمَـنـعِ حَـقِّـهِ أَمَـا يُـجَـازَى ظَـالِمٌ بِـمَـا جَـنَـى[5]

---

(١) نلاحظ تطوُّرَ المقصورة لغة وأسلوباً وبلاغة في مراحل خطاباتها متعددة الأوجه - كتعدُّدِ المُخاطَب - تناغماً تُبِين عنه لغة الخطاب. لذلك نرى أبا مُسلم، ابتداء من هذا البيت، ينسلُّ من مرحلتين، من تعميمٍ في مجاز القولِ إلى تخصيصٍ (هو في عُمقهِ المُوازي تعميمٌ لسوء حالِ وطنِه الصغير مُعبّراً عَنهُ ضِمناً في سوءِ حالِ الوطن الكبير). وقد كان من الذكاء في إلماحه إلى الخاص والعام بحيث جمعهما معاً في هذا البيت عبر استخدام مفردة «استقلالكم» - إشارةً إلى ملامح استقلال الدول العربية الظاهري من الاستعمار، مقابلَ مُصطلحٍ أقرب ما يكون لخصيصةِ مُواطنيه الإباضيين: «أسد الشَّرى»، كنايةً عن الشُّراةِ الخوارج، دامجاً خاصَّ المصيبة والداهية بتمظهرها في عامِّها الأكثر تدهوراً - كما رآهُ الشاعر المُتابعُ - بعين المُستبصر في زنجبار النائية - لما كان يحدث في مصر والشام أيام استقلالاتٍ ما زالت بعد مائة عام - كما نرى إليها اليوم - أضحوكةً ستضحكُ منها الأجيال، لتستمر المقصورة في أبياتها اللاحقة لهذا البيت في تبئير الحكمةِ استخراجاً لها بدَلوِ المعرفيِّ والاستنهاضيِّ الذي خبرناهُ أسلوبيةً ضمَّخت بعطرها المُستفز للذائقةِ الكسلى في قصيدته النونيّة، كما في قصائده الوطنية الأخرى، مُقرناً ومُجاوراً في خطابه بني وطنه الصغير والكبير.

(٢) القراح: العذب الصافي || مَضض: ألم || شجا: ما ينشب في الحلق.

(٣) الكَرى: النوم.

(٤) الجنب: أراد به مُطلق الجسم || الصَديّ: من اشتد عطشه || الصاغر: الذليل || حرّان: العطش|| حشى السيف: حدّاه أو شفرتاه || الصَّدى: أصلها الصَّدأ؛ وطبقة هشة تعلو الحديد ونحوه من المعادن. المعنى: ومن العار علينا أن تكون أجسامنا متذللة صاغرة للأعداء كالعطشان الذي أوقعه عطشه في الذل والمهانة، وأسيافنا ضامية بسبب الصَّدأ الذي علاها لكثرة هجراننا لها.

(٥) المعنى: إلى متى نظلم السيوف حقها الواجب لها علينا؟.. ألا يُعاقب الظالم بعمله وكسبه وجنايته؟

إنَّ السُّيوفَ طُبِعَتْ لِحَقِّها ... وحَقُّها تَحْكِيمُها عَلَى الطُّلَى[1]
والسَّيفُ شَهْمٌ لا يُفِيتُ حَقَّهُ ... أَصْدَقُ مَنْ جَدَّ وَأَكْفَى مَنْ كَفَا[2]
والسَّيفُ حُرٌّ لا يَقِرُّ خَازِياً ... يَصُولُ إنْ ضِيمَ وإنْ صَالَ اشْتَفَى[3]
والسَّيفُ لا يَرْضَى الذَّلِيلَ صَاحِباً ... إنَّ الذَّلِيلَ بالشَّنارِ مُكْتَوَى[4]
والسَّيفُ جَلَّاءُ المَخازِي آخِذٌ ... بِضَبْعِ مَنْ يُكْرِمُهُ إلى العُلا[5]
والسَّيفُ مِفتاحٌ إذا تَضَايَقَتْ ... على الهُمَامِ الحُرِّ آرَاءُ النُّهَى[6]
والسَّيفُ كالصِّدقِ مِنَ الرِّجَالِ مَا ... هَزَزْتَهُ لِخُطَّةٍ إلَّا مَضَى
والسَّيفُ فِي عُزومِهِ مُؤَيَّدٌ ... إنْ شَدَّ سَدَّ وَتَقَاضَى وَقَضَى
والسَّيفُ ذُو نَقِيبَةٍ فِي أَمْرِهِ ... ثَبْتٌ عَلى العِلَّاتِ مَيْمُونُ الخُطَى
والسَّيفُ أَقْضَى بالحُقوقِ حَاكِماً ... أَوْفَرُ حَقٍّ مَا بِهِ السَّيفُ أَتَى
والسَّيفُ أَوْفَى صَاحِبٍ رَافَقْتَهُ ... إنْ خَانَكَ الدَّهْرُ وَأَهْلوهُ، وَفَى
والسَّيفُ فِيهِ فَرَجٌ مُعَجَّلٌ ... إنَّ الغُمُومَ بالسُّيوفِ تُجْتَلَى
والسَّيفُ يُعْطِيكَ الذي اشْتَهَيتَهُ ... إنْ تُولِهِ مِنْ حَقِّهِ كَمَا اشْتَهَى
إنَّ السُّيوفَ عَاهَدَتْ أَرْبَابَهَا ... بالمَصْدَرِ الأقصَى وَتَقرِيبِ القَصَا[7]

---

(١) طُبعت: صُنعت || الطُّلى ـ بضم الطاء ـ الأعناق، وبفتحها نَفَس المرء. **المعنى**: كيف نظلم السيوف حقها الواجب لها والذي صنعت لأجله: أي تمكينها من رقاب الأعداء.

(٢) **المعنى**: السيف شجاع بطل في ذاته غير مضيع لحقه، فهو أشد صدقاً ممن اجتهد في طلب حقه وأشد كفاية ممن كافأ.

(٣) **المعنى**: السيف بطبيعه حُرٌّ لا يهدأ ولا يستقر على خزي، يصولُ إن ظُلم، وإن صال اشتفى لغيظه من عدوه.

(٤) الشنار: العار والخزي || مُكتوى: موسومٌ بالكَيّ، وجعله رمزاً للذليل الذي لا يرتضيه السيفُ صاحباً له.

(٥) جلّاء: كشّاف || الضَّبْع: المنكبُ واليدُ والإبط || العُلا: الرِّفعة. **المعنى**: السيف كشاف للمخازي ولا يخذل يد من يكرمه بل يسمو به نحو الرفعة.

(٦) تضايقت: عَسُرت || آراءُ النُّهى: آراءُ ذوي العقول، والمعنى واضح من سياق البيت.

(٧) أربابها: أصحابها || القصَا: مصدر قصِيَ يقصُو قصًى؛ أي البعيد.

هُنَّ فُحولُ الحَرْبِ مِنهَا لَقِحَتْ وهُنَّ يَقْتَدْنَ الفُحولَ بالبُرَى[1]

والمَجْدُ حَيثُ أبرَقتْ وأرْعَدَتْ يَنبُتُ مِنْ سَاعَتِهِ وَيُرْتعَى[2]

مَا بَالنُا نُحْصِنُها عَقائِلًا مِنَ المَقاصِيرِ عَليهِنَّ الحِلَى[3]

أيْنَ بَنُو الإسْلامِ مَا يُعْجِزُنا والعِزَّةُ: الكَرُّ بحَوْمَاتِ الوَغَى

أيْنَ بَنُو القُرآنِ هَلْ ثَبَّطَكُم كِتابُكُم عَنِ الجِهَادِ للعِدَا

أيْنَ غَطَارِيفُ الجِلادِ بالظُّبَا أيْنَ مَشائِيمُ الطِّعَانِ بالقَنَا[4]

أيْنَ بَنُو التَّوحِيدِ لو صَدَقْتُمُ تَوْحِيدَكُم مَا رَقَصَ الشِّرْكُ عَلى[5]

---

(١) فحول الحرب: أراد بفحول الحرب شجعانها وصناديدها || لقحت: قبلت اللقاح وحبلت، قصد بها الحرب، فقد شبه السيوف بالذكران المتأهلة للجماع، والحرب بالإناث القابلة للنسل|| البُرى: جمع بُراة، وهي حلقة تُجعل في أنف البعير أو في لحمة أنفه، ويحتمل أنه أراد بها: مطلق الأزِمَّة. المعنى: السيوف ذكران الحرب ومنها تلقح الحرب لتلد مولوداتها، وهن من يجذب الفحول والشجعان إلى وطيسها.

(٢) المعنى: والمجدُ، في حقيقته، يكون حيث أبرقت وأرعدت السيوف، ونتيجة البرق والرعد في الصورة المجازية هو المطر، لكن مطر السيوف دماء الأعداء، لتستمر الصورة في الشطر الثاني، حيث يَنبتُ المجد في ساعته ويُرتعى في آنه.

(٣) نُحصنها: نمنعها ونضعها في مكان حصين || عقائلًا: جمعُ عقيلة؛ أي كريمة. وهي ممنوعة من الصرف: عَقائلَ، صُرفت للضرورة الشعرية || المقاصير: جمعُ مقصورة، ويجوز قراءتها: أقاصير (كما يرى الشيخ الفارسي)؛ أي أجفان المرأة الكريمة || الحِلى: بكسر الحاء جمع حِلية، وهي الصوغ الذي تزين به السيوف ـ وبفتح الحاء بمعنى الصّدأ. المعنى: ما بالنا نضع سيوفنا محصنة كنساناتنا مخبوءة مُحلاة بالزينة والصوغ فيما يعلوها الصَّدأ، عوضاً عن القيام بمهمتها في الحرب.

(٤) غطاريف الجِلاد: أسياد الحرب || الظُّبا: السيوف || مشائيم: جمعُ مشيم؛ وهو ذو الشيمة والحميّة والشدة سليقةً في طبعه، وربما المعنى مشتق من التشاؤم للعدو، ولعله شبههم بشجرة الشوما، فقد كانت العرب إذا أرادت قتالًا تعرَّكت بها. ومنها المثل العربي «عطر منشم»، الذي يطلق على من كان بينه وبين أحدهم صفاء وود ثم أفسد عليهما آخر ذلك الود. واستعمال المثل واضح، وورد في معلقة زهير بن أبي سلمى: «تداركتما عبساً وذبيان بعدما | تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم» || الطِّعان: الطَّعن|| القنا: جمع قناة وهي الرماح. المعنى: وأين السادة أرباب الشرف والسخاء، أصحاب الصبر والضرب بالسيوف والاسنة والرماح؟.. لا أرى أحداً منهم اليوم.

(٥) بنو التوحيد: أراد بهم المتلبسين به من جميع الفرق الإسلامية، أو أراد الآخذين بكمالاته من أهل الاستقامة || ما رقص الشِّركُ على: قصد: ما رقص الشركُ على الإسلام، والحذفُ، هنا، هو حذف اكتفاء.

أيْـنَ بَـنُـو الأحْـرَارِ مَـا سُـكُـونُـكُـم والـمُـلْكُ والـدِّيـنُ حَـرِيـبٌ وَالـحَـرَا[١]

كَـمْ ذا يُـنـاغِـيـكُـم مُـبـيـرٌ خَـادِعٌ : أطْـرِقْ كَـرَى إنَّ الـنَّـعَـامَ فِـي الـقُـرَى[٢]

فَـجَـشِّـمُـوهُ جَـشْـمـاً وَبِـيـلَـةً أو تَـهْـصِرُوا الـعَـظْمَ وتَـنزَعُـوا الشَّوَى[٣]

هَـلُـمَّ شُـدُّوا شَـدَّةً قـاصِـمَـةً مَـرِيـضَـةَ الـشَّـمْـسِ حَـمِـيَّـةَ الـوَحَـى[٤]

ثِـبُـوا إلـى الـمَـوْتِ كِـرَامـاً وانـدُبُـوا عَـزائِـمـاً تَـسْـعَـرُ تِـسْـعَـارَ الـصَّـلا[٥]

إنَّ ضِـرَابـاً بـالـصِّـفـاحِ خُـطَّـةٌ تَـرُدُّ مَـا فـاتَ وتُـرْسِـي مَـا هَـفـا[٦]

قَـدْ آنَ لـلإحْـرَامِ أنْ نُـحِـلَّـهُ ونَـنْـحَـرَ الـهَـدْيَ عَـلى رَأسِ الـصَّـفـا[٧]

قَـدْ آنَ لـلـصَّـائِمِ وَقْـتُ فِـطْـرِهِ لـطَـالـمَـا أرْمَـضَ بـالـصَّـومِ الـحَـشَـى

---

(١) الحريب: المسلوب || الحرا: هي الناحية، وأراد بها مُطلق المكان. **المعنى**: أين الأحرار؟ ولم سكونكم في المراقد؟ وملككم ودينكم سُلبا من بين أيديكم، ولم يبق لكم مستقر ولا وطن حتى صرتم مملوكين بعد أن كنتم ملوكاً.

(٢) يناغيكم: يدانيكم ويباريكم، وأصل المناغاة: لفظ لا يُفهم منه شيء، ومنه مناغاة الطفل يريد أن ينطق بمثلها فلا يستطيع || مُبير: المهلك للأمّة || خادع: مخادع || أطرق كرى: مثل يُضرب لمن يخدع بكلام مُلطف يراد به الغائلة، وأصله اقتباس غير تام من بيت لم أقع على قائله: «أطرق كرى، أطرق كرى | إن النعام في القرى». **المعنى**: طالما تقرب إليكم عدوكم بِمَعْسُول الكلام، لكنه في الحقيقة مخادع ومهلك لآمالكم، ولا يريد سوى الفتك بكم.

(٣) جشّموه: حمّلوه || الجشم: الثقل || وبيلة: وخيمة || تهصروا العظم: تكسروه || تنزعوا: تقلعوا || الشّوى: قحف الرأس واليدين والرجلين. **المعنى**: احملوا على عدوكم المخادع حملة وخيمة تكسر عظامه وجماجم فرسانه.

(٤) مريضة الشمس: ضعيفة النور حميّة: يقال: حمي الوطيس؛ أي اشتدت الحرب واضطرم الأمر|| الوحى: تُقالُ في الاستعجال. احملوا على أعدائكم حملة قاصمة شديدة حتى تصير الشمس ضعيفة النور لكثرة عجاج وغبار الحرب في تسراعها.

(٥) الصّلا: النار. **المعنى**: أسرعوا إلى الموت كراماً وحثوا عزائمكم لتسعر كالنيران المُتأججة.

(٦) **المعنى**: إن قتال الأعداء ومقارعتهم بالسيوف خصلة حميدة ترد الفائت وتقيم المعوج وتثبت الهافي غير الثابت.

(٧) الإحرام: ضد الإحلال، وأراد به الإمساك عن قتال الأعداء || نُحِلّهُ: ترك المُحْرِم إحرامه بعد الحلق أو التقصير حتى يصير حلالاً مما كان عليه في إحرامه || النحر: الذبح مطلقاً || الهَدْي: ما يُهدى للكعبة فداءً أو تقرُّباً || الصَّفا: جمعُ صَفاة، وهي الحصاة الملساء. **المعنى**: آن الوقت الذي نحلُّ فيه إحرامنا عن مقاتلة الأعداء تقرُّباً إلى الله بإراقة دمائهم.

قــد آنَ لــلوُضُــوءِ أنْ نُــنْــقِــضَــهُ   بـالسَّـافِحِ الثَّـائِرِ فِرْصَادِ الكُـلى[1]

نَـقَـرُّ أَحْـلاسَ الـبُـيُـوتِ خُـشَّـعـاً   أَبْـصَـارُنـا مُـغْـمَـضَـةٌ عَـمَّـا دَهَـى[2]

نَـدْرُسُ تَـأْرِيـخَ الأُلَى تَـقَـدَّمُـوا   وحَـسْـبُـنـا اللهُ تَـعَـالـى وَكَـفَـى[3]

إنَّ الـعِـظَـامَ لا تُـوَاتِـي شَـرَفـاً   ولا أقاصِيصُ الوَغَى تَكْفِي الوَغَى[4]

والـسَّـلَفُ الـصَّـالِحُ سَـلَّ سَـيْـفَـهُ   وكَـانَ مَـا كَـانَ لَهُ ثُـمَّ انْـقَـضَـى[5]

تِـلكَ الـرُّفـاتُ طِـيـنَـةٌ صَـالِحَـةٌ   لِـغَـارِسٍ وحَـارِثٍ وَمَـنْ بَـنَـى

أتَـبْـحَـثُـونَ بَـيْـنَـهَـا عَـنْ عِـزَّةٍ   أو فِـي لَعَـلَّ فَـرَجـاً أو فِـي عَـسَـى[6]

تِـلْكُـم إذاً أُمْـنِـيَـةٌ مُـخْـلِفَـةٌ   وضَـيْـعَـةُ الـعَـقْـلِ وَجَـهْـلٌ وَعَـمَـى

لَـنـا صِـفَـاحٌ وَلَـهَـا سَـوَابِـقٌ   لَـكِـنَّـنـا نَـصْـفَـحُ عَـنْ سَـبْـقِ الـعُـلا

---

(١) المعنى: وحان الوقت الذي علينا أن ننقض فيه وضوءنا ونهدم فيه طُهرنا بإراقة دم الأعداء المسفوح ليس من أوردتهم فحسب، بل من كليتي كلِّ مُقاتل فيهم. والطريف في البيت مزجه التشبيهي بثمرة الفرصاد (التوت) الشبيهة شكلًا بالكُلية والمكتنزة بسائل أحمر قانٍ يشبه الدم.

(٢) نَقَرُّ: نلازم || أحلاس: جمع حِلس، وأصله ثوب يُفرش في البيت. يقال: فلان حلس بيته: إذا لم يُفارقه. المعنى: نلازم بيوتنا لا نبرحها متذللين مستكينين بأبصار مغمضة لا تبصر الداهية والمُصيبة.

(٣) المعنى: نلازم بيوتنا في الأحلاس لندرس تاريخ الأسلاف، مُكتفين بترديد: حسبنا الله تعالى وكفى. طبعاً في البيت نقد صارخ لأبناء الأمة وعلمائها المتقاعسين عن الجهاد. وهي خصيصة مفصلية نجدها في شعر أبي مُسلم، كما تبين الأبيات التالية لهذا البيت عن وعي جارح ونعي لأمة تنعى شرف أسلافها وقصصهم، مؤكداً أن حكايات الحرب ليست كافية عن خوضها. فالأولون سلوا سيوفهم وكان ما كان لهم من مآثر لن نكتسبها بالوراثة. فرفاتهم طينة صالحة لمن غرس وحرث وبنى، وليس لمن يبحث بين رفاتهم عن عزة متوهمة في عسى ولعلَّ فرجاً يأتي من تلقاء ذاته. تلك، إذن، أمنية مخلفة، ومتلفة للعقلِ وجهلٌ وعمى.

(٤) العظام: جمعُ عظم، وأراد بها عظام الأسلاف الراحلين. المعنى: إن عظام الأسلاف لن تسبغ عليكم المجد والشرف، كما أن القصص المرويَّة عن بطولاتهم لن تكون كافية لتنتصروا في معركتكم.

(٥) المعنى: سلفكم الصالح سَلَّ سيفه وبقيت لنا أمجاده، وكان ما كان لهم حتى انقطاعه وانقضائه.

(٦) معنى البيت والبيتين السابق واللاحق له: رفات أسلافكم، في حقيقة الأمر، تربة صالحة للحارث وغارس الشجرة وباني القلعة ممن خلفهم. ليأتي تساؤل الشاعر: أتبحثون عن عزة مجانية تأتيكم من تلك الرفات دون عمل؟.. أم أنكم كعادتكم ستبحثون عنها تمنياً وترجياً بترداد عسى ولعلَّ فرجاً يتنزل علينا من السماء. ثم يستكملُ تهكمه في البيت اللاحق: إن كان الأمر كذلك، فهي أمنية مُخلفة؛ أي أمنية غدر وعدم وفاء، فضلًا عن كونها جهل وعمى وضياع عقل.

والـمـجـدُ لا يُـمـلَكُ عَـنْ إرَاثَـةٍ — لكِنْ بتَخطِيمِ الشَّبَا عَلَى الشَّبَا[1]

عِـزٌّ عَـلى مَـا أَثَـلَتْ عُـهُـودَهَـا — كَسْبُ المَعَالِي وانْدِفاعُ مَا عَنَا[2]

ولـو تَـقـلَّدْنـا فِـعَـالَ أَهْـلِهَـا — لـم يَعبَثِ الفأرُ بهَيْصَارِ الشَّرَى[3]

نَـعِـيشُ فِـي هَـيْـنَـمَـةٍ بِـذِكْـرِهِـمْ — يَـعْـقُـبُـهَـا وَاهـاً وأَنَّـى ومَـتَـى[4]

نَـعَـمْ لـهُـم سَـوَابِـقٌ لـكِـنَّـهـا — لا تُـنْـعِـشُ الـجَـدَّ إذ الـجَـدُّ كَـبَـا[5]

مَـعْـصُـومَـةُ الـذِّرْوَةِ لا يَـبْـلُغُـهَـا — إلّا هُـمَـامٌ بـالـلهَـامِـيـمِ اقْـتَـدَى[6]

إذا اتَّـكَـلْنـا قَـعْـدَداً عَـلَيـهِـمُ — لـم يَـسْـلَمِ الـمَـجْـدُ إذاً مِـنَ الأذَى[7]

شَـدُّوا الـحَـزِيـمَ لـلهَـوَادِي فَـانْـثَـنَـتْ — ودَوَّخُـوا بـالـعَـزْمِ صَـعْـبَ المُـرْتَـقَـى[8]

---

(١) معنى البيتين: نعم. لنا سيوف لها سوابق مشهورة، لكننا اليوم نتسامح مع أنفسنا عن سبق المعالي، فالمجد لا يورَّث أباً عن جد، وإنما بقرع السيوف بالسيوف.

(٢) أثلت: تأصَّلت وتقدمت، وأثل الشيءِ: أصَّلَه. قال امرؤ القيس: «ولكنما أسعى لمجدٍ مُؤثَّلٍ | وقد يُدركُ المجدَ المُؤثَّلَ أمثالي» || عنا: نزل، من يعنو عنى وعناء. المعنى: فالسيوف عز لأربابها الحافظين للمواثيق القائمة بها، وهي طلب المعالي وإزالة النازل من المحذورات.

(٣) هيصار: الأسد. المعنى: لو اتبعنا سنة أهل تلك السيوف، لم يعبث الفأر بمكمن الآساد.

(٤) هينمة: الصوت الخفيّ، والمتكلم بكلام لا يُفهم كالغمغمة. المعنى: نغمغم فيما بيننا بذكر أجدادنا الصناديد، دون أن نفعل مثل فعلهم، بل نلوك التأوه والتمني برحيل الأعداء، مردِّدين: أنى ومتى يرحلون.

(٥) تنعش: من أنعشه؛ أي أثاره وأنهضه || الجَدّ: الحظ والعُلوّ || كبا: سقط. المعنى: صحيح أن لهم سوابق مشهودة، لكنّ سوابقهم تلك لا تستثير حظاً ومجداً ساقطاً.

(٦) الهمام: السيد الشجاع || اللهاميم: جمع لهام؛ وهو الجواد السابق والكريم الباسل من الناس والخيل. المعنى: إن تلك السوابق والمزايا الرفيعة لأرباب السيوف لا يبلغها إلا الباسل الشجاع المُقتدي بفعالهم.

(٧) القعدد: منصوب على الحال من فاعل «اتكلنا»؛ وتعني: الجبان الخامل اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم، وأيضاً من تقعد به أنسابه، والقريب من الجدِّ الأكبر، والقعْدَد: من كان لئيماً من الحسب، وقصدها جميعها في بيته. المعنى: إذا كان اعتمادنا واتكالنا على أسلافنا ونحن قاعدون عن طلب المجد والشرف، لن ينجو الشرف ولا المجد من شر الأعداء.

(٨) الحزيم: الحزم والضبط في الأمور || الهوادي: جمع هادية أو جمع هدية (في شرح الشيخ الفارسي)، لكنني وقعت في اللسان على أكثر من معنى؛ منها: الهَديُ والهَديُّ؛ هو الرجل ذو الحُرمة يأتي القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهداً، والهَديُّ والهديَّةُ: العروس، وهوادي الليل: أوائله=

وأحْـمَـشُـوا الـحَـرْبَ أُبَـاءَ ضَـيْـمِـهَـا   بَلْ هُمْ لهَا مَتى ذَكَتْ عَينُ الذَّكَا(١)

هُـمْ عَـلَّـمُـوا الـدَّهْـرَ مِـرَاسَ قَـرْنِـهِ   ثـمَّ انْـتَـهَـى بَـعدَ الـمِرَاسِ مُـهْـتَـدَى(٢)

هُمْ عَلَّمُوا السَّيـفَ مُضَاءَ عَـزْمِـهِـمْ   فـهـو قَـرِينُ عَزْمِهِم حَيثُ انْتَوَى(٣)

هُـمْ أَدْهَـشُـوا الـهَـوْلَ بِـمَـا يَـهُـولُهُ   فـانـكَـفـأَ الـهَـوْلُ شَـكِـيّـاً بـالـضَّـوَى(٤)

هُـمْ شَـيَّـدُوا الـمَـجْـدَ بِـمَـا ابْـيَـضَّ بِـهِ   فَـوْدُ عَـوَادِي دَهْـرِهِـمْ حَـتـى غَـطَـا(٥)

هُـمْ عَـقَـدُوا بـالـعِـزِّ عَـيـنَ هَـمِّـهِـم   فَـلا تُـدَانِـي ذِلَّـةٌ لَـهُـم حِـمَـى(٦)

لا يَـطْـرُقُ الـضَّـيْـمُ عَـزيـزَ رُكْـنِـهِـم   ولا يُـضَـامُ عَـائِـذٌ بِـهِ احْـتَـمَـى(٧)

=لتقدمها كتقدم الأعناق، وأيضاً إذا قلت أقبلت هوادي الخيل: تعني إذا بدت أعناقها. **المعنى**: إن الأسلاف شدوا حزمهم واستوثقوا العهود من أعدائهم، (في تفسير الشيخ الفارسي)، ولها وجه آخر: أنهم شدوا الحزم على الخيل المتقدمة، ودوخوا المرتقى الصعب بعزائمهم.

(١) أحمشوا: أوقدوا || أُباء: جمعُ أبيّ || ضيمها: الانتقاص والظلم، والهاء عائدة إلى الحرب || ذكتْ: استعرت واشتد لهيبها || عين الذكا: الذكا نفسه. **المعنى**: وهم من أوقد نار الحرب في أعدائهم، وحين استعرت كانوا هم ذاتهم شدة استعارها ولهيبها ووقودها. فالشاعر في هذا البيت كأنه حصر نار الحرب فيهم دون سواهم.

(٢) قرن الدهر: شدائده || مُهتدى: دليل. **المعنى**: هم علموا الدهرَ ممارسة شدائده حتى بلغ الدهر من تعليمهم إياه بأن صار دليلًا للشدائد؛ بحيث أن كلَّ شِدَّةٍ تقعُ في الدهر إنما مصدرها تعليم أولئك الشجعان للدهر كي يكونَ دهراً شديداً وذا شدائد.

(٣) **المعنى**: وأيضاً، هم دون سواهم من علم السيف إضافةً إلى مُضائه، مُضاءَ عزمهم فصار مُصاحباً لإرادتهم وقريناً لها حيث شاءت نواياهم وشاؤوا.

(٤) الضَّوى: [لم يُشر إليها الشيخ في شرحه لهذا البيت]، لكنها، كما وجدناها في اللسان: ضويَ يضوى ضوىً: تعني من يُولد ضعيفاً هزيلًا، والمعنى: أنهم أدهشوا الهولَ بما يهوله، لينكفئ الهولُ شاكياً هزاله وضعفه أمام ما هاله منهم. والمُفارقة البلاغية في البيت؛ هي أنّ الهول الذي يُخيف الناس عاد إلى هؤلاء الصناديد شاكياً ضعفه خِلقةً منذ ولادته. وقد جاء في الحديث: اغتربوا ولا تُضْوُوا: أي تزوجوا في البِعاد الأنساب لا في القرائب، لئلّا تَضْوى أولادكم: أي تضعف وتهزل!

(٥) ابيضَّ: عكس اسوَدَّ، وأراد به بياض الشيب || الفَوْد: معظم شعر الرأس مما يلي الأذُن || عَوادي الدهر: عواقبه || غَطَا: عَلا. **المعنى**: وهم شيدوا المجد وأقاموه لبِنَةً لبِنَة حتى ابيضَّ شعر عواقب الدهر لإصرارهم حتى علا بُنيان مجدهم.

(٦) **المعنى**: وهم من جمعوا الهمم العالية والعز الباذخ، فشدوا العز بالهمم والهمم بالعز؛ لذلك لم تدانِ الذلّةُ حِماهم ومرابعهم.

(٧) **المعنى**: ولذلك، لا يطرق الضيم والانتقاصُ والجور جانبهم، ولا يُظلم من التجأ بحماهم.

هُمْ أَشْغَبُوا لِلمَكْرُمَاتِ دَهْرَهَم فَدَهْرُهُم لِلمَكْرُمَاتِ فِي طَوَى[1]

هُمْ أَجْدَبُوا سُوحَهَمْ مِنْ وَفْرِهِم وَهُمْ لأرضِ اللهِ غَيْثٌ وَحَيَا[2]

هُمْ أَنْضَبُوا غُدْرَانَهَم بِجُودِهِم وفَجَّرُوا في الناسِ يُنْبُوعَ الغِنَى[3]

هُمْ وَسِعُوا الكَوْنَ حُلُوماً وهُدَى وصَائِلًا ونَائِلًا ومُجْتَدَى[4]

هُمْ أَمْجَدُوا وأَنْجَدُوا وأَوجَدُوا وأَفْقَدُوا وطَوَّلُوا البَاعَ الوَزَى[5]

هُمْ جَرَّدُوا وشَرَّدُوا وطَرَّدُوا وأَوْفَدُوا وأَوْرَدُوا بَحْرَ الجَدَى[6]

---

(١) أسغبوا: أجاعوا وأعطشوا؛ والسَّغب: الجوع || في طَوى: في جوع. المعنى: وهم من أجاعَ همَّهُ للمكرمات حتى أضحى الدهرُ برمَّته جائعاً متعطشاً لمكرماتهم.

(٢) أجدبوا: أمحلوا || سُوحهم: جمعُ ساح؛ وهو الفضاء المفتوح بين النجوع والدُّور || وفرهم: كرمهم|| حَيا: الرزق والنبات. المعنى: ولشدَّةِ كرمهم الزائد أمحلوا سُوحَهم التي قطنوها؛ لكنَّهم ـ في حقيقة الأمر ـ ورغم ما بدا ظاهرياً بأنهُ مَحلٌ لشدة كرمهم، هم المطر والنبات والمرعى لأرض الله قاطبة. والمُفارقة التي يتوسَّلها البيت في صورته الكُليَّة؛ هي أنهم قدر ما أمحلوا وأجدبوا مراعيهم، فإنهم ـ مع ذلك ـ هم الحياة والمطر والمرعى.

(٣) المعنى: وعلى ذات الوتيرة؛ هم ـ دون سواهم ـ من أنضبوا غدرانهم لشدة كرمهم، لكنهم فجروا ينابيع الغنى في الناس قاطبة.

(٤) [ورد الشطر الثاني في الدُّرر المنثورة: «وطائلًا ونائلًا ومَحتدى»، ولم نعتقد بصوابه قياساً إلى المُثبت في الأصل المُعتمد، وأيضاً لعدم تناسُب «طائلًا» لنسق المعنى الكُلِّي]. حُلوماً: جمعُ حِلم؛ أي الأناة والعفو وعدم الاستعجال، وتعني أيضاً رزانة العقل || الهُدى: الرشاد || صَائلًا: مقداماً؛ بمعنى: أن من يصول في الحرب يكون ذا صَولة: أي مِقدام|| نائلًا: نالَ على فلان: جادَ عليه بالعطية|| مُجتدَى: أجدى: أعطى، وأجداهُ: أعطاه، والمُجتدَى: من قَصَر في طلب المالِ منهم دون سواهم. المعنى: وهم من وسع الكون بأناتهم وصبرهم وتعقلهم ورشادهم، تماماً كما وسعوه إقداماً في الحروب وجوداً وكرماً حتى صار طالب العطيَّة لا يقصد سواهم.

(٥) أمجدوا: أشبعوا عدوهم قتالًا || أنجدوا: أعانوا || أفقدوا: أعدموا وأماتوا || الباع: قدر مَدّ اليدين || الوَزَى: قصير الباع، وأراد به بذلهم للمال في الجهاد وإنفاقه يمنة ويسره. المعنى: وهم الذين أشبعوا عدوهم في القتال وأثخنوهم وخرجوا لقتالهم في كل بلاد حتى ظفروا بهم ونالوا مرادهم غير مُقصرين في بذل المال لصالح حربهم.

(٦) جردوا: سلوا سيوفهم || أوفَدُوا: أسرعوا ودعوا|| بحر الجَدَى: بحر الكرم والعطاء. المعنى: وهم الذين سلُّوا سيوفهم وأخرجوا نفوسهم من أوطانهم للجهاد وفرقوا جموع أعدائهم ونفوهم من مراتعهم، ولم يكتفوا بذلك؛ بل دعوا الناس في قتالهم باذلين في ذلك العطايا والذخائر.

هُـمُ لِكَـبَّـاتِ الـخَـمِـيـسِ حَـدُّهَـا	وجَـدُّهَـا وشَـدُّهَـا والـمُـحْـتَـمَـى(١)
هُـمُ إذا الـخَـيْـلُ ارْجَـحَـنَّ بَـحْـرُهـا	فـي مَـأزِقِ الـرَّوْعِ تَـرَامَـوا لـلرَّدَى(٢)
أولـئـكَ الـقـومُ وصِـيـتُ فَـخْـرِهِـم	إنْ كـانَ فِـي أَسْمَاعِكُـم ذاكَ الوَحَى(٣)
أسْـلافُـنـا وَمَـالَـنَـا مِـنْ مَـجْـدِهِـم	إلا حَـدِيـثٌ، بَـعـدَهُـم، لا يُـفْـتَـرَى(٤)
لـم الـتَّـحَـجِّـي بَـعـدَهُـم فـي شَـرَفٍ	عِـنـدَ رُفـاتِ الـقَـوْمِ فِـي الأرضِ حَـجَـا(٥)

(١) كَبَّات الخميس: جمعُ كبّة؛ وهي الدفعة الكبيرة في القتال، وأيضاً تعني: الحملة في الحرب || حَدُّها: غايتها || جدُّها: آباؤها الذين انتسبت إليهم تلك الحملات، ولم يقل «جُدودها»، لأنهم في جملتهم رجلٌ واحد، ويُحتمل أنه أراد بها الجِدّ (ضد الهزل)؛ أي حقيقتها || شدُّها: قوتها || والمُحتمى: أي مُوقدوها ومسعّروا أوارها ـ ويحتمل المعنى أنه قصد: من يحمونها ويصونونها، كما يشير الشيخ الفارسي في شرحه.

(٢) ارجَحَنَّ: اهتزَّ أو مال أو وقع بمرّة، والترجُّح هو التذبذب بين شيئين، وامرأة راجح ورجاح: ثقيلة العجيزة، وكتائب رُجح: جرّارة. [وردت في الأصل المُعتمد: «ارتجَحَن»، لكنّنا استصوبنا ما أورده الشيخ الفارسي فاعتمدناه]. || مأزق الرّوع: موضع الفزع || تراموا للرّدى: اندفعوا للموت. المعنى: هم الذين إذا اهتزت الأرض وارتجفت لكثرة الخيل وتزاحمها الخيل بحرُها الطامي ثابتين في مواضع الفزع والهول يندفِقون سراعاً للموت غير مُبالين به.

(٣) الوَحَى: أشار وأومأ وكلم المُخاطب بكلام يخفى على الآخرين. المعنى: أولئك القوم الذين أمتدحهم دون مُبالغة الشاعر، بل بسبب صيت فخرهم الذي اكتسبوه، إن كان يصلُ أسماعكم ما أشير وأومِئ إليه وأسرُّهُ في آذان البعض منكم.

(٤) المعنى: بلى، هم أسلافنا. ولكن لا حق لنا في مجدهم، فهو حق لهم وحدهم. وعلينا الاكتفاء في أحاديثنا بذكرهم دون افتراء.

(٥) التحجِّي: كلمة معناها مخالف للفظها؛ فالمُراد بها الانتحاء بالآباء والأسلاف انتساباً إليهم في شرف [كما أورد الشيخ الفارسي]، لكنني بحثت في اللسان عن أصلها فوجدت أن التحَجِّي تعني: تعمدته وقصدته، وحجا بالمكان حجواً: أقام وثبت. قال ذو الرّمة: «فجاءت بأغباشٍ تحَجَّى شريعةً | تِلاداً عليها رَميُها واحتبالُها» || حَجَا: الحَجا؛ ما أشرف من الأرض، وحَجَا الوادي: مُنعطفه، والحَجَا: الملجأ [الشيخ الفارسي ذكر أنه قصد حِجا: أي العقل]، لكنني من استقراء سياق البيت أرى أنها حَجَا؛ بمعنى الملجأ. وعليه يكون المعنى: لم تعمدون وتتقصدون شرفاً لأسلافكم وتنسبونه إليكم؟ فعند رفات القوم ثمة في الأرض ملجأ أكيد لشرفهم، لا شرفكم. [وإن أخذنا بما ورد في الدُّرر المنثورة، لكان المعنى: «أيها القوم لأي شيء تفتخرون وتنتخون بعد أسلافكم بشرفهم عند كون فنائهم وبلاء أجسامهم وأنتم لا تفعلون كفعلهم فذلك ادعاء منكم للشرف. والله أعلم».

نَـرْفَـعُ مِـنْ أَنـفُـسِـنـا ونَـنْـتَـخِـي كـأنـهَـا مِـنْ كَـسْـبِـنـا تِـلْكَ الـنُّـخَـا[1]

نُـضْـحِـبُـهُـنَّ أَنْـفُـسـاً مُـثْـقَـلَـةً بَـطِـيـئَـةً تَـحْـمِـلُ أَوْقَـارَ الـوَنَـى[2]

تَـعْـزِفُ عَـنْ مَـضُـوفَـةٍ إذا عَـنَـتْ مُـجْـفَـلَـةً عَـنِ الـمُـضَـافِ إنْ دَعَـا[3]

ألا نُـفُـوسٌ عُـزْمٌ عَـارِفَـةٌ لَـهُـنَّ جَـأْشٌ إنْ طَـمَـا الـهَـوْلُ رَسَـا[4]

ألا شَـدَا فِـي أَنْـفُـسٍ أَبِـيَّـةٍ يُـصْـبِـرُهَـا عَـلى مُـقـاسَـاةِ الـشَّـدَا[5]

تَـشـفـعُ أَحْـسَـابـاً زَكَـتْ بِـمِـثْـلِهَـا لَـهَـا بِـمَـا أَصَّـلَـهُ الأَصْـلُ أَسَـى[6]

هَـلُمَّ فَـلْنَـحْـذُوَ حَـذْوَ سَـعْـيِـهِـم فـلـيـسَ لـلإنـسَـانِ إلّا مَـا سَـعَـى

لـيـسُـوا رِجَـالًا لا نُـطِـيـقُ فِـعْـلَهُـم لـكِـنَّـهُـم جَـدُّوا وقَـصَّـرْنـا الـخُـطَـى

تَـنَـاوَلَتْ أَكُـفُّـنـا سُـيُـوفَـهُـم يـا أسـفـاً وعَـجِـزَتْ عَـنِ الـسَّـطَـا[7]

---

(١) النُّخا: جمعُ نخوة، وهي الافتخار. المعنى: نرفع من أنفسنا مفتخرين، كما لو كان ذلك الفخرُ من كسبنا.

(٢) نُضحِبُهُنَّ أنفساً: بضم النون المضارعة، والفاعل ضمير عائد إلى المتكلم؛ أي: نحن، والضمير عائد إلى النُّخا في البيت السابق. أي نُصحِبُ تلك النُّخا أنفساً مثقلة بطيئة || أوقار الوَنَى: أثقال البطء. المعنى: ولا نكتفي بذلك، بل نُصحِب تلك النخوة أنفسنا المثقلة البطيئة التي لا تتسق ولا تتفق مع ما ندعيه من فخر أسلافنا الذي أسبغناهُ عنوةً على أنفسنا.

(٣) تعزفُ: تنصرف || المَضُوفة: الحاجة، ورجلٌ مَضوف؛ أي: مُحتاج، ولذلك النزيلُ يُدعى ضيفاً لحاجته || مُجفلة: نافرة || المُضاف: من وقع بين الخيل والأبطال وليست له قوّة للنهوض، والمُضاف في الحرب: هو من أحيط به. المعنى: وتلك الأنفس التي نرفعها ونعظمها نخوة فارغة؛ نراها تنصرف عند مسيس الحاجة تنفر مجفلة عن نصرة من أحيط به في الحرب لا حول له ولا قوة بين الخيل والفرسان.

(٤) المعنى: ألا أرى أنفساً ذات عزم وإرادة تعرف تدابير الحرب؟.. نفوسٌ ذات جأش ثابتة راسية مهما هاج وماج الهول في المعركة.

(٥) الشدا: الدُّعاء. وشدا للأمر: دَعا إليه || الشَّدا (الثانية): تعني الحرب. المعنى: ألا دُعاء في الأنفُس الأبية يُصبِّرها على معاناة شدائد الحرب؟..

(٦) تشفعُ: تتبع || أحساباً: جمع حَسَب، وهو المجد والحَسَب الرفيع || زكَت: طَهُرت || أصَّلَهُ: من التأصيل [وردت في الدُّرر المنثورة: «أثَّلَهُ»، ولا فرق بين المعنيين] || أسَى: بمعنى اقتداء. المعنى: وتلك النفوس الأبية تتبعُ حسباً رفيعاً مثل أحساب لها؛ اقتداءً بما أقامَهُ وأصَّلهُ الأصل.

(٧) السَّطا: الصَّولُ في الحرب والبطش.

مَـا انْـطَـمَـسَـتْ مِـنْ دُونِـنـا سَـبـيـلُـهُـم	قـد نَـصَـبُـوا الأَعْـلامَ فـيـهـا والـصُّـوَى[١]
مَـا كَـابَـدَتْـنـا خُـطَّـةٌ عَـنْ شَـأنِـهِـم	أفْـظَـعُ مِـمَّـا كَـابَـدُوهُ فَـانْـفَـأَى[٢]
هُـمْ غَـرَّبُـوا وشَـرَّقُـوا وأَيْـمَـنُـوا	وأَشْـأَمُـوا ومَـهَّـدُوا لَـنَـا الـذُّرَى
وهُـمْ سَـرَوا بِـجِـدِّهِـم وجَـهْـدِهِـم	فـحَـمِـدُوا صَـبَـاحَـهُـم غِـبَّ الـسُّـرَى[٣]
هُـمْ أَقـامُـوا سُـنَـنـاً شَـامِـخَـةً	تُـمَـثِّـلُ الـشُّـهْـبَ ارْتِـفـاعـاً وَسَـنـا
هُـمْ أَقْـدَمُـوا الـجُـرْدَ الـسَّـرَاحِـيـبَ لـهَـا	تُـعَـطِّـشُ الـصَّـادِيَ إلـى نـارِ الـوَغَـى[٤]
تُـزْفِـي الـخَـمِـيسَ جَـحْـفـلًا فَـجَـحْـفـلًا	مِـثْـلَ الـدَّبُـورِ انْـجَـفَـلَـتْ عَـنـهَـا الـطَّـخَـا[٥]
يـاهَـيَّ مَـالـي وَعَـشِـيـرِي أرْمَـلُـوا	مَـعَـاقِـلَ الـعِـزِّ وأَيْـتَـمُـوا الـعُـلا[٦]
أيْـنَ رِجَـالُ اللهِ أيْـنَ غَـارُهُـم	قَـدْ هُـدِمَ الـحَـوْضُ ودُمَّـتِ الـرَّكَـا[٧]

---

(١) الصُّوى: جمع صُوَة ـ ككُوَة ـ وهي حجر توضع في الطريق علامة اهتداء. المعنى: طريقُ أسلافنا لم تمَّحِ ولم تندرس آثارها، لأنهم أشرعوا لنا البيارق ووضعوا الأحجار علامات لنهتدي بها نحو طريقهم؛ فلا عُذر لنا بالتقاعس.

(٢) الخُطَّة: الطريقة || انْفَأى: انفرج. المعنى: لم نكابد في طريقنا أفظع مما كابدوه للوصول إلى الأمر العظيم حتى انفرج لهم الضيق وانفتح الباب.

(٣) الغِبّ: عاقبة الشيء، نقولُ: حَمَدتُ غِبّه؛ أي عاقبته، والبيتُ تنويعٌ على المَثل: «عند الصباح يحمد القومُ السُّرى».

(٤) أقدموا: أرسلوا وأطلقوا || الجُرد: جمع أجرد؛ وهو الخيل السبوق || السَّراحيب: جمعُ سرحوب؛ وهو الطويل من الخيل || تُعَطِّش: بمعنى تُشوِّق || الصَّادي: الظمآن || نار الوغى: لهيب الحرب. والمعنى واضح.

(٥) تُزفي الخميس: تسوق وتفرِّق الجيش || الدَّبور: ريحٌ تُقابل ريح الصَّبا || انجفلت: انقلعت وتقطّعت || الطَّخا: السُّحب. المعنى: إن تلك الخيول الباسلة تسوق وتفرق جيش الأعداء جحفلًا فجحفلًا كرياح الدَّبور إذا هبت في كثير السحاب تفرق عنها.

(٦) يا هيَّ مالي: كلمة مُركبة تُقال للتعجب من أمرٍ حادث || العشير: القريب والصديق || أرملوا: فعل ماض فاعله ضمير الأسلاف؛ أي تركوها كالمترمِّلات من النساء || المَعاقد: معاهد العز والشرف || أيتموا: يتمُّوا. المعنى: إن الأسلاف رحلوا وتركوا معاهد العز والشرف أرملة ضعيفة لا يدافع عنها أحد من الأحفاد، كما تركوا الرفعة يتيمة بعد رحيلهم.

(٧) غارهم: غيرتهم || دُمَّت: كُبست || الرَّكا: الآبار والمنازف المعدودة للاستقاء.

أيْنَ الذين اسْتَخْلصَتْ شِيمَتُهُم	كأنها الدُّرُّ اليَتِيمُ المُنْتَقَى[1]
أيْنَ الذين مَحَّصَتْ سِيرَتُهُم	مُكَدِّرَاتِ دَهْرِهِم حتى صَفَا
أيْنَ الذين عَرَّجُوا إلى السَّمَا	أعْنِي سَمَاءَ العِلمِ والدِّينِ الهُدَى[2]
أيْنَ شُمُوسُ الأرضِ أنَّى أفلَتْ	وأبْقَتِ النَّاسَ عَلى مِثْلِ الدُّجَى[3]
أيْنَ الخِيَارُ العَائِذُ الكَوْنُ بِهِم	وَصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ هَذا الوَرَى[4]
أيْنَ رَبِيعُ الأرْضِ أيْنَ غَيْثُهَا	يا حَرَبَا لا غَيْثَهَا ولا السُّدَا[5]
أيْنَ بَقَايَا اللهِ فِي عِبَادِهِ	ضَنَائِنُ اللهِ وَقَائِذُ التُّقَى[6]
أيْنَ أُسُودُ الغَيْلِ مَاذا اغْتَالَهَا	قَدْ أُسِّدَ الثعْلَبُ فِينَا وَضَرَى[7]

---

(١) استخلصت: صَفَت. المعنى: وأين من صَفت شيمتهم وطبائعهم لله خالصة لوجهه كالدُّرة اليتيمة المُنتقاة.

(٢) بالإمكان قراءة البيت هكذا: [أين الذين عرَّجوا إلى السَّما | أعني سَماءَ العِلم، والدِّينُ الهُدى]

(٣) المعنى: أين عُلماءُ الأرضِ/ شُمُوسها التي متى أفلت وغربت تركت الناس في حُلكة ليل دامس.

(٤) المعنى: وأين الأخيار الفضلاء الذين يستعيذ بهم الكون؟.. أين صفوة الصَّفوةِ من جميع الخلق؟

(٥) يا حَرَبَا: كلمة ندب وتوجُّع؛ أصلها: واحَرَباه ـ فَفُتِحت الرّاءُ للاستثقال || السُّدا: المعروف. المعنى: وأين من كانوا ربيع الأرض ومطرها؟.. يا ويحي، لا غيث يرويها ولا معروف.

(٦) بقايا الله: أهلُ طاعته القليلون من عباده || ضَنائنُ الله: خواصُّ خلقه || وقَائِذُ: الوَقِيذ: الشديد المرض الذي أشرف على الموت. وفي حديث عُمر أنه قال: «إني أعلم متى تهلك العربُ، إذا سَاسَها من لم يُدرك الجاهلية فيأخذ بأخلاقها، ولم يُدركهُ الإسلامُ فيَقِذْهُ الوَرَعُ؛ قوله: فيَقِذْهُ أي يُسكِّنُهُ ويُثخِنُهُ ويبلغ منه مبلغاً يمنعه من انتهاك ما لا يحلُّ ولا يَجْمُل». || التُّقى: الورع. [وردت في الأصل المُعتمد: «وقائذ»، لكنّها وردت في الدُّرر المنثورة «وقائدُ التُّقى»؛ وفسَّرها الشيخ الفارسي: «والقائد: الذي يقود الدابة نقيض السائق، فالقائد من أمام والسائق من خلف وأراد بالقائد: الذي يحمي الدين ويأخذ بزمامه»، فأحسستُ بخطأٍ في تفسير البيت، بل إنني مِلتُ إلى «وقائد التقى» في البداية؛ بمعنى شُعل التقى، لكنني حين عدت إلى اللسان وجدتها في حديث عُمر، لأنني تعلمت من اشتغالي على أبي مُسلم أنه لا يأتي بمفردة، مهما بدت غريبة وغير مُستساغة أول الأمر، إلّا أنه كان قد سبق إلى وضعها في موضعها الصحيح]. المعنى: وأين الندرةُ من عباد الله وخواصُّ خلقه ممّن سكَّنهم الورعُ المانع لهم من انتهاك ما لا يحلُّ ولا يجْمُل...

(٧) أسودُ الغَيْل: جمعُ أسد ـ والغَيل: الغلام العظيم المُمتلئ السَّمين وقصد بهم الشجعان، وتعني أيضاً الوادي كثير الأشجار || أُسِّدَ الثعلبُ: جُعِلَ وصُيِّرَ أسَداً || ضَرَى: فتكَ كالضَّواري، والمعنى يُستشفُّ من سياق البيت.

هَيْهَات بَعدَ القومِ شَدَّتْ رَحْلَهَا ... حَمِيَّةُ الدِّينِ وَصَارَتْ مُنْتَسَى[1]

أُنْشِدُهَا مِنْ مَسْجِدٍ فَمَعْهَدٍ ... فَمَنْهَجٍ فَمَجْمَعٍ فَمُنْتَدَى

فلم أَجِدْ مَنْشُودَتِي فِي مَوضِعٍ ... ثم حَدَسْتُ أنهَا رَهْنُ الثرَى

أَرْمَلَةٌ نَاحَتْ عَلى أَحْرَارِهَا ... ثُمَّ ثَوَتْ آسِفَةً فِيمَنْ ثَوَى[2]

أَوّاه أَوّاه رُزِئْنَا بَعدَهُم ... ولَيتنَا فِي خَلْفِ عَمَّنْ مَضَى

مَا فِي الحِمَى مِنْ دَافِعٍ ومُتَّقٍ ... مَا يُعْقَبُ الخِزْيَ ولا مَنْ يُتَّقَى

قَدْ ضَاعَتِ الحُرْمَةُ بَعدَ صَوْنِهَا ... وَشُنَّتِ الغَارَةُ فِي عَقْرِ الحِمَى

وطَرَقَ الحَيَّ ذِئَابُ جَوِّهِ ... ودُعْثِرَ الزِّرْبُ وخَاسَ المُرْتَعَى[3]

أدْعُو رُعَاةَ الحَيِّ فِي قُبُورِهِم ... إنْ سَمِعَ المَيتُ دُعَاءَ مَنْ دَعَا

أدْعُو لهَا الأمْوَاتَ إِذْ آيَسْتُ مِنْ ... أَحْيَائِهِم لَعَلَّ فِيهِمْ مَنْ وَعَى

يَا أيُّهَا الرَّاعِي انْتَبِهْ فَمَا بَقَى ... حَوْلَ المَرَاعِي مَا ثَغَا وَمَا رَعَى[4]

يَصُخُّ صَوْتِي مَسْمَعاً ومَسْمِعاً ... لو كَانَ مَنْ يُزْعِجُهُ هَذا النِّدَا[5]

---

(١) البيتُ واضحٌ مبنى ومعنى، كما أثبتناهُ، هنا، وكما ورد في الأصل المُعتمد؛ لكنَّ الشيخ منصور الفارسي يُوردُ «شَدق رحلها»، ربما لخطأ في النسخة التي اعتمدها. وبدوره، فإنَّ مُحقق «الدرر المنثورة في شرح المقصورة» لم ينتبه لها، في حين يشغل نفسه بتصحيح أقوال الشيخ الجليل بعبارات من مثل: «*ومما يؤخذ على الشارح ذكر المبتدأ ولم يذكر الخبر*»، دون أن يكلف نفسه كـ«مُحقق» لعمل أدبيّ الإصغاءَ لروح الشاعر وروح شارح المقصورة، لكننا دأبنا على التغاضي، هنا وهناك، عن هذه وتلك، لأن فائدتنا كانت، حقيقةً، في جُهد الشيخ العلامة منصور بن ناصر الفارسي، الذي لولا جُهده لما استطعنا التجرُّؤ على محاولة الإستئناس بشرحه وتبسيطه للمقصورة.

(٢) معنى الأبيات الثلاثة، تباعاً: أنشدُها؛ أي أسألُ عنها (يقصد حَميَّة الدِّين) من مسجد فمعهد فمنهج، إلخ.. لكنني لم أفلح في العثور عليها، فحدستُ أنها حبيسة الثرى في صُدور من رحلوا عنا، حالها كالأرملة التي ناحت على الأحرار، وكان مصيرها مثلهم في التراب.

(٣) الطَّرق: الإتيان بالليل || دُعثر: مُزِّقَ || الزرب: الزريبة || خاس: فسد || المُرتعى: الذي يرعى ويؤكل. المعنى: كنى العدو بالذئب الذي يهجم ليلًا ليُدعثر الزرائب ويُفسد مراعي الأغنام.

(٤) المعنى: انتبه أيها الراعي؛ فلم يبق حول مراعيك شاة تثغو وترعى.

(٥) يصخ: صَخًّا، وصَخيخًا: صوَّت عند القرْعِ. و ـ فلانًا ـ صَخًّا: ضَرَبَ أُذُنَهُ فأصَمَّها. ويقال: صَخَّ سمعَهُ، وصَخَّ الصوتُ أُذُنَهُ. و ـ الصُّلبَ على الصُّلب: طَرقهما فصوّتا [وردت لدى الفارسي:=

أضْـبَـحَ قَـوْمِـي جُـثَّـةً بَـارِدَةً عَـيَّ بـهَـا الـطِّـبُّ وَعَـيَّـتِ الـرُّقَـى[1]

مَـا أثَـرُ الـنُّـصْـحِ عَـلى أَلْبَـابِـهِـم إلّا كَـآثـارِ الـحَـيَـا عَـلى الـحَـصَـى[2]

ومَـا رُسُـوخُ الـوَعْـظِ مِـنْ قُـلوبِـهِـم إلا كَمَا يَرْسَخُ فِي الصَّخْرِ الصَّدَى[3]

ولا لأحْـرَارِ الـكَـلامِ عِـنْـدَهُـم تَـكْـرُمَـةٌ ولا لِحُـرٍّ مُـسْـتَـوَى[4]

تَـنْـصَـحُـهُـم فـتُـجْـتَـوَى دِيَـارُهُـم إنَّ الـكِـرَامَ دَارُهُـم لا تُـجْـتَـوَى[5]

أَمْـحَـضُـهُـم نَـصَـائِحـاً لـو ذَهَـبَـتْ إلـى جَـمَـادٍ ذابَ أو مَـاءٍ جَـسَـا[6]

فَـتَـنْـثَـنِـي نَـصَـائِحِـي مَـكَـارِهـاً يَـقْـرِضُـهَـا الـلومُ ويَـنْـفِـيـهَـا الـقَـلَا[7]

=«يضجُّ»، لكننا استحسنا ما ورد في الأصل المُعتمد] || مَسمَعاً ومَسمِعا: الأولى - بفتح الميمين - مصدر سَمِع، والثانية - بكسر الميم الثانية - على أنه ظرف مكان كالمطلِع والمَجلِس؛ أي موضع السمع، وتكراره للتكثير || يزعجه: يقلقه || النّدا: النّداء. المعنى: إن ندائي يصخُّ آذاناً كثيرة، كما يصخ أذني ويصمُّها لشدة بلاغه، لو وُجد من يقلقه ذلك النداء لأجاب، ولكن هيهات.

(١) عَيَّ: عجز || الطِّبّ: بفتح الطاء؛ الطبيب الماهر الحاذق || الرُّقى: التعاويذ الشافية. المعنى: صار القوم الذين تمنينا عليهم اتباع السلف الصالح جثة باردة عجز عنها الأطباءُ والتعاويذ.

(٢) أثر النصح: علاماته [ورد البيت لدى الشيخ الفارسي كالتالي: ما أَثَّرَ النُصحُ على ألبابِهم | إلّا كآثار الحَيا على الحَصا] || الحَيَا: المطر || الحَصَى: مُطلق الحجر. المعنى: ما أثرُ النصيحة في قلوبهم إلّا كما يؤثر المطرُ في حَصاةٍ جامدة، وآثرنا «ما أثَرُ النُّصحِ» عوضاً عما اقترحه الشيخ: «ما أَثَّرَ النصحُ»، لأنَّ الشاعر أراد مُفارقة التشبيه: فكما لا يؤثر المطر في الحصى ولا يترك أثراً عليه؛ فإن النصيحة في قلوبهم، أيضاً، لا أثرَ لها.

(٣) المعنى: والوعظُ، بدوره، لا يرسخ في قلوبهم ولا يعلق بها، لأنه كصدى الجبالِ الذي لا يرسخُ، بعد التصويت والمناداة، في صخوره الصَّماء.

(٤) المعنى: ولا تكريم لديهم لحُرِّ الكلام النفيس، ولا احترام لديهم للأحرار.

(٥) تُجْتَوى ديارهم: أي تُكْرَه كديار اللئام، ومَنْ اجتوى بيته: تعني كَرِهَه.

(٦) أمْحضُهُم نَصائحاً: أُخْلِصُ النُّصح || جَسَا: جمد ووقف. المعنى: ورغم كثرة نصائحي التي أخلصتها لهم لم تؤت ثمارها، ولو أن تلك النصائح ذهبت إلى جمادٍ لذابَ من حَرِّ تأثيرها، أو إلى ماءٍ لتوقف عن الجريان.

(٧) تنثني: ترتد وترجع || مَكارهاً: قبائح مكروهة || يقرضها: يقطعها بالمقراض || اللَّوم: المَلامَة، كما وردت في الأصل المُعتمد [ووردت «اللُّؤم» لدى الفارسي] || ينفيها: يُنحِّيها ويُبعدها || القَلا: البغض. المعنى: لكن نصائحي التي أخلصتها لهم ترتدُّ إليَّ قبائح يقطعها اللومُ بمقراضه، كما يُبعدها الكرهُ والبُغض.

سَيُدْرِكُ النُّصْحَ لِزازٌ مُخْوِذٌ عَزَائِمُ الرَّأيِ إذا لاحَ الجَلا[1]

لقد نَفَتْ عَنِّي الرِّجَالُ شِيمَةً لو سَكَنَتْهُم زَلْزَلَتْ قلبَ العِدَا

لكِنَّنِي أعْجَزُ أنْ أُفِيتَهُم تَكْذِيبَهُم، بَيِّنَتِي لِلمُدَّعَى[2]

إنَّ القُلوبَ اسْتَشْعَرَتْ جِبِلَّةً فَتَارَكَتْ أحْلامَهَا إلى الهَوَى[3]

ليسَ العَصُورُ الغُرُّ إنْ تَكَشَّفَتْ بِحُسْنِهَا هَادِيَةً لِمَنْ غَوَى[4]

كُلُّ امْرِئٍ بِفِعْلِهِ مُعْتَبَرٌ والسَّيْفُ بالشَّفْرَةِ يَفْضُلُ العَصَا[5]

فَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأيْتُ غَافِلًا يَحْمِلُهُ السَّيلُ وَلَيْتَهُ دَرَى[6]

---

(١) اللزاز: الشجاع || المُخوِذ: الحاذق المُشمّر للأمور القاهر لها || الجَلا: أصلها الجلاءُ وقصرت للضرورة الشعرية؛ وتعني وُضوح الأمر [وردت لدى الشيخ «الخلا»، وفسرها بقوله: جبلٌ بالمدينة، وأراد به الشدة!]. المعنى: سيدرك حقيقة نصحي شجاعٌ حاذق لا تفوته الخوافي، فعزائمُ الرأي لا تُدرك لأول وهلة، بل تُرى حقيقة صَوابها إذا ما تجلّت واتضحت.

(٢) معنى البيتين: لقد نفى القومُ عني شيمةً لو سكنت قلوبهم لزلزلت قلوب الأعداء، لكنني أعجز من أن أبطلَ دعواهم التي ادعوها ضدي كذباً، لذلك فإن البيّنة على ما أقوله ستثبت للمُدَّعى؛ أي الحق الذي وقعت فيه الدعوى.

(٣) جبلّة: سليقة وطبيعة || تارَكَتْ: رفضت وهجرت، والمُتاركَة: مُفاعلة؛ وهي أن يترك كلٌّ واحد صاحبه من المُتاركَيْن، وتتاركَ الخصمان: تركَ كلٌّ منها صاحبه؛ أي قاما بفعل الترك كلٌّ من جانبه في ذات الوقت || أحلامَها: جمعُ حِلم؛ وهو العقل والتأني في الحُكم || الهَوى: المَيلُ عن الحق إلى ما تُسوّغه النفسُ من ضلال. المعنى: إن قلوب الرجال الذين أنكروا عليَّ شيمتي علمت من تلقاء ذواتها حقيقة ما أدّعيه وأقوله؛ فرفضت التأني في الحُكم عليَّ بما يُمليه التعقل ميّالةً إلى ما أملاهُ عليها هواها وضلالاته.

(٤) العَصُور: الكريم || الغُرّ: الباسل || إن تكشفت: إن ظهرت، وفاعلها محذوف يعودُ إلى بدعة أو ضلالة ونحوها || غوى: ضلّ. المعنى: ليس الكريم الباسل إن تكشفت له البدع بحسنها لهداية من غوى، فهي تبدو كذلك في أهلها القابلين للغواية.

(٥) المعنى: كلُّ إنسان يعبر عنه زينُ فعله وشينه، وبذلك يعلو أو يسفل مقداره، وإلا ما شرُفَ السيفُ وتفوق على العصا مَكانةً.

(٦) بعد أن وصل إلى الخلاصات في المقصورة؛ ينتهي أبو مُسلم إلى خلاصة الخلاصة في المقصورة ابتداء من هذا البيت والأبيات التالية له، كما لو كان يردد مع دعبل الخزاعي: «إني لأفتحُ عيني حين أفتحها | على كثير، ولكن لا أرى أحدا»، لذلك يفتحُ عينه فيرى غافلًا حمله السيل دون أن يدري... إلخ الأبيات.

وَنَـائِمـاً والـنَّـارُ فِـي جُـثْـمَـانِـهِ   كـأنَّـهُ جَـزْلُ الـغَـضَـى وَمَـا وَعَـى[1]

وَرَاضِـيـاً بِـذِلَّةٍ مُـفْـتَـخِـراً   بِـأَنْ يَـعِـيـشَ خَـازِيـاً وَمُـزْدَرَى

وَمُـؤمِـنـاً مُـسْـتَـضْـعَـفـاً يَـغْـمِـزُهُ   ظَـالِمُـهُ مِـنَ الـرَّجَـا إلـى الـرَّجَـا[2]

وعَـاقِـلًا فِـي رَأْيِـهِ مُـتَّـهَـمـاً   وأرْشَـدُ الآرَاءِ لِلحُـرِّ الـدَّوَا[3]

وحَـاسِـداً لِنِـعْـمَـةٍ تَـخَـالُهُ   أَسْـعَـرَ مَـا كـانَ إذا قُـلتَ خَـبَـا[4]

وبَـائِعـاً لِوَطَـنٍ فِـيـهِ انْـتَـشَـا   بِـلُقْـمَـةٍ يَـلَذُّهَـا وهِـيَ الـوَدَى[5]

فَـهَـلْ لـنـا اسْـتِـقَـامَـةٌ وَعِـزَّةٌ؟   وحَـالُنـا مَـشْـؤُومَـةٌ، كَـمَـا نَـرَى . .

وأغـلَبُ الـنـاسِ الـوَفَـاءُ عِـنـدَهُـم   مُـسْـتَـهْـجَـنٌ وعَـهْـدُهُـم عَـلى شَـفَـا[6]

يَـجْـرُونَ فِـي الأهْـوَاءِ لا تَـكْـبَـحُـهُـم   شَـكِـيـمَـةٌ عَـنْ دَخَـلٍ ولا هَـوَى[7]

وأدْعِـيَـاءُ الـفَـضْـلِ إنْ دَعَـوْتَـهُـم   لِغُـمْـرَةِ الـجُـلَّا تَـرَامَـوا لـلعَـرَى[8]

هَـمُّـهُـمُ فِـي شَـهَـوَاتِ طَـبْـعِـهِـم   هَـمُّ الـسَّـوَامِ فِـي ارْتِـيَـادِ الـمُـرْتَـعَى[9]

---

(١) الجزل: الحطب الغليظ || الغضى: شجر معروف، وقيل هو الطلح.

(٢) المعنى: ورأيتُ مؤمناً مُستضعفاً يغمزه ظالمه، وحاله في برزخ من رجاء الحياة إلى رجاء الموت.

(٣) المعنى: ورأيتُ عاقلًا متهماً في رأيه مشكوكاً في قوله، رغم أن أرشد الآراء هي دواءُ الأحرار.

(٤) المعنى: ورأيتُ، فيما رأيت، حاسداً لنعمة تحسبُ نارهُ أكثر تلهباً كلما اعتقدت أنها خبَت.

(٥) انتشا: نشأ وولد فيه || الوَدَى: الهلاك والعطب. المعنى: كما رأيت من باع وطنه الذي ولد ونشأ فيه ليحصل على لقمةٍ يستلذها، وهي الهلاكُ بعينه.

(٦) المعنى: وكما نرى ونرى في زماننا، فإن الوفاء بالعهود أضحى مُستهجناً لدى أغلب الناس، ناهيكَ عن عهودهم التي إن لم ينكثوا بها فهم على شفا التنكر لها في أية لحظة.

(٧) لا تكبحهم: لا تردعهم || الشكيمة: الأنفة || الدَّخل: الرجل الخداع || هَوَى: هلاك. هَوى الرَّجُلُ: مات؛ قال النابغة: «وقال الشامتونَ هَوى زِيادٌ | لكُلِّ مَنِيَّةٍ سَببٌ مَتينُ». المعنى: وهم يتهافتون جرياً وراء أهوائهم لا تردعهم أنفةٌ عن خبث وخداع، ولا هلاك.

(٨) أدعياءُ الفضل: أصحاب المناصب والمراتب والرُؤساء || دعوتهم: ناديتهم || الغُمرَة: الشدَّة || الجُلّا: الأمر العظيم الجَلل || ترامَوا: تراخوا || العَرَى: ترك الأمر وعدم الاهتمام به. المعنى: والمُعضلة أنك إن ناديت «أدعياء الفضل» أصحاب المناصب والمراتب الدينية والاجتماعية والسياسية في الشدَّة للأمر الجلل المُحيق بالأمة لتراخو ولم يلتفتوا إلى دعوتك. وفي البيت نقد لاذع للسَّاسة ورجال الدين وأولي الأمر المُتواطئين واللامُكترثين بما يُحدق بهم.

(٩) السَّوام: جمع سائمة، وهي الإبل التي أطلقت للرَّعي || المُرتعَى: المَرعى. المعنى: وأدعياء=

سَـرِيُّـهُـم مَـنْ جَـمَـعَ الـمَـالَ ولـو	أَفْـلَـسَ مِـنْ مُـرُوءَةٍ ومِـنْ حِـجَـا[1]
إذا دَعَـا الـمَـجْـدُ تَـفَـادَى نَـاقِـصـاً	وإنْ دَعَـــاهُ بَـــذْخٌ قَـــالَ: أنَـــا[2]
لا يَـشْـرُفُ الـيَـومَ بِـعَـقْـلٍ مُـقْـتِـرٌ	والـسَّـيـدُ الأقْـعَـسُ مَـنْ نَـالَ الـغِـنَـى[3]
فَـخُـذْ مِـنَ الـغُـمْـرِ الـدَّنِـيِّ رَأيَـهُ	إنْ مُـلِـئَ الـكِـيـسُ، وَدَعْـهُ إنْ ضَـقَـا[4]
تَـخَـاضَـعَـتْ لَهُ الـرِّقَـابُ عَـنْـوَةً	وإنْ جَـسَـتْ صَـفْـحَـتُـهُ وإنْ ضَـمَـى[5]
عَـصَـائِـبَ الإسـلامِ تِـلْـكُـم حَـالُـنَـا	ولـيـسَ يَـخْـفَـى فِـي الظَّـلامِ ابْـنُ جَـلَا[6]

=الفضل هؤلاء لا همَّ لهم إلا شهواتهم، لأنهم في الحقيقة لا يكترثون بحال الأمة والرَّعية قدر اهتمامهم بشهواتهم. وهو همُّ من لا همَّ له، كاهتمام الإبل بالبحث عن المرعى، ومرَّةً أخرى ينتقد الشاعر وُلاة الأمر، بل يسخر من تفاهتهم.

(١) سَريُّهم: عاقلهم وكريمُهم || الحِجَا: العقل والفطنة. المعنى: والعاقل والكريم في تقدير هؤلاء هو من جمع المال، ولو أفلس من المُروءة والفطنة.

(٢) تفادى: تأخر وتكأكأ || ناقصاً: خاسراً، [ويجوز قراءتهُ ناكِصاً؛ أي راجعاً مُحجماً ـ كما يُشير الشيخ الفارسي في شرحه ـ وأوافقه على تجويزه، لكنني أثبتُّ الأصلَ كما أثبته في نُسخته]. المعنى: وسُراة القوم هؤلاء؛ إذا ناداهم الشرفُ والمجد تأخروا عنه ناكصين مُحجمين، وإن دُعُوا للبذخ هتف كلُّ واحدٍ منهم: أنا!

(٣) مُقتِر: مُعدَم || السَّيد: شريفُ القوم || الأقعَس: المنيع الثابت في عزه. المعنى: لذلك انقلبت الموازين في زماننا، فصاحب الشرف والمنزلة الرفيعة ليس الراجح في العقل، بل جامع الأموال.

(٤) الغُمر: الجاهل || الدَّنيّ: الدَّنِيء الذليل || الكيس: وعاء الدراهم || ضَقا: ضاق، مصدر ضاق يضيق ضيقاً وضقاً، أو هو فعل ماض من ضقا يضقو ضقاً وضقاءً، أو مصدر ضقا، حُذفت لامه لأجلِ الرَّويّ، ومعناه: بَخل. المعنى: لذلك ـ والحالُ هذا ـ خذ الرَّأيَ السديد من الجاهلِ الدَّنيّ بعد أن تملأ كيسهُ دراهماً، وإن بخلت وضاق كيسك فلن يمنحك رأياً. [ثمَّة قراءة معكوسة للبيت ومعناه، في حال استبدلتَ «إنْ مُلِئ الكيسُ» بـ «إنْ مَلأَ الكيسَ»، وهو ما ورد في الأصل المُعتمد].

(٥) تخاضعت: تذللت وخضعت || عَنوةً: بلا شدَّة، وانقياداً دون إكراه || جَسَت: تصلبت واخشوشنت|| صحفته: كفُّه || ضمَى: ظلم. المعنى: فلصاحب المال سطوة وهيبة تجعل الرِّقاب تتخاضع وتتذلل له انقياداً، ولو كانت كفه مُتصلبة كنفسه لا تندى كرماً، فالناسُ تخضع له فطرةً وإن ظلمهم.

(٦) عصائبَ الإسلام: جمع عاصب، وهم جماعات الإسلام قاطبة، وأصل المُفردة: ذوو القرابة المتعصبون للمرء || ابنُ جَلا: مثلٌ يضرب في ظهور الشيء وعدم خفائه، وأصله بيت سحيم بن وثيل: «أنا ابنُ جَلا وطلاعُ الثنايا | متى أضعُ العمامة تعرفوني»، وقد تمثلَ به الحجاج. المعنى: يا فرق الإسلام وعصائبه تلكم حالتنا المُزرية التي تعرفون نقائصها بجلاء ووضوح.

مَا تَنْظُرُونَ فِي التِمَاسِ طِبِّكُم قد نُكِئ الجُرْحُ وأَدْنَفَ الضَّنَى[١]

لَيسَ لهَا إلّا التِفَافُ قُوَّةٍ بقُوَّةٍ ومُقْتَدًى بمُقْتَدَى[٢]

لَيسَ لهَا إلّا نُفُوسٌ طُفِئَتْ أضْغانُهَا واشْتَعَلتْ فِيهَا التُّقى[٣]

يَلُمُّهَا الإيمَانُ قلباً واحِداً وِجْهَتُهُ اللهُ وَحَشْوُهُ الهُدَى[٤]

إذا رَمَتْ فَقَوْسُهَا وَاحِدَةٌ ومَا رَمَتْ؛ وإنَّمَا اللهُ رَمَى[٥]

دَبَّ إليكُم دَاءُ مَنْ قَبلَكُم مِنْ حَسَدٍ يَسْفَعُكُم ومِنْ قَلَا[٦]

فَخَلِّصُوا الأنْفُسَ مِنْ أدْوَائِهَا فَقَلَّ مَنْ مَهْمَا أصَابَتْهُ نَجَا[٧]

ولو تآلفتُم عَلى إيمَانِكُم وكَانَتِ الأوْجُهُ وَجْهاً يُنْتَحَى

ومَحَّصَتْ أنْوَارُهُ قُلوبَكُم فصَفِيَتْ مِنْ فِتْنَةٍ ومِنْ شَذَا[٨]

---

(١) نُكِئ الجرح: تآكل وفسد حتى عسُر بُرؤه || الضَّنى: المرض المُلازم. المعنى: أما وقد صرتم تعرفون ما آلت إليه حالنا، فما دواءُ مرضنا العُضال بعد أن تمكن من أجسادكم؟

(٢) المعنى: في نظري؛ لا علاج لحالتنا تلك إلّا اجتماعنا على كلمة واحدة وجمع كل ما لدينا من قوة يقتدي أحدنا بالآخر.

(٣) المعنى: ولا دواء لحالنا تلك إلّا بتصفية النفوس وإخماد نيرانها من الأحقاد، نفوس اشتعلت في بواطنها أنوار الإيمان.

(٤) المعنى: نفوسٌ يلمها الإيمان قلباً واحداً مقصدها الله بعد امتلائها هداية ورشاداً.

(٥) المعنى: نفوسٌ إذا رمت عدوها، كما لو أنها بمجموعها وائتلافها ترميه بقوس واحدة؛ وساعتها لن تكون هي الرامية بل سبحانه وتعالى، كما جاء في محكم كتابه العزيز: ﴿وما رميتَ إذ رميت ولكنَّ الله رمَى﴾ ـ والشطر الثاني مقتبسٌ من الآية الكريمة.

(٦) يسفعُكم: يلطمكم، كيصفعُكم || القَلا: البُغض والكراهية. المعنى: لقد سرى فيكم داء من سبقوكم من الحسد والبغض والكراهية لبعضكم البعض، وفي البيت اقتباس من الحديث النبوي: «دبَّ إليكم داءُ الأمَمِ قبلَكُم الحسدُ».

(٧) المعنى: فخلصوا أنفسكم من عللها المُهلكة، فقد قلَّ من أصابته علة الحسد والكراهية فنجا من هلاكها دنيا وآخرة.

(٨) يُنتحى: ينتسب || الشذا: التفرق. معنى البيتين، تباعاً: لو تآلفتم على إيمانكم، وكانت أوجهكم في الإيمان وجهاً واحداً تاركين ما وراء ذلك من الأنساب، حين يكون نسبكم للإيمان الذي محّصت أنوارُهُ قلوبَكم لصَفت من الفتنة والتفرق. . .

ضَاقَ عَلى الخَصْمِ الفَضَاءُ دُونَكُم وعَزَّةُ الإِرْكَاسُ مِنْ حَيثُ نَزَا[1]

عَسَى الذي قَدَّرَ مَا يَهُولُكُم يُزيلُ بالُّطْفِ الخَفِيِّ مَا عَنَا

ويُمْطِرُ الرَّوحَ عَلى رُبُوعِكُم فَيَنْضُرُ الرَّوْضُ وإنْ كَانَ ذَوَى[2]

(١) عزَّةُ: ضد ذلّه || الإركاس: التنكيس || نزا: وثب. المعنى: لو أنكم اجتمعتم على إيمانكم لضاق الفضاءُ على خصمكم، ولانتكس عزُّهُ ذُلًّا من حيث وثبت خطوته.

(٢) ما يهولكم: ما يفزعكم، والهول: الداهية العظيمة || ما عَنا: ما وقع || الرَّوح: الحياة || ينضر: ينبت ويخضرّ || الرَّوض: جمع روضة، وهي المُخضر والحدائق. معنى البيتين، تباعاً: عسى أن يزيل سبحانه جلّ وعلا ما أصابكم من الدواهي والمصائب بلطفه الخفيّ، وعسى أن يُمطر ربوعكم حياة لتنضر وتخضر رياضها بعد أن ذوَتْ، والبيتان دُعاء وخاتمة.

النُّونِيَّة(*)
(الفَتحُ والرِّضْوان في السَّيفِ والإيمان)

تِلكَ البَوارِقُ حَادِيهِنَّ مِرْنانُ	فَمَا لِطَرْفِكَ يا ذا الشَّجْوِ وَسْنانُ
شَقَّتْ صَوارِمُها الأَرْجاءَ وَاهْتَزَعَتْ	تُزْجِي خَمِيساً لَهُ في الجَوِّ مَيْدَانُ
تَبَجَّسَتْ بِهَزِيمِ الوَدْقِ مُنْبَعِقاً	حتى تَسَاوتْ بِهِ أُكْمٌ وَقِيعَانُ
سَقَى الشَّوَاجِنَ مِنْ «رَضْوَى» وَغَصَّ بِهِ	«سِرٌّ» و«جَوْفٌ» وَغَصَّت مِنهُ «جَزنانُ»
وَجَلَّلَ السَّهْلَ وَالأَوْعَارَ مُعْتَمِداً	رُبُوعَ ما ضَمَّ «عِنْدَامٌ» وَ«جَعْلانُ»
وَرَاحَ يَنْضَحُ لِـ«الجَرْداءِ» سَاحَتَهَا	وَطَمَّ ما رَدَّ «صَفْنانٌ» و«صَخْنانُ»
يُرِيقُ في الجَوِّ مِنهُ رَيِّقٌ هَطِلٌ	في لُوحِهِ مِنْ سَناءِ البَرْقِ أَلْوَانُ
إنْ هَيَّجَ البَرْقُ ذا شَجْوٍ فَقَدْ سَهِرَتْ	عَيْنِي وَشبَّتْ لِشَجْوِ النَّفْسِ نِيرَانُ
وَصَيَّرَ البَرْقُ جَفنِي مِنْ سَحَائِبِهِ	يا بَرْقُ: حَسْبُكَ، ما في الأرْضِ ظَمْآنُ
إنِّي أَشُحُّ بِدَمْعِي أنْ يَسُحَّ على	أَرْضٍ وَمَا هِيَ لِي، يا بَرْقُ، أَوْطَانُ
هَبْكَ اسْتطَرْتَ فُؤادِي فَاسْتطِرْ رَمَقِي	إلى مَعَاهِدَ لِي فِيهِنَّ أَشْجَانُ
تِلكَ المَعَاهِدُ ما عَهْدِي بِهَا انْتَقَلَتْ	وَهُنَّ وَسْطَ ضَمِيري، الآنَ، سُكَّانُ

(*) وردت النونيّة، في الأصل المُعتمد، بعنوان: «يا للرِّجال» ـ موشى بعنوان فرعي: «وقد مدح بها إمام المُسلمين سالم بن راشد الخروصي رحمه الله»، لكننا آثرنا عنوانها الشائع، مُضافاً إليه عُنوانُها الأصلي: الفتح والرِّضوان في السَّيف والإيمان. **ملحوظة**: لكثرة حواشي النونيّة؛ آثرنا وضع نسختين إحداهما دون شرح والتي تليها مُذيَّلة بشروحات مُوسَّعة.

نَأيتُ عَنْهَا، وَلكِنْ لا أُفَارِقُهَا ... بَلَى! كَمِ افْترَقتْ رُوحٌ وَجُثمَانُ

وَكَيفَ أَنْسَى عُهُودِي فِي مَسَارِحِها ... وَهُنَّ بَينَ جِنانِ الخُلْدِ بُطْنانُ

أَمْ كَيفَ يُمْكِنُ سُلْوانِي فَضَائِلَها ... نَعَمْ لَدَيَّ لِذا السُّلْوَانِ سُلْوَانُ

مَعَاهِدٌ شَاقَنِي مِنْهَا مَحَاسِنُها ... إنْ شَاقَ غَيْرِيَ آرَامٌ وَغِزْلانُ

لَهَا على القلْبِ مِيثاقٌ يَبُوءُ بِهِ ... إنْ بَاءَ بِالحُبِّ فِي الأَوْطَانِ إِيمَانُ

نَزَحْتُ عَنْهَا بِحُكْمٍ لا أُغَالِبُهُ ... لا يَغلِبُ القَدَرَ المَحْتُومَ إِنْسَانُ

كأَنَّنِي وَاغْتِرَابي وَالغَرَامَ بِهَا ... حَيٌّ قَضَى خَلَّفَتْهُ، بَعْدُ، أَحْزَانُ

هِيَ النَّوَى جَعَلَتْنِي فِي مَحَاجرِها ... مِثلَ الخَيَالِ وَرُوحِي ثَمَّ جُثمَانُ

أَعِيشُ فِي غُرْبَةٍ عَيْشَ السَّلِيمِ على ... رَغْمِي، وَلَيسَ إِلى التِّرْيَاقِ إِمْكَانُ

يا بَرْقُ حَرِّكْ هُمُومِي إنْ تَكُنْ سَكَنَتْ ... فَكُلُّ حَظِّيَ تَحْرِيكٌ وَإِسْكَانُ

ما زَالَ يَنْشِطُ بي هَمِّي وَأُضْبِرُهُ ... وَنَاشِطُ الهَمِّ لا تزويهِ أَرْسَانُ

يا بَرْقُ هَلْ وَالحَنايا مِنْ «ضَعَاضِعَ» و«اللَّـ ... ـتَامِ» فَـ «الطَّفُّ» حَيَّاهُنَّ هَتَّانُ

وَهَلْ ذُرَى «القَفْصِ» فَ «المِقْرَاةُ» مُعْشِبَةٌ ... وَهَلْ قَطِينٌ بِعَلْيا «قاعِرٍ» بَانُوا

عَهْدِي بِهَا وَنَضِيرُ العَيشِ يَصْحَبُها ... وَالدَّهْرُ فِي غَفْلَةٍ وَالشُّهْبُ إِخْوَانُ

نَشَأْتُ فِيهَا، وَرَوْضَاتِي وَمُرْتَبَعِي ... رَوْحُ الفَضِيلَةِ لا رَنْدٌ وَرَيْحَانُ

أَرْتَاحُ فِيهَا إلى «خِلٍّ» فيَبْهَرُنِي ... صِدْقٌ وَقَصْدٌ وَمَعْرُوفٌ وَعِرْفَانُ

فحَالَ حُكْمُ النَّوَى بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ... هُنَا تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ خَوَّانُ

حتى مَتى أتقاضَى الدَّهْرَ قُرْبَهُمُ ... والدَّهْرُ يَهْرَمُ والآمَالُ وُلْدَانُ

حَتَّامَ يا دَهْرُ لا تُبْقِي على بَشرٍ ... حُرٍّ، وَحَتَّامَ ضَيْمُ الحُرِّ إِحْسَانُ

أَكُلُّ رَأْيِكَ حَرْبِي أَمْ لَهَا أَمَدٌ ... فَإِنَّ عَهْدِي وَلِلحَالاتِ أَلْوَانُ

حُلَّ العِقَالَ وَأَطْلِقْنِي إلى سِعَتِي ... فَفِي سُجُونِكَ لِلمَيْدَانِ فُرْسَانُ

يا دَهْرُ يا بَاخِسَ الأَحْرَارِ حَقَّهُمُ ... أَغْطِ العَدَالَةَ؛ إِنَّ اللهَ دَيَّانُ

فِيمَ التَّقَصِّي بِأَهْلِ الفَضْلِ، إنْ نَقصَتْ ... حُشْناكَ زَادُوا وَإِنْ شَانَ الوَرَى زَانُوا

لا يَشْقُلُونَ وَإِنْ خَفَّتْ عِيَابُهُمُ ... عَنِ النَّدَى، وَلَهُم بِالحِلْمِ رُجْحَانُ

أخْفَى غُبَارُكَ يا دَهْرِي مَحَاسِنَهُم | فَإنْ دَعَوْتَهُمُ فِي نَكْبَةٍ بَانُوا

إنْ تَعْرِفِ الحَقَّ فِيهِم لم تَذُدْ أَسَداً | عَنِ الوُرُودِ وَغَيْرُ الحَيِّ رَيَّانُ

يا نَاقِلَ العِيسِ مِنْ عَلْيا «بَدِيَّةَ» حَـ | ـيثُ «اليَحْمَدُ» الحَائِزُونَ المَجْدَ قُطَّانُ

خَلِّفْ وَرَاءَكَ «عِزاً» و«المُضَيرِبَ» و«الـ | ـدَّرِيزَ» وَ«القَابِلَ» الرَّاسِي بِهَا الشَّانُ

وَخَلِّ «إبْرَاءَ» أعْلاها وَأسْفَلَهَا | حَيثُ القَطِينُ مُلُوكُ النَّاسِ قَحْطَانُ

وَخُذْ بَأوْجُهِهَا عَنْ سَاحَتَي «سَمَدٍ» | «مَيَاسِرٍ» «الفتحِ» حَيثُ الحَيُّ «كَهْلانُ»

وَدَعْ وَرَاءكَ إنْ غَرَّبْتَ «أَخْشَبَةً» | تَجْرِي المَجَرَّةُ فيها وَهِيَ «سَدْرَانُ»

وَيَامِنِ «الدَّوْحَ» وَ«الخَضْرَاءَ» مُنتحِياً | أفْناءَ «حَلْفِينَ» حَيثُ السُّوحُ «جَرْنانُ»

وَاعْمِدْ إلى «الجَوْفِ» وَاسْتَظْهِرْ أَسَافِلَهَا | أرْضٌ لِعَامِرَ أهْلِ الفَضْلِ أوْطَانُ

وَافْرُقْ بها البِيدَ حَتَّى يَسْتَبِينَ لها | «فَرْقٌ» على «بَيضَةِ الإسْلامِ» عُنوَانُ

فَإنْ تَيَامَنَتِ الحَوْرَاءُ شَاخِصَةً | لها مَعَ السُّحْبِ أكْنَافٌ وَأَحْضَانُ

فَحُطَّ رَحْلَكَ عَنْهَا إنَّهَا بَلَغَتْ | «نَزْوَى» وَطَافَتْ بِهَا لِلمَجْدِ أرْكَانُ

فَطَالَمَا وَخَدَتْ تَبْغِي لُبَانَتَهَا | كَأَنَّهُنَّ مَعَ الإنْضَاءِ عُقْبَانُ

انْزِلْ ـ فَدَيْتُكَ ـ عَنْهَا إنَّ حَاجَتَهَا | عَدْلٌ وَفَضْلٌ وَإنْصَافٌ وَإحْسَانُ

انْزِلْ ـ فَدَيْتُكَ ـ عَنْهَا إنَّ وِجْهَتَها | تَخْتُ الأئِمَّةِ مُذ كَانَتْ وَمُذ كَانُوا

هُنَالِكَ انْزِلْ وَقَبِّلْ تُرْبَةً نَبَتَتْ | بِهَا الخِلافَةُ وَالإيمَانُ أيْمَانُ

انْزِلْ عَلَى عَرَصَاتٍ كُلُّها قُدُسٌ | لِلحَقِّ فِيهِنَّ أزْهَارٌ وَأفْنَانُ

انزلْ على عَتَبَاتِ النُّورِ حَيثُ حَوَتْ | أَئِمَّةَ الدِّينِ قِيعَانٌ وَظُهْرانُ

حَيثُ المَلائِكَةُ احتلَّتْ مَشَاهِدَهُم | لَهَا عَلَى الحِلِّ وَالتَّعْرِيجِ إدْمَانُ

أرْضٌ مُقَدَّسَةٌ قَدْ بُورِكَتْ وَزَكَتْ | تَنْصَبُّ فِيهَا مِنَ الأنْوارِ مُعْنَانُ

ما طَارَ طَائِرُها لله مُحْتَسِباً | لَهُ جَنَاحَانِ إيْقَانٌ وَعِرْفَانُ

إلّا وَقَامَ يَمِينُ اللهِ سَاعِدُهُ | وَالفَتْحُ وَالنَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ أعْوَانُ

مَيْمُونَةٌ بَرَكَاتُ اللهِ تَنْفَحُهَا | وَاليُمْنُ يُثْمِرُهُ عِلْمٌ وَإيمَانُ

رَسَتْ بِهَا هَضْبَةُ الإسْلامِ مِنْ حِقَبٍ | وَإنْ قَضَتْ بِاشْتِتَارِ العَدْلِ أحْيَانُ

قَدِيمَةُ الذِّكْرِ عَاذَ الدِّينَ عَائِذُهَا ... مِنْ يَومِ أَصْبَحَ تَوْحِيدٌ وَقُرآنُ

قَامَتْ بِهَا قُبَّةُ الإِسْلامِ شَامِخَةً ... حَتَّى تَوَاضَعَ «بَهْرَامٌ» وَ«كِيوَانُ»

وَلَم تَزَلْ عَرْصَةً لِلعَدْلِ، عَاصِمَةً ... لِلاسْتِقَامَةِ فِيهَا الدَّهْرُ سُلطَانُ

كم أَشْهَرَ اللهُ فِيهَا مِنْ حُسَامِ هُدًى ... كَأَنَّهَا لِسُيُوفِ اللهِ أَجْفَانُ

كِنَانَةٌ لِسِهَامِ اللهِ مَا فَرَغَتْ ... مُذْ كَانَ لِلجَوْرِ سُلطَانٌ وَشَيطَانُ

بِحُجَّةِ اللهِ قَامَتْ فِي الشِّقَاقِ لَهَا ... بِدِينِ ذِي الثَّفِنَاتِ الحَبْرِ إِيقَانُ

لِسِرِّهَا وَاخْتِصَاصِ اللهِ قَائِمِهَا ... بِالنَّصْرِ، وَالفَتْحُ بُرْهَانٌ وَبُرْهَانُ

تَعَاقَبَتْ خُلَفَاءُ اللهِ مَنْصِبَهَا ... مُنذُ «الجُلَنْدَى» وَخَتْمُ الكُلِّ «عَزَّانُ»

أَئِمَّةٌ حُفِظَ الدِّينُ الحَنِيفُ بِهِم ... مِنْ يَومِ قِيلَ لِدِينِ اللهِ أَدْيَانُ

صِيدٌ، سُرَاةٌ، أُبَاةُ الضَّيْمِ، أُسْدُ شَرًى ... شُمْسُ العَزَائِمِ أَوَّاهُونَ رُهْبَانُ

سُفْنُ النَّجَاةِ هُدَاةُ النَّاسِ قَادَتُهُمْ ... طُهْرُ السَّرَائِرِ لِلإِسْلامِ حِيطَانُ

تَقَيَّلُوا مِدَحَ القُرآنِ أَجْمَعَهَا ... إِذا اسْتَحَقَّ مَدِيحَ اللهِ إِيمَانُ

جَدُّوا إِلى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ ... يَفْتِنْهُمُ فِي التُّقَى سِرٌّ وَإِعْلانُ

عَلَى الحَنِيفِيَّةِ الزَّهْرَاءِ سَيْرُهُمُ ... وَالوَجْهُ وَالقَصْدُ إِيمَانٌ وَإِحْسَانُ

بِسِيرَةِ «العُمَرَينِ» اسْتَلأَمُوا وَسَطَوا ... لِشِرْبَةِ النَّهْرَوَانِ الكُلُّ عَطْشَانُ

صُعْبُ الشَّكَائِمِ فِي ذاتِ الإِلَهِ فَإِنْ ... حَنَاهُمُ الحَقُّ عَنْ مَكْرُوهَةٍ لانُوا

مُسَوِّمِينَ لِنَصْرِ اللهِ أَنْفُسَهُم ... أَرْوَاحُهُم فِي سَبِيلِ اللهِ قُرْبَانُ

سُبْقٌ إِلى الخَيرِ عَنْ جِدٍّ وَعَنْ كَيَسٍ ... دَانُوا النُّفُوسَ فَعَزَّتْ حَيثُمَا دَانُوا

سِيمَاهُمُ النُّورُ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... وَهَدْيُهُم سُنَّةٌ بَيْضَاءُ تِبْيَانُ

مُقَيِّدُونَ بِحُكْمِ اللهِ حِكْمَتَهُم ... وَهَمُّهُم حَيثُمَا كانَ الهُدَى كَانُوا

هُمْ أَسْمَعُ النَّاسِ فِي حَقٍّ وَأَبْصَرُهُم ... وَفِي سِوَاهُ هُمُ صُمٌّ وَعُمْيَانُ

لَمْ تُلْهِهِم زَهْرَةُ الدُّنيا وَزُخْرُفُهَا ... إِذْ هَمُّهُم صَالِحٌ يَتْلُوهُ رِضْوَانُ

بَاعُوا بِبَاقِيَةِ الرِّضْوَانِ فَانِيَهُم ... كَأَنَّ لَذَّةَ هَذا العَيْشِ أَوْثَانُ

وَقْفٌ عَلَى السُّنَّةِ البَيْضَاءِ سَعْيُهُمُ ... وَفِي الجِهَادَيْنِ؛ إِنْ عَزُّوا وَإِنْ هَانُوا

ما زَايَلَتْ خَطْوَةَ المُخْتارِ خَطْوَتُهُم ... وَلا ثَنَى عَزْمَهُمْ نَفْسٌ وَشَيْطَانُ

فَجَاهَدُوا وَاسْتَقامُوا فِي طَرِيقَتِهِ ... عُزُومُهُم لِصُرُوحِ الدِّينِ أرْكَانُ

وَسَلَّطُوا بِحُدُودِ اللهِ حُكْمَهُمُ ... حَتى اسْتَقامَ لِحُكْمِ اللهِ سُلطَانُ

أُولئِكَ القَومُ أنْوَارِي، هُدِيتُ بِهِم ... عُقْبَى مَحَبَّتِهِم عَفْوٌ وَغُفْرَانُ

أئِمَّتِي، عُمْدَتِي، دِينِي مَحَجَّتُهُم ... غَوْثِي إذا ضَاقَ بِي فِي الكَوْنِ إمْكَانُ

لا يَقْبَلُ اللهُ دِيناً غَيرَ دِينِهِمُ ... وَلا يَصِحُّ الهُدَى إلّا بِمَا دَانُوا

مِنْ عَهْدِ بَدْرٍ وَأُحْدٍ لا تُزَعْزِعُهُم ... عَنْ مَوْقِفِ الحَقِّ أَزْمَاتٌ وَأَزْمَانُ

حَقِيقَةُ الحَقِّ ما دَانُوا بِهِ وَأتَوا ... وَما عَدَاهُ أَخَالِيطٌ وَخُمَّانُ

إنْ يَشْرُفِ النَّاسُ فِي الدُّنيا بِثرْوَتِهِم ... فَثَرْوَةُ القَوْمِ إخْلاصٌ وَإيقَانُ

للهِ ما جَمَعُوا، للهِ ما تَرَكُوا ... للهِ إنْ قَرُبُوا، للهِ إنْ بَانُوا

أزْكَى الصَّنِيعَيْنِ ما كَانَ الهُدَى مَعَهُ ... لَدَيْهِمُ، وَلَهُ فِي الحَقِّ رُجْحَانُ

تَرَاهُمُ فِي ضَمِيرِ اللَيلِ صَيَّرَهُم ... مِثْلَ الخَيَالاتِ تَسْبِيحٌ وَقُرْآنُ

هُمُ الأَبَاضِيَّةُ الزُّهْرُ الكِرَامُ لَهُم ... بِعِزَّةِ اللهِ فَوْقَ الخَلْقِ سُلطَانُ

لا يُعْرَفُ العَدْلُ إلّا في اسْتِقَامَتِهِم ... لَمْ يُوفِ - إلّا لَهُم - فِي العَدلِ ميزانُ

فِي الذَّبِّ عَنْ حُرُمَاتِ اللهِ شَأْنُهُمُ ... لا شَأنُ دُنْيَاهُمُ نَيْلٌ وَحِرْمَانُ

رَضُوا بِبُلْغَةِ مَحْيَاهُم عَلَى حَذَرٍ ... مِنْهَا، كَأَنَّهُمُ بِالبُلْغَةِ اخْتَانُوا

سِيمَا التَّعَفُّفِ تَكْسُوهُم جَلالَ غِنىً ... فَالقَلْبُ فِي شَبَعٍ وَالبَطْنُ خَمْصَانُ

سَمْتُ المُلُوكِ وَهَدْيُ الأنبياءِ عَلَى ... أَخْلاقِهِم، فَكَأَنَّ الفَقْرَ تِيجَانُ

تَمَثَّلتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فَمَا جَهِلُوا ... حَقِيقَةَ الأمْرِ أنَّ العَيْشَ ثُغْبَانُ

جَازُوا الجُسُورَ خِفَافَ الحَاذِ وِقْرُهُمُ ... زُهْدٌ وَخَوْفٌ وَإصْبَارٌ وَشُكْرَانُ

فَازَ المُخِفُّونَ مِنْ دَارِ الغُرُورِ فَلا ... خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلا بِالقَوْمِ أحْزَانُ

مَضَوا وَآثَارُهُم نُورٌ وَذِكْرُهُمُ ... رُحْمَى، وَمَضْجَعُهُم رَوحٌ وَرَيحَانُ

تَتَابَعُوا دَوْلَةً فِي إثْرِ سَابِقَةٍ ... كَمَا جَلَى الرُّسْلُ أحْيَانٌ فَأحْيَانُ

حَتَى انْجَلَى الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ فَانْكَشَفَتْ ... بِنُورِهِ عَنْ وُجُوهِ الحَقِّ أغْيَانُ

هُنالِكَ انبَعَثَتْ رُوحُ الحَيَاةِ إلى ... جِسْمِ الوُجُودِ وَقَدْ أرْدَاهُ طُغْيَانُ

وَقَامَ لِلحَقِّ شَأنٌ بَعْدَمَا لَعِبَتْ ... مِنَ الكَوَارِثِ أحْكَامٌ وَأدْيَانُ

وَأصْلَتَ اللهُ إصْلِيتاً يَحُسُّ بِهِ ... سَوَاعِداً شَدَّهَا بَغْيٌ وَكُفْرَانُ

وَأعْرَبَ الكَوْنُ عَنْ بُشْرَى ضَمَائِرِهِ ... فَالكَائِنَاتُ أغَارِيدٌ وَألحَانُ

أُمْنِيَّةٌ رَقِبَ الإسْلامُ طَلعَتَهَا ... أتَاحَهَا اللهُ، لَمْ يُضْرَبْ لَهَا آنُ

وَلِلأمَانِيِّ أوْقَاتٌ إذا قُدِرَتْ ... وَلِلأمَانِيِّ آيَاتٌ وَإيذَانُ

تَمَنَّعَتْ فِي خُدُورِ الغَيْبِ آوِنَةً ... ثُمَّ انْجَلَتْ فَانْجَلى عَدْلٌ وَإحْسَانُ

ما سَاوَرَتْهَا صُرُوفُ الدَّهْرِ إذْ نَجَمَتْ ... وَمَا لِرَدِّ مُرَادِ اللهِ إمْكَانُ

وَحِكْمَةُ اللهِ في التَّدْبِيرِ قَاهِرةٌ ... وَقَائِدُ العَقْلِ فِي المِقْدَارِ حَيْرَانُ

يَقْضِي بِمَا شَاءَ وَالأسْبَابُ جَامِدَةٌ ... وَيُحْكِمُ الأمْرَ وَالأفْكَارُ عُمْيَانُ

يَخْتَصُّ مَنْ شَاءَ بِالرُّحْمَى وَيَصْرِفُهَا ... عَمَّنْ يَشَاءُ، وَفِي الحُكْمَيْنِ رَحْمَنُ

إنَّ الذِي يَتَعَاطَاهُ الذَّكَاءُ لَدَى ... حُكْمِ المَقَادِيرِ تَخْمِينٌ وَبُهْتَانُ

ما حِيلَةُ الظَّنِّ وَالأوْهَامِ فِي قَدَرٍ ... إلّا قُصُورٌ وَعَجْزٌ ثُمَّ إذْعَانُ

لا بُدَّ أنْ تَرْبِطَ الأفْهَامُ وَحْدَتَهُ ... وَلَوْ تَطَاوَلَ تَقْرِيبٌ وَإمْعَانُ

خُذْ ما أتَاكَ وَسَلِّمْهَا لِخَالِقِهَا ... فَالشَّأنُ ـ لا غَيْرَ ـ لِلأكْوَانِ دَيَّانُ

انْظُرْ إلى دَوْلَةٍ أعْيَتْ مَعَاجِزُهَا ... رَأيَ الفُحُولِ، فَفِيهَا ثَمَّ بُرْهَانُ

أرَادَهَا اللهُ فَاحْتَلَّتْ مَنَاصِبَهَا ... وَالعَقْلُ فِي نَصَبٍ وَالكَوْنُ أشْجَانُ

بِأسْهُمِ اللهِ تَرْمِي مَنْ يُقَاوِمُهَا ... وَلا يَقُومُ لِسَيْفِ الحَقِّ بُطْلانُ

إنَّ الأسِنَّةَ لا تَعْدُو مَقَاتِلَهَا ... إنْ شَدَّ بِالجَدِّ وَالتَّوْفِيقِ مِطْعَانُ

عَادَتْ إلَى جِذْلِهَا مِنْ طُولِ غُرْبَتِهَا ... خِلافَةُ اللهِ وَالإسْلامُ جَذْلانُ

عِنَايَةُ اللهِ تَحْدُوهَا لِمَوْطِنِهَا ... وَلِلخِلافَةِ فِي الإسْلامِ أوْطَانُ

تَنْحُو ابْنَ بَجْدَتِهَا العُلْيَا وَبُؤْبُؤَهَا ... وَشَأنُهَا لِمُصَاصِ المَجْدِ خُلْصَانُ

تَقَلَّدَ العِقْدَ مِنْهَا صَدْرُ قَيِّمِهَا ... صَدْرٌ بِخَالِصَةِ الإيمَانِ مَلآنُ

هُمَامُهَا العَاصِمُ الكَافِي لِعِصْمَتِهَا ... لَهُ عَلَى حَمْلِهَا جَدٌّ وَإقْرَانُ

شُمَيْدَعٌ مِثْلُ صَدْرِ السَّمْهَرِيِّ لَهُ ... في هَضْبَةِ المَجْدِ أجْذَالٌ وَأغْصَانُ
رَحْبُ المَبَاءَةِ قَرْمٌ لا بَوَاءَ لَهُ ... بِفَضْلِهِ شَهِدَتْ سَهْلٌ وَأحْزَانُ
مُشَمِّرٌ أحْوَذِيٌّ رَأيُهُ فَلَقٌ ... وَعَزْمُهُ قَبْلَ وَضْعِ الرُّمْحِ طَعَّانُ
مُرَوَّعٌ ألْمَعِيٌّ فِي بَصِيرَتِهِ ... مِنَ الذَّكَاءِ لِمَحْضِ الرَّأيِ تِبْيَانُ
تَحَكَّمَتْ مِنْ أصِيلِ الرَّأيِ فِطْنَتُهُ ... كَأنَّهَا فِيهِ أبْصَارٌ وَآذَانُ
يَطْوِي عَزَائِمَ بِالتَّقْوَى وَيَنْشُرُهَا ... كَأنَّهُنَّ بِخَضْمِ اللهِ نِيرَانُ
أصَارَهُ عِلْمُهُ بِاللهِ مَحْضَ هُدًى ... وَغَيْرُ بِدْعٍ هُدًى يُذْكِيهِ عِرْفَانُ
لَمْ يَنْزِلِ العِلْمُ مِنْهُ مَوْضِعاً كَدِراً ... يُمَثِّلُ الشَّمْسَ مِنْهُ الذَّاتُ وَالشَانُ
ما زَالَ تَمْحَصُهُ التَّقْوَى وَيَمْحَصُها ... وَسِرُّهُ مَلَكٌ وَالشَّخْصُ إنْسَانُ
حَتَّى تَمَحَّضَ نُوراً لا يُكَدِّرُهُ ... خَيْرٌ وَشَرٌّ وَأغْيَارٌ وَأغْيَانُ
وَالعِلْمُ بِاللهِ وَالإخْلاصُ عَارِفَةٌ ... مِنَ الكَرِيمِ وَتَخْصِيصٌ وَإحْسَانُ
مَوَاهِبٌ سَاقَهَا مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِهِ ... لأنفُسٍ ما لَهَا فِي النَّاسِ حُسْبَانُ
يَعُدُّهَا النَّاسُ مِنْ أحْجَارِ سُوحِهِمُ ... وَهُنَّ فِي مَلَكُوتِ اللهِ شُهْبَانُ
يَمْشُونَ بُلْهاً، وَهَمُّ النَّفْسِ فِي كَيَسٍ ... وَالعَقْلُ فِي الوَجْدِ بِالمَشْهُودِ وَلْهَانُ
وَالفَتْحُ يَقْصِدُ قَلباً ما بِهِ سَعَةٌ ... إلّا لِمَنْ لَمْ تَسَعْهُ قَطُّ أكْوَانُ
مَحَبَّةُ اللهِ سِرٌّ حَيْثُمَا صَدَقَتْ ... لَهَا عَلَى عَالَمِ الإمْكَانِ سُلطَانُ
تُعْطِيكَ فَتْحاً وَإنْ سُدَّتْ مَغَالِقُهُ ... وَطَوْرُ عَقْلِكَ فِي ذا الفَتْحِ حَيْرَانُ
فَلا عَلَيكَ إذا صَحَّتْ مَحَبَّتُهُ ... إذا وَفَى لَكَ هَذا الخَلْقُ أو خَانُوا
للهِ ما أنْفُسٌ فِي سِرِّهَا اشْتَعَلَتْ ... بِالحُبِّ؟ للهِ أنْوَارٌ وَنِيرَانُ
تَحُلُّ فِي الأرْضِ وَالألْبَابُ طَائِرَةٌ ... فِي عَالَمٍ فِيهِ أهْلُ اللهِ نُدْمَانُ
رَيَّانَةٌ بِشَرَابِ الحُبِّ مُحْرَقَةٌ ... وَالحَالُ صَحْوٌ وَكُلُّ الشُّرْبِ نَشْوَانُ
تِلْكَ النُّفُوسُ التي هَذا «الإمَامُ» لَهَا ... قُطْبٌ وَمَوْرِدُهُ الصَّافِي لَهَا حَانُ
خَاضَ الحَقِيقَةَ كَشْفاً فَاسْتَقامَ لَهُ ... كَشْفٌ وَشَرْعٌ وَتَكْمِيلٌ وَسُلطَانُ
جَاءَتْ إمَامَتُهُ وَالأرْضُ مُظْلِمَةٌ ... وَالنَّاسُ فَوْضَى وَأهْلُ الجَورِ ذُؤْبَانُ

فَأشْرَقَ العَدْلُ فِي أرْجَائِها وَلَقِي ... عِزَّ المَفَاسِدِ إزْهَاقٌ وَإيهَانُ

حَادَثَهُ ما كَانَ بِدْعاً، مِنْ أئِمَّتِهَا ... مَنْ جَدُّهُ ابْنُ تَمِيمِ المَجْدِ «عَزَّانُ»

في ضِئْضِيءِ العِزَّةِ القَعْسَاءِ مَحْتِدُهُ ... إذا تَفَاخَرَ قَحْطَانٌ وَعَدْنَانُ

بِذَرْوَةِ «اليَحْمَدِ» الصِّيدِ المُلُوكِ لَهُ ... إعْرَاقُ مَجْدٍ وَآسَاسٌ وَبُنْيَانُ

لا يُنْكِرُ النَّاسُ ما لِلقَوْمِ مِنْ قِدَمٍ ... وَكَيْفَ يَلْحَقُ عَيْنَ الشَّمْسِ نُكْرَانُ

أحْسَابُهُم وَمَعَالِيهِم وَدِينُهُمُ ... كَوَاكِبٌ وَهِدَايَاتٌ وَرِضْوَانُ

ما اخْتَارَهُ اللهُ صَفْواً مِنْ خُلاصَتِهِم ... إلّا وَلِلصَّفْوِ مِنْ إكْرَامِهِ شَانُ

يا «سَالِمَ» الدِّينِ وَالدُّنْيَا «ابْنَ رَاشِدَ» خُذْ ... أمَانَةَ اللهِ وَالأقْدَارُ أعْوَانُ

أنْتَ الضَّلِيعُ بِهَا حِمْلًا وَتَأدِيَةً ... إذْ كُلُّ أمْرِكَ تَدبِيرٌ وَإتْقَانُ

أحْدِرْ وَأصْعِدْ وَأيْقِنْ إنَّ صَاحِبَهَا ... سَيْفٌ مِنَ اللهِ لا تَحْوِيهِ أجْفَانُ

يَسُوسُهَا مُؤمِنٌ باللهِ مُعْتَصِمٌ ... وَخَيْرُ ما دَبَّرَ الأمْلاكَ إيمَانُ

لِلاسْتِقَامَةِ فِي تَقْدِيرِهِ قَبَسٌ ... فَظَنُّهُ تَحْتَ نُورِ اللهِ إيقَانُ

لا يَصْرِفُ الفِكْرَ فِي شَيءٍ فَيُخْلِفُهُ ... لأنَّهُ مِنْ فُيُوضِ الكَشْفِ مَلآنُ

وَالمُؤمِنُونَ بِنُورِ اللهِ نَاظِرَةٌ ... عُيُونُهُم، وَبِعَيْنِ اللهِ أعْيَانُ

يَا لَلرِّجَالِ وَدَاعِي اللهِ بَيْنَكُمُ ... لَبُّوا الدُّعَاءَ فَإنَّ الصَّوْتَ قُرآنُ

يَا لَلرِّجَالِ ألَمْ يَأنِ الجِهَادُ لَكُم ... بَلَى! لَقَدْ فَاتَ إبَّانٌ وَأبَّانُ

يَا لَلرِّجَالِ أقِيمُوا وَزْنَ قِسْطِكُمُ ... فَمَا لَكُم قَبْلَ وَزْنِ القِسْطِ مِيزَانُ

يَا لَلرِّجَالِ احْفَظُوا أوْطَانَ مِلَّتِكُم ... فَمَا لَكُم بَعْدَ خَذْلِ الدِّينِ أوْطَانُ

يَا لَلرِّجَالِ احْفظُوا أحْسَابَ مَجْدِكُمُ ... إنْ لم تَكُنْ فِيكُمُ لِلدِّينِ أشْجَانُ

يَا لَلرِّجَالِ انْدُبُوا للهِ غِيرَتَكُم ... فالوَقْتُ قَدْ ضَاقَ وَالتَّثْبِيطُ خُسْرَانُ

يَا لَلرِّجَالِ! ألا للهِ مُنْتَصِرٌ؟ ... فَنَاصِرُ اللهِ لا يَعْرُوهُ خُذلانُ

يَا لَلرِّجَالِ أرُونِي مِنْ شَهَامَتِكُم ... إنَّ الحَوَادِثَ آسَادٌ وَسِيدَانُ

يَا لَلرِّجَالِ اجْعَلوا للهِ نَجْدَتَكُم ... فَالغَايَةُ الفَتْحُ أو مَوْتٌ وَرِضْوَانُ

يَا لَلرِّجَالِ ألَمْ يَحْزُنْكُمُ زَمَنٌ ... طَارَ البَغَاثُ بِهِ وَانْحَطَّ عُقْبَانُ

يـا لَلرِّجَـالِ أَلَم يَـذهِـشْ عُـقُـولَكُـمُ | أنْ يَـحْـكُـمَ الـدِّيـنَ أوثـانٌ وصُـلْبـانُ
يـا لَلرِّجـالِ حُـدودُ اللهِ قـد حُـذِفـتْ | وعِـصْـمَـةُ الـحَـقِّ عـنـدَ الـحَـقِّ بُـهـتـانُ
يـا لَلرِّجـالِ أَلَم يَـطْـرُقْ مَـسـامِـعَـكُـم | صَـوْتُ الأرامِـلِ والأيـتـامِ؛ إذ هَـانـوا
هَـذَا الـيَـتِـيـمُ قَـدْ انْـحَـازَتْ مَـفـاصِـلُهُ | مِـنْ جَـلْبَـةِ الـجُـوعِ وَالـظُّـلَّامُ تَـخْـمَـانُ
يـا لَلرِّجَـالِ بُـيُـوتُ اللهِ قَـدْ هُـدِمَـتْ | وَمَـــالُهَـــا لِلعِـــدَا نَـــهْـــبٌ وَحُـــلوَانُ
يـا لَلرِّجَـالِ دِمَـاءُ الـمُـسْـلِمِـيـنَ غَـدَتْ | هَـدْراً كَـمَـا عَـبَـثْ بِـالـمَـاءِ صِـبْـيَـانُ
فـــلا قِـــصَـــاصٌ وَلا أرْشٌ وَلا قَـــوَدٌ | كَـأَنَّ لَحْـمَ بَـنِـي الإسْـلامِ جُـعْـلانُ
يـا لَلرِّجَـالِ أفِـيـقُـوا مِـنْ سُـبَـاتِـكُـمُ | فَـقَـدْ أحَـاطَ بِـكُـمُ بَـغْـيٌ وَعُـدوَانُ
أخِيفَةَ المَوتِ ظَلَّ العَجْزُ يُقْعِدُكُم | وَلَيـسَ لِلأَجَـلِ الـمَـغْـدُودِ نُـقْـصَـانُ
لا يَحْجُبُ المَوْتَ جُبْنٌ عِندَ مَوقِعِهِ | ولا يُـقَـدِّمُ وَغْـدَ الـمَـوْتِ شُـجْـعَـانُ
يَـا لَلرِّجَـالِ لَقَـدْ ذَلَّتْ حَـفِـيـظَـتُـكُـم | إذا اسْـتـطَـالَـتْ عَـلَى الآسَـادِ حُـمْـلانُ
إنَّ الـسُّـيُـوفَ الـتِـي كَـانَـتْ لِسَـالِفِـكُـم | مَـا ضَـمَّـهـا مَـعَـهُـم رَمْـسٌ وَأَكْـفَـانُ
مَرِيضَـةٌ هِيَ فِي الأَجفانِ؟ أمْ مَرِضَتْ | قُـلُوبُـكُـم؟ أمْ نَـأى عَـنْـهُـنَّ وِجْـدَانُ
بِئْسَ الـسُّـيـوفُ إذا حَلَّتْ عَـوَاتِـقَـكُـم | وَمَـا بِـهَـا لِعَـتِـيـقِ الـمَـجْـدِ أحْـزَانُ
لا تَـحْـجُـبُـوهَـا إنـاثـاً فِـي مَـغَـامِـدِهَـا | فَـإنَّ تِـلْكَ الـيَـمَـانِـيَّـاتِ ذُكْـرَانُ
فَـدَيْـتُـكُـم أوْرِدُوهَـا إنَّـهَـا عَـطِـشَـتْ | إنْ كَـانَ فِـيـكُـم يُلاقِي الرِّيَّ عَـطْـشَـانُ
كَـانَـتْ بَـوَارِقَ فِـي الأخْـطَـارِ سَـاهِـرَةً | وَهَـمُّ أَصْـحَـابِـهَـا فِي الـمَـجْـدِ سَـهْـرَانُ
فَاليَومَ نَامَتْ هُمُومُ القَوْمِ فِي جَدَثٍ | وَسَـاهِـرُ الـبَـرْقِ فِـي الأغْـمَـادِ وَسْـنَـانُ
تَـكَـادُ أنْ تَـتَـلاشَـى مِـنْ تَـحَـرُّقِـهـا | غَيْظاً عَلَى «صَارَ»، أو حُزْناً عَلَى «كَانُوا»
أُورِثْـتُـمُـوهَـا مِـنَ الأوْتَـارِ مُـشْـعَـلَةً | كَـأَنَّـهَـا فِـي دُخَـانِ الـحَـرْبِ نِـيـرَانُ
وَاليَومَ تُغْمَطُ فِيكُمْ وَهِيَ مُغْضَبَةٌ | وَمَـا بِـكُـم لِحُـقُـوقِ الـسَّـيْـفِ غَـضْـبَـانُ
مـا عَـوَّدَتْـهَـا بَـنُـو عَـدْنَـانَ مـا لَقِـيَـتْ | مِـنـكُـم وَلا أَسْـكَـنَـتْـهَـا الـغِـمْـدَ قَـحْـطَـانُ
لا تَـحْـمِـلُوهـا إذا كَـانَـتْ لِزِيـنَـتِـكُـم | إنَّ الـرِّجَـالَ بِـفِـعْـلِ الـسَّـيْـفِ تَـزْدَانُ
فَـلَيْـتَ أَسْـيَـافَـكُـم صَـارَتْ مَـعَـاوِلَكُـم | وَلَيْـتَ خَـيْـلَكُـمُ مَـعْـزٌ وَثِـيـرَانُ

حَتَّامَ طَرْفُ الهُدَى سَهْرَانُ مِنْ قَلَقٍ   فِيكُم، وَطَرْفُ العِدَا فِي الظُّلْمِ سَهْرَانُ
لَيسَتْ بِسُنَّتِكُم مُذْ كَانَ عُنْصُرُكُم   وَإنَّمَا الحَظُّ كَالأزْمَانِ أزْمَانُ
يَا لَلقَبَائِلِ يَا أهْلَ الحِفَاظِ وَمَنْ   أمْجَادُهُم فِي جَبِينِ الدَّهْرِ عُنْوَانُ
شُدُّوا العَزَائِمَ فِي اسْتِدْرَاكِ فَائِتِكُم   إنَّ العَزَائِمَ لِلإدْرَاكِ إقْرَانُ
أهْلَ المَكَارِمِ إنَّ اللهَ أكْرَمَكُم   بِنِعْمَةِ العَدْلِ، إذْ لِلجُورِ بُرْكَانُ
لا تَكْفُرُوا اللهَ فِي نَعْمَاءَ أنعَمَهَا   فَإنَّمَا يَرْبُطُ النَّعْمَاءَ شُكْرَانُ
فَأيْنَ أيْنَ ذِئَابُ الدَّوِّ حَمَّتُهَا   «بَنُو تَمَامٍ» وَمَنْ رَبَّتْهُ «جَعْلانُ»
وَأيْنَ عَنْهَا «الجُنَيْبِيُّونَ» إنَّهُمُ   سَعْدُ العَشِيرَةِ عَلْيَا «مَذْحِجٍ» كَانُوا
غَارَاتُهُم بِرِيَاحِ المَوْتِ عَاصِفَةٌ   وَفَخْرُهُم بِحَمِيدِ الذِّكْرِ يَزْدَانُ
وَأيْنَ «رَاسِبُ» سَيْفُ الأزْدِ إنَّهُمُ   سَارَتْ بِصِيتِهِمُ فِي الأرْضِ رُكْبَانُ
وَأيْنَ أهْلُ الذِّمَارِ «الهُشْمُ» بَحْرُهُمُ   بِالمَجْدِ وَالفَضْلِ فَيَّاضٌ وَمَلآنُ
عَهْدِي لَهُمْ نَجْدَةٌ فِي الحَرْبِ شَاهِرَةٌ   وَمِنْهُمُ لِحُقُوقِ اللهِ أعْوَانُ
وَيَا «لَشَمْسٍ» وَكَبَّاتُ الخَمِيسِ لَكُم   أنْتُم لَهَا يَا أُسُودَ اللهِ أرْكَانُ
أنْتُم سِمَامُ الوَغَى لَبُّوا إمَامَكُمُ   وَعِنْدَكُم مِنْ ثُغُورِ اللهِ «جَعْلانُ»
وَأيْنَ «أوْلادُ عِيسَى» وَالحِفَاظُ لَهُم   نُجْدٌ ضَرَاغِمُ أوَّاهُونَ رُهْبَانُ
صَمِيمُ «كِنْدَةَ» حَيِّ المُلْكِ مِنْ يَمَنٍ   عَهْدِي بِهِم لِلهُدَى حِصْنٌ وَإيوَانُ
شُدُّوا فَدَيْتُكُمُ أنْتُمْ بَوَاسِلُهَا   أم فِيكُمُ لِمُصَابِ الدِّينِ سُلْوَانُ
وَأيْنَ «يَحْمَدُهَا الحِرْثُ» الكِرَامُ فَفِي   عَزَائِمِ القَوْمِ جَنَّاتٌ وَنِيرَانُ
ضَنَائِنُ اللهِ أنْتُم لا يَزَالُ لَكُم   فِي نُصْرَةِ اللهِ صَوْلاتٌ وَسُلطَانُ
يَبْلَى الزَّمَانُ وَلا تَبْلَى مَحَامِدُكُم   مَا دَامَ يُحْمَدُ مِطْعَامٌ وَمِطْعَانُ
إنْ كَانَ «صَالِحُ» طَوْدُ المَجْدِ فَارَقَكُم   فَإنَّ إصْلاحَكُم رَضْوَى وَثَهْلانُ
«عيسى» لَكُم خَلَفٌ صِدْقٌ لِخَيرِ أَبٍ   وَفِي «عَلِيٍّ» أخِيهِ لِلعُلَى شَانُ
صِنْوَانِ يَسْتَبِقَانِ المَجْدَ فِي حَسَبٍ   سَيَّارَةُ الشُّهْبِ فِي جَنْبَيهِ صَوَّانُ
وَفِيكُمُ الأسَدُ الكَرَّارُ فَارِسُ شَرْ   فَاءَ ابْنُ عَمِّهِمَا الكَافِي «سُلَيْمَانُ»

السَّيدُ «ابْنُ حُمَيْدٍ» سَيْفُ سَطْوَتِكُم   وَمَنْ لَهُ فِي بِنَاءِ المَجْدِ أرْكَانُ
بَحْرُ المَكَارِمِ غَوْثُ الخَلْقِ، مَنْ شَمِلَتْ   لِلكَوْنِ مِنْ بِرِّهِ رُحْمَى وَإحْسَانُ
البَاسِلُ البَطَلُ المِغْوَارُ مَنْ شَهِدَتْ   بِطُولِ يُمْنَاهُ آبَاءٌ وَوِلْدَانُ
وَفِيكُمْ مِنْ رِجَالِ المَجْدِ مَنْ خَرِسَتْ   عَنْهُ القَوَافِي، وَلَمْ يَبْلُغْهُ تِبْيَانُ
أيْنَ «المَسَاكِرَةُ» الصِّيدُ الغَطَارِفُ مِنْ   ذَوَائِبِ الأزْدِ حَيْثُ المَجْدُ وَالشَّانُ
فِي ذُرْوَةِ المَجْدِ مِنْ فَهْمٍ إذا انْتَسَبُوا   أَسَاوِدُ المَوْتِ يَومَ الهَوْلِ طُوفَانُ
شُمٌّ إذا حَزَمُوا، نَارٌ إذا عَزَمُوا   شُهْبٌ إذا رَجَمُوا، لِلفَضْلِ هَتَّانُ
كَوَاكِبُ العِزِّ، لا تُرْعَى مَسَارِحُهُم   وَلا تُرَاعُ لَهُمْ بِالضَّيْمِ جِيرَانُ
وَأيْنَ «حَبْسٌ» كِرَامُ الخَيلِ مِنْ قِدَمٍ   وَفِيهُمُ مِنْ عِبَادِ اللهِ «غَسَّانُ»
سُيُوفُهَا وَعَوَالِيهَا وَأسْهُمُهَا   وَهُم إذا افْتَخَرَ الفُرْسَانُ فُرْسَانُ
وَأيْنَ أُسْدُ شَرَاهَا مِنْ «وَهِيبَةَ» أهْلِ   الجَدِّ وَالجُودِ إنْ شَدُّوا وَإنْ لانُوا
وَأيْنَ «عَامِرُ» وَالأحْسَابُ مُشْرِقَةٌ   نَاهِيكَ مِنْ عَامِرٍ وَالأصْلُ «عَيلانُ»
وَأيْنَ هَمْدَانُ مِنْ صِفِّينَ تَعْرِفُهُم   إذْ عَكُّ عَكٌّ وَإذْ هَمْدَانُ هَمْدَانُ
وَأيْنَ قَائِدُهُم لَيْثُ المَعَارِكِ صِمْـ   ـصَامُ المَعَاضِلِ بَدْرُ الفَضْلِ «سُلطَانُ»
وَأيْنَ نَارُ الوَغَى «آلُ المُسَيَّبِ» مِنْ   «قُضَاعَةٍ» وَزَعِيمُ القَوْمِ «زَهْرَانُ»
وَأيْنَ «وَائِلُ» وَالآثَارُ شَاهِدَةٌ   وَمَجْدُ وَائِلَ فِي التَّارِيخِ شُهْبَانُ
وَأيْنَ «مِعْوَلَةٌ»؛ قَبْلَ الرَّسُولِ لَهُم   عَلَى «مَزُونَ» إتَاوَاتٌ وَتِيجَانُ
وَأيْنَ عَنْهَا «ذِئَابُ الخَطْمِ» إنَّ لَهُم   مَنَاقِبٌ لا يُدَانِيهِنَّ إنْسَانُ
وَأيْنَ حُلقُومُ ذَاكَ المُلْكِ، مِعْصَمُهُ   «سَمَائِلٌ»، فَهِيَ لِلسُّلطَانِ سُلطَانُ
وَأيْنَ عَنْ أجْرَبَيْهَا مَنْعُ بَيضَتِهَا   وَالأجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
يَا جَمْرَةَ العُرْبِ يَا عَبْسَ الطِّعَانِ ألا   لا يُطْفِئَنْ جَمْرَكُم بَغْيٌ وعُدوانُ
لا تُشعِلوا الحَربَ إلّا في مَوَاقِدِهَا   حيثُ الجهادُ على البَاغِين مُوْتَانُ
وَيَا بَنِي عَمِّنَا «ذُبْيَانَ» مَجْدُكُمُ   إنَّا وَإيَّاكُمُ فِي المَجْدِ صِنْوَانُ
بِآلِ «حِصْنٍ» وَ«بِالعَمْرَيْنِ» قَدْ فَرَعَتْ   عِزّاً وَنُبلًا؛ جَمِيعُ النَّاسِ غَطْفَانُ

إذا مَدَحْتُ بَنِي ذُبْيَانَ إخْوَتَنا ... أظْهَرتُ شَمْساً لَهَا فِي العَيْنِ بُرْهَانُ

فَيَا لُيُوثَ بَغِيضٍ دَرَّ دَرُّكُمُ ... هَلّا سِبَاقٌ إلى خَيْرٍ وَإزْهَانُ

فُرْسَانَ «دَاحِسَ» وَ«الغَبْرَاءَ» حَسْبُكُمُ ... مِنَ الرِّهَانِ جِهَادٌ فَهُوَ مَيْدَانُ

ذَرُوا الضَّغَائِنَ تَذْرُوهَا الرِّيَاحُ فَمَا ... تَبْقَى عَلَى خَالِصِ الإيمَانِ أضْغَانُ

إنَّ الحُظُوظَ التِي تُرْجَى بِأُلْفَتِكُم ... فِي الدِّينِ، فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ فُرْقَانُ

وَمَا شِفَاءُ حَزَازَاتِ الصُّدُورِ سِوَى ... أنْ يَسْتَبِدَّ بِطِبِّ القَلْبِ إيمَانُ

وأيْنَ «إزْكِي» وَطِيسُ الحَرْبِ؟ ما فَعَلَتْ ... فَإنَّ عُمْدَةَ هَذا الأمْرِ «جَرْنَانُ»

وَأيْنَ «حِمْيَرُ» أهْلُ العِزِّ ما اغْتَتَبُوا ... عَنْ وَغْرِ عِزَّتِهِم يَوماً وَلا هَانُوا

صِيدٌ صَنَادِيدُ أقْيَالٌ عَبَاهِلَةٌ ... أُسْدٌ كَوَاسِرُ فِي الهَيْجَاءِ حُرْدانُ

جَاءَتْ «رِيَامُ» بِمَا أغْلَتْهُ حِمْيَرُ مِنْ ... مَجْدٍ، وَقَامَ عَلَى البُنْيَانِ بُنْيَانُ

وَأيْنَ حِمْيَرُهَا الثَّانِي وَأسْرَتُهُ ... ذَوُو المَعَالِي مُلُوكُ النَّاسِ «نَبْهَانُ»

أبْقَى لَهُ السُّؤدَدَ الأعْلَى كَوَاهِلُهُ ... «مُظَفَّرٌ» وَ«سُلَيْمَانٌ» وَ«كَهْلانُ»

«هُودٌ»، «عَرَارٌ»، «فَلاحٌ»، «مُحْسِنٌ» مَلَكُوا ... فَنَبَّهُوا المُلْكَ حِيناً وَهُوَ نَعْسَانُ

وَكَانَ مِنْ فَرْعِهِم مُلْكُ اليَعَارِبَةِ الـ ... ـصِّيدِ الكِرامِ، وَمَا أدْرَاكَ مَا الشَّانُ

سَلْ سَيْفَ «يَعْرُبَ» عَنْ أخْبَارِ سِيرَتِهِم ... فَمَنْطِقُ السَّيْفِ إعْرَابٌ وَألْحَانُ

وَيَا «بَنِي غَافِرٍ» عَلْيَا قُرَيْشَ لَكُم ... أصْلٌ وَأنْتُم لِذاكَ الأصْلِ أغْصَانُ

قُومُوا إلى اللهِ وَاعْتَدُّوا لِنُصْرَتِهِ ... فَمَوْعِدُ اللهِ جَنَّاتٌ وَغُفْرَانُ

وَأيْنَ أطْوَادُهَا العُلْيَا «بَنُو حَكَمٍ» ... أيْنَ «الذُّهُولُ» سُرَاةُ المَجْدِ «شَيْبَانُ»

وَأيْنَ رَهْطُ «بَنِي سَمْحٍ» فَوَارِسُهَا ... «بَنُو شُكَيْلٍ» وَأيْنَ الأُسْدُ «كَلْبَانُ»

وَأيْنَ قُوَّامُ أمْرِ النَّاسِ قَادَتُهُم ... «بَنُو خَرُوصٍ» حُمَاةُ الدِّينِ مُذْ كَانُوا

وَأيْنَ عَنْهَا لُيُوثُ الغَابِ مِرَّتُهَا ... «بَنُو هَنَاءَةَ» مَا دِينُوا وَكَمْ دَانُوا

أيْنَ «اليَعَاقِيبُ» أرْضَ السِّرِّ مُلْكُهُم ... وَمَنْ مَفَاخِرُهُم لِلفَخْرِ أرْكَانُ

وَأيْنَ أهْلُ الغِنَى فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ ... «بَنُو عَلِيِّ بْنِ سَوْدٍ» أيْنَ «جِدَّانُ»

وأيْنَ يَا «آلَ سَعْدٍ» عَزْمُ نَجْدَتِكُم ... وَأنْتُمُ لِرَسُولِ اللهِ أخْضَانُ

هَلُمَّ يَا «ابْنَ هِلالٍ» قُمْ بِنُصْرَتِهَا   فَالمُسْلِمُونَ بِهَذا الدِّينِ بُنْيَانُ

وَأيْنَ مِنْ «آلِ بَدْرٍ» سَادَةٌ نُجُدٌ   مُبَادِرُونَ إلى الخَيْرَاتِ سُرْعَانُ

أيْنَ «الحَوَاسِنَةُ» النُّجُبُ الكِرَامُ فَمَا   عَهْدِي لَهُمْ فِي كِفَاحِ الحَرْبِ أقْرَانُ

وَأيْنَ عَنْهَا عَوَادِيهَا «بَنُو عُمَرٍ»   فَإنَّ جَانِبَهُم بِالفَخْرِ عُمْرَانُ

وَأيْنَ «ضَنْكُ» وَأقْيَالُ «النُّعَيْمِ» بِهَا   أيْنَ «الصُّلُوفُ» وَطَوْدُ الفَضْلِ «سُلْطَانُ»

وَأيْنَ «كَعْبٌ» وَأيْنَ الحَيُّ مِنْ «قَتَبٍ»   أيْنَ «الظَّوَاهِرُ» وَالفُرْسَانُ «كَهْلانُ»

وَمَا رَجَاءُ «بَنِي يَاسٍ» عَلَى خَطَإٍ   فَإنَّمَا القَوْمُ أعْوَانٌ وَإخْوَانُ

قَوْمٌ عَلَى صَهَوَاتِ الخَيْلِ طِفلُهُمُ   يَرْبُو لَهُ مِنْ دَمِ الأبْطَالِ ألْبَانُ

مَسَاعِرُ الحَرْبِ إنْ تَنْزِلْ لَهُم نَزَلُوا   وَإنْ تُعَاضِلْهُمُ رَكْباً فَرُكْبَانُ

أسْدٌ خُدُورُهُمُ، سُمْرُ الرِّمَاحِ فَإنْ   شَبَّ الهِيَاجُ فَتِلكَ السُّمْرُ شُهْبَانُ

صُعْبٌ شَكَائِمُهُم، سُحْبٌ مَكَارِمُهُم   إنْ حَارَبُوا صَعُبُوا أوْ أكْرَمُوا هَانُوا

لا يَقْتَنُونَ رِيَاشاً فَوْقَ سَابِغَةٍ   كَأنَّهُنَّ إذا أُلْقِينَ غُدْرَانُ

وَغَيْرَ صَفْحَةِ هِنْدِيٍّ مُفَلَّلَةٍ   كَأنَّهَا بِنَفَاثِ المَوْتِ ثُعْبَانُ

وَغَيْرَ أنْيَابِ أغْوَالٍ مُسَنَّنَةٍ   مِنْ عَهْدِ عَادٍ لَهَا ذِكْرٌ وَأسْنَانُ

وَغَيْرَ شُمْسٍ سَرَاحِيبٍ مُفَنَّقَةٍ   كَأنَّهَا فِي قَتَامِ الحَرْبِ غُرْبَانُ

تَعَلَّمَتْ مِنْ مِرَاسِ الحَرْبِ نَجْدَتَهَا   فَهُنَّ تَحْتَ يَدِ الشُّجْعَانِ شُجْعَانُ

كَأنَّهُنَّ أعَاصِيرٌ إذا احْتَدَمَتْ   نَارُ الوَغَى وَهِيَ فِي التَّسْنِينِ ذُؤْبَانُ

تِلْكُمْ حُصُونُ بَنِي يَاسٍ وَمَعْقِلُهُم   لا يُحْصِنُ القَوْمَ أسْوَارٌ وَأفْدَانُ

وَأيْنَ عَنْهَا «بَنُو بَطَّاشَ» أيْنَ هُمُ   مَنْ لِي بِهِم وَهُمُ لِلحَرْبِ أخْدَانُ

عَادَاتُ «طَيِّءٍ» تَخْضِيبُ السُّيوفِ وَإرْ   وَاءُ المُثَقَّفِ، وَهُوَ اليَومَ عَطْشَانُ

طَالَ الرُّقَادُ بِكُمْ هُبُّوا فَدَيْتُكُمُ   فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ وَالسَّيْلُ مِزْعَانُ

أيْنَ العَصَائِبُ مِنْ «قَحْطَانَ» أجْمَعِهَا   وَأيْنَ مَنْ نَتَجَتْ لِلمَجْدِ «عَدْنَانُ»

هُبُّوا لأخْذِ المَعَالِي مِنْ مَرَاقِدِكُم   فَلَيسَ يَسْتَدْرِكُ العَلْيَاءَ نَوْمَانُ

هُبُّوا لِدَاعِي الهُدَى، هُبُّوا لعِزَّتِكُم   وَكَيفَ نَوْمُكُمُ وَالخَصْمُ يَقْظَانُ

جُدُّوا فَدَيْتُكُمُ فِي نَصْرِ دِينِكُمُ ... فَالْيَومَ فِيكُم لِنَصْرِ الدِّينِ إمْكَانُ

كَتَائِبَ اللهِ لا يَخْتَلَّ بَيْضَتُكُم ... خَصْمٌ مَسَاعِيهِ في الإسْلام ثُعْبَانُ

كَتَائِبَ اللهِ ذُودُوا عَنْ حِيَاضِكُمُ ... كَيْ لا يُهَدِّمَهَا بَغْيٌ وَكُفْرَانُ

كَتَائِبَ اللهِ مَا عَيْشُ الذَّلِيلِ لَكُم ... عَيْشٌ، وَلا فِي مَنَايا العِزِّ نُقْصَانُ

كَتَائِبَ اللهِ لَمْ يُعْهَدْ بِكُم خَوَرٌ ... وَلِلجِبَالِ عَلَى الأزْمَاتِ إقْرَانُ

كَتَائِبَ اللهِ حَامُوا عَنْ حَنِيفَتِكُم ... قَدْ لَوَّثَتْهَا خَنَازِيرٌ وَصُلْبَانُ

كَتَائِبَ اللهِ دِينُ اللهِ فِي طَلَقٍ ... وَالمَشْرَفِيَّاتُ فِي الأيْمَانِ طَلقانُ

كَتَائِبَ اللهِ لم تُخْلَقْ نُفُوسُكُمُ ... لِكَيْ يُسَخِّرَهَا ذُلٌّ وَأَهْوَانُ

كَتَائِبَ اللهِ أدْعُوكُم إلى شَرَفٍ ... عُقْبَاهُ - إنْ تَصْدُقِ النِّيَّاتُ - رِضْوَانُ

كَتَائِبَ اللهِ يَومَ الهَوْلِ عِيدُكُمُ ... فَمَا لَكُم لِبَغِيضِ اللهِ عُبْدَانُ

يَا غَارَةَ اللهِ وَالأحْكَامُ مُرْمِلَةٌ ... لَهَا مِنَ الحُزْنِ بِالتَّعْطِيلِ أرْدَانُ

يَا غَارَةَ اللهِ وَالحُرُّ الغَيُورُ لَهُ ... صَدْعٌ وَمَا أَذِنَتْ لِلصَّدْعِ آذانُ

يَا غَارَةَ اللهِ نَخْزَى فِي دِيَانَتِنَا ... أَلَيْسَ عَاراً وَحَامِي الدِّينِ خَزْيَانُ

يَا غَارَةَ اللهِ نَحْيَا كَالبَلِيَّةِ فِي ... عِقَالِ سُوءٍ وَمَا بِالرِّجْلِ عُقْلانُ

يَا غَارَةَ اللهِ كَمْ نَرْضَى مَهَانَتَنَا ... وَالسَّيْفُ يَرْفَعُ أقْوَاماً وَإنْ هَانُوا

أيْنَ العَزَائِمُ؟ أيْنَ النَّخْوَةُ انْتَقَلَت ... أيْنَ الحِفَاظُ؟ وَأيْنَ العِزُّ وَالشَّانُ؟

أيْنَ الشَّكَائِمُ في الإسْلامِ؟ مَا فَعَلَتْ ... أظُنُّهَا مَعَ آبَاءٍ لَنَا بَانُوا

سَلُوا القُبُورَ التي ضَمَّتْ أُصُولَكُمُ ... هَلْ وَاطَنُوا الذُّلَّ؟ أم فِي دِينِهِم هَانُوا

رَبُّوا لَكُم بِالظُّبَا وَالسُّمْرِ مِلَّتَكُم ... وَأنْتُمُ الآنَ تُجَّارٌ وَرُهْبَانُ

تَرَكْتُمُ سُنَّةَ الأسْلافِ مُطْرِقَةً ... وَلا يُؤَنِّبُ بِالإطْرَاقِ خَجْلانُ

تَمْشُونَ هَوْناً كَأنَّ الزُّهْدَ أثْقَلَكُم ... وَأنْتُمْ بِهَوَانِ النَّفْسِ ثُقْلانُ

أَمَا يُحَرِّكُكُم إنْ قَالَ نَاصِحُكُم : ... الأصْلُ كَاسٍ وَفَرْعُ الأصْلِ عُرْيَانُ

أَقُولُ لِلبَعْضِ مِنْكُم، وَهُوَ عَنْ أَسَفٍ ... وَالحُرُّ يَأْسَفُ لِلأحْرَارِ إنْ شَانُوا

قَدْ كُنْتَ نُخْبَةَ هذا الأمْرِ مِنْ قِدَمٍ ... وَاليَوْمَ أنْتَ عَلَى الأبْوابِ ذُبَّانُ

مَاذا تَقُولُ إذا كُنتَ ابنَ بَجدَتِها ... وَالأصلُ مَعرِفةٌ وَالفِعلُ نُكرانُ
طَالِعْ صَحِيفَةَ مَجدٍ أنتَ وَارِثُهُ ... إنْ كَانَ فِيهَا مَجِيدُ القَوْمِ خَوَّانُ
إذا تَنكَّرتَ للإسلامِ عَنْ حَسَدٍ ... فاسْألْ أبَاكَ وَلِيَّ اللهِ: مَا الشَّانُ؟
يُخبِرْكَ أنَّكَ قَدْ فَارَقْتَ خِطَّتَهُ ... وَأنَّهُ لِلذِي فَارَقْتَ خَسْرَانُ
أبَعدَ شَيبِكَ فِي الإسلامِ تَفعَلُها؟ ... يَبكِي الخَلِيلُ لَهَا وَالحَبرُ شَاذَانُ
أحسِنْ عَزَاءَكَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَمَلٍ ... وَأنتَ لِلطَّمَعِ المَرذُولِ نَجرَانُ
أينَ السَّوَابِقُ يا قَمقَامَهَا طُوِيَتْ ... أعَاذَكَ اللهُ طَاوِيهِنَّ شَيطَانُ
أسَاءَكَ العَدْلُ إذْ قَامَتْ بِهِ فِئةٌ ... لَهَا مَعَ اللهِ أقْدَارٌ وَأوزَانُ
ألا تَكُونُ لَهَا قُطْباً تَدُورُ بِهِ ... هَلْ أنتَ عَنْ قُطبِهَا المَعهُودِ غَفْلانُ
أظُنُّ عَهدَ الشَّهِيدَينِ اللذَيْنِ هُمَا ... يَستَنصِرَانِكَ قَدْ أغفَاهُ نِسيَانُ
أبَعدَ أخبَارِكَ الأبرَارِ تَنسِفُهَا؟ ... وَأنتَ فِي بَحرِهَا دُرٌّ وَمَرجَانُ
بَنَيتَ قُبَّةَ إيمَانٍ وَتَهدِمُهَا ... للهِ! هَلْ بَعدَ هَذا الهَدْمِ بُنيَانُ
نَظَرتَ «أحمَدَ» حَتَّى حَلَّ مَسكَنَهُ ... فِي الخُلْدِ مِنْ حَوْلِهِ حُورٌ وَوِلْدانُ
وَصَارَ عِندَ أبِيهِ فِي حَظَائرِ قُدْ ... سِ اللهِ، حَظُّهُمَا فَوزٌ وَرِضْوَانُ
عَدَوْتَ تَنقُضُهَا مَثنَى وَوَاحِدَةً ... وَكُلُّكُم فِي مَقامِ الفَضلِ صِنْوَانُ
وَقُلْتَ: شَأنُكَ مِنْ بَابِ السِّيَاسَةِ فِي ... دَفعِ الأجَانِبِ، لا بَغيٌ وَعُدْوَانُ
تَسُوسُهَا أنتَ؟ وَالإيمَانُ يَترُكُهَا ... مَا قَامَ - عَمرُكَ - فِي دَعوَاكَ بُرهَانُ
سِيَاسَةُ اللهِ فِي القُرآنِ كَافِيَةٌ ... وَمَا يَزِيدُ عَلَى القُرآنِ نُقصَانُ
فَارجِعْ إلى اللهِ وَانظُرْ فِي سِيَاسَتِهِ ... فَأنتَ مِنْ مَشرَبِ القُرآنِ رَيَّانُ
مَاذا رَأيتَ أبَاكَ الطُّهرَ يَصنَعُ فِي ... سِيَاسَةِ الدِّينِ لَمَّا قَامَ «عَزَّانُ»؟
أنتَ الشَّهِيدُ عَلَى إشرَاقِ سِيرَتِهِ ... وَلِلبَصَائرِ بِالمَشهُودِ إيقَانُ
أفِي إمَامَةِ حَقٍّ بَعدَ مَا ثَبَتَتْ ... بِحَقِّهَا؛ أنتَ - يَا ذا اللُّبِّ - حَيرَانُ؟
لا عُذرَ، لا عُذرَ. فِيهَا حُجَّةٌ قَطَعَتْ ... عُذرَ الخِلافِ، لَهَا فِي الدِّينِ تِبيَانُ
فَمَا انحِرَافُكَ عَنهَا بَعدَ مَا وَجَبَتْ ... إلّا خُرُوجٌ عَلَيهَا وَهُوَ عِصيَانُ

أَبَعْدَ سِتِّينَ عَاماً! عِشْتَ تُنْفِقُهَا   لِلهِ وَالحَمْدِ؛ آنْتَ اليَوْمَ خُسْرَانُ

فَاتْبَعْ إِمَامَكَ وَالْزَمْ غَرْزَ سِيرَتِهِ   وَدَعْ هَوَى النَّفْسِ، إِنَّ النَّفْسَ شَيْطَانُ

وَصُنْ بَقِيَّةَ هَذا العُمْرِ فِي كَيَسٍ   فَإِنَّ دَهْرَكَ ـ لَوْ فَكَّرْتَ ـ كَيْسَانُ

فَارَقْتَ عِزَّتَكَ العَلْيَا إِلى طَمَعٍ   حَتَّى لَقَدْ قَالَ أَهْلُ السُّوءِ: سَاسَانُ

لِلمُسْلِمِينَ ظُنُونٌ فِيكَ عَالِيَةٌ   يَا ابْنَ المَعَالِي، وَهُنَّ اليَومَ خَيْلانُ

كُنْتَ السَّفِينَةَ لِلإِسْلامِ تَحْمِلُهُ   ثُمَّ انْكَفَأْتَ بِهِ وَالغَيُّ طُوفَانُ

كُنْتَ المُرَزَّءَ لِلإِسْلامِ تَكْلَؤُهُ   وَاليَوْمَ، مِنْ كُثْرِ مَا يَشْكُوكَ، ضَجْرَانُ

فَافْتَحْ، فَدَيْتُكَ، عَيْنَي جُؤْذَرٍ يَقِظٍ   فَإِنَّ كَاتِبَ مَا تُمْلِيهِ يَقْظَانُ

بِيضُ العَمَائِمِ لا تُجْدِي إذا انْكَدَرَتْ   بِيضُ القُلُوبِ، وَلِلإِيمَانِ عُنْوَانُ

طَهِّرْ ثِيَابَكَ وَاغْسِلْ رَاحَتَيْكَ فَهَا   تِيكَ المَطَامِعُ أَوْسَاخٌ وَأَدْرَانُ

وَاحْمَدْ نَصِيحَةَ حُرٍّ لا يُرِيدُ بِهَا   ذَمّاً، وَفِيكَ لِطَوْدِ الحَمْدِ أَرْكَانُ

إِنْ تَعْرِفِ الصِّدْقَ فِي نُصْحِي فَقَدْ سَبَقَتْ   عُهُودُ صِدْقٍ وَإِخْلاصٌ وَإِحْسَانُ

لَيْسَ الخَلِيلُ المُدَاجِي عِنْدَ شَائِنَةٍ   إِنَّ المُدَاجِيَ فِي العَوْرَاءِ فَتَّانُ

لَكِنَّهُ مَنْ رَأَى عَيْباً وَحَقَّقَهُ   أَهْدَاكَ عَيْبَكَ غَيْظاً وَهْوَ لَهْفَانُ

أُرِيكَ مِنْ أَسَفِي خَصْماً تُبَاعِدُهُ   وَالقَلْبُ مِنْ حُبِّكَ المَكْنُونِ وَلْهَانُ

خُذْ مِنْ مَضَائِقِ أَقْوَالِي نَصَائِحَهَا   وَفِي ضَمِيرِي لَكُم بِالحُبِّ مَيْدَانُ

يَا قَوْمِ أَهْلَ عُمَانٍ كَم تَخَالُفُكُم   إِنَّ التَّفَرُّقَ لا يَرْضَاهُ إِيمَانُ

أَطُولَ دَهْرِكُمُ خَوْفٌ، مُدَاهَنَةٌ   مَطَامِعٌ، حَسَدٌ، بَأْوَاءُ، خُذلانُ

أَهَذِهِ شُعَبُ الإِيمَانِ عِنْدَكُمُ   أَهَكَذا سُنَّةٌ قَالَتْ وَقُرْآنٌ؟

ما ذا الشِّقَاقُ الذي يَفْرِي جُنُوبَكُمُ   وَالمُؤْمِنُونَ بِذَاتِ الدِّينِ إِخْوَانُ

أَطْلَقتُمُ السَّيْفَ فِي أَفْرَادِ مِلَّتِكُم   وَقَيَّدَتْهُ عَنِ الأَعْدَاءِ أَجْفَانُ

هَبْ أَنَّ أَسْيَافَكُم غَرْثَى بِهَا قَرَمٌ   فَفِي لُحُومِ العِدَا يَعْتَاشُ غَرْثَانُ

هَانَتْ عَلَيْكُم تُرَاثُ الكُفْرِ وَاشْتَعَلَتْ   فِيكُم عَلَى بَعْضِكُم لِلبَغْضِ أَضْغَانُ

وَأُلْفَةُ الدِّينِ قُرْبَى لَمْ يَكُنْ مَعَهَا   أَعْلَى وَأَدْنَى وَأَحْزَابٌ وَأَدْيَانُ

يا قَومِ هَذا إمَامُ الدِّينِ بَيْنَكُمُ ... مَقصُودُهُ الحَقُّ، لا مُلْكٌ وَسُلْطَانُ

يَدْعُو إلى اللهِ قَوَّاماً بِمِلَّتِهِ ... لَهُ حُسَامَانِ: إقْسَاطٌ وَإحْسَانُ

يا قَومِ طَاعَتُهُ فِي مِصْرِكُم وَجَبَتْ ... فَرْضاً عَلَيْكُم وَمَا فِي الدِّينِ إدْهَانُ

يا قَومِ لا تُدْبِرُوا عَنْهُ فَإنَّ لَكُم ... رَباً يُحَاسِبُ وَالإدْبَارُ عِصْيَانُ

يا قَومِ إنْ تُدْبِروا يَغْضَبْ إلَهُكُمُ ... فَأيْنَ مَلْجَؤُكُم وَاللهُ غَضْبَانُ

إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُم فَلا تَهِنُوا ... فَالكُفْرُ فِي المَقْتِ وَالإسْلامُ رِضْوَانُ

إنَّ الإمَامَ يَمِينُ اللهِ بَيْنَكُمُ ... فَبَايِعُوهُ وَإلّا حَلَّ خُسْرَانُ

قَامَتْ عَلَيْكُم بِحُكْمِ اللهِ حُجَّتُهُ ... إنْ كَانَ فِيكُم لِحُكْمِ اللهِ إذْعَانُ

إنْ تَتْبَعُوهُ فَعَيْنُ الرُّشْدِ خِطَّتكُم ... أو تُعْرِضُوا عَنْهُ فالإعْرَاضُ طُغْيَانُ

فَرَاقِبُوا اللهَ فِيهِ إنَّ حُجَّتَهُ ... قَدْ قَامَ فِيهَا بِحُكْمِ اللهِ بُرْهَانُ

تِلْكُم وَصِيَّةُ حَسَّانٍ لَكُم ثَبَتَتْ ... فَإنَّنِي اليَومَ لِلإسْلام حَسَّانُ

لا يَصْدُقُ الدِّينَ إلّا مَنْ يُنَاصِحُهُ ... وَلا يَتِمُّ بِغَيْرِ النُّصْحِ إيمَانُ

فإنْ تَمَكَّنَ نُصْحِي مِنْ بَصَائِرِكُم ... بَدَا لَكُمْ مِنْ ضِيَاءِ الحَقِّ فُرْقَانُ

شَرْحُ النُّونِيَّة(*)

(الفَتحُ والرّضْوان في السَّيفِ والإيمان)

(*) وردت النونيّة، في الأصل المُعتمد، بعنوان: «يا للرّجال» ـ موشى بعنوان فرعي: «وقد مَدَحَ بها إمام المُسلمين سالم بن راشد الخروصي رحمه الله»، لكننا آثرنا إعادة تقديمها بالعُنوان الذي اشتهرت به مُزنَّراً بين قوسين بعنوانها الأصلي: (الفتح والرضوان في السيف والإيمان)، الذي لا يقلُّ عنه شيوعاً وذيوعاً. وكلاهما عُنوان عُرفت به القصيدة المَكتوبة لاستنهاض القبائل العُمانية لنبذ خلافاتها نُصْرَةً للإمام سالم بن راشد الخروصي (١٨٨٤ ـ ١٩١٩م) الذي بُويع في ١٩١٣م، إثر انقطاع الإمامة نحو أربعين سنة إثر مقتل الإمام عَزّان بن قيس (١٨٣٦ ـ ١٨٧١م) الذي لم تدم إمامته طويلًا. وقد أُرْسِلَتْ القصِيدَة البَيّان؛ المانيفِسْتو Manifesto مِنْ جزيرة زنجبار، ولاقت صَدى مُنقطع النظير بين العُمانيين آنذاك، لا سيّما أن الشاعر تعمّد فيها مخاطبة كل قبيلة باسمها مُشيداً بمناقبها، ولم يُفوِّت تسْمِية الأخيار والحُكماء والأشدّاء من زُعَمَاء ومشايخ تلك القبائل استنهاضاً لهم كي يقفوا في صَفِّ الإمام الذي بُويعَ بعد فترة طويلة من الفوضى وشيوع الظلم والفساد وعدم الاستقرار السياسي. والقصيدة التي ما زالت حتى اليوم تحظى بمكانةٍ قلّ لها نظير كوثيقة إثنوغرافِيّة ـ إلى جانب أهميتها التاريخية والوجدانيّة ـ تؤرِّخ لمُعظم القبائل العمانية وأصولها العربية التي تحدَّرت منها، كما أنها مثال شعريٌّ فريد للوثيقة الطُبُوغْرَافية والجُغْرَافية والمناخية لعُمان بمُدُنها وقُراها ووديانها وسُوحِها وجبالها وأنوائها في توثيقها المَسْكُوب شعراً رفيع الطراز في لغته التي تتبَّعُ الرُّبوع والنجوع بيتاً بيتاً في رحلةِ قافلةِ المُبايعة السّريّة؛ تلك التي امتدت من المنطقة الشرقية حتى المنطقة الداخلية، فيما بدا اقتفاءً واقعياً في مَجَازه ومَجَازياً في واقعيّته لرحلة الشيخ نور الدين السالمي لمبايعة الإمام سالم بن راشد الخروصي في بلدة تنوف الواقعة على سفوح الجبل الأخضر، لكنّ مرامي القصيدة ومسار الرّحلة ـ التّعِلّة لاجتراح كتابتها أكثرُ اتساعاً وأبعد قصداً مِنْ تتبع الرّحلة ـ المفتاح لانطوائها على طبقات مُتعددة من رحلاتٍ مُماثلة أوجَبَها النداءُ الرُّوحي المُضْمَر في طبقات خطابها الاستنهاضي بثرائها الدّلالي الذي لا تني طبقاته في الإفصاح عن مضمونه بالدعوة المُباشِرة لكافة القبائل كي تقوم بذات الرّحْلة ـ النموذج لمُبايعة الإمام ونُصْرته. ثمة أبيات في النونية شرحها مراجع الكتاب ومدقّقه، والإشارة إليها موضحة في حواشي تلك الأبيات.

تــلــكَ الــبَــوَارِقُ حَــادِيــهــنَّ مِــرْنــانُ فَــمَـا لِطَرْفِكَ يـا ذا الـشَّـجْـو وَسْـنـانُ[1]

شَـقَّـتْ صَـوارِمُـهـا الأَرْجَـاءَ وَاهْـتـزَعَـتْ تُـزْجِـي خَـمِـيـسـاً لَهُ فـي الـجَـوِّ مَـيْـدَانُ[2]

---

(١) احتار اللغويون والنُّحاةُ في مَطلع النونيّة. فما ظُنَّ أنه خطأ لغويٌّ أوقع الشاعرُ مَطلعَ قصيدته فيه برفعه لـ(وَسْنان) رغم وُجوبِ نَصْبها، ظاهريّاً، على الحال ـ لم يكُن كما ذهبت ظنون تلك الحيرة التي كانت بواعثها الاستكانة إلى سلامة المطلع؛ لأنَّ شاعراً عَلّامَةً كأبي مُسْلم ما كان لِيُوقِعَ نَفسَهُ في خطأ إعرابيٍّ يُصيب مُقلة قصيدته الخالدة في مَقتل؛ بل تعمد إصابة مطلعها بسهم الظنون ضنّاً بفرادة فريدته من أن تتساوى وفرائد السابقين من الشعراء، ناهيك عن توظيفه غير المُباشر لسَهم «خطأ القاتل» سُموّاً وتسامُقاً بمطلعها المِرنان. فلـ«وسنان» محلٌّ إعرابيٌّ آخر هو الرَّفع كونها خبراً لمُبتدأ محذوف. لذا تسهلُ قراءة البيت، فيما لو نُظِرَ إليه بعين خلوده: فما لطرفكَ يا ذا الشجو ـ أهو وَسْنان؟.. وهو تساؤلٌ استنكاريٌّ مُضمَرٌ لإيقاظ النائم كي يصحو من نومه على حدث عظيم هو قيام الإمامة المُعَبَّر عنه بالبوارقِ وحَادِيهِنَّ المِرنان/ مُعادِلِ الحَدَث المَوْضُوعِي في إشراقة المطلع الفارق تعبيراً عن حدث مُفارِق. فـ«الوسنانُ المُخاطَب» هو كُلُّ من لم يبلغه الخبر بعد. وأيضاً، هو الشاعر مُخاطِباً ومُعاتباً ذاته بحُكم تواجده في زنجبار لحظة قيام الإمام الخروصي بثورة ١٩١٣م. واختياره رفع وسنان [خبر المبتدأ المحذوف] حتَّمَته فِطنة الشاعر الذي ارتأى ضرورة تصعيد نبر الحدث الجَلَل بعودةِ إمامة العدل، فضلاً عن مزلق الحيرة النحويِّ المُفارق ذاك؛ إسهاماً مُضافاً إلى البلبلة التي أثارها عُنفوان الحدث. لذلك خالف أبو مُسلم المَشهور والمتواتر في الإعراب، فيما تقصَّدَ عن وَعْي فنيٍّ لعبتهُ التي سارت بها الرُّكبانُ كما سارت بقصيدته. ومن أشهر من خالف أبا مُسلم، آنذاك، شيخ البيان الشاعر ابن شيخان، وقد كتب الشيخُ سالم بن سليمان البهلاني ـ تلميذ أبي مُسلم وابن أخيه ـ ردًّا على ابن شيخان دَعاهُ: (الحُجّة والبُرهان في الرَّد على ابن شيخان) انتصر فيه لشيخه وعمّه أبي مُسلم. وعلاوة على ذلك الجدل الذي دار بين المشايخ والفقهاء في عُمان وزنجبار حول مُعضلة المَطلع النحويّة، فإنَّ لأبي مُسلم حُجَّةً في القرآن الكريم: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [سُورة المُدَّثر]، التي نُصبت فيها مُعْرِضِين، رغمَ أن مَقامَها الرَّفعُ في السِّياقات النحويَّة السَّائدة.

(٢) البوارق: لها خمسة معان، هي على التوالي: ١ ـ البرق في السماء. ٢ ـ هطول المطر المُصاحب بالبرق. ٣ ـ لمعان السيف. ٤ ـ شروق الصُّبح. ٥ ـ انفراج أسارير الوجه، وكافة معانيها مُكتنزة في بيت المطلع || الحادي: هو من يسوق الإبل بالحُداء حثاً كي تسرع في مشيها || مِرْنان: صيغة مُبالغة من رَنين، تكرار الحادي لترنمه بأغنيته || الطرف: العين وحركة الجفن || الشجو: الهَمّ والشوق وتهييج الحزن || وسنان: آخِذٌ في النعاس، وهو بداية مراحل النوم || الصَّوارم: جمع صارم، وهو السَّيف البتار || الأرجاء: الأماكن والنواحي || اهتزعت: أسرعت، واهتزع السيف: اهتزّ || تُزجي: تسوق وتدفع || الخميس: الجيش الجرّار، وسُمِّيَ كذلك لأنه مكوَّن من خمس فِرَق، هي: المقدِّمة، القلب، المَيمَنة، المَيسَرَة والسّاق؛ أي مؤخرته. معنى بيتي المطلع: مَطْلع النونيّة مشحونٌ بجماليات مطالع الشعر العربي ومُتفرِّد عنها بموضوعته المُستقلة عن مألوف إنشاد المطالع؛ فالحادي المِرنان هو حادي السُّحُب المُترنم بمطرها؛ لا حادي قوافل الإبل في المفازات. أما تصويته المُستحِث=

تَبَجَّسَتْ بِهَزِيمِ الوَدْقِ مُنْبَعِقاً ... حتى تَساوتْ بِهِ أُكْمٌ وَقِيعَانُ
سَقَى الشَّوَاجِنَ مِنْ «رَضْوَى» وَغَصَّ بِهِ ... «سِرٌّ» و«جَوْفٌ» وَغَصَّت مِنهُ «جَرْنانُ»[1]

=لإسراع حركتها إنما هو صَوتُ الرَّعد (وهو أحد مكونات البوارق)؛ فكأنما السُّحُبُ إبلٌ مُتخيلة: رُعودها حُداتها التي تسوقها. ودَمْجُهُ في صيغة الخطاب بين الذات والآخر تفخيم وإجلالٌ للخطب يتمظهر في الشطر الثاني بما انطوى عليه من مفارقة الطرْف الناعس: نقيض البوارق وعنفوانها الطافح في صدر البيت، ليأتي عَجُز البيت بصيغة تساؤل استنكاري: رغم الحدث الجلل ـ يُحيِّرني أيها المشتاق المتأجج بحزنه سِرُّ نعاسِ طرفك: أهو وسنان؟.. تغفو وثورةُ الإمام عمَّت أرجاء البلاد؟..

وللمطلع تتمَّته الشارحة لمعناه في البيت الثاني؛ حيث سيوف البَوارق التي شقت كافة الأنحاء باهتزازها (وهي تدفع جيش السُّحُب المُكتمل بفرقه الخمس) في ميدان معركة تعالت في الأجواء، خلافاً لميادين الحروب التقليدية. وقد أشرنا إلى أنه استخدم مُفردة البوارق مُكثفةً بكافة مَعانيها؛ فهي البرق ذاته، والسحابة الماطرة، وهي السُّيوف تهتز وتتقدم مُسرعة في حثها لجيش من السُّحب ميدانه الأجواء، وهي شروق الصباح وانفراج أسارير الوجوه، وجميعها ترميز بالغ الثراء في إيحائه النُّبوئي بدلالات القيامة التي زفَّتْ بُشرى الحَدَث المُبارَك: عودة الإمامة بعد طول انقطاع بإمام عادل.

(١) تبجَّس: تفجَّرَ || الهزيم: من أنواع الغيث، وتعني أيضاً صوت الرَّعد || الوَدْق: المطر، كثيفه وقليله || مُنبَعِق: نزول المطر فجأة وبشدة، كما لو انشقت عنه السماء || أكم: جمع أكَمَة؛ وهي التلال والأماكن المرتفعة وما دون الجبال، أي الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله، والجمع أكَمٌ وأُكُمٌ وأُكْمٌ وإكامٌ وآكامٌ [جمعها البعضُ أكَم وفي ذلك انكسار للبيت، فبحثت عنها في اللسان لأجد جمعاً لها غير مَطروقٍ في سِواه من المَعاجم: أُكْمٌ، وهي التي قصدها الشاعر] || قيعان: ما انخفض من الأرض || الشواجن: جمع شاجن؛ وهو الوادي الكثير الشجر، وهي الشِّعاب المتفرعة من الوادي الرَّئيس || رضوى: اسمٌ من أسماء الجبل الأخضر || غصَّ: امتلأ، وغصَّ بالماء غصاً؛ وقف في حلقه || سِرّ: قصد بها أرض السرّ؛ وهي منطقة «الظاهرة» التي سُمِّيت بهذا الاسم البديع لوقوعها خلف سلسلة جبال الحَجر الغربيّ من عُمان || الجَوف: المنطقة الداخلية من عُمان، وعاصمتها «نزوى» || جرنان: الاسم القديم لولاية «إزكي» بحَارَتَيْهَا العَريقتين: «يمن» و«نزار».

ملحوظة حول جرنان: في الدارجة العُمانية؛ جرنان تعني المرجل الذي يغلي بما فيه لشدة الحرارة، وفي ذلك إشارة إلى أن مُعظم الفتن في عُمان أصلها ومُنطلقها من إزكي التي عاشت= =طوال تاريخها صراعاً لم يهدأ قط بين يمنها ونزارها، ذلك الصراع الذي طبع الشخصية العامة لأهلها بطابع التوجُّس والحذر والتكتُّم، ناهيك عن مناخها الحار المؤيد لهذه التسمية، فصَيف إزكي جحيم لا يُطاقُ لشدة حَرِّه، وشتاؤها قارص جاف لا يشبهه مناخ آخر في عُمان. وإلحاح الشاعر على اسم جرنان تذكير بحالها وحال أهلها المُقتتلين دوماً، في تلخيص لعموم أهل عُمان. وقد أطلق الشاعر على إزكي لقب وطيس الحرب، لأنها مُبتدأ الفِتن والحروب؛ فموقعها على مفترق الطرق، بالإضافة إلى التوليفة القبليّة المُتنافرة التي تقطنها؛ جعلتها تستحقُّ لقب «جرنان» بامتياز. [الملحوظة الأخيرة حول جرنان وضعها مُراجع الكِتاب ومُدقِّقه]. =

وَجَلَّلَ السَّهْلَ وَالأَوْعَارَ مُعْتَمِداً رُبُوعَ ما ضَمَّ «عِنْدَامٌ» وَ«جَعْلانُ»

وَرَاثَ يَنْضَحُ لِـ«الجَرْداءِ» سَاحَتَهَا وَطَمَّ ما رَدَّ «صَفْنَانٌ» و«صَخْنَانُ»[1]

يُرِيقُ فِي الجَوِّ مِنْهُ رَيِّقٌ هَطِلٌ فِي لُوحِهِ مِنْ سَنَاءِ البَرْقِ أَلْوَانُ[2]

= معنى البيتين: يأتي البيت الثالث مُتمِّماً لحدث البوارق السَّماوي واصفاً آثاره على الأرض. فبعد أن حركت جُيوش السُّحب فيالقها في ميدانها الجوّي؛ كانت النتيجة ذلك التتالي الصَّافي لمفردات صدر البيت: (تبجَّست بهزيم الودق منبعقاً) تعبيراً عن كثافة المطر وشدة هطله الذي غمر الأرض حتى تساوت قيعانها بتلالها، ولم يعد التفريق مُمكناً بين أكمة وقاع؛ بعد أن سقت مياه الأمطار المُبتهجة بالحدث وديانَ الجبل الأخضر حتى غصَّت بمياه شعابه أرضُ السِّرِّ والجَوف [الظاهرة والداخلية، على التوالي]، ناهيك عن جرنان. وأبيات مطلع النونيّة الأربعة بَدْءاً باستهلالها الفارع: تلك البوارق؛ ومعركتها السَّماويّة وقد تمخضت عن مطر عميم عَمَّ كافة أنحاء البلاد. وهو تعبير ذكيّ كُنّيَ به عن عودة العدل والرخاء والنعمة على أهل البلاد جميعاً بُعَيد تنصيب الإمام سالم بن راشد الخروصي الذي بويع إماماً بعد أزمنة طويلة من القحط والبؤس وزوال نعمة العدل والأمن والرخاء.

(١) جلَّلَ: عَمّ؛ وثمة تخصيص للمَطر في مَعنى التَّعميم || السَّهل: المُنبسِط من الأرض || الأوعار: الصَّلب منها || ربوع: جمع رَبْع، وهو الحَيّ والدار وما حول الدار والموضع يُنزَلُ فيه || عندام: واد يهبط من سلسلة جبال العَقّ مروراً بـ سَناو والمضيبي ونواحيها ليصب في بحر العرب قرب مُحُوت || جَعلان: ولاية في المنطقة الشرقية، ويقصد كافة أودية المنطقة الشرقية التي تصل حتى جعلان لتصب في بحر العرب || راث: أبطأ || ينضح: يرشّ بالماء || طَمَّ: عَمّ || الجرداء: مُنفسحٌ بعد وادي العَقّ، وهو بداية المنطقة الشرقية من عُمان، ويفصلها عن المنطقة الداخلية والعاصمة مسقط ومنطقة الباطنة || صَفنان وصخنان: موردا ماء؛ أولهما في وادي البطحاء قرب سَناو، والثاني في سمائل. معنى البيتين: وكما غصَّت منطقة الظاهرة والداخلية بالسيول؛ فقد عَمَّت تلك البُشرى الخصيبة جنوباً حتى منفسح الرمال وبحر العرب بكافة ما ضمه وادي عندام من بلدان وسكان وصولاً حتى ربوع جعلان في أطراف المنطقة الشرقية، ورغم إبطاء المطر في رشِّه لمنطقة الجرداء، لكنه عَمَّ موارد المياه العذبة التي يؤمها الناس في أزمنة المحْل، كصفنان وصخنان التي لم يعد الناس في حاجة للسقاية منهما.

(٢) يُريق: يصبّ || ريِّق: أول المطر ومقدَّمه || هَطِل: المطر تتابع سقوطه وانصبابه || اللُّوح: الهواء بين السَّماء والأرض || سَناء: أتت بمعنى العُلوُّ والارتفاع، وأيضاً بمعنى الضوء [نعتقد بخطأ بعض الشرّاح في تأويل هذا البيت؛ والسَّبب هو ورود: (لَوْحَةِ/لَوْحِهِ)، لكن أبا مُسلم، بدقة الرَّسام الفطري في دواخله، كان أبعد في القصد من تأويل الشرّاح الذين اعتقدوا أنه قصد: (لوحة انطباعية)، والعكس صحيح، فقد قصد بمُفردةِ «لُوحِهِ»: جدار الهواء المرفوع بين السماء والأرض]. المعنى: وهو مطر يصبُّ منه ريِّقه المُفتتِح لهطوله في الجوّ، ولأنه مطرٌ يتناوبُ الشدة والكثافة في الهواءِ العالي يبدو للناظر إليه من شدة علو تأثيره في الأفق ألواناً متغيرة تباعاً؛ أي أنَّ انصباب المطر المتتابع في اللُّوح [الهواء]؛ هو لوحته الطبيعيّة التي ترسم ألوانها بروق في الأعالي.

إنْ هَيَّجَ البَرْقُ ذا شَجْوٍ فَقدْ سَهَرَتْ عَيْنِي وَشبَّتْ لِشَجْوِ النَّفْسِ نِيرَانُ

وَصَيَّرَ البَرْقُ جَفنِي مِنْ سَحَائِبِهِ يا بَرْقُ: حَسْبُكَ، ما في الأرْضِ ظَمْآنُ[1]

إنِّي أَشُحُّ بِدَمْعِي أَنْ يَسُحَّ على أَرْضٍ وَمَا هِيَ لِي، يا بَرْقُ، أَوْطَانُ[2]

هَبْكَ اسْتطَرْتَ فُؤادِي فَاستَطِرْ رَمَقِي إلى مَعَاهِدَ لِي فِيهِنَّ أَشْجَانُ[3]

تِلكَ المَعَاهِدُ ما عَهْدِي بِهَا انْتَقَلَتْ وَهُنَّ وَسْطَ ضَمِيري، الآنَ، سُكَّانُ[4]

---

(١) معنى البيتين: وإن هيَّج البرق ذا حُزن وشوق مثلي لأرضه البعيدة، فإن عيني سهرت وشبّت لحُزن النفس وهَمّها نيرانٌ لا تقارن بتهييج البروق لذي حزن وشوق، وهو يفرّقُ، هنا، بين المعنى العام لمفردة شجو الواردة في صدر البيت وبين تخصيصه في الشطر الثاني: شجو النفس لينسلخ المشهد السينمائي من لقطته الافتتاحية في معاهد التذكار عودة به إلى زنجبار المَطِيرَة حيث استمرأ البرقُ اللعبة لدرجة أنه أحال جفن الشاعر سَحابة من سحائبه، لكنه يمعن في لومه مطالباً إياه بالكفِّ عن شجنه وسهره الدائم في أرض ريّانةٍ مشبعة بالأمطار، ليجيبُ الشاعر مُفسّراً (لبَرق زنجبار) سبب هطول مطر/ مدامع عينيه أن يتوقف عن لومه الضمني للشاعر الذي يعرف أن زنجبار ليست عطشى، لكنَّ سبب هطول مدامعه في الحقيقة حنينه ليرى البرق وهو يحيي موات أرضه الحقيقية.

(٢) أشحُّ: أبخل || يسُحّ: يسيل؛ وسَحَّ الدمعُ والمطر والماءُ سالَ وتعني شدة انصبابه، وقصد الشاعر المفردة بمعنيها دمعاً ومطراً. المعنى: لومه في البيت السابق لبرقِ زنجبار، له ما يُبرّره: فهو يبخلُ بدمعه/ مطره الهطال من سحابة جفنه أن ينصبَّ ويسيل على أرضٍ لم ولن تكون وطناً له. واستخدامه لصيغة الجمع: أوطان، ليست مبالغة أو لضرورة إيقاعية، بل تأكيد مقصود على وطنه الواحد (في زمن كانت فيه زنجبار وطناً لمن استوطنها من العُمانيين)، وإن اختلفت ألوان الرّايات المرفرفة في مسقط أو زنجبار، فعاصمة وطنه الحقيقية هي راية الإمامة البيضاء في نزوى.

(٣) هَبْ: فعل أمر مِن وَهَبَ. يقال: «هَبْني فَعلتُ»، أي احْسَبْني فعلت || استطِرْ: الاسْتِطارَةُ والتَّطايُرُ: التفرُّقُ والذهابُ والانتشار، واستطار فلان سيفه؛ إذا انتزعه من غمده مسرعاً، وصُبحٌ مُستطير: ساطع ومنتشر، واستطارت الزجاجة والحائط: تبين فيهما الصدع || الرمق: بقية الرُّوح || المعاهد: الموضعُ كنتَ عَهِدْتَه أو عَهِدْت هَوىً لك أو كنتَ تَعْهَدُ به شيئاً، والجمعُ المَعَاهِدُ؛ أي الأماكن التي عاش المرء فيها حياته بذكرياته التي لا تمحى. المعنى: ولنفترض، يا برق، أنك استطعت التسلط والسيطرة على فؤادي المُسيطر عليه أصلًا بجذوة الشوق والحنين، وقدرت تصبيه بالصدوع، فاستطِر وأسرع بالمتبقي لي من بقية الروح لأقضّي المُتبقي من فُضلة العُمر في تلك المعاهد والمرابع التي اخضرّت بمقدم الإمام.

(٤) المعنى: بعد إفصاحه عن انتقاله جسداً عن معاهده ومراتع صباه يُصعِّدُ لعبته الشعرية معكوسة في هذا البيت، لتبدو الصُّورَة الشعرية مقلوبة في الحنين المُزدوج: كما لو أنه لم ينتقل عنها، بل هي من انتقل عنه وهو ما زال فيها، مُتسائلًا: ما بالُ تلك المَعاهد التي أعهدها في عُمان تنتقل فجأة إليَّ هنا في=

نَـأيْـتُ عَـنْـهَـا، وَلـكِـنْ لا أُفَـارِقُـهـا   بَـلَـى! كَـم افْـتـرَقـتْ رُوحٌ وَجُـثْـمَـانُ[1]

وَكَـيفَ أَنْسَـى عُـهُـودِي فِي مَسَـارِحِـهـا   وَهُـنَّ بَـيـنَ جِـنـانِ الـخُـلْـدِ بُـطْـنـانُ[2]

=زنجبار لتسكُن قلبي المُولَّه بها. واللافت في البيت أن المبالغة طلليّة المنحى للتعبير عن دهشته من انتقال تلك المعاهد وليس انتقاله هو عنها، ليكتشف أنها قد سكنت ضميره المؤنب لابتعاده الفيزيقي عنها، وتصبح وتمسي ساكنة في ضواحي قلبه، وتلك مُفارقة البيت وإيماءته المُتبادلة إلى الروح والجسد، كما سيظهر في البيت التالي، كما أن تحاشيه لابتذال قوله: أنه سكنت قلبي وضميري، يتضحُ في صيغة الجمع «سُكَّان» الدالّة على أن قلبه الصغير ضاحية سُكَّانها الحقيقيون هم الساكنون في تلك الربوع البعيدة، بالمعنى والإيحاء الحميم الذي تحيل إليه السُّكنى والسكن.

(١) في هذا البيت يأتي الصَّمت لاعترافه المَنقوص، ولكن المُتمِّم للمعنى: نأيتُ عنها، ولكن لا أفارقها، والقصد اعترافه الصريح بمثلبة النأي عن بلاده، وتأكيده في نفس الشطر على أنهُ رغم بُعادِهِ عن مَرابعها، إلَّا أنهُ ـ في حقيقة الأمر ـ لم يُفارقها! لذلك يأتي تأكيده البدَهيُّ اللاحق: «بلى كم افترقت روح وجثمانُ» ـ لا ليؤكِّدَ حقيقةً أزليّة، بل تقصُّداً لإفراغ المعنى من دلالته الاستعارية الأخف وطأةً من تقريص مُعاناته الحقيقية . فلطالما افترقت روح عن جثمانها، لكنَّ فراقي عن تلك المعاهد (بما هي عليه صِنوٌ للروح، بل الرّوح ذاتها) صَيَّرني جثة فارقتها روحها بالفعل. لذا فتأكيده للفعل الأزليّ بافتراقِ الرُّوح عن الجسد/ الجُثمان بتقريره لواقع حال مؤكَّد حاسم في مفتتح عجز البيت: [بلى]، لم يَقصد به تقريرَ ما ستؤولُ إليه أية جثةٍ بعد مفارقة روحها لها، وإنما أراد بذلك مُفارقةَ الشطر الأول من بيته [نأيتُ عنها، ولكن لا أفارقها]، عن الصيغة التقريرية للحالات المُماثلة من افتراق الجسد والروح توكيداً على خصوصيّةِ حالته وفردانيّتها؛ فقد نأى (جسداً)، لكنهُ لم يُفارق (روحاً) ووجداناً مرابعه في عُمان.

(٢) عُهودي: العَهْدُ: المطرُ الذي يكون بعد المطر، والجمع العِهادُ والعُهودُ. وقد عُهِدَتِ الأرضُ فهي معهودةٌ، أي ممطورةٌ، والعَهْد المَوْثِق، وجمعه عُهود، وأصلها: العهد الذي يُكتب للولاة وهو مشتق منه، والجمع عُهودٌ || المَسارح: المرابع والمراعي والمواضع التي تسرح إليها الإبل || البُطنان: بضمِّ الباء ـ وسط الشيء، وبُطْنانُ الأرض ما تَوَطَّأ في بطون الأرض سَهْلِها وحَزْنها ورياضها، وهي قَرار الماء ومستَنْقَعُه، وهي البواطنُ والبُطون. ويقال: أَخذ فلانٌ باطناً من الأرض وهي أَبطأُ جفوفاً من غيرها. وتبطَّنْتُ الوادي: دخلْت بطْنه وجَوَّلْت فيه. وبُطْنانُ الجنة: وسَطُها. وفي الحديث: ينادي مُنادٍ من بُطْنانِ العرش أي من وسَطه، وقيل: من أَصله، وقيل: البُطْنان جمع بطن، وهو الغامض من الأرض، يريد من دواخل العرش؛ ومنه كلام عليٍّ، عليه السلام، في الاستسقاء: تَرْوَى به القِيعانُ وتسيل به البُطْنان. المعنى: وكيف لي أن أنسى مواثيقي في مرابعها المطيرة، وهُنَّ بسَهلها وحَزْنها ورياضها بغامضها وواضحها وسط الجنة، وفي ذلك تلميح إلى شعاع العدلِ الذي ساد ربوع بلاده التي أمطرت بمبايعة إمام عادل؛ فهي مرابع مُماثلة لمرابع الجنة المأمولة، بل أضحتْ ـ في نظر الشاعر، قبل اندثار الحياة ـ مُتوسطة جنان الخلد لشدَّةِ قربها عَدلًا من بُطْنان العرش، ولا يخفى ما=

أَمْ كَيفَ يُمْكِنُ سُلْوانِي فَضائِلَها — نَعَمْ لَدَيَّ لِذا السُّلْوَانِ سُلْوَانُ[1]

مَعاهِدٌ شاقَنِي مِنْها مَحاسِنُها — إنْ شَاقَ غَيْرِيَ آرَامٌ وَغِزْلانُ[2]

لَها على القَلْبِ مِيثاقٌ يَبُوءُ بِهِ — إنْ بَاءَ بِالحُبِّ فِي الأَوْطَانِ إِيمَانُ[3]

نَزَحْتُ عَنْهَا بِحُكْمٍ لا أُغالِبُهُ — لا يَغلِبُ القَدَرَ المَحْتُومَ إِنْسَانُ[4]

=في البيت من تمجيد مُبالغ فيه لحالة العدل التي سادت في عُمان لدرجة أنَّ عُهودهُ [بكافة معانيها] أضحت مسرحاً من مسارح الجنان.

(١) السُّلوان: النسيان، وتقال فيمن نسي حبيبه وطابت نفسه منه || الفضائل: ما تقدَّم وسبق من إحسان|| السُّلوان (الأخيرة): ماءٌ يُزعمُ أن العاشق إذا شربه سَلا عن حُبه، ودواء يشربه الحزين فيُسْلِيه ويُفرِّحه ـ وهو المقصود بآخر «سلوانات» البيت. المعنى: في هذا البيت يتلاعب أبو مُسلم بمفردة السُّلوان وتعدُّد طبقات دلالاتها، بحيث يستعمل سُلوانه/ ترياقه لنسيان النسيان الذي يُحاولُ أن ينسيه فضائل معاهده/ مُعادلهُ الموضوعي لثيمَةِ: *سُلوان الحبيب*. وتأكيده في الشطر الثاني: «*نعم، لديَّ لذا السُّلوان سُلوان*»، يُحيلُ إلى حقيقة وجُوده في أفريقيا حيث يتأتى له الحُصول على ترياقٍ سِحريٍّ مُماثِل. فهو مُتاح، لا سيما أنَّ «السُّلوانة» خرزة يُزعمُ أنه إذا انصبَّ عليها ماء المَطر فشربه العاشقُ سَلا؛ أي نسِي. صحيحٌ أن تفسير «سُلوان» الأخيرة ـ كما ذهب إلى ذلك بعض الشُّراح ـ مُمكنٌ على اعتبار أنها تفيد النسيان، كسابقتها. لكن استخدامه للصيغة التوكيديَّة: نعم! يُؤكِّدُ ما ذهبنا إليه في تفسير آخر [سُلوان] ورد في البيت، وفي هذا توكيدٌ على مقاصد أبي مُسلم وعنايته الفائقة بكلِّ مُفردةٍ ودلالاتها اللغوية والإيحائية، فكما اجترح المعنى المُفارق من ثقافة شرق إفريقيا نجدُهُ يُحيلُ إليه في معنى «السُّلوانَة» في التراث المُعجمي العربي في ينابيعه المُغترفة من عظمَة الشعر الجاهليّ، ناهيك عن التذاذه الخفيّ بها مُفردةً تُحيلُ إلى مُعجَمِهِ الصُّوفيّ الباطن، وقد أشرنا إلى ذلك في هوامش قصائده الأخرى، لا سيما الإلهيَّات ومدائحه النبوية.

(٢) آرام: جمع ريم وهو الظبي الخالص البياض. المعنى: البيت تأكيد لتشوُّقه الجارف إلى محاسن معاهده ومراتع صباه بما ربَّته عليه من فضيلةٍ وعِلم، خلاف غيره ممن اعتادوا في قصائدهم اشتياق الفاتنات من النساء؛ المُكنَّى عنهن بالآرام والغزلان.

(٣) باءَ، يَبُوء: رجع وعاد. المعنى: ولتلك المعاهد ميثاق حُبٍّ على القلب يقتاده عنوة إليها. في الشطر الثاني إحالة إلى مُتواتر القول: «حب الأوطان من الإيمان»، لكنها مقولة يؤكدها ـ كما لو ينقضها ـ التشكيك باستخدامه لـ[إنْ الشَّرطيَّة]، وهو ما يُوفِّي شرط الاختصاص، كما لو كان بين المُتشكِّكِ والمُتيقِّنِ مِنْ حِكمَةِ الشطر الثاني من البيت: إن رجع بالحُبِّ إيمانٌ في الأوطان؛ وهو إيغالٌ شِعريٌّ يمتحُ ظَعْنَهُ من أسلوبية طلائع الشعريَّةِ اللافتة للمُعلَّقات.

(٤) نزح: بَعُدَ عن دياره وغاب عنها غيبة طويلة || لا أغالبه: لا أستطيع دفعه. المعنى: وابتعادي ونزوحي عنها لم يكن اختياراً؛ لأنَّ غيابي عن معاهد دياري المُحبَّبة كان نتيجة لحُكم لا أستطيعُ دفعه بقوَّتي وضعفي كإنسان أمام الأقدار المكتوبة، لكنه يُومئ في البيتِ إلى الأسباب التي دعته للخروج من=

كـأنَّـنِـي وَاغْـتِـرَابـي وَالـغَـرَامَ بِـهَـا حَيٌّ قَضَى خَلَّفَتْهُ، بَعْدُ، أَحْزَانُ[1]
هِيَ النَّوَى جَعَلَتْنِي فِي مَحَاجِرِها مِثْلَ الخَيَالِ وَرُوحِي ثَمَّ جُثْمَانُ[2]

=عُمان دون أن يُوضِّحَ تلك الأسباب، كعادته في قصائده الأخرى التي يُكرّر فيها عذابات مَنفاه الاختياري، رغم أنهُ في إيماءاته يبدو منفى إجبارياً لأسباب اجتماعية في الغالب بعد رحلته الأولى من عُمان وعودته في زيارةٍ لم يمكُث خلالها طويلاً، قبل قراره بالعودة النهائية إلى زنجبار - كما أنها أسباب سياسيّة، لا سيّما بعد توليهِ منصب القضاءِ في زنجبار، لكنه ظل دائماً يُلمّحُ إليها دون التطرّق إليها صراحة، وفي الغالب أن الإنكليز (بإيحاءاتهم لسلاطين زنجبار) استشعروا الخطورة الكامنة في عودته فارتأوا وضعهُ تحت إقامةٍ جبريّةٍ في زنجبار، مع تمتعِهِ بمزايا مَنصبه، وهو الأمر الذي أشار إليه باقتضاب د. محمد المحروقي في كتابه «أبو مُسلم البهلاني رائداً».

(١) قضى: بلغ الأجل الذي حُدِّدَ له || خلَّفته: تركتهُ وراءها || بَعْدُ: ظرف زمان مُبهم يُفهم معناه بالإضافة لما بعده، فيكون مبنياً على الضّم. **المعنى**: في هذا البيت بأركان ثالوثه الشّعري المُقدس: (أنا الشاعر، اغترابه عن عُمانِه وغرامِهِ بها) - نجد الشاعر يُشبّهُ أركان ثالوثِهِ بيكنونة الحَيّ المُتوفى وقد تركته الأحزان بعد رحيله، بعد رحيلِ أضلاع المُثلّث الذي لا تنفصمُ عُرى حياته ومَواته. قد يبدو التشبيه عادياً لأول وهلة؛ لكنه يستمد عُصارته الشعرية الطازجة من تشبيه ثالوثه (وليس أنا الشاعر، فحسب) بالمتوفى الذي لم يترك خِلْفَةً ولم يُخلّف وراءه شيئاً سوى الأحزان، ولأنه بالكاد في حُكم الحَيّ فهي أحزانه وحده، لكنها في العُمق اللامَنظور أحزان أقانيم ثالوثه الفجائعيّ المُقدَّس.

(٢) النّوى: البُعد || مَحَاجرها: جمع مِحْجَر وهي الحديقة المُسوَّرة، وتعني أيضاً مَحجِر العين: ما دار بها || الخيال: الظن والوهم وطيف الغائب || ثَمَّ: اسمٌ يُشار به إلى البعيد، بمعنى: هناك. **المعنى**: للمحاجر معان مُتعدِّدة، خلاف التي ذكرناها. لكنه في اعتقادنا يشير إلى الحديقة، كناية عن زنجبار: حديقة بُعدِهِ ونأيِه حيث يمشي فيها غريباً كطيف المتوفى (وفي هذا إشارة ضمنية إلى المَغاربة المَسحورين، وتلميح إلى حديقة المَنفى القسْري)، عدا أنه يختلف عن المَغاربة - إن صحّ التأويل - ويمتاز عليهم بجثمان روحه التي تركها هناك، أي في وطنه حيث معاهد تذكاره. وفي البيت تصعيد شعري لحالة الروح التي تصعد بعد الموت إلى بارئها، لكنها في حالته تتشيأُ جُثماناً في ربوع الوطن؛ فردوسه المفقود، فيما يتشيأ هو [الجثمان] خيالاً وطيفاً مُغيّباً هائماً في حدائق المنفى، نقيض فردوسه المُتخيَّل في الوطن. والحقيقة أنَّ من يُدقِّقُ فيما وراء طبقات المَعنى ظاهِراً وباطناً ستنعكِسُ الصُّورة في مرايا مُحاولات التأويل وسيستنبط قلباً لصورة «المُغيَّب» وعَكساً لها. وربما سيكون مفيداً أن نستطرد، هنا، إلى المُسمّى المحلّي للصورة الفوتغرافيّة في لهجات أهل الخليج، فقد كانت الصُّور تُدعى: «العكوس»، في حالة الجمع، والصُّورة الواحدة: «عَكس»، وهي التفاتة شعبيّة ذكيّة للتعبير عن الصُّورة، لأنّها تكُونُ عَكساً مقلوباً للواقع في النُّسخة السّالبة من الفيلم قبل تحميضها لتنقلبَ من جديد صُورةً مُطابقة للواقع.

أَعِيشُ فِي غُرْبَةٍ عَيْشَ السَّلِيمِ على رَغْمِي، وَليسَ إلى التِّرْياقِ إمْكَانُ[١]

يا بَرْقُ حَرِّكْ هُمُومِي إنْ تَكُنْ سَكَنَتْ فَكُلُّ حَظِّيَ تَحْرِيكٌ وَإسْكَانُ[٢]

ما زَالَ يَنْشِطُ بِي هَمِّي وَأُصْبِرُهُ وَنَاشِطُ الهَمِّ لا تزويهِ أَرْسَانُ[٣]

يا بَرْقُ هَلْ وَالحَنايا مِنْ «ضَعَاضِعَ» و«اللّـ ـتَامِ» فَـ«الطَّفِّ» حَيَّاهُنَّ هَتَّانُ

وَهَلْ ذُرَى «القَفْصِ» فَـ«المِقْرَاةُ» مُعْشِبَةٌ وَهَلْ قَطِينٌ بعَلْيا «قاعِرٍ» بَانُوا[٤]

---

(١) السَّليم: لديغ الأفعى، وسُمِّيَ كذلك تفاؤلاً بشفائه من اللدغة || التزياق: الدَّواء الدافع للسُّموم، والترياقة: الخمر، سُمِّيَت كذلك لأنها تدفعُ الهُموم. المعنى: يختصر، في هذا البيت، حالته في الغربة باللديغ ووطنه بالترياق بعيد المَنال، كما أن استخدامهُ لمفردة «السَّليم» يحتمِلُ معناها الظاهري: أي أعيشُ في الغربة كما يعيشُ السليم، لكنَّهُ معنى ظاهريٌّ مُتقصَّد لتورية بَواطن المعنى المُفصَح عنها في عَجُز البيت. كما أننا أوردنا معنى الترياقة، لاحتمالٍ ضعيفٍ في المعنى لا نميلُ إليه؛ في أنه لديغ هموم الغربة، وبالتأكيد لا إمكان لشيخ مثله إلى تلك الترياقة؛ طاردة الهموم.

(٢) المعنى: يعود، من جديد، لمُخاطبة البرق تخوُّفاً على همومه/ حنينه وشوقه من الفتور والسُّكون، ليطالب البَرق (مُحَرِّك نونيَّتِهِ الجامح) أن يُحرِّك تلك الهُموم فيما لو بدت أمارات سُكونها. أما الشطر الثاني (رغم وضوحه في استصغار حظوظه التي لا تعدو التحريك والإسكان)؛ تعبيراً عن جيشان هُمومه أو فتورها، لكن البيت يَحتملُ إجمالاً في تضاعيف المعنى إشارةً هامزة إلى صَنعة الشعر وتضييع أصحابها لوقتهم في تحريك الكلمات وتسكينها قياساً إلى من يخوضون المعركة الفعلية دفاعاً عن الدين والوطن، وفي ذلك إعلاء من شأن من سيخوِّضُ معهم استنهاضاً لهِمَمِهِمْ سواءً على أرض معركة الحق أو في مُعادلها الموضوعي: نونيَّته الخالدة.

(٣) ينشط: ضد الكسل، ونشَط من المكان يَنْشِطُ: خرج، وكذلك إذا قطع من بلد إلى بلد، وقيل: النشْطُ الطعْنُ، أيّاً كان من الجسد ونشَطَته الحيةُ تَنْشِطُه وتنشُطُه نشطاً وأَنْشطته: لدغَتْه وعضَّته بأَنيابها. قال الأخفش: الحِمارُ يَنْشِطُ من بَلد إلى بلد، والهُمُومُ تَنْشِطُ بصاحِبها؛ وقال هِمْيانُ: «أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ المَناشِطا | الشامَ بي طَوْراً، وطَوْراً واسِطا» || أصْبِرُه: أُصبِّرُه، أي آمُرُهُ بالصَّبر || تزويه: الزَّيُّ: مصدر زَوى الشيءَ يَزْوِيه زَيّاً وزُوِيّاً فانْزَوى، نَحَّاه فتَنَحَّى. وزَواهُ: قبضه. وزَوَيْت الشيءَ: جمعته وقبضته || أرسان: الرَّسَنُ، محرَّكةً: الحَبْلُ، وما كانَ من زِمامٍ على أَنْفٍ، ج: أَرْسانٌ وأَرْسُنٌ، وهو اللجام. المعنى: ما زال همِّي وشوقي وحنيني ينشطُ بي لأقطعَ طريق العودة، لكنني اعتدتُ أن آمره بالصبر، ولكن إلى متى؟ لأنَّ من كان مثلي ناشط هموم لا يقبضه ولا يمنعه اللجام. وقد أوردنا كافة معاني ينشطُ، لأنهُ قصد مجموع تلك المعاني.

(٤) الحنايا: أصلها القوس، والحِنْوُ: كلّ شيءٍ فيه اعوجاج أو شبْهُ الاعوجاج، كعَظْم الحِجاج واللَّحْي والضِّلَع والقُفِّ والحِقْفِ ومُنْعَرَجِ الوادي، والحِنْوُ والحِجاج هو العَظْم الذي تحت الحاجب من الإنسان، والمَحْنِيَة من الوادي؛ مُنْعَرَجُه حيث يَنْعطِف || «ضَعاضِع» و«اللتام» و«الطَّفّ» و«القفص»=

عَهْدِي بِهَا وَنَضِيرُ العَيْشِ يَصْحَبُهَا   وَالدَّهْرُ فِي غَفْلَةٍ وَالشُّهْبُ إِخْوَانُ[1]

نَشَأْتُ فِيهَا، وَرَوْضَاتِي وَمُرْتَبَعِي   رَوْحُ الفَضِيلَةِ لا رَنْدٌ وَرَيْحَانُ[2]

أَرْتَاحُ فِيهَا إلى «خِلٍّ» فَيَبْهَرُنِي   صِدْقٌ وَقَصْدٌ وَمَعْرُوفٌ وَعِرْفَانُ[3]

=و«قاعر» مسميات أماكن ووديان وشعاب في وادي مَحرَم حيث عاش الشاعر فيها مطلع شبابه || هتّان: المطر الضعيف الدائم. ومطر هَتُون: هَطُولٌ || بانوا: بعدوا ورحلوا. معنى البيتين: يُسائلُ البرق - مُذكِّراً إياه أن حناياهُ (بمجموع معانيها) من ضعاضع واللّتام والطفّ - هل بلغها وابلُ مطرك؟.. وهل أعالي القفص (وهو شعب وادٍ في الطريق إلى بلدة «قرقا» حيث كان يختلي في خلواته الصوفية مع زميله الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي في مُعتزل بعيد يوجد به قاطور ماءٍ يتنزل من الوادي ويُسمع له لحن موسيقي)، يُسائلُهُ - هل تلك الذرى والمقراة مُعشبةٌ كعهدي بها في تلك الأيام؟.. وهل ما زال القاطنون في قاعر مقيمين هناك؟ أم أنهم ارتحلوا إلى مكان آخر؟ والبيتان يتدفقان حنيناً جارفاً إلى تلك المناطق والوديان والشعاب بأسمائها بالغة الدلالة؛ حيث قضى صباهُ بمعيّةِ صديقه في التمدرس والتصوُّف والانعزال عن العالم المحيط بهما.

(١) نضير العيش: نضارته واخضراره || الشهب: الشَّهَبُ والشُّهْبَةُ: لَونُ بَياضٍ، يَصْدَعُه سَوادٌ في خِلالِه؛ وقيل: الشُّهْبَة البَياضُ الذي غَلَبَ على السَّوادِ. المعنى: يعودُ مرّةً أخرى إلى عهده بتلك المرابع والشعاب التي قضى فيها شرخ شبابه مع صديقه الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي، مناغياً بوارق نونيّته: عهدي بها، يَومَذاك، يصحبُها نضير العيش، حين كان الدَّهر في غفلةٍ، والشهبُ إخوانٌ، وهي إشارة إليهِ وإلى صديقه، وقصد بالشهب: عمامتيهما اللتين يخالطهما سوادُ لحيتيهما في شرخ الصِّبا. والحقيقة أن كثيرين لم يُعطوا هذا البيت حقه من الشرح، وظنوا أنه قصدَ النجوم، رُغم أنها قابلة لتأويلها بذلك المعنى: أي أنهما شهابان أخوان، لكننا لم نستملح ذلك استقراءً لمساقات التعبير الشعري.

(٢) الرَّوْح: نسيم الرِّيح وشميمُها [لا بأسَ من رُوحِ الفضيلة، معنى مُرادِفاً؛ لكننا مِلنا إلى المُقابَلة بين الرَّوْح؛ شميم الرِّيح ضداً للرند والريحان] || الرَّندُ والرَّيحان: الآس؛ وقيل: هو العُود الذي يُتَبَخَّر به، وقيل: هو شجر من أشجار البادية وهو طيب الرائحة، والرّيحان معروف. المعنى: لقد نشأت في تلك الرِّياضِ مع صِنوي وصديقي [الشيخ أحمد بن سعيد] حيث كان مرتبعنا معاً رَوحَ الفضيلةِ عُزلة تصُّوفٍ وخلوات ذكر، لا الارتياح لشميم الرَّند والرَّيحان.

(٣) خِلّ: من الخَليل المُحِبُّ الذي ليس في محبته خَلَل. وفي القرآن انحصَرتْ في النبي إبراهيم: واتخذ الله إبراهيم خَليلًا؛ أي أحبه محبة تامّة لا خَلَل فيها؛ وقيل للصداقة خُلّة لأن كل واحد منهما يَسُدُّ خَلَل صاحبه في المودّة والحاجة. ففي القرآن: يمثل إبراهيم الفكر الإنساني في تطلعه إلى الحقيقة المطلقة عبر مراحل نضجه، فنراه يبحث عن معبوده في المحسوسات أولاً، ثم يترقى من خلال صفة الثبوت إلى التجريد، فتتجلى له الحقيقة. وبعض المتكلمين يرجعون في طريقة برهانهم على وجود خالق؛ إلى طريقة استنتاج إبراهيم أن الآفِلات ليست بآلهة، وذلك في النص القرآني المشهور:=

=﴿فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربي، فلما أفلَ قال لا أحبُّ الآفِلين﴾ [سورة الانعام]، فالقرآن أشار إلى مراتب الكمال التي تحقق بها إبراهيم عليه السلام، فهو: صديق، نبي، رسول، إمام، وخليل الحق. أما عند ابن عربي: إبراهيم الخليل رمز لحقيقة الانسان الكامل، التي تجمع في كونها، من ناحية، جميع الحقائق الإلهية، ومن ناحية أخرى؛ المحَلّ والمَجْلى والمظهر الكامل للحق. وابن عربي يعتمد في بيان هذه المرتبة على كلمة «الخليل»: فالحق يتخلل صورة إبراهيم، وإبراهيم يتخلل جميع ما اتصفت به الذات الإلهية، فهناك تبادل في فعل التخلُّل، والدليل عليه تبادل ظهور كل من الحق والخلق بصفات الآخر، وليس المُتخلِّل والمُتخلَّل سوى الظاهر والباطن. وأبو مُسلِم قصد بالخِلّ صديقه الوفيّ الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي || يبهرني: يُضيئني ويدهشني ببراعته، وبَهَرَ القمرُ: أضاء حتَّى غلب ضَوْءهُ ضَوْءَ الكواكب. يقال قمرٌ باهِرٌ. وبَهَرَ الرجل: بَرَعَ. وأَبْهَرَ الرَّجلُ إذا جاء بالعَجَبِ. ابن الأعرابي: البَهْرُ الغلبة، وأبو مُسلم قصد مُعظم معانيها || القصد: العدل، وأيضاً تعني الرّبعة || عِرفان: العرفان لغة مَصدر عَرفَ، يَعرِفُ فهو عَارِف، والعِرْفان العلم. والعرفان في [التصوُّف] يقتصر على الناحية الدينية، وهي المعرفة التي تأتي قبالة البرهنة العقلية، ولذلك لا تخضع هذه المعرفة للأقيسة البرهانية، وإنما للذوق النفسي والتجربة الشعورية الخاصة بالإنسان. فالعرفان، إذن، هو الحصول على المعرفة عن طريق الكشف والإلهام والفيض، وهي طريقة ترتفع ـ عند أصحابها ـ عن تحصيل المعرفة من طريق البحث والبرهان، فهذا من شأن العلماء والحكماء، أما الطريقة الأولى فمن شأن العرفانيين. وعلى ذلك فالعرفان هو تحصيل المعرفة الدينية بطريقة غير خاضعة للمنطق. وقد دفع المتدينين إلى هذا المسلك أمران بحسب طبيعتهم: (أ): أصحاب كتاب: ليتجنبوا البرهة العقلية على صحة معتقداتهم، كالمتصوفة من الهندوس والنصارى والمسلمين. (ب): غير أصحاب الكتاب: وهؤلاء اعتبروا المعرفة الدينية تجربة ذاتية داخلية، ومن هؤلاء قبل الإسلام أفلاطون. وقد ابتدأ العرفان كحالة فردية، بمعنى ليس هناك عرفان واحد، بل عرفانات لانهائية بعدد العارفين اللانهائيين، ولكن كأي فكرة تتحول مع مرور الزمن من الممارسة الفردية إلى الاعتناق الجمعي، فوجد العرفان كتيار يحاول فهم «الأسرار الدينية»، وتفسير حركة الكون والوجود بها، وظل في معظمه على هذا الحال، فألفت حوله الكتب والرسائل التي تكرس تقليده. ثم بمُضيّ الدهور ارتقى العرفان مع البعض إلى دين؛ كالمانوية والمندائية. وكأي عمل غير منضبط منطقياً فإنه من السهل اختراقه، فدخل العرفان كثير مما هو لامنطقي غير مقيس، فولجته الخرافة والأسطورة والسحر والتنجيم والسيمياء والطلسمات وأسرار الحروف. والحقيقة أن القرآن لم يتعرض إلى موضوع العرفان مباشرة، إلا أنَّ العرفان جاء في القرآن بما يمكن أن يحمل عليه، فـ«معجزات الأنبياء» بحسب ما هو مطروح من تفسير يمكن أن تدخل في هذا السياق، وإن كان يمكن تأويلها بما يُخرجها عن العرفان. أما قضايا الغيب [كإثبات وجود الله والمآل الأخروي]، فقد أخرجها القرآن ذاته من العِرفانيّة إلى المنطقيّة البُرهانية. وأهم إشارة وردت إلى العرفان في القرآن كانت في سورة الأعراف بذكر أصحاب الأعراف، والتفسير السلفي الظاهري ينسب أصحاب الأعراف إلى المكان، فهي نسبة جغرافية، وعند بعض المتقدمين الأعراف هي حالة، فلا جدار=

فَحَالَ حُكْمُ النَّوَى بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ هُنَا تَيقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ خَوَّانُ[1]
حتى مَتى أتقاضى الدَّهرَ قُرْبَهُمُ والدَّهْرُ يَهْرَمُ والآمَالُ وُلْدَانُ[2]
حَتَّامَ يا دَهْرُ لا تُبْقِي على بَشرٍ حُرٍّ، وَحَتَّامَ ضَيْمُ الحُرِّ إحْسَانُ[3]
أَكُلُّ رَأْيِكَ حَرْبِي أَمْ لَهَا أَمَدٌ فَإِنَّ عَهْدِي وَلِلحَالاتِ أَلْوَانُ[4]

=فاصلًا بين الجنة والنار يقف عليه رجال يُعرفون بأصحاب الأعراف، وإنما هم «فئة من الخلق» متحركون «راجلون» وهي حركة معنوية وليست حسية بين الجنة والنار، «تكشفت» لهم معرفة بأحوال الفريقين. بيد أن هذا التأويل لم يحضر لدى المُفسرين إلا نادراً لغلبة «الذهنية التشخيصية التجسيديّة» لدى فرق السّلف، وأهمهم أهل السنة المنظرون الأقوى في العلوم الدينية عند المسلمين. و«انكشاف» هذه المعرفة لم تُحَدَّد في القرآن، وقد حاول المفسرون أن يجدوا تأويلًا منطقياً لها، إلا أن أحوال الآخرة غير خاضعة للمنطق الدنيوي. . المعنى: تلك الرّوضات والمرابع التي نشأتُ فيها كنتُ أرتاحُ فيها إلى أعز صديق كان يُضيؤني ويدهشني ببراعته في الرّبعة والصداقة صدقاً وعدلاً ومعروفاً وعِرفان تَصُوُّفٍ لا يَنقطعُ في الله، وبالله. كأنّي به في هذا البيت المُؤكِّد لخصيصة العلاقة بينه وبين الشيخ أحمد بن سعيد ـ كأني به يستعيد بيت الحَلّاج: «كتبتُ ولم أكتُبْ إليكَ وإنّما | كَتبتُ إلى رُوحِي بغيرِ كِتابِ»، تعبيراً عن عُمق العلاقة العِرفانيّة والرُّوحيَّة التي جمعتهما.

(١) النوى: البُعد || خوّان: صيغة مُبالغة من كثير الخيانة. المعنى: لكنَّ البُعد والفراق حالَ بيني وبين أوْلئك الأحبة، فتيقنت أنَّ الدّهر بجبلّته خؤون خوّان. تلميح: يوحي البيت بسذاجةٍ ظاهريّة، لكنَّ المُتمعِّن في صيغة الشطر الثاني: [هنا تيقنت]، تجعلُ المُتمعِّن يعيد النظر كرّتين في ظاهر البيت وبواطنه؛ فقد قصد الشاعر [بعد افتراقه عن خِلِّهِ الخليل] فجائعيّة نوائب الدهر التي لا يكترث المرء لها قبل حدوثها، وقد أراد بهذا التأكيد اليقيني أنَّ الدَّهر أصاب الشاعر في مَقتلٍ بفعل خيانته الذي ورد في صيغة المبالغة: خوّان. كما أنَّ الصيغة التي استخدمها تعليلًا مُتمّماً لفاجعة الفقد في الأبيات السابقة، سَتصبحُ استهلالاً لما سيأتي من الأبيات التي يعدِّدُ فيها ملامته للدهر وخياناته للأحرار.

(٢) أتقاضى: يُقال: تَقَاضَيته حَقّي فَقضانيه أي تَجازَيْته فجَزانيه. ويقال: اقْتَضَيتُ ما لي عليه أي قَبَضْته وأخذْته. واستَقْضاه: طلَب إليه أن يَقْضِيَه. وتَقاضاه الدَّيْنَ: قَبَضَه منه || الهَرَم: أقْصى الكِبَر ومُنتهاهُ في عمر الكائنات || وُلدان: تفيد التجديد والتجدُّد، أصلها من الوليد والصبي. المعنى: وإلى متى أتقاضى قربهم من الدهر، وهو يرفض تحقيق أمنيتي حتى شاب وهرم، لكنَّ آمالي ـ كما كانت دائماً ـ ولّادةُ آمال.

(٣) حتام: حتى متى || الضيم: الظلم. المعنى: وحتى متى يا دهر لا تُبقي على الأحرار وتحسبُ ـ في شِرعتِك المُخاتِلة ـ أن ظلمَكَ لهم إحسانٌ وتفضلٌ مِنكَ عليهم.

(٤) الأمَد: المُنتهى والغاية كالمَدَى؛ يقال: ما أمدُك؟ أي منتهى عمرك. جاء في التنزيل العزيز: ولا تكونوا كالذين أُوتو الكتاب من قبل فطال عليهم الأمدُ فَقَسَتْ قلوبهم. المعنى: يقولُ مخاطباً الدهر: هل حُكمك عليّ بمحاربتي ومعاداتي؟ أم أنَّ لحربك تلك نهاية؟ . . لأنني أعرف تغيُّر وتبدل حالاتك وألوانك، فهل ستعدل عن معاداتي وتسالمني يوماً ما؟

حُلَّ العِقالَ وَأَطْلِقْنِي إلى سِعَتِي فَفِي سُجُونِكَ لِلمَيْدَانِ فُرْسَانُ[١]

يا دَهْرُ يا بَاخِسَ الأَحْرَارِ حَقَّهُمُ أَعْطِ العَدَالَةَ؛ إنَّ اللهَ دَيَّانُ[٢]

فِيمَ التَّقَصِّي بِأَهْلِ الفَضْلِ، إنْ نَقصَتْ حُسْناكَ زَادُوا وَإنْ شَانَ الوَرَى زَانُوا[٣]

لا يَثْقُلُونَ وَإنْ خَفَّتْ عِيَابُهُمُ عَنِ النَّدَى، وَلَهُم بالحِلْمِ رُجْحَانُ[٤]

أَخْفَى غُبَارُكَ يا دَهْرِي مَحَاسِنَهُم فَإنْ دَعَوْتَهُمُ فِي نَكْبَةٍ بَانُوا[٥]

إنْ تَعْرِفِ الحَقَّ فِيهِم لم تَذُدْ أَسَداً عَنِ الوُرُودِ وَعَيْرُ الحَيِّ رَيَّانُ[٦]

يا نَاقِلَ العِيسِ مِنْ عَلْيا «بَدِيَّةَ» حَـ ـيثُ «اليَحْمَدُ» الحَائِزُونَ المَجْدَ قُطَّانُ[٧]

---

(١) المعنى: فكّ الحبل الذي ربطتني به وأطلقني إلى سعتي فيما اتسع من الأرض كي أتمكن من مُناصرة الإمام العادل، فطالما سجنت يا دهر فرساناً مكانهم ميادين الحروب، لا الزنازين.

(٢) باخِس: مُنتقِص || ديَّان: مُكافئ ومُجازٍ بالخير والشر. المعنى: وكُن عادلًا، يا دهرُ، في حق الأحرار الذين انتقصت من حقوقهم المشروعة، ولا تنسَ أنّ الله سيُجازي كُلَّ دهرٍ بما فعل.

(٣) المعنى: ولم تضايقُ أخيار القوم وأفاضلهم وأحرارهم المُصلحين؟.. رغم معرفتك بأنهم يكملون ويزيدون على حُسناك، كما تعرف أنهم كلما شانت مراتب الناس زانوا فضلًا وورعا وتقى وشجاعة.

(٤) لا يثقلون: لا يمتنعون ولا يتكأكؤون || عِيابُهُم: العَيْبة وِعاءٌ من أدَم، يكون فيها المتاع، وأيضاً ما توضع فيه الثياب؛ أي حقائب المتاع || الندى: الكرم. المعنى: هؤلاء الذين تضايقهم في الشاردة والواردة، لاكتشفت يا دهر، أنهم لم يمتنعوا يوماً عن كرمهم الفطريِّ، وإن بدى لك فقرهم لخفةِ ما يَحملون من متاع، ناهيكَ عن حِلمِهم ورجاحة آرائهم السديدة. تلميح: مُفارقة البيت تكمُن في: لا يثقلون عن الندى وإن خفَّ متاعُ حقائبهم لفقرهم المُدقع.

(٥) المعنى: ومما يُؤسِفُ حقاً؛ أنَّ غبارك حَجبَ محاسنهم؛ لأنك أخفيتها كما أخفيتهم زمناً طويلًا، وحين رجعت مُحتاجاً إليهم في النكبات لم تجدهم أمامك للمُناصرة لأنهم ابتعدوا بسبب إجحافك وحجبك لهم ولفضائلهم ومُروآتهم التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

(٦) لم تذد: لم تمنع || العَيْر: الحِمار. وفي المثل: «إن ذهبَ عَيرٌ فعَيرٌ في الرِّباط»، يُضرَبُ في الرِّضا بالحاضر وترك الغائب. المعنى: ولو كنتَ حقاً تعرفُ واجبات الحق وما يستحقونه لعاملتهم بعدالة، ولم تمنع الأسود الشجعان عن ورود الماء بينما حَمير الحَيِّ السّائبة ريَّانة لكثرة الورود. تلميح: قصد من مُعاتبته للدَّهر الجاحد التفريق بين من يريدون مُناصرة الإمامة ولا يستطيعون ذلك، رغم إدراكهم لأهميتها، ومن لم يُدركوا أهميَّة المُناصَرة آنذاك.

(٧) ناقل العيس: الناقلة في الأصل؛ قبيلة تنتقل إلى أخرى، ونواقل العرب: من انتقل من قبيلة إلى أخرى، والنقلُ: سُرعة نقل قوائم الفرس، وتصحُ على الإبل؛ قال كعب: «لهُنَّ، من بعدُ، إرْقالٌ وتَنقِيلُ»، والمَناقِل، اشتقاقاً؛ هي المراحل في السفر || العِيس: الإبل || بديَّة: ولاية في المنطقة=

خَلِّفْ وَرَاءَكَ «عِزاً» و«المُضَيرِبَ» و«الـ ـدَّرِيزَ» وَ«القَابِلَ» الرَّاسِي بِهَا الشَّانُ[1]

=الشرقية تقع بين ولاية القابل ووادي بني خالد، وتضم عدة بلدات عاصمتها المُنترب، وقصد بعليا بديّة بلدة «الظاهر» القريبة لولاية القابل حيث ابتدأ الشيخ نور الدين السالمي رحلته لمُبايعة الإمام || اليَحْمَد: إضمامة قبائل تشملُ بني خروص وبني خليل والحُرث وسواهم من القبائل، وقد قصد في بيته هذا قبيلة «الحُرث» || قُطّان: سُكّان مقيمون. المعنى: انطلاقاً من هذا البيت؛ يبتدئ أبو مُسلم إنشادَهُ الشعريَّ المُمتدح لرحلة الشيخ العلامة نور الدين السالمي لمُؤازرة الإمام سالم بن راشد الخروصي انطلاقاً من بلدة «الظاهر» التي اختارها سكناً دائماً للإقامة فيها بعد مُكوثه في بلدة «القابل» دارساً في مدرسة العلامة المُحتسب الشيخ صالح بن علي الحارثي التي تتلمذ فيها أشياخ ذلك الزمان، ومنهم الإمام المُبايَع سالم بن راشد الخروصي، مُستخدماً في نقلته الشعريّة نظيرها المُوازي في التراث الشعري الجاهلي: «يا ناقل العيس»، بكُلِّ ما تُشيرُ إليه مَناقِلُ الترحال، لتبدأ قافلة رحلة المُبايعَة من «أعالي بديّة»، كناية عن بلدة الشيخ نور الدين «الظاهر» المُحاذية لبلدة «القابل» في طريقها إلى المنطقة الداخلية مُروراً ببلدات وقرى ووديان طرق القوافل القديمة، جاعِلًا من تلك الرّحلة التي يُخاطِبُ فيها «ناقِل العيس» مُتكأً جمالياً صارخاً للتعبير عن حنينه العارم لحظة اجتياحه لفرائص أبي مُسلم الأسير طوعاً أو جَبْراً في زنجبار. لذا، فإنَّ هذا البيت مطلعٌ آخر لفريدته النونيّة التي تبدأ نقلتها الفنيّة ابتداءً من هذا البيت استنهاضاً لقبائل عُمان كافة كي يُناصروا الإمام العادل. والمُفارقُ أنَّ أبا مُسلم ـ كما أشرنا باقتضاب في تقديم القصيدة ـ أبان عن معرفة واعية بطبوغرافية عُمان وقبائلها القاطنة هنا أو هناك، مُستخدماً دهاء السياسيِّ المُحنَّك لِلَمّ شملِ تلك القبائل المُتنازعة فيما بينها، مُشيداً بمناقب رجالاتها وأعيانها قبيلةً قبيلة وناحية ناحية، دون إجحاف لمجموعة قبلية على حساب أخرى. لذا سنرافق هذه الرحلة في طريقها إلى نزوى، «بيضة الإسلام»، لنكتشف فيما بعد أنها رحلة تتجاوز التأريخ الفعلي المُتبع لرحلة العلامة نور الدين السالمي، لتعُمّ كافة أرجاء البلاد.

(١) عِزّ والمُضيرب والدريز والقابل: بلدات في ولاية القابل ترأسُها القابل. المعنى: بعد المُفتتح/ المطلع الثاني للقصيدة، يستمرُ في مخاطبة دليل القافلة مُرشداً إياهُ إلى الطريق الصحيح بإشارات مَلّاحٍ مُتمرّس يَبُثها الشاعر من زنجبار؛ قائلًا له: بعد انطلاقك اترك وراءك بلدات الحُرث واحدة بعد أخرى: «عِز» و«المُضيرب» و«الدريز» و«القابل» الرّاسي بها الشانُ. والمُلاحَظ أنَّ أبا مُسلم تعمَّدَ اختصاص بلدة القابل الصغيرة بمديح قد يبدو مُبالغاً فيه، لكنَّهُ مديحٌ له ما يُبرّرُه من حيث رُسُوّ شأنها؛ لأنها أضحت مدرسة علم وفقهٍ بزَّتْ المدرسة النزوانية والرّستاقية [المُعادل العُماني ـ على غير قِياس ـ لمدرستي البَصرة والكوفة] في ذلك الزمان ـ لا لأهميتها قِبلةً تُؤمُّ ويُحَجُّ إليها، بل لأنها أضحت مدرسة عِلم وفقه قطنها العلامة المُحتسِب صالح بن علي الحارثي وجاورها في بلدة الظاهر نور الدين السالمي. وفي قوله: خلّف وراءكَ عِزّاً والمُضيرب، إلخ.. حثٌّ لدليل قافلةِ الشيخ الأعمى نور الدِّين لاستقبال الآتي في مُنتقَلِ ترحاله.

وَخَـلِّ «إبْـرَاءَ» أعْـلاهـا وَأسْـفَـلَهـا حَيثُ القَطِينُ مُلُوكُ النَّاسِ قَحْطَانُ[1]

وَخُذْ بَأوْجُهِـهَـا عَـنْ سَاحَتَي «سَـمَـدٍ» «مَيَاسِرٍ» «الفَتحِ» حَيثُ الحَيُّ «كَهْلانُ»[2]

وَدَعْ وَرَاءكَ إنْ غَـرَّبْـتَ «أخْـشَـبَـةً» تَجْرِي المَجَرَّةُ فيها وَهِيَ «سَدْرَانُ»[3]

---

(١) إبراء: يقصد ولاية إبرا، ومَدَّها نُطقاً للضرورة الشعرية، وهي واحدة من الولايات المُنقسمة إلى «علاية» و«سفالة»؛ أي المُرتفع طبوغرافياً، قياساً إلى المُنخفض وفقاً لمجرى الأفلاج والوديان، وهو تقسيم تتسم به كثير من بلدات عُمان؛ فـ«العلاية» تسكُنها قبيلة المساكرة و«السفالة» تسكنها قبيلة الحُرث || القطين: السكانُ القاطنون فيها || قحطان: القبائلُ قحطانية الأرومة. **المعنى:** وفي طريقك تلك دع إبرا (سفالة وعلاية)، لينمتدح أثناء عبور قافلة مُبايعة الإمام [حملة انتخابه، بالأحرى] كُلَّ من سكنوا تلك الولاية من المساكرة والحُرث، جامعاً إياهم في نسبهم الأعلى: قحطان؛ فالحُرث من اليَحْمَد، والمساكرة (في شق منهم) من أولاد سليمة بن مالك بن فهم، كما مالَ إلى ذلك بعض النَّسَّابة، ومنهم أيضاً قبيلة الإسماعيلي المُنضوية تحت القبيلة الأكبر: المساكرة.

(٢) سَمَد: تُعرفُ باسم سَمَد الشان، وهي بلدة تابعة لولاية المضيبي || مياسر: في الغالب قصد بلدة المِيسَر، وهي إحدى القرى التابعة لسمد الشان، ويسكنها آل شبيب || الفتح: قرية أخرى تابعة لولاية المضيبي تسكنها قبيلة الحبوس || كهلان: نسَب تُنسبُ إليه بعض القبائل. **المعنى:** وفي طريقك، خذ رواحلَ قافلتك الناخبَة لإمامِها نحو سَمَد الشان، مروراً ببلدتي الميسر والفتح.

(٣) أخشبة: يقصد بلدة «الخُشَبَة»، وهي بلدة تابعة لولاية المضيبي، وأضاف إليها ألِفَ الإبتداءِ لاستقامة الوزن مع حذف اللام تخفُّفاً لتقترب في نطقها من الدارج العُماني: «الخُشَبه» || المَجرَّة: شَرَجُ السماء، يقال هي بابها وهي كهيئة القبة. وفي حديث ابن عباس: المَجَرَّةُ باب السماء وهي البياض المعترض في السماء والنَّسْرَان من جانبيها. وأيضاً المجرَّة تعني المكان يتدرج في الانحدار حتى يسهل على الثيران جرُّ الدلاء لتفريغها من الماء، وهي «الجازرة»، كما تُدعى في الدّارج العُماني || سدران: أي غافلة عمّا يجري في مجرَّتها من حدث تاريخي فارق. سَدِرَ، سَدْراً وسَدَارَةً: تحيَّر بصره من شِدَّة الحَرِّ، ولم يُبالِ ما يصنع؛ فهو سادِرٌ. ويُقال: هو سادرٌ في الغيِّ؛ أي: تائه. **المعنى:** المجرَّة تشبيه عجيب من الشاعر قصد به قافلة المُبايعة التي انطلقت سِرّاً من القابل، حيث كان أولُ لقاءٍ لملاقاة سواهم من العُلماء في إزكي لاحقاً، وقصد الشاعر بالبيت أنَّ بلدة الخشبة الصغيرة كانت سادرة لا تدري ما يحوم في الأفق من أمر جلل، وخطب عظيم حين وصلتها المَجرَّة وجرت فيها [تعبيراً عن موكب المُبايعة السّري] في ليل مُدلهم (المُراجِع). **استطراد من نهضة الأعيان: تفاصيل الرحلة السِّريَّة:** في اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣١ للهجرة [٤ مايو، ١٩١٣]، خرج سيدي نور الدين من بيته بالظاهر من الشرقية، وأقام بقية الشهر ببيته الذي بالقابل، ثم خرج منه في اليوم الثاني من شهر جمادى الثانية ١٣٣١ هـ [٩ مايو، ١٩١٣م]، فأقام بفلج مسعود [غربيّ بلدة المُضيرب]، وفي صحبته الشيخ سالم بن راشد الخروصي [الإمام الذي سيُبايع]،=

وَيَامِنِ «الدَّوْحَ» وَ«الخَضْرَاءَ» مُنتحِياً أفْناءَ «حَلْفِينَ» حَيثُ السُّوحُ «جَرْنانُ»[1]

=والشيخ عبدالله بن راشد الهاشمي، وحمود بن ناصر المعولي، وسالم بن ناصر الحبيشي، وابنه محمد شيبة [مُؤلف نهضة الأعيان]، ثم راح عصر ذلك اليوم من فلج مسعود، فكان مبيته في المكان المعروف (أبو ظَلمَا)،وقال في اليوم الثالث يقابل آل بوسعيد، فاجتمع فيها بأحد أصدقائه من الأعراب [البدو] حمد بن البليدي؛ القنَّاص الجَحَّافي؛ فأسرَّ إليه [أي نور الدين السالمي] أن يأتيه بإبل تحمله إلى تنوف دار هجرته، وأن يُلاقيه بها في بلد خشبة العزور، فخرج حمد لإحضار الإبل، وتوجَّه نور الدين إلى المضيبي، وقد سبق وعد بينه والعلّامة أبو مالك عامر بن خميس الذي هو من بني مالك؛ فوافاه بالشارق؛ وهي بلدة من أعمال المضيبي، وبها وافاه صاحبه الخصوصي [صاحب نور الدين] أبو هُشيمَة سعيد بن عبدالله الهاشمي (وهو رسوله السّريّ، ومن المُساعدين له على غرضه، وجاسوسهُ المُنتخب)، ثم خرجوا جميعاً غرة اليوم السادس من الشهر المذكور، فقالوا [أي قيّلوا] ببلد الأخشبة، وفي ذلك اليوم أتاهم حمد القنَّاص بالرِّكاب، فكان جُملة من اجتمع في رفقته ١٣ رجلًا: ١ ـ زعيم الأمة العُمانية، وهو رئيسهم؛ عبدالله بن حميد السالمي. ٢ ـ الشيخ سالم بن راشد بن سليمان الخروصي [الذي عُقدت عليه الإمامة]. ٣ ـ الشيخ الجليل عامر بن خميس المالكي. ٤ ـ الشيخ العلامة عبدالله بن راشد بن صالح الهاشمي. ٥ ـ الشيخ العالِم عامر بن عُلَيّ بن راشد الشيذاني الحبسي. ٦ ـ الشيخ العارف حمدي بن مُسَلَّم بن عبيد الحجري. ٧ ـ الشيخ الفقيه حمود بن ناصر المعولي. ٨ ـ الشيخ الورع سالم بن ناصر الحبيشي. ٩ ـ سعيد بن عبدالله بن خادم الهاشمي. ١٠ ـ حمد بن البليدي، القنَّاص الجَحَّافي الوهيبي. ١١ ـ سيف بن حميد ولد الصويّغ الهاشمي. ١٢ ـ خادمه: خويطر بن زايد مولى الجحاحيف. ١٣ ـ إعرابي [طناف الرِّكاب]، لا يحضرني اسمه. ١٤ ـ محمد شيبة بن نور الدين السالمي. عددهم عدد حروف النور، عدد ما ناف على المائة من السور خرجوا فرادى مُستخفِين، يتسللون تسلل القطا، فقد شاع في الناس اعتراض الأمير عيسى [بن صالح الحارثي] لنور الدين؛ أن يعدل عن هذا الطلب، فخرج مُستخفياً، وأسَرَّ إلى إخوانه المذكورين أن يجتمعوا ببلدة الأخشبة؛ فوافوه بها، وقبيل الفجر خرجوا منها، فقالوا [قيّلوا] يوم السابع من الشهر المذكور ببلد العاقل (من بلدان العوامر) وراحوا منها بعد العصر، فعرّسوا بـ «زكيت» (بلدة صغيرة قرب إزكي)، ومنذ وصل [أي نور الدين] العاقل أرسل إلى تلميذه الكبير أبي زيد عبدالله بن محمد الريامي الإزكوي، وكان يسكن إزكي، أنْ يُوافيه بمن عنده من الأعلام والمطاوعة. وفي غرة اليوم الثامن خرج من زكيت، وقال بالبرْكَة، فوافاه أبو زيد [الريامي] عصر ذلك اليوم، وعنده من الشُّراة ستون رجُلًا كلهم شارٍ بايع نفسه لله. [راجع نهضة الأعيان، في المصادر والمراجع]. ملحوظة: نلاحظ، من سياق الشرح التاريخي لتلك الرحلة أنَّ أبا مُسلم مُلمٌّ بها (وهو في زنجبار)، وبنى عليها حركيَّة نُونيَّته واضطرامها.

(١) يامِن: خذ جانب اليمين || الدَّوح: إحدى مناطق البادية التي يقيم بها الجحاحيف من قبيلة وهيبة ||=

وَاعْمِدْ إلى «الجَوْفِ» وَاسْتَظْهِرْ أَسَافِلَهَا ... أرْضٌ لِعَامِرَ أَهْلِ الفَضْلِ أوْطَانُ[1]

وَافْرُقْ بِهَا البِيدَ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَهَا ... «فَرْقٌ» على «بَيْضَةِ الإسْلامِ» عُنوَانُ[2]

=الخضراء: قرية خضراء بني دفاع الواقعة على طريق المسافر بين سناو وازكي || مُنتحياً: والانْتِحاءُ اعْتِمادُ الإبل في سيرها على الجانب الأيسر || أفناء: ورجل من أَفْناء القبائل أي لا يُدرى من أيّ قبيلة هو، شجرة فَنْواء إذا اتسعت وانتشرت أغصانها، وكذلك أفناء الناس انتشارهم وتشعبهم، وقصد كافة معانيها، دلالة على خصب وادي حلفين وتنوع القبائل التي تسكنه || حلفين: وادٍ ينبع من نهايات الجبل الأخضر ليمُرَّ بإزكي حتى مصبّه في بحر العرب في ولاية محوت || جرنان: اسمُ ولاية إزكي القديم، كما سبق ذكره. **المعنى**: وفي طريقك دع الدَّوح وخضراء بني دفاع إلى يمينك، وانتحِ بقافلتك يساراً صوب وادي حلفين حيثُ كافة السيوح هناك تقودك في مُنفسَحها إلى إزكي.

(١) اعمِد: اقصُد || الجوف: حوض المنطقة الداخلية الذي تصبُّ في جوفه شعابُ المُتفرّقِ من وديان الجبل الأخضر || استظهِر: || أسَافِلَها: مُنحدراتها || أرضٌ لعامر: يقصد من سكن تلك النواحي في قلعة العوامر وحبل الحديد والحليوْ والعَاقِل وسواها من القرى الفاصِلة بين حدود المنطقتين: الداخلية والشرقية من عُمان. **المعنى**: وبعد مُيامنتكَ للخضراء، قاصداً وادي حلفين استظهر ما تراهُ أمامكَ من أرض عامر التي استوطنوها، قبل ظهور مَهابَة المكان الجليل وعظمته الأسطورية في السُّيوح الفاصلةِ بين مُنطلَق الرّحلة [م. الشرقية] ومُبتغاها [م. الدّاخلية] حيثُ تتمركز إزكي؛ البُؤرة التاريخية.

(٢) افرُق: شُقَّ وفرّق || البيد: المفازات || فرق: أتت هنا بمعنييها المُزدوجين: «فرق» البلدة الواقعة على تخوم نزوى، وتعني أيضاً معناها الفارق في اللغة مجازاً استعارياً مُعبّراً عن عهود ظلامٍ لم تر أنوارَ زمن الإمام العادل الذي سيتربَّعُ مُرتبَع العدالة في قلعة نزوى || بيضة الإسلام: هي نزوى؛ وهو اسم عاصمة الإمامة، وأصل اسم البيضة الدِّرْع، وقيل الخوذة، ولطالما اتخذ العُمانيون نزوى درعاً أخيرة في ملماتهم التاريخية الكُبرى. **المعنى**: وبعد خروجك من إزكي/ جرنانُ افلقْ وشُقَّ المفازات في طريقك حتى تتراءى لك بلدة «فزق»: عنوان القصدِ والمَقصَدِ؛ بيضة الإسلام التي حَجَّ إليها الشيخ نور الدين السّالمي لتنصيب ومُبايعة الإمام العادل. ولا تخفى براعة الشاعر الذي جعل من بلدة فرق باسمها المُفارق عُنواناً رمزياً دالًا على فحوى الرِّسالةِ قبلَ فتحِ مَظاريف المُبايعة [آلية الإنتخاب الديموقراطي، بلغة العصر]؛ فضلًا عن البُعد الطبوغرافي المُهيمِن على جغرافيَّةِ مَنطقةِ الجوف بجلالِ عاصمة الأئمّةِ وترميز رسائلِ أئمَّتها عبر العصور للأُمّةِ التي شقت وحدتها خلافاتها القبلية. أما بلاغة القول الشعريِّ فهي كامنة في اعتبارهِ بيضة الإسلام «رسالة الرّسالات» المُنقذة بوَحْيِ سُطورها للأُمّة، وتكييفِهِ لبلدة «فزق» كي تصيرَ العُنوان المكتوب على تلك الرّسالة، فيا له مِنْ فَرْقٍ فارِقٍ ومُفارِقٍ أنْ يجعَلَ الشاعِر مِنْ مَدينة نزوى «مَهبط رسالات»، ويَجعلَ من بلدة «فزق» عُنوان تلك المَدينةِ الرّسوليّة.

فَـإنْ تَـيَـامَـنَـتِ الـحَـوْرَاءُ شَـاخِـصَـةً	لـهـا مَـعَ الـسُّـحْـبِ أكْـنَـافٌ وَأحْـضَـانُ[1]
فـحُـطَّ رَحْـلَـكَ عَـنْـهَـا إنَّـهَـا بَـلَـغَـتْ	«نَزْوَى» وَطَافَتْ بِهَا لِلمَجْدِ أرْكَانُ[2]
فَـطَـالَـمَـا وَخَـدَتْ تَـبْـغِـي لُبَـانَـتَـهَـا	كَـأنَّـهُـنَّ مَـعَ الإنْـضَـاءِ عُـقْـبَـانُ[3]

---

(١) الحوراء: جبل يقع على يمين المُسافر في طريقه من فرق إلى نزوى || شاخصة: قصد بها حَيْد الجبل الشاخص يخرج منه فيتقدم كأنه جَناح || أكناف: أكناف الجبل والوادي: نواحِيه حيث تنضم إليه || الحضن: الجنب، وحِضْنُ الجبل: نواحيه وما يُطيف به. المعنى: فإن تيامنت الحوراء ـ بعد عبورك لفرق ـ شاخصةً بأجنحتها تنظرُ من عَلٍ على نواحي الجبل بسُحبها المتعالية...

(٢) الرَّحل: مركب البعير وحمولته || أركان: والرُّكْنُ: الناحية القوية وما تقوّى به من مَلِكٍ وجُنْدٍ وغيره، وبذلك فسر قوله عز وجل: فتَوَلَّى بِرُكْنِه، ودليل ذلك قوله تعالى: فأخذناه وجنودَه؛ أي أخذناه ورُكْنَه الذي تولى به، والجمع أركان وأرْكُنٌ؛ أنشد سيبويه لرؤبة: وزَحْمُ رُكْنَيْكَ شَدِيدَ الأَرْكُنِ. ورُكْنُ الإنسانِ: قوّته وشدّته، وكذلك رُكْنُ الجبل والقصر، وهو جانبه. ورُكْنُ الرَّجُل: قومه وعَدَدُه ومادّته. وفي التنزيل العزيز: لو أنَّ لي بكم قُوَّةً أو آوِي إلى رُكْن شديد. المعنى: [تتمة البيت السابق] ...في تلك اللحظة، بعد بلوغ المرام، ألقِ عصا التسيار وحُطَّ رحلَكَ عن ناقتك (قافلتك، بالأحرى) ـ مُخاطباً دليلها؛ ناقل العيس ـ، لأنها بلغت قصدها المُراد: نزوى، وصار من حقها أن تُباهي بقية الرواحل والقوافل بلوغها أركانَ مجدها الذي سيؤرِّخ في السَّيْر. وليس عسيراً على القارئ ملاحظة استخدامه القاطع لفكرة نهاية الرحلة ومُنتهاها في ابتداء الشطر الثاني من البيت الذي تبلغه القافلة ـ كما لو كانت تعبُرُ مفازة ـ بعد لأي، لتكتشف فجأة أنها بلغت «نزوى»! ورغم ما توحي به الدلالة السطحية أن المقصود بـ«وطافت بها للمجد أركان» ـ نزوى، لكنَّهُ مَطبٌّ شِعريٌّ باذخ؛ فأبو مُسلم يقصِدُ قافلة مُبايعة الإمام التي طافتْ أركانها حول مَجدها المُؤَثَّل.

(٣) وخدت: الوَخْدُ ضربٌ من سَير الإبل، وهو سعة الخَطْو في المشي. يقال: وخَدَتِ الناقةُ تَخِدُ وخْداً؛ أي أسرعت. قال النابغة: «فَما وَخَدَتْ بِمِثْلِكِ ذاتُ غَرْبٍ | حَطُوطٌ في الزِّمامِ ولا لَحُونُ». ووخَدَ البعير يَخِدُ وَخْداً وَوَخَداناً: أسْرَعَ ووَسَّع الخَطْو؛ وقيل: رمى بقوائمه كمشي النعام || لُبانتها: اللُّبانة الحاجة من غير فاقة ولكن من هِمَّة || الإنضاء: الهُزال || عُقبان: جمع عقاب، وهو من الطيور الجارحة. المعنى: وقد آن لتلك الراحلة أن تستريح بعد مسيرها الشاق من المنطقة الشرقية إلى المنطقة الداخلية، في خبَب إسراعها اللاهث (وهي تُوسِعُ مَجالَ خطوِها في طريقها) ـ لها حقُّ استحقاقِ حاجتها التي سعت إليها. لكنَّ حاجتها ـ المُستشفَّة من سِياق الأمثولة الشعرية ـ ليست كحاجة سواها من الرَّواحل كَلأً ومشرباً عذباً؛ بل غذاؤها الرُّوحيّ المُتوخى من إسراعها في مَسعاها؛ كما لو كانت تستنبط وتُؤَوِّلُ هدف الرحلة، لدرجة أنَّ من يراها، من يرى جِمال تلك القافلة من بعيد، يخالها ويحسبها لشدَّة الهُزال عُقباناً مُحلقة في الفيافي التي تذرعُها بأجنحةِ الرُّوح العطشى للفضيلة والعدالة. والصورة الشعرية بالغة الفوتوغرافية والتخييل الجموح، ولا تُماثلُ شيئاً عدا ذاتِها في=

انْـزِلْ ـ فَـدَيْـتُـكَ ـ عَـنْـهَـا إنَّ حَـاجَـتَـهـا عَـدْلٌ وَفَـضْـلٌ وَإنْـصَـافٌ وَإحْـسَـانُ

انْـزِلْ ـ فَـدَيْـتُـكَ ـ عَـنْـهَـا إنَّ وِجْـهَـتَـهـا تَـخْـتُ الأئِـمَّـةِ مُذ كَـانـتْ وَمُذ كَـانُـوا[1]

هُـنَـالِكَ انْـزِلْ وَقَـبِّـلْ تُـرْبَـةً نَـبَـتَـتْ بِـهَـا الـخِـلافَـةُ وَالإيـمَـانُ أَيْـمَـانُ[2]

=تخيُّلِ قافلةٍ مُرفرفةٍ في ماء السَّراب، كعُقبانٍ مرفرفةٍ على ضحضاحِهِ المُتخيَّلِ في ظهيرة لاهبة، وهي صورة شعرية تستمدُّ يُنبوعَ شعريَّتها من المُتلازمة الفاتنة في إحالة الواقع إلى المُتخيل، وإحالة المُتخيل إلى الواقع في جُملة: «كأنَّهُن مع الإنضاء عُقبان»؛ فشرطُ الصورة السَّرابيَّة المُتخيَّلَة هو «واقعُ» هُزالِ تلك النوق الذي استطاع أن يُجرِّدها من صُورتها الواقعية: كائنات أرضية ضخمة أشبه بالفيلة في التصاقِ أطنانِ خِلْقتها بالأرض، لتصبحَ بعدَ رحلةِ المُبايعَة أقرب ما تكون للجوارح المُرفرفةِ بأجنحة أرواحِها التي تخلَّصتْ من أثقال الأرض وأوحالها التي دَبَّت عليها أثقلُ الكائنات. والمُفارقة بمجازها وبُلغةِ بلاغتها اللامطروقة، واحدة من الأسباب التي جعلتْ النُّونيَّة، فيما نحسب، أثراً شعرياً خالداً فيما «توقعه» الشاعر وما «تخيَّلَهُ» مِن تصاعُد كثافتِها الشعرية التي ستطغى بحُبِّ مواطنيهِ الفائضِ في سُموِّهِ على مَوضوعَتي «الواقع» و«الخيال» الشعري في انفرادهما موضوعتين تحملُ كُلٌّ منهما نقيضها، وهي ذات الفكرة الماتحة من مستويات ومراقي الخطاب الصوفي حول الباطن والظاهر.

(١) تخت: أصلها وعاءٌ تُصانُ فيه الثياب، وهي فارسية استخدمها العرب. وتعني، فيما تعنيه، المكان المُرتفع لجلوس الوُجهاء، تستخدم كمقابل للعَرش، واستخدمها الشاعر عن قصد في وصفه لمَجالس الأئمّة تحاشياً لاستخدام مُفردة العرش بظِلالها الدُّنيوية التي ابتذلتها وتهابَطت بها من سُمُوِّ العرش الرَّباني. معنى البيتين: لذلكَ انزلْ عنها ودعها تستريح قليلًا من وعثاء سفرها، لأن حاجة قافلتك ليست كحاجة سائر القوافل في بُرٍّ أو شعير، بل فضلٌ وإنصافٌ وإحسانٌ لم تعتدهُ في مواسم ترحُّلها العاديِّ، وهي مُثقلةٌ بعُبَّار الآفاق ومُؤنهم بين سُوح البلاد ومفاوزها.

(٢) الخِلافة: قصد بها العودة الرَّمزيَّة للخلافة الرَّاشدية مُمثلةً في عُمر وأبي بكر واستمراريَّتها ـ وفق مُعتقد الإباضيَّة ـ صيرورة وسيرورة في أئمَّةِ عُمان || الإيمان: ضد الكُفر، وتعني التصديق، ضدُّه التكذيب. يقال: آمَنَ به قومٌ وكذَّب به قومٌ || الأيْمَان: اليَمِينُ؛ الحَلِفُ والقَسَمُ، والجمع أَيْمُنٌ وأَيْمان. المعنى: ولا يكفي أن تنزل فحسب من راحلتك وحسب؛ فكما قامت بَدورها عليك أن تقوم، أنت الآخر، بدورك المَنوط بك وُجوباً: تقبيلُ التربة التي نبتت فيها الخلافة الحَقَّة والإيمان الحقُّ [كما عهدناهما في عهد عُمر وأبي بكر حيث أزهرت قيَم العدل المُستعادة هنا، في بيضة الإسلام، بعد انقطاعها في دُوَلٍ تُوُورِثَتْ فيها الخلافة]؛ فاقسِم واحلف بعد بُلوغكَ الغاية على إيمانِكَ بخلافة الإمام الذي انتخبتهُ الأمّة، فالقسَم ـ في حدِّ ذاتِه ـ إيمانٌ مُؤكِّدٌ لإيمانك باستمرار الخلافة الراشدية. [وردت في مُعظم النسخ المُتوافرة، بما في ذلك مخطوطة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م): إيمانٌ وإيمانُ، ولم=

انْـزِلْ عَـلَى عَـرَصَـاتٍ كُـلُّهـا قُـدُسٌ لِـلحَـقِّ فِـيـهِـنَّ أزْهَـارٌ وَأفْـنَـانُ(١)

انزِلْ على عَتَبَاتِ النُّورِ حيثُ حَوَتْ أَئِمَّـةَ الـدِّيـنِ قِـيـعَـانٌ وَظُـهْـرانُ(٢)

=أعتقد بصحّتها، وما ورد في الشرح هو تخريجة من عندي تَحتملُ صَوابَها وخطأها]. تلميح: نلاحِظ، هنا، تعدُّدَ مُستويات الخطاب؛ فكما كانت الرّاحلة المَمدُوحَة في صَدر القصيدة تُشيدُ في الباطن الذي لم يُفصَح عنه في تخوم القول الشعري ورسالته برحلة نور الدِّين السّالمي، نجدُها في الظاهر تُخاطِبُ المُواطِن المُنتخِب ـ بكسر الخاء ـ تعميماً للرّسالة الاستنهاضيَّة [المُفتتحَة بالرّحلةِ المُؤسْطرَة لنور الدّين السالمي] إظهاراً واستظهاراً لباطِنِ القول المُستتر في تضاعيفِ الكلام. لذلك يُفصِحُ الخطابُ النُّونِيّ ـ نسبة إلى النُّونيَّة ـ عن مَكنونه ليتمَظهر في تعميمِ القول وينسحِب، تالياً على كافة أتباع الإمام المُنتخَب، عبر آليَّةِ المُبايَعة. وتلك حيلة شعريَّة لا تُجيدُها سوى فطنة أبي مُسلم؛ فمن يقرأ مَسْرَدَ أبيات المَطلع لن ينتبه إلى تحوُّلِ رمزيَّةِ كُلٍّ من (المُخاطِب، تخصِيصاً في المُفتتح البارق)، و(المُخاطَب، في الجَمْهَرة بعد هَطلِ الوَحْيِ الماطر بخصب العَدل)، وتلك سِمَة بلاغيَّة، ومُبتدَع انتِخابيّ لا يُجيدُهُ ولا يُتقن عريكَتهُ، وعورة قول مغموس في سَلاسَته سِوى شاعر كأبي مُسلم.

(١) عَرَصات: كل بُقْعةٍ بين الدور واسعةٍ ليس فيها بناء؛ قال مالك بن الرَّيْب: «تَحمَّلَ أصحابي عِشاءً، وغادَرُوا | أخا ثِقَة، في عَرْصةِ الدارِ، ثاوِيا». والعَرَصاتُ: جمع عَرْصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه. المعنى: وفي تلك العَرصات التي آمرُكَ بالنزول فيها والقسم بإيمانك بين دُورها القدُس المُتقدِّسة والمُقدسةِ تُربة مُباركة؛ ستجد أنَّ للحقِّ في ساحاتِها دوحَةً مُزهرة بأكثر من زهرةٍ وفَنَنٍ يُعيدانِكَ إلى حَياةِ الحَياةِ التي افتقدتها، والتعبيرُ في مُجمله إعلاءٌ وإكبار من شأن بيضة الإسلام.

(٢) العَتَبات: عَتَبات الدُّرجة: [مَرَاقيها]، كلُّ مِرقاةٍ من الدُّرجة عتَبة. العَتَبَةُ: أُسْكُفَّةُ البابِ التي تُوطأُ؛ وقيل: العَتَبَةُ العُلْيا. والخَشَبَةُ التي فوق الأعلى: الحاجِبُ؛ والأُسْكُفَّةُ: السُّفْلى؛ والعارِضَتانِ: العُضادَتانِ، والجمع: عَتَبٌ وعَتَباتٌ. والعَتَبُ الدَّرَج. وعَتَّبَ عَتَبةً: اتخذها. وعَتَبُ الدَّرَجِ: مَراقِيها إذا كانت من خَشَب؛ وكلُّ مِرْقاةٍ منها عَتَبةٌ. وفي حديث ابن النَّحّام، قال لكعب بن مُرَّةَ، وهو يُحدِّثُ بدَرَجاتِ المُجاهد. ما الدَّرَجةُ؟ فقال: أما إنَّها ليستْ كعَتَبَةِ أُمِّكَ أي إنها ليست بالدَّرجة التي تَعرِفُها في بيتِ أُمِّكَ؛ فقد رُوِيَ أنَّ ما بين الدرجتين، كما بين السماء والأرض. [وردت في الأصل المُعتمد (عَذبات)؛ وتعني فيما تعنيه أطراف السيوف، وعَذَبةُ اللسان: طَرَفُه الدقيق، كما أنها وردت في نسخة «نهضة الأعيان» (عزبات)، وفي اعتقادنا أنها عَتبَات، وقد غيَّرَتها أقلامُ النُّسَّاخ؛ لأنَّها الأنسب والأكثر مُلاءَمَة للمَعنى، فيما نحسب، ناهيكَ عن الشائع تعبيراً عن عَتبات النُّور، وعدم عُثورنا في عَذَبَات مايُفيدُ المعنى صراحةً، كما تعودنا مِن أبي مُسلم الذي لا يَضعُ مُفردة إلّا وكان شاهِدُهُ سَبّاقاً إليها، كما أنني وجدت تحتها خطاً خفيفاً في مخطوطة ١٩١٤، يفيد استغراب ورودها ممن سبق وقرأها]|| قِيعان: القاعُ والقاعةُ والقِيعُ: أرض واسعةٌ سَهْلة مطمئنة مستوية حُرَّةٌ لا حُزُونةَ فيها ولا ارْتِفاعَ ولا=

حَيثُ المَلائِكَةُ احتلَّتْ مَشاهِدَهُم   لهَا عَلَى الحِلِّ وَالتَّعريجِ إدْمَانُ(١)

=انْهِباطَ، تَنْفَرِجُ عنها الجبالُ والآكامُ، ولا حَصَى فيها ولا حجارةَ ولا تُنْبِتُ الشجر، وما حَوالَيْها أَرْفَعُ منها وهو مَصَبُّ المِياه || ظُهران: الظهر من كُلِّ شيءٍ خلاف البطن، وأراد به ما ظهر ونتأ من الأرض، خلافَ ما غارَ منها في القيعان. المعنى: انزل على عتبات النور التي حوت أئمّة الدين بما ظهر منها من فيوض عدل الأحياء من الأئمة، وما استبطنته الأرض في جوفها، وقصد به نورانية مراقد الأئمة. إشارة تلميحية: لا نرى بأساً في الأخذ بما ورد في «نهضة الأعيان» المُستنسخة عن المخطوطة، لا سيّما أنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب أشار إلى ذات الاصطلاح في حديث الاستسقاء آنف الذِّكر، وباليسير من المُخيِّلة المُتحفزة للاستنتاج لن نُعدَمَ حُجَّةً وحَجَّةً - في قول أبي مُسلم - واعتماده على حديث علي بن أبي طالب، فيما لو تداركنا التأويل المُنغلق فيما أورده أبو مُسلم في قصيدته «النهروانيّة» بانحيازهِ إلى «باطِنِ» الحَقّ، رغم ما أظهَرَتْهُ القصيدَة في «ظاهِرِها» الذي لا يُعوَّلُ عليه في خَطْفةِ التأويل. وكما قال الشيخ مُحيي الدين ابن عَرَبي: «كُلُّ مَعرِفةٍ لا تتنوَّعُ لا يُعوَّلُ عليها»، و«كُلُّ امتزاجٍ لا يُعطيكَ أمراً لم يكُنْ عندكَ مِنْ قبلِ وُجودِهِ، لا يُعوَّلُ عليه» - لكنَّنا نُعوِّلُ كثيراً على امتزاج ما قالَهُ أبو مُسلم لعليّ بن أبي طالب في قصيدته النَّهروانيّة، لاعتقادِنا بسَبْكِهِ المُضمَر في «نهروانيّته» الخالِدَة لمقولةِ جلال الدِّين الرُّومي: «إنَّ الدَّمَ ليتفجَّر مِنْ فمي مع الكلمات» في مُعاتَبَته الشفيفةِ للإمام عليّ حول ما حدث في موقعة النهروان، وانثيالِ أبي مسلم في أغراضها الشعريّة المُمَسرحة لمَوقِفِهِ من عِلَّةِ الخِلافِ المَذهبيّ ومَعلولِه، كما قال - جلال الدِّين الرُّومي - مُضيفاً: «لقد حَبستَ المَعنى الحُرَّ الطليق، وبذلك جعلتَ الهواءَ أسيراً للحُروف»، وفي ذلك إشارة تأويليّة لباطِنِ «النهروانيّة» المُناقض لِظاهرها الشائع. واستطراداً في القول؛ نعتقدُ أنَّ أبا مُسلم قرأ ومَحَّصَ أفكار كبار المُتصوِّفة؛ ولم يَكتفِ بمَسلك شيخه سعيد بن خلفان الخليلي الماتح من حُجَّة الإسلام وابن الفارض. لذلك لن يكُون غريباً - في سِياق مُطوَّلةِ هذه الحاشية - أنْ نستنتجَ استنتاجاً «نُورانيّاً» - ولو كُنا أرضِيِّينَ - لا نحسبُ أنهُ خفيَ على الشيخ أبي مُسلم (وإن لم يُظهِرْهُ ليَظلَّ في بَواطِن مَعرفة العِرفان) - فيما لو قرأنا، على سبيل المِثال: [موقف ما يَبْدُو] للشيخ محمد بن عبدالجبّار النِّفري: «أوقفني فيما يبدو فرأيتُه لا يبدو، فَيَخفى ولا يخفى فيبدو ولا معنى فيكون معنى، وقال لي: قِفْ في النار، فرأيتُه يعذبُ بها، ورأيتها جنةً، ورأيتُ ما ينعم به في الجنَّةِ هو ما يعذبُ بِهِ في النار». وخُلاصَة المُبتغى والمُراد مِنْ هذه الإطالَة هو التأكيد والتوكيد على إيمان أبي مُسلم بالشِّق الرُّوحي المُتمَثل في الإمام المَمدوح وحَوارِيّيه، ناهيك عن مُعتقدِهِ الذي لا يدحضُهُ داحضٌ بفكرة اعتقاده المُصفى باصطفائهم من لدُن العليّ القدير، رَفعاً لهُم ولمَكانتهم أحياء وأمواتاً؛ وهو البُعد الباطنيّ المُضمَر في تلاقُحِ أنوارِ النُّونيّة إلى جانِبِ بُعدها الاستنهاضيّ الظاهر في أبياتها الاستنهاضيّةِ الأخرى.

(١) مَشاهدهم: مواطنهم وأماكنهم التي أقاموا فيها، والمَشهد محضر النّاس ومجمعهم || الإدمان: المُعاقرة، كإدمان شارب الخمر. المعنى: هذا البَيت تفسيريٌّ يُؤكِّدُ ما ذهبنا إليه في شرح البيت=

أرْضٌ مُـقـدَّسَـةٌ قَـدْ بُـورِكَـتْ وَزَكَـتْ		تَـنْـصَـبُّ فِـيـهَـا مِـنَ الأنْـوارِ مُـعْـنَـانُ(١)

=السابق؛ فهو يقول: أنَّ الملائكَة احتلَّتْ أماكنهم التي أقاموا فيها أحياء وأمواتاً (قيعاناً وظُهراناً) تبرُّكاً بمقاماتهم الرَّفيعة لدى الواحد الأحد؛ ورغم واجباتهم [أي الملائكة] المناطة بهم في بقاع أخرى من الأرض، إلَّا أنَّ زوراتهم لمواطنهم وأماكنهم التي ألفوها أحياء لا تنقطع، تماماً كزياراتهم المستمرة لمقابر الأئمَّةِ بعد رحيلهم؛ لشدَّةِ إدمانِهم عليها هبوطاً عُلوياً من السَّماوات وتعريجاً عليها في طريق عودتهم. **تلميح**: يتضح صفاء البُعد الصُّوفي العَميق في تعبيره: «لها على الحِلِّ والتعريج إدمان»، مُوائماً ومُزاوجاً بين المُصطلح الصُّوفي المُعبِّر عن السُّكْر بالله، وامتداد ذلك السُّكْر إلى المَلائكَة الذين وجدوا «حانتهُم» الأرضيَّة في بيضة الإسلام يُعرِّجون عليها، وَمِنها يُعرِّجون صُعوداً نحو السموات بعد نشوتهم الرُّوحيَّة، فضلًا عن البُعد الشِّعري الخلاق الذي أبطَنهُ أبو مُسلم في هذه الأبيات للتعبير عن إعجابه بمُبتدعات خمريَّات الشعراء الأرضيِّيْن كأبي نُواس، ناهيك عن تأثره الواضح بسيرة وشعر الحسين بن منصور الحلّاج، وسواهُما من شُعراء العصر العباسي ـ لكنَّ هدفه لم يكُن الإلماح لحالة سُكْر دُنيويّ، قدر تصريحِهِ ـ بل واستفزازه في بعض أبيات النونيَّة ـ للذائقة السَّائدَة آنذاك في «بيضة الإسلام» بتعاليمِها المُتشدِّدَة التي لا تتقبَّلُ نزوعاً إلى ما بدا لأولي الأمر «خروجاً» يسرح ويمرح على رصيف الصراط المُستقيم. لكن أبا مُسلم ـ كما نرى ـ لم يأبه بذلك وقالَ ما أراد قوله في عَقرِ نونيَّتِه بلغتِه التي لم يَسْتطِع فُقهاءُ ذلك العصر أن ينبسوا بكلمة تجاه ما بدا لهم «تجديفاً» غير مُستساغ في ظاهر القول، لأنهم يُدركون أنَّهُ صادرٌ من عِرفان عارفٍ ببواطنه؛ تماماً كما عَرَفت المَلائكَة طريقها إلى مقابر الأخيار والأولياء والأئمَّة التي أدمَنتْ على زيارتها إدمانَ مُعاقِر الخمر.

(١) زكت: الزَّكاء؛ النَّماء والازدهار || مُعْنان: المَعْنُ والمَعِينُ: الماء السائل، وقيل: الجاري على وجه الأرض، وقيل: الماء العذب الغزير، وكل ذلك من السُّهولة. والمَعْنُ: الماء الظاهر، والجمع مُعُنٌ ومُعُناتٌ، ومياهٌ مُعْنان. **المعنى**: فبيضة الإسلام (نزوى) أرض مُقدَّسة بوركت ونمت وازدهرت تنصَبُّ فيها الأنوار سائلة كانصباب الأمطار الغزيرة. **تلميح**: ثراء الصورة الشعرية محبوسٌ في نقيضه؛ انصباب مَعِينِ الأنوار التي سَيَّلَها الشاعر في دفقه الشِّعري كما يسيل الماءُ العذب، وقوة الاستعارة مُكثفة في مفردة «مُعنان» وارتباطها مباشرة، دون وسيط تشبيهي، بالنور السائل مُنصبّاً من سماء الله. وهذا ما يجعل المعاني المجردة في مقام المحسوس، تقوم بوظيفتها الشعرية خارج أقنوم دلالتها المحدَّدِ بمحدوديَّةِ تلك الدلالة الناشئة عن تواتر العلاقة المنطقية بين الدَّالِّ والمَدلُول. فنواة البُنية الشعرية داخليَّة تستمد طاقتها التخييلية من عناصرها، وليس عبر التشبيه المُحيل إلى المقارنة، وفي ذلك تأبيدٌ للجوهر الشعريِّ قياساً ببريقِ مُحسّناته البديعيَّة. فالاستعارات التقليدية في الشعر الكلاسيكي لم تستطع الصمود أمام فتوحات الشعرية الحديثة؛ تلك التي أفسحت المجال لمجازات المُتخيَّل أن تطلقَ عنان/ مُعنان آفاقها الحبيسة في ضيق محدوديَّة المعنى حين ينفصلُ عما يستطيع خلقه من ترادفات تكون نتائجها خلَّاقة في صُهارة التكوين الشعري والجمالي، كما هو الحالُ في مُعنانِ أنوار هذا البيت.

مـا طَـارَ طَـائِرُهـا للهِ مُـحْـتَـسِـبـاً	لَهُ جَـنَـاحَـانِ إِيْـقَـانٌ وَعِـرْفَـانُ[1]
إِلّا وَقَـامَ يَـمِـيـنُ اللهِ سَـاعِـدُهُ	وَالـفَـتْـحُ وَالـنَّـصْـرُ وَالتَّـأْيِـيدُ أَعْـوَانُ[2]
مَـيْـمُـونَـةٌ بَـرَكَـاتُ اللهِ تَـنْـفَـحُـهَـا	وَالـيُـمْـنُ يُـثْـمِـرُهُ عِـلْـمٌ وَإِيـمَـانُ[3]
رَسَتْ بِهَا هَضْبَةُ الإِسْلامِ مِنْ حِقَبٍ	وَإِنْ قَضَتْ بِاسْتِتَارِ العَدْلِ أَحْيَانُ[4]

(١) إيقان: اليَقْن واليَقين: زَوال الشَّكِّ، وقصد به تناهي الإيمان || العِرفان: المعرفة الباطنية بذات الله. المعنى: قصد بطائر تلك الأرض المقدسة عُلماءها رجال العُزوم وطُلاب العدالة المُحتسبين يُرفرف بأنوارِهم النورانيّة جَناحان: اليقين الإيماني والمعرفة الباطنية بالذات الإلهيّة المُتعالية.

(٢) المعنى: وما طار طائرُ تلك الأرض المُقدسة [وهُم أئمّتُها الحافظون لقدسيّة بيضة الإسلام]، إلّا وكان توفيق الله ويُمنهُ ساعداً أيمَن لذلك الطائر؛ أما الفتح والنصر والتأييد فهيَ ـ من باب أولى ـ أعوانٌ مُؤازرة له في مَسعاه النُّوراني. تلميح: لا يَنِي الشاعِرُ في نونيّتِهِ عن المُزاوجة بين اللين والقسوة، سطوة الخطاب في بُعده الباطني، وانثيال خِفّته الظاهريّة، مشفوعةً بمُسلماتٍ لا خلاف بشأنها. ففي الشطر الأول يتحدث عن [الباطن]؛ وهو الطائر الميمُون مُتحققاً في الإمام بجناحيه إيقاناً وعِرفاناً، وفي الشطر الثاني يُخاطب جُموع الجَمهرةِ بما عهدته في الغزوات الإسلامية الأولى وفتوحاتها [الظاهرة]، ليظفرَ بتأييدها للإمام عبر ربطه الوثيق بين الآية القرآنية وبين المُبتغى المُتوخى منهم، على اعتبار أن الفتح والنصر [والتأييد] ثلاثة عناصر تتكاتف معاً في مُعاونَة ما سبقَ لطائر الله المُحتسِب أن قامَ به جناحاه المجدول ريشهما من إيقانه وعرفانه.

(٣) المعنى: وتلك الأرض المُقدَّسَة مَيمونةٌ لأنَّ الله نفحها ببركاته، ويُمنُها ثمرة لاتحاد الحُسنَيَيْن: العلم والإيمان في صُدور أخيارها من الأئمة وأعوانهم المُجاهدين المُحتسبين لدنياهم وآخرتهم.

(٤) رست: استقرَّت || هضبة الإسلام: الهَضْبَةُ: كلُّ جَبَلٍ خُلِقَ من صخرةٍ واحدةٍ؛ وقيل: كلُّ صخرةٍ راسيةٍ، صُلْبةٍ، ضَخْمة؛ أي: الجَبَلُ المُنْبَسِطُ على الأرضِ، أو جَبَلٌ خُلِقَ من صَخْرَةٍ واحِدَةٍ، أو الجَبَلُ الطويلُ المُمْتَنِعُ المُنْفَرِدُ، ولا يكونُ إلّا في حُمْرِ الجِبال. المعنى: وليس غريباً شأن بيضة الإسلام المُقدَّسة؛ فقد رست سفينة الإسلام الحق في صخورها الصلبة حقبة بعد حقبة، دون أن تتنكّر لمبادئهِ الأولى، وإن استتر العدلُ فيها أحياناً؛ فتلكَ مشيئة الخالق وحِكمتهُ التي لا تؤوَّل. (يتضمن البيت إشارة إلى انقطاع الإمامة نحو أربعين عاماً ونيِّف في الفترة الفاصلة بين مقتل الإمام عَزَّان بن قيس والإمام الجديد سالم بن راشد الخروصي، كما يتضمَّن إشارات لبعض زعماء القبائل الذين طغوا بسلطانهم وجبروتهم في تلك الحقبِ وما سبقها في القرون الأولى خلطاً مِنهم بين الزعامَتين: الدينية والقبليّة). تلميح: رغم أنَّ الإشارة إلى استتار العدل ليست من صالح خطابه الاستنهاضي، لكنه يستخدمها آليّةً دفاعيّة لصالح استنهاضه، مُذكراً قومَهُ بأنَّ مشيئة الله كانتْ دائماً تُظهِرُ العدلَ بعد حقب الظلم والجبروت، وعليهم أن يدركوا أن هذه مرحلة جديدة لقيام العدالة، عليهم استثمارها ما أمكنهم ذلك.

قَـدِيـمَـةُ الـذِّكْـرِ عَـاذَ الـدِّيـنَ عَـائِذُهـا مِـنْ يَـومِ أَصْـبَـحَ تَـوْحِـيـدٌ وَقُـرْآنُ[1]
قَـامَـتْ بِـهَـا قُـبَّـةُ الإِسْـلامِ شَـامِـخَـةً حَـتَّـى تَـوَاضَـعَ «بَـهْـرَامٌ» وَ«كِـيـوَانُ»[2]

(١) عاذ: لاذ فيه ولجأ إليه واعتصم به. والعُوذةُ والمَعَاذَةُ والتَّعْوِيذُ: الرُّقية يُرْقى بها الإنسان من فزع أو جنون لأنه يعاذ بها || أصبح: بمعنى صار. المعنى: في البيت تأكيدٌ على المكانة الرُّوحية لبيضة الإسلام وقدسيَّتِها المُضاف إليه، ضِمناً، في خطاب التوكيد ذكرها القديم مُذ أدركت البشريَّة القرآن والتوحيد في أسفار الأولين. وهي بفضل هذا الدين أضحت محروسة [عاذ الدِّينَ عائذُها] مذ كان توحيد وقرآن، وهو يستخدم عاذ بمعنييها: لجأ واعتصم به، وتعويذة أو رُقية تحميها من الهلاك والدمار بعد دخولها حضيرة الإسلام. تلميح: نلاحظ أنه استخدم مفردتي «توحيد» و«قرآن» جنباً إلى جنب، تبريراً لذكر بيضة الإسلام/نزوى قديمة الذكر، ولذلك أسبابه، فالتوحيد قديم قبل ظهور الإسلام، لكنه أراد الإشارة والإلماح إلى مرويَّات الكُهَّان والأحبار اليهود والنصارى حول ظهور نبيٍّ في جزيرة العرب مُعجزته كلماتُ الرَّب، خلافاً لمعاجز موسى وعيسى وسواهم من الأنبياء؛ لذا فإنَّ ربطه بين المُفردتين (إلى جانب ذكر نزوى)، لم يأتِ جُزافاً، كما قد نعتقد في ظاهر ضحضاح التفسير المُخالِفِ لباطنِهِ في بطن الشاعر.

(٢) بهرام: كوكب المريخ || كيوان: كوكب زحل. المعنى: خلافاً لاعتقاد سائد أنَّ أبا مُسلم يُشيرُ إلى أسماء ملوك أو قادة فرس في هجماتهم على عُمان، لاعتقادنا أنه، في الغالب، قصد الكواكب والنجوم في قبابها السماوية التي بدت له مُتواضعة أمام قبة الإسلام الشامخة في نزوى، لا سيما أنه يُشير في بيتيه السابقين إلى قدمِ ذكرها في حِقب الأولين. وفي هذا دليل على اطلاعه بعلم الفلك وعلم الهيئة، وهي عُلوم مُوازيةٌ لاهتماماته بالطرق الصوفية وحساب النجوم والرِّياضات ذات البُعد التصوُّفي. فالأسماء التي أوردها هي أسماء فارسية للنجوم، وقد كان للعرب قبل الإسلام معرفة فلكية انحدرت إليهم من تراث أجدادهم، بالإضافة إلى ما أخذوه من الأقوام المجاورين لهم كالكلدانيين والفرس والسريان المُلمِّين بمواقع النجوم وسيرها التقريبي بالملاحظة اليومية واستدلوا بذلك على فصول السنة، ناهيك عن معرفتهم للكواكب والنجوم بأسمائها العربية أو الفارسية أو الكلدانية (مثل المريخ الذي عرَّبوه من الاسم الكلداني البابلي: مردوخ، ثم في فترة لاحقة استعاروا أسماء من الفارسية مثل: كيوان؛ برجيس؛ بهرام؛ أناهيد التي أطلقوها على زحل والمشتري والمريخ والزُّهرة على التوالي. وفي تقديرنا التأويليّ المُتواضع؛ أنَّ الشاعر أراد الإعلاء من شأن قبَّةِ الإسلام مُعادلاً دهرياً يتسامق شموخاً كقباب الكون الفلكيَّة. ومما يُسهم في توكيد ما ذهبنا إليه انتفاء مُناسَبة ذكر قُوَّاد الفرس ومُلوكهم [كما قال بذلك بعض الشُّرَّاح]، لتقارَن القبَّة الشامخة في بيضة الإسلام بقرينها الفلكيّ وليس بما لا تصحُّ المُقارنة به من ملوك وقواد الفرس الذين دخلوا عُمان في فترات مُتأخرة، قياساً إلى ما أراده الشاعر من إعلاء مكانتها قبل ظهور الإسلام، ولا أدلَّ على ذلك من قلعة بهلا المجاورة بحصنها الحصين المبني قبل ظهور الإسلام؛ إذ أنها كانت مدخلًا غربيّاً للعاصمة نزوى في تلك العصور، تُيامِنها إلى الشرق كل من سمائل [سَمَوأل] وإزكي [جرنان] بتواريخهما التي فُقدت تفاصيلها للأسف.

وَلَم تَـزَلْ عَـرْصَـةً لِلعَـدْلِ، عَـاصِـمَـةً لِلاسْـتِـقَـامَـةِ فِـيـهَـا الـدَّهْـرُ سُـلطَـانُ(١)

كـم أشْـهَـرَ اللهُ فِـيـهَـا مِـنْ حُـسَـامِ هُـدًى كَـأنَّـهَـا لِسُـيُـوفِ اللهِ أجْـفَـانُ(٢)

كِـنَـانَـةٌ لِسِـهَـامِ اللهِ مَـا فَـرَغَـتْ مُذْ كَـانَ لـلجَـوْرِ سُـلطَـانٌ وَشَـيْطَـانُ(٣)

بِـحُـجَّـةِ اللهِ قَـامَـتْ فـي الـشِّـقَـاقِ لَهَـا بِـدِيـنِ ذِي الـثَّـفِـنَـاتِ الـحَـبْـرِ إِيـقَـانُ(٤)

---

(١) المعنى: ولم تزل هذه المدينة ساحة للعدل وعاصمة للاستقامة، لا سُلطان عليها سوى ديمومة الدَّهر. ملحوظة: قدر ما أحب سمائل وأفرد لها بيتاً من الشعر في نونيّته (سمائلٌ فهي للسلطان سلطانُ)، نجده في هذا البيت المُتقدِّم يخصُّ نزوى بسلطانها الحاكم، وهو الدَّهر الشاهد على ديمومتها وبقائها عاصمة دهريَّةَ الشأنِ لا تمحو شأنها المَساقِطُ والمَطارِحُ اللاحِقة، لتِعِلَّةٍ بيَّنها الشاعر في صدر البيت، قبل بلوغ خُلاصته التاريخية في عَجُزه: عَرْصَةَ عَدْلٍ وعاصمَة استقامَة!

(٢) جَفْنُ السيف: غِمدُه. المعنى: وليس ذلك بغريب على بيضة الإسلام. ولك أن تتساءل عمَّن أشهرهم الله سيوفَ عدل وهِدايةٍ في قلعتها وساحاتها المُتاخمة، كما لو لم تكُن هذه المدينة المُقدَّسة سِوى أغمادٍ لسُيوف اللهِ التي لا تُنتضى من جُفونها إلّا لتحقيق عدالته. تلميح: بلاغة البيت ورِقَّتِها المَجازيَّة المُوازية مُستمِرة في نقيض مَحمُولها الدِّلالي؛ بساطة استعماله لمُفردة: «أجفان» التي تعني، بداهَةً، غمد السَّيف، لكنها تُحِيلُ (مِنْ طرف خفيٍّ) إلى لُطفِ وحساسيَّةِ حَمَلةِ تلك السُّيوف في مدينتهم المُقدَّسة؛ لدرجةِ أنكَ تحسَبُ ـ وأنت تقرأ البيت ـ أنها مَدينة مَهَمَّتها هَدْهَدَة سُيوفِ الله وإغماض جفني عينيها عليها سيفاً بعد آخر؛ لتستريح كافة سُيوف الله بعد يوم شاق في المعركة التي لا هدف لها سوى استواء العدل إعلاءً لكلمة الواحد الأحد. وهي استعارة شعريَّة نادرة؛ حيثُ شبَّهَ بيضة الإسلام بمجموع سهلها ووعرها، قاحلها والمُستزرع في ضواحيها بخِباءٍ جلديٍّ هاءٍ تأوي إليهِ كافة سُيوف اللهِ في معموره؛ لتستريح بعد معركة شاقةٍ ضد أعدائه.

(٣) الكنانة: جَعْبة السِّهام تُتَّخذُ من جُلود لا خَشب فيها أو من خشب لا جلود فيها، والكِنُّ: كلُّ شيءٍ وَقَى شيئاً فهو كِنُّه وكِنانُه. المعنى: لذلك أضحت [مدينة، بجموع مجموعها] جعبة لسهام الله لم تفرغ أبداً من السِّهام، مُذ كان للظلم في الارض سُلطانٌ يَقمعُ العِباد باسمه وشيطانٌ نَديدٌ مُؤلِّبٌ لإظهار ما في قلبه من جور على عباد الله المُؤمِنين.

(٤) الشِّقاق: بالكسر تعني؛ العدواة بين فريقين والخلاف بين اثنين، سُمِّيَ ذلك شِقاقاً لأن كل فريق من فِرْقَتَي العدواة قصد شِقًّاً أي ناحية غير شِقِّ صاحبه || ذي الثفَنات: الثَّفِنةُ من الإبل: التي تَضْرِب بثَفِناتها عند الحلب، وهي أيسر أمراً من الضَّجُور. والثَّفِنةُ رُكبَةُ الإنسان، وسُمِّي عبد الله بن وهب الراسبي ذا الثَّفِنات لكثرة صلاتِه، ولأنَّ طولَ السجود كان أثَّرَ في ثَفِناته، وهو من قصده أبو مُسلم || الحَبْر: معناه العالم بِتَحْبيرِ الكلام والعلمِ وتحسينِه. وحَبَّرتُ الشيء تَحْبيراً إذا حَسَّنْتَه. قال أبو عبيد: وأما الأَحْبارُ والرُّهْبان فإن الفقهاء قد اختلفوا فيهم، فبعضهم يقول حَبْرٌ وبعضهم يقول حِبْرٌ، وقال الفرّاء: إنما هو حِبْرٌ، بالكسر، وهو أفصح، لأنه يجمع على أَفْعالٍ دون فَعْلٍ، ويقال ذلك للعالم، وإنما قيل كعب الحِبْرِ لمكان هذا الحِبْرِ الذي يكتب به، وذلك أنه كان صاحب كتب. قال: وقال=

لِسِرِّهَا وَاخْتِصَاصِ اللهِ قَائِمِهَا ... بِالنَّصْرِ، وَالفَتْحُ بُرْهَانٌ وَبُرْهَانُ[1]

تَعَاقَبَتْ خُلَفَاءُ اللهِ مَنْصِبَهَا ... مُنْذُ «الجُلَنْدَى» وَخَتْمُ الكُلِّ «عَزَّانُ»[2]

أَئِمَّةٌ حُفِظَ الدِّينُ الحَنِيفُ بِهِم ... مِنْ يَومِ قِيلَ لِدِينِ اللهِ أَدْيَانُ[3]

=الأصمعي لا أدري أهو الحِبْرُ أو الحَبْر للرجل العالم؛ قال أبو عبيد: والذي عندي أنه الحَبر، بالفتح، ومعناه العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه. قال: وهكذا يرويه المُحدِّثون كلهم، بالفتح. [تعمّدنا، هنا، إيراد المعنى القاموسي الشائع، لكنَّ ما أراده أبو مُسلم هو صيغة مُبالغة تُعلي من مكانة عبدالله بن وهب]. **المعنى**: تأكيداً لمكانةِ هذه المدينةِ وقدسيّتها، يُشيرُ الشاعر إلى حُجَّةِ وجودِها بفضلِ حُجَّةِ الله حين قامت لها مكانة لحظة الشقاق والعداوة بين المُسلمين، تيمُّناً بتلك الحُجَّةِ الإلهية ومذهبِ الحَبرِ العلامة عبدالله بن وهب الذي استحق كُنيتهُ الشهيرة: ذا الثفنات لشدة خشونة مَفاصِل رُكَبه وأطرافه لكثرة التعبُّد. والماحته، هنا، تُذكّرُ الأذهان بموقف عبدالله بن وهب الذي ارتأى عزل مُعاوية بن أبي سفيان وعزل الإمام عليِّ بن أبي طالب (الذي عزلَ نفسهُ تلقائياً بقبول التحكيم). **ملحوظة**: البيت برُمَّتِه إعلاءٌ لموقف الإباضية من تلك المسألة التي أشار إليها أبو مُسلم في أكثر من قصيدة، لا سيَّما في قصيدته «النهروانيّة». والحقيقة أن أبا مُسلم - في هذا البيت - تأخذه الحَميَّة لمَذهبه، خلاف ما اعتدنا عليه من تسامح في قصائد أخرى، وما يُبرِّرُ له انشغالهُ بموضوعة النَّهروان - في اعتقادنا - هو انهمامه بحشد كُلّ ما أُتيحَ لهُ من معرفة تاريخانيّة تُسنِدُ وتُعلي من شأن قضية انتخاب إمام عادل سيعيدُ لعُمان العدالة بعد حقب الظُّلام والظُّلّام.

(١) **المعنى**: وهو تتمّة للبيت السابق؛ - وذلك لسِرٍّ اختصَّت به هذه المدينة (الماتحة من اختصاص الله الذي أقامَ صيرورتها وديمومتها بالنصر)؛ أما الفتحُ فهو نتيجةٌ وبُرهانٌ يتلوه بُرهانٌ إثر بُرهانٍ مُؤكّد على سِرِّها المَحفوظ بخصيصة الإختصاص الرّباني. [ورد البيت في مخطوطة ١٩١٤م كالتالي: «لسِرِّها واختِصاصِ اللهِ قائمهَا | بالنَّصرِ والفتحِ بُرهانٌ وبُرهانُ»، وقد تأمَّلنا مَلياً في الصِّيغة المُقترحة في المخطوطة؛ لكننا آثرنا - اجتهاداً، وقياساً - فصلَ الفتح عن النصر (المَجرور، سياقاً نحوياً) ليصيرَ الفتحُ - بضمّ الحاء - بُرهاناً مُضاعَفاً على نتيجةٍ يَسهُلُ توقعها في سياق البيت بعد حدوث واقعة النَّصر؛ لذلك وضعنا في المَتنِ فاصلةً مُباعَدَة بينهما؛ وهو اقتراحٌ جَماليٌّ للقراءة من عِندِيّاتنا لا نُلزِمُ بِهِ أحداً، لكننا أوردناهُ، كما أوردنا ما يُناقضُه، ليس في الأصل المُعتمد وحَسب، بلْ في أقدم مخطوط للنونيّة].

(٢) **الجُلندى**: يقصد الجلندى بن مسعود || **عزان**: يقصد الإمام عزان بن قيس. **المعنى**: ومنصب هذه المدينة المُقدَّسة تعاقبه خُلفاءُ اللهِ المُحتسبون في أرضه ابتداءً بالإمام الجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى أحد بني الجلندى بن المستكبر، وهو أول إمام بويع في عُمان عام ١٣٢هـ (٧٥٠ م) واستشهد في جلفار على يد خازم بن خزيمة أحد قواد الدولة العباسية حتى آخر الأئمّة عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد الذي بايعه الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ليُقتل بعد نحو عامين انقطعت إثرها الإمامة نحو أربعين عاماً ونيّف، حتى بُويعَ الإمام المَمدوح في القصيدة؛ سالم بن راشد الخروصي.

(٣) **المعنى**: هؤلاء ومن خامَرَ مُغامَرتهم هُمْ أئمّة الدين الحنيف الذين حُفِظت مرجعيّته السّليمة بهم؛=

صِيدٌ، سُرَاةٌ، أُبَاةُ الضَّيْمِ، أُسْدُ شَرًى شُمْسُ العَزَائِمِ أَوَّاهُونَ رُهْبَانُ[1]

=منذ اليوم المشؤوم الذي تفرّق فيه المُسلمون وأصبحوا شِيعاً ومذاهب. ولا يخفى للمُتمعِّن في مضامين البيت تألم وحُزن أبي مُسلم من فرقة المُسلمين كافة إلى سُنة وشيعة وسوى ذلك من المذاهب التي كانت نتيجتها - كما جاءَ في البيت - تعدُّديّة دين الله الواحد إلى أديان/ مذاهب شتى. ملحوظة: هكذا إشارة تحتمل أكثر من تفسير؛ فدين الله هو الإسلام، وأصبح بعد اختلاف المذاهب فِرقاً وشِيعاً يُكفِّرُ بعضها بعضاً، والبيت يُلمِّحُ، ولو من بعيد، إلى أنَّ دين الله (في حقيقته) واحدٌ أحدٌ، كما هي ذات الله الواحد الأحد. ولو أردنا الاسترسال في تأويل اتساع ما أضمره البيت من تِعِلّات؛ لتجاوزنا المذاهبَ الإسلاميةَ؛ لتعميم المعنى على كافة المُوحِّدين من يهودٍ ونصارى اختلفوا، بدورهم، في شِقاق وانشقاق مَذاهبهم.

(١) صِيد: جمع أصْيَد؛ وتعني المَلِكُ في القوم، وسمِّيَ بذلك لقلّة التفاتِه || سُراة: تعني المروءة والشرف، قال الشاعر: «تَلْقَى السَّرِيَّ من الرجال بِنفسه | وابنُ السَّرِيِّ، إذا سَرَا، أَسْراهُما»؛ أي أَشْرَفُهما || أباة الضَّيم: الإباء: أن تعرض على الرجل الشيء فيأبَى قبولَه || الضيم: الظلم || أسد الشرى: موضعٌ تُنسب إليه الأُسْدُ، يقال للشُّجعانِ: ما هُمْ إلا أُسودُ الشَّرى || الشُّمْسُ: المانع لظهره. قال الأخطل: «شُمْسُ العَداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهم | وأَعْظَمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا». وشامَسَه مُشامَسَةً وشِماساً: عاداه وعانده || أوّاهون: كثيرو التأوه من خشية الله || رُهبان: الرَّاهِبُ؛ واحِدُ رُهْبَانِ النَّصارَى، ومَصْدَرُهُ: الرَّهْبَةُ والرَّهْبَانِيَّةُ، أو الرُّهْبَانُ، قد يكونُ واحِداً، وقصد باستعارته المعنى من النصرانية؛ أنهم منقطعون إلى عبادتهم. المعنى: البيتُ مُكرَّس لمديحهم؛ فهم مُلوك وأشراف لا يقبلون المظلمة في العِرْض، وآساد مانعون لظهورهم وأقفيَتهم من اعتداء غاشم مُعتدٍ أو مُستجرئ عليهم من رَعاعَةِ الناس وسُقطاهم؛ بفضل عزائمهم الوقادة، وفوق سيرتهم النهارية تلك؛ تراهم في الليالي المُدلهمَّةِ أوَّاهُون كرُهبانِ الكنائس النصارى لشدة تعبُّدهم، فيما يتأوَّهُون خوفاً من التقصير في حقِّ الخالق، رغم أنهم باعوا أنفسَهم سَلفاً ليشتروا مرضاته بفعل الخير ودفع الظُّلّام. إشارة تاريخية: فيما يتعلق بدعم الحجريِّين لنشر العلم في فترة ما بين إمامة عزان بن قيس وإمامة سالم الخروصي: طالَبُوا الشيخ صالح بن علي الحارثي بانتقال الشيخ الفقيه حمد بن سليمان اليحمدي للعيش معهم في بدية ليكون مُعلماً وقاضياً ومُفتياً لهم، واشتروا له منزلا ومزرعة حتى يكون في غنى عن السؤال. لذلك تجد الأوقاف الكثيرة من المياه والنخيل والبيوت في كل بلد من بلدانهم فكان يُدفع للمُتعلمين مُخصصات شهرية تعينهم على التعلم حتى إنك تجد أبناء البدو يتعلمون القرآن والكتابة لحاجتهم للمال. ومما يذكر أن الشيخ السالمي طلب من الفاضلة سالمة بنت سلطان بن عبيد الحجري مالا يُعينهم على تنصيب الإمام سالم وقال لها إن تم الأمر فسنأخذ المال للقيام بأمور الدولة وإن لم نوفق فسنرد المال إليك فقالت له: ما يخرج من عندي شيء في سبيل الله لا يرجع إليَّ، ولكنْ تصرَّف به في نشر العلم. يُذكر أيضاً أن عامر بن حمد الحجري أوصى بأثر ماء لشراء الكتب. ومن كثرة الأوقاف فُرِضَ للمُتعلمين: قرش فضة لدارس كتاب «تلقين الصبيان»، و«المُلِحَة» قرشان، والألفية ٤ قروش، ومع ذلك فاضت غلة الأوقاف ١٦٠٠ قرش، هذا فضلا عما يتقاضاه المُعلِّمون. ولهذه=

سُفْنُ النَّجَاةِ هُدَاةُ النَّاسِ قَادَتُهُمْ طُهْرُ السَّرَائرِ لِلإسْلامِ حِيطَانُ[1]
تَقَيَّلُوا مِدَحَ القُرْآنِ أجْمَعَهَا إذا اسْتَحَقَّ مَدِيحَ اللهِ إيمَانُ[2]
جَدُّوا إلى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ يَفُتْهُمُ فِي التُّقَى سِرٌّ وَإعْلانُ[3]

=الأسباب اتخذ نور الدين السالمي بدية مسكنا له لما لمسه من تشجيع العلم وتكفل الأوقاف بمصاريف المُعلمين والمُتعلمين، وهذا ما يشير إليه أبو مُسلم بقوله «أوَّاهُون رُهبان»، والحقيقة أنَّ الفقيه الأديب محمد بن راشد بن عزيّز الخصيبي في كتابه «شقائق النعمان على سُموط الجُمان» يتوسَّعُ في ذكر الأفاضل من أهالي بديّة، قائلًا: «وفي بديّة من الحَجريين عُلماء وأخيار وكُتاب وأطباء، وقد بحثتُ عنهم الشيخ العالِم علي بن سالم بن ناصر الحَجري، ساكن [بلدة] الحُويّة ليكتب لي أسماءهم بالتفصيل». تلميح: صحيح أن بعض مُفردات التديُّن المسيحي واليهودي دخلت في المُصطلح الإسلامي، رغم تحاشي بعض المُتفيقهين لها؛ إلّا أننا نجد أبا مُسلم يَحفظ لها مكانتها اللغويّة والدّلاليّة، ولا يَستنكِفُ استخدامها في أكثر من قصيدة، بل يُعوّلُ عليها مُصطلحاً رائجاً في ثقافة ذلك العصر ليشدَّ بها عَصبَ المُبتغى من كافة إمكانات تأويل قصيدته، دونما إقصاءٍ للآخر، وتلك مَزيَّة تمنى المَرءُ لو حظيَ بها المُتأخرون مِمَّن حاولوا تفسير قصائده لتناسب أهواءهم [المذهبيّة الضيّقة] في تضيقها على المُتسّع في مُنفتحِ المُتسّعِ من التأويل.

(١) المعنى: وهم - إلى جانب ما سبق أنْ ذكرناه - سُفُن نجاة مُنقذة للغرقى في بُحيرات المعرفة ومُحيطاتها، وقادة الناس وهُداتُهم بسرائرهم الطاهرة، كما أنهم - إلى جانب ذلك - حيطانٌ منيعة وقلاعٌ حصينة تُسوِّدُ بصالح الأعمال بَياضَ صفحةِ الإسلام الحقِّ وعدالته المفتقَدَة في حواضر هذه الأمّة المُستضعفة. ملحوظة: البيت مُكتنز بفضائل مَمدوحِيه المسرودة بلغة صافية سهلة - كما قد يبدو لقارئه - في ضحلِ التأويل المُتسرِّع، لكنه مُشتَغلٌ عليه، شِعرياً، بحنكة لمَّاحة واقتضاب وتكثيف يَخذلان البَلاغة ذاتها.

(٢) تقيَّلوا: تقيَّلَ الشيء؛ إذا نزَع إليه في الشَّبه، والقصد هنا مُشابهتم سُلوكاً لمدائح القرآن في بعض الأولياء والأنبياء. المعنى: ولذلك شابهوا، بل كانوا طبق الأصل من مدائح القرآن في تشبههم بها. وكما نلاحظ؛ ففي البيت استصغار مُبطَّن قُصِدَ به إظهار الإكبار؛ فقوله: «إذا استحق مديح الله إيمانٌ»، في الشطر التالي أراد به الإعلاء من شأن إيمانهم في مِدحته؛ ليستثني في عَجُز البيت ما رَشّحتهُ صفاتهم وسلوكياتهم المُطابقة للمدائح المذكورة في القرآن الكريم عن صفات الأوّلين - إن استحقَّ الإيمانُ مديحَ الله؛ فتقيُّلُهم وتشبُّههم بمدائح القرآن يَستحقُّ - في نظر الشاعر - مَديحَ الخالق لصفاتهم وسُلوكهم؛ وإنْ تأخروا زمَناً طويلًا عن أحقيَّتهم باستضافة الله لهم في أنوار مَدائحِهِ التي تمثلوها - دون سِواهُم - وطبّقوها بحذافيرها في أزمنة الجور؛ إعلاءً لكلمة الله.

(٣) المعنى: لقد اجتهدوا، تُقى وطاعة، في بلوغ الباقيات الصالحات؛ وهي ما يبقى من صالح العمل للمرء بعد مماته، ولم يَفُتهُم في مَسْرَى التُّقى إعلانُ تُقاهُم - حيث وجب ذلك - أو التحفظ عليهِ في سرائر نفوسهم؛ فهم في جِبلّتهم كانوا كما كانوا في ورع من اللهِ في الحالين: سِرّاً مكشوفاً وإعلاناً مُضمَر الغايات لصالح المَربُوب، قبلَ مَصالحِ ذواتهم الأخرويّة.

عَلَى الحَنِيفِيَّةِ الزَّهْرَاءِ سَيْرُهُمُ   وَالوَجْهُ وَالقَصْدُ إِيمَانٌ وَإِحْسَانُ[١]

بِسِيرَةِ «العُمَرَينِ» اسْتَلأَمُوا وَسَطَوا   لِشَرْبَةِ النَّهْرَوَانِ الكُلُّ عَطْشَانُ[٢]

صُعْبُ الشَّكَائِمِ فِي ذاتِ الإلَهِ فَإِنْ   حَناهُمُ الحَقُّ عَنْ مَكْرُوهَةٍ لانُوا[٣]

---

(١) الحنيفيّة: الحنيف هو المُسلم المُستقيم؛ ومعنى الحنيفيّة [إطلاقاً] في اللغة: المَيْلُ، وأصل المعنَى أَنَّ إبراهيم حَنَفَ إلى دينِ اللّه ودين الإسلام! وقد أُخِذَ الحَنَفُ من قولهم رَجُل أَحْنَفُ ورِجْلٌ حَنْفاء، وهو الذي تَمِيلُ قدَماه كلُّ واحدة إلى أُختها بأصابعها. والحنيفيّة: مِلَّة الإسلام في عُمومِها. || الزهراء: مأخوذة من البياض؛ ورجل أَزْهَرُ أي أبيض مُشْرِقُ الوجه. والأزهر: الأبيض المستنير. والزُّهْرَةُ: البياض النَّيِّرُ. وفي حديث عليّ، عليه السلام، في صفة سيدنا رسولِ الله، صلى الله عليه وسلم: كان أَزْهَرَ اللَّوْنِ ليس بالأَبيضِ الأَمْهَقِ. [وقصد أبو مُسلم استقامة الإباضية الخفاقة برمزها اليتيم في رايتهم البيضاء]. المعنى: وسَيْرُهم ومسعاهم واضحٌ لا لبْس فيه كسيرتهم الوضاحة، لأنهم مُلتزمون بصفاءِ حنيفيّتِهم البيضاء التي تنضحُ بها وُجُوهُهم، كما يشفُّ عنها بياضُ المقصدِ إيماناً وإحساناً في سعيهم لنصاعته بلوغاً في عصا التسيار لذُرى الإشراقة النورانيّة المُنتظرة دائماً وأبداً في أحد المُنعطفات التاريخية.

(٢) العُمرَين: أبو بكر وعُمر بن الخطاب، وقد غُلِّبَ عُمَر لأنه أَخَفّ الاسمين || استلأموا: يُقالُ لبس لأْمَته؛ أي: إذا لبِس الرجل ما عنده من عُدّةٍ رُمْح وبَيْضَةٍ ومِغْفَر وسَيفٍ ونَبْل؛ وجميعها عُدَّة حَرْب. والمُلأَمَ، بالتشديد: المُدَرَّع. واللَّئْم: فِعْلٌ من المُلاءَمة، ومعناه الصلح. || سَطوا: السَّطْوَةُ: القهر بالبطش والعقاب || شربة النهروان: إشارة مِلحاح إلى معركة النهروان بين الإمام عليّ بن أبي طالب ورَفضة التحكيم، وقصد بالشربة؛ دماء من سُفكِت أرواحهم في تلك المعركة. المعنى: كانت قلوبهم وما زالت على مبدأ الحنيفية الزهراء مُدَرَّعِين في سطوة الحق ويُسْرِهِ بسيرة عُمر وأبي بكر؛ لأنهم ما زالوا عُطاشى إلى شَرْبَة صافية من معركة النهروان التي ذهبَت بالأخيار من صحابة رسول الله؛ علَّهُم يستعيدونها شهادةً بزكِيِّ دمائهم تُكافأ يومَ القيامة بماءٍ قراح في الجنة. **ملحوظة**: نجد الشاعر هنا يُوازي بين معركة النهروان ونتائجها الدنيويّة والأخرويّة؛ تصعيداً شعرياً وروحياً للمُبتغى السّامي لأرواح الشهداء المُنتمين لتلك الأرومَة الإستشهادية اللافتة في تاريخ الإسلام، اجتذاباً لنوستالجيا حنينها المُوغل في صُدور الإباضيّةِ لتنتفِع بالمثالِ الماثلِ تاريخاً؛ الثورة الثالثة، ثورة الإمام سالم بن راشد الخروصي.

(٣) صُعْب الشكائم: الشَّكِيمة أصلها من اللِّجام: وهي الحديدة المُعْتَرِضة في فم الفرس. وتعني أيضاً: الأَنَفَةُ والانتصار من الظُّلْم || حَناهم: أمالهم وأخضعهم. المعنى: يُلجمُون أنفسَهم عن الإشارة أو المَسّ بمُقدسات الإله [وِفقَ ما اعتقدوه]، فإنْ حَناهُم الحقُّ [أي: الله] عن إحدى مَكارهِه لانوا له طوعاً، رغم صُعوبَة شكائمهم التي لا تلين لسبب واضحٍ وَوَضَّاح: لأنهم قوم ذوو أنفةٍ لا تُساومُ في ذاتِ الإله، كما لا يُساومون في حُريَّةِ نفوسهم؛ لذلك تَرَاهُم لا ينحنون إلّا لهُ وللحقّ الساطع بعد تيقنهم مِنْ مُكوّناتِ نُورانيّته.

مُـسَـوِّمِـيـنَ لِنَـصْـرِ اللهِ أَنْـفُـسَـهُـم	أَرْوَاحُـهُـم فِـي سَـبِـيـلِ اللهِ قُـرْبَـانُ[١]
سُبْقٌ إلى الـخَيرِ عَنْ جَدٍّ وَعَنْ كَيَسٍ	دَانُوا النُّفُوسَ فَعَزَّتْ حَيثُما دَانُوا[٢]
سِيمَاهُـمُ النُّورُ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ	وَهَـدْيُـهُـم سُـنَّـةٌ بَـيْـضَـاءُ تِـبْـيَـانُ[٣]
مُـقَـيَّـدُونَ بِـحُـكْـمِ اللهِ حِـكْـمَـتـهُـم	وَهَـمُّـهُـم حَيثُما كانَ الـهُدَى كَانُوا[٤]
هُمْ أَسْمَعُ النَّاسِ فِي حَقٍّ وَأَبْصَرُهُم	وَفِـي سِـوَاهُ هُـمُ صُـمٌّ وَعُـمْـيَـانُ[٥]
لَمْ تُـلْهِـهِـم زَهْـرَةُ الـدُّنـيـا وَزُخْـرُفُـهـا	إذْ هَـمُّـهُـم صَـالِحٌ يَـتْـلُوهُ رِضْـوَانُ[٦]

(١) مُسوِّمين: السَّوْمُ: عَرْضُ السِّلْعَةِ على البيع. والخيل المُسَوَّمة المُرْسَلة وعليها ركبانها، وهو من قولك: سَوَّمْتُ فلاناً إذا خَلَّيته وسَوْمه أي وما يريد، وقيل: الخيل المُسَوَّمة هي التي عليها السِّيما والسُّومةُ وهي العلامة || قُربان: ما قُرِّبَ إلى اللّه تعالى من نَسِيكةٍ أو غيرها؛ وتعني الأضحية والتضحية لدى بعضِ أتباعِ الديانات الوثنية. المعنى: عَرَضوا نُفوسَهم الغالية في مَزاد نصرة الله؛ وليس غريباً، بعدها، أن تكون أرواحُهم قُرْباناً مُستخلصاً من خلاصة تلك الأرواحِ التي أفنوها في سبيله.

(٢) سُبقٌ إلى الخير: سبّاقون إليه || الجَدّ: البَخْتُ والحظْوَةُ|| كَيَس: الخفَّة والتوقُّد والفهامة || دانوا: دانَ فلان يَدينُ دَيْناً: استقرض وصار عليه دَيْنٌ، فهو دائِنٌ. المعنى: كانوا سبّاقين إلى الخير عن حظوةٍ وتوقدِ رأي؛ لكنهم أقرضوا نفوسهم مبغاة رضى الله فعزَّت حيثما دانوا.

(٣) المعنى: وعلاماتهم المُميِّزة لهم نوَّارة في نورهم المُتجلي في خِلقتهم، كما في النور الوضاح في أخلاقهم؛ لأنَّ الهَدْيَ أساسُهُ سُنَّة بيضاء لا مِراء فيها.

(٤) المعنى: ولا غرو؛ فهم مُقيَّدون حكمتهم بسلاسل حُكم الله في نفوسهم، وهمُّهم ـ ببساطةٍ آسِرة ـ هو أنهم يكونون حيث كان مِشعل الهدى مُنيراً لطريقهم.

(٥) المعنى: وعليه؛ فهم أسمَعُ الناسِ وأبصرهم بالحق، لكنهم في الباطلِ صُمٌّ وعُميان. ملحوظة: رغم بساطة البيت، وعدم حاجة القارئ لشرح يُضافُ إلى وُضُوحه؛ لكنني أُعجبتُ بنسقه التبريري، إن صَحَّ لي القول. فهو يقولُ ـ رفعاً من شأنِ عدالتهم في استبصارهم لدروب الحق ـ نجدُهُ يُخاتلُ قارئهُ بالنقيض: تصامُمُهم وتعاميهم عمّا سِواه؛ أي الحقّ الذي أبصروه واستبصروه، بحيث أنهم استسلموا طوعاً لما صيَّرتهم إليه عِبادَة الحَقّ (والحَقُّ لها تأويلُها الدُنيويّ في شرعة حُقوق الإنسان، وتأويلها اللاهوتي، وقبل كُلّ شيء تأويلُها اسماً من أسماء الله الحُسنى)؛ لدرجة أنهُم أضحوا صُمّاً وعُمياناً؛ فيما لو حدَّثهُم أحدٌ عن سِواه، لشدَّةِ التزامِهم به، ولو كان في ذلك خسرانهم على الصعيدين الستراتيجي والتكتيكي في معركتهم أمام الباطِل.

(٦) المعنى: لمَن استفسر عن سيرتهم؛ سيعرف أن زخرف الدنيا وزهرته الفوّاحَة بأطايبها لم تُلهِهم عن قصدهم ومَرَامهم؛ لأنهم لا يرتجون سوى صالح أعمالٍ في الدنيا يتبعه رضوانٌ في الآخرة.

بَـاعُـوا بِـبَـاقِـيَـةِ الـرِّضْـوَانِ فَـانِـيَـهُـم	كَـأنَّ لَذَّةَ هَـذا الـعَـيْـشِ أَوْثَـانُ[1]
وَقْفٌ عَلَى السُّنَّةِ البَيْضَاءِ سَعْيُهُمُ	وَفِي الجِهَادَيْنِ؛ إنْ عَزُّوا وَإنْ هَانُوا[2]
ما زَايَلَتْ خَطْوَةَ المُخْتارِ خَطْوَتُهُم	وَلا ثَنَى عَزْمَهُمْ نَفْسٌ وَشَيْطَانُ[3]
فَجَاهَدُوا وَاسْتَقامُوا فِي طَرِيقَتِهِ	عُزُومُهُم لِصُرُوحِ الدِّينِ أرْكَانُ[4]
وَسَلَّطُوا بِحُدُودِ اللهِ حُكْمَهُمُ	حَتى اسْتَقامَ لِحُكْمِ اللهِ سُلطَانُ[5]

---

(١) باقية الرضوان: تعبير قصد به الجنة، تعبيراً عن عدم سُخط الخالق من المخلوق لحظة مُكافأتِه بديمُومَة النعيم الأخرويّ || فانِيَهُم: تعبير قصد به الدنيا || أوثان: أصنام. المعنى: لقد استوقفني هذا البيت كثيراً، وكان بإمكاني الإنسياق لشرحه [بالمُتوافر من عُدَّةِ التأويلِ وعَدَدِها]، لكنني ارتأيتُ التفكُّرَ فيهِ قبلَ الإدلاءِ بمجازفةٍ تأويليَّة. وفي اعتقادي ـ الذي كوَّنتُهُ مُسبقاً ـ هو ربطه بين وشيجة الفاني مُقابل الآبد المُتأبِّد مما سيبقى للمخلوق من رضى ورضوان عند الله ـ إلى أن توصلت إلى ظِلالِ المغزى الخفي: فالشاعر قصد القول أنهم باعوا بباقية الرضوان ما سيفنى من أجسادهم، اعتقاداً منهم بأنَّ لذة العيشِ في الحياة الدنيا، كما في الآخرة أوثانٌ سيعبدونها هناك، كما عبدوها على هذه الأرض [التي تستحقُّ الحياة هنا، كما تستحقها الحياة الأخرى هناك في الآخرة التي تستحقُّ، بدورها، المَمَات المُفضِي إلى رضوانها]، لكنني فطنتُ إلى ظِلالِ تجديفٍ لا يليقُ بأبي مُسلم فيما فرط واستفرط من تأويلي، إلى أن وجدتُ ما يُرضيني ويُرضي أبا مُسلم في ظِلال التأويل؛ وهو أنه قصد بأنَّ هؤلاءِ التقاة باعوا دنياهُم الفانيةِ (قايضوها، بالأحرى) بالرِّضوان الذي سيحصلون عليه ويتمتعون به في حياتهم الأخرى؛ بديلًا للذة العيشِ في هذه الدُّنيا الفانية؛ إذ أنهُم هناكَ بعد انتهاء محكومية اختبارهم في حياتهم الفانية، يستطيعون التلذذ بباقيَةِ الرِّضوان ليتداولوها ـ بمعرفة الخالق، وأمام سمعه وبصره ـ لذَّةً بديلةً لهُم عن الالتذاذ الفطريِّ لدى المَخلوق بعبادة خالق مّا. خلاصة مُركّزة: إن لذة هذا العيش فانية ووهميَّة، تماماً كالأوثان المعبودةِ وَهْماً وهيَ فانيَة.

(٢) الجهادين: جهاد النفس ضد المعاصي، والجهاد ضد أعداء الأئمّة. المعنى: وسَعيُهُم ومُبتغاهم أوقفوه حصراً على السُّنة البيضاء (وهو تعريفٌ مُتداول في أوساط المُتمذهبين بالمَذهب اعتقاداً بصوابه، وتخطيءِ مُضمَرٌ للمذاهب الأخرى)، ولذلك تراهم في كلا الجهادين ـ ضدَّ مزالق النفس ووسوسة الشيطان ـ مُتَّبعون لسُنته؛ ولا فرق إن كانت النتائجُ رافِعَةً مُعِزَّةً لما انتهجوه أم مُهينة لهم؛ لأن الهدف أسمى، في نهاية المطاف، من طرفي المُعادلة.

(٣) ما زايلت: ما فارقت. المعنى: وخطواتهم لم تفارق مَنهجاً وعقيدةً خطوة النبيِّ المُختار، ولم يَثْنِ عزمَهم المُتوقِّد هوى نفسٍ أو شيطان مُوسْوِسٌ لسُويدائها لاتباع طريق آخر.

(٤) المعنى: فجاهدوا حق الجهاد استقامة ونهجاً لا يخرجان عن طريقته، حتى أضحت عُزومُهم أركاناً راسخة لصروح الدين الحنيف.

(٥) المعنى: ونتيجة لذلك؛ سلطوا أحكامهم على العباد [وفقاً لحُدود الله] التي شرعها حتى استقامَ سُلطانُ عدالة حُكمِه في عِباده.

أُولـئِكَ الـقَـومُ أَنْـوَارِي، هُـدِيـتُ بِـهِـم | عُـقْـبَـى مَـحَـبَّـتِـهِـم عَـفـوٌ وَغُـفْـرَانُ
أَئِمَّـتِـي، عُـمْـدَتِـي، دِيـنِـي مَـحَـجَّـتُـهُـم | غَـوْثِـي إذا ضَـاقَ بِـي فِـي الـكَـوْنِ إِمْـكَـانُ
لا يَـقْـبَـلُ اللهُ دِيـنـاً غَـيـرَ دِيـنِـهِـمُ | وَلا يَـصِـحُّ الـهُـدَى إِلَّا بِـمَـا دَانُـوا[1]
مِـنْ عَـهْـدِ بَـدْرٍ وَأُحْـدٍ لا تُـزَعْـزِعُـهُـم | عَـنْ مَـوْقِـفِ الـحَـقِّ أَزْمَـاتٌ وَأَزْمَـانُ[2]
حَـقِـيـقَـةُ الـحَـقِّ مـا دَانُـوا بِـهِ وَأَتَـوا | وَمَـا عَـدَاهُ أَخَـالِـيـطٌ وَخُـمَّـانُ
إِنْ يَـشْـرُفِ الـنَّـاسُ فِـي الـدُّنْـيا بِـثَـرْوَتِـهِـم | فَـثَـرْوَةُ الـقَـوْمِ إِخْـلاصٌ وَإِيـقَـانُ[3]
للهِ مـا جَـمَـعُـوا، للهِ مـا تَـرَكُـوا | للهِ إِنْ قَـرُبُـوا، للهِ إِنْ بَـانُـوا
أَزْكَـى الـصَّـنِـيـعَـيْـنِ ما كَـانَ الـهُـدَى مَـعَـهُ | لَـدَيْـهِـمُ، وَلَـهُ فِـي الـحَـقِّ رُجْـحَـانُ[4]
تَـرَاهُـمُ فِـي ضَـمِـيـرِ الـلـيـلِ صَـيَّـرَهُـم | مِـثْـلَ الـخَـيَـالاتِ تَـسْـبِـيـحٌ وَقُـرْآنُ

---

(١) معنى الأبيات الثلاثة، تباعاً: الأبيات في مَجمُوعها ـ كما هو واضحٌ من السِّياق ـ إعلاءٌ من شأنِ قوم الأنوار المُهتدى بهم؛ لأنَّ مَحبَّتهم عفو وغفران لأمثالي؛ فهم عُمدتي، وديني مَحجَّتهم، كما أنهم الغوثُ الحقيقي إن ضاقت بي أكوانُ الأرضين. واعتقادي فيهم لا يتبدَّلُ ولا يتغير؛ لأن الله ـ في نظري ـ لا يَقبلُ ديناً غير الذي اعتمدوه، كما أن الهداية والهُدى لا يَصحَّانِ إلّا باتباعِ المرء لمنهاجهم والاقتداء به.

(٢) المعنى: يقصد اتِّباع أئمَّةِ الإباضية لروح المصطفى ونهجه القائم على العدالة، بدءًا بصلابة مواقف أسلافهم الشهداء من الصحابة الأخيار في معركتي بدر وأحُد؛ لأنهم ـ وإن تأخر الزمان ـ اقتدوا بأسلافهم في تتبُّع الحقِّ والمُجاهرة به، دون أن تزعزعهم حوادث الأزمات واختلافات الأزمان عن موقفهم المُشرِّف في صَفِّ الحقيقة المُتسامية ـ في اعتقاد الشاعر ـ على ما سواها.

(٣) أخاليط: قُصِدَ بها الخلط في القول، لا يَعرِفُ قائلهُ صحَّته وصَوابَهُ من عدمهما || خُمَّان: الخُمامَةُ والقُمامَةُ؛ وتعني الكُناسَة، وما يُخَمُّ من تراب البئر. والخَمَّانُ من الرُّمح: الضعيف. والخُمَّان: الضَّعيفُ خِلقةً ورأياً على غير صواب [ونعتقد أنه قصد كافةَ معانيها] || إيقان: تعني العِلْم وإزاحة الشك وتحقيقُ الأمر. معنى البيتين، تباعاً: وُضوح البَيتين أشفُّ إخلاصاً لمَمْدوحيه مِنْ مُحاولة شرحنا لهُما؛ فالوُضوحُ كان دائماً غَلّابَ الغُمُوض.

(٤) بانوا: بَعُدوا || أزكى: أطهر. معنى البيتين، تباعاً: للهِ ما جمعوه ذخراً ليوم الحساب، وما تركوه من متاع الدنيا ـ قربوا أو بَعدوا، سِيَّان، فأطهرُ صنيعهم، حقيقةً، هو ما رافقه الهُدى، كما رافق سواهم من المُهتدين، لكنَّ امتيازهُم يَكْمُنُ في رُجحانِ اختيارهم للحقِّ وسيلةً وَهَدفاً مُبتغى في آخر المطاف.

هُـمُ الأَبَـاضِـيَّـةُ الـزُّهْـرُ الـكِـرَامُ لَهُـم	بِـعِـزَّةِ اللهِ فَـوْقَ الـخَـلْقِ سُـلطَـانُ[1]
لا يُعْـرَفُ الـعَـدْلُ إلّا فـي اسْتِقَـامَتِـهِـم	لَمْ يُوفِ - إلّا لَهُـم - فِي العَدلِ ميزانُ[2]
فـي الـذَّبِّ عَـنْ حُـرُمَـاتِ اللهِ شَـأْنُـهُـمُ	لا شَـأْنُ دُنْـيَـاهُـمُ نَـيْـلٌ وَحِـرْمَـانُ[3]
رَضُـوا بِـبُلْغَـةٍ مَـحْـيَـاهُـم عَـلَى حَـذَرٍ	مِـنْـهَـا، كَـأَنَّـهُـمُ بِـالـبُلْغـةِ اخْـتَـانُـوا[4]

(١) الضَّمِير: السِّرُّ وداخِلُ الخاطر، وقيل أنَّ ضمير الليل هو آخره حتى وقت السَّحَر || الخيالات: خَشَبة عليها ثياب سُود تُنْصَبُ للطير والبهائم فتظنه إنساناً، وتعني في مُجملها الأطياف مَحسُوسَةً ومُبهَمَة || الزُّهر: جمعُ أزهر؛ وهو الحَسَنُ الأَبيضُ من الرجال، ورجل أَزْهَرُ أي أبيض مُشْرِقُ الوجه. والأزهر الأبيض المُستنير. معنى البيتين: وترى هؤلاء الزهاد العُبّاد في ضمير الليل وقد صيَّرَهم التسبيح وتلاوة القرآن كالأشباح لشدة التعبُّد؛ لأنهم - دون سِواهُم - هُم الإباضيّة المُنوَّرة وجوههم بفضلِ ورعهم الذي مكنهم بخصيصة امتياز سُلطانهم العادل فوق الورى. [حُذِفَ هذا البيت من بعض النُّسَخ المُتأخرَة، ونُثبتهُ كما ورد في الأصلِ المُعتمَد ومخطوطةِ ١٩١٤م]. إقصاءً، مِن جانبنا، لمَبدأ الإقصاءِ الذي مُورِسَ على تُراثِ أبي مُسلم لأسباب لا تخلو مِنْ قِصَرِ نَظَر مُسبِّباته وأسبابه، ناهيك عن مُتسبِّبيها تطاوُلًا وقصْراً لمَنظور الشاعر، وهو ما يَفضحُهُ في مَجمُوع مُفردَتي «سُلطان الأباضيّة الزُّهر».

(٢) معنى البيت: والعدلُ الصِّرف لم يُعهَدْ منذ دُهُور؛ إلّا في نصاعةِ استقامتهم؛ ولذلك لم يُوفِ الكيلَ ميزانُ العَدالة والإنصافِ إلّا لهم دون سواهم مِمَّن تشدَّقوا بمعايير عدالاتِهم المَنقوصَة، [وِفقاً لاعتباراتِنا المَبدئيّةِ حول مكاييل العدالة ومَقاييسها التي لا نعتدُّ بسواها في مكاييل الإغيار]. ملحوظة خارجة عن السِّياق: بيتٌ كهذا جعلني أُفكِّرُ في مُصطلح طالما سمعناه في مُحدِّثِ التلفاز حول ازدواج معايير الغرب في نظره لقضايانا العادلة؛ لأعود مائة سنة إلى الوراء لأفكِّر، من جديد، في تَنوُّرِ أبي مُسلم المُضاهي، يومذاك، لفكر محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وسِواهُم من رُوَّاد النهضة التي لم يُكتب لها التحقق حتى بعد ملاحقتنا، حياةً، للعقد الأول من الألفيّةِ الثالثة.

(٣) معنى البيت: لقد كان شأنهم في الدنيا دفاعهم عن حُرمات الله؛ ولم ينشغلوا بالزائل من حُطامها فرحاً بنيل جزية أو جزيل عطاءٍ أو حرمان مِنه. ملحوظة: نُلاحِظ في هذا البيت تشدُّدَهُ في مبدأ العدل، لا سيَّما في اعتباره مَبدأ القياس المُؤسِّس له، مُتخذاً من مَمدُوحيه مِثالًا يُحتذى؛ لأنهم عدلوا مدفوعين بخصيصة العدل ذاته، وليس بدرجاته التي تُعليهم وتُسفِلهم في مَقامات هذه الدنيا الفانية، ولعمري أنهُ استخلص هذا البيت مِنْ مُعاناته في مَنصِب القضاء وتكلُّفِهِ بمَشاقه الجمَّةِ في عُهودِ سلاطين استطاعَ (بعلمه وورعه) التقرب مِنهم وإليهم، كما تشي بذلك قصائده القليلة في مديح أخيارهم.

(٤) البُلغة: هِيَ ما يكفي لسَدِّ الحاجة، ولا يَفضُلُ عنها || مَحيَاهُم على خطر: حياتهم التي على شفا=

سِيمَا التَّعَفُّفِ تَكْسُوهُم جَلالَ غِنىً   فَالقَلْبُ فِي شَبَعٍ وَالبَطْنُ خَمْصَانُ[1]

=هاويةٍ من ذاتِها وكينونتها || اختانوا: أصلها الخِتان؛ وهو مَوضع الخَتْنِ من الذكر، ومَوضع القطع من نَواة الصَّبايا. قال أبو منصور: هو موضع القطع من الذكر والأُنثى؛ ومنه الحديث المَرْوِيّ: إذا التَقَى الخِتانان فقد وجَبَ الغُسْلُ، وهما موضع القطع من ذكر الغلام وفرج الجارية. وأصل الخَتْن: القطع، إطلاقاً، كما تأتي (اختانوا) بمعنى: فُطِمُوا؛ أي فُطموا على سَدِّ الرَّمق || على حَذر: معناها واضح، لكننا نؤكد أنها وردت في مخطوطة ١٩١٤م هكذا، وقد اعتمدناها؛ رغم ورودها في الأصل المُعتمد والنُّسخ الأخرى: «على خطر» || مِنها: أي مِنْ بُلْغَةِ المَحْيَا؛ وهو مَفْعَلٌ من الحَيَاة. المعنى: ونُدامى الله الأخيار هؤلاء؛ لم يَكتفوا بكلِّ ما سبق، لأنهم رضوا منه بما يكفيهم لسدِّ الرَّمَق - رغم أن حياتهم برُمَّتها كانت في خطرٍ مُحدق من أسلوب عيشهم المُتقشف، خوفاً من الله، وحِفاظاً على رمقٍ - بالكاد - يُبقيهم على قيد الحياة؛ حتى يَتفيَّقوا للجهاد في سَبيله. وحالهم في هذا المَسْلَكِ ليسَ غريباً؛ لأنهم كانوا منذ صِغرهم - بل قبل بُلغوهم، قد تعوَّدوا تلك الحالِ من كفاف العيشِ، كما لو أنَّ نُفوسَهم لم تُفطَر عليه جِبِلَّةً وتعفُّفاً فحسب، بلْ خُتِنوا بتلك الفضيلة والمَنقبة في شرخ الصِّبا وبَواكيره معنى مُضاف: فيما لو تخيَّرنا تفسير اختانوا بـ: فُطِموا؛ فالشاعر يقول أنهم فُطِمُوا على ما يَشدُّ الرَّمقَ، ورغم ذلك؛ فهم وَجلون حَذِرون من فِتنةِ الدنيا؛ وهذه هي - لعَمري - الغايَةُ في النزاهة والتعفُّف.
ملحوظة: هذا واحد من أبيات النونيَّة المُنقبيَّةِ في فرائد الفصحى وإمكانياتها اللامُتناهية فصاحة وشفافيَّةً وسُفوراً إيروتيكياً لم يَعُدْ مَطرُوقاً؛ فالتعبير المُفارق في عَجُز البيت: «كأنَّهُمْ بالبُلغةِ اختانوا» يُحيلُ إلى ما وراء أعراف اللغةِ المُتداولة آنذاك، ناهيك عن الأسلوبيَّةِ المُفخَّخة بالكامِنِ من الدلالات غير المنظورة وراء المَعنى العابر في إيروسِيَّتِهِ المُقنَّعَة؛ سواءٌ في مرجعيَّاتها الفقهية، أو أنماطها التعبيرية السائدة، ابتكاراً لبُؤرة تعبير غير مطروق في مُنحنى تعبيريٍّ لم تعتده الذائقة السّائدة آنذاك، فما بالك بمُنحناها الخارج والمُتقافز على رَصَانةِ مَعايير الصَّنعة الشعرية بإيروتيكيَّةٍ فصاحَةٍ لم يجد الشيخ العَلَّامَة أبو مُسلم البهلاني غضاضة - وهو قاضي القضاة - في استخدامِها مُفردَةً لا تعيقه عن استنباط أقصى دلالات التعفُّفِ (تَفقُّهاً، وحِسِّيَّةً إيروتيكِّيَّة، على حد سواء)؛ ولو في مَواضِع الجسد الأكثر حِسِيَّةً: ختن الذكر والأنثى، لا ليُعبِّرَ عن موضوعةٍ شَرعيَّة [من الشَّرْع]، أو إيروتيكيَّة [بمعناها الشائع في المُحدَث من أُفصُوحَةِ الفُصحى]؛ بل عمَّا هو أسمى من رِضى أخياره المُختارين ببُلغةِ الحياةِ - ولو على حَذر - لأنَّهُم اختانوا [ختنوا أنفسهم بتعبير أسهل] بسدِّ حاجة الرَّمَق دون الزيادة عليه.

(١) السِّيما: العَلامَة. أنشد شمر في باب السِّيما مَقصورةً للجَعْدِي: «ولهُمْ سِيما، إذا تُبْصِرُهُمْ | بَيَّنَتْ رِيبةَ من كانَ سَأَلْ» || الخُمْصَان: الجائعُ الضامرُ البطن. جاءَ في حديث جابر: رأيت بالنبي، صلّى الله عليه وسلّم؛ خَمَصاً شديداً. ومنه الحديث: كالطير تَغْدُو خِمَاصاً وتَرُوحُ بِطاناً أي تَغدو بُكرةً وهي جِيَاعٌ وتروح عِشاءً وهي مُمْتَلِئةُ الأجوافِ؛ ومنه الحديث الآخر: خِمَاصُ البُطونِ خِفاف الظهور أي أنهم أَعِفَّةٌ عن أموال الناس، فهم ضامرو البطون من أكلها خِفافُ الظهورِ من ثِقَلِ وِزْرِها. المعنى:=

سَمْتُ المُلُوكِ وَهَدْيُ الأنبياءِ عَلَى أَخْلاقِهِم، فَكَأَنَّ الفَقْرَ تِيجَانُ[1]

تَمَثَّلتْ لَهُمُ الدُّنْيا فَمَا جَهِلُوا حَقِيقَةَ الأمْرِ أنَّ العَيْشَ ثُعْبَانُ[2]

جَازُوا الجُسُورَ خِفَافَ الحَاذِ وِقْرُهُمُ زُهْدٌ وَخَوْفٌ وَإِصْبَارٌ وَشُكْرَانُ[3]

=وملامح تعففهم عن الدنيا تكسوهُم مهابة غنى لم يشغلوا أنفسهم به؛ فمن يراهم سيتبين له فقرهم المُدقع، فيما لو قورن بقلوبهم الرَّيّانة مِن وليمَة رَوْحِ الله وريحانه، وتلك المُفارقة الدقيقة، كشعرة مُعاوية؛ هي ما وهبهم المكانة التي استحقوها بجدارة.

(١) تيجان: التَّاجُ، معروف، والجمعُ أتواجٌ وتِيجانٌ، والفعل التَّتويجُ. والعربُ تسمِّي العمائمَ التاجَ. وفي الحديث: العمائمُ تِيجانُ العربِ، جمع تاج، وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر؛ أراد أن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك لأنهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤوس. المعنى: فمن يراهُم على تلك الهيئةِ المُتسمَة بأخلاق المُلوك وهدي الأنبياءِ الواضح في مُحيّا أخلاقهم يكاد لا يُصدِّقُ ما تراهُ عيناه؛ لكنه لو نظر للأمر من زاوية أخرى لعرفَ أنَّ فقرَهم هو ما أوصلهم لتلك المراتب الرفعية؛ ولاستنتجَ أنَّ للفقر تيجاناً مُفارِقة لتيجان المُلوك بفضلِ فضائل هؤلاءِ الأئمَّة الذين نهضوا من قعر الأرضِ فاستنهضوها عدلًا لبسوا تيجانه. خلاصة التناهي البلاغيّ المكثف في البيت هي «كافُ» التشبيه وما يتبعها: «فكأنَّ الفقرَ تيجان»؛ لأنَّ الفقر لم يكُن في يوم من الأيام تاجاً يُتباهى به، لكنَّ هؤلاء الأفذاذ حِكمَةً وعِصمةً وتديُّناً خالصاً استطاعوا قلب المُعادلة؛ فأضحوا مُلوكاً بتسيُّد العدلِ، رغم ما يشهد به الحال الماجِلُ من فقر ذوات أيديهم. وقد تعمَّدنا التلميح في شرح معنى كلمة تيجان الواضحة إلى مقولة: العمائمُ تيجان العرب؛ لأنَّ أبا مُسلم نسَف أمثولة المَثل بالضربة القاضيةِ في هذا البيت، ليجترحَ أمثولتهُ الرَّفيعةَ في إحالة المعنى، جمالياً ورؤيوياً إلى نقيضه اللامطروق، وتلك مطرقة الشاعر.

(٢) المعنى: تمثلت لهم الدنيا؛ وهي ألعُبانٌ مُبرقش في كافة صُوره وفخاخه المُترعة بالملذات والشهوات، لكنهم كانوا حذرين منها لتيقُّنِهم من حقيقة الأمر؛ فالعيشُ فيها ثعبانٌ سام تعلموا الحذر والخشية منه.

(٣) الجُسور: جمع جسر؛ وتعني القناطر، وقصد بها مفازات دُنياه الدنيا يقطعها المرء عُبوراً إلى دُنياه الآخرة. قال الأعمش في قوله: إنَّ ربك لَبِالْمِرْصَاد: المرصاد ثلاثة جسور خلف الصراط: جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرحم، وجسر عليه الربّ || الحاذ: تعني؛ الحال؛ ومنه قوله في الحديث: أغبط الناس المؤمنُ الخفيفُ الحاذ أي خفيف الظهر. ورجل خفيف الحاذ أي قليل المال، ويكون أيضاً القليل العيال || الوِقْر: الوِقْرُ بالكسر: الثِّقلُ يُحمل على ظهر أو على رأس، وعادة ما يكون وِقر حطب مُحتطَب || الشُّكْران: خلاف الكُفْرانِ. المعنى: وقد عبروا قناطر ومفازات دنياهم إلى آخرتهم التي عبروا صراطها وبرزخها بسلاسة؛ رغم أنَّ ظُهورهم مُتخففة من متاع الدنيا مالاً وعيالاً؛ فأحمالُ ظُهُورهم لم تكُن سوى زهدهم وخوفهم من الله، واصطبارهم على بلواه وشكرهم لهُ على نعمه سَرّاء وضرّاء. تلميح: لا يخفى بالنسبة للقارئ المُتمعِّن اختياره الدَّقيق لمُفردات البيت: «خفاف الحاذ»، =

فَـازَ الـمُـخِـفُّـونَ مِـنْ دَارِ الـغُـرُورِ فَـلا خَـوْفٌ عَـلَيْـهِـم وَلا بِـالـقَـوْمِ أَحْـزَانُ[1]

مَـضَـوا وَآثَـارُهُـم نُـورٌ وَذِكْـرُهُـم رُحْـمَـى، وَمَـضْـجَـعُـهُـم رَوحٌ وَرَيـحَـانُ

تَـتَـابَـعُـوا دَوْلَـةً فِـي إِثْـرِ سَـابِـقَـةٍ كَـمَا جَـلَى الـرُّسُـلُ أَحْـيَـانٌ فَـأَحْـيَـانُ[2]

حَتَى انْجَلَى الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ فَانْكَشَفَتْ بِـنُـورِهِ عَـنْ وُجُـوهِ الـحَـقِّ أَغْـيَـانُ[3]

=و«وِقر» الحاملة لنقيضَ دلالاتها حينما ينسِفُ المتخيَّل من الحاذ والوِقر الثقيل؛ ليتبيَّن للقارئ أنَّ ثِقَلَ ظهر مَمدوحيه ناتجٌ ـ في شفافية حقيقته ـ عن امتلاءِ زوَّادات ترحالهم بالزهد والخوف والإصبار والشكران. والمُفارقة اللافتة، هنا، هيَ أنَّ هذا الزاد ـ على خفَّتِه في ميزانِ الجاهل ـ أثقلُ في ميزان العارف من ألفِ وِقرٍ وَوِقر حَمَلتهُ المَناكِبُ والظُّهور.

(1) المعنى: البيت تتمَّة مُضافة للسابق؛ ولذلك فاز المتخففون ـ أمثالهم ـ من متاع دنياهم الفانية؛ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ـ وعجزُ البيت اقتباسٌ من الآيِ الكريم.

(2) معنى البيتين: لقد مضوا وَرِعاً في إثر وَرِع، لكنَّ آثارهم نورٌ مُصفى، وذكرهم رُحمى لمن ظل بعدهم على قيد الحياة ومراقدهم النيِّرة كانت وما زالت يعبق منها طيبُ الفراديس، بعد أن تتابعوا في خلافة الأمة دولة إثر أخرى، لتختفي إمامة العدل في بعض الأحايين؛ لكنها تعود للظهور من جديد. وليس ذلك بغريب على الله وفردانيَّةِ حِكمته: فقد تقطعت وانقطعت حقب الرسالات وظهورات الرُّسل والأنبياء حيناً بعد حين، وحالُ أئمَّتنا لا تختلفُ في مُكابدة الظهور والانقطاع عن حال الرُّسل والإنبياء. **ملحوظة**: كما نرى ثمة إعلاء من شأن الرَّاحلين من الأئمَّة ورجالات الورع مُقابل من سيظهرون في حقب لاحقة؛ والبيت برُمَّتِهِ استبشار بمُبايعَة الإمام سالم بن راشد بعد انقطاع الإمامة نحو نصف قرن من الزمان.

(3) أغيان: جمعُ غَيْن؛ وهو الغيم الساتر لصفاء السَّماء. **المعنى**: قصد في بيته هذا انفلاق أفق الكُربة ببزوغ الإمام سالم بن راشد وظهوره النوراني كوكباً دُرياً لتنكشفَ بأنواره الغيوم الساترة للحقِّ والحقيقة. **ملحوظة**: مَرَّة أخرى، لا تخفى دِقَّة أبي مُسلم في التعبير، ولو في موضوعة مِثاليَّة تعبِّر عن عواطفه الجياشة وفرحه الغامر بتنصيب الإمام ومُبايعته لتنكَشِفَ عن وُجوهِ الحَقّ الستائرُ الحاجبة لوجوهها الحقَّة. ومن يتملى في البيتِ مَلياً يَجدُ أنَّ الشاعِر فطِنٌ ـ بحدس المُتصوِّف ـ إلى أنَّ [الحَقّ] ليسَ واحداً، لأنه مُتمَظهرٌ بوجوه مُتعدِّدَة تقتضي تأويل طبقات أقنعتها؛ وإنْ بدت قناعاً حقانيّاً لوجهٍ واحد. في القرآن: (أ) الحق هو الله. (ب) الشرع أو الشريعة التي أرسل بها المرسلين «إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» [2/119]. (ج) الحق ـ الصدق والوُجوب. «فاصبر إنَّ وعدَ اللهِ حَق، ولا يستخفنكَ الذين لا يُوقِنون» [30/ 60]. (د) الحق ـ العدل. «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق» [38/ 26]. (هـ) الحق ـ النصيب، الحظ. «والذين في أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم» [70/ 24]. (و) الحق، بمعنى ما وجب للشيء بعين الاستحقاق. «وجاهدوا في الله حَقَّ جهاده» [78/ 22]. (ز) الحَاقَّة = القيامة. «الحاقة. ما الحاقة. وما أدراك ما الحاقة» [69/1 ـ 2 ـ 3]. عند ابن عربي: إن الحق في كلام ابن عربي هو الله، لا من حيث ذاته المُجردة عن كل وصف=

هُنالِكَ انْبَعَثَتْ رُوحُ الحَياةِ إلى ... جِسْمِ الوُجُودِ وَقَدْ أرْدَاهُ طُغْيانُ(1)

وَقَامَ لِلحَقِّ شَأْنٌ بَعْدَمَا لَغِبَتْ ... مِنَ الكَوَارِثِ أحْكامٌ وَأدْيانُ(2)

وَأصْلَتَ اللهُ إصْلِيتاً يَحُسُّ بِهِ ... سَوَاعِداً شَدَّهَا بَغْيٌ وَكُفْرانُ(3)

وَأعْرَبَ الكَوْنُ عَنْ بُشْرَى ضَمَائِرِهِ ... فَالكَائِنَاتُ أغَارِيدٌ وَألْحَانُ(4)

أُمْنِيَّةٌ رَقِبَ الإسْلامُ طَلعَتَها ... أتَاحَهَا اللهُ، لَمْ يُضْرَبْ لَهَا آنُ(5)

=ونسبة؛ بل من حيث ألوهيته للخلق. والحق هو الوجود والخير في مقابل الباطل (= العدَم = الشرّ). إن الحقيقة الوجودية ـ وفقاً لابن عربي ـ واحدة بذاتها، ثنويَّة بوجهيها: حق خلق ـ رب عبد ـ واحد كثير ـ قديم حادث، إلى غير ذلك من الثنائيات التي برع الشيخ الأكبر في تعدادها. «فالحق» هنا أحد وجهي الحقيقة الجامع لكل صفات القِدَم، في مقابل «الخلق» الوجه الآخر الجامع لكل صفات الحُدوث. ومما لا شكّ فيه أن مرجعية الشاعر الصُوفية صافية في وضوح تَبْئيرِهِ لتفلسُفٍ بئر غار في غياهب المعنى؛ فالحقُّ لم يكُن حقيقةً واحدة؛ بل حقيقة تظلّ حَمَّالَة أوجُهٍ، وهو ما أراده الشاعر، هنا، في سياق خِطاب يُضمِرُ الحقيقة الواحدة؛ [تنصيب الإمام العادل] القائم [بوجوه الحقّ] ذات الأصل الواحد، وإن تعدَّد التأويل أو كثُرَت الغيوم الساترة للحَقِّ مُتجلياً في أحسن خلقه المُتأخرين.

(1) المعنى: يعود في هذا البيت إلى موضوعته ـ وظاهرها مديح ممدوحه وإمامته الغرّاء ـ لكنه، كما نرى، يستعيد في استبطانه نوستالجيا حنينه المُنجَرف إلى نورانيَّة رُوحِهِ المُتصوِّفة، كما بدا وظهر عياناً في قصائده الأخرى؛ كأنما لتنبعث روحُ الحياةِ طازجةً بقيم العدالة في جسد الوُجُود المُفتقِر إليها؛ بعد أن أرداهُ الظلمُ والطغيان، لولا النهايات السعيدة ببزوغ إشراقات هذا الإمام المُتوَّج بتاج الفقر والورع والتقوى ـ كما أشارَ إليهِ في بيتٍ سابق.

(2) لغِبَتْ: اللُّغُوبُ: التَّعَبُ والإعْياءُ، ولَغَبَ على القومِ يَلْغَب، بالفتح فيهما، لَغْباً: أفْسَدَ عليهم. وقال الزِّبْرِقان: «ألَمْ أكُ باذِلًا وُدِّي ونَصْرِي | وأصْرِفُ عنكُمُ ذَرَبِي ولَغْبِي» ـ وكلامٌ لَغْبٌ: فاسِدٌ، لا صائِبٌ ولا قاصِدٌ. ويقال: كُفَّ عَنَّا لَغْبَكَ أي سَيِّئ كلامِك. المعنى: لذلك؛ وبفضلِ إمامته العادلة قام واستقام شأنُ الحق بعد فساد الأديانِ والأحكامِ في غابةِ الظلم والفساد.

(3) إصليت: الصَّلْتُ: البارِزُ المُسْتَوِي. أصْلَتُّ السيفَ أي جَرَّدْتُه || الإصليت: السيف الصقيل || يُحِسُّ: يقطع. المعنى: وإن تأخر الوقتُ في تقديري، لكنَّ الله كعادته؛ كان رؤوفاً بعباده المُستضعفين؛ فسلطَ سيفَ هذا الإمام الصَّقيلِ (شفرةً وتُقى) ليقطع به شأفة الكفر وطاغوت الجبابرة.

(4) المعنى: لذلك أعلن الكون بأسره عن بُشرى المكنونِ سَلفاً في هيولى الخفاء التي أفصح عنها استبشاراً تألَّقَ خصباً وأمناً ورخاءً عَمَّ البلاد المُفتقِدَةِ للعَدل؛ لدرجة أن كائناتِها عصافيرَ وفراشاتٍ عادت لترتع في مراعيها صَدَّاحةً مغردة بألحانها المُرحِّبَة باستيقاظ الرُّوح الجمعيَّةِ للبلاد بأسرها وقد تمثلتْ في شخصِ إمام المُسلمين المُعتصِم بالله.

(5) معنى البيت: وتلك أمنية عزيزة ـ تنصيب الإمام ومُبايَعته ـ انتظرت طلعتها شموس الإسلام، وقد=

وَلِلأَمَــانِــيِّ أَوْقَــاتٌ إذا قُــدِرَتْ وَلِلأَمَــانِــيِّ آيَــاتٌ وَإِيــذانُ[١]

تَـمَـنَّـعَـتْ فِـي خُـدُورِ الـغَـيْـبِ آوِنَـةً ثُـمَّ انْـجَلَتْ فَانْـجَلى عَـدْلٌ وَإِحْسَانُ[٢]

ما سَاوَرَتْهَا صُرُوفُ الدَّهْرِ إذْ نَجَمَتْ وَمَــا لِرَدِّ مُــرَادِ اللهِ إمْــكَــانُ[٣]

وَحِـكْـمَـةُ اللهِ فـي الـتَّـدْبِـيـرُ قَـاهِـرَةٌ وَقَـائِدُ الـعَـقْـلِ فِـي الـمِـقْـدَارِ حَـيْـرَانُ[٤]

=أتاحها الله في وقتها المُناسب لصلاح الأمة الغارقة في مآسيها التي أنستها الأمثولة، ولم تُثمّن تلك اللحظة الرَّبانيّة التي هبَطت من لدُنه رحمة بأحوالهم، في لحظة لم تكُن مُتوقعة في عُصور الظلام.

(١) قُدِرَت: بمعنى؛ إنْ قيسَت ودُبِّرَت تلك الأوقات || آيات: علامات || إيذان: إعلام؛ ويقال: أَذِنَ فلانٌ يأذَنُ به إذْناً إذا عَلِمَ. وقوله عز وجل: وأذانٌ من الله ورسولِهِ إلى الناسِ؛ أي إعْلام. معنى البيت: ولتلك الأماني مواقيتها المُحددة المَحسوبة؛ فيما لو حُسبَت بتقدير العارف؛ كما أنَّ لتلك الأماني آيات وعلامات تُعلِمُ وتأذن بمواقيت حدوثها.

(٢) تمنعت: تحجَّبت || خدور: جمعُ خِدر؛ وهو سِتْرٌ يُمَدُّ للجارية في ناحية البيت ثم صار كلُّ ما واراك من بَيْتٍ ونحوه خِدْراً. || الغيب: الشَّكُّ، وجمعه غِيابٌ وغُيُوبٌ؛ قال: «أَنْتَ نَبِيٌّ تَعْلَمُ الغِيابا | لا قائلًا إفْكاً ولا مُرْتابا». والغَيْبُ: كلُّ ما غاب عنك. أبو إسحق في قوله تعالى: يؤمنون بالغَيْبِ؛ أي يؤمنون بما غابَ عنهم، مما أخبرهم به النبيُّ من أمرِ البَعْثِ والجنةِ والنار. والغَيْبُ أيضاً ما غابَ عن العُيونِ، وإن كان مُحَصَّلًا في القلوب. المعنى: هذا أحد الأبيات التي استوقفتني في النونية؛ لأن الشاعر استعاد فيه ما سبق لهُ طرحه في مدائحه النبويَّةِ المُؤسْطِرَة لظهُور النبيّ محمد بعد تمتعه بحياة الفراديسِ في حُجُبِ الغيب، [وفقاً لرؤية الشاعر التي تحفظُ عليها أتباعُ المَذهب الإباضي، وحاولوا ـ قدر جهدهم ـ إخفاءها بعدم التطرُّق لها ولمعانيها في المُتواتر من أدبيَّاتهم]؛ رغم دفاعِ الشاعر الوضَّاح عن المذهب وحرصه البالغ على رموزه وأيقوناته التي أعلى من شأنها، لا سيَّما في أذكاره التي وردت في «النَّفَسِ الرَّحمَاني» وسواه من القصائد. ففي بيت كهذا؛ نراه يَستعيد طَرْقَ الفِكرةِ على رُخامِ ذاكرةٍ مُتصلِّد من خلال استعادتهِ الشفيفة للأماني التي طالما انتظر ظهوراتها بعد تحجُّبها وتمنُّعها وراءَ سُتُر الغيب آونةً طالت ـ بمقاييس التحقيب الدَّهري ـ لتنجلي تلك الأماني، أخيراً، ببيعة هذا الإمام الورع الذي انجلى العدلُ والإحسانُ بعد مُبايعته إماماً وضَّاحاً كنور سريرته التي أظهَرَت تلك الأماني مِن غُيُوب الأعالي.

(٣) ساورتها: واثَبَتها || نجَمَت: طلعت وظهرت. المعنى: ولتلك الأماني المُتمنِّعة في خدور الغيب مواقيت ظهوراتها؛ ولذلك لم تستطع صُروف الدَّهر مُواثَبَتها ساعةَ حان ظهورها من خِباء الغيب؛ فلا إمكان لحظة ظهورها المُباغت لرَدِّ ما سبق لله أنْ أرادَهُ وكتبَهُ سلفاً في لوحه المحفوظ.

(٤) المعنى: تبريراً لعودة انكشافِ الأماني وتحققها بعد لأيٍ في الواقع المُعاش؛ يؤكِّدُ الشاعر، هنا، حكمة الله في تدبير شؤون عباده؛ لذلك انكسرت تكهنات العقلاء وارتدَّت في قلوب حيرتهم بعد أن استعصى عليهم استيعاب المِقدار المُعطى ـ والمُتمنِّع، في الآن ذاته ـ دونما أسباب واضحة تُفسِّرُ أُلغُوزةَ مَواقيت الحِكمَة الرَّبانيّة التي بدت لهم مواقيتَ ظهوراتها كما لو كانت في غير مَحلِّها، لولا إيمانُهُم باقتدار القادر على كُلِّ شيء.

يَقْضِي بِمَا شَاءَ وَالأَسْبَابُ جَامِدَةٌ وَيُحْكِمُ الأَمْرَ وَالأَفْكَارُ عُمْيَانُ[١]

يَخْتصُّ مَنْ شَاءَ بِالرُّحْمَى وَيَصْرِفُهَا عَمَّنْ يَشَاءُ، وَفِي الحُكْمَيِن رَحْمَنُ[٢]

إنَّ الـذِي يَـتَـعَـاطَـاهُ الـذَّكَـاءُ لَدَى حُكْمِ المَقَادِيرِ تَخْمِينٌ وَبُهْتَانُ[٣]

مـا حِيـلَةُ الـظَّـنِّ وَالأَوْهَامِ فِـي قَـدَرٍ إلّا قُـصُـورٌ وَعَـجْـزٌ ثُـمَّ إِذْعَـانُ[٤]

لا بُـدَّ أَنْ تَـرْبِـطَ الأَفْـهَـامُ وَحْـدَتَـهُ وَلَوْ تَـطَـاوَلَ تَـقْـرِيـبٌ وَإِمْـعَـانُ[٥]

---

(١) المعنى: ومما يُدهش قصور عقولهم أنهُ يقضي بما شاءَ بغض النظر عن النتائج وأسبابها التي تقتضي ـ في زخم عُقولهم ـ نتائج مخالفة لما يبدو من جُمود واستكانة؛ لأنهُ ـ بقدرته الغيبيَّة ـ أحكَمَ الأمر ببصيرة غَيْبِهِ المُتعالي ـ وإن عَميَتْ أفكارُ العُقلاء عن تفسير العلَّةِ بمعلولها: أي؛ النتيجة والسَّبب ـ وكلاهما آليَّتان عُقد عليهما لواءُ المنطق والتفلسُف الظاهراتي في مَنظومَاتِ الفكر البشري، على اختلاف مشاربه، لذلك يبدو عدم اتسَّاق السَّبب والنتيجة قُصُوراً في تأويلِ المُؤوِّلين، قياساً إلى ما قضاهُ وقدَّره دون تبيان العِلَّةِ التي احتارت فيها الأفكار. ملحوظة: مَرَّةً أخرى نلحظُ حذاقة الشاعر في اختيار المُفردات المُناسبة لخِطابه؛ فهو لم يَقُل ـ رغم النقد المُباشِر الذي تَنضحُ به عُصارة البيت ـ عَمَى أفكارهم؛ بلْ جَزمَ الأمر بحِرصٍ يقتضيه حالُ العَماء المَعرفيّ في اختصاره البليغ: «والأفكارُ عُميان»، لينتهي تأويلُ الحكايةِ بنُقطةٍ جازمةٍ خاتِمَةٍ في آخر السَّطر.

(٢) المعنى: وبناءً على هذه القاعدة الغيبيَّةِ التي لم يُفكِّكْ، بعدُ، نسقها المُلغِز والمُغيِّب عن فطرَةِ العقولِ المُستنيرة؛ لذلك تراهُ يختصُّ من شاءَ من عباده برحمته، لكنهُ يحجبُها، أيضاً، عَمَّن يشاءُ دونما إلماحٍ لكينونةِ اللغز ـ لأنَّ منطق النتيجة التي ستظهر لاحقاً؛ سيُبيِّنُ أنَّهُ رحمنٌ عادلٌ في بواطن الحُكمَين، وإن قالت ظواهرهما بغير ذلك في مُقتضياتِ حُدودِ العقلِ المُفكِّر الحائر.

(٣) المعنى: لذلك؛ فإنَّ النتيجَة الحتميَّة لكُلِّ ما يتعاطاهُ الذكاءُ البَشريّ أمامَ تقدير حُكم مَقادير المُقتدِر تأويلًا بمحدوديَّةِ مَنطِقه القاصر ستكونُ نتيجتها تخميناً وبهتاناً قاصرين بدَورهما؛ لأنَّ العِلَّةَ ـ تخصيصاً، في حال كهذه ـ لا تُستنبطُ، كما يلا يُمكِنُ تأويلها جُزافاً.

(٤) المعنى: والسؤالُ الذي سيطرحُ نفسَهُ بداهةً في مُتوالية الأبيات: ما حيلة الظنِّ والأوهامِ في تعليلِ تعارُضِ النتائج القَدَرِيَّةِ في مَعكوساتها وفقاً لقصور المُخيَّلة البشريَّة؛ إلّا عجز تفلسُفها الفادحِ إذعاناً ـ في بصيص الطيف الرُّؤيَوي ـ لحقيقة المُعضلةِ التي استعصى فهم نَسَقها الرَّبانيّ الكامل على مُحاولات تلك العُقول المُفكِّرة.

(٥) المعنى: وخلاصَة الحَدَث الغيبيّ؛ هي وُجُوب ربط الأفهام لوَحْدَتِهِ الكُليَّة؛ فدون ذلك الرَّبط ينتقض مُستوى تعليلِ وَحدَةِ الخالق ومشيئته اللامُفسَّرَة، رغم محاولات التفسير المُتطاولَة على اختيارات مشيئتهِ بتقريبِ العِلَّةِ إلى حوافِّ مَعلولاتها والإمعانِ والتفكُّرِ جُزافاً فيما لا فائدة تُرتجى من سَبر أغواره.

خُـذْ مـا أتَـاكَ وَسَـلِّمْـهَـا لِخَـالِقِـهَـا فَـالـشَّـأنُ ـ لا غَـيْـرَ ـ لِلأكْـوَانِ دَيَّـانُ[(١)]

انْـظُـرْ إلـى دَوْلَةٍ أَعْـيَـتْ مَـعَـاجِـزُهَـا رَأيَ الـفُـحُـولِ، فَـفِـيـهَـا ثَـمَّ بُـرْهَـانُ[(٢)]

أرَادَهَـا اللهُ فَـاحْـتَـلَّـتْ مَـنَـاصِـبَـهَـا وَالعَـقْـلُ فِـي نَـصَـبٍ وَالكَـوْنُ أشْـجَانُ[(٣)]

بِـأسْـهُـمِ اللهِ تَـرْمِـي مَـنْ يُـقَـاوِمُـهَـا وَلا يَـقُـومُ لِسَـيْـفِ الـحَـقِّ بُـطْـلانُ[(٤)]

---

(١) المعنى: وعليك الاعتراف بالتسليم للخالق بخصوص الأمر المُبهَم في بصيرَةِ عقلك المَنقوص؛ فضلًا عن مُعضلتك البَشريَّةِ المحدودَةِ بمنطقِ قصور عقلك البشريِّ عن فهمها وتأويلها وتقدير حِكمَتِهِ التي بدا لك نشازها لقصُور رؤيَتكَ الكُليَّانيَّةِ لأسبابِهِ التي غيَّبَتها مَقاصِدُه، قصداً، عن مَحدودِ تفكير العقلاء من عِبادِهِ وعَبَدتِهِ الذي امتازوا بمزيَّةِ التفكيرِ فيه وفي خلقِهِ وفي تقدير مواقيتِهِ لظهوراتِ ما أخفاهُ في خدور غيبيَّاتِه.

(٢) معاجزها: جمع مُعجزة؛ كمُعجِزات الأنبياء || الفحول: الرُّواة، [ولم يقصد الشاعر معناها الشائع]. المعنى: وإذا ما أردت دلائل ظهورات الإعجاز وتمظهُراته؛ وكُنتَ ممَّن يتفكرون، بحَقٍّ، في مَاهيَّة خوارق الخالق التي لا تُحصى؛ تمَلَّ بعين الفطِنةِ، إذن، في أمر دولةٍ أعيت (مُعجزاتُ قيامها في آخر الزمان) رأيَ الرُّواةِ الذين تداولوا أمرَ مُعجزتها الخارقة؛ ففي تحيُّرهم من الحدث الكونيِّ درسٌ لعقلك المُتفكر وبُرهانٌ ساطعٌ لحواريِّه.

(٣) مَناصبها: المَنصِبُ والنِّصابُ: الأصل والمَرْجِع || النَّصَبُ: الإعْياءُ من العَناءِ || أشجان: تعني، هنا، الحاجة أينما كانت، ولا تعني، في السِّياق، عداه من المعاني الشائعة. قال الشاعر، فيما أورده اللسان: «ذَكَرتُكِ حيثُ استَأمَنَ الوَحشُ، والتَقَتْ | رِفاقٌ من الآفاقِ شَتَّى شُجُونُها»، ويُروى: لُحونُها أي لغاتها، وأراد أرضاً كانت له شَجَناً لا وَطَناً ـ أي حاجةً، وهذا البيت استشهد الجوهري بعجزه وتمَّمه ابن بري وذكر عجزه: «ذَكَرتُكِ حيثُ استأمَن الوحشُ، والْتَقَتْ | رِفاقٌ به، والنفسُ شَتَّى شُجُونُها»، وهو بيت لقيس بن المُلوَّح. المعنى: وهي دولة ـ أي دولة الإمام سالم بن راشد ـ أرادها الله، ولو تأخرت زمنياً عن استقامة دولة الخلافة الرَّاشدية لتحتلَّ موضعها وأصلها في كينونتي زمانها ومكانها، رغم الدهشة التي أصابت عُقولَ الظلاميِّين المُحتكِمين إلى سَطوةِ رؤوس القبائل، عدا النخبَة المُستنيرَةِ بورعها وتقواها. ورغم ذلك ذهُلت عقولهم من عناءِ التفكُّرِ في أمر قيامِها المُفاجئ لقاطبَة الكينونة وحوضِ الكَون المُحتاج ساعتئذٍ لبشير إنقاذٍ ظهر في ذروة اللحظة المُناسِبة بعد استفحالِ الظُّلَّام وسَلاطين الظَّلام المُتقلنِسِين بِبُرْدَةِ المُستعمِر.

(٤) المعنى: ودولة هذا الإمام التقيِّ الورع لم ترم أعداءها بمنجنيقِ مُناصريها الكُفار؛ بلْ بسهام الله مُقاومَةً من تصَدَّى لحَقِّها بسيف بطلان حُجَّة الباطل. في البيت إضمار لتحول الإمامة، لا سيما في شتات عُهود أبناءِ سعيد بن سُلطان لتاج سلطنةٍ مُتوارثة، مُقابلَ البديلِ الحضاريِّ المُتوارث: اختيارِ الأئمة لإمَامِها المُنتخبِ وِفقَ ما أقرَّته شِرعَةُ آخر الأنبياءِ التي لم تقُم لها قائمة في أصقاع الأمة الإسلاميَّة، إلَّا في هذا الثغر الذي اختارَهُ الله وحِكْمَتُه لتكُون بيضة الإسلام/ نزوى مَنبَت عدالتِهِ المُؤمَّلَة.

إنَّ الأَسِـــنَّـــةَ لا تَـــغْـــدُو مَـــقَـــاتِـــلَهَـــا إنْ شَدَّ بـالـجَدُّ وَالتَّـوْفِـيـقِ مِطْعَـانُ[1]

عَـادَتْ إلَى جِـذْلِهَـا مِـنْ طُـولِ غُـرْبَـتِـهَـا خِـــلافَـــةُ اللهِ وَالإسْـــلامُ جَـــذْلانُ[2]

عِـنَـايَـةُ اللهِ تَـحْـدُوهَـا لِمَـوْطِـنِـهَـا وَلِلْخِـلافَـةِ فِـي الإسْـلامِ أوْطَـانُ[3]

---

(١) الأسنَّة: الرِّماح || لا تعدو: لا تتجاوز || مَقاتِلَهَا: مَقاتِل الإنسان؛ هي المواضع التي إذا أُصيبت منه قَتَلَتْه، واحدها مَقْتَل || الجَدّ: الحظ || مِطعان: كثير الطَّعْنِ للعَدُوّ. **المعنى**: وما عرفناهُ من درس التاريخ المُكرّر دائماً لنفوس نفسه؛ عرفنا أنَّ الرِّماح لا تتجاوز مَقتلَها المُتوخى والمُؤمَّل في القِتْلَة والقَتْلَة؛ إلّا إن استشرسَ المُقاتلون في طعنهم العشوائي للأعداء في مَعركتهم اعتماداً على خصيصتين: الحظ والتوفيق. **ملحوظة**: ثمَّة استنهاضٌ مَعنويٌّ غير مَنظور في هذا البيت؛ هو اعتماده في استنهاضِهِ على الحظ والتوفيق إكباراً مِن شأن العَدوّ الذي لا بُدَّ لفرسان الله مِن مُقاتلته بعُدَّةٍ أكثر خشونة، إلى جانب الإعتمادِ على توفيق الله؛ الذي هو ـ في نظر الشاعر ـ حاصِل تحصيل لنتائج المعركة بين الأخيار والأشرار.

(٢) جذلها: الجِذْل، بكسر الجيم: أصل الشيء الباقي من شجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع، والجمع أَجذال وجِذال وجُذُول وجُذُولة.
والجِذْل ما عَظُم من أُصول الشجر المُقَطَّع، وقيل: هو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل، وفي الحديث: يبصر أحدكم القَذى في عين أخيه ولا يبصر الجِذْل في عينه؛ أي العُود أو الشِّيق الذي دخل عينه. [لم يُصِبْ من اعتقدوا بأنه قصد جَذلها ـ بفتح الجيم ـ بمعنى فرحها وسرورها في النسخ الموجودة من النونية، كما في شروح شُرَّاحها؛ فغور القصد المُبتغى في البيت هو عودة دولة الخلافة إلى أصلها القديم بعد طول غربة] || جذلان: فرح ومسرور. **المعنى**: وليس غريباً بعد بسالتهم تلك أن تعود الخلافة إلى أصول مَعاقلها التي اختارها الله بعد اجتثاثها مِن ربوع الأمَّةِ واغترابها في دُولٍ شتى؛ ليعود الإسلامُ [بكافةِ مَذاهِب المُتمَذهِبين به] فرِحاً مَسروراً مُغتبطاً بنصر الأمّة.

(٣) تحدوها: تسوقها. **المعنى**: وهي دولةٌ وخِلافة ساقتها عِنايَة الله لتعود لمَوطنِها المُحافِظ على شُروطِها التي اشترطها النبيُّ محمد، وطُبِّقت في العصر الأوَّل من الخلافة الرَّاشديَّة قبل انقطاعها؛ لتعود تلك الخلافة بعد نحو ألف عام مُتماسكة بعد غُربتها في أوطانٍ لم تكُن وطناً حقيقياً لرسالتها [تحديداً؛ يقصد الدولتين الأمويَّة والعَباسيَّة] اللتين احتكَرَتا إسلام ما بعد الخلافة الرَّاشديَّة في مَذهب بعينه دون سواهُ من المذاهب كالإباضية والشيعة والزيدية وغيرها من المَذاهب التنويريَّة التي قُمِعت طوال فترة ازدهار «مُؤسَّسات الدولة الإسلاميَّة؛ لذلك يُبرِّزُ الشاعر عودة ظهور الخلافة الرَّاشِديَّةِ الحَقةِ في عُمان؛ (أي في بيضة الإسلام) لتصير وطناً بديلًا لها عن مَوطنها الأوَّل، ساطعاً في لُمُوع استنهاضه: «وللخلافةِ في الإسلامِ أوطانُ». وفي ذلك تأكيدٌ مُضمَر على فسادِ الخلفاء/ الأمراء الذين كانوا، في حقيقة الأمر، خلفاءَ أنفسهم ومَلذاتهم في الدولتين الأمويَّة والعبَّاسية، لولا استثناء عُمر بن عبد العزيز وبعض الخلفاء الصالحين، مُستطرداً في القول: وليسَ غريباً أن يصير وطنُها الجديد بيضة الإسلام التي تقاطر إليها الإباضية من أصقاع مغارب الأرض ومشارقها، بعد أن حارب اعتقادَهم= =الحُرّ

تَنْحُو ابْنَ بَجْدَتِها العُلْيَا وَبُؤْبُؤَهَا ... وَشَأْنُهَا لِمُصَاصِ المَجْدِ خُلْصَانُ[1]

تَقَلَّدَ العِقْدَ مِنْهَا صَدْرُ قَيِّمِهَا ... صَدْرٌ بِخَالِصَةِ الإِيمَانِ مَلآنُ[2]

هُمَامُهَا العَاصِمُ الكَافِي لِعِصْمَتِهَا ... لَهُ عَلَى حَمْلِهَا جَدٌّ وَإِقْرَانُ[3]

مركز الإسلام الرّسمي في مَعاقل دُورهم. **ملحوظة**: رغم محاولتنا شرح البيت ضمن تاريخانيّته؛ لكنَّ أبا مُسلم ـ لحظة كتابة القصيدة ـ كان مُؤمِناً بأنَّ الله يختارُ، كما في الأزمِنة القديمة أماكن خِلافته لاستخلافِ نُظَراء وأنداد خُلفائهِ التاريخيّين. وسُؤالنا الذي ربّما سيطرحُهُ أبو مُسلم، نفسه، على نفسه بعد مائة سنة تقريباً على رحيله: هل كان اعتقادُهُ صحيحاً بأنَّ للخلافةِ أوطاناً اختارَها الله وحفظ قُدسيّتها؟ . . لن نجيب على السُّؤال المؤرّق للأذهان، لأنَّ الدَّهرَ الذي اعتمَدَهُ الشاعر مقياساً لديمُومَةِ آرائه وأفكاره، هو من سيتكفل بصراحته اللامُبالية على ذلك التسآل.

(١) تنحو: النَحْوُ؛ هو القصْد، والطريق. يقال: نَحَوْتُ نَحْوَكَ، أي قصدتُ قصدك || ابن بجدَتِها: يُقال عنده بَجْدَة ذلك ـ بالفتح ـ أي علمه؛ ومنه يُقال: هو ابن بَجْدَتها للعالم بالشيءِ المتقن له المُميز له، وكذلك يقال للدليل الهادي؛ وقصد بالتعبير الشائع: الإمام سالم بن راشد || العُليا: العَلاءُ: الشرفُ، وذو العُلا: صاحب الصفات العُلا، والعُلا: جمع العُلْيا أي جمع الصفة. أما العَليا (بفتح العين) فهو اسمٌ للمكان العالي، وللفَعْلة العالية على المَثَل، والعَلْياءُ رأسُ الجَبَل، وفي التهذيب: رأسُ كلّ جَبَلٍ مشرفٍ، وقيل: كلُّ ما عَلا من الشيءِ؛ قال زهير: «تَبَصَّرْ خَليلي، هَلْ تَرَى من ظَعائِنٍ | تَحَمَّلْنَ بالعَلْياءِ، من فوقِ جُرْثُمِ». والعَلْياءُ: السماءُ اسمٌ لها، وليس بصفةٍ، وأصله الواو إلا أنه شَذَّ. والسَّموات العُلَى: جمع السماء العُلْيا || بؤبؤها: البُؤبُؤ: تعني الأصل، وأيضاً العالِمُ المُعَلِّمُ، وإنسانُ العين || مُصاص المجد: المُصاصُ خالصُ كلِّ شيء. يقال: فلانٌ مُصاصُ قومِه، إذا كان أخلصهم نسَباً || الخُلصَان: خَلَصَ خُلُوصاً وخِلاصاً: صَفا وزالَ عنه شَوبُه، وخَلَصَ إلى الشيء: وَصَل، فهو خالص. والخُلصان: الخالِص من الأخدان، وخَلَصَ الشيءُ، بالفتح، يَخْلُصُ خُلوصاً صار خالِصاً. **المعنى**: يقصد الشرفُ الأصيلُ عالِمَهُ الهادي المُتيقن من يقينه؛ وشأنُها ـ أي الخلافة المُستعادَة ـ لخالص نَسَبها فمُصاصُها خالصٌ في المجد، ذائب فيه.

(٢) **المعنى**: ولا غرْوَ إنْ نَحَتْ ذلك المَنحى؛ فصدرُ قيِّمِها القائم على شُؤونها تقلَّدَ واسطة العِقد من تلك الخلافة المُتمترسة في قلعة بيضة الإسلام/ أو نزوى واسطة ذَلك العقد، لأنَّ صَدرَها [أي الإمام سالم بن راشد]؛ بِبُوينِضَاءِ قلبه صَدرٌ مُمتلئٌ بخلاصة الخالِصِ من الإيمان المَحضِ الذي لا تشوبُهُ شائبَة.

(٣) الهُمام: الملكُ العظيم الهِمّة، وفي حديث قُسّ: أيها الملكُ الهُمامُ، أي العظيمُ الهِمَّة || العاصم: المانع الحامي || عِصمَتها: والعِصْمَةُ الحِفْظُ والمَنع || جَدّ: عَظمَة || إقران: الإِقْرانُ قُوَّة الرجل على الرجل [ولم يعنِ الأقران؛ أي النُّظرَاء كما اعتقد بعضُ الشرّاح]. **المعنى**: يستخدم في هذا البيت مُفرَدة تليق بتفخيم المُلوك؛ لكنَّهُ أراد بذلك التفخيم إمام تلك الدولة المُنتمِية روحاً للصِّرف المُصفَّى من الخلافةِ الرَّاشِدية؛ ليستطرد قائلًا: هُمامها [أي إمامها الممدوح] العاصم الكافي لعصمة تلك الإمامة التي حملها وساس أمورها بعظمته الرُّوحية وقوّته البدنيّة.

سُمَيْدَعٌ مِثْلُ صَدْرِ السَّمْهَرِيِّ لَهُ ... في هَضْبَةِ المَجْدِ أجْذَالٌ وَأغْصَانُ[1]

رَحْبُ المَبَاءَةِ قَرْمٌ لا بَوَاءَ لَهُ ... بِفَضْلِهِ شَهِدَتْ سَهْلٌ وَأحْزَانُ[2]

مُشَمِّرٌ أحْوَذِيٌّ رَأيُهُ فَلَقٌ ... وَعَزْمُهُ قَبْلَ وَضْعِ الرُّمْحِ طَعَّانُ[3]

مُرَوَّعٌ ألْمَعِيٌّ فِي بَصِيرَتِهِ ... مِنَ الذَّكَاءِ لِمَحْضِ الرَّأيِ تِبْيَانُ[4]

---

(١) السَّمَيْدَع: الشجاع الكريم سيد القوم الجميل الجسيم المُوَطَّأُ الأكناف، والأكنافُ النواحي || السَّمهري: الرُّمْحُ الصُّلْبُ، والمنسوبُ إلى سَمْهَر زَوْجِ رُدَيْنَةَ، وكانا مُثَقِّفَيْنِ لِلرماح! قال الشاعر: «مَصانعُ فخرٍ ليس بالطِّينِ شُيِّدَت | ولكن بطعن السَّمهريِّ المُعَرَّنِ» || أجذال: الجِذْل أصل كل شجرة حين يذهب رأسها. يقال: صار الشيء إلى جِذْلِه أي أصله، ويقال لأصل الشيء جِذْل، وكذلك أصل الشجر يقطع، وربما جُعِل العُود جِذْلاً في عينك. الجوهري: الجِذْل واحد الأجذال وهي أُصول الحَطَب العظام [وردت أجدال في كافة النسخ؛ فصَحَّحناها من مخطوطة النونيّة التي خُطَّت في ١٣٣٢هـ (الموافق ١٩١٤م)، راجع قسم الصور والوثائق]. المعنى: فهو شجاع كريم وسيد قوم مُوطأ الأكناف، كالرمح في صلابته، له في هضبة المجد أغصان وجذوع راسخة كالأشجار العظيمة.

(٢) المَباءة: المنزل، وقيل مَنْزِل القوم حيث يَتَبَوَّأُونَ من قِبَلِ وادٍ، أو سَنَدِ جَبَلٍ. وفي الصحاح: المَباءة: مَنْزِلُ القوم في كل موضع، ويقال: كلُّ مَنْزِل يَنْزِله القومُ. قال طَرَفة: «طَيِّبو الباءة، سَهْلٌ، ولَهُمْ || سُبُلٌ، إن شئتَ في وَحْش وَعِر» || قَرْم: القَرْمُ من الرجال: السيد المعظم || بَوَاء: نظير وكُفء || سَهل: المُنبسط من الأرض || أحزان: جمع حَزْن؛ وهي الأرض الغليظة الوعرة. المعنى: ومَضافَتُهُ رَحبة؛ لأنهُ سَيِّدُ قوم مُبجَّل لا نظير له، ولفضله الذي شهدت به الأرض سهلًا وجبلًا.

(٣) مُشمِّر: جادٌّ في أمره؛ وفي الحديث: ألا هل مُشَمِّرٌ للجنة فإن الجنة لا خَطَرَ لها؛ أي لا عِوَضَ عنها ولا مِثْلَ لها || أحْوَذِيّ: والأحْوَذِيُّ: المشمر في الأمور القاهر لها الذي لا يشذ عليه منها شيء، والأحْوَذِيّ الذي يَغْلِب. || فلق: والفَلَق بيان الحق بعد إشكال؛ والفَلَق، بالتحريك: ما انفَلَقَ من عمود الصبح، وقيل: هو الصبح بعينه، وقيل: هو الفجر، وكلٌّ راجع إلى معنى الشَّق. المعنى: وهو إمام جادٌّ في أمره قاهر للمعضلات التي تواجهه، رأيه فلقٌ وضَّاح، وعزمُهُ طَعَّانٌ لأعداءِ الله قبل وضع رُمحِهِ في صدورهم.

(٤) مُرَوَّع: المُرَوَّعُ المُلْهَم كأنَّ الأمر يُلْقَى في رُوعه. وفي الحديث المرفوع: إنّ في كل أُمة مُحَدَّثِين ومُرَوَّعِين، فإن يكن في هذه الأمةِ منهم أحد فهو عُمر؛ وأيضاً المُرَوَّعُ: هو من ألقي في رُوعه الصواب والصِّدْق، وكذلك المُحَدَّث كأنه حُدِّثَ بالحقّ الغائب فنطق به. وقد اختار الشاعر المُفردة بعينها تدليلًا على تشابه فِعالِ عُمر بن الخطاب وفِعالِ الإمام سالم بن راشد الخروصي || ألمعي: الألْمَعِيُّ الذي إذا لَمَعَ له أولُ الأمر عرف آخره، يكتفي بظنه دون يقينه، وهو مأخوذ من اللَّمْع، وهو الإشارةُ الخفية والنظر الخفِيُّ || الذَّكاء: التوقد والفطنة || مَحض الرَّأي: خالِصُه. المعنى: مُلهَمٌ وقادٌ في بصيرته، له تبيان في خالص الرَّأي السديد لشدة ذكائه الفطري المُوجِّه لبصيرته تلك. [نقترح لمن أراد التوسع الرجوع إلى معاني الكلمات وشروحها التي تُسبغ عليها ظلال مقاصد البيت].

تحكَّمتْ مِنْ أَصِيلِ الرَّأيِ فِطْنَتُهُ	كأنَّها فِيهِ أبْصَارٌ وَآذانُ[1]
يَطْوِي عَزَائِمَ بِالتَّقْوَى وَيَنشُرُها	كَأنَّهُنَّ بِخَصْمِ اللهِ نِيرَانُ[2]
أَصَارَهُ عِلْمُهُ بِاللهِ مَحْضَ هُدًى	وَغَيْرُ بِدْعٍ هُدًى يُذْكِيهِ عِرْفَانُ[3]
لم يَنزِلِ العِلْمُ مِنْهُ مَوْضِعاً كَدِراً	يُمَثِّلُ الشَّمْسَ مِنهُ الذَّاتُ وَالشانُ[4]

---

(١) تحكَّمت: أصلها الحُكْمُ: العِلْمُ والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حَكَمَ يَحْكُمُ، ويُروى: إن من الشعر لحِكْمَةً، وهو بمعنى الحُكم؛ ومنه الحديث: الخِلافةُ في قُرَيش والحُكْمُ في الأنصار؛ خَصَّهُم بالحُكْمِ لأن أكثر فقهاء الصحابة فيهم، منهم مُعاذُ بن جَبَلٍ وأُبَيّ بن كَعْبٍ وزيد بن ثابت وغيرهم. المعنى: وفطنته تحكَّمت من ثاقب الرَّأي علماً وقضاء بالعدل، كأنَّ فطنته الخارقة تلك تجسدت في كُلِيَّتِهِ مِجسَّات سمع وإبصار لاقطة لما خفي واستعصى فهمه من الأمور. تلميح: أراد باستخدامه لكاف التشبيه، في الشطر الثاني من البيت صيغة المُبالغة، بحيث أضحت فطنته (المُنعكسَةُ في شخصِهِ عِلْماً وعدالة) أبصاراً وآذاناً يرى ويسمع بها، تركيزاً لوظائفها للقيام بوظيفة العدل وحصافة الرأي، دون انشغال حواسِّهِ بغيرها من المَحسُوسات والمُدرَكَات.

(٢) عزائم: العزائمُ الرُّقَى. وعزائِمُ الله: فَرائِضُهُ التي أوْجَبَها، والعَزْمُ ما عَقَد عليه قَلْبُك من أمرٍ أنَّك فاعِلُه؛ وقول الكميت: «يَرْمي بها فَيُصِيبُ النَّبْلُ حاجَته | طَوْراً، ويُخْطِئ أحياناً فيَغتَزِمُ»؛ قال: يَعودُ في الرَّمْي فَيَعْتَزِمُ على الصواب فيَحْتَشِدُ فيه، وإن شئت قلت يَعْتزِمُ على الخطإ فَيَلِجُ فيه إن كان هَجاه. المعنى: وبالتقوى، دون سواها، يطوي العزائم وينشرها، في اللحظة الصحيحة والمُناسبة للإنقضاض، بحيث تبدو مطويَّةً كانت أم منشورة تلك العزائم في نظر العدو نيراناً عليه أن يحسب لها ألف حساب.

(٣) محض هدى: هدى خالص || بدع: البِدْعُ؛ هو الشيء الذي يكون أوّلًا. جاء في محكم التنزيل: «قُل ما كنتُ بِدْعاً من الرُّسُل»؛ أي ما كنت أوّلَ من أُرْسِلَ، قد أُرسل قبلي رُسُلٌ كثير. والبِدْعَةُ الحَدَث وما ابْتُدِعَ من الدِّينِ بعد الإكمال || يُذكيه: يُوقِدُه ويُنيره || العِرفان: العِلم والمعرفة الباطنية بالله في المُصطلح الصوفي. المعنى: لقد صيَّرَهُ عِلمُهُ هدى خالصاً ينضح على كافة أتباعه، وما ذلك بغريب ولا مُبتدَعٍ عليه، لأنهُ انحلَّ من جسده الإنساني في لبوس الهُدى المُتوقد بالعرفان الرَّباني. ملحوظة: نلاحظ أنَّ أبا مُسلم يُضفي على شخص الإمام (وأخيار تابعيه في الأبيات اللاحقة) صِفات عِرْفان المُتصوِّفة الكبار، تعبيراً عن تناهي ورعهم وتقاهم، لكنَّ واقع الحال غير ذلك؛ أي أنَّ الإمام الممدوح لم يبلغ تلك المراقي التي أضفاها عليه مادحه الشاعر، مهما بُولغ في الخطاب الرَّافِع من شأنه، لا سيَّما أنه انتخب وهو ما زال في حدود الثامنة والعشرين من عُمره واغتيل في حدود الخامسة والثلاثين، وفي محيط هذا العُمر لا تترسخ المعرفة الكلية للكائن الورع في باطنها وظاهرها؛ لكنه خِطابٌ نعتقدُ أن الشاعر عكس في صفاءِ جدول مائه ما يجول في خاطره فرحاً بقيام دولة الإمامةِ فأضفى على ممدوحيه عِرفانه الشخصي.

(٤) لم ينزل: النُّزُول؛ هو الحلول، وقد نَزَلَهم ونَزَل عليهم ونَزَل بهم [وردت في الأصل المُعتمد=

ما زَالَ تَمْحَصُهُ التَّقْوَى وَيَمْحَصُها	وَسِرُّهُ مَلَكٌ وَالشَّخْصُ إِنْسَانُ(۱)
حَتَّى تَمَحَّضَ نُوراً لا يُكَدِّرُهُ	خَيرٌ وَشَرٌ وَأغْيَارٌ وَأغْيَانُ(۲)
وَالعِلْمُ بِاللهِ وَالإخْلاصُ عَارِفَةٌ	مِنَ الكَرِيمِ وَتَخْصِيصٌ وَإحْسَانُ(۳)
مَوَاهِبٌ سَاقَهَا مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِهِ	لأنفُسٍ ما لَهَا فِي النَّاسِ حُسْبَانُ(٤)

=والنسخ الأخرى: «لم يَنْزِلْ العِلمُ»، لكننا اعتمدنا ما ورد في مخطوطة [١٩١٤م] لفردانيّة الإيحاءات الجمالية لمفردة نُزول العلم في قلب ثقاةِ الله وخلصائه || كَدِراً: عكسُ صفاءِ الشيء. المعنى: والعلم والمعرفة والعرفان لم تنزل منه موضعاً كدراً (لعدم وجود موضع كذاك، أصلًا، في قلبه وبدنه)، فشأنه وكينونة ذاته يُمَثِّلان الشمس الناصعة في إشراقتها.

(١) تَمْحَصُهُ: تنقِّيه وتصفيه وتجعله خالصاً، كما يمحصها بدوره || مَلَك: مَلاك. المعنى: فالتقوى تنقيه وتصفيه ليكُون خالصاً، كما يمحصها من أدران شوائب الأغيار ومدسوساتهم، وهو لا يبوح عن ذلك التمحيص المُتبادل بينه وبين التقوى، لأنَّ سِرَّهُ (باطنه) مَلاكٌ مُتعالٍ تنـزيلَ (في الظاهر) بخصائص الإنس في شخصنته الظاهرية المُتمظهِرَة. تمحيص: نلاحظ إعلاءهُ من شأن إمام أمَّته المُختار في تمحيصه وتمحيص التقوى له، ليُعلي الشاعرُ من مَقامه المُتعالي لدى العليِّ القدير في مرتبة الملائكة المُصطفين، وإنْ بدا لمَن خالطوه من عامَّة الناس إنساناً بسيطاً مثلهم يمشي على قدمين.

(٢) تمحَّض: تصَفَّى || أغيار: قصد بها أحداث الدهر وأحواله المُتغيِّرة || أغيان: غِينَ على قلبه؛ أي: غُطِّيَ عليه وأُلْبِسَ. وغِينَ على الرجل؛ أي غُطِّيَ عليه. وفي الحديث: إنه ليُغانُ على قلبي حتى أَستغفر الله في اليوم سبعين مرة. المعنى: لقد مَرَّ بكُلِّ تلك المراحل حتى تصفى من كُلِّ شائبةٍ في الرُّوح والجسد ليتجسَّدَ نوراً صافياً لا يُكدِّره شرٌّ وخيرٌ ولا لبوس موبقات الدهر من تغير أحواله وإسدال سُترها عليه.

(٣) عارفة: العُرْفُ والعارِفة والمَعروفُ واحد: ضد النُّكْر، وهو كلُّ ما تَعْرِفه النفس من الخيْر وتَبْسَأُ به وتَطمئِنّ إليه، وقيل: هي الملائكة أُرسلت مُتابعة. وفي حديث كعْب بن عُجْرةَ: جاؤوا كأَنَّهم عُرْف، أي: يتْبَع بعضهم بعضاً، وقرئت عُرْفاً وعُرُفاً والمعنى واحد، وقيل: المرسلات هي الرسل. وقد تكرَّر ذكر المعروف في الحديث، وهو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة اللّه والتقرّب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندَب إليه الشرعُ ونهى عنه من المُحَسَّنات والمُقَبَّحات وهو من الصفات الغالبة أي أَمْر مَعْروف بين الناس إذا رأَوْه لا يُنكرونه. المعنى: والعِلم المُتبحِّر بالله بعد الإخلاص لهُ، عارِفَةٌ وإحسانٌ من عوارف الكريم التي اختصَّ بها مثل هذا الإمام الذي بين أيديكُم.

(٤) فيض رحمته: نَهْرُ رَحمَته. المعنى: ولا مجال لاستغراب واستنكار كُلٍّ من الجاهل والعالم على السواء؛ فتلك مَواهبٌ سَاقها العليُّ القدير من فيض رحمته على من اختصهم بها، لعلمه بمكانة تلك الأنفُسِ في عرشه، وإنْ لم تحتسب لها عامَّة الناس حُسباناً يُعيدُ إليهم (أي العامَّة، وليس أولئك الأخيار) المَكانةَ التي غفلوا عنها جهلًا بمقدارهم العالي لدى رَبِّ الأرباب، وبطبيعة الحال، فإنَّ الإشارة والتلميح يَتضحانِ وُضوحاً وإيماءً في شخص مَمدُوحِه الإمام سالم بن راشد الخروصي.

يَعُدُّهَا النَّاسُ مِنْ أَحْجَارِ سُوحِهِمُ	وَهُنَّ فِي مَلَكُوتِ اللهِ شُهْبَانُ[1]
يَمْشُونَ بُلْهاً، وَهَمُّ النَّفْسِ فِي كَيَسٍ	وَالعَقْلُ فِي الوَجْدِ بِالمَشْهُودِ وَلْهَانُ[2]
وَالفَتْحُ يَقْصِدُ قَلباً ما بِهِ سَعَةٌ	إِلّا لِمَنْ لَم تَسَعْهُ قَطُّ أَكْوَانُ[3]

---

(١) سُوح: الفضاء والخلاء بين دُورِ الحَيّ؛ وهي السُّيوح في الدارج العُماني || شُهبان: في الأصل، الشُّعْلَة من النّارِ؛ ويقال للرجُلِ الماضي في الحرب: شِهابُ حَرْبٍ أي ماضٍ فيها، على التَّشْبيهِ بِالكَوْكَبِ في مُضِيِّه، والجمعُ شُهُبٌ وشُهْبانٌ؛ قال ذو الرِّمة: «إذا عَمَّ داعِيها، أَتَتْهُ بمالِكٍ | وشُهْبانِ عَمْرٍو، كلُّ شَوْهاءَ صِلْدِمِ». أرادَ بشُهْبانِ عَمْرٍو: بَني عَمْرو بنِ تَميم. المعنى: وتلك المَواهِبُ التي اختصَّ بها الرحمان رجالاته الأخيار، يحسبُها عُموم الناس ويعتقدونَ أنها حجر لا قيمة له كالأحجار التي امتلأت بها السُّوح المحيطة ببلداتهم، دون تثمينها بما تستحقه حَجَراً كريماً نفيساً، لو أدركوا قيمة تلك الأحجار/ المواهب المُتوقِّدة شهاباً إثر شهابٍ مُضيءٍ، ليسَ في سُوحِهم الجرداء فحسب، بل في ملكوتِ الله، لو كانوا يعلمون.

(٢) بُلهاً: جمع أبله؛ أي حمقى || كَيَس: الكَيْسُ: خفَّة الفهم وتوقُّد الذكاء || الوَجْد: الوَلَه؛ وهي تردُ في هذا البيت خالصةً بعُمقِ ظلالها الصُّوفية || المَشهود: ذات الله، وأيضاً تعني: يوم القيامة || ولهان: الوَلَهُ: ذهاب العقل لِفِقْدانِ الحبيب، وقصد به ذات الخالق جلَّ وعَلا. المعنى: وهذا الإمامُ وخُلَّصُ حَوارِيِّه ـ كما ترون يا عامَّة الناس ـ يَمشونَ بينكُم بلِحاهم وعَمائمِهم المُستنيرة؛ كما يمشي البُلهاء والمجانين في بلداتكم، لا لبلاهَةٍ، بل لشدَّةِ وَرَعِهم وتقواهُم ومخافتهم من الله التي صيَّرَتهُم في عُيونِكُم كالشُّعراءِ العُشاق يُطوِّفون من حارةٍ إلى حارة تشبيباً بالمحبوب، لكنَّ مَحبوبَ هؤلاء [البُلْه]، هو الله عز وعلا. تلميح: تطغى على البيت قُبَّةُ بُعدٍ صُوفِيٍّ تُذكِّرُ، ولو من بعيد، بمَولويَّات الشيخ جلال الدِّين الرُّومي؛ الذي يبدو لنا أنَّ الشاعرَ أسبغ ظِلالَ بُعدِهِ القاموسي (وليسَ السُّلوكي، شطحاً) على الأتقياء الوَرِعين من أتباع إمام المُسلمين الممدوح في القصيدة.

(٣) السَّعَة: نقيض الضيق || الفتح: في اللغة: الفَتْحُ النصر. والفَتْحُ الماء يجري من عينٍ أو غيرها. وفاتحة الشيء: أوَّله. في القرآن: (أ): خلاف الإغلاق «لا تفتح لهم أبواب السماء» [٧/ ٤٠]. (ب): فتح = حكم. الفتَّاح = الحاكم. «قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم» [٣٤/ ٢٦]. (ج): فتحَ: أرسلَ وأطلقَ. «ما يَفتحُ الله للناس من رحمة فلا مُمسِكَ لها» [٣٥/ ٢]. (د): فتحَ: بيَّن. «أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم» [٢/ ٧٦]. (هـ): الفتح ـ النصر، وقيل القضاء، استفتحَ = استنصر. «إنا فتحنا لك فتحاً مُبينا» [٤٨/ ١]. (و): يوم الفتح = يوم القيامة. «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون» [٣٢/ ٢٩]. عند ابن عربي: (١) نظر إليه نظرة «عرفانية» لم يَتخطَّ بها أفق من سبقه من المُتصوِّفين، وكانت بالتالي عباراته فيها مستمدة منهم: فتح حلاوة ـ فتح عبارة ـ فتح مكاشفة، وهو فتح إنساني علمي؛ أي أنه «فتح عِرفان». (٢) نظرة «إيجاديَّة» تذكِّرنا بالتجلي الوجودي عنده، وهي نظرة خاصة شديدة اللصوق بمذهبه في التجليات والفيوضات. ولذلك جاءت عباراته فيها اصطلاحية، خاصة: المفاتح الأولى ـ المفاتح=

مَـحَـبَّـةُ اللهِ سِـرٌّ حَـيـثُـمَـا صَـدَقَـتْ لَهَـا عَـلَى عَـالَمِ الإمْـكَـانِ سُـلطَـانُ[1]

تُـعْـطِـيكَ فَـتْـحـاً وَإنْ سُـدَّتْ مَـغَـالِقُـهُ وَطَوْرُ عَـقْـلِكَ فِي ذا الفَـتْـحِ حَيْـرَانُ[2]

فَـلا عَـلَـيـكَ إذا صَـحَّـتْ مَـحَـبَّـتُـهُ إذا وَفَـى لَكَ هَـذا الـخَـلْقُ أو خَـانُـوا[3]

للهِ مـا أَنْـفُـسٌ فِـي سِـرِّهَـا اشْـتَـعَـلَتْ بِـالـحُـبِّ؟ للهِ أَنْـوَارٌ وَنِـيـرَانُ[4]

تَـحُـلُّ فِـي الأَرْضِ وَالأَلْبَـابُ طَـائِرَةٌ فِـي عَـالَمٍ فِـيـهِ أَهْـلُ اللهِ نُـدْمَـانُ[5]

=الثواني مفاتح الأسباب. وهذا الفتح هو إلهي إيجادي، لا قدم لمخلوق فيه. إنه «فتح خلق وإيجاد». . إلخ. المعنى: وفتحُ القلوب يقصد القلب الضيق على ما سواه، إلّا من لم تسَعْهُ براري الأكوان، لِعَظَمِ اتساع قلبه قياساً إلى محدوديَّتها.

(١) المعنى: وحين تصدق محبّة الله؛ فإنّ لها سُلطاناً غامضاً خفيّاً سِريّاً على عالَمِ الإمكان لا تُدرِكُهُ مدارِكُ من تشرنقوا فيه، دون النظر بعيداً إلى عالم اللا ـ إمكان، وإلّا لاكتشفوا ذلك السِّر المُعجز في كينونة أفهامهم الضيقة بمنطقها التبريري الذي لا يرى ما وراء الأشياءِ والمُمكِنات لتنكشف لهم أسراره بسلطانها الباذخ على عالم الإمكان الواقعي المشهود، لدى خواصّ الله بنقيضيه: المُتمَرئي واللامرئي.

(٢) المعنى: فمَحبّة الخالق تعطيكَ فتحاً غير مُتوقع بعد أنْ سُدَّت مَغالِقه، وأنت غير مُصدِّق كحالة عقل الحائر.

(٣) المعنى: فإن صحّت محبّته ـ أي محبّة الخالق ـ ولا شكَّ فيكَ أيُّها الإمام ولا في مَحبّتك، ولا تكترث سواءٌ وَفتْ لك الخلائق انطلاقاً من محبّتك الخالصة لله، أم خانوها. ملحوظة: ينتقل الخطاب في هذا البيت من التخصيص إلى التعميم، انطلاقاً من الإمام الممدوح إلى أقرب أخياره وأصفيائه، تصاعداً إلى عُموم المُخاطَبين في النُّونيّة، أوفياءَ كانوا لإمامهم العادل أم خونة لرسالته.

(٤) المعنى: ويا لها من أنفسٍ تلك النفوس التي توقَّدَت بحُبِّ الله الخالص؛ وليسَ بِدْعاً أن تشتعلَ أنواتُها الجُوَّانيّة بمحبّته، فكما لله نيرانٌ تستعر في القلوب المُطفأة، فثمّة أنوارٌ تُضيء في القلوب التي اختصَّها بمحبّته، كما اختصوه بمحبّتهم.

(٥) الألباب: العُقول || نُدمان: النَّدِيمُ: الشَّرِيبُ الذي يُنادِمه. قال الراعي: «يُنازِعُني بها نُدْمانُ صِدْقٍ | شِواءَ الطَّيرِ، والعِنَبَ الحَقِينا»، أراد بها الخمر رُوحاً وراحاً سَماويَّيْن. المعنى: وأنفسُهُم تلك، تحُلُّ في الأرض [أي تتنزلُ عليها من السماء] والألباب طائرةٌ مرفرفة مُحلِّقة في العالم الذي كان فيه وما زالَ أهلُ الله نُدمانٌ، لم يُفيقوا بعد مِنْ سَكرتهم فيه وبه. تفصيح: كثيرٌ مِنْ مُحاولي تفسير أبيات أبي مُسلم صَدَمَتهم أبياتٌ كهذا البيت، رغم وضوحها الرُّؤيوي وإشراقها الصُّوفي الخالص. ولو تمعنوا في سياق الأبيات، لارتووا مِن يُنبوع القول المُتسامي في رفعه لنُفوس ممدوحيه [الإمامُ وخُلَّصُ حَوارِيِّيه]، وهي تتهبَّطُ من السَّماءِ والألبابُ طائرة في عالم نَوْرَانِيٍّ كان حضرته [كُلُّ أهلِ الله]؛ أي أصفياؤه نُدْمانٌ يُصافي أحدهم الآخر بمحبّة كينونة الذات العُليا. فالشاعر، قدر ما يستعير مبدأً=

رَيَّانَـةٌ بِـشَـرَابِ الـحُـبِّ مُـحْـرَقَـةٌ وَالحَالُ صَحْوٌ وَكُلُّ الشَّرْبِ نَشْوَانُ[1]
تِلْكَ النُّفُوسُ التي هَذا «الإمَامُ» لَهَا قُـطْـبٌ وَمَوْرِدُهُ الـصَّـافِـي لَهَـا حَـانُ[2]

=صُوفيّاً صرفاً في التعالي النوراني، قدر ما يُقرِّبُ المعنى [لمن لم يعرف مُصطلحات المُتصوِّفة، بمُصطلحات الخمريّات]، ومن قرأ أبا نواس (على سبيل المثال)، لأدرك الفرق بين مقاصده في التشبيب بالغلمان والجواري، قياساً إلى مقاصد الحُسين بن مَنصور الحَلّاج، الذي نكاد نجزم بتأثر أبي مُسلم بطرائقه الصُّوفيّة التي اتخذت لذاتها [كما لذات خالقها ومعبودها] أقصى يسار النعوت الوَصّافة له. لأنَّ أبا مُسلم ركبَ مركب الحقيقة، وإنْ لم يُصرِّح به مَذهباً، كما صرَّحَ به الحَلّاج: «رُكُوبُ الحقيقةِ لِلحَقِّ حَقٌّ | ومَعنى العِبارَةِ فيهِ يَدِقُّ || رَكِبتُ الوُجودَ بِفَقدِ الوُجودِ | وقلبي على قسوَةٍ لا يَرِقُّ»، وقد اخترنا هذين البيتين عن قصد، وإلّا كان بإمكاننا اختيار ما يُناسِب الإدمان الرُّوحي بالله من ديوان الحلّاج، لكنَّ ذلك لم يكن مَسعى ولا هدفاً لنا، قدر ما أردنا الإعلاء من شأن أبي مُسلم الذي ظُلِم في حياته كما في مَمَاته، من كِلا الطرفين: أعدائه البَيِّنين الواضحين بعد نحو مائة عام من رحيله، ومن اعتقدوا، جَهلًا به، في أنفسِهِم فُيُوضَ مَحبّته، سَواءٌ بسواء.

(١) ريّان: ضد عطشان، وريّانة على القياس، لأن العرب تقول: رجلٌ رَيّان وامرأة رَيّا؛ قال ابن سيده: وأمّا رَيّا التي يُظنّ بها أنها من أسماء النساء فإنه صِفة || الشَّرْب: بفتح الشين وسُكون الرّاء: الجماعة يَشْرَبُونَ الخمر. المعنى: ونفوس أولئك القوم المُتهبِّطة من علياء السماوات ريّانة بشراب الحُبِّ الإلهيّ، قدر ما هي مُحرَقة محروقة به، رغم أن الحال صَحْو [قياساً إلى المَناخ الأرضي] وكُلُّ نُدامى الله مُنتشون بخمرته التي اختصَّهُم بها. تلميح: مَرّةً أخرى، نُلاحِظ إسباغ الشاعر صِفات المُصطفين الأخيار من أتباع الإمام (وليس شخصه، فحسب) مُكسِباً إيّاهِم صِفاتٍ لم يعتقدوها في أنفسهم [لولا تنبيه الشاعِر لهم، في نُونيّتِهِ ـ المانيفستو]... وكما أشرنا من قبل فهو أسلوبٌ (بالأحرى، تقنيّة وليس مُبالغة)، قُصِدَ بها حَثُّ أتباعه وأنصاره ومُؤيِّديه لاتباع طريق الهُدى الذي دعاهُم الإمام إليه، ليدعوا بدورهم (كرجالات دولة مُتحقِّقين) فئات الأمّة وقبائلها المُتنازعة، يومها، حول هذا الإمام الذي ظهَرَ ولم تحسم أمرها بشأن الولاء المُطلق له. وسواء اعتقدنا (نحن، كدارسين مُتأخرين لتلك المرحلة) بصدقِ أكذوبَة الشاعر، أو كذبها المحض، لكننا حتماً سنُصَدِّقُ مَرامَها وبُعدها الاستنهاضي في خاصَّةِ أتباعِ الإمام بأنهم [مُصطفون مُختارون، كإمامِهِم] من ذات الله العليِّ القدير، وسنقف مكتوفي الأيدي أمام مَديحه [في ذواتِهِم أو ذوات أسلافِهِم في أبعد تقدير]؛ إن لم تتنزل نفوسُهُم بعد من السماء كأولئك الأسلاف، فإنَّها لا محالة ستفعلُ ذلك وسُتشاركهم المُنادَمَة بعد النصر أو الشهادة في وليمَة الله.

(٢) الإمام: قصد بالمعنى ممدوحه الإمام سالم بن راشد الخروصي، تحديداً وتخصيصاً. **الإمَامَة في اللغة**: «والإمام: كُلُّ من اقتديَ به، وقُدِّمَ في الأمُور. والنبيُّ [محمد] إمام الأئمّة، والخليفة أمام الرَّعيّة، والقُرآن: إمام المُسلمين» [مُعجَم مقاييس اللغة، ج ١ ص ٢٨]. **في القرآن**: وردت كلمة إمام بمعنى: المُقدَّم المتبوع، سواءٌ كان شخصاً أم كِتاباً. «قال إني جاعِلُكَ للناسِ إماماً، قال ومن ذريّتي» [٢/ ١٢٤]، «ويتلوهُ شاهِدٌ مِنهُ ومِن قبله كتاب مُوسى إماماً ورَحْمَةً» [١١/ ١٧]. عند ابن=

=عربي: يتعذر بحث «الإمامة» و«الإمام» على المُستوى النظري والفكري. والسبب عائد إلى أنَّ الإمامة نشأتْ وترعرعتْ في حمى السياسة، وكانت الباعث الأول والأكبر على خلْقِ الفِرق والمِلل التي تشقق إليها البُنيان الإسلامي، وهي أول حدث اختلف فيه المُسلمُون بعد وفاة النبي [محمد]. والمُلاحظ أن أوائل المُسلمين استعملوا كلمة إمامة وخلافة على التَّرادُف، لأنَّ الشخص الذي يرتضونه إماماً يُبايِعونه خليفة. فالإمامُ هو الخليفة، وعند أهل السنة عامة: الخليفة هو الإمام. ولكن بعد الخلفاء الراشدين كثُرَتْ الفِرَق، واستحالَ إرضاؤها. فالفرقة التي لم توفق بأن تجعل إمامها الذي تعتقد به خليفة للمُسلمين، استمرت في اعتقادها بإمامها، واتخذت عقيدتها إما تقية، وإما ذريعة للخروج على سُلطان الدولة بالفِتَنِ والحُروب. هكذا استطاعت نظرية الإمامة أنْ تفرض نفسها على كُتبِ عِلم الكلام، بالنسبة لما يرمز إليه صاحبُها؛ أي: «الإمام» من فعالية سياسيَّة ودينيَّة، ناهيك عما أثارته من جدل بين أهل السُّنة والشيعة، لأن السُّنة يَرتضونَ الخليفة القائم إماماً بصورة عامة [وتِلك مثلبَتُهُم]، ولذلك لا نجد لهذه النظرية الأبعاد التي أخذتها في الفِكر الشيعي [والأباضي، استكمالاً، من جانِبنا، لفحوى القول]. لذا لم يبق أمام الشيخ ابن عربي، إلّا أن يُوضِّحَ موقفه من المشكلة التي عاصرت الإسلام منذ فجره حتى اليوم. [راجع في المَراجع: المُعجم الصُّوفي: الحِكمة في حُدود الكلمة]. فابن عربي يأخذ الإمامة بمعناها الشامل الواسع المُطلق، أي: التقدُّم والتولِيَة والتصرُّف، دون أن يُحدد شخص الإمام أو شخوص المأمومين. فهي، هنا، مرتبة أو وظيفة وليست شخصاً مُعيناً، وهو بهذا العرض للإمامة يبتعد عن الخوض فيها. يقول الشيخ الأكبر: «اعلم أنَّ الإمامة هي المنزل الذي يكون النازل فيها متبوعاً وكلامُهُ مَسموعاً، وحُكم الإمام على قسمين؛ لمّا كان الإمامُ إمامَين: ناطق ومُضمَّنٌ نُطقاً، وصادقٌ ومُودعٌ صدقاً كالإمام الذي هو صحيح الكِتاب، وفي كُلِّ أمَّةٍ نذير من نفسها على حسب نفسها، ولا بد من اتخاذ الإمام المُتبَع في الشيء الذي قدم له واتُّبِع؛ فإنْ نازعَهُ آخر هلك، لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا، فقد قُرِن الإفسادُ بالاشتراك. فالإمامَةُ هي الولايَة نفسُها بتعبير آخر. والولايَة [عند الشيخ الأكبر] عالَمٌ قائمٌ بذاتِه، كالنبوَّةِ لهُ مُفرداته الخاصة وتعابيره الاصطلاحيَّة. (أ) أثبت ابن عربي في الزمن الواحد إمامَين: إمامٌ [ظاهِرٌ]؛ هو الخليفة الحاكِم السِّياسي [مُتفقاً في ذلك مع أهل السُّنة]، وإمامٌ [باطِنٌ]، هو الخليفة على الحقيقة، لكن هذين الإمامين لا تنافُرَ بينهُما، بل يمدُّ الثاني الأول، فالثاني هو ما يسمونه بـ«القُطْب» و«الغوث» و«صاحب الوقت». (ب) وكما أنَّ للولاية ختماً، كذلك فالإمامة تختم «بالإمام الأكبر»، لكن الختم له وظيفة في مُنتهى الأهمية، لن نبحثها هنا، وليُراجعها ـ [كما تُشير د. سعاد الحكيم في مُعجمها الصُّوفي] ـ من شاءَ التَّوسُّع في باب «ختم الولاية». (ج) يُوازن ابن عربي بين الولاية والإمامة حرفيَّاً تقريباً، فنجده يُشير إلى أنَّ «الإمام الأعلى» هو الله، كما سيرد أنَّ «الوليّ» هو الله أيضاً. وذلك ينسجم تماماً مع نظريته القائلة: إن كُلَّ شيء في الحقيقة هو الله || قُطْب: قُطب القوم؛ سَيِّدُهم الذي يلوذون به. في القرآن: الكلمة غير قرآنية. عند ابن عربي: يستعمل ابن عربي لفظة «قطب»: نكِرَة مُضافة، وهي في هذه الحال تكتسب معناها وشخصها وإضافتها. والقطبُ، هنا، يؤخذ بالمعنى اللغوي الهندسي فيكون: كلُّ شخص يدور عليه أمر من الأمور. أو مقام من المقامات، أو حال من الأحوال. مثلاً=

خَاضَ الحَقِيقَةَ كَشْفاً فَاسْتَقَامَ لَهُ كَشْفٌ وَشَرْعٌ وَتَكْمِيلٌ وَسُلطَانٌ(١)

=الزهد والتوكل وكل ما توصل إلى تعداده المُتصوفة من المقامات والأحوال، لكل منها قطب تدور عليه. كما يستعمل ابن عربي لفظة «قطب» مُعرَّفة مطلقة، أي غير مُضافة، وهي هنا تفيد شخصاً مُعيّناً (القطب) في مرتبة مُعينة (القطبيّة). ويضيف ابن عربي: «فمنزل القطب حضرة الإيجاد الصرف، فهو الخليفة، ومقامه: تنفيذ الأمر وتصريف الحُكم، وبيده خزائن الجُود، والحَقُّ [الله] مُتجَلٍّ لهُ على الدوام، ولا بد لكل قطب عندما يلي مرتبة القطبية، مِنْ أن يُبايعه كُلُّ سِرٍّ وحيوان وجماد، ما عدا الإنس والجنّ، إلّا القليل منهم» || حَان: أصلها الحانةُ: موضعُ بَيْعِ الخَمْر؛ قال أبو حنيفة: أَظُنُّها فارسية وأن أصلها خانة، ويُقال: الحانوتُ والحانِيَة والحاناةُ كالناصيَة والنَّاصَاة. قال الأزهري: التاء في الحانوت زائدة، يُقال حانَةٌ وحانوت وصاحبها حانِيٌّ. إشارات: أطلنا، قصداً، في إشارتنا إلى مُفردة الإمام، ومفردة القُطب، كما وردت في اللغة، والقرآن ولدى الشيخ الأكبر ابن عربي، الذي اعتقدنا ـ من خلال قراءتنا واستنتاجنا، صواباً كانت أم خطأ ـ أن الشاعر كان على اطلاع واسع عليها، كما على سواها من مُبتدَع كِبار المُتصوِّفة. وفي اعتقادنا أنه حاول، ليس في أذكاره وإلهياته ومدائحه النبوية فحسب، إظهار تلك الرُّؤيَة بل في نونيّته العَصماء التي تشفُّ عما ذهبنا إليه في قراءتنا له واستنتاجاتنا التي انبنت على خلاصات تلك القراءات، وردودنا موجودة [في المُقدِّمة] على المخالفين. المعنى: وحديثي في الأبيات السابقة عن «تلك النفوس» النورانيّة الطاهرة؛ النفوس التي هُيِئ لها هذا «الإمام» ليكون «قطباً» لها تدور حول محوره، فموردُهُ الصافي ـ دون سواه مِنْ مَوارد العطاش ـ حَانَةٌ خاصَّةٌ تُؤمُّ، ليس من قِبل العامّة، بل من تلك النفوس التي أشرتُ إلى تحرُّقها وشوقها وظمأها ورواها في الأبيات الثلاثة السابقة. استدراكٌ مُقتضب من فيوض المُتصوِّفة: استفاد ابن عربي من تمثيل «الشُّرْب» المعروف في التصوف قبله وتوسُّطه بين الظمأ والرِّي، للدلالة على أوسط التجليات التي أولها الذوق (الذي يُنقل إلى مقام أعلى)، ونهايتها الرِّيّ. يقول: «الذوق: أولُ مبادئ التجليات الإلهية. الشُّرب: أوسط التجليات التي غاياتها في كُلِّ مقام». يقول الطُّوسي في اللمع: «والشُّرب، تلقِّي الأرواح والأسرار الطاهرة لما يَرِدُ عليها من الكرامات وتنعمها بذلك، فشبه ذلك بالشُّرْب، لتهنِّيهِ وتنعُّمِهِ بما يردُ قلبه من أنوار مشاهدة قُرْبِ سَيِّدِه [أي: حضرة الله]. قال ذو النُّون: «لما أراد أنْ يسقيهم من كأس محبّته ذوَّقَهُم من لذاذتِه، وأَلْعَقَهُم مِنْ حَلاوتِه».

(١) الحقيقة: ما يصير إليه حَقُّ الأمر ووجُوبُه || الكَشف: رفعُكَ الشيءِ عما يُواريه ويغطّيه، وقصد به علم الكشف وعلم الأسرار؛ أي علوم الباطن. ورد في كتاب «الجواهر والدُّرر» للإمام القطب العارف بالله أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني المتوفي سنة ٩٧٣ هـ ورد فيه: سألت شيخنا رضي الله عنه عن حقيقة علم الكشف. فقال رضي الله عنه: إنه علم ضروري يحصل للمكاشف ويجده في نفسه ولا يقبل معه شبهة ولا يقدر أن يدفعه عن نفسه ولا يعرف لذلك دليلا يستند إليه سوى ما يجده في نفسه وقد يكون أيضاً صادراً عن حصول تَجَلٍّ إلهي يَحصلُ للمُكاشَفِ، لكنَّ هذا خاص بالرسل وكُمَّل الأولياء ثم إن علم الكشف الصحيح لا يأتي قط إلا موافقا للشريعة المُطهَّرة. فقلت له: فما ميزان الكشف في باب الاعتقادات في الله عز وجل؟=

جَـاءَتْ إِمَـامَـتُـهُ وَالأَرْضُ مُـظْـلِمَـةٌ وَالنَّاسُ فَوْضَى وَأَهْلُ الجَورِ ذُؤْبَانُ[١]

فَـأَشْـرَقَ الـعَـدْلُ فِـي أَرْجَـائِهـا وَلَقِـي عِـزُّ الـمَـفَـاسِـدِ إِرْهَـاقٌ وَإِيـهَـانُ[٢]

=فقال رضي الله عنه: ليس لذلك ميزان مضبوط لأن الحق تعالى قد تعرّف إلى كل مخلوق بوجه لا يشاركه فيه مخلوق آخر. فقلت له: فهل يدخل كشف الكُمّل حيرة في الله؟ فقال رضي الله عنه: حيرتهم في الحق أشد من حيرة النظار. فقلت: لِمَ؟ فقال رضي الله عنه: لأن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم في الأكوان وأهل الكشف قد ارتفعوا عن الأكوان في شهودهم وشهدوا الشاهد كالمشهود فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة تعارض الدلالات، فمن وصل إلى الحيرة من الأولياء فقد وصل || شرع: قصد به علم ما أنزل الله على رسوله من البيانات والهُدى || تكميل: التكميل اصطلاح صُوفي يُحيلُ إلى أولياء الله، وهو في مقام الكمال في الشريعة والطريقة والحقيقة. وقد قسم بعض الصُّوفية «الواصلون» بحسب مقامهم التكميلي، فأبو بكر الصديق مثلًا أرفع مقاماً في التكميل من سائر الصحابة، والنبيّ محمد هو أرفع جميع الخلق مقاماً، ولذلك قالوا: أعطي النبي موسى التكليم، وأعطي النبي محمد التكميل. فهم يرون أن مقام التكميل أعلى لأنه يعني انكشاف كافة «الصفات الإلهية» للنبي محمد، بينما التكليم هو انكشاف «صفة» واحدة له وهي الكلام. . يقول السرهندي: «ولما وَصَلتُ إلى المَقام الذي فوق المَقام السَّابق، بعد التوجه بالإنكسار وإظهار الافتقار، تبين لي أنه مقام حضرة ذي النورين، وللخلفاء الباقين عبور من ذلك المقام، وهذا المقام مقام التكميل. ثم وقع النظر على مقام فوقه، ولما وصلت إليه تبين لي أنه مقام الفاروق رضي الله عنه، وللخلفاء الباقين عبور من ذلك المقام، ثم ظهر فوقه مقام الصديق الأكبر رضي الله عنه، ووصلت إليه أيضاً. . . إلخ» [مكتوبات الترهندي الصفحة ١٧، المكتوب ١١] || السُّلطان: قدرةُ المَلِك والحُجَّةُ والبُرهان. المعنى: فإمامكم التقيُّ الوَرِعُ هذا الذي اختصَّتكُم به حقيقة الحَقِّ وخصيصته، خاض الحقيقة المُطلقة كَشفاً، دون أن يُهادن في التيقُّن من معرفة الحَقّ بالحَقّ؛ ولذلك استقامَت لهُ الأركان الاربعة ـ كما ترونَ بأُمّ أعيُنِكُم ـ من كشف وشرع وتكميل وسُلطان.

(١) الجَور: الظلم نَقِيضُ العَدْلِ، وتعني أيضاً الميل عن القَصْد || ذؤبان: جمعُ ذئب، وذُؤْبانُ العرب: لُصُوصُهم وصَعالِيكُهُمْ. المعنى: ولإمامته استحقاقُها الدُّنيوي والأخروي؛ فقد هبطت عليكم وأرضكم مُظلمَة بجور المُفسدين فيها، والناس [عُموم الناس] شتات فوضى، وأهلُ الجور (الذين تعرفونهُم) ذئابٌ لا ترحم.

(٢) أرجائها: نواحيها || عز المفاسد: ذروتها وبؤرتها. قال أبو حنيفة: العِزُّ المطر الكثير. أرض مَعْزُوزَة: أصابها عِزٌّ من المطر، وربما أراد أبو مُسلم النقيض: أي انهمار المَفسَدَة كالمطر في أزمنة البَغي || إرهاق: إعياء، والمُرْهَقُ؛ هو مَنْ أُدرِكَ لِيُقْتَلَ || إيهان: تعب. المعنى: وفي غمضة عين ساهيَةٍ أشرقت العدالةُ في كافة الأرجاء، وعانى المُفسدون في أرضِكُم التعب والإعياء من مُكابَدَتِهِم لإشراقة العدل التي أخذتهم على حين غُرَّة.

حَادَتُهُ ما كَانَ بِدْعاً، مِنْ أئِمَّتِهَا ... مَنْ جَدُّهُ ابْنُ تَمِيمِ المَجْدِ «عَزَّانُ»[1]

في ضِئْضِىءِ العِزَّةِ القَعْسَاءِ مَحْتِدُهُ ... إذا تَفَاخَرَ قَحْطَانٌ وَعَدْنَانُ[2]

---

(١) حادَتُهُ: حَدَا الإبلَ وحَدَا بِها يَحْدُو حَدْواً وحِدَاءً، ممدود: زَجَرَها خَلْفَها وساقَها. الحَادِي المتعمد للشيء. يقال: حَدَاه وتَحَدَّاه وتَحَرَّاه بمعنى واحد، قال: ومنه قول مجاهد: كنتُ أَتَحَدَّى القُرَّاءَ فأَقْرأُ أي أتعمَّدهم. وهو حُدَيَّا الناسِ أي يَتَحَدَّاهم ويَتَعَمَّدهم. الجوهري: تَحَدَّيْتُ فلاناً إذا بارَيْته في فعل ونازَعْته الغَلَبَةَ. ابن سيده: وتحَدَّى الرجلَ تعمَّدَه، وتَحَدَّاه: باراه ونَازَعه الغَلَبَةَ، وهي الحُدَيَّا. وأنا حُدَيَّاك في هذا الأمر أي ابْرُزْ لي فيه؛ قال عمرو بن كلثوم: «حُدَيَّا الناسِ كلِّهِم جَمِيعاً | مُقارَعَةً بَنِيهِمْ عن بَنِينَا». وفي التهذيب، تقول: أنا حُدَيَّاكَ بهذا الأمر أي ابْرُزْ لي وَحْدك وجَارِنِي. وتَحادَتْ هي: حَدَا بعضُها بعضاً؛ قال ساعدة بن جؤية: «أَرِقْتُ له حتَّى إذا ما عُرُوضُه | تَحادَتْ وهاجَتْها بُرُوق تُطِيرُها». يقال للعَيْرِ حَادِي ثَلاثٍ وحَادِي ثَمَانٍ إذا قَدَّم أمامَه عِدَّة من أُتُنِهِ. وحَدَا الريشُ السَّهم: تبعه. والحَوادِي: الأَرْجُل لأنها تتلو الأيدي؛ قال: «طِوالُ الأيادي والحَوادِي، كأنَّها | سَمَاحِيجُ قُبٌّ طارَ عَنْها نُسالُها»، ولا أَفْعَله ما حَدَا الليلُ النهارَ أي ما تبعه. التهذيب: الهَوَادِي أَوَّلُ كلِّ شيءٍ، والحَوادِي أواخِرُ كلِّ شيءٍ. وحَدَدْت الدار أَحُدُّها حدّاً والتحديد مثله؛ وحدَّ الشيءَ من غيره يَحُدُّه حدّاً وحدَّدَه: مَيَّزه [وردت في كُلٍّ من «الأصل المُعتمد»، طبعة دمشق ١٩٨٦، و«نهضةِ الأعيان»، للسالمي: «جاءتهُ»، ويبدو أنَّ كِلا الشيخين أبي بشير محمد بن شيبه بن نور الدين السالمي وصالح بن عيسى الحارثي لم يستسيغا إعْرابَ مفرَدَة: «حَادَتهُ» التي، رغم ذلك، استسغناها واعتمدناها اتِّساقاً مع ما ورد في مخطوطة النونيَّة (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، لاعتقادنا بصحَّتِها، ولاعتقادنا بأنهما حاولا، معاً، تقريبها إلى أفهام العامَّة]. فالشاعر قصد بمُفرَدَته المُستغلِقة سَبق إمامة عزان لإمامة مَمدُوحِهِ سالم بن راشد الخروصي، واتباعِها لذات النهج الإصلاحي القويم || بِدعاً: البِدْعُ: الشيء الذي يكون أوّلاً. وفي التنزيل: قُل ما كنتُ بِدْعاً من الرُّسُل؛ أي ما كنت أوّلَ من أُرْسِلَ، قد أُرسل قبلي رُسُلٌ كثير، والمُراد بـ ما كان بدعاً؛ أي ما كان غريباً || عزان: قصد به الإمام عزان بن تميم الخروصي، وهو من أئمَّة القرن الثالث، وبالتأكيد هو سابق، زمناً بنحو ألف سنة، للإمام عزان بن قيس الذي اشتهر بثورته (١٨٦٩ ـ ١٨٧١) الذي ظهر في القرن الثالث عشر للهجرة، أي بعد ألف سنة. المعنى: ولا غرو، فقد حادَتهُ سَبقاً في مُبارزة العدالة [واستخلفتهُ، ضِمناً]، إمامات وأئمَّة تعاقبوا على حُكم البلاد بقابوس العَدل، لا سيَّما إمامة جدِّهِ عزان بن تميم قبل نحو ألف سنة بأمجاده التي لا تُنسى في التاريخ.

(٢) ضئضئ: الضِّئْضِئُ والضُّؤْضُؤُ: الأَصْلُ والمَعْدِنُ. قال الكُمَيْت: «وَجَدْتُك في الضِّنْءِ من ضِئْضِئٍ | أَحَلَّ الأَكابِرُ منه الصِّغارا»، وفي الحديث: أن رجلًا أَتَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وهو يَقْسِمُ الغنائم، فقال له: اعْدِلْ فإنك لم تَعْدِلْ. فقال: يخرج من ضِئْضِئِ هذا قوم يَقْرَؤُون القرآن لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُم، يَمْرُقون من الدِّين كما يَمْرُق السَّهمُ من الرَّمِيَّة || القعساء: عِزَّةٌ قَعْساء: ثابتة؛ والعِزَّة القَعْساء لِلأَعَزّ ورجل أَقْعَس: ثابت عزيزٌ مَنِيع. وتَقَاعس العِزّ أي ثبت وامتنع ولم يُطَأْطِئْ رأسه فاقْعَنْسَسَ، أي: فثبت مَعَه || المَحْتَد: الأصل الكريم || قحطان وعدنان: قحطان جد القبائل العربية ذات=

بِذَرْوَةِ «اليَحْمَدِ» الصِّيدِ المُلُوكِ لَهُ | إعْرَاقُ مَجْدٍ وَآسَاسٌ وَبُنْيَانُ[1]
لا يُنْكِرُ النَّاسُ ما لِلقَوْمِ مِنْ قِدَمٍ | وَكَيْفَ يَلْحَقُ عَيْنَ الشَّمْسِ نُكْرَانُ[2]
أحْسَابُهُم وَمَعَالِيهِم وَدِينُهُمُ | كَوَاكِبٌ وَهِدَايَاتٌ وَرِضْوَانُ[3]
ما اخْتَارَهُ اللهُ صَفْواً مِنْ خُلاصَتِهِم | إلّا وَلِلصَّفْوِ مِنْ إكْرَامِهِ شَانُ[4]
يا «سَالِمَ» الدِّينِ وَالدُّنْيا «ابْنَ رَاشِدَ» خُذْ | أمَانَةَ اللهِ وَالأقْدَارُ أعْوَانُ[5]

=الأصول اليمانية، وعدنان تُنسب إليه القبائل القيسية والمُضرية، وقصد بذلك ارتواءَ عُروق الإمام بدِماءِ أسلافه . المعنى: أصله الكريم ومعدنه النادر ثابت متأصِّلٌ في تلك الأعراق إذا ما تفاخرت عصائب قحطان وعدنان.

(١) اليَحْمَد: يَحْمَد: أبو بطن من الأزد. واليَحامِدُ جَمْعٌ لقبيلة اليَحْمد. والإشارة، هنا، إلى أصول بعض القبائل العُمانية كاليحامدة وبني خروص والحُرث وسواها من القبائل، لكنهُ يُشير، هنا، تحديداً إلى القبيلة الأزدية القحطانية التي يتصل نسبها إلى خروص بن شاري بن اليَحْمَد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زاهر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن «الأزد» بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هُود، إلخ النسَب || الصِّيد: مُلوك القوم وسادتهم || إعراق: عِرْق كل شيء: أَصله، والجمع أعْراق وعُروق، ورجل مُعْرِقٌ في الحسب والكرم؛ ومنه قول قُتَيلة بنت النضر بن الحرث: «أمُحَمَّدٌ ولأنت ضَنْءُ نَجيبةٍ | في قَوْمها، والفَحلُ فحلٌ مُعْرِق»؛ أي عريق النسب أصيل، [لا مانع من قراءتها: أعراق مَجدٍ، فالفرق في المعنى طفيف]. المعنى: لهذا الإمام إعراق مجدٍ مُتأصِّلٍ وأساس وبنيان تقادم عِرْقُه في ذروة الذروة من سادة اليَحْمَد ومُلوكِها.

(٢) المعنى: ولا أحد قادر على نكران مجد قبيلة بني خروص؛ فعين الشمس لا يلحقها نكران ناكر لحقيقتها المُضيئة.

(٣) المعنى: ولا غرو؛ فأحسابُهُم الرفعية ومَعالي شأنهم، وحفظهم لدينهم في سلالة أئمَّتهم كواكب نيرة وهدايات ورضوان.

(٤) المعنى: فالله، لم يختر هذا الإمام من صفوة الصفوة من خلاصة بني خروص، إلّا وللصَّفو (ذاتِه) شأنٌ مِنْ إكرام هذا الإمام بهذه المنزلة.

(٥) المعنى: يُخاطبُ، هنا، سالم بن راشد داعياً إيّاه لأخذ أمانةِ الله التي يَستشعر الشاعرُ جبال أثقالها وخطرَها على الإمام، لكنَّهُ يحثُّه على تقبُّل الأمانة، ليستدركَ في الشطر الثاني مَعنيين: «والأقدارُ أعوانُ»؛ (أ): تبريره لأمر الإمام بتقبُّل الأمانة [وهي الإمامة، بكافة تبعاتها] شارحاً له أنَّ الأقدار، في نهاية المطاف، بكُلِّيَتِها أعوانٌ (أي: في مجموعها) لتحقيق ما ارتضاه لنفسه من أخذه لتلك الأمانة، دون أن ننسى رواية تنصيبه الذي فوجِئ به الإمام الغِرّ على حين غرَّة: [في عام ١٩١٣م، اجتمعت مجموعة من العُلماء ورؤساء القبائل في بلدة تنوف، وكان لهذا الاجتماع هدف وحيد: انتخاب=

أنـتَ الـضَّـلِـيـعُ بِـهَـا حِـمْـلًا وَتَـأدِيَـةً إذْ كُـلُّ أمْـرِكَ تَـدبِـيـرٌ وَإتْـقَـانُ[1]

أخـدِرْ وَأصْـعِـدْ وَأيْـقِـنْ إنَّ صَـاحِـبَـهَـا سَـيْـفٌ مِـنَ اللهِ لا تَـحْـوِيـهِ أجْـفَـانُ[2]

=إمام. اقترح عبدالله السالمي [نور الدين] ترشيح العالم سالم بن راشد الخروصي، لكن الخروصي الذي لم يكن يتوقع هذا الاقتراح حاول أن يعتذر بالقول أنهُ أتى لإعطاءِ بَيْعَتِه، لا لِتلقِّي البَيعَة! إلّا أنه لم يكن من حقه ولا في مقدوره، لا من وجهة نظر مذهبيّة، ولا من حيث التقاليد، أن يعتذر عن هذا الترشيح. فرَفْضُ الترشيح كان يعني رفض الثقة التي وضعها العُلماء فيه، لا سيما وأن مثل هذا الرفض كان يمكن أن يعني، أيضاً، انقسام صفوف المُسلمين ـ راجع «عُمان: الديمقراطية الإسلامية وتقاليد الإمامة]، لكنَّ الحقيقة كانت مختلفة عما ذكره د. حسين غانم غباش في كتابه الهام ذاك؛ إذ أنَّ الحقيقة الساطعة، هي أنَّ نور الدين السالمي قال فجأة في الاجتماع الذي هُيِّء له في مسجد «الشرع» ببلدة تنوف لانتخاب إمام جديد؛ قالَ مُوجِّهاً كلامه لسالم بن راشد الخروصي: المسلمون ارتأوا أن يُبايعوك إماماً لهُم! فرد عليه سالم بن راشد قائلًا: ما صحبتكم لهذا، ولا أصلح أن أكون إماماً، فقد جئتكُم مُبايِعاً، لا مُبايَعاً. لكنَّ نور الدين السالمي حَزم أمره سَلفاً فنادى ساعتها أبا زيد عبدالله بن محمد الرِّيامي، قائلًا له: اقطع رأسَه! [أي رأسَ رافض المُبايعَة، سالم بن راشد]، فشهر أبو زيد سيفه مُمتثِلًا لشيخه نور الدِّين السالمي، فقال سالم بن راشد الخروصي: ما تكون منزلتي معكم إن قتلتموني؟.. قيل له: نَبْرَأُ مِنكَ، لأنكَ شققتَ عصا المُسلمين برفضك قبول البيعة، مُفرِّقاً ذات بينهم بعدما التَأمَت. قال سالم بن راشد: أعوذ بالله أنْ أنزل هذه المنزلة، رضيتُ بما ارتضاهُ المُسلمون لي، فبُويعَ إماماً تحت تهديد سيف أبي يزيد الرِّيامي. (ب): تُحيلُ جُملة «والأقدارُ أعوان» إلى استشفاف الشاعر النُّبوئي للمَصير الذي سيؤولُ إليه هذا الإمام الغِرّ ـ قياساً إلى صِغر سِنه ـ اغتيالًا بعد نحو سبع سنوات من تنصيبه. [جدير بالذكر أن ثمة قصيدة في هذا الديوان بعنوان النبوءة وجدت في إضبارة الإمام يوم مقتله في خضرا بني دفاع ـ راجعها في موضع آخر]. تلميح: تُلاحَظُ، في هذا البيت، دِقَّةُ الشاعر وفطنته في التلاعُب المُفكَّكُ لمدلول اسم الإمام: «سالم بن راشد»، ليضع اسمه الأول «سالم» مضافاً إليه سَلامَته (دُنياً ودِيناً) قبل استطراده في ذكر اسم أبيه: «راشد»، وهو اسمٌ، بدوره، لا يخلو من دِلالات الرَّشاد المُتوخى في الإمام «السَّالم» ديناً ودُنيا مِنَ مأزقه الوُجودي بتقبُّله [طوعاً، أو كرهاً على حَدِّ السيف] حَمْل الأمانة على منكبيه.

(1) الضليع: العظيم الخلق الشديد. يقال: ضَلِيعٌ بيِّنُ الضَّلاعةِ، والأضْلَعُ يوصف به الشديد الغليظ. المعنى: ثمّة تأكيد في البيت على ضَلاعَةِ الإمام المَمدوح تأديَةً وحملًا على تقبُّل «الأمانة» [طوعاً أو كرهاً، تحت تهديد السَّيف]، مُمتدحاً ومُسَوِّغاً لهُ صحّة رأيه السَّديد بقبول حَملها؛ لأنَّ هَمَّهُ [أي الإمام المُنتخَب] تدبيرٌ وإتقانٌ لإدارة دولته التي انتخبه المُسلمون تشريفاً له ليكون على تخت رأسِها.

(2) أخدِر: الحَذرُ من كل شيء تَحْدُرُه من عُلوٍ إلى سُفْل، || أصعِد: قال الليث؛ صَعِدَ إذا ارتقى، وأَصْعَدَ يُصْعِدُ إصْعاداً، فهو مُصْعِدٌ إذا صار مُسْتَقْبِلَ حَدُورٍ أو نَهَر أو واد، وهي إلى جانب سابقتها «أخدِر» المُقابلُ لـ شَرِّقْ وغرِّبْ || أجفان: جمع جفن؛ وهو غمد السَّيف. المعنى: في هذا البيت تخلُّصٌ من الحديث المُباشر والضمني إلى ممدوحه الإمام؛ عطفاً على مَنْ والاهُ (ومَنْ سَيواليه من=

يَسُوسُهَا مُؤمِنٌ باللهِ مُعْتَصِمٌ وَخَيرُ ما دَبَّرَ الأمْلاكَ إيمَانُ[1]

لِلاسْتِقَامَةِ فِي تَقْدِيرِهِ قَبَسٌ فَظَنُّهُ تَحْتَ نُورِ اللهِ إيقَانُ[2]

لا يَصْرِفُ الفِكْرَ فِي شَيءٍ فَيُخْلِفُهُ لأنَّهُ مِنْ فُيُوضِ الكَشْفِ مَلآنُ[3]

وَالمُؤمِنُونَ بِنُورِ اللهِ نَاظِرَةٌ عُيُونُهُم، وَبِعَيْنِ اللهِ أعْيَانُ[4]

=القبائل التي لم تستجب، بعدُ، لبَيْعَتِه)، وفيه تأكيد على ضرورة الإيقان بمُولاةِ صاحب الإمامة؛ لأنهُ سيفٌ من سيوف الله مُتحقِّقٌ في تجريده المَحْض وواقعيّته المُتحَقِّقةِ في شخصه؛ لا يُغمَدُ في قِرابه. تلميح: من الواضح للقارئ أنه كنّى الإمام بالسيف المُبايَع، وتلك مُبالغة قُصِدَ بها الإعلاءُ من شأن الإمام المُنتخب سَيفَ عَدلٍ وعَدالَة لا يُغمض شفرتيه في أجفانِ قِرابه.

(١) يسُوسُها: يُدبِّر شؤونها. المعنى: ولتعلم إن لم يصلك عِلمٌ بهذا الشأنِ؛ أنَّ مَن يسوس هذه الدولة مُؤمِنٌ مُعتصمٌ بالله؛ ولا يخفى عليك أنَّ الإيمان [وليس السِّياسة]، هيَ ما يُدبِّرُ ديمُومَة المُلك [أي الإمامة، في بُعدها المُسَيَّس] شؤوناً وشجوناً.

(٢) القبَس: الشُّعلة من النار. المعنى: في تقديره قبَسٌ للاستقامة، وظنُّهُ إيقانٌ مُؤكَّدٌ تحت نور الله المُستظِلِّ به.

(٣) فيوض الكشف: مصطلح من مُصطلحات المُتصوِّفة؛ والفيض في القرآن: (أ): جريان الشيء بسهولة: «ترى أعينهم تفيضُ من الدَّمع مما عرفوا من الحق» [٥/٨٣]. (ب): أفاض القوم من عرفة: إذا اندفعوا: «ثم أفيضوا مِن حيثُ أفاضَ الناسُ واستغفروا الله». [٢/١٩٩]. (ج): أفاض القوم في الحديث: إذا اندفعوا فيه: «ألا كُنا عَليكُم شُهوداً إذ تفيضُونَ فيه» [١٠/٦١]. عند ابن عربي: حاول ابن عربي أن يُفسِّرَ فعل الخلق، ووجود المخلوقات إلى جانب الحقِّ في الوجود، دون أن يخرج عن الوَحدة الوجوديّة. فأتى بمفردات وصور تُحافظ على وحدة الوجود عبر ثُنائيَّتِهِ المشهودة (خالق ـ خلق): المرايا، الصُّور، المَجالي، الفيوضات... فالخلق في مذهب ابن عربي ليس إيجاداً من العَدَم، بل هو ظهور وتجَلٍّ إلهيّ فيما لا يُحصى عدده من صُوَر الموجودات. فالحق يخلق المخلوقات (بلغة ابن عربي): يتجلى في صُورتها. وهذا الفيض الإلهي نوعان، يُشكِّلان مرحلتين في منطق النظام الوجودي لا واقع الأمر: الفيض الأقدس، والفيض المُقدس. فالفيض الأقدس يسبق الفيض المُقدَّس في منطق الوجود، على أنّ حقيقة الأمر عند الشيخ الأكبر، هو أنّ الفيضَ دائم مُستمرّ. المعنى: فهو لا يصرف فِكرَهُ في أمرٍ فيخلفه؛ لسبب جَليٍّ: امتلاء قلبه وروحه وجسده بكافة مَراقي فيوض الكشف.

(٤) أعيان: العَيْنُ: حاسَّة الرؤيا، وهي مؤنَّثة، والجمع أعْيُنٌ وعُيونٌ وأعْيانٌ، وبالتأكيد لم يقصد بها أعيان القوم: أي؛ سَراتهم وأشرافهم. المعنى: وكافة المؤمنين عيونهم ناظرة إليه بنور الله، ولا غرابة في الأمر، فثمة في نور الله عُيونٌ مُبصرة.

يـا لَلرِّجَـالِ وَدَاعِـي اللهِ بَـيْـنَـكُـمُ	لـبُّـوا الـدُّعَـاءَ فَـإِنَّ الـصَّـوْتَ قُـرْآنُ[1]
يـا لَلرِّجَـالِ أَلـمْ يَـأْنِ الـجِـهَـادُ لَكُـم	بَـلَى! لَقَـدْ فَـاتَ إِبَّـانٌ وَأَبَّـانُ[2]
يـا لَلرِّجَـالِ أَقِـيـمُـوا وَزْنَ قِـسْـطِـكُـمُ	فَـمَـا لَكُـم قَـبْـلَ وَزْنِ الـقِـسْـطِ مِـيـزَانُ[3]
يـا لَلرِّجَـالِ احْـفَـظُـوا أَوْطَـانَ مِـلَّـتِـكُـم	فَـمَـا لَكُـم بَـعْـدَ خَـذْلِ الـدِّيـنِ أَوْطَـانُ[4]
يـا لَلرِّجَـالِ احْفَظُـوا أَحْسَابَ مَجْدِكُـمُ	إِنْ لـم تَـكُـنْ فِـيـكُـمُ لِلدِّيـنِ أَشْـجَـانُ[5]
يـا لَلرِّجَـالِ انْـدُبُـوا للهِ غِـيـرَتَـكُـم	فالوَقْـتُ قَدْ ضَاقَ وَالتَّثْبِيطُ خُسْرَانُ[6]

(١) المعنى: ابتداءً من هذا البيت يُخاطِبُ الشاعر شَعبَهُ مُستنهضاً مُستفزاً هِمَمَهم الخامِلة، مُستحثاً إياهم لمُناصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي، وهو أسلوبُ خطاب استنهاضيٍّ مَيَّز النُّونيَّة وتميَّزت به؛ لدرجةٍ أنها أضحت تُعرفُ بذلك العُنوان: «يا للرجال»؛ (الذي تخيَّرَهُ الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى في مَنفاهُ، وهو في مِصر بعد أن وصلت إليهِ مخطوطة ديوان أبي مُسلِم التي تكفَّلَ بها وطبعها مرتين عام ١٩٥٧م في القاهرة، وعام ١٩٨٦م في دمشق)، حُبّاً ووفاءً لذكرى شاعر العرب أبي مُسلم. وخلاصة مُفتتح خطابه الاستنهاضي في هذا البيت: يا للرِّجال المُنتظرين لمعجزاته؛ هاهو ذا الإمام داعي الله بين ظهرانيكم، فقد حان الوقت لتلبُّوا النداء، فصوته قرآنٌ تُستجاب دعوته. فلم لا تنصرونه وتنصرون دعوته؟

(٢) لم يَأْنِ: ألم يصل بعد، ولم يحن وقت الجهاد؟.. حان وأَدرك، وخَصَّ بعضهم به النبات. يُقال أَلَمْ يَأْنِ وأَلَم يَئِنْ لك وأَلم يَنَلْ لكَ وأَلم يُنِلْ لك، وأَجْوَدُهُنَّ ما نزل به القرآن العزيز، يعني قوله: ألم يَأْنِ للذين آمنوا؛ هو من أنى يأني وآنَ لك يَئِين. || إِبَّان وإِبَّان: أوقات وأوقات. المعنى: ألم يحن الوقت للجهاد تحت راية هذا الإمام؟.. بلى؛ لقد فات الوقت وفوَّتمُوه فتداركوا الأمر.

(٣) قسطكم: عَدلِكم. المعنى: وقبل شروعكم في مُناصرته أقيموا ميزان العدل بينكم، فلا ميزان لكم قبل إقساطكم لأنفسكم بنبذ خلافاتكم القبليَّة، ثمة إلماح إلى عَصَبيَّة (الغافريَّة والهناويَّة) التي يدعو الشاعر لذوبانها تحت راية إمام عادل.

(٤) المعنى: ويا للرجال الذي استنهضتهم نونيتي؛ احفظوا أوطان عقيدتكم؛ إذ لا وطن لكُم بعد خذلانِكم للمُعتقد. تلميح: نلاحظ استخدامه لتعبير (أوطان مِلَّتكم) التي ستتكَرَّر في الشطر الثاني مقلوبة: فما لكُم بعد خذلِ (الدِّين أوطان)، وفي هذا تأكيد على واحديَّةِ المِلَّةِ، وإنْ تَعَدَّدتْ أوطانُها.

(٥) أحساب: جمع حسب؛ وهو الشرف والحسب الرَّفيع || أشجان: حاجات، وإنَّما سمِّيت أشجان لالتباسها وتعلُّق القلبِ بها. المعنى: وإنْ لم تكُن فيكُم حاجة ملحاح للتديُّن فاحفظوا شرفكم وحَسَبَكم اللذين طالما تفاخرتم بهما. تلميح: يضرب، هنا، على وتر القبليَّة تخفُّفاً من وشيجة التديُّن لدى الأتباع الذين أراد الشاعر حشدهم في مَرْكَبِ قضيَّته؛ بمعنى إنْ كُنتم لا تكترثون لدينكم فاكترثوا لحسبكم الذي طالما دافعتم عنه.

(٦) اندبوا: استعينوا واستغيثوا || التثبيط: ردّك الإنسانَ عن الشيء يفعله، وثَبَطَه عن الشيء ثَبطاً وثَبَّطَه:=

يـا لَلرِّجَـالِ! ألا للهِ مُـنْـتَـصِـرٌ؟	فَـنَـاصِـرُ اللهِ لا يَـعْـرُوهُ خُـذلانُ[1]
يـا لَلرِّجَـالِ أرُونـي مِـنْ شَـهَـامَـتِـكُـم	إنَّ الـحَـوَادِثَ آسَـادٌ وَسِـيـدَانُ[2]
يـا لَلرِّجَـالِ اجْـعَـلوا للهِ نَـجْـدَتَـكُـم	فَـالـغَـايَـةُ الـفَـتْـحُ أو مَـوْتٌ وَرِضْـوَانُ[3]
يـا لَلرِّجَـالِ ألَمْ يَـحْـزُنْـكُـمُ زَمَـنٌ	طَـارَ الـبَـغَـاثُ بِـهِ وَانْـحَـطَّ عُـقْـبَـانُ[4]
يـا لَلرِّجَـالِ ألَم يَـدْهِـشْ عُـقُـولَكُـم	أنْ يَـحْـكُـمَ الـدِّيـنَ أوثـانٌ وصُـلْـبَـانُ[5]
يـا لَلرِّجَـالِ حُـدودُ اللهِ قـد حُـذِفَـتْ	وعِـصْـمَـةُ الـحَـقِّ عـنـدَ الـحَـقِّ بُـهـتـانُ[6]

=رَيِّثه وثَبِّته. **المعنى**: وفي هذه الحال، فاستغيثوا بالله إن كُنتم ستفشلون في الدفاع عن شرفكم ومجدكم، فالوقتُ ضاق للتفكُّر في الأمر وتثبيط أحدكم الآخر؛ لأنَّ النتيجة خُسرانكم بالجملة، وليس هاماً ـ لحظتها ـ لأيِّ مُعسكرٍ قَبَليٍّ تنتمُون.

(١) يعروه: يصيبه. **المعنى**: معقوله! ألا يوجد في مجموعكم من ينتصر لله وكلمته المُتجسِّدَةِ في هذا الإمام؟.. أم أنكم نسيتم أنَّ مَنْ ناصر الله لا يُصيبه الخذلان فيما سعى إليه.

(٢) آساد: أسود || سيدان: السِّيد الذئب، يقال سيدُ رَمْلٍ؛ والجمع السيدان، والأنثى سِيدَةٌ وربّما سمّي به الأسد. **المعنى**: لذلك دعوني أرى ما عوَّدتموني إيّاهُ من شهامة مُتأصِّلة في أعراقكم، فالحوادث تُختزلُ نتائجها الملحميّة فيما يحسمه الأسد والذئب. **ملحوظة**: لا تخفى في البيت استثارته للعُصبة القبلية، وإنْ تمثَّلَ بأسُود الغابة وذئابها حثّاً واستنهاضاً مِنه للمتقاعسين من زعماء القبائل الذين ينتظرون من الدعوة مردوداً مادياً دُنيَوياً، لأنَّ شرائحهم العريضة غير مَعنيّة بالبُعد الدِّيني للاستنهاض، لذلك يلعب الشاعر، ويتلاعب بكلا الوترين الحسّاسَين: التديُّن والعُصبة القبليّة.

(٣) **المعنى**: ولتكُن نجدتكم لله دون سواه؛ فغاية الغايات: فتح ثغور الأعداء في الدُّنيا، أو الشهادة التي ستنالونِ مُكافأتها رضواناً أخروياً؛ ففي كلا الحالين لستم خاسرين فيما لو وقفتم صَفّاً واحداً لنُصرة إمامِكُم المُنقذ.

(٤) البَغاث: الرَّخَم، جمع رَخْمَة، وهي من الطُّيور الوضيعة || عُقبان: جمع عُقاب، وهو من الطيور الجوارح المِقدامَةِ في السماوات. **المعنى**: اختزالاً، أراد القول: ألم يحزنكم زمن طارت فيه الرَّخم وانحطت فيه عقبان السماء؟ وشِقًّا المُعادلة واضحان، مُتجليّان في ترميزه بالعُقبان والرَّخم استنهاضاً لِمَنْ «تَراخمُوا» ولم «يَتعَقْبَنوا» مِنْ رجالات قومِهِ المُستنهَضين، وتلك سِياسَة البيتْ في مُقابَلتِهِ بين الرَّخمَة والعقاب.

(٥) **المعنى**: وهل يُعقل يا رجالات القوم ألّا تدهَشَ عُقولكم مِمّا آلَ إليه حالكم؛ بحيث بات النصارى يحكمونكم؟.. **تلميح**: في البيت إشارة استنكاريّة لخضوع «سلطنة مسقط»، وسلاطينها، آنذاك، للإنكليز.

(٦) **المعنى**: واضح من سياق البيت.

يـا لَلرِّجـالِ أَلَم يَـطْـرُقْ مَـسـامِـعَـكُـم صَوْتُ الأرامِلِ والأيتامِ؛ إذ هَـانـوا[١]

هَـذَا الـيَـتِـيـمُ قَـدْ انْـحـازَتْ مَـفـاصِـلُهُ مِنْ جَلْبَةِ الـجُـوعِ وَالـظُّـلَّامُ تَـخْـمَـانُ[٢]

يـا لَلرِّجَـالِ بُـيُـوتُ اللهِ قَـدْ هُـدِمَـتْ وَمَـا لُهَـا لِلعِـدَا نَـهْـبٌ وَحُـلوَانُ[٣]

يـا لَلرِّجَـالِ دِمَـاءُ الـمُـسْـلِمِـيـنَ غَـدَتْ هَـدْراً كَـمَـا عَـبَـثْ بِـالـمَـاءِ صِـبْـيَـانُ[٤]

فَــلا قِــصَـــاصٌ وَلا أَرْشٌ وَلا قَــوَدٌ كَـأَنَّ لَحْـمَ بَـنِـي الإسْـلامِ جُـعْـلانُ[٥]

---

(١) المعنى: هذا البيت يندرج تحت الاستنهاض المُبالغ فيه؛ فالمُتفكِّر في أحداث تلك الحقبة؛ يتساءل عما قدمته، آنذاك، دولة الإمامة للأرامل والأيتام؟ والجواب ـ في اعتقادنا ـ لا شيء إطلاقاً؛ لأنَّ مشروعها لم يكُن معنيّاً بهم (المُراجِع).

(٢) انحازت: تلوّت || الجُلبَة: شدة الجوع || الظُّلّام: صيغة مُبالغة في الظالم || تَخمَان: شبعان حدّ التُّخمة. المعنى: واضح من سياق البيت.

(٣) الحُلوان: الرِّشوة، وما يُعطاه الكاهنُ ويُجعَلُ له على كهَانَتِهِ، تقول منه: حَلَوْتُه أَحْلوه حُلواناً إذا حَبَوْته. وقال اللحياني: الحُلْوان أُجرة الدَّلّالِ خاصةً. المعنى: يشير الشاعر إلى مُصادرة أموال الأوقاف من قبل السُّلطة، وقد كانت تلك الأموال تُشكِّلُ رافداً مهماً للإقتصاد المَحلّي. وقد تشعبت هذه القضية، لاحقاً، عقب الإجراءات الحاسمة التي اتخذها الإمام سالم لاسترداد تلك الأموال، فيما عُرِفَ مَحلّياً باسم: (تغريق أموال الظَّلَمَة). ودار لغط وجدل قويّ حولها بين جناحي الإمامة، حتى انبرى الشيخ عامر بن خميس المالكي لوضع رَدٌّ نظميٌ لها بعُنوان: (غاية التحقيق في أحكام التغريق)؛ أَلقَمَ به أفواه المُعترضين حَجَراً ثقيلًا. توضيح: مُصطلح التغريق يعني ـ باختصار ـ التّأميم. إشارة: بعد نجاح الجناح اليميني المُهادِن في إقصاءِ يَساريِّي وثوريِّي الإمامة (بعد اغتيال الإمام سالم بن راشد الخروصي، ومُبايعة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي مسنوداً بثقلِ الأمير عيسى بن صالح الحارثي والشيخ سعيد بن ناصر الكندي وآخرين)؛ أُعيدت تلك الأموال لمُغتصبيها السّابقين، تماماً كما حدث في بلدان كثيرة بعد تسلق الطيفيليين ووصولهم للسلطة عقب تجارب اشتراكية واعدة، في تلك البُلدان. إشارة شارحة: في الحقيقة؛ لم يهدم أحد بيوت الله أو يُعَطِّل حدوده في عُمان آنذاك؛ بل الطرف الآخر ـ المُستَنهَض ضِدَّه ـ يدين بذات الدين والمذهب، ويُطبّق ذات الأحكام، فكلُّ قُضاته ورجالاته من ذات المدرسة. جُلُّ ما في الأمر تصعيد في نبرة الخطاب الاستنهاضي لأبعد مدى مُمكن (المُراجِع).

(٤) المعنى: لقد غدت دماء المسلمين هدراً يعبث بها وبكرامتها الأعداء كما يعبث الصِّبيان بمياه الأفلاج في حواري قُراكُم.

(٥) قِصاص: القِصاص في الجِراح، وذلك أنّه يُفعَل بِهِ مثلُ فِعلِهِ بالأوّل، فكأنّه اقتصَّ أثره || الأَرْش: دِيَة الجراحات كالشجَّةِ ونحوها قَوَد: القِصاصُ وقَتْلُ القاتِلِ بدل القتيل؛ || جُعلان: جمع جُعل؛ وهي الخنفساء. المعنى: وهل يُعقلُ صَمتكُم هذا: لا قصاص، لا أرش ولا دِيَة للقتيل بين ظهرانيكُم؟، كما لو كانتْ لُحوم المُسلمين وضيعة المَحتد كالحشرات والخنافس وأبي جُعَل؟

يـا لَلرِّجَـالِ أفِيـقُـوا مِـنْ سُبَـاتِـكُـمُ	فَـقَـدْ أحَـاطَ بِـكُـم بَـغْـيٌ وَعُـدوَانُ
أخِيفَةَ المَوتِ ظَلَّ العَجْزُ يُقْعِدُكُم	وَلَيسَ لِلأجَلِ المَعْدُودِ نُقصَانُ[1]
لا يَحْجُبُ المَوْتَ جُبْنٌ عِندَ مَوقِعِهِ	ولا يُقدِّمُ وَعْدَ المَوْتِ شُجْعَانُ[2]
يَـا لَلرِّجَـالِ لَقَـدْ ذَلَّتْ حَفِـيظَـتُـكُـم	إذا اسْتطَالَتْ عَلَى الآسَادِ حُمْلانُ[3]
إنَّ السُّيُوفَ التِي كَانَتْ لِسَالِفِكُم	مَا ضَمَّها مَعَهُم رَمْسٌ وَأكْفانُ[4]
مَرِيضَةٌ هِيَ فِي الأجفانِ؟ أمْ مَرِضَتْ	قُلُوبُكُم؟ أمْ نَأى عَنْهُنَّ وِجْدَانُ[5]
بِئْسَ السُّيوفُ إذا حَلَّتْ عَوَاتِقَكُم	وَمَا بِهَا لِعَتِيقِ المَجْدِ أحْزَانُ[6]

(١) معنى البيتين: أفيقوا من سُباتكم الذي طال وأنتم ترون البغي والعُدوان المُحيطان بكُم.. أم أنَّ هلعكم من الموت هو ما أقعدكم في مرابض الذُّلِّ عاجزين خانعين؟.. رغم أنكُم تعرفون أنَّ مَوعدَ آجالِكم محسومٌ سَلفاً، وبالتأكيد لن ينقص بقليل من الشجاعة المطلوبة لمواجهة الموقف ودرء الخطر المُحدق بكم.

(٢) معنى البيت: فالموت لحظة وقوعه لا يُؤجِّلُهُ جُبنٌ مُؤجِّلٌ، كما لا تُقدِّمُ مَوعِدَهُ شجاعةُ الشجعان، لأنَّهُ واقعٌ لا مَحَالَة.

(٣) الآساد: الأسود || الحُملان: جمعُ حَمَل؛ وهو الخروف. المعنى: ومما يؤسف له تردِّيكُم إلى هذا الدَّرَك ـ وأنتم رِجَالات القوم ـ بعد أنْ استبيحت مُروؤتكم وشرفكم ونخوتكم إذلالاً مُهيناً لكُم، حين انقلبت آية الزمان واستطالتْ الحملان على الأسود.

(٤) سالفكم: سلفكم الصالح || رَمْس: قبر، وتعني أيضاً ما يُحثى على القبر من تراب. المعنى: وآخر عهدي بالسيوف التي ورثتموها عن أسلافكم الأحرار، عهدي بها إرثٌ ستحافظون عليه، إلَّا إن كانوا ـ لا سمح الله ـ اصطحبوها معهم في قبورهم وكُفِّنَتْ كأجسادهم الطاهرة. تلميح: ينطوي البيت، بطبيعة الحال، على بلاغة سخرية لاذعة مُرَّة هدفه منها استنهاضُ قومه للنهوض من سُباتهم، وتَمَرئي واقعهم المُزري بالحواسّ التي تُمكِّنهم من اجتراح آليات غلَبَتهم عليه.

(٥) الأجفان: جمع جفن وهو غمد السيف || نأى: بَعُدَ || الوجدان: الوله عشقاً والمشاعر والأحاسيس. المعنى: يبلغ الشاعر، هنا، مُنتهى سُخريته اللاذعة: هل سُيوفكُم مَريضة في مَغامدها، ولم تعُد قادرَة على المُبارزة في ساحات المعارك؟.. أم أنَّ قلوبَكم هي التي مَرضتْ بعد أن غار في غياهبها وجدانُها المُحرِّك والمُثوِّر لمَكامِن ثاراتها الكامِنة؟.. أسالُكم، فهل مِنْ مُجيب؟

(٦) بئس: فعل جامع لأنواع الذمّ، وهو ضد نعم في المَدح || حلَّت: الحُلَّة تعني الزينة، يُقال: لَبِس فلان حُلَّته أي سِلاحه || العاتِقُ: ما بين المَنْكب والعُنُقِ || عتيق: بالغ القِدَم || أحزان: هُموم. المعنى: بئس سيوف الرِّجال، إنْ كان جُلُّ ما قدرتم عليه هو استعمالها حُليَةً للتفاخر في مجالس المناسبات والأعياد، ولتذهب إلى الجحيم إنْ لم يبقَ فيها لعتيد المجد هَمٌّ وتوجُّعٌ على ما مضى من صليلِ فرَجِها الغابر.

لا تَحْجُبُوهَا إناثاً فِي مَغَامِدِهَا فَإنَّ تِلْكَ اليَمَانِيَّاتِ ذُكْرَانُ[1]

فَدَيْتُكُم أَوْرِدُوهَا إنَّهَا عَطِشَتْ إنْ كَانَ فِيكُم يُلاقِي الرِّيَّ عَطْشَانُ[2]

كَانَتْ بَوَارِقَ فِي الأَخْطَارِ سَاهِرَةً وَهَمُّ أَصْحَابِهَا فِي المَجْدِ سَهْرَانُ[3]

فَاليَومَ نَامَتْ هُمُومُ القَوْمِ فِي جَدَثٍ وَسَاهِرُ البَرْقِ فِي الأَغْمَادِ وَسْنَانُ[4]

تَكَادُ أنْ تَتَلاشَى مِنْ تَحَرُّقِهَا غَيظاً عَلَى «صَارَ»، أو حُزْناً عَلَى «كَانُوا»[5]

---

(١) مغامدها: جمع غمد || اليمانيّات: ضَرْبٌ من السُّيوف الشريفة حادّة الشفرة تُنسَبُ لليَمَن. **المعنى**: في هذا البيت يستثير الشاعر مكامِن النخوة العربيّة في قومه (بظلالِ مفاهيم الذكورة والشرف في اللّاوَعْي الجَمْعِي)؛ هامزاً من حجبهم لسُيوفهم في مغامدها، كما يُحجّبون نساءهم؛ ليُذكِّرهُم - في عَجُز البيت - بحقيقةٍ يبدو أنَّ الرِّجالَ المُستَنْهَضِينَ تناسوها: وهي أنَّ سيوفهم اليمانيّة ذُكرانٌ تقومُ بما يقومُ به الفحول. **تلميح**: لا تخفى الإحالة الإيروتيكيّة المُضمَرة في عُنفوان ذكورَةِ السُّيوفِ التي لا يُطفِئ تأجُّجَ رغبتها الجامحة سوى إغمادها في رقابِ الأعداء (المُعَادِل الإيروتيكي Erotic Correlative للأنوثةِ المُضمَّخة بدَمِ الإفتراعِ انتهاكاً لعُذريّةٍ رمزيّةٍ آن أوانُها).

(٢) أوردوها: الوِرد موضع سقي الإبل، لكنه استخدمها لرَيِّ السيوف بدماء الأعداء || الرِّيُّ، بالكسر، تعني: الارتواء من العطش. **المعنى**: فديتكم أوردوا تلك السُّيوف العطشى لدماءِ أعدائكُم؛ إن كان فيكُم عطشانٌ يُلاقي موضع المورد والرِّيّ في ساحات القتال.

(٣) بوارق: لمعان السيوف || الأخطار: جمع خطر، وقصد بها الشدائد والمِحَن. **المعنى**: كانت سيوفكم بلمعانها بوارق ساهرة في الشدائد، كما كان هَمُّ من ورثتموها منهم ساهراً، بدوره، في ذروة أمجادهم. **تلميح**: (كما لو كان الشاعر يستخدم في هذا البيت تقنية سينمائيّة معهودة؛ هي الاسترجاع السِّينمائي Flashback فيما يَستعيدُ، في هذا البيت، مَعنى مُحدَّداً من إضمامة كثافة المَعاني المُتعدِّدة التي سبق له استخدامها في مطلع النونيّة: «تلك البوارق..»، ترجيعاً بَصَرِيّاً لرَنِين فخامة المَطلع الرِّزنان وإحالة إليه، ربطاً له بصعودات وهبوطات نسيج الخطاب المُؤنَّث للبَيان والبُنيان الذي امتاز به مِعمارُ النُّونيّة الفريد).

(٤) جدث: قبر || وَسْنان: نعسان. **المعنى**: أما اليوم فقد نامَت هِمَمكم نومَة أهل الكهفِ في قبر جماعيّ؛ رغمَ أنَّ ساهِرَ البَرق ووميضه المُتعالي في سيوفكم مُستعدٌّ للمُبارزة، لولا أنهُ حُكِمَ عليهِ للأسف بالنعاسِ في تلك الأغماد، كما حَكمتم على هِمَمِكُم العالية بالنوم قبل أوان موتها في قبور مُهيّأة لها سَلفاً.

(٥) **المعنى**: فتلك السيوف الساهرة في أغمادها تكاد لشدَّةِ تحرُّقها أن تتلاشى غيظاً على ما صار لكم ولها من إهمال، وحُزناً على ما كُنتم عليه من شجاعة افتقدتها تلك السيوف. **ملحوظة**: الذروة الفنيّة لصورة البيت الشعرية كامنة في تعبيره: «تكادُ أن تتلاشى من تحرُّقِها» الشديد، لا سيما أن الشاعر أضافَ في عَجُز البيت الأسباب التي دعت تلك السيوف للتلاشي.

أُورِثْتُمُوهَا مِنَ الأَوْتَارِ مُشْعَلَةً ... كَأَنَّهَا فِي دُخَانِ الحَرْبِ نِيرَانُ[1]

وَاليَومَ تُغْمَطُ فِيكُمْ وَهِيَ مُغْضَبَةٌ ... وَمَا بِكُم لِحُقُوقِ السَّيْفِ غَضْبَانُ[2]

ما عَوَّدَتْهَا بَنُو عَدْنَانَ ما لَقِيَتْ ... مِنكُم وَلا أَسْكَنَتْهَا الغِمْدَ قَحْطَانُ[3]

لا تَحْمِلُوهَا إذا كَانَتْ لِزِينَتِكُم ... إنَّ الرِّجَالَ بِفِعْلِ السَّيْفِ تَزْدَانُ[4]

فَلَيْتَ أَسْيَافَكُم صَارَتْ مَعَاوِلَكُم ... وَلَيْتَ خَيْلَكُمُ مَعْزٌ وَثِيرَانُ[5]

---

(١) أُوْرِثْتُمُوها: وُرِّثْتم إيّاها || الأوتار: جمع وِتر، بالكسر، وهو الدم وطلب الثأر، وفي حديث عبد الرحمن في الشورى: لا تَغْمِدُوا السيوفَ عن أعدائكم فَتُوتِرُوا ثأركم. قال الأزهري: هو من الوَتْر؛ يقال: وَتَرْتُ فلاناً إذا أصبته بِوَتْرٍ، وأَوْتَرْتُه، والثَّأْرُ ههنا العَدُوُّ لأنه موضع الثأر || مُشعَلَة: مُتقدَة. المعنى: لقد ورثتمُوها وهي مشتعلة مُتقدَّة بالدَّم وطلب الثار من أعدائكم؛ لدرجة أنها حين تصولُ في دخان الحرب لا تبدو سيوفاً بارقة، بل نيراناً تتلظى للتشَّفي بدماءِ الأعداء.

(٢) تُغمَط: الغَمْطُ: الاسْتِهانة والاسْتِحقارُ. المعنى: واليوم تغمطُ سيوفكُم فيكم استهانةً واستحقاراً بكُم، وهي مُغضبة من واقع حالكم المُزري لتراخيكُم عن الأخذ بحقوقها؛ إذ لم يَعُد بينكُم غاضبٌ يأخذ حقَّها وحقَّه.

(٣) عدنان: جدُّ كافة القبائل النزارية المُنتسبة إلى قيس ومُضر || قحطان: جدُّ القبائل اليمانيّة، وكلاهُما جدُّ كافة العَرب. المعنى: في البيت استارة للحميّةِ العربيّة توسُّلًا برمُوز أنساب شجرتها العُليا، وهو يُعاتبُ قومَه المُتخاذلين عن عادات أجدادهم العدنانيين والقحطانيين، على حدٍّ سواء.

(٤) المعنى: يعود، هنا، لتقنية التكرار الواردة في بيت سابق، ولكن بصيغة أخرى توكيداً على انتفاء مفخرة تقلُّد السُّيوف زينة فحسب؛ لأنَّ الرِّجال الحقيقيين يزدانون ويزدهون بِفِعالِ سُيوفهم وليسَ باستعراضِها في المُناسبات.

(٥) المعنى: وما دامت هذه حالكُم، وهذا مُنتهى تقديرهم للسيوف؛ لكنتُ تمنَّيت لو صارت سيوفكم مَعاولَ تستفيدون منها في حراثة أرضكم، (كما سأتمنى ـ في هذا السِّياق الرَّث ـ)؛ لو كانت خيولكم ثيراناً تستفيدون منها في الفلاحة، وشِياهاً تأكلون لحمها وتحلبونها لتستمر معيشتكُم كالحيوانات. ملحوظة: في هذا البيت المُؤثر استخدم الشاعر أسلوباً استنهاضياً غير مُباشر ولم يكُن معهوداً لدى العُمانيّين، لذلك تبرعمت قيمته الإستنهاضية في ذاكرة العُمانيين من نقيضِها القِيَمِيِّ المُخجل: تمنِّي الشاعر على قومه المُتفاخرين بسُيوفهم وخيولهم في الحروب تحويلها لما يُمكِن أن يُستفاد منه في واقعهم المُزري؛ كأن تصير سُيوفهم (المُفاخر بها) مَعاول يُستفاد منها في حقولهم وخيولهم (المُتفاخر بها) حيوانات لبُونة مِكداح في تلك الحقول، ما داموا غير مُقتنعين بضرورة وأهميّة نُصرة إمامهم العادل. والحقيقة أنَّ سُخرية قاصِمة كهذه أصابتهم في مَقتل، نجح الشاعِرُ فيه مِن تصعيد لومِهِ ولائمته على بني جلدته أكثر مِمّا فعله وسيفعلهُ في تالي الأبيات باستنهاضِهِ المُباشِر.

حَتَّامَ طَرْفُ الهُدَى سَهْرَانُ مِنْ قَلَقٍ فِيكُم، وَطَرْفُ العِدَا فِي الظُّلْمِ سَهْرَانُ[(١)]

لَيسَتْ بِسُنَّتِكُم مُذْ كَانَ عُنْصُرُكُم وَإِنَّمَا الحَظُّ كَالأَزْمَانِ أَزْمَانُ[(٢)]

يا لَلقَبَائِلِ يا أَهْلَ الحِفَاظِ وَمَنْ أَمْجَادُهُم فِي جَبِينِ الدَّهْرِ عُنْوَانُ[(٣)]

شُدُّوا العَزَائِمَ فِي اسْتِدْرَاكِ فَائِتِكُم إِنَّ العَزَائِمَ لِلإِدْرَاكِ إِقْرَانُ[(٤)]

أَهْلَ المَكَارِمِ إِنَّ اللهَ أَكْرَمَكُم بِنِعْمَةِ العَدْلِ، إِذْ لِلجُورِ بُرْكَانُ[(٥)]

لا تَكْفُرُوا اللهَ فِي نَعْمَاءَ أَنْعَمَهَا فَإِنَّمَا يَرْبُطُ النَّعْمَاءَ شُكْرَانُ[(٦)]

---

(١) حَتَّامَ: نحت لغوي مُركّب يعني: حتى متى. المعنى: وإلى متى سَيَظلُّ طرف الهداية ساهراً من قلق فيكم (نلاحظ أنه لم يَقُل: عليكم)، وأنتم غافلون ناعسون عن عين الهداية والهُدى بينما عيون أعدائكم الظُّلّام ساهِرة لاقتناص اللحظة المُؤاتية للإنقضاض عليكم؟

(٢) سُنتكم: عادتكم || عنصركم: تعني؛ الأصل والحسب. المعنى: وما أعهده عنكم فيما مضى أنَّ مثل هذا التخاذل لم يكُن من عاداتِكُم ولا من سُنن أصولكم العتيدة؛ لكنَّ الحظ ـ كما يبدو ـ كما هي الأزمان في تقلّبها، ولا حظ لي أن أراكُم في عُهودكم المُشرقة في سالف [ضِمناً في. .] قادِم العهد والزمان.

(٣) يا للقبائل: نداء استنهاضي، قصد به الشاعر استنهاض كافة القبائل المُنتمية لعُصَبتي عدنان وقحطان|| يا أهل الحِفاظ: يا أهل الأنفة، ويا حفظة العهود. المعنى: في هذا البيت يتخلى عن ندائه الإستنهاضي الأشهر في القصيدة: «يا للرِّجال»، المُستثير لرجالات القوم فرداً فرداً، مُعمِّماً ذات النداء على المجموع المُنضوي في صوت القبائل التي يتنخي فيها الشاعر بأنفتها وخصيصة حفظها للعهود، مُصَوِّتاً فيما بَحَّ نداءً غير مسموع بأمجادهم، مُذكِّراً إياهم بأنها أمجاد لا تُنسى لحُسن فِعالِهم فيما مضى؛ لحدِّ أنَّ الدَّهر ذاته تَعَنْوَنَ بها لتكون علامته الفارقة على جبينه.

(٤) الإدراك: اللحاق، يقال: مشيت حتى أدْرَكته وعِشْتُ حتى أدْرَكْتُ زمانه || إقران: بكسر الألِف؛ قُوَّة الرجل على الرجل. يقال: أقْرَنَ له إذا قَوِيَ عليه. المعنى: فشدُّوا عَزائمَكُم في استدراك ما فات، لأنَّ العَزائم قُوَّةٌ تنضافُ في السَّعي إلى ما فاتكُم استدراكُه. [لا نرى وجهاً في تفسير بعض الشرّاح بأنَّ العزائم قرينة الإدراك، فالشاعِر ـ وِفقَ تأويلنا ـ قصدَ الإقران، وهو القوَّة والبأس، وليس الأقران: الأنداد]، وهي واحدة مِن مَصايِدِ أبي مُسْلم التي يُوقِعُ فيها قُرّاءهُ وشُرّاحه ـ ورُبَّما كُنتُ واحداً مِنهم لفرط جَهلي وعَميم عِلمِه.

(٥) المعنى: ويا أهل المَكارم؛ إنَّ الله أكرَمَكُم، قبيلة قبيلة، بنعمة العدلِ التي رسَّخها هذا الإمام العادل فناصِروه بما أوتيتُ أيديكُم، ولا تتراجعوا عن مُناصرته لتنصرفوا إلى فِتَنِكُم القديمة، فالجَور والظُّلم المُحدقان بكُم جميعاً بُركانٌ لن يهدأ ساعة تفيقون من سَكْرَة النعمةِ التي لم تحافظوا على مُكتسباتها.

(٦) المعنى: نلاحظ، في هذا البيت، انقلاب صِيغة الخطاب المُهادنة: «يا أهل المَكارم» في البيت السابق، لتصبح صيغة أمر: «لا تكفروا الله!» في نعمائه التي أنعم بها عليكم؛ لأنَّ شرط دوام=

فَـأيْـنَ أيْـنَ ذِئَـابُ الـدَّوِّ حَـمَّـتُـهـا «بَـنـو تَـمَـامٍ» وَمَـنْ رَبَّـتُـهُ «جَـعْـلانُ»[1]

وَأيْـنَ عَـنْـهَـا «الـجُـنَـيْـبِـيُّـونَ» إنَّـهُـمُ سَعْدُ العَشِيرَةِ عَلْيَا «مَذْحِجٍ» كَانُوا[2]

=النِّعمة ـ وإنْ كانتْ مِن مَخلوقٍ مثلكم ـ شُكرُها، تعبيراً عن تقديرها والامتنان لواهِبها. تلميح: نُلاحظ بُعد وَصْفِهِ لكافةِ القبائل المُخاطَبَة في مانيفستو Manifesto «النُّونِيَّة»، واستدراكه الذكيّ تذكيراً لجَمْعِهِ المُخاطب؛ بصفتهم «أهل الحِفاظ»؛ فيما نراهُ يعود مُنقلباً على مديحه لهم في هذا البيت والذي سبقه، تأسيساً لأسباب مدائحه فيهم، دون التفريط بواجبات ما استوجبه ذلك المَديح؛ وهو إكرامُ الخالق لهم بإمام عادل أنعم عليهم به؛ وأبسط ما يُقدِّمُونه لتلك النَّعماءِ ـ مِن وِجهَة نظر الشاعر ـ قليلٌ من نفحات الشُّكْران.

(١) حَمَّتُها: الحَمَّةُ عين ماء فيها ماء حارّ يُسْتَشْفى بالغسل منه؛ قال ابن دُرَيْد: هِيَ عُيَيْنَةٌ حارَّةٌ تَنْبَعُ من الأرض يَستشفي بها الأعِلَّاءُ والمَرْضَى. وفي الحديث مَثَلُ العالم مَثَلُ الحَمَّةِ يأتيها البُعَداءُ ويتركها القُرَباءُ، فبينا هي كذلك إذ غار ماؤُها وقد انتفع بها قوم وبقي أقوام يَتَفَكَّنون أي يتندَّمون. وفي حديث الدجال: أخبروني عن حَمَّةِ زُغَرَ؛ أي عينها، وزُغَرُ: موضع بالشام. || ذئاب الدَّوّ: ذئاب الفلوات والمفازات الصحراويةِ الضَّارِيَة || بَنو تَمَام: قصد بهم بني بُوعَلي؛ وهم قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى تمام ثم إلى الأزد بن الغـوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان || جَعلان: ولاية جعلان في المنطقة الشرقية، وتنقسم إلى جعلان بني بوحسن: وجعلان بني بوعلي، وهي قسمة قبليّة ومذهبيّة بالضرورة. المعنى: نلاحظُ في هذا البيت العودة الجغرافية إلى منطقة الشرقية بعد وصول «ناقل العيس» بقافلة الشيخ نور الدين السالمي إلى مُنتهاها في بيضة الإسلام نزوى، ليبتدئ الشاعرُ ترحُلةُ التالي في نونيّته العصماء مُشيداً بمناقب القبائل العُمانيّة [غافريّةً كانت، أم هناويّة] في مسح طبوغرافي فريد يتقصّى بلاده بعين فوتوغرافيّة وهو في زنجبار لأعطاء كُلّ قبيلة مكانتها في قصيدته المُستنهضة لكافةِ عَصائب قحطان وعدنان. المعنى: وأين عنها ذئابُها الجاهليُّون [تحقيباً]؛ ذئاب الدَّوّ المُغيرَة في مثل هذه الصحراء؟.. وهُم حَمَّتها بنو تمام، ناهيك نسباً ومُفاخرة عمَّن رَبَّتُهُ جَعْلان. [ثمّة في البيت استثارة لحَميّةِ الجعلانيين؛ بني بو حسن كانوا أم بني بو علي] كما سيتضحُ من الأبيات التالية ليتضافروا معاً في نُصرة إمامِهم الذي هبط عليهم بمظلة التقوى؛ ولا فرق في نظر الشاعر ـ إباضيّة كانوا أم سُنّة ـ فالقصدُ هو توحيد ثغور البلاد تحت راية إمامٍ عادل.

(٢) الجُنيبيون: قصد بهم قبيلة الجنبة؛ وهي قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى جنب بن يزيد بن حرب بن غامد بن مالك بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام. أما المجاعلة منهم فيتصل نسبهم ببني خروص بن شاري بن اليحمد. والجنبة أربعة أفخاذ: العَراما، المخانّة، الغياليين والفوارس، وتقطن في صور وجعلان والجازر وجزيرة مصيرة وسواها من المناطق || سعد العشيرة: قصد به أصول الجُنبَة الضاربة في زبيد بن سَلمَة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج || مَذحِج: نسب مذحج: هو مالك بن أدد بن يشجب وهو عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ومن ولده لخم وجذام وعاملة وكندة. أما مذحج فقد=

غَارَاتُهُم بِرِياحِ المَوْتِ عَاصِفَةٌ وَفَخْرُهُم بِحَمِيدِ الذِّكْرِ يَزْدَانُ(1)
وَأيْنَ «رَاسِبُ» سَيْفُ الأزْدِ إنَّهُمُ سَارَتْ بِصِيتِهِمُ فِي الأرْضِ رُكْبَانُ(2)
وَأيْنَ أهْلُ الذِّمَارِ «الهُشْمُ» بَحْرُهُمُ بِالمَجْدِ وَالفَضْلِ فَيَّاضٌ وَمَلآنُ(3)
عَهْدِي لَهُمْ نَجْدَةٌ فِي الحَرْبِ شَاهِرَةٌ وَمِنْهُمُ لِحُقُوقِ اللهِ أعْوَانُ(4)
وَيَا «لَشَمْسٍ» وَكَتَّابُ الخَمِيسِ لَكُم أنْتُم لَهَا يَا أُسُودَ اللهِ أرْكَانُ(5)
أنْتُم سِمَامُ الوَغَى لَبُّوا إمَامَكُمُ وَعِنْدَكُم مِنْ ثُغُورِ اللهِ «جَعْلانُ»(6)

=اختلف فيه فقال قوم مذحج بن مالك بن أدد نسب إليه ولده، وقيل: بل هي أكمَةٌ حمراء ولد عليها مالك بن أدد فعرف بها ولده. **المعنى**: واضح من السّياق.

(1) **المعنى**: فغارات أولئك القوم عاصفة برياح المجد، وفخرهم مُزدانٌ بحميد الذِّكْر، دونما حاجةٍ لذكرهم في نُونيّتي.

(2) راسب: قبيلة بني راسب؛ وهي قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى راسب بن مالك بن ميدعان بن نصر بن الأزد، والمفرد: الرّاسبي. **المعنى**: واضح من السياق.

(3) أهل الذمار: الذِّمْرُ: اللُّوْمُ والحَضُّ معاً. وذِمارُ الرجلُ وهو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه وإن ضَيّعه لزمه اللُّوْمُ || الهشم: قبيلة أزدية قحطانية ، يتصل نسبها إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: الهاشمي، ويقيمون في ولاية الكامل والوافي وبعضهم في وادي بني خالد وولاية بدية في المنطقة الشرقية من عُمان. **المعنى**: واضح من ا لسياق.

(4) **المعنى**: واضح من السياق.

(5) آل شمس: قصد بهم «بني بوحسن» المُقيمين في جعلان بني بو حسن؛ وهي قبيلة قحطانية ، يتصل نسبها إلى حسن بن شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عمرو بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام، وهي قبيلة معروفة في اللهجة المحلية بمسمى: بني بو حسن، وديارهم جعلان بني بو حسن، وينقسمون إلى فروع؛ منها: الصّواويع والمطاعنة والمشايخة والمسارير || كَتّاب الخميس: الجيش الجرّار بفيالقه الخمسة. **المعنى**: واضح من السياق.

(6) سِمام الوغى: سُمّ الحرب || جعلان: ولاية جعلان؛ المُنقسمة إلى جعلان بني بوعلي آنفة الذكر، وجعلان بني بوحسن. **المعنى**: منذ بداية الغزوات السعودية على عُمان ـ تلك الغزوات المُلتحفة برداءِ المذهب الوهّابي ـ والعُمانيون يعتبرون جعلان ثغراً من الثغور، كما في مرحلة توسُّع الدولة الإسلامية إبّان حُكم بني أُميّة والعباس. وهي تسمية مُضلِّلة ـ يؤكدها الشاعر ـ نرفضها اليوم؛ فجعلان في القلب من عُمان، وليست ثغراً نُؤتى منه (المُراجِع).

وَأيْنَ «أوْلادُ عِيسَى» وَالحِفاظُ لَهُم — نُجْدٌ ضَراغِمُ أوَّاهُونَ رُهْبَانُ[١]

صَمِيمُ «كِنْدَةَ» حَيُّ المُلْكِ مِنْ يَمَنٍ — عَهْدِي بِهِم لِلْهُدَى حِصْنٌ وَإِيوَانُ[٢]

شُدُّوا فَدَيْتُكُمُ أنْتُمْ بَوَاسِلُهَا — أم فِيكُمُ لِمُصَابِ الدِّينِ سُلْوَانُ[٣]

وَأيْنَ «يَحْمَدُهَا الحِرْثُ» الكِرَامُ فَفِي — عَزَائِمِ القَوْمِ جَنَّاتٌ وَنِيرَانُ[٤]

---

(١) أولاد عيسى: قصد بهم قبيلة الحَجْريِّين التي تقطن ولاية بديَّة؛ وهم قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الحجر بن عمران بن عامر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس، ثعلبة بن مازن بن الأزد وبعض النسابة العمانيين من ينسب الحجريين إلى كندة، والكُلُّ قحطانيون || نُجْد: أشداء ومغيثون يُستنجَدُ بهم || ضراغم: أسود || أوَّاهون: كثيرو التأوه من خشية الله || رُهبان: منقطعون إلى العبادة. المعنى: يستمرُّ في ندائه مخاطباً الحَجريِّين بكُنيتهم المُحبَّبة: أولاد عيسى [جُذورها هي أنَّ بعض النسَّابة ينسبون الحجريين إلى عيسى بن كندة]؛ ذوي الحِفاظ، فهُم أسُودٌ مغيثون يُستنجَدُ بهم في مُلمَّات الحَرب، كما كانوا رُهباناً أوَّاهين في ليالي التَّبتُّل. ورُغم أنَّ بلادَهم أقرب للبادية وانفتاحها على عفويَّة المُكتسَب البدويّ؛ إلَّا أنه يُشير لتديُّنهم وانقطاعهم إلى العبادة - إلى جانب شجاعة سُيوف نهاراتهم تلك، ولذلك ما يُفسِّرُه؛ ففي اعتقادنا أنهُ يُلمِّحُ إلى تجربة الزهد وأوقاف المُتعلمين، إلى جانب التجربة الصُّوفيَّة النِّسويَّة المُتفرِّدة في بلدة الواصل، أسوة بالنساء العابدات الزاهدات المُعتزلات المُتسربلات في نوع من التَرَهْبُن، كما في مناطق أخرى مِن عُمان؛ كعابدات الفرفارة في بدبد، وعابدات الدَّن في سمائل وأمَّهات الواصل في بديَّة، ناهيك عما سبق لنا شرحه في بيت مُتقدِّم.

(٢) صميم كِندَة: قصد بها أن الحَجْريِّين ينتسبون إلى كِندَة، وهو ما يؤكِّدُهُ الشاعر التقاءً لنسب الحجريين في شجرة نسب الشاعر || حَيّ المُلك من يَمَن: تُشيرُ الجُملة إلى مُلوكِ كِندَة وشأنهم العظيم منذ الجاهلية؛ ومن مُلوكِهم معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي، وهو من ملوك اليمن في الجاهلية، يلقب بـ«الغلفاء»؛ لأنه - كما قيل: أول من تغلَّف بالمِسك، وهو عمُّ الشاعر المشهور «امرئ القيس بن حجر» || إيوان: والإيوانُ: الصُّفَّةُ العظيمة، وفي المحكم: شِبْهُ أَزَج غير مسدود الوجه، وهو أعجمي، ومنه إيوانُ كِسْرى. المعنى: فُهم من صميم كِندة نسباً، فيا أهلًا وسهلًا بالمُلْك المُؤثَّلِ في اليمَن، فعهدي بهم، دائماً، أنهم حِصنٌ وعرشٌ للهُدى والهِدايَة.

(٣) بواسلها: شجعانها || سُلوان: نسيان. المعنى: إذن، شُدُّوا العَزم والهِمَّة؛ فأنتم يا أولاد عيسى شجعانها الحقيقون بها، وحثّاً من الشاعر لبسالتهم نراهُ يُخاطبهم قائلًا: أأنتُم مِمَّن يُعوَّلُ عليه في المُلمَّات والشدائد - كما عهدنا - أم أنَّكُم ستتناسونَ مُصابكم ومُصابنا الفادح في الدِّين؟

(٤) اليَحْمَد: عَزوة قبيلة الحِرْث، انتماءً إلى جدهم الأكبر يَحْمَد || الحِرْث: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الحارث بن كعب بن اليحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. والمُفرد: الحارثي، ويقيمون في ولايتي «القابل» و«إبرا» من المنطقة الشرقية. المعنى: وأين الحُرْثُ الكرام من سُلالة اليَحْمَد الكِرام؟ هل هُم أيضاً في الرَّكْب؟ فما عَهِدْتُهُ من عَزائم سِيرتِهم جَنَّاتٌ تستقبلُ الأولياء والأخيار ونيرانٌ تلفحُ الفُجَّارَ والأشرار.

ضَـــنَــائِنُ اللهِ أنْـــتُــم لا يَـــزَالُ لَكُـــم ... فـي نُـصْـرَةِ اللهِ صَـوْلاتٌ وَسُـلطَـانُ(١)

يَـبْـلى الـزَّمَـانُ وَلا تَـبْـلَى مَـحَـامِـدُكُـم ... مـا دَامَ يُـحْـمَـدُ مِـطْـعَـامٌ وَمِـطْـعَـانُ(٢)

إنْ كَـانَ «صَـالِحُ» طَوْدُ الـمَـجْـدِ فَـارَقَـكُـم ... فـإنَّ إصْـلاحَـكُـم رَضْـوَى وَثَـهْـلانُ(٣)

---

(١) ضنائن الله: خواص عباده المُقربين. يُقال: فلان ضِنَّتي من بين إخواني؛ وضِنِّي تعني أنني أختص به وأضِنُّ بمودَّته، وفي الحديث: «إن لله ضنائن»؛ أي خصائص. المعنى: ولا غَرْوَ في ذلك؛ فأنتم خوّاصُ الله وضَنائنُه المُدافعون عنه بخصيصة الضَّنين لضَنينِه، وما زالت لكُم في نُصرته صولاتٌ وسلطانٌ وأُبَّهَة لا تنتهي بانتهاء الأزمان والأحقاب.

(٢) يبلى: يتناهى في القِدَم || محامدكم: أفعالكم الحميدة || مِطعام: صيغة مبالغة في الكَرَم || مِطعان: صيغة مُبالغةٍ في الشجاعة؛ لكثرة طعن الأعداء. المعنى: فالزَّمان قد يَبلى قِدَماً وقَدَامَةً يا من تعتزون باليَحْمَد، لكنَّ مَحَامِدَكُم الطولى لا تبلى أبداً، بل تتجَدَّدُ في ديمومة الدَّهر ما دام يُحْمَدُ كريمٌ مِضياف، وشُجاعٌ مِقدامٌ لا تبلى حَزِبَتُهُ رغم شدَّةِ الطِّعان. تلميح: ثمة إشارة جَليّة في هذا البيت المُكرَّس لقبيلة الحُرْث إلى المَفهوم الجاهلي [والمابَعد ـ إسلامي] لخصيصتي الكرم والشجاعة اللتين تميزت بهما المُعلقات، وصُنِّفت على أساسها في تلك المرتبة؛ وبالتأكيد يتراءى، هنا، إضفاء الشاعر لخصائص الدَّيمومَة على مَمدوحيه الحُرْث.

(٣) صالح طود المَجد: قصد به الشيخ المحتسب الوليّ صالح بن علي الحارثي ١٢٥٠هـ ـ ١٣١٤هـ (١٨٣٤م ـ ١٨٩٧م) المولود بولاية القابل. توفي عنه أبوه وهو صغير فزاده ذلك رغبة في طلب العلم فرحل إلى علامة عصره الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي فأخذ عنه إلى أن أصبح ممن يُشار إليهم بالبنان فرجع إلى بلده ومسقط رأسه معلما، وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر مُصلحاً لما اعوجّ من الأمور، وكان ممن تتلمذ على يديه النور السالمي فقها وفكرا وسلوكا وهكذا مرت أيامه إلى أن توفاه الله سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٧م). || رضوى وثهلان: رضوى من تسميات الجبل الأخضر في عُمان، وثَهْلان جَبَل معروف في اليمن؛ وقد كنَّى الشاعر بالجبلين عن ابني الشيخ المُحتسب: عيسى وعلي بن صالح. المعنى: وإن كان جَبَل مجدكم الأشم صالح المُحْتَسِب لله قد فارقكم، فإنَّ صلاحَكُم وإصلاحَكُم في خليفتيه: عيسى وعلي؛ وكِلاهُما (ثقلًا مَعنوياً وروحيّاً لكُم)، كرضوى وثهلان. تلميح: استخدم التكنية عن عيسى بن صالح وعلي بن صالح بجَبَلين، قياساً إلى الطَّوْد الأكبر [صالح بن علي] في صَدر البيت، وبطبيعة الحال في ذلك إكبار ومبالغة ترميزيّة وتمييز لوَلَدَيه، واحتضانٌ مَعنويٌّ من الشاعر لهُما أمام قبيلتهما. فإذا لم يكُن علي بن صالح صاحب دور سياسيّ جذاب في تلك المَرْحَلة، إلّا أنَّ نُبوءة أبي مُسلم تمَظهَرَت وتحَقَّقَتْ في عيسى بن صالح، فيما كان يُصَعِّدُ مَرتبة أبيه ببُعدها الإصلاحي الديني المَحض مُرحِّلًا إياها إلى تخوم المُمَارسَة السِّياسيّة للإمارَة توازياً وتوالياً مع البُعد الدِّيني، وهي الخصيصة والسِّمَة التي وَسَمَت كثيراً من الزعامات التي تقاطع فيها كُلٌّ من البُعدَيْن: الدِّيني والقَبَلي، على حَدٍّ سَواء، كما سنلحظ ذلك في الحديث لاحقاً عن النباهنة وبني ريام.

«عيسى» لَكُم خَلَفٌ صِدْقٌ لِخَيرِ أَبٍ | وَفِي «عَلِيٍّ» أَخِيهِ لِلعُلَى شَانُ[1]
صِنْوَانِ يَسْتَبِقَانِ المَجْدَ فِي حَسَبٍ | سَيَّارَةُ الشُّهْبِ فِي جَنْبَيهِ صَوَّانُ[2]
وَفِيكُمُ الأَسَدُ الكَرَّارُ فَارِسُ شَرْ | فَاءَ ابْنُ عَمِّهِمَا الكَافِي «سُلَيْمَانُ»
السَّيدُ «ابْنُ حُمَيْدٍ» سَيفُ سَطْوَتِكُم | وَمَنْ لَهُ فِي بِنَاءِ المَجْدِ أَرْكَانُ[3]

---

(١) عيسى: قصد الشيخ عيسى بن صالح بن علي الحارثي؛ وهو من شيوخ العلم المُتتلمِذين على نور الدين السالمي، وقد ورث الزعامة والإمارة عن أبيه صالح بن علي، وكان معروفاً بالشجاعة والغيرة للعلم؛ وقد جُمعت فتاويه في كتاب: «خلاصة الوسائل في ترتيب المسائل»، كما أنه هو من وقع، مُفوَّضاً من العُمانيين «اتفاقية السِّيب» بين الإمامة والسلطنة عام ١٩٢٠م || عليّ: هو الشيخ علي بن صالح بن علي الحارثي؛ وقد اشتهر بالشجاعة والنجدة. المعنى: فعيسى بن صالح خلفٌ لخير أب تواجد بين ظهرانيكم، وفي روح أخيه علي بن صالح [وإنْ لم يَظهَر، سياسةً وتديُّناً وحاكميّةً قياساً إلى أخيه عيسى]، ففيه أيضاً شأنٌ لا يُستهان به نحو مُرتقى العُلى والعُليَا.

(٢) صِنوان: مثيلان ونظيران || سيّارة الشُّهب: قصد بالتعبير أنهما شهابان ضمن الكواكب الخمسة السّيّارة || الصَّوَّان: حجارة يُقْدَحُ بها لإشعال الشرر. المعنى: فعيسى، خلفٌ صادق لأبيه، وفي أخيه عليٍّ شأنٌ للعُلى لا يُستهانُ به، وإن بَعُد عن السياسَة مُقارنةً بأخيه عيسى بن صالح. تلميح: الأبيات في مجموعها استنهاضٌ لقبيلة الحرث المُسيطرة على منطقة الشرقية كي تُناصِر الإمام المُنتخب بثقلها الاجتماعي، ليس في الحواضر فحسب، وإنما في البادية.

(٣) الكرّار: صيغة مُبالغة من الكَرّ في قتال الأعداء || سُليمان: هو الشيخ سليمان بن حميد بن عبدالله الحارثي؛ ابن عمّ عيسى وعلي ابني صالح، وكُنيته التي اشتهر بها: «فارس الشُّرفاء» [وهو اسم فرسه الأثيرة]؛ التي يُشيرُ إليها الشاعرُ في نونيّته لشجاعته وفروسيّته الفائقة || السَّيد ابن حُمَيْد: إشارة أخرى إلى فارس الشرفا سليمان بن حميد. معنى البيتين: وفي قبيلتكُم المؤسِّسة لمجد كهذا في فرعكم الآخر من [آل حُمَيد] بمُمَثلها فارس الشرفا المِغوار، ابن عمِّ كُلٍّ من علي وعيسى ابني صالح بن علي. لكنني أقصد تحديداً، هنا، سُليمان الكافي لمهمّات الرُّسُل. فارسُ الشرفاء: يُورد الشيبة أبو بشير في **نهضة الأعيان** ترجمة للشيخ الفارس سليمان بن حميد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن عيسى بن راشد الحارثي، قائلًا: كان هذا السيد من عُلوّ القدر وبُعد الهِمّة وجلالة المَنزلة بحالة انفرد بها دون أقرانه، فهو فرد دهره أدباً وفضلًا وكرماً ومجداً وفروسيةً وشجاعة، أما جُوده وسخاؤه، فحَدِّث ولا حَرج. شهد بعض مواقفه ابن برّاك أحد الأبطال النجديين في حادثة أبدى فيها من البسالة والفروسية ما تكعكع عنه نُظراؤه في ذلك الموقف، حتى رمى جواده وهو على سرجه، فرجع إلى قومه يطلبُ جواداً آخر يقف عليه في حَومَةِ الوغى إلى أن تنجلي غمته، فضنُّوا به عليه، ولما انجلت المعركة ورجعوا إلى الشيخ صالح بن علي [الحارثي]، سألهم عن الخبر، فأجاب النَّجدي (وكان ضيفاً لهُم): يا صالح؛ ضَحِّ بالحُرث، وأطعمهم سُليمان، فبقيت هذه الكلمة مَثلًا عندهم.

بَحْرُ المَكَارِمِ غَوْثُ الخَلْقِ، مَنْ شَمِلَتْ لِلكَوْنِ مِنْ بِرِّهِ رُحْمَى وَإحْسَانُ

البَاسِلُ البَطَلُ المِغْوَارُ مَنْ شَهِدَتْ بِطُولِ يُمْنَاهُ آبَاءٌ وَوِلْدَانُ[1]

وَفِيكُمْ مِنْ رِجَالِ المَجْدِ مَنْ خَرِسَتْ عَنْهُ القَوَافِي، وَلَمْ يَبْلُغْهُ تِبْيَانُ[2]

أَيْنَ «المَسَاكِرَةُ» الصِّيدُ الغَطَارِفُ مِنْ ذَوَائِبِ الأَزْدِ حَيْثُ المَجْدُ وَالشَّانُ[3]

فِي ذَرْوَةِ المَجْدِ مِنْ فَهْمٍ إذا انْتَسَبُوا أَسَاوِدُ المَوْتِ يَومَ الهَوْلِ طُوفَانُ[4]

---

(١) معنى البيتين: هذا بيت جاهليٌّ في مَنحى التعبير ينتمي لابن زُهَير؛ فهو البَاسِلُ البَطَلُ المِغْوَار من شهدت بطول يمين كرمه آباءُ عُمان وأحفادهم حتى في زنجبار؛ والبيت مديح لصديقه فارس الشرفا؛ لأنهُ كان حقيقة واحداً مِن مُناصِري الشاعر آنذاك كما فعل ذلك أشياخ المساكرة المُتواجدون، آنذاك في زنجبار.

(٢) معنى البيت: تواترت في ذهني مَرويّات كثيرة عَنْ هذا البيت، سمعتُها من الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي [وكُنتُ أحد جُلاس مجلسه]، ومِن أبي، شاعِر الشرق، أحمد بن عبدالله الحارثي؛ حيث قالا: أنَّ أبا مُسلم قصد في هذا البيت أخا فارس الشرفاء الشهير: وهو الشيخ عبدالله بن حميد المشهور بالحكمة والفراسة والتطبُّب والمعارف الباطنية. وشخصياً كنتُ أميل إلى رأي كهذا يستند إلى مرويَّات فقهاء وشعراء؛ لكنَّ روايَةَ الأخ يُوسف بن يعقوب الحارثي، [نقلًا عن عمه الشيخ عبدالله بن حمد سليمان الحارثي]، جعلتني أتراجع في تأويل المسألة؛ فالشيخ عبدالله بن حمد؛ ارتأى - وفقاً للروايَة - أنَّ أبا مُسلم لم يُشِر في هذا البيت إلى عبدالله بن حميد؛ وإنما إلى بعض أعيان فخائذ قبيلة الحرث، سواءً مِن الدّغشة أو الخناجرة أو البراونة أو المحارمة أو سِواهم من أشراف رجالات القوم آنذاك.

(٣) المَساكِرة: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الأسود بن عمران بن عمرو بن عامر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، ومن بطونهم من ينتسب إلى سليمة بن مالك بن فهم. من بطونهم أيضاً بنو اسماعيل والكل أزد، ويقطنون «ولاية إبرا» بالمنطقة الشرقية || الصِّيد: الأصْيَد: المَلِك، وجمعه الصِّيد. قالوا: وسمِّيَ بذلك لقلَّة التفاتِه.
ومن الناس مَنْ يكونُ أصيَدَ خِلقةً || الغطارف: الشريفُ السخِيّ الكثير الخير || ذوائب الأزد: جمع ذؤابة؛ وهي جمع ذُؤَابةٍ، وهي الشَّعَر المَضْفورُ من شَعَرِ الرأس. المعنى: وأين المساكرة المُلوك الشرفاء الخيِّرون؟.. فأعراقهم تنتمي لذوائب الأزد، وكفاهم فخراً.

(٤) معنى البيت: وهم - أي المساكرة - في ذروة المجد إذا انتسبوا إلى جدِّهم الأعلى مالك بن فَهْم؛ كما أنهم في شقهم الآخر أساوِدُ مَوت، في انتسابهم إلى الأسود بن عمران، ولا يخفى مزجُهُ في تعبيره: «أساود الموت» بين عراقة النسب وشجاعة الأسود القاتلة في الأهوال بجحافلهم الشبيهة بالطوفان الذي لا يُرَدّ.

شُـمٌّ إذا حَـزَمُـوا، نَـارٌ إذا عَـزَمُـوا	شُهْبٌ إذا رَجَمُوا، لِلفَضْلِ هَتَّانُ(١)
كَوَاكِبُ العِزِّ، لا تُرْعَى مَسَارِحُهُم	وَلا تُـرَاعُ لَهُمْ بِـالـضَّـيْمِ جِيـرَانُ(٢)
وَأيْـنَ «حَبْسٌ» كِرَامُ الخَيلِ مِنْ قِدَمٍ	وَفِيـهُـمُ مِـنْ عِـبَادِ اللهِ «غَـسَّانُ»(٣)
سُيُـوفُـهَـا وَعَـوَالِيـهَـا وَأسْـهُـمُـهَـا	وَهُـم إذا افْتَخرَ الفُرْسَانُ فُرْسَانُ(٤)
وَأيْنَ أُسْدُ شَرَاهَا مِنْ «وَهِيبَةَ» أهْلِ	الـجَدُّ وَالجُودِ إنْ شَدُّوا وَإنْ لانُوا(٥)
وَأيْـنَ «عَـامِرُ» وَالأحْسَابُ مُشْرِقَةٌ	نَاهِيكَ مِنْ عَامِرٍ وَالأصْلُ «عَيْلانُ»(٦)

(١) شُمّ: جمع أشم؛ وتعني الرّجال ذوي الأنفة، وتعني أيضاً طوال الأُنوف، وهو كناية عن الرفعة والعُلو وشرف الأنفُس || هتان: انصباب المطر من السماء، وكنّى به عن أفضالهم الدفاقة. المعنى: واضح من السياق.

(٢) مسارحهم: قصد بها المواضع التي تسرح إليها الإبل || تُراع: قصد بها الرَّوْع الفَزَع || الضيم: الظلم. المعنى: واضح من سياق البيت.

(٣) حَبس: قصد بها قبيلة الحبوس؛ وهي قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى شهاب بن النويرة. والمُفرد: الحَبسي. ويقطنون «ولاية المضيبي» || غسّان: فخذ من قبيلة الحبوس امتاز أفراده بالورع والتقوى، ولذلك مُيّزوا في الشطر الثاني من البيت. المعنى: وأين قبيلة الحبوس، كرام الخيل مِن قِدم الأزمان؟.. لا سيما أنَّ فيهم فخذ غسّان الشهير بورعه وتقواه.

(٤) المعنى: وهم سيوفها ورماحها وأسْهُمُها؛ ولذلك حَقّ لهم الفخر إذا تفاخر الفرسان، لأنهم فرسان بشجاعتهم وآلة الحرب التي تمتلكها القبيلة من رماح وسيوف وسهام.

(٥) أسد شراها: آسادها الشجعان || وهيبة: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى وهب الأكبر بن الأضبط بن كلاب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: الوهيبي، وهم قبيلة كبيرة تتوزع رمال وهيبة والبلدان المُتاخمة ابتداء من «سناو» بولاية المضيبي حتى البلدات المُتاخمة لبحر العرب، ومن فروعها: «بنو غفيله» و«الجحاحيف». المعنى: وأين قبيلة وهيبة؟ فهم أصحاب الحظ والكرمِ، شدّةً وليناً.

(٦) عامر: قصد بها العوامر؛ وهي قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: العامري، وهي قبيلة كبيرة تنتشر في عدة مناطق من عُمان في الداخلية والباطنة والشرقية، وتنسب إليهم كثير من البلدات؛ مثل حبل الحديد وبرزمان وشافع وقلعة العوامر || عَيْلان: قصد به نسبهم الأعلى عيلان بن مُضر. المعنى: وأين قبيلة العوامر؟.. فأحسابهم مُشرقة بأمجادها، ناهيك من عامر، فأصلهم يتسامق إلى عيلان.

وَأيْـنَ هَـمْـدَانُ مِـنْ صِـفِّـيـنَ تَـعْـرِفُـهُـم | إذْ عَـكٌّ عَـكٌّ وَإذْ هَـمْـدَانُ هَـمْـدَانُ[1]
وَأيْـنَ قَـائِدُهُـم لَيْـثُ الـمَـعَـارِكِ صِـمْـ | ـصَامُ المَعَاضِلِ بَذْرُ الفَضْلِ «سُلطَانُ»[2]
وَأيْـنَ نَـارُ الـوَغَـى «آلُ الـمُـسَـيَّـبِ» مِـنْ | «قُـضَـاعَـةٍ» وَزَعِـيـمُ الـقَـوْمِ «زَهْـرَانُ»[3]

---

(١) صِفِّين: المعركة التي وقعت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان؛ وانتهت بالتحكيم الذي لم يُرض الجُند الأوفياء لعلي بن أبي طالب، وهم - أي همدان - إلى جانب قبيلة عَكّ، كانوا من أشجع المُحاربين الذين شايعوا عليَّ بن أبي طالب الذي مدح قبيلة همدان بقصيدة قال فيها: «تيمَّمتُ هَمْدانَ الذين هُمُ هُمُ || إذا نابَ أمرٌ جنتي وحُسامي» | «وناديت فيهم دعوة فأجابني || فوارسُ من همدان غير لئامِ»، إلى أن قالَ في نهاية قصيدته بيته المُغالي في مديحهم: «ولو كُنتُ بوّاباً على بابِ جَنَّةٍ | لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلام»، وعرّض الإمام عليّ لنقد جارح من المُناوئين || همدان: يقصد قبيلة الرّحبيين المُنتسبة إلى الجد الأعلى همدان: وهي قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى أرحب بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمفرد الرحبي، ويقيمون في ولايتي سمائل وبدبد ووادي الطائيين. المعنى: وأين همدان المعروفون بمواقفهم منذ معركة صِفين؟.. يوم كانت عَكّ عَكّ وهمدان همدان، لكنَّ الشاعر، في البيت، يستثير في البيت نخوة الرّحبيين المُنتمين إلى همدان كي يُناصِروا الإمام المَمدوح في قصيدته، أسوة بسائر القبائل العُمانية وزعمائها. والحقيقة أنَّ الشاعر يستخدم تقنيّة المُوالاة القبلية المُتوقعة من الرّحبيين؛ أحفاد همدان لمُناصَرةِ الإمام سالم بن راشد، كما ناصرت قبيلتهم الأمّ عليَّ بن أبي طالب؛ وكما نرى في هذا البيت، أنَّ أبا مُسلم لا يَستنكِفُ في خطابه الاستنهاضي لمُناصَرةِ الإمامة الثالثة استدعاء حوادث تاريخية أعلى من شأنها واستشهد بها؛ لأنها في صالح دعوته الإصلاحيّة - مانيفستو قصيدته، بالأحرى - وإن كانتْ جُذورُها تمتدُّ إلى قبيلة هَمدان التي أُعجِبَ أبو مُسلم بمديح الإمام عليّ بن أبي طالب لها؛ لا سيَّما أننا سنكتشف مدى ذلك الإعجاب في مَتنِ كتابه «نِثار الجَوْهر»، حيث أتى بقصائد قصيرة لأبي بَكْر وعُمر بن الخطاب وعُثمان وعليّ بن أبي طالب؛ كما لو أنهُ أراد القولَ: تلك مذاهِبُكُم، ولكن اصطفوا خلْفَ مَبدئها الرّاشِديّ، دونما تخصيصٍ في [العُمَرَين]؛ ولعَمري تلك حيلة شعريّة خلاقة أراد بها أبو مُسلم رَأبَ صَدعِ وطنه المُنشقّ كإزاره في زنجبار.

(٢) المعنى: يتساءل، هنا، ضمن حَشده الرُّوحي والمَعنوي لزعامات القبائل عن زعيم الرّحبيين سلطان بن سلام الرحبي؛ أسد المعارك وسيفِ معاضلها البتار.

(٣) نار الوغى: نار الحرب || آل المُسَيَّب: قصد بهم قبيلة السّيابيّين: وهي قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى شهاب بن النويرة بن عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي نويرة بن ربيعة بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنيم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى دعمي بن جذيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: السّيابي. يقطنون ولايتي سمائل وبدبد، وقد نسب=

وَأيْـــنَ «وَائِلُ» وَالآثَـــارُ شَـــاهِـــدَةٌ   وَمَـجْـدُ وَائِلَ فِي التَّـارِيخِ شُـهْبَانُ[1]

وَأيْـنَ «مِـعْـوَلَةٌ»؛ قَـبْـلَ الـرَّسُـولِ لَهُـم   عَـلَى «مَـزُونَ» إتَـاوَاتٌ وَتِـيـجَـانُ[2]

وَأيْـنَ عَـنْـهَـا «ذِئَـابُ الـخَـطْـمِ» إنَّ لَهُـم   مَـنَـاقِـبٌ لا يُـدَانِـيـهِـنَّ إنْـسَـانُ[3]

وَأيْـنَ حُـلقُـومُ ذَاكَ الـمُـلْكِ، مِـعْـصَـمُـهُ   «سَـمَـائِلٌ»، فَـهِيَ لِلسُّلطَانِ سُلطَانُ[4]

=الشاعر زعامتهم إلى شيخهم محسن بن زهران السيابي. المعنى: وأين السَّيابيون، نار الحروب، المتمون نسباً إلى قضاعة؟.. أين هُم وأين زعيمهم المُحسِنُ الزاهر؛ مُحسن بن زهران؟..

(١) وائل: قصد به جد القبائل المُنتسبة إلى بكر وتغلب، ومنهم قبيلتا الحضرمي وبنو شيبان، والذهول وسواها من القبائل المُنتمية للجذر الوائلي. المعنى: وأين بنو وائل الذي انتسبت إليه إضمامة من القبائل؟.. أين أحفاده؟.. فالآثار شاهدة على مجد وائل؛ فهم في التاريخ شهبان.

(٢) مِعْوَلَة: يقصد قبيلة المعولي العريقة، وهي قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى مِعْوَلَة بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. المفرد: المعولي. وهم يقطنون وادي المعاول قرب نخل وبركا وغيرها من الأماكن، ومنهم الإمام الجلندى بن مسعود، وينتسبون مباشرة إلى معولة بن شمس || مَزون: أحد أسماء عُمان القديمة || إتاوات: جمع إتاوة؛ وهي الخراج؛ وما كان يستحوذ عليه ملوك الجاهلية من مغنم على التجارة، وتعني بلغة العصر ضريبة الدَّولة || تيجان: معروف، والجمعُ أتواجٌ وتيجانٌ، والفعل التَّتويجُ. المعنى: وأين معولة المُنتمون إلى عبد شمس؛ فلهم منذ عهود الجاهلية ضرائبهم ومُكوسُهم التي فرَضتْها على عُمان تيجانُ مُلكِهم.

(٣) ذئاب الخطم: هم قبيلة الهَدادِبة؛ وهي قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمفرد: الهدّابي، وبلدهم فنجا التي تشتهر ببرج الخطم المُشرف على ثغر الوادي الموصل مناطق الداخلية والظاهرة والشرقية بمنطقة الباطنة وولايات الرستاق ونخل ووادي المعاول. المعنى: وأين عنها الهدادبة ذئاب برج الخطم، فلهم مناقب لا تُدانى.

(٤) الحلقوم: الحلق؛ وهو مَخرَج النَّفَس والصَّوت، وإذا قُطِعَ مات صاحبه || مِعصمه: ساعِده || سمائل: من أقدم مُدن المنطقة الداخلية، وهي ثغر مِفصَلي بين عاصمة الإمامة «نزوى» وعاصمة السلطنة «مسقط»، قبل وِحدَة البلاد، كما أنها بلد الصَّحابي مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مُرّ بن حيان الطائي النبهاني السعدي ـ من بني سعد بن نبهان بن الغوث بن طي، وهو أوَّل من أسلم من أهل عُمان؛ وسبب إسلامه أنه كان يسدن صنماً بسمائل، فذبح ذات يوم ذبيحة فسمع صوتاً من جوف ذلك الصَّنم، وهو أبيات من الشعر تُنبئ عن ظهور النبي، وتكرر ذلك، فقال مازن: إن هذا لعجب، وإنه لخير يُراد بي، قال: فبينما نحن على ذلك قدم رجل من أهل الحجاز يُريد دماً، فقلنا له: ما وراءك؟ فقال: ظهر رجلٌ يُقال له أحمد [أي النبي محمد]، يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله؛=

وَأيـنَ عَـنْ أجْـرَبَـيْـهَـا مَـنْـعُ بَـيـضَـتِـهَـا وَالأجْـرَبَـانِ بَـنُـو عَـبْـسٍ وَذُبْـيَـانُ[1]

=فقلتُ هذا والله نبأ ما سمعت من الصنم، فوثبت عليه وكسرته جذاذاً، وركبت راحلتي حتى قدمت على رسول الله بالمدينة، فسألته عما بُعث له، فشرح لي الإسلام، فأسلمتُ، وقال واصفاً ترحاله إلى النبي قائلًا: «إليكَ رسولَ اللهِ خبَّت مَطيَّتي || تجوبُ الفيافي مِن عُمانَ إلى العَرْجِ || «لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى | فيغفر لي ربِّي فأرجع بالفَلْجِ» || إلى مَعشرٍ جانبتُ في اللهِ دينَهُم || فلا دينهُم ديني || ولا شَرْجُهم شَرْجي». كما أن سمائل بلد الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، والشيخ خلفان بن جمَيّل السيابي، وقد تخرَّجَ من مدرستها الفقهية والأدبية فقهاء وشعراء أفذاذ. المعنى: في هذا البيت الشائع الذائع على كُلِّ لِسان نجدُ أبا مُسلم (يُخفي مظلة سِحر بيانه في شمس سمائل)؛ التي اعتبرها حلقوم المُلك المُؤثَّل [بخليليّه، ورواحيّه، وجابريّه، وسِواهُم من القبائل]، احتيالًا في ديمومة بيته هذا الذي أراد - آنذاك - نِسبتهُ لسمائل الفيحاء، وليسَ لبني جابر وبني رواحة وبني خليل بطبيعة الحال؛ فمُفردَة «حلقوم» توحي مُباشرة إلى العُنق، وسمائلُ كانت، آنذاك، العُنق الإثنو - جُغرافي المُهيمِن على مَقطع الطُرُق بين مسقط وبيضة الإسلام؛ نزوى عاصمة الثورة الثالثة للإمام سالم بن راشد الخروصي. وكما نُلاحِظ - شِعرياً، في أضيَق الحُدود - فقد وَهَبَ سَمائل بيتاً من الشعر سَيَتداوَلُ جيلًا بعد جيل، دون أن يعرف كثيرون أسباب الشاعر لاختياره مديح سمائل؛ وليس قُطّانِها بني رواحة الذين استعر أُوار الحرب بينهم وبين بني جابر. لذا أوقف الفتنة المُستفحِلة، آنذاك، في بيتٍ مِن الشعر خلَّدَ سمائل، ثغرَ أساسٍ دون المَساسِ - بل التأكيد - على مَكانتها الرَّفيعة مَعبَراً بين سلطنةِ مسقط وإمامةِ عُمان الداخل. ليس ذلك فحسب؛ بل أنهُ أكرمها بقوله الحاسم والمحسوم: سمائلٌ فهي للسُلطان سُلطانٌ؛ وقصد بها أنها ثغرٌ مَنيعٌ، مَنْ نالَها واحتلَّ حِصنها فهو سُلطانها، إماماً - كان، إن طاب لي القولُ؛ أم سُلطاناً مِنْ سلاطين مَسْكَد - لأنَّها مَدينةٌ دَيْدَنُها التاريخي والستراتيجي أن تكون سُلطانَ السُلطانِ ونورَ إمامَتِه المُستبصِرِ بها طرائق العدالة ودُروب بَياضِ رايَتها الناصعَة.

(1) أجربيها: الأجْرَبَان؛ بَطْنان من العرب، وقصد قبيلتي بني رواحة وبني جابر المُنتسِبتَين إلى عبس وذبيان، على التوالي [أورد بعض الشرّاح أجربيها؛ مُثنى أجرب: أي؛ غمد السيف، وذلك خطأ، ففِي الحديث: والسَّيفُ في جُرُبّانه، أَي في غِمْده، وجُرُبَّانُ السَّيفِ، بالضم والتشديد، قِرابُه، وقيل حَدُّه] || مَنع بَيضتها: قُوَّة بَيضتها وحُماتها؛ والبيضة من السِّلاح، سُمِّيت بذلك لأنها على شكل بَيْضة النعام؛ أي الخوذة، والتعبير كِناية عن حُماةِ سمائل من القبيلتين المُتناحرتين، في سالف الزمن: بني رواحة وبني جابر || بنو رواحة: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى رواحة بن قطيعة بن لهيعة بن عمرو بن عبس بن بغيض بن ريث بن عطفان بن قيس بن غيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الرّواحي || بنو جابر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى جابر بن يربوع بن بغيض بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الجابري. وكِلا القبيلتين تقطنان سمائل إلى جانب قبائل أخرى. المعنى: وأين تُروس ذاك الحلقوم [سمائل] من بني رواحة وبني جابر، المكنى عنهما بنسبهما الأعلى عبس وذبيان... أين هُم من الوقوف إلى جانب الإمامة؟

يا جَمْرَةَ العُرْبِ يا عَبْسَ الطِّعَانِ ألا	لا يُطْفِئَنْ جَمرَكُم بَغيٌ وعُدوانُ[١]
لا تُشعِلوا الحَربَ إلّا في مَوَاقِدِها	حيثُ الجهادُ على البَاغِين مُوْتَانُ[٢]
وَيا بَنِي عَمِّنا «ذُبيَانَ» مَجْدَكُمُ	إنَّا وَإيَّاكُمُ فِي المَجْدِ صِنْوَانُ[٣]
بِآلِ «حِصْنٍ» وَ«بِالعَمْرَيْنِ» قَدْ فَرَعَتْ	عِزّاً وَنُبْلًا؛ جَمِيعُ النَّاسِ غَطْفانُ[٤]

(١) جمرَة العُرْب: لقب بني عَبْس منذ أزمنة الجاهلية؛ كناية عن بسالتهم وشدّة بأسهم؛ والقصد، هنا، بنو رواحة، والجَمْرَةُ، في الأصل، كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جَمْرَة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عَبْسٌ لقبائل قيس. وفي الحديث عن عمر: أنه سأل الحُطَيْئَةَ عن عَبْسٍ ومقاومتها قبائل قيس فقال: يا أمير المؤمنين كنا ألف فارس كأننا ذَهَبَةٌ حمراء لا نَسْتَجْمِرُ ولا نُحالفُ؛ أي لا نسأل غيرنا أن يجتمعوا إلينا لاستغنائنا عنهم. والجَمْرَةُ: اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها من سائر القبائل؛ ومن هذا قيل لمواضع الجِمَارِ التي ترمى بِمِنًى جَمَراتٌ لأن كلّ مَجْمَع حَصًى منها جَمْرَةٌ وهي ثلاث جَمَراتٍ. وقال عَمْرُو بن بَحْرٍ: يقال لعَبْسٍ وضَبَّةَ ونُمير الجَمَرات؛ وأنشد لأبي حَيَّةَ النُّمَيري: «لَنَا جَمَراتٌ ليس في الأرض مِثْلُها | كِرامٌ، وقد جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجارِبِ» || «نُمَيْرٌ وعبسٌ يُتَّقَى نَفَيَانُها | وضَبَّةُ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كاذِبِ» || عَبس الطِّعان: نُسِبَت عَبس إلى الطِّعان؛ أي الطَّعن في الحرب لتميُّزها في ذلك دون سِواها من قبائل العرب، كما لو أنها لم تكُن تجيد سواه، وهي صيغة مَديح خصَّ بها الشاعر أسلاف قبيلته بني رواحة. المعنى: ينتخي بقبيلته بني رواحة المُحتربة مع قبيلة بني جابر، مُطالباً إياهم ألّا يطفئ تلك الجمرة [جمرة العُرب] بغيٌ وعُدوانٌ لا فائدة منه، في وقت تحتاج فيه الأمة لتكاتف جميع القبائل.

(٢) مُوْتان: المُواتُ والمُوتانُ والمَوْتانُ: تعني المَوْتُ، وفي الحديث: يكونُ في الناس مُوتانٌ كقُعاصِ الغنم. والمُوتانُ، بوزن البُطْلانِ: أي الموتُ الكثير الوقوع. المعنى: احترابكم مع إخوانكم بني جابر، لم يعد له معنى الآن؛ لذلك أشعلوا الحرب في مواقدها ضد أعدائكم، بقيادة هذا الإمام، حيث الجهاد على الفئة الباغية ـ كما أرى ـ ميّت ومُنطفئ الشعلة.

(٣) ذُبيان: يُخاطب، هنا، بني جابر المُنتمين لذبيان، وهم أبناء عُمومَة مع بني رواحة؛ لأنَّ النَّسبين العُلوَيَّين من بني عبس وبني ذبيان يلتقيان في غطفان بن قيس بن عيلان || صِنوان: نظيران. المعنى: ويا أبناء عمومتنا بني جابر: أظهِروا معادن مجدكم؛ فنحن ـ بني رواحة ـ وأنتم في مَراقي المَجد صِنوان لا يُناظِرُهما أحد.

(٤) آل حصن: قصد بهم زعماء ذبيان؛ وهم حُذيفة وإخوته || العَمْرَيْن: زعيما عبس اللذان اختلفا || فرعت: عَلَت شَرَفاً، وتعني أيضاً: تفرّعت || غطفان: هو غَطَفانُ بن سَعْدِ بن قيس عَيْلان. المعنى: لقد تفرّعت قبيلتانا ابتداءً من آل حِصن والعَمْرَين؛ لكننا جميعاً ننتمي لجدنا الأكبر غطفان. ملحوظة: قد يبدو استخدامه لتعبير: «جميع الناس غطفان» هِنة اضطُرَّ إليها الشاعر، كما بدت في لُحْمَةِ السِّياق؛ لكنهُ قصد ذلك عامِداً مُتعمِّداً؛ ليقولَ للقبيلتين المُتناحرتين، آنذاك، أنَّ جميع الناس فينا (كما في قبائل أخرى) ينتمون لغطفان، وليس نحن فحسب ـ فلماذا كُلُّ هذا التناحر غير المُجدي في هذه المرحلة الحاسمة؟

إذا مَـدَحْـتُ بَـنِـي ذُبْـيَـانَ إخْـوَتَـنـا	أظْهَرْتُ شَمْساً لَهَا فِي العَيْنِ بُرْهَانُ[1]
فَـيَـا لُيُـوثَ بَـغِـيـضٍ دَرَّ دَرُّكُـمُ	هَـلّا سِـبَـاقٌ إلـى خَـيْـرٍ وَإرْهَـانُ[2]
فُرْسَانَ «دَاحِسَ» وَ«الغَبْرَاءَ» حَسْبُكُمُ	مِـنَ الـرِّهَـانِ جِـهَـادٌ فَـهُـوَ مَـيْـدَانُ[3]
ذَرُوا الـضَّـغَـائِنَ تَـذْرُوهَـا الـرِّيَـاحُ فَـمَـا	تَبْقَى عَلَى خَالِصِ الإيمَانِ أضْغَانُ[4]
إنَّ الـحُـظُـوظَ الـتِي تُـرْجَى بِـأُلْفَتِـكُـم	فِي الدِّينِ، فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ فُرْقَانُ[5]

---

(١) المعنى: وإذا مدحتُ بني ذبيان إخوتنا؛ فقد أظهَرتُ بمدحي شمساً ساطعة بُرهانها لا يخفى في العيون، وقد أراد بذلك تجنُّبَ اللوم من قومِهِ بني رواحة، فيما يؤكِّدُ لهم أنهم أبناء عمومة (كما أشار في بيت سابق)، بل أخوة كما أكّدَ في هذا البيت الدّاعي لصفاء القلوب والتغاضي عن الأحقاد.

(٢) يا ليوث: يا أسُود || بَغيض: قصد به جدُّ قبيلتي بني رواحة وبني جابر بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضر، واختار بغيض لأنه أقرب جدود القبيلتين نَسَباً قبل افتراقِ نسبهما في عبس وذبيان [وأخطأ بعض الشرّاح في تفسير بغيض بـ«الكريه»، فالشاعر قصد جدَّ القبيلتين بغيضاً] || دَرَّ دَرُّكُم: أصلُ الدَّر إدرار الناقة للحليب؛ والقصد: كَثُرَ وزادَ خيرُكُم في بعضكُم || إرهان: وإرْهانُ الشيء: إثباتُه وإدامتُه، وقصد به التسابق إلى الخير وإدامته والثبوت عليه. [أخطأ بعض الشرّاح في تأويلها بالمُراهنة والرّهان، لأنها لا تصحُّ لغةً، لا سيما أن الشاعر تطرّق لذات المعنى: أي الرّهان، في البيت التالي]. المعنى: ويا أيها الأسود المُنتمون جميعكم إلى جدكم بغيض؛ أكثروا الخير بينكم، وتسابقوا إلى الخير شرط الثبات عليه وإدامته. ملحوظة: نلاحظ اختياره المُوفق لاسم جد القبيلتين بَغيض بدلالاته الدالة على التباغض، وكان بإمكانه العودة إلى جده غطفان لكنّهُ أراد مُفارقة دعوته للصلح بين القبيلتين في بيت يُذكّرُهُما فيه بجدِّهما بغيض!

(٣) داحس والغبراء: هي الحرب المعروفة التي دامت أربعين عاماً بين عبس وذبيان بسبب رهان على فرسين، ينهزم فريق وينتصر آخر، حتى أصلح بينهما هرم بن سنان والحارث بن عوف بعد أن تحمَّلا دِيَاتِ القتلى. وهي الحرب التي قال عنها زهير بن أبي سلمى في مُعلقته: «تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا|| تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ». المعنى: فيا فرسان داحس والغبراء [بني جابر وبني رواحة] كفاكُم شقاقاً وفتنة، وتوقفوا عن الرِّهان القديم، وحسبُكُم منه اليوم الجهاد؛ لأنّهُ ميدانٌ يتسعُ لنصرة دينكم وإمامكم الذي وحَّدَ البلاد والعباد.

(٤) الأضغان والضغائن: العداوات والأحقاد. المعنى: لقد حان الوقت لتركوا أحقادكم وتتناسوها مَذْرُوَّةً في الرِّياح، كي يُصفّي أرواحَكُم الإيمانُ إنْ أخلصتُم له، ومن كان الإيمان خالِصته صَفيت نفسُهُ من أدران الحقد والعداوة.

(٥) ألفتكم: تقاربكم وتراحمكم || فُرْقان: الفُرْقانُ القرآن. وكل ما فُرِقَ به بينَ الحق والباطل، فهو فُرْقان، ولهذا قال الله تعالى: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان. المعنى: إن الحظوظ المُؤمَّلة لرفعة الدِّين والبلاد بتآلفكم؛ هيَ في حُكْم الدِّين، بل في مُحكَم التنزيلِ فرقٌ واضح وبَيِّنٌ بين الحقِّ=

وَمَا شِفَاءُ حَزَازَاتِ الصُّدُورِ سِوَى ... أَنْ يَسْتَبِدَّ بِطِبُّ القَلْبِ إيمَانُ[1]

وَأينَ «إزْكِي» وَطِيسُ الحَرْبِ؟ ما فَعَلَتْ ... فَإنَّ عُمْدَةَ هَذا الأَمْرِ «جَرْنَانُ»[2]

=والباطِل. ملحوظة: رغم أن الشاعر قصد بمُفردة الفرقان التمييز بين الحق والباطل في دعوته لتعاضد وألفة القبيلتين كما هو واضح من السِّياق؛ إلّا أنّ أبا مُسلم لا يتركُ ظِلالَ المَعنى وطبقاتِهِ غير المَنظورةِ على عَواهِنِها، فكأنما أراد أن يقول لكلا القبيلتين: إنَّ تآلفكُم قرآن في حدِّ ذاته، وهي مُبالغة وإدخال للمعنى في المعنى؛ فالقرآنُ كتابُ هِدايَةٍ للناس. صحيح أنهُ أبرز المعنى الأول: أي؛ التفريق بين الحق والباطل ليضيف بعد مُفردة الدِّين جملة: «في مُحكم التنزيلِ» تفريقاً مِنهُ لمدلول الكلمة، لكنهُ في حَدسِنا أظهَرَ معنى وأبطَنَ الآخرَ توريَةً في ترادُفِ كُلٍّ مِنْ «مُحكَمِ التنزيل» و«الفرقان»، وهو ترادُفٌ يُظهِرُ عكسَ ما ذهبنا إليهِ في تأويلنا، لكنَّهُ يُبطِنُ ما ذهبنا إليهِ في تُقىً وتقيّة.

(١) حزازات الصُّدور: الحَزازَة وجع في القلب من غيظ ونحوه، جاء في الحديث: «الإثمُ حَزّازُ القلوب». المعنى: ولا شفاء لحزازات القلوب وتآكُلها من شدَّة الغيظ إلّا باستبداد الإيمانِ طَبيباً ومُعالجاً نفسياً يشفيها لتبرأ من عِللها. استطراد: نلاحظ، هنا، انتباهة الشاعِر المُبكِّرة في تعبيره اللافتِ تركيباً: «طِبّ القلب» تعبيراً عمّا صِرنا نعرفه اليوم بالعلاج النفسي بشتى فروعه، ومن ضِمنها «تقنيات تدبُّر الغضب» Anger Management Techniques والقرابة بين التعبيرين مُدهشة ولافِتة، بدورها، في اصطلاحه المُبتكر: «طبّ القلب» وشفائه من الغيظ. وبطبيعة الحال لا تخفى ظِلال الإحالة المرجعية إلى [التطبُّب بالقرآن] إيماناً به وبتأثيره الإيمانيِّ والأيقونيِّ الخارق، لكنَّ المُفارق، أيضاً، هو استخدامه لمُفردة «الاستبداد» في قوله: «أن يَستبدَّ بطبِّ القلبِ إيمان»؛ للدلالة على أنَّ تخليص القلوب من حزازاتها وضغائنها ليس سهلاً، بل يتطلَّبُ استبداد الإيمان الخالصِ، ليس بالقلب وحدَه فحسب، بل بطبّه وطبابته.

(٢) إزكي: قصد بلدة إزكي الواقعة بين نزوى وسمائل، وقد أشار إلى اسمها القديم جرنان، السابق شرحه || وطيس الحَرب: الوَطِيس المَعركة لأن الخيل تَطِسُها بحوافرها || عُمدة الأمر: عميده؛ يقال وفلان عُمْدَةُ قومه إذا كانوا يعتمدونه فيما يَحزُبُهم، لكنه قصد إزكي بظلال اسمها الجاهليِّ جرنان، لشدة الحروب التي وقعت فيها بين كثير من القبائل العُمانيّة حقّاً وباطلًا مُظلَّلا بالحق، كالدراكمة وبني توبة وبني رواحة والعزور والعوامر؛ لأنها كانت بحُكم موقعها المتوسط من الجوف على سفح الجبل الأخضر ساحة ناشبَت جُغرافيّاً اكفهرار الضغائن والمُشاحنات القبلية. المعنى: وأين إزكي؟.. وساحتها وطيس حروب مشهودة. ما شأنها؟ وما الذي فعلته بشأن التحلُّق حول إمام المُسلمين؛ فهي جرنان عُمدة الأمر منذ القدَم. ملحوظة: نلاحظ في السياق التركيبي للقصيدة أنَّ الشاعر يتعمد في ندائه الإستنهاضي المزج بين القبائل بأسمائها الحالية والموغلة في القدم، وحين يستدعي الأمر يذكر زعيم قبيلة باسمه حَثاً منه لنصرة الإمام، إلى جانب ابتدائه في بعض أبياته الإستنهاضية بأسماء مُدُنٍ بعينها مثل سمائل وإزكي لينطلق من مُسمَّى البَلدة الراسخ في الذاكرة نحو مقصده بتعداد مناقب قبائلها وزعمائهم.

وَأَيْنَ «حِمْيَرُ» أَهْلُ العِزِّ ما اعْتَتَبُوا — عَنْ وَعْرِ عِزَّتِهِم يَوماً وَلا هَانُوا[1]

صِيدٌ صَنَادِيدُ أَقْيَالٌ عَبَاهِلَةٌ — أُسْدٌ كَوَاسِرُ فِي الهَيْجَاءِ حُرْدانُ[2]

جَاءَتْ «رِيَامُ» بِمَا أَعْلَتْهُ حِمْيَرُ مِنْ — مَجْدٍ، وَقَامَ عَلَى البُنْيَانِ بُنْيَانُ[3]

---

(١) حِمْيَر: ملفوظ جامع للنباهنة وبني ريام المُتفرِّعين من القبيلة التي ملكت اليمن في الجاهلية، وجميعهم يقطنون الجبل الأخضر وبركة الموز وإزكي ونزوى ومستل وتنوف || ما اعتتبوا: ما رجعوا، وأَصلُ العَتَبِ: الشدَّة؛ وحُمِلَ على عَتَبٍ من الشَّرِّ، وفي التنزيل العزيز: وإن يُسْتَعْتِبوا فما هم من المُعْتِبِين؛ معناه: إن أَقالَهُم اللّهُ تعالى، وردَّهم إلى الدنيا لم يُعْتِبُوا؛ أي: لم يَعْمَلُوا بطاعةِ اللّهِ لِما سَبَقَ لهم في عِلْمِ اللّهِ من الشَّقاءِ || وَعْر عِزَّتهم: الوَعر؛ ضدُّ السَّهلِ المُنبسط من الأرض، والوُعورة معروفة، لكنه جمع وُعُورة العِزَّةِ إلى وعُورَة السُّكْنى || هانوا: من المهانة؛ وهي الخزي والتحقير. المعنى: وأين أهل العِزّ من القبائل المُنتسبة إلى حِمْيَر الأوَّل؟.. أينهم من بني ريام حتى النباهنة؛ فالحاجة ماسَّة إليهم؛ هم الذين ما تنازلوا يوماً عن وُعورة عِزِّهم ولا هانهم مُهين.

(٢) صِيد: جمع أَصْيَد؛ وهو المَلِك، والذي يرفع رأسه كِبْراً || صَناديد: هم ساداتُ القوم، وهم الأجواد والحُلَماء وحُماة العسكر || أقيال: حَصْراً وتخصيصاً؛ المَلكُ من مُلوكِ حِمْيَرَ || عباهِلَة: العَبَاهِلة هم الذين أُقِرُّوا على مُلْكِهِم لا يُزَالون عنه || أسْدٌ كواسر: أُسْدٌ جمع أَسَد، والكواسر جمع كاسر؛ وهو العُقاب، وكَسَرَ الطائرُ يَكْسِرُ كَسْراً وكُسُوراً: ضمَّ جناحيه حتى يَنْقَضَّ يريد الوقوعَ، فإذا ذكرت الجناحين قلت: كَسَرَ جناحيه كَسْراً، وهو إذا ضَمَّ منهما شيئاً فهو يريد الانقضاض، وبنو كِسْرٍ: بطنٌ من تَغْلِب.

وكِسْرى وكَسْرى، جميعاً بفتح الكاف وكسرها: اسم مَلِكِ الفُرْس ـ مُعرَّب ـ هو بالفارسية خُسْرَوْ أي واسع الملك فَعَرَّبَتْه العربُ فقالت: كِسْرى؛ وورد ذلك في الحديث كثيراً، والجمع أَكاسِرَةٌ وكَساسِرَة، ويبدو أنَّ الشاعر مزج صفة العُقبان الكواسر على الأسود لينتهي إلى ظِلالِ المُلكِ في الفارسيَّة || الهيجاء: الحَرب || حُرْدان: مهتاجون غاضبون. أما المعنى: فلن يستعصي على القارئ الظفر به بعد قراءة مُفردات البيت ومعانيها؛ شرط إعادة تركيبها تتابُعاً لتكوين صُورة ذهنيَّة قادرة على اشتقاق المعنى المطلوب إثباته.

(٣) ريام: قبيلة قحطانية ، يتصل نسبها إلى ريام بن قمر بن الأمراء بن الحارث بن عبد المدان بن حمير= =بن رعين بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن شداد بن الهاد بن حمير بن الأصغر بن سبأ بن كعب بن حمير بن الأكبر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمُفرد: الرِّيامي || حِمير: قصد بهم ملوك النباهنة المتقدمين؛ وهم محمد وأحمد ابنا عمر بن نبهان، وأبو محمد نبهان بن ذهل بن عمر، وأبو المعالي كهلان بن نبهان بن محمد بن عمر بن نبهان، ومن جاء بعدهم من الملوك في الدولة الثانية، التي سيرد ذكرها في الأبيات اللاحقة. المعنى: وها قد جاءت قبيلة ريام بسابق المَجد الشامِخ الذي رفعته حِمْيَر، ليقوم على شامخ البُنيان بنيان يَعضدُهُ ويَعتضِدُ به.

وَأَيْـنَ جِـمْـيَـرُهَـا الـثَّـانِـي وَأُسْـرَتُـهُ ذَوُوُ المَعَالِي مُلُوكُ النَّاسِ «نَبْهَانُ»[1]

أَبْـقَـى لَهُ الـسُّـؤْدَدَ الأَعْـلَى كَـوَاهِـلُهُ «مُـظَـفَّـرٌ» وَ«سُـلَيْـمَـانٌ» وَ«كَـهْـلانُ»[2]

«هُودٌ»، «عَرَارٌ»، «فَلاحٌ»، «مُحْسِنٌ» مَلَكُوا فَـنَبَّـهُـوا الـمُـلْـكَ حِـيناً وَهْـوَ نَـعْـسَـانُ[3]

وَكَـانَ مِـنْ فَـرْعِـهِـم مُـلْكُ الـيَـعَـارِبَـةِ الـ ـصِّـيدِ الكِرامِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الشَّـانُ[4]

---

(١) جِمْيَرها الثاني: قصد به [في اعتقادنا] الشيخ حِمْيَر بن ناصر النبهاني، والد الشيخ سليمان بن حِمْيَر، ناهيك عن إضمامةِ مُلوكهم المُتأخرين: سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان؛ وقد ملك نزوى في أيام الإمام بركات سنة ٩٤٦ هـ، وتوفي سنة ٩٧٣ هـ، تاركاً ثلاثة أولاد هُم: طهماس بن سلطان، سلطان بن سلطان والمُظفر بن سلطان. المعنى: وأين جِمْيَرُهَا الثاني [الشيخ حمير بن ناصر النبهاني]، وأسرته؟ فملوك الناس هم النباهنة. تلميح: في البيت حث للشيخ حمير كي يُبايع الإمام وينصره، وألّا ينقلب عليه مُستخدماً تقنية تذكيره بأن النباهنة في حقيقة الأمر هم ملوك الناس؛ وعليهم، ديمومة لتلك الصفة، مُناصرة الإمام المُبايع، وهذا ما يؤكده الشيبة أبو بشير في «نهضة الأعيان»، حين أخذ الشيخ نور الدين المواثيق والعهود بعدم نكث البيعة من الشيخ حمير بن ناصر، خوفاً من تنصُّله من الأمر برُمّته.

(٢) السؤدد: السيادة || كواهله: جمع كاهل وهو من يُعتمد عليه في الملمات || مُظفَّر وسُليمان وكهلان: المُظفر بن سلطان، والأخير هو المتقدم على أخوته ليقوم بالملك فلاح بن محسن بن سليمان بن نبهان، وقد كان ملكاً على مقنيات، وحين علم بموت أخيه مظفر جاء إلى بهلا ودام في المُلك سبع سنين وعدل في ملكه حتى مات سنة ٩٩٦ هـ، واشتهر بالسماحة والسياسة. وسليمان بن المظفر بن سلطان، وقد ملك وهو في الثانية عشرة من عمره، أما كهلان، فقصد به كهلان بن حمير بن حافظ، وهو من أبناء عم فلاح بن محسن والمظفر بن سلطان. المعنى: فمن أبقى له السيادة من سبقوه في المُلك: مظفر وسليمان وكهلان!

(٣) هود، عرار، محسن: من ملوك النباهنة المتأخرين. المعنى: بعد ذكره لأهم ملوك وشعراء النباهنة يختتم هذا البيت بأيقونة لافتة: فنبَّهوا المُلكَ حيناً ـ وليس دائماً ـ وهو نعسان، لشدَّةِ أمنه واطمئنانه، ولكثرة ما طالت عُهوده وحقبه تتالياً في مُلوكهم واحداً بعد الآخر، وبطبيعة الحال فإن الشاعر ذكر أئمّة النبّاهنة الصالحين، فقد غلب على مُلكهم الجبر والطاغوت.

(٤) اليعاربة: قبيلة عُمانية أساسية، تفرّعوا من النَّباهنة وأسّسوا دولة اليعاربة على أنقاض دولة النباهنة. قاموا بتوحيد عُمان وطردوا المُحتلَّ البرتغالي، وأهم أئمّتها ناصر بن مرشد اليعربي (١٦٢٤م - ١٦٤٩م) الذي وحّد البلاد قاطبة وطرد المُحتل البرتغالي. المعنى: يبتدئ الشاعر، في هذا البيت، بالانسلاخ من مديحه لدولة النباهنة ليلقي الضوء التاريخي على دولة اليعاربة، قائلًا: وكان من فرع النباهنة مُلك اليعاربة، وقصد به دولتهم التي صارعت قوى الإمبراطورية البرتغالية وهاجمتها في مَعاقلها وانتصرت عليها في عُمان ولاحقاً في الساحل الشرقي لافريقيا، والساحل الغربي للهند.

سَلْ سَيْفَ «يَعْرُبَ» عَنْ أَخْبَارِ سِيرَتِهِم فَـمَـنْـطِـقُ الـسَّـيـفِ إعْـرَابٌ وَأَلْـحَـانُ[1]

وَيَـا «بَـنِـي غَـافِـرٍ» عَـلْـيَـا قُـرَيْـشَ لَـكُـم أصْـلٌ وَأَنْـتُـم لِذاكَ الأصْـلِ أغْـصَـانُ[2]

---

(1) إعراب: الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة؛ يُقال: أعرب عنه لسانه وعرب أي أبان وأفصح || ألحان: اللَّحْن: من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه ألْحانٌ ولُحون. ولَحَّنَ في قراءته إذا غرّد وطرَّبَ فيها بألْحان، وفي الحديث: اقرؤُوا القرآن بلُحون العرب. وهو ألْحَنُ الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء. إيضاح: قصد في هذا البيت الإشارة إلى الأمجاد والفتوحات التاريخية التي قام بها سلطان بن سيف اليعربي (١٦٤٩م ـ ١٦٨٨م) الذي انتخب يوم وفاة الإمام ناصر بن مرشد، وهو أحد قواده العسكريين وشارك في المرحلة الأولى من بناء الدولة اليعربية. وقد أشارت إلى فترة إمامته المؤرخة الفرنسية لو كُور غراند ميزون Le Cour Grandmaison في مُؤلفها «تقديمٌ لسلطنة عُمان» Présentation du Sultanat d'Oman قائلة في وصف عهد سلطان بن سيف اليعربي: *«إنَّ سلطان بن سيف الأول، الذي خلف ابن عمّه ناصراً هو الذي يعود إليه مجد إعادة الفتح، وقد بذل الاستراتيجي الفذ هذا نشاطاً كثيفاً على امتداد البلاد التي كانت تعيش حالة سَأَم مؤقت، كما زوَّد البلاد ببحريّة قوية كانت كفيلة بتأمين انتصاره على البرتغاليين»*. والحقيقة أن سلطان بن سيف؛ وفي أقل من سنة من بداية عهده، حقَّق الانتصار وحَرَّرَ عُمان وأنهى بناء الدولة العُمانية. وبفضل هذه المرحلة، استعادت عُمان موقعها كأقوى دولة بحرية في المحيط الهندي، باسطة سلطتها ونفوذها من الخليج إلى شرق إفريقيا. المعنى: واسأل سيف سلطان اليعربي عن أخبار تلك السِّيَرة، قطعاً لشكّك بيقينه الصَّارم، فمَنطق السَّيف واضحٌ جليٌّ في فِعالِه، وصليلهُ مُطرِبٌ مُشنِّفٌ للأسماعِ، وهو يستعيد المُلك ويؤمِّنُ حُدود الدَّولة ويُصَفِّي البرتغاليين من معاقلهم في الهند وإفريقيا.

(2) بنو غافر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى غافر، ثم إلى سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (وهو قريش) ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الغافري. وهم يقطنون وادي بني غافر في نواحي الرستاق، وفي صنعاء بني غافر في ولاية السّويق، وبلدتي الدريز والعينين التابعتين لولاية عبري. ومن علمائهم الشيخ خلف بن سنان بن خلفان بن عثيم الغافري؛ وهو عالم فقيه وشاعر، من أهل الكشف من أعيان عُمان، تخرج في مدرسة جبرين. ولد في بلدة المعمور من أعمال نزوى، واستوطن أماكن كثيرة، وبلغ مبلغا عظيماً في الفقه= =والعلوم الشرعية، وقد امتلك مكتبة كبيرة. له شعر جيد يدل على غزارة علمه في اللغة والأدب، وأكثر أشعاره في النصائح والحكم والمواعظ والفتوحات والمدائح لأئمة المسلمين، وكان من العلماء الذين عقدوا البيعة للإمام سلطان بن سيف بن سلطان سنة ١١٢٣هـ (١٧١١م) وتوفي عن أكثر من تسعين سنة. وقد تفرس في الإمام أحمد بن سعيد لما كان صَبياً، وقال له: ارفقْ بالرعية. له ديوان مطبوع وكتاب اسمه: «عالم الكشف». المعنى: ويا بني غافر المُنتسبين إلى قريش، لكُم عُلوّ أصلٍ يُفاخرُ به بين القبائل، وأنتم أغصانُ تلك المَفخَرة.

قُـومُـوا إلـى اللهِ وَاعْـتَـدُّوا لِنُـصْـرَتِـهِ فَـمَـوْعِـدُ اللهِ جَـنَّـاتٌ وَغُـفْـرَانُ[١]

وَأَيْـنَ أَطْـوَادُهَـا الـعُـلْـيَـا «بَـنُـو حَـكَـمٍ» أَيْنَ «الذُّهُولُ» سُرَاةُ المَجْدِ «شَيْبَانُ»[٢]

وَأَيْـنَ رَهْـطُ «بَـنِـي سَـمْـحٍ» فَـوَارِسُـهَـا «بَنُو شُكَيلٍ» وَأَيْنَ الأُسْدُ «كَلْبَانُ»[٣]

وَأَيْـنَ قُـوَّامُ أَمْـرِ الـنَّـاسِ قَـادَتُـهُـم «بَنُو خَرُوصٍ» حُمَاةُ الدِّينِ مُذْ كَانُوا[٤]

---

(١) المعنى: يُهيبُ، في هذا البيت، ببني غافر للقيام إلى الله نُصرةً لدينهم المُتبلوِر في نُصرة الإمام؛ مُذكِّراً إياهُم أنهم لنْ يَندَموا على فعلهم الحميد ـ لو انتصروا للإمام ـ وسيحصدون نتائجَ انضمامهم لحِلْف المُبايعة جناتٍ وغفراناً لما سبق من الذنوب والخطايا.

(٢) أطوادها: جبالها || بنو حَكَم: قصد بهم قبيلة العَبْريِّين: وهم قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى عبرة بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر الأزدي. والمفرد: العَبْري. يقطنون في الحمرا ومسفاة العَبريِّين على سفوح الجبل الأخضر، وأيضاً في العَراقي بولاية عبري || الذّهول: وهم قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى ذهل بن شيبان بن بكر بن وائل، وباقي نسبهم يتصاعد إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الذهلي. وهم فرع من بني شيبان، وأراد أن يعم نداؤه الذهول وبني شيبان. وهم يتوزعون في مناطق مختلفة من عُمان بين عبري وأدم ونزوى والرستاق والعوابي. المعنى: وأين جبالُها العالية بنو حَكم؛ أي العبريون، واختصهم بعلو الجبال، كِنايَةً عن عُلوِّ مكانتهم، وإفصاحاً عن مَراقي سُكناهُم في مسفاة العبريين؛ البلدة المُعلقة على سفوح الجبل الأخضر، ليستكمل في الشطر الثاني مديحه المُستحث لنصرة الذهول وسُراة المجد من بني شيبان.

(٣) رهط: الرَّهْطِ، هُم عَشِيرة الرجل وأهلُه، وقيل: الرهطُ من الرجال ما دون العشرة، وقيل: إلى الأربعين ولا يكون فيهم امرأة، ورَهْطُ الرجلِ: قومُه وقبيلته || بني سَمْح: إشارة إلى قبيلة بني سَمْح التي ينتمي إليها بنو شكيل: وهي قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الشّكيلي. ويقطنون بلدتي بسيا وسيت من أعمال ولاية بهلا || بنو كَلْبان: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى كُليب بن ربيعة، المعروف بكُليب وائل الذي يُضرب به المثل في العز والمنعة، فيُقال: «أعز من كُليب وائل»، ليستمر تصاعد نسبهم إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الكلباني. ويقطنون في ولاية عبري بالمنطقة الظاهرة من عُمان. المعنى: وأين العشائر المُنتمية إلى بني سمح؛ تلك القبيلة العريقة التي من فوارسها الشجعان بنو شكيل. أينهم؟ وأين الآسادُ الشجعان بنو كلبان؟

(٤) بنو خروص: من قبائل «اليَحْمَد» الشهيرة، وهي قبيلة أزدية قحطانية يتصل نسبها إلى خروص بن شاري بن اليَحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زاهر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن=

وَأيـنَ عَـنْـهَـا لُيُـوثُ الـغَـابِ مِـرَّتُـهَـا «بَـنُـو هَـنَـاءَةَ» مَـا دِيـنُـوا وَكَـمْ دَانُـوا[١]

أيْنَ «اليَعَاقِيبُ» أرْضُ السِّرِّ مُلْكُهُـم وَمَـنْ مَـفَـاخِـرُهُـم لِلفَـخْـرِ أرْكَـانُ[٢]

وَأيـنَ أهْـلُ الـغِـنَـى فِـي كُـلِّ مُـعْـضِـلَـةٍ «بَـنُـو عَـلِـيِّ بْـنِ سَـوْدٍ» أيْـنَ «حِـدَّانُ»[٣]

وأيْـنَ يَـا «آلَ سَـعْـدٍ» عَـزْمُ نَـجْـدَتِـكُـم وَأنْـتُـمُ لِرَسُـولِ اللهِ أخْـضَـانُ[٤]

=قحطان بن النبي هود. والمُفرد: الخروصي. يقطنون في وادي بني خروص، وبعضهم في ولايتي السّويق ونزوى، وبين أفرادها من اشتهر بالتديُّن والورع والتقوى، وقد بُويعَ من أفراد هذه القبيلة ٢٧ إماماً كان آخرهم سالم بن راشد المَمدوح في هذه القصيدة. المعنى: وأين القائمون بأمر الناس وقادتهم إلى بَراح العَدل والعدالة، حُماة دين الله الحافظون على عهودهم. تلميح: نلاحظ تخصيصه في مدحته لبني خروص بمزيّة تفرّدوا بها؛ وهي «قُوّام الأمر» و«حُماة الدِّين»، وذلك لأنها قبيلة أنجبت، على مَرّ التاريخ، أئمة عُلماء أفاضِل قاموا بالعدل في عهودهم.

(١) ليوث الغاب: أسُودُ الغابة || مِرّتُها: المِرّةُ: قُوّةُ الخَلْقِ وشِدّتُهُ || بنو هَناءة: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى هناة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. والمُفرد: الهنائي. يقطنون الغافات ووادي العين ووادي قريات، ومنهم زعماء اشتهروا بالبسالة والفضل، وقد ساهم زعماؤهم أولاد هلال بمساندتهم للشيخ نور الدين السالمي في ترسيخ إمامة سالم بن راشد الخروصي. المعنى: وأين عن هذه الإمامة ليوثها الذين لم يُدِنْهُم أحد، وكم دانوا لسِواهُم من الناس.

(٢) اليعاقيب: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمُفرد: اليعقوبي. سكْناهم في بلدة الدّريز من ولاية عبري، المعروفة باسمها التاريخيّ الفتّان: «أرض السّر». المعنى: وأين مُناصِروا هذه الإمامة من اليعاقيب الذين مَلَكوا مهابة أرض السّر، فمَفاخرهُم أركان وأعمدة للفخر.

(٣) بنو علي بن سَوْد: قصد بهم قبيلة البداة، وهي قبيلة أزدية يتصل نسبها إلى بادي بن ابي الحواري بن لقيط بن ضحيّان بن حدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الازد. والمُفرد: البادي. [ربما كان في البيت إشارة إلى عبد الملك بن حميد من بني علي بن سودة، وهو من أئمّة القرن الثالث الهجري، لكننا لا نجزم بذلك]. وقبيلة البادي تقطن ولاية يَنْقلْ. جدير بالذكر أن قبيلة البداة تحالفت مع بني علي بن سَوْد، وهو ما يُشير إليه أبو مُسلم حول حلف البداة وحَدّان. المعنى: وأين أهل الغِنى من بني علي بن سَوْد وحدّان اللذين تُحَلُّ بأمثالهم مَعاضِلُ الزمان.

(٤) آل سعد: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: السّعدي. يقطنون ولايتي السويق=

هَلُمَّ يَا «ابْنَ هِلالٍ» قُمْ بِنُصْرَتِهَا ... فَالمُسْلِمُونَ بِهَذا الدِّينِ بُنْيَانُ[1]

وَأَيْنَ مِنْ «آلِ بَدْرٍ» سَادَةٌ نُجُدٌ ... مُبَادِرُونَ إلى الخَيْرَاتِ سُرْعَانُ[2]

أيْنَ «الحَوَاسِنَةُ» النُّجُبُ الكِرَامُ فَمَا ... عَهْدِي لَهُمْ فِي كِفَاحِ الحَرْبِ أقْرَانُ[3]

وَأيْنَ عَنْهَا عَوَادِيهَا «بَنُو عُمَرٍ» ... فَإنَّ جَانِبَهُم بِالفَخْرِ عُمْرَانُ[4]

وَأيْنَ «ضَنْكُ» وَأقْيَالُ «النُّعَيمِ» بِهَا ... أيْنَ «الصُّلُوفُ» وَطَوْدُ الفَضْلِ «سُلْطَانُ»[5]

=والمصنعة، وقد قامت على كواهلهم إمامة عزان بن قيس، وهم من سعد العشيرة، سعد بكر الذين تولت منهم حليمة السعدية مرضعة النبي محمد، ومن عُلمائهم الشيخ جميل بن خميس السعدي صاحب مُصنَّف «قاموس الشريعة»، والعلامة الشيخ محمد بن سليِّم الغاربي، أحد أركان دولة الإمام عزان بن قيس بن عزان. المعنى: وأين يا آل سعد عزوم نجدتكم المشهودة سابقاً في إمامة عزان؟.. أين أنتم من مُناصرة هذه الدولة الفتيّة، لا سيما أنكم حضنتم الرسولَ وأرضعتموه.

(١) ابن هلال: قصد به زعيم آل سعد الشيخ حمد بن هلال السعدي الذي كانت له سطوة ومَهَابة، آنذاك، لدرجة أنه أسَّسَ ما يُشبه الإمارة الصغيرة في التَّويق ونواحيها. المعنى: في هذا البيت يدعو زعيم آل سعد الشيخ حمد بن هلال لنصرة دولة الإمامة، لأنَّ المسلمين بُنيانٌ مُتعاضد بعضه إلى بعض بهذا الدِّين المُتجِلِّ نسغه في ولاء كافة القبائل للإمام.

(٢) سادةٌ نُجُد: سادة شجعان || آل بدر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: البدري. يقطنون ولاية بركا بمنطقة الباطنة السَّاحِليّة. المعنى: وأين سادة آل بدر الشجعان المبادرون إلى الخيرات يُسرعون إليها ولا يُثبِّطُهم مُثبِّط.

(٣) النُّجب: جمع نجيب؛ وهو الرجل الكريم الحَسيب || أقران: أنداد ونُظراء. الحواسنة: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى حوسن واسمه الأسود بن سدوس بن أصمع بن عبيد بن نصر بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمُفرد: الحوسني. ويقطنون في ولاية الخابورة ووادي الحواسنة. المعنى: وأين الحواسنة الكرماء؟ فما عهدته أنهم في كفاح الحرب أنداد ونُظراء.

(٤) بنو عُمَر: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى معمر بن زبيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمُفرد: المعمري. يقطنون ولايات صَحَم وصُحار وشناص ولِوى. المعنى: وأين عن إمامة الحقِّ، هذه، بنو عمر، فقد عهدناه ما عهدناه منهم لأنَّ جانبهم ملآن بالفخر والفخار؛ فهل تنازلوا عن تلك المَزيّة؟

(٥) ضَنْك: إحدى ولايات منطقة الظاهرة || أقيال: مُلوك || النُّعَيْم: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها=

وَأيْنَ «كَعْبٌ» وَأيْنَ الحَيُّ مِنْ «قَتَبٍ»   أيْنَ «الظَّوَاهِرُ» وَالفُرْسَانُ «كَهْلانُ»[1]

وَمَا رَجَاءُ «بَنِي يَاسٍ» عَلَى خَطَأٍ   فَإنَّمَا القَوْمُ أعْوَانٌ وَإخْوَانُ[2]

=إلى نعيم بن عمران بن عمرو بن عامر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. والمُفرد: النعيمي. يقطنون ولايتي البريمي وضنك || الصّلوف: فخذ من قبيلة النعيم، يتسلسل من قبيلة الخواطر: وهي إحدى قبائل عُمان والإمارات، يتصل نسبها بنسب قبيلة النعيم ويتوزعون بين عُمان والإمارات || طود: جبل || سُلطان: يُشير الشاعر في هذا البيت إلى الشيخ سلطان بن علي النعيمي، حاكم منطقة البريمي، آنذاك. **المعنى**: وأين ضنك وملوك آل النّعيم حُكّامُها؟.. أين الصُّلوف عن مناصرة هذه الإمامةِ؟ وأين جبل الفضل والعُلا الشيخ سلطان بن علي النعيمي من مُناصرة هذا الأمر؟

(١) كعب: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الكعبي. يقطنون في ولايتي محضة والبريمي || قتب: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى قتبان بن دمان بن الأملوك بن ردمان بن مالك بن عمرو بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمُفرد: القتبي. يقطنون في ولاية عبري وما جاورها || الظواهِر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الظاهري. يقطنون في ولاية البريمي، وفي مناطق شتى من دولة الإمارات ويلتقون نسباً مع بني ياس القبيلة التي يتحدَّرُ منها حُكام دولة الإمارات حالياً. **المعنى**: وأين عنها بنو كعب وبنو قتب والظواهر، وفرسانهم المُنتمون إلى كهلان؟

(٢) رجاء: الرَّجَاء من الأمَلِ؛ وهو نَقِيضُ اليَأسِ، وقصد به الأمَل في المُناصَرَة المأمولة من أقاصي ساحِل عُمان حيث كانت تُعرَف، آنذاك، بمُسماها التاريخي: «إمارات ساحل عُمان»، قبلَ مُسمَّاها الحديث: «دولة الإمارات العربية المُتحدة» || بني ياس: قبيلة عدنانية ، يتصل نسبها إلى ياس بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الياسي. وهُم سكّان إمارات ساحل عُمان المُتصالح، زمن كتابة القصيدة [دولة الإمارات العربية المُتحدة، حاليّاً]. ووفقاً لما اتفق عليه المؤرخون وعلماء الأنساب، أنَّ حُكّام دولة الإمارات [آل نهيّان، وآل مكتوم] ترجع أصولهم إلى «آل بوفلاسة»؛ وجميعهم يتحدَّرون من قبيلة «بني ياس»، وقد أجمع المؤرخون على ذلك؛ فـ«آل مكتوم»، حُكّام دُبي ترجع أصولهم إلى «آل بوفلاسة» أحد أبرز الفروع في قبيلة «بني ياس» مثلهم في ذلك مثل «آل بوفلاح» التي ينحدر منها «آل نهيان» حكام إمارة «أبوظبي»، مما يعني أن آل مكتوم وآل نهيان أبناء عمومة ينتمون إلى قبيلة بني ياس التي تنسب في أصلها إلى «ياس بن عامر»، الذي ترجع نسبته إلى قبائل نزار بن معد بن عدنان، وفقاً لما ذكره المؤرِّخ والنسَّابة العُماني «سالم بن حمود السيابي» في كتابه «إسعاف الأعيان في أنساب عمان». وقد أكد السيابي في كتابه أن قبيلة «بني ياس» التي يتحدَّر=

=منها حكام «أبوظبي» ودبي تعد من أشهر القبائل على ساحل خليج عُمان. وفيما يتعلق بنسب القبيلة إلى جدهم الأعلى فقد اختلف المؤرخون وعلماء الأنساب حول انتماء القبيلة: هل هي من العدنانيِّين أم القحطانيِّين؟ إلا أن أغلب النسّابة أجمعوا على أن بني ياس وبالتالي «آل نهيان، وآل مكتوم» هم من العدنانيين وليسوا من القحطانيين، وفقًا لما ذكره «عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري الطائي»، أحد أبرز المؤرخين السُّعوديين، الذي أورد في كتابه (المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب): «وبنو إياس بطن من حبشية من خزاعة، ويقال: إن بني إياس أهل عُمان مِمَّن ينتسبون لإياس بن قبيصة الطائي». ورغم ذلك الاختلاف حول نسب «بني ياس» والانتهاء بالقول إلى إنهم من العدنايين، إلا أن هذا الاختلاف غير جوهري باعتبار أن العرب ينتهون إلى سيدنا إسماعيل ـ عليه السلام. وثمة نقطة جوهرية أخرى حاول علماء الأنساب حسمها، وتتعلق بقبيلة «بني ياس»: هل هم قبيلة أم تحالف لعدد من القبائل والبطون؟ أو بمعنى آخر: هل كل القبائل التي تضمها قبيلة بني ياس تنتهي إلى جد واحد أم أنها مجرد اسم يضم عددًا من القبائل الأخرى التي ارتأت أن من مصلحتها الانضمام في حلف واحد لحفظ مصالحها والدفاع عنها؟. ورغم تلك الإشكالية، فقد أجمع المؤرخون أن أغلب فروع (بني ياس) قبائل أصلها واحد تنتسب إلى والد واحد وهو «ياس بن عامر»، ثم انضمت إليها بعض القبائل المجاورة بقصد التحالف والمناصرة كما يظهر ذلك في قبيلة «آل بو حِمْيَر» فهي فرع من قبيلة المناصير، وهي في نفس الوقت من قبائل بني ياس. وقد أرجع المؤرخون دخول هذه القبائل في حلف بني ياس إلى خوفهم من اليَعاربة في عمان ومن القواسم، وخلاصة القول: إن قبيلة بني ياس هم قطان أبوظبي والعين ودبي ثم يقلون في باقي المناطق من الساحل، وكان أبناء القبيلة في السابق إذا انتسبوا قالوا: «ياسي» فلا يقال فلاحي وفلاسي ولا مهيري إلا قليلًا نادرًا اعتزازًا بالنسب الواحد، وللقبيلة جولات وصولات في الجزيرة، وكانت مرهوبة الجانب من جميع القبائل، وكم كسرت هذه القبيلة من جيوش غازية، وكم دافعت عن أراضيها حتى نالت أعلى درجات العزة والسؤدد. والحقيقة أن هذه الإطالة في شرح نسب بني ياس، قياساً إلى القبائل العُمانيّة الأخرى، سببه منهجيٌّ مَحض؛ فالشاعر خصَّ هذه القبيلة بـ ١٢ بيتاً، دون سواها من القبائل العدنانية والقحطانية، بما في ذلك القبائل التي أوغلَ في امتداحها؛ كالنباهنة والحرث وبني هناءة وبني ريام، ناهيك عن قبيلته من بني رواحة التي امتدحتها، بطبيعة الحال نونيّته؛ لكنه انشغلَ بالمُعطى التاريخي الذي جسَّدتهُ سمائل الفيحاء انطلاقاً من أحداث ذلك العصر إلى الخلاف القبلي بين بني جابر وبني رواحة. ومن آخر كبار القوم في بني ياس الشيخ زايد بن سلطان بن زايد بن خليفه بن شخبوط بن ذياب بن عيسى بن ذياب بن نهيان بن فلاح بن هلال بن فلاح بن هلال الياسي. والحق يُقال، فإنَّ الشيخ زايد بن سلطان، كان مِثالًا للصيغة الجامعة بين نخوة شيخ القبيلة ورجل الدولة في زمن ارتهن فيه العالم العربي لشذاذ آفاق أفّاقين سَمَّوا أنفسَهُم رؤساء دُوَلٍ، أو مُلوكاً. ولا غرابة في إشارة أبي مُسلم، آنذاك، إلى شيوخ الساحل المُتصالح؛ فقد كان على رأسهم الشيخ زايد بن خليفة الأوّل، جدّ الشيخ زايد بن سلطان آل نهيّان، مُؤسِّس دولة الإمارات العربية المُتحدة؛ وقد كان شخصية قيادية تعاون مع الإمام عزان بن قيس، وفيما بعد مع السلطان فيصل بن تركي الذي فوَّضَهُ مَهمَّة الإشراف=

قَوْمٌ عَلَى صَهَوَاتِ الخَيْلِ طِفلُهُمُ ... يَرْبُو لَهُ مِنْ دَمِ الأبْطَالِ ألبَانُ[1]

مَسَاعِرُ الحَرْبِ إنْ تَنْزِلْ لَهُم نَزَلوا ... وَإنْ تُعَاضِلْهُمُ رَكْباً فَرُكْبَانُ[2]

أسْدٌ خُدُورُهُمُ سُمْرُ الرِّمَاحِ، فَإنْ ... شَبَّ الهِيَاجُ فَتِلكَ السُّمْرُ شُهْبَانُ[3]

=على منطقة الظاهرة، بما في ذلك؛ عاصمتها عبري. المعنى: وليس تأمُّلُ بني ياس في ظهور هذه الإمامة على خطأ، فالقوم أعوان وإخوان. ملحوظة: ثمة استشراف نبوئي خارق لمشيئة تقسيم الدَّولة، وتعبيره المُؤكَّد: «فإنما القوم إخوانٌ وأعوانُ»، يتمرأى لنا اليوم ويتجلَّى، كما لو كان الشاعر ينظر بعين الغيب لما ستؤول إليه الأحوال. فهم، أي بنو ياس أعوان وإخوان، ليس في تلك اللحظة الرَّاهنة، بل في المُستقبل.

(١) يربو: رَبا الشيءُ يَرْبُو رُبُوّاً ورِباءً: زاد ونما. المعنى: تفيضُ شاعرية أبي مُسلم الوقَّادة في هذا البيت البديع شاعريَّةً، ناهيك عن شنشنة صليل مَديحِهِ المؤثر حقاً، كما فاضت في قلبِهِ أنوارُ «فيوض الكشف» ليأتي بما لم يأتِ بِهِ أساطين الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ومن تبعهم في العصرين الأموي والعباسي؛ فتراهُ يَصِفُ مَساعِرَ قبيلة بني ياس (بشقَّيْها في آل نهيّان وآل مكتوم)؛ ابتداءً من وليدهم الرَّضيع وهو يَرْبُو بعد (فطامه على صَهوات الخيل المُطهَّمَة)، ليسَ على لَبَنِ أمِّهِ (أو ما سَيُعَوِّضهُ من ألبان النوق والماعز)، بل على دَمِ الابطال الذي يسري في عُروقه المُتوفِّزة حرارَةً كتحرار صهوات الخيل التي تعوَّدَ رُكوبها صغيراً. تلميح: البيتُ يُحيلُ إلى أكثر من مُستوى تأويليّ: فهو يربو ـ أي؛ يتربَّى ويترعرع ـ على صَهوات الخيل وفطامه عن حليب أمِّهِ مُكافأته بتنسيل دماء الأعداء تعويضاً لهُ عن فقده لحليب أُمِّه، وربما كان المعنى ـ في قراءة تأويليَّةٍ مُغايرَة ـ يذهبُ لأبعد من ذلك؛ بمعنى: أي ربما تربو لهُ ألبانٌ من دم الأبطال؛ بمعنى انتفاخ الدَّمِ ذاته في عُروقهم ليَرُوبَ فوَراناً في العُروق، كما يَروب اللبَنُ في الشَّعْن.

(٢) مَساعِر: جمع مِسْعَر؛ وهو ما تُحرِّكُ به النار من خشب أو حديد، ومِسْعَرُ الحرب: مُوقِدُها، وفي حديث أبي بَصِير: وَيْلُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لو كان له أصحاب؛ يصفه بالمبالغة في الحرب والنَّجْدَةِ || تُعاضلهم: تمنعهم || رَكباً: الرَّكْبُ أصحابُ الإبِلِ في السَّفَر دُونَ الدَّوابِّ؛ قال الأخفش: هو جَمْعٌ وهُم العَشَرة فما فوقَهُم || رُكْبان: الرُّكْبان أصحاب الإبِلِ، والرُّكْبانُ الجَماعة منهم. المعنى: فإن تنزل لهم مساعر الحرب نزلوا لها، وإن منعتهم وعاضلتهم ركْباً؛ فالقومُ في شجاعتهم ركْبٌ وركْبان بل ثلاثة. تلميح: فكرة البيت هي مُضاعفة الرَّكْب والرُّكْبان في الصحراء التي هيَ مجالهم الحيوي الذي لا يُباريهم فيها مُبار.

(٣) أسْدٌ خدورهم: أي سُتُرُهم الحَاجِبَة لهم؛ وخَدَرَ الأسدُ خُدُوراً: لزم خِدْرَه وأقام، وأَخْدَرَه عَرِينُه: واراه || سُمْر الرِّماح: صفة للرماح الجيدة || الهياج: القتال في الحرب. المعنى: خدورهُم سُمْرُ الرماح، وإن اشتدَّ القتال تنطلق تلك الرماح كالشهب الثاقبة.

صُعْبٌ شَكَائِمُهُم، سُحْبٌ مَكَارِمُهُم إنْ حَارَبُوا صَعُبُوا أوْ أكْرَمُوا هَانُوا[1]

لا يَقْتَنُونَ رِيَاشاً فَوْقَ سَابِغَةٍ كَأنَّهُنَّ إذا أُلْقِينَ غُدْرَانُ[2]

وَغَيْرَ صَفْحَةِ هِنْدِيٍّ مُفَلَّلَةٍ كَأنَّهَا بِنَفَاثِ المَوْتِ ثُعْبَانُ[3]

وَغَيْرَ أنْيَابِ أغْوَالٍ مُسَنَّنَةٍ مِنْ عَهْدِ عَادٍ لَهَا ذِكْرٌ وَأسْنَانُ[4]

وَغَيْرَ شُمْسٍ سَرَاحِيبٍ مُفَنَّقَةٍ كَأنَّهَا فِي قَتَامِ الحَرْبِ غُرْبَانُ[5]

---

(١) الشكيمة: الأَنَفَةُ والانتصار للنفس مِنَ الظُّلْم || هانوا: الهَوْنُ: مصدر هانَ عليه الشيء، أي خفّ. المعنى: شكائمهم صعبة، لكنّ مكارمهم كالسُّحُب تهطلُ على جميع البراري، وهم فوق هذا وذاك؛ إنْ حاربُوا صَعُبوا على مَنْ حارَبَهم، وإنْ أكرموا (نقيضُ الحال) خَفّ عليهم إكرامُ ضيفهم.

(٢) لا يقتنون: لا يتخذون؛ والقصد اقتناء الشيء واكتسابه، والقُنْية: الكِسْبَة || رياشاً: الرِّياشُ: الخِصْبُ والمعاشُ والمالُ والأثاثُ واللّباسُ الحسَنُ الفاخر || سابغة: شيء سابغٌ أي كامِلٌ وافٍ || غدران: جمع غدير؛ والغَدِيرُ مُستنقع ماءِ المطر، صغيراً كان أو كبيراً، غير أنه لا يبقى إلى القيظ. المعنى: وهُم ـ بسليقةِ مَحتَدِهِم البَدوِيّ ـ لا يكتسبونَ خِصبَ أرضهم ومَعاشها وفاخر مَلْبَسِهم كامِلًا. . . . فتلك الرِّياشُ، خصباً كانت أو إعاشةً تنشيأُ أمَلًا مُكتسَباً، لا ينظرون إليه في مَراعي حياتِهم، بل يَرَونَ إلى تلك الرِّياش كُلَّما ألقوها (كَرَماً نابعاً عن جِبِلَّةٍ وسَجيّة) وابتعدوا عن مَكرُمتهم تلك؛ لا تلبَثُ تلك المكرمة أن تتراءى لهُم في قادمِ الأيام الماحِلَة غدراناً خصيبَة تدعوهم لتكرار الكرّة مَرّةً إثر مَرّة.

(٣) صفحة هِنديّ: قصد بها السُّيوف المنسوبة إلى الهند || مُفلَّلة: الفَلُّ: هو الثَّلْم في السيف، وفي المُحكم: الثَّلْم في أيِّ شيء كان، قال أبو كبير الهذلي: «مُسْتَشْعِرٌ تحتَ الرِّداءِ وِشاحةً | عَضْباً غَمُوضَ الحَدِّ غيرَ مُفَلَّلِ»؛ والوِشاحُ: هو القوسُ || نفاث: النَفْثُ: شبيه بالنفخ. المعنى: وكما أنهم لا يقتنون تلك الرِّياش عن قصد؛ فهُم أيضاً لا يريدون من كُلِّ مَتاعِ الدُّنيا سوى صفحة سيفٍ هنديٍّ مُثلّم الأطراف؛ تبدو لمن يَراها ثعباناً يَنفثُ أفاعي الموت من جوفه.

(٤) أغوال: جمع غول؛ وهو السِّعلاة، والعرب تسمي الحيّات أَغْوالًا، وقيل هي الشياطين، وكلُّ ما اغْتالَ الإنسانَ فأهلكه فهو غولٌ. يقال غالَتْهُ غولٌ، إذا وقع في مهلكة. المعنى: وكما أنهم لا يقتنون فوق تلك الرياش سابغةً، عدا صفحةِ السيفِ الهنديِّ المُفلَّلة، فكذلك لا يتسلحون سوى بأنياب الحيّات المُسنَّنة اللفاحةِ، تلك المذكورة في الميثولوجيات القديمة منذ قوم عاد بأسنانِها التِّنينيّةِ المُفزعةِ خيالًا مُتوقعاً وواقعاً لا يتخيله أعداؤهم.

(٥) شُمْس: هي جمعُ شَمُوسٍ ـ بفتح السِّين ـ وهو النُّفُورُ من الدَّواب الذي لا يَستقرّ لشَغْبه وحِدَّتِه، وقد توصف به الناقة؛ قال أعرابي يصف ناقة: إنها لَعَسُوسٌ شَمُوسٌ ضَرُوسٌ نَهُوس || سَراحيب: فرسٌ سُرْحوبٌ؛ أي طويلة على وجه الأرض؛ وتوصف به الإناثُ دون الذكور، والجمع سَراحيب،=

تَعَلَّمَتْ مِنْ مِرَاسِ الحَرْبِ نَجْدَتَهَا فَهُنَّ تَحْتَ يَدِ الشُّجْعَانِ شُجْعَانُ(1)

كَأَنَّهُنَّ أَعَاصِيرٌ إذا احْتَدَمَتْ نَارُ الوَغَى وَهِيَ فِي التَّسْنِينِ ذُؤْبَانُ(2)

تِلْكُمْ حُصُونُ بَنِي يَاسٍ وَمَعْقِلُهُم لا يُحْصِنُ القَوْمَ أَسْوَارٌ وَأَفْدَانُ(3)

=والسُّرحُوبةُ من الإبل: الشَّريعةُ الطويلة، ومن الخيلِ: العَتِيقُ الخفيفُ؛ قال الأزهري: وأكثرُ ما يُنْعَتُ به الخيلُ، وخَصَّ بعضُهم به الأنثى من الخيل || مُفنَّقة: مُترَفة ومُنعَّمَة، وهي واحدة من صميم مُفردات الدَّارج العُماني || قتام الحرب: غُبارها. ملحوظة: نُلاحِظ استخدام الشاعر بعد بيت [لا يقتنون رِياشاً. .] لصيغةِ الاستثناء (وغير. .) التي استخدمها في ثلاثة أبيات؛ إظهاراً وإعلاءً من شأن الصِّفات التي تميَّزت بها قبيلة بني ياس. المعنى: . . . وغير خيولٍ [أو نوق، في حالات أخرى، كيفما كانت الرَّكُوبَة. .] جامحة نَفورَة مُنفرة لهَيبتِها ولطولها المُرعِب في عُيون الأعداءِ، سواءً بهيّة فِعالِها في المعركة أو بتفنُّقِها لكثرة النعمة والتدليل المُترف لها، لأنها - تبدو - رغم ذلك التفنيق الزائد - في غبار الحَرب غرباناً مُحلِّقة بالشؤمِ عليهم في تلك المعركة. تلميح: لا تخفى على القارئ (في هذا البيت المُتفنِّق) جَمْعُهُ بين رفاهية خَيل بني ياس وبأسها في الحرب - رغم الرَّفاهيَة - حين تشتدُّ الحاجة لتتحوَّلَ إلى عواصف مُزمجرة في دواحِسهم وعَبيرائِهِم، في غبار الحَرب الذي تزيده ظُلمةً بأجسادها المُكثفة للحضور الشعري المُفارق، لدرجة أنها تبدو في عيون الأعداءِ حيزوم غربانٍ هابطٍ من السَّماوات.

(1) نجدتها: النَّجُود من الإبل: المِغْزارُ، وقيل: هي الشديدة النَّفْس، والنجدَة في عُموم المعنى: الشِّدة. المعنى: فتلك الأفراس [أو النوق. .] تعلَّمت نُصرتها ونجدتها وشِدَّتها في العريكة لكثرةِ مِراسِها للحروب؛ لذلك كانت أفراسُ ونوقُ بني ياس شجاعةً تحتَ عزيمَة فُرسانِهم.

(2) احتدمت: التهبَت || التسنين: السَّنَنُ اسْتِنان الإبلِ والخيل، واستَنَّ الفرس: قَمَصَ [وهي لفظة دارجة عند العُمانيين والإماراتيّين]، وجاء سَنَنٌ من الخيل أي شَوْطٌ، وفي حديث الخيل: اسْتَنَّت شَرَفاً أو شَرَفَيْنِ؛ اسْتَنَّ الفَرَسُ يَسْتَنُّ اسْتِناناً أي عدا لَمرحه ونَشاطه شَوْطاً أو شوطين ولا راكِبَ عليه، قال زهير ابن أبي سُلْمى: «نُعَوِّدُها الطِّرادَ فكلَّ يومٍ تُسَنُّ | على سَنابِكِها، القُرونُ». المعنى: وتلك الخيولُ تبدو للناظر إليها إذا التهبَت نارُ الحرب كالذِّئاب في توَفُّزها وهيَ تسْتَنُّ شوطاً إثر شوط.

(3) أفدان: الفَدَنُ: القَصْرُ المَشِيدُ؛ قال المُثَقِّبُ العَبْديّ: «يُنْبِي تَجاليدِي وأَقْتادَها | ناوٍ، كرأْسِ الفَدَنِ المُؤْيَدِ»؛ والجمع أَفْدان. المعنى: يختتم في هذا البيت مَديحه لبني ياس الذين اختصَّهُم بـ ١٢ بيتاً - كما أشرنا - وهو أكبر عدد من الأبيات تُمتدَح به قبيلة من كافة القبائل المذكورة في النونيَّة، ليتفوَّق العدد على الأبيات التي خصَّ بها الحُرث والنَّباهنة، على سبيل المِثال، ولذلك ما يُبرِّرُه: فقد قصَد الشاعر استقطاب وتجييش قبائل السَّاحِل لنُصرة دولة الإمامةِ الفتيَّة؛ وثمَّة بُعدٌ استراتيجيٌّ مِن تلك المُبالغة: قبائل الدَّاخل العُمانيّ، هناويُّها وغافريُّها - وفق القسْمَة الضيزى لذلك العَصْر - ولاؤها شبه مَضمون، لكنَّ الناحِية المكشوفة على ساحل عُمان ما زالت - في نظر الشاعر - بحاجةٍ إلى مُضاعَفةِ الحُشود المُستقطِبَة لقبائل تلك التخوم، بحُكْم موقعها فَتَّاحِ الآفاقِ البحْريَّة المُستعصيَة على اكتظاظ=

وَأَيْنَ عَنْهَا «بَنُو بَطَّاشَ» أَيْنَ هُمُ   مَنْ لِي بِهِم وَهُمُ لِلحَرْبِ أَخْدَانُ[(١)]

عَادَاتُ «طَيِّءَ» تَخْضِيبُ السُّيوفِ وَإِرْ   وَاءُ المُثَقَّفِ، وَهُوَ اليَومَ عَطْشَانُ[(٢)]

طَالَ الرُّقَادُ بِكُمْ هُبُّوا فَدَيْتُكُمُ   فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ وَالسَّيْلُ مِزعَانُ[(٣)]

=رسالَةِ الإمامَة بحُدود وَعُورة جغرافيّتها التي لن تُتيحَ لها مجالًا لتوسُّعِها المأمول. المعنى: وانظروا إلى حُصون بني ياس ومعاقلهم؛ فهي مَفتوحَة لكُم - لو عرفتم كيف تستثمِرونها -، فهم قومٌ أنصارٌ لكُم، لو أمعنتم النظر، ولا يتحصَّنون بعيداً عن شرارة الفكرة اللَّمُوع خلف أسوار قصورهم المُشيَّدَة، كما يفعل سِواهُم.

(١) أخدان: الخِدْنُ والخَدِين: جمعٌ للصديقُ، والخِدْنُ تعني أيضاً: الذي يُخَادِنُك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن || بنو بطاش: المشهور والمُتعارف عليه بين العُمانيين أنها قبيلة من طيء، لكن هناك من ينسبهم إلى الأزد. ومن هؤلاء الشيخ محمد بن شامس البطاشي الذي أنكر نسبتهم إلى طيّء. ووفقاً لرواية الشيخ فهي قبيلة أزدية قحطانية. فبطاش بحسب الظاهر لقب عمر بن عدي بن محمد بن بلعرب بن مزاحم بن جبلة بن بلعرب بن محمد بن مربع بن الحارث بن عمرو بن جبلة بن الأيهم بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الركب بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام، فتراه نسباً يلتقي بآل نبهان بن عمرو بن عامر، وبمعولة في نصر بن الأزد، وكذلك بمالك بن فهم وبقية قبائل الأزد. والمُفرد: البطاشي. يقطنون في ولايتي قريات ودما والطائيين، ويُنسب إليهم كثير من العُلماء الأفاضل؛ منهم الشيخ سيف بن حمود البطاشي صاحب كتاب: «إتحاف الأعيان في تاريخ بعض عُلماء عُمان»، والشيخ محمد بن شامس البطاشي (الذي ينسب بني بطاش إلى الأزد). له كثير من المصنفات، أهمها: «سلاسل الذهب في الأصول والفروع والأدب». وبنو بطاش قبيلة تقطن في قريات ووادي الطايين ووادي حطاط. المعنى: وأين عن هذه الإمامة بنو بطّاش؟.. فهُم أخدانٌ لهذه الحرب باطناً وظاهراً [يُشير الشاعر، هنا، إلى ما حاولته قبيلة بني بطاش انسلاخاً عن سلاطين مسقط للالتحاق بالإمامة]، وفيما نعتقد أن البيت التالي تقدَّم على البيت المُمتدح لطَيِّء، وهو آخر القبائل الممدوحَة، لاعتقادنا بحدوث خلل في المخطوطة الأصليَّة.

(٢) طيء: قبيلة قحطانية، تنسب إلى طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. والمُفرد: الطائي. المعنى: وما أعهده من عادات طيِّء تخضيب السُّيوف بدماء الأعداء، وإرواء رمحاهم منها؛ لكنه اليوم عطشان. تلميح: هذا البيت مُختتَمٌ للنداء الاستنهاضي، تصعيداً - في البيت التالي - للمرحلة الاستنهاضية التالية من النُّونيَّة؛ حيثُ كان المُخاطَبُ، هذه المَرَّة كافَّة القبائل التي سبق للشاعر أنْ عَدَّد مَناقبها، لحظة استنهاضه لها بالخطاب المُناسِب لكلِّ قبيلةٍ عدنانيَّةٍ وقحطانيَّة.

(٣) مِزعان: خَصيب، وفي المَثَلِ: «أَمْرَعَ وادِيهِ وأجنَى حُلَّبُهُ»: يُضرَبُ لمن اتَّسعَ أمْرُهُ واسْتَغْنَى. [في=

=الحقيقة بحثنا عن «أرعان»، في رَعَن، فلم نجد معنى مُناسِباً لها يُوافق السَّيل؛ وبعد البحث عنها في «مَرِيع»، وجدنا «مِزعان» التي تفيد الخصب، لكننا لم نجد ما أوردته النسخ كافة: «أرعان» أو قرينتها «إرعان»؛ بما في ذلك؛ النسخة المخطوطة عام ١٣٣٢ هـ، (١٩١٤ م). وقد استغربنا إيراد الشاعر لمُفرَدةٍ بدت لنا شاذة في السِّياق، في حين كان بإمكانه استخدام «مِزعان»، فهي أكثر مُناسبة ووجاهة لبلوغ القصد، فيما نَحْسَب، لذلك غامَرنا باستبدال «أرعان» بـ«مِزعان» الدقيقة في وصفها للسَّيل. وَفيما نحسب أنَّهُ خطأ تواترَ من ناسخ إلى آخر في كافة النسخ المُتاحَة، ما كان مطبوعاً، مُستنسَخاً أو مخطوطاً]. المعنى: لقد طال الرُّقاد بكم، فهُبُّوا جميعاً يا مَن خاطبتكم قبيلة قبيلة مُنذ بداية قصيدتي هذه؛ فالشمسُ كما ترَون مُشرقة بفجر جديد، والسُّيولُ أخصبَت كافة أنحاء البلاد بإمامِها المُتوَّجِ بتاج انتخاب الأمَّةِ له. تلميح: ورد هذا البيت في كافة النسخ المخطوطة والمطبوعة والمَنحولة حَجَر عثرة بين بيت قبيلة بني بطاش والبيت المُمتدح لطَيِّء، وارتأينا ترحيله من تلك الوسطيَّة التي لا تُناسِبُه ليكون (كما أراده الشاعر) مُفتتحاً للخطاب الذي خاطب فيه الشاعر (مجموع عصائب قبائل عدنان وقحطان)؛ لأنَّهُ - فيما بدا لي - لا يُخاطب، في هذا البيت، قبيلة بني بطَّاش؛ فهو بيت اختتام لخطاب تخصيصٍ ينفتح على خطاب تعميم يستعيد به الشاعر تكرار خطابَه الاستنهاضي لكافة القبائل التي ذكرها في النُّونيَّة، لا سيما أنه - بعد بيت قبيلة طيِء التالي - يُجمِلُ عصائب قحطان وعدنان؛ ليستمرَّ في المناداة المُستحثةِ للجميع: «هُبُّوا، هُبُّو...»، قبل أبيات استنهاضه التي تخاطب جميع القبائل توحيداً لها في جُملة: «كتائبَ الله». فبمثل هذا الترتيب تُحيلُ «طال الرُّقاد» دلالتها إلى كافة القبائل المذكورة في القصيدة حُسنَ تخلُّصٍ مُستساغ في السياق، كأنما لتختم قبيلة طيِّء كافة القبائل المذكورة في القصيدة. تلك وجهة نظرنا المبنيَّة على استقراءٍ واستنتاجٍ تخمَّرَ بعد تمحيص للنسق الكُلِّياني للقصيدة. ملحوظة أخرى مُضافة إلى التلميح: في الحقيقة أنَّ اقتراحنا هذا الذي نتعصَّبُ لوجاهَته، جعلنا نُسلِّمُ به قناعةً واقتناعاً - وإنْ حُوجِجنا بموضوعيَّةِ التسلسل الدارج في الوثائق ابتداءً من مخطوطة ١٩١٤ م - المُشار إليها آنِفاً، ناهيك عن النُّسخ الأخرى - لكننا رغم ذلك، نعتقد بصحة ما اعتقدناه؛ وبالتأكيد قد نكون مُخطِئين ومُخطِّئين في تصرُّفنا هذا تقديماً وتأخيراً في ترتيب الأبيات الذي نتحمَّلُ مسؤوليته التاريخيَّة. فنحن نعتقدُ، أيضاً، بأن ثمة دائرة للنُّونيَّة كان ابتداؤها بوصف الرَّاحِلة والرِّحلة السِّرية للشيخ نور الدين السالمي وبلوغها نزوى ليعود الشاعر ضمن مداره الشعري إلى حيث ابتدأ: جعلان، بدية الحجريين، قابل الحرث، سمائل بني رواحة وبني جابر والأشياخ الخليليِّين، وإزكي صُعوداً يَصَّاعد في أرضه المُمْرِعَة حتى أرض السِّر في الظاهرة لتهبط القصيدة مُجدَّداً من الرستاق ووادي بني خروص وبركا آل بدر، ومصنعة آل سعد، وهكذا دواليك في قوس الدائرة. فثمة مِحوريَّة دائريَّة في القصيدة ومَركزية تتمحور، في آخر مطافها، حول بيضة الإسلام / العاصمة، مع الإشارات التوثيقية للثغور الأساسية في الداخلية والشرقية والباطنة والظاهرة وسَاحل عُمان المُتصالح [كما سمَّاهُ الإنكليز، وهو ما دعا أبا مُسلم لوضعه الاعتباري، آنذاك، ليستفيض في مديح بني ياس المُشرفين يومها على أكثر من جبهة بحريَّة ورمليَّةٍ غوَّاصَةٍ في تخوم الرَّبع الخالي، دون إغفال أهمية كل ثغر بمزاياه الطبوغرافية والإثنية، إلى جانب ثقل زعاماته القبلية. وفي اعتقادنا أنه=

أيْنَ العَصَائِبُ مِنْ «قَحْطَانَ» أجْمَعِهَا	وَأيْنَ مَنْ نَتَجَتْ لِلمَجْدِ «عَدْنَانُ»[1]
هُبُّوا لأخْذِ المَعَالِي مِنْ مَرَاقِدِكُم	فَلَيسَ يَسْتَدْرِكُ العَلْيَاءَ نَوْمَانُ[2]
هُبُّوا لِدَاعِي الهُدَى، هُبُّوا لِعِزَّتِكُم	وَكَيفَ نَوْمُكُمُ وَالخَصْمُ يَقْظَانُ[3]
جُدُّوا فَدَيْتُكُمُ فِي نَصْرِ دِينِكُمُ	فَاليَومَ فِيكُم لِنَصْرِ الدِّينِ إمْكَانُ[4]

=لم يغفل عن بني بطاش وبني طيء ليجيء ذكرهم في بيتين بعد إطنابه في ذكر قبيلة بني ياس جُزافاً؛ بل لأنه أراد إحكام غلقه لدائرة النونيّة جغرافياً؛ بالعودة شرقاً إلى قريات ووادي الطائيّين فيما يرسم خريطة وطنه الذي ارتأى الشاعرُ إمامه الممدوح حاكماً عليه شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، بثغورهِ ذات الأهميّة البريّة والبحريّة في جعلان، صُور وساحل عُمان.

(١) عدنان وقحطان؛ سبق ذكْرهُما. المعنى: بعد تخلّصِه في البيت الأخير [الذي قُدِّمَ خطأً على بيتِ استنهاض بني طَيِّئ، كما أوضحنا]، نجدهُ يعُودُ إلى تأصيل الأصول في عصائب قحطان وعدنان بعد تفريع أنسابها في كافة القبائل العُمانية؛ مُستنهِضاً إياها باسم كافة القبائل المُنتمية إلى ذينك المَحْتِدَين: قحطان وعدنان، داعياً إيّاهُم - في جامعة قصيدته النونيّة - للإنضمام جماعةً واحدة تهُبُّ نحو المَعالي التي اجترحَها خطاب نونيّته الرِنان ببوارق المطلع؛ كأنما لتحقُّق استحالة فكرته اليُوتوبيّه عن طريق جمع عصائب قحطان وعدنان في بوتقة العدالة التي سيُثبت التاريخ أنها لن تتحقّق وفقاً للرُؤيَة والرُؤيا اللتين شحَنَ بهما أبو مُسلِم بطاريّة نُونيّتِهِ التي أفرَغتها العصائب القحطانيّة والعدنانيّة مِن «تيزابها»، قبلَ تفرُّغ «أعداء الداخل والخارج» لاستكمال مَهمّةِ الإستفراغ المُمَنهَج.

(٢) نَوْمَان: كثير النوم. المعنى: فهُبّوا من مراقدكم لاقتطاف فاكهة المَعالي، لأنَّ العلياءَ لا يستدركُها نَومانٌ مُتكاسلٌ عن خطب وُدِّها بالجدّ والمُثابَرة. استدراك: هذا البيت الذي يفتتح به خطابه لكافة القبائل يُؤكّد ما ذهبنا إليه سابقاً بأنهُ لم يقصد «بني بطاش» وحدهم، [وِفق الترتيب المُتواتر في كافة النسَخ]؛ لأنَّ المُخاطَب كما تُلاحِظ (ابتداءً من ذلك البيت) لا يَنحصِر في بني بطاش - كما أسلفنا - بل كافة القبائل التي استهَضَ الشاعر هِمَمَها الخامدة - في مَنظور نونيّتِه - نحو أربعين سنة فاصلة بين إمامة عزان بن قيس وإمامة سالم بن راشد الخروصي. [وما يُؤكّدُ ادِّعاءَنا إعادةُ استخدامه لذات المُفردَة التي تُحيلِ إلى الرّاقد النّومَان: (هُبّوا لأخذ المعالي مِن مَراقِدِكم)، وبطبيعة الحال - كما ورد في خطاب القصيدة - لنْ يَستدرك تلك المَعالي نَومَانٌ لم ولن يستدرك، سَلفاً، خطأً حدث بعد نحو تسعين سنةٍ من كتابة الشاعر للنونيّة].

(٣) المعنى: هُبّوا لإمامكم الداعي للهُدى، بالأحرى هُبّوا لعزتكم المُستعادة؛ وعجبي! كيف تنامون نحو نصف قرن بين إمامةٍ وإمامةٍ

(٤) جِدُّوا: اجتهدوا ||المعنى: فديتكم بأمي وأبي، اجتهدوا في نصر دينكم، فثمة اليوم إمكانٌ [كان مُستحيلًا] لنصرة الدِّين بفضلِ قيام دولة هذا الإمام الوَرع التقيّ، بإشراقتها اللّمُوع مِن غيوب الظلام والبَغي والعُدوان؛ لتستقيم أُفُقياً وعَمودياً كفةُ العدالتين: عدالة السماء والأرض؛ على حدٍّ سَواء.

كَـتَـائِبَ اللهِ لا يَـخْـتَـلُّ بَـيْـضَـتُـكُـم	خَصْمٌ مَسَاعِيهِ في الإسْلامِ ثُعْبَانُ[(١)]
كَـتَـائِبَ اللهِ ذُودُوا عَـنْ حِـيَـاضِـكُـمُ	كَيْ لا يُـهَـدِّمَـهَـا بَـغْـيٌ وَكُـفْـرَانُ[(٢)]
كَـتَـائِبَ اللهِ مَـا عَـيْـشُ الـذَّلِيـلِ لَكُـم	عَيْشٌ، وَلا فِي مَنَايا العِزِّ نُقْصَانُ[(٣)]
كَـتَـائِبَ اللهِ لَمْ يُـعْـهَـدْ بِـكُـم خَـوَرٌ	وَلِلجِـبَـالِ عَـلَى الأزْمَـاتِ إقْـرَانُ[(٤)]
كَـتَـائِبَ اللهِ حَـامُـوا عَـنْ حَـنِـيـفَـتِـكُـم	قَـدْ لـوَّثَـتْـهَـا خَـنَـازِيـرٌ وَصُـلْـبَـانُ[(٥)]

---

(١) بَيْضَتُكُم: قلعة نزوى || كتائب الله: نداءٌ استنهاضيٌ كَنَّى بهِ الشاعِرُ [تخيُّلًا في أقنوم المُتخيَّل] عن نجاحِ قصيدَتِهِ التي استطاعت لَمَّ شعث القبائل المُتناحِرة. وهو نِداءٌ سيَستخدمه في تسعة أبيات تالية، ليستبدله بنداءٍ استنهاضيٍ آخر سيتكرَّرُ في الأبيات الخمسة التالية لها؛ وهو «يا غارَة الله»، تعبيراً يُجازفُ ـ بل يَتسِفُ رُؤيَوِيّاً، ما توسَّمَه في كتائب الله ـ وهو يَرى في بُؤبُؤ لحظات انتصاره [في القصيدة، لا في الواقع] ما ارتأى أنهُ تذكيرٌ لها ـ إنْ كانتْ كتائبُ الله، بالفعل كتائبَه، كما توخى الشاعر ـ لينشط سيلُ المُحاصَصَة الضمنيّةِ في شَرْجَةٍ بعيدةٍ عن الأفلاج؛ هي «غارَة الله» المُستنجَدِ بها شِعْرِيّاً إثر إخفاقِ كتائبه في مَتن القصيدَة ـ وهو ما سَيشهَدُ به التاريخ، لاحِقاً ـ لمُحاصَصَةِ الخِيانَةِ المَوضوعيّةِ بديلًا لمُعادلها الموضوعي في خطاب النونيّة، لكنَّ الشهادة ستظلُّ ناقِصَةً، لو لم تتأبَّد النُّونيّة [رغم محاولات إقصائها المُستميتة عن الذاكِرة الجمعيّة]؛ وثمّة في ذلك دلالة دالّة: رُسُوخ المَتن وزوالُ عارِضِه الهَامِشِ في هَوامِشِه التاريخيّة؛ وإن استسقتْ دَيمُومةَ خلاصِها مِمَّا لا فكاكَ مِنهُ في سطوة الخطاب المُهيمِن لِقُرآنِ النونيّة وقرائنِه الوضَّاحَةِ، سَواءٌ بسواء؛ في عُصُور الظلام أو في عُصُور «نهضةٍ» اعتقدت أنها ستتمكَّنُ مِن فرْض ذائقةٍ مُضادَّةٍ لسيرورةِ عُنفوان الذاكرة البَشريّة، وأنه سيكُون بإمكانها مُناهَضَة خِطاب استنهاضيٍ راسخ في «نونِه» المُنوَّنةِ بسحر القلمِ المَسَّاح لما يَسطرون. المعنى: واضحٌ من خلال السّياق.

(٢) الحياض: الحَوْضُ مُجْتَمَعُ الماء، والجَمع أحواض وحِياض ||المعنى: واضحٌ من خلال السّياق.

(٣) المعنى: البيت صيغة كلاسيكيّة تستحضر وتُضاعِفُ جماليّات الشعريّة العربيّة الآبِدَة؛ وعُمُوم المَعنى مَطروق: لأنَّ عيش الذليل ليس عيشة تستحقُّ العيش؛ ولا أرى ـ يستطرد الشاعر ـ في مَقتلة العِزِّ نُقصاناً.

(٤) خَوَر: ضعف، واستكانة غير مُبرَّرة || إقران: الإقْرانُ؛ تعني قُوَّة الرجل على الرجل. يقال: أقْرَنَ له إذا قَوِيَ عليه، وقصد بالمعنى قوّة الجبال في مُصارعتها لشدائد الأزمات. [وردت في غالبية النسخ، وإحداهنَّ مُحقَّقة: «أقران»، وفي ذلك خطأ بيِّن في استواءِ القول ومعانيه]. المعنى: نُلاحِظُ بناءهُ عمود هذا البيت في صيغة المَجهول؛ فيما يقول: لم يُعهد بكم ضعف، وفي ذكر لفظة الضعف استنهاض خفيٌ للشدَّةِ والقوَّةِ المُؤوَّلَة والمُفسَّرَة في عَجُز البيت: وللجبالِ على الأزمات ـ كيفما كانت ـ قوّة قادرة على مُجابَهتها.

(٥) المعنى: في هذا البيت يدعوهم [كتائبَ الله] للقيام بمهمّة المُحاماة عن حنيفتِهم التي اعتقدوا=

كَـتَــائِبَ اللهِ دِيــنُ اللهِ فِــي طَــلَقٍ وَالمَشْرَفِيَّاتُ فِي الأيْمَانِ طَلقانُ[1]

كَتَائِبَ اللهِ لـم تُـخْـلَقْ نُـفُـوسُـكُـمُ لِكَـيْ يُـسَـخِّـرَهَـا ذُلٌّ وَأَهْـوَانُ[2]

كَـتَـائِبَ اللهِ أدْعُـوكُـم إلـى شَـرَفٍ عُقْبَاهُ ـ إنْ تَصْدُقِ النِّيَّاتُ ـ رِضْوَانُ[3]

كَـتَـائِبَ اللهِ يَـومَ الـهَـوْلِ عِـيـدُكُـمُ فَـمَـا لَكُـم لِبَـغِـيـضِ اللهِ عُـبْـدَانُ[4]

يَـا غَـارَةَ اللهِ وَالأحْـكَـامُ مُـرْمِـلَةٌ لَهَـا مِنَ الحُـزْنِ بِالتَّعْطِيلِ أرْدَانُ[5]

=بصوابها، ضِدّاً على سائر الحَنيفيّات التي ادَّعَتها؛ ليتنقلَ فجأةً من مُشاكَسَة الحَنيفيّات المُدَّعاة في خطابات المَذاهب الأخرى إلى تلويث الخنازير والصُّلبانِ لها. تلميح: في اعتقادي أنَّ هذا البيت غير مُوفَّق ضمن نسيج الخِطاب، وإنْ وُجِدَ تبريرُه لحظة صياغة القصيدة، لكنَّهُ يبدأ بالحفاظ على حنيفيّةٍ يدَّعيها أكثر من مذهب؛ ليذهَبَ إلى تعميم غير مُستساغ في جَمعه بين الخنازير والصُّلبان، وفي اعتقادي أنها مَثلَبَة الشاعر حين يتخلى عن شاعِريّته الوقادَة تطامُناً مع سِياقات خطابات قومه السّائدة.

(١) طلَق: الطَلَقُ بالتحريك: قيدٌ من جلود [وثمّة فرق بين الطَّلَق ـ وهو المعنى المُشار إليه ـ وبين الطلْق، بسكُون اللام؛ التي أوردها بعض الشرّاح، وفسَّرَها بـ«شدَّة الوِلادَة!»]، فالمقصود أنَّ الدِّين مُقيَّدٌ بقيْد || المَشرفيّات: السُّيوف || الأيْمَان: الحَلِفُ والقَسَمُ || طَلْقان: مطلوقة بلا رادع. المعنى: دينُ الله مُقيَّدٌ مأسور، بينما سُيوفُ أيمانِكم الغليظة مُطلَقة من إسارها.

(٢) أهوان: هانَ هُوناً، بالضم، وهَواناً ومَهانَةً: ذَلَّ، وهَوْناً: سَهُلَ، فهو هَيْنٌ وهَيِّنٌ وأهْوَنُ || يُسَخِّرَها: سَخَّرَهُ تسخيراً: كلفه عملًا بلا أُجرة، وكذلك تَسخَّرَه. وسخَّره يُسَخِّره سِخْرِيّاً وسُخْرِيّاً وسَخَرَه: كلفه ما لا يريد وقهره. والمعنى: واضح من السياق.

(٣) المعنى: واضح من السياق.

(٤) يوم الهَول: يوم القيامة. المعنى: المعنى يُستَشَفُّ من سياق البيت.

(٥) يا غارة الله: الغارة؛ هي الاسم من الإغارة على العَدوّ؛ وقد استخدمها الشاعر بصيغة النداءِ حَمَاسةً وشحذاً لهمم المُقاتلين في سبيل الله، لذلك دعاها: غارة الله، تمييزاً لها عن سواها من الغارات، ورجلٌ مِغْوار بيّن الغِوار: مقاتل كثير الغاراتِ على أعدائِه، ومُغاوِرٌ كذلك؛ وقومٌ مَغاوِيرُ وخيل مغيرة، وفي حديث عليّ: قال يومَ الجمل: ما ظَنُّكَ بامرئٍ جمعَ بين هذين الغارَيْنِ؟ أي الجَيشين || مرملة: المُرْمِل: الذي نفد زاده، سمّي بذلك لأحدِ شيئين، إما رِقّةِ حاله، وإمّا لِلُصُوقِه بالرَّمل من فَقْرِه. أما المِرْمَل؛ فهو: القيد الصغير، ونعتقد بصحَةِ المَعنيين تثنيةً وإفراداً، إضافة إلى ظِلال معناها الشائع: ورجل أَرْمَل وامرأة أرْمَلة: محتاجة، وهم الأرْمَلة والأرامِل والأرامِلة، لكننا لا نستصوبه معنى يُعَوَّلُ عليه في تفسير: والأحكام مُرمِلة، ونميل إلى الأولى: أي نفادُ زادها المُعطَّلِ لإنفاذها || التعطيل: هو التفريغ، وتعطيلُ الحُدود: أن لا تُقام على من وَجَبَتْ عليه || أردان: الرُّدْنُ، بالضم: أصل الكُمّ. يقال: قميص واسع الرُّدْن. ابن سيده: الرُّدْن مقدّم كمّ القميص، وقيل: هو أسفله، وقيل: هو الكمّ كله، والجمع أردانٌ وأرْدِنَة. المعنى: يتحول نداؤه المُحرِّض ابتداءً من هذا البيت؛ لتصبح: يا غارة الله، وهو يستغيث بها لتعطيل الأحكام=

يـا غَـارَةَ اللهِ وَالـحُـرُّ الـغَـيُـورُ لَهُ	صَـدْعٌ وَمـا أَذِنَـتْ لِلصَّـدْعِ آذانُ[١]
يـا غَـارَةَ اللهِ نَـخْـزَى فِـي دِيَـانَـتِـنـا	أَلَيسَ عَـاراً وَحَـامِـي الـدِّيـنِ خَزْيَانُ[٢]
يـا غَـارَةَ اللهِ نَـحْـيَـا كَـالـبَـلِـيَّـةِ فِـي	عِـقـالِ سُـوءٍ وَمَـا بِـالـرِّجْـلِ عُـقْـلانُ[٣]
يـا غَـارَةَ اللهِ كَـمْ نَـرْضَـى مَـهَـانَـتَـنـا	وَالـسَّـيْـفُ يَـرْفَـعُ أَقْـوَامـاً وَإِنْ هَـانُـوا[٤]
أَيـنَ الـعَـزَائِمُ؟ أَيـنَ الـنَّـخْـوَةُ انْـتَـقَـلَت	أَيـنَ الـحِـفَـاظُ؟ وَأَيْـنَ الـعِـزُّ وَالـشَّـانُ؟[٥]
أَيـنَ الـشَّـكَـائِمُ فـي الإِسْلامِ؟ مَا فَـعَـلَتْ	أَظُـنُّـهَـا مَـعَ آبَـاءٍ لَـنَـا بَـانُـوا[٦]
سَـلُوا الـقُـبُـورَ الـتـي ضَـمَّـتْ أُصُـولَـكُـمُ	هَـلْ وَاطَـنُوا الـذُّلَّ؟ أم فِي دِينِهِم هَانُوا[٧]
رَبُّـوا لَـكُـم بِـالـظُّـبَـا وَالـسُّـمْـرِ مِـلَّـتَـكُـم	وَأَنْـتُـمُ الآنَ تُـجَّـارٌ وَرُهْـبَـانُ[٨]

=وحدودها المُرْمِلَةِ لنفاد زادها واحتياجها إلى من يُسندها بإقامَتها بعد تعطيلها حتى طالت أردانها لشدَّةِ حُزنِها من التعطيل.

(١) صدع: صَدَع بالحقِّ، إذا تكلَّمَ به جهاراً، فأصابَ بالقول موضِعَه قال سُبحانَهُ لنبيِّه عليه السلام: فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ، أما الصَّدع الثانية فتعني: شقّ صُفوف العدو وتفريقهم. المعنى: الحُرُّ الغيُور إذا نطق بالحق لم يجد منكم آذاناً صاغية تُؤذِنُ بشقِّ صُفوف الأعداء.

(٢) نخزى: نُذَلُّ ونُهان || المعنى: واضح من السياق.

(٣) البَلِيَّة: والبَلِيَّة الناقة أو الدابة التي كانت تُعْقَلُ في الجاهلية، تُشدّ عند قبر صاحبها لا تعلف ولا تسقى حتى تموت، كانوا يقولون إن صاحبها يحشر عليها || عقال: الحَبلُ يُعقلُ به البعير || عُقلان: قصد بها ما يَعقل الرِّجل. المعنى: وها نحن نحيا كالناقة المشدودة إلى قبر صاحبها دونما عِقالٍ يشدنا سوى تخاذلنا وتشتتنا.

(٤) المعنى: وإلى متى - يا غارة الله - نرتضي مهانتنا؛ والسَّيفُ مِشعاعٌ برّاق يرفعُ أقواماً وإن ذلُّوا واحتُقِروا.

(٥) النخوة: العَظَمَة والكِبْرُ والفَخْرُ وإباء النفس || الحِفاظ: العهد ورعاية الحُرمَة شرفاً ونسباً. المعنى: أين عزائم القوم؟.. وأين النخوة انتقلت؟.. أين حِفاظ القوم المعهود؟.. وأين العِزُّ ومُرتَقى الشأن؟

(٦) الشكائم: إباء النفس وقوّة القلب || بانوا: بعدوا. المعنى: ويا له من أمر غريب! أين إباءُ الأنفُس وحِفاظها على الإسلام؟.. يبدو أنها قد رحلت مع الآباء الرّاحلين.

(٧) المعنى: واسألوا قبور أسلافكم الضَّامَّةِ لأصولكم: هل استمرأوا الذلَّ مثلاً؟.. أم أنهم - لا سمح الله - هانوا في دينهم؟

(٨) الظبا: السيوف || السُّمْر: الرّماح || مِلَّتكُم: مُعتقدكُم. المعنى: احتضنوا تلك المِلَّة وربَّوها=

تَـرَكْـتُـمُ سُـنَّـةَ الأسْـلافِ مُـطْـرِقَـةً ... وَلا يُـؤَنِّـبُ بِـالإطْـرَاقِ خَـجْـلانُ[1]

تَـمْشُـونَ هَـوْنـاً كَـأَنَّ الـزُّهْـدَ أَثْـقَـلَكُـم ... وَأَنْـتُـمُ بِـهَـوَانِ الـنَّـفْـسِ ثُـقْـلانُ[2]

أَمَـا يُـحَـرِّكُـكُـمْ إنْ قَـالَ نَـاصِـحُـكُـم: ... الأصْـلُ كَـاسٍ وَفَـرْعُ الأصْـلِ عُـرْيَـانُ[3]

أَقُولُ لِلبَعْضِ مِنْكُم، وَهُوَ عَنْ أَسَفٍ ... وَالـحُـرُّ يَـأْسَـفُ لـلأحْـرَارِ إنْ شَـانُـوا[4]

قَـدْ كُـنْـتَ نُـخْـبَـةَ هـذا الأمْـرِ مِـنْ قِـدَمٍ ... وَالـيَـوْمَ أَنْـتَ عَـلَى الأبْـوابِ دُبَّـانُ[5]

=بسيوفهم ورماحهم، لكنكم اليوم لستم سوى تجّار ورهبان تتاجرون بالقضيّة، كُلٌّ على طريقته: مَن غُنِيَ بالمال ولم يدفع منه ما استوجبته دولة الإمامة، ومن غُني بالتنسك الزائف دون أن يكون مُفيداً لهذا الشأن.

(١) مُطْرِقَة: خافضة الطرف || الإطراق: غضُّ البَصَر والسُّكوتُ خوفاً أو خجلًا. المعنى: وتركتم سُنَّة أسلافكم خجلة منكم ومن أفعالكم. لكن هل ألومكم؟.. فغضُّ بصركم حياءً كافٍ لكم.

(٢) هَوناً: سكينةً ووقاراً || الهَوَان: الخِزي. المعنى: تمشون في الطرقات منفوخين بسكينة زهد زائف، لكن حقيقتكم هي أنكم مُثقلون بهوان أنفسكم.

(٣) كاسٍ: مُكتسٍ بثوب العِزّ || عُريان: ضدّ الكاسِي؛ وأصلُها: العُرْيانُ من النَّبْتِ الذي قد عَرِيَ عُرْياً إذا استَبانَ لك. المعنى: أما يُحرِّكُ نفوسَكُم الصَّدِئة إنْ قال لكم الناصِح: أصلُ شجرتكم مَكسُوٌّ بالمجد والشرف؛ لكنَّ فرعَه عُريانٌ للأسف؟ تلميح: طالما اعتبر الشاعر نفسه ناصحاً لقومه مُعبِّراً عنهم، وقد قصد نفسه بالناصح المُشار إليه في البيت، وهي أبيات، في مجموعها، مُوجَّهة لأولئكَ الذين تكأكأوا عن مُناصرة دولة الإمامة بشتى الذرائع والحُجج التي فضحتها النونيّة.

(٤) شانوا: عكس زانوا. المعنى: ابتداءً من هذا البيت يُخاطِبُ أبو مُسلم ـ خطاب مَلامَة المُحِبِّ الآسِفِ والأسِيف ـ مُعاتِباً ابن العالم الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي طوال الـ ٤٢ بيتاً القادمة؛ عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي [والد الإمام محمد بن عبدالله الخليلي] لزعَلِهِ غير المُبرَّر مِنْ مُبايعَةِ الإمام سالم بن راشد الخروصي، مُفصِحاً بسُلوكِهِ المُتصِف ـ كما يرى الشاعر ـ بنُزوعٍ قَبَليٍّ صِرْف، دَعَاةُ لمُوالاةِ السَّيد فيصل بن تركي سُلطان مسقط، آنذاك. ورغم قسوة الخطاب في نبرته الهجائيّة القادحة، إلّا أنَّ الشاعر يُبيِّنُ ويُبينُ عن مَوقفه؛ فيما يدعوه لتغيير بوصلته للوقوفِ كأبنائه وسائر مَعشر الخليليِّين المُرابطين في صَفِّ الإمام المُبايَع، مُؤكِّداً لهُ أنَّ «ظُنونَ المُسلِمين فيكَ عاليةٌ»، داعياً الشيخ إلى تطهير ثوبه وغسل يديه ـ كما سيرد في الأبيات اللاحقة ـ من أدران المطامع التي ورَّطَتهُ، ولا تليق بمَكانته. المعنى: أقولُ للبَعضِ مِنكم قولًا يُؤسِفني اضطراري لقوله عن أسفٍ بالغ، فالأسباب التي دَعَتني لإيراد ما قد يبدو خارجاً عن اللياقَةِ في الأبيات اللاحقة، مرجعه ببساطة أنني شاعِرٌ حُرٌّ آسَفُ للأحرار إنْ شانوا، وشانت أفعالهم ومواقفهم.

(٥) المعنى: وأسفي مِنْ شَيْنِ فَعْلَتِكَ اللامُستساغة لهُ ما يُبَرِّرُه: فقد كنتَ في صَفوةِ النخبَةِ المُختارين للتضامُنِ ـ في أقلِّ القليل ـ تطامُناً مع سُلوكِ الأخيار من قومِك (وعلى رأسِهم المَرحُوم والدك=

مَـاذا تَـقُـولُ إذا كُـنـتَ ابْـنَ بَـجْـدَتِـهـا	وَالأصْـلُ مَـعْـرِفَـةٌ وَالـفِـعْـلُ نُـكْـرَانُ[(١)]
طَـالِعْ صَـحِـيـفَـةَ مَـجْـدٍ أَنْـتَ وَارِثُـهُ	إنْ كَـانَ فِـيـهَـا مَـجِـيـدُ الـقَـوْمِ خَـوَّانُ[(٢)]
إذا تَـنَـكَّـرْتَ لـلإسْـلامِ عَـنْ حَـسَـدٍ	فـاسْـألْ أبَـاكَ وَلِيَّ اللهِ: مَـا الـشَّـانُ؟[(٣)]
يُـخْـبِـرْكَ أَنَّـكَ قَـدْ فَـارَقْـتَ خِـطَّـتَـهُ	وَأَنَّـــهُ لِلذِي فَـــارَقْـــتَ خَـســرَانُ[(٤)]

=العَلامَة سعيد بن خلفان الخليلي)؛ فكيفَ تريدُ مني أنْ أُنصِفَكَ بعد أن زيَّن لك إبليسُ فعلتك ما تزيَّنَ لك؛ حدَّ أنكَ لم تتنبهِ لموقفك المُخالف للإجماع، لتظهَرَ بين قومِكَ صاغِراً مُتصاغِراً كالذباب الحَوَّامِ على أبوابِ اللؤماء، وقصد بذلك انضمام الشيخ عبدالله إلى حلف سلاطين مسقط المسؤولين مباشرة عن مقتل والده الورع. **تلميح تفصيلي**: في كتابه: «عُمان؛ الديمقراطية الإسلامية ـ تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي»، يُورد حسين غباش الأحداث التالية، إثر سقوط إمامة عزان بن قيس التي كان العلامة سعيد بن خلفان الخليلي أباها الرُّوحي ومُنظِّرها الدِّيني: «بعد شهر من قبول الخليلي الخروج من القلعة، حيكت مؤامرة ضده وضد ابنه [محمد]، واستُدعي الشيخ الخليلي إلى مُقابلة مع السلطان تركي الذي أعلمه، كما يقول السالمي، بغضبه، وقال له: أخرجتمونا من أوطاننا وفعلتم وفعلتم. . .، فرد الشيخ: ما فعلنا إلّا ما تقتضيه الشريعة. فما كان من السيد تركي إلّا أنْ أمر بتقييده مع ابنه وإيداعهما سجن الجلالي. وفي صبيحة ١٦ فبراير ١٨٧١م أعلنت وفاة الخليلي، وفي ١٧ فبراير أعلنت وفاة ابنه محمد. وفتح الميجر واي، الذي كان قد رتَّبَ المُفاوضات ورعاها وحصل على ثقة الشيخ الخليلي، تحقيقاً رسميا حول الموت الغامض لهذا العالِم وابنه. وتُبيِّن الوثائق الرسمية البريطانية أن الشيخ وابنه عوملا معاملة سيئة وضُربا حتى الموت، ثم دُفنا في قلعة الميراني. كان التبرير الرسمي للسلطة العُمانية أنَّ موت الخليلي وابنه نجم عن «الإسهال والخوف». أما الميجر واي الذي عرف الحقيقة فقد صُعِق من هذا التبرير؛ وتحسُّساً منه بمسؤوليّته الأدبيّة، لم يكن منه إلّا أن وضع المُسدَّس في رأسه وانتحر».

(١) ابن بَجْدَتِها: رَبيب عِلمِها وعُمدته. المعنى: ما الذي لديك لتردَّ به؟. . وأنت ربيب العِلم وعُمدته، لكنَّ الأصل ـ كما بدا لي ـ مَعرفة وفعلكَ نُكرانٌ لا أجد لهُ تبريراً، لا سيّما مُوالاتُكَ لقتلةِ والدك العالم الجليل.

(٢) المعنى: ولا تظُنَّنَّ أنَّ أبا مُسْلم يَهجُوكَ جُزافاً؛ بل طالع صحيفة مَجدِك الذي ورثته؛ وبالتأكيد ستكتشف في تلك الصحيفة الناصعة بأمجادِ أجدادكَ، خُلوَّها مِنَ الخَوْونِ والخَوَّان، ودَعْ عنكَ نُصحَ أبي مُسلِم الوفيِّ لأنسابك وأحسابك؛ وإنْ بَدا لكَ في ظاهِرِهِ عِتاباً أو هِجاءً.

(٣) المعنى: وإذا تنكَّرتَ للإسلام عن تحاسُد قبَليٍّ مَذموم ـ لأنَّكَ لم تُبايِع، بعد اختيار المُسلمين التقيّ الوَرِع سالم بن راشد الخروصي ـ فاسأل أباك المُتولَّى مِن الله وكافة المُسلمين؛ وستجد الجواب عنده، لأنهُ أعلمُ مِنكَ بالشأن، ومِنْ مُعاتِبكَ أبي مُسْلِم الذي هجاك حُبّاً في والدك العالم الرّباني الشيخ سعيد بن خلفان وأخيك أحمد بن سعيد الذي كان زميلي وأخي الرُّوحي.

(٤) قارفت: قارَفَ الذنبَ وغيرَه: داناهُ ولاصَقَهُ. المعنى: وإن تَفَقَّدتَ وسَألتهُ مُناجياً رُوحهُ الطاهرة في=

أبَعْدَ شَيْبِكَ فِي الإسْلامِ تَفْعَلُها؟ يَبْكِي الخَلِيلُ لَهَا وَالحَبْرُ شَاذَانُ[(١)]

أحْسِنْ عَزَاءَكَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَمَلٍ وَأنْتَ لِلطَّمَعِ المَرْذُولِ نَجْرَانُ[(٢)]

أيْنَ السَّوَابِقُ يا قَمْقَامَهَا طُوِيَتْ أعَاذَكَ اللهُ طَاوِيهِنَّ شَيْطَانُ[(٣)]

أسَاءَكَ العَدْلُ إذْ قَامَتْ بِهِ فِئَةٌ لَهَا مَعَ اللهِ أقْدَارٌ وَأوْزَانُ[(٤)]

ألا تَكُونُ لَهَا قُطْباً تَدُورُ بِهِ هَلْ أنْتَ عَنْ قُطْبِهَا المَعْهُودِ غَفْلانُ[(٥)]

=قبره؛ سيخبرُكَ أنكَ قد فارقتَ خطّته، وأنّهُ مُتحسّرٌ لما اقترفتَهُ من ذنب في حَقّ جَلالِهِ المَهدُور، قبلَ حُقوقِ الإمامَة التي جانبتها وأعلنت عليها حَربَكَ الضروس.

(١) الخليل: قصد به الإمام الخليل بن شاذان الخروصي، وقد بُويع في القرن الخامس الهجري، وكان من الأئمّة الأبرار التقاة || الحَبْر: العَلّامَة البَحر؛ وهو تعبيرٌ ذو أصول يَهوديّة يصفُ رُهبان اليَهُود، لم يستنكِف العَرَبُ من استخدامهُ مشفوعاً بذات دلالات الرَّهْبَنة || شاذان: هو شاذان بن الإمام الصَّلْت بن مالك الخروصي. المعنى: أمرُكَ مُحزنٌ ومُلهِبٌ لأوار القلوب. أتفعلُ مثل هذه الفعلة بعد شيبك تقيّاً وورعاً في الإسلام؟.. إنها والله، لفَعْلَةٌ شنيعَة، تُبْكِي الإمَامَين الخليل وشاذان في قبريهما. تلميح: نلاحِظ في عِتاب الشاعر المُحِبّ الغيُور على دينه اختيارَهُ لبخري العُلوم الإمامين الخليل وشاذان الخروصيّين في سِياقِ عتابِهِ للشيخ؛ ولا يخفى الإضمار المُزدَوج لاسمِ الإمام «الخليل الخروصي» في مُعاتبةِ الشيخ «عبدالله الخليلي»، وهي ـ لعَمْري ـ أفعولَةٌ شِعريَّةٌ مِن الطراز الرَّفيع المُفتّق، لا يبدو أنَّ الشاعر تقصَّدَ مِنْ إيرادِها مَزيداً من اللَّوْم المُضمَر في خَشِيّات القول؛ بل الحَثّ البَراء كي يُراجع الشيخ مَواقِفه التي لم تستند لاشتراط وشيجَةِ الزَّعامتين: القبليّة والدينيّة.

(٢) نَجْران: النَّجْرانُ؛ هي الخَشَبة التي تَدُور فيها رِجْل الباب؛ ويُقال لأنف الباب الرّتاج، ولِدَرَوَنْدِه النَّجْرانُ، ولِمِتْرَسه القُنَّاحُ والنِّجافُ؛ وقال ابنُ دُرَيْد اختصاراً: هو الخشبة التي يَدُور فيها. أما المَنْجُور ـ كما يُوضِّحُ ذلك ابن منظور في لسان العَرَب، فهو: المَحالةُ التي يُسنى عليها؛ وهو تعبيرٌ عُمانيٌّ صَميمٌ من الذبيِع والشيُوع بمَكان. المعنى: واعذرني أيها الشيخ؛ فقد حُقَّ لنا أن نُقدِّمَ لك العزاء لفقدك أعزّ ما ملكت: العِلم والعمل؛ بعد ضعفك للطَّمَع المرذول تدورُ فيه وحوله كما يدور البابُ على خشبَتِهِ الدَّوارةِ دَوْرَةً إثر أخرى في مقامات الفُتوح والغلق.

(٣) القمْقام: البَحر والماءُ الكثير، والسيّد الكثير الخير الواسع الفَضل. المعنى: يُذكِّرُهُ في مُرْتَّبع عِتابه قائلًا: وأين سوابقك المَحمودَة؟ يا سيّد القوم ويا بحرهم كَرَماً.. هلْ طُويت؟ أم أنكَ لا تدري! لأنني أعرفُ جيدا أنَّ الشيطان هو من طَوى فضائلَك المَحمودة تلك.

(٤) المعنى: هل استأت من العَدل واشتراط عدالته؟.. تلك العدالة التي أخلصت لها فئة ما همُّها رثات الدُّنيا الذي استبدلتهُ هِمَمُها بأقدار بديلة، وأوزان مُثقَّلَة العِيار في كَفَّةِ مِيزانِ العَليّ القدير؟...

(٥) قُطب: بُؤرة ومِحوَر زعامَة. المعنى: لم لا تكون قُطباً مِحوريّاً في إمامة سالم بن راشد؟.. كما كان أبوك قطب إمامةِ عزان بن قيس؟.. ألا يكفيك مَجدٌ كهذا؟.. وهل أنت غافلٌ عمّا فعله المرحوم والدك، قطب إمامة عزان بن قيس.

أظُنُّ عَهْدَ الشَّهِيدَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا ... يَسْتَنْصِرَانِكَ قَدْ أغْفَاهُ نِسْيَانُ(١)

أَبَعْدَ أَحْبَارِكَ الأَبْرَارِ تَنْسِفُهَا؟ ... وَأَنْتَ فِي بَحْرِهَا دُرٌّ وَمَرْجَانُ(٢)

بَنَيْتَ قُبَّةَ إِيمَانٍ وَتَهْدِمُهَا ... للهِ! هَلْ بَعْدَ هَذَا الهَدْمِ بُنْيَانُ(٣)

نَظَرْتَ «أَحْمَدَ» حَتَّى حَلَّ مَسْكَنَهُ ... فِي الخُلْدِ مِنْ حَوْلِهِ حُورٌ وَوِلْدَانُ(٤)

وَصَارَ عِنْدَ أَبِيهِ فِي حَظَائِرِ قُدْ ... سِ اللهِ، حَظُّهُمَا فَوزٌ وَرِضْوَانُ(٥)

عَدَوْتَ تَنْقُضُهَا مَثْنَى وَوَاحِدَةً ... وَكُلُّكُم فِي مَقَامِ الفَضْلِ صِنْوَانُ(٦)

وَقُلْتَ: شَأْنُكَ مِنْ بَابِ السِّيَاسَةِ فِي ... دَفْعِ الأَجَانِبِ، لا بَغْيٌ وَعُدْوَانُ(٧)

---

(١) المعنى: لكنْ؛ يبدو أنكَ نسيت عهد الشهيدين؛ أبيك وأخيك محمد، لذلك قمت بما قمت به في حق هذه الإمامة الوليدة.

(٢) أحبارك الأبرار: أجدادك الأبرار، والتلميح إلى والده الشيخ سعيد بن خلفان || تنسِفها: تطعنها، وهو ما قصده الشاعر في اعتقادنا، فالنَّسف أيضاً يعني القلْع، ولا بأس بها معنى يردف المعنى ويرادفه.
المعنى: أبعد أحبارك الأبرار (وآخرهم المرحوم والدك)، وقبله كثيرون بالطبع في مسارات نضال الإمامة؛ تنسفها نسفاً؟.. رغم أنكَ لؤلؤة مكنونة في بحرها الهادر بعدالةِ السماء والأرض.

(٣) المعنى: لقد بنيتَ قُبّة إيمان طوال عُمرك، وتأتيها اليومَ هادِماً؟.. للّهِ درّك! هل بعد هدمِكَ لقُبّةِ إيمانك؛ يقوم بُنيانٌ على أنقاضها.

(٤) نظرت: بمعنى انتظرتَ. نَظَرْتُ فلاناً وانْتَظَرْتُه بمعنى واحد، فإذا قلت انْتَظَرْتُ فلم يُجاوِزْك فعلك فمعناه وقفت وتمهلت || أحمد: هو الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي [أخو الشيخ المُعاتَب في الأبيات، وقد كان صديقاً للشاعر، خصَّهُ ببيتٍ سابق في نفس القصيدة: أرتاحُ فيها إلى خِلٍّ فينْهَرني | صِدقٌ وقصدٌ ومعروفٌ وعِرفان]، وقصد الشاعر أنكَ انتظرت رحيله لتفعل فعلتك.
المعنى: لقد انتظرت رحيل أخيك [قصد أخاه الثاني أحمد زميل الشاعر الذي فُجِعنا برحيلِهِ المُبكّر إثر سقوطه في فلج نتيجة لإصابته بالصَّرع]، لكنْ لا تخف عليه؛ فقد حلَّ، [هُوَ الآخر كأبيك وأخيك محمد]، مَسكنه الأخرويّ في جنان الخلد؛ تحيطُ به الحور العين والولدان المُخلدون.

(٥) المعنى: وانتظرت أخاك أحمد [لتقوم بشنعتك]، حتى صارَ في جنان الخلد مع أبيكما العالم الرّباني سعيد بن خلفان وأخيه محمد في حظائر قُدس الله؛ حيثُ الفوز والرضوان حظّ الثلاثة. تلميح عُماني قح: يعني! خرصْت حتى انزلقت قدم أخي وأخيك المَصروع في الفلج، لتفصح عن نواياك المُبيّتة تجاه ما بناهُ أبوكُما الحَبر العلامة سعيد بن خلفان الخليلي، مُنظّر ثورة وإمامة عزان بن قيس؟

(٦) عدوت: ركفضت || صِنوان: نظيران. المعنى: ولم تكتفِ بذلك، بل ركفضت لاهثاً لتنقض الفضيلة مثنى وثلاث، مُتنابِياً أنكُم جميعاً [أنت وأخوك الشيخ أحمد] نظيران في مقامات المجد الرفيع المُكتسب من والدكما المغدور...

(٧) المعنى: وحين تساءل المُحبّون لكُم ولعائلتكم الفاضلة؛ رددت عليهم قائلاً: أنهُ أمرٌ من شؤون=

تَسُوسُهَا أنْتَ؟ وَالإِيمَانُ يَتْرُكُهَا ... مَا قَامَ - عَمْرُكَ - فِي دَعْوَاكَ بُرْهَانُ[1]

سِيَاسَةُ اللهِ فِي القُرْآنِ كَافِيَةٌ ... وَمَا يَزِيدُ عَلَى القُرْآنِ نُقْصَانُ[2]

فَارْجِعْ إلى اللهِ وَانْظُرْ في سِيَاسَتِهِ ... فَأَنْتَ مِنْ مَشْرَبِ القُرْآنِ رَيَّانُ[3]

ماذا رَأَيْتَ أَبَاكَ الطُّهْرَ يَصْنَعُ فِي ... سِيَاسَةِ الدِّينِ لَمَّا قَامَ «عَزّانُ»؟[4]

أنتَ الشَّهِيدُ عَلَى إشْرَاقِ سِيرَتِهِ ... وِلِلبَصَائِرِ بِالمَشْهُودِ إيقَانُ[5]

أَفِي إِمَامَةِ حَقٍّ بَعْدَ مَا ثَبَتَتْ ... بِحَقِّهَا؛ أَنْتَ - يَا ذا اللُّبِّ - حَيْرَانُ؟[6]

لا عُذْرَ، لا عُذْرَ. فِيهَا حُجَّةٌ قَطَعَتْ ... عُذْرَ الخِلافِ، لَهَا فِي الدِّينِ تِبْيَانُ[7]

=السّياسةِ هدفه البعيد دفع الأجانب، وليس بغياً وعدواناً على أبناء جلدتك ومِلَّتِك. هل تضحكُ عليَّ وعليهم بمثل هذا الرّد يا شيخ عبدالله؟ تلميح توضيحي: كيف تُبرِّرُ لنا تاريخياً أنَّ منبع تصرفك هو دفع [الأجانب] الإنكليز؟.. في حين أنك تعلم أنهم المُسيطرون على سلاطين مَسقط (الوطنيين نسبياً)، والغاضبين في دواخلهم من تسلُّط الإمبراطوريَّة البريطانيَّة على مُلكِهم المَحدود؟.. هل تضحكُ علينا بتبرير كهذا؟

(1) المعنى: وتأتيني بعد ذلك، لتدَّعِي أنكَ تسُوسُها بالحكمةِ والكياسَة والسّياسَة والرّياسَة؟ ضاحكاً على ذقوننا التي ابيَضَّتْ شَعراتُها أسَى وتأسُّفاً عليك؟.. مُبرّراً لنا قبيح فعلك بأنَّهُ سياسة حكيمة في دفع الأجانب، وليس بغياً على هذه الإمامة وعُدواناً عليها؟.. بالله عليك! كيف لنا أنْ نُصَدِّقك؟.. ولو صدَّقناك، جَدَلاً يا شيخ عبدالله، كيفَ لنا فهم المُعادلة حين تتركها كفتها الأخرى: ميزان الإيمان؟

(2) المعنى: سأختصرُ لك القول: تكفينا سياسة الله في كتابه؛ فما زاد على القُرآن نقصان بيِّن، مهما تذرَّعتَ بذرائعك الواهيَةِ في نظر الأُمَّة.

(3) المعنى: ودعك يا شيخ من تأويل الأمور، وارجع البَصَرَ كَرَّتين، لتنظر إلى الله في سياسته التي لا يَتفوَّق عليها سائسُ قوم؛ لأنَّكَ - في تأصيل القول والعِتاب - رَيَّانٌ من مَشرَبه العَذب.

(4) المعنى: ولك مِثالٌ في الأمر من ضلعك شحماً ولحماً؟.. فما الذي فعله أبوك الطاهر [الشيخ سعيد بن خلفان] في (سياسة الدِّين) حينَ قامت إمامة عزان بن قيس؟.. تفكَّرْ في الأمثولة، وبعدها أجبني ورُدَّ على أبي مُسلم، الذي اضطرَرْتَهُ ليكونَ هَجَّاءً في نونيَّتِهِ...

(5) المعنى: وأنتَ، قبلَ سِواك، شهيدٌ على إشراق تلك السِّيرَة الجليلة لأبيك، وما نعرفهُ ونعهده أنَّ البَصائرَ [حين تتفكَّرُ بصيرتُها في الأمر]؛ تُوقِنُ وتُؤمِنُ به.

(6) المعنى: أيُعقلُ، أيُّها الفطِن، أن تَحارَ في إمامة حَقٍّ [لم تُثبِّتْ أركانُها ظلماً]، بل ثبَتتْ بحَقِّها الدامغ المشهود، لتدَّعي حَيرتكَ في أمرها؟.. وكيف تريدُ [استرسالاً في الخطاب] من أبي مُسلم المَنفيِّ في زنجبار أنْ يُصدِّقَ تغابي فِطنتك تلك! ما أعجب أمركَ يا شيخنا.

(7) المعنى: عفواً! لا عُذر لك لتتعَذَّر به أمامنا، لأنَّ حُجَّة طهارة الإمامة كامِنة في أركانها التي قطعت=

فَمَا انْحِرَافُكَ عَنْهَا بَعْدَ مَا وَجَبَتْ إلّا خُرُوجٌ عَلَيْهَا وَهُوَ عِصْيَانُ(١)

أَبَعْدَ سِتِّينَ عَاماً! عِشْتَ تُنْفِقُهَا لِلهِ وَالحَمْدِ؛ أَنْتَ اليَومَ خُسْرانُ(٢)

فَاتْبَعْ إمَامَكَ وَالْزَمْ غَرزَ سِيرَتِهِ وَدَعْ هَوَى النَّفْسِ، إنَّ النَّفْسَ شَيْطَانُ(٣)

وَصُنْ بَقِيَّةَ هَذا العُمْرِ فِي كَيَسٍ فإنَّ دَهْرَكَ ـ لَوْ فَكَّرْتَ ـ كَيْسَانُ(٤)

فَارَقْتَ عِزَّتَكَ العَلْيَا إلى طَمَعٍ حَتَّى لَقدْ قَالَ أَهْلُ السُّوءِ: سَاسَانُ(٥)

=عُذر الخلاف حولها، لأنَّ لها في الدِّين وُضوحٌ وتبيان. وثمة إشارة ضمنيّة إلى قوله عز وجل: «وأنزلنا عليكَ الكتاب تِبْياناً لكلِّ شيءٍ»؛ أي بيِّن لك فيه كلُّ ما تحتاج إليه أنت وأُمتُك من أمر الدِّين.

(١) المعنى: بعد أن بيّن له بالأدلة القاطعة تداعِي موقفه الذي ادَّعاه، يقول له: انحرافك عنها [أي الإمامة]، بعد وُجُوبها شرعاً عليك وعلى كافة المُسلمين؛ خروجٌ عليها، وهو في نظرنا عِصيَانٌ واضحٌ لا نُساوِمُ في تأويلِهِ، مهما كان مَحتدُكَ.

(٢) المعنى: أبعد ستين عاماً أنفقتها لله وفي الله حمداً على نعمته أنت اليوم خُسْران. [وردت في كافة النسخ: خَسْران ـ بفتح الخاء ـ لكننا نميلُ إلى ضَمِّها، ليصير المعنى المُرادُ من الشطر الثاني: للأسف؛ أنتَ خُسْرانٌ على هذا الدِّين، في نهاية تطواف القول].

(٣) غرز: الغَرْزُ رِكابُ الرَّحل، وقيل: ركاب الرحل من جُلود مخروزة، فإذا كان من حديد أو خشب فهو رِكابٌ، وكل ما كان مِساكاً للرِّجلَين في المَرْكَب غَرْزٌ. مِنهُ حديث أبي بكر أنه قال لعمر، رضي الله عنهما: اسْتَمْسِكْ بغَرْزِه أي اعتلق به وأمسِكْه واتَّبِعْ قولَهُ وفعلَهُ ولا تُخالِفْه؛ فاستعار له الغَرْزَ كالذي يُمسِكُ بركاب الراكب ويسير بسيره. المعنى: وخلِّيك من هذا الكلام؛ والزمْ ما ثبت من غرز سيرة إمام المُسلمين هذا، ودعْ عنك هوى النفس، لأنَّهُ، ولأنَّها شيطانٌ مُبين تكاثفَ أحدهما على الآخر.

(٤) المعنى: الكَيْس: خِلاف الحُمْق؛ وقصد بها رزانةُ العَقلِ وزينته || كَيْسان: غدَّار؛ فقد كانت بنو فَهم تسمِّي الغَدْرَ: كيسان. المعنى: لقد بلغت السّتين من العُمر، ومِثلك أحرى به أن يصون المُتبقي من عُمُرِهِ فيما تشترطه الرَّزانة والحكمة والموعظة الحَسنة؛ لأنَّ الدَّهر ـ دهركَ ودهر أبي مُسلم ـ غدَّارٌ بطبيعته الأزليّة.

(٥) سَاسَان: مُفردَة مُتداولَة في المنطقة الداخلية من عُمان للتعبير [المُلطَّف اجتماعيّاً] عن النَّوَر، أي: (الزُّطّ)، وهُم قومٌ جَبليُّون كانوا يَحتلون مرتبة دنيا في التراتب الاجتماعي، آنذاك. [أخطأ بعض شُرّاح النُّونيّة في تفسيرهم لساسان: «أي ذو سياسة ومعرفة بالأمر، كأنك من آل ساسان ملوك الفرس، وبطبيعة الحال وبدهيّة المَوقف، فالمَقصدُ هو الذمُّ، لا المَديح]. المعنى: في هذا البيت يبلغ البهلاني أقصى ومُنتهى غايات عتابه للشيخ عبدالله [مذموم نُونيّتِه]؛ الذي التجأ لسلاطين مسقط، آنذاك، طلباً لنَهَطِهِم الأضالِ مِن الضالّة ذاتها؛ مُتناسياً مكانته ومكانة أبيه المُتقدِّسَةِ لدى كافة العُمانيين، كما هي لدى الشاعر. لكنّنا نلحظ في البيت كياسَة الشاعر تجاه الخليليّين الذين علَّمُوهُ واعترافه بفضلهم عليه [وهو الرَّواحي المُنضوي إلى قبيلة بني رواحة القاطنة في سمائل]، لكنها في=

لِلمُسْـلِمِـيـنَ ظُـنُـونٌ فِـيـكَ عَـالِيَـةٌ　　　يَا ابْنَ المَعَالِي، وَهُنَّ اليَومَ خَيْلانُ(1)

=حقيقة الأمر قدحٌ وَضّاح في الشيخ المذموم، تعمّد أبو مُسلم ألّا يأتي على لسانه؛ ليكون التعبير المُتواري في ظِلال التلميح: «حتى لقد قال أهل السُّوء ساسانُ»، وقصد بذلك: أنَّ أهل السُّوء صاروا يقولون عنك لكثرة تطلابك بأنك «ساسان»؛ وهي مُفردة شعبية كانت تطلق على مَن أشرنا إليهم في المنطقة الداخلية من عُمان، (ويُنادَون بها تأدُّباً، كي لا يُقال في وُجوههم أنّهم «زط»، امتهاناً لكرامَتهم الآدميّة)، وهؤلاء، مُضطرُّون بسبب تدنِّي مَرتبتهم الإجتماعيّة، للمُطالَبة بحَقهم في الطَّلْبة؛ ولذلك تراهُم يعملون في أحقر المِهن. وهي شتيمة مُقذعة في حقِّ الشيخ عبدالله، ولها ما يُبرِّرُها من وجهة نظر الشاعر الذي ارتأى أنَّ رحيل الشيخ الجليل [أبي المذموم] في سجون مسقط حدث يستحق الثأر لا الخنوع؛ وكان الواجب منه [أي الشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي] المطالبة بثأر أبيه على الأقل، عوضاً عن التطلاب المُهين له ولعائلته من سلاطين مسقط آنذاك، إن لم يكُن ذلك الأمر لنداءِ الدين والواجب وحَمِيَّةِ القوم وحُمَيّاهُم. رواية موثوقة: سَمعتُ من الأستاذ الأديب أحمد الفلاحي؛ راوياً عن الشاعر الكبير الشيخ عبدالله بن علي الخليلي: أنَّ هذه الأبيات في نونيّةِ أبي مُسلم ظلت تزعجه على الدوام، وكُلما قرأها أصابَتهُ الحُمّى ثلاثة أيام مُتتالية. ردُّ الشاعر على الشاعر: في الحقيقة أنَّ الشاعر عبدالله بن علي الخليلي ألَّفَ كتاباً مخطوطاً في الرَّدِّ على أبي مُسلم وسِواه من الأشياخ والفقهاء والشعراء؛ مُتطرقاً فيه إلى أحداث ذلك العصر، مُفنداً حوادث تاريخية من (منظور بَني خليل). وقد وَسَمَ مَخطوطَهُ بعنوان: «الحقيقة». وقد حاول نشره في حياته؛ لكنّهُ لم يُوفق في الحصول على إذن رَسمِّيٍّ بنشرهِ في عُمان. ومن باب الكياسة واللياقة، فضلًا عما تَفرضُهُ وتوجبه علينا واجبات اشتغالنا المَنهَجيّ؛ فإننا نورد فقرة تخصُّ أبا مُسلم اقتبسناها مما أورده الشاعر عبدالله بن علي الخليلي في مخطوطه المُشار إليه: «وتجدني أشرئبُّ إلى الشاعر البَهلاني، وهو يقول في نُونيّته المُستجيشة مُشيراً إلى الخليلي حيث يقول: أقولُ للبعض منكم وهو عن أسفٍ | والحُرُّ يأسفُ للأحرار إنْ شانوا، فلو قال إنْ هينوا. وحيث يقول: (أعاذكَ اللهُ طاويهِنَّ شيطانُ) لعله إنسان، وحيث يقول: (حتى لقد قالَ أهلُ السُّوءِ ساسانُ)، فمن ترى أهل السُّوء؟ وحيث يقول: (وأنت على الأبواب ذبّانُ)، لعمري أليس في كريم القول ما يدور بقائله على محور الكرامة للطرفين؛ القائل والمقول فيه. للهِ يا أبا مُسلم! ألستَ الذي تربَّيتَ في أحضان الخليلي وتغذيتَ بنميره العذب؟ ألست الذي كُنتَ تقف وراءهُ مُصلياً، فترى وتسمع ما يُوجبُ الولاية؟.. حقاً! أليس لديك ما يجب أن تغتفر به لوليّك؟ أليس للنصح وجهاً يفي للصديق بصداقته، وللوليّ بولايته؟ ألم يُغذِّكَ المُروءةَ من ألبانِها؟ ألم تحفظ لأحمد بن سعيد سيرةً وصُحبةً تحتم عليك حفظ عرض أخيه، والإبقاء على شرفه، وإقامة العُذر له، وحمله على حُسن الظنِّ الذي يحمل عليه عامة المُسلمين؟ والذي هو الأصلُ في الحُكم. أم نسيتَ لوالدكَ الكريم حياته الطيبة التي عاشها في بحبوحةِ مِن عطف الخليلي المُحقق وحَنانِه؟».

(1) خيلان: خالَ الشيءَ يَخالُ خَيْلًا وخِيلة وخَيْلة وخالًا وخِيَلًا وخَيَلاناً ومَخالة ومَخِيلة وخَيْلُولة: ظَنَّه، وفي المثل: من يَسْمَعْ يَخَلْ أي يظن، وهو من باب ظننت وأخواتها، وأَخالَ الشيءُ: اشتبه. يقال:=

كُنْتَ السَّفِينَةَ لِلإسْلامِ تَحْمِلُهُ ثُمَّ انْكَفَأْتَ بِهِ وَالغَيُّ طُوفَانُ[1]

كُنْتَ المُرَزَّءَ لِلإسْلامِ تَكْلَؤُهُ وَاليَوْمَ، مِنْ كُثْرِ مَا يَشْكُوكَ، ضَجْرَانُ[2]

فَافْتَحْ، فَدَيْتُكَ، عَيْنَي جُؤْذَرٍ يَقِظٍ فَإنَّ كَاتِبَ مَا تُمْلِيهِ يَقْظَانُ[3]

=هذا الأمر لا يُخيل على أحد أي لا يُشْكِل. قال الأعشى: «وما خِلْت أبقى بيننا من مَوَدَّة | عِرَاض المَذَاكي المُسْنِفاتِ القَلائصا». المعنى: وقد كانت ظنون كافة المُسلمين عالية فيك، لكنَّها ـ أسَفاً ـ ذهبَت أدراج رياح الظنون والتخييل، تلك.

(١) المعنى: ولا غرو؛ فقد كُنتَ أنتَ نفسَك سَفينة نوح التي حملت مشارق أنوار الإسلام شرقاً وغرباً؛ لكنَّكَ انكفأتَ به [أي رسالة الإسلام]، والغيُّ طوفان. تلميح مُستضاف: نلحظ، هنا، مُفارقة أبي مُسلم وإلماحته الذكية: الغيّ طوفان، وقد قصد به غيّ الشيخ عبدالله الخليلي في احتكام وإحكام مقادير مصيره إلى [الفئة الباغية؛ في نظر شاعر النونيّة]، أي حُكّام سلطنة مسقط، آنذاك؛ تركي وفيصل على التوالي، ليُعيده إلى جادّة الصواب في هذا البيت؛ مُذكِّراً إيّاه بأنَّ الغيّ طوفان كطوفان البحار التي بالكاد سَلمت مِنها سفينة نوح، فأنّى لَكَ أنْ تسلم سفينتك المُهلهلة في هذا البحر يا شيخنا؟

(٢) المُرزَّأ: رَزَأَهُ يَرْزَؤُه رُزْءاً ومَرْزِئةً: أصابَ منه خَيْراً ما كان || تكلؤه: كَلأَ القومُ سَفِينَتهم تَكْليئاً وتَكْلِئةً، على مثال تَكْلِيم وتَكْلِمةٍ: أَدْنَوْها من الشَطِّ وحَبَسُوها. المعنى: مِثلُكَ مَنْ ظننا أنهُ سيقومُ بقائمة رُوح الإسلام الذي شكا أفاعيلك في مَناقب روحه ـ بعدما فعلت ـ أضحى ضجراً مِنك يا شيخنا. رواية أخرى حول النونيّة: أخبرني الأستاذ أحمد الفلاحي (نقلًا عن الشاعر عبدالله بن علي الخليلي)، أنَّ الشاعر الكبير بَرَّرَ خروجَ جَدِّهِ [الشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي] عن إمامة سالم بن راشد الخروصي ليلتحق بسلطان مسقط السيد فيصل بن تركي؛ أنَّ الشيخ عبدالله بن سعيد [مذموم النونيّة، ووالد الإمام الرّضي محمد بن عبدالله الخليلي]، تلقى أنباءً عن كُل من الإمام سالم ونور الدين السالمي [مُنظِّر إمامة سالم بن راشد] تفيد بأنهُما أهدرا دمه، وأنه مقتول لا محالة بحجة خروجه عن طاعة إمام المُسلمين، وأن الشيخ عبد الله بن سعيد رأى فجراً ـ والرّواية ما زالت للشاعر عبد الله بن علي الخليلي ـ وهو خارج إلى المسجد أناساً يحومون حول منزله، فهربوا حين رأوه، فتضاعف شكُّهُ؛ فاضطُرَّ إثرَها للإلتحاق بالسلطان فيصل في مسقط. لكنَّ هذه الرّواية (كما يُضيف الأستاذ أحمد الفلاحي)؛ شكَّكَ في صِحّتها كثير من العُمانيّين نظراً لالتباسات أحداث تلك الآونة، وهي أحداث ـ والقول للفلاحي ـ يكتنفها الغموض، وبحاجة لمُؤرِّخ فاحص مُدقِّق في أخبارها ورواياتها المُتناقِضة.

(٣) جُؤذر: الجُؤْذُرُ والجُوذَرُ: هو ولد البقرة، وفي الصِّحاح: البقرة الوحشية، والجمع جَآذِرُ || كاتب ما تُمليه: قصد به الملكان الحافظان. المعنى: والله يخلِّيك؛ افتح عينَيكَ كما تفتح بقر الوحش عيونها الوسيعة حذراً مِن آساد الغابَة؛ لأنَّ كاتب ما تمليه يقظانٌ في سماواته العُلا، فهو لا ينخدع بملاعيبك السّياسية الصغيرة التي لم نر لها وجهاً ووجاهَةً وَوِجْهَةً حتى في زنجبار.

بِيضُ العَمَائِمِ لا تُجْدِي إذا انْكَدَرَتْ بِيضُ القُلُوبِ، وَللإيمَانِ عُنْوَانُ[1]

طَهِّرْ ثِيَابكَ وَاغْسِلْ رَاحَتَيْكَ فَهَا تِيكَ المَطَامِعُ أوْسَاخٌ وَأدْرَانُ[2]

وَاحْمَدْ نَصِيحَةَ حُرٍّ لا يُرِيدُ بِهَا ذَمّاً، وَفِيكَ لِطَوْدِ الحَمْدِ أرْكَانُ[3]

إنْ تَعْرِفِ الصِّدْقَ فِي نُصْحِي فَقَدْ سَبَقَتْ عُهُودُ صِدْقٍ وَإخْلاصٌ وَإحْسَانُ[4]

لَيسَ الخَلِيلُ المُدَاجِي عِندَ شَائِنَةٍ إنَّ المُدَاجِيَ فِي العَوْزَاءِ فَتَّانُ[5]

لَكِنَّهُ مَنْ رَأى عَيْباً وَحَقَّقَهُ أهْدَاكَ عَيْبَكَ غَيْظاً وَهُوَ لَهْفَانُ[6]

---

(١) المعنى: وبعدين، يا شيخ عبدالله، العمائم الأباضيّة البيضاء لا تنفعك إذا انكدرت سُويداءُ قلبك؛ فللإيمان ـ كما تعرف، ولا بُدّ ـ عُنوانٌ معروفٌ لو أردتَ قصده مُنذ البداية. تلميح: ثمة، في هذا البيت، إفصاح خطير عما استشرى في مُجتمعنا مِن نِفاق بعض المُتديّنين. ونستطيع القول إنَّ الشيخ عبدالله الخليلي أضحى ضحيّةً لمقصَد الشاعر؛ لكننا فيما لو رأينا حولنا ما يحدث [بعد مائة عام على كتابة النونيّة]؛ لاكتشفنا أنَّ الشاعرَ كان مُحقاً في تحليله، وقسوته على بعض رجالات الدِّين، وهو ما سيفصح عنه في قصائد أخرى، لا سيّما تلك القصيدة التي يَسخر فيها الشاعرُ مِن أحد أئمّةِ المساجد الذين اتخذوا التديُّن هُزواً ولعباً بعقولهم وعقولٍ من صدَّقهم من العامّة. وهو موقف جذري يُحيلُ القارئ إلى أصالةِ فِكر أبي مُسلم التنويري الذي حاولَ كثيرون اختزاله في منظوماتهم العقديّة.

(٢) المعنى: وباختصار؛ طهِّرْ ثيابكَ يا شيخ، واغسل يديك مما اقترفته في حق نفسك قبل كُلِّ شيء؛ فأنتَ تعلمُ أنَّ تلك المطامِع الدُّنيويّة لا أقلّ ولا أكثر مِنْ أوساخ الزبالة وأدرانها.

(٣) احمد: اشكُر || طَود الحمد: جبل الحمد. المعنى: ورغم إطالتي في هذه الأبيات النصوح لك؛ إلّا أنَّ عليك أن تشكُر نصيحةَ حُرٍّ مِثل أبي مُسلم البهلاني لم يُرد بها قدحاً وذمّاً فيك؛ لأنّني على يقين بأنَّ في المُتبقي من روحك الصافيةِ أركاناً قادرة على حَمْدِ الحَمْدِ وشُكرانه.

(٤) المعنى: وكي لا أكون مُغالطاً؛ ستجد إنْ كنت تعرف الصِّدق الخالص في نُصحي لك؛ فثمّة عُهود صدق قديمة لا أنساها مشفوعة بالإخلاص والأحسان. تلميح: يُشير الشاعر إلى علاقته الرُّوحية الكبيرة مع الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان [أخي الشيخ الذي بدا مذموماً في النونيّة]، تأكيداً مِن جانبه على وفائه لعهود الإخلاص والإحسان التي نالها الشاعرُ [الرَّواحي] من [الخليليّين] الذين احتضنوه في يَفاعته قبل رحيله المُبكر إلى زنجبار، لكنهُ يقولُ للشيخ إنني قدر ما لا أحابيكم وأنقدكم في بعض مواقفكم، لكنني بجبلّتي شاعر حُرّ لا أسمح لنفسي أنْ تمُرَّ حكاية الشيخ عبدالله الخليلي وخيانته للإمامة مُرور الكِرام، ولسوف أوَبِّدُها طوالَ الدَّهر في نُونيّتي العَصماء.

(٥) المعنى: والصَّديق الحقيقي هو من أهداك عيبك وصَدَقكَ عند زلّتِك، لا من نافقك وجامَلك حتى عند وقوعك في الزَّلَل.

(٦) المعنى: لكنَّ الصديق الحقيقي هو من أهداك عيبك، وهو لَهِفٌ عليكَ مغتاظٌ من خطئك، يطلب صلاحك وإنْ أغضبك ذلك.

أُرِيكَ مِنْ أَسَفِي خَصْماً تُبَاعِدُهُ ... وَالقَلْبُ مِنْ حُبِّكَ المَكْنُونِ وَلْهَانُ[1]

خُذْ مِنْ مَضَائِقِ أَقْوَالِي نَصَائِحَهَا ... وَفِي ضَمِيرِي لَكُم بِالحُبِّ مَيْدَانُ[2]

يا قَوْمِ أَهْلَ عُمَانٍ كَم تَخَالُفُكُم ... إِنَّ التَّفَرُّقَ لا يَرْضَاهُ إِيمَانُ[3]

أَطُولَ دَهْرِكُمُ خَوْفٌ، مُدَاهَنَةٌ ... مَطَامِعٌ، حَسَدٌ، بَأْوَاءُ، خُذلانُ[4]

أَهَذِهِ شُعَبُ الإِيمَانِ عِنْدَكُمُ ... أَهَكَذا سُنَّةٌ قَالَتْ وَقُرْآنُ؟[5]

ما ذا الشِّقاقُ الذي يَفْرِي جُنُوبَكُمُ ... وَالمُؤمِنُونَ بِذَاتِ الدِّينِ إِخْوَانُ[6]

أَطْلَقتُمُ السَّيفَ فِي أَفْرَادِ مِلَّتِكُم ... وَقَيَّدَتْهُ عَنِ الأَعْدَاءِ أَجْفَانُ[7]

هَبْ أَنَّ أَسْيَافَكُم غَرْثَى بِهَا قَرَمٌ ... فَفِي لُحُومِ العِدَا يَغْتَاشُ غَرْثانُ[8]

هَانَتْ عَلَيْكُم تُرَاثُ الكُفْرِ وَاشْتَعَلَتْ ... فِيكُم عَلَى بَعْضِكُم لِلبَغْضِ أَضْغَانُ[9]

وَأُلْفَةُ الدِّينِ قُرْبَى لَمْ يَكُنْ مَعَهَا ... أَعْلَى وَأَدْنَى وَأَحْزَابٌ وَأَدْيَانُ[10]

يا قَومِ هَذا إِمَامُ الدِّينِ بَيْنَكُمُ ... مَقصُودُهُ الحَقُّ، لا مُلْكٌ وَسُلْطَانُ[11]

---

(١) المعنى: أريكَ مِن أسفي عليك، خصماً تُباعده، لكنَّ قلبي ـ مع ذلك ـ ولهانٌ من حُبكَ المَكنون فيه.

(٢) الضِّيقُ: نقيض السَّعة، أصلها مضائق الكلام. المعنى: خذ ـ يا شيخ ـ نصحي وتقبل مني هذا النقد الجارح، فقلبي مليءٌ بحُبّكُم ومودَّتكم.

(٣) المعنى: واضح من السّياق في إشارته لتفرّقِ أهل عُمان، لأنه تفرُّق ـ في نظر الشاعر ـ لا يَرضاهُ الإيمانُ.

(٤) المُداهَنة: المُصانعَة واللين وإظهار خلاف الباطن، والمُداهن: المُنافق || بأواء: العَظمَة، والبَأوُ: الكِبْرُ والفخر. المعنى: يستمر الشاعر في تقريع بني جلدته، بل وجلدهم بسياط الكَلِم، قائلًا: أهكذا أنتم طوال دهركم: خوف ونفاق وطمع وحسد وتكبُّر فارغ؟

(٥) المعنى: أهذه هي أركان الإيمان عندكم؟ أهكذا قال الله ورسولُه؟.. وبالطبع هذه صيغة استنكار لا استفهام.

(٦) يفري: يقطع || جُنوبَكُم: أجسادكم، على القياس. المعنى: واضح من السياق.

(٧) أجفان: أغماد. المعنى: واضح من السياق

(٨) القرم: شدّة الشهوة إلى اللحم، || غرثان: جوعان. المعنى: ولنفترض أن أسيافكم تشتهي تقطيع اللحم ـ لو افترضنا ذلك ـ ففي لحوم أعدائكم ودمائهم ملاذ يرويها.

(٩) تراث الكُفر: ما يخلفه الرجل لورثته، والتاءُ فيه بدل من الواو. والمعنى: واضح من السياق.

(١٠) ألفة الدِّين: قرابتُه. والمعنى: واضح من السياق.

(١١) المعنى: هذا إمام الدِّين بينكم قصده وهدفه إقامة الحق ، لا التسلط عليكم.

يَـدْعُـو إلـى اللهِ قَـوَّامـاً بِـمِـلَّتِـهِ ... لَهُ حُسَـامَـانِ: إقْسَـاطٌ وَإحْسَـانُ[1]

يا قَومِ طَاعَتُهُ فِي مِصْرِكُم وَجَبَتْ ... فَرْضاً عَلَيْكُم وَمَا فِي الدِّينِ إدْهَانُ[2]

يـا قَـومِ لا تُـدْبِـرُوا عَـنْـهُ فَـإنَّ لَكُـم ... رَبـاً يُـحَـاسِـبُ وَالإدْبَـارُ عِـصْـيَـانُ[3]

يـا قَـومِ إنْ تُـدْبِـروا يَـغْـضَـبْ إلَهُـكُـمُ ... فَـأيْـنَ مَـلْـجَـؤُكُـم وَاللهُ غَـضْـبَـانُ[4]

إنْ تَـنْـصُـرُوا اللهَ يَـنْـصُـرْكُـم فَـلا تَـهِـنُـوا ... فَالكُفْرُ فِي المَقْتِ وَالإسْلامُ رِضْوَانُ[5]

إنَّ الإمَـامَ يَـمِـيـنُ اللهِ بَـيْـنَـكُـمُ ... فَـبَـايِـعُـوهُ وَإلّا حَـلَّ خُـسْـرَانُ[6]

قَـامَـتْ عَـلَيْـكُـم بِـحُـكْـمِ اللهِ حُـجَّـتُـهُ ... إنْ كَـانَ فِـيـكُـم لِحُـكْـمِ اللهِ إذْعَـانُ[7]

إنْ تَـتْـبَـعُـوهُ فَـعَـيْـنُ الـرُّشْـدِ خِـطَّـتُـكُـم ... أو تُعْرِضُوا عَنْهُ فالإعْرَاضُ طُغْيَانُ[8]

فَـرَاقِـبُـوا اللهَ فِـيـهِ إنَّ حُـجَّـتَـهُ ... قَـدْ قَـامَ فِـيـهَـا بِـحُـكْـمِ اللهِ بُـرْهَـانُ[9]

تِـلْـكُـم وَصِـيَّـةُ حَـسَّـانٍ لَكُـم ثَـبَـتَـتْ ... فَـإنَّـنِـي الـيَـومَ لـلإسْـلام حَـسَّـانُ[10]

---

(١) حُسامان: سيفان || إقساط: الإقساطُ والقِسْطُ: العَدْلُ. والمعنى: واضح من السياق.

(٢) الإدهان: المُصانعة والغِش. والمعنى: واضح من السياق.

(٣) المعنى: يا قوم لا تدبروا عن نصرة إمامكم، فخذلانه معصية لله، وسيحاسبكم على هذا العصيان.

(٤) المعنى: واضح من السياق.

(٥) لا تهنوا: لا تضعفوا || المقت: البغض. المعنى: «إنْ تنصُروا اللهَ يَنصُركم ويُثبِّت أقدامَكم»، فالشنآن والتباغض كُفرٌ بالله، وعَكْسُهُ: الاستمساك بعُروةِ الإسلام الوُثقى مرضاةٌ للرَّب.

(٦) المعنى: أي أن الإمام يَدُ الله بينكم، بما هو تمثيلٌ لشرع الله بين عباده، فإنْ تبايعوه وإلا حَلَّ عليكم الخُسر.

(٧) المعنى: وبحكم الله قامت عليكم الحُجَّة، إنْ كنتم مذعنين طائعين لحُكم الله.

(٨) المعنى: فإن اتبعتموه فقد سلكتم عَيْنَ الرَّشاد، وإن كان غير ذلك فقد طغيتُم.

(٩) حجته: بُرهانه. المعنى: استمرار وتكرار لمعاني الأبيات السابقة؛ لتأكيد التأكيد.

(١٠) المعنى: وهذه وصيَّة شاعر النبي ـ ص ـ حسَّان بن ثابت للمُسلمين؛ وإنني اليومَ لكم كما كان حسانُ مُنافحاً عن الإسلام، وناصحاً المُسلمين. ملحوظة: إحالة الشاعر إلى حسان بن ثابت بها لفتة عبقرية من أبي مُسلم؛ وذلك أنَّ حسَّاناً كان مُنافحاً عن الإسلام بلسانه وشعره، في حين كان باقي الصحابة يتبارون في تقديم دمائهم سخية في سبيل الله، وكأنَّ أبا مُسلم في عجزه عن نصرة الإمام بالفعل والجهد البدني، مُكتفياً بنظم الشعر، تماماً كحالة حسَّان بن ثابت الذي اقتصر دوره على نظم الشعر. [هذه الملحوظة من وضع مُراجع الكتاب ومُدقِّقه].

لا يَصْدُقُ الدِّينَ إلّا مَنْ يُنَاصِحُهُ وَلا يَتِمُّ بِغَيْرِ النُّصْحِ إيمَانُ[1]

فإنْ تَمَكَّنَ نُصْحِي مِنْ بَصَائِرِكُم بَدَا لَكُمْ مِنْ ضِيَاءِ الحَقِّ فُرْقَانُ[2]

---

(١) المعنى: واضح من السياق.

(٢) فرقان: كل ما فُرِقَ به بينْ الحق والباطل. المعنى: فإنْ تمكن نُصحِي مِن بصائركُم، لأبصرتموه فرقاناً من ضياءِ الحَق، يُفرِّقُ بين الحق والباطل، وقصد به آراءه المبثوثة في نونيّتِهِ العَصماء.

وَطَني(*)
(المِيمِيَّة)

مَعَاهِدَ تَذْكَارِي سَقَتْكِ الغَمَائِمُ ... مُلِثّاً مَتى يُقْلِعْ تَلَتْهُ سَوَاجِمُ(1)

تَعَاهَدُكِ الأنْواءُ سَحٌّ بُعَاقِهِ ... فسُوحُكِ خُضْرٌ وَالوِهَادُ خَضَارِمُ(2)

(*) في الأصل المعتمد وردت أسفل العُنوان إشارة توضيحية، (ويبدو أن الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى الحارثي، جامع شتات شعر أبي مُسْلِم) يحتفظ بنسخة من القصيدة المرسلة إلى والده: «أرسل الشاعر هذه القصيدة إلى أمير الشرقية الشيخ العَلَّامَة عيسى بن صالح الحارثي يشكره على نصرته للإمام سالم بن راشد الخروصي، ويحُضُّهُ على رفع شأن عُمان». وللتوثيق التاريخي، نشير إلى أن القصيدة، وكما هو واضح من أبياتها أُرْسِلت قبل مُبايعة الشيخ للإمام، وهي حَضٌّ من أبي مُسْلِم للشيخ عيسى بن صالح كي يُبايِعَهُ وهو ما حَدَثَ بعد نحو شهر من رحلة الشيخ نور الدين السالمي (المُشار إليها في قصيدته النُّونية) من الشرقية إلى الداخلية لمُبايعته وتنصِيبه إماماً في بلدة تنوف. جدير بالذكر أن هذه القصيدة شاعت بعنوان [المِيمِيَّة]؛ وهو العُنوان الذي وردت به في كتاب «نهضة الأعيان بحُرِيَّة أهلِ عُمان» للشيخ أبي بَشير محمد شيبة بن نور الدِّين عبدالله بن حُميد السالمي ـ القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ـ محمد حلمي المنياوي، وارتأينا إدراجه عُنواناً فرعياً مُوازياً للقصيدة ذائعة الصِّيت.

(1) مُلثّ: من الفعل لَثَّ: أقام. يُقال لَثَّ المطر: دام أياماً لا ينقطع || سجم الدمع والمطر: سال قليلًا أو كثيراً. والمطلع مُفتتح ماطر لمعاهد تذكاره/ وطنه أقلعت وخفت حدة مطره أم سالت بتقطع.

(2) سَحّ: سَالَ من عالٍ إلى سافل || بُعاقُ المطر: هطوله فجأة بغزارة || سُوحُكِ: سيوحك || خضارم: في الأصل؛ تعني الكثير الواسع من كل شيء، لكن الشاعر أخذ بمعنى مرادفتها مُخضرَم: مَن كان ذا بشرة سوداء وأبوه أبيض البشرة وشقيقتها مُخضرِم: من أدرك الجاهلية والإسلام. فالسيوح خضراء والوهاد بين اخضرار واغبرار، وفي البيت افتنان لغوي ينضحُ به البيت المكمِّل لمطلع الميميَّة.

إذا أجْفَلَتْ وَطْفَاءُ حَنَّتْ حَنِينَهَا عَلَى قُنَنِ الأوْعَارِ وُطْفٌ رَوَازِمُ[1]
وَلا بَرِحَتْ تِلْكَ الرِّيَاضُ نَواضِراً تُضَمِّخُهَا طِيبَ السَّلامِ النَّسَائِمُ
تُصَافِحُهَا بِالزَّاكِيَاتِ أكُفُّهَا فَيُحْسَبُ فِيهَا وَالرِّيَاضُ تَرَاحُمُ[2]
مَعَاهِدُ شَطَّ البُعْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَحَلَّ بِقَلْبِي بَرْحُهَا المُتَقَادِمُ
تَزَاحَمَ فِي رَوْعِي لَهَا شَوْقُ وَالِهٍ وَصَبْرٌ، وَآنَ الصَّبْرِ أنْ لا يُزَاحَمُ[3]
إذا لاحَ بَرْقٌ سَابَقَتْهُ مَدَامِعِي وَلَيْتَ انْطِفاءَ البَرْقِ للغَرْبِ عَاصِمُ[4]
لئِنْ خَانَنِي دَهْرِي بِشَحْطِ مَعَاهِدِي فَقلْبي بِرَغْمِ الشَّحْطِ فِيهِنَّ هَائِمُ[5]
وَإنَّ هُيَامَ القَلْبِ فِيهَا وَقَدْ نَأتْ وَسَائِلُ فِي شَرْعِ الهَوَى وَلَوَازِمُ
فَيَا لَفُؤادِي، ما التَّبَارِيحُ وَالجَوَى فَعَلْنَ؟ إذا ازْدَادَتْ عَلَيْهِ اللَّوَائِمُ
عَلَى أنَّ ذِكْرَ النَّفْسِ عَهْداً وَمَعْهَداً أمَضُّ بِهَا مِمَّا تَمُجُّ الأرَاقِمُ[6]

---

(١) وَطْفاء: السحابة وقد تدلت أطرافها لثقل محمولها من الماء || قنن: جمع قنة وهي قمة الجبل || الرَّزِم: الغيث غير المنقطع، جمعُ روازم. على عادته في مطالعه التي تعكس الذاتي والموضوعي لينعكسا في صعوبة تأويل مقاصده ومفرداته وتركيبها نجده كذلك في هذا البيت بمشارب تأويله وصعوبة اختيار أحدها وفقاً لإعراب المفردات القابلة للإقلاب. لكن مقصده، دون جزم، هو انعكاس ذاته على موضوعه. فكلما أجفلت سحابة من معاهد التذكار تلقفت حنينها أمطار لا تنقطع (وُطفٌ روازم) على قمم الجبال (قنن الأوعار) ليستمر انسكاب الحنين، حنين الشاعر الدافق مُعَبَّراً عنه بثيمة الغمائم/ السواجم/ الأنواء/ الروازم.

(٢) ولتدُم تلك الرياض نضرة (البيت السابق) بطيب السلام تضمّخها النسيم به، وتتمة البيت في رد مصافحة النسيم بزاكيات/ أكُفّ الرياض التي تحيلُ الرّائي للمشهد بأن ثمة علاقة رَحِم بين رياض المرابع النضرة ونسائمها، ومرة أخرى هي استعارة لحنينه الذي لا ترويه غمائم مطالعه.

(٣) الرَّوع: الحرب. وكُثرٌ من خلطوا واعتقدوا أنه يقصد الرُّوع: القلب، النفس، الذهن، إلخ.. لكنه يتحدث عن حرب حناياه التي يتزاحم فيها جيشان: شوق المُحب وصبر الصابر على النأي والبُعد، وهو بيت يحتمل أكثر من قراءة، مثلًا: *آنَ الصبرُ أن لا يُزاحِم/ يُزاحَم*.

(٤) الغَرْب: الدمع ومسيل الدمع ومؤخر العين ومُقدّمُها. البيت واضح رغم أن البعض فسروا الغرب بالدّلو العظيمة وأنه يشبّه عينه بالدلو لكثرة ما أسالت من دموع، لكنه تأويل أغربُ من غرب وأقصى من غرب، فالمعنى الأقرب هو الدمعُ ومَسيلُه.

(٥) شحط: بُعد ونأي.

(٦) الأراقم: ذكُور الحيّات الخبيثة.

خَليليَّ فِي أَغْشَارِ قَلْبِي بَقِيَّةٌ أضِنُّ بِهَا إنْ نَاوَحَتْهَا الحَمَائِمُ
خُذا عَلَّلانِي عَنْ أحادِيثِ جِيرَتِي فإنِّي بِحُبِّ القَوْمِ وَلْهَانُ هَائِمُ
وَلا تُسْلِمَا عَقْلِي إلى هَيَمَانِهِ فَذِكْرُهُمُ عِنْدِي رُقىً وَتَمَائِمُ
نَزَحْتُ وَفِي نَفْسِي شُجُونٌ نَوَازِعٌ إلَيْهِم، وَنَازَعْتُ الأسَى وَهُوَ خَاتِمُ[1]
فَكَمْ جَعَلَتْ نَفْسِي تُطَالِبُ صَبْرَهَا بِنَصْرٍ فَيَأبَى الصَّبْرُ إلّا التَّنَاوُمُ
يَقُومُ فَيَعْرُوهُ التِّيَاعٌ مُبَرِّحٌ فَيَنْكُصُ وَهْناً، فَهُوَ يَقْظَانُ نَائِمُ
على غَرِدَاتِ الأيْكِ مِنِّي تَحِيَّةٌ كما هَيْنَمَتْ رِيحُ الصَّبا وَالبَشَائِمُ
أثارَتْ رَسِيساً في الفُؤادِ بما شَدَتْ فَفَاضَ بِهِ مِنْ مَاءِ جَفْنِيَ رَاسِمُ
خَلِيليَّ ما تَذْكَارُ لَيْلَى لُبَانَتِي[2] أقَامَتْ بِنَجْدٍ أو حَوَتْها التَّهَائِمُ
وَلا رَبْعُهَا العَافِي عَلَيهِ تَنَاوَحَتْ صَباً وَدَبُورٌ أوْ بَكَتْهُ الغَمَائِمُ[3]
تَهَادَى بِهِ الآرَامُ وَالعُفْرُ رُتَّعاً كَمَا تَتَهَادَى البَهْكَنَاتُ النَّوَاعِمُ
وَلا شَفَّنِي حُبٌّ لِغَيْدَاءَ كَاعِبٍ كَمَا ارْتَاعَ خُشْفٌ فِي الخَمِيلَةِ بَاغِمُ[4]
وَلكِنْ شَجَانِي مَعْهَدٌ بَانَ[5] أهْلُهُ فَبَانَ الهُدَى فِي إثْرِهِم وَالمَكَارِمُ
تَوَشَّحَ مِنْهُم بِالنُّجُومِ فَمُذْ هَوَتْ تَعَمَّتْ عَلَى أهْلِ البِلادِ المَعَالِمُ
تَمَادَتْ بِهِ العَلْيَاءُ تَرْفَعُ شَأوَهُ بِمَا أثَّلَتْ فِيهِ السُّرَاةُ الأكَارِمُ
لَعَمْرِي، لَنِعْمَ المَعْهَدُ المُهْتَدَى بِهِ وَقَدْ مَلأ الدُّنْيَا ظَلامٌ وَظَالِمُ
هُوَ المَعْهَدُ المَيْمُونُ أرْضاً وَأُمَّةً وَإنْ زَمْجَرَتْ لِلجُورِ حِيناً زَمَازِمُ
هُوَ المَعْهَدُ المَمْطُورُ بِالرَّحْمَةِ التي سَقَتْ مِنْ إمَامِ المُرْسَلِينَ المَرَاحِمُ

(١) خاتم: مقيم.
(٢) لُبانتي: حاجتي.
(٣) الرَّبْع: المكان المأهول || العافي: القديم المُندرس || الصّبا: نسيم ليل بارد || الدَّبور: ريح تُعاكسها.
(٤) الخشف: وليد الظبية الصغير || البُغام: صوت الظبية.
(٥) بانَ: ابتعد.

سَيَكْثُرُ وُرَّاداً عَلَى الحَوْضِ أَهْلُهُ ... إذا جَاءَ يَومُ الحَشْرِ وَالكُلُّ هَائِمُ
لَقدْ صَدقُوا المُخْتارَ مِنْ غَيرِ رُؤْيَةٍ ... وَتَكْذِيبُ جُلِّ الشَّاهِدِينَ مُقاوِمُ
أُولَئِكَ قَوْمِي بَارَكَتْهُم وَأرْضَهُم ... بِدَعْوَةِ خَيْرِ العَالَمِينَ المَكَارِمُ
وَمِنْ شُعَبِ الإيمَانِ حُبٌّ يَشُفُّنِي ... تَجَاذَبُهُ تِلْكَ الدِّيَارُ الكَرَائِمُ
عَقَدْتُ بِهَا أُنْسَ الحَيَاةِ وَطِيبَهَا ... وَإنْ شَرَّدَتْ بِي لِلبِعَادِ هَوَازِمُ
وَلَوْ صَارَفَتْنِي فِي مَحَبَّتِها الدُّنا ... رَضِيتُ بِهَا مِنْهَا وَمَا أنَا نَادِمُ
وَإنِّي وَلِبْسُ الدَّهْرِ جِلدَةَ أجْرَبٍ ... تِجَاهِي وَآمَالِي مُحَالٌ مَحَارِمُ
وَمَرُّ اللَيالِي كَالحَاتٍ عَوَابِساً ... عَلَيَّ كَأنِّي لِلكَوارِثِ جَارِمُ[1]
تُجَشِّمُنِي وَالصَّبْرُ بَينِي وَبَيْنَهَا ... أفَاعِيلَهَا فِيمَنْ عَدَتْهُ المَآتِمُ
وَحُنْكِي[2] صُرُوفَ الدَّهْرِ حتى تَبَلَّدَتْ ... وَأبْصَرْتُ مَا أخْفَيْنَ وَالجَوُّ قَاتِمُ
وَأعْجَزَنِي أنْ أسْتَطِيعَ مَطَالِبِي ... مِنَ اللهِ مَا لَم تَمْتَلِكْهُ العَزَائِمُ
لأعْلَمَ أنَّ الخَطْبَ يُصْبِحُ آزِماً ... وَيُمْسِي قَدِ انْحَلَّتْ عُرَاهُ الأوَازِمُ
إلى كَمْ يَلِزُّ الدَّهْرُ نَفسِي بَلِيَّةً ... وَيَقْطَعُنِي عَمَّا تُرِيدُ العَظَائِمُ[3]
وَمَا جَشَأتْ[4] حِيناً لِهَوْلٍ يَنُوبُها ... وَلَكِنْ مِنَ الأقْدَارِ ما لا يُقاوَمُ
أحَاوِلُ أمْراً لو نَبَا السَّيفُ دُونَهُ ... لَمَا عِيبَ وَالأقْدَارُ عَنْهُ تُصَادِمُ
أيَغْمِدُنِي كالسَّيفِ دَهْرِي عَنِ العُلى ... وَمَا حُمِدَتْ قَبْلَ الفِعَالِ الصَّوارِمُ
وَمَا هِمَّةُ المِقْدَامِ إلّا مَضَاضَةٌ ... إذا مَنَعَتْهَا عَنْ مُناها الشَّكَائِمُ
أيُكْبَتُ هَمِّي خَامِداً غَيرَ حَامِدٍ ... لَهُ العَذْلُ أمْراً، وَهُوَ فِي النَّفْسِ جَاحِمُ[5]

---

(١) جارم: مرتكب جُرم.
(٢) الحُنْك: التجربة والتبصر بالأمور. يُقال: رجلٌ مُحنَّك، وأصلها من حنَكِ الأمّ لوليدها: تدليك حنَكِه.
(٣) لَزَّهُ، لَزّاً ولِزازاً: شدّهُ وألصقه. ويقال: لَزَّ به الشيء: ألصقه به، ولزّ الشيء بالشيء: لزمَه به وقرنه به.
(٤) جَشَأَتْ: نَفْسُهُ: ثارت للقيء، وجاشَتْ من حُزنٍ أو فزَعٍ.
(٥) الجاحم: الجمر الشديد الإشتعال، ويقصد همَّهُ الذي كبَتَه وأخمدته صروف الدهر.

وَأُصْبِرُ نَفْساً مُرَّةً لا ذِمَارَهَا حَمَتْهُ وَلا انْقَضَّتْ عَلَيهِ اللهَاذِمُ

وَيَقْدَحُ زَنْدَ الرَّوْعِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ كَهَمِّي، وَأَقْوَى مَا لِزَنْدِيَ ضَارِمُ[1]

كَفَى حَزَناً أَنْ أَحْسُوَ المَوْتَ، لَيسَ فِي جَنَاحِي خَوَافٍ لِلعُلى وَقَوَادِمُ[2]

وَيَرْكَبُ ظَهْرَ الرَّوْعِ حُرٌّ غَشَمْشَمٌ وَيَقْطَعُنِي عَمَّا امْتَطَاهُ القَوَائِمُ

وَيَأْتَدِمُ الأَعْدَاءُ لَحْمِي مُهَنَّأً وَمَا مَرِئَتْ لِلصَّائِدِينَ الضَّرَاغِمُ

وإِنْ أَلْفَجَتْ كَفِّي بِتَشْتِيتِ طَوْلِها إلى حَيثُ أَحْسَابُ الرِّجَالِ تَزَاحَمُ[3]

يَلُمُّ عَلَيَّ الدَّهْرُ أعراق سُوقِهِ سِفَاهاً كَمَا الْتَفَّتْ عَلَيَّ السَّمَاسِمُ[4]

أَيَهْزِلُ هذا الدَّهْرُ أم جَدَّ جِدُّهُ وهَلْ سَرَواتُ المَجْدِ فِيهِ مَغَانِمُ

وهَلْ عَرْقُهُ وَجْهَ السَّرِيِّ نَقِيبَةٌ تُزِينُ؟ وَهَلْ بَخْسُ الكِرامِ مَكَارِمُ[5]

أَيَنْهَضُ أَهْلُ اللهِ وَالحَقُّ عِندَهُم وَنَصْرِيَ مَحْصُورٌ وَهَمِّيَ عَاسِمُ

وَمَا وَرَقُ الدُّنْيا مَرَاعِي عَزِيمَتِي إذا أَمْرَعَتْ رَوْضَ الدَّنايا العَزَائِمُ[6]

وَفِي النَّفْسِ هَمٌّ فَضْفَضَ الصَّدرَ لاعِجٌ تُسَاوِرُ إِدْرَاكِي مُدَاهُ الصَّيَالِمُ[7]

---

(١) الضارم: المشتعل والذي اشتد غضبه. يقصد أن الحرب يقدح زندها من زاد همه كهمي، وقوة زندي مجرد اشتعال وغضب. ملحوظة: يتلاعبُ في هذا البيت بترجيح كفة المعنى، فضارم على وزن صارم، وزند الثانية تقصد اليد التي تقبض السيف، خلاف زند قادح الحرب، وقدر ما يوحي به البيت من تصغير لذاته، لكنه يعلي من شأنها بتشبيه همه بهم قادح زناد الحرب التي لم يتمكن من خوضها كما تمنى.

(٢) الخوافي والقوادم: صغير ريش جناح الطائر وكبيره.

(٣) ألفجت: عدِمت. يقال: ألفج فان؛ ذهب ماله. وتعني أيضاً ذهب فؤاده خوفاً. في الأصل المعتمد والنسخ الأخرى وردت لفجت، كما وردت «وإن» لئن، وفي مصدر آخر أئن، ولم نعتقد بصحتها لأن الشرط لا يكتمل كما هو وارد في البيت التالي: يلم علي الدهر...

(٤) أعراق سُوقه: السّوقة وأراذل الناس || السّماسم: نوع من النمل الذي يلسع. وفي عُمان يُقال سَمسُوم لحشرة تلسع، وهي أكبر من النمل المُعتاد. وفحوى البيت: أن الدهر يلمّ أراذل الناس كالتفاف السماسم اللداغة.

(٥) العزق: العظم أخذ منه معظم اللحم. والبيت عِتابٌ للدهر الذي يُحيلُ الأخيار إلى عظمة نزع لحمها.

(٦) ورق الدنيا: جمالها وبهجتها ودنانيرها ودراهمها وأوراقها المصرفيّة || أمرعت: قصدت.

(٧) مُداه الصَّيالم: سكاكينه القاطعة.

وَأطْوَلُ ما أقْضِي بِهِ أقْصَرَ المُنى ... خَيالُ اضْطِبارٍ بَيْنَهَا لو يُلازِمُ
فَيا لَهفاً إمَّا قَضَيْتُ وَمَا قَضَتْ ... حُقُوقَ مَعَالِيهَا الهُمُومُ العَوَارِمُ
وَمَا النَّازِعُ المَقْصُودُ فَارَقَ أرْضَهُ ... يَحِنُّ وَفِي شَدِّ الحِبالِ القَوائِمُ[1]
إذا لاحَ بَرْقٌ نَازَعَ الحَبْلَ سَادِماً ... فَيَكْبُو على اللبَّاتِ وَالحَبْلُ لازِمُ[2]
بِأوْسَعَ حُزْناً مِنْ بَقِيَّةِ مُهْجَتِي ... وإنْ قُلْتُ إنِّي الصَّابِرُ المُتَحَازِمُ[3]
أفَارِقُ فِي إفرِيقيا عُمْرَ عَاجِزٍ ... وَبِي كَيَسٌ كالطَّوْدِ فِي النَّفْسِ جَاثِمُ[4]
كَأنِّي كَهِيمُ الطَّبْعِ أو قَاصِرُ الوَفَا ... أوِ الخَصْمَ مَظْلومٌ أوِ الحَقَّ ظالِمُ[5]
وَتَسْرِي سُيُوفُ اللهِ فِي جَنْبِ خَصْمِهِ ... بِأيْمَانِ أمْجَادٍ وَسَيْفِيَ نَائِمُ[6]
تُجَرِّدُهَا للهِ أسْدٌ أبِيَّةٌ ... تُوادِدُ فِي دَيَّانِها وتُصَارِمُ
وَتَرْمِي بَقايا الصَّالِحِينَ نَجِيعَهَا ... فَتَمْسَحُها حُورُ الجِنانِ النَّواعِمُ
وَيَغْنَمُ أهْلُ «النَّهْرَوانِ» شَهَادةً ... وَمَا هِيَ إلَّا طَعْنَةٌ فَالمَغَانِمُ
يَبِيعُونَ دُنْيَاهُم بِمَرْضَاةِ رَبِّهِم ... وَإنْ لامَهُم فِي مَطْلَبِ الحَقِّ لائِمُ
وَأقْعُدُ مَخْشُوشاً عَلَى مَبْرَكِ الوَنَى[7] ... وَيَحْكُمُنِي عَنْ غَايَةِ القَومِ حَاكِمُ

---

(١) النّازع: الغريب
(٢) السادم: من أصيب بهم وغيظ وحزن || اللبّات: جمع لبّة وهو موضع القلادة من الصدر.
(٣) البيت تتمة لفكرة البيتين السابقين له، وهو هنا يفصلُ بين النازع/ الغريب (الذي هو نفسه) وبين بقية مهجته المحزونة أكثر من غريبها، وإن قال بصبره وتحازمه.
(٤) الكيَس: الخفة والتوقد والذكاء || الطود: الجبل || جاثم: مُستقر. يلوم نفسهُ على ضياع عمره كعمر العاجز في شرق إفريقيا، رغم توقد نفسه وهمتها للمشاركة في نصرة الحق.
(٥) كهيم الطبع: جبان، ضعيف.
(٦) ملحوظة: في هذا البيت والبيتين السابقين له يُفصح عن تأزمه النفسي الذي طالما أفصحت عنه أبيات شعره بسبب حنينه وشوقه إلى عُمان وبين الموانع التي يلمح إليها ولا يفصح عنها.
(٧) مخشوش: من أكثر مفردات الدارج العُماني استخداماً، وتعني المُخبأ، واشتقاقاً منها المُنْخش - ويَستخدمها تقصُّداً لإظهار بُعْدِها الترميزي الجارح في اللهجة، تعبيراً عما وصل إليه حاله في مَبْرَك الضعف الذي يتقصد استخدام مفردة مَبْرَك للتعبير عنه؛ فالمَبرَك هو حيث تبرُك النوق. لكن ما السبب الذي دعاه لتلك الخشّة؟ نجد الجواب في الشطر الثاني من البيت: ويحكمني عن غاية القوم حاكم. ففي هذا البيت إفصاح عما قيل من أنه لم يكن يستطيع مغادرة زنجبار.

أَلَيسَ احتِسَاءُ المَوْتِ أحجَى بِحَالَتي عَلَى أنَّ بَيْنِي وَالمَنَايا تَلازُمُ
يُنادِي لإحدَى الحُسْنيَيْن مُؤذِّنٌ وأقعُدُ عن تأذينِهِ أتصَامَمُ[1]
أدُونَ فُتُوحِ النَّصرِ تُرضَى دُنَيَّةٌ وَهَلْ فِي سِوَى الفِرْدَوسِ يَخْلُدُ نَائِمُ[2]
وَهَلْ حُمِدَتْ فِي الأرْضِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ إلّا الشُّرَاةُ الصَّمَاصِمُ
وَهَلْ فَازَ بِالعَلياءِ إلا مُصَمِّمٌ تَهُونُ لَدَيْهِ المُزْعِجَاتُ الجَسَائِمُ
إلَيْكُم أسُودَ اللهِ مِنِّي تَحِيَّةٌ يَمُورُ بِهَا فُلْكٌ وَتَحْدُو رَوَاسِمُ
إليكُمْ صَنادِيدَ الغُبَيْرَاءِ[3] مِدْحَةٌ لهَا فِي ذُرَى السَّبْعِ الطِّباقِ دَعَائِمُ
إلَيكُم لُيُوثَ الاستِقَامَةِ مِدْحَةٌ لهَا فِي الكَرُوبِيِّينَ قَدْرٌ مُزَاحِمُ[4]
أخَذْتُم بِأمْرِ اللهِ قلباً وَقالَباً وَشَاهِدُكُم نَصْرٌ مِنَ اللهِ قَائِمُ
وَكَافَحْتُمُ عَنْ عِزَّةِ الدِّينِ خَصْمَها فَعَزَّتْ وَأُسُّ العِزِّ تِلكَ المَلاحِمُ
وَقَامَ لأبْنَاءِ الحَنِيفَةِ مَعْقِلٌ بَنتْهُ لهُم تِلكَ القَنا وَالصَّوارِمُ
وَقُمْتُمْ بِحُكْم القِسْطِ حتى تَشَعْشَعَتْ بِأنْوَارِهِ بِيدُ الفَلا وَالعَوَاصِمُ
وَصَادَرْتُمُ الأخْطَارَ فِي نَصْرِ رَبِّكُم وَهَانَتْ عَلَيْكُم فِي الجِهَادِ العَظَائِمُ
ضَمِنْتُم قِيَامَ العَدْلِ للهِ حِسْبَةً فَقامَ، بِحَمْدِ اللهِ، وَالجُورُ رَاغِمُ
ذَكَرْتُم عُهُودَ الصَّالِحِينَ وَأحدَقَتْ بَوائقُ دَهْرٍ نُكْرُهَا مُتَفاقِمُ[5]
فَآثَرْتُمُ ما آثَرَتْ سُنَّةُ الهُدى وَغيَّرْتُمُ بِالسَّيفِ ما اللهُ نَاقِمُ
عَلَى الأمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ مِنْكُمُ عَنِ المُنْكَرِ اشْتَدَّتْ لَدَيْكُم شَكَائِمُ
عَرَتْكُم لأخْذِ الحَقِّ للهِ غِيرَةٌ فَآضَتْ بِفَتْحٍ وَالثَّوَابُ المَغَانِمُ

---

(١) إحدى الحُسنيين: النصر أو الشهادة. ونرى الشاعر يلوم نفسه على عدم قدرته على نيلهما، لأنه تصامم عن النداء.

(٢) تأويل مفردة (دنيّة) في هذا البيت، وضمن سياق الأبيات السابقة أقرب إلى دُنَيَّة: وهو اجتراحٌ لغوي قُصِدَ به تصغير تحقيري لـ الدَّنِيَّة/ الدُّنيا.

(٣) الغُبيراء: مِن أسماء عُمان، وقد سماها به النبي محمد.

(٤) الكَرُوبيّون: أقرب الملائكة إلى حَمَلة العرش.

(٥) البوائق: الدواهي والشرور.

وَقَفتُمْ وَسَيْلُ الظُّلْمِ طَامٍ وَطَالَمَا ... بِأَظْمَائِهَا بَاتَتْ لِنَصْرٍ حَوَائِمُ

فَبَاءَ، بِحَمْدِ اللهِ، بِالخِزْيِ خَاسِئاً ... لِدَاهِيَةٍ تَنْقَدُّ مِنْهَا الحَيَازِمُ(١)

وَأُبْتُم وَحَدُّ السَّيْفِ بِالعَدْلِ بَارِقٌ ... يُبَشِّرُ أَنَّ الحَتْفَ لِلظُّلْمِ دَاهِمُ

نَعَم ثَبَتَتْ أَقْدَامُكُم وَقُلُوبُكُم ... فَوَلَّتْ أمامَ الحَقِّ تِلكَ المَظَالِمُ

وَخَابَتْ أَمَانِيُّ البُغَاةِ مَهِيضَةً ... وَقَامَتْ على قَرْنِ الشِّقَاقِ المَآتِمُ

وَأَصْبَحَ سَيْفُ اللهِ فِي كَفِّ دَوْلَةٍ ... لَهَا مَدَدٌ مِنْ ذِي الجَلالِ وَعَاصِمُ

فَمَا خَامَ عَنْهَا غَيرُ نِكْسٍ مُنَافِقٍ ... كما قَامَ فِيهَا أَرْوَعُ النَّفْسِ حَازِمُ

وَأَصْبَحَ سُلطَانُ الشَّرِيعَةِ ثَابِتاً ... لَهُ عُمُدٌ فِي تُخْتِهِ وَدَعَائِمُ

عَلَى بَيْضَةِ الإسْلام قَرَّ أَسَاسُهُ ... وَطَائِرُهُ فَوقَ السِّمَاكَيْنِ حَائِمُ(٢)

وَكَانَتْ عُمانُ ـ الجُورُ مِلءُ إهَابِها ... مَجَاهِلَ غُفْلاً لَيسَ فِيهَا مَعَالِمُ

فَأَشْرَقَ نُورُ اللهِ فِي عَرَصَاتِهَا ... إلى أنْ أَضَاءَتْ مِنْ سَنَاهَا العَوالِمُ

وَكَانَتْ حَمِيَّاتُ الرِّجَالِ تَحَزَّبَتْ ... فَأَصْبَحَ كالعِقْدِ الشَّتِيتِ العَمَاعِمُ(٣)

وَصَارَ جِهَادُ المُعْتَدِينَ مَشَاعِراً ... يَحُجُّ إليهَا المُقْسِطُونَ الأَعَاظِمُ

مُنَظَّمَةٌ أَلبَابُهُم وَسُيُوفُهُم ... وَنِيَّاتُهُم، وَالحَقُّ لِلكُلِّ نَاظِمُ(٤)

يُؤَلِّفُهُم إيمَانُهُم وَاحتِسَابُهُم ... كَمُؤتَلِفِ الأَنْصَارِ وَالدَّخْلُ عَارِمُ

---

(١) تنقد: تتشقق || الحيازم: الصُّلبُ من اليابسة.

(٢) بيضة الإسلام: عاصمة الإمامة؛ نزوى.

(٣) العَماعِم: أبناء العمومة؛ وفي هذا إشارة إلى تفرق وتعصب وتحزب القبائل رغم أن أفرادها في القريب والبعيد من أصولهم وفروعها أبناء عمومة.

(٤) ملحوظة: واحدة من التقنيات الشعرية التي يلجأ إليها أبو مُسْلِم؛ هي تفكيكه لوحدة البيت الشعري انفلاتاً بحصانه من الحلبة الضيقة لنطاق التعبير؛ وكمثال لها نرى أرجَحَتهُ للزمن بماضيه وحاضره بغية الوصول إلى ذروة تعبيرية في مفاضلته بين زمنين. ففي هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له؛ نجده يبتدئ بـ (وكانت عُمان الجور) وصفاً لما كان عليه الحال، وفي البيت الذي يليه: (فأشرق نور الله) وصفاً لما صار عليه، ليعود مرة أخرى: (وكانت حميات الرجال) التي هي نقيض زمني لـ: (وصار جهاد المعتدين)، كما لو في مشهد سينمائي يجعل القارئ يتابع الحدثين توازياً وتناوباً في المَسْرَد الزمني الموظف لصالح انتصار أبطاله في المشهد الأخير.

فَجَمْعُهُمْ فَرْدٌ وَفَرْدُهُمْ بِهِ ... غَنَاءٌ إذا كَرَّ اللُّهَامُ الخَضَارِمُ
هَنِيئاً لأهْلِ الحَقِّ صِدقُ انْتِصَارِهِم ... وَيَقْظَتُهُم فِي اللهِ، وَالدَّهْرُ نَائِمُ
وَفَوا بِوَصَايا اللهِ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا ... كِرَاماً، وَأفْعَالُ الكِرامِ كَرَائِمُ
فَمَا حَصَروا فِي مَوْقِفِ الحَقِّ لَمْحَةً ... ولا وَسَّعُوا ما ضَيَّقَتْهُ المَحَارِمُ
ولا اخْتَلَبَتْهُم زَهْرَةُ العَيْشِ فِي الهَوَى ... ولا زَيَّنَتْهُم فِي المَخَازِي العَمَائِمُ
ولا حَسَدوا مِنْ نِعْمَةِ اللهِ ذرَّةً ... إذِ الفَضْلُ مَقْسُومٌ وَذُو الفَضْلِ قَاسِمُ
ولا احْتَقروا ذا القَدْرِ فِي مَنصِبِ التُّقى ... ولَو زَهِدَتْ لِلفَقْرِ فِيهِ العَوالِمُ
ولا دَاهَنُوا فِي الدِّينِ مِنْ أجْلِ مَطْمَعٍ ... يَسِيلُ بِهِ أنْفٌ مِنَ الكِبْرِ وَارِمُ
تَرَامَوا عَلَى القُرْآنِ شُرْباً بِمَائِهِ ... فَأصْدَرَهُم وَالكُلُّ رَيَّانُ هَائِمُ
مُقَدَّسَةٌ ألبابُهُم وَنُفُوسُهُم ... وَأفْعَالُهُم وَالمُنْتَحَى وَالعَزَائِمُ
لَهُم قَدَمٌ فِي الاسْتِقَامَةِ ثَابِتٌ ... وَهَمٌّ عَلَى الإخْلاصِ للهِ قَائِمُ
وَأيْدٍ عَنِ الدُّنْيا قِصَارٌ قَوَاصِرٌ ... وفوقَ أعاديهم طِوالٌ قواصِمُ[1]
تَمُرُّ بِهِم حَالانِ لِلبُؤْسِ وَالرَّخَا ... وَفِيهِم، عَلَى الحَالَيْنِ، وَقْرٌ مُلازِمُ
وَمَنْ أذْهَلَتْهُ طَاعَةُ اللهِ أثَّرَتْ ... عَلَيْهِ فَلَم يَحْفَلْ بِحَالٍ تُصادِمُ
بِأنْفُسِهِم شَأنٌ إلى اللهِ وَجْهُهُ ... شَدِيدُ القُوَى تَنْبُو عَلَيهِ الصَّوارِمُ
تَجَاذَبَهُم وَجْهَانِ: وَجْهٌ مِنَ الرَّجَا ... نَضِيرٌ، وَوَجْهٌ بِالمَخَافَةِ سَاهِمُ
إذا خَالَفوا؛ فالمِسْكُ طَارَتْ بِهِ الصَّبا ... وَإنْ أفْضَلوا فَهِي اللُّجَاجُ العَيَالِمُ[2]
وَإنْ حَارَبُوا تَسْتَبْشِرُ الحَرْبُ مِنْهُمُ ... لأنَّ قِرَاهُم لِلحُرُوبِ المَلاحِمُ

---

(١) ملحوظة: لمقابلة طول أيديهم على الأعداء، لم يكتفِ الشاعر بالنقيض: قِصَرها، بل أضاف: قواصر. ولترادف المفردتين، في حد ذاته، بُعدٌ جَمَالي يُغني الصورة الشعرية. لكن المَغنم البديعي ليس بُغيته البلاغية الوحيدة لما تختزنه مفردة قواصر من إسقاط دِلالي؛ فالقاصر شرعاً هو من لم يبلغ سِنَّ الرشد من الورثة، ومن لم يبلغ سن العريكة، لكنه أسبغ ظلال المعنى وشُموسه، إمعاناً في لِين المُفارقة وعُنفها، على أياد طوال قواصم. وهي بُلْغة خطاب سيتضح مرامه في البيت الذي يليه إظهاراً لرزانة ممدوحيه وثباتهم فقراً وغنى.

(٢) اللجاج: جمع لجّة، وهي معظم الماء لا يُدرك عُمقه || العيالم: الوسيعة.

لـهُـم فـي سَـبـيـلِ اللهِ جِـدٌّ ونَـجْـدَةٌ ... وَثَـبْـتٌ لِكَـبَّـاتِ الـوَغَـى وَصَـرَائِمُ

وَإقْدَامُ ضِرْغَامٍ إذا البُهْـمُ أحْـجَمَت ... وَصَـخْـتٌ بِـآذانِ النُّجُـومِ الـهَـمَـاهِـمُ

وَتَـشْـبِـيهُـهُـم بِـالأسْـدِ تَـقْـرِيـبُ نَـاعِـتٍ ... وَشـتَّـانَ؛ أقْـمَـارُ الـهُـدَى وَالـبَـهَـائِمُ

لَقَـدْ وَثَـبُـوا، حَـيَّـاهُـمُ اللهُ وَثْـبَـةً ... رَمَى الكُفْرَ مِنْهَا المُخْزِيَاتُ القَوَاصِمُ

وَشَـدُّوا بِـعَـزْمِ الـرُّسْـلِ للهِ غِـيـرَةً ... (عَلَى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ)[1]

فَبَاءُوا وَنُـورُ الـقِـسْـطِ لـلجُـورِ بَـاهِـرٌ ... عَـزِيـزٌ، وَتِـيـجَـانُ الـضَّـلالِ مَـنَاسِـمُ[2]

وَلِلحَـقِّ أعْـنَـاقُ الـبُـغَـاةِ خَـوَاضِـعٌ ... وَأذْرُعُـهُـم فِـي بَـطْـشِـهِـنَّ مَـعَـاصِـمُ[3]

وَأبْـطَـالُ خَـيْـلِ اللهِ، تَـحْـكِـي أهِـلَّـةً ... مِنَ الظَّفَرِ المَيْمُونِ، مِنْهَا المَبَاسِمُ

وَألْـوِيَـةُ الـتَّـحْـكِـيـمِ تَـنْـشُـرُ عِـزَّهـا ... وَتَـدْعُـو إلـى حُـكْـمٍ بِـهِ اللهُ حَـاكِـمُ

وَفَـتْـحُ «إمَـامِ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ» وَقَـهْـرُهُ ... وَسُلطَانُهُ لا يَنْتَجِي عَنْهُ عَاصِمُ[4]

وَخَـيْـلُ جُـنُـودِ اللهِ تُـضْـبِـحُ شُـزَّبـاً[5] ... بِـشَـارَاتِ «عَـزَّانِ بـنِ قَـيـسٍ» تُـصَـادِمُ

وَمِـنْ هَـمِّـهـا ثَـأرُ «الـخَـلِـيـلِيّ» إنَّـهَـا ... إذا ذَكَـرَتْـهُ طَـيَّـرَتْـهَـا الـعَـزائِمُ[6]

أتَـذْهَـبُ أذرَاجَ الـرِّيَـاحِ دِمَـاؤُهُ ... وَلا كَـدَمِ الـعُـصْـفُـورِ مَـا فِـيـهِ قَـائِمُ

---

(١) بعد استرساله في وصف عزائمهم يُلقي بطُعْم شِعري شائع من أبي الطيب كان في غنى واستغناء عنه، لكن مُراده من وضعه لصَدر بيت المتنبي في عَجُز بيته إتمام القارئ له في ذِهْنه: (وتأتي على قدر الكِرام المكارمُ)، دعوة كريمة من شاعر لشاعر كي يشاركه مِذْحَتَه. ومَن سيقوم بواجبات ضيافة واستضافة المَدعُوّ ليس الدّاعي، بل القارئ.

(٢) مَناسِم: جمع مَنسم، وهو خفّ البعير || والبيتُ إمعانٌ ليس في تمريغ تيجان الضّلال في التراب، بل إذلالها لتغدو أخفافاً للبُعْران.

(٣) معاصم: جمع معصم، وهو موضع السوار من اليد، وهو اليد ذاتها، لكن المعنى يمتد إلى العصام: وهو الحبل الذي تشد به القربة وعروة الوعاء التي يُعلق بها، كناية عن تقييد أذرع البُغاة بأداةٍ من جنس عَمَلها.

(٤) يقصد الإمام سالم بن راشد الخروصي.

(٥) شُزَّب: ضامرة.

(٦) يشير إلى الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي.

وَتَـعْـبَـثُ نَـعْـلُ الـرَّافِـضِـيِّ بِـوَجْـهِـهِ وَلألاءُ ذَاكَ الوجْهِ فِي العَرْشِ نَاجِمُ[١]

وَيُدفَـنُ حَـيـاً لا جَـرِيـمَـةَ تُـقْـتَـضَـى سِـوَى أَنَّـهُ بِـالـحَـقِّ للهِ قَـائِمُ[٢]

أَلـيسَ مِـنَ الـغَـمِّ الـمُـمِـيـتِ وُقُـوعُـهـا وَطَـرْفُ وَلِيِّ الـثَّـأرِ فِـي الأَمْـنِ نَـائِمُ[٣]

وَتَـنْـسَـى قُـلُوبُ الـمُـؤمِـنـيـنَ مُـصَـابَـهُ وَلِلآنَ مِـنْـهُ فِـي الـسَّـمَـاءِ مَـآتِـمُ

أَلا فَـاغْـضَـبِـي يـا غَـارَةَ اللهِ وَلْـتُـقِـمْ نَـوَادِبَـهُ سُـمْـرُ الـقَـنـا وَالـصَّـوارِمُ

وَلا تَـتْـرُكِـي ثَـأرَ الـمُـرَزَّءِ حَـبْـرِنـا «سَـعِـيدَ بـنَ خَـلْفانٍ» لِمَـنْ هُـوَ خـائـمُ

فَإنْ خَامَ عَنْهُ وَارْتَضَى الضَّيمَ مَلْبَأً[٤] وَسَـالَمَ، فَـالإيـمَـانُ لَيـسَ يُـسَـالِمُ

لَـيَـخْـتَـكِـمَـنَّ اللهُ أَخْـذاً بِـثَـأْرِهِ وَيَـعْـجَـزُ عِـنْـدَ الاخْـتِـكَـامِ الـمُـقَـاوِمُ

فَـلا تَـحْـسَـبُـوا أَنَّ الـدِّمَـاءَ مُـضَـاعَـةٌ إذا سَـفَـكَـتْـهَـا فِـي هَـوَاهـا الـمَـظَـالِمُ

وإنْ ضَـيَّـعَـتْـهـا أَهْـلُهَـا فَـحُـقُـوقُـهـا يَـغَـارُ لَهَـا لِلعَـدْلِ بِـالـقِـسْـطِ قَـائِمُ

خُـذِي يـا خُـيُـولَ اللهِ فِـي كُـلِّ مَـرْصَـدٍ بِـحَـمْـلَةِ غَـيْـظٍ تَـتَّـقِـيـهَـا الـصَّـلادِمُ

وَلا تَـتَـنَـاسَـي سِـيـرَةَ الـحَـبْـرِ «صَـالِحٍ» فَـسِـيـرَتُـهُ لِلمُـهْـتَـدِيـنَ مَـعَـالِمُ[٥]

قَـضَـى دَهْـرَهُ للهِ مُـحْـتَـسِـبـاً لَهُ وَمَـاتَ شَـهِـيـداً وَالـقَـذائِفُ سَـاجِـمُ[٦]

وَمَـا سَـاءَنِـي أَنْ أَكْـرَمَ اللهُ وَجْـهَـهُ بِـمَـوتِ رَجَـاهُ الـطَـيِّـبُـونَ الأَكَـارِمُ

---

(١) ملحوظة: الرَّافِضِي؛ سُبَّةٌ تُطلقُ عادةً على الشِّيعِي، ولا ندري لِمَ أطلَقَها على قائِلِ الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وهو مِنْ نفسِ مَذهَب الشاعر.

(٢) الإشارة إلى تعدد الروايات حول التصفية الجسدية الشنيعة للشيخ سعيد بن خلفان بعد سجنه.

(٣) ملحوظة: الأوْلَى بثأره؛ قصد به ولد الشيخ المَغدور عبدالله بن سعيد بن خلفان الذي رفض المُبايعة ونصرة الإمام سالم بن راشد.

(٤) خام: وخُم وجبُن || اللبأ: هو أوَّلُ لبن الشاة بعد ولادتها، ويكون غليظاً مالحاً غنياً بالمواد المُغذية يرقُّ بعد مرور أسبوعين على الولادة ويصير حليباً، واشتقاق الشاعر لـ مَلْبَأ صحيح ودقيق للتعبير عمن ارتضى الضَيم ولم يأخذ بثأر أبيه، خلاف ما ذهب إليه بعض الشُّراح الذين أشكلت عليهم «ملبأ» واعتقدوا أنها من أخطاء النُّسَّاخ فغيَّروها لتصِير: «مَلْبساً».

(٥) إشارة: قصد الشيخ المُحتسِب صالح بن علي الحارثي؛ والد الشيخ عيسى بن صالح المُرسلة إليه القصيدة.

(٦) استشهد في إحدى الحملات بقرية الجيلة ودُفِن في سَمَائل.

تَأسَّى بِقَوْمٍ بِالشَّهَادَةِ أُكْرِمُوا — لَهُم مَوْطِنٌ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ دَائِمُ

وَمَا قَصَّرَتْهُ هِمَّةٌ عَنْ مَقامِهِم — إلى أنْ تَوَلَّى وَالتُّرَاثُ المَكَارِمُ

فَهَلْ عِندَ «عِيسَى» أنْ يَقُومَ مَقامَهُ — وَهَلْ عِنْدَهُ أنَّ القُعُودَ محارِمُ[1]

وَهَلْ عِنْدَهُ أنَّ الجِهَادَ فَرِيضَةٌ — وَقد وَضَحَ الإمْكَانُ وَالخَصْمُ خَائِمُ

وَهَلْ عِنْدَهُ أنَّ المُقَدَّرَ كَائِنٌ — وَأنَّ وُقُوعَ الحَتْفِ بِالمَرءِ لازِمُ

وَهَلْ عِندَهُ أنَّ المَعَالِيَ صَعْبَةُ الـ — ـمَراقي، وَأهْلُوهَا السُّرَاةُ الْلَّهَامِمُ

وَهَلْ عِنْدَهُ أنَّ الحُدُودَ تَعَطَّلَتْ — وَأنَّ حُقُوقَ المُسْلِمِينَ غَنَائِمُ

وَهَلْ عِنْدَهُ أنَّ المَنَاهِيَ أُكْرِمَت — وَنَابُ أعَادِي اللهِ فِي العُرْفِ آزِمُ

وَهَلْ عِنْدَهُ لِلاسْتِقَامَةِ نُصْرَةٌ — وَقَدْ هَجَمَتْ لِلقاسِطِينَ الهَوَاجِمُ

وَهَلْ عِندَ «عِيسَى» أنَّ لِـ الفرضِ عَادَةً — قَدِيمَةَ ذِكْرٍ جَدَّدَتْهَا المَقَادِمُ[2]

وَفَرْضٌ عَلَى ذِي الفَرْضِ عَادَةُ فَرْضِهِ — إذا لَزِمَتْ حَامِي الذِّمَارِ اللوَازِمُ[3]

فِدىً لَكَ نَفْسِي يَا ابْنَ «صَالِحَ» قُمْ بِهَا — فَإنَّكَ لِلسَّيْفِ الأبَاضِيِّ قَائِمُ

تَجَرَّدْ لَهَا وَاذْكُرْ وَقَائِعَ «صَالِحٍ» — وَدُونَكَ أسْلافٌ كِرَامٌ ضَرَاغِمُ

وَخُذْ مِنْ قُلُوبِ المُؤمِنِينَ بِشُعْبَةٍ — فَإنَّ قُلُوبَ المُؤمِنِينَ صَوارِمُ

أُنَادِيكَ لِلجُلَّى وَأنْتَ شِهَابُهَا — وَقُمْقَامُهَا إنْ أعْوَزَتْهَا القَمَاقِمُ

فَخُذْ مِنْ «إمامِ المُسْلِمِينَ» بِضَبْعِهِ — فَمِثْلُكَ مَنْ تَدْعُو الأمُورُ العَظَائِمُ[4]

---

(١) إشارة: في البيت حَضٌّ واضح للشيخ عيسى أن يقوم مقام والده الشيخ المُحتسب صالح بن علي الحارثي، وأن يبايع ويحارب إلى جانب الإمام.

(٢) يشير إلى «الفرض»، سيف الشيخ عيسى الذي سُمِّيَ بهذا الاسم بعد مطاردته لمارق اختبأ خلف نخلة فَرْض فَقطعها وقطع الضال المُختبئ وراءها، كما روت الرِّوايات التي يؤكِّدُها الشاعر.

(٣) يستثير نخوته لنصرة الإمام بسيفه الفرض، وغنيٌّ عن الشرح بلاغة استخدامه لمفردة الفرض في صدر بيته ثلاث مرات بمعانيها الثلاثة: وفَرْضٌ على ذي الفرضِ عادة فَرْضِه، استنهاضاً مِنهُ لصاحب السيف.

(٤) ضبَعَ: أسرع في سيره، ومد يده بالسيف، وضبع فلانٌ ضبعاً: جار وظلم. وهو يستخدمها هنا بكافة معانيها. أي: أسرع إليه ومد يدك بسيفك لنصرة سيفه، وإن جار أو ظلم فمثلك من يردعه عن ظلم قد يبدر منه، لأن من هو في مكانتك لا يُدْعَى، بل تدعوه الأمور العظائم.

وَلا تُـلْقِ لِلتَّـفْـنِـيـدِ أُذْنـاً فَـإِنَّـهُ ... لَهُ بَـيْـعَـةٌ صِـدْقٌ وَقَـدرٌ مُـلازِمُ[1]

وَأنـتَ بِـأحْـكَـامِ الإمَـامِ وَحَـقِّـهِ ... عَـلَيـكَ، وَأَحْـكَـامِ الـوَلايَـةِ عَـالِمُ

وَقَـدْ أمْـكَـنَـتْـكُـم فُـرْصَـةٌ لِقِـيَـامِـكُـم ... وَكَـمْ رَامَـهَـا مِـنْ قَـبـلِ ذا الـوَقْـتِ رَائِمُ

فَـلا تُـهْـمِـلُـوهَـا بَـعـدَ أنْ جَـدَّ جِـدُّهـا ... وَقَـامَ بِـهَـا حَـسْـبَ الـشَّـرِيـعَـةِ قَـائِمُ

ألا فَـالْزَمُـوهَـا سُـنَّـةً وَجَـمَـاعَـةً ... وَقَـد طَـالَمَـا حَـنَّـتْ إلـيـهَـا الـعَـوَالِمُ

وَعُـضُّـوا عَـلَيْـهَـا بـالـنَّـوَاجِـذِ جـهْـدَكُـم ... فَـفِـيـهَـا بِـدَايَـاتُ الـهُـدَى وَالـخَـوَاتِـمُ

يَـكُـنْ جُـهْـدُكُـم فِـيـهَـا دَلِيـلًا لِـنَـهْـضَـةٍ ... لأزْكَـى صِـفـاتِ الـمُـصْـطَـفِـيـنَ تُـلائِمُ

وَإنَّ لَـكُـم فِـيـمَـنْ هَـدَى اللهُ أُسْـوَةً ... وَإنَّ هُـدَاكُـمْ لِلعِـبَـادِ مَـعَـالِم

وَإنَّـكُـمْ لِلصَّـالِحَـاتِ أَدِلَّـةٌ ... وَإنَّـكُـمُ لِلمُـرْتَـقِـيـنَ سَـلالِمُ

وَإنَّ الأبَـاضِـيِّـيـنَ فِـي الأرْضِ حُـجَّـةٌ ... عَلَى النَّاسِ: ذِي جَهلٍ وَمَنْ هُوَ عَالِمُ

وَإنَّ الـذِي وَفَّـى بِـشِـرْعَـةِ دِيـنِـكُـم ... وَمَـاتَ عَـلَيْـهَـا، فَـهُـوَ لا شَـكَّ سَـالِمُ

وَإنَّ إمَـامَ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ عَـلَى هُـدَى ... مُـخَـالِفُـهُ بَـاغٍ عَـلَى الـحَـقِّ ظَـالِمُ

إمَـامَـتُـهُ حَـقٌّ وَفَـرْضُ اتِّـبَـاعِـهِ ... عَلَى سَاكِنِي المِصْرِ العُمَانِيِّ لازِمُ

وَإنَّ الـذِي وَفَّـى بِـطَـاعَـةِ أمْـرِهِ ... وَلِيٌّ وَإلّا فَـالـعَـدُوُّ الـمُـخَـاصِـمُ

وَهَـذا اعْـتِـقَـادٌ فَـوقَ كُـلِّ مُـكَـلَّفٍ ... لَهُ مِـنْ أصُـولِ الـدِّيـنِ قَـطْـعـاً دَعَـائِمُ

لَقَـدْ شَـكَـرَ اللهُ الـذيـنَ تَـعَـاوَنُـوا ... عَـلَى الـبِـرِّ وَالـتَّـقْـوَى وَفِي اللهِ قَـاوَمُـوا

وَحَسْبُ الإمَامِ المُهْتَدِي مِنْ كَرَامَةٍ ... بِـأنْ قَـامَ وَالـدُّنْـيَـا جَـمِـيـعـاً تُـرَاغِـمُ

وَمَـنْ يَـكُـنِ الـمَـنْـصُـورَ مِـنْ عِـنـدِ رَبِّـهِ ... وَقَـاوَمَـهُ الـمَـخْـلُـوقُ ذَلَّ الـمُـقَـاوِمُ

إمَامَ الهُدَى إنْ يَنْتَضِي الدِّينُ سَيفَهُ ... فَـأنْـتَ لَهُ حَـدٌّ وَنَـصْـلٌ وَقَـائِمُ

أَبَـرِّزُ فِـيـكَ الـحَـمْـدَ وَاللُّـسْـنُ أَخْـرَسٌ ... وَأَبْـسُـطُ فِـيـكَ الـمَـدْحَ وَالـعِـيُّ وَاقِـمُ

وَأَسْـتَـرْشِـدُ الأفْـكَـارَ فِـيـكَ فَـأنْـثَـنِـي ... بِـأوْضَـحِ أفْـهَـامِـي كَـأنِّـيَ وَاهِـمُ

وَهَـيْـهَـاتِ لـم تَـبْـلُغْ بَـدَائِعُ مِـدْحَـتِـي ... لِفَـضْـلِكَ إلّا حَـيـثُ تُـعْـيِـي الـتـراجِـمُ

---

(١) التفنيد: تضعيف الإمامة وتبطيلها.

وَإنِّي لِمَا أرْضَى لِمَدْحِكَ كَارِهٌ ... لأنَّكَ لِلدُّنْيَا جَمِيعاً مُصَارِمُ[(١)]

وَلَكِنَّ حُرَّ القَوْلِ يَنْحُو مَقَرَّهُ ... كَمَا أنَّ لِلتِّيجَانِ تَنْحُو اليَتَائِمُ[(٢)]

وَمَا أنْتَقِي التَّمْجِيدَ فِيكَ، وَإنَّمَا ... إلَيْكَ اهْتَدَى حُرُّ الكَلامِ المُلائِمُ[(٣)]

يُسَابِقُ فِيكَ الحَمْدَ قَبْلَ انْتِقَائِهِ ... وَهَذا لأنَّ الحَمْدَ فِيهِ مَكَارِمُ

وَلَسْتُ بِأقْصَى الحَمْدِ فِيكَ مُمَوِّهاً ... إلى العَرَضِ الفَانِي بِشِعْرِي أُزَاحِمُ

وَلَكِنْ رَأَيْتُ اللهَ يَمْدَحُ أهْلَهُ ... وَمِنْ فَضْلِهِ بَدْءُ العَطَا وَالخَوَاتِمُ

هَدَاهُمْ إلَيْهِ ثُمَّ أثْنَى عَلَيْهِمُ ... وَذَلِكَ فِي إحْسَانِهِ مُتَلازِمُ

وَحَمْدُ وَلِيِّ اللهِ عَيْنُ وَلايَةٍ ... وَتَوْقِيرُهُ فَيْضٌ مِنَ اللهِ سَاجِمُ

فَكُلُّ رَجَائِي بِالثَّنَاءِ عَلَيْكُمُ ... ذَخَائِرُ عِنْدَ اللهِ لِي وَمَغَانِمُ

وَأسْنَى حُظُوظِي إنْ أُوَفَّقْ مَعِيَّةٌ ... وَحُبٌّ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ دَائِمُ

فَإنَّ مُحِبَّ القَوْمِ - لا رَيْبَ - مِنْهُمُ ... قَسِيمُهُمُ: إنْ مَغْنَمٌ أوْ مَغَارِمُ

أحَاوِلُ فَوْزاً مِنْ حَيَاتِي بِقُرْبِكُمْ ... يَرَاعِي وَسَيْفِي وَالنُّهَى لَكَ خَادِمُ

وَإنِّي لِدَهْرٍ صَدَّنِي عَنْكَ شَانِيءٌ[(٤)] ... وَحَتَّى مَتَى مِنْ صَرْفِهِ أنا وَاجِمُ

أدبِّرُ حَزْمَ الرَّأيِ فِي حَلِّ قَيْدِهِ ... وَهَيْهَاتِ! أعْيَا مِنْهُ عَيٌّ وَحَازِمُ

وَإنِّي أشِيمُ البَرْقَ مِنْ حَيْثُ نَفْعُهُ ... وَإنَّكَ أجْدَى بَارِقٍ أنا شَائِمُ

وَسِرُّكَ بِالتَّفْرِيجِ أوْحَى مُؤَمَّلٍ ... وَإنْ سَدَّتِ الأبْوابَ دُونِي البَوَازِمُ[(٥)]

---

(١) ملحوظة: في إشارة لوَرَع الإمام وتُقاه وانصرافه عن الدنيا، يقول: أكره رضاي عن مدحك لعلمي بانصرافك ومقاطعتك لكل ما هو دُنيويّ، ومِدْحَتي مهما بلغ شأوُها لا تعدو ذلك.

(٢) ملحوظة: يُكْسِبُ مِدْحَتهُ في هذا البيت مَقامَها الذي خلعها منه في البيت السابق، فحُرُّ القول الصادق يقصد قصده ومَقرّهُ انتقاءً وتخصيصاً، كما تقصد يتائم وفرائد الأحجار الكريمة مقرّاتها في غُرَر التيجان، وفي البيت مَدِيحٌ للمِدْحَة والمَمْدُوح.

(٣) تلميح: رغم أن مِدْحَته حُرُّ قولٍ خالص؛ لكنه لم يختره بنفسه بل اهتدى من تلقاء ذاته إلى ذات الممدوح.

(٤) شانيء: كارِه.

(٥) البوازم: الشَّدائدُ، واحدتها بازِمةٌ؛ وأنشد لعنترة بن الأخرس: خَلُّوا مَراعِي العينِ، إنَّ سَوامَنَا | تَعَوَّدُ طُولَ الحَبْسِ عندَ البَوازِمِ. والمِبْزَمُ: السِّنُّ، وأَهل اليَمَن يُسمون السِّنَّ البَزْمَ

فَصِلْ، يَا وَلِيَّ الله، وَصْلِي بِخَطْرَةٍ عَلَى القلْبِ لا تَبْقَى عَلَيْهَا الأَوَازِمُ[1]
فَإِنَّ قُلُوبَ الأَوْلِيَاءِ فَوَاعِلٌ لأَبْحُرِ نُورِ اللهِ فِيهَا تَلاطُمُ
مَحَلٌّ تُجَلِّي الحَقَّ مِشْكَاةُ نُورِهِ لَهُ وَسِعَتْ، إِذْ لَمْ تَسَعْهُ العَوَالِمُ
فَلا بِدْعَ مِنْ تَأْثِيرِهَا حَيْثُ أَثَّرَتْ وَلو حَيِيَتْ مِنْهَا العِظَامُ الرَّمَائِمُ
وَإِنِّي، بِحَمْدِ اللهِ، فِيكَ لَمُخْلِصٌ وَلو خَاصَمَتْنِي فِي الوَلاءِ الخَوَاصِمُ
وَمَالِي وَلِلأَعْدَاءِ جَاشَتْ صُدُورُهُم وَغَصَّتْ بِمَا تَحْوِي الصُّدُورُ الحَلاقِمُ
عَلَى أَنَّنِي وَالَيْتُ فِي اللهِ أَهْلَهُ وَعَادَيْتُ مَنْ نِيطَتْ عَلَيْهِ المَآثِمُ
وَمَنْ لَهُمْ أَنْ أَخْذُلَ الحَقَّ ظَالِماً وَيَظْفَرُ مِنِّي بِالوَلايَةِ ظَالِمُ
وَهَذا مُحَالٌ لا يَنَالُونَ نَيْلَهُ وَلو ضَغَمَتْ جِسْمِي عَلَيْهِ الضَّيَاغِمُ
(يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةُ بَيْنَ العَيْنِ وَالأَنْفِ سَالِمُ)[2]
وَلو نَصَبُوا جِسْمِي وَجَرُّوا جُيُوشَهُم لِرَفْعِ حَيَاتِي لم تَرُعْنِي الجَوَازِمُ[3]
وَمَا آنَسَ الأَعْدَاءُ مِنِّي هَشَاشَةً أَبَى اللهُ إِلّا حَيْثُ تَدْعُو المَكَارِمُ
وَكَم عَجَمُوا عُودِي عَلَى الدِّينِ فَانْثَنَتْ كِلالًا عَنِ المُرِّ الصَّلِيبِ العَوَاجِمُ
وَلَوْلا المَقَادِيرُ التي عَزَّتِ القُوَى لمَا اكْتَسَبَتْ مِنِّي الخُطُوبُ الغَوَاشِمُ
نَذَرْتُ حَيَاتِي تَحْتَ ظِلٌّ لِوَائِهِ وَأَحْرَزْتُ خَصْلِي إذ تُحَزُّ الغَلاصِمُ
وَلَم يَكُ قَسْمِي غَير ضَرْبَةِ قَاضِبٍ إذا قُسِمَت فَوقَ الفُرُوقِ الصَّوَارِمُ

---

(١) الأوازم: قال العامريّ: يقال أزَمَ عليه إذا عَضَّ ولم يفتح فَمَه. قال أبو عُبيد: أزَمَ عليه إذا قبض بفمه، وبَزَم إذا كان بمقدَّم فيه.

(٢) يُريغونني: ويقال: أَرِيغُوني إراغَتَكم أي اطْلُبوني طَلِبَتَكم. التهذيب: فلان يُرِيغُ كذا وكذا ويُلِيصُه أي يَطْلُبُه ويديره. وأنشد الليث: يُدِيرونني عن سالِمٍ وأُرِيغُه | وجِلْدةُ بَيْن العَيْنِ والأنْفِ سالِمُ. إشارة: البيت بأكمله تضمين من الليث؛ ويبدو أنَّ الشاعر أُعجب به، وبمُناسبته، قاصداً به توظيف اسم الإمام سالم بن راشد الخروصي الذي تمسكَ الشاعر به ودعا إلى نصرته، فهو بالنسبة إليه كالجلدة الرّهيفة بين العين والأنف.

(٣) الجوازم: الجَزم: شيءٌ يُدْخَلُ في حَياء الناقة لتَحْسِبَهُ ولدَها فترْأَمَه كالدُّرْجَة. ويُقال: جَزَّمَ البعيرُ فما يَبْرَحُ، وانْجَزَمَ العظمُ إذا انكسر. الفراء: جَزَمَتِ الإبلُ إذا رَوِيَتْ من الماء، وبعير جازمٌ وإبل جَوازِمُ، ويبدو أن المقصود بالمعنى هو انكسار العظم.

أو الطَّعْنَةُ النَّجْلاءُ تَرْمِي نَجِيعَها تَفُوزُ بِهَا مِنِّي الطُّلى وَاللَّهَازِمُ
وَتِلْكَ، لَعَمْرُ اللهِ، أَبْخَسُ قِيمَةٍ لِرِضْوَانِ رَبِّي يَومَ تُعْطَى المَقَاسِمُ
بِحُبِّ «أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ابْنِ رَاشِدٍ» أَدِينُ، وَأَنْفُ الخَصْمِ خَزْيَانُ رَاغِمُ
مَحَبَّةَ مَنْ بَاعَ الضَّلالَةَ بِالهُدَى يَبِيعُ وَيَشْرِي مُؤْمِناً وَيُسَاوِمُ
مَحبَة مَنْ لا يَتَّقِي المَوْتَ مُسْلِماً يُحَارِبُ فِي دِينِ الهُدى وَيُسَالِمُ
إِلَيْكُم عِبادَ اللهِ مِنِّي نَصِيحَةٌ يُبَرِّرُها قَولٌ مِنَ اللهِ جَازِمُ
أحَقاً تَقَاعَدْتُم بِهَا وَهِيَ دِينُكُم وَخَارَتْ عَنِ العِزِّ المُقِيمِ العَزَائِمُ
أحَقاً عِبادَ اللهِ بَعْضُ سُيُوفِكُم لِدَعْوَةِ أَهْلِ الاسْتِقَامَةِ حَاسِمُ
أحَقاً عِبَادَ اللهِ بَعْضُ قُوَاكُمُ لِقُوَّةِ عُبَّادِ الصَّلِيبِ دَعَائِمُ
أفِي عِزَّةِ الطَّاغُوتِ يُشْهِرُ مُؤمِنٌ حُسَاماً وَتَهْوِي فِي أخِيهِ اللَّهَاذِمُ
أحَقاً عِبَادَ اللهِ أنَّ خِيَارَكُم تُنَاصِبُ قُوَّامَ الهُدَى وَتُقَاوِمُ
سُيُوفُكُمُ، يَا قَوْمُ، سَيْفَانِ: خَاذِلٌ لِحَقٍّ وَسَيْفٌ فِي المُحِقِّينَ خَازِمُ
أَيَهْدِمُ أَلْفٌ ما بَنَى الفَرْدُ مِنكُمُ وَكَيْفَ بِنَاءُ الفَرْدِ وَالأَلْفُ هَادِمُ
وَيَا أَسَفاً أَنْ تَهْشِمَ العُقْرَ فِتْنَةٌ زَبُونٌ، وَتُزْجِيها رِجَالٌ مَعَاصِمُ
عَرَفْنَاهُمُ بِالخَيْرِ حِيناً فَمُذْ بَدَتْ سَرَائِرُهُم لَم تَبْدُ إلّا الأرَاقِمُ
تَصَبَّتهُمُ الدُّنْيَا فَكَانُوا سِبَاعَها وَصَيدُهُمُ مِنْهَا الذَّمِيمُ المُصَارِمُ
تَمَنَّيتُمُ أنْ يَظْهَرَ العَدْلُ لَمْحَةً فَلَمَّا بَدَا شَدَّتْ عَلَيْهِ الضَّيَاغِمُ
أفي العَدْلِ حَيْفٌ أم مِنَ العَدْلِ ذِلَّةٌ عَلَيْكُم وَكُلُّ العِزِّ لِلعَدْلِ لازِمُ
وَكَيْفَ يُعَادِي العَدْلَ من هَمُّهُ التُّقى وَلكِنَّهُ بَغْيٌ بِكُم وَتَعَاظُمُ
هَمَمْتُم بِأمْرٍ وَالرَّزَايا تَنُوشُهُ وَيَعْقُبُهَا عَدْلٌ مِنَ اللهِ قَاصِمُ
فَيَا فِتْنَةٌ عُظْمَى تَحَرَّشْتُمُ بها تَقُضُّكُمُ أنيَابُهَا وَالمَلاهِمُ
فَمَا تَنْتَهِي إلّا وَلِلبَغْيِ صَرْعَةٌ وَحَدُّ حُسَامِ اللهِ فِي البُطْلِ حَاكِمُ
وَتَنْصُرُ أهْلَ اللهِ غِيرَةُ رَبِّهِم وَأَيْنَ إذا غَارَ الإلَهُ المُقَاوِمُ
وَيَعْلُو إمَامُ المُسْلِمِينَ بِعَدلِهِ عَزِيزاً، وَمِيزَانُ الحَنِيفَةِ قَائِمُ

أفيقوا بَني القرآن[*]
(العَينيَّة)

ألا هَلْ لِدَاعِي اللهِ فِي الأَرْضِ سَامِعُ ... فَإنّي بِأمْرِ اللهِ، يا قَوْمِ صَادِعُ[1]

وَهَلْ مَنْ يَرَى للهِ حَقّاً وَمَرْجِعاً ... إلَيهِ، وَأنَّ الدِّينَ لا شَكَّ وَاقِعُ

وَهَلْ مَنْ يَرَى أنَّ الحُقُوقَ التي دَعَا ... إليها رَسُولُ اللهِ غُفْلٌ ضَوائِعُ

وَهَلْ مَنْ يَرَى الشَّرْعَ الشَّرِيفَ تدَرَّأتْ ... عليه حثالاتٌ؛ مُبيرٌ وخانعُ[2]

(*) هذه القصيدة واحدة من فرائد أبي مُسلم الشعرية لشموليتها وحكمتها وبلاغتها المُحْكمَة وقدرتها على إنفاذ رسالتها الواضحة إلى شرائح عريضة في أصقاع أمّةِ الإسلام. وهي نتاجُ تفكُّر وتأمل في حال الأمة والدعوة لصلاحها ورشادها، خلافاً لقصائده المُتحزبة لمذهب الشاعر الذي فُطِر عليه وأخلص له. لذلك كان اختيارُ عنوانها «أفيقوا بني القرآن» للتدليل على انفتاح رسالتها على كافة المسلمين، دون اشتراط لتمذهب بعينه. وتنطوي أبياتها على رؤية ناقدة لحال المُسلمين في ديار الإسلام وانقسامهم أمام أعدائهم، مؤكداً أن الدين واحد: *وما الدينُ إلا واحدٌ والذي نرى / ضلالات أتباعِ الهوى تتقارعُ*، كما يرد في أحد أبياتها. وهي واحدة من قصائده الاستنهاضية لكافة الأمة الإسلامية يخاطبها بضرورة العودة إلى أصل الدين، لا فروعه ومذاهبه وشِيَعِه لصَدّ أعداءِ الأمة. وهي قصيدة تبين ـ كما يورد محمد المحروقي في دراسته ـ «كشف أبي مسلم زيف ادعاءات الاستعمار، بشعاراته البراقة، وكلماته الرنانة». جدير بالذكر أنها قصيدة وردت أيضاً في كتابِ «نهضة الأعيان» لأبي بشير محمد شيبة بن نور الدين عبدالله بن حُميد السالمي، بعنوان: «العَينيّة»، كما راجت في ذلك العصر؛ لذلك أثبتنا عُنوانها المُوازي.

(١) الصّادع: القاضي بين القوم يَفرُقُ بين الحق والباطل.

(٢) تدَرّأ: تطاول وتجبر، وأيضاً: استتر بالدريئة ـ مُبير: مهلك.

وَهَلْ مَنْ يَرَى أنَّ الحَنِيفةَ سَامَهَا ... بِمَا شَاءَ مِنْ ضَيْمٍ لَعِينٌ مُخَادِعُ[1]

تَمَالأ ظُلْمَاً خَيْلُهُ وَرِجَالُهُ ... وَلَيسَ لَهُم حَدٌّ سِوَى اللهِ مَانِعُ

يَدُوسُونها دَوْسَ الحَصِيدِ كَأنَّها ... لَقىً، وَأخُو الإيمَانِ فِي الأسْرِ خَاشِعُ[2]

أفِيقُوا بَنِي القُرآن إنَّ هُدَاكُمُ ... إلى الجُبْتِ[3] وَالطَّاغُوتِ فِي الذُّلِّ ضَارِعُ

أفِيقُوا بَنِي القُرآنِ إنَّ كِتابَكَم ... يُنَاقَضُ فِي أحْكَامِهِ وَيُنَازَعُ

تَعِيثُ قُرُودُ الْجِبْتِ فِي سُنَّةِ الهُدى ... إذا عَقَدُوا شَنْعاءَ جَاءَتْ شَنَائِعُ

يَعُدُّونَ دِينَ اللهِ بُهْتاً وَهُجْنَةً ... وَأنْ لَيسَ مِنْ صَوْبِ الإلهِ شَرَائِعُ

وَأنَّ وُقُوعَ الدِّينِ فِي الأرْضِ مُفسِدٌ ... وَأنَّ قَوَانِينَ السَّمَاءِ فَظَائِعُ

وَأنَّ الذي جَاءَتْ بِهِ الرُّسْلُ كُلُّهُ ... مُضِرٌّ، لأسْبابِ الرُّقِيِّ مُصَارِعُ

وَأنَّ هُدَى الإسْلام فِي الأرْضِ ظُلْمَةٌ ... وَلَو زَالَ بَانتْ للرُّقِيِّ سَوَاطِعُ

وَأنَّ بَنِي الإسْلامِ فِي هَمَجِيَّةٍ ... وُحُوشٌ تَعَادَى[4] فِي الفَلا أوْ ضَفادِعُ

وأنَّ بَنِي الإنْسَانِ فِي الأرْضِ طَائِرٌ ... عَلَى شَرَكٍ عِزَّ الجَنَاحَيْنِ وَاقِعُ

وَلَوْلا عُرَى إشْرَاكِهِ لَتَوَسَّعَتْ ... مَدَارِكُهُم حَيْثُ الحُدُودُ المَوَانِعُ

هَلُمَّ بِنا نَقْطَعْ حِبَالَةَ دِينِنا ... إذِ الدِّينُ عَنْ نُورِ التَّمَدُّنِ قَاطِعُ

وَنُرْسِلُ أطْيَارَ النفوسِ إلى الهَوَى ... فَإنَّ هَوَاهَا لِلسَّعَادَةِ جَامِعُ

وَنَذْرُوا وَصَايا اللهِ فِي الرِّيحِ تُرْبَةً ... فَلَيْسَ بِهَا - أسْتَغْفِرُ اللهَ - نَافِعُ

وَفِي دَوْلَةِ التَّعْطِيلِ مَرْعًى وَنُضْرَةٌ ... وَفِي دَوْلَةِ الدِّينِ الدِّيَارُ البَلاقِعُ

وَلا كَوْنَ إلَّا لِلطَّبِيعَةِ إنَّهَا ... لَهَا الضُّرُّ فِي أكْوَانِهَا وَالمَنَافِعُ

وَأنْ نَنْتَحِلْ شِبْهاً لِدِينٍ سِيَاسَةً ... فَفِي دَوْلَةِ التَّبْشِيرِ فِعْلٌ مُضَارِعُ

---

(١) لَعِين: أوردَها بعضهم: لِ عَيْنٍ. ونعتقد أنه قصد لَعِين دون سواها، وفي سياق البيت دليل وبيّنة.

(٢) اللَّقى: ما طُرِح وتُرِكَ لهَوَانِه، وتعني أيضاً: اللقيط.

(٣) الجِبْت: الساحر والكاهن وكُلُّ ما عُبِدَ من دون الله؛ جاء في التنزيل العزيز: «يؤمِنونَ بِالجِبْتِ وَالطّاغُوت».

(٤) تَعادى: تَتَعادى.

حِـبَـالَةُ[1] صَـيَّـادٍ وَدِيـنٌ وَدَوْلَـةٌ وَتَـعْـطِـيـلُ إِنْـسَـانِـيَّـةٍ وَخَـدَائِعُ
فَـيَـا لِبَـنِـي الـقُـرْآنِ أَيْـنَ عُـقُـولُكُـم وَقَـدْ عَـصَـفَـتْ هَـذِي الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ
أَمَسْلُوبَـةٌ هَـذِي النُّـهَـى مِـنْ صُـدُورِنـا وَهَـلْ فُـقِـدَتْ أَبْـصَـارُنـا وَالـمَـسَـامِعُ
أَمـا كَـذَبُـوا لا قَـبَّـحَ اللهُ غَـيْـرَهُـم وَلا أَفْلَحَتْ تِلْكَ الوُجُوهُ اللَّوَاكِعُ[2]
لَقَـدْ مَـلأُوا الآفَـاقَ إِفْـكـاً وَخِـزْيَـةً وَبَـغْـيـاً، وَلا مَـقْـصُـودَ إِلّا الـمَـطَـامِعُ
نَـفَـوا مِـلَّـةَ الإِسْـلامِ إِذْ مَـنَـعَـتْـهُـمُ مَـحَـارِمُ فِـي حُـكْـمِ الـعُـقُـولِ فَـظَـائِعُ
وَلـو قَـلَّدُوا الإِسْـلامَ ضَـاقَ عَـلَـيْـهِـمُ سَبِيلٌ إِلى ما تَشْتَهِي النَّفْسُ وَاسِعُ
وَلا أَطْـلَـقَـتْـهُـم فِـي الـرَّذَالَةِ رُتَّـعـاً نَـذالَـتُـهُـم مَـهْـمَـا اقْـتَـضَـتْـهُ الطَّـبَـايِـعُ
وَلا حَـرَّشَـتْـهُـم شِـرَّةٌ وَفَـظَـاظَـةٌ لَـهُـم كَـلَـبٌ فِـي نَـهْـبِـنـا وَتَـنَـازُعُ
كَـأَنَّ بَـنِـي الإِسْـلامِ صَـيْـدُ رِمَـاحِـهِـم وَأَمْـلاكُـهُـم إِرْثٌ لَهُـم أو قَـطَـائِعُ
فَـلا غَـرْوَ أَنْ يَـسْـتَـنْـكِـفُـوا مِـنْ دِيَـانَـةٍ وَقَـدْ أُسْـبِـلَـتْ فِـيـمَـا عَـدَاهَـا الـذَّرايِـعُ
وَلَيْـتَـهُـمُ إِذْ عَـطَّـلـوا الـدِّيـنَ سَـايَـرُوا طَـبـيـعـةَ تَـكْـوِيـنِ الـعَـمَـارِ وَتَـابَـعُـوا
فَـأَيُّ عَـمَـارٍ قَـامَ وَالـظُّـلْـمُ أُسُّـهُ وَتِـلْـكُـم دِيَـارُ الـظَّـالِـمِـيـنَ بَـلاقِـعُ
وَلَيْـتَ بَـنِـي الإِسْـلامِ قَـرَّتْ صِـفَـاتُـهُـم فَـمـا زَعْـزَعَـتْـهَـا لِلْغُـرُورِ الـزَّعَـازِعُ
وَلَيْـتَـهُـمُ سَـاسُـوا بِـنُـورِ «مُـحَـمَّـدٍ» مَـمَـالِكَـهُـم إِذْ بَـاغَـتَـتْـهَـا الـقَـوَاقِـعُ[3]
وَلَيْـتَـهُـمُ لَم يَـنْـحَـرُوا بِـسِـلاحِـهِـم نُـحُـورَهُـمُ إِذْ جَـاشَ فِـيـهَـا الـتَّـقَـاطُـعُ

---

(١) الحبالة: المصيدة. يقال: حَبَلَ الصيد: نصب له الحبالة وصاده بها.

(٢) اللُّكَع: اللئيم.

(٣) القوقع: حيوان لافقاري رخو يفرز حول جسمه صدفة مفردة حلزونية الالتفاف، وهو يعيش في البرّ أو البحر أو الماء العذب، واحدته قوقعة. تلميح: نعتقد أن استخدامه في البيت للقواقع صحيح على غرابته، فهو يقصد تصغير مكانة القوم المُباغتين في مواجهة من لو ساسوا دولتهم بدين محمد لانتصروا على من وصفوا المسلمين (في بيت سابق: بالضفادع). ورغم الإغراب الذي دعى بعض الشراح لاستبدالها بـ «القواطع»، إلّا أنني أعتقد بدقة اختياره ومَلاحته، لا سِيّما أن القصيدة لا تخلو من فُكاهَةٍ مُبطَّنَة.

لَقدْ مَكَّنَ الأعْدَاءَ مِنَّا انْخِدَاعُنا ... وَقدْ لاحَ آلٌ فِي المَهَامِهِ لامِعُ[1]
وَسَورَةُ بَعْضٍ فَوقَ بَعْضٍ وحَمْلَةٌ ... لِزَيْدٍ عَلَى عَمْرٍو وَما ثَمَّ رَادِعُ
وَتَمْزِيقُ هذا الدِّينِ كُلٌّ لِمَذهَبٍ ... لَهُ شِيَعٌ فِيمَا ادَّعَاهُ تُشَايِعُ
وَما الدِّينُ إلّا وَاحِدٌ، وَالذي نَرَى ... ضَلالاتِ أتْبَاعِ الهَوَى تَتقَارَعُ
وَمَا تَرَكَ المُخْتارُ ألفَ دِيانَةٍ ... وَلا جَاءَ فِي القُرآنِ هَذا التَّنَازُعُ
فَيَا لَيتَ أهْلَ الدِّينِ لَمْ يَتَفَرَّقُوا ... وَلَيتَ نِظَامَ الدِّينِ لِلكُلِّ جَامِعُ
لو التَزَمُوا مِنْ عِزَّةِ الدِّينِ شَرْطَها ... لَمَا اتَّضَعَت مِنْهَا الرِّعَانُ الفَوَارِعُ[2]
وَمَا ذَبَحَ الإسْلامَ إلّا سُيُوفُنا ... وَقدْ جَعَلَتْ فِي نَفْسِهَا تَتَقَارَعُ
وَلو سَلَّتِ السَّيفَيْنِ يُمْنَى أُخُوَّةٍ ... لَدَكَّتْ جِبَالَ المُعْتَدِينَ المَصَارِعُ
وَمَا صَدْعَةُ الإسْلامِ مِنْ سَيفِ خَصْمِهِ ... بِأعْظَمَ مِمَّا بَيْنَ أهْلِيهِ وَاقِعُ
فَكَمْ سَيفِ بَاغٍ حَزَّ أوْدَاجَ دِينِهِ ... بِأقْطَعَ مِمَّا سَيفُ ذِي الشِّرْكِ بَاخِعُ[3]
هِرَاشاً عَلَى الدُّنْيَا وَطَيشاً عَلَى الهَوَى ... وَذلِكَ سُمٌّ، فِي الحقيقة، نَاقِعُ
وَمَا حَرَّشَ الأضْغانَ فِي قَلْبِ مُسْلِمٍ ... عَلَى مُسْلِمٍ إلّا مِنَ البَغْيِ وَازِعُ
وَلو نَصَعَ القَلبَانِ لم يَتبَاغَضَا ... وَلا ضَامَ مَتْبُوعٌ وَلا ضِيمَ تَابِعُ
وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَهَا قَدْرُ قِيمَةٍ ... يُضَاعُ لَهُ ذُخْرٌ مِنَ اللهِ نَافِعُ
وَمَا نَالَ مِنْهَا هَائِلًا غَيرَ إثْمِهَا ... وَأكْدَارِهَا المُسْتَأثِرُونَ الأمَانِعُ
وَلو بَعُدَت فِي النَّفْسِ مَنْزَعَةُ التُّقَى ... لَمَا نَزَعَتْ نَحْوَ الشِّقَاقِ المَنَازِعُ
وَلا ضَبَحَتْ تَعْلُو بِأسْبَابِ وَهْمِهَا ... عَلَى غَيرِ ذِي ثَبْتٍ جِدَاهُ القَوَارِعُ
أما هذه الدنيا التي يقتنونها ... ستقتضِبُ الأعمارَ منها الفجائعُ
قُرَاضَةُ آجَالٍ وَمَطْلَبُ جَاهِلٍ ... وَنَحْنُ لِنَاعِيهَا إلَيْنا وَدَائِعُ

---

(١) آل: سراب || المَهامِه: الصحاري والمفازات.
(٢) الرِّعان: جمع رعْن؛ وهو أنف الجبل الشاخص البارز الفارع.
(٣) باخِع: من بالغ في الذبح وبلغ به قَفَا ذبيحته.

فَمَا بَيْعُنا الحُسْنَى وَمَرْضَاةُ رَبِّنَا ... بِهَا بَيْعَةٌ يُنْمِي بِهَا الرِّبْحَ بَائِعُ

عَلَى أيِّ شَيءٍ يَقْتلُ البَعْضُ بَعْضَنا ... وَتُذْكِي فَظَاظَاتِ النُّفُوسِ المَطَامِعُ

وَلَسْنا، بِرَغْمِ العَقْلِ، نَطْلُبُ وَادِعاً ... وَلا أحَدٌ مِنَّا - وَإنْ عَاشَ - وَادِعُ

وَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ لَنا الحَتْفُ دَائِباً ... وَنُعْجِلُهُ فِي بَاطِلٍ نَتَقَارَعُ

ألَيسَ الذي يَأتِي مِنَ العُمْرِ مُقْبِلاً ... كَمِثْلِ الذي وَلَّى وَفِيهِ المَصارِعُ؟

وَلو أُشْرِبَتْ مِنَّا النُّفُوسُ تَبَصُّراً ... لَمَا كَانَ مِنْهَا لِلشَّرَارَةِ نَاقِعُ

بَلَى أُشْرِبَتْ دَاءً دَخِيلاً أَصَارَهَا ... كَمَا كَمُنَتْ فِي جُحْرِهِنَّ الأقَارِعُ

وَلَوْ بَحَثَتْ عَنْ دَائِهَا كَانَ كِبْرُهَا ... فَمِنْهُ بِلا قَيْدٍ تَثُورُ الشَّنَائِعُ

وَلَوْ فَكَّرَتْ فِي أَصْلِهَا وَمَصِيرِهِ ... لَدَافَعَ دَاءَ الكِبْرِ مِنْهَا التَّوَاضُعُ

رُوَيْداً بَنِي الإنْسَانِ إنَّ شُرُورَكُم ... يَعُودُ عَلَيْكُم وَيْلُهَا المُتَتَابِعُ

فَمَا أرْسَلَ الإنْسَانُ سَهْماً مُحَرَّماً ... سِوَى أنَّهُ فِي نَحْرِ رَامِيهِ رَاجِعُ

وَلَسْتَ - وَإنْ بَرَّأْتَ نَفْسَكَ - خَالِصاً ... مِنَ الشَّرِّ وَالدَّعْوَى إلَيهِ ذَرَائِعُ

أنُلزِمُهَا الأشْرَارَ وَالدَّاءُ شَامِلٌ ... وَنَنْفِي اشْتِرَاكاً فِيهِ وَالسُّمُّ نَاقِعُ

وَلَوْ سَلِمَتْ مِنْ صِبْغَةِ الشَّرِّ نَسْمَةٌ ... لَمَا رَاعَ فِي أوْكَارِهِ الفَرْخَ رَائِعُ

وَكُلُّ لَجَاجِ[1] المَرْءِ فِي الشَّرِّ نَهْمَةٌ ... مِنَ النَّفْسِ تُغْرِيهَا عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ

ألَيْسَ عَجِيباً زَرْعُ نَفْسٍ شُرُورَهَا ... وَعِنْدَ حَصَادِ الزَّرْعِ يَحْصُدُ زَارِعُ

وَلَوْلا نَوَامِيسُ السَّمَاءِ لَمَا زَكَتْ ... نُفُوسٌ، وَلَمْ يُعْرَفْ مُضِرٌّ وَنَافِعُ

وَمِنْ سُنَنِ اللهِ التَّدَافُعُ بَيْنَنَا ... لِيَصْلُحَ مَدْفُوعٌ وَيَصْلُحَ دَافِعُ

وَمِنْ سُنَنِ اللهِ اخْتِبَارُ عِبَادِهِ ... وَإبْلاؤُهُم وَهُوَ الحَبَى وَالصَّنَائِعُ

يَصُبُّ عَلَى مَنْ شَاءَ صَبّاً بَلاءَهُ ... وَذاكَ بَلاءٌ لِلمَوَاهِبِ جَامِعُ

وَمِنْ سُنَنِ اللهِ اخْتِفَاءُ اصْطِنَاعِهِ ... فَكَمْ شَقَّ أمرٌ ضَيِّقٌ وهو واسِعُ

---

(١) لَجَّ في الأمر لَجاجاً ولَجاجةً: لازمَهُ وأبى أن ينصرف عنه، فهو لَجُوج. في التنزيل العزيز: «وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِم».

ومن سُننِ الله التفاضلُ في العَطا فذو الجَهلِ مَوفورٌ وذو العَقلِ جائعُ
ومن سُننِ الله التَّأني بمَن طغى وتعجيلُ عُقبى هَفوةٍ إذ تُواقَعُ
ومنها انتقامٌ من ظَلُومٍ بظالِمٍ وهذا حسامٌ للمَظالم قاطعُ
ألم تر أن الله سَلَّطَ مُشركاً على مُسلِمٍ والعَدلُ للكُلِّ وازعُ
فما الشأنُ إلّا العَدل في أيِّ حادثٍ وإلّا خَفيُّ اللطف للزَّيغِ رادِعُ
وفي الشأنِ أسرارٌ تجَلّت لذي النُهى عليها جمال الله باللطف شايعُ
ترى سُلطةً لا تعرف الله أفظعَتْ بعارِفِهِ والعدلُ تلك الفظائعُ
فأنت إذا فكَّرتَ لم تلف ذرَّةً من الظلم في شيء له الله صانعُ
وما يُوجب المقتَ الإلهيَّ عَدوَةٌ عَدَوتَ بها في خرقٍ ما هو شارعُ
ولو ثبَتتْ رجلاكَ دون حُدُودِهِ لما كان عن رضوانِهِ لكَ قاطِعُ
وما يُوجبُ الجُودَ الإلهيَّ رحمةٌ وفضلٌ وتَوبٌ منه للتَّوبِ زارعُ
أيحظُرُ أمراً ثم تهتكُ حَظرَهُ كأنكَ مَدعُوٌّ بما هو مانعُ
وأنت مع الإيعاد للسُّخط تنتحي ومن حَيثُ إتيانُ المَساخطِ طَامعُ
فما مِن وَعِيدِ الله يَمنعُ عاصِمٌ إذا لم يَزعْ من حُرمة الله وازعُ
نضُجُّ ضَجيجَ النِّيبِ مما يَنوبُنا ونَحنُ إلى ما تقتضيهِ نُسارِعُ[1]
نُطاوِعُ أسواءَ المَغبَّةِ رغبةً ولسنا لمَحمُودِ الجَزاءِ نُطاوِعُ
وما هذه الأوقارُ فوق رِقابنا يُدافعُ عُقباهُنّ عنا مُدافعُ
وبعضُ عقاب الإثم أخذٌ مُعَجّلٌ وبعضٌ على الإملاءِ جانيهِ وادِعُ
ولو أمحَضَ التقديرَ عقلٌ لأظهرَتْ شَوَارِقَها بالحِكْمَتين مَطالِعُ
فما هُو في تعجيلِهِ البَطشَ عابثٌ ولا عَارَضَتْهُ في التَّأني مَوانِعُ
ولا هُو بالإعجالِ يَحذرُ فائتاً سِواهُ، تَعالى قبلَ فَوْتٍ يُسارِعُ
فَجُلْ في مَجاري حُكْمِهِ وشؤونِهِ تَبِنْ لكَ فيها حِكْمَةٌ وبَدايعُ

(١) النِّيب: النوق الهَرِمَة.

وفي عَدلِهِ حسب اقتضاء شؤونِهِ — تدابيرُ وحدانيّةٍ لا تمانعُ
فلا تخبطَنْ في فَهْمِ أحكام عَدلِهِ — إذا اختلفتْ أشكالُها والمَواقِعُ
ورُبَّ بلاءٍ حَلَّ في شكلِ عدلِهِ — وما هو إلّا الفضلُ واللطفُ واقعُ
فمِن ذاك للتوفيرِ وهوَ أجَلُّهُ — ومِنهُ لِتمحيصٍ لذنبٍ يُواقَعُ
وتقديمُهُ إنذارَهُ وَوَعيدَهُ — إلى عَبْدِهِ حَدٌّ عن العَدلِ مَانعُ
وفي عَينِ هذا العدلِ فضلٌ مُحَققٌ — إلى مُستَقرِّ الفضلِ والجُود دافِعُ
وذلك في الجُودِ الإلهيِّ لازمٌ — لِيَذَّكَّرَ اللاهي ويَنزِعَ نازِعُ
وعاقبةُ الإنذار إنقاذُ عَبدِهِ — حَذارِكَ مِمّا قيلَ خُلفٌ وشافِعُ
فقُمْ نحو ما يَدعُو إليه بفضْلِهِ — فداعيكَ قيُّومٌ برُحماهُ واسعُ
ستعلمُ إنْ خالَفتهُ كيف بَطشُهُ — فما لَكَ إلّا صِحّةُ التَّوبِ نافعُ
ولا تعْجَبَنْ ممّا تراهُ مُسارعاً — إلينا فعَدلُ الله هذا المُسارعُ
إلى ما أَفَضْنا فيهِ من تركِ أمرِهِ — وإتيانِ مَنْهِيّاتِهِ العَذلُ صَادِعُ
ففيم صُراخُ المُسلمين وجَأرُهم — وأغلبهم للمُقسِطين مُنازعُ[1]
لهُم في أساليب الشِّقاقِ طَرائقٌ — وكُلُّ طريقٍ في الضّلالةِ شارِعُ
وأغلبُهم للاستقامةِ شانِئٌ — بسَيفِ التَّعَدِّي في حِمى الله شانعُ
ولو شمِلتْنا الاستقامةُ لم نَزَلْ — لنا أُلفةٌ ترفَضُّ عنها المَطامِعُ
سَقى اللهُ أرضاً تُنبتُ القِسطَ سُوحُها — وبَينَ رُباها العِلمُ والحقُّ راتِعُ[2]
رُبوعٌ، بحمد الله، نورُ «مُحَمَّدٍ» — عليها بنورِ الله أبلَجُ سَاطِعُ
وحَيَّتْ يَمينُ اللهِ بالرَّوْحِ والرِّضا — رِجالاً لهُم تِلكَ العِراصُ مَرابعُ
رجالٌ سَعَوا لله سَعياً مُباركاً — فما قَطَعَتْهُم عَنْ رِضاهُ القَواطِعُ

---

(١) جأرهم: رفع صوتهم || المُقسطين: العادلين.

(٢) يعودُ الشاعر ابتداء من هذا البيت إلى وطنه عُمان، المُعادل الموضوعي لحُلمِهِ بتحقق العدل تحت راية الله، ليمتدح في الأبيات التالية رجالاتها الذين يُعلي من شأن تُقاهم وورعهم وشكيمتهم في حفظ الحق ورايته تحت إمْرَةِ إمامهم الورع سالم بن راشد الخروصي.

أنــابــوا إلــى الله اتِّــبــاعَ ســبــيــلِهِ
فـمـا صَـدَعَـتـهُـم فـي السَّبيلِ الصَّـوادِعُ

وقـامـوا بـمَـفـرُوضِ القـيـامِ عَـليْـهِـمُ
فــمــا عَــزَّ جَــبَّــارٌ ولا ذلَّ ضَــارِعُ

فــمـا جَـمَـعـوا مـا فـرَّقَ اللهُ جَـمْـعَـهُ
ولا فـرَّقـوا فـي الـدِّيـنِ مـا الله جَـامِـعُ

ولا شَـرُفـوا إلا بـخـالـصَـةِ الـتُّـقـى
حُـظـوظـهُـمُ مـنـهـا البُـحُـورُ الـجَـوامِـعُ

بهم يُقتدَى في العِلمِ والهَدْيِ والهُدى
وعن خُلْقِهِمْ تَرْوي النُّجُومُ السَّواطعُ

عـلـيـهـم وقـارُ الرُّسْلِ أرْسَتْ جبالـهُ
وهُـم لِكَـمَـالاتِ الـنُّـفـوسِ مَـطـالِعُ

تَـجلَّتْ لـهُـم مِنْ باطِنِ الشَّرْعِ حِكْمَةٌ
ولـو أظـهَـرُوهـا نـاقـضَـتْـهـا الـشَّـرائـعُ

ألحُّوا على الإخلاصِ حتى تفجَّرَتْ
عـلـى أُلسُنِـهِـم بـالـحِـكْـمَـتـيـن يَـنـابـعُ

ولـو أظـهَـروا مـن حِـكـمـةِ الـسـرِّ ذَرَّةً
لكانوا، بحُكْمِ الظَّاهِرِ، الشِّرْكَ وَاقِعُوا

فـبُـورِكَ عِـلـماً طَـابَـعَ الـشَّـرْعَ بـاطِـنـاً
وفـي ظـاهِـرِ الأحـكـام لـلـعُـذرِ قـاطِـعُ

أُولــئــكَ أهــلُ الله رَحْــمَــةُ أرْضِــهِ
بهِمْ تُمْطِرُ الأرضَ السَّحابُ الهَوامِعُ[1]

أولــئــكَ أوتــادُ الــوُجُــودِ وَغَــوثُــهُ
وأحــوالُهُــم فــي الاعْــتِــبــارِ شَــوَافِــعُ

أولـئـك أهـلُ الـحـق مـا ضَـلَّ مُـقْـتَـفٍ
هُـداهُـم، ولا يَـغْـوي عَـلَـيْـهِـمْ مُـتـابـعُ

أولـئـك أهـلُ الـفـهْـمِ مَـا جَـارَ فـهْـمُـهُـم
عـن اللهِ مَـا يَـقْـضِـي ومَـا هُـو شـارعُ

أولـئـك أهـلُ الـخـيـر، أمَّـا حَـيـاتُـهُـم
فَــغُــنْــمٌ وأمّــا ذِكْــرُهُــم فــذرايــعُ

أولـئـكَ أهـلُ الـفـضْـلِ حَـتـى ولَـو فَـنُـوا
لـهُـم بَـرَكـاتٌ فـي الـدُّنـا ومَـنـافـعُ

أولـئـك أشـيـاخـي فـجِـئـنـي بـمِـثـلِـهِـم
«إذا جَمَعتنا يا جَريرُ المَجامِعُ»[2]

ولـسـتَ بِـجَـاءٍ فـي الـوُجُـود بـمِـثـلِـهِـم
ولـلـقـوم شـأنٌ فـي الـوَلايَـةِ شـاسِـعُ

ولـلـقـوم إرثٌ صـادقٌ مـن «مُـحَـمَّـدٍ»
لـكُـلٍّ هُـدىً لـلـرُّسْـلِ لا شـكَّ جـامِـعُ

ومـاذا عَـسَـى أن يَـبْـلـغَ الـحَـمْـدُ فـيـهِـمُ
وهُـمْ لـضِـيـاءِ الـمُـرْسَـلِـيـنَ مَـطـالِعُ

(١) مفارقة شعريّة مُناخيّة: من المُفارق أنَّ أهلَ الله الذين يُستسقى الغمامُ بهم، وتمطِر السحب لتخضرَّ الأرض ببَرَكتهم؛ بِلادُهُم مِن أشدِّ بلاد اللهِ مَحْلًا مُزمِناً في كافة العُصور (المُراجِع)!

(٢) عجُز البيت مُقتبس من الفرزدق مُفاخراً الشاعر جرير بآبائه: *أولئكَ آبائي فجئني بمثلهم*، لكنَّ أبا مُسلم غيَّرَ «الآباء» في صدر البيت إلى «الأشياخ»، انتساباً إلى قسطهم وتُقاهم ونزاهتهم.

نعم إنَّ نُورَ الرُّسْلِ في قلب خَتْمِهِم وفي القوم نورُ الختمِ أبلَجُ سَاطعُ
سَرى عِلمُهم بالله في سِرِّ سِرِّهِم وهذا لِصِدْقِ الإتْباعَينِ تابعُ[1]
وما صَدقوا في الاتِّباعِ لغايَةٍ ولكِنْ لِحُبِّ الله فيهِمْ نَوَازِعُ
ومُحْتَرِقُ الأركان من خوفِ رَبِّهِ لهُ صَعَقاتٌ بَيْنهُ ومَصَارِعُ[2]
له مَا عَدَا العِلمَ القَدِيمَ صَحِيفَةٌ يُشاهِدُ فيها صُنعَهُ ويُطالِعُ
ومهما يكُنْ في المُلكِ والمَلكُوتِ مِن بدائعَ لم تَحْجُبهُ تلك البَدَايِعُ
يَرَى كُلَّ شيءٍ غير مَرْضاةِ رَبِّهِ رَمَاداً به اشتدَّتْ رياحٌ زَعَازِعُ
ولو خالَسَتْ مِنهُ العَلائقَ لفتةٌ كفاهَا مَنَ التَّوفيقِ عَنهُ مُمَانِعُ
يُطارِدُ آفاتِ الوُجُودِ بعَزْمِهِ فتنكُصُ حَسْرى عنهُ، والعَزْمُ ناصِعُ
رَمَى عَرَضَ الدُّنيا وَرَاءَ يَقينِهِ بأنَّ وَرَاءَ الحَدِّ شأناً يُسارِعُ
يُحَرِّرُ نفساً من عُبُودَةِ مَطمَعٍ سِوى رَغَبٍ فيه إلى الله طامِعُ
بهِ أنَفُ الأملاكِ في نُضْرَة الغِنى وما نالَ مِنه ما تُقِلُّ الأصابعُ
كَفَتْهُ لُقَيماتٌ يُقَوِّمْنَ صُلْبَهُ وطِمْرٌ من الإنهاج يَأْباهُ رَاقِعُ[3]
يلذُّ فطامُ النفسِ عن كُلِّ لذَّةٍ ولَذَّاتُ هذا العَيشِ بئسَ المَرَاضِعُ
يَبيتُ وللأحزانِ جَمرَةُ قلبِهِ تَشُبُّ إذا سَالتْ عليها المَدامِعُ
إذا ذَكَرَ الأخرى تضَاءَلَ جَازِعاً كأنْ رَاعَهُ من هادِمِ العُمْرِ رَائِعُ
وإنْ ذكَرَ الدُّنيا تفانى وأصْعَقتْ مَشاعِرَهُ تلك الصِّعابُ القوارِعُ
على وَحْشَةٍ في السِّجن من بَغتة الفنا وما خَلْفَ يَومِ المَوتِ كَيفَ المَفازِعُ
وما زُخْرُفُ الدُّنيا وإنْ رَاقَ رَونقاً على عَينِهِ إلّا العَنا والفَجَائِعُ

---

(١) الاتْباعَيْن: يقصدُ اتّباعَ أصحابهِ للرسول واتّباعهم لأوامر الله.

(٢) بعد وصفه لرجال الله وسيرتهم الزكيّة يعودُ لتخصيص مِدحتهِ للإمام سالم بن راشد الخروصي الذي يُسبغ عليه ابتداءً من هذا البيت خِصالَ أئمّةِ العدل وخلفائه الفقراء مرضاة لربّه وتجرُّداً من دنس الدنيا وزخرفها.

(٣) الطِّمْر: الثوب البالي | الإنهاج: شِدَّةُ بِلى الثوب وقِدَمِه.

أحَالَ عَلى أنفاسِهِ البِرَّ والتُّقى فلِلْبرِّ والتَّقوى عليها طوَابِعُ
على الأرضِ مَنكُورٌ وَيُعْرَفُ في السَّمَا له مَخْبَرٌ بين المَلائك شائِعُ
تَرَاهُ متى ما الليلُ عَمَّدَ بَيتهُ عَمُوداً على مِحْرَابِهِ وهو رَاكِعُ
يُشعْشِعُ بالقرآنِ أنوارَ قلبِهِ فَعَنْهُنَّ شُقَّتْ للعُيون المَدَارِعُ
يُرَجِّعُ في الدَّيجُورِ رَنَّةَ ثاكِلٍ نحيباً كما ناحُ الحَمامُ السَّواجِعُ
يُناوِحُهُ هَمَّانِ: هَمُّ مَخافةٍ وَهَمُّ رجاءٍ، والبَرايا هَوَاجِعُ
بأمثالِ هذا يَرْحَم اللهُ خلقَهُ وإنْ عَظُمَتْ أحداثُهم والشنائعُ
بأمثالِ هذا تَحفَلُ الشَّاةُ ضِرْعَها ويسْمَنُ مَهزولٌ ويُقطَفُ يَانِعُ
بأمثالِ هذا يُخصِبُ اللهُ أرْضَهُ ويشربُ عطشانٌ ويَشبَعُ جائعُ
بأمثالِ هذا تُنْزِلُ السُّحْبُ رَجْعَها ويَنْضُرُ صَدْعُ الأرضِ وهي بَلاقِعُ[1]
بأمثالِ هذا يَدفعُ اللهُ سُخطَهُ وليسَ لسُخطِ اللهِ في الأرضِ دافِعُ
لهُم مَنزلٌ في القُرْبِ للخلقِ نافِعٌ وحَدِّثْ وأطْلِقْ كيفَ تلكَ المَنافِعُ
أولئكَ أبْرَارُ الأبَاضِيَّةِ الأُلى على نَهرِ حُرْقُوصٍ وَزيْدٍ كَوارِعُ
هُمُ القومُ أحرارُ الوُجُودِ سَمَتْ بهم إلى اللهِ عن حَظٍّ سِواهُ المَنازِعُ
مَحَبَّتُهُم دِيني، بها أبتغِي الرِّضا إلى اللهِ والزُّلْفى وَهُم لي ذَرَائِعُ
وَدَعْوتُهُم لي سُنَّةٌ وَجَماعَةٌ أجاهِدُ في إحيائها وأقارِعُ
وإني وإنْ يترُكْنيَ السَّيفُ قَعْدَداً فذلكَ للأمرِ الذي لا أدافِعُ
قضى اللهُ أنْ أحيا من العَجزِ قابعاً وما أنا، في هَمِّي إلى اللهِ، قابعُ
إذا لُمْتُ نفسي أقنَعَتني قُيُودُها وما أنا، دونَ النَّصْرِ للهِ، قانِعُ
وما نُصْرَتي بالقولِ والقولُ تشتفِي مِن الغيظ، لولا دُونَ عَزمِي مَوانعُ

(١) ينضر: شدة اخضرار الشجر، وفي الدارج العُماني تُقالُ للشجرة المُتعافية المَرويّة المُخضرة || بلاقع: الأراضي الخالية من كُلِّ شيء.

إلى الله أشكُو حائلًا صَدَّ هِمَّتي ... فعِشتُ كما عاشَ الجَبانُ المُوادِعُ[1]

أأحيَا كَسِيرَ النَّفسِ والسَّيفِ عَانِياً؟ ... وسَيفُ الإباضِيِّينَ في الخَصْمِ شارِعُ

على أنَّني إنْ هَدَّني الحُزنُ هدَّةً ... ونَهْنَهَنِي مِمَّا قضى اللهُ قادِعُ[2]

لَيَعْلَمُ قصْدِي عالِمُ الجَهْرِ والخَفا ... ولِلعَبدِ ما يَنوي وإنْ سَدَّ مَانِعُ

لعَلَّ خِتامَ القصْدِ نَيلٌ مُوَفَّقٌ ... يُهَيِّئُهُ حَولٌ من الله واسِعُ

فأضحى بتهليلِ السُّيوف مُهَلِّلا ... متى حَيْعَلَتْ نحو الجهاد الوقائعُ[3]

ويَرضَى إلهي في مَواطِنِ حَزبِهِ ... قيامي إليهِ، والرِّماحُ كَوارِعُ

لعِلمِيَ إنْ لاقيتُ حَتْفِي مُجَاهِداً ... فذلك فوزٌ عِشتُ فيه أُنازِعُ

وإنَّ وقوعَ الموتِ للمَرْءِ مَوضِعٌ ... وليس لِمَوتٍ كالجهادِ مَواضِعُ

وما ماتَ مَن ألقى إلى اللهِ نفسَهُ ... وإنْ حُوِّلَتْ وَسْط اللحُودِ المَضاجِعُ

وأيُّ رجاءٍ بعد سِتِّين حَجَّةً ... لعَيشٍ، وهَلْ ماضٍ من العُمْرِ راجِعُ[4]

فهَلّا انقطاعُ العُمر لله لحظةً ... أحَقُّ به والعُمرُ يُبْلِيهِ قاطِعُ

ولم يَبقَ مِنهُ غيرُ فُضْلَةِ سَاغِبٍ ... سَيَخطَفُها مِنْ طائرِ الموت واقِعُ

وأُمنِيتي في بَيْعِها من إلهِهَا ... بسُوقِ جِهادٍ حيث تَزْكُو البَضائِعُ

على الله إحسانُ الخواتم إنَّهُ ... إذا شاءَ بين العَبدِ والخيرِ جَامِعُ

---

(١) **إشارة:** في هذا البيت والأبيات السابقة يعود لشكواه التي طالما بثها استنهاضياته بسبب بُعده عن وطنه وعدم قدرته على نُصْرَةِ الإمام، متعللا بالموانع التي يُشيرُ إليها تلميحاً دون التصريح بها.

(٢) **نهنهني:** النَّهْنهة هي الكَفّ والزجر || قادع: مانع. وهي من المفردات الشائعة في الدارج العُماني. تقولُ، مثلًا، لمن يقفُ في الطريق: لا تقْدَعْ عليّ الطريق. وهي واحدة - إلى جانب أخريات - من أبدع استخداماته للهجة المُتكِئة على المنسيّ والمغمور من الفصيح.

(٣) **حَيْعَلَتْ:** دَعَت. والأصلُ حَيْعَلَ المُؤذن: بقوله: (حيَّ على الصَّلاة). وأبو مُسلم يُغني المفردة ويُكسبها بُعداً جهادياً غير مسبوق.

(٤) **ملحوظة:** يُستشفُّ أنهُ كتب هذه القصيدة في أواخر عمره، كما يُشيرُ البيت: وأيُّ رجاءٍ بعد ستين حجّةً؟ فضلًا عن نضجها الفنّي والأسلوبي المنقطع إلى اغتراف الحكمة بيتاً إثر بيت.

إلى المَجد أيها العرب(*)

ألا لـبَّـيـكَ يـا صـوتَ الـمَـعـالـي | لـقـد أسْـمَـعـتَ أحـيـاءَ الـرِّجـالِ
أجَـابَـكَ سَـادَةٌ نُـجُـبٌ كِـرامٌ | طِـوالُ الـعَـزمِ بـالـبِـيـضِ الـطِّـوالِ
خِـفـافٌ كـالـصَّـواعِـقِ إنْ يَـشُـدّوا | جـبـالٌ فـي حُـلـومِـهِـم الـثِّـقـالِ
مَـعَـاقِـلُهُـم جِـيـادٌ فَـنَّـقُـوهـا | مَـسَـارِحُـهُـنَّ حَـومـاتُ الـنِّـزالِ[1]
تـعـلّمْـنَ الـتـقـارُعَ مـن قـديـم | فـهُـنَّ مَـعَ الـتَّـقَـارُعِ فـي شِـكـالِ
فـإنْ تـسـألْ بـهـم فـهُـمْ سُـراةٌ | تـرَبُّـوا بـيـن قـيـصُـومٍ وضـالِ[2]

(*) هذه القصيدة لم نجدها في «الأصل المُعتمد»، ولا فيما وصل إلينا من مراجع أخرى. وقد أضفناها من نُسخةٍ بحث عنها الأستاذ ناصر بن إسحق الكندي ـ مُصَحِّح ومُدقِّق الكتاب ـ فوجدها في أضابيره القديمة. أما المناسبة التي قيلت فيها فقد وجدنا ذكراً لها في مقال للأستاذ أحمد الفلاحي الذي علّقَ قائلاً في مقالٍ عن الشاعر؛ قال فيه: «والشيخ أبو مسلم عاشق لبلده عمان يمجدها ويفتخر بها وينافح عنها ويرسل القصائد حامية في الرد على من ينالها بسوء أو يتحدث عنها بغير الحديث الحسن، وقد ذكر أن شاعراً مصرياً سكن زنجبار اسمه عمر لطفي وكان موضع الحفاوة والتكريم من أهلها حتى كتب قصيدة مَسَّ فيها أهل عُمان بما لا يليق من الكلام فانحطت منزلته عندهم، وكتب أبو مُسلم هذه القصيدة في الرد عليه».

(١) فنّقوها: الفَنَقُ والفُناقُ والتَّفَنُّق: النَّعْمة في العيش، والتَّفَنُّق: التَّنَعُّم كما يُفَنِّقُ الصبيَّ المُتْرَفَ أَهلُه. والفَنِيقُ: الفحل المُقْرَمَ لا يركب لكرامته على أهله، وأراد به تدليلُ تلك الجياد المُفنقة كما تُدَلَّل الجواري. والمُفردة سائرة في الدارج العُماني، واستخدمها أبو مُسلم في أكثر من قصيدة.

(٢) القيصوم: ما طال من العشب، وهو من نباتات السهل؛ قال أبو حنيفة: القَيْصُوم من الذكور ومن الأَمْرار، وهو طيب الرائحة من رَياحين البر، وورقه هَدَب، وله نَوْرَة صفراء وهي تَنْهض على ساق وتطول؛ قال جرير: «نبتَتْ بمَنْبِتِه فطابَ لشمِّها | ونأَتْ عن الجَنْجاثِ والقَيْصُوم» || الضّال: السِّدْر البَرِّيُّ، والضّالُ من السِّدْر: ما كان عِذْياً، واحدته ضالَةٌ؛ ومنه قول ابن مَيّادة: «قَطَعْتُ بِمِصْلالِ الخِشْاشِ يَرُدُّها | على الكُرْهِ منها، ضالَةٌ وجَدِيلُ».

رضاعُ وليدهم بدَمِ الأعادي ... ويحيا في الرَّضاعِ بلا فصالِ
إذا اسْتَصْرَخَتْهُم شبُّوا سَعيراً ... وصَخَّ النجمَ قعقعةُ النِّصَالِ
مَساعيرُ الحُروبِ لهُم أجيجٌ ... إذا احتدَمَتْ حَميَّاتُ الرِّجالِ
مصاعِبُ تَصعَقُ الأبطالَ منهم ... رغائبُهم بأطرافِ العَوالي
إذا هَجَموا رأيتَ الفجرَ يَجري ... ببارقةِ الصَّوارمِ في الليالي
ترُوعُكَ في زحُوفِهمُ رُجُومٌ ... مِنَ السُّمُرِ المُثقَّفِ والنِّبالِ
جَحاجِحُ مِنْ بَني قحطانَ صِيدٌ ... ومِنْ عَدنانَ آسادُ القِتالِ
رأوا ما حَلَّ بالأوطانِ خِزياً ... يُسارعُ بالفظائعِ والوَبَالِ
وخَضمُ اللهِ جَزَّارٌ شنيعٌ ... يُضحّي بالدِّيانةِ لا يُبالي
رأوا أموالَهُم نهباً هنيئاً ... وكُلَّ مُحرَّمٍ عينَ الحلالِ
رأوا أملاكَهُم صارَت سَبايا ... مُوثَّقةَ الجَوارحِ بالحِبالِ
فأحرَقهُم منَ الإيمانِ نُورٌ ... بَوارِقُهُ على القُضُبِ الصِّقالِ
وغاروا غيرةً للهِ جاءتْ ... إلى الباغي عَليهِم بالنَّكالِ
فأصبَحَتِ المَمالكُ في أمَانٍ ... وأصبَحتِ العَدالَةُ في جَلالِ
تفضَّلْ بالزِّيارةِ في عُمانٍ ... تَجدْ أفعالَ أحرارِ الرِّجالِ
تَجدْ ما شئتَ مِنْ مَجدٍ وفضلٍ ... وأحسَابٍ عَزيزاتِ المِثالِ
تَجدْ ما قسَّمَتهُ مِنَ المَنايا ... خيولُ اللهِ في حِزبِ الضَّلالِ
تَجدْ مِنْ هَيبَةِ الإسلامِ شأناً ... عليهِ الكُفرُ مُبيضُّ القذالِ
تَجدْ هِمَمَ الرِّجالِ مُصَمِّماتٍ ... بثأرِ الدِّينِ تُرخِصُ كُلَّ غالي
قَطِينَ الشَّرقِ نِمتُم نومَ عيدٍ ... فنبَّهَكُم صَناديدُ الكمالِ
فقوموا عندَنا؛ أو لا فناموا ... هَنيئاً بينَ ربَّاتِ الحِجَالِ
سَنأخُذُ حقكُم ونَذودُ عنكُم ... ذياداً باليَمينِ وبالشمالِ
ويُدرِكُ فهمُكُم أنَّا قليلٌ ... تكاثرَ بالحَميدِ مِنَ الخِلالِ

وتـعـتـرفـون أنَّ الـعُـربَ قـومٌ قـديـمـاً أعْـبَـدوا صُـهْـبَ الـسِّـبـالِ[1]

وقـد وافـاكُـمُ زمَـنٌ جـديـدٌ ووافـتـكُـم بـهِ الـسُّـنَـنُ الـخـوالـي

يـرُدُّ الـحَـقَّ فـيـكُـم مُـشـمَـخِـرّاً ويُـخـزي الـظـلـمَ خِـزيَ أبـي رغـالِ[2]

بـأسـيـافِ الـغُـبـيـراءِ الـمَـواضِـي سَـتـخـضَـرُّ الأسَـافِـلُ والأعَـالـي

ويَـعـلـم عَـالَـمُ الـدُّنـيـا بـأنّـا بـضـوضـاءِ الـفـخـافِـخِ لا نُـبـالـي

وأنَّ مَـطـامِـعَ الأوغـادِ فـيـهـا سَـتـرجـعُ وهـي فـارِغـةُ الـقِـلالِ

ذروهُـم يُـكـثِـرونَ كـمـا أرادوا بـأقـوى مـا يَـكُـونُ مِـنَ الـمِـحـالِ[3]

سَـتـهـشِـمُ فَـرْقَـهُـم مِـنـا صُـخـورٌ صِـلابٌ لا تـلـيـنُ بـكُـلِّ حَـالِ

وإنْ كُـنـا عـلـى عَـدَدٍ قـلـيـلٍ فـمـا نـصـرُ الـقـلـيـلِ مِـنَ الـمُـحَـالِ

سَـنـعـقِـدُهـا عـلـيـهـم عَـقـدَ شـومٍ ويـومَ الـحَـشـرِ يـومَ الانـحِـلالِ

بـأسـيـافٍ قـديـمـاتِ الـمَـزايـا مُـخـلَّـدَةَ الـمَـفـاخِـرِ والـفِـعـالِ

---

(١) أعبَدوا: أصلها؛ اجتمعوا، وأعْبَدَه عبداً مَلَّكه إياه؛ قال الأزهري: والمعروف عند أهل اللغة أعْبَدْتُ فلاناً أي استعْبَدْتُه || صُهب: الصُّهْبةُ: الشُّقْرة في شعر الرأس || السِّبال: جمع سَبَلَة؛ وهي عند العرب مُقَدَّم اللحية وما أُسْبَل منها على الصدر؛ يقال للرجل إذا كان كذلك: رجل أَسْبَلُ ومُسَبَّل إذا كان طويل اللحية. ويقال: جاء فلان وقد نَشَر سَبَلته إذا جاءَ يَتَوَعَّد؛ قال الشَّمّاخ: «وجاءت سُلَيْمٌ قَضُّها بقَضِيضِها | تُنَشِّرُ حَوْلي بالبَقِيع سَبالَها». ويقال للأعداء: هم صُهْبُ السِّبال؛ وقال: فظِلالُ السيوف شَيَّبْنَ رأسي | واعْتِناقي في القوم صُهْبَ السِّبال».

(٢) أبي رغال: كنية، وقيل: كان رَجُلاً عَشّاراً في الزمن الأول جائراً فقَبْره يُرجم إلى اليوم، وقبره بين مكة والطائف، وكان عبداً لشُعَيب، على نبينا وعليه الصلاة والسلام؛ وقيل اسمه زيد بن مخلف عَبْد كان لصالح النبي. وقال جرير مُستهلماً الحكاية في ذمِّهِ للفرزدق: «إذا مات الفرزدق فارجُموه | كما تَرْمُون قبر أَبي رغالِ». وقيل: كان أبو رِغال دليلًا للحبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق. والرَّغْلة أصلًا في اللغة: القُلْفة كالغُرْلة. والأرْغَل: الأقلف، وكذلك الأغْرَل: وغُلام أرْغَل بَيِّن الرَّغَل أي أَغْرَل، وهو الأَقْلَف؛ وأنشد ابن بري لشاعر: «فإنِّي امرؤ من بني عامر | وإنكِ داريَّةٌ ثَيْتَلُ / تَبُول العُتُوقُ على أنفه | كما بَالَ ذو الوَدْعَةِ الأرْغَلُ». الثَّيْتَل: الوَغِل، والثَّيْتَل في هذا البيت تعني: الذي يقعد مع النساء، والدَّارِيَّة: الذي يلزم داره. وقد أثبتنا حكاية أبي رغال والأبيات التي قيلت حولها؛ لأنها دالَّةٌ على ما قصده أبو مُسلم في القصيدةِ التي أضمَرَ فيها هجاءً لم يُظهِرهُ صراحةً لمذمُومِهِ عُمر لطفي.

(٣) المِحال: الكَيْد ورَوْمُ الأمرِ بالحِيَل.

تَصُولُ بها أُسُودُ بني نِزارٍ ... ومِن قحطانَ أقيَالُ النِّزالِ
فإنْ شِئتَ العَيانَ فقُم إلينا ... تَرَى الأفعالَ مِصداقَ المَقالِ
ولا تحفلْ بما يَهذُونَ فيهِ ... فليسَ الحَقُّ في قِيلٍ وقالِ
وما نَصرَ الحَقيقةَ مِثلُ حُرٍّ ... مُنيرِ الصَّدرِ مُتَّقِدِ الخِصالِ
فكُنْ أنتَ النَّصِيرَ لها وبادِرْ ... تُقابلْكَ العَواطِلُ والحَوالي
تُشاهِدْ كيفَ حَرفُ الضَّادِ يَعلو ... بلا شمسٍ تُعِينُ ولا هِلالِ
تُشاهِدْ عُصبَةَ التقوى هيَامَى ... بحُبِّ اللهِ، لا عَزفِ المَوالي
تُشاهدْ أنَّ في العَرَبِ البَقايا ... وللباقينَ أقلامُ الجدالِ
تُشاهدْ أننا خَلَفٌ كريمٌ ... لأصحابِ النبيِّ ومَنْ يُوالي
فلا تقنعْ بسَمعٍ دُون عَينٍ ... وما عَينُ الحَقيقةِ كالخيالِ

الباب الرابع

قصائد الحِكم والمواعظ

أمَلٌ ينْتاشُهُ أَجل(*)

لا تَكْتَرِثْ بالليالي إنها دُوَلُ لا يَسْتَمِرُّ لها حُزنٌ ولا جَذَلُ
كأنَّ حُلَّةَ حِرْباءٍ تُلوِّنُها لا تُظْهِرُ الشَّكلَ إلّا رَيثَ ينتقِلُ
ولا تَضِقْ بالقضايا في تَقَلُّبِها في طَيِّ كُلِّ شديدٍ خِيرَةٌ جَلَلُ
إذا اعْتبَرْتَ صُرُوفَ الدَّهر مُرْسَلةً أيقنتَ أن القضايا كلُّها نُقَلُ
وإن تَفكَّرْتَ في خَطْبٍ لِتَنْسِفَهُ بصَولَةِ الرَّأيِ غَرَّتْ فِكْرَكَ الحِيَلُ
مَن أوْزَعَ الفِكْرَ في شيءٍ يُقَدِّرُهُ إلّا اعتباراً صَمَى أيزاعَهُ الخَبَلُ
ما فِكْرَةُ المَرْءِ فيما ليسَ يَملكُهُ من أمْرِ مَولاهُ إلّا فِكْرَةٌ خَطَلُ
لا تحترِسْ بذكاءٍ عند مَقدِرَةٍ قد يَهْشِمُ الأنفَ أمرٌ تَتَّقِي المُقَلُ
تَيقَّضِ الحَزمَ والأقدارُ جاريَةٌ هَمٌّ بِرَدِّ قَضاءٍ ما لَهُ قِبَلُ
جالِدْ صُروفَ الليالي بالتَّجلُّدِ وافْـ ـطِنْ أنَّ أحوالَها حِلٌّ وَمُرْتحِلُ
بَينا وقيدُ الرَّزايا في مَهانتِها سَمَا بهِ الجِدُّ واستخذى لهُ الأمَلُ
ليَصْحَبِ المَرْءُ في أمْرَيْهِ مُبْصِرَةً مِنَ اليَقينِ بأنَّ الحَالَ تَنْتقِلُ
لو أبْصَرَ الحُرُّ ما يُبْدِي مَزيَّتَهُ من المَكارِهِ طابَتْ عِندَكَ الغِيَلُ
مَزيَّةُ الحُرِّ ما عِيبَ الحُسَامُ بِهِ إن كانَ عَيباً بَحَدِّ الصَّارمِ الغَلَلُ
أسْنَى الفَضائلِ يُبدي شَرَّ صَفحَتهِ كأنَّ ضِدَّ الرَّزايا دُونَهُ كَلَلُ
صُكَّ الخُطُوبَ بخَطْبٍ اسْمُهُ جَلَدٌ والْقَ الأمُورَ بحِلْمٍ شَخصُهُ جَبَلُ

(*) وردت القصيدة بعنوان: (في المواعظ)، والعنوانُ الحالي من وضعنا.

وصَانِعِ النـاسَ لا نِكْسـاً ولا مَلِقاً | بـمـا يَـسُـرُّكَ مِـنْ تِـلقـائِهِ الـرَّجُـلُ
والـبِسْ لِدَهْـرِكَ إن لـم تَـزْكُ سيـرَتُـهُ | مـن الـتَّـجَـمُّـلِ ما تَـزْكُـو بِـهِ الـخِـلَلُ
مـا لـي ولـلدَّهـرِ يُغـري بـي حَـوادِثَـهُ | كـأنَّ صَـبْـري عـلـى لأوَائِهِ زَلَلُ
كـأنَّ فـضلـيَ فـي عَـيـن الـزمـان قَـذى | لـقـد دَرَى أنَّـهُ فِـي عَـيـنِـهِ كُـحُـلُ
كـأنَّ هَـمِّـيَ سَـهْـمٌ فـي مَـقـاتِـلِهِ | ومَذهَبي في العُلى في رِجلِهِ كَبَلُ
إذا نَشَطْتُ لحَقِّي في العُلى عَرَضَتْ | أمَـامَ عَـزمـيَ فـي إعْـرَاضِـهِ عِـلَلُ
لا أجْـتَـنِـي خِـطـةً إلّا مُـخـالَسَـةً | ودُونَ إتـمَـامِـهـا الأهْـوَالُ تَـشْـتَـعِـلُ
مـا سَـرَّنـي دَرْكُ مَـجْـدٍ لا تُـقـارِعـنـي | مِـنْ دُونِـهِ نَـكَـبَـاتُ الـدَّهـر والـغِـيَـلُ
ولا هَـنِـئـتُ بـفـضـلٍ لا تُـراقِـبُـنـي | مـن الـرَّزايـا عـلـيـهِ خِـطَّـةٌ جَـلَلُ
أرَى العُلى بخُطوبِ الدَّهرِ سَامِيَةً | كـأنَّ طَـرْقَ الـرَّزايـا لـلعُـلى سُـبُـلُ
قد يُكْسَبُ المَجْدُ مَجْدَاً مِنْ رَزيئَتِهِ | كجَوهَرِ التِّبرِ تُبْدِي حُسنَهُ الشُّعَلُ
أقـول لـلدَّهـرِ: أرْسِـلهـا الـعِـرَاكَ فـإنْ | أجْـزَعْ لـخِـطَّـتِـهـا فـالـوَيـلُ والـهَـبَـلُ
وهَـاتِ كـأسَـكَ إنْ صَـابـاً وإنْ عَـسَـلًا | فـقـد تَـسَـاوَى لَدَيَّ الـصَّـابُ والـعَـسَـلُ
إنِّـي أنِـفْـتُ مـن الـبُـقـيـا إذا أنِـفَـتْ | إلّا اغـتـيـالَ الـسَّـريُّ المَـاجـدِ الـعُـضُـلُ
مَـتـى أضـيـقُ بـخـطـب غِـبُّـهُ فَـرَجٌ | ونَـازِلاتُ الـلـيـالـي كُـلُّهـا ظُـلَـلُ
مـا إنْ شَـهِـدْتُ أمُـوراً وهـي مُـدبِـرةٌ | لـهـا وأعْـقـبَ مـن أضـدادِهـا قـبَـلُ
لا آمَـنُ الـدَّهـرَ فـي لِـيـنٍ وفـي شَـعَـثٍ | وطـبْـعُـهُ لـلوفـا والـغَـدْرِ مُـحْـتَـمَـلُ
مـا أطيـبَ العَيشَ لـولا أنْ يُشارِكَني | فـيـمـا يُـنـغِّـصُـهُ الـهَـيَّـابَـةُ الـوَكِـلُ
ولـسـتُ أرتـاد مَـاءً مَـا بـه كَـدَرٌ | إلّا إذا كـانَ دَهْـرِي مَـا بِـهِ دَغَـلُ
لـيـتَ الـحَـوَادِثَ لا تـعـدو مُـسَـاوَرَتـي | ولا عَـرَى يَـدَ دَهْـرٍ كَـادَنِـي شَـلَلُ
إنْ لـم أسَـلِّط إذا أنـقـضَّـتْ عَـزائـمُـهـا | بَـوادِرَ الـعَـزمِ مُـهْـتَـزٌّ لـهـا زُحَـلُ
لـيـعْـلَمَ الـجِـدُّ إمَّـا زَلَّ بـي قَـدَمـاً | أنّـي عـلـى جِـدِّ عَـزمٍ مـا بـهِ زَلَلُ
صَـادِرْ هُـمُـومَـكَ والأخـطـارُ كـالِحَـةٌ | مـا يَـلزمُ الـوَهْـنَ إلا الـخـامِـلُ الـوَكِـلُ
فـإنْ أفَـاتَـكَ سُـوءُ الـجَـدِّ صَـالِحَـةً | فَـحَـدُّ هَـمِّـكَ فـي إدراكـهـا بَـدَلُ

مَن يُعْطِهِ اللهُ فيما نفسُهُ كَرِهَتْ — صَبراً، فما كَرِهَتْ بالخَيرِ مُشتمِلُ
فَضِيلةُ العَزمِ عمَّا لا تُقاوِمُهُ — عَزيمَةُ الفَضْلِ فيما تبتغي حَوَلُ
لبِسْتُ لمْحَةَ طَرْفٍ نِعْمةً بَلِيَتْ — كما تمَزَّقَ عن أصْلِيِّهِ الخَلَلُ
فما جَذلتُ لخَيرٍ في يَدَيْ أَجَلٍ — ولا جَزِعتُ لشرٍّ بَعْدَهُ أَمَلُ
صَارَفْتُ صَرْفَ زمَاني بالتي حَسُنَتْ — في أعْيُنِ المَجْدِ واهتزَّتْ لها الفُضلُ
حتَّامَ أرْسُفُ في قيدٍ لَهُ ذَهَلَتْ — عَنِّي الجُدُودُ، وصَبري ليسَ يَنْذَهِلُ
وفيمَ تَهْتَضِمُ الأيَّامُ بادِرَتي — فِعلَ الوَتِيرِ وحُسْنُ الوَاتِرِ الدَّخَلُ
أليسَ جَوْهَرُ عَرْضِي لا يُنافَسُ في — أغْرَاضِهِا أنَّها الآفاتُ والغِيَلُ
تصُدُّني عَنْ مَسَاعٍ كُلُّها غُرَرٌ — في جَبْهَةِ الدَّهْرِ أو فِي سَاقِهِ حَجَلُ
والحَظُّ كَابٍ عَقيرٌ في بَرَاثِنِها — كأنَّهُ أمَلٌ يَنْتاشُهُ أجَلُ[1]
أراقِبُ الجَدَّ في نصْرِي فيَنْشِدُني: — لا نَاقَةٌ ليَ في هذا ولا جَمَلُ
هذا اعْتِذاري إلى العَلياء إن طَمَحَت — ما لَزَّني خَوَرٌ عنها ولا فَشَلُ
ما ذنبُ أمْنيَّةٍ يَغْتالُها قَدَرٌ — في أمْرِها وَقَضَاءُ اللهِ يَعْتَقِلُ
أصْبَحْتُ والدَّهرُ مِن بُغضِي به جَرِبٌ — آسِيهِ نُبلًا وما ينفكُّ يَأْتَكِلُ
إذا تطارَحْتُ أغْرَى بي سَمَاسِمَهُ — وإن تَنَمَّرْتُ حَاصَتْ عنِّيَ الحِيَلُ
وإن بَسَطْتُ نَوالي سَامَني سَفَهاً — أعَنْ سَفاهَةِ رَأيٍ يَفضُلُ النُّبلُ؟
المالُ لا شيءَ عِندي كَيْ أضِنَّ بِهِ — في مَوضِعِ الفَضْلِ، واللاشيء مُبتذَلُ
عِلْقُ المَضَنَّةِ ما تزكو مَزِيَّتُهُ — والفَضْلُ في اللهِ عِلْقٌ ما لَهُ مَثَلُ

(١) عقير: وعَقِيرٌ: لا يولد له بَيِن العُقْر؛ وهو الذي يأتي النساء فيُحاضِنُهنّ ويُلامِسهُنّ ولا يولد له. تلميح: هذا البيت والسابق واللاحق له من الأبيات اللافتة في القصيدة لشِعريّتها العالية، وترميزها بعيد الغور في مقصدها العام وهو الحِكمة الصافية، فهو يبتدئ في مُعاتبة الأيام التي تصده عن المساعي الوضاحة في جبهة الدهر، لكنَّ الحظ كابٍ غير وَلوُد في براثن تلك الأيام، مُشبهاً إيّاهُ بأمَلٍ ينتفه المَوت، ليُصعّدَ وتيرة مسعى القول الشعري في البيت التالي؛ وهو يُراقبُ الحَظ علّه ينصره على الأيام؛ لكنَّ الحظ ذاته يُنشدهُ متخلصاً ومُتملصاً من المأزق: لا ناقةٌ ليَ في هذا ولا جَمَل. إشارة توضيحية: من يُتابع الأبيات التالية سيلاحظ تصعيد الشاعر لبلواه مع الدَّهر الذي يُناكِدُهُ بشتى السبل.

يَزكو الثراءُ على التوزيعِ يُذْهِبُهُ   في اللهِ والحَمدِ ليس اللهْوُ والخَتَلُ

عَوَّدْتُ ربِّيَ إنفاذي فواصِلَهُ   فيه، وعَوَّدَني التَّعويضَ يَنهَمِلُ

عَوائدُ اللهِ أغنى لي وإنْ تَرِبَتْ   كفِّي، ونِعمَةُ ربِّي نِعمَةٌ جَلَلُ

يَكْفِي مِنَ الوَفرِ أنْ تَبقَى مَحامِدُهُ   ما أحْمَدَ الوَفرَ حُسْنُ الحَمْدِ يَأتَثِلُ

حَقائقُ المَال كانتْ في العَطا غُرَراً   ولا مَزيَّةَ أنْ لا تتبَع النَّفَلُ

أوْجِبْ لِسالِبَةِ الأنفالِ فَضلَ يَدٍ   فإنَّما سَلْبُها الإعطاءُ والنَّفَلُ

لن يَلبثَ المالُ تذرُوهُ الرِّياحُ ويَبْـ   ـقى من صَفايَاهُ ما شُدَّتْ به الخِلَلُ

نَفاسَةُ الفَضلِ عِلْقٌ لا تُنافِسُهُ   إضْبَارةٌ مِنْ حُطامٍ حالُها حَوَلُ

ضَمانَةُ اللهِ للإنسانِ كافيةٌ   ففيم تَدبيرُهُ والحِرْصُ والعَجَلُ

إن كنتَ تَملكُ بالتَّدبير رِزقَ غدٍ   فلتزتَجِعْ فائِتاً مِنْ أمرِكَ الحِيَلُ

كلّا لقد أعْجَزَ التَّدبيرَ ما حُتِمَتْ   به الأمُورُ فلا جَدٌّ ولا خَوَلُ

ثبِّتْ يَقينَكَ فيما اللهُ قاسِمُهُ   لا بُدَّ آتيكَ لا فَوْتٌ ولا مَيَلُ

إنِّي لأعْلَمُ أمراً ليسَ يَجهلُهُ   دَهْري ولكنْ صَوابي عِندَهُ خَطَلُ

أيَجْهَلُ الدَّهرُ إذ خُضْتُ الغِمارَ بهِ   أنْ ليسَ يُعجِزُني عن خَوضِهِ الوَشَلُ

وهل نَفذْتُ شهاباً والخُطُوبُ دُجى   وعنديَ الصَّارِمَانِ: القولُ والعَمَلُ

وهل تقلَّدَ جِيدُ المَجدِ من أدَبي   ما لا تُنافسُهُ الجَوْزاءُ والحَمَلُ

أنا ابنُ بَجْدَةِ أمْرٍ لا قَرارَ لَهُ   لها على خِطَّةٍ أُسٌّ لها زُحَلُ

عَلامَ تَنْحَلُني الأيامُ نِحْلَتَها   جَهْلاً على خِلَّةٍ ما شانَها خَلَلُ

تَنْحُو على فَضلِ أوطاري فتعْكِسُها   فلستُ أُبْرِمُ أمراً ليس يَنفتِلُ

قارَعْتُ أطوارَها حتى حُذيتُ لَها   وبي مِنَ الصَّبرِ ما لا يَحْمِلُ الجَبَلُ

وأرجَفَ الغدرُ هِيضَ العَظمُ من عُسُرٍ   نعم، ولكِنْ وفائي الدَّهرَ مُتَّصِلُ

إن يَعْقِلِ العُسْرُ فَضلِي عن مَواقعِهِ   فلي خَليقةُ بِرٍّ ليسَ تُعْتَقَلُ

إذا زَكا خُلُقٌ من أصلِهِ نَزَعَتْ   إلى الكَمالِ ـ على عَلّاتِها ـ الخِلَلُ

لا تُنْفِقُ النَّفسُ إلّا مِن جِبِلَّتِها   والفَضْلُ في النَّفْسِ لَيسَ المَالُ يُؤتَثَلُ

عَقائلُ المَالِ تُؤتاها وتُنْزَعُها ... ومَا عَقِيلةُ فَضْلِ النفسِ تَنْتقِلُ
إذا جُبِلْتَ على أمرٍ حُمِدْتَ به ... عَدَاكَ ذَمٌّ وإن جَدُّوا وإن هَزُلوا
لَتبِلُوَنَّكَ أخطارٌ فكُن خَطَراً ... يَكادُ مِنكَ فؤادُ الدَّهرِ يَنذهِلُ
ولا تَنمْ وعُيونُ الدَّهر سَاهِرةٌ ... وإنْ تَنَاوَمَ فهو المَكْرُ والخَتَلُ
وخُذْ حَقائِقَ ما تُخشى عَوَاقبُهُ ... مِنَ الأوَاخِرِ مِمَّا آتتِ الأُوَلُ
وارْغَبْ بنفسِكَ أن تُخْزى على طَمَعٍ ... دَع المطامعَ تَرْعَى خِزيَها الهَمَلُ
واخترْ على الذلِّ عِزّاً أن تُسامَ بهِ ... فدُونَ وَجْهِكَ في إدراكِهِ سُبُلُ
غَيظُ الزَّمانِ إذا عَزَّ الكِرامُ بهِ ... غَيْظُ المَفاخرِ تَغطُو نحوَها السَّفَلُ
فَلْتَشْفِ نَفسَكَ مِنْ عِزٍّ تُغيظُ بِهِ ... قَلْبَ الزَّمَان ولو في الحَتْفِ تَرْتَسِلُ

الدُّنيا(*)

مَاذا تُريدُ من الدُّنيا تُعانِيها ... أمَا تَرَى كيفَ تفنِيها عَوَادِيها

غَدَّارَةٌ ما وَفَتْ عهداً وإنْ وَعَدَتْ ... خانتْ وإنْ سَالَمَتْ فالحَربُ تُورِيها

ما خَالَصَتْكَ وإنْ لانتْ مَلامِسُها ... ولا اطْمَأنَّ إلى صِدقٍ مُصَافِيها

سِحْرٌ ومَكْرٌ وأحزانٌ نضارَتُها ... فاحذرْ إذا خالَسَتْ مَكراً وتمويها

وانْفِرْ فَدَيْتكَ عَنها إنها فِتَنٌ ... وإنْ دَعَتكَ، وإنْ زانت دَعَاوِيها

كَذَّابَةٌ في دَعاويها مُنافِقَةٌ ... والشَّاهِداتُ على قولي مَعانيها

تُرِيكَ حُسناً وتحت الحُسن مَهْلَكَةٌ ... يا عاشِقيها: أمَا بانتْ مَسَاويها؟

نَسعَى إليها على عِلْمٍ بسِيرتها ... ونَستقرُّ وإن سَاءتْ مَسَاعِيها

أمٌّ عَقوقٌ وبئسَ الأمُّ تَخضُننا ... على غذاءِ سُمُومٍ من أفاعِيها

بئسَ القرارُ ولا ننفكُّ نألَفُها ... ما أعْجَبَ النفسَ تَهْوَى مَنْ يُعَادِيها

تَنافسَ الناسُ فيها وهي سَاحِرَةٌ ... بهِمْ وهَمُّهُمُ أن يَهلَكُوا فِيها

يَجنُونَ مِنها على مِقدار شَهْوَتِهِم ... وما جَنَوهُ ذُعَافٌ مِنْ مَجَانِيها

مَنِ الذي لم تَرُعْهُ من طَوارِقِها ... وأيُّ نفسٍ من البلوى تُفادِيها

كُلُّ البَريَّةِ مَوتورٌ بما فَتَكَتْ ... لا ثأرَ يُؤخذُ لا أنصارَ تَكْفِيها

تَرُوعُهُم رَوعَةٌ للحُسنِ مُدهِشَةٌ ... وهي الحَبائلُ تُبدِيها وتُخفيها

ما أغفلَ الناسَ فيها عن مَعائِبها ... وإنما رَاقَهُم منها مَلاهِيها

(*) العنوانُ من وَضعِنا. فالقصيدة وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال رَحِمَهُ الله وَاعِظاً).

وللبَصائِرِ حُكْمٌ في تقلُّبِها ... بأنَّ عيشَتَها فيها سَتُرْدِيها
غُولٌ تغوَّلَ أشكالاً حقيقتُها ... مَكرٌ ولا يَرْعَوي عنها مُدانيها
نَجْرِي إلى غايةٍ فيها فتصرَعُنا ... لا بُدَّ مِنْ صَوْعِ جَارٍ في مَجَاريها
وإنَّ داراً إلى حَدٍّ نصاحِبها ... مِنْ أحزَمِ الأمرِ أنَّا لا نُصَافِيها
أنَّى نُصَافِي التي آباءَنا طَحَنتْ ... والآن تَطْحَنُنا الأنيابُ في فِيهَا
أنَستقِرُّ على لَهْوٍ بلا ثِقةٍ ... ولا أمَانَ ولا نَفسٌ تُعَافِيها
ما سَالَمتْ من نَأى عَنهَا وحَارَبَها ... ولا تُسَالِمُ، قَطْعاً، مَن يُداجيها
لا تَرْحَمُ الطفلَ تُرْدِي عَنهُ وَالِدَهُ ... ولا الثَكالى، ولو سَالتْ مَآقيها
لم تَهدأ الدُّورُ مِنْ نَوْحٍ وصارِخَةٍ ... ولا المَقابرُ مِن مُستودَعٍ فيها
نمُرُّ بالطُّرْقِ والأيتامُ تملأها ... ولا نفكِّرُ فِيمَنْ كَانَ يُؤْوِيها
ونُرْسِلُ الطَّرْفَ والأبوابُ مُغلقةٌ ... والدُّورُ فارغةٌ والدَّهرُ يُبْلِيها
أينَ الذين غنوا فيها مَقرَّهَمُ ... أظنُّهُم في طِباقِ الأرضِ تطويها
أينَ الذين عَهِدنا أينَ مَكْثُهُمُ ... أينَ القرونُ لمن تبقى مَغانِيها
أينَ الحَميمُ الذي كنا نُخالِطهُ ... أينَ الأحِبَّةُ نبكيها ونرثيها
أينَ المُلوكُ ومن كانت تطوفُ بها ... أو من يُنازِعها أو من يُداريها
أينَ الأباعدُ أينَ الجَارُ ما فعلت ... بهِم بَناتُ الليالي في تَقاضِيها
لو أمكَنَ القَومَ نطقٌ، كان نُطْقُهُمُ: ... رَيْبُ المَنونِ جَرَتْ فينا عَوادِيها
عِظامُهُم نَخِرَتْ بَلْ حَالَ حائِلُها ... تُرْباً لدى الرِّيح تَذْرُوها عَوَافِيها
لا شِبْرَ في الأرضِ إلّا مِن رُفاتِهِمُ ... فخَلِّ رِجلَكَ رِفقاً في مَواطِيها
نَبْنِي القُصُورَ وذاك الطِّينُ مِنْ جَسَدٍ ... بالٍ ونَحرُثُ أرضاً مُزِّقُوا فيها
عَواتِقُ الناس لا تَرتاحُ آونَةً ... من النُّعُوشِ ولا يَرتاحُ ناعِيها
ما بَينَ غارةِ صُبحٍ تحت مُمْسِيَةٍ ... يُراقبُ الناسُ إذ نَادَى مُنادِيها
تَغْدُو وتُمْسِي على الأرواحِ حَاصِدَةً ... لا يَنتَهِي الحَصْدُ أو تَفنَى بَواقِيها
ونَحنُ في إثرِهِم نَنحُو مَصِيرَهَمُ ... وجَوْعَةُ اللحْدِ تَدْعُونا ونُقْرِيها

والعَينُ جَامِدَةٌ والنفسُ لاهِيَةٌ والزَّادُ ذنبٌ إلى عُقبى نُوافيها
ونَهمَةُ النَّفسِ فيما تَشتهِيهِ طَغَتْ على الأزِمَّةِ والآمالُ تطغيها
ما هكذا عَمَلُ الأكيَاسِ فانتبهوا مِنْ غَفلَةٍ وعِمَاياتٍ نُواتِيها
حَقاً، ولا سَلَكَ الأبرارُ مَسلَكَها ساروا خِمَاصاً مِنَ الدُّنيا وما فيها
شدُّوا الحيازيمَ صَبراً عَنْ زَخَارِفِها إذ كُلُّ ما زَخْرَفَتهُ مِنْ مَخَازِيها
لا تُحسِنِ الظنَّ فيها إنها مُلئت غَدْراً ولا تَتْبَعُوها في دَعَاوِيها
فالكَيِّسُ الحُرُّ مَنْ يَقْوَى بعَفوَتها على السُّلوكِ إلى دارٍ تُنافِيها
تَدْعُو حَذارِ وتزهُو مِنْ مَلابسها تذلُّلا لجَهُولٍ ليسَ يَدْرِيها
والمُدرِكُون لمَعناها رأوا أجَلَّا يَنعَى الرُّكُونَ إليها في دَوَاهِيها
فشمَّروا الذَّيلَ واشتَاقُوا نُفُوسَهُمُ سَوْقَ القِلاصِ سِراعاً عن مَراعِيها
تعرَّضَتْ لهُمُ فاستبصَروا جَنَفاً عَنهَا سِوى بُلْغَةٍ في ربِّهم فيها
ماذا يُريدُون مِنهَا وَهِيَ شَاهِرَةٌ سَيفَ المَلاحِمِ لا تَرثِي لأهْلِيها
دَسَّتْ شِباكَ هَلاكٍ تَحتَ زُخْرُفِها فما تورَّطَ فيها غَيرُ باغِيها
تُخفي الدَّسائسَ خُدْعاً في بَشاشتِها لكنهُ بَانَ للأبصارِ خَافِيها
لم يَنجُ منها سِوى المُستبصِرِين بها ولا تَوَهَّقَ فيها غيرُ غَاوِيها[1]
تَأثَّلُوا صَالِحَ الأعمَالِ وامتثلوا بُغضاً ولم يَستقيموا نَحوَ تَالِيها
وكانَ مِنْ شأنِهم أنْ لا تَغُرَّهُمُ نَضَارةٌ حَشوُها الحَيَّاتُ تُفرِيها
فرُّوا إلى الله من دُنيا تجارَتُها خُسْرٌ وَغَمٌّ وآفاتٌ تُصَالِيها
رَأوا يقيناً بأن الله حَقَّرَها فنَابَذُوها ولم يُصْغُوا لِدَاعِيها
وحَارَبوا النفسَ والشيطانَ واجتَنبُوا ذُلَّ الحياة لرَيٍّ مِنْ سَواقيها
تلكُمْ هُمُومُ رجالٍ نحو ضَرَّتها ليست غَضَارَةُ دُنيَاهُم تُنَاوِيها

(١) يستخدم أبو مُسلِم مُفردات دارجة في اللهجة العُمانية، وهي فصيحة مثل: «توَهَّق» في هذا البيت، بمعنى: تورّط.

أزكى بضاعَتِهم منها قناعَتُهُم على الكَفاءِ وأن تبقى لأهْلِيها

تلكَ البضاعَةُ لا الأموالُ تجمَعُها وعَنْ قريبٍ إلى الوُرَّاثِ تُلقيها

تَشْقَى بمَكْسَبها والخَصْمُ يأكُلُها صَفواً يُمتِّعُ نفساً ما يُمنِّيها

دُفِنْتَ مِنْ بعد إخراج الدَّفينِ لهم وصَارَ دفنُكَ للأعداءِ تَرْفِيها

وصِرتَ في القبر مَرْهُوناً بمَأثمِها وفاتَ نفسَكَ في العُقبى تَلافِيها

أعْدِدْ جَوابَكَ في حين الحِساب إذا نُوقِشْتَ كيفَ أتتْ أو كيف تُجْرِيها

ما تَبْتَغِي من حُطامٍ أصْلُهُ تَعَبٌ والمُنتهى حَسْرَةٌ لا حَدَّ يُقصِيها

كم تَخزنُ المالَ لا تُعطِي حَقائِقَهُ تلكَ المَخازنُ مَلأى مِنْ مَكاوِيها

ماذا تُريدُ بجَمْرٍ عِشتَ تَرْكُمُهُ جَحِيمَهُ باشتدادِ الحِرْصِ تُذكِيها

هَلَّا نَجَوتَ سَليماً مِن مَعَاطِبها فالنفسُ مَيسُورُ هذا العَيشِ يَكفيها

قُرْصٌ وطِمْرٌ وشُكْرٌ فهي مَمْلَكَةٌ عَظيمَةٌ مُلْكُ كِسرى لا يُوازيها[1]

هي السَّلامةُ لا كَيُّ الجِبَاهِ بما كَنَزْتَ لا تتوَخَّى فيه تنزيها

ارفقْ بنفسِكَ لا تقوى على سَقَرٍ وافزعْ إلى الله من ذنبٍ سَيُخزيها

ارحَمْ عِظامَكَ أن تُصْلى بزَفْرَتها وَخْزُ البَعوضةِ لو فكَّرتَ يُؤذيها

ألا يَهُولُكَ ما قدَّمتَ من خَطَأ إنَّ الذنوبَ دُيونٌ سوفَ تُوفِيها

بادِرْ إلى توبةٍ تمحُو الذنوبَ بها فما سِوى أَوْبَةِ الإخلاصِ مَاحِيها

بادِرْ لأوْبَةِ نفسٍ كُلَّما ادَّكَرَتْ قُبحَ الخطيئةِ نارُ الخوف تشْوِيها

وحَقِّقِ الصَّبرَ واعْزِمْ عَزمَ مُصْطَبِرٍ في حَرْبِكَ النَّفسَ تُغنِيها وتَطْوِيها

واركبْ مَطايا الليالي في العِبادة لا تَنَمْ على غَفلَةِ المَغرورِ تَقْضِيها

لطالما شَحَنتها مِنكَ مَنْقَصَةٌ شُغلًا بدُنياكَ عن عُقبى سَتُنهِيها

يَمُرُّ عُمْرُكَ لا حُسنى بها رَمَقٌ تُجديكَ نفعاً ولا شنعاءَ تَنفِيها

ولا هوى يَعقبُ الأهوالَ تدفعُهُ ولا مَراشِدَ تأتيها وتَحْوِيها

(١) طِمر: ثوب قديم

تمضي لياليكَ صُفراً منكَ من حَسَنٍ ... وبالفظائعِ والحَوْبات تُزجيها

جَلالَ رَبِّكَ لا تخشى وسَطْوَتَهُ ... وأخْذَةُ العَدْلِ حتماً أنتَ لاقيها

لزِمْتَ فِعلَ مَعاصِيهِ برَحْمَتِهِ ... أنِعْمَةَ الله بالكُفرانِ تجزيها؟

تغذوكَ نُعْمَاهُ يا بَطّالُ نامِيَةً ... بغيرِ حَوْلِكَ فضلًا مِنهُ يُولِيها

وأنتَ تَقوى مَلِياً في مَساخِطِهِ ... بنِعْمَةٍ مِنهُ لا مَخلوقَ يُحْصِيها

فأفْرِغِ الدَّمْعَ إنَّ الذنبَ مُنطَبِقٌ ... يا غُمَّةً ليسَ غيرَ التَّوبِ يُجْلِيها

مِن مُقلَةٍ مَلأ العِصْيانُ ساحَتها ... دَعْها من الخوفِ مُنصَباً عَزاليها

عَساكَ تغسِلُ أدْرَاناً بها اتَّسَخَت ... صَحِيفَةٌ طالما اسْوَدَّتْ نواحِيها

واندُبْ حَياتكَ فالحَدْباءُ بارِكَةٌ ... بعَتَبَةِ البابِ لا تَرْدى بِرَاقِيها

حامَتْ عليكَ المَنايا وهي واقِعَةٌ ... كيفَ الأمانُ ورأسُ الرُّوحِ في فِيها

لا تُبعِدِ المَوتَ وارْقبهُ بأُهْبَتِهِ ... وأُهْبَةُ المَوتِ بالتَّقوى تُوَفِّيها

خُذْ فُسْحَةَ العُمْرِ من أيدي بَطالَتِهِ ... إنّ الأمانيَ والتسويفَ يُرْدِيها

إنّ المَنيَّةَ لا تَقديرَ يَمْنعُها ... لها جِيادٌ إلى الغايَاتِ تُجْرِيها

الوالدَيْنِ ونَسْلَ الظَّهْرِ قد أخَذَتْ ... وأنتَ مِن فِعلها فيهم تُفادِيها

كم قدْ دَفنتَ وكَمْ ترجُو لتَدْفِنَهُ ... وأنتَ نَفسَكَ بالآمالِ تُغرِيها

كَلّا ستهجُمُ عِندَ الحَدِّ غايتها ... فليسَ يَفديكَ شاكِيها وباكِيها

فكِّرْ إذا قَعْقَعَتْ في الصَّدرِ حَشرَجَةٌ ... هل أنتَ بالمالِ تلكَ الحالَ تكْفِيها

والرُّوحُ تَنسابُ من أقصى أكِنَّتِها ... والعَينُ شاخِصَةٌ والكَرْبُ يَعمِيها

مُلقى صَرِيعاً وعِزْرائيلُ يَنزِعُها ... وغُصَّةُ النَّزْعِ في الحُلقومِ تَلْوِيها

تلكَ المَصارِعُ لا تُوقى بمَقدِرَةٍ ... ولا يُحاوِلُ أن يُوقى مُلاقِيها

لا بُدَّ منها ولا أحكامَ تكشِفُها ... وإنما الشأنُ في إحسانِ تاليها

قد بَيَّنَ الله للتقوى مَراشِدَها ... لم يُخفِ عَنك هُداها من مَناهيها

فاثبتْ على خطَّةِ التقوى تَفُزْ أبداً ... لا تُلقِ نفسَكَ تَهوِي في مَهاويها

لا تَستخِفَّنكَ الدُّنيا بزَهْرَتها ... فأخسَرُ الناسِ في أُخراهُ هَاوِيها

فقد تبيَّنَ مِنها فَوزُ تارِكِها كما تبيَّنَ مِنها خُسْرُ غاويها

وازغَبْ إلى الله في إحسانِ خاتمةٍ تلقى بها الله والرِّضوان يُؤتيها

فإنما بالخواتيمِ الأمُورُ عسى الـ ربُّ الكَريمُ، بفضلٍ مِنهُ، يُسْدِيها

استنهاض النَّفْس(*)

لَنْ تُرْضِيَ اللهَ حَتى تُخْلِصَ الوَرَعَا ... ولَنْ تَرَى وَرَعاً بالجَهْلِ مُجْتَمِعَا

حَقُّ العِبادةِ فَرْضٌ لَنْ تُؤَدِّيَهُ ... إنْ كُنتَ تَجْهَلُ مَفرُوضاً ومُمْتَنِعا

أمَانَةُ اللهِ تَسْتَطِيعُ الأداءَ لها ... إذا عَلِمْتَ، بعَون الله، ما شَرَعا

ولم يُجِدْ صَانِعٌ إتقانَ صَنْعَتِهِ ... حتى يَكُونَ عَلى عِلْمٍ بما صَنَعا

ومَنْ مَضَى في طَريقٍ لا دَليلَ لها ... ولا مَعالِمَ تَهْدِي، ضَلَّ وانقَطَعا

وَفاقِدُ العَيْنِ مُحْتاجٌ لقائدِهِ ... لولاهُ لم يَدْرِ مَهْمَا جَارَ أو سَدَعا[1]

فاستنهِضِ النَّفسَ في إدْرَاكِ ما جَهِلَتْ ... حتى تَرَى العِلْمَ في حَافاتِها سَطَعَا

فهَذِهِ النَّفسُ مِرآةٌ جِبِلَّتُها ... ما قابَلتْ كائناً إلّا بها انطَبَعا

مُضِيئةُ الذَّاتِ والأكْدَارُ عَارِضَةٌ ... لنُورِها، فإذا اسْتَجْلَيْتَهُ انصَدَعا

والعِلمُ أشرفُ ما أُوْلِيتَ من خَطَرٍ ... ما حَلَّ في مَوضِعٍ للهِ فاتَّضَعا

فاطلبْهُ للهِ يَفتحْهُ بلا تعَبٍ ... لا تَحْتَجِزْ غَيرَ مَا يَرضَى بِهِ طَمَعا

واليُسْرُ يَصْحَبُ مُرْتادَ العُلومِ إذا ... كانَ ارتِياداً عَنِ الأكْوَانِ مُنقطِعَا

والعلمُ بَحْرٌ مُحِيطٌ لَسْتَ مُحْصِيَهُ ... فكُنْ بأنفعِهِ في الدِّين مُقتنِعا

ولو فرَضْنا انحِصَار العِلْمِ في بَشرٍ ... وقَصدُهُ غَيرُ وَجْهِ اللهِ مَا نَفَعَا

فاصْرِفْ إلى اللهِ وَجْهَ القصدِ مُعتقِلًا ... عَقائلَ العِلْمِ، فالإنسانُ حَيثُ سَعَى

(*) قال هذه القصيدة في جماعة من قبيلة الغيوث أسّسوا في زنجبار جمعيّة تُدعى «تناول المجد».

(١) سدع: اهتدى.

والعِلْمُ باللهِ أَوْلَى مَا عُنِيتَ بِهِ ... ومَا سِواهُ إلى إدْرَاكِهِ نَزَعَا
فَابْغِ المَعارفَ آلاتٍ لِصَنْعَتِهِ ... إذ يُتقِنُ الصُّنعَ بالآلاتِ من صَنعَا
ولا تقولَنَّ عِلمٌ ليسَ يَنفعُني ... بكُلِّ عِلمٍ يَعيشُ العَبدُ مُنتفِعَا
فاطْلُبْ وأَطلِقْ بلا قَيدٍ ولا حَرَجٍ ... وقِفْ إذا كَانَ عَنهُ الشَّرْعُ قد مَنعَا
وقدِّم العِلمَ بالطَّاعاتِ تَقْضِ بِهِ ... حَقاً لِمَحظُورِهِ أو مَا إليهِ دَعَا
دَعْ المُهندِسَ في الأشْكَالِ مُختَبِطاً ... وصَاحِبَ النَّجمِ يَرْعَى النَّجمَ إنْ طَلَعا
واقصِدْ فَقِيهاً بنُورِ اللهِ مُشتعِلًا ... يُريكَ ما ضَاقَ عَنهُ الجَهْلُ مُتَّسعا
فلا يَهُمُّكَ يَومَ الحَشْرِ هَندَسَةٌ ... ولا سُؤالٌ عَنِ المِرِّيخِ كم قَطَعا
ولن تَرَى مِنْ كِتابٍ خَطَّهُ مَلَكٌ ... يَومَ القِيامةِ إلّا الذنبَ والوَرَعا
فاعْمَلْ بعِلمٍ وأشغِلْ كاتبَيْكَ بِهِ ... فلا يَفُوتُكَ ما تُملِي وَمَا جَمَعا
لا تُنْفِقِ العُمْرَ بَطَّالًا فلَسْتَ تَرَى ... يَومَ النَّدَامَةِ لِلأعْمَالِ مُتَّسعا
في لَمْحَةِ العُمْرِ إمْكَانٌ ومَزرَعةٌ ... وسَوفَ يُحْصَدُ في عُقباه مَا زُرِعا
إذا حُشِرْتَ بلا عِلمٍ ولا عَمَلٍ ... عَرَفتَ كَوْنكَ بالتَّفريطِ مُنْخَدِعَا
أدرِكْ بَقيَّةَ أيَّامٍ تَمُرُّ بِلا ... مَهْلٍ، فإنَّ نَجازَ العُمْرِ قَدْ قَرِعَا
وأيقظِ العَزمَ إنْ نَامَتْ لَوَاحِظُهُ ... في الجِدِّ للهِ لا وَهْناً ولا هَلَعا
واصْرِفْ حَيَاتكَ مِنْ بَدءٍ لخاتمَةٍ ... في عِلْمِ دِينِكَ لِلقُرآن مُتَّبِعا
هُوَ المُهِمُّ الذي تُرجَى عَواقِبُهُ ... إنْ مُتَّ أحْيَاكَ أو قَدَّمْتَهُ شَفَعا
مَزِيَّةُ العِلم أعلى نِعْمَةٍ رَفعَت ... عَبداً، ولولاهُ لم يُذكَرْ مَنِ ارْتَفَعا
ما فَوقَ مَرْتبةِ المُختارِ مَرْتبَةٌ ... ولا وَسَاعَةَ تَسْمُو فَوْقَ ما وَسِعَا
وكُلُّ عِلْمٍ لِمَخلوقٍ تُقدِّمُهُ ... أو سَوفَ يَعْقِبُهُ مِنْ بَحْرِهِ نَبَعا
وكُلُّ ذرَّةِ نُورٍ أو مَقامِ هُدى ... فمِنْ مَشارِفِ نُورِ المُصْطَفى طَلَعا
وكُلُّ ذلكَ والقرآنُ يأمُرُهُ ... قلْ رَبِّ زِدنِيَ عِلماً فوقَ ما جَمَعَا
لأنَّ للعِلْمِ شَأناً كُلُّ مَرتبَةٍ ... وكُلُّ شأنٍ رَفيعٍ دُونَهُ اتَّضَعا
والنَّفسُ قَابِلَةٌ للازْدِيادِ فلا ... تَضِيقُ عَنهُ اتِّساعاً كَيفَمَا اتَّسَعا

فارْقُمْهُ في لَوْحِها واجْعَلْهُ مُرْشِدَها ... إلى حَقائقِ أعْمالٍ لَهَا وُضِعا

فلْتطلُبِ العِلْمَ للأعْمالِ يَخدِمُها ... كالسَّيفِ يَحمِلُهُ للضَّرْب من شَجَعَا

ماذا تُريدُ بعِلمٍ لا يَرُدُّكِ عَنْ ... شرٍّ ولستَ بِهِ للخَيرِ مُتَّبِعا

ليسَ الحِمَارُ مِنَ الأسْفارِ يَحمِلُها ... بِغَيرِ أثقالِها إيَّاهُ مُنْتَفِعَا

بِئسَ المِثالُ لِمَنْ أوْعَى العُلومَ وَلَمْ ... تُفِدْهُ إلّا: فُلانٌ عالِمٌ بَرَعَا

وإنْ طلَبْتَ بِهِ الدُّنْيا فَمَوْبِقَةٌ ... أحرَى بِهَا مِنْ خَسِيسِ الجَهْلِ أنْ تَقعَا

جَرِّدْهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ لا يُشاكِلُهُ ... ما أقبحَ العِلمَ مَهْمَا قَارَنَ الطَّمَعا

وأشرَفُ العِلْمِ مَا يَهْدِي لِصَالِحَةٍ ... تَكُونُ ذُخْراً وَمَا عَنْ سَيِّءٍ رَدَعَا

ليسَ السِّيادَةُ فِي مَالٍ ولا نَشَبٍ ... لكنها العلم مهما رافق الوَرَعا(1)

للهِ نُخبةُ أبْرارٍ فَقَدْتُهُمُ ... كانُوا الأمَانَ فأبقَوا بَعْدَهُم فَزَعا

كانُوا البِحَارَ فابْقَوا بَعْدَهُم يَبَساً ... كانُوا السَّحابَ فأبْقَوا بَعْدَهُم قِزَعا(2)

صَحِبْتهُم وغيوثُ العِلْمِ هَاطِلَةٌ ... وفارَقُوني فضَنَّ الغيثُ وانقطَعا(3)

أولئكَ القومُ مِلْحُ الأرض إن فسَدَتْ ... فأين هُم وفَسَادُ الأرضِ قَدْ قَرَعا

ما للمَعَارفِ مِنْ أفلاكِها نزلَتْ ... والآن حلَّتْ بُطونَ الأرضِ والتِّلَعا(4)

من لي بهم في زَمَانٍ بَعضُ مَوعِدِهِ ... رَفعُ العُلُومِ وَهَذا العِلْمِ قَدْ رُفِعَا

وَرَفْعُهُ مَوتُ مَنْ يَبْغِي بِهِ عَمَلًا ... بِرّاً ولو حَلَّ فيمَنْ ضَلَّ وابْتَدَعَا

عَسَى لَطَائِفُ رَوْحِ اللهِ مُنشِئَةٌ ... بَعدَ الأيَاسِ سَحَاباً يُمْطِرُ الطَّمِعَا

فَتَنْجَلِي غُبْرَةُ الأيامِ عَنْ خَلَفٍ ... صِدقٍ يَقومُ بنفعِ الخلْقِ مُضْطَلِعَا

فإنَّ لي أمَلًا في فِتيَةٍ نُجُبٍ ... ورَيْثَمَا حَاوَلوا إدْرَاكَهُ خَضَعا

تناولوا المَجدَ من أركان سَالِفِهِم ... بَرْقُ الفضيلة في أعطافهم لَمَعا

---

(١) نشب: المال والعقار، ولأنهُ ذكر الأولى فالثانية هي المقصودة.

(٢) قِزع: قطعة متفرقة من السحاب.

(٣) غيوث العِلم: إشارة إلى جماعة قبيلة الغيوث.

(٤) التِّلع: الهِضاب.

لهُم وجُوهٌ مَصابيحٌ مُشعشعَةٌ   كأنَّما البَدْرُ في أغصانِها طَلَعا
نُجْدٌ أمَاجدُ في أحسَابهم فَلَقٌ   ومِنْ أيادِيهِمُ البَيْضَاءُ قَدْ نَبَعا
زُهْرُ المَناقبِ يَنشقُّ الجَمَادُ بها   عن حَاجبِ الشَّمسِ أو عَنْ صُبحِهَا انْصَدَعا
مِثلُ الكَوَاكِبِ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ   وفِي قُلُوبٍ وفِي صِيتٍ لهُمْ شَسَعَا
تنافسُوا في اقتناءِ المَجْدِ واستبَقوا   والكُلُّ جَلَّى لمَجْدٍ ليسَ مُخترَعا
سَمَتْ بهم هِمَّةٌ كالشمس نيِّرَةٌ   فكُلُّ هَمٍّ عَزيزٍ تحتها رَكَعا
وناصَبوا الدَّهرَ والأيَّامُ كالِحَةٌ   بفضلِ حُرِّيةِ الأحرَار فاندَفعا
ونظَّموا عَقدَ مَجْدٍ باجتِمَاعِهِمُ   لا زَالَ عَقداً بعَينِ اللهِ مُجتمِعا
«تناوُلُ المَجْدِ» صَعبٌ غير أنَّهُمُ   تناوَلُوهُ ومَا شَدُّوا لَهُ النِّسَعا
بَخٍ بَخٍ يا سُراةَ المَجْدِ إنَّكُمُ   ذكَرتُمُ المَجدَ ما أعطَى ومَا مَنَعَا
ما زَالَ يُنْتخَبُ الأحرَارُ في زمَنٍ   مُقطَّمِ الوَجْهِ حتى فِيكُمُ وَقعَا
فكُنتُمُ الغُرَّةَ الزَّهرَاءَ فيه ولَمْ   يُبْصِرْ بأكمَلَ مِنكُم، لا ولا سَمِعا
لنا الهَناءُ بأنَّ المَجدَ بَشَّرَنا   مِنكُم بأكْرَمَ مَنْ فِي مَفْخَرٍ نَزَعَا
وإنَّ مُستقبلًا يأتي لنزعَتِكم   مِنْ دُونِ حَضرِ المَعالي ليسَ مُقتنِعا
وإنكُم ولسانُ الصِّدقِ يشهَدُ لي   وَصَلتُمُ من حِبالِ العُرْفِ ما انقطَعَا
ومَنْ شَعَرتُم بأنَّ الجَهلَ مَنقصَةٌ   والعِلمُ يُعلي برغمِ الجَهلِ مَا اتَّضعا
أسَّستُمُ لعُلوم الدِّينِ مَدرَسَةً   كهَالَةِ الشَّمسِ أنواراً ومُنتَفَعا
ضَمَّتْ شَبيبةَ أطْهَارٍ نُفوسُهُمُ   أصفى مِنَ الدُّرِّ بالأصْدافِ مُلْتفِعا
تعَطَّشوا لاكْتِسابِ العِلْمِ إذ فَهِموا   كَونَ الجَهَالَةِ فِي حُكْمِ الحِجَى شنَعَا
مُشمِّرينَ ذُيُولَ الجِدِّ هَمُّهُمُ   أن يَعبُدوا اللهَ بالوَجْهِ الذي شَرَعا
أوْحَتْ إليهِم عُقولٌ غَيْرُ قاصِرَةٍ   ضَرورةَ العِلْمِ فانقادوا لهَا تَبعَا
على نشاطٍ وعَزمٍ لا يُعارِضُهُ   مُعارِضٌ فكَأنَّ البَحرَ مُندَفِعا
بُشراكُمُ يا وُعَاةَ العِلمِ إنَّ لكُم   يوماً سَيرجعُ فيه الجَهلُ مُنهَزِعا
وتسعَدُونَ بألبابٍ مُنوَّرةٍ   يَصُونها اللهُ أن تَستمْرِئَ البِدَعا

يا عُمدَتي، يا غُيُوثَ الأرضِ حَسْبُكُمُ ... مَسْحُ المَلائِكِ تَبْرِيكاً ومُنتفَعَا

هلْ تقبلونيَ فَرْداً من رِجَالِكُمُ ... حتى نَعِيشَ على هذا الفلاحِ مَعَا

قد اخْتُصِصْتُمْ بشأنٍ كُلُّهُ شَرَفٌ ... هل تَسْمَحُونَ بأن يَبقى لنا شرعا

ما زلتُ أدعوا إلى أمثالِ نهضَتكُم ... فكُنتُمُ يا رجالَ الفضلِ مُستمِعا

فثبَّتَ الله مَسعاكُم وزادَكُمُ ... تقدُّماً في العُلا ما كَوْكَبٌ طَلَعا

إخوانُ الصَّفا(*)

الفَضْلُ ما وَزَعَ النُّفُوسَ إلى الصَّفا ... ورأيتُ إدراكَ المَعارفِ أشرَفا
وكَمالُ كُلِّ نزاهةٍ وسَجِيَّةٍ ... أبَداً على شَرَفِ العُلومِ توَقَّفا
لم يَرْتفِعْ بجَناحِ جَهلٍ طائرٌ ... نَحْوَ الكَمالِ وكَمْ بعِلمٍ رَفرَفا
أحْدُو النُّفوسَ بشَذْوِ لَحْنِ بَصِيرتي ... نَحوَ الكَمالِ إذا حَدا حادي الوَفا
حُرُّ الضَّمائِرِ لا يُقَيِّدُهُ الهَوى ... في عِلَّةٍ من دُونِ إدراكِ الشِّفا
صَدْعُ الصَّدا مِنْ حِكْمَتِي أرجُو بهِ ... صَدْعَ النفوسِ إلى الصَّفاءِ عَنِ الجَفا
أنهَتْ مُزاولَةَ الحَوادثِ نُهيَتي ... وَقَفَتْ لِترْقِيةِ الفَضِيلةِ مَوقفا

(*) وردت القصيدة في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال أيضاً)، لكننا اخترنا لها هذا العُنوان لأن القصيدة تشيرُ ـ كما يؤكد د. محمد المحروقي في دراسته ـ إلى جماعة موسيقية في زنجبار عُرفت باسم (نادي إخوان الصفا). وهو أول ناد من ذلك النوع، حيث تأسس عام ١٩٠٥ ليظهر بعده (نادي الشعب، ١٩١٠) وهما من النوادي الموسيقية التي تأسست بتأثير جهود الموسيقار وعازف آلة القانون محمد بن إبراهيم الذي ارتفع بالحس الموسيقي في زنجبار إثر عودته من القاهرة التي أرسَلَهُ السيد برغش إليها ليتخصص في دراستها. وقد عاد إلى زنجبار بعد رحلته الدراسية بأدوات موسيقية تعرف لأول مرة في شرق أفريقيا؛ كالعود، الناي، الدُّف، والكمنجة. لقد كوّن مجموعة من الدارسين، أخذ يعلمهم أصول الموسيقى العربية، ويدربهم على مقامات: البياتي، الشعري، الرست، الحجازي، الحسيني، وعندما تم له ما أراد أقام حفلة بقصر (بيت العجايب) حضرها السلطان برغش وحاشيته، كما تجمهر الناس حول القصر. وقد رافق هذا الموسيقي، فيما بعد، السيد حمود بن محمد في رحلته إلى أقطار أفريقيا الشرقية، وكتب عنه أبو مُسلم وامتدحه، كما أسبغ عليه لقب: «الكوكب الدُّري» في كتابه الرِّحلي الموسوم: «اللوامع البرقية في رحلة مولانا السلطان المعظم حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان بالأقطار الأفريقية الشرقية».

ولو انبَسَطتُ إلى الكَمالِ بدَعْوتي كانتْ إلى غَيرِ العُلومِ تَكلُّفا

هل تَشعُرُ الألبابُ أن غِراسَها إلّا بعِلمٍ طيِّبٍ لن يُقطَفا

وإذا تَساجَلَتِ النفوسُ وَجَدْتَ ذا أدَبٍ على نَجْدِ المَفاخِرِ مُشرِفا

فلتَحْيَ أنفُسُكم بروحِ كَمالِها حِزباً بجَامِعَةِ العُلى مُتصَرِّفا

ولتَنْتبهْ أفكارُكُم لفَلاحِها حُرِّيَّةُ الأفكارِ رَبعٌ ما عَفا

إنَّ المُقلِّدَ في الحَوادِثِ عاجزٌ ما كُلُّ رَأيٍ في الحَوادِثِ يُقْتَفى

فتقلَّدوا هِمَمَ الكِرامِ وَزاحِموا أكتافَ أحرارِ الفَضيلَةِ والوَفا

واستَصْلِحوا سَيْرَ النُّفوسِ بما بِهِ تَزْكُو ولا تَذَرُوا الكَمالَ مُسوَّفا

حتى يقومَ المَجْدُ فيكُم قائلًا: الناسُ كُلُّ الناسِ «إخوانُ الصَّفا»

وقال ناصحاً(*)

يـا ذا الإمَـامَـةِ قـد تـقـلَّدتَ الـخَـطَـرْ
فاحْمِلْ على شَرْطِ الشَّريعَةِ أو فَذَرْ

قـد أوْفَـدُوكَ إلـى عَـظـيـمٍ قـادِرٍ
يُحْصِي عَليكَ أقلَّ مِنْ مِثقالِ ذَرْ

إنَّ الـوُفـودَ إلـى الـمُـلوكِ أحـقُّـهُـم
بـمَـزيَّـةِ الإيـفـادِ أرْبَـابُ الـخَـطَـرْ

فـكُـنِ الـخِـيـارَ لـتَـسْـتَـحِـقَّ وفـادَةً
تُقْضَى على يَدِكَ المَوَاهِبُ والخِيَرْ

أحْـسِـنْ صَـلاتَـكَ إنَّ خـلفـكَ قـانِـتـاً
يـأتِـي إلـيـهِ مِـنْ إسَـاءَتِـكَ الـضَّـرَرْ

أتُـراكَ تَـسْـلَمُ مـن ضَـمَـانِ صَـلاتِـهِ
ولـو اسْـتـقـامَـتْ إن أسَـأتَ بـمـا يُـسَـرْ

يـأتـي بـهـا زَهْـرَاءَ تَـصْـعَـدُ فـي الـسَّـمـا
فـتـرُدُّهـا سَـودَاءَ مُـظـلِمَـةَ الـطُّـرَرْ(1)

يَـتـصَـلَّبُ الـمِـسْـكِـيـنُ فـي إخْـلاصِـهـا
ويُـحَـارِبُ الـشـيـطـانَ غـايَـةَ مـا قَـدَرْ

لـم يُـغـنـهِ الإخـلاصُ والإحـسـانُ فـي
تـلك الـصَّـلاةِ وزنـتَ آفـتـهُ الأمَـرْ

أحْـسِـنْ أمَـانـتـكَ الـتـي قُـلِّدْتَـهـا
طَـوقَ الـحَـمَـامَـةِ مـا تُـسِـرُّ ومـا ظَـهَـرْ

لـقـد اتَّـجَـرْتَ عـلى الـذيـن تَـؤمُّـهُـم
فاخْتَرْ على الخُسْرَانِ رِبْحَ المُتَّجَرْ

(*) وجدنا القصيدة ناقصة تسعة أبيات في الأصل المُعتمد؛ فأكملناها اعتماداً على «تحقيق الدغيشي»، وقارناها بعد أن توفرت لنا المخطوطة بما ورد فيها |ملحوظة: خلافاً لقصائده الأخرى التي تكثرُ فيها مُفردة الإمامة بدلالتها الشاملة في بُعدِها الخِلافي، فإنها في هذه القصيدة تنحصرُ نُصْحاً فيمن يَؤمُّ الصَّلاة غير مُتفطِّنٍ لدوره الخطير. والقصيدة، قدر ما تكتنز بشروط إمامة الصلاة، لا تخلو من سُخرية قادحة في بعض أئمّة المساجد الذين لم يشترطوا على أنفسهم الشروط الواجبة ديناً ودُنيا على تنطُّعهم لأداءِ دور لا يُناسِبهم، دِيناً ودُنيا.

(1) الطُّرَر: جمعُ طُرَّة، وهي حافة الثوب، ويقصد العمامة.

قد قلَّدوك أمانةً مضمونةً   فاحذرْ ضَمانَ مُضيِّعٍ كُلَّ الحَذرْ

واعرفْ لهاتيكَ الأمانةِ قدْرَها   ليسَ الضَّمانُ بها ضَماناً يُغتفرْ

إن تَرْعَها نالُوا ونِلتَ ثوابَها   أو خُنْتَها سَلِموا وأنتَ المُؤتزِرْ

قد قُمتَ بَينَ غَنِيمةٍ وسَلامةٍ   فاسْلُكْ بأيِّهما تَرى الحَزْمَ اسْتقرّْ

واسْتَوفِ بين سَلامَةٍ مِنْ فِعْلِها   وسَلامَةٍ مِنْ تَرْكِها حَقَّ النَّظَرْ

فإن اسْتطَعْتَ حُقوقَها وشُروطَها   تَرِبَتْ يداكَ، اغْنَمْ فنِعْمَ المُدَّخَرْ

وإذا عَجِزتَ ففي السَّلامَةِ مَغنمٌ   وأحَقُّ أمْرَيْكَ البَعِيدُ عن الخَطَرْ

وإذا تَرَكْتَ مَعَ اسْتِطَاعَةِ فِعلِها   فالإثمُ بالتَّضْييعِ يُلْزِمُ من قَدَرْ

إنَّ الإمَامَةَ مَنصِبٌ ومَقامُها   لمَزيدِ إخلاصٍ من الكِبْرِ افتَقَرْ

لا تَبْغِها بذخاً بها وترفُّعاً   فيُكبِّكَ الجبَّارُ يوماً في سَقَرْ

لتكُنْ إقامَتُها على الإخْلاصِ لا   لتكُونَ مَتبُوعاً يُعظِّمُكَ البَشرْ

ومَقاصِدُ الألْبابِ يَعْلَمُ كَيفَها   مَنْ لا يُغَيِّبُ عَنهُ مَطويُّ الفِكَرْ

أتُرى يُغالِطُهُ الضَّميرُ وعِلْمُهُ   مُحْصٍ سَواءٌ مَنْ أسَرَّ ومن جَهَرْ

فهَبِ الخِدَاعَ مَعَ البَرِيَّةِ نافعاً   أتُراهُ عمَّنْ يَعلَمُ الغيبَ اسْتَتَرْ

عَمَلُ السَّرائرِ والظَّواهِرِ كُلُّهُ   في عِلمِ عَلّامِ الغُيوبِ قد انْحَصَرْ

فارِقْ هَواكَ وَدَعْ لربِّكَ فِطْرَةً   مَحَّضْتَ بالإخلاصِ عنها كُلَّ شَرْ

طَهِّرْ سَرِيرَتكَ التي آفاتُها   سُوءٌ وصِبْغتُها النقائصُ والقَذَرْ

واحْمِلْ عَمودَ الدِّينِ ما حُمِّلْتَهُ   عمَّن رَآكَ به الضَّليعَ المُقتدِرْ

مَهْمَا حَضرتَ الناسَ عند صَلاتهم   ورآكَ للتَّقديمِ أهلًا مَن حَضَرْ

فكُن الإمامَ ولا عليكَ ولا تُضِعْ   فرضَ الجَماعَةِ واحتسِبْ أجرَ النَّفَرْ

لكِنْ عليكَ وظائفٌ مَشرُوعةٌ   سَفَرَتْ بها سُننٌ كما سَفرَ القَمَرْ

منها مُراعَاةُ الأظِلَّةِ دَائِباً   وأوائلُ الأوقاتِ مِنْ ذاكَ الوَطَرْ

إن الأحَبَّ مِنَ العِبادِ لربِّهِ   عبدٌ يُرَاعِي للأظِلَّةِ في الخَبَرْ

وأوائلُ الأوقاتِ رُتبَةُ فَضْلِها   حَضَّ النبيُّ وفعلُهُ فيها اسْتَمَرْ

رِضْـوانُ رَبِّـكَ أوَّلُ الأوقـاتِ والـ ... أوسَاطُ رَحْـمَـتُـهُ وعَـفْـوٌ فـي الأُخَـرْ

واسْتثْنِيَ العَتمَاتِ في لَيلِ الشِّتا ... والظُّهرَ للتبريدِ في أيام حَرْ

والبَعْضُ يَختارُ انتظارَ جَماعَةٍ ... والبَعْضُ يَختارُ الحَديثَ كما ظَهَرْ

وإذا تهيَّأت الجَماعَةُ كُلُّها ... كَبِّرْ، وهذا البابُ مِنْ حُسنِ النظرْ

واحْذرْ تقلُّدَكَ الإمَامَةَ إنْ تَكُنْ ... لحَّانَةً إذ أقرأُ القومِ الأبَرْ

حَتَّى ولو لَمْ يَفسُدِ المَعْنَى بِهِ ... إذ لسْتَ، في حُكم الحَديثِ، بمُعْتبَرْ

وتَصِحُّ إن لم يَفسُدِ المَعنَى بِهِ ... إلّا الإسَاءةَ إنَّها لا تُغْتَفَرْ

والبَعضُ إن بدَّلتَ آيَةَ رَحْمَةٍ ... بالضِّدِّ والتوحِيدَ بالشِّرْكِ اعْتبرْ

والبَعضُ إن بدَّلتَ توحيداً بشِرْ ... كٍ أو عَكَستهُما على هذا اقْتَصَرْ

ويُشاكِلُ اللحنَ الوقوف يُبدِّلُ الـ ... ـمَعنى، وقيلَ إذاً بتوحِيدٍ أضَرْ

ونَظيرُهُ الإهْمَالُ والإعْجَامُ في الـ ... ـقُرآنِ إذ بِهِما يَؤولُ إلى الغِيَرْ

ونَظيرُهُ جَهْلُ المَخَارِجِ للحُرو ... فِ على الصَّلاةِ لِمَن يَؤمُّ به ضَرَرْ

ويَؤمُّهُم ذو آفةٍ بلِسانِهِ ... إن لم يكُنْ عن جَهْلِهِ الحَرفُ انكَسَرْ

ويَصِحُّ من ذي لُكْنةٍ إنْ كان ما ... تُجزِي الصَّلاةُ بهِ من الآيِ اسْتَقرْ

ومُبدِّلٌ حَرفاً بحَرفٍ إن يَكُنْ ... عن آفةٍ أو فِطرَةٍ وَقعَ الأثَرْ

وحَديثُ سِينِ بِلالٍ المَشهورُ لا ... نَرضَى بِهِ، فالوَضْعُ فِيهِ المُعتَبَرْ

ومِنَ الوَظَائِفِ أنْ تكُون مُرَتِّلًا ... أوَ مَا ترى نَصَّ الكِتابِ بها أمَرْ

ووظيفةَ التخفيفِ للأرْكَانِ لا ... تُهمِلْ، ولا تَكُنِ المُنفِّرَ من نَفَرْ

نَاهِيكَ ما لاقى مُعاذٌ مِن رَسُو ... لِ اللهِ مِنْ زَجْرٍ بتطويلِ السُّوَرْ

والناسُ في الأحوالِ شتى فليَكُن ... هذا الإمامُ مُراعياً حالَ الفطَرْ

وليَرْعَ تَسْويَةَ الصُّفوفِ بنفسِهِ ... أو غَيرِهِ كالفِعْلِ مِن خَيرِ البَشَرْ

وليَنْوِ هَاتيكَ الإمَامَةَ آتياً ... إن جَاءَ مِنْ بَعدِ الدُّخول ومَنْ حَضَرْ

وليُجْزِمِ التَّكبيرَ والتَّسليمَ كي ... يَقعَا مِنَ المَأمُومِ بَعدُ على الأثرْ

ومَتَى يُكَبِّرْ أو ليُسْمِعِ فليَزِدْ ... في رَفْعِهِ للصَّوتِ والسَّمْعِ القَدَرْ

ولْيُخْلِصَنَّ القَصْدَ للمَأمُومِ في ... حِفْظِ الحُدُودِ البَاطِناتِ وما ظَهَرْ
ولْيَنتقِلْ مِنْ مَوضِعٍ صَلَّى بِهِ ... مِنْ بَعدِ ما يَقضِي الصَّلاةَ إلى مَقرْ
في مَسْجِدٍ أو مَنزِلٍ أو غَيْرِهِ ... زَالَتْ إمَامَتُهُ، فَماذا يَنتَظِرْ؟
ولْيَنحَرِفْ صَوبَ اليَمينِ إذا انْتَحَى ... إلّا الصَّحارى فالأمَامَ إذا قَدَرْ
ولْيَنْتَخِبْ ذا الأفْضَلِيَّةِ مِنهُمُ ... ويَسُدَّ قَفْوَتَهُ وذا خَبَرٌ ظَهَرْ
هذا لأنَّ لِذِي الإمَامَةِ رُتبَةً ... في البِرِّ فالأوْلَى بِهِ تَقْرِيرُ بَرْ
ويَكُون لاسْتِخْلافِهِ مَهْمَا عَنَا ... أمْرٌ ومَا أخفَى الخِلافَةَ بالخِيَرْ
ولْيَجْتَهِدْ عِندَ الدُّعاءِ مُعَمِّماً ... لا يَخْتَصِصْ بدُعَائِهِ عَمَّنْ حَضَرْ
فيَعُمُّ في حَقِّ الوَلِيِّ دُعاؤهُ ... وعَدَا الوَلِيِّ لمُصْلِحِ الأخرى يَذَرْ
ومَقامُهُ يَقضِي عليه بأنَّهُ ... وفْدٌ إلى البَرِّ الكريمِ لنيلِ بِرْ
والوفدُ أحجَى أن يَنالَ كرامَةً ... إنْ لم يَكُن في النفس حَاجَتَهُ حَصَرْ
حَقِّقْ بعينكَ في الكَريمِ فإنَّهُ ... عند الظُّنُونِ لِمَنْ تَوَجَّهَ وافتقرْ
وإذا تَوَجَّهَتِ السَّريرَةُ نَحْوَهُ ... رَجَعتْ، برَحْمَتِهِ، بِعَائِدَةِ الوَطَرْ
لم يَقصِدِ الرَّحمَنَ صَادقُ أوْبَةٍ ... رَغَباً ورَهَباً في مَقامٍ فانْخَسَرْ
فاجعَلْ هُمُومَكَ في الصَّلاة فإنها ... سَبَبٌ مُبينٌ للصِّلاتِ وللبشرْ
واحْفَظ لرَبِّكَ رُوحَهَا وَحَيَاتَهَا ... سِيَّانَ لو أبْصَرْتَ مَيتاً والحَجَرْ
وحَيَاتُها إخلاصُها وخُشُوعُها ... وخُضوعُ قلبٍ بالعَلائقِ مُحتَظِرْ
وظَوَاهِرُ الأركانِ مَحْضُ وَسَائطٍ ... فإذا تزَكَّى السِّرُّ أصْلَحَ ما ظَهَرْ
وعِبادةُ الحَرَكاتِ والسَّكَناتِ في ... حُكْمِ القلوبِ وها هنا الشأنُ انْحَصَرْ
فاربطْ على هذا المَقامِ القلبَ لا ... يَغْرُرْ فشأنُ قلوبِنا كَرٌّ وَفَرْ
والقَلبُ بَيْتُ الله فيهِ نورهُ ... نَظَرَ الكريمُ إليه ليسَ إلى الصُّوَرْ
فاستَقصِ قلبَكَ في مقام شهودِهِ ... لا تُعْطِهِ شَطراً وشَطراً في عُمَرْ
واصِلْ مَقامكَ في الصَّلاةِ وغيرِها ... عَبداً على الإحسَانِ وِرْدُكَ والصَّدَرْ
وإذا ذكرتَ اللهَ فاعرفْ قَدْرَهُ ... بين الرَّجا والخوفِ مَصْروفَ الفِكَرْ

مُسْتشعِراً تَحْتَ الجَلالةِ خشيةً ومَهابةً، لا حَظَّ عِندكَ للأثرْ
لا تَعْدُ طَورَكَ في المَواطن كُلِّها أنت الفقيرُ إليه في نفعٍ وضُرْ
وجِمَاعُ هذا الأمرِ فقرٌ مُطلقٌ وعُبُودَةٌ مَحْضٌ وصَفوٌ من كَدَرْ

انحِطاط[*]

لنا أنفُسٌ لكنها اليومَ ظُلمَةٌ ... وناشِئةٌ لكنَّها بَعْدُ في المَهْدِ

إذا نَحنُ طالَعنا عُهُودَ فَخارِنا ... رَأينا عِظاماً لا تُعيد ولا تُبْدِي

وإنْ نَحنُ لاحَظْنا قَضَايَا انحِطاطِنا ... حَكَمْنا بأنَّ الجَهْلَ آفتُنا المُرْدِي

تَصَدَّرَ أقوامٌ على عَرشِ مَجْدِنا ... وما ذاكَ إلا للقُعُودِ عن الجِدِّ

وكُنا سِراجَ المَجدِ قبل خُمُودِنا ... فلا كانَ مِن أمجادِنا آخِر العَهْدِ

«أقيموا بَنِي أمّي صُدورَ مَطيِّكُم» ... فلَسْنا إلى غَوْرٍ نسيرُ ولا نَجْدِ[1]

نُضَحّي بروحِ المَجدِ في سُبْلِ عَارِنا ... «نكستُ لها رأسِي حَياءً من المَجْدِ»[2]

(*) العنوانُ من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال عفا الله عنه).

(۱) تضمين من لامية العرب للشَّنفرى: أقيموا بني أمّي صُدُورَ مَطِيّكُم | فإني إلى قوم سِواكُم لأمْيَلُ.

(۲) عَجُز البيت مُقتبس من قصيدة لأبي تمّام يمدح بها أبا الغيث موسى بن إبراهيم ويعتذر إليه: أتاني معَ الرُكبانِ ظَنٌّ ظَنَنتهُ | نَكَسْتُ لهُ رأسي حَياءً من المَجْدِ.

مَنازِلُ النَّفس(*)

مَـنـازِلُ الـنـفـسِ لا تُـدرى حَـقـائِـقُـهـا ... وأخْـطـأ الـزَّعْـمَ مَـنْ قَـدْ قـالَ يَـدْرِيـهـا

الـعَـيْـنُ تُـدرِكُ - إلّا ذاتـهـا - نَـظَـراً ... والـكَـفُّ تَـقْـبِـضُ إلّا مِـعْـصَـمـاً فـيـهـا

يُـبـاعِـدُ الـنَّـفـسَ عَـنْ إدراكِـهَـا مَـلَـقٌ ... والـنَّـفـسُ مَـغْـرُورَةٌ مِـمَّـن يُـداجِـيـهـا

إنَّ الـتـمـلُّـقَ لـلألـبـاب يَـحْـجُـبُـهـا ... مِـثـلَ الـغـشـاوةِ لـلأبْـصـارِ يُـغْـمِـيـهـا

قد أخْلَصَ الحُبَّ من أهْدَاكَ عَيْبَكَ لا ... مُـطْـرٍ مُـدَاجٍ عـلـى الـعَـورَاءِ تـمْـويـهـا

وأعْـقـلُ الـنـاسِ مَـنْ أبْـدَى تَـوَاضُـعَـهُ ... مِـنْ نـفـسِـهِ لانـتـقـادِ الـخِـلِّ مـا فـيـهـا

والـحُـمْـقُ فـي سَـدِّ بـاب الانْـتِـقـادِ بـمـا ... لِـلـنَّـفـسِ مِـنْ عُـنْـفُـوانٍ فـي دَعَـاوِيـهـا

رأيتُ ما لا تَرَى في النَّفسِ لو سَمِعَتْ ... مُـغْـتـابَـهـا وقَـلَـتْ خِـلًّا يُـدانـيـهـا

ورُبَّ رأيِ عَـدوٌّ فـيـكَ أجْـمَـلُ مِـن ... ذي خِـلَّةٍ قـارضٍ لـلـنَّـفـسِ يُـغـريـهـا

فـغُـضَّ طَـرْفَـكَ إكْـبـاراً لـو انـكَـشَـفـتْ ... لـكَ الـسَّـرائـرُ عـن أشـيـاء تَـطـوِيـهـا

ولـتـغْـذُرَنَّـهُـمُ مِـنْ حَـيـثُ تُـنْـصِـفُـهُـم ... فـي رَأيِـهِـم فِـيـكَ مِـنْ آراءَ تُـخـفِـيـهـا

وانـبـذْ غُـرُورَكَ بـالـنـفـسِ الـتـي عَـجِـبـتْ ... بـغـيـرِ شـيءٍ وأقـلِـعْ مِـنْ تَـمَـادِيـهـا

وأسْـعَـدُ الـنـاسِ حَـظـاً مِـنْ فَـضِـيـلـتِـهِ ... ذو الانـتـقـادِ إلـى الـتَّـفـضـيـلِ يُـهـديـهـا

ومَـنْ رَأى نَـفْـسَـهُ مَـرْأىً رآهُ بـهِ ... سِـواهُ فـالـنَّـفـسُ فـي أسْـنَـى مَـقـالِـيـهـا

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال أيضاً وهي من فرائد الحكمة).

العَصَا والسُّبحة(*) [١]

حَمَلوا العِصِيَّ فكُنت أحْمِلُ سُبحَةً ... كَسَرَتْ رِماحاً أُشْرِعَتْ وعِصِيّا
خانتهُمُ عِندَ الهِياجِ عِصِيُّهُم ... ولكَمْ قَصَمْتُ بما حَمَلْتُ عَصِيّا

(*) العنوانُ من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال).

العَصَا والسُّبحة(*) [٢]

حَمَلوا عِصِيَّهُمُ وأحمِلُ سُبحَةً ... شتَّانَ بَينَ سِلاحهم وسِلاحي

ظَلَموا فما انتصرَ الحُسامُ لظُلْمِهِم ... ولكَمْ قَصَمْتُ الجيشَ بالمِسْباحِ

(*) أيضاً العنوانُ من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال).

الباب الخامس

المَراثي

قصيدة النبوءة(*)

مولايَ أبشِرْ لن تزالَ مَجيدا ... حَفِظ الإلهُ مقامَكَ المَحمودا

إقبالُ دَهرِكَ بالبشائر مُؤذنٌ ... تُزجي جُدوداً أشرقت وسُعُودا

نظرَتْ إليكَ من السَّعادَةِ عينُها ... فارفعْ يدَيكَ لتشكُرَ المَعْبُودا

وَعدٌ تُحقِّقُهُ المشيئةُ قد أتى ... ولسوفَ تَعرفُ ذلك المَوعودا

قَرُبَ الزمانُ وأشرَقتْ أيامُهُ ... ليسَ الزمانُ بما أقولُ بَعيدا

سَترى العَجايبَ مُسرعاتٍ ترتمِي ... تُحيي جهاراً مَيْتاً مفقودا

فخُذ الإشارَةَ مِن لسانٍ صادقٍ ... حتى تُشاهِدَ يومَكَ المَشهودا

ولقد أتيتُكَ قبلها بإشارتي ... وأظنُّ أنكَ تذكُرُ المَعهودا

(*) قيلت هذه القصيدة النبوئيّة في نَعيِ الإمام سالم بن راشد الخروصي (١٨٨٤م - ١٩١٩م) الذي عاشَ ٣٥ سنة وقُتلَ غدراً في قرية خضراء بني دفاع وقد أرسلت للإمام المَغدور قبل تاريخ مقتله - ويُقال إنها وُجدت في خُرْج راحلته أو عمامته أو هِيمْيانِه، واستدلَّ أبو مُسلم استشراف وفاته، كما تروي الرِّوايات، عن طريق عِلم السِّر أو علم الرَّمل، كما هو شائعٌ لمن تيقنوا من حكاية القصيدة. ومن الواضح لمن يتمعن في أبياتها أنها تشير وتتنبأ باسم الإمام الذي سيخلف الإمام المغدور، وهو الإمام محمد بن عبدالله الخليلي! نُشير إلى أن القصيدة لم تكن مُدرجة في «الأصل المُعتمد»، وقد أوردها أبو بشير محمد بن شيبة بن نور الدين عبدالله بن حُميد السالمي في كتابه «نهضة الأعيان بحُريّة أهل عُمان»؛ وقد نقلناها من الكتاب لعدم ورودها في الأصل المُعتمَد. وقدَّمَ لها في «نهضة الأعيان» بهذه المُقدمة: «وردت هذه القصيدة من شاعر العرب بإفريقيا أبي مُسلم ناصر بن سالم بن عديّم الرواحي لحضرة الإمام سالم بن راشد الخروصي في شهر شوال من عام ١٣٣٨هـ، فها هي بنص حروفها وجدناها في هيميان الإمام بخط ناظمها بعد وفاته بيوم [يقصد الإمام] ببلد الخضرا من وادي عندام وكانت وفاته ليلة خامس من ذي القعدة من سنة ١٣٣٨ المذكورة الموافق ليوم الأربعاء ٢١/ ٧/ ١٩٢٠م».

أبـدى الـزَّمـانُ بـمـا يَـكـنُّ ضـمـيـرَهُ وتـرى زمـانـاً، بـعـد ذاكَ، جـديـدا
أخـليـفـة الـرَّحـمـنِ أيـقِـنْ بـالـقـضـا لـيـسَ الـقـضـاءُ بـحـيـلةٍ مَـردُودا[1]
يـا مَـنْ أضَـلَّ بَـعـيـرَهُ بـمَـضِـيـعَـةٍ أبـشِـرْ وجـدتَ بَـعـيـرَكَ الـمَـفـقـودا
فـإذا انـقـضـى «خـاءٌ» و«دالٌ» بَـعـدَهـا «أَلِفـانِ» «لامٌ» فـارقـبِ الـمَـوعُـودا
سـتـفـورُ مـن قـعـرِ الـبـحَـارِ جَـهـنـمٌ وتـصـيـر هـاتـيـك الـبـحـارُ جـليـدا
ويَـعُـودُ مُـبـيـضُّ الـسَّـحـائـب أسـوداً يَـرمِـي الأفـاعِـي جَـنـدَلًا وحَـدِيـدا
سـتـبـيـدُ خـضـراءُ الـجـرادِ فـلا تـرى فـوقَ الـبَـسـيـطَـةِ لـلجَـرادِ وُجُـودا

(١) استطراد تاريخي بخصوص اغتيال الإمام: وفقاً لكتاب «عُمان: الديمُقراطية الإسلامية؛ تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث» ـ كان برنامج إمامة الخروصي يقوم على أربع نقاط: إسقاط نظام السلطنة، إنهاء الوجود والنفوذ البريطانيين، العمل على توحيد البلاد، وأخيراً إعادة إقامة الإمامة على كلّ البلاد، لكنَّ المؤسِف أنَّ إمامة سالم بن راشد الخروصي لم تدُم سوى سبع سنوات (١٩١٣م - ١٩١٩م). فقبل توقيع معاهدة السيب، اغتيل الإمام، وكان قاتله بدوياً هارباً أفلت من عدالة الإمامة. وقد كانت وفاة الإمام نهاية جهاد تُوِّجت بسبع سنوات على رأس الثورة. ولأن الخروصي كان قائد الثورة الإباضية الثالثة، (أطول ثورات التاريخ الحديث)، فقد سُميَت: ثورة الإمام الخروصي. وقد حاول قادة الإمامة عبثاً إلقاء القبض على القاتل. فطلبوا من سُلطان مسقط تسليمه، ولكن دون نتيجة. والوثائق الإنكليزية لا تعطي أي تفصيل حول هذه النقطة مُكتفية بملاحظة أنَّ: «القاتل هرب إلى منطقة الساحل المُهادنة، ولم يُمكن، على أي حال، عَمَلُ شيء، ودُفنت القضيَّة». [أصل المصدر]: I.O.R.: R/15/6/377, Confidential: Administration Report of the Muscat Political Agency and consulate 1920, p.220 والحقيقة أنَّ منطقة «ساحل عُمان»، أو «الساحل المُهادن»، كان تحت السيطرة المُباشرة للسلطة البريطانية، ولهذا السبب اعتبر كاتبُ التقرير القضيَّةَ مُنتهية، لكنه تصريحٌ يُساوي اعترافاً بالمسؤولية. والحقيقة أن أول لقاء رسمي بين الإماميين والبريطانيين جرى في آب (أغسطس) عام ١٩١٥م، وكان هدفه دراسة المُعطيات الجديدة واقتراحات الإمام وآخر اقتراحات مسقط، لكن النتيجة كانت الفشل وانتهت تلك المفاوضات. فقررت بريطانيا تطبيق سياسة ذات ثلاثة محاور: إخضاع منطقة الداخل لحصار اقتصادي أولًا، ثم لعب الورقة القبلية، وأخيراً كسب الوقت. وفيما بعد أرسل كوكس Cox رسالة إلى حكومة الهند [أي حكومة شركة الهند الشرقية التي تدير الإمبراطورية البريطانية من خلالها شؤون مُستعمراتها] يقول فيها ما فحواه إن خطة العمل هذه رُسِمت في انتظار موت الإمام المُبكر. وهذه العبارة الأخيرة ـ والقول لمؤلف كتاب عُمان: الديمُقراطية الإسلامية ـ تدعو إلى الظن بأن الإنكليز كانوا ينوون وضع خطة لاغتيال الإمام. فالإمام لم يكُن مريضاً ولا مُسنّاً: فلماذا يُنتَظَر موته؟

فإذا انقضَتْ «يس» «طه» بعدها أسقطتَ بَنداً إذ رفعتَ بُنودا

وإذا انقضت «حم» قامَ «مُحمَّدٌ» للإستقامَةِ طالِعاً مَسعُودا

هذا كِتابي قد ترَكْتُ لذي الحِجَا في قُفلِهِ مِفتاحَهُ مَعقُودا

وأراكَ فاتحَهُ وَخازنَ سِرِّهِ عِشْ في السَّعادةِ والجلالِ مَجيدا

قُطبُ الأئمَّة(*)

عِشْ ما تَشاءُ وراقِبْ فَجعَةَ الأجَلِ	سينقضي العُمْرُ في بُطْءٍ وفي عَجَلِ
تلهُو بتصْويرِكَ الآمَالَ مُغتبطاً	وبَينَ جَنبيْكَ ما يُلهِي عن الأمَلِ
تَناقَلَتْكَ ليالٍ غيرُ راجعَةٍ	وما تِجاهَكَ يومٌ غَيرُ مُنتقِلِ
ماذا يَغُرُّكَ من دُنيا نَضارَتُها	نَهبُ المَنونِ ومَجْرَاها إلى الزَّلَلِ
قالوا: دَسَائِسُها في طَيِّ زُخْرُفِها	وقلتُ: قد صَرَّحَتْ بالسُّم في العَسَلِ
لم تُخْفِ عَيباً ولم تأخُذْ مُخالَسَةً	ولا الهَناءُ بها إلّا على عِلَلِ
هل في مَصارِعِ أجيالٍ بهم فَتكَتْ	عُذرُ المُحيلِ عليها شَنعَةَ الأمَلِ
فما التَّهافُتُ مِنا في مَهالِكِها	جَهلٌ بمَاضٍ ولا عِلمٌ بمُقتبَلِ
ما بَايَنتْكَ عَوَادِيها مُصَادِقَةً	ولم تُعاهِدْكَ أمْناً غارةُ الغِيَلِ
رَأيُ الرُّكُونِ إلى آفاتِها سَفَهٌ	وصَفوُها بَينَ نابَيْ مُهلِكٍ جَلَلِ
ما شأنُ صَولاتِها البُقيا على أحَدٍ	وإنما أجَلٌ يتلو خُطَى أجَلِ

(*) قيلت القصيدة في رثاء قطب الأئمّة الشيخ امْحَمّد بن يوسف اطْفيّش ـ عَلّامَةٌ وعَلامَةٌ في المذهب الأباضي من الجزائر، وهو أحد زعماء الإصلاح في المغرب العربي. ولد في غرداية عام ١٨١٨ وتوفي في ٢١ مارس ١٩١٤م. تخرج في حلقاته مشايخ وأئمة ودعاة وقضاة. ألّف في كثير من علوم الشريعة واللغة والتاريخ والطب والمنطق والحساب والفلسفة والفلك. تجاوز ما تركه من آثار ٣٠٠ مؤلّف بين صغير وكبير ومتوسط الحجم، وهي في غالبها شرحٌ لمُختصَر، أو اختصار لمُوسَّع، أو حاشية على شرح سابق، فضلًا عن موسوعته الرائدة في الفقه المقارن: «شرح النيل وشفاء العليل»، وهي عُمدةٌ ومرجعٌ أساس في الفقه الأباضي. التقاهُ أبو مُسلم خلال رحلته للحج في مَكّة المُكرّمة.

بئسَ القَرارَةُ أهنى عَيشِها رَنَقٌ ... يَنتابُهُ الحَتفُ بالأبكارِ والأُصُلِ

إنجازُ إيعادها بالمَوتِ مُنتظَرٌ ... والقولُ عن مُقتضاها غَيرُ مُفتَعَلِ

ما أصْدقَ العِلمَ بالغدرِ المَشوبِ بها ... وأكذبَ الظَّنَّ في التغريرِ والأمَلِ

خَسِيسَةُ الطَّبعِ بالأكدارِ طافِحَةٌ ... ختَّالَةٌ تخلِبُ الألبابَ بالحِيَلِ

لا تستقيمُ لرَيعانِ الشباب ولا ... لرائِعِ الشَّيبِ مِنها لحظةُ الجَذَلِ

تُضِيعُ عُمرَ بَنِيها تحت غِرَّتِهِم ... بها، وحَاصِلُهُم مِنهَا على دَغَلِ

تَزالُ تُنبتُ نفساً ثم تأكُلُها ... وإنما يَحرُثُ الحَرَّاثُ للأُكُلِ

تَشقَى جَنائزُها بُجراً حَقائبُها ... مما انتهبْنَ بِحَربِ الصُّبحِ والطَّفَلِ[1]

ما بَينَ صادرةٍ في وجهِ وارِدَةٍ ... يَنتَبْنَ فَلَّ بقايا غارةِ الأجَلِ

ما بَالُنا ومَطايا الموت تنقلُنا ... نلْهُو بما قيلَ: «إنَّ العِزَّ في النُّقَلِ[2]»

إن المِلاطَ[3] الذي نبني البَلاطَ بِهِ ... رُفاتُ من نَقَلَتْ بالأعْصُرِ الأوَلِ

لو كان تقديرُنا تخليدَ قاطِنها ... لأوْجَبَ العَقلُ أن تُلقى على العِلَلِ

فكيفَ وهيَ حَياةٌ لا عَتادَ بها ... مَغمُومَةٌ بالشقا والوَيْلِ والهَبَلِ

أضحِيَّةُ الحَتفِ لا ترجُو مُغادَرَةً ... والأرضُ تَبلَعُ والجَزّارُ في العَمَلِ

كم زَفرَةٍ لنَعِيٍّ ما أذنتَ لها ... ولا مُشفعةٌ من صَارخٍ صَحِلِ[4]

زمَازِمُ النَّدْبِ في الآذانِ صَادِعَةٌ ... لكِنْ إلى حَبَبِ الألبابِ لم تصِلِ

يا رُبَّ نادِبَةٍ ما جَفَّ مَدْمَعُها ... وعينُها في نِظامِ الحَلْيِ والحُلَلِ

حَتَّى مَتى نَحنُ والآجَالُ تَحفِزُنا ... والجِدُّ والهَزْلُ مِنا تابِعُ الأمَلِ

نَرَى مَصارِعَ قومٍ جَلَّ فَقدُهُمُ ... كفقدِنا في المَلاهي صَالحَ العَمَلِ

نُفنِي الدُّمُوعَ ونرثي مَنْ نَظُنُّ بِهِ ... وما لنا برِثاءِ الرُّشدِ من شُغُلِ

---

(١) بُجراً: مُمتلئة | الطَّفَل: إقبالُ الليل على النهار بظلمته، والوقت قُبيل غروب الشمس.

(٢) تضمين من لاميّة الطغرائي: إنّ العُلا حدّثتني وهيَ صادِقةٌ | فيما تُحدِّثُ، أنَّ العِزَّ في النُّقَلِ.

(٣) المِلاط: الطّين.

(٤) صَحِل: مَبحُوحُ الصّوت.

كأننا في أمَانٍ مِن مَصَارِعِهم ... أو المَنايا عن الأحياءِ في كَسَلِ
كلّا ولكنَّهُم صاروا لنا فَرَطاً ... والرَّكْبُ مُرتحِلٌ في إثر مُرتحِلِ
ومَنْ تكُنْ هذه السّاعات أنيُقَهُ[1] ... قضى المَسافةَ لم يَملُلْ ولم تَطُلِ
فَقدْتُ نفسي فَخِلْتُ الدَّمعَ سَالَ بها ... والعَهدُ بالنفسِ قبلَ اليوم لم تَسِلِ
وليسَ بِدْعاً إذا ذابَتْ بفادِحَةٍ ... ذابَتْ عليها صُخورُ السَّهلِ والجبَلِ
حَمَتْ لنا حَزْرَةً لم تُبقِ من خَلَدٍ ... بغيرِ خالِدَةِ الأحزان مُنفعِلِ
ما كنتُ أحسَبُ أنْ أحيا وأدرِكَها ... يَداً تُقلِّدُ جِيدَ المَجْدِ بالعَطَلِ
أبكَتْ سَماءً وأرضاً وهيَ ضاحِكَةٌ ... على السَّلامةِ إن طالتْ ولم تَطُلِ
وليتَها حيثُ أبكَتْ كُلَّ كائنَةٍ ... رَقَّتْ بقلبٍ من التهويلِ مُنذَهِلِ
ماذا نُحاولُ من رَيْبِ المَنونِ إذا ... قُلنا حَنانَيْكِ أو سِيري على مَهَلِ
أبَعْدَ ما طَحَنتْ أجيالَ أوَّلِنا ... يَبقى الأواخِرُ في البُقيا على أمَلِ
أم بَعدَ إعجَالِها الأبرارَ تنسِفُهُم ... نَسْفَ الزَّعازِعِ نَنهاها عن العَجَلِ
هيهات يرقأُ دَمعٌ من مَصَائبِهم ... أو يُصبحُ الكونُ منهم مُقفِرَ الطَّلَلِ
أما تَرَاهَا سِهاماً تنتحي كَبِداً ... مَقرُوحَةً وجِراحاً غيرَ مُندمِلِ
لا تترك الجرحَ إلّا رَيثَ تُنكِؤُهُ ... ولا تُسَعِّرُ قلباً غيرَ مُشتعِلِ
نُقارِعُ النفسَ والشيطانُ يَنصُرُها ... ومَا لنا بقِراعِ المَوتِ من حِيَلِ
في كُلِّ نادٍ نداهُ المَوتِ مُصْطَخِبٌ ... وكلُّ دَارٍ بها دورٌ[2] من الأجَلِ
فلا نُؤسِّسُ صَبراً غيرَ مُفتَقِرٍ ... ولا نُدافِعُ صَبراً غيرَ مُعتَقَلِ
لو دافعَ الصَّبرُ حُزناً ثم أذهَبَهُ ... لكُنتُ بَينَ رِجالِ الصَّبرِ كالجَبَلِ
لكنْ مِنَ الخَطبِ خَطبٌ لو يُقاوِمُهُ ... صَبرُ الجليد انثنى بالدَّحْضِ والفشَلِ

---

(١) أنيُق: جمع ناقة.

(٢) دَور/ دُور: بالإمكان قراءة عَجُز البيت ليكون المعنى ـ وفق الحالة الأولى ـ أنّ كلّ دار سيجيؤها دَورُها المحتوم في عبور الأجل/ الموت بها، كما أنّ بالإمكان قراءته على اعتبار أنّ في كلّ دار دُوراً متعددة يقطنها الأجلُ، لا الأحياء.

فَقدتُ كِفْلَ اضطبارٍ كان يكْفُلُني ... في النّائبات، فخانَ الآن مُكْتفلي
فليسَ بَعدَ مَصَاب الدِّين من طَمَعٍ ... في الصَّبرِ أو جَزَعٍ بالصَّبرِ مُنعزِلِ
يا ناعِيَ الدِّينِ هل أبصَرْتَ مَنْ بَقِيتْ ... فيه بَقيَّةُ رُشدٍ غير مُنذَهِلِ
غادَرتَ في أنفُسِ الأكوانِ حَشرَجَةً ... فإن قضى الكونُ فاسْتسْلِم ولا تَسَلِ
لا غَزوَ إن فاضت الأكوانُ آسِفةً ... لِفَقدِ فَردٍ على الأكوانِ مُشتمِلِ
يا ناعِيَ الغَوثِ هل لاقيتَ مِن خَلَفٍ ... مِمَّن نُعيتَ وهَلْ قدَّرتَ من مَثَلِ
يا ناعياً سيِّدَ الأبرارِ هل تَرَكتْ ... بالله فينا المَنايا اليومَ من بَدَلِ
يا ناعِيَ القُطْبِ مَن ذا قام مَوقِفَهُ ... فصارَ قُطْبَ مَدارِ العِلمِ والعَمَلِ
نَعَيتَ فرداً أم الدنيا بأجمَعِها ... إنِّي أُحِسُّ بِدَهْشٍ شامِلٍ جَلَلِ
إنِّي أُحِسُّ بدَهْشٍ غَمَّ كارِبُهُ ... حتى المَلائكَ حتى برزخِ الرُّسُلِ
تَنْعَى ابنَ يُوسُفَ فتحَ السّالكينَ وخَـ ... ـتمَ الواصِلينَ مُرَبِّي الأنْفُسِ الكُمَلِ
مُحَمّداً مَدَدَ الأمدادِ رُوحَهُمُ ... مُرَوِّعَ النفسِ إنْ يَغمَلْ وإنْ يَقُلِ
مُقدَّسَ الشَّرَفينِ المُطْعِمَ الجَفَلَى[1] ... كافِي الكُفاةِ المُرَجّى طاهِرَ الخِلَلِ
مُرَزَّأَ الأرضِ خَلّاها وَحَلَّ بها ... لكَ السَّلامةُ لم تَخلُلْ ولم تَحُلِ
نعم حَلَلتَ قلوباً لا تزالُ بها ... فأين أنتَ وفي الألبابِ لم تَزَلِ
بَلْ أنتَ في الرَّفْرَفِ الأعلى وَغِبطَتِهِ ... في البِشْرِ والرَّوحِ والرَّيحانِ والجَذَلِ
لُقِّيتَ وَعْدَكَ مِنْ حُسنى مُخلَّدَةٍ ... ونحنُ للفقد في الأحزانِ والوَجَلِ
يا خَيرَ مَن حَلَّ في الدنيا ليُصْلِحَها ... مَنْ ذا تركتَ لها يا خيرَ مُنتقِلِ
ناصَحْتَ رَبَّكَ في تَعزيزِ مِلَّتِهِ ... فلتنصَحِ اليومَ نَدْباً خِيرَةَ المِلَلِ
قد كُنتَ رَحمةَ هذا الكَونِ تَنفَعُهُ ... خليفةً قائماً عن خاتَمِ الرُّسُلِ
هَلّا رَحِمتَ قلوباً ذابَ مُعظَمُها ... حُزناً عليكَ وقد سَالَتْ مِنَ المُقَلِ
فاجْبُرْ مُصَابَكَ فينا إننا بشَرٌ ... فينا افتقارٌ إلى أنفاسِ كُلِّ وَلِي

---

(١) الجَفَلَى: الجماعة من الناس.

جَرَّدتَ نفسَكَ للإسلامِ تَخدِمُهُ — في جِدٍّ مُحتسِبٍ للهَولِ مُحتَمِلِ
تُقارِعُ الزَّيغَ والأنوارُ بارِقةٌ — وأنتَ في نَجدَةٍ والخصمُ في فَشَلِ
كم حُجَّةٍ بَسَطَتْ بالبُطْلِ أيدِيَها — صَدَعتَ بالحَقِّ فيها فهيَ في شَلَلِ
كم مُشكِلٍ أعجَزَ الأفكارَ جئتَ بهِ — صَديعَةَ الفجرِ نُوراً واضِحَ السُّبُلِ
كم مُعضلٍ كَشَفتْهُ منكَ مَعرِفةٌ — ذاتُ انبساطٍ بنورِ اللهِ مُشتعِلِ
كم قاطِعٍ في سَبيلِ اللهِ يَمنعُها — رَمَيتَهُ بشهابٍ مِنكَ مُختَزِلِ
كم جاهِلٍ مَلأتْ ضَوءاً بَصِيرَتَهُ — بَصِيرَةٌ لكَ تُدعَى الشمسُ بالحَمَلِ
شمسُ المَعارِفِ يا سُلْطانها كَسَفتْ — كُسُوفَ شمسِكَ عن صُبحٍ وعن طَفَلِ
والاستِقامةُ في كَسرٍ مُزَلْزَلَةٌ — يا جابرَ الكَسرِ أدرِكْها على الزَّلَلِ
تمضِي وتَترُكُ هذا الدِّينَ في جَزَعٍ — والأرضُ مُظلِمَةٌ والدَّهرُ في خَبَلِ
مَنْ للحَنيفةِ يا قَيَّامَها عَلَمٌ — يَهدِي إليها ومَن يَحمي من الغِيَلِ
مَنْ للشَّريعةِ قد قامَتْ قيامَتُها — ومَنْ يُسَدِّدُ منها مَوضعَ الخَلَلِ
قد كُنتَ فيها مَكانَ الرُّوحِ في جَسَدٍ — وقُمتَ فيها مَقامَ السَّيفِ في الخلَلِ
مَنْ للطَّريقةِ من يُصْفِي مَشارِبَها — للسَّالِكينَ كؤوسَ العَلِّ والنَّهَلِ
قد كُنتَ حادِيَها تَحدُو رَكائِبَها — بنغمَةٍ لحَّنتْها زُمرَةُ الرُّسُلِ
رَجَّعتَ صَوتكَ فاشتاقتْ مَعاهِدُها — فاليومَ تُصْغي لِمَن يا حادِيَ الإبِلِ
يا ذا العُلومِ اللدُنِيَّاتِ مَوهِبةً — هل أنتَ في الرَّمْسِ أم في حَبرَةِ النُّزُلِ
خلَّفتَ عِلْمَكَ فينا أم رَحَلتَ بهِ — إنِّي أشاهِدُ نُوراً غيرَ مُنتَقِلِ
نَعمْ تَعَقَّبَ نورٌ أنتَ مِشعَلُهُ — ونُورُ وَجهِكَ في الفردوسِ كالشُّعَلِ
تلك العُلومُ التي أوْعيتَ جَوهَرَها — قلباً بحُبِّ جَمَالِ اللهِ في شُغُلِ
ما زلتَ تسبَحُ في القرآنِ مُلتقِطاً — دُرَّ المَعارِفِ لم تضجَرْ ولم تَجِلِ
حتى مَلأتَ مُرادَ العقلِ مَعرِفةً — مَمدُودَةَ الفَيضِ حتى لحظةِ الأجَلِ
وفُزتَ بالسُّنةِ الزَّهراءِ مُحتَوِياً — على الإشاراتِ والتفصيلِ والجُملِ
وجئتَ بالدِّينِ والأحكامِ مُكتشِفاً — للنقلِ والعَقلِ كشفاً غيرَ ذي دَخَلِ

مُستنبطاً أوْجُهَ التأويلِ راسِخةً على النُّصوصِ مَصُوناتٍ عن الزَّلَلِ
مِن الكَواكِبِ في عَدٍّ وفي شَرَفٍ وفي ارتفاعٍ وإشراقٍ وفي مَثَلِ
ما فاتكَ العُمرُ لكن نُقْلَةٌ حُتِمَتْ إلى مَقرٍّ وعُمرٌ غيرُ مُنتقِلِ
ولا انفصَلْتَ عن الدنيا وقد وَصَلَتْ لكَ المَعارفُ مَحياً غيرَ مُنفصِلِ
ولا اعتزلتَ عن الدنيا لِضَرَّتِها إلّا وأنتَ عن الدُّنيا بِمُعتزَلِ
ترَكْتَ زُخرُفَها للغافلينَ ولم تحفَلْ بها في مَضيقِ العَيشِ والغَفَلِ
عامَلْتَها بمُرادِ الله مُنحَرِفاً إلى نَصيبكَ من عُقباكَ بالعَمَلِ
فما تَقيَّلْتَ مِنها قَدْرَ أنمُلَةٍ ولا أدَّخرتَ سوى الحُسنى لمُقْتَبلِ
ولا نَظرتَ إلى فتّانِ رَونقِها إلّا بما تَنظُرُ المُختالَ في الحِيَلِ
ولم تَصُدّكَ عن عِلمٍ ولا عَمَلٍ ولا سُرورٍ ولا سُمٍّ ولا عَسَلِ
يا طائراً طارَ ما أضْفَى قَوادِمَهُ نَجَوتَ من قَفصٍ في حُكْمِ مُحتَبِلِ
وَقَفْتَ لله من دُنياكَ في عَطَلٍ فلتشرَحِ الآنَ بَينَ الحُلْيِ والحُلَلِ
أجهَدتَ نفسَكَ في مَرضاةِ خالِقها يا مُجهِدَ النفْسِ اربَح رَحمَةَ الأزَلِ
اربَحْ فدَيتُكَ ما قَدَّمْتَ مُوجِبَهُ نِعْمَ البضاعَةُ لم تُوزَنْ ولم تُكَلِ
الحَمْدُ سُراكَ فقد أصْبَحتَ أنَّ يَداً قد بَارَكَتْ فيكَ لا تُكْدِي ولم تَزَلِ
الحَمْدُ سُراكَ فقد طالَتْ مَتاعِبُهُ وقد حَلَلْتَ خِيامَ الحَيِّ فاعْتقِلِ
قَدَّمْتَ خَيراً فلم تُعْدَمْ جَوائِزَهُ إنَّ الجَوائزَ عُقبى صَالِحِ العَمَلِ
أوْقَدْتَ نفسَكَ في المِحرابِ مُشتعِلًا فأسْرِعِ الآنَ نحو الكَوْثرِ اغْتَسِلِ
أوقَدْتَها بالرَّجا والخَوفِ مُغتجِلًا يا بَرَّدَ الله مَثوى الوَاقِدِ العَجِلِ
تَنحُو[1] المَقاماتِ والزُّلفى بمَسْلَكِها وقد وَصَلْتَ، ولولا الجِدُّ لم تَصِلِ
نِلْتَ الكَراماتِ لم تَصْدَعْكَ مِنَّتُها عَنِ الشُّهودِ ولم تَعجَبْ ولم تَمِلِ
إنَّ الكَراماتِ أوْثانٌ لِمُشتغِلٍ بها عَنِ الله أو مَكْرٌ بِمُشتغِلِ

(١) تنحو: تقصد.

ما فاتكَ الفهْمُ مِنْ مَولاكَ إذ سَفرَتْ ... لكَ الدَّقائقُ إنْ يَعْمَلْ وإنْ يَنَلِ
وكُلُّ مَوهِبةٍ قدَّرْتَ مَوقِعَها ... بالشكرِ لله في حُزنٍ وفي جَذَلِ
وصَبرُكَ الصَّبرُ لا تَنحَلُّ عُرْوَتُهُ ... عند البَلاءِ، ولا يَدْنُو مِنَ الفشَلِ
هُمَا مَقامانِ كُنتَ العَدلَ بينهُما ... تُوفِيهِمَا الحَقَّ لم تَبْطَرْ ولم تُبَلِ[1]
حَضَرْتَ ما عند أرْبابِ القلوبِ فما ... مَقامُ حالِكَ إلّا دَولَةُ الدُّوَلِ
يا مَنْ أفاتَ فُؤادِي الرُّشْدَ مِن حَزَنٍ ... عَليهِ، أصْلِحْهُ لي يا شافِيَ العِلَلِ
لا غَروَ أن تَشْفِيَ الألبابَ من مَرَضٍ ... بسِرِّ قلْبٍ بنُورِ اللهِ مُشتَعِلِ
أُعْطِيتَ قلباً بحُبِّ الله مُمتزجاً ... له التصَرُّفُ في فِعْلٍ ومُنفَعِلِ
في قبضَةِ الحُبِّ يَطويهِ ويَنشرُهُ ... فالسرُّ في الحُبِّ لا في الشَّكْلِ والعَضَلِ
أرْسِلْ فَدَيتُكَ رُوحاً شامِلًا أمَلي ... مِنْ سِرِّ رُوحِكَ واجمَعْ لي بهِ شَمَلي
فإنَّ أرواحَ أهلِ اللهِ فاعِلَةٌ ... بقُوَّةِ الحَقِّ لا بالحِلِّ والنُّقَلِ
لهَا الكَرَامَةُ في الكَونَينِ مُوصَلَةٌ ... في القبضِ والبَسْطِ وَصْلًا غيرَ مُنْبَتِلِ
ما كانَ رأيُكَ في الدُّنيا وقد فَقَدَتْ ... أسْرَارَ يُمْنِكَ مِثلَ العارِضِ الهَطِلِ
رَعَيتَها وَوَصَايا اللهِ آونَةٌ ... فانظُرْ رَعاياكَ قد هَامَتْ مع الهَمَلِ
خلَّفتَها وَوَصَايا اللهِ ثاكِلَةٌ ... والفضلُ والعِلمُ والإسلامُ في وَجَلِ
متى أهَدِّىءُ قلبي مِن تَسَعُّرِهِ ... وَرَنَّةُ المَلأ الأعلَى علَى زَجَلِ
يا حامِلي نَعْشِهِ مَهلًا بمَحْمَلِكُم ... كيفَ احتمَلتُم رَزايا الرِّحْلَةِ الجَلَلِ
تَدرونَ مَنْ تَحمِلُ الأكتافُ؟ ما حَمَلَتْ ... مِن بَعدِهِ هذه الأكوانُ مِن ثِقَلِ
سِيرُوا رُوَيداً فكُلُّ العالِمينَ بهِ ... دَفنُ العَوالِمِ لا يُقضى على عَجَلِ
ذرْوةٌ يَقضِي مِنَ المِحْرَابِ حَاجَتَهُ ... إنِّي أخافُ على الدُّنيا من الخَبَلِ
ذرْوةٌ للأمرِ بالمَعروفِ مُحتسِباً ... للنَّهيِ عن مُنكَرٍ قد عَمَّ كالظُّلَلِ
ذرْوةٌ للعِلمِ يُجْليهِ فقد سَقطَتْ ... بنا الجَهالَةُ في الآبارِ والدَّغَلِ

(١) لم تُبَلِ: أي لم تُبالِ.

ذرُوهُ يَقطَعُ أعْناقَ الشُّقاقِ فما ... نحنُ البَقيَّةُ غيرُ العُصْبَةِ العُزُلِ

ذرُوهُ يَرْجُمُ شيطانَ النفاقِ فما ... أبقَى مُريداً رَجيماً غيرَ مُنجَدِلِ

ذرُوهُ تَبْكِي عليهِ كُلُّ مَكْرُمَةٍ ... فإنها بَعدَهُ تحيا على ثَكَلِ

ذرُوهُ أبكي عليه ما حَييتُ فإنْ ... أمُتْ بَكى في البِلَى عَظْمِي بلا مُقَلِ

ليتَ البكاءَ أفادَ الحَيَّ ما فقدَتْ ... عَيناهُ لكنَّهُ فقدٌ بلا أمَلِ

يا راحِلًا عن بني الإسلام تارِكَهُم ... وللكآبةِ فِعلُ السَّيفِ والأسَلِ

وَدِّعْ مَعَاهِدَكَ الزهراءَ إن بها ... غَماً لو احتلَّ غمرَ البَحْرِ لم يَسِلِ

وَدِّعْ رجَالكَ قد بَانتْ عُقولُهُمُ ... إنْ رَاجَعَ العقلُ مِن توديعِ مُرتَحِلِ

وَدِّعْ تصَانِيفَكَ الحَقَّ المُبينَ فقد ... صَارَ المِدادُ جِداداً غيرَ مُنْفَتِلِ

فَوَامُصَابَاهُ إن وَدَّعْتَ مُرتحلًا ... وما وَرَاءَكَ للإسلامِ مِن بَدَلِ

لَفُّوكَ في كَفَنٍ ماذا تُريدُ بهِ ... وأنتَ مِنْ نُورِ حُبِّ اللهِ في حُلَلِ

وأودَعُوكَ تُراباً لو تفوزُ بِهِ ... حُورُ الجِنانِ لأفْنَتْهُ مِنَ القُبَلِ

ماذا الرِّثاءُ وفي القرآن صَادِعَةٌ ... تُثنِي على آخِرِ الأبرارِ والأوَلِ

إلّا شَجياً عَقيبَ الظَّعْنِ يَندُبُهُم ... ومُقلَةٌ أوْقَفَتْ دَمْعاً على الطَّلَلِ

وما رَثيتُكَ تذكاراً لمَحْمَدَةٍ ... خُلِّدْتَ حمداً، وإنْ كانَ الزَّمَانُ بَلِي

سَقى الإلهُ رُبُوعَ الزَّابِ[1] مَاطِرَةً ... مِن رَحمَةِ اللهِ بالأبكَارِ والأُصُلِ

وبَاشَرَتْكَ هِباتُ اللهِ دَائِبَةً ... بعارِضٍ من عظيم الفضل مُنهَطِلِ[2]

وَرَوَّحَ اللهُ بالرِّضوانِ رُوحَكَ في ... مَنازِلِ القُرْبِ والإسْعادِ والنُّزُلِ

وَوَاصَلَ الرَّوْحُ والرَّيحانُ ذَاتَكَ في ... أزْكَى سَلامٍ مِن الرَّحمَنِ مُنهَمِلِ

ونَسألُ اللهَ غُفراناً ننالُ بِهِ ... رضوانَهُ في جوارِ اللهِ والرُّسُلِ

---

(١) الزاب: من قرى زاب بالجزائر في ولاية المسيلة، وهي غير وادي ميزاب [واد مزاب] الشهير لدى العُمانيين بسبب شهرة الشيخ القطب، ويخلط بينهما أحياناً لتقارب الاسم الأمازيغي.

(٢) عارض: سحاب.

نَشكُو إليكَ، وَلِيَّ اللهِ، وَحْدَتَنا ... وعَيشَنا بَينَ غِلٍّ الدَّهرِ والكَبَلِ

اللهَ اللهَ يا أهلَ القلوبِ ففي ... قلُوبكُم نَظَرَ الرَّحمَنُ في الأزَلِ

لا تَترُكُونا مَعَ الأهوالِ إنَّ لَكُم ... نَصراً مِنَ اللهِ وَحياً غيرَ مُنْخَذِلِ

خُذُوا بأيدٍ قِصارٍ إنَّها بِكُمُ ... تَطولُ وانتَشِلونا من هُوى الفَشَلِ

توجَّهُوا لجَمَالِ اللهِ وانتَدِبُوا ... للغَوْثِ، يا أولياءَ اللهِ، في عَجَلِ

أينَ انتِصَارُكُمُ والمِلَّةُ انطَمَسَتْ ... والأمَّةُ الْتَبَطَتْ في فَخٍّ مُهتَبِلِ

صَلّى الإلهُ على أرواحِكُم وسَقى ... أجدَاثَكُم رَحمَةً بالرَّائِثِ الهَمِلِ[1]

---

(١) الرائث: المطر.

مَرثيّةُ القُطب(*)

تَكُبُّ على دُنياكَ وهيَ تَبيدُ ... وتَفتقِدُ النّائي وأنتَ فقيدُ

حَريصاً عَلَيْهَا جَامِعاً لحُطامِها ... وغايةُ ما نافَسْتَ فيهِ نُفودُ

تُساوِرُ مِلْحاحاً على نَيلِ فائِتٍ ... نعَمْ كُلُّ مَا يَزجُو الحَصَادَ حَصِيدُ

تَكالَبَ فيها أهلُها وتَذُودُهُم ... وعُمْرَكَ، لو كُنتَ اعْتبَرْتَ، تَذودُ

على لحظاتٍ يُنقِصُ العُمرَ مَرُّها ... تُؤكِّدُ آمَالَ البَقا وتَزيدُ

ولو أمَلاً أدرَكْتَهُ لم تجد لهُ ... بَقاءً، ولم تضحَبكَ مِنهُ عُهُودُ

ولو وَافَقتْ أمنيَّةٌ في حُصُولِها ... أتتكَ وفيها للزَّوَالِ قُيُودُ

وتَبْني بناءً طِينُهُ نَقْضُ دَارِسٍ ... سَيدْرُسُ يوماً والغرورُ جَديدُ

ولو كان طيناً لم تخالِطْهُ رِمَّةٌ ... لمَيْتٍ، ولكِنْ رِمَّةٌ وصَديدُ

تَعَزَّ عن الدُّنيا وأيْقِنْ بأنها ... لئيمَةُ طبعٍ في الهِبَاتِ تعُودُ

وإنَّكَ إن تشكُنْ إليها ترَكْتَها ... وليسَ بها مِمّا ترَكْتَ حَميدُ

تُمَنِّيكَ بالآمالِ وهيَ شحِيحَةٌ ... وتُعطيكَ لِينَ القولِ وهيَ حَقودُ

تُخائِلُ حُسناً وهيَ شَوْهَاءُ غادِرٌ ... وأنتَ بها مُضنى الفؤادِ عَميدُ

تَحَذْلَقُ بالتَّمْويهِ مَكراً وخُدْعَةً ... ولا شيءَ مِمّا تدَّعيهِ سَديدُ

ولو نِلتَ مِنها طائلاً كانَ آفةً ... تُداجي بها مَغرُورَها وتَكِيدُ

تُدانيكَ حتى تُؤنِس الصِّدقَ والصَّفا ... وما الشأنُ إلّا صَائِدٌ ومَصِيدُ

(*) قصيدة أخرى في رثاء الشيخ محمد بن يوسف اطْفيش ـ العُنوانُ من اختيارنا، تحاشياً لتكرار العنوان.

ولو صَدَقتْ فالصِّدقُ في طَيِّ كِذْبها | إذا عاهَدَتْ بالوَعْدِ فهو وَعِيدُ
تَكَشَّفُ في أطوارِها عن خِلالِها[1] | وأنتَ لِما خلفَ السِّتارِ شَهِيدُ
وذلكَ صِدقٌ لو تَشاءُ حَذَرْتَها | عليهِ، ونُصْحٌ لو عَقلتَ مُفيدُ
تفطَّنْ لها في شِعرِها فهي شاعِرٌ | لها في أسَاليب النَّصِيحِ قَصِيدُ
ألستَ تراها رَيثما وَاصَلَتْ جَفَتْ | وإن أقبَلَتْ حيناً تَلاهُ صُدودُ
وفي هذِهِ الحالاتِ تحذيرُ مُبْصِرٍ | وخَصْمٌ - إذا فكَّرْتَ فيهِ - وَدُودُ
وإنَّ مَجالَ الخيرِ والشَّرِّ بينها | مَجالُ اعتبارٍ للعُقول مَديدُ
وإنَّ الذي تأتي به من صُرُوفِها | صَوارِفُ عن تصْديقِها وَسُدودُ
ألا تزعَوي والنَّوحُ في كُلِّ مَنزِلٍ | ومَنْ عِشتَ فيهم فاقدٌ وفقيدُ
ألا تزعَوي والدُّورُ أقْوَتْ وأهْلُها | لهُم شُقِّقَتْ فوق اللحُودِ لُحُودُ
ألستَ ترى الغاراتِ شَنَّتْ رِعَالَها[2] | عليهِنَّ أوْدَى والدٌ وَوَلِيدُ
تمُرُّ بكَ الأيتامُ والدَّمعُ جامِدٌ | وآباؤهُم تحتَ الترابِ جُمودُ
خِماصُ البُطونِ استحوذَ الغَمُّ والأسَى | عليهِم، فهَاهُم أعْظُمٌ وجُلودُ
إذا رَجَعوا نحو المنازِلِ أظلَمَتْ | وضَاقتْ عليهِم والقلوبُ وقُودُ
نَبَا عنْهُمُ من كانَ يَحنو عَلَيهِمُ | إلى القربِ مِنهُم والمَزارُ بعيدُ
سَيَيْتَمُ أطفالٌ عليكَ أعِزَّةٌ | ويُفضِي بزَيْدٍ ما عليه يَزيدُ
وتصبحُ والأطفالُ والمالُ تُرْبَةً | وتُدرِكُ ما قَدَّمتَ وهو عَتيدُ
نرى غايَةَ الدُّنيا وكيفَ صُروفُها | ونَحنُ على رَأيِ الرُّكُونِ رُكُودُ
نُوَبِّخُها والذنبُ لا رَيبَ ذنبُنا | وقد أعْذَرَتْ والطَّارِقاتُ شُهودُ
ونَستَغْقِبُ الآجالَ والحُكْمُ فارِغٌ | فما ثَمَّ تنقيصٌ لها ومَزيدُ
خليليَّ دُلّانِي على جُزء خطوةٍ | خَطَونا، ومِنْ بَعدِ المُضِيِّ تَعُودُ

(١) خِلالِها: صِفاتها.
(٢) يُقرأ البيت أيضاً: ألستَ ترى الغاراتِ شُنَّتْ رِعَالُها | عليهِنَّ أودى، إلخ..

خُذا بيَدِي نحو المَنازِلِ إذْ خَوَتْ … عَساها بِخَبْرِ الظّاعِنينَ تَجُودُ

إذا لم نَجدْ مِنها مُجيباً فحالُها … يُخَبِّرُ أنَّ الظاعِنينَ هُمُودُ

وأنَّ وُجُوهاً كالبُدور تغيَّرَتْ … فللدُّودِ طرْفٌ أحْوَرٌ وَخُدُودُ

وأنَّ كِراماً أيقظوا المَجدَ والعُلا … سُكونٌ بأحشاءِ القبور رُقُودُ

وإنْ شِئتما أنْ تُقنِعاني فَقَرِّرا … لنا وَحْشَةٌ مِثلَ المَماتِ تَزُودُ

وإنْ تعذُلاني في نَحِيبٍ ألِفْتُهُ … فأسْكُت عنه، إنَّني لَجَليدُ

دَعاني أَسُحُّ الدَّمعَ سَحّاً عَسى به … لِوَاقِدِ غمٍّ في الفؤادِ خُمودُ

خليليَّ ما دَمعٌ يُزيلُ كآبَةً … ولكنَّ قَرْظَ القارِظينَ شَديدُ

خليليَّ قَرْظُ القارِظينَ أصارَني … كما جُذَّ من دَوْحٍ وحُطِّمَ عُودُ

خليليَّ هَدَّ الموتُ أركان دَعْوتي … فمَنْ لي عَمودٌ بَعدهُم وعَميدُ

أبَى حَدَثانِ الدَّهرِ إلّا انتقالَهُم … وهذا انتقالٌ يَقتضِيهِ خُلُودُ

ألا إنَّ مِقدارَ الحَياةِ مُقَدَّرٌ … عليها وإنْ طالَ البَقاء حُدُودُ

خليليَّ إنْ راعَتْ رِياضُ نَضارَةٍ … فلِلمَاءِ في تلكَ الرِّياضِ وُجُودُ

فإنْ غِيضَ عَنها الماءُ غاضَتْ حياتُها … وعَادَتْ هَشيماً للتُّرابِ يَعودُ

فإنْ نَبْكِ أهلَ العِلمِ نَبْكِ حَياتَنا … عليهِم كما بالمَاءِ يَنضُرُ عُودُ

حَنتْنِي عَوادي الدهر غمّاً بفقدِهِم … على شَرَعاتٍ فَتْلُهُنَّ شَديدُ

إلى أنْ تَشظَّى العُودُ وانجَرَدَ اللُّحا … وأصْلَب عُودٍ في الخُطوبِ مَؤودُ

خُذا حَدِّثاني عن شُموسٍ تساقطَتْ … بِبَطْنِ الثرى، ماذا هناك تُريدُ

نعَمْ كُوِّنَتْ تَجْرِي إلى مُستقرِّها … وكُلُّ الذي يَجري مَداهُ رُكُودُ

إذا أرسَلَتْ شمسٌ شُعاعاً مِن الهُدى … دَعاها، فلَبَّتْ للخُمودِ صَعِيدُ

أكُلُّ مُرادِ المَوتِ أنَّ نهارَنا … قصيرٌ وليلُ الرّاحلينَ مَديدُ

أكفكِفُ دَمْعِي والرَّزايا تُذيعُهُ … فحُزني قَطينٌ والدُّموعُ شَريدُ

ألا كُلُّ حيٍّ في يَدِ المَوتِ حاصِلٌ … فماذا بكاءُ الفاقِدِين يُفيدُ

وما نَدَبَ الأعمارَ مِثلُ حُدودِها … لأنَّ نفاداً يَقتضِيهِ وُجُودُ

لقد صَدَعَتْ قلبي صَوادِعُ للرَّدى — لهُنَّ انحدارٌ بالأسى وصُعُودُ

ولا كمُصَابِ القُطبِ يوم تفطَّرَتْ — قلوبٌ بمَنعَاهُ لنا وَكُبُودُ

فذاكَ لَعَمري صادعٌ لا تُطيقُهُ — جبالٌ ولا يقوى عليه حَديدُ

لقد جَازَ نَزْرُ العُمرِ والعُمرُ بائدٌ — ولكنَّ ما أبقاهُ ليسَ يَبيدُ

مَضى ولهُ كَنزانِ: خَيرُ مُقدَّمٌ — وكَنزُ عُلومٍ للعِبادِ عَتيدُ

تَخَلَّصَ للعُقبى وأعْقَبَ نافِعاً — مِنَ العِلمِ يَبلى الدَّهرُ وهو جَديدُ

هَنيئاً مَليكَ العِلمِ لاقيتَ صَالحاً — بما خَلَّفَهُ مِمّا تَركْتَ يَزيدُ

لقدْ شَقِيَ التغريرُ مِنكَ برَفضِهِ — وبادَرْتَ للباقي وأنتَ سَعيدُ

رَفضتَ فُضولَ العَيشِ خَشيَةَ ذَمِّهِ — وأنتَ غَنِيٌّ ما حَييتَ حَميدُ

وإنَّ نَعيمَ الدَّهرِ والمَوتُ حَدُّهُ — نَعيمٌ، ولو عِندَ الغَبيِّ زَهيدُ

ولم تَجنَحِ الدُّنيا إليكَ لِمَطْمَعٍ — ومَطْمَعُها فيمَن عَدَاكَ أكيدُ

ولا قَدَرَتْ تَصْطادُ عِندَكَ لَحظَةً — وقد طَفِقَتْ للغافِلينَ تَصيدُ

نعَمْ شِئتَها للحَرْثِ فالزَّرْعُ قد زَكَى — وبارَكَهُ الرَّحمَنُ فهو حَصيدُ

فيا قُطْبَ هذا الدِّينِ يا غَوثَ مُلْكِهِ — فدَيْتُكَ ما عَن ذا الحِمَامِ[1] مَحِيدُ

تَقرَّبْتَ من مَولاكَ قُرباً مُؤبَّداً — وأدعُوكَ لا تَبْعُدْ وأنتَ بَعيدُ

ترَحَّلْتَ فالإسلامُ مُقلةُ ثاكِلٍ — وأوْجُهُ أيامِ السَّعادَةِ سُودُ

ترَحَّلْتَ لا تَبْعُدْ وهل لكَ أوْبَةٌ — وَوَاحَرَبا أوْبُ اللَّحيدِ لَحيدُ

فهلّا تركتَ العَيشَ بَعدكَ صالحاً — وهيهاتَ ما عَيشُ الحَزينِ رَغيدُ

إذا شئتُ أن أحيا بُعَيدَكَ عامِداً — أرَدْتُ حَياةً للحَياةِ تَذُودُ

وإنِّي لأدرِي أنَّ للحَيِّ غايَةً — وأنَّ صُدُوراً حيثُ كان وُرُودُ

ولكنَّ رَفعَ العِلمِ في مَوتِ أهلِهِ[2] — وهذا لأشْرَاطِ القِيامِ شَهيدُ

(١) الحِمام: الموت.

(٢) يُشيرُ الشاعر إلى الحديث النبوي: يُرفعُ العِلمُ بذهاب أهله، حتى إذا لم يبقَ عالِمٌ اتخذ الناسُ رُؤساً جُهّالاً فأفتوهُم.

أتقضي على جهلٍ أمانة ربِّنا ... ويَرقُبُها وَعدٌ له وَوَعِيدُ
وهذا مَضِيقٌ يَستحِيلُ سُلُوكُهُ ... وطَودٌ تزَلُّ الرِّجلُ عنه كَؤودُ
فقُمْ سَيِّدَ العِرفانِ والجَهلُ عامِرٌ ... وقد لُوِيَتْ فوقَ القيودِ قُيودُ
أتتركُنا والليلُ مُرخٍ سُدُولَهُ ... وما بيننا هَادٍ إليه نَهُودُ[1]
وإنْ كُنتَ قد خلَّفتَ فينا أشِعَّةً ... عَرَا الشمسَ مِن إشراقِهِنَّ خُمُودُ
نَرَى السَّبعَةَ السَّيارَةَ امتثلَتْ لها ... فهُنَّ رُكُوعٌ حولَها وَسُجُودُ
ولكِنَّ ما أثَّرتَ في البَحرِ نُقطَةٌ ... وأنتَ مُحِيطٌ والبِحَارُ وُفُودُ
أبا يُوسُفَ انظُرْ نَظْرَةً في مُصَابنا ... فإنَّ مُصَابَ العَارِفِينَ شديدُ
مِنَ الحَسرِ أن تَبقى على الجَهلِ أمَّةٌ ... وليسَ عليها مُرشِدٌ ورَشِيدُ
ورثتَ رسولَ الله عِلماً ودَعْوَةً ... تَسُوقُ على مِنهاجِهِ وتَقُودُ
ولم تألُ جُهداً في نصيحَةِ دِينِهِ ... تُقارِعُ عَنهُ خَصمَهُ وتَسُودُ
كَسَرتَ على التأويلِ سُلْطانَ بُطْلِهِ ... وأنتَ على الحَقِّ المُبينِ مَجيدُ
تشغلَبَتِ الأقوالُ حَولَ حِياضِهِ ... فقُمتَ - وأنتَ اللَّيثُ - عَنهُ تَذودُ
بسَيفٍ من البُرهَانِ مَنْصَلُهُ الهُدى ... وليسَ له إلّا القُرآنُ[2] حُدُودُ
فقَطَّعَ أعناقَ الخِلافِ وأصبَحَتْ ... مُلوكُ حِجاجِ البُطْلِ وهيَ عَبيدُ
وَدَوَّختَ بالبُرهانِ عَارِضَةَ العِدى ... فوَلَّتْ لها بالخِزيِ عَنكَ فَدِيدُ[3]
قِفِي يا زُقاةَ البُطْلِ لا تتفرَّقِي ... فليسَ سَواءً ثابتٌ وطَرِيدُ
فِدىً لإمامِ الدِّينِ نفسي وقدْ طَغتْ ... عليَّ مِنَ الحُزنِ المُقيمِ جُنودُ
وإنِّي وإنْ أطْرَيْتُهُ لَمُقَصِّرٌ ... وحَسْبيَ هَمٌّ في الفؤادِ وَقِيدُ[4]
وحَسْبي وَفاءً مِن حُقوقِ رِثائِهِ ... ضَمَائِرُ مَفجُوعٍ إليهِ تَعُودُ

---

(١) نَهُودُ إليه: نَمِيلُ إليه.

(٢) لاستقامة ظِلالِ الوزن؛ تُقرأ مُخفّفة: القُرانُ.

(٣) فَدِيدُ الرَّجل: عَدْوُهُ هَرَباً.

(٤) هَمٌّ وَقِيد: مُشتَعِل.

وأيـن مَـقـامِـي بَـيـنَ أبْـحُـرِ نَـعْـتِـهِ ولـكـنْ دُمُـوعٌ سُـبَّـقٌ ونَـشِـيـدُ
عُهودي بصَبري يَقضِمُ الصَّخرَ نابُهُ فـقـد نَـسَـخَـتْ تـلـكَ الـعُـهـودَ عُـهـودُ
ومـا كُـنـتُ أدري أنَّ بَـعـدَ ابـنِ يُـوسُـفٍ سَـيَـلْـبَـثُ رُشْـدٌ أو يَـعـيـشُ جَـلِـيـدُ
وكـنـتُ إخَـالُ الأرضَ بـعـدَ هُـوِيِّـهِ تَـزَلْزَلُ أغـوارٌ لـهـا ونُـجُـودُ
وكـنـتُ أرى الأفـلاكَ بـعـد فِـراقِـهِ سَـتـهـوي ويَـغـرُو الـسَّـابـحـاتِ رُكُـودُ
أمَـا وَشُـمُـوسٌ لـلـمَـعـارِفِ أسْـفَـرَتْ بـأسْـفـارِهِ إنِّـي بـهِ لَـكَـمِـيـدُ[1]
ولـلـصَّـبـرِ سُـلـطـانٌ عـلـى كُـلِّ نَـكْـبَـةٍ وصَـبْـريَ فـيـه لا يَـقـومُ مَـؤودُ
ولـو كـانَ هـذا الـبـحْـرُ دَمـعـاً أُفِـيـضُـهُ نَـسَـبْـتُ إلـيـهِ الـشُّـحَّ وهـو يَـجُـودُ
أرى الـمُـزنَ فـيـهِ قـلَّـدَتـنـي فـأسْـبَـلَـتْ دُمُـوعـاً، وشَـقَّـتْ جَـيـبَـهُـنَّ رُعُـودُ
مَـعـاشِـرَ أهـلِ الاسـتـقـامَـةِ هـلْ لَـكُـم عَـزاءٌ وهـلْ عَـيـشٌ يُـعَـدُّ سَـعـيـدُ
عـلامَ يَـضِـجُّ الـشـرقُ والـغـربُ ضَـجَّـةً بـهِ ذُعْـرٌ فـي دَهْـشَـةٍ وَشُـمُـودُ
ومـا بـالُ هـذا الـكَـونِ وَلْـهـانَ مُـطـرِقـاً كـمـا ضِـيـمَ بـيـنَ الأقـويـاء خَـريـدُ[2]
ألـيـسَ أبـو الأهـوالِ[3] قـد شَـنَّ غـارَةً فـبَـاءَ وقُـطْـبُ الـعَـارفـيـنَ فَـقِـيـدُ
ألـيـسَ لأنَّ الـحَـشـرَ والـنـشـرَ آزِفٌ ولـم يَـبـقَ إلا سَـائِـقٌ وشَـهِـيـدُ[4]
أئِنْ فَـرَغَـتْ أيَّـامُـنـا مِـنْ مُـحَـمَّـدٍ وأصْـحَـابِـهِ يـوم الـنُّـشـورِ بَـعِـيـدُ
لـقـد آذنـتْـنـا صَـعْـقَـةُ الـمَـوتِ هَـجْـمَـةً ونَـحْـنُ عـلـى مَـهـدِ الـغُـرُورِ رُقُـودُ
ومـاذا نُـرَجِّـي بـعـدَ مـوتِ خِـيَـارِنـا قِـعَـاصـاً وأنـواعُ الـفـسـادِ تـزيـدُ
أنرْجُو بأنْ نُعفى من الـمَوتِ بَعدَهُم أوِ الـحَـشـرُ يُـلـغـى والـحَـيـاةُ خُـلُـودُ
لـقـدْ جَـدَّ جِـدُّ الـخَـطْـب فـلـنَـنْـتـبِـهْ لَـهُ ووافـى شَـقِـيٌّ حَـدَّهُ وسَـعِـيـدُ

---

(١) كَميد: حزين.
(٢) الخريد: المُتبِذ المُتنحي عن الناس.
(٣) أبو الأهوال: الموت.
(٤) إحالة إلى قوله عزَّ وجلّ: وجاءت كُلُّ نفسٍ مَعَها سائقٌ وشهيد.

وقد صَحَّ مِصداقُ الحديثِ فدِينُنا غريبٌ كَيومِ الابتِداءِ وَحِيدُ[1]
وأكثرُ أشراطِ القِيامَةِ وارِدٌ وأوْشَكَ للباقي القليلِ وُرُودُ
تيقَّظْ لهذا الشأنِ يَقظةَ حازِمٍ وآخر في ثَنْيِ الطَّريقِ رَصِيدُ
وما هو إلا سَكْرَةُ الموت بَغتةً وذلك أمرٌ كُنتَ مِنهُ تَحِيدُ
أما في وصايا الله أنّا سَننتهِي وأنَّ حياةً تَنتهِي سَتعُودُ
أما هذه الآجالُ في كُلِّ لحظةٍ بِهِنَّ على دَعْوى النَّذيرِ شُهُودُ
أيُنْتَقَرُ[2] الأخيارُ مَثنى ومَوْحَداً ويَبقى لأشرارِ العِبادِ مَحِيدُ
لنا أعْيُنٌ في المُدْبِرَاتِ كَلِيلَةٌ ولكنَّ لَحْظَ المُقبلاتِ حَديدُ
أتنتظرُ الآجَالُ منا فرَاغَنا أم الموتُ، مِن قَبلِ الحياةِ، بَعيدُ
ومِنْ أعْجَب الأشياءِ وَادِعَةُ النُّهَى وحِزْبُ المَنايا عِدَّةٌ وعَدِيدُ
وأعجَبُ مِنهُ لَهْوُها بين مُفجِعٍ تَولَّى وآتٍ ليسَ عنهُ مَحِيدُ
فهَلّا تَواعَدْنا على نُضحِ مُبصِرٍ وأعْلَمَنا أنَّ الظُّنونَ هُمُودُ
وأنَّ مَصيراً حَلَّ فِيهِ قَدِيمُنا يُتابِعُهُم لِلْحَلِّ فيه جَديدُ
فيا صَعَقاتِ الحُزنِ كم تتعَهَّدي قلوباً عليها للغُمُومِ غُمُودُ
وبِئْسَتْ قلوباً تُثبتُ الحِرْصَ والبَقا وليسَ بها للمَوتِ قطُّ جُحُودُ
وبِئْسَتْ قلوباً إن أَلَظَّتْ بحَائِلٍ تَنازَعَ فيه وارِثٌ وَلُحُودُ
نلَقِّبُ ما يُغري تِلاداً وطارِفاً وما الشأنُ إلّا جَندَلٌ وصَعيدُ
وبِئْسَتْ قلوباً إن قَسَتْ وأمَامَها رُفاتٌ وهُم نَسْلٌ لنا وَجُدودُ
وبِئْسَتْ قلوباً إذ تَروحُ وتَغْتَدِي بأمْنٍ ومَحياها القَصِيرُ مَكِيدُ
أمَا في صُرُوفِ الحادثاتِ مَواقِفٌ لِفِكْرٍ لِمُلْقِي السَّمعِ وهو شَهيدُ

(١) إحالة إلى ما يراهُ الشاعرُ تحققاً لمنطوق الحديث الشريف: سيعودُ هذا الدِّينُ غريباً كما بَدَأ، فطُوبى للغُرَباء.
(٢) يُنتقَر: يُنتقى اختياراً دون سِواه.

تَهُدُّ المَنايا هَضْبَةً بعد هَضْبَةٍ
وفي سَمْعِنا للباقياتِ هَدِيدُ

ونَحنُ، على ما نَحنُ، أهدافُ رَمْيِها
ونَمْرَحُ فيما نَشْتَهي ونُريدُ

هَبَلْتُكِ يا حَرْبَ المَنايا تَرَكْتِنا
نذوقُ مَذاقَ الشَّهْدِ وهو هَبيدُ[1]

متى فازَتِ الآمالُ فيما تَرُومُهُ
بِبَاقٍ وهلْ هذا الوُجودُ وُجودُ

وهلْ فَقَدُنا للعارِفينَ بَقِيَّةٌ
علينا وهلْ رَأيُ الرُّكُونِ سَدِيدُ

أبَعدَ مَليكِ الأولياءِ مُحَمَّدٍ
يَرُوقُ نَضِيرُ أو يَلَذُّ رَغيدُ

ألا تلبسِ الأكوانُ فيه حِدادَها
كما نُكِسَتْ للدينِ فيه بُنودُ

أيثلُجُ صَدرٌ أو تَغيضُ مَدامِعٌ
ويُبْدِيءُ عَقلٌ بَعْدَهُ وَيُعيدُ

عَزاءُ بني الإسلامِ أنَّ مَصابَكُم
عَظيمٌ وأنَّ الحُزنَ فيه شديدُ

رَبيعٌ من العِرفانِ أمّا جِنانُهُ
فَغُلْبٌ وأمّا نفعُهُ فمَدِيدُ

ذَوَى واكْفهَرَّتْ واقْشعَرَّتْ رِياضُهُ
فهَلْ للجَنى والظِّلِّ بَعدُ شُهُودُ

أضُمُّ إلى نَشْجِ السَّمواتِ عَبرَتي
إذا استرجَعَتْ غِبَّ النَّشِيجِ تَعُودُ

وليسَ بكاءُ العالَمِينَ مُؤيِّداً
بَقاءً ولا فَوقَ الحُدُودُ يَزيدُ

على سَيِّدٍ لو عاشَ عاشتْ حَياتُنا
وإذْ ماتَ ماتتْ أنْفُسٌ وَجُدودُ

سَقى ذاتَهُ من رَبِّهِ صَوْبَ رَحْمَةٍ
ولاقاهُ بين المُصْطَفِين خُلُودُ

ألا في رَبيعِ الآخرِ الحُزنُ فاحْسبوا
فهذا لتأريخِ الوَفاةِ مُفيدُ[2]

(١) هَبِيد: حَنظل.

(٢) كُتبت القصيدة سنة ١٣٣٢ هجريّة ـ كما جاء في الأصل المُعتمد.

ريب المنون(*)

رَيْبُ المَنونِ مَقارِضُ الأعْمَارِ ... وحَياتُنا تعدو إلى المِضْمارِ
والنفسُ تلهو فوقَ تَيَّارِ الرَّدَى ... يا ليتها حَذِرَتْ من التيَّارِ
قَرَّتْ على رَنَقٍ وزُخْرُفِ باطِلٍ ... مِثْلَ القرارِ على شَفيرٍ هَارِ
ماذا يَغُرُّ المَرءَ مِن مَحْياهُ في ... دُنياهُ وهي قَرارَةُ الأكْدارِ
يَتساقطُ المَغرُورُ في لَهَوَاتِها ... تَفْرِيهِ بالأنيابِ والأظفارِ
كَشَفتْ سَرائِرَها ونادَتْ جَهْرَةً ... بعُيوبِها في سَائرِ الأعْصَارِ
لم يَبْقَ شيءٌ مِن شُؤونِ صُرُوفِها ... في نَحْتِ أثْلَتِنا على الإضْمَار
نَفَقتْ تِجارَتُها وما بَاعَتْ على ... غَرَرٍ ولا كَذبتْ على التُّجارِ
يَتهَافَتُ العُمَّارُ في هَلَكاتِها ... فِعلَ الفَرَاشِ على لهيب النَّارِ
نَجْرِي إلى شهَوَاتِها سَعْياً على ... أنقاضِ ما هَدَمَتْ من الأعْمارِ
نَصَبَتْ حِبَالَتها وأنذرَت الرَّدَى ... وكأننا صُمٌّ عن الإنذار
صَدَعَتْ بما جُبِلَتْ عليه ولم تدَعْ ... ذِكرَى ولا عِظَةً وَرَاءَ سِتارِ
شَرُّ الغُرُورِ سُكُونُ ذي بَصَرٍ إلى ... عَيشٍ تُمَزِّقُهُ يَدُ الأخطارِ
عِبَرٌ تُلَوِّنُها الصُّرُوفُ وأنفُسٌ ... تَفنى وآثارٌ على آثارِ
هَلْ زادَ عَيشُكَ ذَرَّةً عن هذهِ ... لو كُنتَ في الدُّنيا على اسْتِبصَارِ

(*) العنوان من اختيارنا ـ والقصيدة قيلت في رثاء نور الدين العَلَّامَة عبدالله بن حميد السَّالمي.

هَلّا اعتبَرْتَ وفي حياتك عِبْرَةٌ ... مِمَّا تُصَرِّفُهُ يَدُ المِقدارِ
لا تَستمِرُّ لكَ السَّلامَةُ لَمْحَةً ... وَغَوائِلُ الأيام في استمرارِ
ما بالُنا نبكي الفقيدَ ونَحنُ مِن ... حُبِّ الذي أرْدَاهُ في اسْتِهتارِ
شَغَفُ النفُوسِ بما يُراقِبُهُ الفنا ... أثَرُ الهَوى ومَحَبَّةُ الأوطارِ
جِسْرُ المَنونِ أمَامَ وَجْهِكَ عابرٌ ... ولَسَوفَ تَعْبُرُهُ مع السُّفَّارِ
شَمِّرْ لِتعْبُرَهُ مُخِفّاً سَالماً ... من ثُقْلِ ما أوْقَرْتَ من أوزارِ
ليسَ العِظاتُ بما يَقولُ مُذَكِّرٌ ... مثلَ العِظاتِ بمَصْرَعِ الأعْمَارِ
كَمْ للمَنونِ لو اعْتَبَرنا مِن يَدٍ ... في سَلْبِها الأرواحَ بالتَّذكارِ
ما الحُزنُ إلفتنا لمَقصودِ الرَّدى ... يَغتالُ في الإيرادِ والإصْدارِ
أتُرى يَجِدُّ البَيْنُ فينا هازلاً ... ويُريحُنا بمَصَارِعِ الأخيارِ
كلّا؛ ولِكَنَّ الحَياةَ بَهِيمَةٌ ... تَجْرِي عليها مُدْيَةُ الجَزَّارِ
خُلِقَتْ لِما خُلِقَتْ لَهُ مِنْ حِكْمَةٍ ... وتَعُودُ تتبَعُ دَعوةَ الجبَّارِ
مَزْمُومَةٌ نَيْرُ القَضاءِ يَقُودُها ... مَرْبُوبَةٌ لمَشيئةِ المُختارِ
كَتَبَ البَقاءَ لنفسِهِ مُستأثِراً ... بإمَاتَةِ الأحياءِ والإنْشارِ
وإذا اعْتَبَرْتَ حَياتَكَ الدُّنيا تَجِدْ ... أنَّ الحَياةَ مَظِنَّةُ الأعْذارِ
ما بينَ مَعرَكَةٍ وأخرى يَبْتغِي ... أمَلاً لباقِيَةٍ ذوو الأبصَارِ
لو كانَ يُشتَرَكُ البَقاءُ لغادَرَت ... غِيَلُ المَنيَّةِ أنفُسَ الأبْرَارِ
يا صَرْعَةَ المَوتِ انْتَقَرْتِ خِيارَنا ... وتَرَكْتِ أمَّتنا بغيرِ خِيَارِ
ناهيكِ من إطفاءِ أنوارِ الهُدى ... غَشِيَ الظَّلامُ وضَلَّ فيه السَّاري
ناهيكِ من إعْدامِ أحْبارِ التُّقى ... فالدِّينُ لا يَبقى بلا أحْبارِ
ناهيكِ من قَعْصِ[1] السُّراةِ فإنهُم ... سُورٌ لدِينِ المُصطفى وسَوَارِي
ناهيكِ من هلْكِ الكِرامِ فما بَقِي ... رَسْمُ الكِرامِ ولا حُماةُ الجَارِ

(١) قَعَصَ: قتَلَ / طَعَنَ بالرُّمح.

وَيلاهُ أوحشتِ الدِّيارَ من الأُلى كانوا خَلائِفَ سُنَّةِ المُختارِ
أوَ كُلَّما نَجَمَتْ فضيلَةُ سَيِّدٍ قَدَّرتِها وتراً مِن الأوْتارِ
أسرَعتِ في الأغواثِ والأقطابِ والأعلامِ والأبْدالِ والأخيارِ
مَهلًا! فما أبقيتِ ثَمَّ بَقيَّةً نَزَحَ القَطِينُ وجَفَّ رَوضُ الدَّارِ
ما زلتِ تَغتقِرينَ كُلَّ أعِزَّتي فالجَوُّ خاوٍ والدِّيارُ عَوارِي[1]
أفقدْتِني شُهبَ الفضائلِ كُلَّهم وَيلاهُ مِن شُهُبي ومِن أقمَاري
وَيلاهُ أينَ سَماؤها ونُجومها وشُمُوسُها.. ذَهَبُوا كَأمْسِ الجَاري
مِن كُلِّ أرْوَعَ لَوْذَعِيٍّ كامِلٍ يَهْتزُّ عُزفاً كالقَنا الخَطَّارِ
عُمُدُ الدِّيانةِ، قُطْبُها، قُوَّامُها سُحُبُ المَكارمِ، أبْحُرُ الأنوارِ
تَتَلألأُ الأكوانُ من عِرفانِهم كالشمسِ تملأُ هَيكلَ الأقطارِ
أنضَاهُمُ التسبيحُ والترتيلُ والتهجيدُ بينَ جَوانِحِ الأسْحَارِ
خُبتٌ[2] إذا جَنَّ الظلامُ رأيتَهُم طاروا إلى المَلَكُوتِ بالأسْرارِ
غُرٌّ إذا سَجَدَ الظلامُ[3] على الفَضَا سَجَدوا على الثَّفَنَاتِ كالأحْجارِ
قَطَعَ النَّحِيبُ صُدُورَهُم، وكأنَّما وَضَعوا السَّحَائِبَ مَوضِعَ الأشْفارِ
قُربَانُهُم أرواحُهم ونَعِيمُهُم دَأبٌ على السُّبُحاتِ والأذكارِ
حَصَرُوا الشَّريعَةَ والحَقيقةَ والمَعا رِفَ والكَمَالَ بأنْفُسِ الأطْهَارِ
فهُمُ غِياثُ الكائناتِ وسِرُّهُم مَدَدُ النفوسِ ومَنبعُ الأنوارِ
نَقَلَتْهُمُ الآجالُ من دار الفنا وتَبَوَّؤا سُعَداءَ عُقبَى الدَّارِ
سَلَكُوا بمَحياهُم وبعدَ مَمَاتِهِم إذْ وُفِّقوا بمَسَالِكِ الأبرارِ
دَرَجُوا وأصْبَحَتِ العِراصُ عَقِيبَهُم مِنْ فَقْدِهِم مُغْبَرَّةَ الآثارِ

(١) بمعنى: عارِيَة لخلوّها من الأعِزّاء.
(٢) خُبت: خُشَّع.
(٣) سُجود الظلام: واحدة من الصُّور الشعرية التي تستحقّ سُجوداً رَمزياً من القارئ؛ لنُدْرَتها تركيباً وتوظيفاً في عُيون الشعر العربي.

يا مَوتُ أفنيتَ الأعِزَّةَ فاقتصِدْ ... إنْ كُنتَ ترحَمُ عَبرَةَ الأحرارِ
بأولئكَ الأبرارِ كُنتُ مُعَزَّزاً ... بأولئكَ الأبرارِ كُنتُ أُبارِي
أزْرِي إذا ضاقَ الخِناقُ بحادِثٍ ... وهُمُ إذا انطَمَسَ الطَّريقُ مَناري
يا مَوتُ وَقْعُكَ فيهِمُ سَلَبَ الهَنا ... وأقامَني للنَّوْحِ والتَّذكارِ
تَرَكَ الحَمامُ النَّوحَ إذْ ناوَحتُهُ ... واستَبرَدَتْ كَبِدِي لهيبَ النارِ
لم أسلُهُم حتى رُزِئتُ بصَدْعَةٍ ... أخَذتْ بقيَّةَ سالِفِ الأكْدارِ
أخذتْ بكَظْمِ الدِّينِ وانْتَحَتِ السَّما ... فبَكَتْ لها بالمَدْمَعِ المِدْرارِ
واستأثرَتْ بقلوبِ حِزْبِ مُحَمَّدٍ ... للهِ فَجعَةُ ذاكَ الاستِئثارِ
ما الهَولُ في يومِ النُّشورِ أشَدُّ مِن ... هَولِ النَّعِيِّ بسَيِّدِ الأبرارِ
العَالِمِ القُطبِ المُجَدِّدِ عُمْدَةِ العُـ ... ـلَماءِ طُراً كَعبَةِ الأسْرارِ
لَيثِ المَعاركِ مَرْبَعِ الفَضْلِ الذي ... رَفَعَ المَنارَ ولاتَ حِينَ مَنارِ
غَوثِ البَسِيطةِ مَعْلَمِ الدنيا ... أبيِّ الضَّيمِ مَولانا عَزيزِ الجَارِ
حَامِي حِمى الإسلامِ حُجَّتِهِ ... مُعِزِّ الدِّينِ سَيفِ المِلَّةِ البتَّارِ
بحرِ المَعارفِ والكمالِ مُسَدَّدِ الأ ... عمالِ في الإقبالِ والإدْبارِ
السَّالِمِيِّ أبي مُحَمَّدٍ المُنيـ ... ـفِ الذِّكْرِ طَودِ المَجدِ بَدرِ السَّاري
تمْضِي وتُرسِلُها العِراكَ مَروعَةً ... والليلُ داجٍ والذئابُ ضَواري
مَهلاً هُمامَ الاستقامةِ ما الذي ... غادَرْتَ مِن هَولٍ ومِن إذْعارِ
قَوَّمتَها فتقوَّمَتْ فهَجَرْتَها ... يا هِجرَةً طالَتْ على السُّفَّارِ
ارجعْ إليها حيثُ قَلَّ حُماتُها ... ارجعْ فَدَيتُكَ يا غَريبَ الدَّارِ
ارجعْ إلى الإسلامِ تَمِّمْ نَصْرَهُ ... فالعِزُّ تحتَ عَزائِمِ الأنصارِ
ارجعْ فإنَّ الاستقامةَ أرمَلَتْ ... إرْحَمْ يَتيمَكَ وهو دِينُ البَاري
ارجعْ تُشاهِدْ كيفَ دمعُ السَّيفِ ... والعَسّالِ والأقلامِ والأشفارِ
ارجعْ وما ظنِّي بأنكَ مُشترٍ ... بجِوارِ رَبِّكَ جِيرَةَ الأشرارِ
أدعُوكَ لِلجُلَّى وأنتَ عَظيمُها ... عَهدِي وأنتَ لها شديدُ الغارِ

أدعوكَ للأمرِ الذي تُدْعَى لهُ ... شِيَمُ الرجالِ وهِمَّةُ الأحرارِ

أدعوكَ للخَطْبِ الذي أعيا على ... رأيِ الفُحُولِ وأنْفَذِ الأنظارِ

أدعوكَ إذ فرَغَتْ يَدِي مِن كُلِّ مَن ... يُدْعَى لِنائبَةٍ وحِفظِ ذِمَارِ

أدعوكَ إنْ كُنتَ السَّميعَ لِدَعْوتي ... لِخَطابَةِ التبشيرِ والإنذارِ

أدعوكَ للحَرْب العَوانِ وكُنتَ في ... لَهَواتِها تكفي كِفاءَ الغارِ

أدعوكَ للقرآنِ تكْشِفُ سِرَّهُ ... وتُبينُ مِنهُ غوامِضَ الأسْرارِ

أدعوكَ للسُّننِ المُنيرَةِ إنها افتـ ... ـقرَتْ مَقاصِدُها إلى الأبصارِ

أدعوكَ للإجماعِ والأحكامِ والـ ... أديانِ والتَّذكيرِ والتَّذكارِ

هيهاتَ يا أسَفاهُ لا رُجعى وقد ... جشِمَتْ عليكَ صَحائِفُ الأحْجَارِ

يَسلُونَ بالآثارِ بعدَ صِحَابِها ... ومَثارُ حُزني فيكَ بالآثارِ

«يا طَلْعَةَ الشَّمسِ» اشتري عَنا الضِّيا ... وخذي الجِدَادَ «مَشارقَ الأنوارِ»

سِفرَانِ(١) إن هَدَيا لرُشدٍ أرْشَداً ... مِنْ فَجْعَتِي قلبي لِغَيرِ وَقارِ

كُنتَ النَّصِيرَ وكانَ لي صَبْرُ الحَصَا ... فأُصِبْتُ في صَبري وفي أنصاري

أقْدَرْتُ لي جَلداً يُقاوِمُ نكْبَتي ... فاليومَ لا جَلَدِي ولا إقْدَارِي

ناهِيكَ من جَلَدِي يَقيني بالرِّضا ... والسُّخطِ في أنَّ المُقدَّرَ جَاري

وبأنَّ هذا المَرْءَ عُرْضَةُ طارِقِ الـ ... ـحَدَثانِ تحت مَخالِبِ الأقدارِ

ما غاضَ من عَيني رَأيتُ عَدِيلَهُ ... مِنْ طَرْفِ داجيةٍ وطَرْفِ نهارِ

لم تُضغِ نادِبَةٌ لِنُدْبَةِ جارِها ... هي تَستعِدُّ لنُدْبَةٍ في الدَّارِ

سَوِّلْ لنفسكَ أن تعيشَ مُعَمَّراً ... لكِنَّهُ أمَدٌ إلى مِضْمَارِ

تلكَ المَصائبُ مُدرِكاتٌ صَيدَها ... سِيَّانَ في فَرٍّ وفي استقرارِ

أمْعَنتُ في هذي الصُّروفِ بَصيرتي ... وسَبَرْتُ ما تَقْضِيهِ بالمِسْبارِ

---

(١) السِّفْران هما من مُؤلَّفات العلامة نور الدِّين السالمي في أصُول الفقه والعقيدة؛ كتابا: «طلعة الشمس» و«مشارق الأنوار» اللذان وظف الشاعر عُنوانيهما في نسيج البُنية الشعرية لصَدرِ وعَجُز البيت السابق.

فرأيتُ بردَ العَيشِ إحسانَ العزا ... والاطْمِئنانةَ تحتَ حُكْمِ الباري
يا مَن أذابَ الصَّخرَ حَرُّ مُصَابِهِ ... مَن ذا تركتَ لدَولةِ الأحرارِ
وَزَّعتَ بين الدِّينِ والوَطَنِ الأسى ... تَوزيعَكَ الطاعاتِ في الأطوارِ
ودَعوتَ في الإسلام دَعوةَ مُخلِصٍ ... ثابَتْ إليكَ بها ذوو الأبصارِ
ثابَتْ إليك عَصَائِبٌ وَهَبيَّةٌ ... من أُسْدِ ذي يَمَنٍ وأُسْدِ نزارِ
عَشِقوا المَنايا واستماتوا في الهُدى ... من قَبلِ «صِفِّينٍ» ويومِ الدَّارِ
حُنِيَتْ ضُلوعُهُمُ على جَمرِ الغَضَى ... من حُبِّ رَبِّهِمُ وخَوفِ النارِ
غَضِبوا لرَبِّهِمُ فشَدُّوا شَدَّةً ... مُتكاتفينَ على هُدىً عَمَّارِ
مَلأَ اليَقينُ صُدورَهُم فاستصغروا ... عندَ اليقينِ عَظائمَ الأخطارِ
لِعَزائمِ الأغيانِ فيهم وَازِعٌ ... دِيناً وَحَاشاهُم لُزومَ العارِ
بَاعُوا لِمَرْضاةِ الإله نفوسَهُم ... أرِبخ ببَيْعَتِهم ونِعْمَ الشَّاري
وَرَضُوا لأعباءِ الخِلافة كُفأَهَا ... سِبْطَ النِّجادِ مُوفَّقَ الأنظارِ
فُلْكَ الجَلالةِ والنَّبالَةِ والتُّقى ... يُبدِي المُحَيّا عن ضِياءِ نهارِ[1]
وَرِثَ المُهَنَّا[2] وابنَ كَعْبٍ وارثاً[3] ... والصَّلتُ[4] من أجدادِهِ الأطهارِ
أَخَذَ الإمَامَةَ كابراً عن كابِرٍ ... أخْذَ الثِّمارِ جَواهِرُ الأشجارِ
عَرَفتهُ عَاهِلَها وَمَفْرَقَ تاجِها ... ولطالما لَغِبَتْ من الإنكارِ
عَاذتْ بهِ فأعَاذها وأقامَها ... عُمَرِيَّةً[5] الميزانِ والمِعيارِ

---

(١) يشير في أبياته إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي؛ الذي حضّ نورُ الدِّين السالمي المُسلمين على مُبايعته.

(٢) الإمام المُهَنَّا بن جيفر الخروصي، من أئمة القرن الثالث الهجري.

(٣) الإمام الوارث بن كعب، أوّل أئمة بني خَرُوص - بويع في أواخر القرن الثاني الهجري.

(٤) الإمام الصَّلْت بن مالك الخروصي.

(٥) الإشارةُ، هُنا، إلى عَدالة عُمر بن الخطاب واستمرارها في عهد الإمام سالم بن راشد الخروصي.

رَقِيبَتُهُ حتى أمكَنتْها نظرَةٌ ... أزليَّةٌ مِن نَجمِهِ السَّيارِ

فاقتادَها عَزماً وحَزماً آتياً ... بمَعاجِزٍ طُمِسَتْ عن الأبصارِ

زهراءُ بينَ السَّالِمِيِّ وسَالِمٍ[1] ... نشأتْ وبَينَ حُماتِها الأخيارِ

لم تُوفَ حَقَّ الشكرِ حتى استرْجَعَت ... صَبراً بفقدِ الصَّابرِ الشَّكَّارِ

صَبْراً إمَامَ المُسلمينَ فإنه ... حُكْمٌ على كُلِّ البَريَّةِ جَاري

صَبْراً فعَنكَ الصَّبرُ والتأسَاءُ يُؤ ... خَذُ، بَلْ وكُلُّ فَضائِلِ الأحرارِ

ما دَامَتِ الدُّنيا على أحدٍ ولا ... دَامَتْ على السَّراء والأضرارِ

عارِيَّةٌ هذي النفوسُ ولازمٌ ... أن يَستردَّ العدلُ كُلَّ مُعَارِ

ومَواهِبُ الأيام حِرْصٌ كُلُّها ... إذ سَوفَ تَنْزَعُها بغير خِيارِ

ولَبِئسَ عَيشٌ رَيثما استخلَيْتَهُ ... كَرَّتْ عليهِ غارَةُ الأغيارِ

لا يَستقِرُّ لَهُ اللبيبُ لأنَّهُ ... وقَفَتْ شَعُوبُ لهُ بباب الدَّارِ[2]

رأت البَصَائرُ ما يُعاقبُ عَيشَنا ... فالرَّأيُ أن نَحيَا على استبصارِ

يا شِعْرُ أجْمِلْ في الرِّثاءِ فإنَّ لي ... قلباً مِن الأحزانِ كالأعشارِ

هل زادَ في «الخنساء» إلّا كَرْبُها ... شِعْرٌ تُرَدِّدُهُ ولُبسُ صدارِ

يا صَبرُ إنْ قَرَّ الأحِبَّةُ في الثرى ... فاثْبُتْ لديَّ ولا تَمَلَّ قراري

لا خِلَّ إلا الصَّبرُ بعد فِراقِهِم ... إنْ لم يُزِلْهُ نازلُ الأقدارِ

رَحِمَ الإلهُ أحبَّةً غادَرْتُهُم ... ولزمتُ صُحْبَةَ دهريَ الغدَّارِ

ما كان في أمَلي التخلُّفُ بَعدَهُم ... والعيشُ في الأشجانِ والتذكارِ

لكنهُ الحَدَثانِ يطلبُ وَقتَهُ ... ومَنِيَّةٌ تأتي على مِقدارِ

عَرَجُوا عَنِ الدُّنيا وأعْرُجُ في الهوى ... شَتَّانَ بَينَ قرارِهِم وقراري

تبكيهم الحُسنى إلى من أحسَنوا ... ويُضاحِكُون الحُورَ في الأخبَارِ

---

(١) الإشارة للمُزكِّي: نور الدين السالمي والمُبايَع: سالم بن راشد الخروصي، على التوالي.

(٢) شَعُوب: اسم علم على المَنيَّة.

آلَيتُ لا أنفكُّ أندُبُ إثرَهُم ... ما دامَ تَذرِفُ أعيُنُ الأحجارِ

آسِي وأجرَحُ ما تُكِنُّ خواطري ... بنوازعِ الأحزانِ والأكدارِ

مَدَدِي بهم وشِفاءُ قلبي ذِكرُهُم ... وبحُبِّهِم يُطفى لهيبُ أُواري

بحَياتِهِم ومَمَاتِهِم أسرارُهُم ... تُوحِي مَواهِبُها إلى أسراري

دَرَجُوا وجاءَ السَّالِمِيُّ عَقيبَهُم ... يُحيي الرُّسُومَ بسَيبِهِ المِدرارِ

حتى تَدَافَعَت الرِّياضُ نَضارَةً ... بالسُّنةِ الزَّهراءِ لا الأزهارِ

خُتِمَ المَصيرُ له إلى دَارِ البقا ... ولَنِعْمَ دارٌ بُدِّلَتْ مِنْ دَارِ

حَيّا الإلهُ ضَريحَهُ بالرَّوحِ والـ ... ـرَّيحانِ بالآصالِ والأبكارِ

يا عامُ أزهَقتَ النفوسَ بفَقدِهِ ... وأطَرتَ رُوحَ الدِّينِ أيَّ مَطارِ

يا عامُ لا يَبعُدْ فقيدُ الدِّين طَـ ... ـلّاعُ الثَّنايا مَعقِدُ الإكبارِ

حُزنٌ على حُزنٍ وهَولٌ مُدهِشٌ ... يَمضِي المَدَى والغَمُّ في تكرارِ

يا عامُ لا عادتْ لبطشكَ عَودَةٌ ... كافيكَ منها بَطشةُ الجبَّارِ

ارحَمْ عِيالَ اللهِ قد حَزَبَتهُم ... أخطارُ مِلَّتِهِم على أخطارِ

يا عامُ أزهَقتِ الدِّيانةَ خِطَّةٌ ... كالنارِ ذات ذوائبٍ وشرارِ

أطفأتَ أزهَرَ كَوكَبٍ مَلأ الفضا ... ضَوءاً وجِئتَ بظُلمَةِ الأكدارِ

خُتِمَتْ له الحُسنى ووافى ربَّهُ ... مُتَقَبِّلاً لمَزِيَّةِ الأطهارِ

عَفّاً عن الدُّنيا خَميصاً بَطنُهُ ... مِنها سِوى ما كانَ سَهمَ الباري

يا مَن أجابَ الدَّعوتَينِ لربِّهِ ... لِمْ لا تُلَبِّي دَعوتي وجِواري

لِمَعاهِدِ الإسلامِ بَعدَكَ رَنَّةٌ ... وعُهودُ فضلِكَ كالنُّجوم سَواري

قُدِّسْتَ مِن غَوثٍ وقُدِّسَ مَشهدٌ ... غَبَطَتْهُ فيكَ عَوالِمُ الأنوارِ

شَطَّ المَزارُ مع الحياةِ وَوَيلَتا ... بعدَ المَمَاتِ مَتى يَكونُ مَزاري

ومِنَ السَّعادةِ أن أمَرِّغَ جَبهَتي ... بعَبيرِ تلكَ التُّربَةِ المِعطارِ

يا وَافِدَ الرَّحمنِ أيَّ كَرامَةٍ ... لُقِّيتَ في عَدْنٍ وأيَّ جِوارِ

بمَنازِلِ الشهداءِ تَرتَعُ آمِناً ... حتى رَضِيتَ لخوفِنا الكَرّارِ

حَلَّقتَ للطاعاتِ خَطْفةَ طائرٍ فحَلَلْتَ مَسْرَحَ جَعْفر الطّيارِ[1]

بِعْتَ الحياةَ فنِلْتَ أرْبَحَ بَيْعَةٍ لكنها رَجَعَتْ لنا بخَسارِ

للهِ ما سَنَةٌ لكَ البُشرى بها ولنا بها كالنَّارِ في إعْصارِ

تأريخها ما طالَ ما لَجِبَ الرَّدى الصَّبْرُ أحرى يا أولي الأبصارِ[2]

---

(١) جعفر بن أبي طالب الذي استشهد في غزوة مؤتة بعد أن قُطِعَت يداه، فأبدله الله جَنَاحَي طائر في الجنة، فلقِّبَ: جعفر الطّيار.

(٢) أرّخَتْ القصيدة بـ ١٣٣٢ هِجرية، أي: ١٩١٤م.

نَكِّسي الأعلامَ يا خَيرَ المِلَل(*)

نَكِّسِي الأعْلامَ يا خَيرَ المِلَلْ ... رُزِيءَ الإسلامُ بالخَطْبِ الجَلَلْ

وانْتثِرْ يا دَمْعَ أجفانِ التُّقى ... قد أُصِيبَ العِلمُ واغتيلَ العَمَلْ

وانفطِرْ يا قلبُ واسْتقْصِ الأسَى ... إنَّ حبلَ الدِّينِ بالأمْسِ انْبَتَلْ

أشعَلَ البرقُ علينا جَذْوَةً ... فانطفا واتَّقدَتْ فينا الشُّعَلْ

حملَ «البَرقُ»(1) مُصاباً فادِحاً ... ليتهُ أعْياهُ حِملًا ما حَمَلْ

يا رِجالَ الدِّين هلْ جاءَكُمُ ... أنَّ بَدرَ الدِّينِ فِي الأرضِ أفلْ

يا رجالَ الدين لا تَهْنأ لكُم ... فُرصَةٌ، إنَّ مُصابَ الدَّهرِ حَلّْ

يا رجالَ الدِّينِ لم يَنزِلْ بنا ... فادحٌ أعظمُ مِمَّا قد نَزَلْ

يا رجالَ الدِّينِ أهلًا بالقضا ... غاضَ هذا البحرُ وانْدَكَّ الجَبَلْ

يا رجالَ الدِّينِ ما هذا الأسَى ... والأسَى بالعَقلِ والعَقلُ ذَهَلْ

يا رجالَ الدِّينِ مَا حُسنُ العَزا ... عن فقيدٍ في السَّمَا والأرضِ جَلّْ

ربَّما أعْقَبَ فَقْدٌ بَدَلًا ... وفَقيدُ العِلمِ ما عَنهُ بَدَلْ

إنَّ مَوتاً وحياةً حُتِمَا ... قبلَ هذا الخلقِ في لَوحِ الأزلْ

(*) العُنوان من اختيارنا ـ وكسابقتها؛ هذه القصيدة كُتِبَت في رثاء الشيخ نور الدّين السّالمي.

(1) ربما كان الشاعر، في بيته هذا، يُشيرُ إلى البَرقيّة ـ أسرع وسائل الإتصال في عصره. وفي الغالب أن هذه القصيدة كُتِبَت قبلَ سابقتها، كما يُفهَمُ ـ إضافةً إلى إخباريّة البرقيّة ـ من سياقِ البيت الثالث: [إنَّ حَبلَ الدِّينِ بالأمسِ انبَتَلْ]، إنْ صَحَّت مُحاولة التأويل.

ومَقامُ المَرءِ مِن أيامِهِ   أمَلٌ يَقطَعُهُ حَدُّ الأجَلْ

والتماثيلُ التي نَهذي بها   صُوَرٌ يَخلُقُها سِحرُ الأمَلْ[1]

كُلُّ ما نهفو إليهِ عِبَرٌ   لو فَقِهْنا الشأنَ أو ضَرْبَ المَثَلْ

ما يُريدُ الحَتفُ من أرواحِنا   يَتقاضاهُ بُكُوراً وأُصُلْ

إنها مُستَودَعاتٌ أُقِّتَتْ   لا يُزادُ العُمرُ شيئاً إن كَمُلْ

يا لَعُمرٍ ناصَبَتهُ آفةٌ   تَهدِمُ المَحيا وتُزري بالحِيَلْ

بئسَ عُمرٌ حُتِمَ استِرجاعُهُ   رَيثَما حَلَّ رَأيناهُ قَفَلْ

وحَياةٌ وُعِدَتْ رَيبَ الرَّدى   كَيفَ يَغترُّ عليها مَن عَقَلْ

وهيَ في بُرهَتِها مَرذولَةٌ   حَشوُها، لو فكَّرَ المَرءُ، العِلَلْ

خُلِقَ العَقلُ لِدَرْكِ المُنتهى   فتناسى وتلاهى وَغَفَلْ

ليسَ مَن يَجهَلُ مِنا حالَهُ   لَمْحَةٌ تمضي وعَيشٌ يُختَزَلْ

إنما الشأنُ اغتِرارٌ حاكِمٌ   سَلَبَ الألبابَ واستدعى الأمَلْ

ونُفوسٌ رَاقَها مِن شَوبِها   رَنَقُ العَيشِ وفي العَيشِ الغِيَلْ

هذهِ الدُّنيا وهذا أمرُها   تَندِفُ الأعمارَ نَدفاً لم تَزَلْ

كَشَفتْ عن قُبحِها في حُسنِها   وأرَتنا السُّم في هذا العَسَلْ

لم تُغادِرنا على مُشتَبَهٍ   في التفاصيلِ ولا طَيِّ الجُمَلْ

أيها العاقلُ لا تَحفلْ بها   سَوفَ تَرمِي بكَ مِن رأسِ جَبَلْ

قد بَلَوناها ولكِنْ سِحرُها   يُنزِلُ الأعصَمَ من أعلى القُلَلْ[2]

هكذا تَخبِطُنا فِتنَتُها   بينما نأنسُ مِنها بالحِيَلْ

كُلُّ ما يَحسُنُ منها عَطَبٌ   وهو مِن لا شَيءَ، في القَدْرِ، أقَلّْ

---

(١) تلميح: صورة شعرية لافتة للمُتأمِّل في أغوارها؛ فالتماثيل التي نهذي بها، إنما هي صُورٌ يخلقها، في الحقيقة، سحرُ الأمل.

(٢) قِلالَةُ الجَبَل: قِمَّتُه.

أصدَقُ الأنباءِ عن خِسَّتِها   لَيسَ ما يُنقلُ عنها مُفتَعَلْ
لم تسالِمْ جاهلًا في غَيِّهِ   لا، ولا عَالِمَها الحُرَّ الأجَلْ
كُلُّ حَيٍّ ألْسَعَتْهُ جِمَّةٌ[1]   أعْيَتِ الرَّاقِيَ فيها والحِيَلْ
رَقَمَتْ آياتِها في عِبَرٍ   بقُرُونٍ طَحَنَتْهُم وَدُوَلْ
لا تُبالي بكَ في بَطْشَتِها   كنتَ رَبَّ التاجِ أو كنتَ خَوَلْ
يا رجالَ العِلمِ أوْدَى قُطْبُكُم   بَلْ جَميعُ العِلمِ أوْدَى والعَمَلْ
فَتَكَتْ بالسَّالِمِيِّ المُرتضى   غَارةٌ شَعْواءُ ما عَنها حِوَلْ
فتكةٌ أورَثَتِ الأرضَ البُكا   والسَّمواتِ وما فيها اشتَقَلْ
فتكةٌ لم يَخمِ منها جَيشُهُ[2]   لا، ولا دَافَعَهَا وقعُ الأسَلْ[3]
عَجَباً من نَعشِهِ تحمِلُهُ   فِتيَةٌ وهو على الكَونِ اشْتَمَلْ
جَمَعَ العالَمَ في حَيزُومِهِ   أتُرى العالَمُ في القبرِ نزلْ؟
يا وَلِيَّ الله إذ وَدَّعتَنا   فمَنِ الآنَ عليهِ المُتَّكَلْ
مَن يَحِلُّ المُشكلاتِ المُرتَجى   حيثُ لا يَنفَعُ مِن دَقٍّ وَجَلْ
مَن يُجَلِّي ظُلَمَ الجَهلِ ومَن   يَنصُرُ الدِّينَ اضطِلاعاً للجَلَلْ
مَن يَهُدُّ الخَطبَ مِن فَوْرَتِهِ   مَن يُقيمُ الوزنَ من يَشفِي العِلَلْ
مَن يَقودُ الأرْعَنَ الجرَّارَ في   نُصرَةِ الله على عَزمِ الرُّسُلْ
مَن يُديرُ الحَربَ عَنْ رَأيٍ لَهُ   سِعَةُ البَحرِ إذا ضَاقَ المَحَلُّ
مَن على المَعروفِ وَقْفٌ نَفسُهُ   وبهِ النُّكْرُ تَولَّى واضْمَحَلُّ
مَن لِبَذلِ العَدلِ والإحسانِ مَن   يَحمِلُ الكَلَّ[4] ومَن يُعطِي النَّفَلْ
كُلُّها خَلَّفتَها ثاكِلَةً   يا عَميدَ الدِّينِ تبكي من كَفَلْ

---

(١) جِمَّة: سُمّ.
(٢) وقد يُقرأ صَدرُ هذا البيت كالتالي: فتكَةٌ لم يُخمَ منها جَيشُهُ.
(٣) الأسَل: الرُّمح.
(٤) الكَلّ: الضعيف | النَّفَل: الصَّدَقة.

قُــمــتَ لله بــأمــرٍ عَــجــزَتْ هِـمَـمُ الأبـطـالِ عـنـهُ فـاسْـتَـقِـلْ

فــأتــتْ مُــعْــجِــزَةٌ خــارِقــةٌ جَـدُّهَـا الـرُّعـبُ وأنـواعُ الـفـشَـلْ

فــدَعَــاكَ اللهُ مِــنــهُ دَعْــوةً لـيـكـافـيـكَ عـلـى هـذا الـعَـمـلْ

قـمـتَ فـي خِـدمَـتِـهِ مُـحـتَـسِـبـاً آخـذاً بـالـحَـقِّ فـي أيِّ مَـحَـلْ

دَرَجـاتُ الـخُـلـدِ قـد بُـلِّـغْـتَـهـا وسِـمـاتُ الـمَـجـدِ فـي الـدَّهْـرِ مَـثَـلْ

غـيـرَ أنّـا فـي زمـانٍ حـالِـكٍ ضَـلَّ فـيـهِ أغـلَـبُ الـنـاسِ وَزَلْ

كُـنـتَ فـيـهِ الـشـمـسَ نـوراً وهُـدى وارتـفـاعـاً وانـتـفـاعـاً بَـلْ أجَـلْ

كـنـتَ فـيـه خَـلـفـاً لـلـمُـصـطـفـى خَـيـرِ مـن قـادَ إلـى الـحَـقِّ ودَلْ

كـنـتَ لـلـنـاسِ ربـيـعـاً وحَـيَـا كـنـتَ لـلأكـوان غَـوثـاً وبَـدَلْ

مُـجـهِـداً لـلـنـفـسِ فـي نـشـر الـهُـدى خَـيـرَ مَـن وَفَّـى وأنـدَى مَـن بَـذَلْ

صَـابـراً فـي مَـنْـشَـطٍ أو مَـكْـرَهٍ ثـابـتَ الـعَـزمِ شـديـدَ الـمُـكْـتَـهَـلْ

أخْـمَـسَ الـصَّـفـحَـةِ مَـزهـوبَ الـسُّـطـى بـاهِـرَ الـعـزمَـةِ مـأمـونَ الـزَّلَـلْ

شـاسِـعَ الـنـظـرَةِ لا يَـقـصِـرُهـا زُخـرُفُ الـدنـيـا وَجَـاهٌ وَخَـوَلْ[1]

راجـحَ الإيـمـانِ مَـعـصُـومَ الـخُـطـى قـولُهُ الـفـصْـلُ، وإنْ قـالَ فَـعَـلْ

سـائـراً بـالـجِـدِّ حـتـى نِـلْـتَـهُ «كُلُّ مَن سَارَ على الدَّربِ وَصَلْ»[2]

فـي سَـبـيـلِ اللهِ أنـفـقـتَ الـعَـنـا فـي مُـرادِ اللهِ أنـفـقـتَ الـعَـمَـلْ

فـي سـبـيـلِ اللهِ لـم تـحـفـلْ بـهـا أسُـقِـيـتَ الـصَّـابَ أو كـأسَ الـعَـسَـلْ

فـي سَـبـيـلِ اللهِ تـدعـو جَـاهِـداً لـتُـقِـيـمَ الـقِـسْـطَ أو تـلقـى الأجَـلْ

فـي سَـبـيـلِ اللهِ أجْـهَـدْتَ الـقُـوى لـم تَـجِـدْ إنْ جَـدَّ خَـطـبٌ أو هَـزَلْ

رافـعـاً ألْـوِيَـةَ الـعِـلـمِ إلـى أن دَنـا كِـيـوانُ عَـنـهـا وَزُحَـلْ

ونَـصَـرْتَ اللهَ حـتـى أنَّـهُ لـكَ مـن أهـلِ الـسَّـمَـا الـجُـنـدُ نَـزَلْ

---

(١) الخَوَل: عطيّة الله من النِعَم والعبيد والإماء وسواهم من الاتباع والحَشَم.

(٢) تضمين من لاميّة ابن الوَرْدي: لا تَقلْ قد ذَهبَتْ أربابُهُ | كُلُّ من سَارَ على الدَّرب وَصَلْ.

ولقد يَجْدُرُ من أهلِ السَّمَا … نُصْرَةُ القائمِ في خَيرِ النِّحَلْ

تلك بَدْرٌ نزلوها مَدَداً … وعلى بَدرٍ قياسٌ يُحْتَمَلْ

هُمْ وجبريلُ على حَيزُومِهِ … بالتسابيحِ لهُم فيها زَجَلْ

نصَروا الله بجيشِ المُصطفى … فانثنى بالخِزيِ أشيَاعُ هُبَلْ

وفُتوحاتُكَ سِرٌّ مُدهِشٌ … ظهَرَتْ فيها الكراماتُ الأُوَلْ

يا ولَيَّ الله إنِّي نادِبٌ … لكَ ما دار بُكُورٌ وَطَفَلْ

طالما أمَّلتُ أن يَجمَعني … بكَ هذا الدَّهرُ فانسَدَّ الأمَلْ

لهفَ نفسي مَا الذي أقْعَدَني … عَنكُم غيرُ الذي أعْيا الحِيَلْ

كُلَّما أزمَعتُ ترحالًا قَضَى … ليَ بالتَّثبيطِ دَهرٌ مُهْتَبَلْ

وإلى أينَ ارتحالي بَعدَما … أظلمَ الجَوُّ وأوْحَشْتَ الطَّلَلْ

كنتُ أرجو نظرةً في حالتي … مِنكَ، فالآنَ رَجائي مُعتقَلْ

كنتُ في قيدٍ شديدٍ حَلُّهُ … ضُوعِفَ اليوم بغِلٌّ وَكَبَلْ

يا أبا شَيْبَةَ[1] مَن أرجُو لها … حَسْبيَ الله إذا عَزَّ وجَلّْ

يا أبا شَيبةَ عَزَّ المُلتقى … وقَطِينُ الرَّمْسِ مَقطوعُ النَّقَلْ

يا أبا شَيبةَ عَزَّتْ حِيلَةٌ … عن دفاعِ الموتِ أو وَصْلِ الأجَلْ

---

(١) أبا شيبة: المَرثيّ، نور الدين السالمي - وشَيبَة لقبُ ابنه مُحَمَّد الذي عاد إلى عُمان مُنتصَف السبعينيات ليقيم في المُنترب بولاية بديّة حيث أسَّسَ مجلس علمٍ وفقه ومكتبة ما زالت قائمة حتى اليوم، وبها أمهات الكتب والمخطوطات، ومنها مخطوطة ديوانُ أبي مُسْلِم البهلاني، وهو مؤلف «نهضة الأعيان بحُريّةِ أهلِ عُمان» الذي أتمَّ فيه إكمال تاريخ عُمان الذي بدأهُ والده نور الدين السالمي في: «تُحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان». تلميح: من الطريف، هنا، ذكرُ ما أورده د. حسين عبيد غباش في كتابه الهام: «عُمان: الديمقراطية الإسلامية؛ تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث»؛ حيثُ يذكر علاقة السُلطان فيصل بن تركي ونور الدين السالمي قائلًا: «لم يكن السلطان الشاب [يقصد فيصل بن تركي] الذي تولى الحُكم في الرابعة والعشرين من عمره يرمي إلى بناء سلطنة مستقلة فقط، بل كان مُتأثراً أيضاً، إلى درجة معينة، بالنموذج الإباضي للدولة الإسلامية: الإمامة. ولذلك أعطى نفسه لقب إمام بدل لقب سلطان. وكلَّفَ العالِم نور الدين عبدالله السالمي، بكتابة تاريخ عُمان المعروف بـ «تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان».

لو فرَضْنا أن مَيْتاً يُفتدى ... لغدَتْ رُوحِيَ أدنى مُبْتَذَلْ

غيرَ أنَّ الخَلْقَ فيهِ أُسْوَةٌ ... أجَلٌ يأتي على إثرِ أجَلْ

تقتضي المَوتَ حَياةٌ حُدِّدَتْ ... ولو اشتغلَتْ على بُرجِ الحَمَلْ

يا فقيدَ الفضلِ عندي أسَفٌ ... سَلْ عَنِ النارِ وعَنهُ لا تَسَلْ

ذهبَ الصَّبرُ ولو حَاوَلْتُهُ ... وجَميلُ الصَّبرِ أحرى بالرَّجُلْ

ما نَعَاكَ الكونُ حتى نُعِيتْ ... غضبةُ الإسلامِ والكُفرُ بَجَلْ

ما حَمِيدُ العَيشِ مِن بَعدكَ في ... هذه الدنيا وما مَعنى الجَذَلْ

والبُكاءُ المُرُّ لا يشفي الجَوَى ... لو طَفِقتُ الدَّهرَ أستمْري المُقَلْ

كُلُّ فَقدٍ دَخلَتْ فيهِ عَسَى ... وهيَ في المَوتِ مُحَالٌ كلَعَلّْ

ما فقدناكَ هُماماً مُفرَداً ... بل فقدنا الخَيرَ في كُلِّ مَحَلّْ

ما فقدناكَ وعِرفانُكَ في ... صَفحَاتِ الكَونِ ضَوءٌ يَشتعِلْ

إنَّ رَبَّ العِلمِ حَيٌّ خالِدٌ ... ولو أنَّ الذاتَ بالمَوتِ انْتَقَلْ

ما تركتَ الكَونَ حتى تَرَكَتْ ... خُطَّةُ الحمدِ لكَ الحَمْدَ الجَلَلْ

سَيِّدَ العِرفانِ دَهْرِي مَأتمٌ ... فيكَ، ما أشرَقَ نَجمٌ أو أَفَلْ

أخْرَسَ الهَولُ لساني في الرِّثا ... ولساني حَدُّهُ يَفرِي الجَبَلْ

ما هَنِئتُ العَيشَ مُذ فارَقْتُهُ ... وهنيئاً لكَ عَيشاً لا يُثَلّْ

ما هناءُ المُؤمِنِ الحَقِّ على ... صَدْعَةِ الدينِ وما بَرْدُ الغُلَلْ

أنا لا أعلَمُ رُزْءاً فادحاً ... كمُصابِ الدِّينِ أو نقصِ الكُمَلْ

يُرْفَعُ العِلمُ برفعِ العُلَما ... وارتفاعُ العِلمِ هُلْكٌ وخَبَلْ

يا رَمَى اللهُ يَدَ المَوتِ على ... أخْذِ عَبدِ اللهِ رَمْياً بالشَّلَلْ

وَيْلَتَاهُ استأثرَ اللهُ بِهِ ... وبَقِي العِلمُ على ظَهرِ أزلْ

أكرمَ اللهُ بهِ أمَّتَنا ... بُرْهَةً ثم دَعاهُ فرَحَلْ

يا لها من رِحلَةٍ ما تَرَكَتْ ... خلفها مِن كَرَمٍ إلّا انْتَقَلْ

يا لها من رِحلَةٍ صَحَّتْ بها ... غُربَةُ الإسلامِ في أزكى مَحَلّْ

أمَّةَ الخَيرِ لَكُم حُسْنُ العَزا ... إنها داهِيَةٌ أُمُّ الغِيَلْ

بعدَ عَبدِاللهِ يَبقى أمَلٌ ... للهُدى هيهاتَ قد شَطَّ الأمَلْ

خَلِّها يا ابْنَ حُمَيدٍ تلتوي ... فِتنةٌ عَمياءُ كالليلِ المُضِلْ

ليسَ يُغنِي عنكَ فيها أحَدٌ ... طُمِسَتْ، إذْ ذَهَبَ النُّورُ، السُّبُلْ

وهَنِيئاً لكَ بالفِرْدَوسِ في ... جِيرَةِ اللهِ على خَيرِ نُزُلْ

إنَّ عَاماً نَابَكَ الحَتفُ بِهِ ... عامُ سُوءٍ وبَلاءٍ وَوَجَلْ

فأتى تاريخُهُ بِحزنٍ ... نَكِّسِي الأعلامَ يا خَيرَ المِلَلْ[1]

---

(١) شاهد التأريخ في القصيدة وفقاً لحساب الجمل، هو: «بحزن نكسي الأعلام يا خير المِلل»، وعليه فقد أرِّخت كتابة القصيدة: سنة ١٣٣٢هـ، أي: ١٩١٤م.

رثاء الشيخ العَلّامة أحمد بن سعيد(*)

بَصائرُنا في القضا خامِدَهْ ... وكُلُّ قَضِيَّتُهُ واحِدَهْ

ففِيمَ التَّصَوُّرُ تحت العَمى ... وفيم الدَّعاوِي ولا شاهِدَه

رَأيتُ التقصِّي بآرائِنا ... بِختمِ القَضا فُضْلَةً زائِدَه

ولو فازَ رَأيٌ بمَوْهُوبَةٍ ... فأُمُّ القَضاءِ لَهُ وَالِدَه

وكُلُّ الوُجُودِ ببَحْرِ الشُّؤونِ ... حَقيقتُهُ نُقْطَةٌ رَاكِدَه

وخَبطُكَ بالرَّأيِ تَحتَ القَضا ... ذُهُولٌ وعَجْرَفَةٌ بارِدَه

وما وَهَبَ اللهُ مِن مُكْنَةٍ ... فتلكَ مُحَرَّكَةٌ جامِدَه

وإنْ كَشفَ الرَّأيُ مَحْجُوبَةً ... فتلكَ، برِفْقِ القضا، وارِدَه

فسَلِّمْ إلى اللهِ أفعَالَهُ ... لتجري الأمُورُ على القاعِدَه

فمَا لكَ حَولٌ يَرُدُّ القضا ... وذائِدَةُ العَجزِ كالقائِدَه

وما لكَ في الأمرِ مِن شِرْكَةٍ ... تأَدَّبْ. . ولا ذرَّةٍ واحِدَه

تُلاقي القضاءَ بغيرِ الرِّضا ... وأنتَ على قُدْرَةٍ نافِدَه

إذا دَبَّرَ اللهُ أمراً جَرى ... برغم تدابيرنا الفاسِدَه

أَتَنْهِضُ رَأيَكَ ضِدَّ القَضا ... فأَوْهِنْ بها نَهْضَةً قاعِدَه

(*) قيلت هذه القصيدة في رثاء صديق طفولته وزميله في الدراسة الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي (المتوفي في ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م)، وهو ذاته الصديق الصدوق المشار إليه في «النونية»: أرتاحُ فيها إلى خلٍّ فيبهرني | صِدقٌ وقصدٌ ومعروفٌ وإحسانُ.

وفِكْرُكَ في قَدَرٍ فائِتٍ ... وفي مُقْبِلٍ رُتبَةٌ واحِدَه

وأفكارُنا وسِياساتُنا ... وتَدبيرُنا شَرَرٌ خامِدَه

وجِدُّ النفوسِ وكُلُّ القوى ... إلى نِسْبَةٍ فوقها عائِدَه

وإن كانَ لا بُدَّ مِن فِكْرَةٍ ... ففي هذه البُرْهَةِ البائِدَه

وفي النَّشْأتَينِ وعُقباهُما ... وصَادِرَةِ الموتِ والوارِدَه

أما تَزعَوي في مَرَاعِي الغُرُورِ ... وصَائِدَةُ المُنتهى راصِدَه

تعيشُ بها بينَ مَفقودَةٍ ... وراقبَةٍ حَتفَها فاقِدَه

نَهُشُّ إلى زخْرُفٍ مُنْقَضٍ ... ونَعْرِضُ عن دارِنا الآبِدَه

ونَنسَى المَنايا وقد أنفذَتْ ... مَقاتِلَنا الأسْهُمُ الصَّارِدَه[1]

نَرُوحُ ونغدو على مَأمَنٍ ... وآسَادُ آجالِنا حارِدَه

نُنازِعُ أيّامَنا صَفوَها ... وما للصَّفاءِ بها واجِدَه

ونأمَنُ فيها هُجومَ الرَّدَى ... وليسَ لِهَجْمَتِهِ جاحِدَه

وتَنعِي الجَنائِزُ أرْوَاحَنا ... ودَمْعَةُ أعْيُنِنا جامِدَه

تُثيرُ السَّوافي علينا الثَّرى ... وذاكَ السَّفا الأعْظُمُ الهَامِدَه

ثوى الأصْلُ والفرْعُ في بطنِها ... وقد بقيَتْ نَوبَةٌ وَاحِدَه

وهَيهاتَ قد بادَرَتْ زَرْعَها ... ومَدَّتْ مَناجِلَها الحَاصِدَه

عَلامَ التَّهافُتُ في حَائِلٍ ... وقد عَلِقَ القيدُ بالآبِدَه

سَيَعْلو البَلاءُ إلى الفَرْقَدَيـ ... ـنِ يَنْتَهِبُ الصُّحْبَةَ الخالِدَه

ويَصْدَعُ في قُبَّةِ الشمسِ مِن ... غَوَائِلِهِ صَدْعَةٌ صَاعِدَه

وتُبْلِي الجَدِيدَينِ[2] مَقْدُورَةٌ ... مِنَ الخَطْبِ بارِقَةٌ راعِدَه

---

(١) الصاردة: أصْرَدَ السّهم: لم يُصِبْ. والصاردة، تعني أيضاً الرّيح الباردة، وهو تعبير فصيح مُستخدم في الدّارج العُماني.

(٢) الجديدان: الليل والنهار.

وَيُذْهِي الوَدِيعَ بِنَغْمَائِهِ — زَوَالُ مَعِيشَتِهِ الرَّاغِدَه
كأنَّ الرَّدَى حَاسِدٌ لِلمَعَا — شِ، وحتى على شَظَفِ الهَابِدَه
إلى أينَ يَسْمُو عُلوُّ البِنَا — وقَرْحُ المَعَاوِلِ بالقَاعِدَه[1]
تَرَفَّقْ بِطِينَةِ هذا البِنَا — فَهَاتِيكَ أجْسَامُنا الهَامِدَه
نُشاهِدُ تَفْتِيتَ أجْسَامِنا — وليسَ لأرواحِنا شاهِدَه
ولكنها حُبِسَتْ في العَمَى — وسَوفَ تَعُودُ لها عَائِدَه
مَتى يَنْزَعُ المَوتُ عَن فَتْكِهِ — فتبقى لمَولُودِها الوالِدَه
يَحُزُّ الحَيَاةَ شَباً قارِظٌ — ولم تَنْتَبِهْ هذه الرَّاقِدَه
وإنَّ حَيَاةً إلى مُنتَهى — خَيَالٌ يَجُولُ بلا فائِدَه
خَطِيرَةٌ مُفْتَقَدٍ ما بها — هَنَاءٌ سِوى صَرْخَةِ الفاقِدَه
وتَفْتَأُ تَعْقِدُ آمَالَنا — ويَنْجَلُ ما تَعْقِدُ العَاقِدَه
يُصَالُ على صَيْحَةِ المُعْتَدِي — فَتَنْشَبُ بينَ اللُّهَا الزَّارِدَه
يَلُمُّ السَّوابِغَ سَرَّادُها — فَتُفْرِجُها الطَّعْنَةُ السَّارِدَه
ويَفْرِي المُدَجَّجَ حَدُّ الرَّدى — فما تَدْفَعُ الشِّكَّةُ الهَامِدَه
وما يَحْفِزُ الدَّهرُ إلّا البِلا — وإن أسْجَحَتْ يَدُهُ الآبِدَه
مُمِضٌّ فما تَنقَضِي لَيلَةٌ — ولم تَكُنِ الليلَةَ العَامِدَه
لَيَالِيهِ كالسُّفْنِ مَيَّادَةٌ — بَبَلْواهُ غَامِدَةٌ آمِدَه
دَهَتْ ذاتُ رَوْقَيْنِ مِن خَطبَةٍ — بِمَوْئِدٍ مُقْصِدَةٍ قاصِدَه
فَكَرَّتْ ولا رأيَ في رَدِّها — ولا فاتَها مَهْرَبُ الشَارِدَه
أتَتْ لا يُؤَبِّسُها قارِصٌ — ولا تَتَّقِي الأبْرُجَ المَارِدَه
تَؤُزُّ الصَّيَاخِيدَ أهْوَالُها — فما بالُ أكبادِنا الكابِدَه[2]

(١) ملحوظة: تتكرر في شعر أبي مُسلم هذه الصورة الشعرية (المُستمرة في البيتين التاليين لهذا البيت) بتلوينات مختلفة، حتى لا يكاد يخلو منها غرض من الأغراض.

(٢) الصَّياخيد: شدة الحَرِّ والهَجير؛ وتعني أيضاً: الصخور الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول.

فـمـا اسـتـنـزَفَـتْ مـن دِمـاء الـقـلـو ... ب كما استنزَفَتْ مِن أسَى الواجِدَه
ولا امْـتَـرَسَـتْ لـسَـمـاءِ الـعُـلـو ... م حـتـى تـدَكْـدَكَـتِ الـمَـاهِـدَه
لـهـا أجْـهَـشَـتْ بـالـبُـكـاءِ الـسَّـمـا ... تُـنـاوِحُ أجْـفـانـنـا الـسَّـاهِـدَه
رَزِيـئـةُ دَهْـرٍ فُـجِـعْـنـا بـهـا ... لأفْـظَـعُ مُـفـجِـعَـةٍ حـاشِـدَه
نَـحَـتْ مُـسْـتَـقَـرَّ الـنَّـدى والـهُـدى ... فَـدَكَّـتْـهُـمـا دَكَّـةٌ واحِـدَه
فـهـلْ صَـادَفَ الـدَّهـرُ ثـأراً بـهـا ... ودَاوَى بـهـا عِـلَّـةً عَـامِـدَه
تَـحَـزَّمَـتِ الـمَـجْـدَ فـي غـارَةٍ ... شَـنَـاخِـيـبُ رَضْـوى بـهـا مَـائِدَه
أغـارَتْ شَـعُـوبُ عـلـى خَـيْـرِنـا ... وكـانـت لـمِـيـقـاتِـهـا راصِـدَه[1]
رُزِئْـنـا الـمُـرَزَّءَ طَـوْدَ الـعُـلا ... أبـا صَـالـحٍ عَـيْـلَـمُ الـوارِدَه
رُزِئْـنـاهُ غَـيْـثـاً يَـعُـمُّ الـمَـلا ... وقـد أعْـدَمَـتْ غَـيْـثَـهـا الـرَّائِدَه
تَـخَـطَّـفَ أَحْـمَـدَ رَيْـبُ الـرَّدى ... فـيـا حَـرَبَ الـحَـمْـدِ والـحَـامِـدَه
حَـمَـدْنـا الـزَّمَـانَ بـه بُـرْهَـةً ... فـصَـالَـتْ عـلـيـهـا يَـدٌ صَـائِدَه
فـمـا أشْـوَأ الـعَـيْـشَ مِـن بَـعْـدِهِ ... ومـا أضْـغَـرَ الـثُّـوَبَ الـوافِـدَه
فـيـا لـحَـيـاةٍ قَـضَـتْ نَـحْـبَـهـا ... وكُـلُّ حَـيـاةِ امْـرِىءٍ نَـافِـدَه
حَـيـاةُ الـقُـلوبِ بـتـلـك الـحَـيـا ... ةِ وإصْـلاحُ أنْـفُـسِـنـا الـفـاسِـدَه
يَـضِـنُّ بـهـا الـكَـونُ فـي حِـجْـرِهِ ... فـصَـارَتْ إلـى جَـدَثٍ خـامِـدَه
ويَـومُ الـضَّـنـيـنِ كَـيَـومِ الـمَـهِـ ... ـيـنِ وفي المُنتهى تقِفُ القاصِدَه
ومـا بَـيْـدُ أحْـمَـدَ بَـيْـدَ امْـرِىءٍ ... ولـكِـنْ نُـفـوسُ الـوَرى بَـائِدَه
لـقـد كـانَ يَـرْجَـحُ مِـيـزانُـهُ ... وذاتُ الـكَـمَـالِ بـه شـاهِـدَه
يُـجَـلِّي بـأبْـلَـجَ ذي فَـرْجَـةٍ ... مِـنَ الـعِـلـمِ مُـشْـكِـلَـةً عَـانِـدَه
شِـدَادُ الـمَـعَـوارِضِ آراؤهُ ... إذا اعْـتَـزَمَـتْ خُـطَّـةٌ نـاهِـدَه
فـيـا لـلمَـعـارِفِ حُـسْـنَ الـعَـزا ... لـقـد أضْـبَـحَـتْ سُـوقُـهـا راكِـدَه

---

(١) شَعُوب: اسم علم على المَنيّة.

لـقـد كـانَ نَـيِّـرَ أفـلاكِـهـا ... فَـخَـرَّ إلـى حُـفْـرَةٍ رامِـدَه

فـواحَـرَبَـا لـصُـرُوفِ الـقَـضَـا ... لـقـد طَـعَـنَـتْ طَـعْـنـةً عَـامِـدَه

ومـا مِـن صُـرُوفِ الـقَـضَـا وائِلٌ ... ومـا لـصُـرُوفِ الـقـضـا كـارِدَه

ولا بُـدَّ مـن نَـهْـشِ صِـلِّ الـرَّدى ... ومـا لـلـرُّقـى عِـنـدَهُ فـائِدَه

وكـيـف نَـضِـنُّ بـأزواجِـنـا ... وتـلـكَ غَـنِـيـمَـتُـهُ الـبـارِدَه

فـيـا لَـهْـفَ نـفـسِـي عـلى أحْـمَـدٍ ... إذا نَـفـعَـتْ لَـهْـفَـةُ الـفـاقِـدَه

سَـلَـوْتُ الـسُّـلُوَّ ورُشْـدَ الأسَـى ... وأحْـمَـدُ أنـفـاسُـهُ خـامِـدَه

لـقـد زَهِـدَتْ نـفـسُـهُ فـي الـوُجـو ... دِ فـهـل لـلحـيـاةِ مَـعـاً زاهِـدَه

تَـعَـبَّـدَ حـتـى أتـاهُ الـيَـقـ ... ـيـنُ فـذابـتْ لـهُ الأنـفُـسُ الـعَـابِـدَه

تـحـالَـفَـتِ الأرْضُ فـي عُـمْـرِهِ ... وآرَابِـهِ الـزُّهْـرِ الـسَّـاجِـدَه

فـلـيـتَ خـلـيـفَـةَ آرَابِـهِ ... وَقَـتْـهُ بِـلَى الـتُّـرْبَـةِ الـرَّامِـدَه

لـقـد دُهِـشَ الـكَـونُ لـمـا ثـوى ... فـمـا وَجَـدَتْ رُشْـدَهـا الـرَّاشِـدَه

وَزُلْزِلَتْ الأرضُ زِلْزَالَهَـا ... وضَـاقَـتْ بـأجْـزَائِهـا هَـامِـدَه

ومـا ضَـاقَـتِ الأرضُ مِـن رُزْئِهِ ... كـمـا ضَـاقَـتِ الـمِـنَـنُ الـخـالِدَه

طَـوَى الـعَـالِمِـيـنَ إلـى ذاتِـهِ ... بـطَـارِفَـةِ الـمَـجْـدِ والـتَّـالِدَه

رائعةُ المَنُون[*]

تَـهُـدُّ الـعُـمْـرَ رَائِعَـةُ الـمَـنُـونِ | وَحَـدُّ الـحَـيِّ إتـيـانُ الـيَـقِـيـنِ
أَلَهْـواً بـالـغُـرُورِ ولا نُـبَـالِي | ونُـؤْخَـذُ بـالـشِّـمَـالِ وبـالـيَـمِـيـنِ
ألا جَـزَعٌ لِقـاصِـفَـةٍ وأخـرى | تَـلِـيـهـا لـلـمُـبـايِـنِ والـقَـرِيـنِ
ونَـرْكَـنُ والـمَـهَـالِكُ عَـاصِـفـاتٌ | إلـى تَـغْـريـرِ كـاذِبَـةٍ خَـؤونِ
عـلى أنَّ الـحَـيـاةَ لـهـا حُـدُودٌ | سَـنـقْـطَـعُـهـا عـلى رغـمِ الـرُّكُـونِ
ألـيـسَ عـلى الـغَـبـاوَةِ ذو هَـنـاءٍ | وظُـفْـرُ الـحَـتـفِ يَفـرِي في الـوَتِـيـنِ[1]
يَـمُـرُّ الـقـارِظـانِ[2] ونَـحْـنُ نَـدرِي | بـأنَّ مَـسِـيـرَنـا نَـحـوَ الـكَـمِـيـنِ
ولـو أنَّ الـكَـمِـيـنَ عـلى خَـفـاءٍ | ولـكِـنْ بَـطْـشُـهُ رَأيُ الـعُـيـونِ
يُـثَـبِّـطُـنـا مـن الآمَـالِ وَهْـمٌ | ويُـجْـلى الـوَهْـمُ بـالـحَـقِّ الـمُـبـيـنِ
ودُونَ مَـدَارِكِ الآمَـالِ رَصْـدٌ | مِـنَ الآجَـالِ مُـنـقـطِـعُ الـظُّـنـونِ
تَـمُـرُّ بـنـا جَـنـائِزُنـا بِـطَـانـاً | حَـوَاصِـلُـهـا تُـزَفُّ إلـى الـوُكُـونِ[3]

(*) العنوانُ من اختيارنا، ـ والقصيدة قيلت في رثاء الشيخ العلامة سالم بن أحمد الرّيامي قاضي الجزيرة الخضراء بيمبا Pemba من أعمال زنجبار (المتوفى سنة ١٩١٨م). وقد كان المرثيّ من أخلص أصدقاء الشاعر، وقد ناداه في القصيدة بكنيته (أبوالوضاح) تحبباً وتدليلًا على قوة الوشيجة التي ربطتهما.

(١) الوَتِين: عِرْقٌ إذا انقطع انقطَعَتْ حياةُ المرء.

(٢) القارِظان: الليل والنهار؛ لأنهما يَقرُظان العُمر.

(٣) تلميح: بيت آخر لافت للتأمُّل؛ حيث تمرُّ جنائزنا بنا وهي بِطان الحَواصِل وقد زُفَّت كالطيور إلى أعشاشها الأبدية؛ أي قبورها، المُكنى عنها بالوكن.

وتـغـدو فـي مَـرَاعِـيـهـا خِـمَـاصـاً ألا عـمـداً مِـنَ الـخَـمِـصِ الـبَـطِـيـنِ
لـقـد ظَـعَـنَ الأحِـبَّـةُ واغْـتـبَـطْـنـا بـمـا تـرَكُـوهُ غِـبْـطَـةَ ذي جُـنـونِ
ونَـحـنُ نَـرَى الـحُـداةَ بـنـا ألَحَّـتْ تُـطَـوِّحُـنـا بـعَـزْمـاتٍ شَـطُـونِ
نُـقَـضِّـي مـا قَـضَـوهُ وعـن قـلـيـلٍ نَـصِـيـرُ لـدى مَـنـاخـاتِ الـظُّـعُـونِ
وهـل نَـقْـضِـي سِـوى عَـيشٍ قَـصِـيـرٍ أجَـبِّ الـظَّـهْـرِ مَـقْـبُـوبِ الـوَضِـيـنِ[1]
نُـمَـنَّـى فُـسْـحَـةً قُـبِـضَـتْ عـلـيـهِ عـلـى غـصَـصٍ كـأوقـاتِ الـسَّـجـيـنِ
وعَـيْـشٍ حَـشْـوُهُ كَـدَرٌ وسُـوءٌ يَـلَـذُّ عـلـى مُـداهَـنَـةِ الـضَّـنـيـنِ
وإلّا فـالـحَـقـيـقـةُ كُـلُّ بَـالٍ نَـصـيـبُـكَ مِـنْـهُ زادُكَ لـليَـقـيـنِ
تَـزَوَّدْ مـنـه لـلـعُـقـبـى ودَعْـهُ فـلـيسَ الـشـأنُ فـي الـفـانـي الـمَـهِـيـنِ
وطَـلِّـقْ هـذه الـدنـيـا بَـتـاتـاً طـلاقَـكَ لا أُلِـيـكِ ولا تَـلِـيـنـي
عَـرَفـتُـكِ حَـيَّـةً لِـيـنـاً وسُـوءاً «دَعِـيـنـي مـنـك يـا دُنـيـا دَعِـيـنـي»
خَـدَعْـتِ بَـنِـيـكِ ثـم فـتـكْـتِ فـيـهـم «وإنَّـكِ لا مَـحَـالَـةَ تَـخْـدَعِـيـنـي»
يُـرَوِّعُـنـي ابـتـسـامُـكِ فـوق مَـكْـرٍ كـذاكَ الـسَّـيـفُ بَـرَّاقُ الـمُـتُـونِ
أبَـنْـتِ مَـحَـاسـنـاً زانَـتْ فَـشَـاهَـتْ فـبِـيـنِـي أيُّـهـا الـشَّـوهـاءُ بِـيـنِـي
هَـبَـلْـتُـكِ يـا غَـدُورُ خُـذِي طَـرِيـقـاً فـإنِّـي آخِـذٌ ذاتَ الـيَـمِـيـنِ
تَـرَكْـتُـكِ مَـزْجَـرَ الـكَـلْـبِ الـمُـضَـرَّى سِـوى مـا كـانَ مِـنْـكِ لأمْـرِ دِيـنـي
بَـلَـوْتُـكِ يـا مُـخَـبِّـثَـةَ الـدَّواهـي فـكُـنـتِ الـسُّـم فـي الـمَـاء الـمَـعِـيـنِ
وحَـسْـبُـكِ يـا فَـجَـارُ مِـنَ الـمَـسَـاوي رَحَـاكِ الـمُـسْـتـديـرَةُ فـي الـقُـرُونِ[2]
أرِيـنـي أيـنَ هُـمْ فـلَـدَيـكِ خُـبْـرٌ جُـهَـيْـنَـةُ خَـبِّـريـنـا بـالـيَـقـيـنِ
دَعِـي الـتَّـدْلِـيـسَ إنَّ الـقـومَ صَـاروا طَـحِـيـنـاً يـا مُـبَـدِّدَةَ الـطَّـحِـيـنِ
فَـغُـرِّي يـا خَـبَـاثُ بَـنِـي الـعَـمَـايـا وكُـفِّـي عـن خِـداعِ الـمُـسْـتَـبِـيـنِ[3]

---

(١) أجَبّ الظَّهر: مقطوع السَّنام | مَقبُوب الوَضِين: ضامِر البطن.
(٢) فجَار: هي الدنيا.
(٣) خباث: أيضاً، هي الدنيا.

أسِـلْمَـكِ أبْـتـغـي؟ والـفَـتْـكُ جَـارٍ ... ونَـحـنُ لـدَيـكِ فـي حَـرْبٍ زَبُـونِ
دِهَـانُـكِ مـا تَـشـعَّـثَ لـيـسَ يُـجْـدِي ... لأنَّ الـقـصـدَ حُـلْـقُـومُ الـدَّهِـيـنِ
«حَـبَـسْـتِ الـكَـأسَ عـنـا أمَّ عَـمْـرٍو»[1] ... وأعـنِـي كـأسَ بِـرِّكِ فـي يَـمِـيـنِـي
فـمـا أُمْـنِـي فُـجُـورَكِ أمَّ عَـمْـرٍو ... وقـد خـالـفـتِ خـالـصَـةِ الأمِـيـنِ
زَبَـنْـتُـكِ لا أَبُـوءُ إلـيـكِ رَغْـبـاً ... مَـقـامَ الـذِّئـبِ كـالـرَّجُـلِ الـلعـيـنِ
صَـحِـبْـتِ الـنـاسَ صُـحْـبَـةَ غـيـرِ صِـدْقٍ ... وعَـاشُـوا مِـنـكِ فـي دَاءٍ دَفـيـنِ
لَـحَـنْـتِ إلـيَّ لَـحْـنَـكِ فـاصْـرِفِـيـهِ ... وكُـلُّ الـشَّـرِّ فـي تـلـكَ الـلحُـونِ
عَـرَفـتُـكِ بـالـخِـلابَـةِ مـنـذ عَـهْـدِي ... بِـسَـهْـلِـكِ أنـهُ صَـعْـبُ الـحُـزُونِ
أَرِيـنِـي أيـنَ أصْـحَـابـي وأهـلـي ... ومَـن عَـمَـرُوكِ أحْـقـابـاً أرِيـنِـي
أَلَـمْ تُـنْـزِلْـهُـمُ نُـوَبُ الـمَـنـايـا ... عَـنِ الـظَّـهْـرِ الـمُـوَطَّـأ لـلـبُـطـونِ
كـأنَّ حَـيـاتَـهُـم لـمـا تَـقـضَّـتْ ... خَـيـالٌ طـافَ فـي نـوم الـعُـيـونِ
وأنـتِ عـلـى الـطَّـريـقـةِ لَـنْ تُـبـالـي ... بِـمَـنْ تُـفْـنِـيـنَ حِـيـنـاً بـعـد حِـيـنِ
أبَـعْـدَ الـسَّـادَةِ الأطـهـارِ بِـشْـرٌ ... يُـبـاشِـرُ حَـبَّـةَ الـقـلـبِ الـحَـزِيـنِ
أبَـعْـدَ الـصِّـيـدِ مـن سَـرَواتِ قـومـي ... تَـرَامَـوا فـي الـقـبـورِ وخـلَّـفـونـي
أَلَـذُّ مَـعِـيـشَـةً وسُـكُـونَ قـلـبٍ ... وهَـيْـهَـاتَ الـسَّـبـيـلُ إلـى الـسُّـكـونِ[2]
أبَـعْـدَ الـطَّـيِّـبِـيـنَ يَـطِـيـبُ أُنْـسٌ ... وطـيـبُ الـقـومِ فـي خُـلُـقٍ ودِيـنِ
أبَـعْـدَ تَـهَـدُّمِ الأكْـنـافِ مـنـهُـم ... تَـظَـلُّ الـنـاسُ كـانِـفَـةً بِـلِـيـنِ
أبَـعْـدَ أُفُـولِ أقـمَـارِ الـمَـعـالـي ... أُلامُ عـلـى الـنِّـيَـاحَـةِ[3] والـحَـنـيـنِ
حَـيِـيـتُ بِـهِـم عـلـى عِـلْـقٍ[4] ثَـمـيـنٍ ... فـمـن لـي الـيـوم بـالـعِـلْـقِ الـثـمـيـنِ

---

(١) الشّطر الأوّل تضمينٌ من مُعلَّقة عمرو بن كلثوم، والشطر الثاني توسيعٌ وتنويعٌ على الشطر الثاني من بيت المُعلّقة المُضمَّن: صَبَنْتِ الكأسَ عنا أمَّ عَمْرٍو | وكانَ الكأسُ مَجْرَاها اليَمينُ.

(٢) هذا البيت تتِمّة وجوابٌ على تساؤله في البيت السّابق له.

(٣) النّياحَة: العويلُ بُكاءً على الفقيد.

(٤) العِلْق: النَّفيسُ من كل شيء تتعلَّقُ به القُلوب.

هُمُ ضَمِنوا بكَشْفِ الكَرْبِ عنا فقد أخْنَتْ شَعُوبُ على الضَّمِينِ
هُمُ كانوا لنا بلداً أميناً فَوَاحَرَبا على البلد الأمينِ
هُمُ كانوا السَّما سَقياً وَرَعْياً فأَقْلَعَتِ السَّمَاءُ عن القَطِينِ
هُمُ كانوا رِياضاً سابغاتٍ بما ترجوهُ ناضِرَةَ الغُصُونِ
طوى خضَرَاتِهِم إعصارُ هَلْكٍ سِوى الآثارِ كالوَرَقِ اللَّجِينِ[1]
رُمِيتُ بفَقدِهِم فأذودُ عنِّي حَريقاً ليسَ يُطفى مِن شُجُوني
لَوَاعِجُ لا يُهَدِّئُها التأسِّي ولا يُطْفأنَ مِن سَحِّ الشُّؤونِ
ولو زُمْحاً شُكِكْتُ به ولكنْ تَوارَدَتِ الأسِنَّةُ كالشُّطُونِ
فما بَرِحَتْ هُمومٌ من فؤادي ولم نُزهَقْ بمُرتَقِبٍ شَفُونِ[2]
أُكَفْكِفُ عَبْرَةً في جَنْبِ أخرى وذلك دِينُها أبداً ودِيني
وما هذي الصُّدُورُ بشالِجاتٍ على مَضَضِ الفِراقِ مِنَ الضَّنِينِ
وما في المَوتِ رَافِئَةٌ لِوَهْنٍ ولا بُقيا على طَرْفٍ سَخِينِ
فما تُبقِي على حِصْنٍ مَشِيدٍ ولا تنجُو بناجِيَةٍ أَمُونِ[3]
نُصَبِّرُ هذه الألبابَ حتى تلاشَتْ بالتَّأوهِ والأنينِ
وما كَرَمُ العَزاءِ بمُستطيرٍ لهَمِّ الصَّدرِ أو هَمَلِ العُيونِ
ولكنْ حَيثُ لا طَمَعٌ لِرَدٍّ فحُسنُ الصَّبرِ مُرتَبَعُ الحَزينِ
ألا يكفي المَنونَ الجَذُّ فينا فما أبقَتْ على حَبلٍ مَتينِ
لقد أزمَتْ على طَوْدٍ مَكِينٍ فكانت نَقْلَةُ الطَّوْدِ المَكِينِ
أبيِّ الضَّيمِ مِصباحِ الدَّياجي كريمِ الخِيمِ وَهَّابِ المِئينِ[4]

(١) الوَرَق اللَّجِين: أوراق الأشجار وقد خُبِطَت وخُلِطت بدقيقٍ أو شعيرٍ لتعلِفها الإبل - وهو، هنا، يُشبّه آثارَهم لشدة اندثارها بذلك الخليط بعد زوالِ خضَراتهم ومُدُنهم.
(٢) الشَّافِنُ والشَّفون: الناظرُ بمُؤخر عينه كارهاً أو ساخراً.
(٣) الأمُون: المطيّة المأمونة لا تَعثُر ولا تفتر؛ جمعها: أُمُن.
(٤) الخيم: الأصل والسّجية.

عَريضِ الجاهِ مُبْيَضِّ الأيادي   رَحيبِ الصَّدْرِ وَضّاحِ الجَبينِ
مُحيطِ العِلمِ مِفصَالِ القضايا   عَميدِ الفضلِ ذي الشَّرَفِ الرَّصينِ
جَسيمِ المَكْرُماتِ لِرَاحَتَيْهِ   سَخاءُ المُزْنِ بالوَبْلِ الهَتونِ
عَشِيَّةَ «سَالِمٌ»[١] أمسَى دَفيناً   وكُلُّ الخَيرِ في كَفَنِ الدَّفينِ
فَدَيْتُكَ يا ابنَ أحمَدَ قد رُزِئنا   بيومِ نَوَاكَ بالحِصْنِ الحَصِينِ
فلا تَبْعُدْ وهَيهاتَ التَّداني   بِمَنْ شَطَّتْ بهِ رِيَبُ المَنونِ
صَحِبْتُكَ أيها الدُّرُّ المُصفَّى   فكانت صُحْبَةَ الحُرِّ الرَّزينِ
وكنتَ الرُّكْنَ لي إذْ عَزَّ رُكْني   وقَدْ قَدَّ السَّلا رَأسَ الجَنينِ
وكنتَ العَوْذَ في خيرٍ وشَرٍّ   نَزيلُ حِماكَ في عِزٍّ مَكينِ
وكنتَ العَونَ في يُسْرٍ وعُسْرٍ   فَدَيْتُكَ مِنْ أخي ثِقَةٍ ودِينِ
ودَاهِيَةٍ أخو حِقْدٍ رَمَاها   نَصَبْتَ لها جَبينَكَ عن جَبيني[٢]
وصِرْتُ إليكَ أنسَبَ من نَسيبٍ   وصِرْتُ عليكَ أكْرَمَ من خَدينِ
تَهُونُ عليكَ نفسُكَ في احتِرَامِي   وأنتَ أعَزُّ من لَيثِ العَرينِ
وأعْدَاءٍ أرادوا حَذْفَ جَاهي   كَسَرْتَهُمُ بآلاتِ السُّكونِ
فلم تَحْذَرْ لهُم بَرْقاً ورَعْداً   وما شأنُ الذُّبَابَةِ والطَّنينِ
فكنتَ ليَ الحُسامَ إذا اشْرَأبُّوا   وكنتَ الدِّرْعَ للشَّبَواتِ[٣] دُوني
وكنتَ الحامِلَ الثِّقْلَ المُعابي   إذا رَسَتِ الفَوادِحُ كالرُّعُونِ
خَفَضتَ ليَ الجَناحَ وكُنتَ رِدْءاً   ولم تَحْفِلْ بِغَثٍّ أو سَمِينِ
فقد أمْسَيتَ في جَدَثٍ مَريعٍ   وتَضْحَى للمُذَغْذِعَةِ[٤] الحَنونِ

---

(١) المَرْثِي: سالم بن أحمد الرِّيامي.
(٢) ملحوظة: واضحٌ من هذا البيت والأبيات التي تليه أنَّ المَرْثِي؛ قاضي الجزيرة الخضراء في أفريقيا قد وقف إلى جانب الشاعر حين كِيدَت له المكائد ممَّن أرادوا «حذفَ جاهِه»، كما سيتضِح في بيتٍ لاحق.
(٣) جمعُ شَبْوَة، وهي حدُّ السَّيف.
(٤) يُقال: ذَغْذَعَهُم الدَّهرُ وذَغْذَعَتهم النوائب ـ أي: فرَّقتهم.

وإن ضَـرِيـحَـةٌ ضَـمَّـتـكَ فـازَتْ ... بـبَـحْـرٍ لـيـسَ يُـنـزَفُ بـالـعُـيـونِ
بَـقـاؤكَ لـلـمَـعـارفِ والـمَـعـالـي ... بَـقـاءُ الـبَـدرِ فـي سُـدَفِ الـدُّجُـونِ
وفَـقـدُكَ لاقـتِـرابِ الـحَـشْـرِ نَـوعٌ ... مِـنَ الأشْـرَاطِ فـي أخـرى الـقُـرُونِ
وأربـابُ الـكَـمـالِ إذا تـوَلَّوا ... تـوَلَّى الـخـيـرُ فـي دُنـيـا ودِيـنِ
أبَـعـدَكُـمُ رجـالَ الـديـنِ يُـرْجَـى ... صَـلاحُ الأرضِ أو جَـبْـرُ الـوَهِـيـنِ
فـلا تـذهَـبْ فَـدَيـتُـكَ مـن خـلـيـلٍ ... وإنْ أبْـقَـيـتَ لـلـحَـمـدِ الـثَّـمِـيـنِ
أتـمـضـي والـزمـانُ عـلـى شُـحُـوبٍ ... وكـان لـديـكَ فـي خِـصْـبٍ ولِـيـنِ
أتـمـضـي والـمَـشـاكِـلُ نـاصِـبـاتٌ ... أكـنـتَ قـد اعـتـمـدتَ عـلـى ضَـمِـيـنِ
فَـلا ـ وَأبِـيـكَ ـ مَـا بـالـدّارِ خِـلٌّ ... وقـد عَـصَـفـتْ شَـعُـوبُ عـلـى الـقَـطِـيـنِ
مـتـى الـلـقْـيـا أبـا الـوَضّـاحِ بَـيـنِـي ... وبَـيـنَـكَ بـعـد رِحْـلَـتِـكَ الـحَـجُـونِ
وهـيـهـاتَ الـلـقـاءُ وأنـتَ رَهْـنٌ ... لـرَمْـسٍ هَـمُّـهُ حَـبْـسُ الـرَّهِـيـنِ
لـقـد خَـلَّـفـتَ ذا قـلـبٍ طَـعِـيـنٍ ... بـفـقْـدِكَ، هَـلْ رثَـيـتَ لـذا الـطَّـعِـيـنِ
أُجـالِـدُ بَـيـنَ جَـانِـحَـتـيَّ نـاراً ... يَـؤوسَـاً مِـن هُـدُوءٍ أو هُـدُونِ
ومـا جَـلَـدٌ عـلـيـكَ بـمُـسْـتَـطـاعٍ ... ولـكـنْ بَـعـضُ رُشْـدٍ لـلـحَـزِيـنِ
إذا اسْـتَـبـصَـرْتَ عـن جَـلَـدٍ وصَـبْـرٍ ... تـلاشـى الـصَّـبـرُ فـي وَهَـجِ الـشُّـجُـونِ
مـتـى تـرجـو الـحَـيـاةُ رَخـاءَ بَـالٍ ... وقـد زُرِعَـتْ لـتُـحْـصَـدَ بـالـمَـنـونِ
حَـمِـيـدَ الـذِّكْـرِ هـل غـادَرْتَ نـفْـسـاً ... تُـطـيـقُ الـصَّـبـرَ أو بُـخْـلَ الـعُـيـونِ
ومـا عَـن دَعـوةِ الـرَّحـمـنِ وَاقٍ ... فَـدَيـتُـكَ، لا أقِـيـكَ ولا تَـقِـيـنِـي
ولـكِـنْ لَوْعَـةُ الـتَّـذكـارِ شَـبَّـتْ ... فَـطَـيَّـرَتِ الـتَّـشـبُّـثَ فـي الـرَّزِيـنِ
وفَـرْضُ الـصَّـبـرِ مَـرْجُـوعٌ إلـيـهِ ... وحَـسْـبُ الـمَـرءِ مـن حَـبـلٍ مَـتـيـنِ
ومـا يُـقـضَـى بـإيـجـابٍ وسَـلْـبٍ ... يـكُـونُ ـ ولا مَـحِـيـصَ ـ لِمُـسْـتـكِـيـنِ
صَـبَـرْنـا أم جَـزَعْـنـا سَـوفَ يَـجْـرِي ... قَـضَـاءُ اللهِ بـالـحَـقِّ الـيَـقـيـنِ
أبـا الـوَضّـاحِ هِـيـضَ جَـنـاحُ صَـبـري ... وقَـلَّـتِ الـرَّزِيَّـةُ مِـن مُـتـونـي
فَـبِـتُّ مـن الـهُـمـومِ عـلـى الـمَـكَـاوِي ... أُرادِفُ عَـبْـرَةَ الـقَـرْبِ الـشَّـنِـيـنِ

وكيف وبَينَ أحشائي أُوارٌ … تُصاعِدُهُ عَنِ الجَمْرِ الطَّبِينِ

أرى «صَنْعَاءَ»[1] كاسِفةَ النَّواحِي … وكانتْ مِنكَ زاهِرَةَ الجَبِينِ

حِدَادَكِ أيُّها الشكلى مَلِيّاً … ونَوْحَكِ نَوحَ وَرْقاءِ الغُصونِ

فقد أضناكِ يا خَنساءُ[2] حُزْنٌ … وعندي ما لديكِ فأسْعِدِيني

فما حَرمَ الصّدارُ عليك صَنْعَا … وصَدْرُكِ قد تَفَضْفَضَ بالشُّجُونِ

فكم قَلَّدْتِ يا صَنعا البَرَايا … صَنائِعَ مِنهُ كالدُّرِّ الكَنِينِ[3]

ومَسْجِدُكِ المُنَوَّرُ إذ تَعَرَّى … من التَّسْبيحِ والذِّكْرِ المُبِينِ

بَكَى مِحْرَابُهُ القَوَّامَ فيهِ … إذا جَالَ الكَرَى بينَ الجُفونِ

وحُقَّ لهُ البُكاءُ وقد تَرَدَّى … بأزْدِيةٍ عَقِيبَ النُّورِ جُونِ[4]

ويا أسفارَهُ[5] نُوحِي عَليهِ … وقَرِّي للبِلَى وَسْطَ الخَزِينِ

«بيانَ الشَّرْعِ» هل لكَ من بَيانٍ … «بيانَ الشَّرعِ» هل لكَ من قرينِ

ويا «تمهيدَ» سَيِّدِنا الخَلِيلي … تَمَهَّدْ أن تعيشَ بلا خَدِينِ

فإنَّ العَالِمَ المِقْبَاسَ أضحَى … لَحِيداً بينَ أحْجارٍ وَطِينِ

لقد أضحَتْ مَرابِعُهُ يَبَاباً … لِنَوحِ البُومِ مِن بَعدِ القَطِينِ

كأنْ لَم تَغْنَ بالأحكامِ يوماً … بِشَرْعِ المُصطفى البَرِّ الأمِينِ

كأنْ لم تَغْنَ بالكافي المُوفِّي … مَوازِينَ النَّدَى فوقَ الظُّنُونِ

أبا الوَضَّاحِ إنْ لاقيتَ حَتْفاً … فإنَّ المَرْءَ مَجْراهُ لِحِينِ

عليكَ الرَّحْمَةُ العُظمى اسْتَهَلَّتْ … مُسَرْمَدَةً بِصَيِّبِها الهَتُونِ

---

(١) صَنْعَاء: اسم مزرعة المرثي الشيخ سالم بن أحمد الريامي في الجزيرة الخضراء من أعمال زنجبار، وما بين رابط بالعاصمة اليمنيّة.

(٢) يجترح الشاعرُ وَشيجة بين حُزنِ الخنساء على أخويها صَخر ومعاوية وحُزن مزرعة صنعاء على صاحبها الفقيد.

(٣) الكَنين: المَكْنون.

(٤) أزدِيَةٌ جُون: سَوداء.

(٥) أسفارُه: كُتبُه ـ ومِنها (كما سيرد في البيتين اللاحِقين) كتاب «بَيان الشَّرع» للشيخ محمد بن إبراهيم الكندي، وكتاب «تمهيد قواعد الإيمان» للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي.

خذوا بجَميل الصَّبر(*)

خُذُوا بِجَمِيلِ الصَّبْرِ وارضَوا وسَلِّمُوا ... فإنَّ فَناءَ العَالَمِينَ مُحَتَّمُ

رِضاً بقضاءِ اللهِ إنَّ حَياتَنا ... على السُّخطِ مِنَّا والرِّضَا تَتصَرَّمُ

وإن حَياةً تقتضيها مَنِيَّةٌ ... رُكُونٌ إليها غَفْلَةٌ وَتَوَهُّمُ

ألَهْواً ومَخْبوءُ المَنايا حَبائِلٌ ... وأرواحُنا فيها وُقوعٌ وَحُوَّمُ

تَناهَشُنا الآجَالُ لا نَرْعَوي لها ... وتَخْبِطُنا البأسَاءُ فيها ونَنْعَمُ

سُكُوناً إليها والمَقابرُ تمتلي ... وتَخْلُو بيوتُ الرَّاحِلينَ وتُهْدَمُ

نَمُرُّ على الأحداثِ والقومُ في الثَّرى ... هُمُوداً؛ فيا أحْبَابَنا كَيفَ أنْتُمُ؟

وهَيهاتَ مَا عِندَ القَطِينِ إبانَةٌ ... سِوى أنَّهُم صَاروا عِظاماً تَهَشَّمُ

ثَوَوا لا يَمَلُّ الدُّودُ طُولَ ثَوائِهِم ... ومَلَّهُم الأهلُونَ سَاعَةَ أسْلَمُوا

تَسَاوَى مُلُوكُ الأرضِ في مَضْجَعِ البِلَى ... وغَيرُهُمُ؛ ما ثَمَّ أدنى وأعْظَمُ

سَيَرْجِعُ رَبُّ التَّاجِ في الرَّمْسِ جِيفَةً ... وإن عَاشَ كِبْراً أنْفُهُ يَتَوَرَّمُ

تَبَاذَخَ مَغبُوطاً على عَرْشِ عِزِّهِ ... وعمّا قليلٍ سَوفَ يَعْلُوهُ مَنْسِمُ

تُطِيرُ السَّوافي الرَّائحاتُ رُفاتَهُ ... على عَرْشِهِ مِنهُ غُبارٌ مُقتَّمُ

وما امْتازَ مَنْ أضحى رُفاتاً مُفتتاً ... مَليكٌ يُحَيَّا أو حِمَارٌ يُكَدَّمُ

أتختلبُ الأطْماعُ عُقبى كهذه؟ ... ويا رَبِّ سَلِّمْ، بَعْدَهُ الخَطْبُ أجْسَمُ

(*) العُنوان من اختيارنا ـ والقصيدة كُتبت في في رثاء الشيخ الفقيه راشد بن سليم الغيثي، وهو أحد رجالات الإصلاح في زنجبار، كما كان ملجأ لليتامى والضعفاء.

يَـمُـرُّ بـنـا رَكْـبٌ ويَـتـلُوهُ غَـيْـرُهُ ... ويَسْبقُهُ رَكْبٌ وفي الأرضِ أُقْحِمُوا
تَـنـعَّـمَ فـي مِـيـراثِـهِـم غيـرُ كـاسِـبٍ ... وعَـمّـا قـلـيـلٍ يُـقْـعَـصُ الـمُـتَـنـعِّـمُ
أيَنْسى بَنُو الدُّنيا مَصارِعَ أهْلِها ... وفـي كُـلِّ قـلـبٍ لـلـمَـنـيَّـةِ مَـيْـسِـمُ
بَـنُـونَ وآبَـاءٌ لـدَيـنـا أعِـزَّةٌ ... نَـدُسُّـهُـمُ فـي الأرضِ لا نَـتَـحَـرَّمُ
كـأنّـا لـهـذي الأرضِ دَيْـنٌ ودَأبُـهـا ... غَـرِيـمٌ عـلـى كَـثْـرِ الـوَفـا يَـتـظـلَّـمُ
تـضَـلَّـعَـتِ الأرْمَاسُ من أكْلِ لَحْمِنا ... وما بَرِحَتْ غَرْثَى إلى اللحْمِ تَقرِمُ
ومـا هـذه الأرواحُ إلا وَدَائِعٌ ... سيأخذها مُسْتَوْدِعٌ ليسَ يَظْلِمُ
وقـد أنْـذَرَتْـنـا صَـرْعَـةٌ بـعـد صَـرْعَـةٍ ... وَفَـقْـدُ أخِـيـرٍ قَـبْـلَـهُ مُـتَـقَـدِّمُ
تَـدَافَـعُـنـا الآمـالُ فـيـهـا كـأنَّـنـا ... هَـبَـاءٌ عـلـيـهِ عَـاصِـفُ الـرِّيـحِ يَـحْـكُـمُ
ألا نـرْعَـوي والـنَّـابُ يَـضْـرِفُ فـوقـنـا ... فـهـذا عـلـى خَـوفٍ وذلـك يُـقْـصَـمُ
كـأنَّ الـمَـنـايـا حَـسْـبُـهـا مَـن تَـصَـرَّفَـتْ ... بـهِـم، وكَـأنَّ الـظُّـفْـرَ مِـنـهـا مُـقَـلَّـمُ
وليست، لعَمرُ اللهِ، عِندَ حُدُودِها ... بـتـارِكَـةٍ عَـيْـشـاً ولا يَـتَـصَـرَّمُ
تُـرَى أيَّ صَـفْـوٍ لـم يُـكَـدِّرْهُ صَـرْفُـهـا ... وأيَّ شـرابٍ لـم يُـمـازِجْـهُ عَـلْـقَـمُ
أَنُـلْـزِمُـهـا الـبُـقـيـا وتـلـكَ قـضِـيَّـةٌ ... على الرغم منها حُكْمُها ليسَ يَلزمُ
ونَـفـلَـتُ مِـنـهـا والـحَـيـاةُ سَـفِـيـنَـةٌ ... مُـخـرَّقَـةُ الألـواحِ بـالـمَـوجِ تُـحْـطَـمُ
تُـمَـزِّقُـنـا الـغـاراتُ مِـن أمِّ قَـشْـعَـمٍ ... وما حَدَثٌ تُبقِي عليهِ وَقَشْعَمُ[1]
متى تَفرُغُ الآذانُ من صَوتِ نائحٍ ... وقَعْقَعَةٌ تحتَ التَّرَاقِي[2] تُهَمْهِمُ
ويَـنـشَـفُ دَمْـعٌ مـن سَـوافِـحِ دَمْـعِـهِ ... ويَـبـرُدُ قـلـبٌ بـالأسَـى يَـتَـضَـرَّمُ
مَتى تَحشُرُ الأكتافُ من نَعْشِ هَالِكٍ ... رَوَاحِـلُ مِـن أثـقـالِـهـا لـيـسَ تَـرزُمُ
قَـوافِـلُ تَـمْـتـارُ الـنُّـفـوسَ إلـى الـفـلا ... ألا هـذه الأبـشـارُ لـلأرضِ مَـطْـعَـمُ
أَرُونِي خِيامَ الحَيِّ من حيث طَنَّبَتْ ... ألـيـسَ ضَـمـيـرَ الأرضِ ذاكَ الـمُـخَـيِّـمُ

(١) أم قشعم: اسم علَم على الدنيا.
(٢) الترقوة: عظمة الجزء الأمامي من الكتف، وجمعها تراقي.

ولسنا تأخَّرنا مُعافِينَ بَعدَهُم ... ولكنهُ عُمرٌ مَداهُ يُتَمَّمُ

تَوَفَّتهُمُ آجالُهُم وبإثْرِهِم ... نَسيرُ إلى حيثُ استقرُّوا سَنَقدُمُ

أخو الحَزمِ مَن لا يَستقِرُّ إلى الهَوى ... ومَن نَصَبَ العُقبى لعَيْنَيهِ أحْزَمُ

وما نَضْرَةُ الدُّنيا تَرُوقُ لِكَيِّسٍ ... ونَحنُ نَراها بالبِلَى تتخَرَّمُ

يُسالِمُها المَغرورُ مِنها بزُخْرُفٍ ... وهَيهاتَ لمْ تَسْلَمْ ولا هُوَ يَسْلَمُ

ومِنْ عَجَبٍ بَرْدُ الصُّدُورِ وَدَاعَةً ... وقد أيقَنَتْ أنَّ المَنيَّةَ تَهْجُمُ

لِكُلٍّ نَدِيمٍ بالتَّفرُّقِ مَوعِدٌ ... وللحَتفِ رُمْحٌ في الصُّدُورِ مُقوَّمُ

ولو أنَّ نَفساً وَادَعَتْها مَنونُها ... ولكنَّهُ لا زَرْعَ إلا سَيُصْرَمُ

لقد أنذرَ الدَّاعِي رَصِيداً مُشَوَّكاً ... ونَحنُ كأنّا بالنَّذارَةِ نَحْلُمُ

حَذارِ بَياتاً أيُّها النّاسُ إننا ... على شِدَّةِ الإيقانِ بالخَوفِ نُوَّمُ

ولو لم يَكُنْ غيرَ النَّوادِبِ مُؤلِماً ... على مُيتِمِي أطفالِها تتألَّمُ

ولا نفسَ إلّا تنطَوي فوقَ حَسْرَةٍ ... ولا قلبَ إلّا بانفِطارٍ مُسَمَّمُ

ولا جَفْلَ ذو لُبٍّ إلى جَنبِ رُشْدِهِ ... وتارِكُ دَارٍ بالمَعَاوِلِ تُهْدَمُ

نُعَنَّى بها لا تعترينا سَآمَةٌ ... وعامِلُها من فتكِها ليسَ يَسأمُ

أعِندَ رجالِ الاستقامَةِ أنَّهُم ... أُصِيبُوا بقُطْبِ المُسْلِمينَ وأُيْتِمُوا

وإنْ قَصَمَتْ ظَهْرَ المَكارِمِ نَكْبَةٌ ... سَيَمْضِي عليها الدَّهرُ تفرِي وتَفْصِمُ

وما يومُها الآتي بها رَدَّ مَأتماً ... ولكنَّ ما يأتي مِن الدَّهرِ مَأتمُ

غَدَاةَ نَعَى النَّاعِي إلى النَّاسِ «رَاشِداً»[1] ... أحقاً نَعَيتَ الفَضْلَ أمْ تَتوهَّمُ

نَعَمْ رَاعَني نَدْبُ السَّماءِ وأهلِها ... وأركانُ عَرْشِ المَجْدِ إذ تَتَحطَّمُ

وضَجَّةُ بَيتِ الفضلِ إذْ خَرَّ سَقْفُهُ ... وَهَدَّةُ طَوْدِ الجُودِ إذ يَتَهَدَّمُ

صَبَاحُكَ يا ناعِي المُرَزَّءِ سَيِّئٌ ... ويَومُكَ مَنحُوسٌ وطَيرُكَ أشأمُ

بَعثتَ إلى الألبابِ حُزناً مُؤبداً ... وأوقدتَ ناراً دأبُها تتضَرَّمُ

---

(١) راشِد: اسم المَرْثِيّ.

أحقاً عَمِيدُ الدِّينِ لاقى حِمَامَهُ فإنّي أرى نَفْسَ الهُدى تَتَلَدَّمُ(١)

أحقاً عِمادُ الاستقامَةِ أصْبَحَتْ به أعْوَجِيَّاتٌ من البَيْنِ تُرْسَمُ

أحقاً مَلاكُ الفضلِ أوْدَى فتِلْكُمُ يَمِينُ الجَدَا شَلّاءُ والكَفُّ أَجْذَمُ

أحقاً مَنارُ العِلم أسْقَطَهُ الرَّدى كأنَّ سُقوطَ العِلمِ للحَتْفِ مَغْنَمُ

أحقاً إمامُ الزُّهْدِ عارَضَهُ الفنا فهل أنْفُ دُنيانا من الزُّهْدِ يُرْغَمُ

أحقاً سَحابُ البِرِّ أقْلَعَ نَوْؤُهُ فهل يَتأتَّى بَعْدُ للبِرِّ مَوْسِمُ

أحقاً جَمِيلُ الصُّنعِ كُفَّتْ يَمِينُهُ وكانَتْ هي الطُّولى تَبَرُّ وتُنعِمُ

أحقاً بهاتيكَ المَعاهِدِ غُمَّةٌ من الحُزنِ إذ واراهُ لَحْدٌ مُغَمَّمُ

فوا حَرَبَا والحُزنُ يَسْفحُ عَبْرَتي قضى نخبَةُ البَرُّ الكريمُ المُعظَّمُ

تقضَّتْ بهِ أيامُهُ البِيضُ كُلُّها أياديهِ أمطارٌ ونادِيهِ مَعْلَمُ

تقضَّتْ به أيامُهُ مِنْ جَمالِها تَنَوَّرَ مِنها نَيِّرٌ مُتَجَسِّمُ

وما المَرءُ إلا راكبٌ يَطلُبُ المَدى ولا بُدَّ يَوماً عُمْرُهُ يَتَجَرَّمُ

رُوَيْداً لقد آنسْتُ في الأرضِ رَجْفَةً تُرَى أنَّ قلبَ الأرضِ كالنَّاسِ يَألَمُ؟

عَزاءً رِجالَ الاستقامَةِ إنَّها مُصيبَةُ دِينٍ ما بَقى الدَّهرُ تَعْظُمُ

فكُلُّ سُرورٍ إذ ألمَّتْ مَساءَةٌ وكُلُّ حَميدِ العَيشِ عَيشٌ مُذمَّمُ

فيا ثُلْمَةً للدِّينِ والفضلِ مالَها سَدَادٌ ولا إذ يَقدُمُ الدَّهرُ تَقدُمُ

حَنانيكَ للأبرارِ يا مَوتُ بُرْهَةً وهَيهاتَ ليست قسْوَةُ الموتِ تَرْحَمُ

تُسارِعُ في الأخيارِ تمحُو وُجُودَهُم ويا ليتَ ما تمحُوهُ بالمِثْلِ يُرْقَمُ

عنِ التَّلْفِ لم تُقلِعْ، وما أنتَ مُتلِفٌ وإنْ عَزَّ رَهْنٌ فائتٌ ليسَ يُغرَمُ

وما مَعْتَبُ المَفجُوعِ مِنكَ بنافِعٍ لأنتَ قَضاءٌ صَبَّهُ اللهُ مُبْرَمُ

قضى اللهُ أنَّ الحَيَّ يَجري لِغايَةٍ فما ثَمَّ تأخيرٌ ولا مُتَقَدَّمُ

مَتى يُدرِك الأغتابَ مُسْتَعْتِبُ الرَّدى لهُ عَزْمَةٌ صِدْقٌ ورأيٌ مُصَمَّمُ

(١) تلدَّم الثوب: أَخْلَقَ؛ أي صار بالياً وحان له أن يُرقع.

مُكِرٌّ هَمُوزُ النَّابِ ما طاشَ سَهْمُهُ ... ولا هو في كَرَّاتِهِ مُتَلَعْثِمُ
تَقادمَ عَهدٌ بالمَنونِ وفِعلِها ... وجَاسَتْ خلالَ الدارِ تَذرُو وتَهْشِمُ
إذا أرْسَلَتْ سَهماً لتقصِدَ مَقتلاً ... تَلَتهُ إلى المَرْمَاةِ بالرَّغمِ أسْهُمُ
تَخلَّفَ دَغشُ الحَيِّ عَنهُم فأخْلَدُوا ... لِغبْرَاءَ يَغلُوهُم صَفيحٌ مُرَدَّمُ
وليسَ بنا في المَوتِ صَرْخةُ ثاكِلٍ ... وقلبُ يَتيمٍ بالأسَى يَتجَرَّمُ
ولو كان يُجدِي هالكاً نَدْبُ فاقِدٍ ... لسَالَ مَكانَ الدَّمعِ مِن غَرْبِهِ[1] الدَّمُ
طَحى حَدَثانِ الدَّهرِ للفضلِ هَضْبَةً ... وكانت بها هُضْبُ المَكارِمِ تُدْعَمُ
لكَ اللهُ رَيْبَ الدَّهرِ يشتنزفُ البَقا ... فلا نفسَ إلا بالفناءُ سَتُرْجَمُ
ولا غَرْوَ أن تستنزِفَ الصَّبرَ نَكْبَةٌ ... ويَقصُرَ مِنْ تَطْرَاقِها المُتَعَزِّمُ
غداةَ تداعى الطَّودُ في سُمْكِ مَجدِهِ ... وطارَتْ به حَذباءُ عوجاءُ صَيْلَمُ[2]
تَهَادَتهُ أكتافُ الرجالِ ولو دَرُوا ... لَكان حَقيقاً أنْ تَهادَاهُ أنْجُمُ
إلى حُفرَةٍ ضمَّتْ من الجُودِ بَحرَهُ ... رُويداً هُوَ البَحْرُ المُحيطُ يُدَمْدِمُ
فما عَجَبٌ أن تُحبَسَ الشَّمسُ في الثرى ... فتَعْتَقِبُ الأيامُ والجَوُّ مُظْلِمُ
هُناكَ اقشَعَرَّ الرَّوضُ واغْبَرَّ جِلْدُهُ ... وذلكَ رَوضُ النِّعْمَةِ المُتَسَوَّمُ
مَدى الدهرِ لا يَنفكُّ حُزنٌ مُبرِّحٌ ... عَليكَ وتَسْكابٌ مِن الدمعِ مُسْجِمُ[3]
مَآلَ اليَتامَى في المُلمّاتِ من تُرَى ... تَرَكْتَ لَهُم إذ أزْمَةُ الدَّهرِ تَأْزَمُ
فَدَيْنَاكَ بالأرواحِ ضاعَتْ حَفائِظٌ ... تحَفَّى بها مَعروفُكَ المُتنسَّمُ
تَرَدَّى بُغاةُ الخَيرِ بَعدكَ بالأسَى ... فواجِدُهُم من بَعدِ فقدِكَ مُعْدَمُ
وما دفنوا نفسَ امْرِئٍ مِنكَ وَحْدَها ... ولكنْ نُفوسٌ في ضَرِيحِكَ تُرْدَمُ
وكنتَ الجَنابَ المُسْتَرَادَ لمُسْنِتٍ[4] ... ورَوضُكَ مُخْضَرٌّ وبَحرُكَ خَضْرَمُ

---

(١) غَرْبُ الدمع: مَسِيلُهُ على الخدّ.
(٢) الصَّيلَم: الداهية تستأصل ما تُصيب.
(٣) مُسْجِم: مُنهَمِر.
(٤) مُسْنِت: مُحتاج.

فجَفَّ نَضيرُ الرَّوضِ وازبَدَّ جَوُّهُ ... وغاضَتْ بُحورٌ طامِياتٌ غَطَمْطَمُ
وقد كنتَ دِرْءاً للحوادثِ مَوئلًا ... إذا جاشَ منها الكارِثُ المُتجَهِّمُ
وكنتَ لِحاجاتِ المَساكينِ رُكْنَها ... فمَن لهُمو والرُّكْنُ عَنهُم مُهَدَّمُ
وكنتَ مع الأكدارِ صَفواً مُهَنَّئاً ... رُوَاؤكَ مَمدُودٌ وكأسُكَ مُفعَمُ
وما ضاعتِ الآمالُ عِندَكَ والذي ... نَوَيْتَ ولَمْ يُقْدَرْ مِن الخَيرِ أعظَمُ
كأنَّ الوَرَى الأرحامَ لستَ تُضِيعُها ... على أُسْوَةٍ في الوَصْلِ بَرٌّ ومُجرِمُ
يَعيشُ بكَ الهُلّاكُ بين فَواضِلٍ ... دَقائِقُها مِنْ أكْرَمِ الفضْلِ أكْرَمُ
غزيرُ مَجارِي الماءِ، لا مِنْ غَزارَةٍ ... مِنَ المَالِ لكنْ بَحْرُ جُودٍ قُلَيْذَمُ(1)
يَمُرُّ عليكَ الدَّهرُ والدهرُ عابسٌ ... وفضلُكَ فيه أزْهَرُ الوَجْهِ مُبْسَمُ
وكنتَ كفيلَ الحَق حِصناً لأهله ... هُمُومُكَ فيه والأهَمُّ المُقدَّمُ
فِدىً لكَ نفسِي إذ تَجُودُ بمُهْجَةٍ ... إلى يَدِ خَيرِ الرَّاحِمينَ تُسَلَّمُ
حَييتَ على الحُسنى ثمانين حَجَّةً ... رياضاً نَضِيراتٍ جَناها التَّكَرُّمُ
فما بَرِحَ الإيمانُ فيها مُلازماً ... لِقَلْبِكَ والإحسانُ يَرْبُو ويَعْظُمُ
ولمّا دَعاكَ اللهُ لبَّيتَ أمرَهُ ... فأصْبَحتَ جارَ اللهِ والجَارُ يُكْرَمُ
وعَيشُكَ في الدنيا حَميداً مُسَدَّداً ... فَلُقِّيتَ عُمراً بالسعادة يُختَمُ
مَضيتَ وخَلَّفتَ الكآبَةَ والأسى ... مُجَدَّدَةً آثارُهُ ليسَ تُطْسَمُ
يَظَلُّ جَليدُ القلبِ مِنهُ مُوَلَّهاً ... بهِ ظاهرُ التَّأساءِ والحُزنُ مُبْهَمُ
لئِنْ هَدَمَتْ مَحياكَ قاصِمَةُ الرَّدى ... فمَجدُكَ يَبقى شامخاً لا يُهَدَّمُ
على سُورَةٍ في المَجدِ قَرَّ أساسُهُ ... لهُ شرَفٌ فوقَ السِّماكَينِ يَنجُمُ
فنيتَ وأبقيتَ المَحامِدَ أنجُماً ... لِسانُ ثَنائي عَنْ مَداهُنَّ مُفْحَمُ
تَبَدَّلتَ بالدنيا مَقاماً مُقدَّساً ... هنيئاً لكَ الحَظُّ الذي لا يُصَرَّمُ
تصاعَدْتَ بَينَ الحُلْوِ والمُرِّ جاهداً ... إلى اللهِ مِنْ آفاقِها تتَبَرَّمُ

(١) قُلَيْذَم: صافٍ.

هَنِيئتَ ولم نَهْنأ لِفَقدِكَ لَمْحَةً | على كُلِّ كَبْدٍ قُرْحَةٌ لا تُمَرْهَمُ
فيا ابنَ سُلَيمٍ إنْ تباعَدْتَ سَالِماً | فلا قلبَ من بَرْحِ عَقِيبَكَ يَسْلَمُ
تَرَكْتَ صُدُورَ الناسِ ترْمِي شَرَارَها | ألا كُلُّ نارٍ بالشَّرَارَةِ تَرْجُمُ
وليس «الغيُوث»[1] الصِّيدُ للحُزنِ وَحْدَهُم | ولكِنْ بهذا الكَونِ للحُزنِ مَنجَمُ
فقد كُنتَ غَوْثاً تُمطِرُ الكَونَ رَحْمَةً | بل الغوثُ في الأبْدَالِ بل أنت أقْدَمُ[2]
فيا سَيِّدَ الأبْدَالِ مَن أنتَ تارِكٌ | يُخلِّصُ مِنْ سُوءٍ ويُجزِي ويَرْحَمُ
مَتى تَطْرُقِ البَلوى تَصَدَّى لِكَبْحِها | أو اعْوَجَّ أمْرُ الناسِ فهو المُقَوِّمُ
لقد أوحَشَ الرَّبْعُ الأنيسُ وأصْبَحَتْ | مَعالِمُ أهلِ الحَقِّ لم يَبقَ مَعْلَمُ
فَوَاحَرَبَا قُطْبَ الكَمَالِ وَرَدْتَها | شَرِيعَةَ حَتفٍ عندها العُمْرُ يُحْسَمُ
وقفتَ عليها نيِّرَ الصُّحْفِ وافِراً | من الزَّادِ طُهْرَ العِرْضِ مِمَّا يُذَمَّمُ
فأقْدَمْتَ وَفداً في مَقامِ كَرَامَةٍ | تَرُوحُ وتغدو بالبشائر تَنْعَمُ
مَتى نَتعَزَّى مِنكَ أو يُقلِعُ البُكا | ورَمْسُكَ في وسْطِ القلوب مُخَيِّمُ
أبَعدَكَ شيخَ المُسلمين سُلُوُّنا | بشيءٍ وسُلوانُ العَزيزِ مُحَرَّمُ
كأنَّ شُواظاً في الجَوانِحِ ساطعاً | إذا قلتُ قد خَفَّ التَّوَقُّدُ يَحْجُمُ
فَدَيْتُكَ وَجهُ الدَّهرِ بالحُزنِ كاسِفٌ | وفي الوَجْهِ عَمَّا في الضَّمِيرِ مُترْجِمُ
لقد كُنتَ مِصباحَ الورى لرَشادِهِم | فقد طُفِيءَ المِصباحُ عنهُم فأظلَموا
فوا أسَفاهُ الأمس قد كُنتَ كَعْبَةً | يَمِينُكَ كالرُّكْنِ المُبارَكِ تُلْثَمُ
يَطوفُ بكَ العَافُونَ جَمٌّ رَجاؤُهُم | ونَادِيكَ مَسْعاهُم وجُودُكَ زَمْزَمُ
فأصْبَحتَ مَرْثِياً رَهِينَةَ حُفرَةٍ | عليكَ سَفِيُّ الرِّيحِ تمْحُو وَتَرْسُمُ
كفى حَزناً لولا التأسِّي بمَن مَضى | وما هُوَ آتٍ بالفَناءِ مُحَكَّمُ

(١) الغيُوث: هم قبيلة المَرْثِي راشد بن سليم الغيثي.
(٢) يشير إلى مقامات التصوف التي بلغ مراقيها المرثي؛ كالغوث (المشتق من قبيلته) والأبدال، وقد سبق لنا شرح بعض المصطلحات الصوفية في موضع آخر.

تَـفـرَّقَ عَـزمُ الـنـفـسِ عَـنْ كَـرَمِ الـعَـزا وأمْـثَـلُ أمْـرِنِـكَ الـتَّـعـزِّي وَأكْـرَمُ

إذا قـلـتُ إنِّـي أجْـمَـعُ الـصَّـبـرَ مُـجْـمَـلًا بَـدَا لـي جَـمـيـعُ الـصَّـبـرِ جَـمْـعٌ سَـيُـهْـزَمُ

عَـرَانـا مِـنَ الـدُّنـيـا خِـداعٌ مُـمَـاكِـرٌ فَـنـبـرَحُ فـي أنـقـاضِ مـا هِـيَ تَـهْـدِمُ

ومـا عَـزَبَـتْ عـن فـهْـمِـنـا نَـكَـبـاتُـهـا بَـلـى غَـطَّـتِ الأهـواءُ مـا نَـحـنُ نَـفـهَـمُ

وتُـوهِـمُـنـا الـبُـقـيـا بـصَـالِـحِ عَـيـشِـهـا وقـد طَـحَـنَ الأجـيـالَ هـذا الـتَّـوَهُّـمُ

مـتـى أظْـمَـأتـنـا أوْرَدَتـنـا سَـرَابَـهـا وإنْ كـانَ مَـاءً فـهـو وِرْدٌ مُـسَـمَّـمُ

عـلـى مِـثْـلِ هـذا الـفَـتْـكِ قَـرَّ قَـرارُنـا وألـبَـابُـنـا بـالـهَـتْـكِ والـهَـلْـكِ تَـحْـكُـمُ

وفـي مِـثْـلِ هـذا الـقُـبْـحِ نَـعْـشَـقُ وَجْـهَـهَـا فـكُـلٌّ بـمـا يَـهْـواهُ مِـنـهـا مُـتَـيَّـمُ

عـلـى أنَّـهـا إنْ أحْـسَـنـتْ قَـيْـدَ لَـمْـحَـةٍ سـتـأتـي بـأكْـدَارٍ لـذا الـعَـيـشِ تَـلْـهَـمُ(١)

حَـرَامٌ عـلـيـهـا صُـبْـحَـةٌ(٢) لا تَـخُـونُـهـا وحَـتْـمٌ عـلـيـهـا أنْ تـطـولَ فَـتَـهْـشِـمُ

تُـلاهِـي بـنـي الإنـسـانِ حـتـى تَـلُـمَّـهُـم إلـى حُـفْـرٍ لا يـتَّـقِـيـهـا الـتَّـحَـزُّمُ

يَـظُـنُّ غَـريـرُ الـنـفـسِ حَـقـاً غُـرورَهـا وسـوف يَـبِـيـنُ الـحَـقُّ سَـاعَـةَ يَـنْـدَمُ

ومـا أنـتـجَ اسْـتِـبْـصَـارُنـا غـيـرَ تـرْكِـهـا كـمـا يَـتـرُكُ الأخْـبَـاثَ مَـن يَـتَـكَـرَّمُ

تَـرَى حَـدَثـانِ الـدَّهـرِ تَـبْـلَـى صُـرُوفُـهُ ولـم يَـبْـلَ فـي الـدنـيـا فـصِـيـحٌ وأعْـجَـمُ

أبـا الـفـضْـلِ لا يَـنـسَـى لـكَ الـفـضْـلُ نِـعْـمَـةً خَـدَمْـتَ لـهُ فـالـيـومَ بـالـحَـمْـدِ تُـخْـدَمُ

عـلـى أسَـفٍ أرثـيـكَ والـدَّمـعُ هَـامِـلٌ وقـلـبـيَ مَـحـروقٌ وذِهْـنـي مُـكَـلَّـمُ

تـجَـسَّـمَ مـا تُـعْـطِـي مـن الـفـضـلِ جَـوهَـراً فـكُـلُّ رِثـائـي الـجَـوْهَـرُ الـمُـتَـجَـسِّـمُ

عَـسَـى جَـبْـرُ هـذا الـكَـسْـرِ فـي الـعَـقِـبِ الـذي تَـرَكْـتَ فـفـرْعُ الـمَـجـدِ يَـزكـو ويَـكْـرُمُ

وفـي الـخَـمْـسَـةِ الأقـمـارِ أنْـجَـالُـكَ انـتـهَـتْ ظُـنـونٌ حِـسـانٌ يَـقـتَـضِـيـهـا الـتَّـوسُّـمُ(٣)

---

(١) تَلْهَم: تأكُل.

(٢) الصُبْحَة: نَومَة الغدَاة ـ رُبَّما أراد الشاعرُ بذلك التأكيد على أن صروف الدُّنيا خؤون بطبيعتها حتى على وعدها بنومة غداة تُريحُ النفوس التي تنتظر مَناياها، وهناك من اعتقد أن المُراد: صُحْبَة لا تخونها.

(٣) يشير إلى أنجال المتوفى الخمسة ونجابتهم التي ورثوها عن أبيهم.

سَقَتْهُم أفاويقُ النَّجابَة فارْتَوَوا ... وَزانَتْهُمُ أعْرَاقُهُمْ حَيثُ يَمَّمُوا

رَمَى بهم القُرآنُ في بَحرِ نُورِهِ ... فكُلٌّ بآدابِ الكِتابِ مُسَوَّمُ

لَهُم دَرَجاتٌ في الجَميلِ رَفيعَةٌ ... وهذا بتوفيقٍ مِن الله يُقسَمُ

لَهُم عُنصُرٌ ما دَنَّسَتْهُ غَميضَةٌ[1] ... فأخلاقُهُم من ذلك الأصْلِ تَنْجُمُ

إذا طابَ أصْلٌ لازَمَ الطِّيبُ فَرْعَهُ ... ألم تَرَ أنَّ النَّدَّ[2] بالطِّيبِ يَنسُمُ

هنيئاً لكُم يا آلَ رَاشِدَ إنكُم ... شَرِبْتُم على مَحْضِ التُّقى وأكَلْتُمُ

لكُم أسْوَةٌ في فَضْلِكُم بأبيكُمُ ... بحَقٍّ عَلَيكُم حَيثُ أقدَمَ أقْدِمُوا

لهُم سُنَنٌ في الصَّالحينَ مُنيرَةٌ ... زَوَاكٍ مَتيناتُ العُرى ليسَ تُفْصَمُ

وما ماتَ مَن أبقى مِن الذِّكرِ مِثلَها ... فكونوا عليها بَارَكَ اللهُ فِيكُمُ

لَعَلَّكُمُ يا صَفوَةَ المَجْدِ بَعدَهُ ... لَهُ خَلَفٌ بالاستِقامَةِ قَيِّمُ

إلى السَّلَفِ الأخيارِ سِيرَتُهُ انتهَتْ ... وذلك أزْكَى ما مِنَ الإرْثِ حُزْتُمُ

فلا زالَ للإسلام فيكُم بَقيَّةٌ ... لكُم مَدَدَ التَّشديدِ يُسْدِي ويُلْحِمُ

عليكُم جَميلُ الصَّبرِ وهو عَزيمَةٌ ... على العَبْدِ، أما الخطبُ يَجْسُمُ يَجْسُمُ

تَنالوا عَظيمَ الأجرِ مِنه وإنَّما ... بحَسْب مَقام الصَّابرِ الأجرُ يَعْظُمُ

لِكُلٍّ مِن الأعْمارِ حَدٌّ ومُنتهى ... ورَجْعٌ إلى الباقي الذي ليسَ يُعْدَمُ

فلا أسَفٌ يُغني إذا فاتَ فائتٌ ... ولكنْ على التسليمِ والصَّبرِ نُرحَمُ

أليسَ يَقيناً ما بقلبٍ سَلامَةٌ ... لكُلٍّ نَصيبَينِ مُصابٌ ومَقْسَمُ

فلا عَينَ لم تَسفحْ من الدَّمعِ عَبْرَةً ... ولا صَدْرَ إلّا بالفَجائعِ يُحطَمُ

أخا الحَزمِ لا تَندِبْ سِواكَ وإنّما ... لحينِكَ تَجْري ثم تَكْبُو فتُعْدَمُ

فكَفكِفْ دُموعَ العَينِ واجعَلْ مِياهَها ... طُهوراً لذنبٍ في الصَّحيفةِ يُرقَمُ

وَوَارِ حِمى الأحزانِ مما جَنيتَهُ ... فدُونَكَ إلّا أنْ تَتُوبَ جَهنَّمُ

---

(١) غَميضَة: غَضَب - وفي اللهجة العُمانية: لا تستغمضْ = لا تغضبْ.

(٢) النَّدُّ: ضَرْبٌ من النبات يُتبخَّرُ بعُودِه.

إذا لـم تَـجِـدْ مِـمّـا قـضـى الله واقـيـاً فـلا بُـدَّ أن تـرْضَـى بـمـا الله يَـحْـكُـمُ

أعَـزِّيـكُـمُ عَـنِّـي وعَـن كُـلِّ مُـسْـلِمٍ وأنـتـم بـحُـسْـنِ الـصَّـبـرِ أوْلَى وأعْـلَمُ

سَـقـى الله رَمْـساً حَـلَّهُ صَـوْبُ رَحْـمَـةٍ وأسْـكَـنَـهُ الـفِـرْدَوسَ فـيـمَـن يُـنـعَّـمُ

عنبرة الأكوان(*)

سَقى اللهُ سُوحاً مَنبَتي من جنابِها وبـارِكَ فـي قُـطَّـانِـهـا ورِحَـابِـهـا
وَسَحَّتْ شآبيبُ الرِّضا بِبَشامِها ولا فَتِئتْ مَغبُوطَةٌ بشَبابِها[1]
فَرَغتُ لها مِنْ كُلِّ هَمٍّ وإنْ نَأتْ وخلَّفتُ نفسي لا تُريمُ بِبَابِها
وإنَّ ارتباطَ النفسِ في عَرَصَاتِها شهُودٌ يُريحُ النفسَ بين اغْتِرابها
وَكيفَ سُلُوِّي وارتِياحِي بغيرِها وَعَنْبَرَةُ الأكْوَانِ نَفْسُ تُرَابِها
أهَابَتْ بشكْوَاها إلينا افتقادَنا وَفِيها إلينا فَوقَ أضْعافِ مَا بِها
إذا لاحَ برقٌ أوقَدَتْ في جَوانِحِي لواعِجَ تُنسِي النارَ لفحُ إهَابِها
ولم تقدح الشَّكوى شَرَارَةُ مُهْجَتِي ونيرانُ شَوقِ النَّفسِ مِلءُ إهَابِها
ولكنَّ شكوى الحُبِّ للحُبِّ بَثُّهُ مَزيدُ تباريحِ الجَوَى في عَذابِها
بِنَفسيَ من تشكُو إلى ذِي صَبابَةٍ وليتَ النَّوى طارَتْ مَطارَ غُرَابِها

(*) العُنوان الحالي من وضعنا؛ وقد عُنونت في الأصل المُعتمد بعنوان: «في الحِكم»، ووردت تحتها هذه الملحوظة: (لعَلَّهُ قالها بلِسان الإشارة لبعض القوم في حَضرَموت، كما يُفهم ذلك من معاني الأبيات)، لكننا تَحرَّينا فوجدنا أنها مكتوبة في رثاءِ داعية يُدعى الشيخ أحمد التميط، وهو داعية حضرمي شافعي المذهب من آل البيت النبوي الشريف من فرع منهم لهم شهرة في المعارف الإلهية والدعوة إلى الله (المُراجِع).، وله مَقام يُزارُ في ماليندي بزنجبار مُلاصِق لمسجد الجُمعة.

(١) البشام: شجر طيِّب الريح والطَّعم يُستاكُ به. جاء في حديث عُبادة: خيرُ مالِ المُسْلِم شاةٌ تأكُلُ من ورَق القَتاد والبَشام.

بِحُكْمِ بناتِ الدَّهرِ فَارَقتُ إلفَها وسَلْنيَ عَنهَا لم أضِقْ عن جَوابِها
بِهِنَّ تَرَكْتُ الإلفَ رَغماً وإنهُ لتركُ حَياةُ النفسِ بَينَ شِعابِها
خليليَّ شأنُ الدهرِ بَينٌ مُشتِّتٌ فما إلفةُ الاثنَينِ إلّا اغتِنَا بِها
ولولا وُلوعُ الدَّهرِ بالبَيْنِ لم تزل يَتيمَةُ هذا البَحرِ تحت عُبابِها
ولا رَجَّعَتْ فوق الفُنُونِ حَنينَها هَتُوفٌ شَجتها مِثلُهَا بِغيابِهَا
ولا خَليتْ دُورُ الفضائلِ والتُّقى وطَارَتْ أعَاصِيرُ الفَنا بِصِحَابِها
أما هَكذا الأقدارُ تُنفِذُ حُكْمَها بلى! إنَّ هذا خَصْلَةٌ من عِجَابِها
تُريدُ الأمَاني أنْ تُقِرَّ قَرارَها وتأبَى لهَا الأقدارُ غيرَ انْتِيابِهَا
على عَجَمَاتِ الصَّبرِ شُجَّتْ قُلُوبُنا ليَمتازَ رَخْوُ الصَّبرِ بَينَ صِلابِها
بعَيشِكُما هل تعلمان وَدِيعةً ولم تطرق الأكْدارُ عَتْبَةَ بابِها
وهل مُقلةٌ لم يَملأ الدَّمعُ غَربَهَا وهل كَبِدٌ لم تَحترِقْ بمُصَابِها
أفِيضَا عَليَّ العُذرَ إنْ تَكُ أسْوَتِي لدى فَعَلاتِ الدَّهرِ أهلَ صِعَابِها
أتَلزِمُ هذا الدَّهرَ خِلَّةَ مُنصِفٍ تَزُولُ جِبالُ الأرضِ قَبلَ انْقِلابِها
ولِلكُلِّ مِنهُ طَعْنَةٌ فَوقَ نَحرِهِ ولا تَنْثنِي لِلبُرْءِ إلّا ثَنَى بِها
ومَنْ لِي ولِلأيام أنْ تُعْقِبَ امْرِءاً وقد فَرَغَتْ كُلُّ النُّهَى مِنْ عِتابِها
لقد كَاشَفتْنا بالذي في ضَميرِها وعَمَّ الوَرَى ما أنفقتْ مِنْ جَوَابِها
لأغمَدُ مِمَّن يَنسِبُ الغدرَ نَحوَها وتَضرِيفُها فَرعٌ لأصلِ صَوابِها
ألم تُظْهِرِ التَّحقِيقَ عَنْ ذاتِ طَبْعِها فمَا ثِقَةُ الأحرَارِ مِنها بَعَابِها
ومَنْ ظَنَّ بالأيامِ مَا لَيسَ خُلْقَهَا أضَافَ لها ما لم يَكُنْ مِنْ حِسَابِها
أفادَتْ ذوي الأبصَارِ كيفَ اقتِضاؤها بما أتقنوا من دَرْسِهم في كِتابِها
فإذْ سَقَتِ المَخْدُوعَ شَهْداً بكَأسِها فقد بَصَّرَتهُ، لو دَرَى، كَأسَ صَابِها
شَكَا الناسُ مِن أيامِهم بَعدَ فوزِها لهُم بَينَ بَحرَي مَائِها وسَرَابِها
ولا أشتكي مِنها ولستُ ألومُها على الحُلوِ والمُرِّ الذي في شَرَابِها
ومَن كَشفَ الأيامَ كَشفي خِصَالَها وشاهَدَ كُنْهَ الحَالِ خَلفَ حِجَابِها

رَمَاها بِصَبْرٍ لا تُقيمُ ظُهورُها ... عليهِ، وألقى حَبْلَهُ في رِقابِها

على أنّني والصَّبر بعد أحِبَّتي ... كَهيمٍ فلاةٍ أُثْكِلَتْ بذئابها

مَتى أدَّعِي صَبراً لماضي عُهودِهم ... ولَسْتُ بلاقيها عَقِيبَ ذَهابها

عُهودٌ كأمثالِ العَرائسِ ودَّعَتْ ... وواحَزَناً حادي المَنايا حَدَا بها

أقمتُ لعَهْدِ الحُزنِ بَعدَ انصِرافِها ... ظعائِنَ تمَّ السَّيرُ إثرَ رِكابِها

أبعدَ بني السِّبْطَيْنِ في الأرضِ سَلْوَةٌ ... وقد أضمَرَتهُم في قُلوبٍ يَبابِها[1]

أبعدَ النُّجومِ المُشرِقاتِ هِدايَةٌ ... وقد أفلَتْ لا مُرتجى لإيابِها

أبعدَ انفرادي عن عَرانِينِ هاشِمٍ ... هَناءٌ وفي عيني انْهِدادُ قِبابِها

فيا لسُراةِ القومِ أينَ مَقرُّكُم ... مَعاهِدُكُم قد عُمِّرَت بخَرابِها

وعَهْدِي بكُم والنُّورُ في الأرضِ ساطعٌ ... بأوجُهِكُم فاليومَ أينَ ثَوَى بِها

وعَهْدِي بِكُم أنَّ الرَّسُولَ بِحارُها ... فماذا قَضَى وَحياً بِغَورِ عُبَابِها

وعَهْدِي بِكُم أهلَ الكساءِ كِساؤها ... فَوَاحَرَبا قد عُرِّيَتْ من ثِيابِها[2]

وعَهْدِي بِكُم والعِلمُ في كَبدِ السَّما ... سِراجاً، فما بالُ الظلامِ سَجَى بها

وعَهْدِي بِكُم والأرضُ أنتُم غُيُوثُها ... فقد أجدَبَتْ مِنْ غَيثِها وسَحابِها

بَنِي العِلْمِ ما بالاختِيارِ كَسَرْتُمُ ... مَعاهِدَهُ بالحُزنِ بعد انتصابِها

لقد كانَ هذا العِلمُ نفساً ورُوحُها ... حَياتُكُمُ ما الشانُ بعد اقتِضابِها

مَدينتُهُ أنتُمْ مَباني عُروشِها ... وأنتُمْ، بَنِي الزَّهراء، أبناءُ بابِها[3]

فمَن لِيَ بالأنوارِ بعد انطِفائها ... وعَضَّتْكُمُ أمُّ اللهَيمِ بِنابِها

---

(١) السِّبطان هما الحسن والحسين؛ أبناء عليّ بن أبي طالب، وفي ذلك إشارة لنسب العَرثيّ المتصل بآل البيت.

(٢) إشارة: حديثُ أهل الكسا مما يستند عليه الشيعة في إمامة أهل البيت، ويُنكره عليهم مُخالفوهم؛ والمُلاحظ أنَّ الشاعر بعد رثائه لـ«بني السِّبطين» في الأبيات السابقة، يُثنّي بالالتحاف بهذا الكساء (المُراجِع)!

(٣) إشارة واضحة إلى الحديث النبوي: «أنا مدينةُ العِلم، وعليٌّ بابُها» (المُراجِع).

أفيقوا بَنِي المُخْتارِ بَعدَ هُجُوعِكُم ... تَدَعْ سُنَّةُ المَعروفِ بعد انتِحَابِها
أفيقوا تَدَاعَى الفضلُ وانقضَّ أُسُّهُ ... وعَزَّ على العلياءِ نَدْبُ انتِدَابِها
أفيقوا فإنَّ المَكْرُمَاتِ تعطَّلَتْ ... مَعَالِمُها واندَكَّ مَرسَى هِضَابِها
زَكَتْ بكُمُ الأكوانُ حيناً وبُورِكَتْ ... فيا بَرَكاتٍ أُفرِغتْ من عِيابِها
وكُنتمْ نِصَابَ الفضْلِ في الخَلْقِ حِقبةً ... فمَن للعُلى بَعدَ افْتِقاد انتِصابها
فيا غُرَباءَ الأرضِ هل هيَ نُجْعَةٌ ... تَمُنُّ برُجْعاها عَقيبَ اغترابها
فهَيْهَات لا أقفال والرَّمْسُ حَائلٌ ... وَأَيْنُقُ[1] أظفارِ الرَّدى في هِبَابِهَا
أرى الأرضَ تدري أنكُم من شُيوفِها ... فمِن دَأبِها أغمَادُكُم في قِرَابِها
فيا لَشُمَيطٍ ما رِضَائي بعِيشَةٍ ... خِلافَكُم إلّا رِضاً بذَهَابِها
أجِدَّكُمُ هذا الرَّحِيلَ مُجَدِّدٌ ... وقد بِنْتُمُ للنَّفْسِ طُولَ اكتِئابها
أعَيشاً؟ وقد ألقى الجِرَانَ طَلِيحُكم ... بزيزاءَ تذرُوها الرِّياحُ بِما بِها
نزَعتُم إلى الأرْمَاسِ وَحياً وتلْكُمُ ... لعَمْرُكَم لا مُنْثَنَى عن مَآبِها
لقد أنطقتْنِي بالرِّثاءِ صِفاتكُم ... وإذ أخْرَسَتني دَهْشَتِي بانسِلابِها
ولو أنَّ تأبِينَ الرِّثاءِ مُبَرِّدٌ ... أسَى النفسِ، لكنْ مُسْعِرٌ لالتِهابها
أحِبَّايَ بَرْحُ الظَّاعِنينَ مُبَرِّحٌ ... ولكنْ عَزاءُ النفسِ فَضْلُ احتِسَابها
تذوبُ الليالي، مِن أسىً، بين أضْلُعي ... بمُعْتَرَكٍ بيني وبَيْنَ جِرَابِها
ولو حَجَزَتْ بَيْنِي وبَيْنَ صُرُوفِها ... صُروفٌ، لكانَ العَزمُ لي في ضِرابها
ولكنَّها تعنو لذلِّ انتقابِها ... مَقاديرُ تفْرِي جِلْدَها باختلابِها
وأوْشَكَ مِقْدارٌ يَؤمُّ حَصَادَها ... بلا دافعٍ يأتي بحينِ انتِكابِها
كذا كُلُّ شيءٍ، ما خلا الله، مُنْتَهٍ ... لِحَدٍّ ومَرْمَى نَفْسِهِ لِتَبَابِها
فيا عَرْصَةَ الأبْرَارِ ما عَنكِ رَغبَةٌ ... وإن دَامَ بالأشباحِ طُولُ مَغابِها
وإنّي لأرجُو أنَّ فيكِ بَقِيَّةً ... مِنَ البَيْتِ تَسْعَى في صَلاحِ مَنابها

(١) أيْنُقُ أظفارِ: أيْنُقٌ وأنْواقٌ: كواكب مصطفة بهيئة ناقة || الهِباب: الهَباء.

وتَـغْـمُـرُ رَشْـمـاً شـدَّ مـا الـتـأمَـتْ بـهِ شَـعَـائـرُ دِيـنِ اللهِ بـعـد انـشِـعـابـهـا

وتَجْري مِياهُ الفضلِ في مَدْحِ رَوضَةٍ بكَفِّ أمِينِ الوَحْيِ فَيضُ شرابِها

هُنا مَطْمَحُ الآمالِ في عَثرَة الهَوى لأنَّ كَمالَ المُصْطَفى مِنْ ذِنَابها

فلا تُوحِشونا مِنْ مَعالي أصُولِكُم وطَبْعُ فرُوعِ الأصْلِ صِدْقُ انجذابِها

عليكُم سَلامُ اللهِ ما السُّحْبُ أمْطَرَتْ ورَوّى شَبَاماً رَائِناتُ انسِكابِها[1]

وعَـلَّلَ هـاتـيـكَ الـمَـشـاهِـدَ رَوْحُـهُ وَرَيْـحَـانُـهُ مـا لاحَ بَـرْقُ جِـنـابِـهـا[2]

---

(١) يبدو، من السّياق وعطفاً على مُلاحظة الأصل الواردة في المطلع، أنّ الإشارة إلى مدينة شَبَام التاريخية، جنوب اليَمَنْ.

(٢) ربّما كانت الإشارَة إلى الجَنْبِيّة؛ أيْ: الخِنجَر.

رثاءُ إمَامٍ وامتداحٌ لبَيعَةِ إمَام(*)

قَد اهْتَزَّتِ الأكْوانُ وارْتَعَدَ المَلا ... لِقَتلِ إمامٍ قامَ للهِ فَيصَلا

على سِيرةِ الفارُوقِ عَدلًا وحِكْمَةً ... يَسيرُ بها للهِ لَيسَ لِمَا خَلا

(*) العنوان الحالي من اختيارنا؛ فقد وردت عنوانها في الأصل المعتمد: (وقال بعد تاريخه لوفاة الفقيد المرحوم). إملحوظة تاريخية: كتبت هذه القصيدة في رثاء الإمام سالم بن راشد الخروصي الذي قتل عام ١٩١٩م في بلدة خضراء بني دفاع. والقصيدة تشيد بحُسن اختيار خِيار المُسلمين لخليفته الإمام محمد بن عبدالله الخليلي. | يورد محمد المحروقي في دراسته عن أبي مُسلم: «ولا بد لنا من الإشارة إلى ملابسة تاريخية تعيننا على فهم النص؛ والإشارة الموضّحة ـ وإنْ لم ترد في الديوان المطبوع [أي الأصل المُعتمد]، إلّا أننا وجدناها في النسخة المخطوطة المؤرخة في ١٧ شعبان ١٣٧٣هـ، وقد ذكر أبو مسلم في أول هذه القصيدة أنه كتبها على لسان سالم الرواحي، فالقصيدة من نظم أبي مُسلم، استعار فيها شخصية ابن أخيه، لأنه يهدف من وراء ذلك أمراً، فبعد الجزء الخاص بالرثاء يقول مخاطباً الإمام الجديد محمد الخليلي» والمحروقي يُورد أبيات أبي مسلم وإشاراته إلى سموط الثنا، وهو تلميح إلى جد الإمام الجديد سعيد بن خلفان الخليلي. والحجة، كما يبدو، هو فرض الإنكليز لنوع من الإقامة الجبرية على أبي مُسلم، لا سيما بعد كتابته لمطولات وطنية يندد فيها بالاستعمار، مُعرِّضاً بأعداء الوطن والدين والحكام صنيعة الاستعمار. والشيخ المذكور في نهاية القصيدة هو أبو مسلم نفسه، الذي يرعاه ابن أخيه (المزعوم أن القصيدة كتبت على لسانه)، لتمريرها كي تصل الإمام، وهو ما يوضحه المحروقي في أحد هوامش دراسته: «وقال بلسان الإشارة عن ولده الأخ الأديب سالم بن سليمان بن عمير يرثي إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي رحمه الله المقتول سنة ١٣٣٨هـ ويهني الولي الأكبر والغوث الأبر محمد بن عبدالله الخليلي بتوليته منصب الإمامة يوم ١٢ من ذي القعدة من هذه السنة بعد قتل الإمام المشار إليه آنفا؛ إذ كان هذا الأخ ـ أي سالم الرواحي ـ بحضرة سيدي يقتبس منه العلوم ويتخلق بآدابه الزاهرة ويترسم مواطئ أقدامه، حتى أناخت بسيدي مطايا المنية وهو إذ ذاك في حجره ثم أمّ وطنه المحبوب لديه بلد السيح بعُمان». ويبدو لنا أنّ القصيدة كُتبت لهدف سياسي؛ وهو محاولته مع الإمام الجديد لإخراجه من قبضة الإنكليز، الذين كانوا يتخوفون من عودة=

إمَامٌ حَبَاهُ اللهُ نَصْراً مؤزَّراً ... ولم يَتَّخِذْ شَيئاً سِوى اللهِ مَوْئِلا
وَقَامَ بِقِسْطِ اللهِ فِي أَهْلِ أَرْضِهِ ... بِخَارِقَةٍ مِنْ أمْرِهِ تُعْجِزُ المَلا
على سُنَّةٍ ذا هِمَّةٍ مُشْمَخِرَّةٍ ... لإظهارِ حُكْمِ اللهِ حَتى تَهَلَّلا
تَجَرَّدَ يُعْلِي كِلْمَةَ اللهِ هَمُّهُ ... لِيُصْبِحَ مَغزى كِلْمَةِ الكُفْرِ أَسْفَلا
بسَطْوَةِ مِقدَامٍ إذا الحَربُ ألهبَتْ ... ولا يَنثني إلّا وَقَدْ أدرَكَ العُلَى
يُفَلِّقُ هَامَاتِ الخُطُوبِ بعَزْمِهِ ... إذا قامَ قَرْنُ البَغْيِ أَعْلاهُ مُقصِلا
رَأى الجَورَ أَرْبَى فاسْتَقامَ لِقَطعِهِ ... ومَا كانَ وَهْناً رَأيُهُ مُتَزلْزِلا
لقد بَاعَ فِي ذاتِ الجِهَادَيْنِ نَفسَهُ ... فمَا أرْبَحَ البَيْعَ العَظِيمَ وَأفْضَلا
فَعَاشَ عَلى التَّحْرِيضِ فِي ذاتِ رَبِّهِ ... مَخَافَةَ حَدِّ اللهِ أنْ يَتعَطَّلا
رَأى حُرُمَاتِ اللهِ لا مَنْ يَصُونُهَا ... قَوِيٌّ ولا عَدلٌ يَرُدُّ المُبَدِّلا
فشمَّرَ ذَيلَ العَزمِ تَشمِيرَ غِيرَةٍ ... فأصْبَحَ عَرشُ البَغْيِ عَرْشاً مُثلَّلا
لهُ سِيرَةُ الأبْرَارِ لا مُتكبِّراً ... ولا وَاهِناً في العَذْلِ أو مُتعَلِّلا
يَبيتُ يُناجِي اللهَ خَوفاً ورَغبةً ... كأنَّ عَليهِ لِلمَهَابةِ أفْكَلا[1]
إلى أنْ أرَادَ اللهُ إكْرَامَ ذاتِهِ ... بِنَقْلٍ وَنِعْمَ الدَّارُ فِيهَا تَنقَّلا
فأصْبَحَ فِي بَحبُوحَةِ الخُلْدِ نَاعِماً ... وطُوبَى لِمَنْ جُوزِي بِهَا وَتُقُبِّلا
كمَا جَدَّ فِي إحْيَائِهِ الدِّينَ جَدُّهُ ... وَفَارَقَ دُنياهُ رَضِياً مُكَمَّلا

=أبي مُسلم إلى عُمان. وما يدعم هذا القول هو عثورنا على قصيدة أخرى لم ترد في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد (موجودة في هذا الديوان بعنوان: القائم المُرتضى)، يشكو فيها إلى الإمام الذي تأخر في نجدته [المُؤمَّلة من هذه القصيدة]، قائلًا في القصيدة اللاحقة: «فأدرك حياتيَ إنِّي قضيتُ | لأسد الشرى وذئاب الفضا» ليستطرد في نفس القصيدة: «أعنِّي أعانكَ رَبُّ العبادِ | فقد كادَ حقيَ أنْ يُفرَضا» لينهي قصيدته قائلًا: «فهل أنتَ لي راحِمٌ مُنقذٌ؟ | فإنَّ اصطباريَ قد قُوِّضا». ومن الواضح أن الإمام لم يكن باستطاعته فعل شيء لتحرير أبي مُسلم، وفقاً لإشارته في هذه القصيدة، كما في الأخرى التي اقتبسنا بعض أبياتها المُستصرخة، فربما مَرَّرَ قصيدته تلك، على لسان ابن أخيه ـ كما يؤكد د. المحروقي ـ وهو في حالةٍ سيئة، لا سيما أنَّ شعره يُفصح عن ذلك في أكثر من مكان، بعد ضعف سلاطين زنجبار المُتأخرين واحتكام الجزيرة إلى قبضة سيطرة الإنكليز.

(١) الأفكَلُ: الرِّعدَة. يُقال: أخذه أفكَل؛ أي ارتعد مِن برد أو خوف.

سَقى اللهُ قَبْراً ضَمَّهُ رَوْحُ رَحمَةٍ تَوالَى عَلَيهِ بَارِقاً مُتَهَلِّلا
بِرُوحِيَ أَفْدِيهِ طَعِيناً مُمَزَّقاً وكَانَ مُفدًّى الحُورِ سَاعَةَ جُدِّلا[1]
يَجُودُ بِنفسٍ طيَّبَ اللهُ ذاتَها إلى يَدِ رَبِّ العَرْشِ تَبْغِي تَحَوُّلا
تَقبَّلَهَا الرَّحمَنُ بالرَّوحِ جاعِلاً لها بَيْنَ مِنْ حَازوا الشَّهَادَةَ مَنزِلا
لقد فَاضَ مَظْلُوماً بِطَعْنَةِ فَاجِرٍ لَهُ الوَيْلُ لا زَالَ الشَّقِيَّ المُبَهَّلا
هَنِيئاً أَمِينَ اللهِ نِلْتَ شَهَادَةً وأبْقَيتَ ذِكْرَ الطَّيِّبينَ مُبَجَّلا
ولو فُودِيَتْ نَفسٌ فَدَيْنَاكَ طيبَةً ولكنَّها الآجَالُ تَمْضِي إلى البِلَى
عَزاءً لأهلِ الحَقِّ إنَّ مُصَابَكُم جَليلٌ ولكِنْ يَلزمُ الصَّبْرُ فِي البَلا
لنا خَلَفٌ فِي اللهِ عَنهُ وَسَلْوَةٌ بأنَّ إمَامَ المُسْلِمِينَ لَهُ تَلَى[2]
جَزى اللهُ عَنا المُسْلِمِينَ جَزاءَهُ بسَاعَةِ لم يُلغوا حِمَى الدِّينِ مُهْمَلا
رأوا فِتنةً صَمَّاءَ جَاشَتْ جُيُوشُها فقاوَمَها «عِيسَى» فَطَاشَتْ كَلا وَلا[3]
وثَايَرَهُ مِنْ عُصْبَةِ الدِّينِ أُسْرَةٌ لَهُمْ غِيرَةٌ مِنْ يَومِ عَمَّار تُجْتَلَى[4]
قِياماً بحَقِّ اللهِ فانْتَخَبُوا لهَا هُمَاماً لِكُلِّ المَكْرُمَاتِ تَقيَّلا
مَجيدٌ عَظيمُ الهَمِّ سِبطُ نَجَادِهِ إذا أقبَلتْ كُبرَى العَظائِمِ أَقْبَلا
تَقلَّدَهَا لا قاصِراً عَنْ شُؤونِها ولكِنَّها جَلَّتْ فَلاقَتْ مُجَلِّلا
تَرَدَّ أمِينَ اللهِ ثوباً كَسَاكَهُ إلهُكَ لم يَدنسْ ولا بَلغَ البِلى
تَناوَلَتَهُ عِنْ عَاهِنٍ بَعدَ عَاهِنٍ مُلوكُ بَني قَحطَانَ أوَّلَ أوَّلا
فلِلَّهِ سِرْبَالٌ مِنَ النُّورِ جاءَ مِنْ خَليلِ بنِ شاذانٍ وَصَلتٍ ومَنْ خَلا
فلا زالَ سِرْبَالاً تَزينُ بِوَشْيِهِ على مِحْوَرِ القُرآنِ حِيكَ وهُلْهِلا

---

(١) جُدِّل: صُرع مقتولا.

(٢) يقصد الإمام محمد بن عبدالله الخليلي الذي تلى الإمام المغدور سالم بن راشد الخروصي.

(٣) يُشير إلى الشيخ عيسى بن صالح الحارثي.

(٤) إشارة: يُكثر الشاعر من إحالة شخوصه المرثيّة إلى الصحابي عمّار بن ياسر، الذي استشهد يوم صِفِّين، والذي قال عنه النبي (ص): ويح عمّار تقتله الفئة الباغية.

شَكَرْنا رِجالًا قَلَّدُوكَ حُسَامَها | فراسَةَ إيمانٍ وسِرٌّ تَسَلْسَلا

فقد صَدَقَتْ فِيكَ الفِرَاسَةُ مِنهُمُ | فمَا وَقعَتْ إلّا عَلى الحَقِّ والجَلا

فيا لِرِجَالِ اللهِ حَقاً نَصَرْتُمُ | وعَزَّزْتُمُ هذا الإمَامَ المُفَضَّلا

تَنَوَّرْتُمُوهُ وَهُوَ نَجْمٌ لأُفْقِهَا | فأصْبَحَ هذا الكَونُ بالنُّورِ مشعَلا

لدى مَلَكُوتِ اللهِ يُتلى ثَنَاؤُهُ | ولِلمِلأ الأعْلَى لأمْثالِهِ وَلا

إمَامٌ غَدَا فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ غُرَّةً | لهُ قَدَمٌ في الصَّالِحَاتِ وفِي العُلى

هو البَاسِلُ الضِّرغامُ في حَومَةِ الوَغَى | وقد عَرَفَتْ مِنهُ الكَوَارِثُ مَبْهَلا

مُحَمَّدٌ المَعروفُ فِي الأرضِ والسَّمَا | بِصيتٍ على لُسْنِ المَلائِكِ أسبلا

صَبُورٌ على العَلّاتِ أمَّا خِلالُهُ | فزُهْرٌ وأمَّا المَالُ فالويلُ في المَلا

حَليمٌ عَلى جَهْلِ الجَهُولِ مُرَزَّأً | يُصَادِي الرَّزايا ثابتاً مُتوكِّلا

يُدَبِّرُ مَا لا يُوهِنُ الجَيشَ صَعْبُهُ | ولو لم يُجَرِّدْ فِيهِ رُمْحاً وَفَيْصَلا

ويُبرِمُ رَوعَاتِ الأمُورِ بِحِكْمَةٍ | ويُصدِرُ في الأزْمَاتِ رَأياً مُؤصَّلا

كأنَّ سَدِيدَ الرَّأيِ وَحْيٌ مُنَزَّلٌ | وحَاشا ولكِنْ قُلهُ وَهْباً مُرَسَّلا

لكَمْ حَلَّ مِنهُ الرَّأيُ صَعباً فأصبحتْ | مَصَاعِبُ ذاكَ الأمرِ أمْراً مُسَهَّلا

وكم صَادَمَتهُ مِنْ ليَالِيهِ نَكْبَةٌ | فَفكَّكَ أغْلالًا وَكَشَّفَ مُعْضِلا

حَرامٌ عَليهِ أنْ يَبيتَ لِحَادِثٍ | إذا لم يُصَبِّحْهُ الجَلاءَ مُعَجَّلا

إليكَ أمِيرَ المُؤمِنينَ رسَالَةٌ | وحَسبيَ فَخراً إنْ أكُنْ لَكَ مُرسِلا

تَيقَّنْ بِأنْ سِرَّ الخَليليِّ قد بَدا | على وَجهِكَ المَيمُونِ بَرقاً تَهَلَّلا

تَيقَّنْ بِأنْ سِرَّ الخَليليِّ إذ دَعَا | أتِيحَ لَهُ نَصْرٌ عَلَى لَوْجِهِ انْجَلَى[1]

دَعَا دَعْوَةً يَا قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ | أجِيبَ بِهَا حَياً ومِنْ بَعدُ مَا خَلا

---

(١) قوله في هذا البيت والذي سبقه: «سِرّ الخليلي» إشارة تعظيمية إلى مَراتب التصوُّف والكشف التي حظي بها الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، جد الإمام محمد بن عبدالله الخليلي في ابتهالاته المتوسلة أبداً بديمومة إمامة الحق في عُمان.

سُمُوطُ ثَناءٍ جُرِّدَتْ مِنْ ضَمِيرِهِ فكَانَتْ عَلى أعدَاءِ ذا الدِّين مَقصَلا[1]

فيا دَعْوةً لم يُغلِقِ اللهُ بَابَهَا بهَا رُكْنُ عَرشِ الظَّالِمِينَ تَزلْزَلا

فَقضَّى بِهَا سُودَ الليالي زَواهِراً بصَوتٍ لِعَرشِ اللهِ قَطعاً تَوصَّلا

يُغوِّثُ وَالأكْوَانُ تَحتَ جَبينِهِ يُغوِّثْنَ تَأمِيناً إذا مَا تَبتَّلا

وَمَنْ لِي بأنْصَارٍ إلى اللهِ وَحدَهُ ومَنْ لِي بسَيفٍ يَقطَعُ الهَامَ والكلا

فأصبَحْتَ فِي ذاكَ الدُّعَاءِ إجابَةً وأصبَحْتَ ذاكَ السَّيفَ ذو كان أمّلا

لكان رَسُولُ اللهِ دَعوةَ جَدِّهِ وكنتَ أمِينَ اللهِ في ذاكَ مَنْ تَلا

تَناوَلْ عُقودَ الدُّرِّ مِن خَيرِ نَاظِمٍ نَعَمْ هُوَ نُورٌ مُجتَنَى مِنكَ مُجتَلَى

لقد طَالَ مَا أوْعَيتَ أُذْنِي جَوَاهِراً رَجَعنَاهُ مَنّاً كُنْ لَهُ مُتقبِّلا

وأوْلَيْتنِي فَضْلًا لو الشمّ طوّقتْ لقد كانَ مِنها فِي المَوازِينِ أثقلا

ومِنْ أسَفٍ أنّي أُوَدِّعُ مَرْبَعاً أنيقاً بهِ كُنتمْ رَبيعاً ومَعْقِلا

ومَا لِي صَبْرٌ عَنكُمُ باستِطَاعَةٍ ولكن رَأيتُ الصَّبرَ بالحُرِّ أجْمَلا

عَسَى نَفحةُ الرَّحمَنِ تَجمَعُ بَيننا فيصبح ما بالقلبِ خَطْباً مُسَهَّلا

ولولا فُروضٌ الْزمَتْنِي أداءَهَا لشيخٍ عَسَى لا يَستطيعُ التَّنقُّلا

حَليفِ العَصَا يَمشِي الهُوَيْنا أصَابَهُ مُصابُ بَنِي السِّتينَ وَهْناً فَحَوْقَلا[2]

وَصِيَّةَ رَبِّي فِيهِ أرْعَى حُقوقَها ولولاهُ لم أنصِبْ لِنفسِي مزحَلا

رَحَلتُ إليهِ كَيْ أفوزَ بِقُربِهِ فألفيتُ مِنهُ المَنزلَ المُتخوّلا

ولولا خُطُوبٌ ضَعْضَعَتْ مِنْ جَناحِهِ لسابَقَ سَيرَ الرِّيحِ نَحوكَ مُذملا

فهل لَكُمُ فِيهِ وقد نَجَمَتْ لَهُ نَواجِمُ دَهرٍ بالشَّدائدِ والبَلا

---

(١) يُشيرُ إلى منظومة سموط الثنا للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، جد الإمام المُخاطب في القصيدة.

(٢) ملحوظة: يتحدث ابن أخي الشاعر إلى الإمام، بلغة الإشارة، قائلًا له: إنه لم يستطع القدوم لنصرة الإمامة، بسبب التزامه بشيخ طاعن في السّن، وهو (كاتب القصيدة الحقيقي، أبو مُسلم)، كما أبَنّا في الهامش المُطوّل.

ولـم يَـبـقَ فـي الـدُّنـيـا لَهُ مِـنْ مُـعَـوَّلٍ سِـواكَ ونِـعـمَ الـرُّكْـنُ أنـتَ مُـعـوّلا[1]

فـلا تَـنْـبِـذَنْـهُ بَـيـنَ أشـدِ عَـوابِـسٍ وبَـيـنَ بَـلاءٍ حَـيـثُ أدْبَـرَ أَقْـبَـلا

فـلا يُـبْطِـئَـنْ تَـدْبِـيـرُكُـمْ فِـي رُجُـوعِـهِ فلا زلتَ فِي الإحْسَانِ يُمْناكَ أطْوَلا[2]

ومَـا كـانَ شَـيـخِـي وَاهِـنـاً فِـي اضْـطِـبـارِهِ ولا طَـائـشـاً فِـي أمْـرِهِ مُـتـخـذِّلا

ولـكِـنَّ رَيـبَ الـدَّهْـرِ صَـعـبٌ مِـرَاسُـهُ تَـرَى كُـلَّ حُـرٍّ تَـحـتَـهُ مُـتـزلـزِلا

يُـعَـانِـدُ جَـزِيَ الـحـرِّ حَـتـى يَـشُـلَّهُ ويَتـرُكُ رَوضَ النُّبـلِ والفضـلِ مُمْحِـلا

بـشـيـمَـتِـكَ الـزَّهْـرَاءِ لا تَـنـسَـيـنَّـهُ حَـنـانَـيـكَ عُـقـبَـى الـخَـيـرِ لَنْ تَـتـحَـوَّلا

حَـنـانَـيـكَ يَـا سِـبـطَ الـخـلـيـلـيِّ إنَّـهـا ذَخـيـرَةُ خَـيـرٍ قَـصَّـرَتْ دُونَـهَـا الـمَـلا

أغِـثْ عَـانِـيـاً وارْبَـحْ ثَـوَابَ فـكَـاكِـهِ فـلا زِلْـتَ لِلإسْـلامِ حِـصْـنـاً ومَـوئِـلا

أتـاحَ لـكَ الـرَّحـمـنُ نَـصْـراً مُـؤيَّـداً ولا زالَ خَـصْـمُ الـدِّيـنِ خَـصْـمـاً مُـكَـبَّـلا

---

(١) ملحوظة: في هذا البيت والذي قبله؛ يستعطف أبو مُسلم الإمامَ الجديد قائلًا له، على لسان ابن أخيه (الذي يرعاه): هل ستترك هذا الشيخ الذي أثقلت كاهله السنين في غربته؟ أم ستتركه في نواجم دهر نجمت له بالبلاء والشدائد؟

(٢) المعنى: وهذا بيت آخر يؤكد حقيقة الشيخ المُتحدَّث عنه في القصيدة؛ ألا وهو الشاعر نفسه، قائلًا للإمام: لا تبطئ تدبير أمرِ رجوعه إلى عُمان، فيدك في الإحسان طولى، وتستطيع إخراجه ليقضي أواخر عمره في ظِلِّ إمامتكم. توضيح: في الحقيقة لم يكن باستطاعة الإمام فعل شيء حيال هذا الأمر لأسباب سياسية كانت تعيشها عُمان، ويبدو أنَّ أبا مُسلم المُنقطع في زنجبار ينتظر غوثاً ونجدة منه، وعندما لم تصله، كتب قصيدته الأخرى التي أشرنا إليها في هامش سابق، مُذكِّراً الإمام محمداً الخليلي بحقوقه (التي كادت أن تُفرض) على إمامته وإمامةِ المرثي سالم بن راشد الخروصي، قائلًا بصريح العبارة: أعنِّي أعانكَ رَبُّ العبادِ | فقد كادَ حقيَ أنْ يُفرَضا.

القائم المُرْتَضى(*)

سَلامٌ عَلَى القائِمِ المُرْتَضَى … وأتْحَفَهُ اللهُ مِنهُ الرِّضَا

قَضَى اللهُ بُعْدِيَ عَنْ بَابِكُمْ … رَضِيتُ بِمَخْتُومِ حُكْمِ القَضَا

وَكَمْ لِي أُحَاوِلُ جَمْعِي بِكُمْ … ومُبْرَمُ بُعدِيَ لَمَّا انْقَضَى

أَمُرُّ اللَيالِي مَقْرُونَةٌ … لِنَاشِطِ هَمِّي بِجَمْرِ الغَضَا

أُطالِبُ دَهْرِي بِلُقْيَاكُمُ … وَمَهْمَا أُطالِبُهُ أعْرَضا

عَسَى حَابِسُ الفِيلِ عَنْ مَكَّةٍ … مَطَالِقَ حَبْسِيَ قد قَيَّضَا

ولولا حِبالٌ عَلِقنا بِهَا … قَطَعْنا إليكُمْ بَعِيدَ الفَضَا

فَهَلْ لَكُمُ مَعْشَرَ المُسْلِمِين … بِأَنْ يَقْرِضَ اللهَ مَنْ أقْرَضَا

فَتَقْطَعَ أَسْرِي عِنَايَاتُكُمْ … فَهَلْ رَحْمَةٌ لأسِيرٍ قَضَى

أَخُصُّ بِهَا القَائِمَ المُهْتَدَى … فَبَارِقُ إقْبَالِهِ أوْمَضَا

عَسَى فَرَجُ اللهِ عِندَ الإمَامِ … فَكَمْ لِلمَبَرَّةِ قد أوْفَضَا

إذا تُرِكَ الخَيْرُ يا أَهْلَهُ … - بِحُزْمَةِ أحمَدَ - فِيمَا مَضَى

(*) هذه القصيدة غير موجودة في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي، وهي قصيدة أرسلت لإمام المُسلمين محمد بن عبدالله الخليلي. جدير بالذكر أنه يُفصح علناً، هنا، عن تعبه مادياً وروحياً ومعنوياً في زنجبار، ويطلب من الإمام فَكَّ أسره؛ لكنَّ الشاعر قضى قبل وصول الغوث المُرتجى من إمام الهُدى المُستصرَخ.

لإنْ كَانَ أَحْمَدُ قَدْ فَاتَنِي   عَلَيهِ مِنَ اللهِ حُسْنُ الرِّضَا[1]

فَمَا فَاتَنِي يَا إِمَامَ الهُدَى   بِأَنكَ تَرْحَمُ مَنْ أَنْفَضَا[2]

فَأَدْرِكْ حَيَاتِيَ إِنِّي قَضَيتُ   لأُسْدِ الشَّرَى وذِئَابِ الفَضَا

وَكَائِنْ رَأَيْنَا امْرِءاً عَانِياً   أَصَابَ بِكُمْ فَرَجاً مُمْحَضَا

أَعِنِّي أَعَانَكَ رَبُّ العِبَادِ   فَقَدْ كَادَ حَقِّيَ أَنْ يُفْرَضَا[3]

وَلَسْتُ إِلَى عَرَضٍ حَائِلٍ   نَصَبْتكَ لِي سُلَّماً مُمْحِضَا

وَلَو فُكَّ أَسْرِيَ أَلْفَيْتَنِي   غِراراً لِسَيفِكَ إِنْ يُنْتَضَى

وَلكِنْ قَضَى اللهُ لِي بِالنَّوَى   وَكَسْرِ الجَنَاحِ فَلَنْ أَنْهَضَا

إِمامَ الهُدَى قُمْتُ مُسْتَصرِخاً   وَهَمِّي لِصَدْرِكَ قَدْ فَضْفَضَا

فَهَلْ أَنْتَ لِي رَاحِمٌ مُنْقِذٌ؟   فَإِنَّ اصْطِبَارِيَ قَدْ قُوِّضَا

---

(١) يُشير، هنا، إلى صديقه الحميم الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي الذي رحل دون أن يراه الشاعر، وقد رثاه بقصيدة، وأشار إليه في النونيّة، وهو عمُّ الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، ومن الواضح أنهُ يستعطفه بذكراه، لكنَّ الإمام لم ينسَ قدحَ أبي مُسلم في أبيه في نونيّته الشهيرة، لذلك لن تشفع له هذه القصيدة، بدورها، في مطلبه العودة إلى وطنه، ناهيك عن الظروف الموضوعيّة التي أحاطت بإمامة الخليلي المختلفة جذرياً عن إمامة سلفه سالم بن راشد الخروصي.

(٢) أنفض: أَنْفَضَ القومُ: نَفِدَ طعامُهم وزادُهم، وهنا يُشير لقلة موارد معيشته.

(٣) يتوسل الإمام لإعانته؛ قائلًا: إنني ظللت وفياً للإمامة؛ إمامتك الحاليّة، وقبلها إمامة سلفك سالم بن راشد الخروصي، فأعِنّي في محنتي، فحقي عليكم كاد أنْ يكون فريضة واجبة.

الباب السادس

تقريظ الكُتب

في تقريظ كِتاب المَنهل(*)

مَدَدُ الحَقِّ للقلوبِ الصَّوادِي ... هُنَّ مَلقى الأنوارِ والامدَادِ

أخْذَةُ الحَقِّ للقلوبِ إليهِ ... بعدَ نَشفِ الوُجُودِ نَشفَ الرَّمَادِ

بعدَ مَحْوِ الآثارِ في طَلَب الـ ... ـعَينِ وكَونِ المُرِيدِ عَينُ المُرادِ

بعدَ إدراكِ وَحْدَةِ الحَقِّ للـ ... ـخلقِ وإلْغاءِ وَحْدَةِ الإلْحَادِ

آهِ والحُبُّ لا تُسَلِّيهِ آهٌ ... وحَرَامٌ آهٌ على ذي وِدَادِ

ليَ نَفسٌ أذابَها وَهَجُ الشَّو ... قِ فلم يَبْقَ غير خَفقِ الفؤادِ

قُمتُ أشكو سِرِّي بسِرِّي إلى الـ ... ـحُبِّ فكانَ الشَّكْوى كَوَرْيِ الزِّنادِ

ثُمَّ ألْقَتْ إليَّ هَيْمَنَةُ الـ ... ـحَقِّ: اصْطَبِرْ في مَحَبَّتي يا مُرَادِي

أيُّها الرَّاكِبُ المُغِذُّ إلينا ... يا تُرى هَلْ شارَفْتَ ذاكَ الوَادِي

هل ترَحَّلْتَ مِنكَ شِبراً إلينا ... أنتَ في مَرْكَزِ الهَوى مُتَمَادي

لو سَبَرْتَ الأغوارَ مِنكَ لأبْصَرْ ... تَ جثى الأغيارِ كالأطْوادِ

لو خَلَعتَ المَلابسَ السُّودَ سَوَّدْ ... ناكَ بين الرِّجالِ وسْطَ النَّادي

(*) عُني أبو مُسلم بكتب بعض العلماء والفقهاء وقام بتقريظها؛ كما هو الحال في هذه القصيدة والقصائد التي تليها. وهذه القصيدة تقريظ لكتاب «منهل الورّاد» للشيخ أحمد بن أبي بكر. ولم تمنعه مذهبيته من مدح عالم شافعي هو الشيخ أحمد بن أبي بكر الشافعي، مما يدل على عدم تعصب أبي مُسلم لمذهبيته. جدير بالذكر أنَّ الكُتب التي قام الشاعر بتقريظها؛ أشرف على طبعها في المطبعة السلطانية في زنجبار، وراجت، من هناك، في غير بلد عربيّ وإسلامي، لكننا نراه، مع ذلك، في قصائد أخرى كـ«أشعة الحق» و«النهروانيّة» مُكبّلًا بتشدُّدٍ مَذهبيٍّ واضح.

أنتَ مِفتاحُ الكَنزِ لو كنتَ تدري ... ومَـــدارُ الإضـــدارِ والإيـــرادِ
أنتَ مِنا ونَحنُ مِنكَ ولكنْ ... حالَ ما بَينَنا سَوادُ الأعادي
لو نُعارِضكَ للجَفا لم نُطالِبْـ ... ـكَ بصِدقِ الدَّعوى وَصَفوِ الوِدادِ
ما رَأى الحقُّ فيكَ ذرَّةَ مَشهو ... دٍ سِواهُ، فالقُرْبُ عَينُ البِعادِ
فَتَخلَّصْ مُحَمَّدِياً مِنَ الـ ... ـعِلَّةِ واشْطَحْ على رُؤوسِ العِبادِ
وَافْنَ فينا فلا حَياةَ لِحَيٍّ ... وحَياةُ الأحياءِ بعدَ النَّفادِ
واحتجبْ مِنكَ بي ولا تَحتجبْ مِـ ... ـنِّي بسجْفِ التأثيرِ والإيجادِ
دَعْكَ مِن ذا وتلكَ والرَّسْمِ والاسْـ ... ـمِ فما في المَيدانِ إلّا جَوادي
واحترِقْ مِن مَحَبَّتي أنا وَحدِي ... مِن طِباقِ النِّيرانِ في كُلِّ وادي
فعَلى صِحَّةِ المَحبَّةِ تستعْـ ... ـذِبُ تَعذيبَ الصَّدِّ والإبْعادِ
وإذا صَحَّتِ المَحَبَّةُ لم تحْـ ... ـفِلْ بِرَقصِ النَّعيمِ والإنكادِ
لِيَ في كُلِّ ذرَّةٍ مِن وُجودي ... حِكْمَةٌ قد طَوَيْتُها عَن عِبادي
تَتَضنَّى من الهَوى والهَوى عنـ ... ـكَ بوادٍ وأنتَ عَنهُ بوادِ
لو صَدَقتَ الهَوى لأغناكَ حُبِّي ... وتَمَسَّكْتَ في الهَوى بمُرادي
تَطلُبُ الوَصْلَ والمَقامُ صُدُودٌ ... قَبلَ قَضِّ الحَصا وَخَرْطِ القَتادِ
رَبُّ لَبَّيكَ حُجَّةُ الحَقِّ أعلَى ... وعُيونُ الجَلالِ بالمِرْصادِ
مَن تَوَلَّيتَهُ تَجَلَّتْ عليهِ ... مِن كَمالاتِ الحَقِّ شَمسُ الرَّشادِ
مَن أنا؟ والأنا فَناءٌ وَمَحْوٌ ... في مَقامِ التَّعذيبِ والإشْهادِ[1]
مَن أنا؟ والأنا خَيالٌ وَوَهْمٌ ... في مَقامِ الخِطابِ والإرْشادِ
مَن أنا؟ والأنا مَجازٌ وظِلٌّ ... في مَقامِ الإبعادِ والإيجادِ[2]

---

(١) استخدام «الأنا» مَسْبُوقةً بـ [لام التعريف] نادِرٌ في الأدبيّات الكلاسيكيّة، فيما لو قُورِنَ بقُزَحِ استخدَاماتِها في العَربيّةِ المُحْدَثة، لكنّها طبيعيّة في شِعر أبي مُسْلم وغير مُتكلّفة.

(٢) [مَن أنا؟ والأنا مَجازٌ وظِلٌّ] ـ لو قُرِئ هذا الشطرُ قراءة فلسفيّة/ شِعرية تحليليّة (بمَعزلٍ عن الخطاب الفكري المُهَيمِن في قصيدته هذه، وجُلّ قصائده الماتحة من مسعى تصوُّفيّ) لاستنبط القارئ/ =

بَلْ أنا نِسْبَةٌ إلى أثر الـ ... ـحَقِّ شَهيدٌ للحَقِّ بالانفرادِ

وأنا مِن حَيثُ انتِسابي إليهِ ... مَلِكُ الحَمْدِ والثنا والمَجادِ

وأنا مِن حَيثُ انتِسابي إليهِ ... كُلُّ نقصٍ وَوَصْمَةٍ في عِدادي

وأنا من حَيثُ انتِسابي إليهِ ... مُنعِشُ الرُّوحِ باعثُ الأجسادِ[1]

نِسْبَةُ الحَقِّ صَرَّفتني إلى أنْ ... قُمْتُ أتلو الزَّبُورَ بين الجَمادِ

إنْ يَكُنْ في الوُجُودِ سَمْعٌ شهيدٌ ... فأنا في الوُجُودِ أحْسَنُ شادي

ما ألَنْتُ الحَديدَ إلّا لأنّي ... قُمْتُ أشدو بنغمَةِ الحَدَّادِ

وَارِثُ الفَيْضِ والكَمالاتِ والحِكْـ ... ـمَةِ مِن جَدِّهِ الرَّسُولِ الهادي

مُوصِلُ السَّالِكينَ بالحَقِّ للـ ... ـحَقِّ ومُجْلي مَشارِقِ الإمْدادِ

مَدَّ مِن فَيضِهِ على الكَونِ بَحراً ... في قَصِيدٍ كالجَوهَرِ الوَقَّادِ

فشَهِدْنا مِن مَدِّهِ مَجْمَعَ الـ ... ـبَحْرَينِ[2] مِن غامضٍ هُناكَ وبَادِ

مَنْ سَقتْهُ المُحَمَّدِيَّةُ بَحْراً ... غَيرُ بِدْعٍ آرَاؤهُ للعَوادِي

فتلَقَّى تلكَ المَعارِفَ كَشّا ... فُ المُعَمَّى خَبيئةُ الأفرادِ

مَن هَيُولاهُ[3] والنبُوَّةُ سِيطَتْ ... قَبلَ إظهارِ نَشأةِ الإيجادِ

مَصْدَرُ الفضلِ أحْمَدُ بنُ أبي بَكْرٍ ... شَريفُ الآباءِ والأجدادِ

عَلَوِيٌّ مُحَمَّدِيٌّ عليهِ ... مِن سَنا النِّسْبَتينِ سِيما السَّدادِ

=المُحَلّى ظِلالاً ومجازات شِعريّة قادرة على إنصاف مُخيّلة الشاعِر (بالمَعنيين الشعري والفلسفي) خارجَ الأطُر التي كُرّسَت قصائدُهُ ومَضامينُها لفهمِها ضِمنَ حُدودِها الضّيقة.

(١) يتجلّى في هذا البيت البُعد الفلسفي الصُّوفيّ الصِّرف الذي ينطلقُ منه أبو مُسلم في تَناوُلِهِ اللافِت لمَوضُوعَة اتحاد الخالق بالمخلوق.

(٢) مجمَع البحرين: من التقى فيه العِلم الإلهي والعِلم الكَسْبيّ؛ أي: المُكْتَسَب من عُلوم الدنيا. ويَقصِدُ، هُنا، مَمْدوحَه أحمد بن أبي بكر مؤلِّف مَنهَل الوُرّاد.

(٣) الهَيُولى: مادّة الشيء التي يُصنعُ منها؛ كالخشب للكُرسِيّ والحديد للمسمار، والقطن للملابس. وهيَ عند القُدَمَاء: مادّة ليس لها شكلٌ ولا صورةٌ مُعيّنة، قابلة للتشكيلِ والتصويرِ في شتى الصُّوَر. وهيَ التي صَنعَ اللهُ منها أجزاء العالم المادّيّة.

جَمَعَ العِلمَ في مَزادٍ مِن التَّقـ ـوى، ولله جَمْعُ ذاكَ المَزادِ
واقتنى الدُّرَّ من عُلومِ الإشارا تِ فَحَلَّى بهِ صُدُورَ النَّوادي
جَرَّدَ النفسَ من كَثائِفِها فانهـ ـالَتْ عليها لَطائِفُ الإمْدادِ
وتلقَّى من رَبِّهِ كَلِماتٍ صَبَّها الفَيْضُ في لِباسِ المِدادِ
بَرَزَتْ مِن مَضارِبِ الوَهْبِ ثكلى فهيَ مِن فَقدِ أهلِها في حِدادِ
فَتَرامَتْ تُبينُ مِنهُ خَفِيَّا تِ طَوَتْها فَريدَةُ الحَدَّادِ
كُنَّ شَرْحاً لها وأعْظِمْ بهذا الشـ ـرحِ كَنزاً ما إنْ لَهُ من نفادِ
يَبْرُقُ الحَقُّ مِن مَصادِرِهِ العُلـ ـيا ويَنهَلُّ حِكْمَةً للعِبادِ
قامَ بالشَّرْعِ والحَقيقةِ يَدْعُو بالِلسانَيْنِ للهُدى والرَّشادِ
شَكْلُ[1] نورٍ بهِ خَبايا زوايا رَقَبَتْها دَوائِرُ الأفرادِ
جامِعٌ مِن ذخائرِ العِلم والحِكْـ ـمَةِ ذُخراً يَبقى ليَومِ المَعادِ
حاصِرٌ مِن مَعارِفِ القومِ ما يفـ ـتحُ للسّالِكينَ بابَ المُرادِ
وَلَعَتْ بانتِشارِهِ مَكَّةُ اللهِ لِتَسْري أنوارُهُ في البِلادِ
فأدارَتْ عليهِ من فَلَكِ الطَّبْـ ـعِ نُجُومُ التوفيقِ والإسْعادِ
جاءَ تاريخُ طَبعِهِ ضِمْنَ بَيتٍ كانَ تاجاً لِمَفرِقِ الإنشادِ[2]
سَلْسَبيلٌ مِزاجُهُ زنجبيلٌ فاشْرَبُوهُ «بِمَنهَلِ الوُرَّادِ»

---

(١) الشَّكْل: الأمر المُلتبس ـ وهيئةُ الشيء وصُورته، لكنه عند المَناطِقة: صُورةٌ من الدليل تختلف تبعاً لنسبة الحَدِّ الأوسط إلى الحَدَّيْن الآخَرين؛ الأصغر والأكبر.

(٢) هنا يؤرخ لتاريخ طباعة كتاب منهل الوُرَّاد، في شاهد البيت: «كان تاجاً لمَفرِقِ الإنشادِ»، ويُساوي بحساب الجُمَّل سنة ١٣٣١هـ، الموافق: ١٩١٣م.

تقريظ كتاب «هِمْيَان الزاد»(*)

جَرِّدِ النَّفسَ وَانْهَهَا عَن هَوَاهَا ... لا تَذَرْهَا في غَيِّهَا تَتلاهَى

زَكِّهَا بالتَّقوى فما تُفلِحُ النَّفـ ... ـسُ بِحَالٍ إلّا على تَقْوَاهَا

واشتمِلْهَا عَنِ المَرَاعِي الوَبِيَّا ... تِ إذا اسْتَرْسَلَتْ إلى مَرْعَاهَا

واتَّخِذْ في مَرَاصِدِ الكَيْدِ مِنهَا ... حَرَساً يَكْسِرُونَ صَعْبَ قُوَاهَا

فَلَهَا للعِصْيَانِ مَيلٌ عَظِيمٌ ... لو نَفَتْهُ عن طَبْعِهَا ما عَدَاهَا

ولها في المَتَابِ شِدَّةُ عَجْزٍ ... بِعِدَاتِ التَّسوِيفِ نِيطَتْ عُرَاهَا

ولها في المَتَابِ مَكْرٌ خَفِيٌّ ... جَعَلَتْهُ تَلَبُّساً مِنْ حُلاهَا

إنَّ كَيدَ الشيطانِ كانَ ضَعِيفاً ... ودَوَاهِي النُّفُوسِ لا تَتَضَاهَى

فتيَقَّظ لها وقد أمْكَنَ الأمْـ ... ـرُ، فما الحَزمُ تَرْكُهَا وَمُنَاهَا

فاعْتَقِلْهَا في مَبْرَكِ الزُّهْدِ بالخَو ... فِ إلى أنْ تَبْدُو هُزالاً كُلاهَا

فإذا انحَلَّتِ القُوى فأثِرْهَا ... لِمَرَاعِي اليَقِينِ تَشفي طُوَاهَا

وإذا أرْزَمَتْ وحَنَّتْ لإلْفِ الطبْـ ... ـعِ فارْفُضْ حَنِينَهَا وَبُكَاهَا

فمُرُوجُ اليَقِينِ فِيهَا زُهُورٌ ... مُعصِرَاتُ التوفيقِ تَسْقِي رُبَاهَا

(*) العُنوانُ من اختيارنا ـ وقد قال هذه القصيدة مادِحاً قُطب الأئمة الحاج محمد بن يوسف أطفيش الميزابي (نسبة إلى وادي ميزاب ـ الجزائر) والقصيدة كتبت تقريظاً لكتاب قطب الأئمة «هِميان الزّاد إلى دار المعاد»، بمناسبة طبعه في زنجبار بهمّة أبي مُسلم الذي سخر المطبعة السّلطانية لطبع الكتب الفقهية إلى جانب إصداره لأول لصحيفة «النجاح» عام ١٩١١. الهِميان: كيس للنفقة يُشدُّ في الوسط.

مـا رَعَـاهـا حَـيٌّ فـعـاشَ ولا مَـيـ / ـتٌ فـلم يَـحْـيَ رَيْـثـمـا يَـرْعَـاهـا

ومَـتـى هَـبَّ لـلقَـبُـولِ قَـبُـولٌ / بـيـنَ رَوضَـاتِـهـا وَفَـاحَ شَـذاهـا

فـاشـرِ بـالـدَّهْـسِ لا الـحَـزونِ بـلـيـلٍ / آمِـنـاً مِـنْ كَـلالِـهـا وحُـفـاهـا

مـا سَـرَتْ لـلأوطـانِ نـفـسُـكَ إلّا / حَـمِـدَتْ غِـبَّ صُـبْـحِـهِ مَـسْـراهـا

أنـتَ فـي هـذه الـرُّسُـومِ الـعـتـيـقـا / تِ غـريـبٌ فـخَـلِّـهـا وَبَـلاهـا

والـبِـدَارَ الـبِـدَارَ لـلـمَـوطِـنِ الـدّا / ئـمِ حَـيـثُ الـحَـيـاةُ أَلْقَـتْ عَـصَـاهـا

قـد تَـرَاءَتْ لـكَ الـخِـيـامُ فـمـا عَـجْـ / ـزُكَ عَـنْ أنْ تَـحُـلَّ وَسْـطَ فِـنـاهـا

شَـمِّـرِ الـذيـلَ وارْكَـبِ الـلـيـلَ واصْـحَـبْ / ذاتَ صَـبـرٍ فـمـا الـسُّـلـوكُ سِـواهـا

وعـلى الأيْـنِ فـاحـتـمِـلْ كُـلَّ خَـطْـبِ / سَـوفَ تـحـلُـو الـخُـطُـوبُ فـي عُـقـبـاهـا

وإذا شَـقَّـتِ الـمَـسَـالِـكُ طـالَـتْ / قَـصَّـرَ الـشـوقُ لـلـحـبـيـب مَـداهـا

مـا الـكَـرَى والـبـروقُ سَـاهِـرَةٌ إنْ / كـانَ فـي الـشَّـوقِ صَـادِقـاً دَعْـواهـا

خَـلِّـفِ الـعَـالَـمَ الـطَّـبـيـعـيَّ وارْحَـلْ / لـلـتـي لـم تُـخـلَـقْ لـدَارٍ سِـواهـا

هـذه مَـعْـبَـرٌ وتـلـك مَـقـامٌ / فـاعْـبُـرُوهـا لا تَـعْـمُـروا مَـغـنـاهـا

عَـجَـبـاً مِـن مَـحْـجُـوبـةٍ فـي كـثـيـفٍ / عُـنـصُـرُ الـعـالَـمِ الـلـطـيـفِ رَمَـاهـا

نَـسِـيَـتْ أُنـسَـهـا بِـمَـقـعـدِ صِـدْقٍ / وتـجَـافـتْ لِـوَيْـلِـهـا وَشـقـاهـا

حُـبِـسَـتْ فـي ضَـنْـكٍ وَوَحْـشـةِ طَـبـعٍ / فـتـمَـنَّـتْ أنْ لا يَـحُـولَ عَـنـاهـا

لـيـتـهـا حَـلَّـقـتْ إلـى الـرَّفـرَفِ الأخـ / ـضَـرِ حـيـث الأنـوارُ تـغـذو قـواهـا

رَجِّـعِـي يـا وَرْقـاءُ نَـوْحَـكِ لـلإلْـ / ـفِ، فـإنَّ الـوَلْـهَـى تَـبُـثُّ جَـواهَـا

وانـدُبـي الـمَـعْـهَـدَ الـقـديـمَ عَـسَـى الـرَّجـ / ـعَـةُ قـد آذنـتْ إلـيـه عَـسَـاهـا

وانـقـذي مـن إشـرَاكِ سِـجـنـكِ شَـوقـاً / لـريـاضٍ نَـشـأتِ بَـيـنَ رُبـاهـا

جـاذِبـي كَـفَّـةَ الـحِـبَـالَـةِ فـالـحَـا / بِـلُ مُـوفٍ بِـمِـدْيَـةٍ قـد نَـضَـاهـا

واسْـرَحِـي فـي الـرِّيـاضِ مِـن مَـلـكـوتِ الله / تـرعَـيـنَ فَـيـضَـهُ فـي فَـضَـاهـا

لـو شَـجَـاكِ الـتَّـذكـارُ مِـن لَـوعَـةِ الـبَـيْـ / ـنِ لـمَـزَّقْـتِ الـقـلـبَ آهـاً وواهـا

عـالَـمُ الـكَـونِ والـفَـسـادُ بَـلِـيَّـا / تٌ، لـكِ الاخـتـيـار فـيـمـا عَـدَاهـا

رَشَّحَتكِ الألطافُ للحَضْرَةِ العُليـ ـا، أما تـرغـبـيـن فـي لُقـيـاهـا؟
لَهْفُ نفسِي على النفوسِ النَّفيسا تِ أضَـاعَـتْ أقـدَارَهـا وعُـلاهـا
بَرَزتْ مِن مَضارِب الحَقِّ في أفضِـ ـيَـةِ الأمـرِ فـاسْـتـبـاهـا هَـواهـا
تَـأنـفُ الـوَادِيَ الـمُـقـدَّسَ رَعـيـاً وَرَعَـتْ حيـث الآسَادُ تَـفـري فَـرَاهـا
لـو تـمَـنَّـتْ خَـلاصَـهـا أدرَكَـتْـهُ وغَـدَتْ لا تُـراعُ وَسْـطَ حِـمـاهـا
مـا أرادتْ مِـن جيـفـةِ الزُّخْـرُفِ الـحا ئِلِ لـو أبْـصَـرَتْ سَـبـيـلَ هُـداهـا
تَـتـجـلّى لـهـا الـحـقـائـقُ لا غـيـ ـنَ ولا غَـيـمَ سَـاتِـرٌ مَـجْـلاهـا
بَـاهِـراتُ الـجَـمـالِ يَـدْعِـيـنَ لـلوَصْـ ـلِ فـتـأبَـى الـنُّـفـوسُ أنْ تَـهْـوَاهـا
غَـرَّهـا الـجَـهْـلُ فـاطْـمَـأنَّـتْ إلـيـهِ إنَّ جَـهْـلَ الـنـفـوسِ أضَـلُّ شَـقَـاهـا
أيـهـا الـنـفـسُ عِـلمُ مَـغـنـاكِ بَـحـرٌ في عَـمِـيـقـاتِ غَـمْـرِهِ الـعَـقـلُ تَـاهـا
لو شَهِدْتِ المَسْطورَ في نُسْخةِ الغَيـ ـبِ وَمَـعـنـاكِ مـا حَـوَتْ دَفَّـتـاهـا
وكَـشَـفْـتِ الـمَـسْـتـورَ فِـيـكِ أيْـقَـنْـ ـتِ بـأنَّ الـوُجُـودَ فـيـكِ تَـنـاهـى
أنـتِ فـي هَـيْـكـلٍ خَـبـيـئَـةُ أمْـرٍ مِـنْ حَـكِـيـمٍ لِحِـكْـمَـةٍ أمْـضـاهـا
فـأمِـيـطِـي قَـذاةَ عَـيـنِـكِ مِـن بَـيـنِ زَوَايَـاهُ تُـذْرِكِـي إيَّـاهـا
فالخفايا عَلَيكِ في لَوحِكِ المَحْفـ ـوظِ لـو مـا كَـشَـفْـتِ عَـنـهـا غِـطـاهـا
آهِ يـا نـفـسُ والـبَـقـيَّـةُ مِـن عُـمْـرِ كِ قَـد أشْـرَفـتْ عـلى مُـنْـتـهـاهـا
آهِ يـا نـفـسُ أدْرِكِـيـهـا فـلا مَـطـ ـمَـعَ، بَـعـدَ الـفِـراقِ، فـي لُقـيـاهـا
وَدَّعِـيـهـا بـالـصَّـالِـحات عَـسَى نَـفـحَـ ـحَـةُ تَـوبٍ وَرَحْـمَـةٌ تَـغـشـاهـا
لـسـتِ فـي هـذه الـحَـيـاةِ عـلى شـ ـيءٍ سِوى مـا تَـلْـفِـيـنَ فـي عُـقـبـاهـا
فـاصْـدِري عَـنْ غِـمـارِ بـاطِـلِـهـا عَـطْـ ـشـى، فـأصْـدَى عِـطـاشِـهـا أرْوَاهـا
وَمَـسِـيـرُ الـعِـطـاشِ أقـطَـعُ لـلبِـيـ ـدِ وخَـيـرُ الإظْـمَـاءِ مـا أحْـفـاهـا
فـاطْـمَـئِـنّـي وأوِّبـي وأنِـيـبـي واخْـلُـصِـي مِـن آفـاتِـهـا وبَـلاهـا
آهِ يـا نـفـسُ والـعَـلائـقُ أعـدا ءٌ شِـدادٌ، وأنـتِ مَـن أسْـرَاهـا
«يـنـدبـون الـلِّوى وأنـدُبُ نَـجْـداً كُـلُّ عَـيـنٍ تـبكِـي عَـلى مـا شَـجَـاهـا»

لَيتَ أنّي بـ «يَشجنٍ»[1] أجتلي النو … رَ مِنَ العَالِمِ الذي لا يُباهى

أستمِدُّ الفُيوضَ في فَيْضِهِ الوَهْـ … ـبيِّ أو تملأُ السُّيولُ زُبَاها

قَطَعَتْ بي قَواطعُ الدَّهرِ عنهُ … حَاجَةٌ في نَفسِ الزَّمانِ قَضَاها

كَشَفتْ لي عَنهُ الحَقائقُ ـ والحَقُّ … شَهيدِي ـ بأنَّهُ مُنتَمَاها

وَارثُ الأنبياءِ عِلماً وحُكماً … وَسَفيرٌ عَنها إلى مَن عَدَاها

أدْرَكَ المِلَّةَ الحَنيفيَّةَ البَيـ … ـضاءَ إذ فوَّضَتْ لَهُ شَكْواها

تَتَضَنّى مَرُوعَةً تَندِبُ الأبرا … رَ حُزناً هَمَّالَةً مُقلَتَاها

فأثَارَتْهُ شِرْبَةُ النَّهرِ والغِيـ … ـرَةُ للهِ في رِضَا مُصطَفاها

فَحَمَاها وَسَامَها وكَذاكَ الـ … أسْدُ تَحمِي عَرِينَها وَحِمَاها

رَدَّها مِثلَ رَدِّ يُوشَعَ للشمـ … ـسِ وقد غَابَ نُورُها وَضِيَاها

عَجَباً أشرَقتْ مِنَ الغربِ شَمسٌ … فأتتنا للشَّرقِ يَسعى سَناها

إنَّها آيَةٌ وإنْ كانَ لا بِدْ … عَ مِنَ العَارِفينَ مِن شَرواها

دَرَجَاتُ الكَمالِ والفَضْلِ لا تُحْـ … ـصَى وقد حَازَ شَأنُهُ أعلاها

تلكَ آثارُهُ لَهُ شاهِداتٌ … إنه للعُلومِ قُطبُ رَحَاها

طَلَعَتْ مِن جبالِ مُصعَب والزَّا … بِ جبالٌ من عِلمِهِ أرْسَاها

ثم دارَتْ بالأرضِ كالفَلَكِ الدَّو … ارِ لا تُحصِي النُّهى أقصَاها

جَاءَ تفسيرُهُ بمُعجِزةٍ قد … بَهَرَتْ أهلَ الابتِداعِ سُطَاها

يَبْرُقُ الحَقُّ مِن مَصَادِرِهِ العُلـ … ـيا ويَنهَلُ العِلمُ مِن مَجلاها

وَحَدَتْهُ العُقولُ في الفَنِّ حُكماً … فَنَفَينا الأندادَ والأشباها

فانهَضِي نَهضَةَ الغَضَنفرِ لا تُو … لِينَ جَهداً في قتلِها وَجَلاها

واسْتَعِدّي الأجنادَ مِن طاعَةِ … اللهِ فقدْ عَزَّكِ النَّصيرُ سِواها

واعلَمِي أنَّ طاعَةَ اللهِ لا يَنْهَـ … ـضُ إلّا بالعِلمِ، قطعاً، بِناها

---

(1) يشجن: بلدة قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش بالجزائر.

دُونَكِ الجِدُّ أفْرِغِي فِيهِ أنفا ... سَلِكِ فالهَزْلُ ضَاقَ عَنهُ مَداها

واستمِدِّي الأنوارَ مِن كَلِمات ... الله إن الهُدَى بِحَقٍّ هُداها

هيَ مَرجُ البَحْرَينِ، فالتقِطِي الجَو ... هَرَ مِن ذا وذاكَ مِن فَحْواها

شَرِبَ العَارِفونَ مِنها فهاموا ... بمَذاقيْنِ مِن رَحيقِ طِلاها

رَاعَ خلفَ السُّتورِ ما أظْهَرَتْهُ ... مِن جَمالٍ فكَيفَ ما في خَفَاها

إنَّ للهِ في الخَفَاءِ نُفُوساً ... في مَيادِينِ قُدْسِهِ أخْفاها

حَجَبَتها سَتائرُ اللُّطْفِ عنها ... وجَلاها مِن أمْرِهِ ما جَلاها

أخَذتْها عِنايَةُ اللهِ عَن أطو ... ارِها فانْتهَت بها في حِماها

هذِهِ الأخْذَةُ التي أحْرَقتْ قلـ ... ـبي وطاشتْ قُواي تحت قُواها

ليتَ أنِّي أذْهَبْتُ ألفَ حَياةٍ ... وترَاءَتْ لي لَمْحَةٌ مِن خِباها

أنا مَن تيَّمَتهُ غِزلانُ نَجْدٍ ... وخَمِيلاتُ الرَّندِ بَينَ رُباها

ليَ نفْسٌ لولا التشفِّي بأرْوا ... حِ صِباها ذابَتْ بحَرِّ جَوَاها

إنْ يَكُ الغَوْرُ تيَّمَ الغَيْرَ فالأهْـ ... ـواءُ شتَّى وللقلوبِ هَواها

حَاكَ مِن قبلِهِ الضَّلالُ نسِيجاً ... غَزَلَتْهُ خَرقاؤهُ لِشِتاها

رَقِّعِي يا خَرقاءُ طِمْرَكِ والأنـ ... ـواءُ تَحْدُو ظُعُونَها جَرْبِيَاها

لا يُوَارِيكِ ما غَزَلْتِ ولا يُد ... فِيءُ في سَبْرَةِ الشِّتاءِ كِسَاها

هذه الحُلَّةُ التي نَسَجَ الحَـ ... ـقُّ رَصِيناً إلحَامُها وسَدَاها

لم تَحِكْ فِطْرَةُ العُقولِ على مِنـ ... ـوالِها ليسَ صُنعُها مِن قُواها

إنها فَيْضَةٌ لَدُنِيَّةٌ سِيـ ... ـقَتْ لِرَبَّانِيٍّ وهذا سَناها

وبُحُورُ الفُيُوضِ مِن عَالِمِ الوَهْـ ... ـبِ لأهلِ العِرفانِ لا تَتَنَاهى

ما تَلَقَّيْتَ يا مُحَمَّدُ ذي الفَيْـ ... ـضَةَ إلّا وأنتَ مِنْ خُلَصَاها

شَمِلَ الكَوْنَ مِنكَ مِقباسُ نُورٍ ... فأنارَتْ عَشِيَّةٌ كَضُحَاها

أرْضَعَتكَ الآياتُ ألْبَانَ ضِرعَـ ... ـيها فَبَرْهَنْتَ هَادياً مُقتضاها

وأقامَتْكَ في مَقاماتِ ذي التَّحْـ ... ـقيقِ حتى نَزَلْتَ وادي طِوَاها

هكذا يا ابنَ يُوسُفَ الحَقُّ لا يَترُ ... كُ نفساً أحَبَّها وارْتَضَاها

أو تُجلَّى لها الحقائقُ كشفاً ... فتَرى عَنهُ غامِضاتِ عَمَاها

قَصَّرَتْ عَنكَ بالثَّناءِ وبالحَمْـ ... ـدِ لِسَاني وَعَزَّني إمْلاها

نِسْبَتي للمَدِيحِ فيكَ كما بيني ... وبَينَ النُّجُومِ وَسْطَ سَمَاها

قد تَبَرَّكْتُ بالثناءِ على وجْهِـ ... ـكَ أبْغي بِهِ مَعَ اللهِ جَاهَا

فأجِزْني بدَعْوَةٍ تَجمَعُ الخيـ ... ـراتِ لي في الدُّنيا وفي عُقباها

ظَهَرَتْ مِنكَ في الوُجودِ كَرَاما ... تٌ رَجَوْتُ الإمْدَادَ مِن جَدْواها

هل أتى النَّخلَةَ الإبَاضِيَّةَ الغَرَّاءَ ... أنْ أفلَحَتْ بدَرْكِ مُناها

إذ أتاحَ التوفيقُ والقَدَرُ السَّا ... بقُ إرغامَ كُلِّ مَن نَاواها

بتمامِ التفسيرِ طَبعاً[1] على هِمَّـ ... ـةِ أمْلاكِها وأُسْدِ شَرَاها

فَدَعَتْني هَواتِفُ الحَقِّ للتأ ... ريخِ والبِشْرُ شامِلٌ إيّاها

قلتُ أرِّخْ: دَوامَ جِدٍّ وبِشْرٍ ... إن «هِمْيَانَ الزّادِ» طَبعاً تَناهى[2]

قيلَ فامْدَحْ زَاباً وزِدْ، قلتُ: زَابٌ[3] ... عَلِمَ الجهلَ ظُلْمَةً فَجَلاها

---

(١) يقصد تمام طَبْع كتاب «هِمْيَان الزّاد إلى دار المَعاد» في زنجبار.

(٢) لأبي مُسْلِم دورٌ كبير في طباعة كتاب العلّامة محمد يوسف أطفيش في زنجبار، فزهوُهُ وفرحُهُ بإنهاء الطباعة (هِمْيَانُ الزّاد) جليٌّ من الأبيات التي استخدم فيها «حِسَاب الجُمَّل» للتدليل على تاريخ طبع الكتاب في عبارة «دَوامَ جِدّ وبِشر إن هِمْيانَ الزاد طبعاً تناهى» الواردة في هذا البيت، والتي يُمكن ترجَمَتُها وفق حِساب الجُمَّل ليكون تاريخ الإنتهاء من طباعة الكتاب: ١٣١٤ هـ. المُوافق: ١٩١٦م.

(٣) إشارة: نلاحظ تطور أبي مُسلم حتى في استخدامات كلاسيكية للتأريخ (حساب الجُمَّل)، لكننا نرى أنه يُطور في هذه القصيدة عناصر التأريخ، بتكرارها مرتين فيما يذكر بلدة زاب إشادة وإطراءً لها، فهي بلدة واقعة في نفس منطقة الأمازيغ بوادي ميزاب في الجزائر. لذلك، فإن فحوى البيت الأخير ليست ـ كما جرت العادة ـ قفلَة شِعرية كلاسيكية بتكرار: فامدح زاباً وزد، قلتُ: زاباً [نسبة إلى وادي ميزاب]، بلْ لتأكيد تاريخ طبع الكتاب باستخدام حِساب الجُمَّل، ولإيراد مُفردة زاب ضمن شاهده؛ والشاهد في البيت التأكيدي، وفق حساب الجُمَّل في جملة «زابٌ عَلِمَ الجهلَ ظلمَةً فجلاها»، والنتيجة أيضاً: ١٣١٤هـ، وزاب هي بلدة في وادي ميزاب.

تقريظ كتاب «حاشية الترتيب»(*)

إنَّ المَعارِفَ لِلقلُوبِ مَصائِدُ ... وسَنا العُقولِ بغيرِ وَهْبٍ خامِدُ
والجِدُّ قبلَ الكَسْبِ في إدْرَاكِها ... والكَسْبُ في التحقيقِ وَهْبٌ وَارِدُ
وإذا تحَجَّبَتِ الحقائِقُ عَن حِجىً ... فكَشائِفُ الأهْواءِ فيهِ رَوَاكِدُ
وقدَاسَةُ التَّجْريدِ مَجْلَبَةُ الصَّفا ... وَصَفا النُّفوسِ هُوَ البَصِيرُ النَّاقِدُ
وإذا تَقدَّسَتِ القُلوبُ من الهَوى ... فلهُنَّ أسْرارُ الغُيُوبِ مَشاهِدُ
وسَنا البَصَائِرِ مُدْرَكٌ إن مَدَّهُ ... مِن بَحْرِ نُورِ الله نُورٌ وَاقِدُ
ومَتى تَوَارَدَتِ الأشِعَّةُ وانْجَلَتْ ... فاقْصِدْ فعِندَكَ في طَرِيقِكَ قائِدُ
وعَلى كَمَالِكَ فاعْتَرِفْ بالنَّقصِ لا ... يَغْرُرْكَ وَهْمُكَ والخيَالُ الفاسِدُ
فعَلَى المَرَاصِدِ من صِفاتكَ قاطِعٌ ... وهَوَاكَ مِن دُونِ المَوارِدِ ذائِدُ
وعلى المَدَارِجِ في المَعَارِجِ دَافِعٌ ... إنْ لَم يَكُنْ لكَ في الرُّقِيِّ مُساعِدُ
هَلّا أتتكَ عَنِ السَّعادَةِ خِبْرَةٌ ... وأتاكَ مِنْ فَيضِ المَعارفِ شاهِدُ
بكَمَالِ طَبْعِ صَحَائفٍ نَبَوِيَّةٍ ... شَرْعِيَّةٍ لِهُدى النُّفوسِ مَوارِدُ
تُخلِي حَوَاشِيَها خَرَائِدُ خُلَّبٌ ... للهِ مِن خَلْفِ الحِجَاب خَرَائِدُ
تُوحِي إلى الرَّوعِ الهُدَى مِن نُورِها ... وهُدى النبيِّ هُوَ الضِّياءُ الوَاقِدُ
فيها لِمُقتَبِسِ العُلومُ مَصَابِحٌ ... ومَعالِمٌ ومَواقِفٌ ومَقاصِدُ
ومَعارِفٌ ولَطائِفٌ فَيْضِيَّةٌ ... ومَظاهِرٌ قُدْسِيَّةٌ ومَشَاهِدُ

(*) كتبت هذه القصيدة تقريظاً لكتاب «حاشية الترتيب» لمحمد بن إبراهيم الورجلاني، وهو أيضاً من الكتب التي عُني أبي مُسلم بطباعتها في المطبعة السلطانية بزنجبار.

تَحيا القلوبُ بها وتَهْوَى رُشْدَها ... ولِكُلِّ ما تَهْوَى القلوبُ شَوَاهِدُ
زَهْرَاءُ تَنْثُرُ جَوهَراً كَلِمَاتُها ... ومِنَ العُلومِ نَفائسٌ وفَرَائِدُ
حَارَ ابنُ إبراهِيمَ[1] في ترتِيبهِ ... شَرَفاً لَهُ زُهْرُ النُّجُومِ سَوَاجدُ
مَتْنٌ تَوَدُّ الشمسُ لو عَقَدَتْ لَهُ ... تاجاً وأنَّ لَهُ النجومَ قَلائِدُ
حُسْنٌ تُضِيءُ بهِ مَحَاسِنُ يُوسُفٍ ... ولِحُسْنِ يُوسُفَ كُلُّ حُسْنٍ سَاجدُ
طُوبَى لِفِرقتِنا المُحِقَّةِ إنَّهُ ... نِعْمَ الإمَامُ إمَامُنا والقائدُ
قَطَعَ الخُصُومَ هُدىً وفَضَّ ثُغورَهُم ... وكذا المُحِقُّ عَنِ الحَقائِقِ ذائِدُ
والحَقُّ يَعْلُو والمُوَفَّقُ غَالِبٌ ... والبُطْلُ يُزْهَقُ والمُلَفِّقُ فاسِدُ
أوَ مَا تَرَى فَصْلَ الخِطابِ بحِكْمَةٍ ... لِلحَقِّ فيه مَصَادِرٌ وَمَوارِدُ
أوَ مَا تَرَى رَبْعاً مُنِيراً دَوْحُهُ ... فيه لِفُرْسَانِ العُلومِ مَطَارِدُ
نَبَتَ الفَلاحُ على زُبَى صَفحَاتِهِ ... يَسْقِيهِ والقرآنُ مَاءٌ واحِدُ[2]
رَتَعَتْ أوَابِدُ كُلِّ عَارِفَةٍ بِسَا ... حَتِهِ فَهُنَّ لِمَنْ أرادَ مَصَائِدُ
أمُحَمَّدٌ مَهَّدْتَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ ... نِعْمَ المِهادُ لنا وَنِعْمَ المَاهِدُ
وَبَسَطْتَ حَاشِيَةً مَلأتَ وِطَابَهَا ... دُرّاً وذاكَ الدُّرُّ كَنزٌ خالِدُ
ولقد توفَّرَتِ السَّعادَةُ وانْجَلَى الـ ... إقبالُ وانْكَمَشَ العَدُوُّ الحَاسِدُ
وتألَّقتْ غُرَرُ البشائرِ حِينما انتـ ... ـظَمَتْ لجَوهَرِها الثمِينِ قلائِدُ
بِكَمَالِها طَبْعاً وكَوْنِ كَمَالِها ... فيهِ لِغايَاتِ الكَمَالِ مَعَاقِدُ
وأتاكَ تأريخي: ادْرُسِ التَّرْتِيبَ أو ... قَمَراً بَدَا لِلشَّرْعِ فيهِ مَقاصِدُ
أو شِئتَ: بِرٌّ ظاهِرٌ تأرِيخُهُ ... أو قَولُ: حَاشِيَةِ الحَدِيثِ فَرَائِدُ[3]

---

(١) ابنُ إبراهِيم: هو مؤلف الحاشية يوسف بن إبراهيم الورجلاني.

(٢) زُبى: الزُبْيَةُ: الرابية لا يعلوها الماء.

(٣) في البيتين الأخير وما قبله، وعبر استخدامه لحِساب الجُمَّل ـ كما في القصيدة السابقة ـ يُؤرِّخ أبو مُسْلِم طباعة «حاشية الترتيب» بجملتين يكمن فيهنَّ تاريخ طبع الكتاب، وهما: «ادرس الترتيب» و«قمراً بدا للشرع فيه مقاصد»؛ ونتيجة الحسبة: عام ١٣٠٧هـ، المُوافق: ١٨٨٩م.

تقريظ كتاب «مدارج الكمال»(*)

اسْتَنْبِطِ العِلْمَ وَزَكِّ العَمَلا ... ولا تَعِشْ بِغِرَّةٍ سَبَهْلَلا

لا تَتْرُكِ الأنفاسَ في الهَزْلِ سُدىً ... أدْرَكَ مَن جَدَّ وفي الجَدِّ العُلى

جَوهَرَةُ النَّفْسِ إذا ضَيَّعْتَها ... في لَعِبٍ لم تَلْقَ مِنها بَدَلا

رَشَّحَكَ الحَقُّ لأمرٍ جَلَلٍ ... تُدْرِكُهُ إذا رَكِبْتَ الجَلَلا

لو لَمْ يُرِدْ قُرْبَكَ مِن جَنابِهِ ... لم يَهَبِ العَقلَ ويَهْدِ السُّبُلا

فإنْ تَوَجَّهْتَ إلى حَضْرَتِهِ ... فرَافِقِ العِلمَ يَقودُ الجَمَلا

فَخيرُ ما رَافَقْتَ عِلْماً نافِعاً ... وشافِعاً مُشَفَّعاً في يَومِ «لا»[1]

إنَّ العُلومَ كالنُّجومِ كَثْرَةً ... فاعْتَنِقِ الشَّمسَ وغادِرْ زُحَلا

عَليكَ بالشَّرْعِ فلَسْتَ عائِذاً ... بِمَوْئِلٍ أكْنَفَ مِنهُ مَوئِلا

نُورٌ مِن اللهِ إذا كَساكَهُ[2] ... أصْبَحْتَ سُلطاناً على مَن جَهِلا

أنتَ مِن اللهِ على شأنٍ إذا ... خَلَفْتَ بالعِلمِ نَبِياً مُرْسَلا

سَدِّدْ وقارِبْ واحْتَجِزْ جَوامِعاً ... مِنهُ فلن تَحْصِرَهُ مُفَصَّلا

ودُونَكَ السِّفْرُ الذي تَرْقَى بِهِ ... مَدارِجَ الكَمالِ مَرْقًى مُوصِلا

(*) قالها تقريظاً لكتاب «مدارج الكمال» للعَلّامة نور الدين السالمي، وأيضاً هو واحد من الكتب التي أخرجتها المطبعة السلطانية في زنجبار.

(١) يوم لا: يقصد يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون.

(٢) كَساكَهُ: كَساكَ إيّاه.

سَـحَـابَـةٌ وَطْـفَـاءُ إلّا أنـهُ يُـمْـطِـرُ نُـوراً وَيَـمُـجُّ عَـسَـلا

نُـقـطَـةُ نُـورٍ صَـبَّـهـا الـوَهْـبُ عـلى إمْـدادِهِ قـلـبٌ مِـنَ اللهِ انْـجَـلا

تَـجَـسَّـمَ الـنـورُ عـلى طِـبَـاقِـهِ فـلاحَ فـيـهـا جَـوْهَـراً مُـفـصَّـلا

يَـنـفُـثُ رُوحَ الـعِـلمِ مِـن ثُـغـورِهِ كَـنـفْـثِ رُوحِ الـقُـدْسِ لِلوَحْـيِ «عَـلا»

كـانَ نِـثـاراً كـالـنُّـجُـومِ فـانْـبَـرَى لِصَـوغِـهِ عِـقـداً جَـمَـالُ الـنُّـبَـلا

مُـوَفَّـقُ الـنـزْعَـةِ كَـشَّـافُ الـعَـمَـى مُـسْتـوْعِـبٌ عُـشرَ الـعُـقـولِ ابنُ جَلا

قُـدْوَتُـنـا الـمَـمْـدُودُ مِـن مَـصادِرٍ رَقَـى إلـيـهـا فـتـلـقَّـى واجْـتَـلَى

خَـبِـيـئَـةُ اللهِ لِـنَـصْـرِ دِيـنِـهِ وحُـجَّـةُ اللهِ عَـلى مَـن أبْـطَـلا

الـسَّـالِـمِـيُّ ابـنُ حُـمَـيْـدٍ الـذي قَـامَ لِـقَـيُّـومِ الـسَّـمَـاءِ فَـيـصَـلا

صَـارَ عـلى الـبُـطْـلِ شِـهـاباً رَصَـداً فـأيُّ شـيـطـانٍ بـهِ مَـا انْـجَـدَلا؟

أيَّـدَهُ اللهُ وأبْـقَـاهُ لَـنَـا مُـوَفَّـقـاً مُـسَـدَّداً مُـبَـجَّـلا

وحـيـثُ مَـنَّ اللهُ بـالـطَّـبْـعِ[1] لـمـا أبْـرَزَهُ بِـنُـورِهِ مُـكَـلَّـلا

بِـهِـمَّـةِ الـسُّـلـطـانِ ذي الـهَـمِّ الـذي تَـصَـاعَـقَـتْ لَهُ الـمُـلُوكُ ذُلُلا

مُـؤَيَّـدُ الـدِّيـنِ الـذي صِـفـاتُـهُ وذِكْـرُهُ الـمَـحْـمـودُ سَـارَت مَـثَـلا

أبـي عـليٍّ مَـصْـدَرِ الـفَـضْـلِ فَـتَـى مُـحَـمَّـدٍ حَـمُـودٍ قـمـقـامِ الـعُـلا

ذي الـعِـزَّةِ الـقَـعْـسَـاءِ فـي شُـؤونِـهِ لا تَـرتَـضِـي إلّا الـنُّـجُـومَ خَـوَلا

أكْـرَمُ مِـن سَـارِيَـةٍ غَـادِيَـةٍ صَـبَّـت عَـزالِـيـهـا فَـطَـمَّـتِ الـمَـلا

تَـهَـلَّلَ الـكَـونُ بـمـا أسْـعَـدَهُ مِـن يُـمْـنِـهِ كـمـا بـهِ تَـهَـلَّلا

فـقُـمْـتُ أشْـدُو ثَـمِـلًا بـحَـمْـدِهِ ولَـسْـتُ وَحْـدِي بـالـحُـمَـيَّـا ثَـمِـلا

أبَـشِّـرُ الـنَّـاسَ بِـسِـفـرٍ زاهِـرٍ كـأنَّـهُ بِـنُـورِهِ تَـجَـلَّـلا[2]

---

(١) يقصد طبع كتاب مُختصر الخصال للعلامة نور الدين السالمي. وكان طبعُهُ على نفقة السيد حمود بن محمد سلطان زنجبار آنذاك.

(٢) أدّى وجود المطبعة في زنجبار إلى نهضة واسعة في النشر والصحافة مطلع القرن العشرين، وكان أبو مُسْلِم في قلبها، إذ أصدر صحيفة «النجاح» عام ١٩١١ وكتب مقالات إصلاحية تنويرية في=

أرَّخْـتُـهُ صِـدْقـاً هَـيَـا بُـشْـرَاكُـمُ[1] مَـدَارِجُ الـكَـمَـالِ طَـبْـعـاً كَـمُـلا

=الصحافة التي احتضنت مقالاته، وكما هو واضح من تقريظه لبعض الكتب في قصائده، فقد قام بدور كبير في نشر تلك الكتب في شرق إفريقيا.

(١) يستخدم حِسابَ الجُمَّل، كما في القصائد السابقة، لتتريخ صدور الكتاب، والشاهد جملة «صدقاً هيا بُشراكُمُ مَدَارِجُ الكمال طبعاً كمُلا»، والنتيجة؛ عام ١٣١٧هـ، المُوافق: ١٨٩٩م.

الباب السابع

مدائح سلاطين زنجبار

هِمَمُ المُلوكِ(*)

هِمَمُ المُلوكِ أَجَلُّها إعْظامُها ... بالحِلْمِ سَادَ مِن النُّفوسِ عِصَامُها
والحِلْمُ أُسٌّ والكَمَالُ بنيَّةٌ ... رُفِعَتْ على أرْكانِهِ أعْلامُها
والحِلْمُ أرواحٌ وَكُلُّ زَكِيَّةٍ ... وُلِعَ الكِرامُ بصُنعِها أجْسَامُها
وصَنائِعُ الأحْلامِ أنْفَسُ مَفْخَراً ... مِن كُلِّ مَفْخَرَةٍ يَسُودُ كِرَامُها
كنقيبَةِ المَلِكِ الحَليمِ فإنَّهُ ... للكَائِنَاتِ مَلاكُها وقِوَامُها
مَلِكٌ مُقَدَّسَةٌ هَيُولِيَّاتُهُ ... مِن أنْ يُضافَ لفِطْرَةٍ أعْظَامُها
مَلِكٌ جَلالَتُهُ وَعِزَّةُ شأنِهِ ... بمَسَابحِ القَمَرَيْنِ جَلَّ مَقامُها
مَلِكٌ بهِ الدُّنيا زَهَتْ وتَهَلَّلَتْ ... بجَمَالِ طَلْعَةِ مُلْكِهِ أيَّامُها
مَلِكٌ عَزائِمُهُ تَخِرُّ لها المُلو ... كُ وَفوقَ هَامِ المُشْتَرِي أقدَامُها
أسَدٌ فرَائِسُهُ الخَضَارِمُ في الوَغى ... جَرَّارُ كُلِّ كَتيبَةٍ قُمْقامُها
طَلّاعُ كُلِّ ثَنِيَّةٍ هَزَّازُها ... قَمَّاعُ كُلِّ عَظيمَةٍ مِضْدَامُها
حَتْفٌ على الأضْدَادِ لَفتَةُ رَأيِهِ ... لَمَنِ السُّيوفُ ودُونَهُنَّ حِمَامُها
غَلّابُ مَا دُونَ القَضَاءِ يَحُفُّهُ ... مَدَدُ السَّماءِ وَحَارِسُوهُ كِرَامُها
تخشى البَوادِرَ مِن جَلالَةِ قَهْرِهِ ... نُوَبُ الصُّرُوفِ فما يَشِبُّ ضِرَامُها
مَنْ للحَوادِثِ أنْ تكونَ جُنودَهُ ... وتكون في كَبِدِ العُدَاةِ سِهامُها
لولا كَفَالَةُ عَزْمِهِ بسِياسَةِ الـ ... ـدُّنيا كَفاهُ عَنِ الوَغى إقدَامُها

(*) العنوان من وضعنا. وردت في الأصل المُتمد بعنوان: (وقال يمدح السيد حمد بن ثويني).

لكنْ لَهُ سُننُ الكَمالِ فواضِلًا / حتى على حَدِّ الظُّبَا إنْعامُها[1]

وَلَعتْ أيادِيهِ بإقْراءِ السُّيو / فِ دَماً وذاكَ على الكِرامِ ذِمَامُها

حقاً إذا قرمَتْ إلى لَحْمِ العِدا / أنْ لا يَظَلَّ مُؤخَّراً إكْرامُها

وَمُطَهَّماتٌ كالرِّياحِ قَوَاصِفٌ / قحلٌ إلى دَهْمِ الحُرُوبِ هيامُها

جُرْدٌ مُكَتَّبَةُ الصُّدُورِ عَوابِسٌ / ألِفتْ مُقارَعَةَ الحَديدِ عِظامُها

صَامَتْ مُرَابطَةَ الجِهادِ ببابهِ / للهِ ظَلَّ جِهادُها وَصِيامُها

ولطالَما صَلَّتْ على لَبَّاتِها / زُمَرُ الحَديدِ سِهَامُها وحُسامُها

تَصْبُو إلى الأهْوالِ صَبْوَةَ عاشِقٍ / عَجَباً! بشمْطَاءِ الحُرُوبِ غَرامُها

أُزْدِيَّةٌ بَذْرِيَّةٌ وَهْبِيَّةٌ / لِوُرُودِ مَاءِ النَّهْرَوانِ أوامُها

تَنفضُّ بالآجالِ كالشُّهْبِ الثوا / قِبِ دارِعَاتٍ بالدِّمَا أجْسَامُها

عَلِمَتْ مُقارَعَةَ الكُماةِ وَأحْرَزَتْ / عِلْمَ المَعارِكِ جَيِّداً أفهَامُها

جَرْداءُ غَضْبَى لا يَقرُّ قَرارُها / أو يُستباحُ مِنَ العُداةِ حِرامُها

يَسْطِيرُها لَمْعُ النجومِ تَخالُهُ / لَمْعَ الصَّوارِمِ حِينَ ثارَ قتامُها

ثبَتتْ لها في كُلِّ دَهْرٍ خُطَّةٌ / رَسَمَتْهُ في جَبَهَاتِهِ أيَّامُها

عَاشتْ مُلُوكُ بَني الإمَامِ تَعلُّهَا / بدَمِ الكُماةِ فما يَحِلُّ فطامُها

كانوا البُدورَ فَكُنَّ أفلاكاً لَهُم / والعَدْلُ مِنهُم في العِبادِ لِجَامُها

أبلَتْ فَوَفَّاها الذِّمَامَ وهكذا / ترعَى الذِّمَامَ مِنَ المُلُوكِ كِرَامُها

وَلَكَمْ وَفى عَهْداً وَرَاعى حُرْمَةً / وأزاحَ مُعْضِلَةً يَهُولُ ظَلامُها

وأتاحَ فاضِلَةً وأغْنَى مُقتِراً / وأمَرَّ نفساً شأنُها إعْدَامُها

ولَكَمْ تَجاوَزَ عن جَديدَةِ مُذنِبٍ / لولا تَجاوُزُهُ لَحَلَّ إثامُها

مَلِكٌ جِبلَّتُهُ على الحِلْمِ انطَوَتْ / إنَّ المُلُوكَ تَزينُها أحلامُها

يُؤتى بأثقالِ الجِبالِ جَرائِماً / فيَزولُ بالعَفوِ العَظيمِ لِزامُها

---

(١) الظُّبا: جمع ظُبَة؛ وهو حدُّ السيف والسنان والخنجر.

وبتلكَ يَمْتلِكُ الرِّقابَ مَليكُها | وبتلكَ يَقتادُ الصِّعابَ هُمَامُها

وقضيَّةُ المَجْدِ الأثيلِ مَنوطَةٌ | بجَمَالِ مُصْطنعَاتِهِ أحكامُها

أصْلٌ لِجَامِعَةِ الكَمَالِ كَمَالُهُ | كالشمسِ رَوحٌ للوُجُودِ قيامُها

ما زالَ يَهتفُ بالمَعالي هَمُّهُ | حتى تَضاعَفَ في يَدَيهِ زِمَامُها

قُطْبٌ لعَمرِ الجَدِّ عَنهُ تَضاءلَتْ | هِمَمُ القرُومِ وَعُصِّرَتْ أوهَامُها

أوَ ما تَرَى سِرَّ الخِلافةِ أشرَقتْ | بظُهُورِهِ وَتبَاشرَتْ أعْلامُها

واهتزَّ مِنبرُها وَهَلَّلَ عَرشُها | وتهَلَّلَتْ فرَحاً بهِ أيّامُها

وأغاثَ إسْلامَ البَسيطةِ بعد أنْ | كادَتْ يُودِّع أهلَها إسْلامُها

وأمَدَّ ناموسَ الشَّرائِعِ بالتي | يُرْضِي الإلهَ مِن الجهادِ قِيامُها

مَلِكٌ تشرَّفَتِ البَسيطَةُ باسْمِهِ | وبذاتِهِ وصِفاتِهِ حُكَّامُها

مَلِكٌ يُجيرُ على الزمانِ طَريدَهُ | حتى الحَوادثُ في حِمَاهُ مضامُها

غوثُ البلادِ عَظيمَةٌ بَرَكَاتُهُ | نَفَّاحُ كُلِّ جَليلَةٍ قسَّامُها

وَافتْهُ سَلْطَنةُ الوُجُودِ فزَانَها | ولقد رَعَاها كُفؤُها وإمَامُها

مِن مَعْشرٍ قادوا الزَّمَانَ بأنفُسٍ | تِرياقُ كُلِّ عَظِيمَةٍ وسمامُها

بَلَغوا السّماءَ عُلاً فمَا جرجيسُها | إلّا استقادَ لهُم ولا بَهرَامُها

أسْدٌ عَرينُهُمُ اللُّدَانُ السَّمْهَرِ | يَّةُ والسَّوابغُ مُحكَماً إلحَامُها

كغُيولِ محنيةٍ تُصَفِّقها الصَّبا | زُرْقٌ كأثوابِ السَّماءِ جِمامُها

خُلِقوا على صَهَواتِ كُلِّ طِمرّةٍ | جَرداءَ سَابحَةٍ يَعُومُ زِمامُها

هَجَروا الأسِرَّةَ والدَّساكِرَ رَغبَةً | عَنها لمَعرَكةٍ يَمُوجُ لهامُها

وتفَيَّئوا ظُلَلَ القواضِبِ والقَنا | عَوضَ الرِّياضِ تفتَّحتْ أكمامُها

أعْظِمْ بأملاكٍ بأرْدِيَةِ المَجـ | ـرَّةِ طُنِّبَتْ بالمَكرُماتِ خِيامُها

نبرُ الخُطُوبِ مَقاعِسٌ آثارُهُم | عَقدٌ على جِيدِ الزّمانِ نِظامُها

شمَختْ عن الدُّنيا مَنازِعُهُم فما | تُصْبيهِمُ لَذّاتُها وحُطامُها

ذُمُرٌ حُقوقُ نزيلِهِم والمُستعيـ | ـذ بهِم حُقوقٌ لا يُضاعُ ذِمَامُها

أبقى «تُوَيْنِي» في الوُجُودِ مَفاخِراً يَجْلي النُّجُومَ مَسِيرُها وَدَوَامُها

فأتى ابْنُهُ المَلِكُ العَظيمُ بخُطَّةِ الـ ـشرَفِ التي جَلَّتْ وَعَزَّ مَرامُها

السَّيدُ السُّلطانُ نُورُ المِلَّةِ الـ ـغرَّا وَرَوحُ حَياتِها وَقَوامُها

«حَمَدُ» الذي سَطَوَاتُهُ لو عَارَضَتْ شُمَّ الجبالِ لنُسِّفَتْ أجْرَامُها

مِعْطاءُ كُلِّ رَغِيبَةٍ وَهَّابُها بَتَّارُ كُلِّ عَظيمَةٍ صِمْصَامُها

رُسِمَتْ مَناقِبُهُ بنورِ جَلالِهِ بيَدِ العُلا وَكَمالُهُ أقلامُها

وتَقيَّلَ الحَمَدَ الذي عن حَصْرِهِ لُسْنُ المَدَائِحِ في القيودِ كَلامُها

يا أيُّها المَلِكُ الذي أرْجُو عَوَا طِفَهُ وَأعْظَمُ مُنيَتي إلمامُها

كمْ أمَّ بَابَكَ عائِذٌ بجَلالَةٍ خَيرُ المُعاذِ مُعاذُها وَمُقامُها

عَبدٌ ببابِكَ لمْ يُغادِرْ زَلَّةً إلّا وقد عَلِقَتْ بهِ آثامُها

عَبدٌ ببابِكَ مُسْتَجيرٌ عائِذٌ بجِبالِ حِلْمِكَ نفسُهُ اسْتِعْصَامُها

مُسْتَمْسِكٌ بحِبالِ عَفوِكَ آيِساً أنْ لَيسَ يُنقَضُ في يَدِي إبْرامُها

مَولاي إن السَّيلَ قد بَلَغ الزُّبى وأتى على نفسِ الطَّريدِ زُؤامُها

مَولاي قد حَلمَ الأدِيمُ مِنَ البلا حتى على الطيبين ضَاق حِزامُها

مَولاي أشكلةَ الزَّمَانِ قَدِ انْقَضَتْ ولماسَةَ الأعداء جَفَّ رُؤامُها

مَولايَ إنَّ الدَّهرَ أوردني مَوا ردَ ما لها صدر يُؤدُّ عرامُها

مَولايَ لَستُ عَلى صُدُودِك مُقرِناً أو لَيسَ ذاكَ عَلى النُّفوسِ حِمامُها

مَولايَ إنْ تَأخذْ فلستَ بِظالِمٍ نَفسِي جَنتْ فَجَناؤها ظَلَّامُها

مَولايَ إنْ تَعدلْ فَعَدلٌ حَاكِمٌ لكَ حجَّةٌ حَقٌّ عَلَيَّ قِيامُها

مَولايَ إنْ تَكنِ الذُّنُوبُ عَظيمَةً فمقامُ حِلمِكَ دُونَهُ إعْظامُها

مَولايَ حِلمُكَ واقْتِدَارُكَ مُوجِبٌ أن لا يَبُوءَ عَلى العُصَاةِ غَرامُها

مَولايَ إنْ وَصلُ الذرائعِ قُضِّبَتْ فَذُرَاكَ لَمْ يُخلَقْ لَدَيَّ ذِمَامُها

مَولايَ إنْ غَبَّ المُعذرُ خُطوَةً فَلَرُبَّ رَامِيَةٍ تَطِيشُ سِهَامُها

مَولايَ إنْ رثَّت عُهُودُ مُضجَّعٍ فَعلَى المُرزِءِ مَجدُهُ إبْرَامُها

مَـولايَ إنْ تَـرِدِ الأمُـورُ كِـفـاءَهَـا — فـعَـظـيـمُ حِلمِكَ طِبُّـهـا وسِـقـامُـهـا
مَـولايَ إنْ تَـرُمِ الـشُّـؤونُ كَـفـيـلَهَـا — فـجَـلالُكَ الأعـلـى الـعَـزيـز مَـرامُـهـا
مَـولايَ تِـلـكَ مَـطـامِـعِـي وَجُـهْـدُهـا — مَـنـقـوصَـةٌ وَعَـلـى نَـدَاكَ تَـمَـامُـهـا
هَـلْ نَـظـرَةٌ تَـذرُ الـخُـطُـوبَ بَـلاقـعـاً — أو مَـطْـرَةٌ يُـحـيـي الـرَّمِـيـمَ غَـمَـامُـهـا
خَـصَـمَـتـنِـيَ الأيـامُ إنْ أقـصَـيْـتـنِـي — سَـهْـلٌ عَـلـيَّ إذا رَضِـيـتَ خِـصَـامُـهـا
وصَـمَـتْـنِـيَ الـنَّـكَـبَـاتُ إنْ أَلْـقـيْـتَـنِـي — أيـنَ الـحُـلُـومُ الـرَّاسِـيـاتُ أكـامُـهـا
أيـن الـفـواضِـلُ والـمَـرَاحِـمُ والـصَّـفـا — تُ الـشـامِـلاتُ الـبَـائِـسـيـن كـرامُـهـا
واللهِ مَـا نَـقَـصَـتْ ولا عَـرِيَـتْ ولـ — ـكِـنَّ الأمُـورَ عَـلـى الـحُـظـوظِ قَـوامُـهـا
فـلَئِنْ عَـطَـفـتَ عَـلـيَّ عَـطْـفَـةَ رَحْـمَـةٍ — فـأنـا الـحَـرِيُّ بِـهَـا وَأنـتَ هُـمَـامُـهـا
وَلأنـتَ أكـرَمُ أنْ تَـذودَ إنَـابَـتِـي — عَـنْ حَـوضِ عَـفـوِكَ كـالـشُّـواظِ أوامُـهـا
ولأنـتَ أرحَـمُ أنْ تَـرُدَّ ضَـرورَتِـي — حَـسْـرَى وقـد كَـرُبَـتْ يَـحـمُ حـمَـامُـهـا
أدعـوكَ لـلـكَـربِ الـعَـظـيـمِ وإنَّـمـا — يُـدْعَـى لِكُـلِّ عَـظـيـمَـةٍ قَـوَّامُـهـا
لا زَالَـتِ الأيَّـامُ تَـنـشُـرُ فَـضْـلَـكُـم — وَقـفٌ عَـلـيـكُـمْ نَـشْـرُهـا ونِـظـامُـهـا
والـدَّهْـرُ عَـبـداً والـنَّـعِـيـمُ مُـخـلَّـداً — وَأُطُـومَ عُـمْـرِكَ لا يُـفـضُّ خِـتـامُـهـا[1]

---

(١) أطوم: حصون.

أيادي من عفى(*)

فَـاتِـحَـةُ الـحَـمْـدِ أَيَـادِي مَـنْ عَـفـى ... والـحِـلْـمُ أَصْـلٌ لـلـمَـقـامَـاتِ الـعُـلا

يَـزْدَهِـرُ الـمَـجْـدُ بِـزَهْـرَاوَيْـهِـمَـا ... مِثْلَ انْجِلاءِ الشَّمسِ في رَادِ الضُّحَى

ما نَتجَتْ مَنْ يَعْرِف المَجد النِّسَا ... لـو كـانَ خُلواً مِـنـهُـمـا عَـمَّـنْ عَـصَـى

مَـائِدَةُ الإحـسَـانِ مِـنْ بَـاسِـطِـهـا ... فَضلٌ وَأَزْكَى الفَضلِ مَا يُولي الرِّضَا

قـد ضَـلَّ كـالأنـعَـامِ مَـنْ لا يَـهْـتـدِي ... إنَّ حُـلُومَ «ابْـنِ ثُـوَيْـنِـي» كـالـهُـدَى

«حَـمَـدُ» الـسُّـلطـانُ مِـنْ أَغْـرَافِـهِ ... والـفـيـضُ مِـنْ عِـرفـانِـهِ غَـيْـثُ الـوَرَى

أنـفـالُهُ الـمَـمَـالـكُ الـعُـظْـمُ ومَـا ... أنـــفـــالُهُ إلّا مُـــلِـثَّـــاتُ الـــحَـــيَـــا

ويَـقـبـلُ الـتَّـوبَـةَ مِـنْ مُـخْـلِـصِـهـا ... ولـو يَـكـونُ الـذَّنـبُ أَعْـدَادَ الـحَـصَـا

كـم مِـنْ غَـرِيـقٍ مُـشْـبِـهٍ يُـونـسَ فـي ... ظُـــلـمَـــةِ غَـــمِّـــهِ دَعَـــاهُ فَـــنَـــجَـــا

مَـلِـكٌ أَبُـو الـمُـلـوكِ مِـنْ أجـدَادِهِ ... هُـودٌ ونِـعْـمَ الـمُـنـتـمِـي والـمُـنـتَـمَـى

مَـنْ خَـاتـمُ الـتَّـعـبـيـدِ لـلـدُّنـيـا لَهُ ... إنْ كـانَ بـالأقـبـاطِ يُـوسُـفُ اكْـتَـفَـى

مَـنْ كَـفُّـهُ الـفَـيَّـاضُ سُـحْـبٌ رَعْـدُهـا ... زمـازمُ الـصَّـمْـصَـامِ فـي هَـامِ الـعِـدَا

مَـنْ فَـضْـلُهُ فِـي فَـضـلِ كُـلِّ أُمَّـةٍ ... كـمِـثْـلِ إبـراهِـيـمَ فِـيـمَـنْ قـد خَـلا

مَـنْ غَـادَرَتْ هَـيـبـتُـهُ أعْـدَاءَهُ ... مِثْلَ صِحابِ الحِجْرِ صَرْعَى في الفلا(1)

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال عفى الله عنه في المعنى). والقصيدة كسابقتها اعتذار ومديح للسيد حمد بن ثويني الذي يرد اسمه في ثنايا أبياتها.

(1) ملحوظة: حتى في مدائحه، لا يتوقف أبو مسلم عن تلقط هذه الإشارات التاريخية بإلحاح مُثير=

مُسَوَّمُ الجردِ العَوَادِي عِندَها مِثلَ لُعَابِ النَّحلِ مَسفُوح الطّلا

إسرَاؤهَا لِلشَّرَفِ الأقصَى بِهِ تَتبعُ آثارَ بُرَاقِ المُصطَفى

فِناؤهُ كَهفُ الطَّرِيدِ وَكَذا كُلُّ حَمِيِّ الأنفِ مَقصُود الحِمَى

لو هَزَّ بالنَّجمِ تَساقطَتْ كَيَو مِ أسقطَ الجذعُ لِمَريَمَ الجَنَى

كأنَّ طَهَ أنزلَتْ وَاصِفَةً يَمِينَهُ لَمَّا عَلَى المُلْكِ اسْتَوَى

أسْتَغفِرُ الله تَكَادُ نَفسُهُ بِسَمْتِ هَذِي الأنبِياءِ تُجتلَى

رِحَابُهُ مَشاعِرٌ قُدسِيَّةٌ مَنْ فَرَضَ الحَجَّ إليهِنَّ اهتَدَى(١)

قد أفلحَ الدَّهرُ بِهِ والمُؤمِنو نَ وفَلاحُ الكَوْنِ فِي يُمْنِ الهُدَى

تَشعْشعَ النُّورُ بِوَجْهِهِ فَمَا بالشَّمسِ مِنْ نُورٍ فَمِنْ ذَاكَ السَّنا

هُدَاهُ فُرقانٌ وَحَدُّ سَيفِهِ الـ ـفاروقُ فِي مَخصِ الضَّلالِ وَالعَمَى

صِفاتُهُ يَعجِزُ عَنها الشُّعَرَاءُ مِثلَ عَجزِ النَّمْلِ عَنْ قَضِّ الحَصَا

وكم لَهُ مِنْ مَجدِهِ وَفَضلِهِ مِنْ قَصَصٍ لا يَنتهِي إلى مَدَى

لو جَذبَ الدَّهرَ بأدنى عَزمَةٍ دُكَّ كَبيتِ العَنكبُوتِ وَوَهَى

إذا تَجَلَّى فَارِساً تَحَشرَجَتْ مَمَالِكُ الرُّومِ بِغَصَّةِ الرَّدَى(٢)

حِكمَةُ لُقمَان فَرِيدُ نُطقِهِ تَحيَا بِها جُرزُ القُلوبِ كالحَيَا

أحزابُهُ النَّصرُ فإن تَحَزَّبَتْ أعداؤهُ تَفرَّقَتْ أيدي سَبَا

ومَنْ يَكُنْ فَاطِرُ كُلِّ فِطرَةٍ نَصِيرَهُ أعْجَزَ أصْنافَ القوَى

يَستقبلُ العَافِي مِنْ رَحْمَتِهِ بِقَلبِ «يس» ولا يَعرِفُ «لا»

لو الدَّرَارِي نَزلَتْ صُفَّتْ لَهُ صَفاً فأغزاها مَرَاكِزَ الكرَى

=للتساؤل؛ فالحِجر: هو حجر بن عدي الكندي، من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب، قتله معاوية صبراً، وقيل هو أول من قُتل صبراً في الإسلام، وهو صحابي وقبره بغوطة الشام.

(١) إشارة: في هذا البيت؛ ثمة مُبالغة وغلوّ في إضفاء مثل هذه الصفات على ممدوحه، وكان بإمكان الشاعر ذكر ممدوحه بما يليق، مُوازنة، بمقام المِدْحَةِ ومقاماتِ المدَّاحِ، قياساً إلى ممدوحه.

(٢) وكيف ذلك يا أبا مسلم وهو واقعٌ بكليته تحت هيمنة ممالك الروم؟ (المُراجع).

ومَنْ يَكُ الصَّادُ مَصِيدَ عَزمِهِ ... فليسَ بِدْعاً أنْ يَصِيدَ مَا عَدَا
لو عَارَضَتهُ زُمَرُ الخُطوبِ مَا ... كانتْ سِوى أكْلَةٍ مَاضِغِ الشَّبَا
أَيَّامُهُ أعْيَادُ كُلِّ مُؤمِنٍ ... يَغتبطُ الدِّينُ بِهِنَّ وَالتُّقى
جَوَاهِرٌ قد نُظِمَتْ وَفُصِّلَتْ ... بالعَدْلِ والإحسَانِ فِي سِلكِ الهُدَى
لِعَقلِهِ وَهَمِّهِ وَعَزمِهِ ... شُورَى فَعَينُ الرُّشدِ مَا بِهِ قَضَى
لا يَزدَهِيهِ زُخْرُفُ الدُّنيا ومَنْ ... يَبذلُها لم يَثنِهِ مِنهَا الزُّهَا
كم مِنْ دُخانِ فِتنةٍ جَاثِيَةٍ ... جثيِّ الأحقافِ جَلاهُ فانْجَلَى
قَامَ بما جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ... للهِ وَاسْتَنَّ بِهِ فِيمَنْ رَعَى
نَادَاهُ عَونُ اللهِ وَهوَ أَهلُهُ ... «إنَّا فَتحنا لَكَ فَتحاً» في العُلا
ولم يَزلْ فِي «حُجُراتِ» مَجدِهِ ... أحْوَطَ مَنْ قدَّ نَدَاهُ والسَّخا
و«الذارياتُ» الحَامِلاتُ وِقْرَ مَا ... يَرُومُهُ عَزائِمٌ شُمُّ الذُّرَى
يَنْدَكُّ دكُّ «الطُّورِ» مَا تَصْدِمُهُ ... ولو تَرَقَّتْ فلكَ «النَّجمُ» انزوى
ولو تَعَاطَى «القمَرُ» اهتِمَامَها ... لانشقَّ أو بَهرَامُ أهْوَى أو كَبَا
حتى دَنَا «الرَّحمَنُ» مِنْ حَيثُ دَنَا ... فَوَضَعَ التَّاجَ عَليهِ وَاجتَبَى
«وَاقِعَةٌ» خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ... تَنكَّسَ الشِّركُ بِهَا عَلى الشَّوَى
صَبَّتْ عَلى الكُفرِ سُيُولًا مِنْ «حَدِيـ ... ـدِ» الهِندِ حَتى بَلغَ السَّيلُ الزُّبَى
تُجَادِلُ الأزمَانَ فِي ظُهُورِهَا ... ومَا دَرَتْ أنَّ الرَّصِيدَ بالشَّرَى
ومَا دَرَى الكُفرُ بأنَّ أوَّلَ «الـ ... ـحَشرِ» دَهَاهُ والعَظِيمُ مَا دَهَى
«مُمتَحِنُ» الأمرِ لَهُ دَوَابِرٌ ... كَمَالُهُ قَوَابِلٌ لا تُتَّقَى
«وَصَفُّ» أمرِ اللهِ لا تَنقضُهُ ... «جُمعَةٌ» شِركٍ ونِفاقُ مَنْ عَتا
«تغابن» العُصُور فِي دَولةِ قَو ... مٍ طلَّقُوا الدُّنيا وَحَرَّمُوا الرَّخا
قد وَقعَ «المُلكُ» عَلى مَنشُورِهِ ... مِنَ الشؤونِ إذ تَغادَوا للعُلا
أثالُ «نُونٍ» ما اقتَنوا وَ«قَلَمٌ» ... إنَّ أثالًا مِنهُمَا كَنزُ الوَحَا
حَقَّتْ لهُم جَلالَةٌ وَصَولَةٌ ... تَناوَلَتْ بِحَولِهَا رَأسَ السُّهَى

يـــا مَـــلِكـــاً لِعِـــزِّهِ «مَـــعَـــارجٌ» ... تُـجَـاوِزُ «النَّـجـمَ» فـأيـنَ الـمُـنـتـهَـى

لا عَـاصِـمَ الـيَـومَ لِمَـنْ تَـطـرُدُهُ ... كـخَـطْـبِ نُـوحٍ وابنِـهِ لـمَّـا غَـوَى(*)

مَـنْ ضَـحَّـت الـجِـنُّ لـهَـولِ بَـأسِـهِ ... فـالـبشـرُ الـضَّـعِـيـفُ أدْنَـى لـلرَّدَى

يـــا مَـلِكـــاً مُـــزمِّـــلًا مُـــدَّثـــراً ... بـالـحِلمِ أنـتَ الـيَـومَ أخـفَـى مَـنْ عَـفـا

قـد قَـامَـتِ الـيَـومَ قِـيـامَـةُ امْـرِءٍ ... لـولا الـتـأسِّـي بـالـرَّجَـا مِـنـكَ قَـضَـى

لا يَـسْـلَمُ الإنـسَـانُ مِـنْ شَـائِبَـةٍ ... لِيَـنظُرِ الـعَـاقِـلُ ضِـمْـنَ: «هَلْ أتَى»(١)

كـم زلَّةٍ أغـفَـيْـتَـهَـا بـ«الـمُـرْسَـلا ... تِ» مِنْ رِياحِ الـعَـفـوِ عَـنْ عَـبـدٍ جَـنَـى

«والـنَّـبـأ الـعَـظِـيـمِ» مَـا عَـوَّدْتَـهُ ... مِنْ حِـلمِكَ الـشَّـامِـلِ أيّ مَـنْ عَـصَـى

«والـنَّـازعَـاتِ» لـلـنـفـوسِ غَـضَـبٌ ... مِـــنْـــكَ وإعْـــرَاضٌ وَطَـــرْدٌ وقِـــلَى

«عَـبَّـسَ» دَهـري وتَـوَلَّى جَـنَـفـاً ... فـلتـحـمِـنِـي مِـنـهُ وَحَـسْـبـي وَكَـفَـى

مـا «كُـوِّرَتْ شَـمسُ» يَقـيـنِـي فِـيكَ مُذ ... أمْـسَـكْـتُ مِـنـكَ بِـوَثِـيـقـاتِ الـعُـرَى

دَامَ «انْـفِـطَـارُ» كَـبِـدِي لِـنَـكْـبَـةٍ ... لـو صَـادَفَـتْ قَـلالَ رَضْـوَى لَـهَـوَى

وصَـادَفَ الـقَـضَـاءَ «تَـطـفِـيـفُ» زَمَـا ... نٍ كَـيـلُهُ بَـخْـسٌ وإنْ يَـكْـتَـلْ طَـغَـى

لـولا وُثُـوُقِـي بِـكَ فِـي صُـرُوفِـهِ ... لانـشَـقَّ ذَرعُ الـعَـزمِ مِـنِّـي وَصَـمَـى

«بُـرُوجُ» عَـزمِـي أبَـداً مَـشِـيـدَةٌ ... إلّا عَـلَى مَـقـتِـكَ فـالـعَـزْمُ كَـلا

وكـيـفَ أخْـشَـى «طَـارِقـاً» مِنْ زمَـنِي ... وَوَجْـهُـكَ الأعْـلَى مَـعَـاذِي وَالـحِـمَـى

ومَـا دَجَـتْ «غَـاشِـيَـةٌ» مِـنْ خَـطْـبِـهِ ... إلّا جَـلا «فَـجـرُ» أيَـادِيـكَ الـدُّجَـى

لـولا عَـسَـى عِـشْـتُ بِـأيِّ «بَـلَدٍ» ... كـأنَّـنِي فِـيـهِ عَـلَى جَـمْـرِ الـغَـضَـى

يـا مَـلِكَ الـعَـالَمِ يَـا شَـمْـسَ الـهُـدَى ... يـا حُـجَّـةَ اللهِ عَـلى أهْـلِ الـدُّنَـا

(*) أستغفر الله ربي وأتوب إليه؛ هذه مثلبة كبيرة لا أستطيع لها وَصفاً، إنْ كانَ لا عاصمَ لمن يطرده ممدوحك - يا أبا مسلم - فلِم لا تعبده دون الله!! وأذكارك وابتهالاتك ألا تعصمكَ إنْ طردَكَ الممدوح؟ (المُراجِع).

(١) إحالة للآية الكريمة: «هَلْ أتى على الإنسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لم يَكُنْ شيئاً مَذكُورا»، وفي اعتقادنا أنَّ مثل هذه الإحالات، لا تليق بمكانة الشاعر، لكنَّها مِنْ زلّاتِ الكَلِم.

أدعُوكَ وَالزلَّةُ لَيلٌ قد سَجَى ... مُسْتَمْطِراً مِنكَ بَوارقَ الرِّضَا
أطلبُ مِنكَ فِطرَةً فِي شَقوَتِي ... ونَظرَةً تلمَحُ فِيهَا «والضُّحَى»
وفي «أَلَمْ نَشْرَحْ» وقَصْدِي «ووَضَـ ... ـعْنا عَنكَ وِزْرَكَ» العَظِيمَ لا سِوَى
عَفوكَ فرق الذَّنبِ والذي افْتَرَى ... في آخِرِ «التينِ» يُلَقَّى مَا افْتَرَى
مَا وَلَغتْ «نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ» ... في «عَلَقٍ» فلم يُفاجِئهَا الرَّدَى
وقَدْرُكَ «الأعلَى» أجَلُّ رُتبَةً ... مِنْ أنْ تَرُدَّ تَوبَ عَبدٍ ارْعَوَى
يا مَنْ لَهُ فِي المَكرُمَاتِ آيَةٌ ... بَيِّنةٌ يَشهَدُها أُولو النُّهَى
ومَنْ إذا اسْتلأمَ فِي لهَامِهِ ... «زُلزِلَتِ الأرضُ» وَغَصَّتْ بالشَّجَا
ومَنْ يُثيرُ «العَادِيَات» فِي الوَغى ... كقِطَعِ الليلِ إذا الليلُ عَسَا
ومَنْ إذا الخَطبُ شَجَا ألقمَهُ ... «قارعَةً» تَجُشُّهُ بَسَّ السَّفَا
ومَنْ لَهُ شكِيمَةٌ مِنَ الهُدَى ... تُلهِيهِ عَنْ «تَكاثرٍ» فِيمَن لَهَا
ومَنْ يَزيدُ «العَصرَ» عَن صُرُوفِهِ ... كَأنَّهُ لأمرِهِ عَبدُ العَصَا
ومَنْ يَصُكُّ خُطُواتِ «الهَمزِ» واللمْـ ... ـز بوَيلٍ في قَذالِ مَنْ خَطا
ومَنْ سَيَرمِي رَبُّهُ بِحَولِهِ ... أعدَاءَهُ بمَا بِهِ «الفَيلَ» رَمَى
ومَنْ «كإيلافِ» قُرَيشٍ رِحلَةٌ ... قد أَلِفَ البِرَّ وَأعطَى وَاتَّقَى
ومَنْ تَوَلَّى اللهَ وَاسْتَغرَقَ فِي ... إيَالَةِ الدِّينِ الحَيَاةَ والقُوَى
ومَنْ حَبَا الأكوَانَ مِنْ عَطائِهِ ... «بكَوثرٍ» ضَاقَ بِهِ رَحْبُ المَلا
ومَنْ رَدَى الكُفرَ بِرَبَّانِيَّةٍ ... فسَقَطَ الكُفرُ بِهَا وَلا لَعَا
ومَنْ يَدُ اللهِ أمَامَ عَزمِهِ ... «بالنَّصرِ» و«الفتحِ» لَهُ لمَا نَوَى
ومَنْ إذا البَغيُ شبَا آوِنَةً ... «تَبَّتْ» يَدُ البَغي صَمَاهُ بالشَّبَا
ومَنْ على «الإخلاصِ» في طَاعَتِهِ ... يُضاعِفُ الحُسنَى ويَستقضِي الغِنَى
ومَنْ إذا شَاهَدْتَهُ فِي دَستِهِ ... أيقنتَ أنَّ «الفَلَقَ» الثاني بَدَا
ومَنْ هُوَ «الناسُ» فمَنْ نَظِيرُهُ ... مِنهُم ومَنْ يَبلُغُهُ فِي مُهتَدَى
أقِلْ عِثاري والقرآنُ شَافِعِي ... إليكَ إنْ عَزَّ الشَّفِيعُ المُرتَضَى

فـليـسَ بَـعْـدَ كَـلِمَـاتِ اللهِ مِـنْ — وَسِيـلَةٍ يَـقـبـلها ذوو الـحِـجَـا

وإنْ تَـكُـنْ مِـنْ بَـعْـدِها ذريـعَـةٌ — فـعِـصْـمَـةُ الـعَـفـوِ رَجَاءُ مَـنْ هَـفَـا

تَـجـاوز الـقـلوبَ عَـنْ مُـقـتـرِفٍ — وصَـفـحُـهُ لـمَـجْـدِهِ قُـطـبُ الرَّحَـى

نَـقـيـبَـةُ الـعَـفـوِ كَـمَـالٌ جَـامِـعٌ — لـلمَـجْدِ والمَـجْـدُ لِوَجْـهِكَ انْـتَـهَـى

ولـم تَـفُـتْ مَـجْـدَكَ مِـنْ مَـزِيَّـةٍ — كـالـفَـلَكِ الـمُـحِيـطِ حَـاوٍ لـلكَـرَى

وَثِـقـتُ مِـنـكَ بـالـتـي عَـهِـدْتُـهَـا — مِـنْ رَحْـمَـةٍ لِمَـنْ أَطَـاعَ أو عَـصَـى

ذَرَّةُ عَـفـوٍ مِـنـكَ تَـمْـحُـو زَلَّتِـي — عِـنْدي هِـيَ الـدُّنـيـا وَغـايَـةُ الـمُـنـى

أورَدْتُ هـيـمَ أمَـلِـي صَـادِيَـةً — بَـحـرَ يَـدَيـكَ وهُـوَ أرْوَى لـلصَّـدَى

إن تَـسْـقِـهـا الـعَـفـوَ فـأنـتَ أهْـلُهُ — وإنْ تَـذدْهَـا فـعَـلَى الـحَـظِّ الـعَـفَـا

يـا مَـنْ تَـسَـتَّـرتُ بـذيـلِ عِـزِّهِ — مِـنْ غِـيـلَةِ الـدَّهـرِ وأشـراكِ الـسَّـفَـا

وبـعـتُ فِـيـهِ بـشِـراكِ نَـعْـلِهِ — دَهـرِيَ والـدُّنـيـا ومَـنْ فَـوقَ الـثَّـرَى(*)

ومَـنْ رَمَـيـتُ غـرَضِـي بـسَـهْـمِـهِ — فـصَـوَّبَ الـسَّـهـمَ وفـاز مَـنْ رَمَـى

ومَـنْ أغـظـتُ الـدَّهـرَ فِـي وَلائِهِ — غَـيـظاً سَـقـاهُ الـسُّـمَّ فِي كـأسِ الرَّدَى

إنْ يَـغـظِ الـدَّهْـرَ وَلائي لَكُـمُ — فـلا شَـفِـى مِـنْ غَـيـظَـةٍ ولا اشْـتَـفَـى

قـد خَـفـرَ الـدَّهـرُ الـذِّمَـامَ فـانْـتَـصِـرْ — يـا حَـامِـيَ الـجَـارِ غَـضَـنْـفـر الـشَّـرَى

لا تَـذرِ الأيَّـامَ تَـطـوِي طَـيَّـهَـا — تَـخْـتَـبِـطُ الـكَـلا وَتَـعْـثُـو فِي الـحِـمَـى

فـهِـيَ لِمَـا تُـنْـفِـذهُ رَهَـائِنٌ — وهِـيَ سَـبـايـكٌ بـأطـرَافِ الـقَـنَـا

لا بَـرِحَ الـدَّهـرُ عَـلى جَـبْـهَـتِـهِ — لـعِـزِّكَ الأعْـلَى يُـقَـبِّلُ الـثَّـرَى

(*) وماذا بعد هذه يا أبا مسلم: هنيئاً لك شِراك نعله (المُراجع).

فاز المَجدُ واغتبطا(*)

الله أكبرُ فازَ المَجدُ وَاغْتبَطا ... وَأَسْفَرَ البِشْرُ فِي الأكْوَانِ وَانْبَسَطا

بدَولَةٍ لا يَزالُ المَجدُ يَشرطُها ... على الزَّمَانِ فَوَافاهُ بِمَا شَرَطا

هَبَّ الزَّمَانُ مُسِيئاً عَامِداً ألَهُ ... أنْ يَمنعَ المَجدَ مِنْ إحْسَانِهِ غَلَطا

وَهَبْ مُرَاغِمَةَ الأيامِ آبيَةً ... إلا اعتقال العُلى مَا بَالُهُ نَشَطا

لا بَلْ هُوَ المَجدُ أعلَى اللهُ صَوْلَتَهُ ... أنْحَى على الدَّهْرِ حَتى ابْتزَّ مَا غُمِطا

سَيَعلَمُ الحَيُّ مَا ذا المَجدُ فاعِلُهُ ... أو يَنثَنِي لاغْتِرَارِ الدَّهرِ قد كشطا

إرَادَةُ المَلِكِ القَيُّومِ موردةٌ ... على الصُّرُوفِ بما لا تَشتَهِي خطَطا

لا تُوزعِ الفِكْرَ فِيمَا لا تَقومُ بِهِ ... إلا المَقادِير والزَمْ جَانِباً وَسَطا

أمَا تَرَى الدَّهْرَ يَسْعَى حَيثُ تَأخُذُهُ ... كأنهُ يَتلافَى مِنهُ مَا فَرَطا

وَيْحَ الزمَانِ تَغشَّتْ عَينَهُ سِنَةٌ ... فهَبَّ للمَجدِ يُرْضِيهِ وَقد سَخطا

أليسَ صَعباً على ريبِ الزمَان ولا ... يَبغِي دَوَاهِيَهُ سَعياً ومُغْتَبِطا

نومُ الحَوَادِثِ لا طَبْعٌ ولا مِلَلٌ ... بل مُقتضى درج الأزْمَاتِ قد شَحَطا

ليَعلُ ذا المَجدُ وَلْتعظُمْ مَصَادِرُهُ ... فقد تَصَدَّى لَهُ مَولاهُ حِينَ سَطا

ومَا تَصَدَّى لأمرٍ فَاتَ هِمَّتَهُ ... كُلُّ المَفاخِرِ كَانتْ عِندَهُ فَرَطا

لكِنَّهُ فِي مَقامٍ لو تَقومُ بِهِ ... مِنْ دُونِهِ السَّبْعَةُ السَّيارَةُ انْخَرَطا

(*) العنوان من وضعنا. فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال في المعنى). والقصيدة في مديح السيد حمد بن ثويني، سلطان زنجبار.

فقامَ بالمُلكِ والأقدارُ تنصُرُهُ مِنَ السَّمواتِ والدُّنيا لمَا اشْتَرطا
وما تَشعْشعَ مِنْ لألاءِ غُرَّتِهِ يَحْكِي بَياضَ أيادِيهِ إذا بَسَطا
إذا تَصدَّرَ فِي دَسْتِ الجَلالِ شَهِد نا البَدرَ بالفَلَكِ الدَّوارِ قد هَبَطا
فَهزَّتِ الأرضَ بُشْرَاهَا وَهَيْبَتُهُ كأنَّ بالأرضِ مَا بالسَّيفِ مُخْتَرطا
ومَنْ تَكونُ لَهُ الأقدارُ مَسْعَدَةً صَارَ الزمَانُ بمَا يَقضِيهِ مُرْتَبِطا
أقولُ للمَجدِ ذا مَنْ كُنتَ تَرْقُبُهُ لغُزوَةِ الدِّينِ أوفى عُزوَةٍ وَسَطا
هذا الذي أشرقتْ نُوراً مَناقِبُهُ أظلَّهُ لِنثارِ الشُّهْبِ مُلْتقِطا
مَنْ يَشفعُ العَدلُ والإحسَانُ مِنهُ إلـ يهِ للمُفرِّطِ فِي عِصْيَانِهِ فَرَطا
مَنْ عِندَهُ السَّيفُ بَرَّاقاً كشِيمَتِهِ قد حَالَفتْهُ المَنايَا حَيثما اخْتَرَطا
نَصْلٌ مِنَ النُّورِ إلّا أنَّ شفرَتَهُ نارٌ تُسَابِقُ رِيحَ المَوتِ إنْ مُعِطا
كأنَّ كُلَّ حَيَاةٍ للعِدَا ثبَتتْ بإذنِهِ إنْ تَمنى قَبْضَهَا انْبَسَطا
أو كانَ يَعلمُ أنَّ الكُفرَ لُقمَةُ حَـ ـدِّيْهِ إذا مَا تَمنَّى سَرْطَهَا سَرَطا
ما جرَّدَتهُ المَنايا دُونَ صَولَتِها إلا تمَشَّى إلى إزعَاجِها وَخَطا
يَنقضُّ بَينَ لهامِ البُهمِ صَاعِقَةً لو صَادَفتهُ الجبالُ الشمُّ مَا وَهَطا
تِلادُ أُسْدِ الشَّرَى أيدِيهِمُ لُجَجُ قلامِسُ الأرضِ صَارَتْ عِندَها نُقطا
ومَا على الدَّهرِ مِنْ آثار مَفخَرَةٍ ومَكرُمَاتٍ فآثارٌ لَهُم وَخُطى
مَضوا وَحَشوُ الليالي خلفهَم شَرَفٌ ومُعجزاتٌ وحِلمٌ شامِلٌ وَسَطا
يَقضُونَ قسراً على رَيْبِ الزَّمَانِ ولا يَقضِي عَليهِم وإنْ وَفَّى وإنْ قَسَطا
قومٌ يُحيطونَ بالمَعروفِ لو طَلبَ الـ ـحَياة مِنْ فضلِهِم مَنْ مَاتَ مَا قَنَطا
ولو عَدَلنا بشيءٍ مِنْ مَناقِبِهِم شُهبَ النُّجومِ لقد قُلنا إذاً شَطَطا
من الألى شمَختْ فِي المَجدِ هِمَّتُهُم مَرَاتِبَ الشُّهْبِ عَدُّوها لهُم خُطَطا
قد أظهَرَ اللهُ نُوراً كانَ فِي أزلِ الـ آزالِ في عِلمِهِ المَخزونِ مُنضَبِطا
نُورٌ تَوقَّدَ إلّا أنَّهُ بَشَرٌ لِعِزِّ إجْلالِهِ بَدرُ السَّمَا سَقَطا
أتى بمَا بَهَرَ الأيامَ مِنْ كَرَمٍ فأصْبَحَ الدَّهرُ فِي مَعناهُ مُخْتَبِطا

لـو شَـاءَ أنْ يَـهَـبَ الـدُّنـيـا لِسَـائِلِهِ أعـطـاهُ واعْـتَـقـدَ الـتَّـقـصِـيـرَ والـغَـلَطا

مُـرَزَّءٌ وَسِـعَ الـدُّنـيـا بـمَـا حَـمَـلَتْ عَـدلًا وعِـلـمـاً وحِـلـمـاً وَافِـراً وعَـطَـا

مِـثـل الـيَـرَاعِ بـضَـوءِ الـنَّـارِ مُـحْـتـرِقٌ تَـرَى الـمُـلُوكَ عَـلى كُـرْسِـيِّـهِ خـبـطـا

مِـنَ الـسَّـمَـواتِ مَـمْـدُودٌ بـعَـاصِـمَـةٍ تَـحْـمِـي وقـاصِـمَـةٍ تُـرْدِي إذا سَـخِـطـا

وَافَـى الـخِـلافَـةَ والأكْـوَانُ شَـاخِـصَـةٌ والأرضُ بُؤسٌ وشَيبُ الدَّهرِ قد وَخَطا

فـأنـسَ الـكَـونَ مَـا يَـرجُـو وَلا عَـجَـبٌ وأصْـبَـحَ الـدَّهـرُ طِـفـلًا بَـعـدَ مَـا شَـمَـطـا

ومَــنْ يَــكُــنْ حَــولُهُ بــاللهِ قَــامَ فـمَــا يَــؤودُهُ أنْ يَــرُدَّ الــكَــونَ مُــغْــتَــبِــطَــا

رَعَـى ذِمَـامَـيـنِ مِـنْ حِـلـمٍ ومِـنْ كَـرَمٍ فـكَـانَ حِـفـظُـهُـمَـا بـالـدِّيـنِ مُـخْـتَـلِـطـا

وهـو الـمَـلِيُّ بـمَـعْـروفٍ يَـسُـدُّ مَـسَـدَّ الـغَـيـثِ يُـحْـيـي مَـوَاتَ الـدَّهـرِ لـو قَـحَـطـا

كـذا عَـلِيٌّ الـمَـزايـا لـو رَعَـى الـفَـلَكَ الـ أعلى رَأى الشَّأنَ مِنْ حُسْنِ العُلا نَمَطا

هُـوَ الـعَـظِـيـمُ الـذي لـو شَـاءَ طَـوَّحَ بـالـ ـدُّنـيـا ولـو شَـاءَ رَبْـطَ الـمُـشْـتَـرِي رَبَـطـا

يَا ابْنَ المُلُوكِ العَوَادِي البُسْلِ مَنصِبُهُم صَـمِـيـمُ قَـحْـطـانَ يَـا مَـنْ لِلعُـلَى نَـشَـطـا

يـا نُـخـبَـةَ اللهِ لـلإسـلامِ يـا «حَـمَـدَ» الـ المَعمُور يا «ابنَ ثُوَيْنِي» المُبْدِعِ الخُطَطا

يـا ابـنَ الـمَـلِـيكِ الـذي مِـنْ عِـزِّهِ وَهَـنَـتْ صـعـبُ الـلـيـالـي ولـم تُـدْرِكْ لَهُ نَـبَـطـا

خُـذْ جَـوهَـراً آيَـة الـكُـرسِـيِّ تَـنـظـمُـهُ أرْسَـلـتُـهُ شَـافِـعـاً عَـنِّـي لِـمَـا فَـرَطـا

عَـزَّ الـشَّـفِـيـعُ فـمَـا عَـزَّتْ مُـشـفَّـعَـة في التائبينَ إلى ذِي العَرشِ بَعدَ خَطَا

أرسـلـتُـهـا رائـداً عَـنِّـي ومُـنـتـجِـعـاً غُيوثَ حِلمِكَ فاصْفحْ وانبذِ السَّخَطا

لا زالَ ذنـبُـكَ مَـحـفـوظـاً بـحـيـطَـتِـهـا وقـهـرِهَـا حَـاطِـمـاً لـلـخَـصْـمِ مُـخـتَـبِـطـا

سياسات بمقدار عزمه(*)

أدارَ سِـيـاسَـاتٍ بـمـقـدارِ عَـزمِـهِ ... تَكادُ تَرُدُّ الأمسَ مِنْ مَذهَبِ الأمْسِ

إلى أنْ تَسَنَّى أمرُهُ الدَّهر فانثنى ... إليه كتصريفِ الأعِنَّةِ للشَّمسِ

فَطَابَقَ مَا فِي نَفسِهِ قدر نَفسِهِ ... بِمِقدَارِ عَينِ الشَّمسِ فِي فَلَكِ الشَّمسِ

وكانَتْ بَقايا العِزِّ شَتَّى فَجُمِّعَتْ ... لِخُنصِرِهِ مِنْ بَينِ أصبعِهِ الخَمسِ

وَتَرقُبُهُ العَلياءُ مِنْ قَبلِ آدَمٍ ... إلى أنْ بَدَا كالنُّورِ فِي حَضْرَةِ القُدْسِ

وعَمَّتْ نُفوسَ الكَونِ مِنهُ بَشائِرٌ ... فكانتْ مَقامَ الحِسِّ مِنْ عَالَمِ الحِسِّ

فَبُشرَى سَرِيرَ المُلكِ أمَّ مَلِيكَهُ ... تَنزَّلَ مِنهُ مَنزلَ الرُّوحِ فِي النَّفسِ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المتعمد بعنوان: (وقال)، حيث تبدو - في سياقها التسلسلي - عطفاً على مدائحه السابقة للسيد حمد بن ثويني. لكن إشارة في دراسة محمد المحروقي تشير إلى أنها قيلت في مديح السيد حمود بن محمد (١٨٥٣ - ١٩٠٢) الذي رافقه الشاعر في رحلة إلى بعض الأقطار الأفريقية لتسجيل أحداث تلك الرحلة في كتابه «اللوامع البرقية».

مَرصَدٌ وكمِين(*)

تَيقَّظَ والأيامُ فِي غَيرِ نَعسَةٍ
فمِنهُ عَلى عَينِ الزَّمَانِ عُيونُ

ففِي كُلِّ غَورٍ مِنْ مَشاكِلِ دَهرِهِ
لَهُ مَرصَدٌ مِنْ رَأيِهِ وَكَمِينُ

وفِي كُلِّ أمرٍ تَقتضِيهِ شُؤونُهُ
ظُهُورٌ بحَسْبِ المُقتضَى وبُطونُ

تُسَابِقُ فِعلَ الجِدِّ أفعَالُ رَأيِهِ
فَتحكُمُ فيمَا كانَ أو سَيكُونُ

تَرَاهُ غَضِيضَ الطَّرفِ وهُوَ مُراقِبٌ
ويَرجُفُ مِنهُ الدَّهرُ وهُوَ سكُونُ

لهُ بَصَرٌ فِي مُلْبِسِ الأمْرِ نَافِذٌ
فيُدرِكُ كُنْهَ الأمرِ وهو مَصُونُ

وتُوحِي لَهُ الحَقَّ المُبينَ أصَالَةٌ
مِنَ الرَّأيِ فيمَا لا يَكادُ يَبِينُ

يُوَافِيهِ قَبلَ الفِكرِ حُكْمٌ وحِكْمَةٌ
إذا شَاجَرَتهُ في الشؤونِ شُؤونُ

تَكَهَّنَتِ الأفكَارُ فِي فَهمِ رَأيِهِ
وأحكَامُهَا فيمَا اسْتكَنَّ ظُنونُ

بظَاهِرِ بَينَ الحَزمِ والرَّأيِ جَيشُهُ
يَشُنُّ لَهُ الغارَاتِ وهو قَطِينُ

كأنَّ غِمَارَ الدَّهرِ مِنْ حَولِ حَزمِهِ
شُكوكٌ تَجلّى بَينهُنَّ يَقِينُ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال فيه). . . ولا نعرف بالتحديد إن كان المقصود هو السيد حمد بن ثويني أم السيد حمود بن محمد، وإن كنا نرجح أن الثاني هو المقصود بالمدحة. فعلى الرغم من أن أبا مُسلم ـ كما يشير المحروقي في دراسته ـ ترقّى في المناصب حتى أصبح رئيساً للقضاة، وعلى الرغم من احتفاظه بمكانة عالية لدى سلاطين (زنجبار)، إلا أنه ظل متحفظاً في مديحهم، فلم يمدح سوى حمود بن محمد بمقطوعات معدودة وقصيرة، لكنَّ الحقيقة تقول غير ذلك، لا سيما في مقصورته التي يمدح فيها حمد بن ثويني، واستغفاره إياه ـ كما لو كان في واحدة من إلهيّاتِه ـ استصغاراً وتذلُّلًا في المديح غير اللائق بشاعر فقيهٍ علامة مُتصوِّفٍ يعرفُ حُدودَ الحِكْمَةِ وضالَّتَهُ مِنها.

مياه البدر في ماء وجهه(*)

تُــقــارِنُــهُ فِــي كُــلِّ أمــرٍ فَــضِــيــلَــةٌ ... ويَــلــبــسُ فِــي أطْــوَارِهِ مَــا يُــلائِمُ

تَــمُــرُّ الــقَــضَــايــا طَــيِّــبــاتٍ بــحَــمْــدِهِ ... فــكُــلُّ مَــقــامٍ أو سُــلوكٍ مَــكــارِمُ

كــأنَّ مِــيــاهَ الــبَــدرِ فِــي مَــاءِ وَجْــهِــهِ ... يُرَقرِقُهَا مِنْ جَوهَرِ البِشرِ سَاجِمُ

يَــحــلُّ وفِــي الآفــاقِ رِحْــلَــةُ عَــزمِــهِ ... فــإن سَــارَ فــالأفــلاكُ تِــلــكَ الــعَــزائِمُ

لَهُ الــحُــكْــمُ بَــعــدَ اللهِ فِي أمــرِ دَهْــرِهِ ... ولــكــنْ عَــلــيهِ مَكسبُ الحَمدِ حَاكِمُ

ومَا تَكسبُ الأسْبَابُ مَحمُودَ فِعلِهِ ... ولــكــنْ لَهُ خُــلــقٌ مِــنَ الــحَــمــدِ لازِمُ

(*) العنوان من وضعنا، فقد ورد في الأصل المعتمد: (وقال فيه). ـ راجع هامش القصيدة السابقة.

شعاع الشمس في القمر(*)

بِـدعٌ مِـنَ الأمـرِ إذ حَـلَّتْ جَـلالـتـهُ ... تـلكَ الـسَّـرَايَـة فِـي الأفـلاكِ لـم تَـطِـرِ

نـعَـمْ لـهَـا الـعُـذرُ كُـرْسِـيٌّ لَهُ قَـدَرٌ ... لـو فَـارقَ الأرضَ لـم تَـثـبُـتْ عَـلى قَـدَرِ

سرَايَـةٌ حَـسَـدَتـهَـا الـشـمـسُ فِـي شَـرَفٍ ... حَـتـى الـكَـوَاكِـبُ حُـسَّـادٌ لِذي خَـطـرِ

قـد حَـلَّهَـا الـعَـالـمُ الأعـلـى بـأجْـمَـعِـهِ ... تَـجَـوْهَـرَتْ نَـفـسُـهُ فِـي قَـالـبِ الـبَـشـرِ

خَـلِـيـفَـةٌ مِـنْ رِجَـالِ اللهِ تَـشـمَـلُـهُ ... سِـيـمَـا الـمَـلائِـكِ فِـي أطـوَارِهِ الـزُّهُـرِ

مَـحَـاسِـنُ الـدَّهـرِ مِـنْ إحـسَـانِـهِ فَـرَطٌ ... ومَـا بَـدَا فـشـعَـاعُ الـشـمـسِ فِـي الـقَـمَـرِ

أسَـائِلُ الـدَّهـرَ عَـنْ مَـعـنـى فَـضَـائِلِهِ ... فـيُـغْـرِبُ الـدَّهـرُ مَـعْـنـى غـيـر مُـنْـحَـصِـرِ

لـو صَـوَّرَ الـدَّهـرُ مِـنـطِـيـقـاً لأعْـجَـزَهُ ... مـا فـي حَـقـائِقِ مَـعـنـاهُ مِـنَ الـصُّـوَرِ(١)

يُـفـارِقُ الـعَـقـلَ فِـيـهِ نُـورُ فِـطـرَتِـهِ ... فَـمُـدرَكِ الـعَـقـلِ مِـنـهُ مَـوقـفُ الـنَّـظَـرِ

ظَـوَاهِـرُ الـحَـمـدِ تَـسـتـوفِـي الـثـنـاءَ لَهُ ... مَـا الـشأنُ فِـي حَـمدِ مَـا يَـخـفـى عَـلى الـفِـكَـرِ

وجَـوهَـرٌ مِـنْ صَـمِـيـمِ الـحَـمـدِ عُـنـصُـرُهُ ... فـذاكَ لـلـحَـمـدِ مـنـا غـيـر مُـفـتـقِـرِ

مَـقَـامُ مِـقـدارِهِ مِـنْ ذِكـرِ مَـادِحِـهِ ... مَـقـامُ ذاتِ الـضُّـحـى مِـنْ رُؤيـةِ الـبَـصَـرِ

مَـا يَـنـشـرُ الـقـولُ ذِكـراً مِـنْ مَـحَـامِـدِهِ ... إلّا ويَـصـدرُ مَـطـويـاً عـلـى غُـرَرِ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المتعمد بعنوان: (وقال فيه)، وقد قيلت في مديح السيد حمود بن محمد (١٨٥٣ ـ ١٩٠٢) الذي رافقه الشاعر في رحلة إلى بعض الأقطار الأفريقية لتسجيل أحداث تلك الرحلة في كتابه «اللوامع البرقية».

(١) المِنطِيق: البليغ.

تَهْوى البَلاغةُ أنْ تَطوي لَهُ مِدَحاً ... وأبلغُ القولِ فِيهِ مِثلُ مُقتصِرِ
خَليفةَ اللهِ هَلْ أبقيتَ مِنْ شَرَفٍ ... ألّا وعِندَكَ مِنهُ أشرَفُ الأثرِ
تَناقلتكَ مِنَ الأصقاعِ أشرَفُها ... سَجيَّة الشمسِ فِي الأبرَاجِ والقمَرِ
حَبَوتَ مُلكَكَ حَظاً مِنْ مُشاهَدَةٍ ... فشاهَدَ العَينَ واستغنَى عَنِ الخَبَرِ
وظلَّ يَرفلُ والأيامُ شاخِصَةٌ ... وسْطَ المَمَالِكِ بَينَ العِزِّ والظَّفَرِ
كم بَلدَةٍ بَدَّلتَها مِنكَ عَارفَةٌ ... مَرْعَى النَّضَارِ بمَرعَى الماءِ والشجَرِ
يَخضَرُّ دَارِسُ قُطْرٍ حَيثُ تَنزِلُهُ ... كأنَّ رِجْلَكَ فِيهِ رَاحَةُ الخضرِ
بَارَكتَ أفريقيا لمَّا سَفرْتَ بهَا ... أنتَ المُبارَكُ فِي حِلٍّ وفِي سَفرِ[1]
فما تَرَكتَ شقياً غير مُشتَعِدٍ ... ولا تَرَكتَ كَسِيراً غير مُنجبِرِ
وأنتَ بَينَ هِضَابِ المَجدِ مُنبسِطٌ ... تُصَرِّفُ الدَّهرَ فِي وِردٍ وفي صَدرِ
لا يَفقدُ الدَّهرُ جَداً مِنكَ مُرتحِلٍ ... ولا سُكونَ لِهَمٍّ مِنكَ فِي حَضرِ
إذا تَرَحَّلتَ عَنْ قُطْرٍ وَجَدْتَ بِهِ ... لما تُقيمُ بِهِ مِنْ صَالِحِ الأثرِ
كأنَّ نَفسَكَ فِي الأكْوَانِ سَارِيَة ... والجَوهرُ الفَرْدُ قالوا غير مُنشطِرِ
وكوكبُ الشمسِ فَردٌ فِي حَقِيقتِهِ ... وليسَ عَنْ سَائرِ الدُّنيا بمُستتِرِ
ولو مَكَثتَ ولم تَرْحَلْ لمَا قَعَدتْ ... سِياسَةٌ مِنكَ عَزَّتْ حِيطةُ الفطرِ
تَحشو الليالِيَ ما يَبقى ولو بَليَتْ ... مِنَ المَفاخِرِ حَتى لاتَ مُفتَخرِ
نَازعتنِي الدُّرَ والياقوتَ أنظِمُهُ ... مَدحاً وتَنثُرُهُ فِي كَفِّ مُفتقِرِ
كأنَّ شِعرِيَ فِي أحشاءِ مُبغِضِكُم ... ومُبغِضِي مِثل حَدِّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ
ولنْ أفارِقَ نَهجِي فِي مَدائِحِكُم ... أو يَفرق اللهُ بَينَ الأرضِ والمَطَرِ

(١) يشير إلى رحلة السلطان حمود بن محمد إلى بعض أقطار أفريقيا التي رافقه الشاعر خلالها وسجل تلك الرحلة في كتابه: «اللوامع البرقية».

تاسع الأفلاك(*)

مَـنـطِـقٌ كـانَ ثـامِـنَ الـسَّـبْـعَـةِ الـ ـشُّـهْـبِ وإنْ قُـلتُ تَـاسِـعَ الأفـلاكِ
يَـشـهَـدُ الـعَـقـلُ مِـنـهُ مَـا يَـشـهـدُ الـ ـسَّـمـعُ ومَـعـنـاهُ شـاسِـعُ الإدْرَاكِ
لـو نَـحَـا الـبَـحـرَ كـانَ عَـذبـاً فُـرَاتـاً أو رُفـاتـاً لآذنَـتْ بِـحَـرَاكِ
كـلِمَـاتٌ كـالـسُّـحْـبِ تُـمْـطِـرُ نُـوراً ومَـعَـانٍ كـالـدُّرِ فِـي الأسْـلاكِ
صَـبَـغـتْ صَـفـحَـةَ الـوُجُـودِ ضِـيـاءً خَـطـفَ الـنُّـورَ مِـنْ بَـصـيـرِ الـسِّـمَـاكِ
يَلمَعُ الضَّوءُ حَيثُ تَجرِي بها الأقـ ـلامُ حَـتـى الأقـلامُ صَـارَتْ مَـذاكِـي
لَستُ أدرِي أوَجْـهُـهُ أو سَـنـا الـمَـ ـنْـطِـقِ أعـلـى أم الأيَـادِي الـزَّوَاكِـي
أم ضِـيـاءُ الـجَـلالِ والـعِـزِّ مِـنـهُ مَـذهَـبِـي فِـيـهِ مَـذهَـبُ الـشَّـكـاكِ
كَـادَتِ الأرضُ أنْ تَـمِـيـدَ ابْـتِـهَـاجـاً وتَـخِـرَّ الـدُّنـيـا لِلثـمِ الـشَّـراكِ
يـوم ألـقـى الـمَـلاكُ مِـنْ حِـكـمَـةِ الـقـو لِ فَـسُـرَّتْ بِـهِ نُـفـوسُ الـمَـلاكِ
ونُـفـوسُ الأكـوانِ تُـصْـغِـي إلـيـهِ فـي ازدِحَـامِ كَـمُـزْسَـلاتِ الـعِـراكِ

(*) العنوان من اختيارنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال فيه). وهي قصيدة أخرى في ممدوحه السيد حمود بن محمد.

أُكْرُومَة(*)

لا يُجتلى النُّورُ إلّا مِنْ مَشارِقِهِ ... ويُجتنى الدُّرُ إلّا مِنْ مَجانِيهِ

إذا تولَّى كَمالٌ عُنصُراً كَمُلَتْ ... فُرُوعُهُ وَسَرَتْ فِيهِ مَعَانِيهِ

ومَنْ تَكُنْ نَفسُهُ بَحراً فلا عَجَبٌ ... أن يَجتنِي الجَوهَرَ المَكْنُونَ مِنْ فِيهِ

أصْلٌ تَجسَّمَ مِنْ نُورِ الكَمالِ فمِنْ ... إشراقِ أوَّلِهِ إشراقُ تاليهِ

حسبُ المُلوكِ بَنِي سُلطَانَ مِنْ حَسَبٍ ... أن تُحسَبَ الشَّمسُ رُكْناً مِنْ مَبَانِيهِ

أبقَوا لأعقابِهِم ما ليسَ تُدْرِكُهُ ... سَيَّارَةُ الشُّهْبِ مِنْ مَجدٍ وَتَنزِيهِ

رَمَى «حُمُودُ» مَرامِيهِم فمَا انْفلَتَتْ ... أُكْرُومَةٌ لم تُقيِّدهَا مَعَالِيهِ

أقيمُ في حَمدِهِ نَفسِي وَأُقْعِدُهَا ... جُلُّ القَضِيَّةِ حَمْدٌ لَستُ أُحْصِيهِ

(*) عنوان القصيدة من اختيارنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال). وقد قيلت في ممدوحه السيد حمود بن محمد.

يعطي بميزان عقله(*)

. . ولـكِـنَّـهُ يُـعـطِـي بـمِـيـزانِ عَـقـلِهِ ... حَـقـائِقَ آلِ اللهِ بُـحْـرِ الـحَـقـائِبِ

ويَنفلُ حَيثُ النَّفلُ حَمدٌ وحِكمَةٌ ... نَوافِلَ ليسَتْ دُونَ وَكْفِ السَّحَائبِ

يَحِيدُ عَنِ الإسْرَافِ نَفساً زَكِيَّةً ... فيَغصِمُها في صَالِحَاتِ المَوَاهِبِ

ولو قامَ فِيمَا تَشتهِي النَّفسُ مِنْ يَدٍ ... لِضَايَقَ جَدوَاهُ مناطَ الكَوَاكِبِ

يُراقِبُ بَينَ القَبْضِ والبَسْطِ حِكْمَةً ... فمَذهَبُهُ فِي الجُودِ خَيرُ المَذاهِبِ

(*) عنوان القصيدة من اختيارنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال فيه).

الباب الثامن

المُناسبات

المُؤتَمر الإسلامي(*)

هَــزَّت الــعــالَمَ أدوارُ الــبَــشَــرْ ... يــنــقــضــي الــدَّورُ بــأدوارٍ أُخَــرْ

كُــلُّ دَورٍ رَقــصَ الــدَّهــرُ لــهُ ... ضَــايــقَ الــعَــالَــمَ وارتــادَ الــقــمَــرْ

أيُّــهَــا الــعَــالَمُ سَــعْــهَــا جَــلَداً ... إنَّ نِــصــفَ الــليــلِ يــتلُوهُ الــسَّــحَــرْ

مَن كفيلُ الكشفِ عن مَوضُوعِهِم ... هــل لــهُ مُــســتــودَعٌ أو مُــشــتــقــرْ

إنْ تــكُــنْ فــلسَــفــةُ الــدَّهــرِ عــلى ... حَــدِّهــا الأولِ أدْرَكْــنــا الــخِــيَــرْ

يُــســقــط الــهَــزُّ عــليــنــا كِــسَــفــاً ... ثــم لا يَــلبَــثُ إسْــقــاطَ الــحَــجَــرْ

رُبَّــمَــا أشــهَــدُ ظــبــيــاً كــانِــســاً ... دَبَّ فــيــه الــدَّورُ فــاضــطــادَ الــنَّــمِــرْ

يــا بَــنِــي الإنــســانِ هَــلْ مــن عَــزمِــكُــم ... دَفــعُ مــا يَــجْــري بــه حُــكْــمُ الــقــدَرْ

مــا تــقــرُّونَ عــلى مَــألــوفِــكُــم ... كُــلَّ مــا يُــعْــجِــزكُــم عَــيــنُ الــوَطــرْ

لــو نَــغــتْ نــاغِــيَــةٌ فــي زُحَــلٍ ... كــانــت الــهَــمَّ لــكُــم أو تُــغْــتــقَــرْ

هَــمْــسَــةٌ عــالــيــةٌ أم نَــهْــمــةٌ ... أم شُــرورُ الــنَّــفــسِ تــرْمِــي بــالــشــرَرْ

يَــطــفــرُ الإنــســانُ عَــنْ مَــركَــزِهِ ... وهــو لا يَــبْــرَحُ مَــنْ حَــيــثُ طَــفَــرْ

مَــارَسَ الأعــراضَ كــيــفَ اعــتــرَضَــتْ ... وانــتــحَــى أخــطــرَهــا أنّــى خَــطَــرْ

ثــم لا يــثــنــيــهِ عــن مَــرغــوبــهِ ... خُــطَّــةُ الــعَــجْــزِ ولا هَــوْلُ الــغِــيَــرْ

(*) قالها في المُؤتمر الإسلامي المُؤسَّس في مِصر على يد رياض باشا، وهي قصيدة تؤكِّدُ، بما لا يدع مجالًا للشك، مُتابعة أبي مُسلم لأحداث الأمتين العربية والإسلامية مُتابعة المُطلع الحالم بأمة مُوحدة لا تخضع لإملاءات المُستعمر.

فـإذا أوْهَـاهُ خَـطْـبٌ جَـلَلٌ ... قـصَّـرَ الـخُـطـوةَ عـنـهُ واقْـتـصَـرْ
كـم لـنـا نُـتـقـنُ دَرسـاً واحـداً ... وهـو كَـونُ الـدَّهـرِ ذا نَـصْـبٍ وجَـرْ
كـم لـنـا نـأمَـنُ مَـنْ لا يُـتَّـقـى ... نـزلـتْ مِـنْ مَـكْـرِهِ إحـدى الـكِـبَـرْ
كـم لـنـا نَـحـذرُ مَـخـتـومَ الـقـضـا ... ومِـنَ الـمَـقْـدُورِ لا يُـغـنـي الـحَـذرْ
رُبَّ خـطـبٍ عُـنـيَ الـدَّهـرُ بـهِ ... وزنُـهُ، فـي رأيـنـا، مِـثـقـالُ ذَرْ
دَبَّـت الـحـيّـةُ حـتـى نـهَـشَـتْ ... فـي غـصُـونِ الـعَـدل جَـهـراً بَـعـدَ سِـرْ
مـا تـركـنـاهـا، وفـي أوهَـامـنـا ... أنـهـا قـد تـركـتْ ذاك الـضَّـرَرْ
إنـمـا الـعَـدلُ اقـتـضـى إبـقـاءَهـا ... تـشـربُ الـمـاء وتـعـتـامُ الـشـجَـرْ
يـا قَـطِـيـنَ الـنِّـيـلِ مـا حَـادِثـةٌ ... بـاتَ جَـفـنُ الـدِّيـن مـنـهـا فـي سَـهَـرْ
أقـلـقـتْ مِـصْـرَ وغـاظـتْ غـيـرَهـا ... خـطـةُ الـقِـبـطِ وذاك الـمُـؤتـمَـرْ
يـا لَـقـومـي والأسـى كُـلَّ الأسَـى ... إن جَـرى الـنـيـلُ عـلى هـذا الـقـدرْ
ضـايـقـوكُـم فـي الـمَـراعِـي مُـطـلقاً ... واشـرَأبُّـوا لاخـتـصـاصٍ وأشَـرْ
طـلبـوا أعـظـمَ مِـنْ مِـقـدارهِـم ... شـأنَ مَـنْ أكْـسَـبَـهُ الـعَـدلُ الـبَـطَـرْ
أمَّـةٌ قـومـيَّـة لـيـسَ لـهـا ... فـي الـسِّـيـاسِـيَّـاتِ حَـقٌّ يُـعْـتـبَـرْ
لـيـتَ شِـعـري مـا الـذي أبْـطَـرَهُـم ... ضـغـطـةُ الـرُّومـان أم عَـدلُ عُـمَـرْ
أم وَصَـايـا الـمُـصْـطفى فـي حَـقِّـهِـم ... إنْ مَـلْـكـنـاهُـم وَسِـعْـنـاهُـم بِـبِـرْ
أم لـصَـفـح الـدِّيـن عـنـهـم بـعـدمـا ... جـيـشُ نـابُـلـيـونَ وَلّانـا الـدُّبُـرْ
تَـبِـعُـوا نَـغْـقـتـهُ وانـجَـفـلُوا ... نَـحْـوَهُ أشـبـاهَ ضَـأنٍ وبَـقَـرْ
ثـم لـمَّـا صَـنَـعَ الله لـنـا ... وجَـلى الـخـصْـمُ وأُبْـنـا بـالـظَّـفـرْ
خـالـطُـونـا بـضـمـيـرٍ مُـخْـرَقٍ ... وبِـصَـدْرٍ فـيـه ضَـبٌّ مُـحْـتَـجِـرْ
فـاضـطـنـغـنـاهُـم وقـلنـا جَـارُنـا ... وأذى الـجَـارِ جَـمـيـلُ الـمُـضْـطَـبَرْ
هـذه سِـيـرَتـهُـم حـيـث انْـجَـلَتْ ... فَـتـرةٌ جَـاؤوا بـأدهـى وأمَـرْ
يـا بَـنِـي الأقـبَـاطِ تِـلكُـم مِـصْـرُنـا ... أنـتـمُ الـبَـنـكُ ونـحـن الـمُـقـتـهَـرْ
إنَّ هـذا الـنِّـيـلَ أمٌّ حَـافِـلٌ ... كُـلُّـنـا يَـرْضَـعُ مـنـهـا ويَـذرْ

فَغَدَتْ حَافِلُنا تَرْضَعُها   حَيَّةٌ أشبَهُ شَيءٍ بِسَقَرْ
رَضَعتها لَبَناً ثم دَماً   واغتبطنا بِمِشاشٍ وَوَبَرْ
وهي لا يُقنِعُها ما تَرْتَمِي   لا ولا يُقنعها بَلعُ الحَجَرْ
ذكَّرتنا بعَصا مُوسى على   أنَّ ذِي تَلْقَفُ أرواحَ البشرْ
نِيلُنا في الغَربِ يَجرِي ذَهَباً   وبَقِينا نَترامَى في الحُفَرْ
إنْ يَكُنْ جيشُ احتلالٍ غَرَّكُم   فهيَ أمنِيَّةُ مَنْ لا يَفتكِرْ
ما يُريدُ الجَيشُ باستِقلالِكُم   بعدما ألقى عَصَاهُ واستَقرْ
عَقَدَ النِّيرَ وَمَا فِي هَمِّهِ   آمَنَ المِصريُّ يوماً أم كَفَرْ
جاءَ والمَغْيَةُ تلوي مَغْيَهُ   فافترَى ثم تَعَاطى فعَقَرْ
طمَّت الجَرْفَةُ يا أقباطَها   إنها مَأدُبَةٌ لا تُنتقَرْ
أصبَحَ المُطرانُ والمُسلمُ في   غَمرِها أعجازَ نخلٍ مُنقعِرْ
قد تَدَرَّبتم على بَأوائِكُم   دُرْبَةٌ قاسيةٌ ذاتُ خَطَرْ
فاشبِعُوا الوِحدةَ وَحياً قبل أنْ   تتداعى كهَشيمِ المُحتَظِرْ
إن في مِصرَ رجالاً عَرفَت   كيف تأتي الأمرَ أو كيفَ تَذَرْ
لا تُبَارُونَ لهُم مَأثرةً   ولو احتلتُم على كَشفِ القَمَرْ
صَعَّدوا في كُلِّ هَمٍّ فِكرَهُم   فاقتَنوا حُكمَ ابتداءٍ وَخَبَرْ
أثرُ الحِكمَةِ فيهم نَيِّرٌ   كادتِ الأفلاكُ مِنهُ تَنبَهِرْ
مَثَّلوا غِيرَتَهُم مُؤتمَراً   يَنصُرُ اللهَ ونِعمَ المُؤتمَرْ
وَطِئوا الآمالَ بالدَّرْكِ لما   أدركُوهُ من تَعاليمِ النَّظَرْ
لا يَبيتُونَ على الضَّيمِ ولا   حَيرَةِ الذِّهنِ إذا الخَطْبُ انفَجَرْ
لا يَهيمُونَ بوادٍ مُبْهَمٍ   هُم إلى التَّحقيقِ أهدَى من بَصَرْ
يا بَنِي التَّوحِيدِ في مِصرَ لقد   صِرتُمُ في جَبهَةِ الدَّهرِ غُرَرْ
صِبغَةُ اللهِ على نَهضَتِكُم   إنَّ مَنْ كانَ مَعَ اللهِ انتَصَرْ
بِيئَةٌ مُخلِصَةٌ صَادِقةٌ   لم يُدنِّسها رِياءٌ وأشَرْ

فَخذوا وِجْهَتَكُمْ وَاصْطَبِرُوا ... لا يَنالُ النُّجْحَ إلا مَن صَبَرْ

ثابِرُوا جُهْدَكُمْ لا تَسْأَمُوا ... قد بَدَا لِي فَتحُ أَمْرٍ مُنتَظَرْ

رُبَّمَا ضَاقَ على حِيلتِنا ... أعْقَبَ الفتح كلمحٍ بالبَصَرْ

وإذا الفتحُ تَلافى أُمَّةً ... جَدَّ في نَهْضَتِها أَهْلُ الخَطَرْ

صَفْوَةُ الأمَّةِ أنتم وعلى ... أمْرِكُم صَفْوَةُ أَرْبَابِ النَّظَرْ

بَطَلُ الإسلامِ قُمْقَامُ العُلى ... رَجلُ المَجْدِ الهُمَامُ المُقتَدِرْ

ناصِعُ الحُجَّة مَعْصُومُ النُّهَى ... جَلِدُ الهِمَّةِ ذُو العَزْمِ الذَّمِرْ

صَاحِبُ العِزِّ «رِياضٌ» مَنْ غَدَتْ ... فِطْرَةُ التَّوْحِيدِ مِنهُ في وَزَرْ

هَضْبَةُ الفَضْلِ عَزيزُ المُحتَمَى ... شَأْنُهُ العَدلُ بِمَا سَاءَ وَسَرْ

جَرَّدَ الغَيْرَةَ مِنْ أجفانِها ... فَحَمَى الحَقَّ وَأَخْزَى مَنْ غَدَرْ

عَصِمُ النَّخلَةِ مَرْهُوبُ السُّطَى ... لَيِّنُ الجَانِبِ صَعْبُ المُنكَسَرْ

يا حَمِيَّ الأنفِ يا لَيْثَ الشَّرَى ... ذُدْ عَنِ الحَوْضِ فَقَدْ جَدَّ الحذرْ

لا تَدَعْ مِصرَ لِمَنْ يَعْثُو بها ... غَيْرَ مَا عَزَّكَ مِنْ أَمْرِ القَدَرْ

قائمٌ أنتَ عَلى أزجائِها ... بِمَلاكِ الأمْرِ وَالحَقُّ الأغَرْ

قُمْ بِحَوْلِ اللهِ لا تَحفِلْ بها ... رَقَصَتْ أم سَكَنَتْ أُمُّ العِبَرْ

لو يَكُونُ الشِّعرُ نَصْراً لم أزلْ ... أنظمُ الأنجُمَ لا أرْضَى الدُّرَرْ

لو مَلَكْنا السَّيفَ لم نَرْجِعْ إلى ... قَلَمٍ في النَّصْرِ إنْ قامَ عَثَرْ

والغَيُورُ الحُرُّ يُبدي نَصْرَهُ ... لأخي مِلَّتِهِ كيفَ قَدَرْ

فَخُذُوا شِعْرِي ثَناءً بعدما ... مَدَحَتْ نَهْضَتَكُم آيُ السُّوَرْ

وَلْيَدُمْ حَيّاً رياضٌ، ولْيَعِش ... ثابِتَ العِزَّةِ هذا المُؤتَمَرْ

مُتنبّيءُ الدُّنيا(*)

يا أخا عَبْسٍ الحُمَاةِ الأنوفِ ... والكَريمَ الموصُوفَ بالمَعروفِ

هَزَّكَ الفضلُ والفُتوَّةُ والسُّؤ ... دَدُ والمَجْدُ كاهتزازِ السُّيوفِ

أنتَ فينا مُرَزَّأٌ تحْمِلُ الكَـ ... ـلَّ وتَنفي رَزِيئةَ المَلْهوفِ

إنْ قَصَدْتَ العُلى فليسَ عَجيباً ... ليسَ قصدُ الشريفِ غَيرَ الشريفِ

أنتَ مِنا كَدُرَّةِ التاجِ في التا ... جِ ومِثلِ الرَّبيعِ حذوَ الخريفِ

أنتَ، دُونَ التوصِيفِ، فخرٌ لِعَبْسٍ ... لم تَزِدْ في عُلاكَ بالتوصِيفِ

رَقَمَ المَجْدُ للسُّراةِ حُرُوفاً ... وبيُمْناكَ رَقْمُ تلكَ الحُرُوفِ

قد مَلأتَ الزمانَ مَجداً وفضلًا ... قِفْ قليلًا! قدْ ضَاقَ وُسْعُ الظُّروفِ

كُلُّ شَأوٍ مِن دُونِ شأوِكَ والمِقـ ... ـدارُ مِن أيِّ تالِدٍ وطَريفِ

ليسَ مَن يَدَّعِي الفخارَ يُساويـ ... ـكَ ولا كُلُّ ما بَنوا بمُنِيفِ

لم أصارِفْكَ بالرِّجالِ وقد أيقنـ ... ـتُ مِنهُم ببَهْرَجٍ وَزُيُوفِ

ما ظَننْتُ الزمانَ يَجْحَدُ فضْلي ... غيرَ أنَّ الزمانَ جَمُّ الصُّروفِ

طالما شمَّرَ الأعادي لهَضْمِي ... فدَهاهُم مَجْدِي برَغمِ الأنوفِ

هذه سِيرَتي وسِيرَةُ دَهْري ... حَسَدُوني وأنكَروا مَعْروفي

إنْ نَسِيتُ الأشياءَ لمْ أنسَ يَوماً ... كُنتَ لي فيهم غِرارَ السُّيوفِ

(*) العنوان من اختيارنا. وقد قيلت القصيدة في الشيخ عبد الرّحمن بن سالم الرّواحي، الذي وقف إلى جانبه بعد أن كاد له الحُسّاد على مقاماته الرفيعة التي حظي بها في زنجبار.

حَاوَلوا ما رَقَمْتُهُ من كَمَالي خَنقاً بالتخريفِ والتصْحِيفِ
بَخَسُوني وطَفَّفوا الكَيْلَ زُوراً ولهُم مِنكَ سُورَةُ التطْفيفِ
هكذا يا أخا المَناقب رَأيُ الدَّهرِ قد كانَ في كَمالِ الشَّريفِ
بِبَنِي الدَّهْرِ عِلَّةٌ ليسَ تشفى بدَواءٍ حتى لقاءِ الحُتوفِ
لا تُحاوِلْ عِلاجَهُم بكَمَالٍ آفةُ الدهرِ في كَمالِ الشريفِ
وتَمُوتُ الجُعْلانُ في نفحَةِ الطِّيـ ـبِ وتحيا سَعِيدَةً في الكَنيفِ
عِزَّةُ العِلمِ أمْجَدَتني مَقاماً فَتبيَّنتُ كُلَّ رَأيٍ سَخِيفِ
ليتَ شِعري هلْ يَرْعَوِي الدَّهرُ يوماً مِن بَناتِ الدُّهُورِ هَزُّ القحُوفِ
عَجَباً ليسَ يَسْلَمُ المَجْدُ فيه كُلُّ حُرٍّ بصَخرَةٍ مَقذوفِ
ما يُريدُ الزَّمانُ مِن رِفْعَةِ النَّذ لِ ومِن ذِلَّةِ الكَريمِ العَفيفِ
وعَذيرُ الزمانِ مِمّا أقاسِيـ ـهِ انفِرادُ الكِرامِ بالمَعروفِ
وعُزومٌ يُثيرُها كَرَمُ النفـ ـسِ وَهَمٌّ يُشيبُ رَأسَ الصُّروفِ
واقتحامُ المَجيدِ في الرَّوْعِ لا يَرْ قبُ سُعداً أو يَنثنِي لمَخُوفِ
قُمتَ عَبدَ الرَّحْمنِ لي في مَقامٍ ظَلَمُوني فيهِ كَظُلْمِ الطُّفوفِ
أنكَرَ المُلْحِدُونَ ما أنكَرُوهُ فرَدَدْتُ التَّنكِيرَ بالتَّعريفِ
رَشَحَتْ مِنهُمُ صُدُورٌ مِرَاضٌ بحَزازاتِ السُّوءِ والتعنيفِ
لم تَدَعْهُم على بساطِ المَخازي بلْ دَحَضْتَ الدَّعْوى برأيٍ حَصِيفِ
يَظهَرُ السُّوءُ مِن بَواطِنِ سُوءٍ يَرْشَحُ الظَّرْفُ جَوهَرَ المَظروفِ
خُذ ثنائِي كَأنَّهُ الجَوهَرُ المَكْـ ـنونُ واجْعَلْهُ في مَحَلِّ الشُّنوفِ
قَلَمِي سَاحِرُ القلوبِ بَديعٌ وبَديعُ الأقلامِ مَحْضُ الصَّريفِ
دَعْهُمُ في المَخازي والتَّكْذيبِ إنِّي مُتنبِّي الدُّنيا بلا تَكْليفِ

بُورِك النَّجل(*)

بُـورِكَ الـنَّـجْـلُ واسْـتَـمَـرَّ الـهَـنـاءُ لـكَ واسْـتـجـمـعـتْ لـكَ الـسَّـراءُ
بُـورِكَ الـنَّـجْـلُ يَـومَ جَـاءَ ولـلألـبا بِ بِـشْـرٌ ولـلـعُـيـونِ بَـهَـاءُ
بُـورِكَ الـنَّـجْـلُ عُـودُ نَـبْـعَـةِ فَـضْـلٍ إنَّ نَـبْـتَ الـفـضِـيـلَةِ الـفُـضَـلاءُ
أطـلعَ اللهُ مِـنـهُ نَـجـمـاً عـلى أُفْـقِ الـمَـعَـالـي سعـداً وأنـتَ الـسَّـمَـاءُ
وَلَدَتــهُ أُمُّ الــكَــمَــالِ وَغــذَّتــهُ بـألـبـانِـهَـا الـخِـلالُ الـوضَـاءُ
نـاشـىءٌ فـي زكَـاءِ عِـلـمٍ ولا شـكَّ سَـيـسْـرِي إلـيـهِ هـذا الـزَّكَـاءُ
مِنْ أُصُولٍ صَدِيعَةُ الفجرِ فِي أخلاقِـهِـم والـوُجُـوهُ مِـنـهُـم ذكَـاءُ
كيفَ لا يُرْتـجَى لـذا الـفَـرْعِ زَهرُ الـمَـجْـدِ والأصْـلُ فـاطِـمُ الـزَّهْـرَاءُ
أبْـعَـيـدٌ عَـنـهُ الـعَـلاءُ وَهَـلْ يَـنْـبُـتُ إلّا لـلـهَـاشِـمِـيِّ الـعَـلاءُ
هُـوَ فِـي ذاتِـهِ وفِـي الاسـمِ والـفِـعْـلِ كَـريـمٌ يَـمُـدُّهُ كُـرَمَـاءُ
مُشْرِقُ العرضِ طَاهِرُ النَّسَبِ النَّاصِـعِ حَـدِّثْ وقُـلْ هُـوَ الـجَـوزاءُ
لا تُـهَـذِّبـهُ يَـافـعـاً إنَّ فِـيـهِ لـلكَـمَـالاتِ شِـيـمَـةٌ شَـمَّـاءُ
هُـوَ كـالـجَـوهَـرِ الـيَـتـيـمِ صَـفـاءً لـيـسَ بـالاكْـتِـسَـابِ ذاكَ الـصَّـفـاءُ
سَـوفَ تَـسْـرِي بِـهِ صِـفـاتُ سُـرَاةٍ شـفَّ فِـيـهـا الـمِـعْـرَاجُ والإسْـرَاءُ

(*) كتب الشاعر هذه القصيدة تهنئة لصديقه الخطاط عبد الباري العجيزي بمناسبة قدوم مولود جديد. والخطاط المصري البارع عبد الباري العجيزي عيّنته حكومة زنجبار مديراً لنظارة المعارف. العنوان من اختيارنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال أيضا).

لو تَعَلَّمتَ مَا تَشاءُ مِنَ التَّهـ   ـذيبِ فِيهِ لَقلَّ فِيمَا يَشاءُ

سَيُجَلِّي بنزعَةٍ يَقصُرُ التَّهـ   ـذيبُ عَنهَا وسَوفَ يَبدُو الجَلاءُ

ظَهَرَتْ مِنْ مَخائِلِ الرُّشْدِ فِيهِ   بَارقاتٌ ولِلمَزايَا سَناءُ

وتَجَلَّتْ مِنَ السَّجَايا عَليهِ   آيةٌ فِي أعْطَافِهِ بَيْضَاءُ

فَهَنِيئاً بِهِ غُلاماً زكِياً   رَافَقَ اليُمْنُ ذاتَهُ والنَّمَاءُ

قَمَراً فِي سَنائِهِ وحُسَاماً   حَيثما يَمْجُدُ الحُسَامُ المُضاءُ

جَانِياً رَوضَةَ المَعَارفِ يَشتو   فِي حُقوقاً قامَتْ بِها الآباءُ

يَتدَانى مِنَ الفَضِيلةِ طَبعاً   وإلى الطَّبعِ تَرجِعُ الأشيَاءُ

كَوكَباً قارَنَ السَّعَادةَ مِيلا   داً وعُمْراً وحَيث يَبقى البَقاءُ

فَتباشَرْ بِهِ فَدَيتُكَ مِصْبَا   حَ عُلومٍ تُجَلَّى بِهِ الظُّلْمَاءُ

وتَيقَّنْ بأنهُ للهُدَى وَجْـ   ـهٌ ولِلمَجْدِ غُرَّةٌ زَهْرَاءُ

مَسَحَتهُ مِنْ رَبِّهِ بَرَكاتٌ   حَسبُهُ بَينَهُنَّ باءٌ وراءُ[1]

أيها السَّيدُ الجَليلُ لكَ   اللهُ لقدْ أبْسَمَتْ لكَ النَّعْمَاءُ

املأ القلبَ شُكْرَ رَبِّكَ فالشُّـ   ـكرُ إذا زادَ زادَ مِنهُ العَطاءُ

إنَّ أولادنا الصَّوارمُ والأعضا   دُ في النائباتِ والأعضَاءُ

قُرَّةٌ للعُيونِ بل بِضعَةُ الأنفـ   ـسِ بل هُم كُفاتنا الأكْفاءُ

مَا الذي مَاتَ تاركاً صَالحَ النَّـ   ـسْلِ ولا الأبْترُ القَطِيعُ سَواءُ

ليسَ أجرٌ بَعدَ المَماتِ سِوى عِلـ   ـمٍ وخيرٍ نجزيهِ والأبناءُ

دَعوةُ الابنِ صَالِحاً لأبيهِ   لِعَظِيمِ الثوابِ فِيهَا رَجَاءُ

يا سَمَاءَ البَيَانِ إنِّي عَصَاني   فِيكِ هذا القَرِيضُ والإنشاءُ

غيرَ أنَّ البُشرَى سَقتْنِي مُدَاماً   فالذي حَرَّكَ اليَرَاعَ انْتِشاءُ

---

(١) يقصد أن بركات من الله قد مسحت هذا الوليد، وحسبه «البِرّ» المضفور في حرفي «الباء» و«الرّاء» من تلك البركات.

قلمِي قاصِرُ الخُطَى عِنْ تَهَا … نيكَ ولكِنْ تَطفُّلٌ وإخاءُ

ما كفانِي الصَّفاءُ فِي القلبِ حَتى … أظهَرَ الشِّعْرُ مَا أكَنَّ الصَّفاءُ

ولذاتِ الإخلاصِ رُوحٌ لهَا … عَقلٌ وحِسٌّ ومَنطِقٌ وذكاءُ

وإذا صَحَّتِ المَحَبةُ في القلـ … ـب فآثارها لهُنَّ ضِياءُ

وعلى الشِّعْرِ جَانِبٌ مِنْ حُقوقٍ … ليسَ في غيرِهِ لهُنَّ قَضاءُ

فاغتبِرْ مَا يَقولُهُ الشِّعْرُ عَنِّي … أنهُ بَعضُ مَا حَواهُ الخَفاءُ

خُذهُ عَنِّي الدُّرُّ الفرِيدُ عَليهِ … مِنْ شُعَاعٍ لوَصْفِكُم لألاءُ

حَكَمَ الوُدُّ بَينَنا بِمُذَاجَا … ةِ القوَافِي وفِي القوافِي إباءُ

فتطارَحتْ بَينهَا أتَقاضَى … بَعضَ مَا يَستقِيمُ مِنهُ الثناءُ

فهي تُملِي عَليهِ مَا يَتمَنَّى … سَالم الطَّبعِ وافتِكارِي بُرَاءُ

فإذا جَاءتِ القرِيحَةُ بَيضا … ءَ ففضْلِي اليَرَاعَةُ السَّودَاءُ

يا صَديقي وبالصَّديقِ انتِفاعٌ … ولدَى الضِّيقِ تُعرَفُ الأصْدِقاءُ

هَلْ رَأيتَ الزَّمَانَ يَرمِي سِهَاماً … مُجهِزاتٍ وهَلْ عَدَانِي الرَّمَاءُ

قل لهَذا الرَّامِي وأنتَ سَفِيري … أنَّ مَرمَاكَ صَخرَةٌ صَمَّاءُ

أنا وَحدِي لذا الزَّمَانِ عَدوٌّ … ليسَ لِي فِي اغتِدَائِهِ شُرَكاءُ

غيرَ أني إذا هَززْتُ اصْطِبَارِي … هَانَ عِندِي مِنَ الزَّمَانِ العدَاءُ

تهنئة ودعوة بشفاء(*)

الـحـمـدُ للهِ لا بُـؤسٌ ولا سَـقَـمُ ... المَـجْـدُ عُـوفِـيَ إذْ عُـوفِـيـتَ والـكَـرَمُ

لَبِسْتَ مِـن حُـلَلِ الألْطـافِ عَـافِـيَـةً ... وَزَالَ عَـنْـكَ إلـى أعْـدائِكَ الألَمُ

قد أصْبَحَ الفضلُ مُرْتاحاً وانْتَعَشَتْ ... بِـحَـالِ صِـحَّـتِـكَ الأرواحُ والـهِـمَـمُ

مِنْ بَعدِ مَا سَئِمَتْ نفسِي الحَياةَ كما ... قـد رَاعَـهـا مِـنكَ إذ أوْدَى بـكَ السَّـقَـمُ

تَفدِيكَ رُوحِيَ يا مَولَى القريضِ فقد ... جَـلَّتْ صِـفـاتُـكَ عـن إطـرَائِهـا الـكَـلِمُ

مَـن ذا يُـجـاريـكَ فـي بَـحْـرٍ وَمَـكْـرُمَـةٍ ... أو مَـن يُـسـاوي وأنـتَ الـيَـومَ فُـقْـتَـهُـمُ

بَـحْـرٌ تَـقَـدَّسَ فـي أطْـوارِ نَـشْـأتِـهِ ... يـا حَـبَّـذا الـبَـحـرُ فـي تـيَّـارِهِ الـحِـكَـمُ

يـا أكْـرَمَ الـنـاسِ جُدْ لي بـالـرِّضَـا كَـرَماً ... فـأنـتَ أكْـرَمُ مَـن يَـثْـنِـي عَـلَـيـهِ فَـمُ

(*) أصيب الشاعر بألم أقعده الفراش فكتب إليه صديقه محمد بن علي بن خميس البرواني بضعة أبيات يهنئه بالسلامة. وقد استعار وزنها والشطر الثاني من كل بيت من قصيدة أبي الطيب المتنبي: المجدُ عوفي إذ عوفيتَ والكرم | وزالَ عنكَ إلى أعدائك الألمُ. وقد رد أبو مسلم بقصيدة جوابية على أبيات التهنئة.

جَوَابُ أبي مُسْلِم(*)

الشُّكْرُ للهِ شُكْراً ليسَ يَنْصَرِمُ ... شُكراً يُوافِقُ ما يَجْري بهِ القَلَمُ

يَأتي البَلاءُ لتَمْحِيصٍ وتَذْكِرَةٍ ... كأنَّ كُلَّ بَلاءٍ نازلٌ نِعَمُ

وهذهِ الدَّارُ دارٌ حَشْوُها ضَرَرٌ ... لكنْ مَعَ الصَّبرِ بالغفرانِ يُخْتَتَمُ

فَارْضَ المَقادِيرَ في ضُرٍّ وَعافِيَةٍ ... فليسَ يَثْبُتُ إلّا بالرِّضا قَدَمُ

أسْتغفرُ اللهَ لا أشْكُو البَلاءَ ولا ... أراهُ إلّا احتفاءً ساقَهُ كَرَمُ

جِبِلَّةُ النَّفسِ فيما ساءَها هَلَعٌ ... وفي المَسَرَّةِ بالطُّغيانِ تَرْتَطِمُ

فاحْكُمْ على النفسِ في الحَالَيْنِ هَلْ خَضَعَتْ ... للهِ؟ فالعَقلُ في أحوالِها حَكَمُ

وفِطْرَةُ النفسِ في أيْدِي بَصِيرَتِها ... فَازمِ البَصِيرَةَ حَيثُ النفسُ تُقتَحَمُ

نَبلَى وفي النَّفسِ مِن طُولِ البَقا أمَلٌ ... وذاكَ أنْصَبُ مِمَّا يَفعَلُ الألَمُ

آفاتُ أنفُسِنا داءٌ يُخامِرُها ... بالبُؤسِ يَطغى وبالسَّراءِ يَضْطَرِمُ

مَصَائِبُ الدِّينِ أنْكَى ما نُصابُ بهِ ... وما عَدَاهُنَّ فيهِ الأجرُ يُغتَنَمُ

يُوَفَّرُ الأجرُ في حُسْنِ البَلاءِ لنا ... وكُلُّ صَالِحَةٍ مِن كَسْبِنا عَدَمُ

وَرُبَّ حِرْصٍ على إبقاءِ عَافيةٍ ... حِرْصٌ على فَوْتِ فَضْلٍ فوقَهُ نَقَمُ

فاحْرِصْ على الأجرِ في كُلِّ الأمُورِ ولا ... تَسْأمْ بَلاءً فرَأسُ العِلَّةِ السَّأَمُ

فَرُبَّ أجْحَفَ ضُرٌّ عَينُ عافِيَةٍ ... وَرُبَّ عافِيَةٍ في طَيِّها سَقَمُ

(*) القصيدة الجوابية رد أبي مُسلم على أبيات التهنئة الواردة في القصيدة السابقة، ومن الواضح أن محمد البرواني قد دعاه دعوة ضمنية لمجاراة قصيدة المتنبي.

تَسَارُعُ الضُّرِّ في خَيرِ العِبادِ على ... فَضْلِ البَلاءِ دَليلٌ ليسَ يَنْبَهِمُ

ما للتَّنطُّعِ فيما لا يُفارِقنا ... ولا يُدافِعُهُ عَزمٌ ولا هِمَمُ

تأتِي المَكارِهُ أقواماً لِخيرَتِهِم ... مِن حَيثُ عِلْمِهِمُ أو حَيثُ ما عَلِمُوا

أسْتوْدِعُ اللهَ نفسِي حَيثُ أوْدَعَها ... ليستْ وَدَائِعُهُ بالسُّوءِ تُهْتَضَمُ

أستحفِظُ اللهَ نفسِي شِدَّةً وَرَخا ... إنَّ القلوبَ بحِفظِ اللهِ تَعْتَصِمُ

وَأسْألُ اللهَ حُسْنَ اللطفِ بي وبكُم ... في كُلِّ نازِلَةٍ تهمِى لها دِيَمُ

يا مَنْ حَبَانِي هَناءً بالشِّفاءِ لقد ... صَارَ الهَناءُ شِفاءً وانجَلَى السَّقَمُ

ومَنْ كَسَانِي ثناءً مِن فوَاضِلِهِ ... كأنهُ الدُّرُّ والياقوتُ ينتَظَمُ

ومَنْ شَمَائِلُهُ زُهْرٌ وَمِنَّتُهُ ... بَحرٌ ومَنْ مُنتَمَاهُ الفخرُ والكَرَمُ

عَرَفتُ فيكَ كَمالًا لا يَقومُ بِهِ ... وَصْفٌ ولو كَثُرَتْ في وَصْفِهِ الكَلِمُ

وما كَمالُكَ دَعْوى مَادِحٍ مَلِقٍ ... وإنما الشَّاهِدانِ: السَّيفُ والقَلَمُ

جَرَيتَ فيما جَرَى الأمجادُ فاقتصَرُوا ... مِنْ دُونِ شأوِكَ قدْراً إذ سَبَقْتَهُمُ

وعَاهَدَتكَ مَزايا الفَضْلِ فانتصَبَتْ ... تُومِي إليكَ وأنتَ المُفرَدُ العَلَمُ

مَنْ لِي بأزْكَى المَعَانِي فيكَ مُمْتدِحاً ... دُونَ البَيانِ لسَانِي عَنكَ مُنعَجِمُ

حَسْبي مِنَ المَدحِ أنِّي ذاكِرٌ جُمَلًا ... يَزِلُّ بي عَن مَدَى تفصِيلِها القَدَمُ

وأطْوَلُ المَدْحِ مِنِّي فيكَ مُقتصِرٌ ... وأوْصَلُ الحَمْدِ مِنِّي فيكَ مُنصَرِمُ

نَشأتَ مِن عُنصُرٍ زَاكٍ أرُومَتُهُ ... تَتلو مَفاخِرَها الأجيالُ والأمَمُ

شَرْطٌ عليكَ مَزاياهُم وَمَجْدُهُمُ ... فأنتَ للشرطِ والمَشرُوطُ مُلْتزِمُ

يَقِلُّ عِندَكَ إكْثارُ الكِرامِ ومَن ... أدنى وفَاتكَ ما تُوفِي بهِ الذِّمَمُ

عرَّضْتَ للعِلمِ نفساً مِنكَ زَاكِيَةً ... أبْقِ البَقايا، أكُلَّ العِلْمِ تَلْتهِمُ؟

لمَّا عَطِشْتَ إليهِ انْهَلَّ وَابِلُهُ ... وَطَمَّ بَحرُكَ وانجَابَتْ بهِ الظُّلَمُ

إخَالُ فِيكَ أمُوراً سَوفَ يُظهِرُها ... في صَفحَةِ الدَّهرِ مِن مَعقولِكَ العِصَمُ

فإنْ بَقِينا شَكَرناها إذا ظهَرَتْ ... أو لا، فخُذ سَلَفاً إنْ ضَمَّنا العَدَمُ

مَصِيدَةٌ بيَدِ التوفيقِ تُدرِكُها ... يَسُوقُها اللهُ إذ يَجْرِي بها القَلَمُ

قَضَى لكَ اللهُ إدْرَاكَ الهِدَايَةِ في ... مِنهاجِهِ ونعِيماً ليسَ يَنصَرِمُ

عَادَ المُهَنّا(*)

عَـادَ الـمُـهَـنّـا بـحَـمْـدِ اللهِ واختـلَفـتْ رِوَايَـةُ السِّـلكِ[1] بَعدَ الـهَـمِّ والـحَزَنِ

قد يُخطِىءُ النَّقلُ والتَّحقِيقُ يَعْكِسُهُ والـعَـيـنُ أصْـدَقُ إنـبـاءً مِـن الأذُنِ[2]

تَـجْري الـمَـقـاديـرُ لا تـدْبيـرَ يَعـقِلُـها ولا امْـرؤٌ مِـن هَـوادِيـهـا بـمُـخـتَـصِـنِ

تـأتـي الـسَّـلامـةُ والأسْـوَاءُ مُـحْـدِقـةٌ ويَـهـلكُ الـمَـرءُ والأسْـوَاءُ لـم تـكُـنِ

وربَّـمـا كـانَ بـالـمَـحـذورِ مُـغـتَـبـطاً إذا أتـاهُ وعُـقـبَـى الـخَـيـرِ فـي قَـرَنِ

وربَّـــمــا جَــزَعَــتْ نَــفــسٌ لِنـازِلَةٍ وأصْـلُـهـا كـخـيـالٍ طـافَ فـي وَسَـنِ

وربَّـمـا سَـلِمَ الـعُـصـفـورُ فـي شَـرَكٍ وربَّـمـا جَاءَهُ الـسِّـكِّـيـنُ في الـوَكَـنِ[3]

قـد يـأخُـذُ الـمَـرءُ فـي أمـرٍ بـجُـنَّـتِـهِ فـيـذهَـبُ الـقـدَرُ الـمَـخـتومُ بـالـجُـنُـنِ

ويـشـرَبُ الـمَـرءُ مِـن كـأسٍ تـلَـذُّ لَهُ وربَّـمـا اشْـتـارَ شَـهْـدَ النَّـحْـلِ مِـن حَـبَـنِ

والسِّـرُّ فـي الـشـأنِ تـنـبـيـهُ اللبيبِ على أنَّ الـمَـقـاديـرَ لا تَـقـتـادُ بـالـرَّسَـنِ[4]

وإنَّ أمـــراً قـــضـــاهُ اللهُ مُـــنـــحَـــتِـــمٌ في الأمْنِ والخوفِ والأسْفارِ والوَطَنِ

(*) العُنوانُ من اختيارنا ـ قالها إثر رُؤيتِهِ وَلَدِهِ المُهنا بعد أن تلقّى خبَراً بسُوءِ إصَابته.

(١) السِّلك: في اعتقادنا أنه قصد بالسلك الهاتف، وليس البرقيّة التي أشار إليها في قصيدة أخرى ودعاها: البَرق. وفي تلك الأيّام لم يكن الهاتف متوافراً للجميع، وإنما في بعض مكاتب الدولة وصفوة التجّار. وهو ما يُوضِّحُهُ الشطر الأوّل من البيت الثاني: قد يُخطىء النقلُ والتحقيقُ يعكِسُهُ. . .

(٢) ليسَ تضْميناً كاملاً، بل تحويرٌ، اقتضاهُ المقام، لبيت أبي تمّام: السّيف أصدقُ إنباء من الكُتب.

(٣) الوَكَن: العُشّ.

(٤) الرَّسَن: اللجام.

وإنَّ عـافِـيـةَ الإنـسـانِ غـايـتُـهـا أخذٌ على الجِذْرِ أو أخذٌ على السَّكَنِ
وإنّـنـا بَـيـنَ أيّـامٍ مُـرَوِّعَـةٍ تُبدِي قَبائحَها في صُورَةِ الحَسَنِ
فلْيَبْقَ ذو اللبِّ فيها غيرَ مُرْتقِبٍ عَهداً سِوى عَهدِها المَعرُوفِ بالدَّخَنِ

صَبراً بُنَيَّ على الزَّمان(*)

صَبْراً بُنَيَّ على الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ ... إنَّ الزَّمانَ مُحَارِبُ الأحْرَارِ

أينَ الفِرَارُ عَنِ المُقَدَّرِ لِلفَتَى ... إنَّ الأمُورَ رَهَائِنُ المِقْدارِ

وَكِلِ الأمُورَ إلى المُهَيْمِنِ إنهُ ... تَدبيرُهُ يَقْضِي على الأفكَارِ

ماذا تُرِيدُ مِنَ الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ ... أفَلا اتَّكَلْتَ على المُعينِ البارِي

أترى الزَّمَانَ مُؤثِّراً في نفسِهِ ... والأمرُ مَرجِعُهُ إلى مُختاري

واصْبِرْ فإنكَ ناجحٌ إن كُنتَ في ... نُوَبِ الصُّرُوفِ بمَنهَجِ الصُّبَّارِ

واجْعَلْ صَلاحَكَ مَسْلكاً لتنالَ مِن ... بِرِّ الكَريمِ مَوَاهِبَ الأبْرارِ

كَم كُرْبَةٍ نزلَتْ وَضَاقَ نِطاقُها ... فَتفرَّجَتْ باللطْفِ والإيسَارِ

ما خَابَ مَن وَكِلَ الأمورَ لربِّهِ ... فهو المُفرِّجُ كُرْبَةَ الإعْسَارِ

وهو المُجيبُ لدَعْوَةِ المُضْطَرِّ إنْ ... ضَاقتْ عليهِ كَوَارِثُ الأضْرارِ

فافزَعْ إليهِ بالمَضَائِقِ كُلِّها ... واسألهُ مَحْوَ عَظائِمِ الأوْزارِ

واجْعَلْ لِواسِطَةِ الأمُورِ مُحَمَّداً ... خيرَ البَرِيَّةِ مَعدِنَ الأنوارِ

وبجَاهِهِ الأعلى تَوَسَّلْ إنهُ ... عندَ المُهَيمِنِ بَاذخُ المِقدارِ

قُلْ: يا رَسُولَ اللهِ ضَاقتْ حَالَتي ... بكَ أستَجيرُ وأنتَ أكرَمُ جَارِ

(*) العنوان من وضعنا، وقد قالها مُخاطِباً ولدهُ المُهَنّا. وقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال يخاطبه).

لا أسْتـجـيـرُ بـغـيـرِ جَـاهِـكَ سَـيـدِي فـكُـنِ الـمُـجـيـرَ بـهـذِهِ الأخـطـارِ
وَجَّهْـتُ وَجْـهـي نـحـو بـابـكَ رَاجـيـاً مَـنـجَـاةَ نـفـسِـي مِـن عَـذابِ الـنـارِ

الباب التاسع

رَواحيَّـــات

قصيدة العِتاب(*)

أُبْـــلِغْ إلـــيـــكَ رِسَـــالــــةً ... تَـحْـكِـي تـبـاشـيـرَ الـصَّـبـاحْ

زَهــراءَ تَـــفْـــخَـــرُ فـــي بُـــرُو ... دِ الــعَــبْــقـريِّ عـلـى الـمِـلاحْ

غَـــرّاءَ يَـــنْـــشُـــرُ جَـــوهَـــر ... يُّ بَـيـانِـهـا دُرَرَ الـصِّـحـاحْ

أَبْـــلِغْ لَديـــكَ أبـــا سَـــعــــ ... ـيـدِ الأرْيَـحِـيِّ الـمُـسْـتَـمَـاحْ

أَبْـــلِغْ سُـــلَيـــمــانَ الـــذكِّــــ ... ـيَّ الـقـولِ والـنَّـسَـبِ الـصُّـرَاحْ

مـــا بَـــالُ قـــافِـــيَـــةٍ تَـــمُــــ ... ـجُّ الـشَّـهْـدَ مَـمْـزوجـاً بِـرَاحْ(١)

أنْـــشَـــأتَـــهـــا فَـــزَفْـــفْـــتَـــهـــا ... كَـسَـفَـتْ بـطَـلْـعَـتِـهـا بَـرَاحْ(٢)

تَـــشْـــدُو الـــثَّـــنـــاءَ عـــلـى امْـــرِئٍ ... أَثْـخَـنْـتَـهُ مِـنْـكَ الـجِـرَاحْ(٣)

أَلْقَـــيْـــتَـــنِـــي بـــيـــنَ الـــرَّزا ... يـا تـحـتَ أشْـطـانِ الـرِّمَـاحْ

ونَـــصَـــرْتَ أغْـــدَائِي عــــلَـــ ... ـيَّ وكُـنْـتَ لـي الأجَـلَ الـمُـتَـاحْ

(*) العُنوانُ من وَضعِنا | قالها في صِهْرِه الشيخ سليمان بن عمير الرواحي الذي نصر أعداءه عليه، وكان إذا لقي الشاعر أظهر له المودة وإذا غاب عنه نَثَرَ عِرْضَه ـ كما ورد في دراسة م. المحروقي ـ وقد نظمها الشاعرُ، وأرسلها إليه مُعاتباً.

(١) من الواضح أنّ أبا مُسْلِم يعتب على صِهره بعد أن دبّج ـ كما يتضح من السياق ـ قصيدة في امتداح الشاعر، رغم أن مواقفهُ السابقة ـ أيضاً، كما يتضح من السياق ـ لم تكُن كذلك.

(٢) بَرَاح: اسمٌ للشمس.

(٣) لو قال: أثْخَنَتْهُ لانكَسَرَ البيت، لكنَّ أبا مُسْلِم لا يُفوِّت المناسبة ويَقلِبُ المُفرَدة بما يتَّسِقُ وبحر القصيدة: أثْخَنْتَهُ، مُحيلًا الفعل إلى صِهرِه وليس إلى الجراح التي تسبب بها؛ عِوَضاً عن شائع القول: أثْخَنَتْهُ الجراح.

وَنَصَبْتَ لي شَرَكَ الرَّدَى فَحَصَلْتَ مِنْهُ على النَّجَاحْ
ثم ابْتَغَيْتَ مَوَدَّتِي أَنَّى! وقد عَلِقَ الجِنَاحْ
كُنْتُ اتَّخَذْتُكَ جُنَّةً وظَنَنْتُ وُدَّكَ لَنْ يُرَاحْ
وظَنَنْتُ زَرْعِي فيكَ أجْنِي مِنْهُ مَشْمُورَ الفَلاحْ
وعَلِمْتُ دَنَّكَ[1] صَافِياً فَشَرِبْتُ كَأْسَكَ بارْتِيَاحْ
فَنَشِبْتَ في حَلْقِي شَجاً فَغَصَصْتُ بالماءِ القُرَاحْ
هل كنتَ لي بينَ الكَتَائِبِ إذ تُنَاسِرُنِي الصِّفَاحْ
أدعوكَ تَنْصُرُنِي وتَدْعُو لِلبِرَازِ ولِلكِفَاحْ
شَتَّانَ بينَ الدَّاعِيَيْنِ، وَحَبَّذا أَمْرُ الصَّلاحْ
فَلَوَيْتُ عَنكَ شَكِيمَتِي وتَرَكْتُ جِدَّكَ لِلمُزَاحْ
وعَلِمْتُ أنكَ سوفَ تُبْصِرُ أنَّ عِرْضِي لا يُبَاحْ
ما كانَ رأيُكَ في صَفِيِّكَ حيثُ ثُقِّفَتِ الرِّمَاحْ
وقَلَبْتَ لي ظَهْرَ المِجَنِّ وما خَشِيتَ لها جُنَاحْ
جَشَّمْتَنِي خَرْطَ القَتَادِ وكانَ باقِعَةً وُقَاحْ
وَرَمَيْتَنِي مَعَ مَنْ رَمَى بَلْ زِدْتَ كَيّاً في الجِرَاحْ
أوَ لم تَكُنْ ضَرَّجْتَنِي بِدَمِي على عَفْرِ البِطَاحْ
وَرَمَيْتَ لَحْمِي لِلكِلابِ السُّودِ تَنْهَشُهُ مُبَاحْ
وَنَثَرْتَ عِرْضِي في نَوَادِي القَوْمِ تَذْرُوهُ الرِّيَاحْ
مَهْلاً فِداً لَكَ مُهْجَتِي يا جامِعَ الخُلُلِ المِلاحْ
هل مِنْ جَرَائِرِ وَاتِرٍ أَسْلَفْتُ فِيكَ فَأُسْتَبَاحْ؟
لَو كانَ ذاكَ حَسَوْتَنِي سُمّاً وَتَحْسَبُهُ قُرَاحْ
ولَقِيتُ وَجْهَكَ بالبَشَاشَةِ وهي أطْرَافُ الرِّمَاحْ

---

(١) الدَّنّ: وِعَاءٌ ضَخمٌ تحفظ فيه الخمر.

وعَلِمتُ أنّي أتّقِيـ ـك بكُلِّ جِدٍّ أو مِزاح
وعَلِمتُ أنّ الذَّحلَ[1] يَطلُـ ـبُهُ الوَتِيرُ ولا جُناح
هل غيرُ إخلاصي وِدَا دَكَ يا ابنَ عَمّي والصَّلاح
هيهاتَ عَزَّكَ أنْ نَفِسْـ ـتَ نَقِيبتي رَأيُ الفَلاح
وَقَّرتُ قَدْرَكَ عن صَفا وَجَعَلتُ رَأيكَ مُستَراح
وشَدَدتُ أزْرَكَ في خُطُو بٍ قَيَّدَتكَ ولا بَراح
فَجَلَوْتُها وهيَ الدُّجى وَرَدَدتُها بَعدَ الجِماح
حتى إذا آنَسْتَ مِن صَدْرِ الزمانِ الانشِراح
وَرَأيتَهُ قد سامَني مِن خَطبِهِ جُللًا وُقاح
وَوَدَدتَ قوماً حَدَّدُوا لكَ قبلَها القُضُبَ الصِّفاح
يَمْشونَ فِيكَ مع المُلو كِ بكُلِّ شائِنةٍ قِباح
فوَضَعتَ في أيْمانِهِم يُمناكَ عَقداً لا يُزاح
حَزماً عَليَّ، وَبَعضُ حَز مِ المَرءِ يَخلُو مِن صَلاح
هَلّا حَزَمتَ على العَدُوِّ وَكُنتَ لِلمَولَى سِلاح
أظَفِرتَ أنْ صادَقتَهُم بالفائِزاتِ مِنَ القِداح
وأمِنتَ رائِعَةَ الفَضَا ئِلِ أنْ خَفَضتَ لهُم جَناح
وَحَسِبتَ طائِرَهُم على الأ حْرارِ مَيمُونَ السَّفاح
وَظَنَنتَ أنَّ غَوائِلَ الأ يّامِ عَنهُم في انشِراح
كَلّا لَتَحتَنكِنَّهُم[2] إمّا غُدُوّاً أو رَواح
أو ما لَدَى نُوَبِ الصُّرُو فِ لَها اغتِباقٌ واصْطِباح[3]
لا تأمَنَنْ سُودَ الكُبُو دِ فإنَّ بِشرَهُم دَبَاح

(١) الذَّحل: الثأر.
(٢) تَحتَنكِنَّهم: تصيبهم، وقد جاء معنى لأحتنكنَّ في مجمل التفاسير بمعنى: لأستولِيَنَّ عليهم بالإغواء.
(٣) الصَّبوح والغَبوق: شرابُ الصَّباح وشرابُ العَشِيَّة.

وانـظُـرْ لِنَـفْـسِـكَ بَـيـنَـهُـم مِـن قَـبْـلِ تَـأْسِـيَـةِ الـجِـراحْ

وإذا جَـنَـحْـتَ إلى مُـسَـا لَـمَـتِـي فَـحَـيَّ عـلى الـفَـلاحْ

تَـجِـدِ الـنَّـبَـالَةَ والـمُـرُ وءَةَ لـم تُـزَعْـزِعْـهـا الـرِّيـاحْ

لـكِـنْ تَـمَـسَّـكْ بـالـصَّـفـا لا تـمْـزِجِ الـلبَـنَ الـصُّـراحْ

أو لا، فـلا تُـخْـفِـي الـزَّ فـيـرَ وتُـظْـهِـرُ الـبَـرْدَ الـقُـرَاحْ

فَـهُـمـا لَعَـمْـرُكَ خُـلَّـتـا نِ ومَـا الـتَّـقِـيـتَ فـلا جُـنـاحْ

ومـتـى هَـفـا رَأْيُ الـخَـلِـ ـيـلِ فـلا تُـعَـاتِـبْ بـالـرِّمَـاحْ

وإذا اقْـتَـرَحْـتَ عـلى الـصَّـ ـفِـيِّ الـحَـربَ سَـاءَ الاقْـتِـراحْ

واخْـبَـأْ وَلِيَّـكَ لـلـنَّـوا ئِبِ، إنَّـهـا سُـحُـبٌ سِـحَـاحْ

فَـلَرُبَّ أمْـرٍ مَـا كَـرِ هْـتَ وفـي طَـوايَـاهُ نَـجَـاحْ

ولَرُبَّ مَـغْـنَـىً تَـزْدَرِ يـهِ غَـنَـاءَ مُـنْـفَـسِـحِ الـرِّمَـاحْ

إلى أبي الحارث(*)

أبا الحارثِ إسمعْ حديثاً جرى ... على قِصَّةٍ راقَ إعجابُها
تَشَوَّقتُ يوماً لِلُقياكُمُ ... كذا يَجذِبُ النَّفسَ أحبابُها

(*) وجدنا في النسخة المخطوطة، وفي «النبذة المختصرة» ما يفيد أن أبا الحارث هو الشيخ محمد بن علي بن خميس البرواني (الذي قلد أباه في الإندراج ـ كما يورد سالم بن سليمان الرواحي ـ عن المذهب الأباضي، فكان شافعياً، وشاعراً ظريف الطلعة أديباً). وأبو الحارث صديق حميم للشاعر، وهو معروف بهذ الكنية في زنجبار، وكان يكتب في صحافتها، ومن آثاره المعروفة كتابته لـ«مقامات أبي الحارث». ويورد محمد المحروقي رواية طريفة في دراسته [تعليقاً على هذه القصيدة] حول تأثير الجانب الاجتماعي للحياة في زنجبار: «زار أبو مُسلم وأحد أصحابه صديقاً لهم يدعى أبو الحارث، غير أن الخدم لم يأذنوا لهم بالدخول وأساءوا معهم الحديث. (...) وهم أثناء ذلك الانتظار يلاحظون ما يدور في المنزل حيث تحوّل إلى مسرح للموسيقى والرقص، وقد تكاثف دخان السيجارة». ويضيف المحروقي: «تسجيل الشاعر لما رآه تعبير مُباشر عن انتقاده لهذه التقاليد المنافية لتعاليم الدين الإسلامي ـ كما يعتقدها ـ وقد طال انتظار الشاعر وصاحبه، ووقوفهم على الباب، فقرر أبو مُسلم أن يُصلي، فصلى ما شاء الله له وسبح ربه ذاكراً، حتى ثغت الجن، وزلزلت الأرض. (...) ومرت سنون طوال وصاحب الدار غافل عما يجري في منزله، وخلال هذا الزمن ابتنى الشاعر حارة أخذت أخشابها من الهند، وقارَنَ زوجة أنجبت له، وكل ذلك في انتظار الإذن بالدخول من صاحب الدار الغافل. (...) إنها الغفلة الشديدة التي يحاول الشاعر إظهارها بشكل خيالي مُفارق، ولا ينتهي تسلسل الأحداث عند ذلك، فعندما ييأس الشاعر من حصول الإذن يعود إلى منزله، إلّا أن السنين الطويلة طمست معالم المدينة لذا ضلّ الشاعر الطريق المؤدي إلى منزله، وعندما اهتدى إليه لم يجد إلا رسوماً ماحلة، وقد هلكت ذريته وكتبه، وكل ما صادف أبا مسلم من بلايا تتمثل في ضياع وقته وفقدانه أهله وكتبه، سببها غفلة صديقه أبي الحارث. كما يورد المحروقي في دراسته تعليقاً نقدياً لافتاً على هذه القصيدة قائلًا: «في هذه القصيدة نجد عناصر القصة متكاملة، فشخوصها هم: الشاعر وصاحبه، أبو الحارث، خدم أبي الحارث (الزنجيّة، البوّاب، قنبر)، والعقدَة فيها تتمثل في عدم=

فسِرْتُ أنْصُ[1] إلى بَابِكُم | وقد أرْهَقَ النَّفسَ إتْعَابُهَا
وَلَمَّا حَلَلْتُ بدَارِ المَزُورِ | ومِن عادَةِ الدَّارِ ترْحَابُهَا
إذا نَحنُ بالبابِ زِنْجِيَّةٌ | تَقُضُّ الشَّياطينَ أنيَابُهَا
فقلنا لهَا: أبلِغي أمْرَنا | فقالتْ مَقابركُم بَابُها
وهَرَّتْ علينا كما يَنبغِي | وجَاءتْ قضايا وأسْبابُهَا
فقلنا لشَخْصٍ إلى جَنْبها | فدَيتُكَ هَلْ أنتَ بَوَّابُها
فحَوَّلَ عَنْ وَجْهِنا وَجْهَهُ | وجُمْلَةُ نَحْوٍ وإعْرَابُها
فقلتُ اقتصِرْ يا بُنيَّ، اقتصِرْ | فمَا نَحنُ حَزْبٌ وَأحزابُها
دَعَوْنا لها «قنبراً» والفتى | يَصفُّ الصِّحافَ ويَنتابُها
فقال: اخرُجُوا نَحْوَ أشغالِكُم | فما للطُّفيلِيِّ أطيَابُها
فقلتُ لِنفسِيَ: لا تَضْجَري | فهذي الزُّنوجُ وآدَابُها
وقال بجَنْبي فتىً: صَبْرَكُم | تخِفُّ عَلى النَّفسِ أوْصَابُها
لعَلَّ تمُرُّ بكُم سَاعَةٌ | فتغنى الزُّنوجُ وأشْعابُها
فيُقْضَى لَنا فَرَجٌ عَاجِلٌ | وتَعلَمُ في الدَّارِ أصْحَابُها
فقلتُ: وبالصَّبرِ ترْجُو لَنا؟ | فقال: بصَبرِكَ يَجْتابُها
فقلتُ: نَصَحْتَ وَطَالَ الوُقوفُ | وهَاضَتْ جُسُومٌ وأصْلابُها
وعِيدَانُكُم وَدُخانُ السِّيجَارِ[2] | شُواظٌ على الدَّارِ ألْهَابُها
وَفَوْجٌ يَحُطُّ وَفوجٌ يَطِيرُ | ورَقْصُ الجَواري وألْعَابُها

=الإذن للشاعر وصاحبه بدخول منزل المُزار، كذلك نجد فيها الحوار بشكل واضح بين الشاعر وصاحبه والشاعر والخدم، وصوت الراوي هو صوت الشاعر نفسه، وقد توالدت الأحداث في إحكام شعري جيد، من ذلك تسارع الزمن بشكل كبير، حيث مرت سنون طوال عمّرت خلالها حارة وهلك أناس، ولا يزال الشاعر ينتظر الإذن، كل ذلك يُقبل بالمنطق الفني حيث لا يقصد إلى الإقناع العقلي بواقعية ما حدث، ولكن الإقناع الفني هو المقصود».

(١) أنصُّ: النَّصُّ: رفعُكَ الشيء. نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصاً: رفَعَه. وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ.

(٢) يقصد التجاير في الغالب، وليسَ السِّيجار.

وأغْــرَقَ وَقــتِــي بــلا طــائِلِ — تَــمُــطُّ سُــعــالٌ وأضــرابُــهــا
فــقــلتُ الــعَــطَــالَةُ مَــشــؤومَــةٌ — وشَــرٌّ وقــد طــالَ إسْــهــابُــهــا
فــقــمــتُ أصَــلِّي إلــى خــلْوَةٍ — تَــبَــيَّــنَ فــي الــدَّارِ مِــحْــرابُــهــا
وطــالَتْ صَــلاتــي ولــي وقــفــةٌ — إلــى أنْ تَــقــشَّــرَ آرَابُــهــا
وبَــعــدَ الــصَّــلاةِ عَــلَتْ ضَــجَّــةٌ — مِــنَ الــذِّكْــرِ أطْــنَــبَ أحْــزابُــهــا
إلــى أن تــغــى الــجِــنُّ مــن هَــوْلِهــا — وفَــرَّ عَــنِ الــدَّارِ أوْشَــابُــهــا
وَزُلْزِلــتِ الأرضُ زلــزالَهَــا — وخَــذَّ عــلى الأرضِ أقْــهَــابُــهــا
فــلم تُــغْــنِ شــيــئــاً وَطَــالَ الــمَــقــامُ — وحَــالَتْ سُــنــونٌ وأحْــقــابُــهــا
وفــيــهــا بَــنَــيْــنــا لــنــا حَــارَةً — وَشُــقَّــتْ مــن الــهِــنــدِ أخْــشــابُــهــا
ومِــن حَــولِهــا جَــنَّــةٌ زُخْــرِفَــتْ — وَزانَــتْ وأقْــطَــفَ أعْــنــابُــهــا
وقــارَنْــتُ فــي مَــنــزِلِي زَوْجَــةً — أطَــالــتْ وأنــجَــبَ أنــجَــابُــهــا
ولــم نُــرْزَقِ الإذْنَ مِــن عِــنْــدِكُــم — وَضُــوعِــفَ فــي الــدَّارِ حُــجَّــابُــهــا
ولــمَّــا ضَــجِــرْنــا انــقَــلَبْــنــا إلــى — دِيــارٍ تَــطــاوَلَ تَــقــلابُــهــا
وَعِــنــدَ الــرُّجُــوعِ جَــهِــلنــا الــطَّــريــقَ — وزالَ عَــنِ الــدَّرْبِ أنْــصَــابُــهــا
ولا غَــرْوَ هــذا فــإنَّ الــسِّــنــيــنَ — يَــدُورُ عــلى الــنــاسِ دُولابُــهــا
وأضْــلَلْتُ دَارِي إلــى أن بَــدَتْ — رُسُــومٌ حَــوَتْــهُــنَّ أعْــتــابُــهــا
وألــفــيْــتُ ذُرِّيَّــتِــي كُــلَّهــا — لِطُــولِ الــمَــدَى شَــابَ أعْــقــابُــهــا
وألــفــيــتُ كُــتْــبِــيَ مَــحْــشُــورَةً — فــقــيــلَ بَــنــو الــفــارِ تــنــتــابُــهــا
فــهــذا أبــا الــحَــارِثِ الــمُــنْــتَــهَــى — لأعْــجُــوبَــةٍ طَــالَ إغْــرَابُــهــا
فــكُــلُّ بــلايــا أبــي مُــسْــلِمٍ — عَــلــيــكَ، ونَــومُــكَ أسْــبــابُــهــا

قد نهض الجَدّ(*)

قَــد نــهَــضَ الــجَــدُّ عــلى ســاقِــهِ ... يَــهــزجُ فــي الأكْــوانِ كــالــعَــنــدَلــيــبْ
فــمــا لإفــريــقــيَّــةَ لا تَــنْــثَــنِــي ... مِــنْ طَــرَبٍ مِــثْــلَ انــثِــنــاءِ الــقــضِــيــبْ
قَــد سَــاحَ فــي أقــطــارِهــا رَبُّــهــا ... كالشَّمس في المَطلعِ بعد المَغيبْ
وعــادَ والــرِّحــلَــةُ جِــدٌّ لَــهُ ... رُبَّ رَحــيــلٍ فــيــه جِــدٌّ رَحِــيــبْ(*)
فــاعــتَــبِــر الــتــاريــخَ جِــدٌّ بِــهِ ... نَــصْــرٌ مِــن اللهِ وفــتــحٌ قــريــبْ

(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد؛ فرجعنا إليها في المخطوطة.

(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد؛ فأضفناها من المخطوطة.

حَنِين جاهِلِي(*)

قَضَتْ وَطَراً مِن شُكْنِ أفناءِ نُعْمَانِ ... فَشَطَّتْ بألْبَابٍ قَضَيْنَ بأشْجَانِ
أبَانتْ سُرُورَ القلبِ مِنها ببَيْنِها ... وَجَدَّتْ بطَيِّ البِيدِ في نَشْرِ أحْزَانِ
كأنَّ ظِلالَ الأنسِ لمَّا تقلَّصَتْ ... طَوَتْها بأيدِيها قِلاصٌ[1] كَعُقبانِ[2]
وَهَيَّجَ ما بي أنَّها يوم وَدَّعَتْ ... شَجَاها النَّوى شَجْوِي فنحنُ شَرِيكانِ
كأنَّ سَقِيطَ الدَّمْعِ مِن عَبَراتِنا ... على عاتِقَيْنا نَثْرُ دُرٍّ ومُرْجانِ
فولَّتْ بها مَا بي وقلبي وقلبُها ... - بِرَائِعَةِ التَّفريقِ - للوَجْدِ رَهْنانِ
تُفَدِّي حَياتِي والمُفدَّاةُ نفسُها ... وَتَقتُلُني سِحْراً بأدْعَجَ فَتَّانِ
ولمّا اشمَعَلَّتْ بالظُّعُونِ مَطِيُّها ... وَضَمَّنَ مِنها السُّجْفُ دُرَّةَ دُهْقانِ
بَكَيتُ على أثرِ القَطِينِ ولا بُكَا ... مُفَجَّعِةٍ ثُكْلَى مِن الفقدِ مِرْنانِ

(*) العُنوان من وَضْعِنا ـ والقصيدَةُ ترجِّعُ نفحَةً من الشِّعر الجاهلي يستعيد فيها الشاعر رَبعَهُ وَمَرَابِعَهُ في عُمان بعد أن حَلَّ في شرق أفريقيا.

(١) القَلُوص: الإبِلُ فَتِيَّةُ مُجتَمِعَة الخَلْق، جَمْعُها: قِلاص.

(٢) هذا واحِدٌ من الأبيات التي استوقفتني فيها بُنيَةُ الصُّورةِ الشعريّة المُنفلِتة من تكرار النمَطِ إلى ينابيع الشِّعر في غَريبِهِ الخلّاقِ، غريبه المُقصى عُنوةً ـ أو اعتياداً ـ من الإلتفات النقدي والجَمالي، على حدٍّ سَواء. فالصُّورَة مُرَكَّبة بحيث تخمِلُ حَنينها الدَّفين إلى أبعد مما تُظهِرُهُ حافَّةُ التعبير المُقيَّد بالقافية. فـ «ظِلال الأنس» المتقلِّصَة رُويداً رُويداً (وهي تضمَحِلُّ في ذاكِرَة الشاعر) بالتوازي مع حَرَكَة الرّاحِلَة ـ لا تكْتفِي باضمِحْلالها، بَلْ تُكَثِّفُ وتُصَعِّدُ شِعرياً لتُطوى كالحصيرة بأيدي (القِلاص) التي لم يَعُد مشيُها وئيداً، بلْ مُجنَّحَةً كالعُقبان تملأ السّماء، كما تملأ سَماء مُعادِلِها المَوضوعِي: جَسارة الصُّورة الشعرية وما يلازِمُها من جَسارَة مُجنَّحة في فضاء التَّأويل. وقد تطرَّقَ إلى نفس المعنى في قصيدته النونِيَّة: «فطالمَا وَخدَتْ تبغي لُبَانَتها | كأنَّهُنَّ مع الإنضاءِ عُقبَانُ».

خليليَّ والتَّذكارُ بَادِرَةُ الهَوى … أهَلْ أدْرَكَ الأحْبابُ عَهْدِي وأحيانِي

وَهَلْ عَلِموا أنّي سَليبُ غَزَالِهِم … غَدَاةَ بَدا لي بَيْنَ بَاناتِ عَدْنانِ

وَعَهْدِي بنفسِي لا تطيرُ لمُزْعِجٍ … شَعَاعاً[1] فقد طَارَتْ لِبارِقِ نُعْمَانِ

خُذا حَدِّثاني عَن فريقٍ تحَمَّلوا … فذِكْرُهُمُ أُنْسِي وَرَوْحِي وَرَيْحانِي

أعِنْدَهُمُ أنّي مُنِيتُ ببَيْنِهِم … فَهَلْ أمَلٌ يُقضى وَهَلْ مُلْتقىً دَانِ

خليليَّ إنّ الدَّهْرَ جَمْعٌ وَفُرْقَةٌ … وَنَشْرٌ وَطَيٌّ لا يَقَرُّ على آنِ

تمَتَّعتُ مِنهُ بانبِسَاطٍ وَبَهْجَةٍ … وَرَائِعِ حُسْنٍ مِن لَيالِيهِ فَتَّانِ

ليالٍ سَقتنا صَفوها وَنِظامُنا … كواكِبُ أصْحابٍ وأقمَارُ إخْوَانِ

كَخَطْبيَ مِن بينِ الخَمِيسَيْنِ إنهُ … على كَبدِي مُذ فارَقتْنِيَ كَيَّانِ

لقد كانَ قِدْماً سَالِماً جَمعُ شمْلِنا … فما سَامَهُ التكْسِيرَ إلّا الجَدِيدانِ[2]

نَبيلانِ؛ أمّا لِلوَلِيِّ فمَنْهَلٌ … صَفِيٌّ وأمّا للعَدُوِّ فَمُرَّانِ

لَدُنْ سَعِدَتْ أيّامُنا بـ«مَلِيدَةٍ» … أجُرُّ بأفريقيّةِ الشَّرْقِ أرْدَانِي[3]

لِعاصِمَةٍ تَرْفَضُّ نُبْلًا جِباهُها … وَتهْفو بها البُشْرى لِعَزْفٍ وعِزْفانِ

أفَاتَ البِلادَ؟ الفَضْلُ أدنى فُصُولِها … وأبْهَجَتِ القاصِي وَأسْعَدَتِ الدَّانِي

بها مِن رِجَالِي عُصْبَةٌ يَمَنِيَّةٌ … طِوَالُ الأيَادِي مِن ذوائِبِ قحْطانِ

بَهَالِيلُ بَسَّامُونَ في أيِّ خُطَّةٍ … مَواقِفُ آمالٍ مَشارِقُ إيمَانِ

هُمُ القومُ لا يَشقى جَليسُهُمُ بِهِم … صَنائِعُهُم في الدَّهرِ كالفَلَقِ الثَّاني

مَحَتْ آيَةَ الإفقارِ آيَةُ فَضْلِهِم … وجاءوا على حَضْرِ الكَمالِ بِسُلطانِ

مَسَامِيحُ وَهّابُونَ شُهْلٌ مَصَاعِبٌ … مَسَاعِيهُمُ للهِ سِرّاً كَإعلانِ

أجَلْتُ سِهامي بين أسْهُمِ مَجْدِهِم … ففازَتْ، وأمْجَدْتُ العُلا بينَ أقرَانِ

---

(١) شَعَاع: المُتفرّق المُنتشِر. يُقال: ذَهَبَتْ نَفسُهُ شَعَاعاً: تفرّقت هِمَمُها وآراؤها.

(٢) الجَدِيدَان: الليل والنهار.

(٣) هكذا وردت، ولعلها «ملينده» في زنجبار.

وطَارَدْتُ آمَالي فقيَّدْتُها بهم | كأنَّ المُنى واليُمْنَ مِنهُم بأيْمَانِ
وَصافَيتُهُم دَهراً فمَنُّوا وآثروا | على غِلَّةٍ والدَّهْرُ مُبتئِسٌ عَانِ
وما ظَمَأُ الأحرَارِ إلّا لِمَوردٍ | عليهِ سِجَالُ المَجْدِ بالحَمْدِ مَلآنِ
أولئكَ هُم غيرُ الخُطوبِ مَقاعِسٌ | قُرُومٌ سُرَاةُ الحَيِّ مِن أَزْدِ جَرْنانِ[1]
حُماةُ الأنوفِ الحَافِظونَ ذِمَارَهُم | كِرامٌ عَلى العِلّاتِ شِيباً كَولْدانِ
كُمَاةٌ أُبَاةُ الضَّيمِ شُوسٌ عَوَابسٌ | إذا كَرَّتِ الفُرْسَانُ في رِجْلِ خَرْصَانِ

(١) جرنان: الإسم القديم لبلدة إزكي ذات الحارتين العَريقتين: يَمَنْ ونَزار.

جواب لبعض أدباء عُمان(*)

أحِبَّتَنا ما البُعْدُ شَيئاً[1] نُطيقُهُ / ولكِنَّهُ مِن جُمْلَةِ الحُكْمِ في الأَزَلْ

أحِبَّتَنا ألبابُنا تَشتَطِيرُها / إليكُم عَلاقاتُ الصَّفاءِ ولا تَسَلْ

بنا ظَمَأُ اللقيا ونارٌ مِن الأسَى / ولولا التَّأسِّي ذابَ مِن حَرِّها الجَبَلْ

مَوارِدُكُم مِنا ومَوردُكُم ثَوَى / لَدَيكُم وَلَيسَ الظَّامِئونَ على أمَلْ

فَنَرْوِي مِن الذِّكرَى ولا يَنفعُ الصَّدا / ألا هِيَ أذكى في القُلُوبِ مِنَ الشُّعَلْ

تُثيرُ تَبَاريحَ الجَوى غُصَصُ النَّوى / وتُنكِئها الذِّكرى إذا جُرْحُها انْدَمَلْ

عَسَى نَسَمَاتِ الرُّوحِ مِن لُطْفِ رَبِّنا / تَهُبُّ بجَمْعِ الشَّمْلِ مِن بَعدِ ما انفصَلْ

وَعَلَّ رِيَاضَ الأنسِ يَخْضَرُّ سِيمُها / بمَاطِرَةٍ مِن رَحْمَةِ الله تَنْهَمِلْ

فَتَرْوِي العِطاشَ الهِيمَ بعد هِيامِها / ويَدْنو إليها الماءُ للنَّهْلِ والعَلَلْ

أحِبَّتَنا لا يَمْلِكُ المَرْءُ أمْرَهُ / ولا يَدفعُ المِقدارَ ضَربٌ مِنَ الحِيَلْ

نُريدُ قَراراً واغتِباطاً وألفَةً / وذلكَ شأنٌ لا يُضافُ إلى العِلَلْ

لقد دَبَّرَ الرَّحمنُ أمرَ عِبادِهِ / فَدَعْ عَنكَ: حَتَّى أو مَتى أو عَسَى وَهَلْ

يُدَبِّرُ ما يَختارُ وهيَ سِياسَةٌ / وإنْ ضَاقَ في رَأيِ العُيُونِ بها الكَبَلْ

عَلَينا الرِّضَى فيما يَجيءُ بهِ القَضَا / وأهلًا بما نَحْسُو مِنَ الصَّابِ والعَسَلْ

(*) العُنوان من اختيارنا. | يبدو أن بعض الأدباء في عُمان اشتاقوا للشاعر الذي طال به المقام في زنجبار، فردّ عليهم بهذه القصيدة. | وردت في الأصل المُعتمد تحت عنوان: «ومما عثرنا عليه: قوله طيّب الله ثراه مجيباً بعض الأدباء».

(1) نُصِبَت [شيء]؛ لأنها خبر ما المُشبّهة بليسَ.

الباب العاشر

غزليَّـــــات

ليس في الحُبّ قياس

أيُّها العَاذِلُ دَرْها تَنْهَمِي ... تِلكَ أحشائي فَدَعْها تَتَّقِدْ

لا تَظُنَّ الحُبَّ شيئاً هَيِّناً ... ليسَ في الحُبِّ قياسٌ يَطَّرِدْ

أنتَ خُلْوٌ وأنا صَبٌّ شَجٍ ... فإذا حدَّثتَ عَنِّي قُلْ وَزِدْ

فاترُكِ اليومَ مَلامِي إنهُ ... يُترَكُ الشَّيءُ إذا ما لَمْ يُفِدْ

أنا أسْلُو عَن حَبيبي سَاعَةً ... يا عَذولِي «قُلْ هُوَ اللهُ أحَدْ»

ساحر الطرف

سَاحِرُ الطَّرْفِ سَقيمٌ جَفنُهُ قَمَرِيُّ الوَجْهِ لَيلِيُّ الشَّعَرْ
ناحِلُ الخَصْرِ ثَقِيلٌ رِدْفُهُ مَائِسُ القَدِّ رُدَيْنِيُّ الخطَرْ
نافِرٌ عَنِّي وقلبي سَكْنُهُ صَفْوَةُ الوُدِّ إذا قال غَدَرْ
هل يُراعِي ذِمَّةً مِن وُدِّنا لا وَهيهات الوَفا مِمَّنْ غَدَرْ
طُولَ ليلي وَصْلَهُ مُنتَظِرٌ ليلةٌ مِن وَصْلِهِ ألْفُ شَهرْ
يا غَضِيضَ الطَّرْفِ هَبْ لي نَظْرَةً إنَّ إعْراضَكَ أدْهَى وَأمَرْ
عَجَباً في خَدِّكَ النارُ وفي مُهْجَتي مِنها لَهِيبٌ وَشَرَرْ
فَاتَنِي بَعضُ رَشادي في الهوى إنَّ عُذَّالِيَ قد قالوا: كَفَرْ
صَدِّقوا! غَابَ رَشادي في الهوى وعلاقاتُ الهوى إحدى الكِبَرْ
وإذا ذكَّرتُهُ عَهدَ الصِّبا قال لي: تلكَ ألاعِيبُ الصِّغَرْ
وإذا استعطَفَهُ القلبُ على فِعلِ عَينيهِ تَعاطَى فَعَقَرْ[1]
يا إمامَ الحُسْنِ هل مُنتظَرٌ لم تَزلْ عِندي الإمامَ المُنتَظَرْ
وإذا أشكُو لَهُ قَرحَ الهَوى قال لي: «صَلِّ على خَيرِ البَشَرْ»

---

(١) تضمين من قصيدة لامرئ القيس: «مَرَّ يومَ العيدِ بي في زِينَتِه | فرَمَاني، فتعاطى، فَعَقَرْ»، وكذلك في الذكر الحكيم: «فنادَوا صَاحِبَهُم فتعاطى فعَقر [القمر ٢٩] (المُراجِع).

عَقِيق(*)

لا قَضَيْتُ الرَّبْعَ مِن نفسِي حُقُوقَهْ
إنْ عَقِيقُ الدَّمْعِ لم يَرْوِ عَقِيقَهْ

نَصَبَتْ نفسِي مَجَازاً في الهوى
ولَدَى آرامِها[1] تلكَ الحَقِيقَهْ

أمْسِكُ السَّيرَ فذِي أطْلالُهُم
مِسْكُها أهْدَى ليَ الرِّيحُ فَتِيقَهْ

رَيْثَما أنشُدُ ظَبْياً ضَاعَ في
هذِهِ الدُّمْيَةِ لا يَدْرِي طَرِيقَهْ

حَيثُ نفسِي حَبَسَتْها عَيْنُها
ليتَها تَحْبِسُ أجفاني الطَّلِيقَهْ

ها مَضَتْ لي فُسْحَةٌ مِن عُمُري
كُلُّها في لَذَّةِ العَيْشِ غَرِيقَهْ

حَكَتِ البَرْقَ سَنا بهجتِها
ومَضَتْ سُرْعَتُها تحكِي خُفُوقَهْ

جَفَّتِ العَبْرَةُ عَن شيءٍ مَضَى
مُنْيَةٌ تُطْوَى وَأوْطَارٌ مَسُوقَهْ

إنْ بَقِي مِن صَفْوِ عَيْشِي رَنَقٌ
غيرُ رِيقِ الصِّلِّ أو أمْتصُّ رِيقَهْ

كُلَّما أذكُرُ عَهْداً سَالِفاً
ألْهَبَ التَّذكارُ في قلبي حَرِيقَهْ

وإذا سَاعَدتَ في شأنِ الهوى
فاتَّخِذْ مِن ذِكْرِ أحْبَابي طَرِيقَهْ

والتَفِتْ عني إلى سَاحاتِهِم
إنَّ عَينيَّ بذا الدَّمْعِ شَرِيقَهْ

صَادَفَتْنِي لَوعَةٌ في كَبِدِي
ليتَها خَانَتْ وإنْ كَانتْ صَدِيقَهْ

يا تُرَى أينَ غَزَالٌ صَادَني
غَنِجُ المِعْطَفِ سَحَّارُ الخليقَهْ

(*) العنوانُ الحالي من اختيارنا || في الأصل المُعتمَد: [وقالَ]

(١) جمعُ ريم؛ وهو الغزال.

كَـاسِـرُ الـجَـفـنِ عَـليـهِ فَـتْـرَةٌ مِـلَّةُ الـرُّشْـدِ بـهـا أضْـحَـتْ مَـحِـيـقَـهْ

فَـتِـنٌ أَهْـيَـفُ أعـطـى أَفْـنَـهُ[1] فـي تَـثـنِّـيـهِ الأمَـالِيـدَ الـرَّشِـيـقَـهْ

(١) أفْنَهُ: غُصنَهُ المَيّال.

يا حِجاباً على الجَمالِ دَليلا(*)

حَجَبَتْ جِسْمَها بِديباجَةٍ سَو ... داءَ كانَتْ لِنُورِها قِنْديلا

مَثَّلَتْ لي حَقيقَةَ العَيْنِ نُوراً ... وَسَواداً وَرِقَّةً تَمْثيلا

ثُمَّ هَمَّتْ في جَعْلِ السَّوادِ حِجاباً ... يا حِجاباً على الجَمال دَلِيلا

ما اختفتْ في غَدائِرٍ مُرْسَلاتٍ ... كالليالي صَيَّرْنَنِي ضِلِّيلا[1]

كَيفَ تَخْفى وَنُورُها كالهُدى في ... مَلْبَسٍ صارَ لابْتِدَاعٍ مَثيلا

أنا في عالَمِ السَّوادِ وَعَقْلي ... في رِياضِ التفاحِ ظَلَّ عَقِيلا

ما الهَوى في السَّوَادِ إلّا جُنُونٌ ... والهَوى في البَيَاضِ أقْوَمُ قِيلا

ليسَ مَن ضَلَّ بالنهارِ كَمَنْ ضَلَّ ... بِليلٍ، فذاكَ أهْدَى سَبيلا

مَن عَذِيري مِمّا جَنَتْهُ العَذارى ... أخذتني في الحُبِّ أخذاً وَبيلا

(*) العُنوانُ مِن اختيارنا.

(١) لُقِّبَ أميرُ الشعراء امرُؤُ القيس الكندي؛ بالمَلك الضلِّيل. وصدر البيت تنويعٌ على بيت في معلقة امرئ القيس: غدائرها مُستَشزِرات إلى العُلا...

سؤال غرامي [I]
(وجَّهَهُ إليه الشاعر محمد بن خميس البركاني)

مـا يَـفـعَـلُ الـمَـرْءُ إنْ زَادَ الـغـرَامُ بـهِ ... وَمَـنْ يُـحِـبُّ بـحُـبِّ الـغـيـرِ مَـشـغُـولُ
إن رَامَ تَــرْكــاً فــهــذا لا سَــبــيــلَ لَهُ ... أو رَامَ صَبْراً فَعَقدُ الصَّبرِ مَحلُولُ

جوابُ أبي مُسْلِم

خَـلِّ الـصَّـبَـابَـةَ تـسْـرِي فـي خَـلِـيـقَـتِـهِ ... والـحُـبُّ مِـنْ سِـرِّهِ لُطْـفٌ وَتَـذلِـيـلُ
لَعَـلَّ سَـكْـرَتَـهُ فـي الـحُـبِّ تَـجـذِبُـهُ ... إلـى وِصَـالِكَ يَـومـاً وهـوَ مَـذهُـولُ
فـاصْـبِـرْ عَـليـهِ وَخَـلِّ الـحُـبَّ يَـنـحُـلُـهُ ... جُرْحٌ بجُرْحٍ، ومَا في الحُبِّ تَبدِيلُ

سؤال غرامي [II]
(وجَّهَهُ سيف بن ناصر الخروصي)

مُـفـتِـيَ الـعَـصْـرِ مـا عـلـى مُـشـتـهَـامٍ ... عَـضَّ تُـفّـاحَ وَجْـنَـتَـيِّ الـحَـبـيـبِ
فـانـثـنـى مُـغْـضَـبـاً وَقـالَ: حَـرَامٌ ... عَـضُّ تُـفّـاحِـنـا بِـعَـيـنِ الـرَّقِـيـبِ

جوابُ أبي مُسلِم

مـا عَـلَـى الـمُـشـتـهـامِ إثْـمٌ بـهـذا ... وأرَى الإثْـمَ رَاجِـعـاً لـلـحَـبـيـبِ
هَـيَـمَـانُ الـعُـشّـاقِ نَـوْعُ جُـنُـونٍ ... وَمَـنَـاطُ الـتَّـكْـلِـيـفِ عِـنـدَ الـقُـلوبِ
مَـكِّـنُـونِـي أَعُـضُّ مِـنـهُ كَـمَـا شِـئـتُ ... وَخـلُّـوا بَـيـنِـي وَبَـيـنَ الـذنُـوبِ

الجَفا(*)

يا مَنْ تَعَرَّضَ لِلجَفا ... يا مُتلِفِي أينَ الوَفا؟

أينَ العُهُودُ السَّالِفاتُ ... وأينَ آمَالُ الصَّفا

أَخلفتَ عَهْدَكَ بالوِصالِ ... وَمَا عَهِدْتُكَ مُخْلِفا

وَتَرَكْتَنِي صَبّاً أُقَلِّبُ ... مِنْ جَوَاكَ المُصْحَفا

آهِ على الظبيِ الأغرِّ ... إذا تَقاعَسَ وانْتَفَا

آهِ على الغُصْنِ الرَّطِيبِ ... إذا تَمَايَلَ أو هَفا

آه على قَمَرٍ لَهُ ... الاقمارُ سُجَّدَ عُكَّفا

آهِ على قلبي تَمَزَّقَ ... حَسْرَةً وَتَأسُّفا

وَلَزِمْتُ نَفسِي بالحُرُوزِ ... وَبالعَزائِمِ مَا كَفى

(*) هذه القصيدة غير موجودة في المَخطوطة ولا في الأصل المُعتمد، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأديب أحمد الفلاحي.

غرام مُميت(*)

أمَـزِّقُ قَـلبِـي فـي هَـوَاكَ صَـبَـابَـةً ... وَأنـتَ بـحُـبِّ الـغَـيْـرِ دُونِـيَ مُـغـرَمُ

يَـسـوؤُكَ أنْ تَـلقى حَبيبَكَ مُعْرِضاً ... وَتُـعـرِضُ عَـنْ حُـبِّي كَـأَنِّـيَ مُـجْـرِمُ

وَمِنْ أَعْـظَـمِ البَلوَى غَرَامِي بمَنْ بِهِ ... غَـرَامٌ بِـغـيـرِي وَهُـوَ بـالـحُـبِّ أعْـلَمُ

إذا شِـئـتُ مِـنـهُ الـوَصْـلَ قـابَلَ بـالـجَـفـا ... وَإنْ شِـئـتُ صَـبـراً عَـنـهُ فَـهُـوَ مُـحَـرَّمُ

ألا يَـا عِـبَـادَ اللهِ مَـا هِـيَ حِـيـلَـتِـي ... سِوى أَنْ أَذوقَ المَوتَ، وَالمَوتُ أَسْلَمُ

(*) هذه المقطوعة الشعرية لم نعثر عليها في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي، والعنوان من وضعنا.

الفؤاد الكسير(*)

أَصَبتِ فُؤاداً طَارَ فِيكُم مَطارُهُ فيا أسَفا هذا الفؤادُ كَسِيرُ

وَكَمْ لِي أرُدُّ الدَّمعَ خَشيَةَ حَاسِدٍ وَمَنْ لِي بِرَدِّ البَحرِ وَهوَ غَزيرُ

صَبَوتُ وَرَأيُ الحُبِّ فِيكُم مُقصِّرٌ مُخِلٌّ وَحَبلُ الوَصْلِ مِنكِ قَصيرُ

صَرَفتُ إليكُم وِجهَةَ الحُبِّ كُلَّهَا وَبَعضُ شُهُودِي ظَاهِرٌ وَضَمِيرُ

ولا عُذرَ لِي مِمَّا سَلوتُ صَبَابَتِي وَحُسْنُكِ عِندي في الغرامِ عَذيرُ

فَدُومِي عَلى هَذا الجَفاءِ فإنَّنِي على كُلِّ أفعالِ الحَبيبِ صَبُورُ

(*) تذييل الشاعر لأبيات قالها الشيخ سيف بن سالم بن هاشل المسكري، وهي مقطوعة غير موجودة في الأصل المُعتمد ولا في المخطوطة، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.

عَقيقٌ في عَقيقٍ في عقيقِ(*)

فِدَا نفسي لبَهكَنةٍ لَعُوبٍ ... لَهَوْتُ بها على لَثْمِ الشَّقِيقِ

أُناوِلُها مِنَ الشَّاهِي[1] كُؤوساً ... فقالَت: هَكذا طَعْمُ الرَّحِيقِ

كأنَّ الكَأسَ في يَدِها وفيها[2] ... عَقيقٌ في عَقيقٍ في عَقيقِ

تَقولُ وَمِلؤها لَعِبٌ وضِحْكٌ ... أتَعْدِلُ شُرْبَ شَاهِيكُمْ بِرِيقي؟

فلقتُ لها: مُنَى نَفْسِي أفِيقِي ... بِرِيقِكِ يَنطَفِي لَهَبُ الحَرِيقِ

فأذْنَتْ ثغرَها مِنِّي وقالَتْ: ... تمَتَّعْ بي إلى وَقتِ الشُّرُوقِ

فَبِتُّ أمُصُّ وَرْدَةَ وَجْنَتَيْها ... وأرْشُفُ جَمْرَ مَبْسَمِها الشَّرِيقِ

فلمَّا أذْهَلَتْ عَقلِي وَرُشْدِي ... طَفِقتُ أصِيحُ: يا هَادِي الطريقِ

(*) العُنوانُ مِن اختيارنا. تلميح: هذه المقطوعة واحدة من ألطف غزلياته، على قلتها في الديوان؛ وكم تمنيتُ أن أسمعها مُغناةً ومُلحَّنة، لو كان مُطربونا شغولين بتقفِّي قصائد الشعراء العُمانيين.

(١) الشّاهي: هُو الشاي، وكان أبو مُسْلِم من الوَلُوعينَ به وكتب في صِفاتِهِ عِدّة قصائد، بلْ إنهُ استعاضَ بهِ عن الرّاح وجعلَ منه مُعادِلَها الموضوعي في بعض قصائده، كما في بعض الأبيات التي خصَّ بها الشاي.

(٢) فيها: فَمِها.

الباب الحادي عشر

مُتفرّقـــات

الشّاي(*)

وَقامَ شرَابُ الشَّاهِي[1] عَنها خَليفةً ... على عَالَمِ الأرْواحِ كالآمِرِ النَّاهِي

لَهُ الفَضلُ في لَونٍ وَريحٍ وَلَذَّةٍ ... فَقُلْ فيهِ ما قد شِئتَ مِن جَانِبِ الجَاهِ

ذُؤابٌ مِن الياقوتِ في وَسْطِ كَوْكَبٍ ... بهِ فَرَجُ المَهْمُومِ بَلْ مُتعَةُ اللاهِي

إذا صُفِّفَتْ أكْوَابُهُ وَسْطَ مَجْلِسٍ ... رأيتَ نُجومَ الزُّهْرِ تَهْوِي لأفْوَاهِ

أرَى كُلَّ ما تَحْوِي مَجالِسُ أُنْسِنا ... جُنوداً لِدَفعِ الهَمِّ سُلْطَانُها الشَّاهِي

(*) أبياتُهُ في الشاي قالَها مُذيِّلًا هذا البيت: إذا حَرَّمَ اللهُ المُدَامَ فإنَّهُ | أتى ذلكَ التحريمُ مِن حِكْمَةِ اللهِ.

(١) الشَّاهِي: الشّاي في اللهجة العُمانيّة، كما في لَهَجات أخرى في منطقة الخليج.

مَدِيح الشاي

قدْ أكْثرَ النّاسُ في الشَّاهِي مَدَائِحَهُم ... ولستُ أذكُرُ فيهِ فَوقَ ما أَجِدُ
طَعْمٌ وَلَونٌ وَتفريجٌ وَطِيبُ شَذا ... وَنَشْوَةُ حيِّ عنها الرُّوحُ والجَسَدُ
فاشْرَبْهُ صِرْفاً[1] ولا تَخْلِطْ به لَبَناً ... فالصِّرْفُ أَوْلَى وَذَا المَخْلُوطُ مُنْتَقدُ

(١) في دعوته لشرب الشاي صِرْفاً دون خلطه باللبن يستحضر الشاعر أدبيات العصر الجاهلي والعصرين الأموي والعباسي في امتداح شرب الخمرة صِرْفاً دون كَسْرِ حِدَّتِها بالماء أو سواهُ من الأشرِبَة المُنكِّهة.

مِسْكُ الشاي

إذا رُمْـتَ أنْـسـاً لـلـنـفـوسِ وَلَذَّةً ‏ ‏ ‏ ‏ فللشّايِ في الوَصْفَينِ مَرْتبةُ الفَضْلِ

كـمَـاءِ عَـقـيـقٍ يَـنـفَـحُ الـمِـسْـكَ رِيـحُـهُ ‏ ‏ ‏ ‏ يُنادِي مَذاقَ النَّحْلِ: قَصَّرْتَ عَن مِثْلِي

ليلة الشاي

رَعَى اللهُ لَيلَةَ أُنسٍ جَلَتْ بَهَاءً وَحُسْناً كَبَدْرِ التَّمَامْ
فَكَانَتْ لنا غُرَّةً في الزَّمَانِ وكَانَتْ على صُورَةٍ كالوِسَامْ
مِنَ الأدَبِ الغَضِّ أجْني بها زُهُوراً سَقاها نَمِيرُ الغَمَامْ
أُطارِحُ فيها كَمَا أشْتَهِي كِرَامَ السُّرَاةِ سُرَاةَ الكَلامْ
فَطَوْراً مِن اللؤلؤ الرَّطْبِ[1] أجْـ ـنِي نِثاراً وَطَوْراً عُقودَ النِّظامْ
تُدَارُ عَلَينا كُؤوسُ الشَّرابِ مِنَ الشَّايِ، لا مِنْ عَقيقِ المُدَامْ
فَمِنْ أبْيَضٍ كذؤابِ اللُّجَيْنِ وَمِنْ أحْمَرٍ كَلَهيبِ الضِّرَامْ
بِنَادِي كَرِيمٍ نَبيلِ الأصُولِ طَويلِ الأيادي عَليِّ المَقامْ
يُباشِرُ أصْحَابَهُ بالرَّبيعِ مِنَ الخُلُقِ الرَّحْبِ خُلْقِ الكِرَامْ
تَذكَّرتُ ما بيننا قد مَضَى وليسَ لِعيشٍ سَعيدٍ دَوامْ
فلا زالَ نادِيكُمُ ناعِماً مِنَ السَّعْدِ في نَضْرَةٍ وابْتِسَامْ
فيا لَيلَةَ الوَصْلِ دُومِي لنا فأنتِ السَّلامُ عَليكِ السَّلامْ

---

(١) بل قصد طِيبَ الحديث ولآلئ الكَلِمِ، ألم تَرَ أنه قسمه نوعين: نثراً ونظماً.

رجال السّر (*)

السِّرُّ أحفى برجال السِّرِّ ... لا يَعرفُ الأحرارَ غيرُ الحُرِّ

إليك يا مسعودُ بَعضَ أمْرِي ... أصْبَحتُ مَأسوراً بريبِ الدَّهرِ

إنْ تكشفِ اليومَ شَدِيدَ ضُرِّي ... فَغُبُّها مُضاعفاتُ الأجرِ

إنَّكَ إنْ تَفعَلْ فأهْلُ البِرِّ ... وَلنْ تَزالَ حائزاً للشُّكْرِ

وَالعُرْفُ لا يَذهبُ حَيثُ يَجْرِي ... وَأنْتُمُ الغِيَاثُ للمُضْطَرِّ

رُبَّ صَديقٍ في نَعِيمِ الدَّهرِ ... خانكَ عِندَ نائباتِ العُسْرِ

وَرُبَّ مَنْ بَاعَدْتَهُ في اليُسْرِ ... أصْبَحَ عَوناً عِندَ نَقْضِ الظَّهْرِ

أينَ رِجالُ الخَيْرِ عِندَ الكَسْرِ ... وأينَ مَنْ أعْدَدْتُهُم للذُّخْرِ

عَرَفتُهُمْ في سَهْلِهِمْ وَالوَعْرِ ... فاليومَ اسْمِي في عِدادِ النُّكْرِ

وَهذِهِ أشْكَالُ أهْلِ العَصْرِ ... صَفوَ أُجَاجٍ مِثلَ مَاءِ البَحْرِ

يا خُطَّةً عِيلَ عَليهَا صَبْرِي ... فاخطُطْ، فَدَتكَ النَّفسُ، عَنّي إصْرِي

عرفتُ مِنْ قَدْرِكَ فاعرفْ قَدْرِي

(*) أرسلها إلى الشيخ مسعود بن سالم بن هاشل المسكري، وهي قصيدة غير موجودة في الأصل المُعتمد ولا في المخطوطة، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.

في فضل الاجتماع

إنَّ للاجتماعِ رَوْحاً لَطيفاً فاعِلًا في النُّفوسِ كُلَّ جَميلِ
قلَّما يُكْسِبُ انفرادُكَ فَضْلًا وَمَعَ الاجتماعِ غَرْسُ العُقولِ
أدَبٌ، حِكْمَةٌ، كَمالٌ، دُعاءٌ وَاقتناصُ المَنقول وَالمَعْقولِ

شجَّــة(*)

جــاءَ الــمُــهــنّــا وبــهِ شــجَّــةٌ   كــأنّــهُ خــاضَ وَغــىً مُــضْــرِسَــة

قــد قــامَــتِ الــحَــربُ عــلى سَــاقِــهــا   حَــتى مَــع الــصِّــبــيَــانِ فــي الــمَــدرسَــة

(*) المُهنّا ولد الشاعر.

للَّهِ دَرُّ بَنِي رَوَاحَة(*)

للهِ دَرُّ بَـــنِـــي رَوَاحَـــةَ إِنَّـــهُـــم رَفـعُـوا مَـنـارَ الـعِـزِّ أعـلى الـفَـرْقـدِ
وحَـمَـوا دِيَـارَهُـمُ بـأَسْـدِ شَـرَاتِـهِـم ومَـحَـوا بِبِيضِ الـهِـنـدِ دَارَ الـمُـعْـتَـدِي

(*) بيتان قالهما نصرالله بن محمد الكندي في قبيلة بني رواحة التي ينتسب إليها أبو مُسلم.

خطّة عَبْسِيَّة(*)

سَبَقتْ مَدِيحَكَ خُطَّةٌ عَبسِيَّةٌ خَضَعَتْ لِعِزَّتِها رِقابُ الحُسَّدِ

جَلَّتْ عَنِ الإطراءِ سُورَةُ مَجدِنا أو لا فقُم نَحوَ الكواكبِ فاعدُدِ

عَلِمَ القَبَائلُ أننا جَمَراتُها وسُراتُها ولنا تراثُ السُّؤدَدِ

(*) رد أبي مُسلم على أبيات نصرالله الكندي.

مزايا الزمان

لستُ أشكو مِنَ الزَّمَانِ مَا يَشْكُـ ـوهُ غيري ولا أذمُّ صُروفه
كُلُّ مَعدودَةٍ على الدَّهرِ عَيباً هِيَ عِندِي مِنَ المَزايَا الشَّرِيفه

عَشْرَاء(*)

عَشْرَاءُ ألقحَهَا الحَادِي ومِنْ عَجَبٍ ... أنْ تَلقحَ الشَّولُ مِنْ فَحْلٍ هُوَ الحَادِي
مِـزنـانـةٌ لا تـنـامُ الـليـل سَـارِيَـةٌ ... تَـطـوي الـبـلادَ بـلا مَـاءٍ ولا زادِ
تَبكِي وتَضْحَكُ لا حُزناً ولا فَرَحاً ... تَغدُو بِبُشرَى وقد تُمْسِي بأنكَادِ[1]
حَتى إذا مَا دَنا المِيلادُ بَشَّرَها ... فَشقَّ بشرتها عَنْ جَمعِ أولادِ
رَأيتُ جَعفراً الطَّيارَ يَقدُمُهُم ... فـي ألـفِ ألـف وَلِيٍّ غَيـر عُـبَّـادِ
وكُـلُّـهُـم مَـا لَهُ دِينٌ فـيَـعْـصِـمُـهُ ... وكُـلُّهُـم بَـيـنَ أوَّابٍ وسَـجَّـادِ
رَأيتـهُم فَوقَ بَيتِ اللهِ قد كَفرُوا ... ومَـا أرادوا بـذا فِـيـهِ بـإلـحَـادِ
وبَـيـنَ زَمـزمَ والأركـانِ قـد رَقـصُـوا ... بـغـيِّـهِـم بَـيـنَ زَمَّـارٍ وَعَـوَّادِ
لا يَرهبُونَ مِنَ النِّيرانِ تَحرقُهُم ... ويَركبُون سِنامَ السَّيلِ بالوَادِي
كم أخْرَبَتْ أمُّهُم أرضاً وكم عَمَرَتْ ... مـا شـأنُـهَـا غـيـر إعْـدَامٍ وإيـجَـادِ
بـنَـفـثِ رِيِّـقِـهِـا كـم مَـيِّـتٍ بَـعـثـتْ ... وكـم أعَـادَتْ وكـم أبْـدَتْ لأجـسَـادِ
لا ذاتُ رُوحٍ ولا فِي الأرضِ مَسْكَنُهَا ... ولا الـسَّـمـاءِ ولا تُـحْـصَـى بـأعْـدَادِ

(*) لم نجدها في الأصل المعتمد وأضفناها من المخطوطة، وبها ملحوظة من ناسخ الديوان: قيل إنَّ اللغز في الساعة الدَّقاقة، وقد وردت بعنوان «ملغزة الدال»، لواضعه سالم بن سليمان بن عديِّم الرواحي، جامع مخطوطة الديوان.

(١) تبكي وتضحكُ، مُقتبس من قصيدة للأخطل الصغير، غنَّتها فيروز. تبكي وتضحكُ لا حُزناً ولا فرَحا | كعاشِقٍ خَطَّ سَطراً في الهَوى ومَحا * قلبٌ تمَرَّسَ في اللذاتِ وهُو فتىً | كبُرْعُمٍ لَمَسَتْهُ الرِّيحُ فانفتَحا (المُراجع).

ولا سَحَابٌ ولا ريحٌ ولا حَجَرٌ ... ولا نَباتٌ ولم تُنتَجْ بأولادِ
بَيضاءُ طَلعَتها سُودٌ ذوائِبُها ... وتارةً تَصْبَغُ الأرجاءَ بالجَادي
بَعِيدةٌ عَجَزتْ عَنْ دَرْكِهَا حِيَلي ... وكُلَّ حَينِ أرَاهَا أوسَطَ النَّادِي
تَحكي صُروف الليالي مَا تَقِرُّ على ... شَكلٍ وكالغُولِ في تَلوينِهَا البَادِي
تَجري وللرِّيحِ في أحشائِهَا زَجَلٌ ... بحَيثُ يَقصُرُ عَنها الشَّيظَمُ العَادِي
فتنشرُ الجَوهَرَ المَكْنُونَ مِنْ عَرَقٍ ... وتَارَةً تَرجُمُ الدُّنيا بأطوادِ

قطع علاقة في عتاب(*)

أجسِّدُ نُورَ الشمسِ صُحفاً وأنْتَقِي ... مِنَ اللؤلؤ المَكْنُونِ كُلَّ فَرِيدِ
وأجْعَلُهَا للمُخلِصِين رَسَائِلاً ... وذلكَ أنْسٌ مُبْهِجٌ لوُجُودِي
وأعْتَقِدُ التقصِيرَ مِنْ ذاكَ كُلِّه ... وقلبي بالتَّذكارِ قلبُ عَمِيدِ
فمَا بَالُ حَظِّي مِنكُمُ حَظُّ خَاسِرٍ ... ورَأيُكُمُ فِي الوُدِّ غَيرُ حَمِيدِ
تَمَسَّكْتُ بالآمَالِ مِنكُم تَعلُّلاً ... ولكِنَّهَا مَوثوقةٌ بقُيُودِ
إذا كُنتُمُ حَرَّمْتُمُ الصَّفوَ بَيننا ... وأبْرَمْتُمُ حُكماً بنقضِ عُهُودي
فهَاتُوا لنا طَبْعاً يُوافِقُ طَبْعَكُم ... فإنِّيَ مَيَّالٌ لِكُلِّ جَدِيدِ
تَعِزُّ علينا قِطْعَةٌ مِنْ بِطَاقةٍ ... ونُقطَةِ حِبرٍ في لِسَانِ جَرِيدِ
إذا كانَ حَبلُ الوُدِّ يُفتَلَ هَكذا ... فيا رَبِّ إقطعْ حَبْلَ كُلِّ وَدُودِ
ويا رَبِّ حُلْ بَينِي وبَينَ صَحَابتِي ... على هذه الدَّعْوَى بسَدٍّ حَدِيدِ
مَحَبَّتكُم أضْحَتْ سَرَاباً بِقِيعَةٍ ... وحُبِّي لكُمْ لا يَرْتقِي لمَزِيدِ
زَرَعْتُ لكُمْ فِي الحُبِّ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... فيا أسَفِي والزرعُ غَيرُ حَصِيدِ
وهذا عِتَابي والإجَازَةُ مِنكُمُ ... عَليهِ كمَا عَوَّدْتُمُ بِصُدُودِ

(*) لم ترد في الأصل المعتمد، وأضفناها من تحقيق راشد الدغيشي للديوان - راجع المقدمة. العنوان الحالي من اختيارنا، فقد وردت بهذا العنوان: «وقال في عتاب أحد أصدقائه».

مُعاتبة(*)

أحِبَّةَ القلبِ مَا بَالي وبَالكم ... دَفعْتُمُونِيَ إنْ شَدَّ الزَّمَانُ يَدِي
كُنتُ اتَّخذتكُمْ للخَطْبِ مُعتمِداً ... فحِينَ جَدَّ بَلائي عَزَّ مُعتمَدِي
مَنْ لِي بِخِلٍّ إذا بَايَعْتُهُ ثِقتِي ... أوفى بنَقْدِ الوَفا نَقداً يَداً بيدِ
وَضَعتُ يُمْنايَ فِي يُمْناكُمْ طَلباً ... لأنْ أشُدَّ بكُمْ فِي نَكْبَتي عَضُدِي
وكُنتُ جَلداً عَلى الأزمَانِ مُضْطَلِعاً ... فحِينَ ضَيَّعتُمُ أمْرِي وَهَى جَلَدِي
أزكى المَحَاسِنِ في حُسناكُمُ لُمَعٌ ... وأوسَطُ العُرفِ مِنكُم خَيرُ مُقتصَدِ
تَقيَّلتْ كُلَّ مَحْمُودٍ فَضَائِلكُم ... فمَا تَؤمُّونَ غيرَ الأمرِ ذِي الرَّشَدِ
أرَى مُرُوءتكُم تَسْمُو بَوادِرُها ... إلى مَرَاقٍ رَمَتها الشمسُ بالحَسَدِ(1)
فما أبَاحَ لكُم تَرْكَ الإخاءِ على ... غَيرِ المَلامَةِ والتَّنْدِيدِ والأوَدِ
إنْ كانَ ذنباً جَنيْنَاهُ فمَا وَهَنتْ ... حُلومُكم إنَّهَا الأطوادُ لم تَؤُدِ
أو كانَ جَرياً على رَأيِ الزَّمَان فمَا ... ببَاطِنِ الوُدِّ مِنْ بَأسٍ ومِنْ فَنَدِ
فأيُّ عُذرٍ لنا في تَركِ خِلَّتِنا ... نعم لكُم ألفُ عُذرٍ أيّ مُعتمدِ
كذلك الخِلُّ يُجري للخليلِ مِنَ الـ ... أعذارِ مَا لم يَدُرْ مِنهُ على خَلَدِ
أما تَرَونَ أعَادِينا وقد لبِسُوا ... مِنَ التَّعاضُدِ دِرعاً صَافيَ الزَّرَدِ

(*) قالها مخاطباً الشيخ سيف بن سعيد المعمري. وهي من القصائد التي لم نجدها في الأصل المعتمد وأضفناها من تحقيق راشد الدغيشي للديوان - راجع المقدمة.

(1) مراق: جمع مَرقى؛ وهو الصَّعبُ من الجبالِ، ومِنها المُرتقى الصَّعب.

كـادُوا يُـذلُّونَ بـالـتـفـريـقِ فـالـتـأمُـوا فـهُـم أعَـزُّ حِـمَـىً مِـنْ لـبْـدَة الأسَـدِ

وأنــتَ مَـولايَ ذاكَ الـخِـلُّ لا نَـكِـلٌ عَـنِ الصَّـدِيـقِ عـلى مَكْـرُوهَـةِ الكَـبدِ

فـكـم بَـلونـاكَ فـي خـطـبٍ يَـضـيـقُ بـهِ ذرعُ الـحَـليـمِ فـلم تـنـكِـلْ ولـم تَـكِـدِ

ومـا حَـمَـدْنـا سَـريّـاً فـي مَـنـاقِـبـهِ كـحَـمْـدِنـا لـكَ فِـي أفـعَـالِكَ الـسُّـدُدِ

كـأنَّ كُـلَّ الـوَرَى فـي فَـضْـلِهِـم جَـسَـدٌ وأنتَ مِنْ بَينِهِم كالرُّوحِ في الجَسَدِ

وَجَـدتـكَ الـمَـاءَ يُـحْـيـي الأرضَ ماكِثُـهُ وبَـعـضُ مَـنْ يَـدَّعِـي الـعَـلـيـاءَ كـالـزَّبَـدِ

هَـنيـتَ يـا ابْـنَ الـمَـعَـالي كُـلَّ مَـكْـرُمَـةٍ ورِثْــتَــهــا مِــنْ جُــدُودِ سَــادَةٍ أُسُــدِ

السَّمكة(*)

نَـحـنُ أهــلُ الله لا نــكــفــرُهُ ... جَـلَّ عـمَّـا تـدَّعِـيـهِ الـمُـشْـرِكَـةْ[1]

رَسَـخ الإيـمـانُ فـي ألـبـابـنـا ... قـبـل أنْ تـرفـع صـيـداً شَـبَـكَـةْ

جَـاءَ صَـيَّـادٌ بـمـا قـد رَسَـمـتْ ... قُـدرَةُ اللهِ بِـظَـهْـرِ الـسَّـمَـكَـةْ

بـكِـتـاب عَـرَبـيٍّ ظـاهِـرٍ ... كُـلُّ مَـنْ يَـقـرأُ خَـطَّـاً أدْرَكَـهْ

(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد ونسخناها عن المخطوطة، وقد ذكر ناسخ المخطوطة: «فيما يُروى أن صياداً جاء الشاعر بسمكة مكتوب على ظهرها بقلم القدرة؛ إما كلمة الإخلاص أو غيرها مما يدل على توحيد الله تعالى، فقال في ذلك هذه الأبيات».

(١) يقصد الأقوام المُشركة.

نظـرة(*)

نَــظَــرْتُ فــي الــكَــونِ نَــظْــرَةْ مِــنْ نَــحْــوِ مَــنــفَــذِ إِبْــرَةْ
فــمَــا انْــثَــنَــى الــطَّــرْفُ حــتــى حَــلَبْــتُ دَهْــرِيَ شَــطْــرَةْ

(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد؛ فرجعنا إليها في المخطوطة.

القطار(*)

وَيْحَ القِطارِ جَرَى يَختالُ للسَّفرِ ... شيءٌ يُحيِّرُ إذ مَا لاحَ للنَّظرِ

كالأفعُوانِ طويلٌ عِندَ زَحفتِهِ ... لكنَّهُ كهبوبِ الرِّيحِ في السَّفرِ

يَنقضُّ في سَيْرِهِ كالبَرْقِ مُندَفِعاً ... وكالصَّواعِقِ تُنْبي الأرضَ بالنُّذرِ

بدِقَّةٍ أوْثقُوا إحكامَ صَنْعَتِهِ ... مِنَ الحَديدِ كطَوْدٍ طالَ بالحَجَرِ

كم قِطعَةٍ رَكَّبُوا في صُلْبِ هَيْكَلِهِ ... وكم بأحشائِهِ في البَطنِ مِنْ حُجَرِ(1)

مِنَ المَسَامِيرِ والأسلاكِ غائصَةً ... في جسمِهِ كعُرُوقِ الدَّمِّ للبَشرِ

وبالزجاجِ وأشياءٍ مُرَفَّهَةٍ ... قد زيَّنوهُ على ما شِئتَ مِنْ صُوَرِ

فيه الكراسي عليها الناسُ قد جَلسوا ... تجري أحاديثهُمْ في خلوَةِ السَّمَرِ

(*) أبيات تتحدث عن القطار وهيأته وقدراته ومخبرة عند الدّهشة والإستغراب التي كان عليها الإنسان العربي في تلك الفترة المُبكرة من عمر الصّناعات الحديثة غير المعروفة لديه، وهي أبيات لم نجدها في الأصل المُعتمد ولا في المخطوطة، وقد تكرّم الأستاذ أحمد الفلاحي بإعطائنا نسخة منها بخط يده مشفوعة بهذه المُقدِّمَة التي ارتأينا وضعها في الحاشية.

(1) ورد البيت في المخطوطة بخط الأستاذ أحمد الفلاحي؛ كالتالي: كَم قِطعةٍ رَكَّبُوا في صُلْبِ هَيْكَلِهِ | وكم بأحشائِهِ في البَطنِ مِنْ حُفر. والحقيقة أنني استغرب استخدام الشاعر للحُفر المُركَّبة في أحشاء هيكل القطار، فتذاكرت بشأنها مع الأستاذ أحمد الفلاحي؛ فعاد بذاكرته إلى فترة السبعينات أو أواخر الستينات، ليقول لي إنه نقلها من مخطوطة قديمة كانتْ تُتَداوَل، وكانت المَخطوطة قديمة مُمَزَّقة مُهترئة، لا سيما في نهاية هذا البيت، فأكمل المَعنى بسرعة، آنذاك. لكنَّهُ خطَّأ نفسَهُ في تسرُّعه، وأكَّدَ لي أنَّ المقصود في الغالب [الحُجَر]، وليس [الحُفر]، فاستصْوَبْتُ تصويبَهِ للخطأ! وسياق الاندهاش من هذه الآلة العجيبة، آنذاك، يُؤكِّدُ ما ذهبنا إليهِ معاً؛ إذ أنَّ منبع الغرابة هو سلسلة الحُجرات اللامتناهيَة وقد رُكِّبَت في القطار.

وفـيـهِ أحـمَـالـهُـم دُسَّـتْ بـداخِـلِهِ ثـقـيـلة ضَـمَّـهـا كـالـمَـارِدِ الـخـطِـرِ

في أَغْـمُـدٍ مِـنْ حَـدِيـدٍ ثُـبِّـتـتْ وَرَسَـتْ تـمـضـي خُـطـاه إلـى نَـجْـدٍ ومُـنـحَـدرِ

أُعـجُـوبَـةٌ مِـنْ أَعَـاجيـبِ الزَّمَـانِ بَـدَتْ في عَـصْـرنـا لـم تَـنـلْهَـا سَـابـقُ الـعُـصُـرِ

المَعَالِي(*)

يـا حُـرُّ نَـحْـوَكَ حُـرَّ الـقـولِ أُرسِـلُهُ ... وأنتَ أَرفعُ مِنْ شِعري ومِنْ خُطَبي

نَـدَبْـتـمُـونـي لأمـرٍ كُـنـتُ أطـلـبُـهُ ... بِـبَـذلِ رُوحِـيَ حـتـى عَـزَّ مُـطَّـلبـي

أفـنـيـتُ نـفـسِـيَ فـي إحـيـائِهِ فَـقَـسَـا ... قـلبُ الـزمـان وخـابـتْ مُـنـيَـةُ الأرَبِ

وَعَـاكَـسَـتـهُ سِـهَـامٌ كُـلَّمَـا رَشَـقَـتْ ... قـلبي فـصَـابَـرتُـهـا عَـزمـاً ولـم تُـصِـبِ

والآن خُـضـتُ غِـمـاراً كُـلُّهـا خَـطَـرٌ ... لـولا عَـزيـمَـةُ قـلـبٍ غَـيـرِ مُـنْـقـلِـبِ

حـتـى تَـوسَّـطـتُـهـا وَالـفـوزُ مُـقـتـربٌ ... والـفَـلْجُ يَـبْـرُقُ بـالإقـبـالِ عـن كَـثَـبِ

تَـركـتـمُـونِـيَ فـرداً لا أَبُـوءُ إلـى ... تَـدبـيـرِ حُـرٍّ ولا تَـعـضـيـدِ مُـنـتَـدَبِ

خـذلـتـمُـونِـيَ إذ هَـرَّتْ كِـلابُـهُـم ... وأنـتُـمُ الأسْـدُ أنـصَـاري لـدى غَـضَـبي

مـا كـان عَـهـدِيَ فِـيـكُـم يـا كِـرامُ سِـوى ... حُـسنِ الـوَفـاءِ عـلى الـعلّات وَالـنُّـوَبِ

حَـاشـا شَـهَـامَـتـكُـم تَـدنـو إلـى خَـوَرٍ ... عَهْدي بكم في سَمَاءِ المَجْدِ كالشُّهُبِ

لـكـنَّ حَـظِّـيَ حَـظٌّ لا يَـقـومُ إلـى ... شأنٍ فـمَـا يَـنثـنِـي حـالا عـلى الـعَـقِـبِ

قُـمْـتُـم بـأمـرٍ وَأسَّـسْـتُـم مَـعَـالِـمَـهُ ... حـتـى إذا قـامَ أحـجَـمْـتُـم بـلا سَـبَـبِ

هـل رَابَـكـم يـا أُبَـاةَ الـضَّـيـمِ إذ حَـمَـلتْ ... أحـمَـالَـهـا فِـيـكُـمُ حَـمَّـالـةُ الـحَـطَـبِ

أم نَـعْـقَـةٌ مِـنْ غُـرابٍ زَلْزَلَتْ جَـبَـلًا ... هـذا، لَعَـمْـرُكُـمُ، مِنْ أَعْـجَـبِ العَـجَـبِ

أم نَـفـرَةُ الـقِـردِ فِـيـكُـم أفـزَعَـتْ أَسَـداً ... أم نفحَـةُ الـغـارِ صَـارتْ نَفحَـةَ العَـطبِ

إنْ كـان هـذا فـمـا مَـعـنـى الـحَـيـاةِ لـنـا ... يـا مَـوتُ عَـجِّـلْ، فـإنَّ اللحْـدَ أرْفَـقُ بِـي

(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد؛ فرجعنا إليها في المخطوطة.

صِرنا جَمَاداً كأنَّ الخَصْمَ مَغطسُنا ... نَجري كأشياءَ في جِدٍّ وفي لَعِبِ
يا سَوءَةَ المَجْدِ في الأحرارِ إنْ عَبَثتْ ... بِهِ الدَّجاجَةُ كالأوساخِ في الخِرَبِ
أهكذا يا بَنِي الأحرارِ رَأيُكُمُ ... صَبرٌ عَلى الضَّيمِ إنْ نَحضُرْ وَإنْ نَغِبِ
نَمُوتُ ذُلّاً وَأفعَى السُّوءِ تَنهَشُنا ... وَالشَّعْبُ مُنشعِبٌ وَالحَظُّ فِي نَصَبِ
والهَلُّ يَقتُلنا وَالدِّين يَخصِمُنا ... وَنَحنُ في غفلةٍ وَالدَّهرُ في شَغَبِ[1]
أدعُوكُمُ يا أُباةَ الضَّيمِ حَسْبُكُمُ ... مِنْ نَومَةٍ بَينَ جَمرِ النارِ واللهَبِ
قد بُحَّ صَوتيَ مِنْ نُصْحٍ أَضُجُّ بِهِ ... ليتَ الضجيجَ دَنا مِنْ سَمْعِ مُحْتسِبِ
فَدَيتكُم يا بَني الأحرارِ مَا فَعَلتْ ... بنا الحوادثُ؛ صَارَ الرَّأسُ في الذَّنَبِ
بِنتُمْ فَدَيتكُمُ إنَّ الزمَانَ لَهُ ... رأيٌ يُزلزِلُ رَأيَ الحُرِّ بالحَرَبِ
ما كان أعداؤنا صَخراً فيهشِمُنا ... ولم تَكُنْ فَقْعَ قَاعٍ تَحتَ مُقتضبِ
نُمسِي وَنُصبِحُ نَبكِي في مَخَادِعِنا ... نَدْبَ العَجَائزِ مَوتاهُنَّ فِي التُّرَبِ
لنا مَواهِبُ تُغني فِي مَتى وعَسَى ... وفي التألقِ والأحزانِ والكُرَبِ

نهاية الديوان

(١) الهَلّ: ظهور الهلال.

المصادر والمراجع

١. ابن عربي؛ محيي الدين، الفتوحات المكية، تقديم: نواف الجراح، بيروت، دار صادر.
٢. ابن منظور؛ محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧.
٣. البطاشي؛ سيف بن حمود، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الناشر مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، روي (عُمان)، المطبعة الوطنية، ١٩٩٨.
٤. بورخيس؛ خورخي لويس، صنعة الشعر، ترجمة: صالح علماني، الطبعة الأولى، دمشق، دار المدى، ٢٠٠٧.
٥. الحكيم؛ سعاد، المعجم الصوفي، الطبعة الأولى، بيروت، الطبعة الأولى، بيروت، دندرة للطباعة والنشر، ١٩٨١.
٦. الخصيبي؛ محمد بن راشد، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ١٩٨٤.
٧. خضير؛ ضياء، وردة الشعر وخنجر الأجداد: دراسة في الشعر العماني الحديث، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان، ٢٠٠٦.
٨. الخليلي؛ عبدالله بن علي، الحقيقة، مخطوط، مكتبة الشاعر سماء عيسى.
٩. الرَّواحي؛ ناصر بن سالم (أبو مُسلم البهلاني):
- النفس الرَّحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني، الطبعة الثانية، عُمان، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ٢٠٠٤.
- ديوان أبي مسلم، تحقيق: عبدالرحمن الخزندار، طبعة صالح بن عيسى الحارثي، مطابع دار المختار، ١٩٨٦.
- ديوان أبي مسلم، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، روي (عُمان)، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، ١٩٨٧.
- ديوان أبي مسلم البهلاني، تحقيق: راشد بن علي الدغيشي، شركة دار الفتح.

- ديوان أبي مسلم البهلاني، جمع وترتيب: سالم بن سليمان البهلاني، مخطوط، مكتبة أحمد بن عبدالله الفلاحي.
- نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مخطوط، (صورة توزع من قبل عائلة المؤلف).
١٠. الريامي؛ ناصر بن عبدالله، زنجبار: شخصيات وأحداث، الطبعة الأولى، لندن، دار الحكمة، ٢٠٠٩.
١١. السالمي؛ محمد بن عبدالله، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي.
١٢. سيفرت؛ ياروسلاف، أن تكون شاعراً، ترجمة: إسكندر حبش، الطبعة الأولى، دمشق، دار المدى، ٢٠٠٧.
١٣. الطائي؛ عبدالله محمد، الفجر الزاحف، الطبعة الأولى، حلب، مطبعة الضاد، ١٩٦٦.
١٤. غباش؛ حسين عبيد، عمان الديمقراطية الإسلامية: تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٧.
١٥. الفنجاوي؛ منصور بن ناصر، الدُّرر المنثورة في شرح المقصورة، إعداد: عادل محمد علي الطنطاوي، كلية الشريعة والقانون بسلطنة عمان، ٢٠٠٥.
١٦. مجموعة باحثين، قراءات في فكر البهلاني الرواحي، الطبعة الثانية، المنتدى الأدبي بسلطنة عمان، ٢٠٠٦.
١٧. المحروقي؛ محمد بن ناصر، الشعر العماني الحديث: أبو مسلم البهلاني رائداً، الطبعة الأولى، الدار البيضاء ـ بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩.
١٨. مصطفى؛ إبراهيم، وآخرون (إخراج)، المعجم الوسيط، استنبول، المكتبة الإسلامية.
١٩. المغيري؛ سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: محمد علي الصليبي، الطبعة الثانية، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ١٩٨٦.
٢٠. ناصر؛ محمد بن صالح، أبو مسلم الرواحي: حسّان عُمان، الطبعة الأولى، مسقط، توزيع: مكتبة مسقط، ١٩٩٦.
٢١. النفري؛ محمد بن عبدالجبار، الأعمال الصوفية، تقديم ومراجعة: سعيد الغانمي، الطبعة الأولى، كولونيا (ألمانيا) ـ بغداد، منشورات الجمل، ٢٠٠٧.
٢٢. وزان؛ عبده (إعداد وتقديم)، ديوان الحلاج، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٨.

الفهرس